مواهب

مواهب لدنية

١٤٢

MİLLİ E
RAGIP
MÜ
S

١٤٢ X ٢٢٩

T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP P. ŞA K. T. ELIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 894

حسبي وقف
من الكتب التي وقفها الفقير
... إلى ربه ذي المواهب
... بين الصدور ...
... عبده

١٠٤٨ / ٢٩

١١٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اطلع [illegible] واشرق من افق اسرار الرسالة مظاهر تجلى الصفات [illegible] وضع اساس نبوته على سوابق ازليته [illegible] ابديته واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له [illegible] بالعظمة والجلال الواحد المتوحد فى وحدانيته باستحقاق الكمال واشهد ان سيدنا وحبيبنا محمدا عبده ورسوله اشرف نوع الانسان وانسان عيون الاعيان المستخلص من خالص خلاصة ولد عدنان الممنوح ببدايع الايات المخصوص بعموم الرسالة وغرائب المعجزات السر الجامع الفرقانى المخصص بمواهب القرب من النوع الانسانى مورد الحقائق الازلية ومصدرها وجامع جوامع مفرداتها ومنبرها وخطيبها اذا حضر فى حظائر قدسها ومحضرها بيت الله المعمور الذى اتخذه لنفسه وجعله ناظما لحقايق قدسه مدة مداد نقطة الاكوان ومنبع ينابيع الحكم والعرفان المفيض من بحر مدد الوفا على القائل من اهل المعارف والاصطفا حيث خاطب ذاته الاقدسية بالمنح الانفسية

فقال

فانت رسول الله اعظم كائن … وانت لكل الخلق بالحق مرسل
عليك مدار الخلق اذ انت قطبه … وانت منار الحق تعلو وتعدل
فؤادك بيت الله دار علومه … وباب عليه منه بالحق يدخل
ينابيع علم الله منه تفجرت … ففى كل حى منه لله منهل
منحت بفيض الفضل كل مفضل … فكل له فضل به منك يفضل

نظمت نثار الانبياء فتاجهم … لديك بانواع الكمال مكمل
فيا مدة الامداد نقطة خطه … ويا دورة الاطلاق اذ يتسلسل
محال يحول القلب عنك وانني … وحقك لا اسلو ولا اتحول
عليك صلوة الله منه تواصلت … صلوة اتصال عنك لا تتنصل

شخصت ابصار بصائر سكان سدرة المنتهى لجلال جماله وحنت دواح روساء الانبياء الى مشاهدة كماله وتلفتت لفتات نفس الملأ الاعلى الى نفائس نفحاته وتطاولت اعناق العقول الى اعين لمحاته ولحظاته فعرج به الى المستوى الاقدس واطلعه على السر الانفس فى احاطته الجامعة وحضرات خطيرة قدسه الواسعة فوقفت اشخاص الانبياء فى حرم الحرمة على اقدام الخدمة وقامت اشباح الملئكة فى معارج الجلال على ارجل الاجلال وهامت ارواح العشاق فى مقامات الاشواق

كل اليك بكله مشتاق … وعليه من رقبائه احداق
يهواك ما ناح الحمام بايكة … ولاح برق فى الدجا خفاق
شوقا اليه لا يزال يدين … بجميعه لجميعه عشاق

اشتاق القمر لمشاهدته فانشق فشق مرائر الاشقياء المشاقين وحن لمفارقته الجذع فتصدع فانصدعت قلوب الاغبياء المنافقين وبرقت من مشكات بعثته بوارق طلائع الحقايق وانقادت لدعوته العامة خاصة خلاصة الخلايق ولم يزل يجاهد فى الله بصادق عزماته ونظم شتات الاسلام بعد افتراق جهاته حتى كملت كمالات دينه وحججه البالغة وتمت على سائر امته الامية نعمته السابغة وخير فاختار الرفيق الاعلى وآثر الآخرة على الاولى فنقله الله تعالى قائما على قدم السلامة الى دار السلام وفردوس الكرامة وبوأه اسنى مواقف التكريم فى دار المقامة ومنحه اعلا مواهب الشرف فى اليوم المشهود فهو الشاهد المشهود والمحمود بالمحامد التى يلهمها للحامد المحمود ذو المنزلة العلية والدرجة السنية فى حظائر القدس الاقدسية والمشاهد الانفسية واصل الله عليه فواضل الصلوات وشرائف التسليم ونوامى البركات وعلى آله الاطهار واصحابه الابرار صلوة وسلاما لا ينقطع عنهما امداد المدد ولا يحصرهما العدد ابد الابد وبعد فهذه لطيفة من لطائف نفحات العواطف الرحمانية ومنحة من منح مواهب العطايا الربانية تنبئ عن نبذة

من كمال شرف نبينا محمد عليه افضل الصلوات ● وانمى التسليم واسنى الصلاة
وسبق نبوته فى الازمان الازلية ● وثبوت رسالته فى العنايات الاحدية
والتبشير باحمديته فى الاعصر الخالية ● والتذكير بمحمديته فى الامم الماضية
واشراق بوارق لوامع انوار ايات ولادته التى ساد ضوء فجرها فى سائر بريته
ودار بدر فخرها فى اقطار ملته ● وعواطف لطائف رضاعه وحضانته ●
وينابيع اسرار ستر مسراه وبعثته وهجرته ● وعوارف معارف عبوديته
السارى عرف شذاها فى آفاق قلوب اهل ولايته ● ونفائس انفاس احواله
الزكية ● ورقايق حقائق سيرته العلية الى حين نقلته لروضة قدسه
الاحدية ● وتشريفه بشرائف الآيات ● وتكريمه بكرائم المعجزات وترفيعه
فى آى التنزيل برفعة ذكره وعلو خطره ● وتعظيم محاسن شمائله وخلائقه
وتخصيصه بعموم رسالته ووجوب محبته ● واتباع طرائقه وسيادته
الجامعة لجوامع السؤدد فى مشهد مشاهد المرسلين ● وتفضيله بالشفاعة
العظمى العامة لعموم الاولين والاخرين ● الى غير ذلك من عجائب اياته ومنحه
وغرائب اعلام نبوته وحججه ● اوردتها حججا قاهرة على الملحدين ● وذكرى
نافعة للموحدين ● وتنبيها لعزائم المهتدين ● ولم اكن والله اهلا لذلك ولم
ار نفسى فيما هنالك ● لصعوبة هذا المسلك ● ومشقة السير فى طريق لم يكن لمثلى
سلك ● وانما هو نكتة سر قرأتى كتاب الشفا ● بحضرة التخصيص والاصطفا
فى مكتب التأديب والتعليم ● فى مشهد مشاهدة الموانسة والتكريم مستجليا
فى مجالى تجليات الانوار الاحمدية محاسن صفات خلقته ● وعظيم اخلاقه الزكية
ساريا بسر سيرته فى منهاج نهج ملته الى سماء هديه الاسنى رابعا فى رياض روض
سنته النزيهة الحسنا ● مستمدا من فتح البارى ● فيض فضله السارى فمنحنى
صاحب هذه المنح من مصون حقايقه ● وابرز لى مما كنه من مكنون رقائقه
فانفتحت بالفتح المحمدى عين بصيرة الاستبصار ● وتنزه الناظر فى رياض
ارتياض رقايق الاسرار ● فاستجليت من ابكار مخدرات السنة النبوية من كل
صورة معناها ● واقتبست من تلألؤ مصباح مشكاة المعارف من كل بارقة
اضواها ● وانتشقت من كل عبقة صوفية شذاها ● واجتنيت من افنان
لطائف تاويل آى الكتاب العزيز من كل ثمرة مشتهاها ● ولازلت فى جنات لطائف
هذه المنح اغدو واروح فى غبوق وصبوح ● حتى انهلت غمائم المعانى
على ارض رياض المبانى ● فاينعت ازهارها وتكللت بنفائس جواهر العلوم

اوراقها

اوراقها ● وطابت لمجتنى رقايق الحقايق ثمارها ● وتدفقت حياض بدايع الفاظها
بزلال جوامع كلماتها ● وخطب خطيب قلوب ابناء الهوى على منبر الغرام الاقدس
يدعو لكمال محاسن الحبيب الارأس ● فترونحت بسلاف راح الارتياح نفائس
الارواح ● وتمايلت بمطربات الحان الحنين الى جمال المحبوب كرائم الاشباح وزمزم
مزمزم الصفا بحضرة خلاصة اولى الوفا منشدا مرددا ●

حضر الحبيب وغاب عنه رقيبه ● حسبى نعيم زال عنه حسيبه ●
داوى فؤادى الوصل من ادوائه ● طوبى لقلبى والحبيب طبيبه ●
صدق المحب حبيبه فى حبه ● فجباه صدق الحبيب منه حبيبه ●
لباه لب فؤاده فاجابه ● لما دعاه الى الغرام حبيبه ●
وبجامع الاهواء جمع حبه ● ولحسنه خطب القلوب خطيبه ●

فلما سمعت هذه المواهب اذان قلوب اولى الالباب ● تلفتت عيون اعيانهم
لتلخيص خلاصة جوهر هذا الخطاب ● فى سفر يسفر عن وجه المنح النبوية
مينع النقاب ● فثنيت عنان القلم الى تحصيل مآربهم وتسطير مطالبهم جانحا
صوب الصواب مودعا ما كان مستودعا لى فى غيابات الغيب فى هذا الكتاب
مستعينا فى ذلك بالقوى الوهاب ● حتى اتاح الله لى ذلك وتمم ما هنالك ●
فاوضحت ما خفى من الدليل ومهدت ما توعر من السبيل ● وسميته بالمواهب
اللدنية بالمنح المحمدية ● ورتبته على عشرة مقاصد تسهيلا للسالك والقاصد
المقصد الاول فى تشريف الله تعالى له عليه الصلوة والسلام بسبق نبوته
فى سابق ازليته ونشره منشور رسالته ● فى مجلس مؤانسته وكتبه توقيع
عنايته فى خطائر قدس كرامته ● وطهارة نسبه ● وبراهين اعلام ايات حمله
وولادته ● ورضاعه وحضانته ● ودقايق حقايق بعثته وهجرته ● ولطائف
معارف مغازيه وسراياه وبعوثه وسيرته ● مرتبا على السنين من حين نشاته
الى وقت وفاته ونقلته لرياض روضته ● المقصد الثانى فى ذكر اسمائه
الشريفة المنبئة عن كمال اخلاقه المنيفة ● واولاده الكرام الطاهرين ●
وازواجه الطاهرات امهات المؤمنين ● واعمامه وعماته ● واخوته من الرضاعة
وجداته ● وخدمه ومواليه وحرسه وكتابه وكتبه الى اهل الاسلام فى
الشرائع والاحكام ● ومكاتباته الى الملوك وغيرهم من الانام ● والاته وحروبه
ودوابه والوافدين اليه صلى الله وسلم عليه ● وفيه عشرة فصول
المقصد الثالث فيما فضله الله سبحانه وتعالى به من كمال خلقته وجمال

صورته من الاخلاق الزكية وشرفه به من الاوصاف المرضية وما تدعو ضرورة حياته اليه والى الله صلاته وسلامه عليه **وفيه** ثلاثة فصول **المقصد الرابع** فى معجزاته الدالة على ثبوت نبوته وصدق رسالته وما اختص به من خصائص اياته وبدايع كراماته **وفيه** فصلان **المقصد الخامس** فى تخصيصه عليه الصلوة والسلام بخصائص المعراج والاسرا وتعميمه بعموم لطائف التكريم فى حضرة التقريب بالمكالمة والمشاهدة والايات الكبرى والتدريب **المقصد السادس** فيما ورد فى آى التنزيل من تعظيم قدره ورفعة ذكره وشهادة الله تعالى له بصدق نبوته وثبوت بعثته وقسمه تعالى على تحقيق رسالته وعلو منصبه الجليل ومكانته ووجوب طاعته واتباع سنته واخذه تعالى له الميثاق على سائر النبيين فضلا ومنة اذا دركوه ليؤمنن به ولينصرنه والتنويه به فى الكتب السالفة كالتورية والانجيل بانه صاحب الرسالة والتبجيل **وفيه** عشرة انواع **المقصد السابع** فى وجوب محبته واتباع سنته والاهتدا بهديه وطريقته وفرض محبة آله واصحابه وقرابته وعترته وحكم الصلوة والتسليم عليه زاده الله سبحانه وتعالى فضلا وشرفا لديه **وفيه** ثلثة فصول **المقصد الثامن** فى طبه صلى الله عليه وسلم لذوى الامراض والعاهات وتعبيره الرؤيا وانبائه بالانباء المغيبات **وفيه** ثلاثة فصول **المقصد التاسع** فى لطيفة من حقائق عباداته ويشتمل على سبعة انواع **المقصد العاشر** فى اتمامه تعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته اليه وزيارة قبره الشريف ومسجده المنيف وتفضيله فى الاخرة بفضائل الاوليات الجامعة لمزايا التكريم والدرجات العليات وتشريفه بخصائص الزلفى فى مشهد مشاهد الانبياء والمرسلين وتحميده بالشفاعة والمقام المحمود وانفراده بالسودد فى مجمع مجامع الاولين والآخرين وترقيه فى جنة عدن ارقا مدارج السعادة وتعاليه يوم المزيد اعلا معالى الحسنى وزيادة **وفيه** ثلاثة فصول والله تعالى جل جده وعز مجده اسال بوجاهة وجه الوجيه ونبيه النبيه ان يمدنى فى هذا الكتاب العظيم بمدد الاقبال والقبول ويُنيلنى ومن كتبه او قرأه او سمعه من العواطف النبوية لطائف المسؤل ونهاية المأمول وعلى الله قصد السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل **المقصد الاول** فى تشريف الله تعالى له عليه الصلوة والسلام لسبق نبوته فى سابق ازليته ونشره منشور رسالته فى مجلس مؤانسته وكتبه توقيع عنايته فى حظائر

قدس

قدس كرامته وطهارة نسبه وبراهين اعلام ايات حمله وولادته ورضاعه وحضانته ودقايق حقايق بعثته وهجرته ولطائف معارف مغازيه وسراياه وبعوثه وسيرته مرتبا على السنين من حين نشأته الى وقت وفاته ونقلته لرياض روضته **اعلم** ياذا العقل السليم والمتصف باوصاف الكمال والتتميم وفقنى الله واياك بالهداية الى الصراط المستقيم انه لما تعلقت ارادة الحق سبحانه تعالى بايجاد خلقه وتقدير رزقه ابرز الحقيقة المحمدية من الانوار الصمدية فى الحضرة الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها على صورة حكمه كما سبق فى سابق ارادته وعلمه ثم اعلمه تعالى بنبوته وبشره برسالته هذا وآدم لم يكن الا كما قال بين الروح والجسد **ثم** انبجست منه صلى الله عليه وسلم عيون الارواح فظهر بالملأ الاعلى وهو بالمنظر الاجلى فكان لهم المورد الاحلا فهو صلى الله عليه وسلم الجنس العالى على جميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات والناس **ولما** انتهى الزمان بالاسم الباطن فى حقه صلى الله عليه وسلم الى وجود جسمه وارتباط الروح به انتقل حكم الزمان الى الاسم الظاهر فظهر محمد صلى الله عليه وسلم بكليته جسما وروحا فهو صلى الله عليه وسلم وان تأخرت طينته فقد عرفت قيمته فهو خزانة السر وموضع نفوذ الامر فلا ينفذ امر الا منه ولا ينقل خير الا عنه ولله در القائل

الا بابى من كان ملكا وسيدا ... وآدم بين الماء والطين واقف
فذاك الرسول الابطحى محمد ... له فى العلا مجد تليد وطارف
اتى بزمان السعد فى آخر المدا ... وكان له فى كل عصر مواقف
اتى لانكسار الدهر يجبر صدعه ... فاثنت عليه السن وعوارف
اذا رام امرا لا يكون خلافه ... وليس لذلك الامر فى الكون صارف

خرج مسلم فى صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى كتب مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء ومن جملة ما كتب فى الذكر وهو ام الكتاب ان محمدا خاتم النبيين **وعن** العرباض بن سارية عن النبى صلى الله عليه وسلم قال انى عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته رواه احمد والبيهقى والحاكم وقال صحيح الاسناد **و**قوله لمنجدل فى طينته يعنى طريحا ملقى على الارض قبل نفخ الروح فيه **وعن ميسرة** الضبى قال قلت يا رسول الله متى كنت نبيا قال وادم بين الروح والجسد هذا اللفظ رواية الامام احمد ورواه البخارى فى تاريخه وابو نعيم

في الحلية وصححه الحاكم وامّا ما اشتهر على الالسنة بلفظ كنت نبيا وادم بين الماء
والطين فقال شيخنا العلامة الحافظ ابو الخير السخاوي نفعني الله بعلومه في كتابه
المقاصد الحسنة لم نقف عليه بهذا اللفظ انتهى وقال الحافظ ابن رجب في اللطائف
وبعضهم يرويه متى كُتِبتَ نبيا من الكتابة انتهى قلت وكذا رويناه في جزء من
حديث ابي عمرو واسمعيل بن نجيل ولفظه متى كتبتَ نبيا قال كُتِبتُ نبيا وادمُ
بين الروح والجسد فتحمل هذه الرواية مع رواية العرباض بن سارية على وجوب
نبوته وثبوتها وظهورها في الخارج فان الكتابة تستعمل فيما هو واجب قال تعالى
كتب عليكم الصيام وكتب الله لاغلبن انا ورسلي وعن ابي هريرة انهم قالوا يا رسول
الله متى وجبت لك النبوة قال وآدمُ بين الروح والجسد رواه الترمذي وقال
حديث حسن وروينا في جزء من امالي ابي سُهيل القطان عن سهل بن صالح
الهمداني قال سالت ابا جعفر محمد بن علي كيف صار محمد صلى الله عليه وسلم يتقدم
الانبياء وهو آخر مَن بُعث قال ان الله تعالى لما اخذ من بني ادم من ظهورهم
ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم كان محمد صلى الله عليه وسلم
اول من قال بلى ولذلك صار يتقدم الانبياء وهو آخر من بعث فان قلت
ان النبوة وصف ولا بد ان يكون الموصوف به موجودا وانما يكون بعد بلوغ
اربعين سنة ايضا فكيف يوصف به قبل وجوده وارساله فاجاب الغزالي
في كتاب النفخ والتسوية عن هذا وعن قوله عليه الصلوة والسلام انا اول
الانبياء خلقا وآخرهم بعثا بان المراد بالخلق هنا التقدير دون الايجاد فانه
قبل ان ولدته امه لم يكن موجودا مخلوقا ولكن الغايات والكمالات سابقة
في التقدير لاحقة في الوجود قال وهو معنى قولهم اول الفكرة آخر العمل وآخر
العمل اول الفكرة وبيانه ان المهندس المقدر للدار اول ما يمثل بها ثم في نفسه صورة
الدار فيحصل في تقديره دارا كاملة البناء وآخر ما يوجد من اعماله هي الدار
الكاملة فالدار الكاملة هي اول الاشياء في حقه تقديرا وآخرها وجودا لان
ما قبلها من ضرب اللبنات وبناء الحيطان وتركيب الجذوع وسيلة الى غاية
وكمال وهي الدار فالغاية هي الدار ولاجلها تقوم الآلات والاعمال ثم قال
واما قوله عليه الصلوة والسلام كنت نبيا فاشارة الى ما ذكرناه وان كان نبيا
في التقدير قبل تمام خلقة آدم عليه الصلاة والسلام لانه لم يُنشأ خلق ادم
الا لينتزع من ذريته محمد صلى الله عليه وسلم ويصطفى تدريجا الى ان بلغ كمال
الصفات قال ولا نفهم هذه الحقيقة الا بان يُعلم ان للدار وجودين وجودا

فذهب

في ذهن المهندس ودماغه وانه ينظر الى صورة الدار خارج الذهن في الاعيان و
الوجود الذهني سبب الوجود الخارجي العيني فهو سابق لا محالة وكذلك فاعلم ان الله
تعالى يقدر ثم يوجد على وفق التقدير ثانيا انتهى وهو متعقب بقول الشيخ تقي الدين
السبكي انه قد جاء ان الله خلق الارواح قبل الاجساد فقد تكون الاشارة بقوله
كنتُ نبيا الى روحه الشريفة او الى حقيقة من الحقايق والحقايق تقصر عقولنا عن معرفتها
وانما يعلمها خالقها ومن امده الله بنور الهي ثم ان تلك الحقايق يؤتي الله كل حقيقة
منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء فحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم قد تكون من خلق
آدم آتيها الله ذلك الوصف بان يكون خلقها متهيأة لذلك وافاضه عليها من ذلك
الوقت فصار نبيا وكتب اسمه على العرش واخبر عنه بالرسالة ليعلم ملئكته وغيرهم
كرامته عنده فحقيقته صلى الله عليه وسلم موجودة من ذلك الوقت وان تأخر
جسده الشريف المتصف بها واتصاف حقيقته بالاوصاف الشريفة المفاضة عليه من
الحضرة الالهية وانما يتأخر البعث والتبليغ وكل ما له من جهة الله سبحانه وتعالى
ومن جهة تأهل ذاته الشريفة وحقيقته معجل لا تأخر فيه وكذلك استنباؤه وايتاؤه
الكتاب والحكم والنبوة وانما المتأخر تكونه وتنقله الى ان ظهر صلى الله عليه وسلم
وقد علم من هذا ان من فسره بعلم الله بانه سيصير نبيا لم يصل الى هذا المعنى لان
علم الله تعالى محيط بسائر الاشياء ووصف الله النبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة في
ذلك الوقت ينبغي ان يفهم منه انه امر ثابت له في ذلك الوقت ولو كان المراد بذلك
مجرد العلم بما سيصير في المستقبل لم يكن له خصوصية بانه نبي وادم بين الروح و
الجسد لان جميع الانبياء يعلم الله تعالى نبوتهم في ذلك الوقت وقبله فلا بد من
خصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم لاجلها اخبر بهذا الخبر اعلاما لامته ليعرفوا
قدره عند الله تعالى وعن الشعبي قال رجل يا رسول الله متى استُنبِئتَ قال وآدم
بين الروح والجسد حين اخذ مني الميثاق رواه ابن سعد من رواية جابر الجعفي
فيما ذكره ابن رجب فهذا يدل على انه من حين صوّر آدم طينا استخرج منه محمد
صلى الله عليه وسلم ونُبِّئ واخذ منه الميثاق ثم اعيد الى ظهر ادم حتى يخرج وقت
خروجه الذي قدر الله خروجه فيه فهو اولهم خلقا ولا يقال خلق ادم قبله
لان ادم كان حينئذ مواتا لا روح فيه ومحمد صلى الله عليه وسلم كان حيا حين
استُخرج ونبئ واُخذ منه الميثاق فهو اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا فان قلت
ان استخراج ذرية آدم منه كان بعد نفخ الروح فيه كما دل عليه اكثر الاحاديث
والذي تفرد هنا انه استخرج ونبئ قبل نفخ الروح في ادم عليه الصلوة والسلام فاجاب

واسمه عامر وهو من التابعين وقيل من تابع التابعين ه

وكان معاصرا لسيدنا الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه
والف كتابا يقال له طبقات الرواة وكان الامام يستعظمه
كراسة بعد كراسة قال بعض معاصريه ليته ذهب اليه
وقراه عليه انتهى
٣٠ ب

قوله الميثاق بفتح فيه فتح القاف ع انه مفعول وضمها
ع ان يكون نائب الفاعل ه

بعضهم بانه صلى الله عليه وسلم خص باستخراجه من ظهر ادم قبل نفخ الروح فان محمدا
صلى الله عليه وسلم هو المقصود من خلق النوع الانسانى فهو عينه وخلاصته و
واسطة عقده والاحاديث السابقة صريحة فى ذلك والله اعلم ورُوى عن على
بن ابى طالب انه قال لم يبعث الله تعالى نبيا من ادم فمن بعده الا اخذ عليه العهد فى
محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه وياخذ العهد
بذلك على قومه • وهو مروى عن ابن عباس ايضا ذكرهما العماد بن كثير فى تفسيره
وقيل ان الله تعالى لما خلق نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم امره ان ينظر الى انوار
الانبياء عليهم الصلاة والسلام فغشيهم من نوره ما انطقهم الله به وقالوا يا ربنا
من غشينا نوره فقال الله تعالى هذا نور محمد بن عبد الله ان آمنتم به جعلتكم انبياء
قالوا امنا به وبنبوته قال الله تعالى أشهد عليكم قالوا نعم فذلك قوله تعالى واذ
اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم
لتؤمنن به ولتنصرنه الى قوله وانا معكم من الشاهدين • قال الشيخ تقى الدين السبكى
فى هذه الاية الشريفة من التنويه بالنبى صلى الله عليه وسلم وتعظيم قدره العلى ما
لا يخفى • وفيه مع ذلك انه على تقدير مجيئه فى زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون
نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن ادم عليه السلام الى يوم القيمة وتكون
الانبياء واممهم كلهم من امته ويكون قوله وبعثت الى الناس كافة لا يختص به
الناس من زمانه الى يوم القيمة بل يتناول من قبلهم ايضا • ويتبين بهذا معنى
قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وادم بين الروح والجسد ثم قال فاذا عرف
هذا فالنبى صلى الله عليه وسلم نبى الانبياء ولهذا ظهر ذلك فى الاخرة جميع الانبياء
تحت لوائه وفى الدنيا كذلك ليلة الاسرا صلى بهم ولو اتفق مجيئه فى زمن ادم
ونوح وابرهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وجب
عليهم وعلى اممهم الايمان به ونصرته وبذلك اخذ الله الميثاق عليهم انتهى • و
سياتى مزيد لذلك ان شاء الله تعالى فى المقصد السادس وذكر العارف الربانى
عبد الله بن ابى جمرة فى كتابه بهجة النفوس ومن قبله ابن سبع فى شفاء الصدور
عن كعب الاحبار قال لما اراد الله تعالى ان يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم امر جبريل
عليه الصلوة والسلام ان ياتيه بالطينة التى هى قلب الارض وبهاؤها ونورها
قال فهبط جبريل فى ملئكة الفردوس وملئكة الرفيع الاعلى فقبض قبضة رسول
الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهى بيضاء منيرة فعجنت بماء التسنيم
فى معين انهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملئكة

حول العرش

حول العرش والكرسى وفى السموات والارض والجبال والبحار فعرفت الملئكة وجميع الخلق
سيدنا محمدا وفضله قبل ان تعرف ادم عليهما الصلوة والسلام وقيل لما خاطب الله
السماء والارض بقوله ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين اجاب موضع الكعبة
الشريفة ومن السماء ما يحاذيها وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما اصل طينة
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة فقال بعض العلماء هذا
يشعر بان ما اجاب من الارض الا ذرة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ومن موضع
الكعبة دحيت الارض فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاصل فى التكوين
والكائنات تبع له وقيل لذلك سمى اميا لان مكة ام القرى وذرته ام الخليقة
• فان قلت تربة الشخص مدفنه فكان مقتضى هذا ان يكون مدفنه عليه الصلاة
والسلام بمكة حيث كانت تربته منها • فقد اجاب عنه صاحب عوارف المعارف
افاض الله علينا من معارفه وتعطف علينا بعواطفه بانه قيل بان الماء لما تموج رمى
الزبد الى النواحى فوقعت جوهرة النبى صلى الله عليه وسلم الى ما يحاذى تربته من
المدينة وكان النبى صلى الله عليه وسلم مكيا مدنيا حنينه الى مكة وتربته بالمدينة
انتهى وفى المولد الشريف لابن طغربك ويروى انه لما خلق الله تعالى ادم الهمه
ان قال يا رب لم كنيتنى ابا محمد قال الله تعالى يا ادم ارفع راسك فرفع راسه فراى
نور محمد فى سرادق العرش فقال يا رب ما هذا النور قال هذا نور نبى من ذريتك
اسمه فى السماء احمد وفى الارض محمد لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا ارضا
ويشهد لهذا ما رواه الحاكم فى صحيحه ان ادم عليه الصلوة والسلام راى اسم محمد
صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش وان الله تعالى قال لادم لولا محمد ما خلقتك ولله در من قال

وكان لدى الفردوس فى زمن الصبا • وانوار تشمل الانس محكمة السدا
يشاهد فى عدن ضياء مشعشعا • يزيد على الانوار فى الضوء والهدى
فقال الهى ما الضياء الذى ارى • جنود السماء تعشو اليه ترددا
فقال نبى خير من وطئ الثرى • وافضل من فى الخير راح واغتدى
تخيرته من قبل خلقك سيدا • والبسته قبل النبيين سوددا

فان قلت ان مذهب الاشاعرة ان افعال الله تعالى ليست معللة بالاغراض فكيف تكون
خلقة محمد صلى الله عليه وسلم علة فى خلق ادم عليه الصلوة والسلام • اجيب
بان الظاهر من الادلة تعليل بعض الافعال بالحكم والمصالح التى هى غايات ومنافع
لافعاله تعالى لا بواعث على اقدامه ولا علل مقتضية لفاعليته لان ذلك محال فى
حقه تعالى لما فيه من استكماله بغيره والنصوص شاهدة بذلك كقوله تعالى

وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون اى قرنت الخلق بالعبادة اى خلقتهم وفرضت
عليهم العبادة فالتعليل لفظى لا حقيقى لان الله تعالى مستغن عن المنافع فلا يكون
فعله لمنفعة راجعة اليه ولا الى غيره لان الله تعالى قادر على ايصال المنفعة
الى الغير من غير واسطة العمل وروى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله
الانصارى قال قلت يا رسول الله بابى انت وامى اخبرنى عن اول شئ خلقه الله
تعالى قبل الاشياء قال يا جابر ان الله تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره
فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن فى ذلك الوقت لوح
ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا ارض ولا شمس ولا قمر ولا جنى ولا
انسى ٭ فلما اراد الله تعالى ان يخلق الخلق قسم ذلك النور اربعة اجزاء فخلق من
الجزء الاول القلم ومن الثانى اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء
فخلق من الجزء الاول حملة العرش ومن الثانى الكرسى ومن الثالث باقى الملئكة ثم قسم
الجزء الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول السموات ومن الثانى الارضين ومن الثالث الجنة
والنار ثم قسم الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول نور ابصار المؤمنين ومن الثانى نور
قلوبهم وهى المعرفة بالله ومن الثالث نور انسهم وهو التوحيد لا اله الا الله محمد
رسول الله الحديث وقد اختلف هل القلم اول المخلوقات بعد النور المحمدى فقال
الحافظ ابو يعلى الهمدانى الاصح ان العرش قبل القلم لما ثبت فى الصحيح عن عبد الله بن
عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر الله مقادير الخلق قبل ان يخلق
السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء فهذا صريح ان التقدير
وقع بعد خلق العرش والتقدير وقع عند اول خلق القلم لحديث عبادة بن الصامت
مرفوعا اول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال رب وما اكتب قال له اكتب مقادير
كل شئ رواه احمد والترمذى وصححه وروى احمد والترمذى وصححه ايضا من
حديث ابى رزين العقيلى مرفوعا ان الماء خلق قبل العرش وروى السدى باسانيد
متعددة ان الله لم يخلق شيئا مما خلق قبل الماء فيجمع بينه وبين ما قبله بان
اولية القلم بالنسبة الى ما عدا النور النبوى المحمدى والماء والعرش انتهى وقيل
الاولية فى كل بالاضافة الى جنسه اى اول ما خلق الله من الانوار نورى وكذا فى
باقيها ٭ وفى احكام ابن القطان مما ذكره ابن مرزوق عن على بن الحسين عن ابيه
عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كنت نورا بين يدى ربى قبل خلق ادم باربعة
عشر الف عام وفى الخبر لما خلق الله آدم جعل ذلك النور فى ظهره فكان يلمع فى
جبينه فيغلب على سائر نوره ثم رفعه الله تعالى على سرير مملكته وحمله على اكتاف

ملئكته

ملئكته وامرهم فطافوا به فى السموات ليرى عجائب ملكوته قال جعفر بن محمد مكثت
الروح فى رأس ادم مائة عام وفى صدره مائة عام وفى ساقيه وقدميه مائة عام
ثم علمه الله تعالى جميع اسماء المخلوقات ثم امر الملئكة بالسجود له فسجدوا الا ابليس
فطرده الله تعالى وابعده واخزاه وكان السجود لادم سجود تعظيم وتحية لا سجود
عبادة كسجود اخوة يوسف له فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وادم كالقبلة ٭
وروى عن جعفر الصادق انه قال كان اول من سجد لادم جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل
ثم عزرائيل ثم الملئكة المقربون وعن ابى الحسن النقاش اول من سجد اسرافيل ثم عزرائيل
قال ولذا جوزى بتولية اللوح المحفوظ ٭ وعن ابن عباس كان يوم الجمعة من وقت
الزوال الى العصر ثم خلق الله تعالى له حوى زوجته من ضلع من اضلاعه اليسرى
وهو نائم وسميت حوى لانها خلقت من حى فلما استيقظ وراها سكن اليها ومد يده
لها فقالت الملئكة مه يا ادم قال ولم وقد خلقها الله سبحانه وتعالى لى فقالوا حتى
تؤدى مهرها قال وما مهرها قال تصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثلث مرات
وذكر ابن الجوزى فى كتابه سلوة الاحزان انه لما رام القرب منها طلبت منه المهر فقال
يا رب وماذا اعطيها فقال يا ادم صل على حبيبى محمد بن عبد الله عشرين مرة ففعل
ثم ان الله تعالى اباح لهما نعيم الجنة ونهيهما عن شجرة الحنطة ٭ وقيل شجرة العنب
وقيل شجرة التين فحسدهما ابليس فهو اول من حسد وتكبر فاتى الى باب الجنة فاحتال
حتى دخل الجنة واتى الى ادم وحوى فوقف وناح نياحة احزنتهما فهو اول من ناح
فقالا ما يبكيك قال عليكما تموتان وتفقدان النعيم الا ادلكما على شجرة الخلد فكلا
منها وحلف لهما انه ناصح فهو اول من حلف كاذبا واول من غش فاكلت حوى منها
ثم زينت لادم حتى اكل وظنا ان احدا لا يتجاسر ان يحلف بالله كاذبا فقال الله تعالى
يا ادم الم يكن فيما ابحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يا رب وعزتك ولكن
ظننت ان احدا لا يحلف بك كاذبا قال الله تعالى وعزتى وجلالى لاهبطنك الى
الارض لا تنال العيش الا كدا فاهبط من الجنة وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال
الله تعالى يا ادم ما حملك على ما صنعت قال زينته لى حوى قال فانى اعقبها ان
لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها ولادمينها فى الشهر مرتين قال وهب بن منبه
لما هبط ادم الى الارض مكث يبكى ثلاث مائة سنة لا يرقأ له دمع وقال المسعودى
لو ان دموع اهل الارض جمعت لكانت دموع ادم اكثر حين اخرجه الله من الجنة ٭
وقال مجاهد بكى ادم مائة عام لا يرفع راسه الى السماء وانبت الله من دموعه العود الرطب
والزنجبيل والصندل وانواع الطيب وبكت حوى حتى انبت الله من دموعها القرنفل

وَالْاَفَاوِيْ يا بنى ادم انظروا كيف بكى ابوكم على فعلة واحدة ثلاثمائة سنة فكيف بكم
يا ارباب الكبائر العظيمة فاعتبروا يا اولى الابصار كان كلما راى الملئكة تصعد و
تهبط ازداد شوقا الى الاوطان وتذكر العهد والحيران يا اصحاب الذنوب احذروا ذلة
يقول فيها الحبيب هذا فراق بينى وبينك فيا ذا العقل السليم انظر كيف جلس ابوك
ادم على سرير المملكة فمد يده الى لقمة نهى عنها فاخرج من الجنة فاحذروا يا بنيه
عواقب المعاصى فانها من نزلت به زلت به وحطته عن مرتبته • فان قلت هذه
الفعلة التى اهبط بها ادم من الجنة ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء
وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ماجرى بسببها من نزع اللباس والاخراج من الجنة
وغير ذلك اجاب الزمخشرى بانها ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قليلة من الاخلاص
والافكار الصالحة التى هى اجل الطاعات واعظم الاعمال وانما جرى عليه ماجرى
تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته فى اجتناب
الخطايا واتقاء المأثم يا هذا انظر كم لله من لطف خفى وحكمة فى اهباط ادم من الجنة
الى الارض لولا نزوله لما ظهر جهاد المجاهدين واجتهاد العابدين المجتهدين ولا صعدت
زفرات انفاس التائبين ولا نزلت قطرات دموع المذنبين يا ادم ان كنت اهبطت من
دار القرب فانى قريب اجيب دعوة الداع ان كان نحصل لك بالاخراج من الجنة كسر فانا
عند المنكسرة قلوبهم من اجلى ان كان فاتك فى السماء زجل المسبحين فقد تعوضت
فى الارض انين المذنبين انين المذنبين احب الينا من زجل المسبحين ربما يشوبه الافتخار
وانين المذنبين يزينه الانكسار ولو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون
ثم يستغفرون فيغفر لهم سبحان من اذا لطف بعبده فى المحن قلبها منحا واذا خذل
عبدا لم ينفعه كثرة اجتهاده وكان عليه وبالا لقن ادم حجته والقى عليه ما يقبل
به توبته وطرد ابليس اللعين بعد طول خدمته فصار عمله هباء منثورا قال اخرج
منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين اذا وضع عدله على عبد لم يبق
له حسنة واذا بسط فضله على عبد لم تبق له سيئة انظر لما ظهرت فضائل ادم
عليه الصلوة والسلام على الخلائق بالعلم وكان العلم لا يكمل الا بالعمل بمقتضاه
والجنة ليست دار عمل ومجاهدة انما هى دار نعيم ومشاهدة • قيل له يا ادم اهبط
الى الارض للجهاد وصابر جنود الهوى بالجد والاجتهاد وكانك بالعيش الماضى وقد
عاد على اكمل من ذلك المعتاد لما اظهر ابليس عليه اللعنة الحسد سعى فى الاذى حتى
كان سببا فى اخراج السيد ادم من الجنة وما فهم الابله اذ ادم اذا خرج من الجنة
كملت فضائله ثم عاد الى الجنة على اكمل من الحال الاول قالوا وفيه اشارة كانه تعالى

يقول

يقول لو عفوت فى الجنة لما تبين كرمى بانى اغفر لنفس واحدة بل اخرجه الى الدنيا واتى بالوف
من العصاة حتى اغفر له ولهم ليتبين جودى وكرمى وايضا علم الله تعالى ان فى صلبه الاولاد
والجنة ليست دار توالد وايضا ليخرج من ظهره فى الدنيا من لا نصيب له فى الجنة • يا
هذا الجنة ان شاء الله اقطاعنا وقد وصل منشور الاقطاع مع جبريل عليه الصلوة
والسلام الى نبينا صلى الله عليه وسلم وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم
جنات تجرى من تحتها الانهار وانما يخرج الاقطاع عمن خرج عن الطاعة نسئال الله التوفيق
وقد اختلف فى الجنة التى سكنها ادم فقيل هى جنة الخلد وقيل غيرها جعلها الله دار
ابتلاء لان جنة الخلد انما يدخل اليها يوم القيمة وبانها دار جزاء وثواب لا دار تكليف
وامر ونهى ودار سلامة لا دار ابتلاء وامتحان ودار قرار لا دار انتقال واحتج
القائلون بانها جنة الخلد بان الدخول العارض قد يقع قبل يوم القيمة وقد دخلها
نبينا عليه الصلوة والسلام ليلة الاسرا وبان ما ذكروه من ان الجنة لا يوجد فيها
ما وجده ادم من الحزن والنصب فانما هو اذا دخلها المؤمنون يوم القيمة كما يدل عليه
سياق الايات كلها فان نفى ذلك مقرون بدخول المؤمنين اياها والله اعلم انتهى
وروى انه لما اخرج ادم من الجنة راى مكتوبا على ساق العرش وعلى كل موضع فى
الجنة اسم محمد صلى الله عليه وسلم مقرونا باسم الله تعالى فقال يا رب هذا محمد
من هو فقال الله هذا ولدك الذى لولاه ما خلقتك فقال يا رب بحرمة هذا الولد
ارحم هذا الوالد فنودى يا ادم لو تشفعت الينا بمحمد صلى الله عليه وسلم فى اهل
السموات والارض لشفعناك وعن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما اقترف ادم الخطيئة قال يا رب اسئلك بحق محمد لما غفرت لى فقال
الله تعالى يا ادم وكيف عرفت محمدا ولم اخلقه قال لانك يا رب لما خلقتنى بيدك
ونفخت فى من روحك رفعت راسى فرايت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله
محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك فقال الله تعالى
صدقت يا ادم انه لاحب الخلق الى واذ سالتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد
ما خلقتك رواه البيهقى فى دلائله من حديث عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وقال
تفرد به عبد الرحمن • ورواه الحاكم وصححه وذكره الطبرانى وزاد فيه وهو اخر
الانبياء من ذريتك • وفى حديث سلمان عند ابن عساكر قال هبط جبريل على النبى
صلى الله عليه وسلم فقال ان ربك يقول ان كنت اتخذت ابرهيم خليلا فقد اتخذتك
حبيبا وما خلقت خلقا اكرم على منك ولقد خلقت الدنيا واهلها لاعرفهم كرامتك
ومنزلتك عندى ولولاك ما خلقت الدنيا ولله در العارف سيدى على الوفوى

حيث قال في قصيدته التي اولها

سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد ... هذا النعيم هو المقيم الى الابد
روح الوجود حياة من هو واجد ... لولاه ما تم الوجود لمن وجد
عيسى وادم والصدور جميعهم ... هم اعين هو نورها لما ورد
لو ابصر الشيطان طلعة نوره ... في وجه ادم كان اول من سجد
او لو راى النمرود نور جماله ... عبد الجليل مع الخليل ولا عند
لكن جمال الله جل فلا يرى ... الا بتخصيص من الله الصمد

ولما خلق الله تعالى حواء لتسكن الى ادم ويسكن اليها فحين صار لديها فاضت بركاته عليها فولدت له في تلك الاعوام الحسناء اربعين ولدا في عشرين بطنا ووضعت شيثا وحده كرامة لمن اطلع الله تعالى بالنبوة سعده ولما توفي ادم كان شيث عليه الصلوة والسلام وصيا على ولده ثم اوصى شيث ولده بوصية ادم ان لا يضع هذا النور الا في المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية جارية تنتقل من قرن الى قرن الى ان ادى الله النور الى عبد المطلب وولده عبد الله وطهر الله سبحانه هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية كما ورد عنه عليه الصلوة والسلام في الاحاديث المرضية قال ابن عباس فيما رواه البيهقي في سننه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح الاسلام والسفاح بكسر السين المهملة الزنا والمراد به ههنا ان المرأة تسافح رجلا مدة ثم يتزوجها بعد ذلك وروى ابن سعد وابن عساكر عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن ابيه قال كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان من امر الجاهلية وعن علي بن ابي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن ادم الى ان ولدني ابي وامي لم يصبني من سفاح اهل الجاهلية رواه الطبراني في الاوسط وابو نعيم وابن عساكر وروى ابو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا لم يلتق ابواي قط على سفاح لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان الا كنت في خيرهما وعنه في قوله سبحانه وتعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا رواه البزار وعنه ايضا في الاية الشريفة قال ما زال النبي صلى الله عليه وسلم يتقلب في اصلاب الانبياء عليهم الصلوة والسلام حتى ولدته امه رواه ابو نعيم وعن جعفر الصادق بن محمد عن ابيه في قوله سبحانه وتعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم قال لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية

قال

قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم خرجت من نكاح غير سفاح وعن انس قال قرأ صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من انفسكم بفتح الفاء وقال انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس في ابائي من لدن ادم عليه الصلوة والسلام سفاح كلنا نكاح رواه ابن مردويه وفي الدلائل لابي نعيم عن عائشة رضي الله تعالى عنها عنه صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام قال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد عليه الصلوة والسلام ولم ار بني اب افضل من بني هاشم وكذا اخرجه الطبراني في الاوسط قال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله تعالى لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن وفي البخاري عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وفي مسلم عن واثلة بن الاسقع قال صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ورواه الترمذي وعن العباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني في خير فرقهم وخير الفريقين ثم تخير القبائل فجعلني في خير القبيلة ثم تخير البيوت فجعلني في خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا رواه الترمذي هكذا منفردا به وقال حديث حسن اي خيرهم روحا وذاتا وخيرهم بيتا اي اصلا وفي حديث رواه الطبراني عن ابن عمر قال ان الله تعالى اختار خلقه فاختار منهم بني ادم ثم اختار بني ادم فاختار منهم العرب ثم اختارني من العرب فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم ثم اعلم انه عليه الصلوة والسلام لم يشركه في ولادته من ابويه اخ ولا اخت لانتهاء صفوتهما اليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله تعالى للنبوة غاية ولتمام الشرف نهاية وانت اذا اختبرت حال نسبه الشريف وعلمت طهارة مولده تيقنت انه سلالة اباء كرام فهو صلى الله عليه وسلم النبي العربي الامي الابطحي الحرمي الهاشمي القرشي نخبة بني هاشم المختار المنتخب من خير بطون العرب واعرقها في النسب واشرفها في الحسب وانضرها عودا واطولها عمودا واطيبها ارومة واعزها جرثومة وافصحها لسانا واوضحها بيانا وارجحها ميزانا واصحها ايمانا واعزها نفرا واكرمها معشرا من قبل ابيه وامه ومن اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده فهو محمد بن عبد الله الذبيح بن عبد المطلب واسمه شيبة الحمد في قول ابن اسحق وهو الصحيح وقيل سمي به لانه ولد وفي راسه شيبة وقيل اسمه عامر وهو قول ابن قتيبة وتابعه عليه المجد الشيرازي وكنيته ابو الحارث بابن له اكبر ولده قيل وانما قيل له عبد المطلب لان اباه هاشما

ثبير فاستدارت دائرة غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبينه كالحجا واشتد
شعاعها على البيت الحرام مثل السراج فلما نظر عبد المطلب الى ذلك قال يا معشر قريش
ارجعوا فقد كفيتم هذا الامر فوالله ما استدار هذا النور مني الا ان يكون الظفر لنا
فرجعوا متفرقين ثم ان ابرهة ارسل رجلا من قومه لهزم الجيش فلما دخل مكة ونظر
الى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه فكان يخور كما يخور الثور
عند ذبحه فلما افاق خر ساجدا لعبد المطلب وقال اشهد انك سيد قريش حقا
وروى انه لما حضر عبد المطلب عند ابرهة امر بسايس فيله الابيض العظيم الذى
كان لا يسجد للملك ابرهة كما ان سائر الفيلة يسجد بحضوره بين يديه فلما نظر الفيل الى
وجه عبد المطلب برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وانطق الله تعالى الفيل فقال
السلام على النور الذى فى ظهرك يا عبد المطلب كذا رواه فى النطق المفهوم ولما دخل
جيش ابرهة ومعهم الفيل لهدم الكعبة الشريفة برك الفيل فضربوه فى راسه ضربا
شديدا ليقوم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام ثم ارسل الله عليهم طيرا ابابيل
من البحر مع كل طائر منها ثلاثة احجار حجر فى منقاره وحجران فى رجليه كامثال
العدس لا تصيب احدا منهم الا اهلكته فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق
واصيب ابرهة فى جسده بداء فتساقطت اناملة انملة انملة وسال منه الصديد
والقيح والدم وما مات حتى انصدع قلبه والى هذه القصة اشار سبحانه وتعالى
بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل السورة
الى اخرها فان قلت لم قال الله تعالى له عليه الصلوة والسلام الم تر مع ان هذه
القصة كانت قبل البعثة بزمان طويل قلت ان المراد من الرؤية هنا العلم والتذكر
وهو اشارة الى ان الخبر به متواتر فكان العلم الحاصل به ضروري مساو فى القوة
للرؤية وقد كانت هذه القصة دالة على شرف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
وتاسيسا لنبوته وارهاصا لها واعزازا لقومه بما ظهر عليهم من الاعتناء حتى
دانت لهم العرب واعتقدت شرفهم وفضلهم على سائر الناس بحماية الله عز
وجل لهم ودفعه عنهم مكر ابرهة الذى لم يكن لسائر العرب بقتاله قدرة
وكان ذلك كله ارهاصا لنبوته عليه الصلوة والسلام قال الرازى ومذهبنا
انه يجوز تقديم المعجزات على زمن البعثة تاسيسا قال ولذلك قالوا كانت الغمامة
تظله عليه الصلوة والسلام يعنى قبل بعثته • وخالفه العلامة السيد فى شرح
المواقف تبعا لغيره فاشترط فى المعجزات ان لا تتقدم على الدعوى بل تكون مقارنة
لها كما سياتى ان شاء الله تعالى فى المقصد الرابع فان قلت ان الحجاج خرب الكعبة

ولم يحدث

ولم يحدث شيء من ذلك فالجواب ان ذلك وقع ارهاصا لامر نبينا صلى الله عليه
وسلم والارهاص انما يحتاج اليه قبل قدومه فلما ظهر عليه الصلوة والسلام
وتاكدت نبوته بالدلائل القطعية فلا حاجة الى شيء من ذلك والله اعلم ولما فرج الله
عن عبد المطلب ورجع ابرهة خائبا فبينما هو يوما نائم فى الحجر اذا راى مناما عظيما
فانتبه فزعا مرعوبا واتى كهنة قريش وقص عليهم رؤياه فقالت له الكهنة ان
صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يؤمن به اهل السموات والارض وليكونن فى
الناس علما مبينا فتزوج فاطمة وحملت فى ذلك الوقت بعبد الله الذبيح وقصته فى ذبحه
مشهورة مخرجة عند الرواة مسطورة وكان سببها حفر ابيه زمزم عبد المطلب
لان الجرهمي عمرو بن الحارث لما احدث قومه بحرم الله الحوادث وقيض الله لهم
من اخرجهم من مكة فعمد عمرو الى نفائس فجعلها فى زمزم وبالغ فى طمها وفر الى اليمن
بقومه فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة الى ان رفعت عنها الحجب برؤيا منام
راها عبد المطلب دلته على حفرها بامارات عليها فمنعته قريش من ذلك ثم اذاه
من السفهاء من اذاه واشتد بذلك بلواه ومعه ولده الحارث ولم يكن له ولد
سواه فنذر لئن جاءه عشر بنين وصاروا له اعوانا ليذبحن احدهم لله قربانا ثم
احتفر عبد المطلب زمزم فكانت له فخرا وعزا فلما تكامل بنوه عشرة وقر عينه بهم
نام ليلة عند الكعبة المطهرة فراى فى المنام قائلا يقول يا عبد المطلب اوف بنذرك
لرب هذا البيت فاستيقظ فزعا مرعوبا وامر بذبح كبش واطعمه للفقراء والمساكين
ثم نام فراى ان قرب ما هو اكبر من ذلك فاستيقظ من نومه وقرب ثورا ثم
نام فراى ان قرب ما هو اكبر من ذلك فانتبه فقرب جملا واطعمه للمساكين ثم نام
فنودى ان قرب ما هو اكبر من ذلك فقال وما اكبر من ذلك فقال قرب احد اولادك
الذى نذرته فاغتم غما شديدا وجمع اولاده واخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء فقالوا
انا نطيعكم فمن تذبح منا فقال لياخذ كل واحد منكم قدحا والقدح سهم بغير نصل
ثم ليكتب فيه اسمه ثم ائتوا به ففعلوا واخذوا اقداحهم ودخل على هبل وكان فى
جوف الكعبة وكانوا يعظمونه ويضربون بالقداح عنده فيستقسمون بها اى
يرتضون بما يقسم لهم ثم يضرب بها القيم الذى لها قال فدفع عبد المطلب الى
ذلك القيم القداح وقام يدعو الله تعالى فخرج على عبد الله وكان احب ولده اليه
فقبض عبد المطلب على يد ولده عبد الله واخذ الشفرة ثم اقبل الى اساف ونائلة
صنمين عند الكعبة تنحر وتذبح عندهما النسائك فقام اليه سادة قريش فقالوا
ما تريد ان تصنع فقال اوف بنذرى فقالوا لا ندعك ان تذبحه حتى تعذر فيه

الى ربك ولئن فعلت هذا لا يزال الرجل ياتى بابنه فيذبحه ويكون سنة وقالوا له انطلق الى فلانة الكاهنة قلت قيل اسمها قطبة كما ذكره الحافظ عبد الغنى فى كتاب المبهمات وذكر ابن اسحق ان اسمها سجاح فلعلها ان تامرك بامر فيه فرج لك فانطلقوا حتى اتوها بخيبر فقص عليها عبد المطلب القصة فقالت كم الدية فيكم قالوا عشرة من الابل فقالت ارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم ثم قربوا عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعليها بالقداح فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا فى الابل ثم اضربوا ايضا هكذا حتى يرضى ربكم فاذا خرجت على الابل فانحروها فقد رضى ربكم وتخلص صاحبكم فرجع القوم الى مكة وقربوا عبد الله وقربوا عشرة من الابل وقام عبد المطلب يدعو فخرجت القداح على ولده ولم يزل يزيد عشرا عشرا حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل فنحرت الابل وتركت لا يصد عنها انسان ولا طائر ولا سبع ولهذا روى كما عند الزمخشرى فى الكشاف انه صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين وعند الحاكم فى المستدرك عن معاوية بن ابى سفيان كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه اعرابى فقال يا رسول الله خلفت الكلأ يابسا والماء عابسا هلك المال وضاع العيال فعد على بما افاء الله عليك يا ابن الذبيحين قال فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه الحديث وتاتى تتمته قريبا ان شاء الله تعالى ويعنى بالذبيحين عبد الله واسمعيل بن ابرهيم وان كان قد ذهب بعض العلماء الى ان الذبيح اسحق فان صح هذا فالعرب تجعل العم ابا قال الله تعالى اخبارا عن بنى يعقوب عليهم الصلوة والسلام ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق فجعل اسمعيل ابا وهو عم وفى حديث معاوية الموعود بتتميمه قريبا قال معوية ان عبد المطلب لما امر بحفر زمزم نذر لله ان سهل الامر بها ان ينحر بعض ولده فاخرجهم فاسهم بينهم فخرج السهم لعبد الله فاراد ذبحه فمنعه اخواله يعنى من بنى مخزوم وقالوا ارض ربك وافد ابنك ففداه بمائة ناقة فهو الذبيح الاول واسمعيل الذبيح الثانى قال ابن القيم ومما يدل على ان الذبيح اسمعيل انه لا ريب ان الذبح كان بمكة ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بمنا كما جعل السعى بين الصفا والمروة ورمى الجمار تذكيرا بشان اسمعيل وامه واقامة لذكر الله تعالى ومعلوم ان اسمعيل وامه هما اللذان كانا بمكة دون اسحق وامه ثم قال ابن القيم ولو كان الذبح بالشام كما يزعم اهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة ، وايضا فان الله سمى الذبيح حليما لانه

لاحلم

لاحلم ممن اسلم نفسه للذبح طاعة لربه ولما ذكر اسحق سماه عليما وايضا فان الله اجرى العادة البشرية ان بكر الاولاد احب الى الوالدين ممن بعده وابراهيم لما سال ربه الولد ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته والله تعالى قد اتخذه خليلا والخلة منصب يقتضى توحيد المحبوب بالمحبة وان لا يشارك فيها فلما اخذ الولد شعبة من قلب الوالد جاءت غيرة الخلة تنزعها من قلب الخليل فامر بذبح المحبوب فلما قدم على ذبحه وكانت محبة الله اعظم عنده من محبته الولد خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة فلم يبق فى الذبح مصلحة اذ كانت المصلحة انما هى فى العزم وتوطين النفس وقد حصل المقصود فنسخ الامر وفدى الذبيح وصدق الخليل الرؤيا انتهى

وقد انشد بعضهم

ان الذبيح هديت اسمعيل	نطق الكتاب بذاك والتنزيل
شرف به خص الاله نبينا	وابانه التفسير والتأويل

وروى مما ذكره المعافا ابن زكريا ان عمر بن عبد العزيز سال رجلا اسلم من علماء اليهود اى ابنى ابراهيم امر بذبحه فقال والله يا امير المؤمنين ان اليهود ليعلمون انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ان يكون اباكم للفضل الذى ذكره الله عنه فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق لان اسحق ابوهم انتهى فانظر ايها الخليل ما فى هذه القصة من السر الجليل وهو ان الله تعالى يرى عباده الجبر بعد الكسر واللطف بعد الشدة فانه كان عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم لذبح الولد آلت الى ما آلت اليه من جعل اثارهما ومواطىء اقدامهما مناسك لعباده المؤمنين ومتعبدات لهم الى يوم الدين وهذه سنة تعالى فيمن يريد رفعته من خلقه بعد استضعافه وذله وانكساره وصبره وتلقيه القضا بالرضا قال الله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقد استشكل بعض الناس ان عبد المطلب نذر نحر احد بنيه اذا بلغوا عشرة وقد كان تزوجه هالة ام ابنه حمزة بعد وفاء بنذره فحمزة والعباس انما ولدا بعد الوفاء بنذره وانما كان اولاده عشرة بهما قال السهيلى ولا اشكال فى هذا فان جماعة من العلماء قالوا كان اعمامه عليه الصلوة والسلام اثنى عشر فان صح هذا فلا اشكال فى الخبر وان صح قول من قال كانوا عشرة لا يزيدون فالولد يقع على البنين وبنيهم حقيقة لا مجازا ، وكان عبد المطلب [illegible] له من ولده وولد ولده عشرة رجال حين وفى بنذره ويقع ايضا فى بعض السير

ان عبد الله كان اصغر بنى ابيه عبد المطلب وهو غير معروف ولعل الرواية اصغر
بنى امه والا فحمزة كان اصغر من عبد الله والعباس اصغر من حمزة وروى عن العباس
انه قال اذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابن ثلاثة اعوام او نحوها
فجئ به حتى نظرت اليه وجعل النسوة يقلن لى قبل اخاك فقبلته فكيف يصح ان
يكون عبد الله هو الاصغر ولكن رواه البكائى ولروايته وجه وهو ان يكون
اصغر ولد ابيه حين اراد ذبحه ثم ولد له بعد ذلك حمزة والعباس ولما انصرف
عبد الله مع ابيه من نحو الابل مر على امرأة من بنى اسد ابن عبد العزى وهى عند
الكعبة واسمها قتيله بضم القاف وفتح المثناة الفوقية ويقال رقيقة بنت
نوفل فقالت له حين نظرت الى وجهه وكان احسن رجل رئى فى قريش لك مثل الابل
التى نحرت عنك وقع على الآن لما رات فى وجهه من نور النبوة ورجت ان تحمل بهذا
النبى الكريم صلى الله عليه وسلم فقال لها انا مع ابى ولا استطيع خلافه ولا فراقه وقيل اجابها

بقوله	اما الحرام فالممات دونه •	والحل لا حل فاستبينه ••
	فكيف بالامر الذى تبغينه •	يحمى الكريم عرضه ودينه •

وعند ابى نعيم والخرائطى وابن عساكر من طريق عطاء عن ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما لما خرج عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من تبالة
متهودة كان قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرأت نور النبوة
فى وجه عبد الله فقالت له وذكر نحوه ثم خرج عبد المطلب حتى اتى به الى وهب
بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ سيد بنى زهرة نسبا وشرفا فزوجه ابنته
آمنة وهى يومئذ افضل امرأة من قريش نسبا وموضعا فزعموا انه دخل عليها حين
ملكها مكانه فوقع عليها يوم الاثنين ايام منى فى شعب ابى طالب عند الجمرة فحملت
برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج من عندها فاتى المرأة التى عرضت عليه
ما عرضت فقال لها مالك ما تعرضين على اليوم ما عرضتيه على بالامس قالت
فارقك النور الذى كان معك بالامس فليس لى بك اليوم حاجة انما اردت ان يكون
النور فى فابى الله الا ان يجعله حيث شاء ولما حملت امنة برسول الله صلى الله
عليه وسلم ظهر لحمله عجايب ووجد لايجاده غرايب فذكروا انه لما استقرت نطفته
الزكية وذريته المحمدية فى صدفة امنة القرشية نودى فى الملكوت ومعالم الجبروت
ان عطروا جوامع القدس الاسنى وبخروا جهات الشرف الاعلى وافرشوا سجادات العبادات
فى صفف الصفاء لصوفية الملائكة المقربين اهل الصدق والوفا فقد انتقل النور المكنون
الى بطن آمنة ذات العقل الباهر والفخر المصون قد خصها الله القريب المجيب بهذا السيد

المصطفى

المصطفى الحبيب لانها افضل قومها حسبا وانجب وازكاهم اصلا وفرعا واطيب وقال
سهل بن عبد الله التسترى فيما رواه الخطيب البغدادى الحافظ لما اراد الله تعالى خلق
محمد صلى الله عليه وسلم فى بطن امه آمنة ليلة رجب وكانت ليلة جمعة امر الله
تعالى فى تلك الليلة رضوان خازن الجنان ان يفتح الفردوس وينادى مناد فى
السموات والارض الا ان النور المخزون المكنون الذى يكون منه النبى الهادى فى
هذه الليلة يستقر فى بطن امه الذى فيه يتم خلقه ويخرج الى الناس بشيرا ونذيرا
وفى رواية كعب الاخبار انه نودى تلك الليلة فى السماء وصفاحها والارض وبقاعها
ان النور المكنون الذى منه رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقر ليلة فى بطن آمنة
فيا طوبى لها ثم يا طوبى واصبحت يومئذ اصنام الدنيا منكوسة وكانت قريش فى
جدب شديد وضيق عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار وجاءهم الرفد من كل
جانب فسميت تلك السنة التى حمل فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الفتح
والابتهاج وطوبى الطيب والحسنى والخير والخيرة قاله فى القاموس وقال غيره فرح
وقرة عين وقال الضحاك عطية وقال عكرمة نعم وفى الحديث طوبى للشام فان
الملئكة باسطة اجنحتها عليها فالمراد بها هنا فعلى من الطيب وغيره مما ذكر لا الجنة
ولا الشجرة وفى حديث ابن اسحق ان آمنة كانت تحدث انها اتيت حين حملت به صلى
الله عليه وسلم فقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة وقالت ما شعرت بانى
حملت به ولا وجدت له ثقلا ولا وحما كما تجد النساء الا انى انكرت رفع حيضتى
واتانى آت وانا بين النائمة واليقظانة فقال هل شعرت بانك حملت بسيد الانام
ثم امهلنى حتى اذا دنت ولادتى اتانى فقال قولى • اعيذه بالواحد • من شر كل حاسد •
ثم سميه محمدا وفى رواية غير ابن اسحق وعلقى عليه هذه التميمة قالت فانتبهت
وعند راسى صحيفة من ذهب مكتوب فيها هذه النسخة • اعيذه بالواحد • من شر
كل حاسد • وكل خلق رائد • من قائم وقاعد • عن السبيل حائد • على الفساد جاهد • من
نافث وعاقد • وكل خلق مارد • ياخذ بالمراصد • فى طرق الموارد • قال الحافظ عبد الرحيم
العراقى هكذا ذكر هذه الابيات بعض اهل السير وجعلها من حديث ابن عباس ولا
اصل لها انتهى نعم عند البيهقى من حديث ابن اسحق اعيذه بالواحد • من شر كل حاسد
فى كل بر عائد • وكل عبد رائد • يرود غير رائد • فانه عبد الحميد الماجد حتى اراه اشر
المشاهد • وعن شداد بن اوس ان رجلا من بنى عامر سال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما حقيقة امرك فقال بدو شانى انى دعوة ابراهيم وبشرى اخى عيسى وانى
بكر ابى وامى وانها حملت بى كاثقل ما تحمل النساء وجعلت تشتكى الى صواحباتها ثقل

ما تجد ثم ان اتى رات فى منامها ان الذى فى بطنها نور الحديث ففيه ان امه عليه الصلوة والسلام وجدت الثقل فى حمله وفى سائر الاحاديث انها لم تجد ثقلا وجمع ابو نعيم الحافظ بينهما بان الثقل به كان فى ابتداء علوقها به والخفة عند استمرار الحمل بها فيكون على الحالين خارجا عن المعتاد المعروف انتهى وخرج ابو نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو امام الدنيا وسراج اهلها ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا الا اصبح منكوسا وفرت وحوش المشرق الى وحوش المغرب بالبشارات وكذلك اهل البحار يبشر بعضهم بعضا وله فى كل شهر من شهور حمله نداء فى الارض ونداء فى السماء ان ابشروا فقد آن ان يظهر ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ميمونا مباركا الحديث وهو شديد الضعف وعن غيره لم يبق فى تلك الليلة دار الا اشرقت به ولا مكان الا دخله النور ولا دابة الا نطقت وعن ابى زكريا يحيى بن عائذ بقى صلى الله عليه وسلم فى بطن امه تسعة اشهر كملا لا تشكوا وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا ما يعرض لذوات الحمل من النساء وكانت تقول والله ما رايت من حمل هو اخف منه ولا اعظم بركة منه ولما تم لها من حملها شهران توفى عبد الله وقيل توفى وهو فى المهد قاله الدولابى وعن ابن ابى خيثمة وهو ابن شهرين وقيل وهو ابن سبعة وقيل وهو ابن ثمانية وعشرين شهرا والراجح المشهور الاول وكان عبد الله قد رجع ضعيفا مع قريش لما رجعوا من تجارتهم ومروا بالمدينة يثرب فتخلف عند اخواله بنى عدى بن النجار فاقام عندهم مريضا شهرا فلما قدم اصحابه مكة سالهم عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه مريضا فبعث اليه الحارث فوجده قد توفى ودفن فى دار التابعة وقيل دفن بالابواء قالت آمنة زوجته ترثيه

عفى جانب البطحاء من ال هاشم ... وجاور لحدا خارجا فى الغماغم

دعته المنايا دعوة فاجابها ... وما تركت فى الناس مثل ابن هاشم

عشية راحوا يحملون سريره ... تعاوره اصحابه فى التزاحم

فان تك غالته المنايا وريبها ... فقد كان معطاء كثير التراحم

ويذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما انه لما توفى عبد الله قالت الملئكة الهنا وسيدنا بقى نبيك يتيما فقال الله تعالى انا له حافظ ونصير وقيل لجعفر الصادق لم يتم النبى من ابويه قال لئلا يكون عليه حق لمخلوق نقله عنه ابو حيان فى البحر وروى ابو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال سمعت ابى وكان من اوعية العلم قال لما حضرت ولادة آمنة قال الله تعالى للملئكة افتحوا ابواب السماء كلها

وابواب

وابواب الجنان والبست الشمس يومئذ نورا عظيما وكان قد اذن الله تعالى تلك السنة لنساء الدنيا يحملن ذكورا كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم الحديث وهو مطعون فيه وذكر ابو سعيد عبد الملك النيسابورى فى كتابه الكبير كما نقله عنه صاحب كتاب السعادة والبشرى عن كعب فى حديثه الطويل ورواه ابو نعيم من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كانت آمنة تحدث وتقول آتانى آت حين مر بى من حملى ستة اشهر فى المنام وقال لى يا آمنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمى شانك قالت ثم لما اخذنى ما ياخذ النساء ولم يعلم بى احد لا ذكر ولا انثى وانى لوحيدة فى المنزل وعبد المطلب فى طوافه فسمعت وجبة عظيمة وامرا عظيما هالنى ثم رايت كان جناح طائر ابيض قد مسح على فؤادى فذهب عنى الرعب وكل وجع اجده ثم التفت فاذا انا بشربة بيضاء فتناولتها فاصابنى نور عال ثم رايت نسوة كالنخل طولا كانهن من بنات عبد مناف يحدقن بى فبينما انا اتعجب واقول واغوثاه من اين علمن بى قال فى غير هذه الرواية فقلن لى نحن آسية امراة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين واشتد بى الامر وانا اسمع الوجبة فى كل ساعة اعظم واهول مما تقدم فبينا انا كذلك اذ بديباج ابيض قد مد بين السماء والارض واذا قائل يقول خذاه عن اعين الناس قالت فرايت رجالا قد وقفوا فى الهواء بايديهم اباريق من فضة ثم نظرت فاذا انا بقطعة من الطير قد اقبلت حتى غطت حجرتى مناقيرها من الزمرد واجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصرى فرايت مشارق الارض ومغاربها ورايت ثلاثة اعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فاخذنى المخاض فوضعت محمدا صلى الله عليه وسلم فنظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه الى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رايت سحابة بيضاء قد اقبلت من السماء حتى غشيته فغيبته عنى فسمعت مناديا ينادى طوفوا به مشارق الارض ومغاربها وادخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلمون انه سمى فيها الماحى لا يبقى شىء من الشرك الا محى فى زمنه ثم تجلت عنه فى اسرع وقت الحديث وهو مما تكلم فيه وروى الخطيب البغدادى بسنده كما ذكره صاحب السعادة والبشرى ايضا ان آمنة قالت لما وضعته عليه الصلوة والسلام رايت سحابة عظيمة لها نور اسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الاجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيب عنى فسمعت مناديا ينادى طوفوا بمحمد صلى الله عليه وسلم جميع الارض واعرضوه على كل روحانى من الجن

والانس والملئكة والطيور والوحوش واعطوه خُلُق ادم ومعرفة شيث
وشجاعة نوح وخُلّة ابرٰهيم ولسان اسمٰعيل ورضى اسحٰق وفصاحة صالح
وحكمة لوط وبشرى يعقوب وشدة موسى وصبر ايوب وطاعة يونس وجهاد
يوشع وصوت داود وحب دانيال ووقار الياس وعصمة يحيى وزهد عيسى
واغمسوه فى اخلاق النبيين قالت ثم انجلت عنى فاذا به قد قبض على حريرة خضراء
مطوية طيا شديدا ينبع من تلك الحريرة ماء واذا قائل يقول بخ بخ قبض محمد
صلى الله عليه وسلم على الدنيا كلها لم يبق خلق من اهلها الا دخل طائعا فى
قبضته قالت ثم نظرت اليه واذا به كالقمر ليلة البدر وريحه يسطع كالمسك
الاذفر واذا بثلاثة نفر فى يد احدهم ابريق من فضة وفى يد الثانى طشت من زمرد
اخضر وفى يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها فاخرج منها خاتما تحار ابصار الناظرين
دونه فغسله من ذلك الابريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه
بالحريرة ثم احتمله فادخله بين اجنحته ساعة ثم رده الى ورواه ابو نعيم عن
ابن عباس وفيه نكارة وروى الحافظ ابو بكر بن عائذ فى كتابه المولد كما نقله
عنه الشيخ بدر الدين الزركشى فى شرح بردة المديح عن ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما لما وُلد صلى الله عليه وسلم قال فى اُذنه رضوان خازن الجنان ابشر
يا محمد فما بقى لنبى علم الا وقد اعطيته فانت اكثرهم علما واشجعهم قلبا وروى
محمد بن سعد من حديث جماعة منهم عطا وابن عباس رضى الله تعالى عنهم
ان آمنة بنت وهب قالت لما فصل منى تعنى النبى صلى الله عليه وسلم خرج معه
نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب ثم وقع الى الارض معتمدا على يديه ثم اخذ
قبضة من التراب فقبضها ورفع راسه الى السماء وروى الطبرانى انه لما وقع
الى الارض وقع مقبوضة اصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وروى
عن عثمان بن ابى العاصى عن امه ام عثمان الثقفية واسمها فاطمة بنت عبد الله قالت
لما حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت البيت حين وقع قد امتلا
نورا ورايت النجوم تدنوا حتى ظننت انها ستقع على رواه البيهقى واخرج احمد
والبزار والطبرانى والحاكم والبيهقى عن العرباض بن سارية رضى الله تعالى عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى عبد الله وخاتم النبيين وان ادم
لمنجدل فى طينته وساخبركم عن ذلك انا دعوة ابى ابرٰهيم وبشارة عيسى ورؤيا
امى التى رات وكذلك امهات الانبياء يرين وان ام رسول الله صلى الله عليه
وسلم رات حين وضعته نورا اضاء له قصور الشام قال الحافظ ابن حجر صححه

ابن حبان والحاكم واخرج ابو نعيم عن عطاء بن يسار عن ام سلمة قالت لقد رايت ليلة
وضعه نورا اضاءت له قصور الشام حتى رايتها واخرج ايضا عن بُرَيدة عن مرضعة
فى بنى سعد ان آمنة قالت رايت كانه خرج من فرجى شهاب اضاءت له الارض حتى
رايت قصور الشام وعن همام ابن يحيى عن اسحق بن عبد الله ان ام رسول الله صلى
صلى الله عليه وسلم قالت لما ولدته خرج من فرجى نور اضاء له قصور الشام فولدته
نظيفا ما به قذر رواه ابن سعد والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب فى شعره حيث

قال

وانت لما ولدت اشرقت الا ... رض وضاءت بنورك الافق
ونحن فى ذلك الضياء وفى الـ ... ـنور وسبل الرشاد نخترق

قال فى اللطائف وخروج هذا النور عند وضعه اشارة الى ما يجئ به من النور الذى
اهتدى به اهل الارض وزال به ظلمة الشرك كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور
وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات
الى النور باذنه الآية واما اضاءة قصور بُصرى بالنور الذى خرج معه فهو
اشارة الى ما خص الشام من نور نبوته فانها دار ملكه كما ذكر كعب ان فى الكتب السالفة
محمد رسول الله مولده بمكة ومهاجره يثرب وملكه بالشام فمن مكة بدت
نبوة نبينا عليه الصلوة والسلام والى الشام انتهى ملكه ولهذا اسرى به صلى
الله عليه وسلم الى الشام الى بيت المقدس كما هاجر قبله ابراهيم عليه الصلوة
والسلام الى الشام وبها ينزل عيسى ابن مريم عليه الصلوة والسلام وهى ارض
المحشر والمنشر وخرج احمد وابو داود وابن حبان والحاكم فى صحيحيهما عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالشام فانها خيرة الله من ارضه يجتبى اليها
خيرته من عباده انتهى ملخصا واخرج ابو نعيم عن عبد الرحمن بن عوف عن امه
الشفا قالت لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدى
فاستهل فسمعت قائلا يقول رحمك الله قالت الشفا واضاء لى ما بين المشرق
والمغرب حتى نظرت الى بعض قصور الروم قالت ثم البسته واضجعته فلم انشب ان
غشيتنى ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب عنى فسمعت قائلا يقول اين ذهبت به
قال الى المشرق والمغرب قالت فلم يزل الحديث منى على بال حتى ابتعثه الله وكنت
فى اول الناس اسلاما ومن عجائب ولادته صلى الله عليه وسلم ما اخرجه البيهقى
وابو نعيم عن حسان بن ثابت قال انى لغلام ابن سبع سنين او ثمان اعقل ما رايت
وسمعت اذ يهودى يصرخ ذات غداة يا معشر يهود فاجتمعوا اليه وانا اسمع
قالوا ويلك ما لك قال طلع نجم النبى الذى احمد ولد به فى هذه الليلة وعن عائشة رضى الله

عنها قالت كان يهودى قد سكن مكة فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال
انظروا فانه ولد فى هذه الليلة نبى هذه الامة بين كتفيه علامة فانصرفوا فسألوا
فقيل لهم قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فذهب اليهودى معهم الى امه
فاخرجته لهم فلما راى اليهودى العلامة خر مغشيا عليه وقال ذهبت النبوة
من بنى اسرائيل يا معشر قريش اما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق
والمغرب رواه يعقوب بن سفيان باسناد حسن كما قاله فى فتح البارى ومن عجائب
ولادته ايضا ما روى من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط اربعة عشر شرافة من
شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف عام لم تخمد كما رواه
البيهقى وابو نعيم والخرائطى فى الهواتف وابن عساكر وفى سقوط الاربعة عشر
شرفة اشارة الى انه يملك منهم ملوك وملكات بعدد الشرفات وقد ملك منهم
فى اربع سنين عشرة ذكره ابن ظفر وزاد ابن سيد الناس وملك الباقون الى خلافة
عثمان رضى الله عنه ومن ذلك ايضا ما وقع من زيادة حراسة السماء بالشهب
وقطع رصد الشياطين ومنعهم من استراق السمع ولقد احسن الشقراطيسى حيث
قال

ضاءت لمولده الآفاق واتصلت	بشرى الهواتف فى الاشراق والطفل
وصرح كسرى تداعا من قواعده	وانقض منكسر الارجاء ذا ميل
ونار فارس لم توقد وما خمدت	مذ الف عام ونهر القوم لم يسل
خرت لمبعثه الاوثان وانبعثت	ثواقب الشهب ترمى الجن بالشعل

وولد صلى الله عليه وسلم معذورا اى مختونا مسرورا اى مقطوع السرة كما
روى من حديث ابى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم عند ابن عساكر وروى الطبرانى
فى الاوسط وابو نعيم والخطيب وابن عساكر من طرق عن انس ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال من كرامتى على ربى انى ولدت مختونا ولم ير احد سوأتى وصححه الضياء
فى المختارة وعن ابن عمر قال ولد النبى صلى الله عليه وسلم مسرورا مختونا رواه
ابن عساكر قال الحاكم فى المستدرك تواترت الاخبار انه صلى الله عليه وسلم ولد
مختونا انتهى وتعقبه الحافظ الذهبى فقال ما اعلم صحة ذلك فكيف يكون متواترا
واجيب باحتمال ان يكون اراد بتواتر الاخبار اشتهارها وكثرتها فى السير لا من
طريق السند المصطلح عليه عند ائمة الحديث ولكن حكى الحافظ زين الدين العراقى
ان الكمال بن العديم ضعف احاديث كونه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا فقال
انه لا يثبت فى هذا شئ من ذلك واقره عليه وبه صرح ابن القيم ثم قال ليس من

خصائصه

خصائصه فان كثيرا من الناس ولد مختونا وحكى الحافظ ابن حجر ان العرب تزعم
ان الغلام اذا ولد فى القمر فسخت قلفته اى اتسعت فيصير كالمختون وفى الوشاح
لابن دريد قال ابن الكلبى بلغنا ان ادم خلق مختونا واثنى عشر نبيا من بعده خلقوا
مختونين آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم شيث وادريس ونوح وسام ولوط
ويوسف وموسى وسليمن وشعيب ويحيى وهود وصالح صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين انتهى وفى هذه العبارة تجوز لان الختان هو القطع وهو غير ظاهر
لان الله تعالى يوجد ذلك على هذه الهيئة من غير قطع فيحمل الكلام باعتبار انه على
صفة المقطوع وقد حصل من الاختلاف فى ختانه ثلاثة اقوال احدها انه ولد
مختونا كما تقدم الثانى انه ختنه جده عبد المطلب يوم سابعه وصنع له مادبة
وسماه محمدا رواه الوليد بن مسلم بسنده لابن عباس وحكاه ابن عبد البر فى
التمهيد الثالث انه ختن عند حليمة كما ذكره ابن القيم والدمياطى ومغلطاى
وقالا ان جبريل عليه الصلوة والسلام ختنه حين طهر قلبه وكذا اخرجه الطبرانى
فى الاوسط وابو نعيم من حديث ابى بكرة قال الذهبى وهذا منكر واعلم ان الختان
قطع القلفة التى تغطى الحشفة من الرجل وقطع بعض الجلدة التى فى اعلا الفرج
الفرج من المرأة ويسمى ختان الرجل إعذارا بالعين المهملة والذال المعجمة والراء
وختان المرأة خفضا بالخاء المعجمة والفاء والضاد المعجمة ايضا واختلف العلماء
هل هو واجب فذهب اكثرهم الى انه سنة وليس بواجب وهو قول مالك وابى حنيفة
وبعض اصحاب الشافعى وذهب الشافعى الى وجوبه وهو مقتضى قول سحنون من
المالكية وذهب بعض اصحاب الشافعى الى انه واجب فى حق الرجال سنة فى حق
النساء واحتج من قال انه سنة بحديث ابى المليح بن اسامة عن ابيه ان النبى صلى
الله عليه وسلم قال الختان سنة للرجال مكرمة للنساء رواه احمد فى مسنده
والبيهقى واجاب من اوجبه بانه ليس المراد بالسنة هنا خلاف الواجب بل المراد
به الطريقة واحتجوا على وجوبه بقوله تعالى ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وثبت
فى الصحيحين من حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اختتن ابراهيم النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانين بالقدوم وبما رواه ابو داود
ابو داود من قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذى اسلم الق عنك شعار الكفر واختتن
واحتج القفال لوجوبه بان بقاء القلفة يحبس النجاسة ويمنع صحة الصلوة فيجب
ازالتها وقال الفخر الرازى الحكمة فى الختان ان الحشفة قوية الحس فما دام مستورة بالقلفة
تقوى اللذة عند المباشرة فاذا قطعت القلفة تصلبت الحشفة فضعفت اللذة

وهو اللائق بشريعتنا تقليلا للذة لا قطعاً لها كما تفعل المانوية فذلك افراط وابقاء
القلفة تفريط فالعدل الختان انتهى واذا قلنا بوجوب الختان فمحل الوجوب بعد
البلوغ على الصحيح من مذهبنا لما روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه سئل مثل من انت حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وانا
يومئذ مختون وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك وقال بعض اصحابنا يجب على الولي
ان يختن الصبي قبل البلوغ والله اعلم وقد اختلف في عام ولادته صلى الله عليه
فالاكثر على انه عام الفيل وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما ومن العلماء من حكى الاتفاق
عليه وقال كل قول يخالفه وهم والمشهور انه ولد بعد الفيل بخمسين يوما واليه
ذهب السهيلي في جماعة وقيل بعده بخمس وخمسين يوما وحكاه الدمياطي في اخرين
وقيل بشهر وقيل باربعين يوما وقيل بعد الفيل بعشر سنين وقيل قبل الفيل بخمس
عشرة سنة وقيل غير ذلك والمشهور انه بعد الفيل لان قصة الفيل كانت توطئة لنبوته
وتقدمة لظهوره وبعثته والا فاصحاب الفيل كما قاله ابن القيم كانوا نصارى اهل
كتاب وكان دينهم خيرا من دين اهل مكة اذ ذاك لانهم كانوا عباد اوثان فنصرهم
الله على اهل الكتاب نصرا لا صنع للبشر فيه ارهاصا وتقدمة للنبي الذي خرج
من مكة وتعظيما للبلد الحرام واختلفوا ايضا في الشهر الذي ولد فيه والمشهور انه
ولد في شهر ربيع الاول وهو قول جمهور العلماء ونقل ابن الجوزي الاتفاق عليه
وفيه نظر فقد قيل في صفر وقيل في ربيع الاخر وقيل في رجب ولا يصح وقيل في شهر
رمضان وروي عن ابن عمر باسناد لا يصح وهو موافق لمن قال ان امه حملت به
في ايام التشريق واغرب من قال ولد في عاشوراء وكذا اختلفوا ايضا في اي يوم من
الشهر فقيل انه غير معين وانما ولد يوم الاثنين من ربيع الاول من غير تعيين و
الجمهور على انه يوم معين منه فقيل لليلتين خلتا منه وقيل لثمان خلت منه
قال الشيخ قطب الدين القسطلاني وهو اختيار اكثر اهل الحديث ونقل عن ابن
عباس وجبير بن مطعم وهو اختيار اكثر من له معرفة بهذا الشان واختاره الحميدي
وشيخه ابن حزم وحكى القضاعي في عيون المعارف اجماع اهل الزيج علماء الفلك
عليه ورواه الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم وكان عارفا بالنسب وايام العرب
اخذ ذلك عن ابيه جبير وقيل لعشر وقيل لاثنتي عشرة وعليه عمل اهل مكة في زيارتهم
موضع مولده في هذا وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان عشرة وقيل لثمان بقين منه
وقيل ان هذين القولين غير صحيحين عمن حكيا عنه بالكلية والمشهور انه ولد ثاني عشر
ربيع الاول وهو قول ابن اسحق وغيره وانما كان في شهر ربيع على الصحيح ولم يكن

في المحرم

في المحرم ولا في رجب ولا في رمضان ولا غيرها من الاشهر ذوات الشرف لانه صلى الله
عليه وسلم لا يتشرف بالزمان وانما الزمان يتشرف به كالاماكن فلو ولد في شهر
من الشهور المذكورة لتوهم انه تشرف بها فجعل الله مولده عليه الصلوة والسلام
في غيرها ليظهر عنايته به وكرامته عليه واذا كان يوم الجمعة الذي خلق الله فيه
ادم عليه الصلوة والسلام خص بساعة لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله تعالى
فيها خيرا الا اعطاه اياه فما بالك بالساعة التي ولد فيها سيد المرسلين ولم يجعل
الله تعالى في يوم الاثنين يوم مولده عليه الصلوة والسلام من التكليف بالعبادات
ما جعل في يوم الجمعة المخلوق فيه ادم من الجمعة والخطبة وغير ذلك اكراما لنبيه
صلى الله عليه وسلم بالتخفيف عن امته بسبب عناية وجوده قال تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين ومن جملة ذلك عدم التكليف واختلف ايضا في الوقت الذي ولد
فيه والمشهور انه يوم الاثنين فعن قتادة الانصاري انه صلى الله عليه وسلم سئل
عن صيام يوم الاثنين فقال ذاك يوم ولدت فيه وانزلت علي فيه النبوة رواه
مسلم وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم ولد نهارا وفي المسند عن ابن عباس رضي
الله عنهما قال ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين وخرج
مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ورفع الحجر يوم
الاثنين انتهى وكذا فتح مكة ونزول سورة المائدة يوم الاثنين وقد روي انه ولد
عند طلوع الفجر فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال كان بمر الظهران
راهب يسمى عيصى من اهل الشام وكان يقول يوشك ان يولد فيكم يا اهل مكة
مولود تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه فكان لا يولد بمكة مولود الا يسأل عنه
فلما كان صبيحة اليوم الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد
المطلب حتى اتى عيصى فناداه فاشرف عليه فقال له عيصى كن اباه فقد ولد ذلك
المولود الذي كنت احدثكم عنه يوم الاثنين ويبعث يوم الاثنين ويموت يوم الاثنين
قال له عبد المطلب ولد لي الليلة مع الصبح مولود قال فما سميته قال محمدا قال والله
لقد كنت اشتهي ان يكون هذا المولود فيكم اهل هذا البيت بثلاث خصال نعرفه فقد
اتى عليهن منها انه طلع نجمه البارحة وانه ولد اليوم وان اسمه محمد رواه ابو جعفر
وابن ابي شيبة وخرجه ابو نعيم في الدلائل بسند فيه ضعف وقيل كان مولده صلى
الله عليه وسلم عند طلوع الغفر وهو ثلاثة انجم صغار ينزلها القمر وهو مولد
النبيين ووافق ذلك من الشهور الشمسية نيسان وهو برج الحمل وكان لعشرين مضت
منه وقيل ولد ليلا فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان بمكة يهودي يتجر

فيها فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر
قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال ولد الليلة نبي هذه الامة الاخيرة
بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كانهن عرف فرس فخرجوا باليهودي
حتى ادخلوه على امه فقالوا اخرجي لنا ابنك فاخرجته وكشفوا عن ظهره فراى
تلك الشامة فوقع اليهودي مغشيا عليه فلما افاق قالوا ما لك ويلك قال ذهبت
والله النبوة من بني اسرائيل رواه الحاكم قال الشيخ بدر الدين الزركشي والصحيح
ان ولادته صلى الله عليه وسلم كانت نهارا قال واما ما روي من تدلي النجوم
فضعفه ابن دحية لاقتضائه ان الولادة كانت ليلا قال وهذا لا يصلح ان يكون
تعليلا فان زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز ان تسقط النجوم نهارا انتهى فان
قلت اذا قلنا انه صلى الله عليه وسلم ولد ليلا فايما افضل ليلة القدر او ليلة
مولده صلى الله عليه وسلم اجيب بان ليلة مولده صلى الله عليه وسلم افضل
من ليلة القدر من وجوه ثلثة احدها ان ليلة المولد ليلة ظهوره عليه الصلوة
والسلام وليلة القدر معطاة له وما شرف بظهور ذات المشرف من اجله اشرف
مما شرف بسبب ما اعطيه ولا نزاع في ذلك فكانت ليلة المولد افضل بهذا الاعتبار
الثاني ان ليلة القدر شرفت بنزول الملئكة فيها وليلة المولد شرفت بظهوره
صلى الله عليه وسلم فيها ومن شرفت به ليلة المولد افضل ممن شرفت بهم ليلة
القدر على الاصح المرتضى فتكون ليلة المولد افضل الثالث ان ليلة القدر وقع
التفضل فيها على امة محمد صلى الله عليه وسلم وليلة المولد الشريف وقع التفضل
فيها على سائر الموجودات فهو الذي بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين فعمت به
النعمة على جميع الخلائق فكانت ليلة المولد اعم نفعا فكانت افضل فيا شهرا ما
اشرفه واوفر حرمة لياليه كانها لآلئ في العقود ويا وجها ما اشرقه من
مولود فسبحان من جعل مولده للقلوب ربيعا وحسنه بديعا

يقول لنا لسان الحال منه	وقول الحق يعذب للسميع
فوجهي والزمان وشهر وضعي	ربيع في ربيع في ربيع

واختلفوا ايضا في مدة الحمل به صلى الله عليه وسلم فقيل تسعة اشهر وقيل
عشرة وقيل ثمانية وقيل سبعة وقيل ستة وولد صلى الله عليه وسلم في الدار
التي كانت لمحمد بن يوسف اخي الحجاج ويقال بالشعب ويقال بالردم ويقال بعسفان
وارضعته صلى الله عليه وسلم ثويبة عتيقة ابي لهب اعتقها حين بشرته بولادته
عليه الصلوة والسلام وقد رئي ابو لهب بعد موته في النوم فقيل له ما حالك فقال

في النار

في النار الا انه خفف عني كل ليلة اثنين وامص من بين اصبعي هاتين ماء واشار
براس اصبعه وان ذلك باعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبي صلى الله عليه
وسلم وبارضاعها له قال ابن الجوزي فاذا كان هذا ابو لهب الكافر الذي نزل
القران بذمه جوزي في النار بفرحه ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم به فما
حال المسلم الموحد من امته صلى الله عليه وسلم الذي يسر بمولده ويبذل ما تصل
اليه قدرته في محبته صلى الله عليه وسلم لعمري انما يكون جزاؤه من الله الكريم
ان يدخله بفضله العميم جنات النعيم ولا زال اهل الاسلام يحتفلون بشهر
مولده عليه الصلوة والسلام ويعملون الولائم ويتصدقون في لياليه بانواع
الصدقات ويظهرون السرور ويزيدون في المبرات ويعتنون بقراءة مولده
الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم ومما جرب من خواصه انه امان في
ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام فرحم الله امرءا اتخذ ليالي
شهر مولده المبارك اعيادا ليكون اشد غلة على من في قلبه مرض واعيى داء
ولقد اطنب ابن الحاج في المدخل في الانكار على ما احدثه الناس من البدع والاهواء و
بالالات المحرمة عند عمل المولد الشريف فالله تعالى يثيبه على قصده الجميل ويسلك
بنا وبه سبيل السنة فانه حسبنا ونعم الوكيل وقد ذكر انه لما ولد صلى الله عليه
وسلم قيل من يكفل هذه الدرة اليتيمة التي لا يوجد لمثلها قيمة قالت الطيور نحن
نكفله ونغتنم خدمته العظيمة وقالت الوحوش نحن اولى بذلك ننال شرفه و
تعظيمه فنادى لسان القدرة ان يا جميع المخلوقات ان الله تعالى قد كتب في سابق
حكمته القديمة ان نبيه الكريم يكون رضيعا لحليمة الحليمة قالت حليمة فيما رواه
ابن اسحق وابن راهويه وابو يعلى والطبراني والبيهقي وابو نعيم قدمت مكة في نسوة
من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء في سنة شهباء فقدمت على اتان لي ومعي صبي
لنا وشارف لنا والله ما تبض بقطرة ولا ننام ليلنا ذلك اجمع مع صبينا ذاك
لا يجد في ثديي ما يغنيه ولا في شارفنا ما يغذيه فقدمنا مكة فوالله ما علمت منا
امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتاباه اذا قيل يتيم من
الاب فوالله ما بقي من صواحبي امرأة الا اخذت رضيعا غيري فلما لم اجد غيره قلت
لزوجي والله اني لاكره ان ارجع من بين صواحبي ليس معي رضيع لانطلقن الى ذلك
اليتيم فلاخذنه فذهبت فاذا به مدرج في ثوب صوف ابيض من اللبن يفوح منه
رائحة المسك وتحته حريرة خضراء راقد على قفاه يغط فاشفقت ان اوقظه
من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه رويدا فوضعت يدي على صدره فتبسم

ضاحكا وفتح عينيه ينظر الىّ فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وانا انظر فقبلته بين عينيه واعطيته ثديى الايمن فاقبل عليه بما شاء من لبن فحولته الى الايسر فابى وكانت تلك حالته بعد قال اهل العلم اعلمه الله تعالى ان له شريكا فالهمه العدل قالت فروى وروى اخوه ثم اخذته فما هو الا ان جئت به رحلى فقام صاحبى تعنى زوجها الى شارفنا تلك فاذا انها لحافل فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة فقال صاحبى يا حليمة والله انى لاراك قد اخذت نسمة مباركة الم ترى ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين اخذناه فلم يزل الله يزيدنا خيرا قال فى رواية ذكرها ابن طغربك فى النطق المفهوم فلما نظر صاحبى الى هذا قال لى اسكتى واكتمى امرك فمن ليلة ولد هذا الغلام اصبحت الاحبار قواما على اقوامها لا يهنأها عيش النهار ولا نوم الليل قالت حليمة فودعت الناس بعضهم بعضا وودعت انا ام النبى صلى الله عليه وسلم ثم ركبت اتانى واخذت محمدا صلى الله عليه وسلم بين يدى قالت فنظرت الى الاتان وقد سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت راسها الى السماء ثم مشت حتى سبقت دواب الناس الذين كانوا معى وصار الناس يتعجبون منى ويقلن النساء لى وهن ورائى يا بنت ابى ذؤيب اهذه اتانك التى كنت عليها وانت جائية معنا تخفضك طورا وترفعك اخرى فاقول تالله انها هى فيتعجبن منها ويقلن ان لها لشانا عظيما قالت فكنت اسمع اتانى تنطق وتقول والله ان لى لشانا ثم شانا بعثنى الله بعد موتى ورد لى سمنى بعد هزالى ويحكن يا نساء بنى سعد انكن لفى غفلة وهل تدرين من على ظهرى على ظهرى خيار النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين قالت حليمة فيما ذكره ابن اسحق وغيره ثم قدمنا منازل بنى سعد ولا اعلم ارضا من ارض الله اجدب منها فكانت غنمى تروح على حين قدمنا به شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها فى ضرع حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرعاتهم اسرحوا حيث يسرح غنم راعى بنت ابى ذؤيب فتروح اغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح اغنامى شباعا لبنا فلله درها من بركة كثرت بها مواشى حليمة ونمت وارتفع قدرها به وسمت ولم تزل حليمة تتعرف الخير والسعادة وتفوز منه بالحسنى وزيادة

لقد بلغت بالهاشمى حليمة •	مقاما علا فى ذروة العز والمجد •
وزادت مواشيها واخصب ربعها •	وقد عم هذا السعد كل بنى سعد •

قال ابن الطباخ رايت فى كتاب الترقيص لابى عبد الله محمد بن المعلى الازدى ان من شعر حليمة مما كانت ترقص به النبى صلى الله عليه وسلم

١٩

وهو من يوضع فى عنق القلائد والقرائد لكثرة اعامه ... وخرقه واخواله الذين يصونه فجعلته خزلا معا لرفعته ... وملوكه

• يا رب اذا اعطيته فابقه • واعله الى العلا ورقه • وادحض اباطيل العدا بحقه • وعند غيره وكانت الشيما اخته من الرضاع تحضنه وترقصه وتقول

هذا اخ لى لم تلده امى •	وليس من نسل ابى وعمى •
فديته من مخول معمى •	فانمه اللهم فيما تنمى •

واخرج البيهقى والصابونى فى المائتين والخطيب وابن عساكر فى تاريخهما وابن طغربك السيافى فى النطق المفهوم عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يا رسول الله دعانى للدخول فى دينك امارة لنبوتك رايتك فى المهد تناغى القمر وتشير اليه باصبعك فحيث اشرت اليه مال قال انى كنت احدثه ويحدثنى ويلهينى عن البكاء واسمع وجبته حين يسجد تحت العرش قال البيهقى تفرد به احمد بن ابرهيم الحبلى وهو مجهول وقال الصابونى هذا حديث غريب الاسناد والمتن وهو فى المعجزات حسن والمناغاة المحادثة وقد ناغت الام صبيها لاطفته وشاغلته بالمحادثة والملاعبة وفى فتح البارى عن سيرة الواقدى انه صلى الله عليه وسلم تكلم فى اوائل ما ولد وذكر ابن سبع فى الخصائص ان مهده كان يتحرك بتحريك الملئكة واخرج البيهقى وابن عساكر عن ابن عباس قال كانت حليمة تحدث انها اول ما فطمت رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فقال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا فلما ترعرع كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم الحديث وقد روى ابن سعد وابو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس قال كانت حليمة لا تدعه يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه فخرج مع اخته الشيما فى الظهيرة الى البهم فخرجت حليمة تطلبه حتى تجده مع اخته فقالت فى هذا الحر فقالت اخته يا امه ما وجد اخى حرا رايت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع الحديث وكان صلى الله عليه وسلم يشب شبابا لا يشبه الغلمان قالت حليمة فلما فصلته قدمنا به على امه ونحن احرص شئ على مكثه فينا لما نرى من بركته فكلمنا امه وقلنا لو تركتيه عندنا حتى يغلظ فانا نخشى عليه وباء مكة ولم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به فوالله انه لبعد مقدمنا بشهرين او ثلاثة مع اخيه من الرضاعة لفى بهم لنا خلف بيوتنا جاء اخوه يشتد فقال ذاك اخى القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه وشقا بطنه فخرجت انا وابوه نشتد نحوه فنجده قائما منتقعا لونه فاعتنقه ابوه فقال اى بنى ما شانك قال جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعانى فشقا بطنى ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال ابوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون ابنى قد اصيب فانطلقى نرده الى اهله قبل ان يظهر

به ما نتخوف قالت حليمة فاحتملناه حتى قدمنا به الى امه فقالت ما ردكما به فقد كنتما
حريصين عليه قلنا نخشى عليه الاتلاف والاحداث فقالت ما ذاك بكما فاصدقاني
شانكما فلم تدعنا حتى اخبرناها خبره قالت اخشيتما عليه الشيطان كلا والله
ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابني هذا شان فدعاه عنكما وفي حديث شداد
بن اوس عن رجل من بني عامر عند ابي يعلى وابي نعيم وابن عساكر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كنت مسترضعا في بني ليث بن بكر فبينا انا ذات يوم في بطن واد مع
اتراب لي من الصبيان اذا انا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملئ ثلجا فاخذوني
من بين اصحابي وانطلق الصبيان هرابا مسرعين الى الحي فعمد احدهم فاضجعني
على الارض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدري الى منتهى عانتي وانا انظر
اليه لم اجد لذلك مسا ثم اخرج احشاء بطني ثم غسلها بذلك الثلج فانعم غسلها
ثم اعادها مكانها ثم قام الثاني فقال لصاحبه تنح ثم ادخل يده في جوفي واخرج
قلبي وانا انظر اليه فصدعه ثم اخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال بيده
يمنة ويسرة كانه يتناول شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به
قلبي فامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة ثم اعاده مكانه فوجدت برد ذلك
الخاتم في قلبي دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فامر يده بين مفرق صدري
الى منتهى عانتي فالتام ذلك الشق باذن الله تعالى ثم اخذ بيدي فانهضني من
مكاني انهاضا لطيفا ثم قال الاول زنه بعشرة من امته فوزنوني بهم فرجحتهم
ثم قال زنه بمائة من امته فوزنوني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بالف فرجحتهم ثم قال
دعوه فلو وزنتموه بامته كلها لرجحهم ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي
وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لن ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت
عيناك الحديث وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما عند البيهقي قالت حليمة اذ
انا بابني ضمرة يعدو فزعا وجبينه يرشح باكيا ينادي يا ابت يا امه الحقا محمدا فما تلحقاه
الا ميتا اتاه رجل فاختطفه من اوساطنا وعلا به ذروة الجبل حتى شق صدره
الى عانته وفيه انه عليه الصلوة والسلام قال اتاني رهط ثلاثة بيد احدهم
ابريق من فضة وفي يد الثاني طست من زمردة خضراء الحديث فان قلت هل غسل
قلبه الشريف في الطست خاص به او فعل بغيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام
اجيب بانه ورد في خبر التابوت والسكينة انه كان فيه الطست الذي غسل فيه
قلوب الانبياء ذكره الطبري وعزاه العماد بن كثير في تفسيره لرواية السدي عن ابي
مالك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فان قلت ما الحكم في ختم قلبه المقدس

اجيب بانه اشارة الى ختم الرسالة به وهذا مسلم ان كان الخاتم خاصا به اما اذا ورد
انه ليس خاصا به بل بكل نبي وسياتي ان شاء الله قريبا في الخاتم الشريف من المباحث فيكون
الحكمة انه علامة يمتاز بها عن غيره ممن ليس بنبي والمراد بالوزن في قوله زنه بعشرة الخ
الوزن الاعتباري فيكون المراد بالرجحان في الفضل وهو كذلك وفائدة فعل الملكين
ذلك ليعلم الرسول عليه الصلوة والسلام ذلك حتى يخبر به غيره ويعتقد اذ هو من
الامور الاعتقادية وقد وقع شق صدره الشريف مرة اخرى عند مجي جبريل له
بالوحي في غار حرى ومرة اخرى عند الاسرى به وسياتي كل في موضعه ان شاء الله
تعالى وروي الشق ايضا وهو ابن عشر او نحوها مع قصة له مع عبد المطلب ابو نعيم
في الدلائل وروي خامسة ولا تثبت والحكمة في شق صدره الشريف في حال الصباح و
استخراج العلقة منه تطهيره عن حالات الصبا حتى يتصف في سن الصبا باوصاف
الرجولية ولذلك نشأ عليه الصلاة والسلام على اكمل الاحوال من العصمة صلى الله عليه
وسلم وقد روي انه ختم بخاتم النبوة بين كتفيه وكان ينم مسكا وانه مثل زر الحجلة
ذكره البخاري وفي مسلم جمع عليه خيلان كانها الثاليل السود عند نغض كتفه
اليسرى وفي كتاب ابي نعيم الايمن وفي مسلم ايضا كبيضة الحمامة وفي صحيح الحاكم
شعر مجتمع وفي البيهقي مثل السلعة وفي الشمائل بضعة ناشزة وفي حديث عمرو
بن اخطب كشيء يختم به وفي تاريخ ابن عساكر مثل البندقة وفي الترمذي ودلائل
البيهقي كالتفاحة وفي الروض كاثر المحجم القابضة على اللحم وفي تاريخ ابن ابي خيثمة
شامة خضراء محتفرة في اللحم وفيه ايضا شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها
شعرات متراكبات كانها عرف الفرس وفي تاريخ القضاعي ثلاث شعرات مجتمعات
وفي كتاب للترمذي الحكيم كبيضة حمام مكتوب في باطنها الله وحده لا شريك له
وفي ظاهرها توجه حيث كنت فانك منصور وفي كتاب المولد لابن عائذ كان نورا
يتلالؤ وفي تاريخ نيسابور مثل البندقة من لحم مكتوب فيه باللحم محمد رسول الله وعن
عائشة رضي الله عنها كتينة صغيرة تضرب الى الدهمة وكان مما يلي القفا قالت فلمسته
حين توفي فوجدته قد رفع حكى هذا كله الحافظ مغلطاي لكن قال في فتح الباري
ما ذكر من ان الخاتم كاثر محجم او كالشامة السوداء او الخضرا ومكتوب عليه محمد
رسول الله او سر فانك المنصور لم يثبت منها شيء قال ولا تغتر بما وقع في صحيح ابن
حبان فانه غفل حيث صحح ذلك وقال شيخه الهيثمي في موارد الظمان بعد ان اورد
الحديث ولفظه مثل البندقة من اللحم عليه مكتوب محمد رسول الله اختلط على
بعض الرواة خاتم النبوة بالخاتم الذي كان يختم به وبخط الحافظ بن حجر على الهامش

البعض المذكور هو اسحق بن ابرهيم قاضي سمرقند وهو ضعيف وقوله زر الحجلة
بالزاى والرآء والحجلة بالحاء المهملة والجيم قال النووى هى واحد الحجال وهى بيت
كالقبة لها ازرار كبار وعرى هذا هو الصواب قال بعضهم المراد بالحجلة
الطائر المعروف وزرها بيضها واشار اليه الترمذى وانكر عليه العلماء
وقوله جمع بضم الجيم واسكان الميم اى كجمع الكف وهو صورته بعد ان تجمع
الاصابع وتضمها وقوله خيلان بكسر الخاء المعجمة واسكان التحتية جمع خال
وهو الشامة على الجسد وقوله نغض بالنون والغين والضاد المعجمتين قال النووى
النغض والنغيض والناغض اعلا الكتف وقيل هو العظم الرقيق الذى على طرفه
وقيل ما يظهر منه عند التحرك سمى ناغضا لتحركه وقوله بضعة ناشزة بالمعجمة
والزاى اى قطعة لحم مرتفعة على جسده وبيضة الحمامة معروفة انتهى والثآليل
بالمثلثة جمع ثؤلول وهو حب يعلو ظاهر الجسد واحدة كالحمصة فما دونها
وفى القاموس ونقطتا الحمام اى بكسر القاف نقطتان على اصل منقاره وقال بعض
العلماء اختلفا قوال الرواة فى خاتم النبوة وليس ذلك باختلاف بل كل شبه بما
سنح له وكلها الفاظ مؤداها واحد وهى قطعة لحم ومن قال شعر فكان الشعر حوله
متراكم عليه كما فى الرواية الاخرى وقال القرطبى الاحاديث الثابتة تدل على ان
خاتم النبوة كان شيئا بارزا احمر عند كتفه الايسر اذا قلل قدر بيضة الحمامة
واذا كبر جمع اليد وقال القاضى عياض وهذه الروايات متقاربة متفقة على
انه شاخص فى جسده قدر بيضة الحمامة وزر الحجلة واما رواية جمع الكف
فظاهر المخالفة فتتأول على وفق الروايات الكثيرة ويكون معناه على هيئة
جمع الكف لكنه اصغر منه فى قدر بيضة الحمامة قال وهذا الخاتم هو اثر شق
الملكين بين كتفيه قال النووى هذا الذى قاله ضعيف باطل لان شق الملكين
انما كان فى صدره وبطنه انتهى ويشهد له قول انس رضى الله عنه فى حديث
عند مسلم يأتى فى ذكر قلبه الشريف من المقصد الثالث ان شاء الله تعالى فلقد
كنت ارى اثر المخيط فى صدره لسكن اجيب بان فى حديث عتبة بن عبد السلمى عند
احمد والطبرانى ان الملكين لما شقا صدره قال احدهما للآخر خطه فخاطه وختم
عليه بخاتم النبوة فلما ثبت ان خاتم النبوة كان بين كتفيه حمل القاضى عياض ذلك
على ان الشق لما وقع فى صدره ثم خيط حتى التام كما كان ووقع الختم بين كتفيه
كان ذلك اثر الختم وفهم النووى وغيره منه ان قوله بين كتفيه متعلق بالشق
وليس كذلك بل هو متعلق باثر الختم وحينئذ فليس ما قاله القاضى عياض باطل

انتهى وقال السهيلى والصحيح انه يعنى خاتم النبوة كان عند نغض كتفه الايسر واختلف
هل ولد وهو به او وضع بعد ولادته على قولين وقد وقع التصريح بوقت وضع الخاتم
وكيف وضع ومن وضعه فى حديث ابى ذر عند البزار وغيره قال قلت يا رسول الله كيف
علمت انك نبى وبما علمت حتى استيقنت قال اتانى آتيان وفى رواية ملكان وانا ببطحاء
مكة فوقع احدهما بالارض وكان الآخر بين السماء والارض فقال احدهما لصاحبه
اهو هو قال هو هو قال فزنه برجل الحديث وفيه ثم قال احدهما لصاحبه شق بطنه فشق
بطنى فاخرج قلبى فاخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما فقال احدهما لصاحبه
اغسل بطنه غسل الاناء واغسل قلبه غسل الملاء ثم قال احدهما لصاحبه خط
بطنه فخاط بطنى وجعل الخاتم بين كتفى كما هو الآن وولّيا عنى وكانى ارى الامر معاينة
وعند ابى نعيم فى الدلائل انه صلى الله عليه وسلم لما ولد ذكرت امه ان الملك غمسه
فى الماء الذى انبعه ثلاث غمسات ثم اخرج سرقة من حرير ابيض فاذا فيها خاتم فضرب
على كتفه كالبيضة المكنونة تضئ كالزهرة وقيل ولد به والله اعلم واخرج الحاكم
فى المستدرك عن وهب بن منبه قال لم يبعث الله نبيا الا وقد كان عليه شامات
النبوة فى يده اليمنى الا ان يكون نبينا صلى الله عليه وسلم فان شامة النبوة كانت
بين كتفيه وعلى هذا فيكون وضع الخاتم بين كتفيه بازاء قلبه مما اختص به عن سائر
الانبياء والله اعلم ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع سنين وقيل خمسا
وقيل ستا وقيل سبعا وقيل تسعا وقيل اثنى عشرة سنة وشهرا وعشرة ايام ماتت
امه بالابواء وقيل بشعب ابى ذئب بالحجون وفى القاموس ودار رابعة بمكة فيها
مدفن آمنة ام النبى صلى الله عليه وسلم واخرج ابن سعد عن ابن عباس رضى الله
عنهما وعن الزهرى وعن عاصم بن عمر بن قتادة دخل حديث بعضهم فى حديث
بعض قالوا لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين خرجت به امه الى
اخواله بنى عدى بن النجار بالمدينة تزورهم ومعه ام ايمن فنزلت به دار النابغة
فاقامت به عندهم شهرا فكان صلى الله عليه وسلم يذكر امورا كانت فى مقامه
ذلك ونظر الى الدار فقال ههنا نزلت بى امى واحسنت العوم فى بئر بنى عدى بن
النجار وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون الى قالت ام ايمن فسمعت احدهم
يقول هو نبى هذه الامة وهذه دار هجرته فوعيت ذلك كله من كلامهم ثم رجعت
به امه الى مكة فلما كانت بالابواء توفيت وروى ابو نعيم من طريق الزهرى عن اسماء
بنت ابى رهم عن امها قالت شهدت آمنة ام النبى صلى الله عليه وسلم فى علتها التى
ماتت بها ومحمد صلى الله عليه وسلم غلام يفع له خمس سنين عند راسها فنظرت

الى وجهه ثم قال بارك الله فيك من غلام ۔ يا ابن الذى من حومة الحمام
نجى بعون الملك المنعام ۔ فدى غداة الضرب بالسهام
بمائة من ابل سوام ۔ ان صح ما ابصرت فى المنام
فانت مبعوث الى الانام ۔ من عند ذى الجلال والاكرام
تبعث فى الحل وفى الحرام ۔ تبعث فى التحقيق والاسلام
دين ابيك البر ابراهام ۔ فالله انهاك عن الاصنام

ان لا تواليها مع الاقوام ثم قال كل حى ميت وكل جديد بال ۔ وكل كبير يفنى ۔ وانا ميتة وذكرى باق ۔ وقد تركت خيرا وولدت طهرا ۔ ثم ماتت فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك

نبكى الفتاة البرة الامينة ۔ ذات الجمال العفة الرزينة
زوجة عبد الله والقرينة ۔ ام نبى الله ذى السكينة
وصاحب المنبر بالمدينة ۔ صارت لدى حفرتها رهينة

وقد روى ان آمنة امنت به صلى الله عليه وسلم بعد موتها فروى الطبرى بسنده عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم نزل الحجون كئيبا حزينا فاقام به ما شاء الله عز وجل ثم رجع مسرورا قال سالت ربى عز وجل فاحيا لى امى فآمنت بى ثم ردها ورواه ابو حفص ابن شاهين فى كتاب الناسخ والمنسوخ له بلفظ قالت عائشة حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر بى على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكائه ثم انه نزل فقال يا حميرا استمسكى فاستندت الى جنب البعير فمكث مليا ثم عاد الى وهو فرح متبسم فقال ذهبت لقبر امى فسالت ربى ان يحييها فاحياها فآمنت بى وكذا روى من حديث عائشة ايضا احياء ابويه صلى الله عليه وسلم حتى امنا به اورده السهيلى وكذا الخطيب فى السابق واللاحق وقال السهيلى ان فى اسناده مجاهيل وقال ابن كثير انه حديث منكر جدا وسنده مجهول وقال ابن دحية هذا الحديث الموضوع يرده القرآن والاجماع انتهى وقد جزم بعض العلماء بان ابويه صلى الله عليه وسلم ناجيان وليسا فى النار متمسكا بهذا الحديث وغيره وتعقبه عالم آخر بانه لم ير احدا صرح بان الايمان بعد انقطاع العمل بالموت ينفع صاحبه فان ادعى احد الخصوصية فعليه الدليل انتهى وقد سبقه لذلك ابو الخطاب ابن دحيه وعبارته من مات كافرا لم ينفعه الايمان بعد الرجعة بل لو آمن عند المعاينة لم ينفعه ذلك فكيف بعد الاعادة انتهى وتعقبه القرطبى فى التذكرة بان فضائله صلى الله عليه وسلم

وخصائصه

وخصائصه لم تزل تتوالى وتتابع الى حين مماته فيكون هذا مما فضله الله به واكرمه قال وليس احياؤهما وايمانهما ممتنعا عقلا ولا شرعا فقد ورد فى الكتاب العزيز احياء قتيل بنى اسرائيل واخباره بقاتله وكان عيسى عليه الصلوة والسلام يحيى الموتى وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم احيى الله على يديه جماعة من الموتى واذا ثبت هذا فما يمتنع ايمانهما بعد احيائهما ويكون ذلك زيادة فى كرامته وفضيلته ثم قال وقوله من مات كافرا الى آخر كلامه مردود بما روى فى الخبر ان الله تعالى رد الشمس على نبيه صلى الله عليه وسلم بعد مغيبها ذكره الطحاوى وقال انه حديث ثابت فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا وانه يتجدد به الوقت لما ردها عليه فكذلك يكون احياء ابوى النبى صلى الله عليه وسلم نافعا لايمانهما وتصديقهما بالنبى صلى الله عليه وسلم انتهى وقد طعن بعضهم فى حديث رد الشمس كما سياتى ان شاء الله تعالى فى مقصد المعجزات وقد تمسك القائل بنجاتهما ايضا بانهما ماتا قبل البعثة فى زمن الفترة ولا تعذيب قبلها لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال وقد اطبقت الائمة الاشاعرة من اهل الكلام والاصول والشافعية من الفقهاء على ان من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا قال وقال الامام فخر الدين الرازى فى كتابه اسرار التنزيل ما نصه وقيل ان آزر لم يكن والد ابرهيم بل كان عمه واحتجوا عليه بوجوه منها ان آباء الانبياء ما كانوا كفارا ويدل عليه وجوه منها قوله تعالى الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين قيل معناه انه كان ينتقل نوره من ساجد الى ساجد قال ففيه دلالة على ان جميع آباء محمد صلى الله عليه وسلم كانوا مسلمين ثم قال ومما يدل على ان آباء محمد صلى الله عليه وسلم ما كانوا مشركين قوله صلى الله عليه وسلم لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وقال تعالى انما المشركون نجس فوجب ان لا يكون احد من اجداده مشركا كذا قال وتعقب بانه لا دلالة فى قوله وتقلبك فى الساجدين على ما ادعاه فقد ذكر البيضاوى فى تفسيره وغيره ان معنى الآية وترددك فى تصفح احوال المتهجدين كما روى انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف عليه الصلوة والسلام تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع بها من دندنتهم بذكر الله تعالى وقد ورد النص بان اباء ابرهيم عليه الصلوة والسلام مات على الكفر كما صرح به البيضاوى وغيره قال تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه واما قوله انه كان عمه فعدول عن الظاهر من غير دليل انتهى ونقل الامام ابو حيان فى البحر عند تفسير قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين ان الرافضة هم القائلون ان

آباء النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين مستدلين بقوله تعالى وتقلبك
في الساجدين وبقوله صلى الله عليه وسلم لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين
الحديث انتهى وروى ابن جرير عن علقمة بن مرثد عن سليمن بن بريدة عن ابيه
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة اتى رسم قبر فجلس اليه فجعل يخاطب
ثم قام مستعبرا فقلنا يا رسول الله انا راينا ما صنعت قال اني استاذنت ربي
في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي فما رؤي
باكيا اكثر من يومئذ وروى ابن ابي حاتم في تفسيره عن عبد الله بن مسعود ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اوما الى المقابر فاتبعناه فجاء حتى جلس الى
قبر منها فناجاه طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه ثم قام فقام اليه عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فدعاه ثم دعانا فقال ما ابكاكم قلنا بكينا لبكائك فقال ان القبر
الذي جلست عنده قبر آمنة اني استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي واني استاذنته
في الدعاء لها فلم ياذن لي وانزل علي ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين ولو كانوا اولي قربى فاخذني ما ياخذ الولد للوالد ورواه الطبراني من حديث
ابن عباس وفي حديث مسلم استاذنت ربي ان استغفر لامي فلم ياذن لي واستاذنته
في ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الآخرة قال القاضي عياض
بكائه صلى الله عليه وسلم على ما فاتها من ادراك ايامه والايمان به وفي مسلم
ايضا ان رجلا قال يا رسول الله اين ابي قال في النار فلما قفا دعاه فقال ان
ابي واباك في النار قال النووي فيه ان من مات على الكفر فهو في النار ولا ينفعه
قرابة المقربين وفيه ان من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة
الاوثان فهو في النار وليس في هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة فان هؤلاء
كانت قد بلغتهم دعوة ابرهيم وغيره من الانبياء قال الامام فخر الدين من مات
مشركا فهو في النار وان مات قبل البعثة لان المشركين كانوا قد غيروا الحنيفية
دين ابرهيم واستبدلوا بها الشرك وارتكبوه وليس معهم حجة من الله به ولم
يزل معلوما من دين الرسل كلهم من اولهم الى آخرهم قبح الشرك والوعيد عليه
في النار واخبار عقوبات الله لاهله متداولة بين الامم قرنا بعد قرن فلله الحجة
البالغة على المشركين في كل وقت وحين ولو لم يكن الا ما فطر الله عباده عليه
من توحيد ربوبيته وانه يستحيل في كل فطرة وعقل ان يكون معه اله آخر
وان كان سبحانه لا يعذب بمقتضى هذه الفطرة وحدها فلم تزل دعوة الرسل
الى التوحيد في الارض معلومة لاهلها فالمشرك مستحق للعذاب في النار لمخالفته

دعوة الرسل وهو مخلد فيها دائما كخلود اهل الجنة في الجنة انتهى وقد تعقب العلامة
ابو عبد الله الابي من المالكية فيما وضعه على صحيح مسلم قول النووي الماضي وفيه
ان من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان في النار الى آخره بما معناه
تأمل ما في كلامه من التنافي فان من بلغتهم الدعوة ليسوا باهل فترة لان اهل الفترة
هم الامم الكائنة بين ازمنة الرسل الذين لم يرسل اليهم الاول ولم يدركوا الثاني
كالاعراب الذين لم يرسل اليهم عيسى عليه السلام ولا لحقوا النبي صلى الله عليه
وسلم والفترة بهذا التفسير تشمل ما بين كل رسولين كالفترة بين نوح وهود لكن الفقهاء
اذا تكلموا في الفترة فانما يعنون التي بين عيسى ونبينا عليهما الصلوة والسلام وذكر
البخاري عن سلمان انها كانت ستمائة سنة ولما دلت القواطع على انه لا تعذيب حتى
تقوم الحجة علمنا انهم غير معذبين فان قلت قد صحت احاديث بتعذيب اهل الفترة
كحديث رايت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار ورايت صاحب المحجن في النار وهو
الذي يسرق الحاج بمحجنه فاذا بصر به قال انما تعلق بمحجني اجيب باجوبة احدها
انها اخبار آحاد فلا تعارض القطع الثاني قصر التعذيب على هؤلاء والله اعلم
بالسبب الثالث قصر التعذيب المذكور في هذه الاحاديث على من بدل وغير من اهل
الفترة بما لا يعذر به من الضلال كعبادة الاوثان وتغيير الشرايع فان اهل الفترة
ثلاثة اقسام الاول من ادرك التوحيد ببصيرته ثم من هؤلاء من لم يدخل في شريعة
كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل ومنهم من دخل في شريعة حق قائمة الرسم
كتبع وقومه من حمير واهل نجران وورقة بن نوفل وعمه عثمان بن الحويرث القسم
الثاني من اهل الفترة وهم من بدل وغير فاشرك ولم يوحد وشرع لنفسه فحلل وحرم
وهم الاكثرون كعمرو بن لحي اول من سن للعرب عبادة الاصنام وشرع الاحكام
فبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي وتبعته العرب في ذلك
وغيره مما يطول ذكره القسم الثالث من اهل الفترة وهم من لم يشرك ولم يوحد ولا
دخل في شريعة نبي ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع دينا بل بقي عمره على حال غفلة
من هذا كله وفي الجاهلية من كان على ذلك واذا انقسم اهل الفترة الى الثلاثة الاقسام
فيحمل من صح تعذيبه على اهل القسم الثاني لكفرهم بما تعدوا به من الخبائث والله تعالى
قد سمى جميع هذا القسم كفارا ومشركين فانا نجد القرآن كلما حكى حال احد سجل عليهم
بالكفر والشرك كقوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام
ثم قال تعالى ولكن الذين كفروا الآية والقسم الثالث هم اهل الفترة حقيقة وهم غير
معذبين واما اهل القسم الاول كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو فقد قال عليه الصلوة

والسلام فى كل منهما انه يبعث امة وحده واما عثمان بن الحويرث وتبع وقومه
واهل نجران فحكمهم حكم اهل الدين الذين دخلوا فيه ما لم يلحق احد منهم الاسلام
الناسخ لكل دين انتهى ملخصا وسيأتى ما قيل فى ورقة فى حديث المبعث ان شاء الله تعالى
فهذا ما تيسر من البحث فى مسئلة ابويه صلى الله عليه وسلم وقد كان الاولى
ترك ذلك وانما جرنا اليه ما وقع من المباحثة فيه بين علماء العصر ولقد احسن
الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقى حيث قال

حبى الله النبى مزيد فضل ... على فضل وكان به رؤفا
فاحيا امه وكذا اباه ... لايمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير ... وان كان الحديث به ضعيفا

فالحذر ثم الحذر من ذكرهما بما فيه نقص فان ذلك قد يوذى النبى صلى الله عليه وسلم
لان العرف جار بانه اذا ذكر ابو الشخص بما ينقصه او وصف بوصف به وذلك الوصف
فيه نقص تاذى ولده بذكر ذلك له عند المخاطبة وقد قال صلى الله عليه وسلم
لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات رواه الطبرانى فى الصغير ولا ريب ان اذاه عليه الصلوة
والسلام كفر يقتل فاعله ان لم يتب عندنا وسيأتى مباحث ذلك فى الخصائص ان
شاء الله تعالى من مقصد المعجزات ولقد اطنب بعض العلماء فى الاستدلال لايمانهما
فالله تعالى يثيبه على قصده الجميل وقد قال الحافظ بن حجر فى بعض كتبه والظن
باله صلى الله عليه وسلم يعنى الذين ماتوا قبل البعث انهم يطيعون عند الامتحان
اكراما له صلى الله عليه وسلم لتقر عينه وقال فى الاصابة ونحن نرجوان يدخل
عبد المطلب فى جملة من يدخلها طائعا فينجوا الا ابا طالب فانه ادرك البعثة ولم
يؤمن وقد كانت ام ايمن بركة دايته وحاضنته بعد موت امه صلى الله عليه
وسلم وكان عليه الصلوة والسلام يقول لها انت امى بعد امى ومات جده عبد
المطلب كافله وله ثمان سنين وقيل ثمان سنين وشهر وعشرة ايام وقيل تسع
وقيل عشر وقيل ست وقيل ثلاث وفيه نظر وله عشر ومائة سنة وقيل مائة واربعون
سنة وكفله ابو طالب واسمه عبد مناف وكان عبد المطلب قد اوصاه بذلك لكونه
شقيق عبد الله وقد اخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال قدمت مكة وهم
فى قحط فقالت قريش يا ابا طالب اقحط الوادى واجدب العيال فهلم فاستسق
فخرج ابو طالب ومعه غلام كانه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء وحوله اغيلمة
فاخذه ابو طالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام باصبعه وما فى السماء قزعة
فاقبل السحاب من ههنا وههنا واغدق واغدودق وانفجر له الوادى واخصب

النادى والبادى وفى ذلك يقول ابو طالب

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للارامل
يلوذ به الهلاك من ال هاشم ... فهم عنده فى نعمة وفواضل

والثمال بكسر المثلثة الملجأ والغياث وقيل المطعم فى الشدة وعصمة للارامل اى
يمنعهم من الضياع والحاجة والارامل المساكين من رجال ونساء ويقال لكل واحد
من الفريقين على انفراده ارامل وهو بالنساء اخص واكثر استعمالا والواحد ارمل
وارملة وهذا البيت من ابيات فى قصيدة لابى طالب ذكرها ابن اسحق بطولها وهى
اكثر من ثمانين بيتا قالها لما تمالأت قريش على النبى صلى الله عليه وسلم ونفروا عنه
من يريد الاسلام واولها

ولما رايت القوم لا ود عندهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد جاهرونا بالعداوة والاذى ... وقد طاوعوا امر العدو المزايل
أعبد مناف انتم خير قومكم ... فلا تشركوا فى امركم كل واغل
خليلى ما اذنى لاول عاذل ... بصغواء فى حق ولا عند باطل
ولا شك ان الله رافع امره ... ومعليه فى الدنيا ويوم التجاول
كما قد راى فى النوم والامس جده ... ووالله رؤيا عمه غير آفل
فقد خفت ان لم يصلح الله امركم ... تكونوا كما كانت احاديث وائل
اعوذ برب الناس من كل طاعن ... علينا بسوء او ملح بباطل
وثور ومن ارسى ثبيرا مكانه ... وراق ليرقى فى حراء ونازل
وبالبيت حق البيت فى بطن مكة ... وبالله ان الله ليس بغافل
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا ... ولما نطاعن حوله ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن ابنائنا والحلائل

ومعنى نناضل نجادل ونخاصم وندافع ونبزى بضم النون وسكون الموحدة
آخره زاى اى نقهر ونغلب عليه قال ابن التين ان فى شعر ابى طالب هذا دليلا
على انه كان يعرف نبوة النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة لما اخبره به بحيرا وغيره
من شانه وتعقبه الحافظ ابو الفضل بن حجر بان ابن اسحق ذكر ان انشاء ابى طالب
لهذا الشعر كان بعد البعثة ومعرفة ابى طالب بنبوته صلى الله عليه وسلم جاءت
فى كثير من الاخبار وتمسك بها الشيعة فى انه كان مسلما قال ورايت لعلى بن حمزة
البصرى جزأ جمع فيه شعر ابى طالب وزعم انه كان مسلما وانه مات على الاسلام
وان الحشوية تزعم انه مات كافرا واستدل لدعواه بما لا دلالة فيه انتهى ولما

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة سنة خرج مع عمه ابي طالب الى
الشام حتى بلغ بصرى فراه بحيرا الراهب واسمه جرجيس فعرفه بصفته فقال وهو
اخذ بيده هذا سيد العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقيل له وما علمك بذلك
فقال انكم حين اشرفتم به من العقبة لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا ولا تسجد الا
لنبي واني لاعرفه بخاتم النبوة في سفل من غضروف كتفه الايسر مثل التفاحة وانا
نجده في كتبنا وسال اباطالب ان يرده خوفا عليه من اليهود الحديث رواه ابن ابي شيبة
وفيه انه صلى الله عليه وسلم اقبل وعليه غمامة تظله وبحير بفتح الموحدة وكسر
المهملة وسكون المثناة التحتية آخره راء مقصورا قال الذهبي في تجريد الصحابة
راى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعث وآمن به وذكره ابن منده وابو نعيم
في الصحابة وهذا ينبئ على تعريفهم الصحابي بمن راه صلى الله عليه وسلم هل المراد
حال النبوة او اعم من ذلك حتى يدخل من راه قبل النبوة ومات قبلها على دين الحنيفية
وهو محل نظر وسياتي البحث فيه ان شاء الله تعالى في المقصد السابع وخرج
الترمذي وحسنه والحاكم وصححه ان في هذا السفرة اقبل سبعة من الروم يقصدون
قتله عليه الصلوة والسلام فاستقبلهم بحيرا فقال ما جاء بكم فقالوا ان هذا
النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعث اليها باناس قال افرايتم امرا اراد
الله ان يقضيه هل يستطيع احد من الناس رده قالوا لا قال فبايعوه فاقاموا
معه ورده ابو طالب وبعث معه ابو بكر بلالا قال البيهقي هذه القصة مشهورة
عند اهل المغازي انتهى وضعف الذهبي الحديث لقوله في آخره وبعث معه ابو بكر
بلالا اذ ذاك لم يكن متأهلا ولا اشترى بلالا وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة الحديث
رجاله ثقاة وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة فتحمل على انها مدرجة فيه
مقتطعة من حديث آخر وهما من احد رواته وفي حديث عند البيهقي وابي نعيم ان
بحيرا راى وهو في صومعته في الركب حين اقبلوا غمامة بيضاء تظله من بين
القوم ثم اقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريبا منه فنظر الى الغمامة حين اظلت
الشجرة وتقصرت اغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل
تحتها الحديث وفيه ان بحيرا قام فاحتضنه وانه جعل يسئله عن اشياء من حاله
من نومه وهيئته واموره ويخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوافق
ذلك ما عند بحيرا من صفته وراى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته
التي عنده وتقدم ان اخته الشيماء بنت حليمة رأته في الظهيرة وغمامة تظله
اذا وقف وقفت واذا سار سارت رواه ابو نعيم وابن عساكر ولله در القائل

ان قال يوما ظللته غمامة	هي في الحقيقة تحت ظل القائل

ونقل الشيخ بدر الدين الزركشي عن بعض اهل المعرفة انه صلى الله عليه وسلم
كان معتدل الحرارة والبرودة فلا يحس بالحر ولا بالبرد وانه كان صلى الله عليه
وسلم في ظل غمامة من اعتداله كذا نقله رحمه الله تعالى واخرج ابن منده بسند
ضعيف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه صحب
النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين
سنة وهم ابو بكر الى راهب يقال له بحيرا يسئله عن شيء فقال له من الرجل الذي
في ظل الشجرة فقال له محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال هذا والله نبي ما استظل
تحتها بعد عيسى عليه الصلوة والسلام الا محمد صلى الله عليه وسلم ووقع في قلب
ابي بكر التصديق فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم اتبعه قال الحافظ ابو الفضل
ابن حجر في الاصابة ان صحت هذه القصة فهي سفرة اخرى بعد سفرة ابي طالب انتهى
ثم خرج صلى الله عليه وسلم ايضا ومعه ميسرة غلام خديجة ابنة خويلد بن
اسد في تجارة لها حتى بلغ سوق بصرى وقيل سوق حباشة بتهامة وله اذ ذاك
خمس وعشرون سنة لاربعة عشر ليلة بقيت من ذي الحجة فنزل تحت ظل شجرة فقال
نسطورا الراهب ما نزل تحت ظل هذه الشجرة الا نبي وفي رواية بعد عيسى وكان ميسرة
يرى في الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس ولما رجعوا الى مكة في ساعة الظهيرة
وخديجة في علية لها فرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره و
ملكان يظلان عليه رواه ابو نعيم وتزوج صلى الله عليه وسلم خديجة بعد
ذلك بشهرين وخمسة وعشرين يوما وقيل كان سنه احدى وعشرين سنة وقيل
ثلثين سنة وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة وكانت تحت ابي هالة بن زرارة
التميمي فولدت له هندا وهالة وهما ذكران ثم تزوجها عتيق بن عائذ المخزومي
فولدت له هند وكان لها حين تزوجها بالنبي صلى الله عليه وسلم من العمر
اربعون سنة وبعض اخرى وكانت عرضت نفسها عليه فذكر ذلك لاعمامه فخرج
معه منهم حمزة حتى دخل على خويلد بن اسد فخطبها اليه فتزوجها عليه الصلوة
والسلام واصدقها عشرين بكرة وحضر ابو بكر ورؤسا مضر فخطب ابو طالب
فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر
مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا
وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا
رجح به فان كان في المال قل فان المال ظل زائل وامر حائل ومحمد ممن قد عرفتم قرابته

وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي
كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل فزوجها والضبضي الاصل
وحضنة بيته اى الكافلين له والقائمين بخدمته وسواس حرمه اى متولوا امره قال
ابن اسحق وزوجه اياها خويلد وقد ذكر الدولابي وغيره ان النبي صلى الله
عليه وسلم اصدق خديجة اثنتى عشرة اوقية ذهبا ونشا قالوا وكل اوقية
اربعون درهما والنش نصف اوقية ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
خمسا وثلثين سنة خافت قريش ان تنهدم الكعبة من السيول فامروا باقوم
بموحدة فالف فقاف مضمومة فواو ساكنة فميم النجار القبطي مولى سعيد بن
العاص بان يبنى الكعبة المعظمة وحضر صلى الله عليه وسلم وكان ينقل معهم
الحجارة وكانوا يضعون ازرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة ففعل ذلك
صلى الله عليه وسلم فلبط به بالموحدة كعني اى سقط من قيام كما في القاموس
ونودي عورتك وكان ذلك اول ما نودي فقال له ابو طالب او العباس
يا ابن اخي اجعل ازارك على راسك فقال ما اصابني ما اصابني الا من التعري
ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين سنة وقيل واربعين يوما
وقيل وعشرة ايام وقيل وشهرين يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان
وقيل لسبع وقيل لاربع وعشرين ليلة وقال ابن عبد البر يوم الاثنين لثمان
من ربيع الاول سنة احدى واربعين من الفيل وقيل في اول ربيع بعثه
الله رحمة للعالمين ورسولا الى كافة الثقلين اجمعين ويشهد لبعثته يوم
الاثنين ما رواه مسلم عن ابي قتادة انه صلى الله عليه وسلم سئل عن يوم الاثنين
فقال فيه ولدت وفيه انزل علي وقال ابن القيم في الهدي النبوي واحتج القائلون
بانه كان في رمضان بقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن قالوا
اول ما اكرمه الله بنبوته انزل عليه القرآن وقال الآخرون انما انزل القرآن جملة
واحدة في ليلة القدر الى بيت العزة ثم نزل نجوما بحسب الوقايع في ثلاث وعشرين
سنة وقيل كان ابتداء المبعث في رجب وروى البخاري في التعبير من حديث عائشة
رضي الله تعالى عنها اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي
الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وكان
ياتي حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع
الى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال
اقرأ فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ

فقلت

فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال
اقرأ فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني
فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى
ذهب عنه الروع فقال يا خديجة ما لي واخبرها الخبر ثم قال قد خشيت على نفسي
فقالت له كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث
وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى اتت
ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة اخي ابيها وكان
امرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب بالعربية من الانجيل ما
شاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة اي ابن عم اسمع من
ابن اخيك فقال له ورقة ابن اخي ما ترى فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم ما
رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي كان انزل على موسى يا ليتني فيها جذعا
اكون حيا حين يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي
هم فقال ورقة نعم لم يات رجل قط بما جئت به الا عودي وان يدركني يومك
انصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن
النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤس
شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال
يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر نفسه فيرجع فاذا اوفى
بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك وقد تكلم العلماء في معنى قوله
صلى الله عليه وسلم لخديجة قد خشيت على نفسي فذهب الاسماعيلي الى ان هذه
الخشية كانت منه قبل ان يحصل له العلم الضروري بان الذي جاءه ملك من عند
الله وكان اشق شيء عليه ان يقال عليه مجنون وقيل ان خشيته كانت من قومه ان
يقتلوه ولا غرو فانه بشر يخشى من القتل والاذية كما يخشى البشر وقوله ما انا بقارئ
اي انا امي فلا اقرأ الكتب وقال القاضي عياض وغيره انما ابتدئ صلى الله عليه
وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا يحتملها قوى
البشرية فبدئ باوائل خصال النبوة وتباشر الكرامة انتهى فان قلت لم كرر
قوله ما انا بقارئ ثلاثا اجاب ابو شامة كما في فتح الباري بان يحمل قوله اولا
ما انا بقارئ على الامتناع وثانيا على الاخبار بالنفي المحض وثالثا على الاستفهام
والحكمة في الغط ثلاثا شغله عن الالتفات لشيء آخر واظهار الشدة والجد تنبيها

في الامر على ثقل القول الذي سيلقى اليه وقيل ابعادا لظن التخيل والوسوسة لانهما
ليسا من صفات الجسم فلما وقع ذلك بجسمه علم انه من امر الله فان قلت من اين عرف
صلى الله عليه وسلم ان جبريل ملك من عند الله وليس من الجن فالجواب من وجهين
احدهما ان الله تعالى اظهر على يدي جبريل عليه الصلوة والسلام معجزات عرفه
بها كما اظهر الله تعالى على يدي محمد صلى الله عليه وسلم معجزات عرفناه بها وثانيهما
ان الله تعالى خلق في محمد صلى الله عليه وسلم علما ضروريا بان جبريل من عند
الله ملك لا جني ولا شيطان كما ان الله تعالى خلق في جبريل علما ضروريا ان المتكلم
معه هو الله تعالى وان المرسل له ربه تعالى لا غيره وقول ورقة ياليتني فيها جذعا
الضمير للنبوة اي ليتني كنت شابا عند ظهورها حتى ابالغ في نصرتها وحمايتها
واصل الجذع من اسنان الدواب وهو ما كان منها شابا فتيا والخرج البيهقي
من طريق العلاء بن حارثة الثقفي عن بعض اهل العلم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين اراد الله تعالى كرامته وابتداءه بالنبوة كان لا يمر بحجر ولا شجر
الا سلم عليه وسمع منه فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه وعن
يمينه وعن شماله فلا يرى الا الشجر وما حوله من الحجارة وهي تحييه بتحية النبوة
السلام عليك يا رسول الله الحديث وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن
يميني فلم ار شيئا ونظرت عن شمالي فلم ار شيئا ونظرت من خلفي فلم ار شيئا فرفعت
راسي فرايت شيئا فلم اثبت له فاتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا
فنزلت يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر الاية وذلك قبل ان تفرض الصلوة رواه
البخاري ومسلم والترمذي ولم يكن جواره صلى الله عليه وسلم لطلب النبوة لانها
اجل من ان تنال بالطلب والاكتساب وانما هي موهبة من الله تعالى وخصوصية
يخص بها من يشاء من عباده والله اعلم حيث يجعل رسالته ولم تكن الرجفة المذكورة خوفا
من جبريل عليه الصلوة والسلام فانه صلى الله عليه وسلم اجل من ذلك واثبت
جنانا وانما رجف غبطة بحاله واقباله على الله عز وجل فخشي ان تشتغل بغير الله
عن الله وقيل خاف من ثقل اعباء النبوة وفي رواية البيهقي في الدلائل ان خديجة
قالت لابي بكر يا عتيق اذهب به الى ورقة فاخذ ابو بكر فقص عليه ما راى فقال
صلى الله عليه وسلم اذا خلوت وحدي سمعت نداء يا محمد يا محمد فانطلق
هاربا فقال لا تفعل اذا قال فاثبت حتى تسمع ثم ائتني فاخبرني فلما خلا ناداه يا محمد
فثبت فقال قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى آخرها ثم قال

قل لا اله الا الله الحديث واحتج به من قال باولية نزول الفاتحة والصحيح
ان اول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم من القرآن اقرأ كما صح ذلك عن عائشة
وروي ذلك عن ابي موسى الاشعري وعبيد بن عمير قال النووي وهو الصواب
الذي عليه جماهير السلف واما ما روي عن جابر وغيره ان اول ما نزل يا ايها
المدثر فقال النووي ضعيف بل باطل وانما نزلت بعد فترة الوحي واما حديث
البيهقي انه الفاتحة كقول بعض المفسرين فقال البيهقي هذا منقطع فان كان
محفوظا فيحتمل ان يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزلت عليه اقرأ باسم ربك
ويا ايها المدثر وقال النووي بعد ذكر هذا القول بطلانه اظهر من ان يذكر انتهى
وقد روي ان جبرائيل عليه الصلوة والسلام اول ما نزل بالقرآن على النبي صلى
الله عليه وسلم امره بالاستعاذة كما رواه الامام ابو جعفر بن جرير عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال اول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال يا محمد
استعذ قال استعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله
الرحمن الرحيم ثم قال اقرأ باسم ربك الذي خلق وقال عبد الله هي اول سورة
انزلها على محمد صلى الله عليه وسلم قال الحافظ عماد الدين ابن كثير بعد ان ذكره
وهذا الاثر غريب وانما ذكرناه ليعرف فان في اسناده ضعفا وانقطاعا والله
اعلم وقد اورد ابن ابي جمرة سؤالا وهو انه لما اختص صلى الله عليه وسلم بغار
حرا فكان يخلو فيه ويتحنث دون غيره من المواضع واجاب بان هذا الغار
له فضل زائد على غيره من جهة انه منزو مجموع لتحنثه وهو يبصر بيت ربه
والنظر الى البيت عبادة فكان له فيه اجتماع ثلاث عبادات الخلوة والتحنث
والنظر الى البيت وغيره ليس فيه هذه الثلاث ولله در المرجاني حيث قال في فضائل

حراء وما اختص به

تأمل حراء في جمال محياه … فكم من اناس من حلا حسنه تاهوا
فمما حوى من جا لعلياه زائرا … يفرج عنه الهم في حال مرقاه
به خلوة الهادي الشفيع محمد … وفيه له غار له كان يرقاه
وقبلته للقدس كانت بغاره … وفيه اتاه الوحي في حال مبداه
وفيه تجلى الروح في الموقف الذي … به الله في وقت ابتداه سواه
وتحت تخوم الارض في السبع اصله … ومن بعد هذا اهتز بالسفل اعلاه
ولما تجلى الله قدس ذكره … لطور تشظى فهو احدى شظاياه
ومنها ثبير ثم ثور بمكة … كذا قد اتى في نقل تاريخ مبداه

وفي طيبة ايضا ثلاث فعدها ... فعير و ورقانا واحد وبناه
ويقبل فيه ساعة الظهر من دعا ... به وبناذي من دعا فاجبناه
وفي احد الاقوال في عقبة حرا ... اني ثم قابيل لهابيل غشاه
ومما حوى بيتًا حوته صخوره ... من التبرآء كسيرًا يقام سبكناه
سمعت به تسبيحها غير مرة ... واسمعته جمعًا فقالوا سمعناه
به مركز النور الالهي مثبتا ... فلله ما احلى مقاما باعلاه

وروى ابو نعيم ان جبريل وميكائيل شقا صدره وغسلاه ثم قالا اقرا باسم ربك
الايات الحديث وفيه قال ورقة ابشر فانا اشهد انك الذي بشر به ابن مريم وانك
ايضا على مثل ناموس موسى وانك نبي مرسل وكذا روى شق صدره الشريف هنا
الطيالسي والحارث في مسنديهما والحكمة فيه ليتلقى النبي صلى الله عليه وسلم ما
يوحى اليه بقلب قوي في اكمل الاحوال من التطهير قال ابن القيم وغيره وكمل الله تعالى
له عليه الصلوة والسلام من الوحي مراتب عديدة احديها الرؤيا الصادقة
فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح الثانية ما كان يلقيه الملك في روعه
وقلبه من غير ان يراه كما قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي
لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب الحديث رواه ابن ابي
الدنيا في القناعة وصححه الحاكم والروع بضم الرآء اي نفسي وروح القدس اي
جبريل عليه السلام الثالثة كان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه حتى يعي عنه
ما يقول له فقد كان ياتيه في صورة دحية الكلبي رواه النسائي بسند صحيح
من حديث ابن عمر قلت وكان دحية جميلا وسيما اذا قدم لتجارة خرجت الظعن
لتراه فان قلت اذا لقي جبريل النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية فاين
تكون روحه فان كانت في الجسد الذي له ستمائة جناح فالذي اتى لا روح جبريل
ولا جسده وان كان في هذا الذي هو في صورة دحيه فهل يموت الجسد العظيم
ام يبقى خاليا عن الروح المنتقلة عنه الى الجسد المشبه بجسد دحية اجيب
كما ذكره العيني بانه لا يبعد ان لا يكون انتقالها موجب موته فيبقى الجسد حيا
لا ينقص من معارفه شيء ويكون انتقال روحه الى الجسد الثاني كانتقال ارواح
الشهداء الى اجواف طير خضر وموت الاجساد بمفارقة الارواح ليس بواجب عقلا
بل بعادة اجراها الله تعالى في بني ادم فلا تلزم في غيرهم انتهى الرابعة كان ياتيه في
مثل صلصلة الجرس وكان اشده عليه حتى ان جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد
البرد حتى ان راحلته لتبرك به في الارض ولقد جاءه الوحي مرة كذلك وفخذه على

فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها قلت وروى الطبراني عن زيد
ابن ثابت قال كنت اكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا نزل عليه
اخذته برحاء شديدة وعرق عرقا شديدا مثل الجمان ثم سري عنه وكنت اكتب
وهو يملي علي فما افرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القران حتى اقول لا امشي على رجل
ابدا ولما نزلت عليه سورة المائدة كادت ان تنكسر عضد ناقته من ثقل السورة رواه
احمد والبيهقي في الشعب الخامسة ان يرى الملك في صورته التي خلق عليها له ستمائة
جناح فيوحي اليه ما شاء الله ان يوحيه وهذا وقع له مرتين كما في سورة النجم
السادسة ما اوحاه الله اليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها
السابعة كلام الله له منه اليه بلا واسطة ملك كما كلم الله موسى قال وزاد
بعضهم مرتبة ثامنة وهي تكليم الله له كفاحا بغير حجاب انتهى قال شيخ الاسلام
الولي ابن العراقي وكان ابن القيم اخذ ذلك من روض السهيلي لكنه لم يذكر نزول
اسرافيل اليه بكلمات من الوحي قبل جبريل فقد ثبت في الطرق الصحاح عن عامر
الشعبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يتراءى له ثلاث
سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ثم وكل به جبريل فجاءه بالقران واما قوله
اعني ابن القيم السادسة ما اوحاه الله اليه فوق السموات يعني ليلة المعراج
السابعة كلام الله بلا واسطة فان اراد ما اوحاه اليه جبريل فهو داخل فيما
تقدم لانه انما يكون جبريل في تلك الحالة على صورته الاصلية او على صورة
الادمي وكلاهما قد تقدم ذكره وان اراد وحي الله بلا واسطة وهو الظاهر فهي
الصورة بعدها واما قوله وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي تكليم الله له
كفاحا من غير حجاب فهذا على مذهب من يقول انه صلى الله عليه وسلم رأى ربه
تعالى وهي مسئلة خلاف يأتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى ويحتمل ان ابن القيم
رحمه الله تعالى اراد بالمرتبة الثامنة وحي جبريل وغاير بينه وبين ما قبله
باعتبار محل الايحاء اي كونه فوق السموات بخلاف ما تقدم فانه كان في الارض
ولا يقال يلزم عليه ان تتعدد اقسام الوحي باعتبار البقعة التي جاء فيها جبريل
الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو غير ممكن لانا نقول الوحي الحاصل في السماء
باعتبار ما في تلك المشاهد من الغيب نوع غير الارض على اختلاف بقاعها انتهى
قلت ويزاد ايضا كلام الله تعالى له في المنام كما في حديث الترمذي اتاني ربي في
احسن صورة فقال يا محمد اتدري فيما يختصم الملأ الاعلى الحديث ثم مرتبة
اخرى وهي العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد في الاحكام

لانه اتفقوا انه عليه الصلوة والسلام اذا اجتهد اصاب قطعا وكان معصوما من الخطأ وهذا خرق للعادة في حقه دون سائر الامة وهو يفارق النفث في الروع من حيث حصوله بالاجتهاد والنفث بدونه ومرتبة اخرى وهي مجيء جبريل في صورة رجل غير دحية لان دحية كان معروفا عندهم ذكره ابن المنير وان كانت داخلة في المرتبة الثالثة التي ذكرها ابن القيم وذكر الحليمي ان الوحي كان ياتيه على ستة واربعين نوعا فذكرها وغالبها[2] كما في فتح الباري من صفات حامل الوحي ومجموعها يدخل فيما ذكر والله اعلم وذكر ابن المنير ان الحال كان يختلف في الوحي باختلاف مقتضاه فان نزل بوعد وبشارة نزل الملك بصورة الآدمي وخاطبه من غير كد وان نزل بوعد ونذارة كان حينئذ كصلصلة الجرس . وقد ذكر ابن عادل في تفسيره ان جبريل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم اربعة وعشرين الف مرة ونزل على ادم اثنتي عشرة مرة وعلى ادريس اربع مرات وعلى نوح خمسين مرة وعلى ابراهيم اثنين واربعين مرة وعلى موسى اربع مائة مرة وعلى عيسى عشر مرات كذا قال رحمه الله وقد روي ان جبريل تبدا له صلى الله عليه وسلم في احسن صورة واطيب رائحة فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك انت رسول الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ثم امره ان يتوضأ وقام جبريل يصلي وامره ان يصلي معه وعلمه الوضوء والصلوة ثم عرج الى السماء ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله حتى اتى خديجة فاخبرها فغشي عليها من الفرح ثم امرها فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل فكان ذلك اول فرضها ركعتين ثم ان الله اقرها في السفر كذلك واتمها في الحضر وقال مقاتل كانت الصلوة اول فرضها[4] ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي لقوله تعالى وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار وقال في فتح الباري كان صلى الله عليه وسلم قبل الاسرى يصلي قطعا وكذلك اصحابه ولكن اختلف هل افترض عليه قبل الخمس شيء من الصلوة ام لا فقيل ان الفرض كان صلوة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها[5] انتهى قال النووي اول ما وجب الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض الله من قيام الليل ما ذكره في اول سورة المزمل ثم نسخه بما في اخرها ثم نسخه بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسرى بمكة واما ما ذكره في هذه الرواية من ان جبريل علمه الوضوء وامره به فيدل على ان فريضة الوضوء كانت قبل الاسرى ثم فتر الوحي فترة حتى شق عليه واحزنه

تقف على ان نزول جبريل عليه السلام كان يختلف

وفترة الوحي عبارة عن تاخره مدة من الزمان وكان ذلك ليذهب عنه ما كان يجد عليه الصلوة والسلام من الروع وليحصل له الشوق الى العود وكانت مدة فتر الوحي ثلاث سنين كما جزم به ابن اسحق وفي تاريخ الامام احمد ويعقوب بن سفيان عن الشعبي انزلت عليه النبوة وهو ابن اربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل عليه القرآن على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل عليه القران على لسانه عشرين سنة وكذا رواه ابن سعد والبيهقي فقد تبين ان نبوته صلى الله عليه وسلم كانت متقدمة على رسالته كما قاله ابو عمر وغيره كما حكاه ابو امامة ابن النقاش فكان في نزول سورة اقرأ نبوته ونزول سورة المدثر ارساله بالنذارة والبشارة والتشريع وهذا قطعا متأخر عن الاول لانه لما كانت سورة اقرأ متضمنة لذكر اطوار الادمي من الخلق والتعليم والافهام ناسب ان تكون اول سورة انزلت وهذا هو الترتيب الطبيعي وهو ان يذكر سبحانه وتعالى بما اسداه الى نبيه عليه الصلوة والسلام من العلم والفهم والحكمة والنبوة ويمن عليه بذلك في معرض تعريف عباده بما اسداه اليه من نعمة البيان الفهمي والنطقي والخطي ثم امره سبحانه وتعالى بان يقوم فينذر عباده وكان اول من امن بالله وصدق صديقة النساء خديجة فقامت باعباء الصديقية قال لها صلى الله عليه وسلم خشيت على نفسي فقالت له ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا ثم استدلت بما فيه من الصفات والاخلاق والشيم على ان من كان كذلك لا يخزى ابدا وكان اول ذكر من بعدها صديق الامة و اسبقها الى الاسلام ابو بكر فآزره في الله وعن ابن عباس انه اول الناس اسلاما واستشهد

بقول حسان ابن ثابت

اذا تذكرت شجوا من اخي ثقة ... فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا

خير البرية اتقاها واعدلها ... بعد النبي واوفاها بما حملا

والثاني التالي المحمود مشهده ... واول الناس قد ما صدق الرسلا

رواه ابو عمر وممن وافق ابن عباس وحسانا على ان الصديق اول الناس اسلاما اسماء بنت ابي بكر والنخعي وابن الماجشون ومحمد بن المنكدر والاخنس وقيل ان عليا ابن ابي طالب اسلم بعد خديجة وكانت في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا تكون اول من اسلم من الرجال ابو بكر ويكون علي اول صبي اسلم لانه كان صبيا لم يدرك ولذا قال سبقتكم الى الاسلام طرا صغيرا ما بلغت اوان حلمي وكان سن علي اذ ذاك عشر سنين فيما حكاه الطبري وقال ابو عمر وممن ذهب الى ان عليا اول من اسلم من الرجال

سلمان وابوذر والمقداد وخباب وجابر وابو سعيد الخدري وزيد بن ارقم
وهو قول ابن شهاب وقتادة وغيرهم قال واتفقوا على ان خديجة اول من اسلم
مطلقا وقيل اول رجل اسلم ورقة بن نوفل ومن يمنع يدعى انه ادرك نبوته عليه
الصلوة والسلام لا رسالته لكن جاء في السير وهو في رواية ابي نعيم المتقدمة
انه قال ابشر فانا اشهد انك الذي بشر به ابن مريم وانك على مثل ناموس موسى
وانك نبي مرسل وانك ستؤمر بالجهاد وان ادرك ذلك لاجاهدن معك
فهذا تصريح منه بتصديقه برسالة محمد صلى الله عليه وسلم قال البلقيني
بل يكون بذلك اول من اسلم من الرجال وبه قال العراقي في نكته على ابن الصلاح و
ذكره ابن مندة في الصحابة وحكى العراقي كون علي اول من اسلم عن اكثر الصحابة
وحكى ابن عبد البر الاتفاق عليه وادعى الثعلبي اتفاق العلماء على ان اول من
اسلم خديجة وانما اختلافهم انما هو في اول من اسلم بعدها **قال** ابن الصلاح
والاورع ان يقال اول من اسلم من الرجال الاحرار ابو بكر ومن الصبيان الاحداث
علي ومن النساء خديجة ومن الموالي زيد ومن العبيد بلال انتهى والله اعلم
وقال الطبري الاولى التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها فيقال اول من اسلم
مطلقا خديجة واول ذكر اسلم علي بن ابي طالب وهو صبي لم يبلغ وكان مستخفيا
باسلامه واول رجل عربي بالغ اسلم واظهر اسلامه ابو بكر بن ابي قحافة واول
من اسلم من الموالي زيد قال وهذا متفق عليه لاخلاف فيه وعليه يحمل قول من
قال اول من اسلم من الرجال ابو بكر اي الرجال البالغين الاحرار ويؤيد هذا ما
روي عن الحسن بن علي بن ابي طالب قال ان ابا بكر سبقني الى اربع لم اوتهن
سبقني الى افشاء السلام وقدم الهجرة ومصاحبته في الغار واقام الصلوة
وانا يومئذ بالشعب يظهر اسلامه واخفيه الحديث خرجه صاحب فضائل
ابي بكر وخيثمة بمعناه **واما** ما روي من صحبة الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم
وهو ابن ثمانية عشر سنة وهم يريدون الشام في تجارة وحديث بحيرا وانه
وقع في قلب ابي بكر اليقين **وقول** ميمون ابن مهران والله لقد امن ابو بكر بالنبي
صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا فالمراد بهذا الايمان اليقين بصدقه وهو
ما وقر في قلبه والا فالنبي صلى الله عليه وسلم تزوج خديجة وسافر الى الشام
قبل المبعث ثم اسلم بعد زيد بن حارثة عثمان بن عفان والزبير ابن العوام و
عبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله بدعاء ابي بكر الصديق
فجاء بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له فاسلموا وصلوا

ثم اسلم ابو عبيدة عامر بن الجراح وابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بعد تسعة انفس
والارقم بن ابي الارقم المخزومي وعثمان ابن مظعون الجمحي واخواه قدامة وعبد الله
وعبيدة ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وامرأته
فاطمة بنت الخطاب **وقال** ابن سعد اول امرأة اسلمت بعد خديجة ام الفضل زوج
العباس واسماء بنت ابي بكر وعائشة اختها كذا قاله ابن اسحق وغيره وهو وهم لم تكن
عائشة ولدت بعد فكيف اسلمت وكان مولدها سنة اربع من النبوة قاله مغلطاي
وغيره ودخل الناس في الاسلام ارسالا من الرجال والنساء ثم ان الله تعالى امر رسوله
صلى الله عليه وسلم بان يصدع بما جاء به اي يواجه المشركين به وقال مجاهد هو
الجهر بالقران في الصلوة وقال ابو عبيدة ابن عبد الله بن مسعود ما زال النبي صلى
الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت فاصدع بما تؤمر فجهر هو واصحابه وقال
البيضاوي فاصدع بما تؤمر من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق به بين الحق
والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف
اي بما تؤمر به من الشرايع انتهى قالوا وكان ذلك بعد ثلاث سنين من النبوة وهي
المدة التي اخفى الله رسول صلى الله عليه وسلم امره الى ان امره الله تعالى باظهاره
فبادى قومه بالاسلام وصدع به كما امر الله تعالى ولم يبعد منه قومه ولم
يردوا عليه حتى ذكر الهتهم وعابها وكان ذلك في سنة اربع كما قاله العتقي
فاجمعوا على خلافه وعداوته الا من عصم الله منهم بالاسلام وحدب عليه
عمه ابو طالب ومنعه وقام دونه فاشتد الامر وتضارب القوم واظهر بعضهم
لبعض العداوة وتذامرت قريش على من اسلم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم
ومنع الله رسوله منهم بعمه ابي طالب وبني هاشم غير ابي لهب وبني المطلب
وقال مقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابي طالب يدعوه الى الاسلام
فاجتمعت قريش الى ابي طالب يريدون بالنبي صلى الله عليه وسلم سوءا فقال ابو طالب
حين تروح الابل فان حنت ناقة الى غير فصيلها دفعته اليكم وقال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ... حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ... وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لا محالة انه ... من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذاري سبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف على الناس في منازلهم يقول يا ايها

الناس ان الله يامركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وابولهب وراه يقول يايها
الناس ان هذا يامركم ان تتركوا دين ابائكم ورماه الوليد بن المغيرة بالسحر وتبعه
قومه على ذلك وآذته قريش ورمته بالشعر والكهانة والجنون ومنهم من كان
يحثوا التراب على رأسه ويجعل الدم على بابه ووطئ عقبة بن ابي مُعَيط على رقبته
الشريفة وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقوه خنقا
شديدًا فقام ابوبكر دونه فجذبوا راسه ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام
ابوبكر دونه وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقال ابن عُمر كما في البخارى
بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذا قبل عقبة بن ابي مُعَيط
فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلف ثوبه في عنقه فخنقه خنقا
شديدا فجاء ابوبكر واخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي رواية ثم قال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد ذكر العلماء ان ابا بكر
افضل من مؤمن آل فرعون لان ذلك قتصر حيث انتصر على اللسان واما ابوبكر
رضي الله فاتبع اللسان يدًا ونصر بالقول والفعل محمدا صلى الله عليه وسلم
وفي رواية البخارى ايضا كان صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة وجمع من
قريش في مجالسهم اذ قال قائل منهم الا تنظرون الى هذا المرآئي ايكم تقوم الى
جزور آل فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى يسجد
وضعه بين كتفيه فانبعث اشقاهم فلما سجد صلى الله عليه وسلم وضعه
بين كتفيه وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا فضحكوا حتى مال بعضهم
على بعض من الضحك فانطلق منطلق الى فاطمة وهي جويرية فاقبلت تسعى وثبت
النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى لقته عنه واقبلت عليهم تسبهم فلما
قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة اللهم عليك بقريش ثم سمى فقال
اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد
بن عتبة وامية ابن خلف وعقبة بن ابي معيط وعمارة بن الوليد قال عبد الله
فوالله لقد رايتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم واتبع اصحاب القليب لعنة واستدل بهذا الحديث
على ان من عرض له في صلاته ما يمنع انعقادها ابتداء لا تبطل صلاته فلو كانت
نجاسة فازالها في الحال ولا اثر لها صحت صلاته اتفاقا واستدل به ايضا على
طهارة فرث ما يؤكل لحمه وعلى ان ازالة النجاسة ليست بفرض وهو ضعيف
واجاب النووي بانه عليه الصلوة والسلام لم يعلم ما وضع على ظهره فاستمر

في سجوده استصحابا لاصل الطهارة وتعقب بانه مشكل على قولنا بوجوب الاعادة
في مسئلة هذه الصورة واجيب عنه بان الاعادة انما تجب في الفريضة وان ثبت
انها فريضة فالوقت موسع فلعله اعاد وتعقب بانه لو اعاد لنقل ولم ينقل
وبان الله لا يقره على صلوة فاسدة وقد استشكل بعضهم عد عمارة بن الوليد
في المذكورين لانه لم يقتل ببدر بل ذكر اصحاب المغازي انه مات بارض الحبشة وله
قصة مع النجاشي اذ تعرض لامرأته فامر النجاشي ساحرًا فنفخ في احليل عمارة من سحره
عقوبة له فتوحش وصار مع البهائم الى ان مات في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه
واجيب بان كلام ابن مسعود انه راهم صرعى في القليب محمول على الاكثر ويدل عليه
ان عقبة بن ابي معيط لم يطرح في القليب وانما قتل صبرا بعد ان رحلوا على بدر مرحلة
وامية بن خلف لم يطرح في القليب كما سياتي ان شاء الله تعالى وقوله ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع اهل القليب لعنة يحتمل ان يكون من تمام
الدعاء الماضي فيكون فيه علم عظيم من اعلام النبوة ويحتمل ان يكون قاله صلى
الله عليه وسلم بعد ان القوا في القليب ثم اسلم حمزة بن عبد المطلب وكان اعز
فتى في قريش واشده شكيمة وكان اسلامه فيما قاله العتقي سنة ست فعزّ به
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفت عنه قريش قليلا • وقال حمزة حين اسلم

حمدت الله حين هدى فؤادي • الى الاسلام والدين الحنيف •
لدين جاء من ربٍ عزيز • خبير بالعباد بهم لطيف •
اذا تُليت رسائله علينا • تحدّر دمع ذي اللب الحصيف •
رسائل جاء احمدُ من هداها • بايات مبينة الحروف •
واحمدُ مصطفى فينا مطاع • فلا تغشوه بالقول العنيف •
فلا والله نُسلمه لقوم • ولما نقض فيهم بالسيوف •

وعند مغلطاي وسالوه يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تطلب الشرف
فينا فنحن نسودك علينا وان كنت مُلكا تريد ملكناك علينا وان كان هذا الذي
ياتيك رئيًا قد غلب عليك بذلنا اموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه او
نعذر فيك فقال لهم عليه الصلوة والسلام ما بي ما تقولون ولكن الله بعثني
رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرًا ونذيرًا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت
لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوا علي اصبر
لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم والرَّئي بفتح الراء وقد تكسر ثم همزة وياء مشددة
جني يرى فيحب او المكسور المحبوب منها قاله في القاموس ثم ان النضر بن الحارث

قد عا اسلام حمزة رضي الله تعالى عنه

وعقبة ابن ابى معيط ذهبا الى احبار يهود فسالاهم عنه صلى الله عليه وسلم
فقالوا لهما سلاه عن ثلاثة فان اخبركم عنهن فهو نبى مرسل وان لم يفعل فهو متقول
سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول وعن رجل طواف وعن الروح ما هو فقال
لهم عليه الصلوة والسلام اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحى اياما
ثم نزل قوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وانزل الله
ذكر الفتية الذين ذهبوا وهم اصحاب الكهف وذكر الرجل الطواف وهو ذو القرنين
وقال فيما سالوه عن الروح ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربى الآية وفى
البخارى من حديث عبد الله بن مسعود قال بينا انا مع النبى صلى الله عليه وسلم
فى حرث وهو متكئ على عسيب اذ مر به اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح
قالوا ما رابكم اليه وقال بعضهم لا يستقبلنكم بشئ تكرهونه فقال اسئلوه فسالوه
عن الروح فامسك النبى صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيئا فعلمت انه يوحى اليه فقمت
مقامى فلما نزل الوحى قال ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربى قال الحافظ
بن كثير وهذا يقتضى فيما يظهر من بادى الرأى ان هذه اية مدنية وانها انما نزلت
حين ساله اليهود عن ذلك بالمدينة مع ان السورة كلها مكية وقد يجاب عن
هذا بانه قد يكون نزلت عليه مرة ثانية بالمدينة كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك
ومما يدل على نزولها بمكة ما روى الامام احمد من حديث ابن عباس رضى الله
عنهما قال قالت قريش ليهود اعطونا شيئا نسئل عنه هذا الرجل فقالوا اسئلوه
عن الروح فسالوه فنزلت الحديث انتهى وهذا الحديث رواه الترمذى ايضا
باسناد رجاله رجال مسلم فيحمل على تعدد النزول كما اشار اليه ابن كثير ويحمل
سكوته فى المرة على توقع مزيد بيان فى ذلك وقد اختلف فى المراد بالروح المسئول
عنه فى هذا الخبر فقيل روح الانسان وقيل جبريل وقيل عيسى وقيل ملك يقوم
وحده صفا يوم القيمة وقيل غير ذلك وقال القرطبى الراجح انهم سالوه عن روح
الانسان لان اليهود لا تعترف بان عيسى روح الله ولا تجهل ان جبريل ملك
وان الملئكة ارواح وقال الامام فخر الدين المختار انهم سالوه عن الروح الذى
هو سبب الحياة وان الجواب وقع على احسن الوجوه وبيانه ان السؤال عن
الروح يحتمل عن ماهيتها وهل هى متحيزة ام لا وهل هى حالة فى متحيز ام لا وهل
قديمة او حادثة وهل تبقى بعد انفصالها فى الجسد او تفنى وما حقيقة تعذيبها
وتنعيمها وغير ذلك من متعلقاتها قال وليس فى السؤال ما يخصص احد هذه
المعانى الا ان الاظهر انهم سالوه عن الماهية وهل الروح قديمة او حادثة

والجواب

والجواب يدل على انها شئ موجود مغاير للطبايع والاخلاط وتركيبها فهى جوهر
بسيط مجرد لا يحدث الا بمحدث وهو قوله تعالى كن فكان قال هى موجودة محدثة
بامر الله وتكوينه ولها تاثير فى افادة الحيوة للجسد ولا يلزم من عدم العلم بكيفيتها
المخصوصة نفيه قال ويحتمل ان يكون المراد فى قوله تعالى من امر ربى الفعل كقوله
تعالى وما امر فرعون برشيد اى فعله فيكون الجواب انها حادثة ثم قال وقد سكت
السلف عن البحث فى هذه الاشياء والتعمق فيها انتهى وقال فى فتح البارى وقد
تنطع قوم فتباينت اقوالهم فقيل هى النفس الداخل الخارج وقيل جسم لطيف يحل
فى جميع البدن وقيل هى الدم وقيل ان الاقوال فيها بلغت المائة ونقل ابن مندة
عن بعض المتكلمين ان لكل نبى خمسة ارواح ولكل مومن ثلثة وقال ابن العربى
اختلفوا فى الروح والنفس فقيل متغايران وهو الحق وقيل هما شئ واحد قال وقد
يعتبر بالروح عن النفس وبالعكس وقال ابن بطال معرفة حقيقة الروح مما استاثر
الله بعلمه بدليل هذا الخبر قال والحكمة فى ابهامه افتقار الخلق ليعرفهم عجزهم
عن علم ما لا يدركونه حتى يضطرهم الى رد العلم اليه وقال القرطبى الحكمة فى ذلك
اظهار عجز المرء لانه اذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن
ادراك حقيقة الحق من باب اولى وقال بعضهم ليس فى الآية حقيقة دلالة
على ان الله تعالى لم يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على حقيقة الروح بل يحتمل
ان يكون اطلعه ولم يامره ان يطلعهم وقد قالوا فى علم الساعة نحو هذا فالله
اعلم انتهى ملخصا ولما كثر المسلمون وظهر الايمان اقبل كفار قريش على من امن
يعذبونهم ويوذونهم ليردوهم عن دينهم حتى انه مر عدو الله ابو جهل بسمية
ام عمار بن ياسر وهى تعذب فطعنها بحربة فى فرجها فقتلها وكان الصديق
رضى الله عنه اذا مر باحد من العبيد يعذب اشتراه منهم واعتقه منهم بلال
وعامر بن فهيرة وعن ابى ذر كان اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمار وامه سمية وصهيب وبلال والمقداد
فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه ابى طالب واما ابو بكر
فمنعه الله تعالى بقومه واما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم ادراع الحديد
وصهروهم فى الشمس وان بلالا هانت عليه نفسه فى الله عز وجل وهان على
قومه فاخذوه فاعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول
احد احد رواه احمد فى مسنده وعن مجاهد مثله وزاد فى قصة بلال وجعلوا
فى عنقه حبلا ودفعوه الى الصبيان يلعبون به حتى اثر الحبل فى عنقه فانظر

كيف فعل ببلال ما فعل من الاكراه على الكفر وهو يقول احد احد فمزج مرارة العذاب بحلاوة
الايمان وهذا كما وقع له ايضا عند موته كانت امرأته تقول واحرباه وهو يقول
واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء ولله در

ابى محمد الشقراطيسى حيث قال

لاقى بلال من امية قد * اهله الصبر فيه اكرم النزل
اذا اجهدوه بضنك الاسر وهو على * شدائدا لازر ثبت الازر لم يزل
القوه بطحا برمضاء البطاح وقد * هالوا عليه صخورا جمة الثقل
فوحد الله اخلاصا وقد ظهرت * بظهره كندوب الطل فى الظلل
ان قد ظهره ولى الله من دبره * قد قد قلب عدو الله من قبل

يعنى ان كان ظهر ولى الله بلالا قد ظهر فيه التعذيب فقد ه فقد جوزى عدو
الله امية وقد قلبه ببدر لانه قتل يومئذ وكان عبد الله بن عوف قد اسره يومئذ
واراد استبقاه لاخوة كانت بينهما فى الجاهلية فراه بلال معه فصاح باعلا صوته
يا انصار الله راس الكفر امية ابن خلف لا نجوت ان نجى فنهبوه باسيافهم حتى قتلوه
واخرج البيهقى عن عروة ان ابا بكر اعتق ممن كان يعذب فى الله سبعة منهم
الزنيرة فذهب بصرها وكانت ممن يعذب فى الله فتابى الا الاسلام فقال المشركون
ما اصاب بصرها الا اللات والعزى فقالت كلا والله ما هو كذلك فرد الله عليها
بصرها والزنيرة بكسر الزاى وتشديد النون المكسورة كسكينة كما فى القاموس ثم
اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة الى الحبشة وذلك فى رجب سنة خمس
من النبوة فهاجر اليها ناس ذو عدد منهم من هاجر باهله ومنهم من هاجر بنفسه
وكانوا احد عشر رجلا وقيل اثنى عشر رجلا واربع نسوة وقيل وخمس نسوة وقيل
وامرأتان واميرهم عثمان بن مظعون وانكر ذلك الزهرى وقال لم يكن بهم امير
وخرجوا مشاة الى البحر فاستاجروا سفينة بنصف دينار وكان اول من خرج
عثمان بن عفان مع امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرج
يعقوب بن سفيان بسند موصول الى انس قال ابطأ على رسول الله صلى الله
عليه وسلم خبرهما فقدمت امرأة فقالت قد رايتهما وقد حمل عثمان امرأته على
حمار فقال ان عثمان لاول من هاجر باهله بعد لوط فلما رأت قريش استقرارهم
فى الحبشة وامنهم ارسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن ابى ربيعه بهدايا وتحف
من بلادهم الى النجاشى واسمه اصحمة وكان معهما عمارة بن الوليد ليردهم الى قومهم
فابى ذلك وردهما خائبين بهديتهما واسلم عمر بن الخطاب بعد حمزة بثلاثة ايام

تفـعـ اسلام عمر بن الخطاب

فيما قال

فيما قاله ابو نعيم بدعوته صلى الله عليه وسلم اللهم اعز الاسلام بابى جهل
او بعمر ابن الخطاب وكان المسلمون اذ ذاك بضعة واربعين رجلا واحدى عشرة
امرأة وكان سبب اسلامه فيما ذكره اسامة بن زيد عن ابيه عن جده عن عمر
انه قال بلغنى اسلام اختى فدخلت عليها فقلت يا عدوة نفسها قد بلغنى عنك
انك صبوت ثم ضربتها فسالت الدم فلما رات الدم بكت وقالت يا ابن الخطاب
ما كنت فاعلا فافعل فقد اسلمت فدخلت وانا مغضب فاذا كتاب فى ناحية البيت
فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت
بالصحيفة من يدى قال ثم رجعت الى الصحيفة فاذا فيها سبح لله ما فى السموات
والارض حتى بلغت امنوا بالله ورسوله فقلت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان
محمدا رسول الله فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوه منى فجئت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت فى اسفل الصفا فدخلت واخذ رجلان
بعضدى حتى دنوت من النبى صلى الله عليه وسلم فقال ارسلوه فارسلونى فجلست
بين يديه فاخذ بمجمع ثيابى فجذبنى اليه ثم قال اسلم يا ابن الخطاب اللهم اهد
قلبه قلت اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فكبر المسلمون تكبيرة سمعت
بطرق مكة وكان الرجل اذا اسلم استخفى ثم خرجت فذهبت الى رجل لم يكن يكتم
السر فقلت له انى صبوت قال فرفع صوته باعلاه الا ان ابن الخطاب قد صبا
فما زالت الناس يضربونى واضربهم حتى ان فقال خالى ما هذا قالوا ابن الخطاب
فقام على الحجر واشار بكمه فقال الا انى اجرت ابن اختى قال فانكشف الناس عنى
قال فما زلت اضرب واضرب حتى اعز الله الاسلام قال ابن عباس لما اسلم عمر
قال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد استبشر اهل السماء باسلام عمر
رواه ابن ماجة ولما رات قريش عزة النبى صلى الله عليه وسلم بمن معه واسلام
عمر وعزة اصحابه بالحبشة وفشو الاسلام فى القبائل اجمعوا على ان يقتلوه
النبى صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك ابا طالب فجمع بنى هاشم وبنى المطلب فادخلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه ممن اراد قتله فاجابوه لذلك
حتى كفارهم فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية فلما رات قريش ذلك واجمعوا
وائتمروا ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب ان لا ينكحوا
اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيئا ولا يبتاعون منهم ولا يقبلوا منهم
صلحا ابدا حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوه فى صحيفة
بخط منصور بن عكرمة وقيل بغيض بن عامر فشلت يده وعلقوا الصحيفة

فى جوف الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة فانحاز بنوا هاشم وبنوا المطلب
الى ابى طالب فدخلوا معه فى شعبة الا ابا لهب فكان مع قريش فاقاموا على ذلك
سنتين او ثلاثا وقال ابن سعد سنتين حتى جهدوا وكان لا يصل اليهم شئ
الا سرا وقدم نفر من مهاجرة الحبشة حين قرأ صلى الله عليه وسلم والنجم
اذا هوى حتى بلغ افرايتم اللات والعزى ومنوة الثالثة الاخرى القى الشيطان
فى امنيته اى فى تلاوته تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى فلما ختم
السورة سجد صلى الله عليه وسلم وسجد معه المشركون لتوهمهم انه ذكر
الهتهم بخير وفشى ذلك فى الناس واظهره الشيطان حتى بلغ ارض الحبشة ومن
بها من المسلمين عثمان بن مظعون واصحابه وتحدثوا ان اهل مكة قد اسلموا
كلهم وصلوا معه صلى الله عليه وسلم وقد امن المسلمون بمكة فاقبلوا سراعا
من الحبشة والغرانيق فى الاصل الذكور من طير الماء واحدها غرنوق وغرنيق سمى
به لبياضه وقيل هو الكركى والغرنوق ايضا الشاب الابيض الناعم وكانوا يزعمون
ان الاصنام تقربهم من الله سبحانه وتعالى وتشفع لهم فشبهت بالطيور التى تعلوا
فى السماء وترتفع ولما تبين للمشركين عدم ذلك رجعوا الى اشد ما كانوا عليه وقد
تكلم القاضى عياض فى الشفاء على هذه القصة وتوهين اصلها بما يشفى ويكفى
لكن تعقب فى بعضه كما سياتى ان شاء الله تعالى وقال الامام فخر الدين الرازى
فيما لخصته من تفسيره هذه القصة باطلة موضوعة لا يجوز القول بها قال
الله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وقال تعالى سنقرئك فلا تنسى
وقال البيهقى هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ثم اخذ يتكلم فى ان رواة هذه
القصة مطعونون وايضا فقد روى البخارى فى صحيحه انه صلى الله عليه وسلم
قرأ سورة النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والانس والجن وليس فيه حديث
الغرانيق بل روى هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرانيق
ولا شك ان من جوز على الرسول تعظيم الاوثان فقد كفر فان من المعلوم بالضرورة
ان اعظم سعيه كان فى نفى الاوثان ولو جوزنا ذلك ارتفع الامان عن شرعه وجوزنا
فى كل واحد من الاحكام والشرايع ان يكون كذلك ويبطل قوله تعالى يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته لانه لا فرق فى العقل
بين النقصان فى الوحى وبين الزيادة فيه فبهذه الوجوه عرفنا على سبيل الاجمال
ان هذه القصة موضوعة وقد قيل ان هذه القصة من وضع الزنادقة لا اصل
لها انتهى وليس كذلك بل لها اصل فقد خرجها ابن ابى حاتم والطبرى وابن المنذر

من طرق

من طرق وكذا ابن مردويه والبزار وابن اسحاق فى السيرة وموسى بن عقبة فى المغازى
وابو معشر فى السيرة كما نبه عليه الحافظ عماد الدين ابن كثير وغيره لكن قال ان طرقها
كلها مرسلة وانه لم يرها مسندة من وجه صحيح وهذا متعقب بما سياتى وكذلك
نبه على ثبوت اصلها شيخ الاسلام الحافظ ابو الفضل العسقلانى فقال اخرج ابن
ابى حاتم والطبرى وابن المنذر من طرق عن شعبة عن ابى بشر عن سعيد بن جبير
قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة والنجم فلما بلغ افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن
لترتجى فقال المشركون ما ذكر الهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فنزلت هذه الاية
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته الاية
واخرجه البزار وابن مردويه من طريق امية بن خالد عن شعبة فقال فى اسناده
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فيما احسب ثم ساق الحديث قال
البزار لا يروى متصلا الا بهذا الاسناد تفرد بوصله امية بن خالد وهو ثقة
مشهور قال وانما يروى هذا من طريق الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس انتهى
والكلبى متروك لا يعتمد عليه وكذا اخرجه النحاس بسند اخر فيه الواقدى وذكره
ابن اسحق فى السيرة مطولا واسندها عن محمد بن كعب وكذلك موسى بن عقبة
فى المغازى عن ابن شهاب الزهرى وكذا ابو معشر فى السيرة له عن محمد بن كعب
القرظى ومحمد بن قيس واورده من طريقه الطبرى واورده ابن ابى حاتم من طريق
اسباط عن السدى ورواه ابن مردويه من طريق عباد بن صهيب عن يحيى عن
ابن كثير عن الكلبى عن ابى صالح وعن ابى بكر الهذلى وايوب عن عكرمة وسليمان
التيمى عن من حدثه ثلاثتهم عن ابن عباس واوردها الطبرى ايضا من طريق العوفى
عن ابن عباس ومعناهم كلهم فى ذلك واحد وكلها سوى طريق سعيد بن جبير اما
ضعيف واما منقطع لكن كثرة الطرق تدل على ان للقصة اصلا مع ان لها
طريقين اخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيح احدهما ما اخرجه الطبرى
من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب حدثنى ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث
بن هشام فذكر نحوه والثانى ما اخرجه ايضا من طريق المعتمد بن سليمان وحماد
بن سلمة فرقهما عن داود بن ابى هند عن ابى العالية قال الحافظ ابن حجر وقد
تجرأ ابن العربى على عادته فقال ذكر الطبرى فى ذلك روايات كثيرة لا اصل لها
وهو اطلاق مردود عليه وكذا قول القاضى عياض هذا الحديث لم يخرجه اهل
الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواته

وانقطاع اسناده وكذا قوله ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين و
المفسرين لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنهم في ذلك
ضعيفة واهية قال وقد بين البزار انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره الا طريق
ابي بشر عن سعيد بن جبير مع الشك الذي وقع في اصله واما الكلبي فلا يجوز
الرواية عنه لقوة ضعفه ثم رده من طريق النظر بان ذلك لو وقع لارتد كثير
ممن اسلم قال ولم ينقل ذلك انتهى وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد فان الطرق
اذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على ان لها اصلا وقد ذكرنا ان ثلاثة
اسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها ما يحتج بالمراسيل وكذا من
لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض واذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها
ما يستنكر وهو قوله القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن
لترتجى فان ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لانه يستحيل عليه صلى الله عليه وسلم
ان يزيد في القران عمدا ما ليس فيه وكذا سهوا اذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد
لمكان عصمته وقد سلك العلماء في ذلك مسالك فقيل جرى ذلك على لسانه
حين اصابته سنة وهو لا يشعر فلما علم بذلك احكم الله اياته وهذا اخرجه
الطبراني عن قتادة ورده القاضي عياض بانه لا يصح لكونه لا يجوز ذلك ولا
ولاية للشيطان عليه في النوم وقيل ان الشيطان الجاه الى ان قال ذلك بغير
اختياره ورده ابن العربي بقوله تعالى حكاية عن الشيطان وما كان لي عليكم من
سلطان الآية قال فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لاحد قوة على طاعة وقيل
ان المشركين كانوا اذا ذكروا الهتهم وصفوهم بذلك فعلق بحفظه صلى الله عليه
وسلم فجرى على لسانه لما ذكرهم سهوا وقد رد ذلك القاضي عياض فاجاد وقيل
لعله قال ذلك توبيخا للكفار قال القاضي عياض وهذا جائز اذا كانت هناك قرينة
تدل على المراد ولا سيما وقد كان الكلام في ذلك الوقت في الصلوة جائزا والى هذا
نحا الباقلاني وقيل انه لما وصل الى قوله ومنوة الثالثة الاخرى خشي المشركون
ان ياتي بعدها بشئ يذم الهتهم به فبادروا الى ذلك الكلام فخلطوه في تلاوة
النبي صلى الله عليه وسلم على عادتهم في قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
ونسب ذلك للشيطان لكونه الحامل لهم على ذلك او المراد بالشيطان شيطان الانس
وقيل المراد بالغرانيق العلا الملئكة وكان الكفار يقولون الملئكة بنات الله ويعبدونها
فنسق ذلك ليرد عليهم بقوله الكم الذكر وله الانثى فلما سمعه المشركون حملوه
على الجميع وقالوا قد عظم الهتنا ورضوا بذلك فنسخ تلك الكلمتين واحكم اياته

وقيل

وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يرتل القرآن فارتصده الشيطان في سكتة
من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث سمعه
من دنا اليه فظنها من قوله واشاعها قال وهذا احسن الوجوه ويؤيده ما ورد
عن ابن عباس من تفسير تمنى بتلى وكذا استحسن ابن العربي هذا التاويل وقال
معنى قوله في امنيته اي في تلاوته فاخبر تعالى في هذه الآية ان سنة الله في
رسله اذا قالوا قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه فهذا نص في ان الشيطان
زاد في قول النبي صلى الله عليه وسلم لا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله وقد
سبق الى ذلك الطبري مع جلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده في النظر
فصوب على هذا المعنى انتهى ثم هاجر المسلمون الثانية الى ارض الحبشة وعدتهم
ثلاثة وثمانون رجلا ان كان عمار بن ياسر فيهم وثماني عشرة امرأة وكان عبيد الله
بن جحش مع امرأته ام حبيبة بنت ابي سفيان فتنصر هناك ثم مات على دين النصرانية
وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان سنة سبع
من الهجرة الى المدينة وهي بالحبشة كما سيأتي ان شاء الله تعالى في المقصد الثاني
عند ذكر ازواجه صلى الله عليه وسلم وخرج ابو بكر الصديق رضي الله عنه
مهاجرا الى الحبشة حتى بلغ برك الغماد ورجع في جوار سيد القارة مالك بن
الدغنة بفتح الدال المهملة وكسر المعجمة وتخفيف النون وبضم الدال والغين
وتشديد النون يعبد ربه في داره وابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه
ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وابناؤهم ويعجبون منه وكان
ابو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن فافزع ذلك اشراف قريش من المشركين
فقالوا لابن الدغنة انا قد خشينا ان يفتن نساءنا وابناءنا فانهه فان احب ان
يقتصر على ان يعبد ربه في داره فعل وان ابى ان لا يعلن فسله ان يرد اليك ذمتك
فانا قد كرهنا ان نخفرك فقال ابو بكر لابن الدغنة فاني ارد اليك جوارك وارضى
بجوار الله الحديث رواه البخاري ثم قام رجال في نقض الصحيفة فاطلع الله
نبيه صلى الله عليه وسلم على ان الارضة اكلت جميع ما فيها من القطيعة والظلم
فلم تدع الا اسم الله تعالى فقط فلما انزلت لتمزق وجدت كما قال صلى الله عليه وسلم
وذلك في السنة العاشرة ولما اتت عليه صلى الله عليه وسلم تسع واربعون
سنة وثمانية اشهر واحد عشر يوما مات عمه ابو طالب وله سبع وثمانون
سنة وقيل مات في النصف من شوال من السنة العاشرة وقال ابن الجزار قبل
هجرته صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين وروي انه صلى الله عليه وسلم كان

تف ع موت
ابي طالب

يقوله عند موته يا عم قل لا اله الا الله كلمة استحل لك بها الشفاعة يوم القيمة
فلما راى ابو طالب حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له والله يا ابن اخى لولا
مخافة قريش ان يظنوا انى انما قلتها جزعا من الموت لقلتها لا اقولها الا لاسرك بها فلما تقارب
من ابى طالب الموت نظر العباس اليه يحرك شفتيه فاصغى اليه باذنه فقال يا ابن
اخى والله لقد قال اخى الكلمة التى امرته بها فقال صلى الله عليه وسلم لم اسمعه
كذا فى رواية ابن اسحق انه اسلم عند الموت **واجيب** بان شهادة العباس لابى طالب
لو اداها بعد ما اسلم كانت مقبولة ولم ترد بقوله عليه الصلوة والسلام لم اسمع
لان الشاهد العدل اذا قال سمعت وقال من هو اعدل لم اسمع اخذ بقول من
اثبت السماع ولكن العباس شهد قبل ذلك ان يسلم مع ان الصحيح من الحديث قد
اثبت لابى طالب الوفاة على الكفر والشرك لما رويناه فى صحيح البخارى من حديث سعيد
بن المسيب حتى قال ابو طالب اخر ما كلمهم انا على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا
اله الا الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك
فانزل الله ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى
وانزل الله فى ابى طالب انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء **وفى**
الصحيح عن العباس انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابا طالب كان
يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته فى غمرات من
النار فاخرجته الى ضحضاح **وفى الصحيح** ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال لعله
تنفعه شفاعتى يوم القيمة فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه
وفى رواية يونس عن ابن اسحق زيادة فقال يغلى منها دماغه حتى يسيل على قدميه
قال السهيلى من باب النظر فى حكمة الله تعالى ومشاكلة الجزا للعمل ان ابا طالب
كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بجملته متحزبا له الا انه كان متثبتا بقدميه
على ملة عبد المطلب حتى قال عند الموت انا على ملة عبد المطلب فسلط العذاب على قدميه
خاصة لتثبيته اياهما على ملة اباءه ثبتنا الله على الصراط المستقيم **وفى** شرح التنقيح
للقرافى الكفار اربعة اقسام فذكر منها من امن بظاهره وباطنه وكفر بعدم الاذعان
للفروع كما حكى عن ابى طالب انه كان يقول انى لاعلم انما يقوله ابن اخى لحق ولولا انى
اخاف ان يعيرنى نساء قريش لاتبعته **وفى شعره** يقول

لقد علموا ان ابننا لا مكذب	يقينا ولا يعزى لقول الاباطل

قال فهذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان غير انه لم يذعن انتهى **وحكى** عن هشام
بن السايب الكلبى او ابيه انه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جمع اليه وجوه قريش

فاوصاهم

فاوصاهم فقال يا معشر قريش انتم صفوة الله من خلقه الى ان قال وانى اوصيكم
بمحمد خيرا فانه الامين فى قريش والصديق فى العرب وهو الجامع لكل ما اوصيكم به
وقد جاء بامر قبله الجنان وانكره اللسان مخافة الشنان وايم الله كانى انظر الى
صعاليك العرب واهل الوبر والاطراف والمستضعفين من الناس قد اجابوا دعوته
وصدقوا كلمته وعظموا امره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤسا قريش وصناديدها
اذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها اربابا واذا اعظمهم عليه احوجهم اليه وابعدهم
منه احظاهم عنده قد محضته العرب ودادها واصفت له فؤادها واعطته
قيادها يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك احد سبيله
الا رشد ولا يأخذ احد بهديه الا سعد ولو كان لنفسى مدة ولاجلى تاخير لكففت
عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهى ثم هلك **ثم بعد ذلك** بثلاثة ايام وقيل
بخمسة فى رمضان بعد المبعث بعشر سنين على الصحيح ماتت خديجة رضى الله
تعالى عنها وكان صلى الله عليه وسلم يسمى ذلك العام عام الحزن فيما ذكره صاعد
وكانت مدة اقامتها معه صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة على الصحيح
ثم بعد ايام من موت خديجة تزوج عليه الصلوة والسلام الى الطائف بعد
موت خديجة بثلاثة اشهر فى ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة لما نال له
من قريش بعد موت ابى طالب وكان معه زيد بن حارثة فاقام به شهرا يدعو
اشراف ثقيف الى الله فلم يجيبوه واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسى
بن عقبة ورجموا عواقبه بالحجارة حتى اختضب نعلاه بالدماء زاد غيره وكان
اذا اذلقته الحجارة الى الارض فياخذونه بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه
وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج فى راسه شجاجا **وفى
البخارى** ومسلم من حديث عائشة انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك
يوم اشد من يوم احد قال لقد لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة
اذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى الى ما اردت فانطلقت وانا
مهموم على وجهى فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب فرفعت راسى فاذا انا بسحابة
قد اظلتنى فنظرت فاذا فيها جبريل عليه الصلوة والسلام فنادانى فقال ان الله
قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتامره بما شئت
فنادانى ملك الجبال فسلم على **ثم** قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وانا ملك
الجبال وقد بعثنى ربك اليك لتامرنى بامرك ان شئت اطبقت عليهم الاخشبين
قال النبى صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله

بسودة بنت زمعة ثم خرج
عليه الصلوة والسلام . جم

٨ وفى سيرة ابن سيد الناس وغيره ويقولون له
قم يا ابا القاسم لا سودبك فبل قوله هنا
فياخذونه بعضديه . هـ م ب

وحده لا يشرك به شيئا وعبد يا ليل بتحتية وبعدها الف ثم لام مكسورة ثم
تحتانية ساكنة ثم لام ابن عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام آخره لام وكان ابن
عبد يا ليل من اكابر اهل الطائف من ثقيف وقرن الثعالب هو ميقات اهل نجد
ويقال له قرن المنازل وافاد ابن سعد ان مدة اقامته عليه الصلوة والسلام
بالطائف كانت عشرة ايام ولما انصرف عليه الصلوة والسلام عن اهل الطائف
مر في طريقه بعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما في حائطهما فلما رايا ما لقي تحركت له
رحمهما فبعثا له مع عداس النصراني غلامهما قطف عنب فلما وضع صلى الله عليه
وسلم يده في القطف قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان
هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اي البلاد انت وما دينك قال نصراني من نينوى فقال عليه الصلوة والسلام
من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال وما يدريك قال ذاك اخي وهو نبي مثلي
فاكب عداس على يديه وراسه ورجليه يقبلها واسلم ولما نزل نخلة وهو موضع
على ليلة من مكة صرف اليه سبعة من جن نصيبين مدينة بالشام وكان عليه
الصلوة والسلام قد قام في جوف الليل يصلي فاستمعوا له وهو يقرأ سورة الجن
وفي الصحيح ان الذي آذنه صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة الجن شجرة وانهم
سألوه الزاد فقال لكل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في يد احدكم اوفر ما يكون
لحما وكل بعر علف لدوابكم ففي هذا رد على من زعم ان الجن لا تاكل ولا تشرب وذكر
صاحب الروض من اسماء السبعة الذين اتوه عليه السلام عن ابن دريد منشى
وناشي وشاصر وماصر والاحقب ولم يزد على تسمية هؤلاء قال الحافظ ابن
كثير وقد ذكر ابن اسحق خروجه عليه الصلوة والسلام الى اهل الطائف ودعاءه
اياهم وانه لما انصرف عنهم بات بنخلة فقرأ تلك الليلة من القرآن فاستمعه الجن
من اهل نصيبين قال وهذا صحيح لكن قوله ان الجن كان استماعهم تلك الليلة
فيه نظر فان الجن كان استماعهم في ابتداء الايحاء ويدل له حديث ابن عباس
عند احمد قال كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا
فيكون ما سمعوه حقا وما زادوه باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان احدهم لا ياتي مقعده الا رمي بشهاب
يحرق ما اصاب منه فشكوا ذلك الى ابليس وقال ما هذا الا من امر قد حدث فبث
جنوده فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بين جبلي نخلة فاخبروه فقال
هذا الحدث الذي حدث في الارض ورواه النسائي وصححه الترمذي قال وخروجه

علي

عليه الصلوة والسلام الى الطائف كان بعد موت عمه وروى ابن ابي شيبة عن
عبد الله بن مسعود قال هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن
ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا انصتوا فانزل الله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا
من الجن يستمعون القرآن الآية فهذا مع رواية ابن عباس يقتضي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم في هذه المرة وانما استمعوا قرآنه ثم
رجعوا الى قومهم ثم بعد ذلك وفدوا اليه ارسالا قوما بعد قوم وفوجا بعد
فوج انتهى وفي طريقه عليه الصلوة والسلام هذه دعا بالدعاء المشهور اللهم
اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ارحم الراحمين انت ارحم
الراحمين وانت رب المستضعفين الى من تكلني الى عدو بعيد يتجهمني ام الى صديق
قريب كلفته امري ان لم تكن غضبانا علي فلا ابالي غير ان عافيتك اوسع لي اعوذ
بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح فيه امر الدنيا والآخرة ان ينزل
بي غضبك او يحل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك اورده
ابن اسحق ورواه الطبراني في كتاب الدعاء عن عبد الله بن جعفر قال لما توفي ابو
طالب خرج النبي صلى الله عليه وسلم ماشيا الى الطائف فدعاهم الى الاسلام
فلم يجيبوه فاتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال اللهم اليك اشكو فذكره وقوله
يتجهمني بتقديم الهاء على الجيم اي يلقاني بالغلظة والوجه الكريه ثم دخل عليه
الصلوة والسلام مكة في جوار المطعم بن عدي ولما كان في شهر ربيع الاول
اسري بروحه وجسده يقظة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم عرج به من
المسجد الاقصى الى فوق سبع سموات وراى ربه بعيني راسه واوحى اليه ما
اوحى وفرض عليه الصلوات الخمس ثم انصرف في ليلته الى مكة فاخبر بذلك
فصدقه الصديق وكل من آمن بالله وكذبه الكفار واستوصفوه مسجد
بيت المقدس فمثله الله له وجعل ينظر اليه ويصفه قال الزهري وكان ذلك
بعد المبعث بخمس سنين حكاه عنه القاضي عياض ورجحه القرطبي والنووي
واحتج بانه لا خلاف ان خديجة صلت معه بعد فرض الصلوة ولا خلاف انها
توفيت قبل الهجرة اما بثلاث واما بخمس ولا خلاف ان فرض الصلوة كان ليلة
الاسرا وتعقب بان موت خديجة من بعد البعث بعشر سنين على الصحيح
في رمضان وذلك قبل ان تفرض الصلوة ويؤيده اطلاق حديث عائشة
ان خديجة ماتت قبل ان تفرض الصلوات الخمس ويلزم منه ان يكون موتها قبل
الاسرى وهو المعتمد واما التردد في سنة وفاتها فيرده جزم عائشة بانها ماتت

قبل الهجرة بثلاث سنين قاله الحافظ بن حجر وقيل قبل الهجرة بسنة قاله ابن حزم
وادعى فيه الاجماع وقيل قبل الهجرة بسنة وخمسة اشهر قاله السُّدي واخرجه
من طريقة الطبرى والبيهقى فعلى هذا كان فى شوال وقيل كان فى رجب حكاه
ابن عبد البر وقبله ابن قُتَيبَة وبه جزم النووى فى الروضة وقيل كان قبل
الهجرة بسنة وثلاثة اشهر فعلى هذا يكون فى ذى الحجة وبه جزم ابن فارس
وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين ذكره ابن الاثير وقال الحربى انه كان فى سابع عشرى
ربيع الآخر وكذا قال النووى فى فتاويه لكن قال فى شرح مسلم فى ربيع الاول
وقيل كان ليلة السابع والعشرين من رجب واختاره الحافظ عبد الغنى بن سرور
المقدسى واما اليوم الذى يسفر عن ليلتها فقيل الجمعة وقيل السبت وعن ابن
دِحية تكون ان شاء الله يوم الاثنين ليوافق المولدَ والمبعث والهجرة والوفاة
فان هذه اطوار الانتقالات وجوداً ونبوة ومعراجاً وهجرة ووفاة وسياتى
ان شاء الله تعالى قصة الاسرآء والمعراج وما فيهما من المباحث والله الموفق
والمعين ولما اراد الله تعالى اظهار دينه واعزاز نبيه وانجاز موعده له خرج
صلى الله عليه وسلم فى الموسم الذى لقى فيه الانصار الاَوْسَ والخَزْرَجَ فعرض
صلى الله عليه وسلم نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كل موسم فبينما هو
عند العقبة لقى رهطا من الخزرج اراد الله بهم خيراً فقال لهم من انتم قالوا
نفر من الخزرج قال افلا تجلسون اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله
وعرض عليهم الاسلام وتلى عليهم القرآن وكان من صنع الله ان اليهود كانوا معهم
فى بلادهم وكانوا اهل كتاب وكان الاوس والخزرج اكثر منهم فكانوا اذا كان بينهم
شئ قالوا ان نبيا سيبعث الآن قد اظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه فلما كلمهم
النبى صلى الله عليه وسلم عرفوا النعت قال بعضهم لبعض لا يسبقنا اليهود اليه
فاجابوه الى ما دعاهم وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام فاسلم
منهم ابو اُمامة اسعدُ بن زرارة وعوف بن الحارث بن رِفاعة وهو ابنُ عَفرا
ورافع بن ملك بن العجلانى وقطبة بن عامر بن حديدة وعُقبة بن عامر بن نابى
وجابرُ بن عبد الله بن رِئاب وليس بجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ومن اهل
العلم بالسير من يجعل فيهم عُبادة بن الصامت ويسقط جابر بن رِئاب فقال
لهم النبى صلى الله عليه وسلم تمنعون ظهرى حتى ابلغ رسالة ربى فقالوا يا رسول
الله انما كانت بُعاثُ عام الاول يوم من ايامنا اقتتلنا به فان تقدم ونحن كذلك
لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع الى عشائرنا لعل الله يصلح ذات بيننا

وندعوهم

وندعوهم الى ما دعوتنا فعسى الله ان يجمعهم عليك فان اجتمعت كلمتهم عليك
واتبعوك فلا احد اعز منك وموعدك الموسم العام القابل وانصرفوا الى المدينة
ولم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما كان العام المقبل لقيه اثنى عشر رجلا وفى الاكليل احد عشر رجلا وهى العقبة
الثانية فيهم خمسة من الستة المذكورين وهم ابو امامة وعوف بن عفرا ورافع
بن مالك وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابى ولم يكن فيهم جابر بن
عبد الله بن رِئاب لم يحضرها والسبعة تتمة الاثنى عشر هم معاذ بن الحارث بن
رفاعة وهو ابن عفرا اخو عوف المذكور وذكوان بن عبد قيس الزُّرَقى وقيل انه
رحل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة فسكنها معه فهو مهاجرى
انصارى قتل يوم اُحد وعُبادة بن الصامت بن قيس وابو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة
البَلَوى والعبّاس بن عُبادة بن نضله وهؤلآء من الخزرج ومن الاوس رجلان
ابو الهيثم بن التَّيهان من بنى عبد الاشهل وعويم بن ساعدة فاسلموا وبايعوا على
بيعة النسآء اى وفق بيعتهم التى نزلت بعد ذلك عند فتح مكة وهى ان لا نشرك
بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل اولادنا ولا ناتى ببهتان نفتريه بين ايدينا
وارجلنا ولا نعصيه فى معروف والسمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط
والمكره واثرة علينا وان لا ننازع الامر اهله وان نقول الحق حيث كنا لا نخاف فى
الله لومة لائم قال صلى الله عليه وسلم فان وفيتم فلكم الجنة ومن غشى من ذلك
شيئا كان امره الى الله ان شاء عذبه وان شاء عفى عنه ولم يفرض يومئذ القتال
ثم انصرفوا الى المدينة فاظهر الله الاسلام وكان اسعد بن زرارة يجمع بالمدينة
بمن اسلم وكتبت الاوس والخزرج الى النبى صلى الله عليه وسلم ابعث الينا من يقرئنا
القرآن فبعث اليهم مُصعب بن عمير وروى الدارقطنى عن ابن عباس ان النبى
صلى الله عليه وسلم كتب الى مصعب بن عمير ان يجمع بهم الحديث وكانوا اربعين
رجلا فاسلم على يدى مصعب بن عمير خلق كثير من الانصار واسلم فى جماعتهم
سعد بن معاذ واُسيد بن حُضير واسلم باسلامهم جميع بنى عبد الاشهل فى يوم
واحد الرجال والنسآء ولم يبق منهم احد الا اسلم حاشى الاُصيرم وهو عمرو بن ثابت
بن وقش فانه تاخر باسلامه الى يوم احد فاسلم واستشهد ولم يسجد لله سجدة
واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من اهل الجنة ولم يكن فى عبد الاشهل
منافق ولا منافقة الا كانوا كلهم حنفاء مخلصين رضى الله عنهم ثم قدم على النبى
صلى الله عليه وسلم فى العقبة الثالثة فى العام المقبل فى ذى الحجة اوسط ايام

لتشريق منهم سبعون رجلا وقال ابن سعد يزيدون رجلا او رجلين وامرأتان
وقال ابن اسحق ثلاث وسبعون وامرأتان وقال الحاكم خمسة وسبعون نفسا فكان
اول من ضرب على يده عليه السلام البراء بن معرور ويقال ابو الهيثم ويقال اسعد بن
زرارة على انهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود
وكانت اول اية نزلت فى الاذن بالقتال اذن للذين يقاتلون الآية وفى الاكليل ان
الله اشترى من المؤمنين الآية ونقب عليهم اثنى عشر نقيبا وفى حديث جابر عند احمد
باسناد حسن وصححه الحاكم وابن حبان مكث صلى الله عليه وسلم عشر سنين
يتتبع الناس فى منازلهم فى المواسم بمنى وغيرها يقول من يأوينى من ينصرنى حتى
ابلغ رسالة ربى وله الجنة حتى بعثنا الله له من يثرب فذكر الحديث وفيه على
ان تنصرونى اذا قدمت عليكم يثرب فتمنعونى مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم
وابناءكم ولكم الجنة الحديث وحضر العباس العقبة تلك الليلة متوثقا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ومؤكدا على اهل يثرب وكان يومئذ على دين قومه قال
ابن اسحق ولما تمت بيعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة
وكانت سرا عن كفار قريش امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه بالهجرة
الى المدينة فخرجوا ارسالا واقام بمكة ينتظر ان يؤذن له فى الخروج فكان اول
من هاجر من مكة الى المدينة ابو سلمة بن عبد الاسد قبل بيعة العقبة بسنة
قدم من الحبشة لمكة فاذاه اهلها وبلغه اسلام من اسلم من الانصار فخرج اليهم
ثم عامر بن ربيعة وامرأته ليلى ثم عبد الله بن جحش ثم المسلمون ارسالا ثم عمر بن
الخطاب واخوه زيد وعياش بن ربيعة فى عشرين راكبا فقدموا المدينة فنزلوا فى
العوالى ثم خرج عثمان بن عفان حتى لم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا على بن
ابى طالب وابو بكر الصديق كذا قال ابن اسحق قال مغلطاى وفيه نظر لما يأتى بعد
وكان ابو بكر الصديق كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة
فيقول لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا فيطمع ابو بكر ان يكون هو ثم اجتمع قريش
ومعهم ابليس فى صورة شيخ نجدى فى دار الندوة دار قصى بن كلاب وكانت قريش
لا تقضى امرا الا فيها يتشاورون فيما يصنعون فى امره صلى الله عليه وسلم
فاجتمع رأيهم على قتله وتفرقوا على ذلك فان قيل لم تمثل الشيطان فى صورة
نجدى فالجواب لانهم قالوا كما ذكره بعض اهل السير لا يدخلن معكم فى المشاورة
احد من اهل تهامة لان هواهم مع محمد فلذلك تمثل فى صورة نجدى انتهى ثم اتى
جبريل عليه السلام النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك

الذى

الذى كنت تبيت عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه
فامر صلى الله عليه وسلم عليا فنام مكانه وغطى ببرد اخضر فكان اول من شرى نفسه وفى ذلك
يقول

وقيت بنفسى خير من وطئ الثرى … ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول اله خاف ان يمكروا به … فنجاه ذو الطول الاله من المكر

ثم خرج صلى الله عليه وسلم وقد اخذ الله على ابصارهم فلم ير احد منهم ونثر على
رؤسهم كلهم ترابا كان فى يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله تعالى فاغشيناهم
فهم لا يبصرون ثم انصرف صلى الله عليه وسلم حيث اراد فاتاهم آت ممن لم يكن
معهم فقال ما تنتظرون قالوا محمدا قال قد خيبكم الله قد والله خرج محمد عليكم
ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع على راسه ترابا وانطلق لحاجته فما ترون ما بكم
فوضع كل رجل يده على راسه فاذا عليه تراب وفى رواية ابى حاتم مما صححه الحاكم
من حديث ابن عباس فما اصاب منهم رجلا حصاة الا قتل يوم بدر كافرا وفى هذه
نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الآية
ثم اذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فى الهجرة قال ابن عباس بقوله تعالى
وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا
نصيرا اخرجه الترمذى وصححه الحاكم فان قلت ما الحكمة فى هجرته صلى الله
عليه وسلم الى المدينة واقامته بها الى ان ينتقل الى ربه عز وجل اجيب بان حكمة
الله تعالى قد اقتضت انه صلى الله عليه وسلم تتشرف به الاشياء لا انه يتشرف
بها فلو بقى عليه الصلوة والسلام بمكة الى انتقاله الى ربه لكان يتوهم انه قد
تشرف بمكة اذ ان شرفها قد سبق بالخليل واسمعيل فاراد الله ان يظهر شرفه
صلى الله عليه وسلم فامره بالهجرة الى المدينة فلما هاجر اليها تشرفت به حتى وقع
الاجماع على ان افضل البقاع الموضع الذى ضم اعضاءه الكريمة صلوات الله وسلامه
عليه وذكر الحاكم ان خروجه عليه السلام كان بعد بيعة العقبة بثلاثة اشهر
او قريبا منها وجزم ابن اسحق بانه خرج اول يوم من ربيع الاول فعلى هذا يكون
بعد البيعة بشهرين وبضعة عشر يوما وكذا جزم الاموى فى المغازى عن ابن
اسحق فقال كان مخرجه من مكة بعد بيعة العقبة بشهرين وليال قال وخرج
لهلال ربيع الاول وقدم المدينة لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع قال فى فتح
البارى وعلى هذا خرج يوم الخميس وقال الحاكم تواترت الاخبار ان خروجه يوم
الاثنين ودخوله المدينة كان يوم الاثنين الا ان محمد بن موسى الخوارزمى قال
انه خرج من مكة يوم الخميس وجمع بينهما بان خروجه من مكة كان يوم الخميس

وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين لانه اقام فيه ثلاث ليال ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الاحد وخرج اثناء ليلة الاثنين وكان مدة بقائه بمكة من حين النبوة الى ذلك الوقت بضع عشرة سنة * ويدل عليه قول صرمة

ثوى في قريش بضع عشرة حجة * … يذكر لو يلقى صديقا مواتيا *

وقيل غير ذلك وامره جبريل ان يستصحب ابا بكر واخبره عليه الصلوة والسلام عليا بمخرجه وامره ان يستخلف بعده حتى يؤدى عنه الودايع التى كانت عنده للناس قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينا نحن جلوس يوما فى بيت ابى بكر فى نحر الظهيرة قال قائل لابى بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا فى ساعة لم يكن يأتينا فيها قال ابو بكر فدا له ابى وامى والله ما جاء به فى هذه الساعة الا امر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فاذن له فدخل صلى الله عليه وسلم فقال لابى بكر اخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك بابى انت وامى يا رسول الله قال السهيلى ذلك ان عائشة قد كان ابوها انكحها منه عليه الصلوة والسلام قبل ذلك فقال عليه الصلوة والسلام انه قد اذن لى فى الخروج فقال ابو بكر الصحبة بابى انت وامى يا رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال ابو بكر فخذ بابى انت وامى يا رسول الله احدى راحلتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بالثمن فان قلت لم لم يقبلها الا بالثمن وقد انفق عليه ابو بكر من ماله ما هو اكثر من هذا فقيل اجيب بانه انما فعل ذلك لتكون هجرته الى الله تعالى بنفسه وماله رغبة منه صلى الله عليه وسلم فى استكمال فضل الهجرة الى الله تعالى وان يكون على اتم الاحوال انتهى قالت عائشة فجهزناهما احث الجهاز وصنعنا لهما سفرة من جراب فقطعت اسماء بنت ابى بكر قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر بغار ثور جبل باسفل مكة وكان من قوله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة لما وقف على الحزورة ونظر الى البيت والله انك لاحب ارض الله الى وانك لاحب ارض الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجونى منك ما خرجت وهذا من اصح ما يحتج به فى تفضيل مكة على المدينة ولم يعلم بخروجه صلى الله عليه وسلم الا على وال من ابى بكر وروى انهما خرجا من خوخة لابى بكر فى ظهر بيته ليلا الى الغار ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة اعلاها واسفلها وبعثوا القافة اثره فى كل وجه فوجد الذى ذهب قبل ثور اثره هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع اثره

لما انتهى الى ثور وشق على قريش خروجه وجزعوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده ولله در الشيخ شرف الدين الابوصيرى حيث قال

ويح قوم جفوا نبيا بارض * … الفته ضبابها والظباء *
وسلوه وحن جذع اليه * … وقلوه وودّه الغرباء *
اخرجوه منها واواه غار * … وحمته حمامة ورقاء *
وكفته بنسجها عنكبوت * … ما كفته الحمامة الحصداء *

وفى حديث مروى فى الهجرة انه عليه الصلوة والسلام ناداه ثبير اهبط عنى فانى اخاف ان تقتل على ظهرى فاعذب فناداه حراء الى يا رسول الله وذكر قاسم بن ثابت فى الدلائل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار وابو بكر معه انبت الله على بابه الراء قال قاسم وهى شجرة معروفة وهى ام غيلان وعن ابى حنيفة يكون مثل قامة الانسان لها خيطان وزهر ابيض يحشى به المخاد فيكون كالريش لخفته ولينه لانه كالقطن فحجبت عن الغار اعين الكفار وفى مسند البزار ان الله عز وجل امر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وارسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار وان ذلك مما صد المشركين عنه وان حمام الحرم من نسل تلك الحمامتين ثم اقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر فى الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى قومه فقالوا له ما لك قال رايت حمامتين وحشيتين فعرفت انه ليس فيه احد وقال آخر ادخلوا الغار فقال امية بن خلف وما اربكم الى الغار ان فيه لعنكبوتا اقدم من ميلاد محمد وقد روى ان الحمامتين باضتا فى اسفل النقب ونسج العنكبوت فقالوا لو دخلا لتكسر البيض وتفسخ نسج العنكبوت وهذا ابلغ فى الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود فتامل كيف اظلت الشجرة المطلوب واضلت الطالب وجاءت عنكبوت فسدت باب الطلب وحاكت وجه المكان فحالت ثوب نسجها فحاكت سترا حتى عمى على القائف الطلب شعر والعنكبوت اجادت حوك حلتها * فما تخال خلال النسج من خلل ولقد حصل للعنكبوت الشرف بذلك وما احسن قول ابن النقيب * ودود القز ان نسجت حريرا * يجمل لبسه فى كل شئ *

فان العنكبوت اجل منها * … بما نسجت على راس النبى *

وروى انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم ابصارهم فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار وهذا يشير اليه صاحب البردة

اقسمت بالقمر المنشق ان له * … من قلبه نسبة مبرورة القسم *

وماحوى الغار من خير ومن كرم ... وكل طرف من الكفار عنه عمي

فالصدق في الغار والصديق ما برحا ... وهم يقولون ما بالغار من ارم

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على ... خير البرية لم تنسج ولم تحم

وقاية الله اغنت عن مضاعفة ... من الدروع وعن عال من الاطم

اى عموا عن ما فى الغار مع خلق الله ذلك فيهم لانهم ظنوا ان الحمام لا يحوم حوله صلى الله عليه وسلم وان العنكبوت لا تنسج عليه لما جرت العادة ان هذين الحيوانين متوحشان لا يألفان معمورا فهما احسا بالانسان فر امنه وما علموا ان الله تعالى يسخر ما يشاء من خلقه لمن يشاء من عباده وان وقاية الله عبده بما يشاء تغنى عبده عن التحصن بمضاعفة من الدروع وعن التحصن بالعالى من الاطم وهى الحصون فلله در الابوصيرى من شاعر وما احسن قوله

في قصيدته اللامية حيث قال

واغبرتا حين اضحى الغار وهو به ... كمثل قلبي معمور وما هول

كانما المصطفى فيه وصاحبه ... الصديق ليثان قد آواهما غيل

وجلل الغار نسج العنكبوت على ... وهن فيا حبذا نسج وتجليل

عناية ضل كيد المشركين بها ... وما مكائدهم الا الاضاليل

اذ ينظرون وهم لا يبصرونهما ... كان ابصارهم من زيغها حول

وفى الصحيح عن انس قال ابو بكر يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه لرانا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وروى ان ابا بكر قال نظرت الى قدمى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار وقد تفطرتا دما فاستبكيت وعلمت انه صلى الله عليه وسلم لم يكن تعود الحفا والجفوة وروى ايضا ان ابا بكر دخل الغار قبل النبى صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه وانه راى جحرا فيه فالقمه عقبه لئلا يخرج منه ما يوذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت الحيات والافاعى يضربنه وتلسعنه فجعلت دموعه تنحدر وفى رواية فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع راسه فى حجر ابى بكر ونام فلدغ ابو بكر فى رجله من الجحر ولم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك يا ابا بكر قال لدغت فداك ابى وامى فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده رواه رزين وروى ايضا ان ابا بكر لما راى القافة اشتد حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان قتلت فانما انا رجل واحد وان قتلت انت هلكت الامة فعندها قال له رسول

الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا يعنى بالمعونة والنصر فانزل الله سكينته وهى امنة تسكن عندها القلوب على ابى بكر لانه كان منزعجا وايده يعنى النبى صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها يعنى الملئكة ليحرسوه فى الغار وليصرفوا وجوه الكفار وابصارهم عن رويته انظر لما راى الرسول صلى الله عليه وسلم حزن الصديق قد اشتد لكن لا على نفسه قوى قلبه ببشارة لا تحزن ان الله معنا كانت تحفة ثانى اثنين مدخرة له دون الجميع فهو الثانى فى الاسلام والثانى فى بذل النفس والعمر وسبب الموت لما وقى الرسول صلى الله عليه وسلم بماله ونفسه جوزى بمواراته معه فى رمسه وقام موذن التشريف ينادى على منابر الابصار ثانى اثنين اذ هما فى الغار

ولقد احسن حسان حيث قال

وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد ... طاف العدو به اذ صاعد الجبلا

وكان حب رسول الله قد علموا ... من الخلائق لم يعدل به بدلا

وتامل قول موسى عليه السلام لبنى اسرائيل كلا ان معى ربى سيهدين وقول نبينا صلى الله عليه وسلم للصديق ان الله معنا فموسى خص بشهود المعية ولم يتعد منه الى اتباعه ونبينا تعدى منه الى الصديق ولم يقل معى لانه امد ابا بكر بنوره فشهد سر المعية ومن ثم سرى سر السكينة على ابى بكر والا لم يثبت تحت اعباء هذا التجلى والشهود واين معية الربوبية فى قصة موسى عليه السلام من معية الالهية فى قصة نبينا صلى الله عليه وسلم قال العارف شمس الدين بن اللبان واخرج ابو نعيم فى الحلية عن عطا بن ميسرة قال نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود حين كان طالوت يطلبه ومرة على النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار وكذا نسجت على الغار الذى دخله عبد الله بن انيس لما بعثه صلى الله عليه وسلم لقتل خالد بن نبيح الهذلى بالعرنة فقتله ثم حمل راسه فدخل فى غار فنسجت عليه العنكبوت وجاء الطلب فلم يجدوا شيئا فانصرفوا راجعين وفى تاريخ ابن عساكر ان العنكبوت نسجت ايضا على عورة زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب لما صلب عريانا فى سنة احدى وعشرين ومائة وكان مكثه صلى الله عليه وسلم وابو بكر فى الغار ثلاث ليال وقيل بضعة عشر يوما والاول هو المشهور وكانت يبيت عندهما عبد الله بن ابى بكر وهو غلام شاب ثقف اى ثابت المعرفة بما يحتاج اليه لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت معهم فلا يسمع امرا يكادان به الا وعاه حتى ياتيهما بخبر ذلك اليوم حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى ابى بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان

فی رسل وهو لبن منحتهما يفعل ذلك فی كل ليلة من تلك الليالی الثلاث واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر عبد الله بن الاُرَيقِط دليلا وهو على دين كفار قريش ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة و الدليل فاخذ بهما على طريق السواحل فمروا بقُدَيد على امّ مَعبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت بَرزة جَلدة تحتبی بفناء القبة ثم تسقی وتطعم وكان القوم مرملين مسنتين فطلبوا لبنا ولحما يشترونهما فلم يجدوا عندها شيئا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة فی كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم هل بها من لبن فقالت هی اجهد من ذلك فقال اتاذنين لی ان احلبها فقالت نعم بابی انت وامّی ان رايت بها حلبا فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها وسمّى الله فتفاجّت ودرّت ودعا باناء يربض الرهط ای يشبع الجماعة حتى يربضوا فحلبه فيه ثجّا وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب مرة اخرى علا بعد نهل ثم غادره عندها وذهبوا فقل ما لبثت حتى جاء ابو معبد زوجها **قال** السهيلی لا يعرف اسمه وقال العسكری اسمه اكثم بن ابی الجون ويقال ابن الجون يسوق اعنزا عجافا يتسا وكن هزلا فلما رأى اللبن ابو معبد عجب وقال ما هذا يا امّ معبد انّى لك هذا والشاء عازب حيال ولا حلوب بالبيت فقالت لا والله الا انه مرّ بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا فقال صفيه يا امّ معبد فقالت رايت رجلا ظاهر الوضاءة متبلّج الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة وسيما قسيما فی عينيه دعج وفی اشفاره وطف وفی صوته صحل احور اكحل ازج اقرن شديد سواد الشعر فی عنقه سطع وفی لحيته كثافة اذا صمت فعليه الوقار واذا تكلم سما وعلاه البهاء وكأن منطقه خرزات نظم يتحدّرن حلو المنطق فصل لا نذر ولا هذر اجهر الناس واجمله من بعيد واحلاه واحسنه من قريب ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو انضر الثلاثة منظرا واحسنهم قدرا له رفقاء يحفّون به اذا قال استمعوا لقوله واذا امر تبادروا الى امره محفود محشود لا عابس ولا مفنّد فقال والله هذا صاحب قريش لو رايته لاتبعته قالت اسماء بنت ابی بكر ولما خفی علينا امد رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا نفر من قريش منهم ابو جهل بن هشام فخرجت اليهم فقال اين ابوك فقلت والله لا ادری اين ابی قالت فرفع ابو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم خدّی لطمة خرج منها قرطی قالت ثم انصرفوا ولما

ای قبل دخولهما الغار

ای تتعاطا ما يتعاطاها الرجل من مقابلة الضيفان وغيره من الحركة والخدمة هـ

ای قادرة على الحركة صبورة عليها هـ

ای تجعل يديها على رجليها كالمحتبی هـ

ای الخيمة الشعر ونحوه هـ

ای فقدا ازواجهم هـ

لم تدر

لم ندر اين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى رجل من الجن يسمعون صوته ولا يرونه وهو ينشد هذه الابيات

جزا الله رب الناس خير جزائه	رفيقين حلا خيمتی امّ معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا	فافلح من امسى رفيق محمد
فيال قصی ما زوى الله عنكم	به من فعال لا تجازى وسودد
ليهن بنی كعب مكان فتاتهم	ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا اختكم عن شاتها وانائها	فانكم ان تسئلوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت	له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها الحالب	ترددها فی مصدر ثم مورد

ويوجد فی بعض الروايات قالا ای نزلا وقت القيلولة هـ

قلنا سمعنا قوله عرفنا حيث توجه صلى الله وقومه مرملين ای فقدت ازواجهم ومسنتين ای مجدبين ويروى مشتبين ای دخلوا فی الشتاء وكسر الخيمة بكسر الكاف وفتحها وسكون السين جانبها وتفاجّت بتشديد الجيم فتحت ما بين رجليها ويربض الرهط بضم المثناة التحتية وكسر الموحدة ای يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الارض من ربض فی المكان يربض اذا لصق به واقام والثج السيلان وفی رواية فحلب ثجا حتى علاه الثمال بضم المثلثة الرغوة واحدتها ثمالة والبها بها اللبن وهو وبيض رغوته ويتسا وكن هزلا ای يتمايلن ويروى يتشاركن من المشاركة ای يتساوين فی الهزال وعازب بالعين المعجمة ابقاه والشاء عازب ای بعيدة الرعی والابلج بالجيم المشرق الوجه المضيئة والحيال بكسر الحاء المهملة جمع حائل وهی التی ليس بها حمل والوضاءة الحسن والثجلة بفتح الثاء المثلثة وسكون الجيم عظيم البطن ويروى بالنون والحاء المهملة نحول ورقة والصعلة بفتح الصاد صغر الراس وهی ايضا الرقة والنحول فی البدن والوسيم الحسن وكذلك القسيم وفی عينيه دعج ای سواد والوطف قال فی القاموس محركة كثرة شعر الحاجبين والعينين وفی صوته صحل بالتحريك هو كالبحة بضم الموحدة وان لا يكون حاد الصوت واحور قال فی القاموس الحور بالتحريك ان يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها والكحل بفتحتين سواد فی اجفان العين خلقة والرجل اكحل وكحيل والازج الدقيق طرف الحاجبين وفی القاموس فی طول الحاجبين وفی عنقه سطع بفتحتين ای ارتفاع وطول وفی لحيته كثاثة بمثلثتين الكثاثة فی اللحية ان تكون غير دقيقة ولا طويلة وفيها كثافة يقال رجل كث اللحية بالفتح وقوم كث بالضم واذا تكلم سما وعلاه البهاء ای ارتفع وعلا على جلسائه وفصل بالصاد المهملة ولا نذر بسكون الذال المعجمة ولا هذر بفتحها ای بين ظاهر يفصل بين الحق والباطل ولا تشنؤه من طول كذا جاء فی رواية

اى لايُبغض لفرط طوله ويروى لايشنى من طول ابدل الهمزة يآء يقال شنيته اشنؤه
شنأ وشنأنا قاله ابن الاثير ولا تقتحمه عين من قصر اى لايتجاوزه الى غيره احتقارا له
وكل شئ ازدريته فقد اقتحمته ومحفودا اى مخدوم والمحشود الذى عنده حشد وهم
الجماعة ولا عابس من عبوس الوجه والمفند الذى يكثر اللوم وهو التفنيد والضرة
لحمة الضرع وفادرها اى خلف الشاة عندها مرتهنة بان تدرّ عندها واخرج ابن
سعيد وابو نعيم من طريق الواقدى حدثنى حزام بن هشام عن ابيه عن ام معبد قالت
بقيت الشاة التى لمس عليها عليه الصلوة والسلام ضرعها عندنا حتى كان زمان
الرمادة زمان عمر بن الخطاب وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا وما فى الارض قليل ولا
كثير ثم تعرض لهما بقديد سُراقة ابن مالك بن جعشم المدلجى فبكا ابو بكر وقال يا رسول
الله اُتينا قال كلا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات فساخت قوائم
فرسه وطلب الامان فقال اعلم ان قد دعوتما علىّ فادعوا لى ولكما ان اردّ الناس
عنكما ولا اضركما قال فوقفا لى فركبت فرسى حتى جئتهما قال ووقع فى نفسى حين لقيت
ما لقيت ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرتهما اخبار ما يريد
بهما الناس وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزانى واجتاز صلى الله عليه وسلم
فى وجهه ذلك بعبد يرعى غنما فكان من شانه ما رويناه من طريق البيهقى بسنده
عن قيس بن النعمان قال لما انطلق النبى صلى الله عليه وسلم وابو بكر مستخفين مرا
بعبد يرعى غنما فاستسقياه اللبن فقال ما عندى شاة تحلب غير ان ههنا عناقا
حملت عام اول وما بقى لها لبن فقال اُدع بها فاعتقلها رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومسح ضرعها ودعى حتى انزلت وجاء ابو بكر بمجن فحلب فسقى ابا بكر ثم حلب
فسقى الراعى ثم حلب فشرب فقال الراعى بالله من انت فوالله ما رايت مثلك قال
او تراك تكتم حتى اخبرك قال نعم قال فانى محمد رسول الله فقال انت الذى تزعم
قريش انه صابى قال انهم ليقولون ذلك قال فاشهد انك نبى وان ما جئت به حق
وانه لايفعل ما فعلت الا نبى وانا متبعك قال انك لن تستطيع ذلك يومك فاذا
بلغك انى قد ظهرت فائتنا قال الحافظ مغلطاى بعد ذكره لقصة ام معبد وفى الاكليل
قصة اخرى شبيهة بقصة ام معبد قال الحاكم فلا ادرى اهى هى ام غيرها ولما سمع
المسلمون بالمدينة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون
كل غداة الى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما اطالوا
انتظارهم فلما آووا الى بيوتهم اوفى رجل من يهود على اُطم من آطامهم لامر ينظر اليه
فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه السراب بهم يزول فلم يملك اليهودى

نفسه

نفسه فنادى باعلى صوته يا بنى قيله هذا جدكم اى حظكم ومطلوبكم قد اقبل فخرجوا
اليه بنو قيلة وهم الاوس والخزرج سراعا بسلاحهم فتلقوه فنزل بقبا على بنى
عمرو بن عوف الحديث رواه البخارى وفيه ان ابا بكر قام للناس وجلس رسول
الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحيى ابا بكر حتى اصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاقبل ابو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه
وسلم عند ذلك وظاهر هذا انه عليه الصلوة والسلام كانت الشمس تصيبه وما
تقدم من تظليل الغمام والملك له كان قبل بعثته كما هو صريح فى موضعه قال
موسى بن عقبة عن ابن شهاب وكان قدومه عليه السلام لهلال ربيع الاول اى
اول يوم منه وفى رواية جرير بن حازم عن ابن اسحق قدمها لليلتين خلتا من شهر
ربيع الاول ونحوه عن ابى معشر لكن قال ليلة الاثنين وعن ابن سعد قدمها لاثنتى
عشرة ليلة خلت من ربيع الاول وفى شرف المصطفى من طريق ابى بكر بن حزم قدم
لثلاث عشرة من ربيع الاول وهذا يجمع بينه وبين الذى قبله بالحمل على الاختلاف
فى رؤية الهلال وقيل كان حين اشتد الضحى يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة منه
وبه جزم النووى فى كتابه السير من الروضة وقال ابن الكلبى خرج من الغار يوم
الاثنين اول ربيع الاول ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتى عشرة منه وقيل لليلتين
منه وعند البيهقى اثنين وعشرين ليلة وقال ابن حزم خرجا من مكة وقد بقى
من صفر ثلاث ليال واقام على بمكة بعد مخرج النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة
ايام ثم ادركه بقبا يوم الاثنين سابع وقيل ثامن عشر ربيع وكان مدة مقامه
مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة او ليلتين وامر صلى الله عليه وسلم بالتاريخ
فكتب من حين الهجرة وقيل ان عمر اول من ارخ وجعله من المحرم واقام صلى الله
عليه وسلم بقبا فى بنى عمرو بن عوف اثنين وعشرين ليلة وفى صحيح مسلم اقام فيهم
اربعة عشر ليلة ويقال انه اقام يوم الاثنين والثلاثا والاربعا والخميس واسس
مسجد قبا الذى اسس على التقوى على الصحيح وهو اول مسجد بنى فى الاسلام و
اول مسجد صلى فيه صلى الله عليه وسلم باصحابه جماعة ظاهرا واول مسجد بنى لجماعة
المسلمين عامة وان كان قد تقدم بناء غيره من المساجد لكن لخصوص الذى بناه ثم
خرج صلى الله عليه وسلم من قبا يوم الجمعة حين ارتفع النهار فادركته الجمعة
فى بنى سالم بن عوف فصلاها بمن كان معه من المسلمين وهم مائة فى بطن وادى
رانونا براء مهملة ونونين ممدودا كعاشوراء وتاسوعاء واسم المسجد الغُبَيب كما

ضبطه صاحب المغانم المطابة بضم الغين المعجمة تصغير غب قال في القاموس
الغب كجنب والوادى صلب ولذا سمى مسجد الجمعة وهو مسجد صغير مبنى بحجارة
قدر نصف القامة وهو على يمين السالك الى مسجد قبا وركب صلى الله عليه وسلم
على راحلته متوجها للمدينة وروى انس بن مالك انه صلى الله عليه وسلم اقبل
الى المدينة وهو مردف ابا بكر وابو بكر شيخ يعرف والنبى صلى الله عليه وسلم
شاب لا يعرف فيلقى الرجل ابا بكر فيقول يا ابا بكر من هذا الرجل الذى بين يديك
قال يقول هذا الرجل الذى يهدينى السبيل قال فيحسب الحاسب انه انما يعنى الطريق
وانما يعنى سبيل الخير الحديث رواه البخارى وقد روى ابن سعد انه صلى الله
عليه وسلم قال لابى بكر اله عنى الناس فكان اذا سئل من انت قال باغى حاجة
فاذا قال من هذا معك قال يهدينى السبيل وفى حديث الطبرانى من رواية اسما
فكان ابو بكر معروفا فى الناس فاذا لقيه لاق يقول لابى بكر من هذا معك فيقول
هذا يهدينى السبيل يريد الهداية فى الدين ويحسبه الآخر دليلا وانما كان ابو بكر
معروفا لاهل المدينة لانه مر عليه فى سفرة للتجارة وكان صلى الله عليه وسلم
لم يشب وكان صلى الله عليه وسلم اسن من ابى بكر وفى حديث انس لم يكن فى الذين
هاجروا اشمط غير ابى بكر وكان صلى الله عليه وسلم كلما مر على دار من دور الانصار
يدعونه الى المقام عندهم يا رسول الله هلم الى القوة والمنعة فيقول خلوا سبيلها
يعنى ناقته فانها مأمورة وقد ارخى زمامها وما يحركها وهى تنظر يمينا وشمالا
حتى اذا اتت دار مالك بن النجار بركت على باب المسجد وهو يومئذ مربد لسهل
وسهيل ابنى رافع بن عمرو وهما يتيمان فى حجر معاذ بن عفرا ويقال اسعد بن
زرارة وهو المرجح ثم ثارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت على
باب ابى ايوب الانصارى ثم ثارت منه وبركت فى مبركها الاول والقت جرانها
بالارض يعنى باطن عنقها او مقدمه من المذبح وارزمت يعنى صوتت من غير
ان تفتح فاها ونزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله
تعالى واحتمل ابو ايوب رحله وادخله بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت دار
بنى النجار اوسط دور الانصار وافضلها وهم اخوال عبد المطلب جده عليه
الصلوة والسلام وفى حديث ايوب ابى الانصارى عند يوسف بن يعقوب فى
كتاب الذكر والدعاء له قال نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة
فكنت فى العلو فلما خلوت الى ام ايوب فقلت لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
احق بالعلو منا تنزل عليه الملئكة وينزل عليه الوحى فما بت تلك الليلة لا انا

صح فلما اصبحت قلت يا رسول الله ما بت انا ولا ام ايوب صح

ولا ام ايوب قال لم يا ابا ايوب قال كنت احق بالعلو منا تنزل عليك الملئكة وينزل
عليك الوحى لا والذى بعثك بالحق لا اعلو سقيفة انت تحتها ابدا الحديث ورواه
الحاكم ايضا وقد ذكر ان هذا البيت الذى لابى ايوب بناه له عليه السلام تبع الاول
لما مر بالمدينة وترك فيها اربعمائة عالم وكتب كتابا للنبى صلى الله عليه وسلم ودفعه
الى كبيرهم وساله ان يدفعه للنبى صلى الله عليه وسلم فتداول الدار الملاك الى ان صار
لابى ايوب وهو من ولد ذلك العالم قال واهل المدينة الذين نصروه عليه الصلاة
والسلام من ولد اولئك العلماء فعلى هذا انما نزل فى منزل نفسه لا منزل فى غيره كذا
حكاه فى تحقيق النصرة وفرح اهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم واشرقت
المدينة بحلوله فيها وسرى السرور الى القلوب قال انس بن مالك لما كان اليوم الذى دخل
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اضاء منها كل شئ وصعدت ذوات

الخدور على الاجاجير عند قدومه يقلن

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع ۞ وجب الشكر علينا ما دعى لله داع

قلت انشاد هذا الشعر عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة رواه البيهقى فى الدلائل
وابو الحسن بن المقرى فى كتاب الشمائل له عن ابن عائشة وذكره الطبرى فى الرياض عن ابى
الفضل بن الجمحى قال سمعت ابن عائشة يقول اراه عن ابيه فذكره وقال خرجه الحلوانى
على شرط الشيخين انتهى وسميت ثنية الوداع لانه صلى الله عليه وسلم ودعه بها
بعض المقيمين فى المدينة فى بعض اسفاره وقيل لانه عليه السلام شيع اليها بعض سراياه
فودعه عندها وقيل لان المسافر من المدينة كان يشيع اليها ويودع عندها قديما
وصحح القاضى عياض هذا الاخير واستدل عليه بقول نساء الانصار حين قدومه
صلى الله عليه وسلم طلع البدر علينا من ثنيات الوداع فدل على انه اسم قديم وقال
ابن بطال انما سميت ثنية الوداع لانهم كانوا يشيعون الحاج والغزاة اليها ويودعونهم
عندها واليها كانوا يخرجون عند التلقى انتهى قال شيخ الاسلام الولى بن العراقى
وهذا كله مردود ففى صحيح البخارى وسنن ابو داود والترمذى عن السايب بن يزيد
قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك خرج الناس يتلقونه
من ثنية الوداع قال وهذا صريح فى انها من جهة الشام ولهذا لما نقل والدى رحمه الله
فى شرح الترمذى كلام ابن بطال قال انه وهم قال وكلام ابن عائشة معضل لا يقام به
حجة انتهى وسبقه الى ذلك ابن القيم فى الهدى النبوى فقال هذا وهم من بعض الرواة لان
ثنية الوداع انما هى من جهة الشام لا يراها القادم من مكة ولا يمر بها الا اذا توجه الى
الشام وانما وقع ذلك عند قدومه من تبوك انتهى لكن قال ابن العراقى ايضا ويحتمل ان تكون

الثنية التى من كل جهة يصل اليها المشيعون يسمونها ثنية الوداع انتهى وفى شرف المصطفى
واخرجه البيهقى عن انس لما نزلت الناقة على باب ابى ايوب خرج جوار من بنى النجار بالدفوف
يقلن شعر نحن جوار من بنى النجار ، يا حبذا محمد من جار ، فقال صلى
الله عليه وسلم أتحببننى قلن نعم يا رسول الله وفى رواية الطبرانى فى الصغير فقال
صلى الله عليه وسلم الله يعلم ان قلبى يحبكم وقال الطبرى وتفرق الغلمان والخدم فى
الطرق ينادون جاء محمد جاء رسول الله ووعك ابو بكر وبلال فكان ابو بكر اذا اخذته
الحمى يقول

كل امرء مصبح فى اهله ، والموت ادنى من شراك نعله ،

وكان بلال اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول

الا ليت شعرى هل ابيتن ليلة ، بواد وحولى اذخر وجليل ،
وهل اردن يوما مياه مجنة ، وهل يبدون لى شامة وطفيل ،

اللهم العن شيبة بن ربيعة وامية بن خلف كما اخرجونا من ارضنا الى ارض الوباء ثم
قال صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد اللهم بارك لنا
فى صاعنا ومدنا وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة قالت يعنى عائشة وقدمنا
المدينة وهى اوبا ارض الله فكان بطحان يجرى نجلا يعنى ماء آجنا وقال عمر اللهم
ارزقنى شهادة فى سبيلك ، واجعل موتى فى بلد رسولك ، رواه البخارى وقوله
رفع عقيرته اى صوته لان العقيرة الساق كان الذى قطعت رجله رفعها وصاح
ثم قيل لكل من صاح ذلك حكاه الجوهرى وشامة وطفيل عينان بقرب مكة والمراد
بالوادى وادى مكة وجليل نبت ضعيف واقام صلى الله عليه وسلم عند ابى ايوب
سبعة اشهر وقيل الى صفر من السنة الثانية وقال الدولابى شهرا وكان يصلى حيث
ادركته الصلوة ولما اراد صلى الله عليه وسلم بناء المسجد الشريف قال يا بنى النجار
ثامنونى بحائطكم قالوا لا نطلب ثمنه الا الى الله تعالى فابى ذلك صلى الله عليه وسلم
وابتاعها بعشرة دنانير اداها من مال ابى بكر رضى الله عنه وكان قد خرج من مكة
بماله كله قال انس وكان فى موضع المسجد نخل وخرب ومقابر مشركين فامر بالقبور
فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطعت ثم امر باتخاذ اللبن فاتخذ وبنى المسجد
وسقف بالجريد وجعلت عمده خشب النخل وعمل فيه المسلمون وكان عمار ابن ياسر
ينقل لبنتين لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام
للناس اجر ولك اجران وآخر زادك من الدنيا شربة لبن وتقتلك الفئة الباغية وروينا
انه صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم اللبن فى ثيابه ويقول وهو ينقل ،

هذا الحمال لا حمال خيبر ، هذا ابر ربنا واطهر ،،

اللهم

اللهم ان الاجر اجر الاخرة ، فارحم الانصار والمهاجرة ،

قال ابن شهاب ولم يبلغنا انه صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا انتهى
وقد قيل ان الممتنع عليه صلى الله عليه وسلم انشاء الشعر لا انشاده ولا دليل على
منع انشاده متمثلا وقوله هذا الحمال بكسر الحاء المهملة وتخفيف الميم اى المحمول من اللبن
ابر عند الله من حمال خيبر اى التى يحمل منها من التمر والزبيب ونحو ذلك وفى رواية المستملى
بالجيم انتهى وفى كتاب تحقيق النصرة قيل ووضع عليه السلام رداه فوضع الناس
اردبتهم وهم يقولون ، لئن قعدنا والنبى يعمل ، ذاك اذا للعمل المضلل ، وآخرون يقولون
لا يستوى من يعمر المساجدا ، يدأب فيها قائما وقاعدا ، ومن يرى عن التراب حائدا ،
وجعلت قبلة المسجد للقدس وجعل له ثلاثة ابواب باب فى مؤخره وباب يقال
له باب الرحمة والباب الذى يدخل منه وجعل طوله مما يلى القبلة الى مؤخره مائة
ذراع وفى الجانبين مثل ذلك او دونه وجعل اساسه قريبا من ثلاثة اذرع وبنى
بيوتا الى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد فلما فرغ من البناء بنى لعائشة
فى البيت الذى يليه شارعا الى المسجد وجعل سودة بنت زمعة فى البيت الآخر
الذى يليه الى الباب الذى يلى لآل عثمان ثم تحول عليه السلام من دار ابى ايوب الى
مساكنه التى بناها وكان قد ارسل زيد بن حارثة وابا رافع مولاه الى مكة فقدما
بفاطمة وام كلثوم وسودة بنت زمعة واسامة بن زيد وام ايمن وخرج عبد
الله بن ابى بكر معهم بعيال ابيه وكان فى المسجد موضع مظلل تاوى اليه المساكين
يسمى الصفة وكانوا اهله يسمون اهل الصفة وكان عليه السلام يدعوهم بالليل
فيفرقهم على اصحابه وتتعشى طائفة منهم معه عليه السلام وفى البخارى من حديث
ابى هريرة لقد رايت سبعين من اصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما ازار واما
كساء قد ربطوا فى اعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساق ومنها ما يبلغ الكعبين
فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته وهذا يشعر بانهم كانوا اكثر من سبعين وهؤلاء
الذين راهم ابو هريرة غير السبعين الذين بعثهم فى غزوة بير معونة وكانوا من اهل
الصفة ايضا لكنهم استشهدوا قبل اسلام ابى هريرة وقد اعتنى بجمع اصحاب
الصفة ابن الاعرابى والسلمى والحاكم وابو نعيم وعند كل منهم ما ليس عند الآخر وفيما
ذكروه اعتراض ومناقشة قاله فى فتح البارى وكان صلى الله عليه وسلم يخطب
يوم الجمعة الى جذع فى المسجد قائما فقال ان القيام قد شق على فصنع له المنبر
وكان عمله وحنين الجذع فى السنة الثامنة بالميم من الهجرة وبه جزم ابن النجار
وعورض بما فى حديث الافك فى الصحيحين قالت عائشة فثار الحيان الاوس والخزرج

حتى تحيى وصوطائفة اهـ

حتى كادوا ان يقتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فنزل فخفظهم حتى
سكتوا وجزم ابن سعد بان عمل المنبر كان فى السنة السابعة وعورض بذكر العباس
وتميم فيه وكان قدوم العباس بعد الفتح فى آخر سنة ثمان وقدوم تميم سنة
تسع وعن بعض اهل السير انه عليه الصلوة والسلام كان يخطب على منبر من طين
قبل ان يتخذ المنبر الذى من خشب وعورض بان الاحاديث الصحيحة انه كان يستند
الى الجذع اذا خطب وستاتى قصة حنين الجذع ان شاء الله تعالى فى مقصد المعجزات
ولما كان بعد قدومه بخمسة اشهر آخى عليه الصلوة والسلام بين المهاجرين و
الانصار وكانوا تسعين رجلا من كل طائفة خمسة واربعون على الحق والمواساة
والتوارث وكانوا كذلك الى ان نزل بعد بدر واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض الآية
وبنى بعائشة على راس تسعة اشهر وقيل ثمانية وقيل ثمانية عشر شهرا فى شوال
وكان الناس كما فى السير وغيرهما انما يجتمعون الى الصلوة لتحين مواقيتها من غير
دعوة وقيل كان ذلك فى السنة الثانية واخرج ابن سعد فى الطبقات من مراسيل
سعيد بن المسيب ان بلالا كان ينادى للصلوة بقوله الصلوة جامعة الحديث
وشاور صلى الله عليه وسلم اصحابه فيما يجمعهم به للصلوة فقال بعضهم ناقوس
كناقوس النصارى وقال اخرون بوق كبوق اليهود وقال بعضهم بل نوقد نارا ونرفعها
فاذا راها الناس اقبلوا الى الصلوة فراى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه
فى منامه رجلا فعلمه الاذان والاقامة فلما اصبح اتى النبى صلى الله عليه وسلم
فاخبره بما راى وفى رواية معاذ بن جبل عند الامام احمد قال يا رسول الله انى
رايت فيما يرى النائم ولو قلت انى لم اكن نائما لصدقت رايت شخصا عليه ثوبان
اخضران فاستقبل القبله فقال الله اكبر مثنى مثنى حتى فرغ من الاذان الحديث
فقال صلى الله عليه وسلم انها لرؤيا حق ان شاء الله تعالى قم مع بلال فالق
عليه ما رايت فليؤذن به فانه اندى صوتا منك قال فقمت مع بلال فجعلت القيه
عليه ويؤذن قال فسمع بذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو فى بيته فخرج
يجر رداه ويقول والذى بعثك بالحق يا رسول الله لقد رايت مثل ما راى ووقع
فى الاوسط للطبرانى ان ابا بكر ايضا راى الاذان وفى الوسيط للغزالى انه راه
بضعة عشر رجلا وعبارة الجيلى فى شرح التنبيه اربعة عشر وانكره ابن الصلاح
ثم النووى وفى سيرة مغلطاى انه راه سبعة من الانصار قال الحافظ ابو الفضل
بن حجر رحمه الله ولا يثبت شئ من ذلك الا لعبد الله بن زيد وقصة عمر جاءت
فى بعض الطرق انتهى قال السهيلى فان قلت ما الحكمة التى خصت الاذان بان يراه

اى دخل عليها ه

رجل

رجل من المسلمين فى نومه ولم يكن عن وحى من الله لنبيه كسائر العبادات والاحكام
الشرعية وفى قوله صلى الله عليه وسلم انها لرؤيا حق ثم بنى حكم الاذان عليها
وهل كان ذلك عن وحى من الله له ام لا واجاب بانه صلى الله عليه وسلم قد
أريه ليلة الاسرى فروى البزار عن على قال لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله
الاذان جاءه جبريل عليه الصلوة والسلام بدابة يقال لها البراق فركبها
حتى اتى بها الحجاب الذى يلى الرحمن فبينما هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب
فقال صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذى بعثك بالحق نبيا انى لاقرب
الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتى هذه فقال الملك
الله اكبر الله اكبر فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى انا اكبر انا اكبر وذكر
بقية الاذان قال السهيلى وهذا اقوى من الوحى فلما تاخر فرض الاذان الى المدينة
واراد اعلام الناس بوقت الصلوه فلبث الوحى حتى راى عبد الله الرؤيا فوافقت
ما راى صلى الله عليه وسلم فلذلك قال انها لرؤيا حق ان شاء الله تعالى وعلم
حينئذ ان مراد الله بما راه فى السماء ان يكون سنة فى الارض وقوى ذلك عنده
موافقة رؤيا عمر للانصارى انتهى وتعقب بان حديث البزار فى اسناده زيادة بن
المنذر ابو الجارود وهو متروك وقال فى فتح البارى وقد استشكل اثبات حكم الاذان
برؤيا عبد الله بن زيد فان رؤيا غير الانبياء لا ينبى عليها حكم شرعى واجيب باحتمال
مقارنة الوحى لذلك ويؤيده ما رواه عبد الرزاق وابو داود فى المراسيل من طريق
عبيد بن عمير الليثى احد كبار التابعين ان عمر لما راى الاذان جاء ليخبر النبى صلى
الله عليه وسلم فوجد الوحى قد ورد بذلك فما راعه الا اذان بلال فقال له النبى
صلى الله عليه وسلم سبقك بذلك الوحى وهذا اصح مما حكى الداودى ان جبريل
اتى النبى صلى الله عليه وسلم بالاذان قبل ان يخبره عبد الله بن زيد وعمر بثمانية
ايام وقد عرفت رؤيا عبد الله بن زيد برواية ابن اسحق وغيره وذلك انه قال طاف
بى وانا نائم رجل يحمل ناقوسا فى يده فقلت له يا عبد الله اتبيع الناقوس قال وما
تصنع به فقلت ندعو به الصلوة قال افلا ادلك على ما هو خير لك من ذلك
فقلت بلى تقول الله اكبر الله اكبر وذكر بقية كلمات الاذان قال ثم استاخر عنى
غير بعيد ثم قال اذا قمت الى الصلاة فقل الله اكبر الله اكبر الى آخر كلمات الاقامة
ورواه ابو داود باسناد صحيح ولم تعرف كيفية رؤيا عمر حين راى النداء وقد
قال رايت مثل الذى راى وفى مسند الحارث اول من اذن بالصلوة جبريل اذن
فى سماء الدنيا فسمعه عمر وبلال فسبق عمر بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بتشديد الواو وتخفيفها ه

فاخبره بها فقال عليه الصلوة والسلام لبلال سبقك بها عمر وظاهره ان عمر
سمع ذلك فى اليقظة وقد وردت احاديث تدل على ان الاذان شرع بمكة قبل
الهجرة منها للطبرانى من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه قال لما اسرى بالنبى
صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى اليه الاذان فنزل به وعلمه بلالا وفى
اسناده طلحة بن زيد وهو متروك ومنها للدارقطنى فى الافراد من حديث انس
ان جبريل امر النبى صلى الله عليه وسلم بالاذان حين فرضت الصلوة واسناده
ضعيف و منها حديث البزار عن على المتقدم قال فى فتح البارى والحق انه لا يصح
شىء من هذه الاحاديث وقد جزم ابن المنذر بانه عليه الصلوة والسلام كان
يصلى بغير اذان منذ فرضت الصلوة الى ان هاجر الى المدينة الى ان وقع التشاور
فى ذلك والله اعلم فان قلت هل اذن صلى الله عليه وسلم بنفسه قط اجاب
السهيلى بانه روى الترمذى من طريق يدور على عمر بن الرماح قاضى بلخ يرفعه
الى ابى هريرة انه صلى الله عليه وسلم اذن فى سفر وصلى وهم على رواحلهم الحديث
قال فنزع بعض الناس بهذا الحديث الى انه صلى الله عليه وسلم اذن بنفسه انتهى
وليس هذا من حديث ابى هريرة انما هو من حديث يعلى بن مرة وكذا جزم النووى
بانه عليه الصلوة والسلام اذن مرة فى السفر وعزاه للترمذى وقواه لكن روى
الحديث الدارقطنى وقال فيه امر بالاذان ولم يقل اذن قال السهيلى والمفصل
يقضى على المجمل المحتمل وفى مسند احمد من الوجه الذى اخرج منه الترمذى هذا
الحديث فامر بلالا فاذن قال فى فتح البارى فعرفنا ان فى رواية الترمذى اختصارا
وان قوله اذن امر كما يقال اعطى الخليفة فلانا الفا وانما باشر العطاء غيره ونسب
الخليفة لكونه امرا انتهى نعم ثبت فى صحيح مسلم وغيره انه صلى الله عليه وسلم صلى
خلف عبد الرحمن بن عوف ولفظه عن المغيرة بن شعبة انه غزا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم تبوك فتبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الغائط
فحمل معه اداوة قبل صلوة الفجر الحديث وفيه قال فاقبلت معه حتى نجد الناس
قد قدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى لهم فادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم
احدى الركعتين وصلى مع الناس الركعة الاخيرة فلما سلم عبد الرحمن بن عوف
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يتم صلاته فافزع ذلك المسلمين فاكثروا التسبيح
فلما قضى النبى صلى الله عليه وسلم صلاته اقبل عليهم ثم قال احسنتم او قال قد
اصبتم يغبطهم ان صلوا لوقتها ورواه ابو داود فى السنن بنحوه ولفظه ووجدنا
عبد الرحمن وقد ركع لهم ركعة من صلوة الفجر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم

فصف مع المسلمين فصلى وراء عبد الرحمن بن عوف الركعة الثانية ثم سلم عبد الرحمن
فقام النبى صلى الله عليه وسلم فى صلاته الحديث قال النووى فيه جواز اقتداء
الفاضل بالمفضول وجواز اقتداء النبى صلى الله عليه وسلم خلف بعض امته قال اما
بقاء عبد الرحمن فى صلاته وتاخر ابى بكر ليتقدم النبى صلى الله عليه وسلم فالفرق
بينهما ان عبد الرحمن كان قد ركع ركعة فترك النبى صلى الله عليه وسلم التقديم لئلا
يختل ترتيب صلوة القوم بخلاف صلوة ابى بكر نعم فى السيرة الهشامية ان ابا بكر
كان الامام وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتم به لكنه كما قال السهيلى
حديث مرسل فى السيرة قال والمعروف فى الصحاح ان ابا بكر كان يصلى بصلوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يصلون بصلوة ابى بكر لكن روى عن انس
من طريق متصل ان ابا بكر كان الامام يومئذ واختلف فيه خبر عائشة رضى الله
عنها انتهى وفى الترمذى مصححا من حديث جابر آخر صلوة صلاها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى ثوب واحد متوشحا به خلف ابى بكر قال ابن الملقن وقد نصر هذا
القول غير واحد من الحفاظ منهم الضيا وابن ناصر وقال صح وثبت انه صلى الله
عليه وسلم صلى خلف ابى بكر مقتديا به فى مرضه الذى مات فيه ثلاث مرات ولا
ينكر هذا الا جاهل لا علم له بالرواية وقد قيل انه كان مرتين جمعا بين الاحاديث
وبه جزم ابن حبان وروى الدارقطنى من طريق المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما مات نبى حتى يؤمه رجل من امته ولما كان بعد شهر من
مقدمه عليه الصلوة والسلام لاثنى عشرة خلت من ربيع الاخر قال الدولابى
يوم الثلاثا وقال السهيلى بعد الهجرة بعام او نحوه زيد فى صلوة الحضر ركعتان
ركعتان وتركت صلوة الفجر لطول القراءة فيها وصلاة المغرب لانها وتر النهار
واقرت صلوة السفر وفى البخارى عن عائشة فرضت الصلوة ركعتين ركعتين
ثم هاجر عليه الصلوة والسلام الى المدينة ففرضت اربعا وتركت صلوة السفر
على الفريضة الاولى وقيل انما فرضت اربعا ثم خففت عن المسافر ويدل له حديث
ان الله وضع عن المسافر شطر الصلوة وقيل انما فرضت فى الحضر اربعا وفى السفر
ركعتين وهو قول ابن عباس قال رضى الله تعالى عنه فرض الله تعالى الصلوة
على لسان نبيكم فى الحضر اربعا وفى السفر ركعتين رواه مسلم وغيره وسياتى تمامه
ان شاء الله تعالى فى اول الصلوة من مقصد عباداته عليه الصلوة والسلام قال
ابن اسحق وغيره ونصبت احبار اليهود العداوة للنبى صلى الله عليه وسلم بغيا
وحسدا وعداوة وسحره لبيد بن الاعصم وهو من يهود بنى زريق فكان يخيل اليه

انه يفعل الفعل وهو لا يفعله وجعل سحره في مشط ومشاطة ودفنه في بئر ذي
اروان واكثر اهل الحديث يقول ذروان تحت راعوفة البئر كما ثبت في الصحيح
وليس هذا بقادح في النبوة فان الانبياء يبتلون في ابدانهم بالجراحات والسموم
والقتل وغير ذلك مما جوزه العلماء عليهم وانضاف الى اليهود وجماعة من الاوس
والخزرج منافقون على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث الا انهم
قهروا بظهور الاسلام واتخذوه جنة من القتل ونافقوا في السر منهم عبد الله
بن ابي بن سلول وكان راس المنافقين وهو الذي قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل كما سياتي ان شاء الله تعالى في غزوة بني المصطلق واذن الله
تعالى لرسوله عليه الصلوة والسلام بالقتال قال الزهري اول اية نزلت في الاذن
بالقتال أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير اخرجه النسائي
باسناد صحيح قال في البحر والماذون فيه اي في الآية محذوف اي في القتال لدلالة
يقاتلون عليه وعلل الاذن بانهم ظلموا كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه
وسلم من بين مضروب ومشجوج فيقول لهم اصبروا فاني لم اؤمر بالقتال حتى
هاجر فاذن له في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية انتهى وقال غيره
وانما شرع الله تعالى الجهاد في الوقت اللائق به لانهم لما كانوا بمكة كان المشركون
اكثر عددا فلو امر المسلمين وهم قليلون بقتال الباغين لشق عليهم فلما بغى المشركون
واخرجوه عليه الصلوة والسلام من بين اظهرهم وهموا بقتله فلما استقر عليه
الصلوة والسلام بالمدينة واجتمع عليه اصحابه وقاموا بنصره وصارت
المدينة لهم دار السلام ومعقلا يلجؤن اليه شرع الله جهاد الاعداء فبعث
صلى الله عليه وسلم البعوث والسرايا وغزا وقاتل هو واصحابه حتى دخل
الناس في دين الله افواجا افواجا وكان عدد مغازيه عليه الصلوة والسلام
التي خرج فيها بنفسه سبعا وعشرين قاتل في تسع منها بنفسه بدر واحد
والمريسيع والخندق وقريظة وخيبر وفتح مكة وحنين والطائف وهذا
على قول من قال فتحت عنوة وكانت سراياه التي بعث فيها سبعا واربعين سرية
وقيل انه قاتل في بني النضير وافاد في فتح الباري ان السرية بفتح المهملة وكسر
الراء وتشديد التحتانية هي التي تخرج بالليل والسارية هي التي تخرج بالنهار قال وقيل
سميت بذلك يعني السرية لانها تخفي ذهابها وهذا يقتضي انها اخذت من السر
ولا يصح لاختلاف المادة وهي قطعة من الجيش تخرج منه وتعود اليه وهي من مائة
الى خمسمائة فما زاد على خمسمائة يقال له منسر بالنون ثم المهملة فان زاد على الثمانمائة

وفي رواية انه كان يرى انه يجامع ولم يجامع فيسأل نساءه
هل حصل شيء فيقلن له لا ومكث ثلاثين يوما ثم رأى في المنام
رجلين احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال احدهما
لصاحبه ماله فقال مطبوب ودواؤه اخراج السحر من
بئر ذروان ثم نفث المعوذتين ونفل ويمسح بهما
جسده فلما استيقظ ارسل عليا والزبير الى
البئر فاستخرجا ذلك منها واتيا النبي صلى الله عليه
وسلم. هـ

سلول اسم امه وابن نعت لعبد
الله لا لابي فيجب تنوين ابي

قوله قاتل اي حضر القتال بحيث لو احتيج اليه لقاتل والصحيح
انه لم يقاتل الا مرة او مرتين وقتل واحدا فقط يوم احد
هـ

سمي جيشا فان زاد على اربعة آلاف سمي جحفلا والخميس الجيش العظيم وما افترق
من السرية يسمى بعثا والكتيبة ما اجتمع ولم ينتشر انتهى ملخصا وكان اول بعوثه
صلى الله عليه وسلم على راس سبعة اشهر في شهر رمضان وقيل في ربيع الاول
سنة اثنين بعث عمه حمزة وامره على ثلثين رجلا من المهاجرين وقيل من الانصار
وفيه نظر لانه لم يبعث احدا من الانصار حتى غزا بهم بدرا لانهم شرطوا له انهم
يمنعوه في دارهم فخرجوا يعترضون عير القريش فيها ابو جهل اللعين فلقيه في ثلاث
مائة راكب فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص فلما تصافوا حجز بينهم مجدي
بن عمرو الجهني وكان عليه الصلوة والسلام قد عقد له لواء ابيض واللواء هو
العلم الذي يحمل في الحرب يعرف به موضع صاحب الجيش وقد يحمله امير الجيش وقد
يدفعه لمقدم العسكر وقد صرح جماعة من اهل اللغة بترادف اللواء والراية
لكن روى احمد والترمذي عن ابن عباس كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم
سوداء ولواؤه ابيض ومثله عند الطبراني عن بريدة وعند ابن عدي عن ابي هريرة
وزاد مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله وهو ظاهر في التغاير فلعل
التفرقة بينهما عرفية وذكر ابن اسحق وكذا ابو الاسود عن عروة ان اول ما حدث
الرايات يوم خيبر وما كانوا يعرفون قبل ذلك الا الالوية ثم سرية عبيدة بن
الحارث الى بطن رابغ في شوال على راس ثمانية اشهر في ستين رجلا وعقد له لواء
ابيض حمله مسطح بن اثاثة يلقى ابا سفيان بن حرب وكان على المشركين وقيل مكرز
بن حفص وقيل عكرمة بن ابي جهل في مائتين ولم يكن بينهم قتال الا ان سعد بن
ابي وقاص رمى بسهم فكان اول سهم رمي في الاسلام قال ابن اسحق فكانت
راية عبيدة فيما بلغنا اول راية عقدت في الاسلام وبعض الناس يقول راية
حمزة قال وانما اشكل امرها لانه عليه الصلوة والسلام بعثهما معا فاشتبه بذلك
على الناس انتهى وهذا يشكل بقول بعضهم ان بعث حمزة كان على راس سبعة اشهر
لكن يحتمل ان يكون صلى الله عليه وسلم عقد رايتهما معا ثم تأخر خروج عبيدة الى
رأس الثمانية لامر اقتضاه والله اعلم ثم سرية سعد بن ابي وقاص الى الخرار بخاء
معجمة وراء بن مهملتين وهو واد بالحجاز يصب في الجحفة وكان ذلك في القعدة على راس
تسعة اشهر وعقد له لواء ابيض حمله المقداد بن عمرو في عشرين رجلا يعترض عيرا
لقريش فخرجوا على اقدامهم فصبحوها صبح خامسه فوجدوا العير قد مرت بالامس
ثم غزوة ودان وهي الابوا وهي اول مغازيه كما ذكره ابن اسحق وغيره وفي البخاري
عنه اولها الابوا خرج صلى الله عليه وسلم في صفر على راس اثني عشر شهرا من مقدمه

وودان مكان بينهما ستة اميال
وفي البخاري اولها الابواء كما صرح به
المص. هـ

المدينة يريد قريشا فى ستين رجلا وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب فكانت الموادعة
اى المصالحة على ان بنى ضمرة لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعا ولا يعينون عدوا
واستعمل على المدينة سعد بن عبادة وليس فيما وقع فى سيرة ابن اسحق وبين ما
نقله عنه البخارى اختلاف لان الابوا وودان مكانان متقاربان بينهما ستة
اميال او ثمانية ثم غزوة بواط بفتح الموحدة وقد تضم وتخفيف الواو اخره مهملة
وهى الثانية غزاها صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الاول على راس ثلاثة عشر من
الهجرة حتى بلغها من ناحية رضوى وهو جبل عظيم بفتح الرا وسكون المعجمة مقصود
فى مائتين من اصحابه يتعرض عيرا لقريش فيهم امية بن خلف الجمحى واستعمل على المدينة
السائب بن عثمان بن مطعون فرجع ولم يلق كيدا اى حربا قال ابن الاثير والكيد الاحتيال
والاجتهاد وبه سميت الحرب كيدا ثم غزوة العشيرة بالشين المعجمة والتصغير
آخرها ها لم تختلف اهل المغازى فى ذلك وفى البخارى العشيرا والعشيرة بالتصغير
والاولى بالمعجمة بلا هاء والثانية بالمهملة وبالهاء واما غزوة العسرة بالمهملة
بلا تصغير فهى غزوة تبوك وستاتى ان شاء الله تعالى ونسبت هذه الى المكان الذى
وصلوا اليه وهو موضع لبنى مدلج بينبع وخرج اليها صلى الله عليه وسلم فى
جمادى الاولى وقيل الآخر على راس ستة عشر شهرا من الهجرة فى خمسين ومائة رجل و
قيل مائتى رجل ومعهم ثلثون بعيرا يعتقبونها وحمل اللواء حمزة وكان ابيض يريد
عير قريش التى صدرت من مكة الى الشام بالتجارة فخرج اليها ليغتنمها فوجدها قد
مضت ووادع بنى مدلج من كنانة وكانت نسخة الموادعة فيما ذكر غير ابن اسحق بسم الله
الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لبنى ضمرة فانهم آمنون على اموالهم و
انفسهم وان لهم النصر على من رامهم ان لا يحاربوا فى دين الله ما بل بحر صوفة وان
النبى اذا دعاهم لنصر اجابوه عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسول الله قال ابن هشام
واستعمل على المدينة ابا سلمة بن عبد الاسد ثم غزوة بدر الاولى قال ابن اسحق
ولما رجع عليه الصلوة والسلام من غزوة العشيرة لم يقم الا ليالى وقال ابن حزم بعد
العشيرة لعشرة ايام حتى اغار كرز بن جابر الفهرى على سرح المدينة فخرج صلى الله عليه
وسلم فى طلبه حتى بلغ سفوان بفتح المهملة والفا موضع من ناحية بدر ففاته
كرز بن جابر وتسمى بدر الاولى قال ابن هشام واستعمل على المدينة زيد بن حارثة
وحمل اللواء على بن ابى طالب رضى الله عنه ثم سرية امير المؤمنين عبد الله
بن جحش فى رجب على راس سبعة عشر شهرا وكان معه ثمانية وقيل اثنى عشر
من المهاجرين الى نخلة على ليلة من مكة فى رجب يترصد قريشا فمرت بهم عيرهم تحمل

زبيبا

زبيبا وادما من الطائف فيها عمرو بن الحضرمى فتشاور المسلمون وقالوا نحن فى آخر
يوم من رجب فان قاتلناهم هتكنا حرمة الشهر وان تركناهم الليلة دخلوا حرم
مكة فاجمعوا على قتلهم فقتلوا عمرا واستاسروا عثمان بن عبد الله والحكم بن
كيسان وهرب من هرب واستاقوا العير فكانت اول غنيمة فى الاسلام فقسمها
عبد الله بن جحش وعزل الخمس فى ذلك قبل ان يفرض ويقال بل قدموا بالغنيمة
كلها فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما امرتكم بالقتال فى الشهر الحرام فاخر الاسيرين
والغنيمة حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائمها وتكلمت قريش ان محمدا سفك
الدماء واخذ المال فى الشهر الحرام فانزل الله تعالى يسئلونك عن الشهر
الحرام قتال فيه الآية وفى ذلك يقول عبد الله بن جحش

تعدون قتلا فى الحرام عظيمة	واعظم منه لو يرى ذاك راشد
صدودكم عما يقول محمد	وكفر به والله راء وشاهد
سقينا من ابن الحضرمى رماحنا	بنخلة لما اوقد الحرب واقد

وبعث قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء الاسيرين وهما عثمان
بن عبد الله والحكم بن كيسان ففداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما الحكم
فاسلم وحسن اسلامه واقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر
معونة شهيدا واما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافرا ثم حولت القبلة الى الكعبة
وكان صلى الله عليه وسلم يصلى الى بيت المقدس بالمدينة ستة عشر وقيل سبعة
وقيل ثمانية عشر شهرا وقال الحربى قدم صلى الله عليه وسلم المدينة فى ربيع
الاول فصلى الى بيت المقدس تمام السنة وصلى من سنة اثنين ستة اشهر ثم
حولت القبلة وقيل كان تحويلها فى جمادى وقيل كان يوم الثلاثا نصف شعبان
وقيل يوم الاثنين نصف رجب وظاهر حديث البرا فى البخارى انها كانت صلوة
العصر ووقع عند النسائى من رواية ابى سعيد بن العلا انها الظهر واما اهل قبا
فلم يبلغهم الخبر الى صلوة الفجر من اليوم الثانى كما فى الصحيحين عن ابن عمر انه قال بينا
الناس بقبا فى صلوة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
امر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا
الى الكعبة وفى هذا دليل على ان الناسخ لا يلزم حكمه الا بعد العلم به وان تقدم نزوله
لانهم لم يؤمروا باعادة العصر والمغرب والعشاء والله اعلم وروى الطبرى عن
ابن عباس لما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة واليهود اكثر اهلها يستقبلون
بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها سبعة عشر شهرا وكان صلى الله عليه

وسلم يحب ان يستقبل قبلة ابرهيم فكان يدعو وينظر الى السماء فنزلت الآية
قال فى فتح البارى وظاهر حديث ابن عباس هذا ان استقبال بيت المقدس انما
وقع بعد الهجرة الى المدينة لكن اخرج احمد من وجه اخر عن ابن عباس كان صلى الله
عليه وسلم يصلى بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه قال والجمع بينهما
ممكن بان يكون امر لما هاجر ان يستمر على الصلوة لبيت المقدس واخرج الطبرى
ايضا من طريق ابن جريج قال النبى صلى الله عليه وسلم اول ما صلى الى الكعبة ثم صرف
الى بيت المقدس وهو بمكة فصلى ثلاث حجج ثم هاجر فصلى اليه بعد قدومه الى المدينة
ستة عشر شهرا ثم وجهه الله الى الكعبة وقوله فى حديث ابن عباس الاول
امره الله يرد قول من قال انه صلى الله عليه وسلم صلى الى بيت المقدس باجتهاد
وعن ابى العالية انه صلى الى بيت المقدس تألفا اهل الكتاب وهذا لا ينفى ان يكون
بتوقيف واختلفوا فى المسجد الذى كان يصلى فيه فعند ابن سعد فى الطبقات انه
صلى ركعتين من الظهر فى مسجده بالمسلمين ثم امر ان يتوجه الى المسجد الحرام فاستدار
اليه ودار معه المسلمون ويقال انه صلى الله عليه وسلم زار ام بشر بن البراء بن
معرور فى بنى سلمة فصنعت له طعاما وكانت الظهر فصلى عليه الصلوة والسلام
باصحابه ركعتين ثم امر فاستدار الى الكعبة واستقبل الميزاب فسمى مسجد القبلتين
قال ابن سعد قال الواقدى هذا عندنا اثبت ولما حول الله تعالى القبلة
حصل الناس لبعض من المنافقين والكفار واليهود ارتياب وزيغ عن الهدى
وشك وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها اى ما لهؤلاء تارة يستقبلون
كذا وتارة كذا فانزل الله جوابهم فى قوله قل لله المشرق والمغرب اى الحكم والتصرف
والامر كله لله فحيث ما وجهنا توجهنا فالطاعة فى امتثال امره ولو وجهنا كل يوم
مرات الى جهات متعددة فنحن عبيده وفى تصريفه وخدامه حيث ما وجهنا
توجهنا ولله تعالى بنبينا عليه الصلوة والسلام وبامته عناية عظيمة اذ
هداهم الى قبلة خليله قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه احمد من حديث
عائشة ان اليهود لا يحسدوننا على يوم الجمعة التى هدانا الله لها وضلوا
عنها وعلى القبلة التى هدانا الله اليها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الامام
امين وقال بعض المومنين فكيف صلاتنا التى صليناها نحو بيت المقدس وكيف
من مات من اخواننا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله وما كان الله ليضيع
ايمانكم وقيل قال اليهود اشتاق الى بلد ابيه وهو يريد ان يرضى قومه ولو ثبت
على قبلتنا لرجونا ان يكون هو النبى الذى ننتظر ان ياتى فانزل الله تعالى وان الذين

اوتوا الكتاب

اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم يعنى ان اليهود الذين انكروا استقبالكم
الكعبة وانصرافكم عن بيت المقدس يعلمون ان الله سيوجهك اليها بما فى كتبهم
عن انبيائهم ثم فرض صيام شهر رمضان بعد ما حولت القبلة الى الكعبة
بشهر فى شعبان على راس ثمانية عشر شهرا من مقدمه عليه الصلوة والسلام
وزكوة الفطر قبل العيد بيومين ان يخرج عن الصغير والكبير والحر والعبد
والذكر والانثى صاع من تمر او صاع من شعير او صاع من زبيب او صاع من بر
وذلك قبل ان تفرض زكوة الاموال فرضت فيها وقيل قبل الهجرة والله اعلم ثم
غزوة بدر الكبرى وتسمى العظمى والثانية وبدر القتال وهى قرية مشهورة نسبت
الى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة كان نزلها وقيل بدر بن الحرث حافر بيرها وقيل
بدر اسم البير الذى بها سميت لاستدارتها ولصفائها ورؤية البدر فيها
وقال ابن كثير وهو يوم الفرقان الذى اعز الله فيه الاسلام واهله ودمغ
فيه الشرك وخرب محله هذا مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو مع ما كانوا
فيه من سوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيول المسومة والخيلاء الزائدة فاعز
الله رسوله واظهر وحيه وتنزيله وبيض وجه النبى صلى الله عليه وسلم وقبيله
واخزى الشيطان وجيله ولهذا قال الله تعالى ممتنا على عباده المؤمنين وحزبه
المتقين ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة اى قليل عددكم لتعلموا ان النصر
انما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد انتهى فقد كانت هذه الغزوة اعظم
غزوات الاسلام ومنها كان ظهوره وبعد وقوعها اشرق على الآفاق نوره
ومن حين وقوعها اذل الله الكفار واعز من حضرها من المسلمين فهو عنده
من الابرار وكان خروجهم يوم السبت لثنتى عشرة خلت من رمضان على راس تسعة
عشر شهرا ويقال لثمان خلون منه قال ابن هشام واستخلف ابا لبابة الانصارى
وخرج معه الانصار ولم تكن قبل ذلك خرجت معه وكان عدة من خرج معه
ثلاثمائة وخمسة وثمانية لم يحضروها انما ضرب لهم بسهمهم واجرهم فكانوا كمن
حضرها وكان معهم ثلاثة افراس مسرجة بعزجة فرس المقداد واليعسوب فرس
الزبير وفرس لمرثد الغنوى لم يكن لهم خيل يومئذ غير هذه وكان معهم سبعون
بعيرا وكان المشركون الفا ويقال تسعمائة وخمسون رجلا معهم مائة فرس و
سبعمائة بعير وكان قتالهم يوم الجمعة لسبع عشر خلت من رمضان وقيل يوم
الاثنين وقيل غير ذلك وكانت من غير قصد من المسلمين اليها ولا ميعاد كما قال الله
تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله امرا كان مفعولا وانما

وقيل انّ زكوة الاموال صح

اذ منها كان ظهوره ه

قصد صلى الله عليه وسلم والمسلمون التعرض لعير المشركين وذلك ان ابا سفيان
كان بالشام فى ثلاثين راكبا منهم عمرو بن العاص فاقبلوا فى قافلة عظيمة فيها
اموال قريش حتى اذا كانوا قريبا من بدر فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فبذر
اصحابه اليهم واخبرهم بكثرة المال وقلة العدو وقال هذه عير لقريش فيها
اموال فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فلما سمع ابو سفيان بمسيره
عليه السلام استاجر ضمضم بن عمرو الغفارى ان ياتى قريشا بمكة فيستنفرهم
ويخبرهم ان محمدا قد عرض لعيرهم فى اصحابه فنهضوا فى قريب من الف مقنع ولم
يتخلف احد من اشراف قريش الا ابا لهب وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اصحابه حتى بلغ الروحا فاتاه الخبر
عن قريش بمسيرهم ليمنعوه عن عيرهم فاستشار صلى الله عليه وسلم الناس فى
طلب العير او حرب النفير وقال ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما
النفير وكانت العير احب اليهم فقام ابو بكر فقال فاحسن ثم قام عمر فاحسن ثم قام
المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما امرك الله فنحن معك والله لا نقول لك
كما قالت بنوا اسرائل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب
انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك
الغماد يعنى مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه فقال له صلى
الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ثم قال عليه الصلوة والسلام ايها الناس
وانما يريد الانصار لانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انا برآء
من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت فى ذمامنا نمنعك مما
نمنع منه انفسنا وابنائنا ونسائنا وكان صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون
الانصار ترى عليها نصرته الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم
ان يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك عليه الصلوة والسلام قال
له سعد بن معاذ والله لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك
وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا
ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذى بعثك
بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد
وما نكره ان نلقى عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقا ولعل الله يريك
منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فسر عليه الصلوة والسلام
بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدنى

احدى الطائفتين والله لكانى انظر الان الى مصارع القوم قال ثابت عن انس قال عليه
الصلوة والسلام هذا مصرع فلان ويضع يده على الارض ههنا وههنا قال فما ماط
احدهم اى ما تنحى عن موضع يده عليه الصلوة والسلام تنبيه قال ابن سيد
الناس فى عيون الاثر روينا من طريق مسلم ان الذى قال ذلك سعد بن عبادة سيد
الخزرج وانما يعرف ذلك عن سعد بن معاذ كذلك رواه ابن اسحق وغيره واختلف فى
شهود سعد بن عبادة بدرا ولم يذكره ابن عقبة ولا ابن اسحق فى البدريين وذكره
الواقدى والمدائنى وابن الكلبى منهم انتهى ثم ارتحل عليه الصلوة والسلام قريبا
من بدر ونزلت قريش بالعدوة القصوى من الوادى ونزل المسلمون على كثيب اعفر
اى احمر جانب مكة تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون الى ماء بدر
فاحرزوه وحفروا القلب لانفسهم واصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم جنب
واصابهم الظمأ وهم لا يصلون الى الماء ووسوس الشيطان لبعضهم وقال تزعمون
انكم على الحق وفيكم نبى الله وانكم اولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم عطاش
وتصلون محدثين مجنبين وما ينتظر اعداؤكم الى ان يقطع العطش رقابكم فيتحكموا
فيكم كيف شاؤا فارسل الله عليهم مطرا سال منه الوادى فشرب منه المسلمون
واغتسلوا وتوضؤا وسقوا الركاب وملؤا الاسقية واطفأ الغبار ولبد الارض
حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت انفسهم وذلك
قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الاحداث والجنابة ويذهب
عنكم رجز الشيطان اى وسوسته وليربط على قلوبكم بالصبر ويثبت به الاقدام
حتى لا تسوخ فى الرمل بتلبيد الارض وبنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش
فكان فيه ثم خرج عتبة بن ربيعة بين اخيه شيبة وابنه الوليد بن عتبة ودعا
الى المبارزة فخرج اليه فتية من الانصار وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث وامهما
عفرا وعبد الله بن رواحة فقالوا من انتم فقالوا رهط من الانصار قالوا ما لنا
بكم من حاجة ثم نادى منادى قريش يا محمد اخرج الينا اكفاءنا من قومنا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحارث قم يا حمزة قم يا على فلما
قاموا ودنوا منهم قالوا من انتم فتسموا لهم قالوا نعم اكفاء كرام فبارز عبيدة وكان
اسن القوم عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة بن ربيعة وبارز على الوليد بن
عتبة فقتل على الوليد هكذا ذكره ابن اسحق وعند موسى بن عقبة كما نقل فى فتح
البارى فبرز حمزة لعتبة وعبيدة لشيبة وعلى للوليد ثم اتفقا فقتل على الوليد
وقتل حمزة الذى بارزه واختلف عبيدة ومن بارزه بضربتين فوقعت الضربة

فى ركبة عبيدة ومال حمزة وعلى على الذى بارزه عبيدة فاعاناه على قتله وعند
الحاكم من طريق عبدخير عن على مثل قول موسى بن عقبة وعند ابى الاسود عن
عروة مثله واورد ابن سعد من طريق عبيدة السلمانى ان شيبة لحمزة وعبيدة
لعتبة وعليا للوليد ثم قال الثبت ان عتبة لحمزة وشيبة لعبيدة واخرج ابو
داود عن على قال تقدم عتبة وتبعه ابنه واخوه فنادى من يبارز فانتدب له
شبان من الانصار فقال من انتم فاخبروه فقال لا حاجة لنا فيكم انما اردنا
بنى عمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا حمزة قم يا على قم يا عبيدة
فاقبل حمزة الى عتبة واقبلت الى شيبة واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان
فاثخن كل واحد منهما صاحبه ثم ملنا على الوليد فقتلناه واحتملنا عبيدة قال
الحافظ بن حجر وهذا اصح الروايات لكن الذى فى السير من ان الذى بارزه على
هو المشهور وهو اللائق بالمقام لان عبيدة وشيبة كانا شيخين كعتبة وحمزة
بخلاف على والوليد فكانا شابين وقد روى الطبرانى باسناد حسن عن على قال
اعنت انا وحمزة عبيدة بن الحرث على الوليد بن عتبة فلم يعب النبى صلى الله عليه
وسلم ذلك علينا وهذا موافق لرواية ابى داود والله اعلم انتهى قال ابن اسحق
ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض ورسول الله صلى الله عليه وسلم
فى العريش ومعه ابو بكر ليس معه فيه غيره وهو صلى الله عليه وسلم يناشد
ربه وما وعده من النصر ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل الايمان
اليوم فلا تعبد فى الارض ابدا وابو بكر يقول يا رسول الله خل بعض مناشدتك ربك
فان الله تعالى منجز لك ما وعدك وعند سعيد بن منصور من طريق عبد الله بن
عتبة قال لما كان يوم بدر نظر صلى الله عليه وسلم الى المشركين فتكاثرهم والى
المسلمين فاستقلهم فركع ركعتين وقام ابو بكر عن يمينه فقال عليه الصلوة والسلام
وهو فى صلاته اللهم لا تخذلنى اللهم انشدك ما وعدتنى وروى النسائى والحاكم
عن على قال قاتلت يوم بدر شيئا من قتال ثم جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول فى سجوده يا حى يا قيوم فرجعت فقاتلت ثم جئت فوجدته كذلك
وفى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يوم بدر فى العريش مع
الصديق اخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة من النوم ثم استيقظ
متبسما فقال ابشر يا ابا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع ثم خرج من باب العريش
وهو يتلو سيهزم الجمع ويولون الدبر فان قلت كيف جعل ابو بكر يأمره عليه
الصلوة والسلام بالكف عن الاجتهاد فى الدعاء ويقوى رجاءه ويثبته ومقام

الرسول صلى الله عليه وسلم هو المقام الاحمد ويقينه فوق يقين كل احد اجاب
السهيلى بان الصديق فى تلك الساعة كان فى مقام الرجاء والنبى صلى الله عليه وسلم
فى مقام الخوف لان الله تعالى ان يفعل ما يشاء فخاف ان لا يعبد الله فى الارض فخوفه
ذلك عبادة انتهى وقال الخطابى ولا يتوهم احد ان ابا بكر كان اوثق بربه من النبى
صلى الله عليه وسلم فى تلك الحالة بل الحامل للنبى صلى الله عليه وسلم على ذلك
شفقته على اصحابه وتقوية قلوبهم فبالغ فى التوجه والدعا والابتهال لتسكن نفوسهم
عند ذلك لانهم كانوا يعلمون ان وسيلته مستجابة فلما قال له ابو بكر ما قال كف
عن ذلك وعلم انه استجيب له لما وجد ابو بكر فى نفسه من القوة والطمانينة فلهذا
اعقبه بقوله سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان النبى عليه الصلوة والسلام
فى تلك الحالة فى مقام الخوف وهو اكمل حالات الصلوة وجاز عنده ان لا يقع
النصر يومئذ لان وعده بالنصر لم يكن معينا لتلك الواقعة وانما كان مجملا هذا
هو الذى يظهر وانما قال عليه الصلوة والسلام ان تهلك هذه العصابة من اهل
الاسلام فلا تعبد بعدها اليوم لانه علم انه خاتم النبيين فلو هلك هو ومن معه
حينئذ لا يبعث احد ممن يدعو الى الايمان واما شدة اجتهاده عليه الصلوة و
السلام ونصبه فى الدعاء فانه راى الملئكة تنصب فى القتال وجبريل على ثناياه الغبار
وانصار الله يخوضون غمرات الموت والجهاد على ضربين جهاد بالسيف وجهاد بالدعا
ومن سنة الامام ان يكون وراء الجند لا يقاتل معهم فكان الكل فى جد واجتهاد
ولم يكن يريح نفسه من احد الجدين والجهادين وانصار الله وملئكته يجتهدون
ولا ليؤثر الدعة وحزب الله مع اعدائه يجتلدون انتهى وفى صحيح مسلم عن ابن
عباس قال عمر بن الخطاب لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
المشركين وهم الف واصحابه ثلثمائة وبضع عشرة رجلا دخل العريش فاستقبل القبلة
ومد يديه وجعل يهتف بربه اللهم انجز لى ما وعدتنى فما زال يهتف بربه مادا يديه
حتى سقط رداؤه عن منكبيه فاخذ ابو بكر رداءه فالقاه على منكبيه ثم التزمه
من ورائه وقال يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل
الله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم مرسل اليكم لكم بالف من الملئكة
مردفين متتابعين بعضهم فى اثر بعض وعلى قراءة فتح الدال معناه اردف الله
عن فعل المسلمين وجاءهم مددا وفى الاية الاخرى بثلاثة الاف من الملئكة
منزلين فقيل فى معناه ان الالف اردفهم بثلاثة الاف فكان الاكثر مددا
للاقل وكان الالف مردفين لمن وراءهم او الالف هم الذين قاتلوا مع المؤمنين وهم

الذين قالهم فثبتوا الذين امنوا وكانوا فى صور الرجال ويقولون اثبتوا فان عدوكم
قليل وان الله معكم وقال الربيع ابن انس امد الله المسلمين بالف ثم صاروا
بثلاثة الآف ثم صاروا خمسة الآف وقال سعيد بن ابى عروبة عن قتادة امد
الله المؤمنين يوم بدر بخمسة الآف وعن عامر الشعبى ان المسلمين بلغهم يوم
بدر ان كرز بن جابر يمد المشركين فشق عليهم فانزل الله الن يكفيكم ان يمدكم
ربكم بثلاثة الآف من الملئكة منزلين الى قوله مسومين قال فبلغت كرزا الهزيمة
فلم يمد المشركين ولم تمد المسلمون بالخمسة وعن ابن عباس جاء ابليس يوم بدر
فى جند من الشياطين معه رآية فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم فقال للمشركين
لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما اقبل جبريل عليه الصلوة والسلام
والملئكة كانت يده فى يد رجل من المشركين فانتزع يده ثم نكص على عقبيه فقال
الرجل يا سراقة اتزعم انك لنا جار فقال انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله والله شديد
العقاب وروى ان جبريل نزل فى خمسمائة وميكائل فى خمسمائة فى صورة الرجال
على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى رؤسهم عمائم بيض قد ارخوا اطرافها بين اكنافهم
قال ابن عباس كانت سيما الملئكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم خضر
وعن على كانت سيما الملئكة يوم بدر الصوف الابيض وكان سيماهم ايضا فى
نواصى خيلهم رواه ابن ابى حاتم وروى ابن مردويه عن ابن عباس يرفعه فى قوله
تعالى مسومين قال معلمين وكانت سيما الملئكة يوم بدر عمائم سود ويوم
حنين عمائم حمر وروى ابن ابى حاتم عن الزبير ان الملئكة نزلت وعليهم عمائم
صفر قيل ولم تقاتل الملئكة سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه
عددا ومددا وبذلك صرح العماد بن كثير فى تفسيره فقال المعروف من قتال الملئكة
انما كان يوم بدر ثم روى عن ابن عباس قال لم تقاتل فى غيرها بل يحضرون خاصة
على المختار من الاقوال عند بعضهم وفى نهاية البيان فى تفسير القران عند تفسير
قوله تعالى ويوم حنين وهل قاتلت الملئكة يومئذ ام لا فيه قولان احدهما وهو
قول الجمهور انها لم تقاتل انتهى وهذا يرده حديث مسلم فى صحيحه عن سعد بن
ابى وقاص انه راى عن يمين النبى صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين
عليهما ثياب بيض ما رايتهما قبل ولا بعد يعنى جبريل وميكائل عليهما السلام يقاتلان
اشد القتال قال النووى فيه بيان اكرامه صلى الله عليه وسلم بانزال الملئكة تقاتل
معه وبيان ان قتالهم لم يختص بيوم بدر قال وهذا هو الصواب خلافا لمن زعم
اختصاصه فهذا صريح فى الرد عليه قال وفيه ان رؤية الملئكة لا يختص بالانبياء

عليهم

عليهم الصلوة والسلام بل تريهم الصحابة والاولياء انتهى قال ابن الانبارى وكانت
الملئكة لا تعلم كيف يقتل الآدميون فعلمهم الله تعالى بقوله فاضربوا فوق الاعناق
واضربوا منهم كل بنان قال عطية كل مفصل قال السهيلى جاء فى التفسير انه
ما وقعت ضربة يوم بدر الا فى راس او مفصل وكانوا يعرفون قتلى الملئكة من قتلاهم
باثار سود فى البنان والاعناق وعن ابن عباس قال حدثنى رجل من بنى غفار قال
اقبلت انا وابن عم لى حتى صعدنا على جبل يشرف على بدر ونحن مشركان ننظر الوقعة
على من تكون الدبرة فننهب مع من ينهب فبينا نحن فى الجبل اذ دنت منا سحابة فيها
حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول اقدم حيزوم فاما ابن عمى فانكشف قناع قلبه
فمات مكانه فى الحال واما انا فكدت اهلك ثم تماسكت رواه البيهقى وابو نعيم
والدبرة بسكون الموحدة الهزيمة فى القتال وحيزوم اسم فرس جبريل قاله فى
القاموس وروى ابو امامه عن سهل بن حنيف عن ابيه قال لقد رايتنا يوم بدر
وان احدنا يشير بسيفه الى المشرك فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه
السيف رواه الحاكم وصححه والبيهقى وابو نعيم قال الشيخ تقى الدين السبكى
سئلت عن الحكمة فى قتال الملئكة مع النبى صلى الله عليه وسلم مع ان جبريل
قادر على ان يدفع الكفار بريشة من جناحه فقلت ذلك لارادة ان يكون الفعل
للنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه وتكون الملئكة مددا على عادة مدد الجيوش
رعاية لصورة الاسباب التى اجراها الله تعالى فى عباده والله فاعل الجميع انتهى
ولما التقى الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من الحصا فرمى به
فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا دخل فى عينيه ومنخريه منها
شىء فانهزموا وقتل الله من قتل من صناديد قريش واسر من اسر من اشرافهم
وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم فى قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
قال هذا يوم بدر اخذ صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات فرمى بحصاة فى ميمنة
القوم ورمى بحصاة فى ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه
فانهزموا وقد روى عن غير واحد ان هذه الآية نزلت فى رميه عليه الصلوة
والسلام يوم بدر وان كان قد فعل ذلك يوم حنين ايضا كما سياتى ان شاء
الله تعالى وقد اعتقد جماعة ان المراد بالآية سلب فعل الرسول صلى الله عليه
وسلم عنه واضافته الى الرب تعالى وجعلوا ذلك اصلا فى الجبر وابطال نسبة
الافعال الى العباد وتحقيق نسبتها الى الرب وحده وهذا غلط منهم فى فهم
القران فلو صح ذلك لوجب طرده فيقال ما صليت اذ صليت ولا صمت اذ صمت

ولا فعلت كل ذلك اذ فعلت ولكن الله فعل ذلك فان طرد واذ لك لزمهم فى افعال العباد طاعاتهم ومعاصيهم اذ لا فرق وان خصوه بالرسول وحده وافعاله جميعا او رمية واحدة فهؤلاء لم يوفقوا الفهم ما اريد بالآية ومعلوم ان تلك الرمية من البشر لا تبلغ هذا المبلغ فكان منه صلى الله عليه وسلم مبدأ الرمى وهو الحذف ومن الرب تعالى نهاية وهو الايصال فاضاف اليه رمى الحذف الذى هو مبدؤه ونفى عنه رمى الايصال الذى هو نهايته ونظير هذا فى الآية قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ثم قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاخبر انه تعالى وحده هو الذى تفرد بايصال الحصى الى اعينهم ولم يكن برسوله صلى الله عليه وسلم ولكن وجه الاشارة بالآية انه سبحانه اقام اسبابا تظهر للناس فكان ما حصل من الهزيمة والقتل والنصرة مضافا اليه وبه وهو خير الناصرين قال ابن اسحق وقاتل عكاشة بن محصن الاسدى يوم بدر بسيفه حتى انقطع فى يده فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه جزلا من حطب فقال له قاتل بهذا فهزه فعاد فى يده سيفا طويل القامة شديد المتن ابيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان السيف يسمى العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وهو عنده وجاءه عليه الصلوة والسلام يومئذ فيما ذكره القاضى عياض عن ابن وهب معاذ بن عمرو يحمل يده ضربه عكرمة عليها فتعلقت بجلدة فبصق عليه الصلوة والسلام عليها فلصقت قال ابن اسحق ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان وعن عروة بن الزبير عن عائشة لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى ان يطرحوا بالقلب فطرحوا فيه الا ما كان من امية بن خلف فانه انتفخ فى درعه فملأها فالقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة وانما القوا فى القلب ولم يدفنوا لانه عليه الصلوة والسلام كره ان يشق على اصحابه لكثرة جيف الكفار ان يامرهم بدفنهم فكان جرهم الى القليب ايسر عليهم وفى الطبرانى عن انس بن مالك قال انشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن اهل بدر يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى قال عمر فوالذى بعثه بالحق ما اخطأ الحدود التى حدها صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فانى وجدت ما وعدنى الله حقا وفى رواية فنادى يا عتبة بن ربيعة ويا امية بن خلف ويا ابا جهل بن هشام وفى بعضه نظر لان امية بن خلف لم يكن فى القلب لانه كان كما تقدم

ضخما

ضخما وانتفخ فالقوا عليه من الحجارة والتراب ما غيبه لكن يجمع بينهما بانه كان قريبا من القلب فنودى فيمن نودى لكونه كان من جملة رؤسائهم وقال ابن اسحق حدثنى بعض اهل العلم انه عليه الصلوة والسلام قال يا اهل القليب بئس العشيرة كنتم كذبتمونى وصدقنى الناس فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله كيف تكلم اجسادا لا ارواح فيها فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا شيئا وتاولت عائشة ذلك فقالت انما اراد النبى صلى الله عليه وسلم انهم الآن يعلمون ان الذى اقول لهم الحق ثم قرأت انك لا تسمع الموتى الآية فقولها يدل على انها كانت تنكر ذلك مطلقا لقولها انهم الآن يعلمون وقال قتادة احياهم الله تعالى توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وفيه رد على من انكر انهم يسمعون كما روى عن عائشة رضى الله عنها ومن الغريب ان فى المغازى لابن اسحق رواية يونس بن بكير باسناد جيد عن عائشة حديثا وفيه ما انتم باسمع لما اقول منهم واخرجه الامام احمد باسناد حسن فان كان محفوظا فكانها رجعت عن الانكار لما ثبت عنها فى رواية هؤلاء الصحابة لكونها لم تشهد القصة وقال الاسمعيلى كان عند عائشة من الفهم والذكا وكثرة الرواية والغوص فى غوامض العلم ما لا مزيد عليه لكن لا سبيل الى رد رواية الثقة الا بنص مثله يدل على نسخه او تخصيصه او استحالته فكيف والجمع بين الذى انكرته واثبته غيرها ممكن لان قوله تعالى انك لا تسمع الموتى لا ينافى قوله عليه السلام انهم الآن يسمعون لان الاسماع هو ابلاغ الصوت من المسمع فى اذن السامع فانه تعالى هو الذى اسمعهم بان ابلغهم صوت النبى صلى الله عليه وسلم بذلك واما جوابها بانه انما قال انهم يعلمون فان كانت سمعت ذلك فلا ينافى رواية يسمعون بل يؤيدها وقال السهيلى ما محصله ان فى نفس الخبر ما يدل على خرق العادة بذلك لنبيه صلى الله عليه وسلم لقول الصحابة له اتخاطب اقواما قد جيفوا فاجابهم بما اجابهم قال واذا جاز ان يكونوا فى تلك الحالة عالمين جاز ان يكونوا سامعين وذلك اما باذان رؤسهم اذا قلنا ان الروح تعاد الى الجسد او الى بعضه عند المسئلة وهو قول اكثر اهل السنة واما باذان القلب او الروح على مذهب من يقول بتوجه السؤال الى الروح من غير رجوع الى الجسد او الى بعضه قال وقد روى عن عائشة انها احتجت بقوله تعالى وما انت بمسمع من فى القبور ان انت الا نذير وهذه الآية كقوله تعالى افانت تسمع الصم او تهدى العمى اى ان الله هو الذى يهدى ويوفق ويوصل الموعظة الى آذان القلوب لا انت وجعل الكفار امواتا وصما على وجه التشبيه بالاموات وبالصم فالله هو

الذى يسمعهم على الحقيقة اذا شاء لا نبيه ولا احد فاذا لا تعلق بالاية من وجهين احدهما انها انما نزلت فى دعاء الكفار الى الايمان الثانى انه انما نفى عن نبيه ان يكون هو المسمع لهم وصدق الله فانه لا يسمعهم اذا شاء الا هو يفعل ما يشاء وهو على كل شئ قدير ولقد احسن العلامة ابن جابر حيث قال

بدا يوم بدر وهو كالبدر حوله	كواكب فى الافق المواكب تجتلى
وجبريل فى جند الملائك حوله	فلم تغن اعداد العدو المخذل
رمى بالحصى فى اوجه القوم رمية	فشردهم مثل النعام المجفل
وجادلهم بالمشرفى فسلموا	لجادله بالنفس كل مجدل
عبيدة سل عنهم وحمزة واستمع	حديثهم فى ذلك اليوم من على
فهم عتبوا بالسيف عتبة اذ غدا	فذاق الوليد الموت ليس له ولى
وشيبة لما شاب خوفا تبادرت	اليه العوالى بالخضاب المعجل
وجال ابو جهل فحقق جهله	غداة تردى بالردى عن تذلل
فاضحى قليبا فى القليب وقومه	يؤمونه فيها الى شر منهل
وجاءهم خير الانام موبخا	ففتح من اسماعهم كل مقفل
واخبر ما انتم باسمع منهم	ولكنهم لا يهتدون لمقول
سلوا عنهم يوم السلا اذ تضاحكوا	فعاد بكاء عاجلا لم يؤجل
الم يعلموا علم اليقين بصدقه	ولكنهم لا يرجعون لمعقل
فيا خير خلق الله جاهك ملجئ	وحبك ذخرى فى الحساب وموئلى
عليك صلوة يشمل الال عرفها	واصحابك الاخيار اهل التفضل

وحكى العلامة بن مرزوق ان ابن عمر رضى الله عنهما مر مرة ببدر فاذا رجل يعذب ويبرء فلما اجتاز به ناداه يا عبد الله قال ابن عمر فلا ادرى اعرف اسمى ام كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله فالتفت اليه فقال اسقنى فاردت ان افعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل يا عبد الله فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر قال ومن ايات بدر الباقية ما كنت اسمعه من غير واحد من الحجاج انهم اذا اجتازوا بذلك الموضع يسمعون كهيئة طبل ملوك الوقت ويرون ان ذلك لنصر اهل الايمان قال وربما انكرت ذلك وربما تاولته بان الموضع لعله صلب فتستجيب فيه حوافر الدواب فكان يقال لى انه دميث رمل غير صلب وغالب ما يسير هناك الابل واخفافها لا تصوت فى الارض الصلبة فكيف بالرمال قال ثم لما من الله على بالوصول الى ذلك الموضع المشرف نزلت عن

الراحلة امشى وبيدى عود طويل من شجر السعدان المسمى بام غيلان وقد نسيت ذلك الخبر الذى كنت اسمع فما راعنى وانا اسير فى الهاجرة الا واحد من عبيد الاعراب الجمالين يقول اتسمعون الطبل فاخذتنى لما سمعت كلامه قشعريرة بينة تذكرت ما كنت اخبرت به وكان فى الجو بعض ريح فسمعت صوت الطبل وانا دهش مما اصابنى من الفرح والهيبة او ما الله اعلم به فشككت وقلت لعل الريح سكنت فى هذا العود الذى فى يدى وجدت مثل هذا الصوت وانا حريص على طلب هذا التحقيق لهذا الاية العظيمة فالقيت العود من يدى وجلست على الارض وثبت قائما او فعلت جميع ذلك فسمعت صوت الطبل سماعا محققا او صوتا لا اشك انه صوت طبل وذلك من ناحية اليمن ونحن سائرون الى مكة المشرفة ثم نزلنا الى بدر فظللت اسمع ذلك الصوت يومى اجمع المرة بعد المرة قال ولقد اخبرت ان ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس انتهى وروى الطبرانى من حديث ابى اليسر انه اسر العباس وقيل للعباس وكان جسيما كيف اسرك ابو اليسر وهو دميم ولو شئت لجعلته فى كفك فقال ما هو الا ان لقيته فظهر فى عينى كالخندمة بالخاء المعجمة جبل من جبال تهامة قاله فى القاموس ولما ولى عمر بن الخطاب وثاق الاسرى شد وثاق العباس فسمعه النبى صلى الله عليه وسلم وهو يئن فلم ياخذه النوم فبلغ الانصار فاطلقوا العباس فكان الانصار فهموا رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفك وثاقه وسالوه ان يتركوا الفدا طلبا لتمام رضاه فلم يجبهم وفى حديث انس عند الامام احمد استشار عليه الصلوة والسلام الناس فى الاسارى يوم بدر فقال ان الله قد امكنكم منهم فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله اضرب اعناقهم فاعرض عنه عليه السلام ثم عاد صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان الله قد امكنكم منهم فقال عمر يا رسول الله اضرب اعناقهم فاعرض عنه عليه الصلاة والسلام ففعل ذلك ثلاثا فقام ابو بكر الصديق فقال يا رسول الله ان تعف عنهم وان تقبل الفدا منهم فذهب من وجه رسول الله ما كان فيه من الغم فعفى وقبل منهم الفداء قال فانزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا الاية ويأتى الكلام عليها فى النوع العاشر فى ازالة الشبهات عن الايات المشكلات من المقصد السادس ان شاء الله تعالى واخرج ابن اسحق من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال يا عباس افد نفسك وابنى اخيك عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحرث وحليفك عتبة بن عمرو قال انى كنت مسلما ولكن القوم استكرهونى قال الله اعلم بما تقول ان يك ما تقول

حقا فان الله سيجزيك ولكن ظاهر امرك انك كنت علينا وذكر موسى بن عتبة ان
فداهم كان اربعين اوقية ذهبا وعند ابى نعيم فى الدلائل باسناد حسن من
حديث ابن عباس انه جعل على العباس مائة اوقية وعلى عقيل ثمانين فقال له العباس
القرابة صنعت هذا فانزل الله تعالى يا ايها النبى قل لمن فى ايديكم من الاسارى الآية
فقال العباس وددت لو كنت اخذ منى اضعافها لقوله تعالى يؤتكم خيرا مما اخذ منكم
وكان قد استشهد يوم بدر من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية
من الانصار ستة من الخزرج واثنان من الاوس تنبيه لا يقدح فى وعد الله
ان استشهد هؤلاء الصحابة وانما هذا الوعد كقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فقد نجز الموعود وغلبوا كما
وعدوا فكان وعد الله مفعولا ونصره للمؤمنين ناجزا والحمد لله وحده وقتل
من المشركين سبعون واسر سبعون وكان من افضلهم العباس بن عبد المطلب و
عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب وكل اسلم وكان العباس فيما
قاله اهل العلم مرجوح بالتاريخ قد اسلم قديما وكان يكتم اسلامه وخرج مع
المشركين يوم بدر فقال النبى صلى الله عليه وسلم من لقى العباس فلا يقتله فانه
خرج مستكرها ففادى نفسه ورجع الى مكة وقيل انه اسلم يوم بدر فاستقبل النبى
صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بالابواء وكان معه حين فتح مكة وبه ختمت الهجرة
وقيل اسلم يوم فتح خيبر وقيل كان يكتم ايمانه واظهره يوم فتح مكة وكان اسلامه
قبل بدر وكان يكتب باخبار المشركين الى النبى صلى الله عليه وسلم وكان يحب القدوم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب عليه الصلوة والسلام ان مقامك
بمكة خير لك وقيل ان سبب اسلامه انه خرج لبدر بعشرين اوقية من ذهب
ليطعم به المشركين فاخذت منه فى الحرب فكلم النبى صلى الله عليه وسلم ان يحسب
العشرين اوقية من فدائه فابى وقال اما شئ خرجت تستعين به علينا فلا نتركه
لك فقال العباس تركتنى اتكفف قريشا فقال له عليه الصلوة والسلام فاين
الذهب الذى دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة فقال العباس وما يدريك
فقال اخبرنى ربى فقال اشهد انك صادق فان هذا لم يطلع عليه الا الله وانا
اشهد ان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله ولما فرغ صلى الله عليه وسلم
من بدر فى اخر رمضان واول يوم من شوال بعث زيد بن حارثة بشيرا فوصل المدينة
ضحى وقد نفضوا ايديهم من تراب رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم وهذا هو
الصحيح فى وفاة رقية وقد روى انه صلى الله عليه وسلم شهد دفن بنته رقيه

فقعد

فقعد على قبرها ودمعت عيناه وقال ايكم لم يقارف الليلة فقال ابو طلحة انا فامره
ان ينزلها قبرها وانكر البخارى هذه الرواية وخرج الحديث فى الصحيح فقال فيه
عن انس شهدنا دفن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث ولم
يسم رقية ولا غيرها وذكر الطبرانى انها ام كلثوم فحصل فى حديث الطبرانى التبيين
ومن قال كانت رقية فقد وهم وكان عثمان رضى الله عنه قد تخلف لاجل رقية
زوجته فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه واجره وامر صلى الله
عليه وسلم عند انصرافه عاصم ابن ثابت وجده هو عاصم بن عمر بن الخطاب بقتل
عقبة بن ابى معيط فقتله صبرا ثم اقبل عليه الصلوة والسلام قافلا الى المدينة
ومعه الاسارى من المشركين واحتمل النفل الذى اصيب منهم وجعل عليه عبد
الله بن كعب من بنى مازن فلما خرج من مضيق الصفراء قسم النفل بين المسلمين على
السواء وامر عليا بالصفراء بقتل النضر بن الحارث ثم مضى صلى الله عليه وسلم
حتى قدم المدينة قبل الاسارى بيوم فلما قدموا فرقهم بين اصحابه وقال
استوصوا بهم خيرا وقد استقر الحكم فى الاسارى عند الجمهور من العلماء ان
الامام مخير فيهم ان شاء قتل كما فعل صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة وان شاء
فادى بمال كما فعل باسارى بدر وان شاء استرق من اسر هذا مذهب الشافعى و
طائفة من العلماء وفى المسئلة خلاف آخر مقرر فى الفقه والله اعلم ولما قدم
ابو سفيان بن حرب من بدر لمكة ساله ابو لهب عن خبر قريش فقال ما هو الا ان
لقينا القوم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا ويأسروننا كيف شاؤا وايم
الله ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض والله لا يقوم
لها شئ قال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان غلاما للعباس
بن عبد المطلب قال وكان الاسلام قد دخلنا فقلت له والله تلك الملئكة فرفع
ابو لهب يده فضربنى فى وجهى ضربة فقامت ام الفضل الى عمود فضربت به فى راس ابى
لهب وقالت استضعفته ان غاب عنه سيده قال فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى
رماه الله بالعدسة وهى قرحة كانت العرب تتشاءم بها وقيل انها تعدى اشد
العدوى فتباعد عنه بنوه حتى قتله الله وبقى بعد موته ثلثا لا تقرب جنازته
ولا يحاول دفنه فلما خافوا السبة فى تركه حفروا له ثم دفعوه بعود فى حفرته
وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وقال ابن عتبة اقام النوح على قتلى قريش
شهرا ثم سرية عمير بن عدى الخطمى وكانت لخمس ليال بقين من رمضان
على راس تسعة عشر شهرا من الهجرة الى عصماء بنت مروان زوج يزيد بن زيد الخطمى

وكانت تعيب الاسلام وتوذى رسول الله صلى الله عليه وسلم نجاها ليلا وكان
اعمى فدخل عليها بيتها وحولها نفر من ولدها نيام منهم من ترضعه فجسّها بيده و
نحّى الصبى عنها ووضع سيفه على صدرها حتى انفذه من ظهرها ثم صلى الصبح
معه صلى الله عليه وسلم بالمدينة واخبره بذلك فقال لا ينتطح فيها عنزان اى
لا يعارض فيها معارض ولا يسئل عنها فانها هدر قالوا وهذا من الكلام المفرد الوجيز
البليغ الذى لم يسبق اليه عليه الصلوة والسلام وسيأتى لذلك نظائر ان شاء الله
تعالى وفى اول شوال صلى صلوة الفطر وفى اول شوال ايضا وقيل بعد بدر بسبعة
ايام وقيل فى نصف المحرم سنة ثلاث خرج صلى الله عليه وسلم يريد بنى سليم فبلغ ماء
يقال له الكدر ويعرف بغزوة عليه الصلوة والسلام قرقرة وهى ارض ملسا والكدر
طير فى الوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع فاقام عليه الصلوة والسلام ثلاثا
وقيل عشرا فلم يلق احدا وكانت غيبته عليه الصلوة والسلام خمس عشرة ليلة و
استخلف على المدينة سباع بن عرفطة وقيل ابن ام مكتوم وحمل اللواء على بن ابى طالب
وذكرها ابن سعد بعد غزوة السويق ثم سرية سالم بن عمير الى ابى عفك اليهودى
وكان شيخا كبيرا قد بلغ عشرين ومائة سنة وكان يحرض على النبى صلى الله عليه وسلم
ويقول فيه الشعر فاقبل اليه سالم ووضع سيفه على كبده ثم اعتمد عليه حتى خش
فى الفراش فصاح عدو الله ابو عفك فثار اليه الناس ممن هو على قوله فادخلوه منزله
فقتل وكانت هذه السرية فى شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة ثم غزوة بنى
قينقاع بتثليث النون والضم اشهر بطن من يهود المدينة لهم شجاعة وصبر وكانت
يوم السبت نصف شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة وقد كانت الكفار بعد الهجرة
مع النبى صلى الله عليه وسلم على ثلاثة اقسام قسم وادعهم عليه الصلوة والسلام
على ان لا يحاربوه ولا يؤلبوا عليه عدوه وهم طوائف اليهود الثلاثة قريظة
والنضير وبنى قينقاع وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة كقريش وقسم تاركوه
وانتظروا ما يؤول اليه امره كطوائف من العرب فمنهم من كان يحب ظهوره فى الباطن
كخزاعة وبالعكس كبنى بكر ومنهم من كان معه ظاهرا ومع عدوه باطنا وهم المنافقون
وكان اول من نقض العهد من اليهود بنى قينقاع فحاربهم عليه الصلوة والسلام
فى شوال بعد وقعة بدر قال الواقدى بشهر واغرب الحاكم فزعم ان اجلاء بنى قينقاع
واجلاء النضير كان فى زمن واحد ولم يوافق ذلك لان اجلاء بنى النضير كان بعد
بدر بستة اشهر على قول عروة او بعد ذلك بمدة طويلة على قول ابن اسحق وكان
من امر بنى قينقاع ان امرأة من العرب جلست الى صائغ يهودى فراودها عن كشف

وجهها فابت فعمد الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا
منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله فشدت اليهود على المسلم
فقتلوه ووقع الشر بين المسلمين وبين بنى قينقاع فسار اليهم النبى صلى الله عليه
وسلم بعد ان استخلف ابا لبابة بن عبد المنذر فحاصرهم اشد الحصار خمسة عشر
ليلة الى هلال ذى القعدة وكان اللواء بيد حمزة بن عبد المطلب وكان ابيض فقذف
الله الرعب فى قلوبهم ونزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان له
اموالهم وان لهم النساء والذرية فامر عليه الصلوة والسلام المنذر بن قدامة
بتكفيتهم وكلم عبد الله بن ابى بن سلول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم
والح عليه من اجلهم فامر عليه الصلوة والسلام ان يحلوا وتركهم من القتل وامر
ان يجلوا من المدينة فلحقوا باذرعات فما كان اقل مقامهم فيها واخذ من حصنهم سلاحا
وآلة كثيرة وكانت بنو قينقاع حلفاء لعبد الله بن ابى وعبادة بن الصامت فتبرأ
عبادة من حلفهم فقال يا رسول الله ابرأ الى الله والى رسوله من حلفهم واتولى
الله ورسوله والمؤمنين وابرأ من حلف الكفار وولايتهم ففيه وفى عبد الله
انزل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض
الى قوله فان حزب الله هم الغالبون ثم غزوة السويق فى ذى الحجة يوم الاحد لخمس
خلون منها على راس اثنين وعشرين شهرا من الهجرة وقال ابن اسحق فى صفر وسميت
غزوة السويق لانه كان اكثر زاد المشركين وغنمه المسلمون واستخلف ابا لبابة وكان سبب
هذه الغزوة ان ابا سفيان حين رجع بالعير من بدر الى مكة نذر ان لا يمس النساء و
الدهن حتى يغزو محمدا عليه الصلوة والسلام فخرج فى مائتى راكب من قريش ليبر
يمينه حتى اتوا العريض ناحية من المدينة على ثلاثة اميال فحرقوا نخلا وقتلوا رجلا
من الانصار فراى ابو سفيان ان يمينه قد انحلت فانصرف بقومه راجعين وخرج
عليه الصلوة والسلام فى طلبهم فى مائتين من المهاجرين والانصار وجعل ابو سفيان
واصحابه يلقون جرب السويق وهى عامة ازوادهم يتخففون للهرب فياخذها المسلمون
ولم يلحقهم عليه الصلوة والسلام فرجع الى المدينة وكانت غيبته خمسة ايام وفى
ذى الحجة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد وامر بالاضحية وفيه مات
عثمان بن مظعون وفى شوال ولد عبد الله بن الزبير وفى هذه السنة تزوج على
بفاطمة رضى الله عنها كما قاله الحافظ مغلطاى وغيره وقال الطبرى فى كتابه
ذخاير العقبى فى مناقب ذوى القربى تزوجها فى سفر فى السنة الثانية وبنى بها
فى ذى الحجة على راس اثنين وعشرين شهرا من التاريخ وقال ابو عمر بعد وقعة احد

وقال غيره بعد بنائه صلى الله عليه وسلم بعائشة باربعة اشهر ونصف وبنا بها بعد
تزويجها بتسعة اشهر ونصف وتزوجها وهي ابنة خمس عشرة سنة وخمسة اشهر
او ستة ونصفا وسنه يومئذ احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ولم يتزوج
عليها حتى ماتت وعن انس قال جاء ابو بكر ثم عمر يخطبان فاطمة الى النبي صلى الله عليه
وسلم فسكت ولم يرجع اليهما شيئا فانطلقا الى علي يامرانه يطلب ذلك قال علي فنبهاني
لامر فقمت اجر ردائي حتى اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت تزوجني فاطمة قال
وعندك شيء قلت فرسي وبدني فقال اما فرسك فلا بد لك منها واما بدنك فبعها
فبعتها باربعمائة وثمانين فجئته بها فوضعتها في حجره فقبض منها قبضة فقال اي بلال
ابتغ لنا بها طيبا وامرهم ان يجهزوها فجعل لها سرير مشرط ووسادة من ادم حشوها
ليف وقال لعلي اذا اتتك فلا تحدث فيها شيئا حتى اتيك فجاءت مع ام ايمن حتى قعدت
في جانب البيت وانا في جانب وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ههنا اخي
قالت ام ايمن اخوك وقد زوجته ابنتك قال نعم ودخل صلى الله عليه وسلم فقال
لفاطمة ائتني بماء فقامت الى قعب في البيت فاتت فيه بماء فاخذه ومج فيه ثم قال لها
تقدمي فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى راسها وقال اللهم اني اعيذها بك وذريتها من
الشيطان الرجيم ثم قال لها ادبري فادبرت فصب بين كتفيها ثم فعل مثل ذلك
بعلي ثم قال له ادخل باهلك بسم الله والبركة اخرجه ابو حاتم واحمد في المناقب بنحوه
وفي حديث انس عند ابي الخير القزويني الحاكمي خطبها علي بعد ان خطبها ابو بكر ثم عمر
فقال عليه الصلوة والسلام قد امرني بذلك ربي قال انس ثم دعاني عليه الصلوة
والسلام بعد ايام فقال لي يا انس ادع لي ابا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن وعدة
من الانصار فلما اجتمعوا واخذوا مجالسهم وكان علي غائبا فقال صلى الله عليه
وسلم الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه المرهوب من عذابه
وسطوته النافذ امره في سمائه وارضه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم باحكامه
واعزهم بدينه واكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك اسمه وتعالت
عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا وامرا مفترضا اوشج به الارحام والزم الانام
فقال عز من قائل وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا
فامر الله يجري الى قضائه وقضاؤه يجري الى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر اجل
ولكل اجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ثم ان الله عز وجل امرني
ان ازوج فاطمة من علي بن ابي طالب فاشهدوا اني قد زوجته على اربعمائة مثقال فضة
ان رضي بذلك علي ثم دعا صلى الله عليه وسلم بطبق من بسر ثم قال انتهبوا فانتهبنا

ودخل

ودخل علي فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه ثم قال ان الله عز وجل امرني
ان ازوجك فاطمة على اربعمائة مثقال فضة ارضيت بذلك فقال قد رضيت
بذلك يا رسول الله فقال عليه الصلوة والسلام جمع الله شملكما واعز جدكما
وبارك عليكما واخرج منكما كثيرا طيبا قال انس فوالله لقد اخرج الله منهما الكثير
الطيب والعقد لعلي وهو غائب محمول على انه كان له وكيل حاضر او على انه لم يرد
به العقد بل اظهار ذلك ثم عقد معه لما حضر او على تخصيصه بذلك جمعا بينه
وبين ما ورد مما يدل على شرط القبول على الفور واخرج الدولابي عن اسما قالت
لقد اولم علي على فاطمة فما كانت وليمة في ذلك الزمان افضل من وليمته رهن درعه
عند يهودي بشطر شعير وكانت وليمته آصعا من شعير وتمر وحيس والحيس
التمر والاقط واخرج احمد في المناقب عن علي كان جهاز فاطمة خميلة وقربة و
وسادة من ادم حشوها ليف ثم سرية محمد بن مسلمة واربعة معه الى
كعب بن الاشرف اليهودي لاربع عشرة ليلة مضت من ربيع الاول على راس خمسة
وعشرين شهرا من الهجرة روى ابو داود والترمذي من طريق الزهري عن عبد الرحمن
بن عبد الله بن وهب بن مالك عن ابيه ان كعب بن الاشرف كان شاعرا يهجو رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويحرض عليه كفار قريش وكان النبي صلى الله عليه و
سلم قدم المدينة واهلها اخلاط فاراد استصلاحهم وكان اليهود والمشركون
يؤذون المسلمين اشد الاذى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر فلما ابى
كعب بن الاشرف عن ان ينزع اذاه امر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ
ان يبعث رهطا ليقتلوه وفي رواية قال عليه الصلوة والسلام من لنا بابن الاشرف
وفي اخرى من لكعب بن الاشرف اي من ينتدب لقتله فقد استعلن بعداوتنا و
هجائنا وقد خرج الى قريش فجمعهم على قتالنا وقد اخبرني الله بذلك ثم قرا على المسلمين
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين
كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله وفي الاكليل
فقد اذانا بشعره وقوى المشركين وفي رواية ابن اسحق قال محمد بن مسلمة اخو بني عبد
الاشهل انا لك به يا رسول الله انا اقتله قال فافعل ان قدرت على ذلك قال يا رسول
الله انه لا بد لنا ان نقول قال قولوا ما بدا لكم فانتم في حل من ذلك فاجتمع في قتله محمد
بن مسلمة وابو نائلة بنون وبعد الالف تحتانية سلكان بن سلامة وكان اخا
كعب من الرضاعة وعباد بن بشر والحرث بن اوس بن معاذ وابو عبس بن جبر
وهؤلاء الخمسة من الاوس وفي رواية ابن سعد فلما قتلوه وبلغوا بقيع الغرقد

كبّروا وقد قام عليه الصلوة والسلام تلك الليلة يصلى فلما سمع تكبيرهم كبّر وعرف
انهم قد قتلوه ثم انتهوا اليه قال افلحت الوجوه قالوا ووجهك يا رسول الله ورموا
براسه بين يديه فحمد الله على قتله وفى كتاب شرف المصطفى ان الذين قتلوا كعبا حملوا
راسه فى مخلاة الى المدينة فقيل انه اول راس حمل فى الاسلام واصاب فى باب السيف
الحرث فجرح ونزف الدم فتفل عليه الصلوة والسلام على جرحه فلم يوذه بعد •
غزوة غطفان وهى غزوة ذى امَر بفتح الهمزة والميم وسماها الحاكم غزوة
انمار وهى بناحية نجد وكانت لثنتى عشرة مضت من ربيع الاول على راس خمس وعشرين
شهرا من الهجرة وسببها ان جمعا من بنى ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الاغارة
جمعهم دُعثور بن الحرث المحاربى وسماه الخطيب غَورث وغيره غورك فكان
شجاعا فندب صلى الله عليه وسلم المسلمين وخرج فى اربعمائة وخمسين فارسا
واستخلف على المدينة عثمان بن عفان فلما سمعوا بمهبطه صلى الله عليه وسلم
هربوا فى رؤس الجبال فاصابوا رجلا من بنى ثعلبة فادخل على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فدعاه الى الاسلام فاسلم وضمه الى بلال واصاب النبى صلى
الله عليه وسلم مطر فنزع ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع تحتها وهم
ينظرون فقالوا لدعثور قد انفرد محمد فعليك به فاقبل ومعه سيف حتى قام
على راسه عليه الصلوة والسلام فقال من يمنعك منى اليوم فقال صلى الله عليه
وسلم الله فدفع جبريل فى صدره فدفع السيف من يده فاخذه النبى صلى الله عليه
وسلم فقال من يمنعك منى فقال لا احد وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول
الله ثم اتى قومه فدعاهم الى الاسلام وانزل الله يا ايها الذين امنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم الآية
ويقال كان ذلك فى ذات الرقاع ثم رجع صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا و
كانت غيبته احدى عشر ليلة غزوة بحران وتسمى غزوة بنى سليم من ناحية
الفرع بفتح الفاء والراء كما قيده السهيلى وقال فى القاموس وبحران موضع بناحية
الفُرع كذا رايته بخطه بضم الفاء لا غير وسببها انه عليه الصلوة والسلام
بلغه ان بها جمعا من بنى سُليم فخرج فى ثلثمائة رجل من اصحابه فوجدهم قد
تفرقوا فى مياههم فرجع ولم يلق كيدا وكان قد استعمل على المدينة ابن ام مكتوم
كما قاله ابن هشام وكان غيبته عشر ليال سرية زيد بن حارثة الى القَرَدة
بالقاف المفتوحة وسكون الراء وقيل بالفاء وكسر الراء كما ضبطه ابن الفرات
اسم ماء من مياه نجد وسببها كما قال ابن اسحق ان قريشا خافوا من طرقهم

التى يسلكون الى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج
منهم تجار فيهم ابو سفيان بن حرب ومعهم فضة كثيرة وعند ابن سعد بعثه
صلى الله عليه وسلم لهلال جمادى الآخرة على راس ثمانية وعشرين شهرا من الهجرة
فى مائة راكب يعترض عيرا لقريش فيها صفوان بن امية وحويطب بن عبد العزى
ومعهم مال كثير وآنية فضة فاصابوها وقدموا بالعير على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وخمسها فبلغ الخمس قيمة عشرين الف درهم وعند مغلطاى خمسة
وعشرين الف درهم وذكرها ابن اسحق قبل قتل ابن الاشرف غزوة احد وهو
جبل مشهور بالمدينة على اقل من فرسخ منها وتسمى بذلك وانقطاعه لتوحده عن
جبال أُخر هناك ويقال له ذو عينين قال فى القاموس بكسر العين وبفتحها مثنى
جبل باحد انتهى وهو الذى قال فيه عليه السلام احد جبل يحبنا ونحبه قيل
وفيه قبر هرون اخى عليه السلام وكانت عنده الوقعة المشهورة فى شوال
سنة ثلاث بالاتفاق يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت منه وقيل لسبع
ليال خلون منه وقيل فى نصفه وعن مالك بعد بدر بسنة وعنه ايضا
كانت على احد وثلثين شهرا من الهجرة وكان سببها كما ذكره ابن اسحق عن شيوخه
وموسى بن عقبة عن ابن شهاب وابو الاسود عن عروة وابن سعد قالوا او من
قال منهم ما حاصله ان قريشا لما رجعوا من بدر الى مكة وقد اصيب اصحاب
القليب ورجع ابو سفيان بعيره قال عبد الله بن ابى ربيعة وعكرمة بن ابى جهل
فى جماعة ممن اصيب اباؤهم واخوانهم وابناؤهم يوم بدر يا معشر قريش ان محمدا
قد وترَكم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه يعنون عير ابى سفيان ومن
كانت له فى تلك العير تجارة لعلنا ان ندرك منه ثارا فاجابوا لذلك فباعوها
وكانت الف بعير والمال خمسين الف دينار وفيهم كما قال ابن اسحق وغيره انزل الله
تعالى ان الذين ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون
عليهم حسرة ثم يغلبون واجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكتب العباس بن عبد المطلب كتابا يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بخبرهم وسار فيهم ابو سفيان حتى نزلوا بطن الوادى من قبل احد مقابل
المدينة وكان رجال من المسلمين اسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر وأُرى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة رؤيا فلما اصبح قال انى والله قد
رايت خيرا رايت بقرا تذبح ورايت فى ذباب سيفى ثلما ورايت انى ادخلت يدى
فى درع حصينة فاما البقر فناس من اصحابى يقتلون واما الثلم الذى رايت

في سيفي فهو رجل من اهل بيتي يقتل وقال ابن عقبه ويقول رجال كان الذي
بسيفه ما قد اصاب وجهه فان العدو اصابوا وجهه الشريف صلى الله
عليه وسلم يومئذ وكسروا رباعيته وجرحوا شفته وفي رواية قال عليه
الصلوة والسلام واولت الدرع الحصينة المدينة فامكثوا فان دخل القوم
الازقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت فقال اولئك القوم يا رسول الله
كنا نتمنى هذا اليوم اخرج بنا الى اعدائنا لا يرون انا جبنا عنهم فصلى عليه الصلوة
والسلام بالناس الجمعة ثم وعظهم وامرهم بالجد والاجتهاد واخبرهم ان
لهم النصر ما صبروا وامرهم بالتهيؤ لعدوهم ففرح الناس بذلك ثم صلى بالناس
العصر وقد حشدوا وحضر اهل العوالي ثم دخل عليه الصلوة والسلام بيته
ومعه صاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فعمماه والبساه وصف الناس ينتظرون
خروجه عليه السلام فقال لهم سعد بن معاذ واسيد بن حضير استكرهتم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الامر اليه فخرج صلى الله
عليه وسلم وقد لبس لامته وهي بالهمزة وقد تترك تخفيفا الدرع وتقلد سيفه
فندموا جميعا على ما صنعوا فقالوا ما كان لنا ان نخالفك فاصنع ما شئت فقال
ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه وفي حديث
ابن عباس عند احمد والنسائي والطبراني وصححه الحاكم نحو حديث ابن اسحق وفيه
اشارة النبي صلى الله عليه وسلم اليهم ان لا يبرحوا من المدينة وايثارهم الخروج
لطلب الشهادة ولبسه اللامة وندامتهم على ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم
لا ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل وفيه اني رأيت اني في درع
حصينة الحديث وعقد عليه الصلوة والسلام ثلاثة ألوية لواء بيد اسيد
بن الحضير ولواء للمهاجرين بيد علي بن ابي طالب وقيل بيد مصعب بن عمير ولواء
للخزرج بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة وفي المسلمين مائة دارع
وخرج السعدان امامه يعدوان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة دارعين
واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم وعلى الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة و
ادلج عليه الصلوة والسلام في السحر وكان قد رد جماعة من المسلمين لصغرهم
منهم اسامة وابن عمر وزيد بن ثابت وابو سعيد الخدري والنعمان بن بشير
قال مغلطاي وفيه نظر وكان المسلمون الف رجل ويقال تسعمائة والمشركون ثلاثة
الاف رجل فيهم سبعمائة دارع ومائتا فرس وثلاثة الاف بعير وخمسة عشر امرأة
ونزل عليه الصلوة والسلام باحد ورجع عنه عبد الله بن ابي في ثلاثمائة ممن تبعه

اذا جمعوا

من قومه

من قومه من اهل النفاق ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالانصراف لكفرهم لمكان
يقال له الشوط ويقال باحد ثم صف المسلمون باصل احد وصف المشركون بالسبخة قال
ابن عقبه وكان على ميمنة خيل المشركين خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن ابي جهل
وجعل صلى الله عليه وسلم على الرماة وهم خمسون رجلا عبد الله بن جبير وقال ان
رايتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى ارسل اليكم وان رايتمونا هزمنا
القوم واوطأناهم فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم كذا في البخاري من حديث البرا وفي
حديث ابن عباس عند احمد والطبراني والحاكم انه صلى الله عليه وسلم اقامهم في
موضع ثم قال احموا ظهورنا فان رايتمونا نقتل فلا تنصرونا وان رايتمونا قد غنمنا
فلا تشركونا قال ابن اسحق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ياخذ هذا
السيف بحقه فقام اليه رجال فامسكه عنهم حتى قام اليه ابو دجانة سماك فقال
وما حقه يا رسول الله قال ان تضرب به في وجه العدو حتى ينحني قال انا آخذه بحقه
يا رسول الله فاعطاه اياه وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب فلما راه عليه
الصلوة والسلام يتبختر قال انها المشية يبغضها الله الا في مثل هذا الموطن قال
الزبير بن العوام فيما قاله ابن هشام فقلت والله لانظر ما يصنع ابو دجانة فاتبعته
فاخذ عصابة له حمرا فعصب بها راسه فقالت الانصار اخرج عصابة الموت

فخرج وهو يقول

انا الذي عاهدني خليلي	ونحن بالسفح لدى النخيل
ان لا اقوم الدهر في الكيول	اضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى احدا من المشركين الا قتله وقوله في الكيول بفتح الكاف وتشديد
المثناة التحتية مؤخر الصفوف وهو فيعول من كال الزند يكيل كيلا اذا كبا ولم
يخرج نارا فشبه مؤخر الصفوف به لانه من كان فيه لا يقاتل قال ابو عبيدة ولم
يسمع الا في هذا الحديث وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل ارطاة بن شرحبيل بن
هاشم بن عبد مناف والتقى حنظلة الغسيل وابو سفيان فضربه شداد بن اوس
فقتله فقال صلى الله عليه وسلم ان حنظلة لتغسله الملئكة فسالوا امراته جميلة
اخت عبد الله بن ابي فقالت خرج وهو جنب فقال عليه الصلاة والسلام لذلك
غسلته الملئكة وبذلك تمسك من قال من العلماء ان الشهيد يغسل اذا كان
جنبا وقتل علي طلحة بن ابي طلحة صاحب لواء المشركين ثم حمل لواءهم عثمان بن ابي
طلحة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه ثم انزل الله نصره على المسلمين فحسوا
الكفار بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر وكانت الهزيمة فولوا الكفار لا يلوون

هو عسيب نخل مسكه الرسول عليه السلام وهزه فصار سيفا صقيلا

وفي الاستيعاب ان حمزة غسلته الملئكة لانه كان جنبا

على شئ ونساؤهم يدعون بالويل وتبعهم المسلمون حتى اجهضوهم ووقعوا
ينتهبون العسكر وياخذون ما فيه من الغنائم وفى البخارى قال البرآ فقال
اصحاب عبد الله بن جبير اى قوم الغنيمة ظهر اصحابكم فما تنتظرون فقال عبد
الله بن جبير انسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا والله لناتين الناس
فلنصيبن من الغنيمة فلما آتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا منهزمين وفى حديث
عائشة عند البخارى ايضا لما كان يوم احد هزم المشركون هزيمة بينة فصاح ابليس اى
عباد الله اخراكم فرجعت اوليهم فاجتلدت مع اخريهم وعند احمد والحاكم من حديث
ابن عباس انهم لما رجعوا اختلطوا بالمشركين والتبس العسكران فلم يتميزوا فوقع
القتل فى المسلمين بعضهم فى بعض وفى رواية غيرهما ونظر خالد بن الوليد الى خلاء
الجبل وقلة اهله فكر بالخيل وتبعه عكرمة بن ابى جهل فحملوا على من بقى من النفر
الرماة فقتلوهم واميرهم عبد الله بن جبير وفى البخارى انهم لما اصطفوا للقتال
خرج سباع وقال هل من مبارز فخرج اليه حمزة بن عبد المطلب فشد عليه فكان
كامس الذاهب وكان وحشى كامنا تحت صخرة فلما دنا منه رماه بحربته حتى خرجت
من بين وركيه فكان آخر العهد به انتهى وكان مصعب بن عمير قاتل دون النبى
صلى الله عليه وسلم حتى قتل وكان الذى قتله ابن قميئة وكان يظنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فصاح ابن قميئة ان محمدا قتل ويقال كان ذلك ازب العقبة
ويقال بل هو ابليس لعنه الله فتصور فى صورة جعال وقال قائل اى عباد الله اخراكم
اى احترزوا من جهة اخريكم فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون
وانهزمت طائفة منهم الى جهة المدينة وتفرق سائرهم ووقع فيهم القتل وقال
موسى بن عقبة ولما فقد عليه الصلوة والسلام قال رجل منهم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد قتل فارجعوا الى قومكم ليؤمنوكم قبل ان ياتوكم فيقتلوكم
فانهم داخلوا البيوت وقال رجال منهم ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قتل افلا تقاتلون على دينكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقون الله عز وجل شهداء
منهم انس بن مالك بن النضر شهد له بها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
سعد بن معاذ فى قال عيون الاثر كذا وقع فى هذا الخبر انس بن مالك وانما هو انس
بن النضر عم انس بن مالك بن النضر انتهى وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى انكشفوا عنه وثبت معه من اصحابه اربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين
فيهم ابو بكر الصديق وسبعة من الانصار وفى البخارى لم يبق معه عليه الصلاة
والسلام الا اثنا عشر رجلا فاصابوا منا سبعين وكان عليه السلام واصحابه

اصاب

اصاب من المشركين يوم بدر اربعين ومائة اسيرا وسبعين قتيلا فقال ابو
سفيان افى القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه ثم
قال افى القوم ابن ابى قحافة ثلاث مرات ثم قال افى القوم ابن الخطاب ثلاث مرات ثم
رجع الى اصحابه فقال اما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر رض نفسه فقال كذبت يا عدو الله
ان الذين عددت لاحياء كلهم وقد بقى لك ما يسوءك قال يوم بيوم والحرب
سجال وتوجه صلى الله عليه وسلم يلتمس اصحابه فاستقبله المشركون فرموا وجهه
فادموه وكسروا رباعيته والذى جرح وجهه عبد الله بن قميئة وعتبة بن ابى
وقاص اخو سعد هو الذى كسر رباعيته ومن ثم لم يولد من نسله ولد فيبلغ الحنث
الا وهو ابخر او اهتم اى مكسور الثنايا من اصلها يعرف ذلك فى عقبه وقال ابن
هشام فى حديث ابى سعيد الخدرى ان عتبة بن ابى وقاص رمى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله
بن شهاب الزهرى شجه فى جبهته وان ابن قميئة جرح وجنته فدخلت حلقتان
من المغفر فى وجنته ووقع صلى الله عليه وسلم فى حفرة من الحفر التى كان ابو عامر
الفاسق يكيد بها المسلمين وفى رواية وهشموا البيضة على راسه اى كسروا الخوذة
ورموه بالحجارة حتى سقط لشقه فى حفرة من الحفر التى حفرها ابو عامر فاخذ على
بيده واحتضنه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما ونشبت حلقتان من المغفر
فى وجهه فانتزعهما ابو عبيدة عامر بن الجراح وعض عليهما حتى سقطت ثنيتاه
من شدة غوصهما فى وجهه وامتص مالك بن سنان والد ابى سعيد الخدرى الدم
من وجنته ثم ازدرده فقال من مس دمى دمه لم تصبه النار وسياتى ان شاء
الله تعالى حكم دمه عليه الصلوة والسلام وفى الطبرانى من حديث ابى امامة
قال رمى عبد الله بن قميئة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فشج وجهه
وكسر رباعيته فقال خذها وانا ابن قميئة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يمسح الدم عن وجهه اقماك الله فسلط الله عليه تيس الجبل فلم يزل ينطحه
حتى قطعه قطعة قطعة وروى ابن اسحق عن حميد الطويل عن انس قال كسرت
رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم احد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه
وجعل يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى
ربهم فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم
ظالمون ورواه احمد والترمذى من طريق عن حميد به وعند ابن عائذ من طريق
الاوزاعى بلغنا انه لما خرج صلى الله عليه وسلم يوم احد اخذ شيئا فجعل ينشف

دمه وقال لو وقع منه شئ على الارض لنزل عليهم العذاب من السماء ثم قال اللهم
اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وروى عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال
ضربت وجه النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بالسيف ضربة سبعين وقاه
الله شرها كلها قال في فتح الباري وهذا مرسل قوي ويحتمل ان يكون اراد
بالسبعين حقيقتها او المبالغة انتهى وقالت ام عمارة نسيبة بنت كعب المازنية
يوم احد فيما قاله ابن هشام خرجت اول النهار حتى انتهيت الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالت فقمت اباشر القتال واذب عنه بالسيف وارمي عن القوس
حتى خلصت الجراحة الي اصابني ابن قمئة اقماه الله لما ولى الناس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقبل يقول دلوني على محمد فلا نجوت ان نجا قالت فاعترضت
له فضربني هذه الضربة ولكن ضربته ضربات على ذلك ولكن عدو الله عليه درعان
قالت ام سعد بن الربيع فرايت على عاتقها جرحا اجوف له غور وتترس دون
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قاله ابن اسحق ابو دجانة بنفسه يقع النبل
في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر عليه النبل وهو لا يتحرك ورمى سعد بن ابي
وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعد فلقد رايته يناولني النبل
ويقول ارم فداك ابي وامي حتى انه ليناولني السهم ما له نصل فيقول ارم به
واصيب يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فاتي به الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وردها
الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا ورواه الدار
قطني بنحوه ويأتي لفظه ان شاء الله تعالى في مقصد المعجزات ورمي ابو رهم الغفاري
كلثوم بن الحصين بسهم فوقع في نحره فبصق عليه صلى الله عليه وسلم فبرأ وانقطع
سيف عبد الله بن جحش فاعطاه صلى الله عليه وسلم عرجونا فعاد في يده سيفا فقاتل
به وكان ذلك السيف يسمى العرجون ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغا التركي من امراء المعتصم
بالله في بغداد بمائتي دينار وهذا نحو حديث عكاشة السابق في غزوة بدر الا ان سيف
عكاشة كان يسمى العون واشتغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم يقطعون
الآذان والانوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون انهم اصابوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم واشراف اصحابه وكان اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
كعب بن مالك قال عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر فناديت باعلى صوتي يا معشر
المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما عرفوه نهضوا ونهض معهم نحو
الشعب معه ابو بكر وعمر وعلي ورهط من المسلمين فلما اسند رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم في الشعب ادركه ابي بن خلف وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا فقالوا
يا رسول الله يعطف عليه رجل منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه
فلما دنا ناوله عليه السلام الحربة من الحرث بن الصمة فلما اخذها عليه الصلوة والسلام
منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير اذا انتفض ثم
استقبله عليه الصلاة والسلام فطعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم طعنة
وقع بها عن فرسه ولم يخرج له دم فكسر ضلعا من اضلاعه فلما رجع الى قريش قال
قتلني والله محمد اليس قد كان قال لي بمكة انا اقتلك فوالله لو بصق علي لقتلني فمات
عدو الله بسرف وهم قافلون الى مكة رواه البيهقي وابو نعيم ولم يذكر فكسر ضلعا
من اضلاعه قال الواقدي وكان ابن عمر يقول مات ابي بن خلف ببطن رابغ فاني اسير
ببطن رابغ بعد هوي من الليل اذ نار تأجج لي فهبتها واذا رجل يخرج منها في سلسلة
يجتذبها يصيح العطش واذا رجل يقول لا تسقه فان هذا قتيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا ابي بن خلف رواه البيهقي ولما انتهى صلى الله عليه وسلم الى
فم الشعب ملأ علي بن ابي طالب درقته من المهراس وهي صخرة منقورة تسع كثيرا من
الماء وقيل هو اسم ماء باحد فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغسل عن
وجهه الدم وصب على راسه وهو يقول اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه
وصلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ قاعدا من الجراح التي اصابته وصلى المسلمون
خلفه قعودا قال ابن اسحق ووقفت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها
يمثلن بالقتلى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الآذان والانف
وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها ولما اراد ابو سفيان
الانصراف اشرف على الجبل ثم صرخ باعلى صوته انعمت فعال ان الحرب سجال يوم بيوم
بدر اعل هبل وكان ابو سفيان حين اراد الخروج الى احد كتب على سهم نعم وعلى الآخر
لا واجالهما عند هبل فخرج سهم نعم الى احد فلما قال اعل هبل اي زد علوا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعمر اجبه فقال الله اعلى واجل فقال ابو سفيان انعمت
فعال اي اترك ذكرها فقد صدقت في فتويها وانعمت اي اجابت بنعم فقال عمر لا سوا
قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال ان لنا عزى ولا عزى لكم فقال عليه الصلاة
والسلام قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ولما انصرف ابو سفيان واصحابه نادى
ان موعدكم بدر العام القابل فقال عليه الصلاة والسلام لرجل من اصحابه قل نعم
هو بيننا وبينكم موعد وذكر الطبراني انه لما انصرف المشركون خرج النساء الى الصحابة
يعينونهم فكانت فاطمة فيمن خرج فلما لقيت النبي صلى الله عليه وسلم اعتنقته وجعلت

تغسل جراحاته بالماء فيزداد الدم فلما رات ذلك اخذت شيئا من حصير احرقته بالنار
وكمدته به حتى لصق بالجرح فاستمسك ثم ارسل عليه الصلوة والسلام محمد بن مسلمة
كما ذكره الواقدى فنادى في القتلى يا سعد بن الربيع مرة بعد اخرى فلم يجبه حتى قال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلنى اليك انظر ما صنعت فاجابه بصوت
ضعيف فوجده جريحا فى القتلى وبه رمق فقال ابلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنى السلام وقل له يقول لك جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن امته وابلغ قومك
عنى السلام وقل لهم لا عذر لكم عند الله ان يخلص الى نبيكم وفيكم عين تطرف ثم مات
وقتل ابو جابر فما عرف الا ببنانه اى اصابعه وقيل اطرافها واحدتها بنانة وخرج صلى الله
عليه وسلم يلتمس حمزة فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع انفه
واذناه فنظر عليه الصلوة والسلام الى شئ لم ينظر الى شئ اوجع لقلبه منه فقال
رحمة الله عليك لقد كنت فعولا للخير وصولا للرحم اما والله لامثلن بسبعين منهم
مكانك قال فنزلت عليه خواتيم سورة النحل فصبر وكفر عن يمينه وامسك عما اراد
وممن مثل به كما مثل بحمزة عبد الله بن جحش ابن اخت حمزة ولذا يعرف بالمجدع فى الله
وكان حين قتل ابن بضع واربعين سنه ودفن مع حمزة فى قبر واحد ولما اشرف
صلى الله عليه وسلم على القتلى قال انا شهيد على هؤلاء وما من جريح يجرح فى الله
الا والله يبعثه يوم القيمة يدمى جرحه اللون لون الدم والريح ريح المسك وفى رواية
عبد الله بن ثعلبة قال عليه الصلوة والسلام لقتلى احد زملوهم بجراحهم وروى
ابو بكر بن مردويه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا جابر الا اخبرك ما كلم الله
احدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم اباك كفاحا قال سلنى اعطك قال اسئلك ان ارد
الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل انه سبق منى انهم لا يرجعون الى الدنيا
قال اى رب فابلغ من ورائى فانزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا
الآية وعن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد
جعل الله ارواحهم فى اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوى الى
قناديل من ذهب فى ظل العرش فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا
يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب قال
الله انا ابلغهم عنك فانزل الله عز وجل على نبيه هذه الآيات ولا تحسبن الذين قتلوا
فى سبيل الله امواتا الآية رواه احمد قال بعض من تكلم على هذا الحديث قوله ثم تاوى
الى القناديل يصدقه قوله والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم وانما تاوى الى تلك
القناديل ليلا وتسرح نهارا وبعد دخول الجنة فى الآخرة لا تاوى الى تلك القناديل وانما

ذلك فى البرزخ قال مجاهد الشهداء ياكلون من ثمر الجنة وليسوا فيها وقد رد هذا القول
ويشهد له ما وقع فى مسند ابن ابى شيبة وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الشهداء بنهر او على نهر يقال له بارق عند باب الجنة فى قباب خضر ياتيهم رزقهم
منها بكرة وعشيا قال الحافظ عماد الدين بن كثير كان الشهداء اقسام منهم من تسرح
ارواحهم فى الجنة ومنهم من تكون على هذا النهر بباب الجنة وقد يحتمل ان يكون منتهى
سيرهم الى هذا النهر فيجتمعون هناك ويغدى عليهم برزقهم ويراح قال وقد روينا
فى مسند احمد الامام حديثا فيها بشرى لكل مؤمن بان روحه تكون فى الجنة ايضا
وتسرح فيها وتاكل من ثمارها وترى ما فيها من النضرة والسرور وتشاهد ما اعد الله
له من الكرامة قال وهو باسناد صحيح عزيز عظيم اجتمع فيه ثلاثة من الائمة الاربعة
اصحاب المذاهب المتبعة فان الامام احمد رواه عن الشافعى عن مالك بن انس عن الزهرى
عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن ابيه يرفعه نسمة المؤمن طائر تعلق فى شجرة الجنة
حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه وقوله تعلق اى تاكل وفى هذا الحديث ان روح
المؤمن تكون على شكل طائر فى الجنة واما ارواح الشهداء ففى حواصل طير خضر فهى كالمراكب
بالنسبة الى ارواح عموم المؤمنين فانها تطير بانفسها فنسال الله الحنان المنان ان يميتنا
على الايمان وقد استشهد من المسلمين يوم احد سبعون فيما قاله مغلطاى وغيره
وقيل خمسة وستون اربعة من المهاجرين وروى ابن مندة من حديث ابى بن كعب قال استشهد
من الانصار يوم احد اربعة وستون ومن المهاجرين ستة وصححه ابن حبان من هذا
الوجه وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون رجلا وقتل عليه الصلوة والسلام بيده ابى
بن خلف وحضرت الملئكة يومئذ وفى حديث سعد بن ابى وقاص عند مسلم فى صحيحه
انه راى عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله رجلين عليهما ثياب بيض
ما رايتهما قبل ولا بعد يعنى جبريل وميكائيل يقاتلان كاشد القتال وفيه كما قدمناه
ان قتال الملئكة فى غزوة بدر معه صلى الله عليه وسلم لا يختص بيوم بدر خلافا
لمن زعمه كما نص عليه النووى فى شرح مسلم كما قدمته والله اعلم ولما بكى المسلمون
على قتلاهم سر بذلك المنافقون وظهر غش اليهود تنبيه ذكر القاضى عياض
فى الشفا عن القاضى ابى عبد الله بن المرابط من المالكية انه قال من قال ان النبى صلى
الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه منقص اذ ذلك لا يجوز عليه
فى خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته انتهى وهذا موافق لمذهبنا
لكن قال العلامة البساطى من المالكية هذا القائل ان كان يخالف فى اصل المسئلة اعنى
حكم الساب فله وجه وان وافق على ان الساب لا تقبل توبته فمشكل انتهى وقد

كان في قصة احد وما اصيب به المسلمون من الفوائد والحكم الربانية اشيآء عظيمة منها
تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشوم ارتكاب النهى لما وقع من ترك الرماة موقفهم
الذى امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يبرحوا منه ومنها عادة الرسل ان تبتلى
وتكون لهم العاقبة والحكمة في ذلك انه لو انتصروا دائما لدخل في المسلمين من ليس منهم ولم يتميز
الصادق من غيره ولو انكسروا دائما لم يحصل المقصود من البعثة فاقتضت الحكمة الجمع بين
الامرين ليتميز الصادق من الكاذب وذلك ان نفاق المنافقين كان مخفيا عن المسلمين فلما جرت
هذه القصة واظهر اهل النفاق ما اظهروه من الفعل والقول عاد التلويح تصريحا وعرف
المسلمون ان لهم عدوا في دورهم واستعدوا لهم وتحرزوا منهم ومنها ان في تاخير النصر
في بعض المواطن هضما للنفس وكسرا لشهوتها فلما ابتلى المسلمون صبروا وجزع المنافقون
ومنها ان الله تعالى هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها اعمالهم
فقيض لهم اسباب الابتلا والمحن ليصلوا اليها ومنها ان الشهادة من اعلا
مراتب الاولياء فساقهم اليها ومنها انه اراد اهلاك اعدائه فقيض لهم الاسباب
التى يستوجبون بها ذلك من كفرهم وبغيهم وطغيانهم في اذاء اوليائه فمحص
ذنوب المؤمنين ومحق بذلك الكافرين غـــزوة حمراء الاسد وهى على ثمانية اميال
من المدينة عن يسار الطريق اذا اردت ذا الحليفة وكانت صبيحة يوم احد لست
عشرة مضت ولثمان خلون من شوال على راس اثنين وثلثين شهرا من الهجرة لطلب
عدوهم بالامس ونادى مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يخرج معنا
الا من حضر يومنا بالامس اى من شهد احدا وانما خرج صلى الله عليه وسلم مرهبا
للعدو وليبلغهم انه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة وان الذى اصابهم لم يوهنهم عن
عدوهم واقام عليه السلام بها يوم الاثنين والثلاثا والاربعا ثم رجع الى المدينة
يوم الجمعة وقد غاب خمسا وظفر عليه الصلوة والسلام في مخرجه ذلك بمعاوية
بن المغيرة بن ابى العاص فامر بضرب عنقه صبرا قال الحافظ مغلطاى وحرمت الخمرة
في شوال ويقال سنة اربع انتهى قال ابو هريرة فيما رواه احمد حرمت الخمر ثلاث مرات
قدم صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر اى القمار فسألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنهما فانزل الله يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع
للناس الى آخر الآية فقال الناس ما حرم علينا انما قيل فيهما اثم كبير وكانوا يشربون الخمر
حتى كان يوم من الايام صلى رجل من المهاجرين ام اصحابه في المغرب خلط في قراءته
فانزل الله اية اغلظ منها يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا
ما تقولون وكان الناس يشربون ثم نزلت آية اغلظ منها يا ايها الذين امنوا انما الخمر

والميسر

والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الى قوله لعلكم تفلحون قال انتهينا ربنا والميسر
القمار وقيل غيره وولد الحسن بن علي في هذه السنة ثـــم سرية ابى مسلمة عبد الله
بن عبد الاسد هلال المحرم على راس خمس وثلثين شهرا من الهجرة الى قطن جبل بناحية
فيد ومعه مائة وخمسون رجلا من الانصار والمهاجرين لطلب طليحة وسلمة ابنى
خويلد فلم يجدهما ووجد ابلا وشاء فاغار عليهما ولم يلق كيدا ثـــم سرية عبد الله
بن انيس وحده يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على راس خمس وثلثين شهرا من الهجرة الى
سفيان بن خالد الهذلى بعرنة وادى عرفة لانه بلغه صلى الله عليه وسلم انه جمع الجموع لحربه
فلما وصل اليه قال له من الرجل قال من بنى خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لاكون معك
قال اجل فمشى معه ساعة ثم اغترّه وقتله واخذ راسه فكان يسير الليل ويتوارى
النهار حتى قدم المدينة فقال له عليه الصلاة والسلام افلح الوجه قال افلح
وجهك يا رسول الله ووضع راسه بين يديه وكانت غيبته ثمان عشرة ليلة
وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم ثـــم سرية عاصم بن ثابت في صفر على
راس ستة وثلثين شهرا من الهجرة الى الرجيع بفتح الراء وكسر الجيم اسم ماء لهذيل
بين مكة وعسفان بناحية الحجاز كانت الوقعة بالقرب منه فسميت به وحديث
عضل والقارة بفتح الضاد المعجمة بعدها لام بطن من بنى الهون بن خزيمة بن مدركة
بن الياس بن مضر ينسبون الى عضل بن الديس واما القارة فبالقاف وتخفيف الراء
بطن من الهون ايضا ينسبون الى الديس المذكور قال ابن دريد القارة اكمة سوداء
فيها حجارة كانهم نزلوا عندها فسموا بها وقصة عضل والقارة كانت في بعث
الرجيع لا في سرية بئر معونة وقد فصل بينهما ابن اسحق فذكر بعث الرجيع في آخر
سنة ثلاث وبير معونة في اوائل سنة اربع وذكر الواقدى ان خبر بير معونة وخبر
اصحاب الرجيع جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة وسياق ترجمة
البخارى يوهم ان بعث الرجيع وبير معونة شئ واحد وليس كذلك لان بعث الرجيع
كان سرية عاصم وخبيب واصحابهما وهى مع عضل والقارة وبير معونة كانت
سرية القراء وهى مع رعل وذكوان وكان البخارى ادمجها معها لقربها منها ويدل
على قربها منها ما في حديث انس من تشريك النبى صلى الله عليه وسلم بين بنى لحيان
وبين بنى عصية وغيرهم في الدعاء ولم يرد البخارى رحمه الله انهما قصة واحدة
ولم يقع ذكر عضل والقارة عنده صريحا وانما وقع ذلك عند ابن اسحق فانه بعد
ان استوفى قصة احد قال ذكر يوم الرجيع حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة قال
قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد احد رهط من عضل والقارة فقالوا

يا رسول الله انّ فينا اسلاما فابعث فينا نفرا من اصحابك يفقّهوننا فبعث معهم
ستّة من اصحابه وامّر على القوم مَرْثَد بن مرثد الغنوى كذا فى السّيرة له وفى الصّحيح
وامّر عليهم عاصم بن ثابت كما سيأتى وهو اصحّ فخرجوا مع القوم حتّى اتوا على الرّجيع
ماء لهذيل غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلا فلم يُرَع القوم وهم فى رحالهم
الّا الرّجال بايديهم السّيوف وقد غشوهم فاخذوا اسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا
لهم انا والله لا نريد قتلكم ولكنّا نريد ان نصيب بكم شيئا من اهل مكّة ولكم عهد الله
وميثاقه ان لا نقتلكم فابوا فامّا مرثد وخالد وعاصم فقالوا والله لا نقبل من مشرك
عهدا وقاتلوا حتّى قتلوا وفى البخارى وامّر عليهم عاصم بن ثابت حتّى اذا كانوا بالهدأة
بين عُسفان ومكّة ذُكروا لحىّ من هُذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا لهم بقريب من
مائتى رجل وعند بعضهم فتبعوهم بقريب من مائة رام والجمع بينهما واضح بان تكون
المائة الاخرى غير رُماة وفى رواية ابى معشر فى مغازيه فنزلوا بالرّجيع سحرا فاكلوا
تمر عجوة فسقط نواه بالارض وكانوا يسيرون باللّيل ويكمنون بالنّهار فجاءت امرأة
من هذيل ترعى غنما فرأت النّواة فانكرت صغرهنّ وقالت هذا تمر يثرب فصاحت
فى قومها قد اُتيتم فجاؤا فى طلبهم فوجدوهم قد كمنوا فى الجبل فاتّبعوا آثارهم
حتّى لحقوهم وفى رواية ابن سعد فلمّا احسّ بهم عاصم واصحابه لجؤا الى فَدْفَد
بفائين مفتوحتين ومهملتين الاولى ساكنة وهى الرّابية المشرفة فاحاط بهم القوم
فقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا ان لا نقتل منكم رجلا فقال عاصم بن ثابت
ايّها القوم امّا انا فلا انزل فى ذمّة كافر ثمّ قال اللّهمّ اخبر عنّا رسولك فاستجاب
الله لعاصم فاخبر رسوله بخبرهم يوم اصيبوا فرموهم بالنّبل فقتلوا عاصما
ونزل اليهم على العهد والميثاق خُبيب بن عدىّ وزيد بن الدّثنة وعبد الله
بن طارق فانطلقوا بخبيب وزيد بن الدّثنة بفتح المهملة وكسر المثلّثة والنّون
المفتوحة المشدّدة حتّى باعوهما بمكّة فابتاع بنو الحرث بن عامر خبيبا فلبث
خبيب عندهم اسيرا حتّى اجمعوا على قتله فاستعار من بعض بنات الحارث موسى
يستحدّ بها يعنى يحلق عانته فغفلت عن ابن لها صغير فاقبل الله الصّبىّ فاجلسه
عنده فخشيت المرأة ان يقتله ففزعت فقال خُبيب ما كنت لاغدر قال قالت و
الله ما رأيت اسيرا خيرا من خُبيب والله لقد وجدته يأكل قطفا من عنب مثل رأس
الرّجل وانّه لموثوق بالحديد وما بمكّة من ثمرة وما كان الّا رزقا رزقه الله وهذه
كرامة جعلها الله لخبيب آية على الكفّار وبرهانا لنبيّه لتصحيح رسالته والكرامة
للاولياء ثابتة مطلقا عند اهل السّنّة لكن استثنى بعض المحقّقين منهم كالعلّامة

[هامش: وقيل الابتاع وقيل عشرة وهو الاصحّ كما وقع فى كتاب الصّحيح للبخارى رحمه الله]

الرّبّانى ابى القاسم القشيرى ما وقع به التّحدّى لبعض الانبياء فقال ولا يصلون لمثل
ايجاد ولد من غير اب ونحو ذلك وهذا اعدل المذاهب فى ذلك وانّ اجابة الدّعوة فى
الحال وتكثير الطّعام والمكاشفة بما يغيب عن العين والاخبار بما سيأتى ونحو ذلك
قد كثر جدّا حتّى صار وقوع ذلك ممّن ينسب الى الصّلاح كالعادة فانحصر الخارق الآن
فى نحو ما قاله القشيرى وتعيّن تقييد من اطلق بانّ كلّ معجزة وجدت لنبىّ يجوز
ان يقع كرامة لولىّ ووراء ذلك انّ الّذى استقرّ عند العامّة انّ خرق العادة يدلّ
على انّ من وقع له ذلك يكون من اولياء الله تعالى وهو غلط فانّ الخارق قد يظهر
على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب فيحتاج من يستدلّ بذلك على ولاية اولياء
الله الى فارق واولى ما ذكروه ان يختبر حال من وقع له ذلك فان كان متمسّكا
بالاوامر الشّرعيّة والنّواهى كان علامة على ولايته ومن لا فلا والله اعلم انتهى
ملخّصا من الفتح ولمّا خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه قال دعونى اصلّى ركعتين
وعند موسى بن عقبة انّه صلّاهما فى موضع مسجد التّنعيم اللّهمّ احصهم عددا
ولا تبق منهم احدا واقتلهم بددا يعنى متفرّقين فلم يحل الحول ومنهم احد حىّ
وفى رواية بريدة بن سفيان فقال خبيب اللّهمّ انّى لا اجد من يبلغ رسولك منّى
السّلام فبلغه وفى رواية الاسود عن عروة جاء جبريل الى النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم
فاخبره بذلك الحديث ثمّ خبيب يقول

فلست ابالى حين اُقتل مسلما ... على اىّ شقّ كان لله مصرعى
وذلك فى ذات الاله وان يشأ ... يبارك على اوصال شِلْوٍ مُمَزَّع

والاوصال جمع وَصل وهو العضو والشّلو بكسر المعجمة الجسد ويطلق على
العضو لكنّ المراد به هنا الجسد الممزّع بالزّاى ثمّ بالمهملة القطع ومعنى الكلام
على اعضاء جسد مُقطّع وعند ابى الاسود عن عروة زيادة فى هذا الشّعر وهى

لقد اجمع الاحزاب فىّ والبوا ... قبائلهم واستجمعوا كلّ مجمع
الى الله اشكو غربتى بعد كربتى ... وما ارصد الاحزاب لى عند مصرعى

وساق هذه الابيات ابن اسحق ثلاثة عشر بيتا قال ابن هشام ومن النّاس من ينكرها
لخبيب وكان خبيب اوّل من سنّ الرّكعتين عند القتل لكلّ مسلم قتل صبرا كذا قال ابن
اسحق وقوله هذا يدلّ على انّها سنّة جارية وانّما صار فعل خبيب سنّة والسّنّة
انّما هى اقوال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وافعاله وتقريره لانّه فعلها فى حياته
صلّى الله عليه وسلّم فاستحسن ذلك من فعله واستحسنها المسلمون والصّلوة
خير ما ختم به عمل العبد وقد صلّاهما اى الرّكعتين زيد بن حارثة مولى رسول الله

صلى الله عليه وسلم وذلك في حياته عليه الصلوة والسلام كما رويناه من طريق السهيلي
بسنده الى الليث بن سعد قال بلغني ان زيد بن حارثة اكترى بغلا من رجل من الطائف اشترط
عليه المكري ان ينزله حيث شاء قال فمال به الى خربة فقال له انزل فنزل فاذا في الخربة قتلى كثيرة
قال فلما اراد ان يقتله قال له دعني اصلي ركعتين قال صل فقد صلى قبلك هؤلاء فلم
تنفعهم صلاتهم شيئا قال فلما صليت اتاني ليقتلني فقلت يا ارحم الراحمين قال فسمع
صوتا لا تقتله فهاب ذلك فخرج ليطلب فلم ير شيئا فرجع الي فناديت يا ارحم الراحمين
فعل ذلك ثلاثا فاذا بفارس على فرس في يده حربة حديد في راسها شعلة نار فطعنه
بها فانفذها من ظهره فوقع ميتا ثم قال لي لما دعوت المرة الاولى يا ارحم الراحمين كنت
في السابعة فلما دعوت المرة الثانية يا ارحم الراحمين كنت في سماء الدنيا فلما دعوت
الثالثة اتيتك انتهى ووقع في رواية ابي الاسود عن عروة فلما وضعوا فيه السلاح
وهو مصلوب يعني خبيبا نادوه وناشدوه اتحب ان محمدا مكانك قال لا والله ما احب
ان يفديني بشوكة في قدمه ويقال ان الذي قيل له ذلك زيد بن الدثنة وان ابا سفيان
قال له يا زيد انشدك بالله اتحب ان محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وانت
في اهلك فقال والله ما احب ان محمدا في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه
واني لجالس في اهلي قال يقول ابو سفيان يقول ما رايت احدا يحب احدا كحب اصحاب
محمد محمدا ثم قتله نسطاس بكسر النون وبعثت قريش الى عاصم ليؤتوا بشئ
من جسده يعرفونه وكان عاصم قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر وقيل العظيم المذكور
عقبة بن ابي معيط فان عاصما قتله صبرا بامر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان
انصرفوا من بدر ووقع في رواية ابن اسحق وكذا في رواية بريدة بن سفيان ان عاصما
لما قتل ارادت هذيل اخذ راسه ليبيعوه من سلافة بنت سعيد وهي ام مسافع
وجلاس ابني طلحة العبدي وكان عاصم قتلهما يوم احد وكانت قد نذرت حين اصاب
ابنيها يوم احد لئن قدرت على راس عاصم لتشربن الخمر في قحفه بكسر القاف وهو
ما انفلق من الجمجمة فبان قال الطبري وجعلت لمن ياتي براسه مائة ناقة فمنعه
الدبر بفتح المهملة وسكون الموحدة الزنابير منهم فلم يقدروا منه على شئ وكان
عاصم بن ثابت قد اعطى الله عهدا ان لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا فكان عمر
لما بلغه خبره يقول يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته وانما
استجاب الله له في حماية لحمه من المشركين ولم يمنعهم قتله لما اراد الله من اكرامه
بالشهادة ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه سرية المنذر بن
عمرو بفتح المهملة الى بئر معونة بفتح الميم وضم المهملة وسكون الواو وبعدها نون

موضع

موضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان في صفر على راس ستة وثلثين شهرا من الهجرة
على راس اربعة اشهر من احد وبعث معه المطلب السلمي ليدلهم على الطريق وكان
مع رعل بكسر الراء المهملة وسكون بطن من بني سليم ايضا ينسبون الى رعل
بن عوف بن مالك وذكوان بطن من بني سليم بن ثعلبة فنسبت الغزوة اليها وهذه
الغزوة تعرف بسرية القراء وكان من امرها كما قاله ابن اسحق انه قدم ابو براء عامر بن
مالك بن جعفر المعروف بملاعب الاسنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض
عليه الاسلام فلم يسلم ولم يبعد عن الاسلام وقال يا محمد لو بعثت رجالا من
اصحابك الى اهل نجد فدعوهم الى امرك رجوت ان يستجيبوا لك فقال عليه السلام
اني اخشى اهل نجد عليهم قال ابو براء انا لهم جار فابعثهم فبعث عليه الصلوة والسلام
المنذر بن عمرو ومعه القراء وهم سبعون وقيل اربعون وقيل ثلثون وقد بين
قتادة في روايته انهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل وفي رواية ثابت
يشترون به الطعام لاهل الصفة ويتدارسون القران بالليل فساروا حتى نزلوا
بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان بكتابه صلى الله عليه وسلم الى عدو الله عامر بن
الطفيل العامري ومات كافرا وليس هو عامر بن الطفيل الاسلمي الصحابي فائدة
عامر بن الطفيل الاسلمي صحابي غير هذا المذكور هنا لكن وافق اسمه واسم ابيه وهذا
عامري مات كافرا والله اعلم فلما اتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ثم استصرخ
عليهم بني عامر فلم يجيبوه وقالوا لن نخفر ابا براء وقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ
عليهم قبائل من بني سليم عصية ورعلا فاجابوه الى ذلك ثم خرجوا حتى غشوا
القوم فاحاطوا بهم في رحالهم فلما راوهم اخذوا سيوفهم وقاتلوهم حتى قتلوا
الى اخرهم الا كعب بن زيد تركوه وبه رمق فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا و
اسر عمرو بن امية الضمري فلما اخبرهم انه من مضر اخذه عامر بن الطفيل واعتقه
عن رقبة زعم انها كانت على امه فلما بلغ صلى الله عليه وسلم خبرهم قال هذا عمل
ابي براء قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك ابا براء فمات اسفا على ما صنع عامر
بن الطفيل وقتل عامر بن فهيرة يومئذ فلم يوجد جسده دفنته الملئكة قال ابن
سعد عن انس بن مالك ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على ما
وجد على اصحاب بئر معونة وفي صحيح مسلم عن انس ايضا دعا صلى الله عليه وسلم
على الذين قتلوا اصحاب بئر معونة ثلثين صباحا يدعوا على رعل ولحيان وعصية
عصت الله ورسوله قال انس انزل الله في الذين قتلوا يوم بئر معونة قرآنا ثم
نسخ بعد بلغوا قومنا انا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه كذا وقع في هذه

وفي الاتباع كانوا اذا امسوا انحازوا ناحية من المدينة يدرسوا
ويصلوا حتى اذا كان وجاه الصبح استعذبوا من الماء وحطبوا
من الحطب فجاءوا به الى حجر النبي صلى الله عليه وسلم

الرواية وهو يوهم ان بنى لحيان ممن اصاب القرآء يوم بئر معونة وليس كذلك وانما
اصاب هؤلاء رعل وذكوان وعصية ومن صحبهم من سليم واما بنو لحيان فهم
الذين اصابوا بعث الرجيع وانما اتى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم
كلهم فى وقت واحد فدعا على الذين اصابوا اصحابه فى الموضعين دعاء واحدا والله
اعلم ثم غزوة بنى النضير بفتح النون وكسر الضاد المعجمة قبيلة كبيرة من اليهود فى
ربيع الاول سنة اربع وذكرها ابن اسحق هنا قال السهيلى وكان ينبغى ان يذكرها
بعد بدر لما روى عقيل بن خالد وغيره عن الزهرى قال كانت غزوة بنى النضير على
راس ستة اشهر من وقعة بدر قبل احد ورجح الداوودى ما قاله ابن اسحق من
ان غزوة بنى النضير بعد بئر معونة مستدلا بقوله تعالى وانزل الذين ظاهروهم
من اهل الكتاب من صياصيهم قال الحافظ ابو الفضل بن حجر وهو استدلال واه
فان الآية نزلت فى شان بنى قريظة فانهم هم الذين ظاهروا الاحزاب واما بنوا
النضير فلم يكن لهم فى الاحزاب ذكر بل كان من اعظم الاسباب فى جمع الاحزاب ما وقع
من اجلائهم فانه كان من رؤسهم حيى بن اخطب وهو الذى حسن لبنى قريظة الغدر
وموافقة الاحزاب حتى كان من هلاكهم ما كان فكيف يصير السابق لاحقا انتهى
وقد تقدم قريبا ان عامر بن الطفيل اعتق عمرو بن امية لما قتل اهل بئر معونة
عن رقبة عن امه فخرج عمرو الى المدينة فصادف رجلين من بنى عامر معهما عقد
وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر به عمرو فقال لهما عمرو ممن انتما
فذكرا له انهما من بنى عامر فتركهما حتى ناما فقتلهما عمرو وظن انه ظفر بثار بعض اصحابه
فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد قتلت قتيلين لاودينهما قال
ابن اسحق وغيره ثم خرج عليه السلام الى بنى النضير يستعين بهم فى دية ذينك
القتيلين الذين قتلهما عمرو بن امية للجوار الذى كان صلى الله عليه وسلم عقده لهما
وكان بين بنى النضير وبين بنى عامر عقد وحلف فلما اتاهم عليه السلام يستعينهم
فى ديتهما قالوا يا ابا القاسم نعينك على ما احببت مما استعنت بنا عليه ثم خلا بعضهم
فقالوا انكم لن تجدوه على مثل هذا الحال وكان صلى الله عليه وسلم الى جنب جدار من
بيوتهم من رجل يعلو على هذا البيت فيلقى هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه
فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال انا لذلك فصعد ليلقى عليه الصخرة
ورسول صلى الله عليه وسلم فى نفر من اصحابه فيهم ابو بكر وعمر وعلى رضى الله
عنهم قال ابن سعد فقال سلام بن مشكم لليهود لا تفعلوا والله ليخبرن بما
هممتم وانه لنقض العهد الذى بيننا وبينه قال ابن اسحق واتى رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم الخبر من السماء بما اراد القوم فقام عليه السلام مظهرا انه يقضى حاجة
وترك اصحابه فى مجلسهم ورجع مسرعا الى المدينة واستبطأ النبى صلى الله عليه
وسلم اصحابه فقاموا فى طلبه حتى انتهوا اليه فاخبرهم الخبر بما ارادت يهود بالغدر
به قال ابن عقبة ونزل فى ذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الآية قال ابن اسحق فامر صلى الله عليه وسلم
بالتهيؤ لحربهم والسير اليهم قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم
ثم سار بالناس حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليال قال ابن اسحق فتحصنوا فى الحصون
فقطع النخل وحرقها وخرب فنادوه يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على
من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها قال السهيلى قال اهل التاويل وقع فى نفوس
بعض المسلمين من هذا الكلام شىء حتى انزل الله ما قطعتم من لينة الآية الى قوله
وليخزى الفاسقين واللينة الوان التمر ما عدا العجوة والبرنى ففى هذه الاية انه صلى
الله عليه وسلم لم يحرق من نخلهم الا ما ليس بقوت للناس وكانوا يقتاتون العجوة
وفى الحديث العجوة من الجنة وتمرها يغذو احسن غذاء والبرنى ايضا كذلك ففى
قوله تعالى ما قطعتم من لينة ولم يقل من نخلة على العموم تنبيه على كراهة قطع
ما يقتات ويغذو من شجر العدو اذا رجى ان يصل الى المسلمين قال ابن اسحق وقد
كان رهط من بنى عوف من الخزرج منهم عبد الله بن ابى بن سلول بعثوا الى بنى
النضير ان اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان خرجتم خرجنا
معكم فتربصوا فقذف الله فى قلوبهم الرعب فلم ينصروهم فسألوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يجليهم عن ارضهم ويكف عن دمائهم وعند ابن سعد انهم هموا
بغدره صلى الله عليه وسلم واعلمه الله بذلك بعث اليهم محمد بن مسلمة ان اخرجوا
من بلدى فلا تساكنونى بها وقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد اجلتكم عشرا فمن
رؤى منكم بعد ذلك ضربت عنقه فمكثوا على ذلك اياما يتجهزون وتكاروا من
ناس من اشجع ابلا فارسل اليهم عبد الله ابى بن سلول لا تخرجوا من دياركم واقيموا
فى حصونكم فان معى الفين من قومى من العرب يدخلون حصنكم وتمدكم قريظة
وحلفاكم من غطفان فطمع حيى فيما قاله ابن ابى فارسل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك فاظهر صلى الله عليه وسلم
التكبير وكبر المسلمون بتكبيره وسار اليهم عليه السلام فى اصحابه فصلى العصر بفناء
بنى النضير وعلى يحمل رايته فلما راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاموا على
حصونهم معهم النبل والحجارة واعتزلهم ابن ابى ولم يعنهم وكذا حلفاؤهم

من غطفان فيئسوا من نصرهم فحاصرهم صلى الله عليه وسلم وقطع نخلهم
وقال لهم عليه السلام اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الابل الا الحلقة
وهي باسكان اللام قال في القاموس الدرع فنزلت يهود على ذلك وكان حاصرهم
خمسة عشر يوما فكانوا يخربون بيوتهم بايديهم ثم اجلاهم عن المدينة وولى
اخراجهم محمد بن مسلمة وحملوا النساء والصبيان وحملوا على ستمائة بعير فلحقوا
بخيبر وحزن المنافقون عليهم حزنا شديدا وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاموال ووجد من الحلقة خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة واربعين سيفا و
كانت بنو النضير صفيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حبسا لنوائبه ولم يسهم
منها لاحد لان المسلمين لم يوجفوا عليهم بخيل ولا ركاب وانما قذف في قلوبهم الرعب
وجلوا عن منازلهم الى خيبر ولم يكن ذلك عن قتال من المسلمين لهم فقسمها عليه السلام
بين المهاجرين ليرفع ذلك مؤنتهم عن الانصار اذ كانوا قد قاسموهم في الاموال و
الديار غير انه اعطى ابا دجانة وسهل ابن حنيف لحاجتهما وفي الاكليل واعطى سعد
بن معاذ سيفا بن ابي الحقيق وكان سيفا له ذكر عندهم غزوة ذات الرقاع
واختلف فيها متى كانت فعند ابن اسحق بعد بني النضير سنة اربع في شهر ربيع الآخر
وبعض جماد وعند ابن سعد وابن حبان في المحرم سنة خمس وجزم ابو معشر انها
بعد بني قريظة في ذي القعدة سنة خمس فيكون ذات الرقاع في آخر السنة واول
التي يليها قال في فتح الباري قد جنح البخاري الى انها كانت بعد خيبر واستدل
لذلك بامور ومع ذلك فذكرها قبل خيبر فلا ادري هل تعمد ذلك تسليما لاصحاب
المغازي انها كانت قبلها او ان ذلك من الرواة عنه او اشارة الى احتمال ان تكون
ذات الرقاع اسما لغزوتين مختلفتين كما اشار اليه البيهقي على ان اصحاب المغازي مع
جزمهم بانها كانت قبل خيبر مختلفون في زمانها انتهى والذي جزم به ابن عقبة
تقدمها لكن تردد في وقتها فقال لا ندري كانت قبل بدر او بعدها او قبل احد
او بعدها قال الحافظ ابن حجر وهذا التردد لا حاصل له بل الذي ينبغي الجزم به انها
بعد غزوة بني قريظة لان صلوة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شرعت وقد ثبت
وقوع صلوة الخوف في غزوة ذات الرقاع فدل على تاخرها بعد الخندق ثم قال
عند قول البخاري وهي بعد خيبر لان ابا موسى جاء بعد خيبر واذا كان كذلك
وثبت ان ابا موسى شهد غزوة ذات الرقاع لزم انها كانت بعد خيبر قال وعجب
من ابن سيد الناس كيف قال جعل البخاري حديث ابي موسى هذا حجة في ان غزوة
ذات الرقاع متاخرة عن خيبر قال وليس في خبر ابي موسى ما يدل على شيء من ذلك

وخرجوا وهم يضربون بالدفوف ويزمرون بالمزامير وشقوا
سوق المدينة والنساء في الهوادج عليهن الحلي والحرير والديباج
وحلي الذهب والمعصفرات مخلدا وكان فيهم حيي بن اخطب
وسلام بن ابي الحقيق وقد صف لهم الناس
امتاع

انتهى

انتهى كلام ابن سيد الناس قال وهذا النفي مردود والدلالة من ذلك واضحة كما
قررته قال واما الدمياطي فادعى غلط الحديث الصحيح وان جميع اهل السير على
خلافه وقد تقدم انهم مختلفون في زمانها فالاولى الاعتماد على ما ثبت في الحديث الصحيح
واما قول الغزالي انها آخر الغزوات فهو غلط واضح وقد بالغ ابن الصلاح في انكاره
وقال بعض من انتصر للغزالي اراد آخر غزوة صليت فيها صلوة الخوف وهو انتصار
مردود بما اخرجه ابو داود والنسائي وصححه ابن حبان من حديث ابي بكرة انه صلى
مع النبي صلوة الخوف صلى الله عليه وسلم وانما اسلم ابو بكرة بعد غزوة الطائف
بالاتفاق انتهى واما تسميتها بذات الرقاع فلانهم رقعوا فيها راياتهم قاله ابن هشام
وقيل لشجرة في ذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع وقيل الارض التي نزلوا فيها بقع سود
وبقع بيض كانها مرقعة برقاع مختلفة فسميت ذات الرقاع لذلك وقيل ان خيلهم
كان بها سواد وبياض قاله ابن حبان وقال الواقدي سميت بجبل هناك فيه بقع
قال الحافظ ابن حجر وهذا لعله مستند ابن حبان ويكون قد تصحف عليه بخيل قال
واغرب الداودي فقال سميت ذات الرقاع لوقوع صلوة الخوف فيها فسميت بذلك
لترقيع الصلوة فيها انتهى قال السهيلي واصح من هذه الاقوال كلها ما روى البخاري
عن ابي موسى الاشعري قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ونحن
ستة نفر بيننا بعير نعتقبه فنقبت اقدامنا ونقبت قدماي وسقطت اظفاري
فكنا نلف على ارجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على ارجلنا
وكان من خبر هذه الغزوة كما قاله ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم غزا نجدا يريد
بني محارب وبني ثعلبة بالمثلثة من غطفان بفتح الغين المعجمة والمهملة لانه عليه
السلام بلغه انهم جمعوا الجموع فخرج في اربعمائة من اصحابه وقيل سبعمائة واستعمل
على المدينة عثمان بن عفان وقيل ابا ذر الغفاري حتى نزل نخلا بالخاء المعجمة موضع
من نجد من اراضي غطفان قال ابن سعد فلم يجد في محالهم الا نسوة فاخذهم
وقال ابن اسحق فلقي جمعا منهم فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب وقد اخاف
الناس بعضهم بعضا حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلوة
الخوف ثم انصرف الناس قال ابن سعد وكان ذلك اول ما صلاها وقد رويت
صلاة الخوف من طرق كثيرة وسياتي ان شاء الله الكلام على ما تيسر منها في
مقصد عباداته صلى الله عليه وسلم وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم
في هذه الغزوة خمس عشرة ليلة وفي البخاري عن جابر قال كنا مع النبي صلى الله
عليه وسلم بذات الرقاع فاذا اتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه

وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف النبي صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة
فاخترطه يعني سله من غمده تخافني قال لا قال فمن يمنعك مني قال الله وعند ابي
عوانة فسقط السيف من يده فاخذه عليه الصلوة والسلام فقال من يمنعك
مني قال كن خير آخذ قال تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله قال لا غير اني
اعاهدك ان لا اقاتلك ولا اكون مع قوم يقاتلونك قال فخلى سبيله فجاء الى
قومه فقال جئتكم من عند خير الناس وفي رواية عند البخاري ولم يعاقبه وانما
لم يؤاخذه عليه السلام بما صنع وعفى عنه لشدة رغبته عليه السلام في
استيلاف الكفار ليدخلوا في الاسلام وفي رواية ابي اليمان عند البخاري في
الجهاد قال من يمنعك ثلاث مرات وهو استفهام انكاري اي لا يمنعك مني احد
وكان الاعرابي قائما على راسه والسيف في يده والنبي صلى الله عليه وسلم جالس
لا سيف معه ويوخذ من مراجعة الاعرابي له في الكلام ان الله سبحانه منع نبيه
والا فما الذي احوجه الى مراجعته مع احتياجه الى الحظوة عند قومه بقتله
وفي قوله صلى الله عليه وسلم في جوابه الله يمنعني منك اشارة الى ذلك ولذلك
لما اعادها الاعرابي فلم يزده على ذلك الجواب وفي ذلك غاية التهكم وعدم المبالات
به وذكر الواقدي في نحو هذه القصة انه اسلم ورجع الى اهله واهتدى به خلق
كثير وقال فيه انه رمي بالزلخة حين هم بقتله صلى الله عليه وسلم فندر السيف
من يده وسقط الى الارض والزلخة بضم الزاي وتشديد اللام وجع ياخذ في الصلب
وقال البخاري قال مسدد عن ابي عوانة عن ابي بشر اسم الرجل غورث بن الحارث
على وزن جعفر وحكى الخطابي فيه غويرث بالتصغير وقد تقدم في غزوة غطفان
وهي غزوة ذي امر بناحية نجد مثل هذه القصة لرجل اسمه دعثور وانه قام على
راسه صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال من يمنعك مني فقال عليه السلام
الله ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده وانه اسلم قال في عيون الاثر
والظاهر ان الخبرين واحد وقال غيره من المحققين انهما قصتان في غزوتين وفي
هذه القصة فرط شجاعته وقوة يقينه وصبره على الاذى وحلمه على الجهال
وفي انصرافه صلى الله عليه وسلم من هذه الغزوة ابطا جمل جابر بن عبد الله
فنخسه عليه السلام فانطلق متقدما بين يدي الركاب ثم قال اتبيعنيه فابتاعه
منه وقال لك ظهره الى المدينة فلما وصلها اعطاه الثمن وارجح ووهب له الجمل
والحديث اصله في البخاري ولا حجة فيه لجواز بيع وشرط لما وقع فيه من الاضطراب
وقيل غير ذلك مما يطول ذكره والله اعلم غزوة بدر الاخيرة وهي الصغرى

وتسمى

وتسمى بدر الموعد وكانت في شعبان بعد ذات الرقاع قال ابن اسحق لما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة ذات الرقاع اقام بها جمادى الاولى الى آخر
رجب ثم خرج في شعبان الى بدر لميعاد ابي سفيان ويقال كانت في هلال ذي القعدة
وميعاد ابي سفيان هو ما سبق ان ابا سفيان قال يوم احد الموعد بيننا وبينكم
بدر العام القابل فقال عليه السلام لرجل من اصحابه قل نعم هو بيننا وبينكم موعد
فخرج عليه السلام ومعه الف وخمسمائة من اصحابه وعشرة افراس واستخلف على
المدينة عبد الله بن رواحة فاقاموا على بدر ينتظرون ابا سفيان وخرج ابو سفيان
حتى نزل بجيشه مجنة من ناحية مر الظهران ويقال عسفان ثم بدا له الرجوع
فقال يا معشر قريش انه لا يصلحكم الا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه
اللبن ان عامكم هذا عام جدب واني راجع فارجعوا فرجع الناس فسماهم اهل مكة
جيش السويق واقام عليه الصلوة والسلام ببدر ثمانية ايام وباعوا ما معهم
من التجارة فربحوا الدرهم درهمين وانزل الله في المؤمنين الذين استجابوا لله و
الرسول من بعد ما اصابهم القرح الى قوله فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم
سوء الآية والصحيح ان هذه الآية نزلت في شان حمراء الاسد كما نص عليه العماد بن كثير
غزوة دومة الجندل وهي بضم الدال من دومة وهي مدينة بينها وبين
دمشق خمس ليال وبعدها من المدينة خمس عشرة او ستة عشرة ليلة قال
ابو عبيد البكري سميت بدومة بن اسمعيل كان نزلها وكانت في شهر ربيع
الاول على راس تسعة واربعين شهرا من الهجرة وكان سببها انه بلغه صلى
الله عليه وسلم ان بها جمعا كثيرا يظلمون من مر بهم فخرج عليه الصلوة والسلام
لخمس ليال بقين من شهر ربيع الاول في الف من اصحابه فكان يسير الليل ويكمن
النهار واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة فلما دنى منهم لم يجد الا النعم والشاء
فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فاصاب من اصاب وهرب من هرب في كل وجه وجاء
الخبر اهل دومة فتفرقوا ونزل عليه السلام بساحتهم فلم يلق بها احدا فاقام
بها اياما وبث السرايا وفرقها فرجعوا ولم يصب منهم احدا ودخل المدينة في
العشرين من ربيع الآخر غزوة المريسيع بضم الميم وفتح الراء وسكون التحتانيتين
بينهما مهملة مكسورة وآخره عين مهملة وهي ماء لبني خزاعة بينه وبين الفرع يومين
وتسمى غزوة بني المصطلق بضم الميم وسكون المهملة وفتح الطاء المشالة المهملة
وكسر اللام بعدها قاف وهو لقب واسمه جذيمة بن سعد بن عمرو بطن من خزاعة
وكانت يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس وفي البخاري قال ابن اسحق

سنة ست وقال موسى بن عقبة سنة اربع انتهى قال وكانه سبق قلم اراد ان يكتب
سنة خمس وكتب سنة اربع والذى فى مغازى موسى بن عقبة من عدة طرق
اخرجها الحاكم وابو سعد النيسابورى والبيهقى فى الدلائل وغيرهم سنة خمس
وسببها انه بلغه عليه السلام ان رئيسهم الحارث بن ابى ضرار سار فى قومه
ومن قدر عليه من العرب فدعاهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابوه
وتهيئوا للمسير معه فبعث عليه السلام بريدة بن الحصيب الاسلمى يعلم علم ذلك
فاتيهم ولقى الحرث بن ضرار وكلمه ورجع الى رسول صلى الله عليه وسلم فخرج رسول
الله صلى الله عليه مسرعا فى نفر كثير من المنافقين لم يخرجوا فى غزاة قط مثلها
واستخلف على المدينة زيد بن حارثة وقادوا الخيل وكانت ثلاثين فرسا وخرجت
عائشة وام سلمة وبلغ الحارث ومن معه مسيره عليه السلام فسئ بذلك هو
ومن معه وخافوا خوفا شديدا وتفرق عنهم من كان معهم من العرب وبلغ عليه
السلام المريسيع وصف اصحابه ودفع راية المهاجرين الى ابى بكر وراية الانصار
الى سعد بن عبادة فتراموا بالنبل ساعة ثم امر عليه الصلوة والسلام اصحابه فحملوا
حملة رجل واحد وقتلوا عشرة واسروا باقيهم وسبوا النساء والرجال والذرية
والنعم والشا ولم يقتل من المسلمين الا رجل واحد كذا ذكره ابن اسحق والذى فى
صحيح البخارى من حديث ابن عمر يدل على انه اغار عليهم حين غفلة منهم فاوقع بهم
ولفظه اغار على بنى المصطلق وهم غارون وانعامهم تستقى على الماء فقتل مقاتليهم
وسبى ذراريهم وهم على الماء ويحتمل ان يكونوا حين الايقاع بهم ثبتوا قليلا
فلما كثر فيهم القتل انهزموا بان يكون لما دهمهم وهم على الماء وتصافوا ووقع
القتال بين الطائفتين ثم بعد ذلك وقعت الغلبة عليهم قيل وفى هذه الغزوة
نزلت آية التيمم وفى الصحيحين من حديث عائشة انها قالت خرجنا مع النبى
صلى الله عليه وسلم فى بعض اسفاره فذكرت حديث التيمم قال فى فتح
البارى قولها فى بعض اسفاره قال ابن عبد البر فى التمهيد يقال انه كان فى غزوة
بنى المصطلق وجزم بذلك فى الاستذكار وسبقه الى ذلك ابن سعد وابن حبان
وغزاة بنى المصطلق هى غزاة المريسيع وفيها كانت قصة الافك لعائشة وكان
ابتداء ذلك بسبب وقوع عقدها ايضا فان كان ما جزموا به ثابتا حمل على انه
سقط منها فى تلك السفرة مرتين لاختلاف القصتين كما هو بين فى سياقهما قال
واستبعد بعض شيوخنا ذلك لان المريسيع من ناحية مكة بين قديد والساحل
وهذه القصة كانت من ناحية خيبر لقولها فى الحديث حتى كنا بالبيداء وبذات الجيش

وهما

وهما بين مكة وخيبر كما جزم به النووى قال وما جزم به مخالف لما جزم به ابن التين
فانه قال البيداء هى ذو الحليفة بالقرب من المدينة من طريق مكة وذات الجيش وراء ذى
الحليفة وقال ابو عبيد البكرى فى معجمه ادنى الى مكة من ذى الحليفة ثم ساق حديث
عائشة هذا ثم قال وذات الجيش من المدينة على بريد قال وبينها وبين العقيق سبعة
اميال والعقيق من طريق مكة لا من طريق خيبر فاستقام ما قاله ابن التين وقد قال
قوم بتعدد ضياع العقد مرتين ومنهم محمد بن حبيب الاخبارى فقال سقط عقد عائشة
فى غزوة ذات الرقاع وفى غزوة بنى المصطلق وقد اختلف اهل المغازى فى اى هاتين
الغزوتين كانت اولا وقال الواقدى كانت قصة التيمم فى غزاة الفتح ثم تردد فى ذلك
وروى ابن ابى شيبة من حديث ابى هريرة قال لما نزلت آية التيمم لم ادر كيف
اصنع فهذا يدل على تاخرها عن غزوة بنى المصطلق لان اسلام ابى هريرة كان فى السنة
السابعة وهى بعدها بلا خلاف وكان البخارى يرى ان غزوة ذات الرقاع كانت بعد
قدوم ابى موسى وقدومه كان وقت اسلام ابى هريرة ومما يدل على تاخر القصة
ايضا عن قصة الافك ما رواه الطبرانى من حديث يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير
عن ابيه عن عائشة قالت لما كان من امر عقدى وقال اهل الافك ما قالوا خرجت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة اخرى فسقط ايضا عقدى حتى حبس
الناس على التماسه فقال لى ابو بكر يا بنية فى كل سفرة تكونين عناء وبلاء على الناس
فانزل الله تعالى الرخصة فى التيمم فقال ابو بكر انك مباركة وفى اسناده محمد بن
حميد الرازى وفيه مقال وفى سياقه من الفوائد بيان عتاب ابى بكر الذى ابهم
فى حديث الصحيح والتصريح بان ضياع العقد كان مرتين فى غزوتين انتهى وفى هذه
الغزوة قال ابن ابى لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسمعه زيد
بن ارقم ذو الاذن الواعية فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فارسل
الى ابن ابى واصحابه فحلفوا ما قالوا فانزل الله تعالى اذا جاءك المنافقون فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد صدقك يا زيد رواه البخارى وكانت
غيبته فى هذه الغزوة صلى الله عليه وسلم ثمانية وعشرين يوما غزوة الخندق
وهى الاحزاب جمع حزب اى طائفة فاما تسميتها بالخندق فلاجل الخندق الذى حفر حول المدينة
بامره صلى الله عليه وسلم ولم يكن اتخاذ الخندق من شان العرب ولكنه من مكائد
الفرس وكان الذى اشار بذلك سلمان فقال يا رسول الله كنا بفارس اذا حوصرنا
خندقنا علينا فامر النبى صلى الله عليه وسلم بحفره وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين
واما تسميتها بالاحزاب فلاجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين وهم قريش

وغطفان واليهود ومن معهم وقد انزل الله تعالى في القصة صدرا من سورة الاحزاب
واختلف في تاريخها فقال موسى بن عقبة كانت في شوال سنة اربع وقال ابن اسحق
في شوال سنة خمس وبذلك جزم غيره من اهل المغازي ومال البخاري الى قول موسى
بن عقبة وقواه بقول ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضه يوم احد
وهو ابن اربع عشرة فلم يجزه وعرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة فاجازه
فيكون بينهما سنة واحدة واحد كانت سنة ثلاث فيكون الخندق سنة اربع ولا
حجة فيه اذا ثبت لنا انها كانت سنة خمس لاحتمال ان يكون ابن عمر في احد كان اول
ما طعن في الرابعة عشر وكان في الاحزاب ستكمل الخمس عشرة وبهذا اجاب البيهقي وقال
الشيخ ولي الدين العراقي والمشهور انها في السنة الرابعة وكان من حديث هذه الغزوة
ان نفرا من يهود خرجوا حتى قدموا على قريش مكة وقالوا انا سنكون معكم عليه
حتى نستأصله فاجتمعوا الذلك واستعدوا ثم خرج اولئك اليهود حتى جاؤا
غطفان بن قيس غيلان فدعوهم الى حربه صلى الله عليه وسلم واخبروهم انهم
سيكونون معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فخرجت
قريش وقائدهم ابو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن
في فزارة والحرث بن عوف المذي في مرة وكانت عدتهم فيما ذكره ابن اسحق عشرة آلاف
والمسلمون ثلاثة آلاف وقيل غير ذلك وذكر ابن سعد انه كان مع المسلمين ستة وثلثون
فرسا ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحزاب وبما اجمعوا عليه من
الامر ضرب على المسلمين الخندق فعمل فيه عليه الصلوة والسلام ترغيبا الاجر وعمل
معه المسلمون فدأب ودأبوا وابطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى
المسلمين في عملهم ذلك ناس من المنافقين وجعلوا يورّون بالضعف عن العمل
وفي البخاري عن سهل بن سعد قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على اكتادنا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم لا عيش الا عيش لا عيش الاخرة فاغفر للمهاجرين والانصار والاكتاد
بالمثناة الفوقية جمع كتد بفتح اوله وكسر المثناة وهو ما بين الكاهل الى الظهر وفي
بعض نسخ البخاري اكبادنا بموحدة وهو موجه على ان يكون المراد به مما يلي
الكبد من الجنب وفي البخاري ايضا عن انس فاذا المهاجرون والانصار يحفرون
في غداة باردة فلم تكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما راى ما بهم من الجوع والنصب

فقال اللهم لا عيش الا عيش الاخرة ۔ فاغفر للانصار والمهاجرة ۔ فقالوا
مجيبين له نحن الذين بايعوا محمدا ۔ على الجهاد ما بقينا ابدا ۔ قال

ابن بطال

بن بطال وقوله اللهم لا عيش الا عيش الاخرة هو من قول ابن رواحة تمثل به عليه
الصلوة والسلام وعند الحرث بن ابي اسامة من مرسل طاوس زيادة في اخر الرجز

والعن عضلا والقارة ۔ هم كلفونا نقل الحجارة ۔

وفي البخاري من حديث البرا قال لما كان يوم الاحزاب وخندق رسول الله
صلى الله عليه وسلم رايته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة
بطنه وكان كثير الشعر فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل التراب ويقول

لاهم لولا انت ما اهتدينا ۔ ولا تصدقنا ولا صلينا ۔
فانزلن سكينة علينا ۔ وثبت الاقدام ان لاقينا ۔
ان الالى رغبوا علينا ۔ وان ارادوا فتنة ابينا ۔

قال ويمد بها صوته وفي رواية له ايضا ان الالى قد بغوا علينا اذا ارادوا فتنة ابينا وفي حديث
ابي سليمن التيمي عن ابي عثمان النهدي انه صلى الله عليه وسلم حين ضرب في الخندق قال

بسم الاله وبه بدينا ۔ ولو عبدنا غيره شقينا ۔ فحبذا ربا وحبذا دينا ۔

قال في النهاية يقال بديت بالشيء بكسر الدال اي بدات به فلما خفف الهمز كسر الدال
فانقلبت الهمزة ياء وليس هو من بنات اليا انتهى وقد وقع في حفر الخندق آيات من
اعلام نبوته عليه الصلوة والسلام منها ما في الصحيح عن جابر قال انا يوم الخندق
نحفر فعرضت كدية شديدة وهي بضم الكاف وتقديم الدال المهملة على التحتانية
وهي القطعة الصلبة فجاؤا للنبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت
في الخندق فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلثة ايام لا نذوق ذواقا فاخذ
صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فعاد كثيبا اهيل واهيم كذا بالشك من الراوي
وفي رواية الاسمعيلي باللام من غير شك والمعنى انه صار رملا يسيل ولا يتماسك
واهيم بمعنى اهيل وقد قيل في قوله تعالى فشاربون شرب الهيم المراد الرمال التي
لا يرويها الماء وقد وقع عند احمد والنسائي في هذه القصة زيادة باسناد
حسن من حديث البراء قال لما كان حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر
الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تاخذ منها المعاول فاشتكينا ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء واخذ المعول فقال بسم الله ثم ضرب ضربة
فكسر ثلثها وقال الله اكبر اعطيت مفاتيح الشام والله اني لابصر قصورها الحمر
الساعة ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح فارس واني
والله لابصر قصر المدائن الابيض الآن ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله فقطع بقية
الحجر فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح اليمن والله اني لابصر ابواب صنعا من مكاني الساعة

ومن اعلام نبوته ما ثبت فى الصحيح من حديث جابر من تكثير الطعام القليل يوم حفر الخندق كما سيأتى ان شاء الله تعالى مستوفا فى مقصد المعجزات مع غيره وقد وقع عند موسى بن عقبة انهم اقاموا فى عمل الخندق قريبا من عشرين ليلة وعند الواقدى اربعا وعشرين وفى الروضة للنووى خمسة عشر يوما وفى الهدى النبوى لابن القيم اقاموا شهرا ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من الخندق اقبلت قريش حتى نزلت بمجمع السيول فى عشرة الآف من احابيشهم ومن تبعهم من بنى كنانة وتهامة ونزل عُيَينة بن حصن فى غطفان ومن تبعهم من اهل نجد الى جانب اُحُد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع وكانوا ثلاثة الآف رجل فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وكان لوآء المهاجرين بيد زيد بن حارثة ولوآء الانصار بيد سعد بن عبادة وكان صلى الله عليه وسلم يبعث الحرث الى المدينة خوفا على الذرارى من بنى قريظة قال ابن اسحق وخرج عدو الله حُيَى بن اخطب حتى اتى كعب بن اسد القرظى صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم وكان وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده فاغلق كعب دونه باب حصنه وابى ان يفتح له الباب وقال ويحك يا حُيَى انك امرؤ مشؤم وانى قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بينى وبينه وانى لم ارمنه الا وفآء وصدقا فقال ويلك افتح ولم يزل به حتى فتح له فقال ويلك يا كعب جئتك بعز الدهر جئتك بقريش حتى انزلتهم بمجمع الاسيال ومن دونه غطفان وقد عاهدونى على ان لا يبرحوا حتى نستاصل محمدا ومن معه ولم يزل به حتى نقض عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله بن الزبير قال كنت يوم الاحزاب انا وعمرو بن ابى سلمة مع النسآء فى اطم حسان فنظرت فاذا الزبير على فرس يختلف الى بنى قريظة مرتين او ثلاثا فلما رجعت قلت يا ابت رايتك تختلف قال رايتنى يا بنى قلت نعم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يات بنى قريظة فياتينى بخبرهم فانطلقت فلما رجعت جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ابويه فقال فدا لك ابى وامى اخرجه الشيخان والترمذى وقال حديث حسن وفى رواية اصحاب المغازى فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ومعهما ابن رواحة وخوات بن جبير ليعرفوا الخبر فوجدوهم على اخبث ما بلغهم عنهم قالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرؤا من عقده وعهده ثم اقبل السعدان ومن معهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا عضل والقارة اى كغدرهما باصحاب الرجيع فعظم عند ذلك البلآء واشتد الخوف واتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل

وفى الامتاع وفرغ حفر الخندق فى ستة ايام

وفى الامتاع بعد نقله انهم كانوا ثلاثة الآف وقيل سبعمائة فقط وهو [illegible]

وفى الامتاع واوهم ان كان [illegible]

منهم

منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين وانزل الله تعالى واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا الايات وقال رجال ممن معه يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا وقال اوس بن قيظى يا رسول الله ان بيوتنا عورة من العدو فاذن لنا فنرجع الى ديارنا فانها خارج المدينة قال عابد واقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومى على فرس ليوثبه الخندق فوقع فى الخندق فقتله الله وكبر ذلك على المشركين فارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نعطيكم الدية على ان تدفعوه الينا فندفنه فرد اليهم النبى صلى الله عليه وسلم انه خبيث خبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته ولا نمنعكم ان تدفنوه ولا ارب لنا فى ديته وقال ابن اسحق واقام عليه الصلوة والسلام والمسلمون وعدوهم يحاصرهم ولم يكن بينهم قتال الا مرامات بالنبل لكن كان عمرو بن عبد ود العامرى اقتحم هو ونفر معه خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق حتى صاروا بالسبخة فبارزه على فقتله وبرز نوفل بن عبد الله بن المغيرة فقتله الزبير وقيل قتله على ورجعت بقية الخيول مهزومة ورُمى سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الاكحل وهو بفتح الهمزة والمهملة بينهما كاف ساكنة عرق فى وسط الذراع قال الخليل هو عرق الحياة يقال ان فى كل عضو منه شعبة فهو فى اليد الاكحل وفى الظهر الابهر وفى الفخذ النسا اذا قطع لم يرقا الدم وكان الذى رمى سعدا هو ابن العرقة احد بنى عامر بن لوى قال خذها منى وانا ابن العرقة فقال له سعد عرق الله وجهك فى النار ثم قال سعد اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيئا فابقنى لها فانه لا قوم احب الى ان اجاهد من قوم اذوا رسولك وكذبوه وروى الحاكم عن حذيفة قال لقد رايتنا ليلة الاحزاب وابو سفيان ومن معه من فوقنا وقريظة اسفل منا نخافهم على ذرارينا وما اتت علينا ليلة اشد ظلمة ولا ريحا منها فجعل المنافقون يستاذنون ويقولون ان بيوتنا عورة فمر بى النبى صلى الله عليه وسلم وانا جاث على ركبتى ولم يبق معه الا ثلثمائة فقال اذهب فاتنى بخبر القوم قال ودعا لى فاذهب الله عنى القر والفزع فدخلت عسكرهم فاذا الريح فيه لا تجاوز شبرا فلما رجعت رايت فوارس فى طريقى فقالوا اخبر صاحبك ان الله كفاه القوم وفى رواية ان حذيفة لما ارسله عليه السلام لياتيه بالخبر سمع ابا سفيان يقول يا معشر قريش انكم والله انكم ما اصبحتم بدار مقام ولقد هلك الخف والكراع واخلفنا وبنو قريظة ولقينا من هذا الريح ما ترون فارتحلوا فانى مرتحل ووثب على جمله فما حل عقاله بيده الا وهو قائم ووقع فى رواية البخارى انه عليه السلام قال يوم الاحزاب من ياتينا بخبر القوم قال الزبير انا ثم قال من ياتينا

قيظى

بخبر القوم فقال الزبير انا قالها ثلاثا وقد استشكل ذكر الزبير في هذه القصة فقال ابن
الملقن وقع هنا ان الزبير هو الذي ذهب والمشهور انه حذيفة بن اليماني قال الحافظ
بن حجر وهذا الحصر مردود فان القصة التي ذهب لكشفها غير القصة التي ذهب حذيفة
لكشفها فقصة الزبير كانت لكشف خبر بني قريظة هل نقضوا العهد بينهم وبين
المسلمين ووافقوا قريشا على محاربة المسلمين وقصة حذيفة كانت لما اشتد
الحصار على المسلمين بالخندق وتمالأت عليهم الطوائف ثم وقع بين الاحزاب
الاختلاف وحذرت كل طائفة من الاخرى وارسل الله عليهم الريح واشتد البرد
تلك الليلة فانتدب عليه السلام من ياتيه بخبر قريش فانتدب له حذيفة بعد
تكريره ذلك طلب وقصته في ذلك مشهورة لما دخل بين قريش في الليل وعرف
قصتهم وفي البخاري من حديث عبد الله بن ابي اوفى قال دعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الاحزاب (رواية) اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم
اهزمهم وزلزلهم وروى احمد عن ابي بن سعيد قال قلنا يوم الخندق يا رسول
هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم اللهم استر عوراتنا وآمن
روعاتنا قال فضرب الله وجوه اعدائنا بالريح وفي ينبوع الحيوة لابن ظفر قيل انه
صلى الله عليه وسلم دعا فقال يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همي
وغمي وكربي فانك ترى ما نزل بي وباصحابي فاتاه جبريل وبشره بان الله يرسل
عليهم ريحا وجنودا فاعلم اصحابه ورفع يديه قائلا شكرا شكرا وهبت ريح
الصبا ليلا فقلعت الاوتاد والقت عليهم الابنية وكفأت القدور وسفت عليهم
التراب ورمتهم بالحصباء وسمعوا في ارجاء معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح
فارتحلوا هرابا في ليلتهم وتركوا ما استثقلوه من متاعهم قال فذلك قوله تعالى
فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وفي البخاري عن علي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال يوم الخندق ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا
عن الصلوة الوسطى حتى غابت الشمس ومقتضى هذا انه استمر اشتغاله بقتال
المشركين حتى غابت الشمس ويعارضه ما في صحيح مسلم عن ابن مسعود انه قال حبس
المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلوة العصر حتى احمرت الشمس او
اصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلوة الوسطى
الحديث ومقتضى هذا انه لم يخرج الوقت بالكلية قال الشيخ تقي الدين
بن دقيق العيد الحبس انتهى الى ذلك الوقت اي الحمرة او الصفرة ولم تقع الصلوة
الا بعد المغرب انتهى وفي البخاري عن عمر بن الخطاب انه جاء يوم الخندق بعدما

كان

كادت

كانت الشمس تغرب فقال صلى الله عليه وسلم ما صليتها فنزلنا مع النبي صلى الله
عليه وسلم بطحان فتوضا للصلوة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس
ثم صلى بعدها المغرب وقد يكون ذلك للاشتغال باسباب الصلوة او غيرها ومقتضى
هذه الرواية المشهورة انه لم يفت غير العصر وفي الموطأ الظهر والعصر وفي الترمذي
عن ابن مسعود ان المشركين شغلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اربع صلوات
يوم الخندق وقال ليس باسناده باس الا ان ابا عبيدة لم يسمع من عبد الله فمال ابن
العربي الى الترجيح وقال الصحيح ان الذي اشتغل عنها صلى الله عليه وسلم واحدة وهي
العصر وقال النووي طريق الجمع بين هذه الروايات ان وقعة الخندق بقيت اياما فكان
هذا في بعض الايام وهذا في بعضها قال واما تاخيره عليه السلام صلوة العصر
حتى غربت الشمس فكان قبل نزول صلوة الخوف قال العلماء يحتمل ان يكون اخرها
نسيانا لا عمدا وكان السبب في النسيان الاشتغال بامر العدو ويحتمل انه اخرها عمدا
للاشتغال بالعدو وكان هذا عذرا في تاخير الصلوة قبل نزول صلوة الخوف واما
اليوم فلا يجوز تاخير الصلوة عن وقتها بسبب العدو والقتال بل نصلي صلوة الخوف
على حسب الحال وقد اختلف في المراد بالصلاة الوسطى وجمع الحافظ الدمياطي
مؤلفا مفردا سماه كشف المغطى عن الصلاة الوسطى فبلغ تسعة عشر قولا وهي الصبح
او الظهر او العصر او المغرب او جميع الصلوات وهو يتناول الفرائض والنوافل واختاره
ابن عبد البر او الجمعة وصححه القاضي حسين في صلاة الخوف من تعليقه او الظهر
في الايام والجمعة يوم الجمعة او العشاء لانها بين صلاتين لا يقصران او الصبح والعشاء
او الصبح والعصر لقوة الادلة فظاهر القرآن الصبح ونص السنة العصر او صلاة
الجماعة او الوتر او صلاة الخوف وصلاة عيد الاضحى او الفطر او صلوة الضحى او واحدة
من الخمس غير معينة او الصبح او العصر على الترديد وهو غير القول السابق او التوقف
انتهى وانصرف صلى الله عليه وسلم من غزوة الخندق يوم الاربعا لسبع ليال بقين
من ذي القعدة وكان قد اقام بالخندق خمسة عشر يوما وقيل اربعة وعشرين يوما
وقال عليه السلام لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا وفي ذلك علم من اعلام النبوة
فانه عليه الصلوة والسلام اعتمر في السنة فصدته قريش عن البيت ووقعت الهدنة
بينهم الى ان نقضوها فكان ذلك سبب فتح مكة فوقع الامر كما قال عليه السلام وسياتي
ذلك ان شاء الله تعالى وقد اخرج البزار من حديث جابر باسناد حسن شاهدا لهذا
ولفظه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب وقد جمعوا له جموعا كثيرة
لا تغزونكم قريش بعدها ابدا ولكن انتم تغزونهم ولما دخل صلى الله عليه وسلم المدينة

غزوة بني قريظة

يوم الاربعا هو واصحابه ووضعوا السلاح جاءه جبريل عليه السلام معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة ديباج وفي رواية البخاري من حديث عائشة انه لما رجع صلى الله عليه وسلم ووضع السلاح واغتسل اتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم واشار الى بني قريظة وعند ابن اسحق ان الله يأمرك يا محمد بالمسير الى بني قريظة فاني عامد اليهم فمزلزل بهم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا فاذن في الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا ببني قريظة. وعند ابن عائذ قم فشد عليك سلاحك فوالله لادقنهم دق البيض على الصفا وبعث يومئذ مناديا ينادي يا خيل الله اركبي وعند الحاكم والبيهقي وبعث عليا على المقدمة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثره وعند ابن سعد ثم سار اليهم في المسلمين وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرسا قال وذلك يوم الاربعا لسبع بقين من ذي القعدة واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم فيما قاله ابن هشام ونزل عليه السلام على بئر من آبار بني قريظة وتلاحق بهم الناس فاتى رجال من بعد عشاء الاخيرة ولم يصلوا العصر لقوله عليه السلام لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة فصلوا العصر بها بعد عشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عنفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البخاري عن ابن عمر فادرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها وقال بعضهم بل نصلي لم يرد منا ذلك فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحدا منهم كذا وقع في جميع النسخ من البخاري انها العصر واتفق عليه جميع اهل المغازي ووقع في مسلم انها الظهر مع اتفاق البخاري ومسلم على روايته عن شيخ واحد باسناد واحد ووافق مسلما ابو يعلى واخرون وجمع بين الروايتين باحتمال ان يكون بعضهم قبل الامر كان صلى الظهر وبعضهم لم يصلها فقيل لمن لم يصلها لا يصلين احد الظهر ولمن صلاها لا يصلين احد العصر وجمع بعضهم باحتمال ان يكون طائفة منهم راحت بعد طائفة فقيل للطائفة الاولى الظهر وللطائفة التي بعدها العصر والله اعلم قال ابن اسحق وحاصرهم عليه السلام خمسا وعشرين ليلة حتى اجهدهم الحصار وعند ابن سعد خمسة عشر وعند ابي عقبة بضع عشرة ليلة وقذف الله في قلوبهم الرعب فعرض عليهم رأيسهم كعب بن اسيد ان يؤمنوا فقال لهم يا معشر يهود قد نزل بكم من الامر ما ترون واني اعرض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا ايها شئتم قالوا وما هي قال نبايع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين انه لنبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دمائكم واموالكم وابنائكم ونسائكم فابوا قال فاذا ابيتم على هذا فهلم نقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد واصحابه رجالا مصلتين بالسيوف

لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا ما نخشى عليه فقالوا اي عيش لنا بعد ابنائنا ونسائنا فقال لان ابيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت وعسى ان يكون محمد واصحابه قد امنونا فيها فانزلوا لعلنا ان نصيب من محمد واصحابه غرة قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا الا من علمت فاصابه ما لم يخف عليك من المسخ وارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث الينا ابا لبابة وهو رفاعة بن عبد المنذر نستشيره في امرنا فارسله اليهم فلما راوه قام اليه الرجال وجهد اليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم وقالوا يا ابا لبابة اترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم واشار بيده الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه ابو لبابة فلم يات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد الى عمود من عمده وقال لا ابرح من مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله ان لا يطأ بني قريظة ابدا ولا ارى في بلد خنت الله ورسوله فيه ابدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطأه قال اما لو جاءني لاستغفرت الله له واما اذا فعل ما فعل فما انا بالذي اطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه قال واقام ابو لبابة مرتبطا بالجذع ست ليال تأتيه امرأته في وقت كل صلوة فتحله للصلاة ثم يعود فترتبطه بالجذع وقال ابو عمر روى ابن وهب عن مالك عن عبد الله بن ابي بكر ان ابا لبابة ارتبط بسلسلة ثقيلة بضع عشرة ليلة حتى ذهب سمعه فما كان يسمع وكاد يذهب بصره وكانت ابنته تحله اذا حضرت الصلاة او اراد ان يذهب لحاجة فاذا فرغ اعادته وعن عبد الله بن قسيط ان توبة ابي لبابة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت ام سلمة قالت ام سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك فقالت فقلت مم تضحك اضحك الله سنك قال تيب على ابي لبابة قالت قلت افلا ابشره يا رسول الله قال بلى ان شئت قال فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان يضرب عليهن الحجاب فقالت يا ابا لبابة ابشر فقد تاب الله عليك قالت فثار الناس ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه خارجا الى صلاة الصبح اطلقه وروى البيهقي في دلائله بسنده عن مجاهد في قوله تعالى اعترفوا بذنوبهم قال ابو لبابة اذ قال لقريظة ما قال واشار الى حلقه بان محمدا يذبحكم ان نزلتم على حكمه قال البيهقي فترجم محمد بن اسحق بن يسار ان ارتباطه كان حينئذ وقد روينا عن ابن عباس ما دل على ان ارتباطه بسارية المسجد كان بتخلفه عن غزوة تبوك كما قاله ابن المسيب

قال وفيه نزلت هذه الاية ولما اشتد الحصار ببني قريظة اذعنوا ان ينزلوا على
حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم فيهم سعد بن معاذ وكان قد جعله
في خيمة في المسجد الشريف لامرأة من اسلم يقال لها رفيدة وكانت تداوي الجرحى فلما
حكمه اتاه قومه فحملوه على حمار وقد وطأوا له وسادة من ادم وكان رجلا جسيما
ثم اقبله معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى سعد الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمين قال عليه السلام قوموا الى سيدكم فاما المهاجرون
من قريش فيقولون انما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار واما الانصار
فيقولون عم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين فقالوا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد ولاك امر مواليك لتحكم فيهم فقال سعد فاني احكم فيهم
ان يقتل الرجال وتنهب الاموال وتسبى الذراري والنساء فقال عليه الصلوة و
السلام لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة والرقيع السماء سميت بذلك
لانها رقعت بالنجوم ووقع في البخاري قال قضيت فيهم بحكم الله وربما قال بحكم الملك
بكسر اللام وفي رواية محمد بن صالح لقد حكمت اليوم فيهم بحكم الله الذي حكم به من
فوق سبع سموات وفي حديث جابر عند ابن عائذ فقال احكم فيهم يا سعد فقال الله
ورسوله احق بالحكم قال قد امرك الله ان تحكم فيهم وفي هذه القصة جواز الاجتهاد
وهي مسئلة اختلف فيها اهل اصول الفقه والمختار الجواز سواء كان في حضرته صلى
الله عليه وسلم ام لا وانما استبعد المانع وقوع الاعتماد على الظن مع امكان القطع
ولا يضر ذلك لانه بالتقرير يصير قطعيا وقد ثبت وقوع ذلك بحضرته عليه السلام
كما في هذه القصة وغيرها انتهى وانصرف صلى الله عليه وسلم يوم الخميس لسبع ليال
كما قاله الدمياطي او لخمس كما قاله مغلطاي خلون من ذي الحجة وامر عليه السلام
ببني قريظة فادخلوا المدينة وحفر لهم اخدودا في السوق وجلس صلى الله عليه وسلم
ومعه اصحابه واخرجوا اليه فضربت اعناقهم[3] وكانوا ما بين ستمائة الى سبعمائة.
وقال السهيلي الاكثر يقول انهم ما بين الثمانمائة الى التسعمائة وفي حديث جابر عند الترمذي
والنسائي وابن حبان باسناد صحيح انهم كانوا اربعمائة مقاتل فيحتمل في طريق الجمع
ان يقال ان الباقين كانوا اتباعا واصطفى صلى الله عليه وسلم لنفسه الكريمة
ريحانة فتزوجها وقيل كان يطأها بملك اليمين وامر بالغنائم فجمعت واخرج الخمس
من المتاع والسبي ثم امر بالباقي فبيع فيمن يريد وقسمه بين المسلمين فكانت على ثلاثة
آلاف واثنين وسبعين سهما للفرس سهمان ولصاحبه سهم وصار الخمس الى محمية بن
جزء الزبيدي فكان صلى الله عليه وسلم يعتق منه ويهب منه ويخدم من اراد منه

انظر حكم الاجتهاد في زمنه صلى الله عليه وسلم

[3] وفي الامتاع وكان الذين يلون قتلهم علي والزبير رضي الله عنهما ولما جيء بعدو الله حيي بن اخطب قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الم يمكن الله منك يا عدو الله قال بلى والله ما لمت نفسي في عداوتك ولقد التمست العز في مكانه وابى الله الا ان يمكنك مني ولقد قلقلت كل مقلقل ولكنه من يخذل الله يخذل ثم اقبل على الناس فقال لا بأس بامر الله قدر وكتاب وملحمة كتبت على بني اسرائيل فامر به فضربت عنقه انتهى

وكذلك كان يصنع بما صار اليه من الرثة وهو القسط من المتاع وانفجر جرح سعد بن
معاذ فمات شهيدا وفي البخاري انه دعا اللهم انك تعلم انه ليس احد احب الي ان اجاهدهم
فيك من قوم كذبوا رسولك اللهم اني اظن انك وضعت الحرب فافجرها واجعل موتي
فيها فانفجرت من ليلته فلم يرعهم وفي المسجد خيمة من بني غفار الا الدم يسيل اليهم
فقالوا يا اهل الخيمة ما هذا الدم الذي يأتينا من قبلكم فاذا سعد يغذو جرحه دما
فمات منها وقد كان ظن سعد مصيبا ودعاؤه في هذه القصة مجابا وذلك انه
لم يقع بين المسلمين وبين قريش من بعد وقعة الخندق حرب يكون ابتداء القصد فيه
من المشركين فانه عليه الصلوة والسلام تجهز الى العمرة فصدوه عن دخول مكة
وكاد الحرب ان يقع بينهم فلم يقع كما قال تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم
ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم ثم وقعت الهدنة واعتمر عليه السلام من قابل واستمر
ذلك الى ان نقضوا العهد فتوجه اليهم غازيا ففتحت مكة فعلى هذا فالمراد بقوله اظن
انك قد وضعت الحرب اي ان يقصدونا محاربين وهو كقوله عليه السلام نغزوهم
ولا يغزونا كما تقدم وقد بين سبب انفجار جرح سعد في مرسل حميد بن هلال عند ابن
سعد ولفظه انه مرت به عنز وهو مضطجع فاصاب ظلفها موضع النحر فانفجر حتى
مات وحضر جنازته سبعون الف ملك واهتز لموته عرش الرحمن رواه الشيخان قال النووي
اختلف العلماء في تأويله فقالت طائفة هو على ظاهره واهتزاز العرش تحركه فرحا
بقدوم روح سعد وجعل الله تعالى في العرش تمييزا حصل به هذا ولا مانع منه كما
قال تعالى وان منها لما يهبط من خشية الله وهذا القول هو ظاهر الحديث وهو المختار
قال المازري قال بعضهم هو على حقيقته وان العرش تحرك لموته قال وهذا لا ينكر من جهة
العقل لان العرش جسم من الاجسام يقبل الحركة والسكون قال لكن لا تحصل فضيلة
سعد بذلك الا ان يقال ان الله تعالى جعل حركته علامة للملئكة على موته وقال
آخرون المراد بالاهتزاز الاستبشار والقبول ومنه قول العرب فلان يهتز للمكارم
لا يريدون اضطراب جسمه وحركته وانما يريدون ارتياحه اليها واقباله عليها وقال
الحربي هو عبارة عن تعظيم شان وفاته والعرب تنسب الشيء المعظم الى اعظم الاشياء فيقولون
اظلمت لموت فلان الارض وقامت له القيمة وقال جماعة المراد اهتزاز سرير الجنازة وهو
النعش وهذا القول باطل يرده صريح الروايات التي ذكرها مسلم اهتز لموته عرش الرحمن
وانما قال هؤلاء هذا التأويل لكونهم لم يبلغهم هذه الروايات التي ذكرها مسلم
والله اعلم انتهى وقيل المراد باهتزاز العرش اهتزاز حملة العرش وصحح الترمذي
من حديث انس انه قال لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون ما اخف جنازته

قف على معنى قوله واهتز لموت سعد بن معاذ عرش الرحمن

فقال صلى الله عليه وسلم ان الملئكة كانت تحمله وعن البرا قال اهدیت للنبی صلی الله
علیه وسلم حلة حرير فجعل اصحابه يمسونها ويعجبون من لينها وقال صلى الله عليه
وسلم تعجبون من لين هذه لمناديل سعد بن معاذ فی الجنة خير منها وألين هذا لفظ
رواية ابی نعيم فی مستخرجه علی مسلم والمناديل جمع منديل بكسر الميم فی المفرد وهو
معروف • قال العلماء وهذا اشارة الى عظم منزلة سعد فی الجنة وان ادنی ثيابه فيها
خير من هذه لان المنديل ادنى الثياب لانه معد للوسخ والامتهان فغيره افضل •
واخرج ابن سعد وابو نعيم من طريق محمد بن المنكدر عن محمد بن شرحبيل بن حسنة
قال قبض انسان يومئذ بيده من تراب قبره قبضة فذهب بها ثم نظر اليها بعد ذلك
فاذا هي مسك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله سبحان الله حتى
عرف ذلك فی وجهه فقال الحمد لله لو كان احد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم
ضمة ثم فرج الله عنه واخرج ابن سعد عن ابی سعيد الخدری رض كنت ممن حفر لسعد
قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرناه قال الحافظ مغلطای وغيره وفی هذه السنة
فرض الحج • وقيل سنة ست وصححه غير واحد وهو قول الجمهور • وقيل سنة سبع
وقيل سنة ثمان ورجحه جماعة من العلماء وسيأتی البحث فی ذلك ان شاء الله
تعالى فی ذكر وفد عبد القيس من المقصد الثانی وفی ذكر حجه عليه السلام من مقصد
عباداته ثم سرية محمد بن مسلمة الى القرطاء بطن من بنی ابی بكر بن كلاب وهم ينزلون
بناحية ضرية بالبكرات وبين ضرية والمدينة سبع ليال لعشر ليال خلون من المحرم
سنة ست على راس تسعة وخمسين شهرا من الهجرة بعثه فی ثلثين راكبا فلما اغار
عليهم هرب سائرهم وعند الدمياطی فقتل نفرا منهم وهرب سائرهم واستاق نعما
وشاة وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم ومعه ثمامة بن اثال الحنفی اسيرا فربط
بامره عليه الصلوة والسلام بسارية من سوار المسجد ثم اطلق بامره عليه السلام
ايضا فاغتسل واسلم وقال يا محمد والله ما كان على وجه الارض ابغض الی من وجهك
فقد اصبح وجهك احب الوجوه الی والله ما كان من دين ابغض الی من دينك فاصبح
دينك احب الاديان كلها الی والله ما كان من بلد ابغض الی من بلدك فاصبح بلدك احب
البلاد الی وان خيلك اخذتنی وانا اريد العمرة فماذا ترى فبشره النبی صلى الله عليه وسلم
وامره ان يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل صبوت قال لا ولكن اسلمت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا والله لا ياتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبی
صلى الله عليه وسلم ذكر قصته البخاری ثم غزوة بنی لحيان بكسر اللام وفتحها
لغتان فی ربيع الاول سنة ست من الهجرة وذكرها ابن اسحق فی جمادى الاولى على رأس

سرية محمد بن مسلمة

غزوة بنی لحيان

ستة اشهر من قريظة قال ابن حزم الصحيح انها فی الخامسة قالوا وجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم على عاصم بن ثابت واصحابه وجدا كثيرا شديدا فاظهر انه يريد الشام
وعسكر فی مائتی رجل ومعهم عشرون فرسا واستخلف على المدينة عبد الله بن ام مكتوم
ثم اسرع السير حتى انتهى الى بطن غران واد بين امج وعسفان وبينها وبين عسفان
خمسة اميال كان مصاب اصحابه اهل الرجيع الذين قتلوا ببير معونة فترحم عليهم و
دعا لهم فسمعت به بنو لحيان فهربوا فی رؤس الجبال فلم يقدر منهم على احد فاقام يوما
او يومين يبعث السرايا فی كل ناحية ثم خرج حتى اتى عسفان فبعث ابا بكر فی عشرة فوارس
لتسمع بهم قريش فيذعرهم فاتوا كراع ثم رجعوا ولم يلقوا احدا وانصرف صلى الله عليه
وسلم الى المدينة ولم يلق كيدا وهو يقول آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون
وغاب عن المدينة اربع عشرة ليلة غزوة الغابة وتعرف بذی قرد بفتح القاف والراء
وبالدال المهملة وهو ماء على بريد من المدينة فی ربيع الاول سنة ست قبل الحديبية
وعند البخاری انها كانت قبل خيبر بثلاثة ايام وفی مسلم قال مغلطای وفی ذلك نظر
لاجماع اهل السير على خلافهما انتهى قال القرطبی شارح مسلم لا يختلف اهل السير ان
غزوة ذی قرد كانت قبل الحديبية وقال الحافظ ابن حجر ما فی الصحيح من التاريخ لغزوة
ذی قرد اصح مما ذكره اهل السير انتهى وسببها انه كان لرسول الله صلى الله عليه
وسلم عشرون لقحة وهی ذوات اللبن القريبة العهد بالولادة ترعى الغابة وكان
ابو ذر فيها فاغار عليهم عيينة بن حصن الفزاری ليلة الاربعاء فی اربعين فارسا
فاستاقوها وقتلوا ابن ابی ذر وقال ابن اسحق وكان فيهم رجل من غفار وامرأة فقتلوا
الرجل وسبوا المرأة فركبت ناقة للنبی صلى الله عليه وسلم ليلا حين غفلتهم ونذرت
لئن نجت لتنحرنها فلما قدمت على النبی صلى الله عليه وسلم اخبرته بذلك فقال لا نذر
فی معصية ولا لاحد فيما لا يملك ونودی يا خيل الله اركبی وكان اول ما نودی بها وركب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فی خمسمائة وقيل سبعمائة واستخلف على المدينة
ابن ام مكتوم وخلف سعد بن عبادة فی ثلاثمائة يحرسون المدينة وكان قد عقد للمقداد
بن عمرو لواء فی رمحه وقال له امض حتى تلحقك الخيول وانا على اثرك فادرك اخريات
العدو وقتل ابو قتادة مسعدة فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه
وسلاحه وقتل عكاشة بن محصن ابان بن عمرو وقتل من المسلمين محرز بن فضلة
قتله مسعدة وادرك سلمة بن الاكوع القوم وهو على رجليه فجعل يرميهم بالنبل
ويقول خذها وانا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع يعنی يوم هلاك اللئام من قولهم
لئيم راضع ای رضع اللؤم فی بطن امه وقيل معناه اليوم يعرف من ارضعته الحرب من صغره

غزوة الغابة

وتدذب بهما ويعرف غيره ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس والخيول عشاء
قال سلمة فقلت يارسول الله ان القوم عطاش فلو بعثتني في مائة رجل استنقذت
ما في ايديهم من السرح واخذت باعناق القوم فقال صلى الله عليه وسلم ملكت فاسجح
وهي بهمزة قطع ثم سين مهملة ثم جيم مكسورة ثم حاء مهملة اى فارفق واحسن
والسجاحة السهولة اى لا تاخذ بالشدة بل ارفق فقد حصلت النكاية في العدو
ولله الحمد ثم قال انهم الآن ليقرون في غطفان وذهب الصريخ الى بني عمرو بن عوف
فجاءت الامداد فلم تزل الخيل تاتي والرجال على اقدامهم وعلى الابل حتى انتهوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد فاستنقذوا عشر لقاح وافلت القوم بما بقي وهي عشر
وصلى رسول الله بذي قرد صلوة الخوف واقام يوما وليلة ورجع وقد غاب خمس
ليال وقسم في كل مائة من اصحابه جزورا ينحرونها سرية عكاشة بن محصن الاسدي
الى غمر بن مرزوق بالغين المعجمة المكسورة وهي ماء لبني اسد على ليلتين من فيد في شهر
ربيع الاول سنة ست من الهجرة في اربعين رجلا فخرج سريعا فنذر به القوم بكسر الذال
المعجمة كفرح فهربوا فنزلوا علياء بلادهم فاستاقوا مائتي بعير وقدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يلقوا كيدا ثم سرية محمد بن مسلمة الى ذي القصة بالقاف
والصاد المهملة المشددة المفتوحتين موضع بينه وبين المدينة اربعة وعشرون
ميلا في شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة ومعه عشرة فخرج سريعا الى بني ثعلبة
فورد عليهم ليلا فاحدقوا به القوم وهم مائة رجل فتراموا ساعة من الليل ثم حملت
الاعراب عليهم بالرماح فقتلوهم الا محمد بن مسلمة فوقع جريحا وجردوهم من ثيابهم
ومر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة فحمله حتى ورد به المدينة فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابا عبيدة بن الجراح في ربيع الآخر في اربعين رجلا الى مصارعهم
فاغاروا عليهم فاعجزوهم هربا في الجبال واصاب رجلا واحدا فاسلم وتركه واخذ
نعما من نعمهم فاستاقه ورثة من متاعهم وقدم به المدينة فخمسه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقسم ما بقي عليهم قال في القاموس الرث السقط من متاع البيت كالرثة
بالكسر ثم سرية زيد بن حارثة الى بني سليم بالجموم ويقال الجموم ناحية ببطن نخل
من المدينة على اربعة اميال في شهر ربيع الآخر سنة ست فاصابوا امرأة من مزينة
يقال لها حليمة فدلتهم على محلة من محال بني سليم فاصابوا نعما وشاء واسرى فكان
فيهم زوج حليمة المزنية فلما قفل زيد بما اصاب وهب رسول الله صلى الله عليه
وسلم للمزنية نفسها وزوجها ثم سرية زيد بن حارثة ايضا الى العيص موضع على
اربع ليال من المدينة في جمادى الاولى سنة ست ومعه سبعون راكبا لما بلغه

قف على معنى قوله صلى الله عليه وسلم ملكت فاسجح

سرية عكاشة بن محصن الاسدي

سرية محمد بن مسلمة

سرية زيد بن حارثة

سرية زيد بن حارثة ايضا

عليه الصلاة والسلام ان عير القريش قد اقبلت من الشام يتعرض لها فاخذوها وما فيها
واخذ يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن امية واسر منهم ناسا منهم ابو العاص بن
الربيع وقدم بهم المدينة فاجارته زوجته زينب ابنة النبي صلى الله عليه وسلم
ونادت في الناس حين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر اني اجرت ابا العاص
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما علمت بشيء من هذا وقد اجرنا من اجرت
ورد عليه ما اخذ منه وذكر ابن عقبة ان اسره كان على يد ابي بصير بعد الحديبية
وكانت هاجرت قبله وتركته على شركه وردها النبي صلى الله عليه وسلم بالنكاح
الاول قيل بعد سنتين وقيل بعد ست سنين وقيل قبل انقضاء العدة وفي حديث
عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ردها له بنكاح جديد سنة سبع ثم سرية زيد
بن حارثة ايضا الى الطرف وهو ماء على ستة وثلاثين ميلا من المدينة في جمادى الآخرة
سنة ست فخرج الى بني ثعلبة في خمسة وعشرين رجلا فاصاب نعما وشاء وهربت
الاعراب وصبح زيد بالنعم المدينة وهي عشرون بعيرا ولم يلق كيدا وغاب اربع ليال
ثم سرية زيد ايضا الى حسمى بكسر المهملة وهي وراء ذات القرى وكان في جمادى الآخرة
سنة ست وسببها انه اقبل دحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر وقد اجازه وكساه
فلقيه الهنيد في ناس من جذام بحسمى فقطعوا عليه الطريق فسمع بذلك نفر من
بني الضبيب فنفروا اليهم فاستنقذوا لدحية متاعه وقدم دحية على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة وخمسمائة رجل ورد
معه دحية فكان زيد يسير الليل ويكمن النهار فاقبل بهم حتى هجموا مع الصبح على
القوم فاغاروا عليهم فقتلوا فيهم فاوجعوا وقتلوا الهنيد وابنه واغاروا على
ماشيتهم ونعمهم ونسائهم واخذوا من النعم الف شاة ومائة من النساء والصبيان
ورحل زيد بن رفاعة الجذامي في نفر من قومه فدفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتابه الذي كان كتب له ولقومه ليالي قدم عليه السلام فاسلم وبعث صلى الله
عليه وسلم عليا الى زيد بن حارثة يامره ان يخلي بينهم وبين حرمهم واموالهم فرد
عليهم ثم سرية زيد بن حارثة ايضا الى وادي القرى ايضا في رجب سنة ست فقتل
من المسلمين قتلى وارتث زيد اى حمل من المعركة رثيثا اى جريحا وبه رمق وهو مبني
للمجهول قاله في القاموس ثم سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل في شعبان
سنة ست ومعه مائة رجل قالوا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن
بن عوف فاقعده بين يديه وعممه بيده وقال اغز بسم الله وفي سبيل الله فقاتل
من كفر بالله ولا تغدر ولا تقتل وليدا وبعثه الى كلب بدومة الجندل وقال

قف على ان زيد بن حارثة اسر ابن الربيع

سرية زيد بن حارثة ايضا

سرية زيد

سرية زيد بن حارثة

سرية عبد الرحمن

ان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم فسار عبد الرحمن حتى قدم دومة الجندل
فمكث ثلاثة ايام يدعوهم الى الاسلام فاسلم الاصبغ بن عمرو الكلبى وكان نصرانيا
وكان راسهم واسلم معه ناس كثير من قومه واقام من اقام على اعطاء الجزية
وتزوج عبد الرحمن تماضر بضم المثناة الفوقية وكسر الضاد المعجمة بنت الاصبغ
وقدم بها المدينة فولدت له ابا سلمة رضى الله عنه ثم سرية على بن ابى طالب
فى شعبان سنة ست من الهجرة ومعه مائة رجل الى بنى سعد بن بكر لما بلغه صلى
الله عليه وسلم ان لهم جمعا يريدون ان يمدوا يهود خيبر فاغاروا عليهم بين
فدك وخيبر فاخذوا خمسمائة بعير والفى شاة وهربت بنو سعد وقدم على
ومن معه المدينة ولم يلقوا كيدا ثم سرية زيد بن حارثة الى ام قرفة فاطمة
بنت ربيعة بن زيد الفزارية بناحية وادى القرى على سبع ليال من المدينة فى
رمضان سنة ست من الهجرة وكان سببها ان زيد بن حارثة خرج فى تجارة الى
الشام ومعه بضايع لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان بوادى القرى لقيه
ناس من فزارة من بنى بدر فضربوه وضربوا اصحابه واخذوا ما كان معهم وقدم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فبعثه عليه السلام اليهم فكمن هو واصحابه
بالنهار وساروا بالليل ثم صبحهم زيد واصحابه فكبروا واحاطوا بالحاضر واخذوا
ام قرفة وكانت ملكة رئيسة واخذوا ابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة بن
بدر وعمد قيس بن المحسر الى ام قرفة وهى عجوز كبيرة فقتلها قتلا عنيفا وربط
بين رجليها حبلا ثم ربطها بين بعيرين ثم زجرهما فذهبا فقطعاها وقدم زيد
بن حارثة من وجهه ذلك فقرع باب النبى صلى الله عليه وسلم فقام اليه عريانا
يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وساله فاخبره بما ظفره الله به ثم سرية عبد الله بن
عتيك لقتل ابى رافع عبد الله ويقال سلام بن ابى الحقيق اليهودى وهو الذى حزب
الاحزاب يوم الخندق وكانت هذه السرية فى شهر رمضان سنة ست كذا ذكره ابن
سعد ههنا وذكر فى ترجمة عبد الله بن عتيك انه بعثه فى ذى الحجة الى ابى رافع سنة خمس
بعد وقعة بنى قريظة وقيل فى جمادى الاخرة سنة ثلاث فى ذى الحجة وفى البخارى
قال الزهرى بعد قتل كعب بن الاشرف وارسل معه اربعة عبد الله بن عتيك وعبد
الله بن انيس وابا قتادة والاسود بن خزاعى ومسعود بن سنان وامرهم بقتله
فذهبوا الى خيبر فكمنوا فلما هدات الرجل جاؤا الى منزله فصعدوا درجة له وقدموا
عبد الله بن عتيك لانه كان يرطن باليهودية فاستفتح وقال جئت ابا رافع بهدية
ففتحت له امراته فلما رات السلاح ارادت ان تصيح فاشار اليها بالسيف فسكتت

سرية على بن ابى طالب

سرية زيد بن حارثة

سرية عبد الله بن عتيك

فدخلوا

فدخلوا عليه فما عرفوه الا ببياضه فعلوه باسيافهم وفى البخارى وكان ابو رافع يؤذى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكان فى حصن له فلما دنوا منه وقد
غربت الشمس وراح الناس لسرحهم قال عبد الله لاصحابه اجلسوا مكانكم فانى منطلق
ومتلطف للبواب لعلى ان ادخل فاقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كانه يقضى
حاجة وقد دخل الناس فهتف به البواب يا عبد الله ان كنت تريد تدخل فادخل
فانى اريد ان اغلق الباب فدخلت فكمنت فلما دخل الناس اغلق الباب ثم علق الاغاليق
قال ثم قمت الى الاقاليد فاخذتها ففتحت الباب وكان ابو رافع يسمر عنده وكان فى
علالى له فلما ذهب عنه اهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت بابا اغلقت على من
داخل فلما انتهيت اليه فاذا هو فى بيت مظلم وسط عياله لا ادرى اين هو من البيت قلت
ابا رافع قال من هذا فاهويت نحو الصوت فاضربه ضربة بالسيف وانا دهش فما اغنت
وصاح فخرجت من البيت فما مكث غير بعيد ثم دخلت اليه فقلت ما هذا الصوت يا
ابا رافع فقال لامك الويل ان رجلا فى البيت ضربنى قبل بالسيف قال فاضربه ضربة
اثخنته ولم اقتله ثم وضعت ظبية سيفى فى بطنه حتى اخذ فى ظهره فعرفت انى قتلته
وفى رواية له ثم جئت كانى اعينه فقلت ما لك يا ابا رافع وغيرت الصوت فقال
لامك الويل دخل على رجل فضربنى قال فعمدت له ايضا فضربته اخرى فلم تغن شيئا
فصاح وقام اهله قال ثم جئت وغيرت صوتى كهيئة المغيث واذا هو مستلق
على ظهره فوضعت السيف فى بطنه ثم اتكات عليه فسمعت صوت العظم فجعلت
افتح الابواب حتى انتهيت الى درجة له فوضعت رجلى وانا ارى انى قد انتهيت الى الارض
فوقعت فى ليلة مقمرة فانكسرت ساقى فعصبتها بعمامة فلما صاح الديك قام الناعى
على السور فانطلقت الى اصحابى فقلت النجا فقد قتل الله ابا رافع فانتهيت الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال ابسط رجلك فمسحها فكانما لم اشكها
قط هذا لفظ رواية البخارى وفى رواية محمد بن سعد ان الذى قتله عبد الله
بن انيس والصواب ان الذى دخل عليه وقتله عبد الله بن عتيك وحده كما فى
البخارى سرية عبد الله بن رواحة الى اسير بن رزام اليهودى بخيبر فى شوال
سنة ست وكان سببها انه لما قتل ابو رافع سلام بن ابى الحقيق امرت يهود عليها
اسيرا فسار فى غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبلغه ذلك فوجه عبد الله بن رواحة فى ثلاثة نفر فى شهر رمضان سرا
فسال عن خبره وغرته فاخبر بذلك فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبره فندب عليه السلام الناس فانتدب له ثلثون رجلا فبعث عليهم عبد الله

سرية عبد الله بن رواحة

سرية كرز

بن رواحه فقدموا عليه وقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا اليك
لتخرج اليه يستعملك على خيبر ويحسن اليك فطمع فى ذلك فخرج وخرج معه
ثلثون رجلا من اليهود مع كل رجل رديف من المسلمين حتى اذا كانوا بقرقرة
ضربه عبد الله بن انيس وكان فى السرية بالسيف فسقط عن بعيره ومالوا
على اصحابه فقتلوهم غير رجل ولم يصب من المسلمين احد ثم قدموا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال قد نجاكم الله من القوم الظالمين **سرية كرز**
بضم الكاف وسكون الرا بعدها زاى بن جابر الفهرى الى العرنيين بضم العين
وفتح الراء المهملتين حى من قضاعة وحى من بجيلة والمراد هنا الثانى كذا ذكره
ابن عقبة فى المغازى **وذكر** ابن اسحق ان قدومهم كان بعد غزوة ذى قردة وكانت
فى جمادى الآخرة سنة ست وذكرها البخارى بعد الحديبية وكانت فى القعدة
منها وعند الواقدى فى شوال وتبعه ابن سعد وابن حبان **وفى** البخارى فى
كتاب المغازى عن انس ان ناسا من عكل بضم العين وسكون الكاف وعرينة
قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يا نبى الله
انا كنا اهل ضرع ولم نكن اهل ريف واستوخموا المدينة فامرلهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذود وراعى وامرهم ان يخرجوا فيه فيشربوا من البانها
وابوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد اسلامهم وقتلوا راعى
النبى صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم
فبعث الطلب فى آثارهم فامر بهم فسمروا اعينهم وقطعوا ايديهم وتركوا فى
ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم **و**فى لفظ وسمروا اعينهم ثم نبذوا فى الشمس حتى
ماتوا **و**فى لفظ ولم يحسمهم اى لم يكو مواضع القطع فينحسم الدم **وقال** انس انما
سمر رسول الله صلى الله عليه وسلم اعينهم لانهم سملوا اعين الرعاة رواه مسلم
فيكون ما فعل بهم قصاصا وفى رواية انهم كانوا ثمانية وعند البخارى ايضا
فى المحاربين انهم كانوا فى الصفة قبل ان يطلبوا الخروج الى الابل وفى رواية قال
انس فلقد رايت احدهم يكدم الارض بفمه حتى مات وعند الدمياطى ان اللقاح
كانت خمسة عشر لقحة بكسر اللام وسكون القاف ويقال لها ذلك الى ثلاثة اشهر
وفى صحيح مسلم ان السرية كانت عشرين فارسا من الانصار وروى ابن مردوية
عن سلمة بن الاكوع قال كان للنبى صلى الله عليه وسلم مولى يقال له يسار فنظر اليه
يحسن الصلاة فاعتقه وبعثه فى لقاح له بالحرة فكان بها قال فاظهر قوم الاسلام
من عرينة وجاؤا وهم مرضى يوعكون قد عظمت بطونهم وعدوا على يسار فذبحوه

وجعلوا

تنبيه

سرية عمرو بن امية الضمرى

حديبية

وجعلوا الشوك فى عينيه ثم طردوا الابل فبعث النبى صلى الله عليه وسلم فى آثارهم
خيلا من المسلمين اميرهم كرز بن جابر الفهرى فلحقهم فجاء بهم اليه فقطع ايديهم
وارجلهم وسمل اعينهم قال ابن كثير غريب جدا • **وروى** ابن جرير عن محمد بن ابرهيم
عن جرير بن عبد الله البجلى قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من
عرينة الحديث • **وفيه** قال جرير فبعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفرا
من المسلمين حتى ادركناهم فقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وسمل اعينهم فجعلوا
يقولون الماء ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول النار حتى هلكوا قال وكره الله
عز وجل سمل الاعين فانزل الله هذه الآية انما جزاؤا الذين يحاربون الله ورسوله و
يسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا الى آخر الاية وهو حديث غريب
ضعيف **وفيه** ان امير السرية جرير بن عبد الله البجلى قال مغلطاى فيه نظر
لان اسلام جرير كان بعد هذه بنحو اربع سنين **وفى** مغازى ابن عقبة ان امير
هذه السرية سعيد بن زيد كذا عنده بزيادة يا • وعند غيره انه سعد بسكون
العين ابن زيد الاشهلى وهذا انصارى فيحتمل ان يكون راس الانصار وكان كرز
امير الجماعة واما **قوله** فكره الله سمل الاعين فانزل الله هذه الاية فانه منكر
فقد تقدم فى صحيح مسلم انهم سملوا اعين الرعاة فكان ما فعل بهم قصاصا
والله اعلم **تنبيه** قال فى فتح البارى وزعم ابن التين تبعا للداودى ان عرينة
هم عكل وهو غلط بل هما قبيلتان متغايرتان عكل من عدنان وعرينة من قحطان
ثم **سرية عمرو** بن امية الضمرى الى ابى سفيان بن حرب بمكة لانه ارسل للنبى صلى
الله عليه وسلم من يقتله غدرا فاقبل الرجل ومعه خنجر ليغتاله فلما رآه النبى
صلى الله عليه وسلم قال ان هذا ليريد غدرا فجذبه اسيد بن الحضير بداخلة
ازاره فاذا بالخنجر فسقط من يده فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اصدقنى ما انت
قال وانا آمن قال نعم فاخبره بخبره فخلى عنه صلى الله عليه وسلم وبعث عمرو بن
امية ومعه سلمة بن اسلم ويقال جبار بن صخر الى ابى سفيان وقال ان اصبتما منه
غرة فاقتلاه ومضى عمرو بن امية يطوف بالبيت ليلا فرآه معاوية بن ابى سفيان
فاخبر قريشا بمكانه فخافوه وطلبوه وكان فاتكا فى الجاهلية فحشد له اهل مكة
وتجمعوا فهرب عمرو وسلمة فلقى عمرو عبيد الله بن مالك التيمى فقتله وقتل اخر
ولقى رسولين لقريش بعثتهما يتجسسان الخبر فقتل احدهما واسر الآخر فقدم به
المدينة فجعل عمرو يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عليه السلام يضحك
ثم الحديبية بتخفيف اليا وتشديدها وهى بئر سمى المكان بها • وقيل شجرة

وقال المحب الطبرى قرية قريبة من مكة اكثرها فى الحرم وهى على تسعة اميال من مكة
خرج عليه السلام يوم الاثنين هلال ذى القعدة سنة ست من الهجرة للعمرة واخرج
معه زوجته ام سلمة فى الف واربعمائة وقيل الف وخمسمائة وقيل الف وثلاثمائة
والجمع بين هذا الاختلاف انهم كانوا اكثر من الف واربعمائة فمن قال الف وخمسمائة
جبر الكسر ومن قال الف واربعمائة الغاه ويؤيده رواية البرا الف واربعمائة او اكثر
واعتمد على هذا الجمع النووى واما رواية الف وثلثمائة فيمكن حملها على ما اطلع
هو عليه واطلع غيره على زيادة مائتين لم يطلع هو عليهم والزيادة من الثقة مقبولة
واما قول ابن اسحق انهم كانوا سبعمائة فلم يوافقه احد عليه لانه قاله استنباطا من
قول جابر ونحرنا البدنة عن عشرة وكانوا نحروا سبعين بدنة وهذا لا يدل على
انهم كانوا نحروا غير البدن مع ان بعضهم لم يكن احرم اصلا • وجزم موسى بن عقبة
بانهم كانوا الفا وستمائة • وعند ابن ابى شيبة من حديث سلمة بن الاكوع الف
وسبعمائة • وحكى ابن سعد الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين واستخلف على المدينة
ابن ام مكتوم ولم يخرج معهم بسلاح الا سلاح المسافر السيوف فى القرب وفى
البخارى فى المغازى عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فى بضع عشرة مائة من اصحابه فلما كان بذى الحليفة
قلد الهدى واشعر واحرم منها وفى رواية احرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة
وسار النبى حتى كان بغدير الاشطاط اتاه عينه فقال ان قريشا جمعوا لك جموعا
وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك فقال
اشيروا على ايها الناس اترون ان اميل على عيالهم وذرارى هؤلاء الذين يريدون
ان يصدونا عن البيت • وفيه قال ابو بكر يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت
لا تريد قتل احد ولا حرب احد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على
اسم الله • وزاد احمد كان ابو هريرة يقول ما رايت احدا قط كان اكثر مشاورة
لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم • وفى رواية للبخارى حتى اذا كان
ببعض الطريق قال النبى صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش
طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش فانطلق
نذيرا لقريش وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التى يهبط
عليهم منها بركت راحلته فقال الناس حل حل فالحت يعنى تمادت على عدم القيام
فقالوا خلأت القصوى خلأت القصوى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما خلأت
القصوى وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل اى حبسها الله عن دخول

مكة

مكة كما حبس الفيل عن دخولها • ومناسبة ذلك ان الصحابة لو دخلوا مكة على تلك
الصورة وصدتهم قريش لوقع بينهم القتال المفضى الى سفك الدماء ونهب الاموال
كما لو قدر دخول الفيل لكن سبق فى علم الله انه سيدخل فى الاسلام منهم خلق ويستخرج
من اصلابهم ناس يسلمون ويجاهدون انتهى ثم قال صلى الله عليه وسلم والذى
نفسى بيده لا يسئلونى خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اياها ثم زجرها
فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يعنى حفرة فيها
ماء قليل يعنى تتبرضه الناس تبرضا اى ياخذونه قليلا قليلا فلم يلبثه الناس حتى
نزحوه وشكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم
امرهم ان يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش بالرى حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ
جاء بديل بن ورقا الخزاعى فى نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اهل تهامة وقال انى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى
نزلوا اعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن
البيت • والعوذ بالذال المعجمة جمع عائذ وهى الناقة ذات اللبن • والمطافيل الامهات
اللاتى معها اطفالها يريد انهم خرجوا معهم بذوات الالبان ليردوا من الابل البانها
ولا يرجعوا حتى يمنعوه او كنى بذلك عن النساء معهن الاطفال • والمراد انهم خرجوا
بنسائهم واولادهم لارادة طول المقام ليكون ادعى الى عدم الفرار فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال احد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم
الحرب واضرت بهم فان شاؤا ماددتهم مدة ويخلوا بينى وبين الناس ان شاؤا فان
اظهر فان شاؤا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا يعنى استراحوا
وان ابوا فوالذى نفسى بيده لاقاتلنهم على امرى هذا حتى تنفرد سالفتى اى صفحة العنق
كنى بذلك عن القتل ولينفذن الله الامر فقال بديل سابلغهم ما تقول فانطلق حتى
اتى قريشا فقال انا قد جئناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم نعرضه
عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا ان تخبرنا عنه بشئ وقال ذو الراى منهم
هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبى صلى الله
عليه وسلم فقام عروة بن مسعود فقال اى قوم الستم بالوالد قالوا بلى ولست
بالولد قالوا بلى قال فهل تتهمونى قالوا لا قال الستم تعلمون انى استنفرت اهل عكاظ
فلما بلحوا على وهو بالحاء المهملة اى امتنعوا من الاجابة جئتكم باهلى وولدى ومن
اطاعنى قالوا بلى قال فان هذا قد عرض عليكم خطة رشد اى خصلة خير وصلاح
اقبلوها ودعونى آتيه فاتاه فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى

صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك اى محمد أرايت
ان استأصلت امر قومك هل سمعت باحد من العرب اجتاح اصله قبلك وان تكن الاخرى
فانى والله لأرى وجوها وانى لارى اشوابا يعنى اخلاطا من الناس خليقا ان يفروا
ويدعونك فقال له ابو بكر الصديق رضى الله عنه امصص بظر اللات انحن نفر
عنه او ندعه قال العلماء وهذا مبالغة من ابى بكر فى سب عروة فانه اقام معبود عروة

قف على معنى امصص بظر اللات

وهو صنمه مقام امه وحمله على ذلك ما اغضبه به من نسبته الى الفرار والبظر
بالموحدة المفتوحة والظاء المعجمة الساكنة قطعة تبقى بعد الختان فى فرج المرأة
واللات اسم صنم والعرب تطلق هذا اللفظ فى معرض الذم انتهى فقال اى عروة من
هذا فقالوا ابو بكر فقال اما والذى نفسى بيده لولا يد كانت لك عندى لم اجزك بها
لاجبتك قال وجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فكلما تكلم اخذ بلحيته والمغيرة بن
شعبة قائم على راس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر
فكلما اهوى عروة بيده الى لحية النبى صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف
وقال اخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلماء وقد كانت
عادة العرب ان يتناول الرجل لحية من يكلمه لا سيما عند الملاطفة وفى الغالب انما
يصنع ذلك النظير بالنظير لكن كان صلى الله عليه وسلم يغضى لعروة استمالة له وتاليفا
والمغيرة يمنعه اجلالا للنبى صلى الله عليه وسلم وتعظيما انتهى قال فرفع عروة
راسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال اى غدر الست اسعى فى غدرتك
وكان المغيرة صحب قوما فى الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبى صلى
الله عليه وسلم اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه فى شىء ثم ان عروة جعل
يرمق اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بعينه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله
عليه وسلم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم
امرا ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم
عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له قال فى فتح البارى فيه اشارة الى الرد
على ما خشيه من فرارهم فكانهم قالوا بلسان الحال من يحبه هذه المحبة ويعظمه هذا
التعظيم كيف يظن به ان نفر عنه ونسلمه لعدوه بل هم اشد اغتباطا به وبدينه
ونصره من هذه القبائل التى تراعى بعضها بمجرد الرحم والله اعلم انتهى قال فرجع
عروة الى اصحابه فقال اى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى
والنجاشى والله ان رايت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدا والله ان يتنخم
نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا

امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما
يحدون اليه النظر تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل
من بنى كنانة دعونى آته فقالوا ائته فلما اشرف على النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها
له فبعثوها له واستقبله الناس يلبون فلما راى ذلك قال سبحان الله ما ينبغى لهؤلاء
ان يصدوا عن البيت فلما رجع الى اصحابه قال رايت البدن قد قلدت واشعرت فما ارى
ان يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص بكسر الميم وسكون الكاف
وفتح الراء بعدها زاى فقال دعونى آته فلما اشرف عليهم قال النبى صلى الله عليه وسلم
هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء
سهيل بن عمرو قال معمر فاخبرنى ايوب عن عكرمة انه لما جاء سهيل قال النبى صلى الله
عليه وسلم قد سهل لكم من امركم وفى رواية ابن اسحق فدعت قريش سهيل بن عمرو
فقالت اذهب الى هذا الرجل فصالحه فقال النبى صلى الله عليه وسلم فقد ارادت قريش
الصلح حين بعثت هذا فلما انتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم جرى بينهما القول حتى وقع
بينهما الصلح على ان توضع الحرب بينهم عشر سنين وان يامن بعضهم بعضا وان يرجع
عنهم عامهم هذا وقال معمر قال الزهرى فى حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات
اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا النبى صلى الله عليه وسلم الكاتب فقال النبى صلى الله عليه
وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن الرحيم فوالله ما ادرى ما هو ولكن
اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم
فقال النبى صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم ثم قال هذا ما قاضى عليه محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفى حديث عبد الله بن مغفل عند الحاكم فكتب هذا ما صالح
محمد رسول الله اهل مكة الحديث فقال سهيل والله لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك
عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم
والله انى لرسول الله وان كذبتمونى وفى رواية له اى البخارى ولمسلم فقال النبى صلى
الله عليه وسلم لعلى امحه فقال ما انا بالذى امحاه وهى لغة فى امحوه قال العلماء
وهذا الذى فعله على من باب الادب المستحب لانه لم يفهم من النبى صلى الله عليه وسلم
تحتيم محو على نفسه ولهذا لم ينكر عليه ولو حتم محوه لنفسه لم يجز لعلى تركه انتهى ثم
قال صلى الله عليه وسلم ارنى مكانها فاراه مكانها فمحاه وكتب ابن عبد الله وفى رواية

مبحث هل كتب صلى الله عليه وسلم ام لا وما استظهر به الباقى

البخارى فى المغازى فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب
فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله وكذا اخرجه النسائى واحمد ولفظه فاخذ

الكتاب وليس يحسن ان يكتب فكتب مكان رسول الله هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله
قال في فتح الباري وقد تمسك بظاهر هذه الرواية ابو الوليد الباجي فادعى ان النبي صلى
الله عليه وسلم كتب بيده بعد ان لم يكن يحسن ان يكتب فشنع عليه علماء الاندلس في زمانه
ورموه بالزندقة وان الذي قاله يخالف القرآن حتى قال قائلهم شعرا

برئت ممن شرى دنيا باخرة	وقال ان رسول الله قد كتبا

فجمعهم الامير واستظهر الباجي عليهم بما لديه من المعرفة وقال هذا لا ينافي القران
بل يوخذ من مفهوم القران لانه قيد النفي بما قبل ورود القران قال تعالى وما كنت تتلوا
من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وبعد ان تحققت امّيّته وتقررت بذلك معجزته
وامن الارتياب في ذلك لا مانع من ان يعرف الكتابة بعد ذلك من غير تعليم فتكون
معجزة اخرى وذكر ابن دحيه ان جماعة من العلماء وافقوا الباجي على ذلك منهم شيخه
ابو ذر الهروي وابو الفتح النيسابوري وآخرون من علماء افريقيه واحتج بعضهم لذلك
بما اخرجه ابن ابي شيبة من طريق مجالد عن عون بن عبد الله ما مات رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ قال مجالد فذكرته للشعبي فقال صدق قد سمعت من
يذكر ذلك وقال القاضي عياض وردت آثار تدل على معرفته حروف الخط وحسن
تصويرها كقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر لك وقوله لمعاوية الق الدواة
وحرف القلم وفرق السين ولا تعور الميم الى غير ذلك قال وهذا وان لم يثبت انه كتب فلا
يبعد ان يرزق علم وضع الكتابة فانه اوتي علم كل شئ واجاب الجمهور بضعف
هذه الاحاديث وعن قصة الحديبية بان القصة واحدة والكاتب فيها علي بن ابي
طالب وقد صرح في حديث المسور بن مخرمة بان عليا هو الذي كتب فيحمل على ان النكتة
في قوله فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب لبيان ان قوله ارني اياها انه انما احتاج الى ان يريه
موضع الكلمة التي امتنع علي من محوها الا لكونه لا يحسن الكتابة وعلى ان قوله بعد ذلك
فكتب فيه حذف تقديره فمحاها فاعادها لعلي فكتب واطلق كتب بمعنى امر بالكتابة وهو
كثير كقوله كتب الى كسرى وقيصر وعلى تقدير حمله على ظاهره فلا يلزم من كتابة اسمه
الشريف في ذلك اليوم وهو لا يحسن الكتابة ان يصير عالما بالكتابة ويخرج عن كونه
اميا فان كثيرا ممن لا يحسن الكتابة يعرف صور بعض الكلمات ويحسن وضعها بيده
وخصوصا الاسماء ولا يخرج بذلك عن كونه اميا ككثير من الملوك ويحتمل ان يكون
جرت يده بالكتابة حينئذ وهو لا يحسنها فخرج المكتوب على وفق المراد فيكون معجزة
اخرى في ذلك الوقت خاصة ولا يخرج بذلك عن كونه اميا وبذلك اجاب ابو جعفر
السمناني احد ائمة الاصول من الاشاعرة وتبعه ابن جوزي وتعقب ذلك

السهيلي

السهيلي وغيره بان هذا وان كان ممكنا ويكون آية اخرى لكنه يناقض كونه اميا لا يكتب
وهي الآية التي قامت بها الحجة وافحم الجاحد وانحسمت الشبهة فلو جاز ان يصير يكتب
بعد ذلك لعادت الشبهة وقال المعاند كان يحسن يكتب لكنه كان يكتم ذلك
والمعجزات تستحيل ان يدفع بعضها بعضا والحق ان معنى قوله وكتب امر عليا ان
يكتب انتهى قال وفي دعوى انه كتب اسمه فقط على هذه الصورة يستلزم مناقضة
المعجزة ويثبت كونه غير امي نظر كثير والله اعلم واما قوله اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
وقوله اما الرحمن فوالله ما ادري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم الى اخره فقال العلماء
وافقهم عليه السلام في ترك كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وكتب باسمك اللهم وكذا
وافقهم في محمد بن عبد الله وترك كتابة رسول الله للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح
مع انه لا مفسدة في هذه الامور اما البسملة وباسمك اللهم فمعناهما واحد وكذلك
قوله محمد بن عبد الله هو ايضا رسوله وليس في ترك وصف الله تعالى في هذا
الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفي ذلك ولا في ترك وصفه صلى الله عليه وسلم هنا
بالرسالة ما ينفيها فلا مفسدة فيما طلبوه وانما كانت المفسدة تكون لو طلبوا
ان يكتب ما لا يحل من تعظيم الهتهم ونحو ذلك انتهى قال في رواية البخاري فكتب
هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله فقال صلى الله عليه وسلم على ان تخلوا بيننا
وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة ولكن
ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى انه لا ياتيك منا رجل وان كان على دينك
الا رددته الينا قال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما
والضغطة بالضم قال في القاموس الضيق والاكراه والشدة انتهى فان قلت
ما الحكمة في كونه عليه السلام وافق سهيلا على انه لا ياتيه منهم رجل وان كان
على دين الاسلام الا ويرده الى المشركين فالجواب ان المصلحة المترتبة على
اتمام هذا الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة التي كانت عاقبتها
فتح مكة واسلام اهلها كلهم ودخول الناس في دين الله افواجا وذلك انهم
قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين ولا تتظاهر عندهم امور النبي صلى الله
عليه وسلم كما هي ولا يخلون بمن يعلمهم بها مفصلة فلما حصل صلح الحديبية
اختلطوا بالمسلمين وجاؤا الى المدينة وذهب المسلمون الى مكة وخلوا باهلهم
واصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونه وسمعوا منهم احوال النبي صلى الله عليه وسلم
ومعجزاته الظاهرة واعلام نبوته المتظاهرة وحسن سيرته وجميل طريقته وعاينوا
بانفسهم كثيرا من ذلك فمالت نفوسهم الى الايمان حتى بادر منهم خلق كثير الى الاسلام

قبل فتح مكة فاسلموا بين صلح الحديبية وفتح مكة وازداد الاخرون ميلا الى
الاسلام فلما كان يوم الفتح اسلموا كلهم لما كان قد تمهد لهم من الميل وكانت العرب من
غير قريش في البوادي ينتظرون باسلامهم اسلام قريش فلما اسلمت قريش اسلمت العرب
في البوادي • قال الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا
فالله ورسوله اعلم انتهى قال في رواية البخاري فبينما هم كذلك اذ دخل ابو جندل
بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد خرج من مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر
المسلمين فقال سهيل يا محمد هذا اول ما اقاضيك عليه ان ترده الي فقال صلى الله
عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا اصالحك على شيء ابدا قال
النبي صلى الله عليه وسلم فاجزه لي قال ما انا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل
قال مكرز بلى قد اجزناه لك قال ابو جندل اي معشر المسلمين ارد الى المشركين وقد جئت
مسلما الا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب في الله عذابا شديدا زاد ابن اسحق
فقال صلى الله عليه وسلم يا ابا جندل اصبر واحتسب فانا لا نغدر وان الله جاعل
لك فرجا ومخرجا ووثب عمر يمشي الى جنبه ويقول اصبر فانما هم المشركون وانما دم
احدهم كدم كلب • قال الخطابي فاول العلماء ما وقع في قصة ابي جندل على وجهين
احدهما ان الله تعالى قد اباح التقية للمسلم اذا خاف الهلاك ورخص له ان يتكلم
بالكفر مع اضمار الايمان ان لم تمكنه التورية فلم يكن رده اليهم اسلاما لابي جندل
الى الهلاك مع وجود السبيل الى الخلاص من الموت بالتقية والوجه الثاني انما
رده الى ابيه والغالب ان اباه لا يبلغ به الهلاك وان عذبه او سجنه فله مندوحة
بالتقية ايضا واما ما يخاف عليه من الفتنة فان ذلك امتحان من الله تعالى يبتلي
به صبر عباده المؤمنين واختلف العلماء هل يجوز الصلح مع المشركين على ان يرد
اليهم من جاء مسلما من عندهم ام لا فقيل نعم على ما دلت عليه قصة ابي جندل وابي بصير
• وقيل لا وان الذي وقع في القصة منسوخ وان ناسخه حديث انا بريء من مسلم
بين مشركين وهو قول الحنفية • وعند الشافعية تفصيل بين العاقل والمجنون
والصبي فلا يردان • وقال بعض الشافعية ضابطة جواز الرد ان يكون المسلم بحيث
لا تجب عليه الهجرة من دار الحرب والله اعلم قاله في فتح الباري قال في رواية البخاري
فقال عمر بن الخطاب فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت الست نبي الله حقا قال
بلى قال السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا
قال اني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري قلت وليس كنت تحدثنا انا سنأتي
البيت فنطوف به قال بلى افاخبرتك انا ناتيه العام قلت لا قال فانك اتيه فطوف

اختلف العلماء هل يجوز الصلح مع المشركين

به قال

به • قال العلماء لم يكن سؤال عمر وكلامه المذكور شكا بل طلبا لكشف ما خفي عليه وحثا
على اذلال الكفار وظهور الاسلام كما عرف في خلقه وقوته في نصرة الدين واذلال
المبطلين • واما جواب ابو بكر لعمر رضي الله عنهما بمثل جواب النبي صلى الله عليه وسلم
فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله وبارع علمه وزيادة عرفانه ورسوخه
وزيادته في ذلك على غيره وكان الصلح بينهم عشر سنين كما في السير • واخرجه
ابو داود من حديث ابن عمر ولابي نعيم في مسند عبد الله بن دينار كانت اربع سنين
وكذا اخرجه الحاكم في البيوع من المستدرك والاول اشهر وكان الصلح على وضع
الحرب بحيث يامن الناس فيها ويكف بعضهم عن بعض وان لا يدخل البيت الا العام القابل
ثلاثة ايام ولا يدخلوها الا بجلبان السلاح وهو القراب بما فيه والجلبان بضم الجيم
وسكون اللام شبه الجراب من الادم يوضع فيه السيف مغمودا ورواه القتيبي
بضم الجيم واللام وتشديد الباء وقال هو اوعية السلاح بما فيها • وفي بعض الروايات
لا يدخلها الا بجلبان السلاح السيف والقوس وانما اشترطوا ذلك ليكون علما
وامارة للسلم اذ كان دخولهم صلحا • وقال مكي بن ابي طالب القيرواني في تفسيره وبعث
عليه السلام بالكتاب اليهم مع عثمان بن عفان وامسك سهيل بن عمرو عنده فامسك
المشركون عثمان فغضب المسلمون • وقال مغلطاي فاحتبسه قريش عندها فبلغ
النبي صلى الله عليه وسلم ان عثمان قد قتل فدعا الناس الى بيعة الرضوان تحت
الشجرة على الموت وقيل على ان لا يفروا انتهى • ووضع النبي صلى الله عليه وسلم
شماله في يمينه وقال هذه عن عثمان وفي البخاري فقال صلى الله عليه وسلم بيده
اليمنى هذه بيعة عثمان فضرب بها على يده الحديث ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا
وبعثوا بعثمان وجماعة من المسلمين وفي هذه البيعة نزل قوله تعالى ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم • وقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين وحلق الناس
مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحروا هداياهم بالحديبية قال مغلطاي وارسل الله ريحا
حملت شعورهم فالقتها في الحرم • واقام صلى الله عليه وسلم بالحديبية بضعة عشر
يوما وقيل عشرين يوما ثم قفل وفي نفوس بعضهم شيء فانزل الله سورة الفتح يسليهم
بها ويذكرهم نعمه فقال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا قال ابن عباس وانس والبراء بن عازب
الفتح هنا فتح الحديبية ووقوع الصلح بعد ان كان المنافقون يظنون ان لن ينقلب الرسول
والمؤمنون الى اهليهم ابدا اي حسبوا انهم لا يرجعون بل يقتلون كلهم • واما قوله تعالى
واثابهم فتحا قريبا فالمراد فتح خيبر على الصحيح لانها وقعت فيها الغنائم الكثيرة للمسلمين
وقد روى احمد وابو داود والحاكم من حديث مجمع بن حارثة قال شهدنا الحديبية فلما

قال بلى افاخبرتك انا ناتيه العام قلت لا
قال فانك اتيه ومطوف به قال فاتيت ابا بكر
فقلت يا ابا بكر اليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت
السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم
نعطي الدنية في ديننا اذا قال ايها الرجل انه رسول
الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه
فوالله انه على الحق قلت اوليس كان يحدثنا انا سناتي البيت
ونطوف به قال بلى افاخبرك انا ناتيه العام قلت
لا قال فانك اتيه
ومطوف به صح

قف على مدة الصلح
التي وقعت بالحديبية

انصرفنا وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند كراع الغميم وقد جمع الناس
يقرأ عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا الآية فقال رجل يا رسول الله أو فتح هو فقال اي
والذى نفسى بيده انه لفتح ، وروى سعيد بن منصور باسناد صحيح عن الشعبى انا
فتحنا لك فتحا مبينا الحديبية وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وتبايعوا بيعة
الرضوان واطعموا نخيل خيبر وظهر المسلمون على فارس وفرح المسلمون بنصر الله ،
واما قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ، وقوله لا هجرة بعد الفتح ففتح مكة باتفاق قال
الحافظ بن حجر فبهذا يرتفع الاشكال وتجتمع الاقوال والله اعلم ثم رجع صلى الله
عليه وسلم الى المدينة وفى هذه السنة كسفت الشمس وظاهر اوس بن الصامت من امرأته
خولة وفى هذه السنة ايضا استسقى فى رمضان ومطر الناس فقال صلى الله عليه
وسلم اصبح الناس مؤمنا بالله وكافرا بالكوكب قاله مغلطاى ، وجزم الدمياطى فى
سيرته بان تحريم الخمر كان سنة الحديبية ، وذكر ابن اسحق انه كان فى وقعة بنى النضير
وهو بعد احد وذلك سنة اربع على الراجح وفيه نظر لان انسا كان الساقى يوم حرمت
وانه لما سمع المنادى بتحريمها بادر فاراقها فلو كان ذلك سنة اربع لكان انس يصغر
عن ذلك ، واخرج النسائى والبيهقى بسند صحيح عن ابن عباس انما نزل تحريم الخمر فى
قبيلتين من الانصار شربوا فلما ثمل القوم عبث بعضهم ببعض فلما ان اصبحوا جعل
الرجل يرى فى وجهه وراسه الاثر فيقول صنع هذا اخى فلان وكانوا اخوة ليس
فى قلوبهم ضغائن فيقول والله لو كان بى رحيما ما صنع بى هذا حتى وقعت فى قلوبهم
فانزل الله هذه الآية يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام الى
فهل انتم منتهون فقال ناس من المتكلفين هى رجس وهى فى بطن فلان وفلان وقد
قتل يوم احد فانزل الله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
الى قوله المحسنين وآية تحريم الخمر نزلت فى عام الفتح قبل الفتح ، والخمر فى الاصل مصدر
خمره اذا ستره سمى به عصير العنب اذا اشتد وغلا لانه يخمر العقل كما سمى سكرا
لانه يسكره اى يحجزه ، وهى حرام مطلقا وكذا كلما اسكر عند اكثر العلماء ، وقال ابو حنيفة
نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر انتهى ،
واما الحشيشة وتسمى القنب الهندى والحيدرية والقلندرية فلم يتكلم فيها الائمة
الاربعة ولا غيرهم من علماء السلف لانها لم تكن فى زمنهم وانما ظهرت فى اواخر المائة
السادسة واول السابعة ، واختلف هل هى مسكرة فيجب فيها الحد او مفسدة للعقل
فيجب التعزير والذى اجمع عليه الاطباء انها مسكرة وبه جزم الفقهاء ، وصرح به
الشيخ ابو اسحق الشيرازى فى كتاب التذكرة فى الخلاف ، والنووى فى شرح المهذب ولا

نعرف

نعرف فيه خلافا عندنا ، ونقل عن ابن تيمية انه قال الصحيح انها مسكرة كالشراب
فان آكليها ينشؤن عنها ولذلك يتناولونها بخلاف البنج وغيره فانه لا ينشى ولا
يشتهى ، قال الزركشى ولم ار من خالف فى ذلك الا القرافى فى قواعده فقال نص العلماء
بالنبات فى كتبهم انها مسكرة والذى يظهر لى انها مفسدة فى كلام تعقبه الزركشى
يطول ذكره وقد تظافرت الادلة على حرمتها ففى صحيح مسلم كل مسكر حرام وقد
قال تعالى ويحرم عليهم الخبائث واى خبيث اعظم مما يفسد العقول التى اتفقت الملل
والشرائع على ايجاب حفظها ولا ريب ان تناول الحشيشة يظهر به اثر التغير فى انتظام
العقل والقول المستمد كماله من نور العقل وقد روى ابو داود باسناد حسن
عن ديلم الحميرى قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول
الله انا بارض باردة نعالج فيها عملا شديدا وانا نتخذ شرابا من هذا القمح نتقوى
به على اعمالنا وعلى برد بلادنا قال فهل يسكر قلت نعم قال فاجتنبوه قلت فان الناس
غير تاركيه قال فان لم يتركوه فقاتلوهم ، وهذا منه صلى الله عليه وسلم تنبيه
على العلة التى لاجلها حرم المزر فوجب ان كل شئ عمل عمله يجب تحريمه ولا شك ان
الحشيش يعمل ذلك وفوقه وروى احمد فى مسنده وابو داود فى سننه عن ام
سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر ، قال العلماء
المفتر كلما يورث الفتور والخدر فى الاطراف وهذا الحديث ادل دليل على
تحريم الحشيشة وغيرها من المخدرات فانها ان لم تكن مسكرة كانت مفترة مخدرة
ولذلك يكثر النوم من متعاطيها وتثقل رؤسهم بواسطة تخيرها فى الدماغ وقد نقل
الاجماع غير واحد منهم القرافى وابن تيمية وقال ان من استحلها فقد كفر وتعقبه
الزركشى بان تحريمها ليس معلوما من الدين بالضرورة سلمنا ذلك لكن لا بد ان يكون
دليل الاجماع قطعيا على احد الوجهين وقد ذكر اصحابنا ان المسكر من غير عصير
العنب كعصير العنب فى وجوب الحد لكن لا يكفر مستحله لاختلاف العلماء فيه ، واختلف
هل يحرم تعاطى اليسير الذى لا يسكر من الحشيش بخلاف الخمر حيث حرم قليلها الذى
لا يسكر ، والفرق ان الحشيش طاهر والخمر نجس فلا يجوز شرب قليله للنجاسة وتعقب
الزركشى بانه صح فى الحديث ما اسكر كثيره فقليله حرام ، قال والمتجه انه لا يجوز
تناول شئ من الحشيش لا قليل ولا كثير واما قول النووى انها طاهرة وليست بنجسة
فقطع به ابن دقيق العيد وحكى الاجماع عليه ، قال والافيون وهو لبن الخشخاش
اقوى فعلا من الحشيش لان القليل يسكر منه جدا وكذلك الشيكران وجوز الطيب
مع انه طاهر بالاجماع انتهى وقد جمع بعضهم فى الحشيشة مائة وعشرين

قف على حكم الحشيشة

قف قول العلماء المفتر كلما يورث الفتور والخدر

قف على انه لا يحرم اكل القليل من غير الخمر كالحشيش

٣ قال النووى فى شرح المهذب انه لا يحرم اكل القليل لا يسكر

قف على ما ذكر من مضرات الحشيشة

وغفر الخ اى المقامات التى يرقى فيها من حياته فانه كل مقام يرتفع اليه اعلى كان ما قبله دونه وذلك من باب حسنات الابرار سيئات المقربين ، هـ هـ هـ

اى الروم كما فى نسخة ظهرت على فارس فى يوم صلح قريش مع النبى صلى الله عليه وسلم لان الروم كانت تعبد الله وفارس كانت تعبد النار كما كانت قريش تعبد الاصنام ، هـ هـ

مضرة دينية وبدنية حتى قال بعضهم كلما فى الخمر من المذمومات موجود فى الحشيش وزيادة فان اكثر ضرر الخمر فى الدين لا فى البدن وضررها فيهما فمن ذلك فساد العقل ۰ وعدم المروة ۰ وكشف العورة ۰ وترك الصلوة ۰ والوقوع فى المحرمات ۰ وقطع النسل ۰ والبرص ۰ والجذام ۰ والاسقام ۰ والرعشة ۰ والأبنة ۰ و نتن الفم ۰ وسقوط شعر الاجفان ۰ وحفر الاسنان ۰ وتسويدها ۰ وضيق النفس ۰ وتصغير الالوان ۰ وتنقيب الكبد ۰ وتجعل الاسد كالجعل ۰ وتورث الكسل ۰ والفشل ۰ وتعيد العزيز ذليلا ۰ والصحيح عليلا ۰ والفصيح ابكما ۰ والصحيح ابلما ۰ تذهب السعادة ۰ وتنسى الشهادة ۰ فصاحبها بعيد عن السنة ۰ طريد عن الجنة ۰ موعود من الله باللعنة ۰ الآن يفرع من الندم سنة ۰ ويحسن بالله ظنه

ولقد احسن القائل

قل لمن ياكل الحشيشة جهلا ۰	ياخسيسا قد عشت شر معيشه ۰
دية العقل بدرة فلما ذا ۰	يا سفيها قد بعتها بحشيشه ۰

غزوة خيبر وهى مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام قال ابن اسحق خرج النبى صلى الله عليه وسلم فى بقية شهر المحرم سنة سبع فاقام يحاصرها بضع عشرة ليلة الى ان فتحها ۰ وقيل كانت فى آخر سنة ست وهو منقول عن مالك وبه جزم ابن حزم قال الحافظ ابن حجر والراجح ما ذكره ابن اسحق ويمكن الجمع بان من اطلق سنة ست بناه على ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقى وهو ربيع الاول ۰ واغرب ابن سعد وابن ابى شيبة فرويا من حديث ابى سعيد الخدرى خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر لثمان عشرة من رمضان واسناده حسن لكنه خطئ ولعلها كانت فتصحفت ۰ وتوجيهه ان غزوة خيبر كانت ناشئة عن غزوة الفتح وغزوة الفتح خرج فيها صلى الله عليه وسلم فى رمضان جزما ۰ قال وذكر الشيخ ابو حامد فى التعليقة انها كانت سنة خمس وهو وهم ولعله انتقال من الخندق الى خيبر ۰ وكان معه عليه السلام الف واربعمائة راجل ومائتا فارس ومعه ام سلمة زوجته ۰ وفى البخارى من حديث سلمة بن الاكوع قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر يا عامر الا تسمعنا من هنيهاتك ۰ وكان عامر رجلا شاعرا فنزل يحدو بالقوم

يقول	۰ اللهم لولا انت ما اهتدينا ۰	۰ ولا تصدقنا ولا صلينا ۰
	۰ فاغفر فداء لك ما ابقينا ۰	۰ وثبت الاقدام ان لاقينا ۰
	۰ وانزلن سكينة علينا ۰	۰ انا اذا صيح بنا اتينا ۰

غزوة خيبر

وبالصياح

۰ وبالصياح عولوا علينا ۰	

وفى رواية اياس بن ابى سلمة عن ابيه عن احمد فى هذا الرجز من الزيادة

۰ ان الذين قد بغوا علينا ۰	۰ اذا ارادوا فتنة ابينا ۰
۰ ونحن عن فضلك ما استغنينا ۰	

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فى رواية البخارى من هذا السائق قالوا عامر بن الاكوع قال يرحمه الله قال رجل من القوم وجبت يا نبى الله لولا امتعتنا به الحديث وفى رواية احمد فجعل عامر يرتجز ويسوق الركاب وكان هذه عادتهم اذا ارادوا تنشيط الابل فى السير ينزل بعضهم فيسوقها ويحدو فى تلك الحالة ۰ وقوله اللهم لولا انت ما اهتدينا كذا الرواية وصوابه فى الوزن لاهم او تالله كما فى الحديث الآخر ۰ وقوله فداء لك قال المازرى هذه اللفظة مشكلة فانه لا يقال للبارى سبحانه فديتك لان ذلك انما يستعمل فى مكروه يتوقع حلوله بالشخص فيختار شخصا آخر ان يحل ذلك به ويفديه منه ۰ قال ولعل هذا وقع من غير قصد الى حقيقة معناه كما يقال قاتله الله ولا يريد بذلك حقيقة الدعاء عليه وكقوله عليه السلام تربت يداك تربت يمينك وفيه كله ضرب من الاستعارة لان المفادى مبالغ فى طلب رضى المفدى حين بذل نفسه عن نفسه للمكروه فكان مراد الشاعر انى ابذل نفسى فى رضاك وعلى كل حال فان المعنى وان امكن صرفه الى جهة صحيحة فاطلاق اللفظ واستعارته والتجوز فيه يفتقر الى ورود الشرع بالاذن فيه قال وقد يكون المراد بقوله فداء لك رجل يخاطبه وفصل بين الكلام بذلك ثم عاد الى تمام الاول فقال ما ابقينا قال وهذا تاويل يصح معه اللفظ والمعنى لولا ان فيه تعسفا اضطرنا اليه تصحيح الكلام انتهى ۰ وقيل انه يخاطب بهذا الشعر النبى صلى الله عليه وسلم لا تؤاخذنا بتقصيرنا فى حقك ونصرك وعلى هذا فقوله اللهم لم يقصد بها الدعاء وانما افتتح بها الكلام والمخاطب بقول الشاعر لولا انت النبى لكن يعكر عليه بعد ذلك فانزلن سكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا ۰ فانه دعاء لله تعالى ويحتمل ان يكون المعنى فاسئل ربك ان ينزل ويثبت والله اعلم وقوله اذا صيح بنا اتينا اى اذا صيح بنا للقتال ونحوه من المكارم اتينا وفى رواية ابينا بالموحدة بدل المثناة اى ابينا الفرار ۰ وقوله بالصياح عولوا علينا اى استغاثوا بنا واستفزعونا للقتال قيل هو من التعويل على الشئ وهو الاعتماد وقيل هو من العويل وهو الصوت وقوله من هذا السائق قالوا عامر قال يرحمه الله قال رجل من القوم وجبت اى ثبتت له الشهادة وستقع قريبا وكان هذا معلوما عندهم ان من دعا له النبى صلى

عليه وسلم هذا الدعا في هذا الموطن استشهد فقالوا اهل لا امتعتنا به اي وددنا
انك اخرت الدعا له بهذا الى وقت آخر لنتمتع بمصاحبته ورؤيته مدة وفي
البخاري من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم اتى خيبر ليلا وكان اذا اتى قوما
بليل لم يغر بهم فلما اصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما راوه قالوا محمد
والله محمد والخميس فقال النبي صلى الله عليه وسلم خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة
قوم فساء صباح المنذرين وفي رواية فرفع يديه فقال الله اكبر خربت خيبر
والخميس الجيش سمي به لانه مقسوم بخمسة اقسام المقدمة ، والساقة ، والميمنة
والميسرة ، والقلب ، ومحمد خبر مبتدأ اي هذا محمد قال السهيلي يؤخذ من هذا
الحديث التفاؤل لانه عليه السلام لما راى آلة الهدم تفأل ان مدينتهم ستخرب انتهى
ويحتمل كما قاله في فتح الباري ان يكون قال خربت خيبر بطريق الوحي ويؤيده قوله بعد
ذلك انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ، وفي رواية انه صلى الله عليه
وسلم صلى الصبح قريبا من خيبر بغلس ثم قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة
قوم فساء صباح المنذرين وقال مغلطاي وغيره وفرق عليه الصلوة والسلام
الرايات ولم تكن الرايات الا بخيبر وانما كانت الالوية ، وقال الدمياطي وكانت راية
النبي صلى الله عليه وسلم السوداء بُرْد لعائشة وفي البخاري وكان علي بن ابي طالب
تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان رمدا فلحق فلما بتنا الليلة التي فتحت قال
لأعطين الراية غدا اوليأخذن الراية غدا رجل يحبه الله ورسوله يفتح الله عليه
فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجون ان يعطاها
فقال اين علي بن ابي طالب فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه
فاتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرأ حتى كان لم
يكن به وجع فاعطاه الراية فقال علي يا رسول الله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا
فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب
عليهم من حق الله فيه فوالله لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون
لك حمر النعم الحديث ولما تصاف القوم كان سيف عامر قصيرا فتناول ساق
يهودي ليضربه فرجع ذباب سيفه فاصاب عين ركبة عامر فمات منه فلما قفلوا
قال سلمة قلت يا رسول الله فداك ابي وامي زعموا ان عامرا حبط عمله وقال النبي
صلى الله عليه وسلم كذب من قاله وان له اجرين وجمع بين اصبعيه انه لجاهد
مجاهد رواه البخاري ايضا وعن يزيد بن ابي عبيد قال رايت اثر ضربة بساق
سلمة فقلت ما هذه الضربة قال هذه ضربة اصابتها يوم خيبر فاتيت النبي صلى

قف على قوله خربت خيبر

قف على الرايات

الله

الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة اخرجه البخاري وعنه
ايضا عند ابي هريرة شهدنا خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ممن معه
يدعي الاسلام هذا من اهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل اشد القتال حتى كثرت
به الجراحة فكان بعض الناس يرتاب فوجد الرجل الم الجراحة فاهوى بيده الى كنانته
فاستخرج منها سهما فنحر نفسه فاشتد رجال من المسلمين فقالوا يا رسول الله صدق
الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه فقال قم يا فلان فاذن لا يدخل الجنة الا مؤمن
وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وفي رواية فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند ذلك ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل
النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار فيما يبدو للناس وهو من اهل الجنة وقاتل
النبي صلى الله عليه وسلم اهل خيبر وقاتلوا اشد القتال واستشهد من المسلمين
خمسة عشر وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون وفتحها الله عليه حصنا حصنا
وهي النطاة ، وحصن الصعب ، وحصن ناعم ، وحصن قلعة الزبير ، والشق
وحصن ابي ، وحصن البراء ، والقموص ، والوطيح ، والسلالم وهو حصن بني
ابي الحقيق واخذ كنز آل ابي الحقيق الذي كان في مسك الحمار وكانوا قد غيبوه في خربة
فدل الله رسوله عليه فاستخرجه وقلع علي باب خيبر ولم يحركه سبعون رجلا
الا بعد جهد وفي رواية ابن اسحق سبعة واخرجه من طريقه البيهقي في الدلائل
ورواه الحاكم عن البيهقي من جهة ليث بن ابي سليم عن ابي جعفر محمد بن علي بن حسين
عن جابر ان عليا حمل الباب يوم خيبر وانه جرب بعد ذلك فلم يحمله اربعون رجلا
وليث ضعيف وفي رواية البيهقي ان عليا لما انتهى الى الحصن اجتذب احد ابوابه
فالقاه بالارض فاجتمع بعده منا عليه سبعون رجلا فكان جهدا ان اعادوا
الباب مكانه ، قال شيخنا السخاوي وكلها واهية وكذا انكره بعض العلماء انتهى
وفي البخاري وتزوج عليه الصلوة والسلام بصفية بنت حيي بن اخطب وكان
قد قتل زوجها كنانة بن الربيع بن ابي الحقيق وكانت عروسا فذكر له جمالها فاصطفاها
لنفسه فخرج بها حتى بلغت سد الصهباء حلت له يعني طهرت من الحيض فبنا بها عليه
السلام فصنع حيسا في نطع صغير ثم قال لانس آذن من حولك فكانت تلك وليمته
على صفية قال ثم خرجنا الى المدينة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يحوي لها وراءه
بعباءة ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب
وفي رواية له فقال المسلمون احدى امهات المؤمنين او ما ملكت يمينه فان لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه
فلما ارتحل وطأ لها ومد الحجاب وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قتل المقاتلة وسبى

قف على عدة حصون خيبر واسمائها

او ما ملكت يمينه قالوا ان حجبها فهي احدى امهات المؤمنين

الذرية وكان فى السبى صفية فصارت الى دحية الكلبى ثم صارت الى النبى صلى الله
عليه وسلم فجعل عتقها صداقها وفى رواية فاعتقها وتزوجها • وفى رواية
قال صلى الله عليه وسلم لدحية خذ جارية من السبى غيرها • وفى رواية لمسلم انه
صلى الله عليه وسلم اشترى صفية منه بسبعة ارؤس واطلاق الشرا على ذلك
على سبيل المجاز وليس فى قوله سبعة ارؤس ما ينافى قوله فى رواية البخارى خذ
جارية من السبى غيرها اذ ليس هنا دلالة على نفى الزيادة والله اعلم وانما اخذ
صلى الله عليه وسلم صفية لانها بنت ملك من ملوكهم وليست ممن يوهب لدحية
لكثرة من كان من الصحابة مثل دحية وفوقه وقلة من كان فى السبى مثل صفية فى
نفاستها فلو خصه بها لامكن تغير خاط بعضهم فكان من المصلحة العامة ارتجاعها
منه واختصاصه عليه السلام بها فان فى ذلك رضى الجميع وليس ذلك من الرجوع
فى الهبة فى شىء انتهى وقال مغلطاى وغيره وكانت صفية قبل رأت ان القمر سقط
فى حجرها فتؤول بذلك • قال الحاكم وكذا جرى لجويرية وفى هذه الغزوة حرم النبى
صلى الله عليه وسلم لحوم الحمر كما فى البخارى ولفظه فلما امسى الناس مساء اليوم
الذى فتحت عليهم يعنى خيبر اوقدوا نيرانا كثيرة فقال النبى صلى الله عليه وسلم
ما هذه النيران على اى شىء توقدون قالوا على لحم قال اى لحم قالوا لحم حمر الانسية
فقال النبى صلى الله عليه وسلم اهريقوها واكسروها فقال رجل يا رسول الله
او نهريقها ونغسلها قال او ذاك والمشهور فى الانسية كسر الهمزة نسبة الى الانس
وهم بنو ادم وحكى ضم الهمزة ضد الوحشية ويجوز فتحها والنون ايضا مصدر انست
به آنس انسا وانسة • وفى رواية نهى يوم خيبر عن اكل الثوم وعن لحوم حمر الاهلية
وفى رواية نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الاهلية ورخص فى الخيل قال ابن ابى اوفى
فتحدثنا انه انما نهى عنها لانها لم تخمس • وقال بعضهم نهى عنها البتة لانها كانت
تاكل العذرة قال العلماء وانما امر باراقتها لانها نجسة محرمة • وقيل انما نهى عنها
للحاجة اليها • وقيل لاخذها قبل القسمة وهذان التأويلان للقائلين باباحة لحومها
والصواب ما قدمناه • واما قوله صلى الله عليه وسلم اكسروها فقال رجل او نهريقها
ونغسلها قال او ذاك فهذا محمول على انه صلى الله عليه وسلم اجتهد فى ذلك فراى
كسرها ثم تغير اجتهاده او اوحى اليه بغسلها واما لحوم الخيل فاختلف العلماء
فى اباحتها فمذهب الشافعى والجمهور من السلف والخلف انه مباح لا كراهة فيه
وبه قال عبد الله بن الزبير وانس بن مالك واسما بنت ابى بكر وفى صحيح مسلم عنها
قالت نحرنا فرسا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكلنا ونحن بالمدينة

قف على حرمة لحوم الحمر الاهلية

قف على ضبط الانسية

قف على ما قيل فى لحوم الخيل

وفى رواية

وفى رواية الدارقطنى فاكلناه نحن واهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فى فتح البارى ويستفاد من قولها ونحن بالمدينة ان ذلك بعد فرض الجهاد
فيرد على من استند الى منع اكلها لعلة انها من آلات الجهاد ومن قولها واهل بيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم الرد على من زعم انه ليس فيه ان النبى صلى الله
عليه وسلم اطلع على ذلك مع ان ذلك لو لم يرد لم يظن بآل ابى بكر انهم يقدمون
على فعل شىء فى زمنه صلى الله عليه وسلم الا وعندهم العلم بجوازه لشدة اختلاطهم
به صلى الله عليه وسلم وعدم مفارقتهم له هذا مع توفر داعية الصحابة الى سؤاله
عليه الصلوة والسلام عن الاحكام • ومن ثم كان الراجح ان الصحابى اذا قال كنا
نفعل كذا على عهده عليه السلام كان له حكم الرفع لان الظاهر اطلاعه صلى الله
عليه وسلم على ذلك وتقريره واذا كان ذلك فى مطلق الصحابة فكيف بآل ابى بكر
وقال الطحاوى ذهب ابو حنيفة الى كراهة اكل الخيل وخالفه صاحباه وغيرهما
واحتجوا بالاخبار المتواترة فى حلها انتهى وقد نقل بعض التابعين الحل عن الصحابة
مطلقا من غير استثناء احد فاخرج ابن ابى شيبة بسند صحيح على شرط الشيخين
عن عطا قال لم يزل سلفك ياكلونه • قال ابن جريج قلت له اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال نعم واما ما نقل فى ذلك عن ابن عباس من كراهتها فاخرجه
ابن ابى شيبة وعبد الرزاق بسندين ضعيفين • وقال ابو حنيفة فى الجامع الصغير
اكره لحوم الخيل فحمله ابو بكر الرازى على التنزيه وقال لم تطلق ابو حنيفة فيه التحريم
وليس هو عنده كالحمار الاهلى وصحح اصحاب المحيط والهداية والذخيرة عنه التحريم
وهو قول اكثرهم وقال القرطبى فى شرح مسلم مذهب مالك الكراهة وقال
الفاكهانى المشهور عند المالكية الكراهة والصحيح عند المحققين منهم التحريم
وقال ابن ابى جمرة الدليل على الجواز مطلقا واضح لكن سبب كراهة مالك لاكلها لكونها
تستعمل غالبا فى الجهاد فلو انتفت الكراهة لكثر استعمالها ولو كثر لافضى الى فنائها
فيؤول الى النقص من ارهاب العدو الذى وقع الامر به فى قوله تعالى ومن رباط الخيل
ترهبون به عدو الله وعدوكم فعلى هذا فالكراهة لسبب خارج وليس البحث فيه
فان الحيوان المتفق على اباحته لو حدث امر يقتضى ان لو ذبح لافضى الى ارتكاب
محذور لامتنع ولا يلزم من ذلك القول بتحريمه انتهى • واما قول بعض المانعين
لو كانت حلالا لجازت الاضحية بها فمنتقض بحيوان البر فانه ماكول ولم تشرع الاضحية
به واما حديث خالد بن الوليد عند ابى داود والنسائى نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن لحوم الخيل والبغال والحمير فضعيف ولو سلم ثبوته لا ينهض معارضا

لحديث جابر الدال على الجواز وقد وافقه حديث اسما • وقد ضعف حديث خالد بن
الوليد احمد والبخارى والدارقطنى والخطابى وابن عبد البر وعبد الحق واخرون
وزعم بعضهم ان حديث جابر دال على التحريم لقوله رخص لان الرخصة استباحة
المحظور مع قيام المانع فدل على انه رخص لهم بسبب المخمصة التى اصابتهم بخيبر
فلا يدل ذلك على الحل المطلق واجيب بان اكثر الروايات جاء بلفظ الاذن
كما رواه مسلم • وفى رواية له اكلنا زمن خيبر الخيل وحمر الوحش ونهينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلى • وعند الدارقطنى من حديث ابن عباس
نهينا صلى الله عليه وسلم عن الحمر الاهلية وامر بلحوم الخيل فدل على ان المراد
بقوله رخص اذن ونوقض ايضا بالاذن فى اكل الخيل ولو كان رخصة لاجل المخمصة
لكانت الحمر الاهلية اولى بذلك لكثرتها وعزة الخيل حينئذ فدل على ان الاذن فى اكل
الخيل انما كان للاباحة العامة لا لخصوص الضرورة وقد نقل عن مالك وغيره
من القائلين بالتحريم انهم احتجوا للمنع بقوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها
وزينة وقرروا ذلك باوجه • احدها ان اللام للتعليل فدل على انها لم تخلق لغير
ذلك لان العلة المنصوصة تفيد الحصر فاباحة اكلها تقتضى خلاف ظاهر الاية •
ثانيها عطف البغال والحمير فدل على اشتراكها معهما فى حكم التحريم فيحتاج من افرد
حكم ما عطفت عليها الى دليل • ثالثها ان الاية سيقت مساق الامتنان فلو كان
ينتفع بها فى الاكل لكان الامتنان به اعظم والحكيم لا يمتن بادنى النعم ويترك
اعلاها ولاسيما وقد وقع الامتنان بالاكل فى المذكورات قبلها • رابعها لو ابيح
اكلها لفات المنفعة بها فيما وقع به الامتنان من الركوب والزينة واجيب بان
اية النحل مكية اتفاقا والاذن فى اكل الخيل كان بعد الهجرة من مكة باكثر من ست
سنين فلو فهم النبى صلى الله عليه وسلم من الاية المنع لما اذن فى الاكل • وايضا
فاية النحل ليست نصا فى منع الاكل والحديث صريح فى جوازه • وايضا فلو سلمنا
ان اللام للتعليل لم نسلم افادة الحصر فى الركوب والزينة فانه ينتفع بالخيل فى غيرهما
وفى غير الاكل اتفاقا وانما ذكر الركوب والزينة لكونهما اغلب ما تطلب له الخيل • ونظيره
حديث البقرة المذكورة فى الصحيحين حين خاطبت راكبها فقالت لم اخلق لهذا وانما
خلقت للحرث فانه مع كونه اصرح فى الحصر ما يقصد به الا الاغلب والا فهى تؤكل
وينتفع بها فى اشياء غير الحرث اتفاقا • وقال البيضاوى واستدل بها اى باية النحل
على حرمة لحومها ولا دليل فيها اذ يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد
منه غيره اصلا انتهى • وايضا فلو سلم الاستدلال للزم منع حمل الاثقال على الخيل والبغال

والحمير

والحمير ولا قائل به • واما عطف البغال والحمير فدلالة العطف انما هى دلالة اقتران وهى
ضعيفة • واما انها سيقت سياق الامتنان فالامتنان انما قصد به غالب ما كان يقع
به انتفاعهم بالخيل فخوطبوا بما الفوا وعرفوا ولم يكونوا يعرفون اكل الخيل لعزتها
فى بلادهم بخلاف الانعام فان اكثر انتفاعهم بها كان لحمل الاثقال وللاكل فاقتصر
فى كل من الصنفين على الامتنان باغلب ما ينتفع به فلو لزم من ذلك الحصر فى هذا الشق
لاضر • واما قولهم لو ابيح اكلها لفات المنفعة بها الى آخره فاجيب عنه بانه
لو لزم من الاذن فى اكلها ان تفنى للزم مثله فى البقر وغيرها مما ابيح اكله ووقع الامتنان
به • وانما اطلت فى ذلك لامر اقتضاه والله اعلم وفى هذه الغزوة ايضا نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن اكل كل ذى ناب من السباع وعن بيع المغانم حتى تقسم وان
لا توطأ جارية حتى تستبرأ وفى هذه الغزوة سمت النبى صلى الله عليه وسلم زينب
بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم كما فى البخارى من حديث ابى هريرة ولفظه لما فتحت
خيبر اهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اجمعوا الى من كان ههنا من اليهود فجمعوا له فقال لهم صلى الله عليه
وسلم من ابوكم فقالوا ابونا فلان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم
بل ابوكم فلان فقالوا صدقت وبررت فقال هل انتم صادقونى عن شئ ان سالتكم
عنه فقالوا نعم يا ابا القاسم[٢] وان كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته فى ابينا فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل النار فقالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسؤا فيها والله لا نخلفكم فيها ابدا ثم
قال لهم هل انتم صادقونى عن شئ ان سالتكم عنه فقالوا نعم فقال هل جعلتم فى
هذه الشاة سما فقالوا نعم فقال ما حملكم على ذلك فقالوا اردنا ان كنت كذابا ان نستريح
منك وان كنت نبيا لم يضرك وفى حديث جابر عند ابى داود ان يهودية من اهل
خيبر سمت شاة مصلية ثم اهدتها للنبى صلى الله عليه وسلم فاكل منها واكل
رهط من اصحابه معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم وارسل
الى اليهودية فقال سممت هذه الشاة فقالت من اخبرك قال اخبرتنى هذه فى يدى للذراع
قالت نعم قلت ان كان نبيا لم يضره وان لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا عنها صلى الله
عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفى اصحابه الذين اكلوا من الشاة واحتجم رسول الله صلى
الله عليه وسلم على كاهله من اجل الذى اكل من الشاة وفى رواية غيره جعلت زينب
بنت الحرث امرأة ابن ابى مشكم تسأل اى الشاة احب الى محمد فيقولون الذراع فعمدت
الى عنز لها فذبحتها وصلتها ثم عمدت الى سم لا يطنى يعنى لا يلبث ان يقتل من ساعته وقد

[٢] اذا سالكم عن شئ فهل انتم صادقون عنه فقالوا نعم يا ابا القاسم صح

[٥] وان سالكم عن شئ فهل انتم صادقونى عنه فقالوا نعم يا ابا القاسم

شاورت اليهود في سموم فاجتمعوا لها على هذا السم بعينه فسمت الشاة واكثرت
في الذراعين والكتف فوضعت بين يديه ومن حضر من اصحابه وفيهم بشر بن البراء وتناول
صلى الله عليه وسلم الذراع فنهش منها وتناول بشر بن البراء عظما آخر فلما ازدرد
صلى الله عليه وسلم لقمته ازدرد بشر بن البراء ما فيه واكل القوم فقال صلى الله
عليه وسلم ارفعوا ايديكم فان هذه الذراع تخبرني انها مسمومة ٭ وفيه ان بشر
بن البراء مات ٭ وفيه انه دفعها صلى الله عليه وسلم الى اولياء بشر بن البراء فقتلوها
رواه الدمياطي وقد اختلف هل عاقبها صلى الله عليه وسلم فعند البيهقي من
حديث ابي هريرة فما عرض لها ومن طريق ابي نضرة عن جابر نحوه قال فلم يعاقبها ٭
وقال الزهري اسلمت فتركها ٭ قال البيهقي يحتمل ان يكون تركها اولا ثم لما مات بشر
بن البراء من الاكلة قتلها وبذلك اجاب السهيلي وزاد انه تركها لانه كان لا ينتقم
لنفسه ثم قتلها ببشر قصاصا ويحتمل ان يكون تركها لكونها اسلمت وانما اخر قتلها
حتى مات بشر لان بموته يتحقق وجوب القصاص بشرطه ٭ وفي مغازي سليمان التيمي
انها قالت ان كنت كاذبا ارحت الناس منك وقد استبان لي الآن انك صادق وانا
اشهدك ومن حضر اني على دينك وان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
قال فانصرف عنها حين اسلمت وفيه موافقة الزهري على اسلامها والله اعلم
وفي هذه الغزوة ايضا نام صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر لما وكل به بلالا
كما في حديث ابي هريرة عند مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قفل
من غزوة خيبر سار ليلة حتى ادركه الكرى عرس وقال لبلال اكلأ لنا الليل
فصلى بلال ما قدر له ونام صلى الله عليه وسلم واصحابه فلما قارب الفجر استند
بلال الى راحلته مواجه الفجر فغلبت بلالا عيناه وهو مستند الى راحلته فلم يستيقظ
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بلال ولا احد من اصحابه حتى ضربتهم الشمس
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اولهم استيقاظا فقال اي بلال فقال بلال
اخذ بنفسي الذي اخذ بابي انت وامي يا رسول الله بنفسك قال اقتادوا فاقتادوا
رواحلهم شيئا ثم توضأ صلى الله عليه وسلم وامر بلالا فاقام الصلاة فصلى بهم
الصبح فلما قضى الصلاة قال من نسي الصلوة فليصلها اذا ذكرها فان الله تعالى قال
اقم الصلوة لذكري ٭ وفيها قدم جعفر ومن معه من الحبشة واختلف في فتح خيبر
هل كان عنوة او صلحا وفي حديث عبد العزيز بن صهيب عن انس التصريح بانه كان
عنوة وبه جزم ابن عبد البر ورد على من قال فتحت صلحا قال وانما دخلت الشبهة على
من قال فتحت صلحا بالحصنين الذين اسلمهما اهلهما لتحقن دماؤهم وهو ضرب

قف على ان اليهودية التي سمت الشاة اسلمت

من الصلح

من الصلح لكن لم يقع ذلك الا بحصار وقتال انتهى ثم فتح وادي القرى في جمادى
الآخرة بعد ما اقام بها اربعا يحاصرهم ويقال اكثر من ذلك واصاب مدعما مولاه سهم
فقال صلى الله عليه وسلم ان الشملة التي غلها من خيبر لتشتعل عليه نارا وصالحه
اهل تيما على الجزية قال الحافظ مغلطاي ثم سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى
تربة في شعبان سنة سبع ومعه ثلثون رجلا فخرج معه دليل من بني هلال فكان
يسير الليل ويكمن النهار فاتى الخبر الى هوازن فهربوا وجاء عمر بن الخطاب الى محالهم
فلم يلق منهم احدا فانصرف راجعا الى المدينة ثم سرية ابي بكر الصديق رضي الله
عنه الى بني كلاب ناحية ضرية في شعبان سنة سبع ويقال الى بني فزارة فسبى
منهم جماعة وقتل آخرين وفي صحيح مسلم فزارة وهو الصواب ثم سرية بشير بن سعد
الانصاري الى بني مرة بفدك في شعبان سنة سبع ومعه ثلثون فقتلوا وقاتل
بشير حتى ارتث وضرب كعبه ٭ وقيل قد مات وقدم ابن زيد الحارثي بخبرهم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قدم بعده بشير بن سعد ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي
الى الميفعة بناحية نجد من المدينة على ثمانية برد في شهر رمضان سنة سبع
من الهجرة في مائتين وثلاثين رجلا فهجموا عليهم في وسط محالهم فقتلوا من اشرف
لهم واستاقوا نعما وشاء الى المدينة قالوا وفي هذه السرية قتل اسامة بن زيد
نهيك بن مرداس بعد ان قال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا شققت عن قلبه فتعلم اصادق هو ام كاذب فقال اسامة لا اقاتل احدا يشهد
ان لا اله الا الله ٭ وفي الاكليل فعل ذلك اسامة في سرية كان هو اميرا عليها
سنة ثمان ٭ وفي البخاري عن ابي ظبيان قال سمعت اسامة بن زيد يقول بعثنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت انا
ورجل من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا اله الا الله فكف الانصاري عنه
وطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا اسامة
اقتلته بعد ان قال لا اله الا الله قلت كان متعوذا فما زال يكررها حتى تمنيت اني
لم اكن اسلمت قبل ذلك اليوم ثم سرية بشير بن سعد الانصاري ايضا الى يمن
وجبار بفتح الجيم وهي ارض لغطفان ويقال لفزارة وعذرة في شوال سنة سبع
من الهجرة وبعث معه ثلاثمائة رجل لجمع تجمعوا للاغارة على المدينة فساروا الليل
وكمنوا النهار فلما بلغهم مسير بشير هربوا واصاب لهم نعما كثيرة فغنمها واسر رجلين
وقدم بهما المدينة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلما ثم عمرة القضية
وتسمى عمرة القضا لانه قاضى فيها قريشا لا انها قضاء عن العمرة التي صد عنها لانها

فتح وادي القرى

سرية عمر بن الخطاب

سرية ابي بكر الصديق

سرية بشير بن سعد الانصاري

سرية غالب بن عبد الله الليثي

سرية بشير بن سعد الانصاري

قف عمرة القضا

لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها بل كانت عمرة تامة او صحيحة مستقلة لا شك فيها ولهذا
عدوا عمر النبى صلى الله عليه وسلم اربعا كما سياتى ان شاء الله تعالى • وقال آخرون
بل كانت قضاء عن العمرة الاولى وعدوا عمرة الحديبية فى العمر لثبوت الاجر فيها لا لانها
كملت وهذا الخلاف مبنى على الاختلاف فى وجوب القضاء على من اعتمر فصد عن البيت
فقال الجمهور يجب عليه الهدى ولا قضاء عليه • وعند ابى حنيفة عكسه • وعن احمد
رواية انه لا يلزمه هدى ولا قضاء واخرى يلزمه القضاء والهدى • فحجة الجمهور
قوله تعالى فان احصرتم فما استيسر من الهدى • وحجة ابى حنيفة ان العمرة تلزم
بالشروع فاذا احصر صار له تاخيرها فاذا زال الحصر اتى بها ولا يلزم من التحلل
بين الاحرامين سقوط القضاء • وحجة من اوجبها ما وقع للصحابة فانهم نحروا
الهدى حيث صدوا واعتمروا من قابل وساقوا الهدى • وحجة من لم يوجبها ان تحللهم
بالحصر لم يتوقف على نحر الهدى بل امر من معه هدى ان ينحره ومن ليس معه هدى
ان يحلق انتهى قال الحاكم فى الاكليل تواترت الاخبار انه صلى الله عليه وسلم لما
اهل ذو القعدة يعنى سنة سبع امر اصحابه ان يعتمروا قضاء لعمرتهم التى صدهم
المشركون عنها بالحديبية وان لا يتخلف احد ممن شهد الحديبية فلم يتخلف منهم الا
رجال قليل استشهدوا بخيبر ورجال ماتوا • وخرج معه صلى الله عليه وسلم من
المسلمين الفان واستخلف على المدينة ابا رهم الغفارى وساق عليه السلام ستين
بدنة وحمل السلاح والبيض والدروع والرماح وقاد مائة فرس فلما انتهى الى ذى
الحليفة قدم الخيل امامه عليها محمد بن مسلمة وقدم السلاح واستعمل عليه بشير
بن سعد واحرم صلى الله عليه وسلم ولبى والمسلمون يلبون معه ومضى محمد بن مسلمة
فى الخيل الى مر الظهران فوجد بها نفرا من قريش فسالوه فقال هذا رسول الله صلى
الله عليه وسلم مصبح هذا المنزل غدا ان شاء الله تعالى فاتوا قريشا فاخبروهم
ففزعوا ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وقدم السلاح الى بطن
يأجج موضع بمكة حيث ينظر الى انصاب الحرم وخلف عليه اوس بن
خولى الانصارى فى مائتى رجل وخرجت قريش من مكة الى رؤس الجبال وقدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم الهدى امامه بذى طوى وخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم على راحلته القصوى والمسلمون متوشحون السيوف محدقون برسول
الله صلى الله عليه وسلم يلبون فدخل من الثنية التى تطلعه على الحجون وابن رواحة
اخذ بزمام راحلته • وفى رواية الترمذى فى الشمائل من حديث انس انه صلى الله
عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضا وابن رواحة يمشى بين يديه وهو يقول

خلوا

خلوا بنى الكفار عن سبيله •	اليوم نضربكم على تنزيله •
ضربا يزيل الهام عن مقيله •	ويذهل الخليل عن خليله •

فقال له عمر يا ابن رواحة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول
شعرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهى فيهم اسرع
من نضح النبل • ورواه عبد الرزاق من حديث انس ايضا من وجهين بلفظ

خلوا بنى الكفار عن سبيله •	قد انزل الرحمن فى تنزيله •
بان خير القتل فى سبيله •	نحن قتلناكم على تاويله •

كما قتلناكم على تنزيله • • واخرجه الطبرانى والبيهقى فى الدلائل وفيه

اليوم نضربكم على تنزيله •	ضربا يزيل الهام عن مقيله •
ويذهل الخليل عن خليله •	يا رب انى مؤمن بقيله •

وعند ابن عقبة فى المغازى بعد قوله • قد انزل الرحمن فى تنزيله • فى صحف تتلى على
رسوله • لكنه لم يدرك انسانا وزاد ابن اسحق بعد قوله • يا رب انى مؤمن بقيله •
انى رايت الحق فى قبوله • وقال ابن هشام • ان قوله نحن ضربناكم على تاويله • الى آخر
الشعر من قول عمار بن ياسر قاله يوم صفين قالوا ولم يزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يلبى حتى استلم الركن بمحجنه مضطبعا بثوبه وطاف على راحلته والمسلمون
يطوفون معه وقد اضطبعوا اثيابهم • وفى البخارى عن ابن عباس قال المشركون
انه يقدم عليكم وقد وهنتهم حمى يثرب فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يرملوا الاشواط الثلاث وان يمشوا ما بين الركنين ولم يمنعهم ان يرملوا الاشواط
كلها الا الابقاء عليهم • وفى رواية قال ارملوا ليرى المشركون قوتهم والمشركون من
قبل قيقعان ومعنى قوله الا الابقاء عليهم اى لم يمنعهم من امرهم بالرمل فى جميع
الطوفات الا الرفق بهم والاشفاق عليهم ثم طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين الصفا والمروة على راحلته فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف الهدى
عند المروة • وقال هذا المنحر وكل فجاج مكة منحر فنحر عند المروة وحلق هناك وكذلك
فعل المسلمون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا منهم الى اصحابه ببطن يأجج
فيقيموا على السلاح ويأتى الآخرون فيقضوا نسكهم ففعلوا واقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم بمكة ثلاثا • وفى البخارى من حديث البراء فلما دخلها يعنى مكة
ومضى الاجل اتوا عليا فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الاجل فخرج النبى
صلى الله عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة تنادى يا عم يا عم فتناولها على فاخذ بيدها
وقال لفاطمة دونك ابنة عمك فحملتها فاختصم فيها على وزيد وجعفر قال على

انا اخذتها وهي ابنة عمي وقال جعفر ابنة عمي وخالتها تحتي وقال زيد بنت اخي فقضى
بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال الخالة بمنزلة الام الحديث وانما اقرهم النبي
صلى الله عليه وسلم على اخذها مع اشتراط المشركين ان لا يخرج باحد من اهلها
لانهم لم يطلبوها • وقوله الخالة بمنزلة الام اي في هذا الحكم الخاص لانها تقرب منها في الحنو
والشفقة والاهتدا الى ما يصلح الولد ويؤخذ منه ان الخالة في الحضانة مقدمة على العمة
لان صفية بنت عبد المطلب كانت موجودة حينئذ واذا قدمت على العمة مع كونها
اقرب العصبات من النسآء فهي مقدمة على غيرها ويؤخذ منه تقديم اقارب الام على
اقارب الاب انتهى قال ابن عباس وتزوج صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو محرم وبنى
بها وهو حلال وقد استدرك ذلك على ابن عباس وعُدّ من وهمه • قال سعيد بن المسيب
وَهِلَ ابن عباس وان كانت خالته ما تزوجها صلى الله عليه وسلم الا بعد ما حل ذكره
البخاري ووهل بكسر الهاء اي غلط • وقال يزيد بن الاصم عن ميمونة تزوجني رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحن حلالان بسرف رواه مسلم وسياتي في الخصائص من مقصد
معجزاته ان شاء الله تعالى ان له صلى الله عليه وسلم النكاح في حال الاحرام على اصح
الوجهين عند الشافعية ثم سرية ابن ابي العوجا السلمي الى بني سليم في ذي الحجة
سنة سبع في خمسين رجلا فاحدق بهم الكفار من كل ناحية وقاتل القوم قتالا
شديدا حتى مات عامتهم واصيب ابن ابي العوجا جريحا مع القتلى ثم تحامل حتى
بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول صفر سنة ثمان ثم سرية غالب
بن عبد الله الليثي الى بني الملوح بالحاء المهملة بالكديد بفتح الكاف قال في القاموس
الكديد بفتح الكاف ماء بين الحرمين شرفهما الله تعالى والبطن الواسع من الارض
والارض الغليظة كالكدة بالكسر ويوم الكديد معروف في صفر سنة ثمان من مهاجره
فغنم وفي هذا الشهر قدم خالد بن الوليد وعثمان بن ابي طلحة وعمرو بن العاصي
المدينة فاسلموا • وقال ابن ابي خيثمة كان ذلك سنة خمس • وقال الحاكم سنة سبع
ثم سرية غالب ايضا الى مصاب اصحاب بشير بن سعد بفدك في صفر سنة ثمان ومعه
مائتا رجل فاغاروا عليهم مع الصبح وقتلوا منهم قتلى واصابوا نعما ثم سرية شجاع
بن وهب الاسدي الى بني عامر بالسي ماء من ذات عرق الى وجرة على ثلاث مراحل من مكة
الى البصرة وخمس مراحل من المدينة في شهر ربيع الاول سنة ثمان ومعه اربعة
وعشرون راجلا الى جمع من هوازن وامره ان يغير عليهم فكان يسير الليل ويكمن
النهار حتى صبحهم فاصابوا نعما وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة وكانت
غيبتهم خمس عشرة ليلة واقتسموا الغنيمة وكانت سهامهم خمسة عشر بعيرا

سرية ابن ابي العوجا السلمي

سرية غالب بن عبد الله

سرية غالب

سرية شجاع بن وهب الاسدي

وعدلوا

وعدلوا البعير بعشر من الغنم ثم سرية كعب بن عمير الغفاري الى ذات اطلاح
ورآ ذات القرى في ربيع الاول سنة ثمان في خمس عشر رجلا فساروا حتى انتهوا الى
ذات اطلاح فوجدوا جمعا كثيرا فقاتلهم الصحابة اشد القتال حتى قتلوا وافلت منهم
رجل جريح في القتلى قال مغلطاي قيل هو الامير فلما برد عليه الليل تحامل حتى اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر فشق ذلك عليه وهمّ بالبعث اليهم فبلغه انهم
ساروا الى موضع آخر فتركهم ثم سرية مُوتة بضم الميم وسكون الواو بغير همز
لاكثر الرواة وبه جزم المبرد وجزم ثعلب والجوهري وابن فارس بالهمز وحكى غيرهم
الوجهين وهي من عمل البلقا بالشام دون دمشق في جمادى الاولى سنة ثمان
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ارسل الحرث بن عمير الازدي
بكتاب الى ملك بصرى فلما نزل مونة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم
يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره فامر صلى الله عليه وسلم
زيد بن حارثة على ثلاثة الآف وقال ان قتل فجعفر بن ابي طالب فان قتل فعبد الله
بن رواحة فان قتل فليرتض المسلمون برجل من بينهم يجعلوه عليهم وفي حديث
عبد الله بن جعفر عند احمد والنسائي باسناد صحيح ان قتل زيد فاميركم جعفر الحديث
قالوا وعقد لهم صلى الله عليه وسلم لوآء ابيض ودفعه الى زيد بن حارثة واوصاهم
ان ياتوا مقتل الحرث بن عمير وان يدعوا من هناك الى الاسلام فان اجابوا والا
استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم وخرج مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف
وودعهم فلما ساروا نادى المسلمون دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين فقال
ابن رواحة • لكنني اسال الرحمن مغفرة • وضربة ذات فرع تقذف الزبدا •
فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم فجمعوا لهم وقام شرحبيل بن عمرو فجمع
اكثر من مائة الف وقدم الطلايع امامه وقد نزل المسلمون معان بفتح الميم موضع
من ارض الشام وبلغ الناس كثرة العدو وتجمعهم وان هرقل نزل بارض البلقا في
مائة الف من المشركين فاقاموا ليلتين لينظروا في امرهم وقالوا نكتب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيخبره الخبر فشجعهم عبد الله بن رواحة على المضي فمضوا الى
مُوتة ووافاهم المشركون فجاء منهم ما لا قبل لاحد به من العدد وذي السلاح والكراع
والديباج والحرير والذهب والتقى المسلمون والمشركون فقاتل الامرآء يومئذ على
ارجلهم فاخذ اللوآء زيد بن حارثة فقاتل وقاتل المسلمون معه على صفوفهم حتى قتل
طعنا بالرماح ثم اخذ اللوآء جعفر بن ابي طالب فنزل عن فرس له شقرا وقاتل حتى قتل
ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين فوجد في احد نصفيه بضعة وثمانون جرحا

سرية كعب بن عمير الغفاري

سرية مؤتة

وفيما اقبل من بدنه مائتين وسبعين ضربة بسيف وطعنة برمح • قال وفي رواية
البخارى ووجدنا ما فى جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية • وفى رواية ان ابن
عمر وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل قال فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها
شئ فى دبره • وذكر ابن اسحق باسناد حسن وهو عند ابى داود من طريقه عن رجل
من مرة قال والله لكأنى انظر الى جعفر بن ابى طالب حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها
ثم تقدم فقاتل حتى قتل • قالوا ثم اخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل
فاخذ اللواء ابن اقرم العجلانى الى ان اصطلح الناس على خالد بن الوليد فاخذ اللواء
وانكشف الناس فكانت الهزيمة فتبعهم المشركون فقتل من قتل من المسلمين • وقال
الحاكم قاتلهم خالد بن الوليد فقتل منهم مقتلة عظيمة واصاب غنيمة • وقال ابن
سعد ثم انهزم بالمسلمين • وقال ابن اسحق انحازت كل طائفة من غير هزيمة ورفعت
الارض لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظر الى معترك القوم • وعند عبد الله
بن الزبير قال حدثنى ابى الذى ارضعنى وكان احد بنى مرة قال اشهدت مؤتة مع
جعفر بن ابى طالب واصحابه فرايت جعفر حين التحم القتال اقتحم عن فرس له شقراء
ثم عقرها وقاتل القوم حتى قتل • خرجه البغوى فى معجمه • وقطعت فى تلك الوقعة يداه
جميعا ثم قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ابدله بيديه جناحين
يطير بهما فى الجنة حيث شاء • خرجه ابو عمرو • وفى البخارى عن عائشة رضى الله عنها
لما جاء قتل ابن رواحه وابن حارثة وجعفر بن ابى طالب جلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعرف فيه الحزن • واخرج الطبرانى باسناد حسن عن عبد الله بن جعفر
قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا لك ابوك يطير مع الملئكة فى السماء
وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت
جعفر بن ابى طالب يطير مع الملئكة • اخرجه الترمذى والحاكم وفى اسناده ضعف
لكن له شاهد من حديث على عند ابن سعد • وعن ابى هريرة ايضا عن النبى صلى الله عليه
عليه وسلم قال مر بى جعفر الليلة فى ملأ من الملئكة وهو مخضب الجناحين بالدم
اخرجه الترمذى والحاكم باسناد على شرط مسلم • واخرج ايضا هو والطبرانى عن
ابن عباس مرفوعا دخلت البارحة الجنة فرايت فيها جعفر بن ابى طالب يطير مع الملئكة
• وفى طريق اخرى عنه ان جعفر يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من
يديه واسناده هذا جيد فقد عوضه الله تعالى عن قطع يديه فى هذه الوقعة حيث
اخذ اللواء بيمينه فقطعت ثم اخذه بشماله فقطعت ثم احتضنه فقتل • قال
السهيلى له جناحان ليسا كما يسبق الى الوهم كجناحى الطائر وريشه لان الصورة الادمية

وقف على الراية الجعفري
لجعفر بن ابى طالب

اشرف

اشرف الصور واكملها فالمراد بالجناحين صفة ملكية وقوة روحانية اعطيها جعفر
وقد عبر القرآن عن العضو بالجناح توسعا فى قوله واضمم يدك الى جناحك • وقال
العلماء فى اجنحة الملئكة انها صفات ملكية لا تفهم الا بالمعاينة فقد ثبت ان لجبريل
ستمائة جناح ولا يعهد للطير ثلاثة اجنحة فضلا عن اكثر من ذلك واذا لم يثبت خبر
عن بيان كيفيتها فنؤمن بها من غير بحث عن حقيقتها انتهى • قال الحافظ ابن حجر وهذا
الذى جزم به فى مقام المنع والذى حكاه عنه العلماء ليس صريحا فى الدلالة لما ادعاه
ولا مانع من الحمل على الظاهر الا من جهة ما ذكره من المعهود وهو قياس الغائب على الشاهد
وهو ضعيف وكون الصورة البشرية اشرف الصور لا يمنع من حمل الخبر على ظاهره
لان الصورة باقية • وقد روى البيهقى فى الدلائل من مرسل عاصم بن عمر بن قتادة
ان جناحى جعفر من ياقوت وجاء فى جناحى جبريل انهما من لؤلؤ اخرجه ابن منده فى
ترجمة ورقة • وذكر موسى بن عقبة فى المغازى ان يعلى بن امية قدم بخبر اهل
مؤتة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت فاخبرنى وان شئت
اخبرتك قال اخبرنى فاخبره خبرهم فقال والذى بعثك بالحق ما تركت من حديثهم
حرفا لم تذكره • وعند الطبرانى من حديث ابى اليسر الانصارى ان ابا عامر الاشعرى هو
الذى اخبر النبى صلى الله عليه وسلم بمصابهم • ثم سرية عمرو بن العاصى الى ذات
السلاسل • وسميت بذلك لان المشركين ارتبط بعضهم الى بعض مخافة ان يفروا • وقيل
لان بها ماء يقال له السلسل وراء ذات القرى من المدينة على عشرة اميال وكانت فى
جمادى الاخرة سنة ثمان • وقيل كانت سنة سبع وبه جزم ابن ابى خالد فى كتاب
صحيح التاريخ • ونقل ابن عساكر الاتفاق على انها كانت بعد غزوة مؤتة الا ابن اسحق
فقال قبلها وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم ان جمعا من قضاعة تجمعوا للاغارة
فعقد له لواء ابيض وجعل معه راية سوداء وبعثه فى ثلاثمائة من سراة المهاجرين
والانصار ومعهم ثلثون فرسا فسار الليل وكمن النهار فلما قرب منهم بلغه ان له
جمعا كثيرا فبعث رافع بن مكيث بفتح الميم الجهنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يستمده فبعث اليه ابا عبيدة بن الجراح وعقد له لواء وبعث معه مائتين من سراة
المهاجرين والانصار فيهم ابو بكر وعمر رضى الله عنهم وامره ان يلحق بعمرو وان يكونا
جميعا ولا يختلفان فاراد ابو عبيدة ان يؤم الناس فقال عمرو انما قدمت مددا
وانا الامير فاطاع له بذلك ابو عبيدة فكان عمرو يصلى بالناس وسار حتى وصل
الى العدو بلى وعذرة فحمل عليهم المسلمون فهربوا فى البلاد وتفرقوا • ثم سرية
ابى عبيدة بن الجراح وسماها البخارى غزوة سيف البحر وتعرف بسرية الخبط وبعث

سرية عمرو
بن العاصى

سرية ابى عبيدة بن
الجراح

معه صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة كما فى الصحيحين وغيرهما وهو المشهور لكن
فى رواية النسائى وبضع عشرة فان صحت هذه الرواية فلعله اقتصر فى الرواية
المشهورة على الثلثمائة استنسها لامر الكسر والاخذ بالزيادة مع صحتها واجب
وكان فيهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتلقى عيرا لقريش رواه مسلم وعنده ايضا الى
ارض جهينة ولا منافاة بينهما فالجهة ارض جهينة والقصد تلقى عير قريش وهو الابل
المحملة طعاما او غيره لكن فى كتب السيرات البعث الى حى من جهينة بالقبلية بفتح القاف
والموحدة مما يلى ساحل البحر وبينها وبين المدينة خمس ليال ولعل البعث لمقصدين
رصد عير قريش ومحاربة حى من جهينة قال ابن سعد وكان فى رجب سنة ثمان وفيه
نظر فان تلقى عير قريش ما يتصور ان يكون فى هذه المدة لانهم حينئذ كانوا فى
الهدنة فالصحيح ان تكون هذه السرية فى سنة ست او قبلها قبل هدنة الحديبية
نعم يحتمل ان يكون تلقيهم العير ليس لمحاربتهم بل لحفظهم من جهينة ولهذا لم يقع
فى شئ من طرق الخبر انهم قاتلوا احدا بل فيه انهم اقاموا نصف شهر او اكثر فى مكان
واحد والله اعلم . قال الحافظ ابن حجر لكن قال شيخ الاسلام ابن العراقى فى شرح
التقريب قالوا وكانت هذه السرية فى شهر رجب سنة ثمان من الهجرة وذلك بعد
نكث قريش العهد وقبل الفتح فانه كان فى رمضان من السنة المذكورة انتهى قالوا
وزودهم النبى صلى الله عليه وسلم جرابا من التمر فلما فنى اكلوا الخبط وهو بفتح المعجمة
والموحدة بعدها مهملة ورق السلم وفى رواية ابى الزبير وكنا نضرب بعصينا
الخبط ونبله بالماء فناكله وهذا يدل على انه كان يابسا خلافا لمن زعم انه كان اخضر
رطبا وقد كان معهم تمر غير الجراب النبوى ، ويدل عليه حديث البخارى فى الجهاد
خرجنا ونحن ثلاثمائة نحمل زادنا على رقابنا ففنى زادنا حتى كان الرجل منا ياكل تمرة
وابتاع قيس ابن سعد جزورا ونحرها لهم واخرج الله لهم من البحر دابة تسمى العنبر
فاكلوا منها وتزودوا ورجعوا ولم يلقوا كيدا وفى رواية ابن ماجة عند الائمة
الستة بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة راكب اميرنا ابو عبيدة بن الجراح
فاقمنا على الساحل حتى فنى زادنا حتى اكلنا الخبط ثم ان البحر القى لنا دابة يقال لها العنبر فاكلنا
منها نصف شهر حتى صلحت اجسامنا واخذ ابو عبيدة ضلعا من اضلاعها فنصبه ونظر
الى اطول بعير فجاز تحته الحديث زاد الشيخان فى رواية فلما قدمنا المدينة اتينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فقال هو رزق اخرجه الله لكم فهل معكم شئ من
لحمه فتطعمونا قال فارسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فاكل ثم سرية
ابى قتادة بن ربعى الانصارى الى خضرة وهى ارض محارب بنجد فى شعبان سنة ثمان وبعث

سرية ابى قتادة بن ربعى الانصارى

معه

سرية ابى قتادة

معه خمسة عشر رجلا الى غطفان فقتل من اشرف منهم وسبى سبيا كثيرا واستاق النعم
فكانت الابل مائتى بعير والغنم الفى شاة وكانت غيبته خمس عشرة ليلة ثم سرية ابى
قتادة ايضا الى بطن اضم فيما بين ذى خشب وذى المروة على ثلاثة برد من المدينة فى اول
شهر رمضان سنة ثمان وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما هم ان يغزوا اهل مكة بعث
ابا قتادة فى ثمانية نفر سرية الى بطن اضم ليظن ظان انه صلى الله عليه وسلم توجه الى
تلك الناحية ولان تذهب بذلك الاخبار فلقوا عامر بن الاضبط فسلم عليهم بتحية
الاسلام فقتله محلم بن جثامة فانزل الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست
مؤمنا الى آخر الآية رواه احمد وهو عند ابن جرير من حديث ابن عمر بنحوه وزاد فجاء محلم
بن جثامة فى بردين فجلس بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ليستغفر له فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا غفر الله لك فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه فما مضت
له سابعة حتى مات فلفظته الارض وعند غيره ثم عادوا به فلفظته الارض فلما غلب
قومه عمدوا الى صدين فسطحوه ثم رضوا عليه الحجارة حتى واروه وفى رواية ابن
جرير فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الارض تقبل من هو شر
من صاحبكم ولكن الله يريد ان يعظكم ونسب ابن اسحق هذه الرواية لابن ابى حدرد
ومعه رجلان الى الغابة لما بلغه صلى الله عليه وسلم ان رفاعة بن قيس يجمع لحربه
فقتلوا رفاعة وهزموا عسكره وغنموا غنيمة عظيمة حكاه مغلطاى ثم فتح مكة
كما قال فى زاد المعاد الفتح الاعظم الذى اعز الله به دينه ورسوله وجنده وحرمه الامين
واستنقذ به بلده وبيته الذى جعله هدى للعالمين من ايدى الكفار والمشركين
وهو الفتح الذى استبشر به اهل السماء ، وضربت اطناب عزه على مناكب الجوزاء ،
ودخل الناس فى دين الله افواجا واشرق به وجه الدهر ضياء وابتهاجا خرج له صلى
الله عليه وسلم بكتائب الاسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذى وقع
بالحديبية فانه كان قد وقع الشرط انه من احب ان يدخل فى عقد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعهده فعل ومن احب ان يدخل فى عقد قريش وعهدهم فعل فدخلت
بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعهده وكان بين بنى بكر وخزاعة حروب وقتلى فى الجاهلية فتشاغلوا عن ذلك
لما ظهر الاسلام فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلى من بنى بكر فى بنى
الديل حتى بيت خزاعة وهم على ماء لهم يقال له الوتير فاصابوا منهم رجلا يقال له منبه
واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا الى ان دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال وامدت قريش
بنى بكر بالسلاح وقاتل بعضهم معهم ليلا فى خفية وخرج عمرو بن سالم الخزاعى

قف على الذى لفظته الارض فدعا له عليه صلى الله عليه وسلم

فتح مكة زادها الله شرفها

في اربعين راكبا من خزاعة فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بالذي
اصابهم ويستنصرونه فقام وهو يجر رداءه ويقول لا نصرت ان لم انصركم بما انصر به نفسي
وفي المعجم الصغير للطبراني من حديث ميمونة انها سمعته صلى الله عليه وسلم يقول في
متوضائه ليلا لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت ثلاثا فلما خرج قلت يا رسول الله
سمعتك تقول في متوضائك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت ثلاثا كانك تكلم انسانا
فهل كان معك احد فقال صلى الله عليه وسلم هذا رجل من بني كعب يستصرخني ويزعم
ان قريشا اعانت عليهم بني بكر • ثم خرج عليه السلام فامر عائشة ان تجهزه ولا تعلم
احدا قالت فدخل عليها ابو بكر فقال يا بنية ما هذا الجهاز فقالت والله ما ادري فقال
والله ما هذا زمان غزو بني الاصفر فاين يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت والله لا اعلم قالت فاقمنا ثلاثا ثم صلى عليه الصلاة والسلام الصبح بالناس

فسمعنا لراجز ينشد هذه الابيات

يا رب اني ناشد محمدا • حلف ابينا وابيه الاتلدا •
ان قريشا اخلفوك الموعدا • ونقضوا ميثاقك المؤكدا •
وزعموا ان لست تدعو احدا • فانصر هداك الله نصرا ابدا •
وادعوا عباد الله ياتوا مددا • فيهم رسول الله قد تجردا •
ان سيم خسفا وجهه تربدا •
قال في القاموس وتربد بالراء يعني تغير انتهى وزاد ابن اسحق
هم بيتونا بالوتير هجدا • وقتلونا ركعا وسجدا •
وزعموا ان ليس ندعو احدا • وهم اذل واقل عددا •

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم فكان ذلك ما
اهاج فتح مكة • وقد ذكر البزار من حديث ابي هريرة بعض الابيات المذكورة
وقدم ابو سفيان بن حرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يسئله ان
يجدد العهد ويزيد في المدة فابى عليه فانصرف فتجهز رسول الله صلى الله عليه
وسلم من غير اعلام احد • فكتب حاطب كتابا وارسله الى مكة يخبرهم بذلك
فاطلع الله نبيه على ذلك فقال عليه الصلوة والسلام لعلي بن ابي طالب والزبير
والمقداد انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها
قال فانطلقنا حتى اتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا اخرجي الكتاب فقالت ما
معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لنلقين الثياب قال فاخرجته من عقاصها فاتينا
به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من
المشركين بمكة يخبرهم بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حاطب ما هذا قال

يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امرأ ملصقا في قريش يقول كنت حليفا ولم اكن من
انفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون اهليهم واموالهم فاحببت
ان فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي ولم افعله ارتدادا عن
ديني ولا رضى بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه صدقكم
فقال عمر يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال انه قد شهد بدرا وما يدريك
لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة الى قوله فقد
ضل سواء السبيل رواه البخاري قال في فتح الباري وانما قال عمر رضي الله عنه دعني
يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق مع تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم
لحاطب فيما اعتذر به لما كان عند عمر من القوة في الدين وبغض المنافقين فظن ان من
خالف امر النبي صلى الله عليه وسلم استحق القتل لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استاذن
في قتله واطلق عليه منافقا لكونه ابطن خلاف ما اظهر وعذر حاطب ما ذكر فانه
صنع ذلك متاولا ان لا ضرر فيه • وعند الطبراني من طريق الحرث عن علي في هذه
القصة فقال اليس قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال
اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فارشد الى علة ترك قتله وعند الطبراني ايضا
عن عروة فاني غافر لكم وهذا يدل على ان المراد بقوله غفرت اغفر على طريق التعبير
عن الاتي بالواقع في تحققه • قال والذي يظهر ان هذا الخطاب خطاب اكرام وتشريف
تضمن ان هولاء حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة وتاهلوا ان يغفر
لهم ما يستانف من الذنوب اللاحقة وقد اظهر الله صدق رسوله في كل من اخبر عنه
بشيء من ذلك فانهم لم يزالوا على اعمال اهل الجنة الى ان فارقوا الدنيا ولو قدر صدور
شيء من احدهم لبادر الى التوبة ولازم الطريقة المثلى يعلم ذلك من احوالهم بالقطع
من اطلع على سيرهم قاله القرطبي • وذكر بعض اهل المغازي وهو في تفسير يحيى بن
سلام ان لفظ الكتاب الذي كتب حاطب اما بعد يا معشر قريش فان رسول الله صلى
الله عليه وسلم جاءكم بجيش يسيل كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وانجز له
فانظروا لانفسكم والسلام هكذا حكاه السهيلي وروى الواقدي بسند له مرسل
ان حاطبا كتب الى سهيل بن عمرو وصفوان بن امية وعكرمة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذن في الناس بالغزو ولا اراه يريد غيركم وقد احببت ان تكون لي عندكم
يد انتهى وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من حوله من العرب فجلبهم اسلم
وغفار ومزينة وجهينة واشجع وسليم فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه

بالطريق فكان المسلمون في غزوة الفتح عشرة آلاف • وفي الاكليل وشرف المصطفى
اثنى عشر الفا ويجمع بينهما بان العشرة آلاف خرج بها من نفس المدينة ثم تلاحق به
الفان واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم • وقيل ابا رُهم الغفاري وخرج
عليه الصلوة والسلام يوم الاربعا لعشر ليال خلون من رمضان بعد العصر
سنة ثمان قاله الواقدي وعند احمد باسناد صحيح عن ابي سعيد قال خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح لليلتين خلتا من شهر رمضان
فما قاله الواقدي ليس بقوي لمخالفته ما هو اصح منه • وفي تعيين هذا التاريخ اقوال
أُخَر منها عند مسلم لست عشرة • ولاحمد ثماني عشرة • وفي اخرى لثنتي عشرة • والذي
في المغازي دخل لتسع عشرة مضت وهو محمول على الاختلاف في اول الشهر • ووقع
اخرى لتسع عشرة او سبع عشرة على الشك ولما بلغ صلى الله عليه وسلم
الكَدِيد بفتح الكاف الماء الذي بين قُدَيد وعُسفان افطر فلم يزل مفطرا حتى انسلخ
الشهر رواه البخاري • وفي اخرى له افطروا افطروا الحديث • وكان العباس قد
خرج قبل ذلك باهله وعياله مسلما مهاجرا فلقي رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالجحفة وكان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه
وسلم عنه راض • وكان ممن لقيه في الطريق ابو سفيان بن الحرث بن عمه عليه السلام
واخوه من رضاع حليمة السعدية ومعه ولده جعفر بن ابي سفيان وكان يالف رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما بُعث عاداه وهجاه وكان لقاؤهما له عليه السلام
بالابواء واسلما قبل دخول مكة • وقيل بل لقيه هو وعبد الله بن ابي امية ابن عمته
عاتكه بنت عبد المطلب بين السقيا والعرج فاعرض صلى الله عليه وسلم عنهما
لما كان يلقى منهما من شدة الاذى والهجو فقالت له ام سلمة لا يكن ابن عمتك وابن عمك
اشقى الناس بك • وقال علي لابي سفيان فيما حكاه ابو عمر وصاحب ذخائر العقبى ائت
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف ليوسف
تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه لا يرضى ان يكون احد احسن منه
قولا ففعل ذلك ابو سفيان فقال له صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر
الله لكم وهو ارحم الراحمين ويقال انه ما رفع راسه الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم منذ اسلم حياء منه قالوا ثم سار صلى الله عليه وسلم فلما كان بقديد عقد
الالوية والرايات ودفعها الى القبائل ثم نزل مر الظهران عشاء فامر اصحابه فاوقدوا
عشرة آلاف نار ولم يبلغ قريشا مسيرهم وهم مغتمون لما يخافون من غزوه اياهم فبعثوا
ابا سفيان بن حرب وقالوا ان لقيت محمدا فخذ لنا منه امانا فخرج ابو سفيان بن حرب

والصحيح ان العباس اسلم بعد الحديبية وقبل فتح خيبر قاله ابن حجر ١٢

وحكيم

وحكيم بن حزام وبديل بن ورقا حتى اتوا مر الظهران فلما راوا العسكر افزعهم وفي البخاري
فاذا هم بنيران كانها نيران عرفة فقال ابو سفيان ما هذه لكانها نيران عرفة فقال
بديل بن ورقا نيران بني عمرو فقال ابو سفيان نيران بني عمرو اقل من ذلك فراهم ناس
من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فادركوهم فاخذوهم فاتوا بهم الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاسلم ابو سفيان فلما سار قال للعباس اجلس ابا سفيان
عند خطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي صلى الله
عليه وسلم تمر كتيبة كتيبة على ابي سفيان فمرت كتيبة فقال يا عباس من هذه قال
هذه غفار قال ما لي ولغفار ثم مرت جهينة فقال مثل ذلك حتى اقبلت كتيبة لم ير مثلها
قال من هذه قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عُبادة معه الراية فقال سعد
بن عُبادة يا ابا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تُستحل الكعبة فقال ابو سفيان يا عباس
حبذا يوم الذمار بالمعجمة المكسورة اي الهلاك قال الخطابي تمنى ابو سفيان ان يكون
له يد فيحمي قومه ويدفع عنهم وقيل هذا يوم الغضب للحريم والاهل والانتصار لهم
لمن قدر عليه وقيل هذا يوم يلزمك فيه حفظي وحمايتي من ان ينالني مكروه وقال
ابن اسحق زعم بعض اهل العلم ان سعدا قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فسمعها
رجل من المهاجرين فقال يا رسول الله ما آمن ان يكون لسعد في قريش صولة فقال
لعلي ادركه فخذ الراية منه فكن انت تدخل بها وقد روى الاموي في المغازي ان
ابا سفيان قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما حاذاه امرت بقتل قومك قال لا فذكر له
ما قال سعد بن عبادة ثم ناشده الله والرحم فقال يا ابا سفيان اليوم يوم المرحمة
اليوم يعز الله قريشا وارسل الى سعد فاخذ الراية منه فدفعها الى ابنه قيس •
وعند ابن عساكر من طريق ابي الزبير عن جابر قال لما قال سعد بن عبادة ذلك عارضت
امراة من قريش النبي صلى الله عليه وسلم فقالت

يا نبي الهدى اليك لجا حي	وقريش ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الار	ض وعاداهم اله السماء
ان سعدا يريد قاصمة الظهر	باهل الحجون والبطحاء

فلما سمع هذا الشعر دخلته رافة لهم ورحمة فامر بالراية فاخذت من سعد ودفعت
الى ابنه قيس • وعند ابي يعلى من حديث الزبير ان النبي صلى الله عليه وسلم دفعها
اليه فدخل مكة بلواءين واسناده ضعيف جدا لكن جزم موسى بن عقبة في
المغازي عن الزهري انه دفعها الى الزبير بن العوام فهذه ثلاثة اقوال فيمن دفعت
اليه الراية التي نزعت من سعد والذي يظهر في الجمع ان عليا ارسل لينزعها

ويدخل ثم خشي تغير خاطر سعد فامر بدفعها الى ابنه قيس ثم ان سعدا خشي ان يقع
من ابنه شئ ينكره النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم ان يأخذها
منه فحينئذ اخذها الزبير قال في رواية البخاري ثم جاءت كتيبة فيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه وراية النبي صلى الله عليه وسلم مع الزبير فلما مر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بابي سفيان قال الم تعلم ما قال سعد بن عبادة قال ما قال قال
كذا كذا فقال كذب سعد هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة قال وامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تركز رايته بالحجون قال عروة واخبرني نافع بن جبير
بن مطعم قال سمعت العباس يقول للزبير بن العوام يا ابا عبد الله بههنا امرك رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان تركز الراية قال نعم وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ
خالد بن الوليد ان يدخل من اعلا مكة من كداء اي بالفتح والمد ودخل النبي صلى الله عليه وسلم
من كدا اي بالضم والقصر فقتل من خيل خالد يومئذ رجلان حبيش بن الاشعر وكرز بن
جابر الفهري قال الحافظ بن حجر وهذا مخالف للاحاديث الصحيحة الآتية في البخاري
ايضا ان خالدا دخل من اسفل مكة والنبي صلى الله عليه وسلم من اعلاها يعني حديث
بن عمر انه صلى الله عليه وسلم اقبل يوم الفتح من اعلا مكة على راحلته مردفا اسامة
بن زيد وحديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم دخل عام الفتح من كداء التي باعلا مكة
وغيرهما قال وقد ساق ذلك موسى بن عقبة سياقا واضحا فقال وبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم وامره ان يدخل من كداء
من اعلا مكة وامره ان يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه وبعث خالد بن الوليد
في قبائل قضاعة وسليم وغيرهم وامره ان يدخل من اسفل مكة وان يغرز رايته عند
ادنى البيوت وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الانصار في مقدمة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وامرهم ان يكفوا ايديهم ولا يقاتلوا الا من قاتلهم واندفع خالد بن
الوليد حتى دخل من اسفل مكة وقد تجمع بها بنو بكر وبنو الحرث بن عبد مناف وناس
من هذيل ومن الاحابيش الذين استنصرت بهم قريش فقاتلوا خالدا فقاتلهم فانهزموا
وقتل من بني بكر نحو من عشرين رجلا ومن هذيل ثلاثة او اربعة حتى انتهى بهم القتل
الى الحزورة الى باب المسجد حتى دخلوا الدور وارتفعت طائفة منهم الى الجبال وصاح
ابو سفيان من اغلق بابه وكف يده فهو آمن قال ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى البارقة فقال ما هذا وقد نهيت عن القتال فقالوا نظن ان خالدا قوتل وبدئ بالقتال
فلم يكن له بد من ان يقاتلهم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اطمأن
لخالد بن الوليد لم قاتلت وقد نهيتك عن القتال فقال هم بدؤنا بالقتال وقد كففت

يدي ما استطعت فقال قضاء الله خير وعند ابن اسحق فلما نزل صلى الله عليه وسلم
بمر الظهران رقت نفس العباس لاهل مكة فخرج ليلا راكب بغلة النبي صلى الله عليه
وسلم لكي يجد احدا فيعلم اهل مكة بمجئ النبي صلى الله عليه وسلم ليستأمنوه فسمع
صوت ابي سفيان بن حرب وحكيم وبديل بن ورقا فاردف ابا سفيان خلفه واتى
به النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف الآخران ليعلما اهل مكة ويمكن الجمع بان
الحرس لما اخذوه استنقذه العباس وروي ان عمر لما راى ابا سفيان رديف العباس
دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذا ابو سفيان دعني اضرب
عنقه فقال العباس يا رسول الله اني قد اجرته فقال صلى الله عليه وسلم اذهب
يا عباس الى رحلك فاذا اصبحت فأتني به فذهب فلما اصبح غدى به الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويحك يا ابا سفيان
الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت وامي ما احلمك وما اكرمك و
اوصلك قال ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم اني رسول الله قال بابي انت
وامي ما احلمك واكرمك واوصلك اما هذه ففي النفس منها شئ فقال له العباس
ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك
فاسلم وشهد شهادة الحق فقال العباس يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب الفخر
فاجعل له شيئا قال نعم وامر صلى الله عليه وسلم فنادى مناديه من دخل المسجد
فهو آمن ومن دخل دار ابي سفيان فهو آمن ومن اغلق بابه فهو آمن الا المستثنين
وهم كما قاله مغلطاي وغيره عبد الله بن سعد بن ابي سرح اسلم وابن خطل قتله ابو برزة
وقينتاه وهما فرتنا بالفاء المفتوحة والراء الساكنة والتاء المثناة الفوقية والنون
وقريبة بالقاف والموحدة مصغرا اسلمت احديهما وقتلت الاخرى وذكر غير ابن اسحق
ان التي اسلمت فرتنا وان قريبة قتلت وسارة مولاة لبني المطلب اسلمت ويقال كانت
مولاة عمرو بن صيفي بن هشام وارنب علم امرأة وقريبة قتلت وعكرمة بن ابي جهل
اسلم والحرث بن نقيل قتله علي ومقيس بن صبابة بمهملة مضمومة وموحدتين
الاولى خفيفة قتله غيلة الليثي وهبار بن الاسود اسلم وهو الذي عرض لزينب بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجرت فنخس بها حتى سقطت على صخرة
واسقطت جنينها وكعب بن زهير اسلم وهند بنت عتبة اسلمت ووحشي بن
حرب اسلم انتهى وابن خطل بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة وابن نقيد بضم النون
وفتح القاف وسكون المثناة التحتية آخره مهملة مصغرا ومقيس بكسر الميم وسكون
القاف وفتح المثناة التحتية آخره مهملة وقد جمع الواقدي عن شيوخه اسماء من لم يؤمن

قف على عدة من اباح صلى الله عليه وسلم دماهم يوم الفتح ومن اسلم منهم

يوم الفتح وامر بقتله عشرة انفس ستة رجال واربع نسوة وروى احمد ومسلم
والنسائى عن ابى هريرة قال اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث على احدى
المجنبتين خالد بن الوليد وبعث الزبير على الاخرى وبعث ابا عبيدة على الحسّر بضم
المهملة وتشديد السين المهملة اى الذين بغير سلاح فقال لى يا ابا هريرة اهتف لى
بالانصار فهتف بهم فجاؤا فطافوا به فقال ترون الى اوباش قريش واتباعهم ثم قال
باحدى يديه احصد وهم حصدا على الاخرى حتى توافونى بالصفا قال ابو هريرة فانطلقنا
فما نشاء ان نقتل احدا منهم الا قتلناه فجاء ابو سفيان فقال يا رسول الله ابيحت خضراء
قريش لا قريش بعد اليوم فقال صلى الله عليه وسلم من اغلق بابه فهو آمن ٥ قال
فى فتح البارى وقد تمسك بهذه القصة من قال ان مكة فتحت عنوة وهو قول الاكثر
وعن الشافعى وهو رواية عن احمد انها فتحت صلحا لما وقع من هذا التامين ولاضافة
الدور الى اهلها لانها لم تقسم ولان الغانمين لم يملكوا دورها والا جاز اخراج اهل
الدور منها ٥ وحجة الاولين ما وقع التصريح به من الامر بالقتال ووقوعه من خالد
بن الوليد وبتصريحه عليه السلام بانها احلت له ساعة من نهار ونهيه عن التأسى
به فى ذلك واجابوا عن ترك القسمة بانها لا تستلزم عدم العنوة فقد تفتح البلد عنوة
ويمن على اهلها ويترك لهم دورهم ٥ قال واما قول النووى واحتج بالاحاديث المشهورة
بان النبى صلى الله عليه وسلم صالحهم بمر الظهران قبل دخوله مكة ففيه نظر لان الذى
اشار اليه ان كان مراده ما وقع من قوله صلى الله عليه وسلم من قوله من دخل دار
ابى سفيان فهو آمن كما تقدم وكذا من دخل المسجد كما عند ابن اسحق فان ذلك لا يسمى
صلحا الا اذا التزم من اشير اليه بذلك الكف عن القتال والتى ورد فى الاحاديث الصحيحة
ظاهر فى ان قريشا لم يلتزموا ذلك لانهم استعدوا للحرب وان كان مراده بالصلح
وقوع عقده فهذا لم ينقل ولا اظنه عنا الا الاحتمال الاول وفيه ما ذكرته انتهى ثم
دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فى كتيبة الخضراء على ناقته القصوى بين
ابى بكر واسيد بن حضير فراى ابو سفيان ما لا قبل له به فقال للعباس ويحك يا ابا الفضل
لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكا عظيما فقال العباس ويحك انه ليس بملك ولكنها نبوة
قال نعم وروى انه صلى الله عليه وسلم وضع راسه تواضعا لله لما راى ما اكرمه الله
به من الفتح حتى ان راسه لتكاد تمس رجله شكرا وخضوعا لعظمته ان احل له
بلده ولم يحلها لاحد قبله ولا لاحد بعده ٥ وفى البخارى من حديث انس ان النبى
صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعلى راسه المغفر وهو بكسر الميم وسكون
الغين المعجمة وفتح الفاء زرد ينسج من الدروع على قدر الراس مثل القلنسوة فلما نزع

قف على ان مكة فتحت عنوة او صلحا

جاء

جاء رجل فقال ابن خطل متعلق باستار الكعبة فقال اقتله ٥ وفى حديث سعيد بن
يربوع عند الدارقطنى والحاكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اربعة لا او منهم
فى حل ولا حرم الحويرث بن نقيد وهلال بن خطل ومقيس بن صبابة وعبد الله بن ابى
سرح قال فاما هلال بن خطل فقتله الزبير الحديث ٥ وفى حديث سعد بن ابى
وقاص عند البزار والحاكم والبيهقى فى الدلائل نحوه لكن قال اربعة نفر وامرأتان
وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة فذكرهم لكن قال عبد الله بن
خطل بدل هلال وقال عكرمة بدل الحويرث ولم يسم المرأتين وقال فاما عبد الله
بن خطل فادرك وهو متعلق باستار الكعبة فاستبق اليه سعيد بن حريث وعمار
بن ياسر فسبق سعيد عمارا وكان اشب الرجلين فقتله الحديث وروى ابن ابى
شيبة من طريق ابى عثمان النهدى ان ابا برزة الاسلمى قتل ابن خطل وهو متعلق
باستار الكعبة واسناده صحيح مع ارساله ٥ ورواه احمد من وجه آخر وهو اصح
ما ورد فى تعيين قاتله ٥ وبه جزم البلاذرى وغيره من اهل الاخبار وتحمل بقية الروايات
على انهم ابتدروا قتله فكان المباشر منهم ابو برزة ويحتمل ان يكون غيره شاركه فيه
فقد جزم ابن هشام فى السيرة بان سعيد بن حريث وابا برزة الاسلمى اشتركا فى قتله
وانما امر بقتل ابن خطل لانه كان مسلما فبعثه صلى الله عليه وسلم مصدقا وبعث
معه رجلا من الانصار وكان معه مولى يخدمه وكان مسلما ونزل منزلا فامر
المولى ان يذبح تيسا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئا فعدى
عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكانت له قينتان تغنيان بهجاء النبى صلى الله عليه
وسلم واما الجمع بين ما اختلف فيه من اسمه انه كان يسمى عبد العزى فلما اسلم
سمى عبد الله واما من قال هلال فالتبس عليه باخ له اسمه هلال وفى رواية
ابى داود من حديث مصعب لما كان يوم الفتح امن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس الا اربعة نفر فذكرهم ثم قال واما ابن ابى سرح فاختبأ عند عثمان بن عفان
رضى الله عنه فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة جاء به
حتى وقفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله بايع عبد الله
فرفع راسه فنظر اليه ثلاثا كل ذلك يابى فبايعه بعد ثلاث ثم اقبل على اصحابه
فقال ما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين كففت عن بيعته فيقتله فقالوا
يا رسول الله ما ندرى ما فى نفسك الا اومأت الينا قال انه لا ينبغى لنبى ان يكون
له خائنة الاعين الحديث قال مالك كما فى رواية البخارى ولم يكن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما نرى يومئذ محرما انتهى وقول مالك هذا رواه عبد الرحمن

بن مهدى عن مالك جازما به اخرجه الدارقطنى فى الغرآئب ويشهد له ما رواه مسلم
من حديث جابر دخل صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وعليه عمامة سودآء
بغير احرام وروى ابن ابى شيبة باسناد صحيح عن طاوس قال لم يدخل النبى صلى
الله عليه وسلم مكة الا محرما الا يوم فتح مكة وقد اختلف العلمآء هل يجب
على من دخل مكة الاحرام ام لا فالمشهور من مذهب الشافعى عدم الوجوب مطلقا
وفى قول يجب مطلقا وفيمن يتكرر دخوله خلاف مرتب وهو اولى بعدم الوجوب
والمشهور عن الائمة الثلاثة الوجوب وفى رواية عن كل منهم لا يجب وجزم
الحنابلة باستثنآء ذوى الحاجات المتكررة واستثنى الحنفية من كان داخل
الميقات والله اعلم وقد زعم الحاكم فى الاكليل ان بين حديث انس فى المغفر و
بين حديث جابر فى العمامة السودآء معارضة وتعقبوه باحتمال ان يكون اول
دخوله كان على راسه المغفر ثم ازاله ولبس العمامة بعد ذلك فحكى كل منهما ما
راه ويؤيده ان فى حديث عمرو بن حريث انه خطب الناس وعليه عمامة سودآء
اخرجه مسلم ايضا وكانت الخطبة عند باب الكعبة وذلك بعد تمام الدخول
وهذا الجمع للقاضى عياض وقال غيره يجمع بان العمامة السودآء كانت ملفوفة
فوق المغفر او كانت تحت المغفر وقاية لراسه من صدا الحديد فاراد انس بذكر
المغفر كونه دخل متاهبا للحرب واراد جابر بذكر العمامة كونه دخل غير محرم وفى
البخارى عن اسامة بن زيد انه قال زمن الفتح يا رسول الله اين تنزل غدا قال
النبى صلى الله عليه وسلم وهل ترك لنا عقيل من منزل وفى رواية وهل ترك
لنا عقيل من رباع او دور وكان عقيل ورث ابا طالب هو وطالب ولم يرث جعفر
ولا على شيئا لانهما كانا مسلمين وكان عقيل وطالب كافرين فكان عمر بن الخطاب
يقول لا يرث الكافر المؤمن ولا المؤمن الكافر وفى رواية اخرى له قال عليه
السلام منزلنا ان شآء الله اذا فتح الله الخيف حيث تقاسموا على الكفر يعنى المحصب
وذلك ان قريشا وكنانة تحالفت على بنى هاشم وبنى عبد المطلب ان لا يناكحوهم
ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم وفى رواية اخرى
له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح اغتسل فى بيت ام هانى ثم صلى الضحى
ثمان ركعات قالت لم ار صلى صلوة اخف منها غير انه يتم الركوع والسجود واجارت
ام هانى حموين لها فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد اجرنا من اجرت يا ام هانى
والرجلان الحارث بن هشام وزهير بن ابى امية بن المغيرة كما قاله ابن هشام وقد
كان اخوها على بن ابى طالب اراد ان يقتلهما فاغلقت عليهما باب بيتها وذهبت

الى النبى صلى الله عليه وسلم ولما كان الغد من يوم الفتح قام عليه الصلوة والسلام
خطيبا فى الناس فحمد الله واثنى عليه ومجده بما هو اهله ثم قال ايها الناس ان الله حرم
مكة يوم خلق السموت والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيمة فلا يحل لامرئ يؤمن
بالله واليوم الآخر ان يسفك بها دما او يعضد بها شجرة فان احد ترخص فيها لقتال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله اذن لرسوله ولم ياذن لكم وانما
احلت لى ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد
الغائب ثم قال يا معشر قريش ما ترون انى فاعل فيكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ
كريم قال فاذهبوا فانتم الطلقآ اى الذين اطلقوا فلم يسترقوا ولم يؤسروا والطليق
الاسير اذا اطلق والمراد بالساعة التى احلت له عليه السلام ما بين اول النهار ودخول وقت العصر كذا قاله فى فتح
البارى ولقد اجاد العلامة ابو محمد الشقراطيسى حيث يقول فى قصيدته المشهورة

ويوم مكة اذ اشرفت فى امم ❊ يضيق عنها فجاج الوعث والسهل
خوافق ضاق ذرع الخافقين بها ❊ فى قاتم من عجاج الخيل والابل
وجحفل قذف الارجآء ذى لجب ❊ عرمرم كزهآء الليل منسجل
وانت صلى عليك الله تقدمهم ❊ فى بهو اشراق نور منك مكتمل
ينير فوق اغر الوجه منتجبا ❊ متوج بعزيز النصر مقتبل
تسمو امام جنود الله مرتديا ❊ ثوب الوقار لامر الله ممتثل
خشعت تحت بهآء العز حين سمت ❊ بك المهابة فعل الخاضع الوجل
وقد تباشر املاك السمآء بما ❊ ملكت اذ نلت منه غاية الامل
والارض ترجف من زهو ومن فرق ❊ والجو يزهر اشراقا من الجذل
والخيل تختال زهوا فى اعنتها ❊ والعيس تنثال زهوا فى ثنى الجدل
لولا الذى خطت الاقلام من قدر ❊ وسابق من قضآء غير ذى حول
اهل ثهلان بالتهليل من طرب ❊ وذاب يذبل تهليلا من الذبل
الملك لله هذا عز من عقدت ❊ له النبوة فوق العرش فى الازل
شعبت صدع قريش بعد ما قذفت ❊ بهم شعوب شعاب السهل والقلل
قالوا محمد قد زارت كتائبه ❊ كالاسد تزار فى انيابها العصل
فويل مكة من اثار وطاته ❊ وويل ام قريش من جوى الهبل
فجدت عفوا بفضل العفو منك ولم ❊ تلم ولا بايم اللوم والعذل
اضربت بالصفح صفحا عن غوائلهم ❊ طولا اطال مقيل النوم فى المقل
رحمت واشج ارحام ابيح لها ❊ تحت الوشيج نشيج الروع والوجل

عاذوا بظل كريم العفو ذي لطف	مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل
ازكى الخليقة اخلاقا واطهرها	واكرم الناس صفحا عن ذوي الزلل
وطفت بالبيت مجبورا وطاف به	من كان عنه قبيل الفتح في شغل

والجحفل الجيش العظيم وقذفا الارجا اى متباعدها واللجب بالجيم المضمومة الفتحة من كثرة الاصوات والعرمرم الضخم الكثير العدد وقوله كزها الليل شبهه بالليل في ستر الافق واسوداده بالسلاح والمنسحل بالحاء المهملة الماضي في سيره يتبع بعضه بعضا وقوله في بهو اشراق شبه النور الذي يغشيه عليه السلام ببهو احاط به والبهو البناء العالي كالايوان ونحوه والمنتجب المتخير من اصل نجيب اى كريم والمقتبل المستقبل الخير وترجف تهتز والزهو الخفة من الطرب يعني ان الارض اهتزت فرحا بهذا الجيش وفرقا من صولته اى كادت تهتز قال تعالى وبلغت القلوب الحناجر اى كادت تبلغ والجدل جمع جديل وهو الزمام المضفور وثني الجدل ما انثنى على اعناق الابل اى نعطف وتهلان اسم جبل معروف واهل رفع صوته ويذبل اسم جبل ايضا والذبل الرماح الذوابل وهي التي لم تقطع من منابتها حتى ذبلت اى جفت ويبست وتهليلا اى جبنا وفزعا يعني لولا ما سبق من تقدير الله ان الجبال لا تنطق لرفع تهلان صوته وهلل الله من الطرب ولذاب يذبل من الجزع والفرق وقوله شعبت اى جمعت واصلحت وقذفت بهم اى فرقت بهم مخافة شعوب وشعوب اسم للمنية لانها تفرق الجماعات من شعبت اى فرقت وهي من الاضداد والشعاب الطرق في الجبال والسهل خلاف الجبل والقلل رؤس الجبال يعني انه صلى الله عليه وسلم عفى عنهم بعد ما يصدعوا اى تفرقوا وهربوا من خوفه الى كل سهل وجبل وقوله كالاسد تزأر في انيابها العصل اى المعوجة والله اعلم ولما فتح الله مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الانصار فيما بينهم اترون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله ارضه وبلده يقيم بها وكان عليه السلام يدعو على الصفا رافعا يديه فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شئ يا رسول الله فلم يزل بهم حتى اخبروه فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم وهم فضالة بن عمير بن الملوح ان يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم افضالة قال نعم يا رسول الله قال ماذا كنت تحدث نفسك قال لا شئ كنت اذكر الله فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال استغفر الله ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه وكان فضالة يقول والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله

شيئا احب الي منه وطاف صلى الله عليه وسلم بالبيت يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما فكلما مر بصنم اشار اليه بقضيبه وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فيقع الصنم لوجهه رواه البيهقي وفي رواية ابي نعيم قد الزقها الشيطان بالرصاص والنحاس وفي تفسير العلامة بن النقيب المقدسي ان الله تعالى لما اعلمه صلى الله عليه وسلم بانه قد انجز له وعده بالنصر على اعدائه وفتح له مكة واعلاء كلمة دينه امره اذا دخل مكة ان يقول وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فصار صلى الله عليه وسلم يطعن الاصنام التي حول الكعبة بمحجنه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فيخر الصنم ساقطا مع انها كلها كانت مثبتة بالحديد والرصاص وكانت ثلثمائة وستين صنما بعدد ايام السنة قال وفي معنى الحق والباطل لعلماء التفسير اقوال قال قتادة جاء القران وذهب الشيطان وقال ابن جريج جاء الجهاد وذهب الشرك وقال مقاتل جاءت عبادة الله وذهبت عبادة الشيطان وقال ابن عباس وجد صلى الله عليه وسلم يوم الفتح حول البيت ثلاثمائة وستين صنما كانت لقبائل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكى البيت الى الله تعالى فقال اى رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحى الله تعالى اليه اني ساحدث لك توبة جديدة يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية قال ولما نزلت الاية يوم الفتح قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخصرتك ثم القها فجعل ياتي صنما صنما ويطعن في عينه او بطنه بمخصرته ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله عليه السلام حتى صعد ورمى به وكسره فجعل اهل مكة يتعجبون انتهى وعن ابن عباس قال لما قدم صلى الله عليه وسلم ابى ان يدخل البيت وفيه الالهة فامر بها فاخرجت فاخرجوا صورة ابرهيم واسمعيل في ايديهما الازلام يعني القداح التي كانوا يستقسمون بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم الله اما والله لقد علموا انهما لم يستقسما بهما قط فدخل البيت وكبر في نواحيه ولم يصل رواه الترمذي وعن ابن عمر قال اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح على ناقته القصوا وهو مردف اسامة حتى اناخ بفناء الكعبة ثم دعا عثمان بن ابي طلحة فقال ائتني بالمفتاح فذهب الى امه فابت ان تعطيه فقال والله لتعطينه او ليخرجن هذا السيف من صلبي فاعطته اياه فجاء به النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه اليه ففتح الباب رواه

وقف على معنى الحق والباطل في قوله تعالى جاء الحق وزهق الباطل

مسلم وروى الفاكهي من طريق ضعيفة عن ابن عمر ايضا قال كان بنو ابي طلحة يزعمون انه لا يستطيع احد فتح الكعبة غيرهم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح ففتحها بيده وعثمان المذكور هو عثمان بن طلحة بن ابي طلحة بن عبد العزى ويقال له الحجبي بفتح المهملة والجيم ويعرفون الآن بالشيبيين نسبة الى شيبة بن عثمان بن ابي طلحة وهو ابن عم عثمان وعثمان هذا لا ولد له وله صحبة ، ورواية واسم ام عثمان سلافه بضم السين المهملة والتخفيف والفا ، وفي الطبقات لابن سعد عن عثمان بن طلحة قال كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين ويوم الخميس فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوما يريد ان يدخل الكعبة مع الناس فاغلظت له ونلت منه فحلم عني ثم قال يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي اضعه حيث شئت فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت فقال بل عمرت وعزت يومئذ ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعا ظننت يومئذ ان الامر سيصير الى ما قال فلما كان يوم الفتح قال يا عثمان ائتني بالمفتاح فاتيته به فاخذه مني ثم دفعه الي وقال خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم يا عثمان ان الله استامنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف قال فلما وليت ناداني فرجعت اليه فقال الم يكن الذي قلت لك قال فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي اضعه حيث شئت قلت بلى اشهد انك رسول الله وفي التفسير ان هذه الآية ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي امره عليه السلام ان ياتيه بمفتاح الكعبة فابى عليه واغلق باب الكعبة وصعد الى السطح وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل صلى الله عليه وسلم البيت فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله هذه الآية وامر صلى الله عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك علي فقال اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال علي قد انزل الله في شانك قرآنا وقرا عليه الآية فقال عثمان اشهد ان محمدا رسول الله فجاء جبريل عليه السلام فقال ما دام هذا البيت او لبنة من لبناته قائمة فان المفتاح والسدانة في اولاد عثمان فكان المفتاح معه فلما مات دفعه الى اخيه شيبة فالمفتاح والسدانة في اولادهم الى يوم القيمة ، قال ابن ظفر في ينبوع الحيوة قوله لو اعلم انه رسول الله لم امنعه هذا وهم لانه كان ممن اسلم فلو قال هذا كان مرتدا ، وعن الكلبي لما طلب عليه السلام المفتاح من عثمان مد يده اليه فقال العباس يا رسول الله اجعلها مع السقاية فقبض

عثمان

عثمان يده بالمفتاح فقال له صلى الله عليه وسلم ان كنت يا عثمان تؤمن بالله واليوم الآخر فهاته فقال هاكه بالامانة فاعطاه اياه فنزلت الآية قال ابن ظفر وهذا اولى بالقبول ، وفي رواية لمسلم دخل صلى الله عليه وسلم هو واسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة الحجبي واغلقوا عليهم الباب قال ابن عمر فلما فتحوا كنت اول من ولج فلقيت بلالا فسالته هل صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم بين العمودين اليمانيين وذهب عني ان اساله كم صلى ، وفي احدى روايات البخاري جعل عمودا عن يساره وعمودا عن يمينه وثلاثة اعمدة وراءه وليس بين الروايتين مخالفة لكن قوله في الرواية الاخرى وكان البيت يومئذ على ستة اعمدة مشكل لانه يشعر بكون ما عن يمينه او يساره كان اثنين ولهذا عقبه البخاري برواية اسمعيل بن ابي اويس التي قال فيها عمودين عن يمينه ويمكن الجمع بين الروايتين بانه حيث ثنى اشار الى ما كان عليه البيت في زمنه صلى الله عليه وسلم وحيث افرد اشار الى ما صار اليه بعد ذلك ويرشد اليه قوله وكان البيت يومئذ لان فيه اشعارا بانه تغير عن هيئة الاولى ويحتمل ان يقال لم تكن الاعمدة الثلاثة على سمت والثالث على غير سمتهما ولفظ المتقدمين في احدى روايات البخاري مشعر به ، وفي رواية لمسلم جعل عمودين عن يساره وعمودا عن يمينه عكس رواية اسمعيل وكذلك قال الشافعي وبشر بن عمر وفي احدى الروايتين عنهما وجمع بعض المتاخرين بين هاتين الروايتين باحتمال تعدد الواقعة وهو بعيد لاتحاد مخرج الحديث وقد جزم البيهقي بترجيح رواية اسمعيل ووافقه عليها ابن القاسم والقعنبي وابو مصعب ومحمد بن الحسن وابو حذافة وكذلك الشافعي وابن مهدي في احدى الروايتين عنهما انتهى ملخصا من فتح الباري وقد بين موسى بن عقبة في روايته عن نافع ان بين موقفه صلى الله عليه وسلم وبين الجدار الذي استقبله قريبا من ثلاثة اذرع وجزم برفع هذه الزيادة مالك عن نافع فيما اخرجه الدارقطني في الغرائب ولفظه وصلى وبينه وبين القبلة ثلاثة اذرع وفي كتاب مكة للازرقي والفاكهي ان معاوية سال ابن عمر اين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اجعل بينك وبين الجدار ذراعين او ثلاثة فعلى هذا ينبغي لمن اراد الاتباع في ذلك ان يجعل بينه وبين الجدار ثلاثة اذرع فانه تقع قدماه في مكان قدميه صلى الله عليه وسلم ان كانت ثلاثة سواء ويقع ركبتاه او يداه او وجهه ان كان اقل من ثلاثة اذرع والله اعلم وفي رواية عن ابن عباس قال اخبرني اسامة انه عليه السلام لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل فيه حتى خرج فلما خرج ركع في قبل البيت ركعتين فقال هذه القبلة رواه مسلم والجمع

فتح على مدة اقامته صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة

سرية خالد بن الوليد

سرية عمرو بن العاص

بينه وبين حديث ابن اسامة اخبره ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى الكعبة
كما رواه احمد والطبرانى بان اسامة حيث اثبتها اعتمد فى ذلك على غيره وحيث نفاها
اراد ما فى علمه لكونه لم ير حين صلى ولكون ابن عمر ابتدأ بلالا بالسؤال ثم اراد زيادة
الاستثبات فى مكان الصلوة فسأل اسامة ايضا **قال النووى** وقد اجمع اهل
الحديث على الاخذ برواية بلال لانه مثبت فمعه زيادة علم فوجب ترجيحه ۰ قال واما
ما نفى اسامة فيشبه انهم لما دخلوا الكعبة اغلقوا الباب واشتغلوا بالدعاء ۰
فراى اسامة النبى صلى الله عليه وسلم يدعو ثم اشتغل اسامة فى ناحية من نواحى
البيت والنبى صلى الله عليه وسلم فى ناحية اخرى وبلال قريب منه ثم صلى النبى صلى
الله عليه وسلم فراه بلال لقربه منه ولم يره اسامة لبعده واشتغاله بالدعاء ۰
وكانت صلاته عليه السلام خفيفة فلم يرها اسامة لاغلاق الباب مع بعده واشتغاله
بالدعاء وجاز له نفيها عملا بظنه واما بلال فتحققها واخبر بها انتهى **وتعقبوه**
بما يطول ذكره واقرب ما قيل فى الجمع انه صلى الله عليه وسلم صلى فى الكعبة لما غاب
عنه اسامة من الكعبة لامر ندبه اليه وهو ان يأتى بما يمحو به الصور التى كانت
فى الكعبة فاثبت الصلوة بلال لرؤيته لها ونفاها اسامة لعدم رؤيته ۰ ويؤيده
ما رواه ابو داود والطيالسى عن اسامة بن زيد قال دخلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى الكعبة وراى صورا فدعا بدلو من ماء فاتيت به فجعل صلى الله عليه
وسلم يمحوها ويقول قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون ورجاله ثقاة **وافاد
الازرقى** فى تاريخ مكة ان خالد بن الوليد كان على باب الكعبة يذب عنه صلى الله
عليه وسلم الناس **وفى البخارى** انه صلى الله عليه وسلم اقام خمسة عشر ليلة ۰ وفى رواية
تسعة عشرة ليلة ۰ وفى رواية ابى داود سبع عشرة ۰ وعند الترمذى ثمان عشرة
وفى الاكليل اصحها بضع عشرة يقصر الصلوة ۰ وقال الفاسى فى تاريخ مكة وكان
فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان **ثم سرية خالد** بن الوليد عقب فتح
مكة الى العزى بنخلة وكانت لقريش وجميع بنى كنانة وكانت اعظم اصنامهم لخمس ليال
بقين من رمضان سنة ثمان ومعه ثلثون فارسا ليهدمها فلما انتهى اليها هدمها
ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فاخبره فقال هل رايت شيئا
قال لا قال فانك لم تهدمها فارجع اليها فاهدمها فرجع فجرد سيفه فخرجت اليه
امرأة عجوز عريانة سوداء ثائرة الراس فجعل السادن يصيح فيها فضربها خالد فجزلها
باثنين ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال نعم تلك العزى
وقد يئست ان تعبد ببلادكم ابدا **ثم سرية عمرو** بن العاص الى سواع صنم

هذيل

١٠١

هذيل على ثلاثة ليال من مكة فى شهر رمضان سنة ثمان حين فتح مكة قال عمرو
فانتهيت اليه وعنده السادن فقال لما تريد فقلت امرنى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان اهدمه قال لا تقدر على ذلك قلت لم قال تمنع فقلت ويحك وهل يسمع
او يبصر قال فدنوت منه فكسرته ثم قلت للسادن كيف رايت قال اسلمت لله
ثم سرية سعد بن زيد الاشهلى الى مناة صنم للاوس والخزرج بالمشلل فى شهر رمضان
حين فتح مكة فى عشرين فارسا حتى انتهى اليها قال السادن ما تريد قال هدم مناة
قال انت وذاك فاقبل سعد يمشى اليها فخرجت اليه امرأة عريانة ثائرة الراس تدعوا
بالويل وتضرب صدرها فضربها سعد بن زيد فقتلها واقبل الى الصنم ومعه
اصحابه فهدموه وانصرف راجعا الى النبى صلى الله عليه وسلم وكان ذلك لست
بقين من رمضان **ثم سرية خالد** بن الوليد الى بنى خذيمة قبيلة من عبد القيس اسفل
مكة على ليلة بناحية يلملم فى شوال سنة ثمان وهو يوم الغميصا بعثه عليه
السلام لما رجع من هدم العزى وهو صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة وبعث معه
ثلاثمائة وخمسين رجلا داعيا الى الاسلام لا مقاتلا فلما انتهى اليهم وقال ما انتم
قالوا مسلمين قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد فى ساحتنا ۰ **وفى البخارى**
لم يحسنوا ان يقولوا ذلك فقالوا صبأنا فقال لهم استأسروا فاستأسر القوم
فامر بعضهم فكتف بعضا وفرقهم فى اصحابه فلما كان السحر نادى منادى خالد من كان
معه اسير فليقتله فقتلت بنو سليم من كان فى ايديهم واما المهاجرون والانصار
فارسلوا اسراهم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال اللهم ابرأ اليكم
من فعل خالد وبعث عليا فودى لهم قتلاهم **قال الخطابى** يحتمل ان يكون خالد
نقم عليهم العدول عن لفظ الاسلام ولم ينقادوا الى الدين فقتلهم متأولا وانكر
عليه صلى الله عليه وسلم العجلة وترك التثبت فى امرهم قبل ان يعلم المراد من قولهم
صبأنا **ثم غزا صلى الله عليه وسلم** حنينا بالتصغير وهو واد قرب ذى المجاز
وقيل ماء بينه وبين مكة ثلاث ليال قرب الطائف وتسمى غزوة هوازن وذلك
ان النبى صلى الله عليه وسلم لما فرغ من فتح مكة وتمهيدها واسلم عامة اهلها
مشت اشراف هوازن وثقيف بعضهم الى بعض وحشدوا وقصدوا محاربة المسلمين
وكان رأسهم مالك بن عوف النصرى فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم السبت
لست ليال خلون من شوال فى اثنى عشر الفا من المسلمين عشرة الاف من اهل المدينة
والفان ممن اسلم من اهل مكة وهم الطلقا يعنى الذين خلى عنهم يوم فتح مكة واطلقهم
فلم يسترقهم واحدهم طليق فعيل بمعنى مفعول وهو الاسير اذا اطلق سبيله **واستعمل**

اى فضى الثنية والزم خالدا فى بنى سليم ١٢

صلى الله عليه وسلم على مكة عتاب بن اسيد وخرج معه صلى الله عليه وسلم
ثمانون من المشركين منهم صفوان بن امية وكان صلى الله عليه وسلم استعار
منه مائة درع بأداتها فوصل الى حنين ليلة الثلاثا لعشر ليال خلون من شوال
فبعث مالك بن عوف ثلاثة نفر يأتونه بخبر اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرجعوا اليه وقد تفرقت اوصالهم من الرعب ووجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم عبد الله بن حدرد الاسلمى فدخل عسكرهم فطاف به وجاء بخبرهم
وفى حديث سهل بن حنظلية عند ابى داود باسناد حسن انهم ساروا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاطنبوا السير فجاء رجل فقال انى انطلقت من بين ايديكم
حتى اتيت جبل كذا وكذا فاذا انا بهوازن عن بكرة ابيهم بظعنهم ونعمهم وشاءهم
اجتمعوا الى حنين فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين غدا ان
شاء الله تعالى وقوله عن بكرة ابيهم كلمة للعرب يريدون بها الكثرة وتوفر
العدد وليس هناك بكرة فى الحقيقة وهو الذى يستقى عليها الماء فاستعيرت
هنا وقوله بظعنهم اى نسائهم واحدها ظعينة واصل الظعينة الراحلة التى
ترحل ويظعن عليها اى يسار ، وقيل للمرأة ظعينة لانها تظعن مع زوجها
حيث ما ظعن ولانها تحمل على الراحلة اذا ظعنت ، وقيل الظعينة المرأة فى الهودج
ثم قيل للمرأة بلا هودج وللهودج بلا امرأة ظعينة انتهى وروى يونس بن
بكير فى زيادة المغازى عن الربيع قال قال رجل يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة
فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ركب صلى الله عليه وسلم بغلته
البيضاء دلدل ولبس درعين والمغفر والبيضة فاستقبلهم من هوازن ما لم يروا
مثله قط من السواد والكثرة وذلك فى غبش الصبح وخرجت الكتائب من مضيق
الوادى فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بنى سليم مولية وتبعهم اهل مكة
والناس ولم يثبت معه صلى الله عليه وسلم يومئذ الا العباس بن عبد المطلب
وعلى بن ابى طالب والفضل بن العباس وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب
وابو بكر وعمر واسامة بن زيد فى اناس من اهل بيته واصحابه قال العباس وانا
آخذ بلجام بغلته اكفها مخافة ان تصل الى العدو لانه صلى الله عليه وسلم
كان يتقدم فى نحر العدو وابو سفيان بن الحرث آخذ بركابه وجعل عليه الصلاة
والسلام يقول للعباس ناد يا معشر الانصار يا اصحاب الشجرة يعنى شجرة بيعة
الرضوان التى بايعوا تحتها ان لا يفروا عنه فجعل ينادى تارة يا اصحاب الشجرة
وتارة يا اصحاب سورة البقرة وكان العباس رجلا صيتا فلما سمع المسلمون نداء

وكان يسمع صوته من ثمانية اميال

العباس

العباس اقبلوا كانهم الابل اذا حنت الى اولادها وفى رواية لمسلم قال العباس فوالله
لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على اولادها يقولون يا لبيك يا لبيك
فتراجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ان الرجل منهم اذا لم يطاوعه بعيره
على الرجوع انحدر عنه وارسله ورجع بنفسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فامرهم عليه السلام ان يصدقوا الحملة فاقتتلوا مع الكفار فاشرف رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنظر الى قتالهم فقال الآن حمى الوطيس وهو التنور يخبز فيه يضرب
مثلا لشدة الحرب الذى يشبه حرها حره وهذا من فصيح الكلام الذى لم يسمع من
احد قبل النبى صلى الله عليه وسلم وتناول صلى الله عليه وسلم حصيات من الارض
ثم قال شاهت الوجوه اى قبحت ورمى بها فى وجوه المشركين فما خلق الله منهم انسانا
الا ملأ عينيه من تلك القبضة • وفى رواية لمسلم قبضة من تراب الارض فيحتمل انه
رمى بذا مرة وبالاخرى مرة ويحتمل ان يكون اخذ قبضة واحدة مخلوطة من حصى
وتراب • ولاحمد وابى داود والدارمى من حديث ابى عبد الرحمن الفهرى فى قصة
حنين قال فولى المشركون مدبرين كما قال الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا عبد الله ورسوله انا عبد الله ورسوله ثم اقتحم عن فرسه فاخذ كفا
من تراب قال فاخبرنى الذى كان ادنى اليه منى انه ضرب وجوههم وقال شاهت
الوجوه فهزمهم الله تعالى قال يعلى بن عطا راويه عن ابى همام عن ابى عبد الرحمن الفهرى
فحدثنى ابناؤهم عن آبائهم انهم قالوا لم يبق منا احد الا امتلأت عيناه وفمه ترابا وسمعنا
صلصلة من السماء كامرار الحديد على الطست الحديد الجديد ، قال فى النهاية وصف
الطست وهو مؤنث بالجديد وهو مذكر اما لان تأنيثها غير حقيقى فاوله على الاناء
والظرف ولان فعيلا يوصف به المؤنث بلا علامة تانيث كما يوصف به المذكر نحو
امرأة قتيل انتهى ولاحمد والحاكم من حديث ابن مسعود فحادت به صلى الله عليه
وسلم بغلته فمال السرج فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولنى كفا من تراب فضرب
وجوههم وامتلأت اعينهم ترابا وجاء المهاجرون والانصار سيوفهم بايمانهم
كانها الشهب فولى المشركون الادبار وروى ابو جعفر بن جرير بسنده عن عبد
الرحمن بن مولى عن رجل كان فى المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن واصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم
فى آثارهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا
قال فانهزمنا وركبوا اكتافنا ، وفى سيرة الدمياطى كان سيما الملائكة يوم حنين

عمايم حمرا رخوها بين اكتافهم ٥ وفي حديث جبير بن مطعم نظرت والناس يقتتلون
يوم حنين الى مثل البجاد الاسود يهوى من السماء والبجاد بالموحدة والجيم
آخره دال مهملة الكسا وجمعه بجدا رادا الملئكة الذين ايدهم الله بهم قاله
ابن الاثير وفي البخاري عن البرآء وساله رجل من قيس افررتم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر
كان هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على المغانم فاستقبلتنا
بالسهام ولقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضا وان اباسفيان
بن الحارث آخذ بزمامها وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وهذا فيه اشارة
الى ان صفة النبوة يستحيل معها الكذب فكانه قال انا النبي والنبي لا يكذب فلست
بكاذب فيما اقول حتى انهزم بل انا متيقن ان الذي وعدني الله به من النصر حق فلا يجوز
على الفرار ٥ واما ما في رواية مسلم عن سلمة ابن الاكوع من قوله فارجع منهزما
الى قوله مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزما فقال لقد راى ابن الاكوع
فزعا فقال العلماء قوله منهزما حال من ابن الاكوع كما صرح اولا بانهزامه ولم يرد ان
النبي صلى الله عليه وسلم انهزم وقد قالت الصحابة كلهم انه عليه الصلوة والسلام
ما انهزم ولم ينقل احد قطا انه انهزم في موطن من المواطن وقد نقلوا اجماع المسلمين على
انه لا يجوز ان يعتقد انهزامه صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ذلك عليه بل كان العباس
وابو سفيان بن الحارث آخذين ببغلته يكفانها عن اسراع التقدم الى العدو وقد تقدم
في غزوة احد ما نسب لابن المرابط من المالكية مما حكاه القاضي عياض في الشفاء
ان من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل
وان العلامة البساطي تعقبه بما لفظه هذا القائل ان كان يخالف في اصل المسئلة
يعني حكم الساب فله وجه وان وافق على ان الساب لا تقبل توبته فمشكل انتهى قال
بعضهم وقد كان ركوبه عليه السلام البغلة في هذا المحل الذي هو موضع الحرب
والطعن والضرب تحقيقا للنبوة لما كان الله خصه به من مزيد الشجاعة وتمام
القوة والا فالبغال عادة من مراكب الطمانينة ولا يصلح لمواطن الحرب في العادة الا
الخيل فبين عليه الصلوة والسلام ان الحرب عنده كالسلم قوة قلب وشجاعة نفس
وثقة وتوكلا على الله تعالى وقد ركبت الملئكة معه في الحرب عليه السلام
على الخيل لا غير لانها بصدد ذلك عرفا دون غيرها من المركوبات ولهذا لا يسهم في
الحرب الا للخيل والسر في ذلك انها المخلوقة للكر والفر بخلاف البغال والابل انتهى ٥
وعند ابن ابي شيبة من مرسل الحكم بن عيينة لم يبق معه عليه السلام الا اربعة نفر

ثلاثة

ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم علي والعباس بين يديه وابو سفيان ابن الحرث آخذ
بالعنان وابن مسعود من الجانب الآخر وليس يقبل نحوه احد الا قتل وفي الترمذي
باسناد حسن من حديث ابن عمر قال لقد رايتنا يوم حنين وان الناس لمولين وما
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة رجل وفي شرح مسلم للنووي انه ثبت
معه عليه السلام اثنى عشر رجلا وكانه اخذه من قول ابن اسحق ووقع في شعر
العباس بن عبد المطلب ان الذين ثبتوا كانوا عشرة فقط وذلك لقوله

٥ نصرنا رسول الله في الحرب تسعة ٥	٥ وقد فر من قد فر عنه فاقشعوا ٥
٥ وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه ٥	٥ لما مسه في الله لا يتوجع ٥

وقد قال الطبري الانهزام المنهي عنه هو ما وقع على غير نية العود واما الاستطراد
للكثرة فهو كالمتحيز الى فئة انتهى واما قوله عليه السلام انا النبي لا كذب انا ابن
عبد المطلب فقال العلماء انه ليس بشعر لان الشاعر انما سمي شاعرا لوجوه منها انه
شعر القول وقصده واهتدى اليه واتى به كلاما موزونا على طريقة العرب مقفا
فان خلا من هذه الاوصاف او بعضها لم يكن شعرا ولا يكون قائله شاعرا والنبي
صلى الله عليه وسلم لم يقصد بكلامه ذلك الشعر ولا اراده فلا يعد شعرا وان كان
موزونا واما قوله عليه السلام انا ابن عبد المطلب ولم يقل انا ابن عبد الله فاجيب
بان شهرته بجده كانت اكثر من شهرته بابيه لان اباه توفي في حياة عبد المطلب
قبل مولده عليه السلام وكان عبد المطلب مشهورا شهرة ظاهرة شايعة وكان
سيد قريش وكان كثير من الناس يدعوا النبي صلى الله عليه وسلم ابن عبد المطلب
ينسبونه الى جده لشهرته ومنه حديث ضمام بن ثعلبة في قوله ايكم ابن عبد
المطلب وقيل غير هذا ٥ وامر صلى الله عليه وسلم ان يقتل من قدر عليه وافضى المسلمون
في القتل الى الذرية فنهاهم عليه السلام عن ذلك وقال من قتل قتيلا له عليه بينة
فله سلبه واستلب ابو طلحة وحده ذلك اليوم عشرين رجلا ٥ وقال ابن القيم
في الهدى النبوي كان الله تعالى قد وعد رسوله انه اذا فتح مكة دخل الناس في دين
الله افواجا ودانت له العرب باسرها فلما تم الفتح المبين اقتضت حكمته ان امسك
قلوب هوازن ومن تبعها عن الاسلام وان يجمعوا ويتالبوا لحربه عليه السلام ليظهر
امره تعالى وتمام اعزازه لرسوله صلى الله عليه وسلم ونصره لدينه ولتكون
غنائمهم شكرانا لاهل الفتح وليظهر الله تعالى رسوله وعباده وقهره لهذه الشوكة
العظيمة التي لم يلق المسلمون قبلها مثلها ولا يقاومهم بعدها احد من العرب فاقتضت
حكمته سبحانه ان اذاق المسلمين اولا مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عددهم وعددهم

وقوة شوكتهم ليطامن رؤسا رُفعت بالفتح ولم تدخل بلده وحرمه كما دخل عليه
السلام واضعًا راسه منحنيًا على مركوبه متواضعا لربه وخضوعا لعظمته ان
احل له بلده ولم يحله لاحد قبله ولا لاحد بعده وليبين سبحانه لمن قال لن نغلب
اليوم من قلة ان النصر انما هو من عند الله تعالى وانه من ينصره فلا غالب له ومن
يخذله فلا ناصر له وانه سبحانه هو الذى تولى نصر رسوله ودينه لا كثرتكم
التى اعجبتكم فانها لم تغن عنكم شيئا فوليتم مدبرين فلما انكسرت قلوبهم ارسلت
خلع الجبر مع بريد انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم
تروها وقد اقتضت حكمته تعالى ان خلع النصر وجوائزه انما تفاض على اهل الانكسار
ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض قال وبها تبين الغزاتين اعنى حنينا و
بدرا قاتلت الملئكة بانفسها مع المسلمين ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجوه المشركين بالحصيا فيهما انتهى ٭ وامر صلى الله عليه وسلم بطلب العدو فانتهى
بعضهم الى الطائف وبعضهم نحو نخلة وقوم منهم الى اوطاس واستشهد من المسلمين
اربعة منهم ايمن بن ام ايمن وقتل من المشركين اكثر من سبعين قتيلا ثم سرية
ابى عامر الاشعرى وهو عم ابى موسى ٭ وقال ابن اسحق ابن عمه والاول اشهر بعثه
صلى الله عليه وسلم حين فرغ من حنين فى طلب الفارين من هوازن يوم حنين الى
اوطاس وهو واد فى ديار هوازن وكان معه سلمة بن الاكوع فانتهى اليهم فاذا هم
ممتنعون فقتل منهم ابو عامر تسعة اخوة مبارزة بعد ان دعا كلا منهم الى الاسلام
ويقول اللهم اشهد عليه ثم برز له العاشر فدعاه الى الاسلام وقال اللهم اشهد
عليه فقال اللهم لا تشهد على فكف عنه ابو عامر فافلت ثم اسلم بعد وحسن اسلامه
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راه يقول هذا شريد ابى عامر ورمى ابا عامر
ابناء الحارث العلاء واوفى فقتلاه فخلفه ابو موسى الاشعرى فقاتلهم حتى فتح الله
عليه وكان فى السبى الشيما اخته عليه السلام من الرضاعة وقتل قاتل ابى عامر
فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لابى عامر واجعله من اعلا امتى فى الجنة ٭
وفى البخارى قال يعنى اباعامر لابى موسى الاشعرى لما رمى بالسهم يا ابن اخى اقرأ النبى
صلى الله عليه وسلم السلام وقل له يستغفر لى ثم مات ورجعت فدخلت على النبى
صلى الله عليه وسلم فاخبرته بخبرنا وخبر ابى عامر وقوله قل له يستغفر لى فدعا
بماء فتوضأ ثم رفع يديه وقال اللهم اغفر لعبيدك ابى عامر ورايت بياض ابطه
ثم قال اللهم اجعله فوق كثير من خلقك فقلت ولى فقال اللهم اغفر لعبد الله بن
قيس ذنبه وادخله يوم القيمة مدخلا كريما قال ابو بردة احدهما لابى عامر والاخرى

فورد وبها تبين الغزاتين الى آخره هذه صريح فى ان الملئكة قاتلت يوم حنين وفيه رد على من خص قتال الملئكة بيوم بدر كما تقدم الرد من المؤلف على من خص بانها قاتلت يوم احد ايضا ٭ ه ٭

سرية ابى عامر الاشعرى

سرية الطفيل بن عمرو الدوسى

لابى موسى ثم سرية الطفيل بن عمرو الدوسى الى ذى الكفين صنم من خشب كان
لعمرو بن حممة فى شوال لما اراد عليه السلام السير الى الطائف ليهدمه ويوافيه بالطائف
فخرج سريعا فهدمه وجعل يحشوا النار فى وجهه ويحرقه ٭ ويقول

٭ يا ذا الكفين لست من عبادكا ٭ ميلادنا اقدم من ميلادكا ٭
٭ انى حشوت النار فى فؤادكا ٭ وانحدر معه من قومه اربعمائة سراعا

فوافوا النبى صلى الله عليه وسلم بالطائف بعد مقدمه باربعة ايام وعند مغلطاى
وقدم معه اربعة مسلمون ثم غزوة الطائف وهى بلد كبير على ثلاث مراحل
او اثنين من مكة من جهة المشرق كثيرة الاعناب والفواكه وقيل ان اصلها ان جبريل
عليه السلام اقتلع الجنة التى كانت لاصحاب الصريم فسار بها الى مكة فطاف بها
حول البيت ثم انزلها حيث الطائف فسمى الموضع بها وكانت اولا بنواحى صنعا واسم
الارض وج بتشديد الجيم وسار اليه النبى صلى الله عليه وسلم فى شوال سنة
ثمان حين خرج من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة وقدم خالد بن الوليد على مقدمته
وكانت ثقيف لما انهزموا من اوطاس دخلوا حصنهم بالطائف واغلقوه عليهم بعد
ان ادخلوا فيه ما يصلحهم لسنة وتهيؤا للقتال وسار صلى الله عليه وسلم
فمر فى طريقه بقبر ابى رغال وهو ابو ثقيف فيما يقال فاستخرج منه غصنا من ذهب
ونزل قريبا من الحصن وعسكر هناك فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا كانه رجل جراد
حتى اصيب ناس من المسلمين بجراحة وقتل منهم اثنى عشر رجلا فيهم عبد الله بن امية
ورمى عبد الله بن ابى بكر الصديق يومئذ بجرح فاندمل ثم نقض عليه بعد ذلك فمات
منه فى خلافة ابيه وارتفع صلى الله عليه وسلم الى موضع مسجد الطائف اليوم
وكان معه من نسائه ام سلمة وزينب فضرب لهما قبتين وكان يصلى بين القبتين حصار
الطائف كله فحاصرهم ثمانية عشر يوما ويقال خمسة عشر يوما ونصب عليهم المنجنيق
وهو اول منجنيق رمى به فى الاسلام وكان قدم به الطفيل الدوسى معه لما رجع من سريته
ذى الكفين فرمتهم ثقيف بالنبل فقتل منهم رجال فامر صلى الله عليه وسلم بقطع اعنابهم
وتحريقها فقطع المسلمون ذريعا ثم سالوه ان يدعها لله وللرحم فقال عليه السلام
انى ادعها لله وللرحم ثم نادى مناديه عليه السلام ايما عبد نزل من الحصن وخرج الينا
فهو حر قال الدمياطى فخرج منهم بضع عشرة رجلا فيهم ابو بكرة ٭ وعند مغلطاى ثلاثة
وعشرون عبدا ٭ وفى البخارى عن عثمان النهدى قال سمعت سعدا وابا بكرة عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال عاصم لقد شهد عندى رجلان اما احدهما فاول من رمى
بسهم فى سبيل واما الآخر فنزل الى النبى صلى الله عليه وسلم ثالث ثلاثة وعشرين

غزوة الطائف

وثقيف اسم رجل طلات من ملوك الحمير فسمى ذلك البنآء المحيط لاولاده وسكن به قديما ٭ ه ٭

من الطائف الحديث واعتق صلى الله عليه وسلم من نزل منهم ودفع كل رجل منهم
الى رجل من المسلمين يمونه فشق ذلك على اهل الطائف مشقة شديدة ولم يؤذن له
صلى الله عليه وسلم في فتح الطائف وامر عمر بن الخطاب فاذن في الناس بالرحيل
فضج الناس من ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح علينا الطائف فقال عليه السلام فاغدوا
على القتال فاصاب المسلمين جراحات فقال صلى الله عليه وسلم انا قافلون ان شاء
الله تعالى فسروا بذلك واذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يضحك قال النووي قصد صلى الله عليه وسلم الشفقة عليهم والرفق بالرحيل
عن الطائف لصعوبة امره وشدة الكفار الذين فيه وتقويهم بحصنهم مع انه صلى
الله عليه وسلم علم او رجا انه سيفتحه بعد هذا بلا مشقة فلما حرص الصحابة على
المقام والجهاد اقام وجد في القتال فلما اصابتهم الجراح رجع الى ما كان قصده اولا
من الرفق بهم ففرحوا بذلك لما راوا من الشفقة الظاهرة ووافقوا على الرحيل فضحك
صلى الله عليه وسلم تعجبا من تغير رأيهم • وفقئت عين ابي سفيان صخر بن حرب يومئذ
فذكر ابن سعد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له وهي في يده ايما احب اليك عين
في الجنة او ادعو الله ان يردها عليك قال بل عين في الجنة ورمى بها وشهد اليرموك
فقتل • وفقئت عينه الاخرى يومئذ ذكره الحافظ زين الدين العراقي في شرح التقريب
وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه قولوا لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر
عبده وهزم الاحزاب وحده فلما ارتحلوا قال قولوا آيبون تائبون عابدون لربنا
حامدون فانظر كيف كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج للجهاد يعتد لذلك بجمع
اصحابه واتخاذ الخيل والسلاح وما يحتاج اليه من آلات الجهاد والسفر ثم اذا رجع
عليه السلام يتعرى من ذلك ويرد الامر كله لمولاه عز وجل لا لغيره بقوله آيبون
تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب
وحده وانظر الى قوله عليه السلام وهزم الاحزاب وحده فنفى صلى الله عليه
وسلم ما تقدم ذكره وهذا هو معنى الحقيقة لان الانسان وفعله خلق لربه عز
وجل فهو لله سبحانه وتعالى الذي خلق ودبر واعان واجرى الامور على يد من شاء
ومن اختار من خلقه فكل منه واليه ولو شاء الله ان يبيد اهل الكفر من غير قتال
لفعل قال تعالى ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض فيثيب الله
سبحانه وتعالى الصابرين ويجزل الثواب للشاكرين قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم
المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم فعلى المكلف الامتثال في الحالتين اي
امتثال تعاطي الاسباب والرجوع الى المولى والسكون اليه بساحة كرمه كما كان

صلى الله عليه وسلم يأتي الاسباب قولا تأدبا مع الربوبية وتشريعا للامة ثم يظهر
الله على يديه ما يشاء من قدرته الغامضة التي ادخرها له عليه السلام قاله ابن الحاج
في المدخل ولما قيل له يا رسول الله ادع على ثقيف فقال اللهم اهد ثقيفا وأت بهم وكان
عليه السلام قد امر ان يجمع السبي والغنائم مما افاء الله على رسوله يوم حنين فجمع ذلك
كله الى الجعرانة فكان بها الى ان انصرف عليه السلام من الطائف وكان السبي ستة
الآف راس والابل اربعة وعشرون الف بعير والغنم اكثر من اربعين الف شاة واربعة
الآف اوقية فضة واستأنى صلى الله عليه وسلم اي انتظر وتربص بهوازن ان
يقدموا عليه مسلمين بضع عشرة ثم بدأ يقسم الاموال فقسمها • وفي البخاري
وطفق صلى الله عليه وسلم يعطي رجالا المائة من الابل فقال ناس من الانصار يغفر
الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم
قال انس فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالتهم فارسل الى الانصار فجمعهم
في قبة من ادم ثم قال لهم اما ترضون ان تذهب الناس بالاموال وتذهبون بالنبي
صلى الله عليه وسلم الى رحالكم فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا
يا رسول الله قد رضينا وعن جبير بن مطعم قال بينما انا مع النبي صلى الله عليه
وسلم ومعه الناس مقفلة من حنين علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم
الاعراب حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اعطوني ردائي فلو كان لي عدد هذه العضاة نعما لقسمته بينكم ثم
لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا وذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي عن ابن عباس
انه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف نزل الجعرانة فقسم بها
الغنائم ثم اعتمر منها وذلك لليلتين بقيتا من شوال قال ابن سيد الناس وهذا
ضعيف والمعروف عند اهل السير ان النبي صلى الله عليه وسلم انتهى الى الجعرانة
ليلة الخميس لخمس ليال خلون من ذي القعدة فاقام بها ثلاث عشرة ليلة فلما اراد
الانصراف الى المدينة خرج ليلة الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة ليلا
واحرم بعمرة ودخل مكة وفي تاريخ الازرقي عن مجاهد انه عليه السلام احرم من
وراء الوادي حيث الحجارة المنصوبة وعند الواقدي من المسجد الاقصى الذي تحت
الوادي بالعدوة القصوى من الجعرانة وكان مصلاه عليه السلام اذ كان بالجعرانة
والجعرانة موضع بينه وبين مكة بريد كما قاله الفاكهي وقال الباجي ثمانية عشر
ميلا وسمي بامرأة تلقب بالجعرانة كما ذكره السهيلي قالوا وقدم صلى الله عليه وسلم
المدينة وقد غاب عنها شهرين وستة عشر يوما وبعث صلى الله عليه وسلم قيس

بن سعد بن عبادة الى ناحية اليمن فى اربعمائة فارس وامره ان يقاتل قبيلة صدآء حين
مروره عليهم فى الطريق فقدم زياد بن الحرث الصدائى فسأل عن ذلك البعث فاخبر فقال
يا رسول الله انا وافدهم فاردد الجيش وانا لك بقومى فردهم النبى صلى الله عليه
وسلم من قناة وقدم الصدائيون بعد خمسة عشر يوما فاسلموا ويأتى قصة وفودهم
فى الفصل العاشر من المقصد الثانى ان شاء الله تعالى **وبعث عيينة بن حصن
الفزارى** الى بنى تميم بالسقيا وهى ارض بنى تميم فى المحرم سنة تسع فى خمسين فارسا
من العرب ليس فيهم مهاجرى ولا انصارى فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم
فى صحرا فدخلوا وسرحوا مواشيهم فلما راوا الجمع ولوا فاخذوا منهم احد عشر
رجلا ووجدوا فى المحلة احدى عشرة امرأة وثلاثين صبيا فقدم منهم عشرة من
رؤسائهم منهم عطارد الزبرقان وقيس بن عاصم والاقرع بن حابس فجاؤا الى
باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد اخرج الينا فخرج صلى الله عليه
وسلم واقام بلال الصلاة وتعلقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه فوقف
معهم ثم مضى فصلى الظهر ثم جلس فى صحن المسجد فقدموا عطارد بن حاجب فتكلم
وخطب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس فاجابهم
ونزل فيهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية ورد عليهم صلى الله عليه
وسلم الاسرى والسبى **وفى البخارى** عن عبد الله بن الزبير انه قدم ركب من بنى تميم
على النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امر القعقاع بن سعد بن زرارة قال عمر
بل امر الاقرع بن حابس قال ابو بكر ما اردت الا خلافى قال عمر ما اردت خلافك
فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزل فى ذلك يا ايها الذين امنوا لا تقدموا حتى
انقضت اى لا تقدموا القضاء فى امر قبل ان يحكم الله ورسوله فيه ولما نزل
لا ترفعوا اصواتكم اقسم ابو بكر لا يتكلم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا كأخى السرار صاحبه فنزل فيه وفى امثاله ان الذين يغضون اصواتهم عند
رسول الله الآية **ثم بعث الوليد بن عقبة** بن ابى معيط الى بنى المصطلق من
خزاعة يصدقهم وكان بينه وبينهم عداوة فى الجاهلية وكانوا قد اسلموا وبنوا
المساجد فلما سمعوا بدنو الوليد خرج منهم عشرون رجلا يتلقونه بالجزر والغنم
فرحا به وتعظيما لله ورسوله فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فرجع من الطريق
قبل ان يصلوا اليه واخبر النبى صلى الله عليه وسلم انهم لقوه بالسلاح يحولون
بينه وبين الصدقة فهم صلى الله عليه وسلم ان يبعث عليهم من يغزوهم وبلغ
ذلك القوم فقدم عليه الركب الذين لقوا الوليد فاخبروا النبى صلى الله عليه وسلم

الخبر

الخبر على وجهه فنزلت هذه الآية يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا الى
آخر الآية فقرأ عليهم صلى الله عليه وسلم القرآن وبعث معهم عباد بن بشر يأخذ صدقات
اموالهم ويعلمهم شرايع الاسلام ويقرئهم القرآن **وفى شرف** المصطفى للنيسابورى
مما ذكره مغلطاى انه عليه الصلاة والسلام بعث عبد الله بن عوسجه الى بنى عمرو
بن حارثة وقيل حارثة بن عمرو قال وهو الاصح فى مستهل صفر يدعوهم الى الاسلام
فابوا ان يجيبوا واستخفوا بالصحيفة فدعا عليهم صلى الله عليه وسلم بذهاب
العقل فهم الى اليوم اهل رعدة وعجلة وكلام مختلط **ثم سرية قطبة بن عامر**
بن حديدة الى خثعم قريبا من تربة بفتح الراء من اعمال مكة سنة تسع وبعث معه
عشرين رجلا وامره ان يشن الغارة عليهم فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثر الجرحى
فى الفريقين جميعا وقتل قطبة من قتل وساقوا النعم والشاء والنساء الى المدينة
وكانت سهمانهم اربعة ابعرة والبعير يعدل بعشرة من الغنم بعد ان اخرج الخمس
ثم سرية الضحاك بن سفيان الكلابى فى ربيع الاول سنة تسع الى القرطا
فدعاهم الى الاسلام فابوا فقاتلوهم فهزموهم وغنموهم **ثم سرية علقمة بن
مجزز المدلجى** الى الحبشة فى ربيع الآخر وقال الحاكم فى صفر سنة تسع وذكر ابن
سعد ان سبب ذلك انه بلغه صلى الله عليه وسلم ان ناسا من الحبشة تراآهم
اهل جدة فبعث اليهم علقمة بن مجزز فى ثلاثمائة فانتهى الى جزيرة فى البحر فلما خاض
البحر اليهم هربوا فلما رجع تعجل بعض القوم الى اهليهم فامر عبد الله بن حذافة
على من تعجل وكانت فيه دعابة فنزلوا ببعض الطريق واوقدوا نارا يصطلون عليها
فقال عزمت عليكم الا تواثبتم فى هذه النار فلما هم بعضهم بذلك قال اجلسوا انما
كنت امزح فذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال من امركم بمعصية فلا
تطيعوه **ورواه** الحاكم وابن ماجه وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث ابى سعيد
الخدرى وبوب عليه البخارى فقال سرية عبد الله بن حذافة السهمى وعلقمة
بن مجزز المدلجى ويقال انها سرية الانصارى **ثم** روى عن على قال بعث النبى
صلى الله عليه وسلم سرية **واستعمل** رجلا من الانصار وامرهم ان يطيعوه فغضب
فقال أليس قد امركم النبى صلى الله عليه وسلم ان تطيعونى قالوا بلى قال فاجمعوا
حطبا فجمعوا فقال اوقدوا فاوقدوها فقال ادخلوها فهموا وجعل بعضهم يمسك
بعضا ويقولون فررنا الى النبى صلى الله عليه وسلم من النار فما زالوا حتى خمدت النار
فسكن غضبه فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فقال لو دخلوها ما خرجوا منها قال
الحافظ ابو الفضل بن حجر فى قوله ويقال انها سرية الانصار اشار الى احتمال تعدد

القصة وهو الظاهر لاختلاف سياقهما واسم اميرها ويحتمل الجمع بينهما بضرب من
التاويل يبعده وصف عبد الله بن حذافة السهمى القرشى المهاجرى لكونه انصاريا
ويحتمل ان يكون الحمل على المعنى الاعم اى انه نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى الجملة والى التعدد جنح ابن القيم واما ابن الجوزى فقال قوله من الانصار وهم
من بعض الرواة وانما هو سهمى قال فى فتح البارى ويؤيده حديث ابن عباس عند
احمد فى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر
منكم نزلت فى عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بعثه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى سرية انتهى وقال النووى وهذا الذى فعله هذا الامير قيل اراد
امتحانهم وقيل كان مازحا وقيل ان هذا الرجل عبد الله بن حذافة السهمى قال
وهذا ضعيف لانه قال فى الرواية التى بعدها انه رجل من الانصار فدل على انه غيره
انتهى ثم سرية على بن ابى طالب الى الفلس بضم الفاء وسكون اللام وهو صنم طى
ليهدمه فى ربيع الآخر سنة تسع وبعث معه مائة وخمسين رجلا من الانصار على
مائة بعير وخمسين فرسا وعند ابن سعد مائتى رجل فهدمه وغنم سبيا ونعما وشاء
وكان فى السبى سفانة بنت حاتم اخت عدى بن حاتم فاطلقها النبى صلى الله عليه
وسلم فكان ذلك سبب اسلام عدى وعند ابن سعد ايضا ان الذى كان سباها
خالد بن الوليد رضى الله عنه ثم سرية عكاشة بن محصن الى الجباب ارض
عذرة وبلى وقيل ارض فزارة وكلب ولعذرة فيها شركة قصة كعب بن زهير
مع النبى صلى الله عليه وسلم وكانت فيما بين رجوعه عليه الصلوة والسلام من
الطائف وغزوة تبوك وكان من خبر كعب واخيه بجير ما ذكره ابن اسحق وعبد الملك
بن هشام وابو بكر محمد بن القاسم بن يسار الانبارى دخل حديث بعضهم فى حديث
بعض ان بجيرا قال لكعب اثبت حتى اتى هذا الرجل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم
فاسمع كلامه واعرف ما عنده فاقام كعب ومضى بجير فاتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسمع كلامه فآمن به وذلك ان زهيرا فيما زعموا كان يجالس اهل
الكتاب فسمع منهم انه قد آن مبعثه صلى الله عليه وسلم ورأى زهير فى منامه
انه قد مد سبب من السماء وانه مد يده ليتناوله ففاته فاوله بالنبى صلى الله
عليه وسلم الذى يبعث فى آخر الزمان وانه لا يدركه واخبر بنيه بذلك واوصاهم
ان ادركوه ان يسلموا قال ابن اسحق ولما قدم صلى الله عليه وسلم من الطائف كتب
بجير بن زهير الى اخيه كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالا بمكة
ممن كان يهجوه وان من بقى من شعراء قريش ابن الزبعرى وهبيرة بن ابى وهب

قد هربوا فى كل وجه فان كانت لك فى نفسك حاجة فطر الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانه لا يقتل احدا جاءه تائبا وان انت لم تفعل فانج الى نجائك وكان كعب قد قال

الا ابلغا عنى بجيرا رسالة … فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
فبين لنا ان كنت لست بفاعل … على اى شئ غير ذلك دلكا
على خلق لم تلف اما ولا ابا … عليه ولا تلفى عليه اخا لكا
فان انت لم تفعل فلست بآسف … ولا قائل اما عثرت لعا لكا
سقاك بها المامون كأسا روية … فانهلك المأمون منها وعلكا

قال السهيلى لعا كلمة تقال للعاثر دعاء له انتهى قال ابن اسحق وبعث بها الى بجير
فلما اتت بجيرا كره ان يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشده اياها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سقاك بها المامون صدق وانه لكذوب وانا المامون
ولما سمع على خلق لم تلف اما ولا ابا قال اجل لم يلف عليه اباه ولا امه ثم قال عليه
السلام من لقى منكم كعب بن زهير فليقتله فكتب الى اخيه كعب بهذه الابيات

فمن مبلغ كعبا فهل لك فى التى … تلوم عليها باطلا وهى احزم
الى الله لا العزى ولا اللات وحده … فتنجوا اذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجوا وليس بمفلت … من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شئ دينه … ودين ابى سلمى على محرم

ولما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الارض واشفق على نفسه وارجف به من كان
فى حاضره من عدوه فقال هو مقتول ولما لم يجد من شئ بدا قال القصيدة التى يمدح
فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر خوفه وارجاف الوشاة به من عدوه
ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة فغدا
به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقم اليه واستأمنه فقام حتى جلس الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده فى يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يعرفه فقال يا رسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستامنك تائبا مسلما
فهل انت قابل منه ان انا جئتك به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعم قال انا يا رسول الله كعب بن زهير قال ابن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة
انه وثب عليه رجل من الانصار فقال يا رسول الله دعنى وعدو الله اضرب عنقه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه عنك فقد جاء تائبا نازعا قال فغضب
كعب على هذا الحى من الانصار لما صنع صاحبهم وذلك انه لم يتكلم فيه رجل
من المهاجرين الا بخير ثم قال قصيدته اللامية التى اولها

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول … متيم اثرها لم يُفْدِ مكبول
انبئت ان رسول الله اوعدني … والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي اعطاك نافلة … القران فيه مواعيظ وتفصيل
لا تأخذني باقوال الوشاة ولم … اُذْنِب ولو كثرت فيّ الاقاويل
ان الرسول لنور يُستضاء به … مهند من سيوف الله مسلول
في عصبة من قريش قال قائلهم … ببطن مكة لما اسلموا زُولوا
يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم … ضرب اذا عرّد السود التنابيل

وفي رواية ابي بكر الانباري انه وصل الى قوله

ان رسول الله لنور يستضاء به … مهند من سيوف الله مسلول

رمى عليه الصلاة والسلام بردة كانت عليه وان معاوية بذل له فيها عشر الآف فقال ما كنت لاُوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته بعشرين الفا فاخذها منهم قال وهي البردة التي عند السلاطين الى اليوم وقال ابن اسحق قال عاصم بن عمر بن قتادة فلما قال كعب اذا عرّد السود التنابيل وانما عنى معشر الانصار لما كان صاحبهم صنع وخص المهاجرين بمدحة غضب عليه الانصار فقال بعد ان اسلم يمدح الانصار قصيدته التي يقول فيها

من سره كرم الحياة فلا يزل … في مقنب من صالح الانصار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر … ان الخيار هم بنو الاخيار
المكرمين السمهري باذرع … كسوالف الهندي غير قصار
والناظرين باعين محمرة … كالجمر غير كليلة الابصار
والبايعين نفوسهم لنبيهم … للموت يوم تعانق وكرار
يتطهرون يرونه نسكا لهم … بدماء من علقوا من الكفار
قوم اذا خوت النجوم فانهم … للطارقين النازلين مقاري

وقد كان كعب بن زهير من فحول الشعراء وابوه وابنه عقبة وابن ابنه العوام بن عقبة

غزوة تبوك

غزوة تبوك مكان معروف وهو نصف طريق المدينة الى دمشق وهي غزوة العُسرة وتعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها وكانت يوم الخميس في رجب سنة تسع من الهجرة بلا اخلاف وذكر البخاري لها بعد حجة الوداع لعله خطأ من النساخ وكان حرا شديدا وجدبا كثيرا فلذلك لم يورّ عنها كعادته في سائر الغزوات وفي تفسير عبد الرزاق عن معمر عن ابن عقيل قال خرجوا في قلة من الظهر وفي حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء

فكان

فكان ذلك عُسرة في الماء في الظهر وفي النفقة فسميت غزوة العسرة وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم من الانباط الذين يقدمون بالزيت من الشام الى المدينة ان الروم تجمعت بالشام مع هرقل فندب صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج واعلمهم بالمكان الذي يريد ليتأهبوا لذلك وروى الطبراني من حديث عمران بن حصين قال كانت نصارى العرب تكتب الى هرقل ان هذا الرجل الذي خرج يدعي النبوة هلك واصابتهم سنون فهلكت اموالهم فبعث رجلا من عظمائهم وجهز معه اربعين الفا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن للناس قوة وقد كان عثمان جهز عيرا الى الشام فقال يا رسول الله هذه مائتا بعير باقتابها واحلاسها ومائتا اوقية قال فسمعته يقول لا يضر عثمان ما عمل بعدها وروى عن قتادة انه قال حمل عثمان في جيش العسرة على الف بعير وسبعين فرسا وعن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان بن عفان بالف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره صلى الله عليه وسلم فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم خرجه الترمذي وقال حسن غريب وعند الفضائلي والملا في سيرته كما ذكره الطبراني في الرياض النضرة من حديث حذيفة بعث عثمان يعني في جيش العُسرة بعشرة الآف دينار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصبت بين يديه فجعل صلى الله عليه وسلم يقول بيده ويقلبها ظهرا لبطن ويقول غفر الله لك يا عثمان ما اسررت وما اعلنت وما هو كائن الى يوم القيمة ما يبالي ما عمل بعدها ولما تأهب صلى الله عليه وسلم للخروج قال قوم من المنافقين لا تنفروا في الحر فنزل قوله تعالى وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون وارسل عليه السلام الى مكة وقبائل العرب يستنفرهم وجاء البكاؤون يستحملونه فقال عليه الصلاة والسلام لا اجد ما احملكم عليه وهم سالم بن عمير وعلبة بن زيد وابو ليلى عبد الرحمن بن كعب المازني والعرباض بن سارية وهرم بن عبد الله وعمرو بن عنمة وعبد الله بن مغفل وعبد الله بن عمرو المزني وعمرو بن الحمام ومعقل المزني وحضرمي بن مازن والنعمان بن سويد ومعقل وعقيل وسنان وعبد الرحمن وهند بنو مقرن وهم الذين قال الله فيهم تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون قاله مغلطاي وفي البخاري عن ابي موسى قال ارسلني اصحابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اسئله الحملان لهم فقلت يا نبي الله ان اصحابي ارسلوني اليك لتحملهم فقال والله لا احملكم على شيء فرجعت حزينا

اي اثابه الله تعالى بحفظه من عمل ثم اخذ به لا انه اذا عمل سوء … يغفر له … ولا اثم

قف على اسماء الذين جاءوا يستحملونه فقال لا اجد ما احملكم عليه

من منع النبى صلى الله عليه وسلم ومن مخافة ان يكون النبى صلى الله عليه وسلم
وجد فى نفسه على فرجعت الى اصحابى فاخبرتهم الذى قال النبى صلى الله عليه وسلم
فلم البث الا سويعة اذ سمعت بلالا ينادى اين عبد الله بن قيس فاجبته فقال اجب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فلما اتيته فقال خذ هاتين القرينتين وهاتين
القرينتين لستة ابعرة ابتاعهم حينئذ من سعد فانطلق بهم الى اصحابك فقال
ان الله او ان رسول الله يحملكم على هؤلاء فاركبوهن الحديث وقام علبة بن زيد
فصلى من الليل وبكى وقال اللهم انك قد امرت بالجهاد ورغبت فيه ثم لم تجعل عندى
ما اتقوى به مع رسولك ولم تجعل فى يد رسولك ما يحملنى عليه وانى اتصدق على كل
مسلم بكل مظلمة اصابتنى فى مال او جسد او عرض ثم اصبح مع الناس فقال النبى
صلى الله عليه وسلم اين المتصدق بهذه الليلة فلم يقم احد ثم قال اين المتصدق
بهذه الليلة فلم يقم احد ثم قال اين المتصدق فليقم فقام اليه فاخبره فقال صلى الله
عليه وسلم ابشر فو الذى نفس محمد بيده لقد كتبت فى الزكوة المتقبلة رواه يونس
والبيهقى فى الدلائل كما ذكره السهيلى فى الروض له وجاء المعذرون من الاعراب
ليؤذن لهم فى التخلف فاذن لهم وهم اثنان وثمانون رجلا وقعد آخرون من المنافقين
بغير عذر واظهار علة جراة على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهو قوله
تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة
قال الدمياطى وهو عندنا اثبت ممن قال استخلف غيره انتهى وقال الحافظ زين الدين
العراقى فى ترجمة على بن ابى طالب من شرح التقريب لم يتخلف عن المشاهد الا تبوك فان النبى
صلى الله عليه وسلم خلفه على المدينة وعلى عياله وقال له يومئذ انت منى بمنزلة
هرون من موسى الا انه لا نبى بعدى وهو فى الصحيحين من حديث سعد بن ابى وقاص
انتهى ورجحه ابن عبد البر وقيل استخلف سباع بن عرفطة وتخلف نفر من المسلمين
من غير سبب ولا ارتياب منهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية
وفيهم نزل وعلى الثلاثة الذين خلفوا وابو ذر وابو خيثمة ثم لحقاه بعد ذلك
ولما راى عليه السلام اباذر الغفارى وكان عليه السلام نزل فى بعض الطريق فقال
يمشى وحده ويعيش وحده ويموت وحده فكان كذلك وامر صلى الله عليه وسلم
لكل بطن من الانصار والقبائل من العرب ان يتخذوا لواء وراية وكان معه عليه السلام
ثلاثون الفا وعند ابى زرعة سبعون الفا وفى رواية ايضا عنه اربعون الفا
وكانت الخيل عشرة آلاف فرس ولما مر عليه الصلوة والسلام بالحجر بكسر الحاء
وسكون الجيم ديار ثمود قال لا تشربوا من مائها شيئا ولا يخرجن احد منكم الا ومعه

صاحبه

صاحب له ففعل الناس الا ان رجلين من بنى ساعدة خرج احدهما لحاجته وخرج الآخر
فى طلب بعيره فاما الذى خرج لحاجته فخنق على مذهبه واما الذى خرج فى طلب بعيره
فاحتملته الريح حتى طرحته بجبل طى فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال الم انهكم ثم دعا للذى خنق على مذهبه فشفى واما الآخر فاهدته طى
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وفى صحيح مسلم من حديث
ابى حميد قال انطلقنا حتى قدمنا تبوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقم احد منكم فمن كان له بعير فليشد عقاله
فهبت ريح شديدة فقام رجل فحملته الريح حتى القته بجبل طى وروى الزهرى
لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر سجى ثوبه على وجهه واستحث راحلته ثم قال
لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا انفسهم الا وانتم باكون خوفا ان يصيبكم رواه الشيخان
ولما كان عليه السلام ببعض الطريق ضلت ناقته فقال زيد بن اللصيت وكان
منافقا اليس محمد يزعم انه نبى ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدرى اين ناقته
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول وذكر مقالته وانى والله
لا اعلم الا ما علمنى الله وقد دلنى الله عليها وهى فى الوادى فى شعب كذا وكذا قد
حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تاتونى بها فانطلقوا فجاؤا بها روى
البيهقى وابو نعيم وفى مسلم من حديث معاذ بن جبل انهم وردوا عين تبوك وهى
تبض بشئ من ماء وانهم غرفوا منها قليلا قليلا حتى اجتمع فى شن ثم غسل صلى
الله عليه وسلم به وجهه ويديه ثم اعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس
الحديث ويأتى ان شاء الله فى مقصد المعجزات ولما انتهى صلى الله عليه وسلم
الى تبوك اتاه صاحب ايلة فصالحه واعطاه الجزية واتاه اهل جربا بالجيم واذرح
بالذال المعجمة والراء والحاء المهملتين بلدين بالشام بينهما ثلاثة ايام فاعطوا
الجزية وكتب لهم صلى الله عليه وسلم كتابا ووجه هرقل بحمص فارسل خالد
بن الوليد الى اكيدر بن عبد الملك النصرانى وكان ملكا عظيما بدومة الجندل
فى اربعمائة وعشرين فارسا فى رجب سرية وقال له عليه السلام انك ستجده
ليلا يصيد البقر فانتهى اليه خالد وقد خرج من حصنه فى ليلة مقمرة الى بقر
يطاردها هو واخوه حسان فشدت عليه خيل خالد فاستاسر اكيدر وقتل اخاه
حسان وهرب من كان معهما فدخل الحصن ثم اجار خالد اكيدر من القتل حتى ياتى
به رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يفتح له دومة الجندل ففعل وصالحه
على الفى بعير وثمانمائة فرس واربعمائة رمح وفى هذه الغزوة كتب صلى الله عليه

وسلم كتابا فى تبوك الى هرقل يدعوه الى الاسلام فقارب الاجابة ولم يجب رواه ابن حبان فى صحيحه من حديث انس **وفى مسند احمد** ان هرقل كتب من تبوك الى النبى صلى الله عليه وسلم انى مسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم كذب هو على نصرانية **وفى كتاب** الاموال لابى عبيدة بسند صحيح من مرسل بكر بن عبد الله نحوه ولفظه فقال كذب عدو الله ليس بمسلم **ثم انصرف** صلى الله عليه وسلم من تبوك بعد ان اقام بها بضع عشرة ليلة • وقال الدمياطى ومن قبله ابن سعد عشرين ليلة يصلى بها ركعتين ولم يلق كيدا • وبنى فى طريقه مساجد **واقبل عليه السلام** حتى نزل بذى اوان بفتح الهمزة بلفظ الاوان الحين وبينها وبين المدينة ساعة جاءه خبر مسجد الضرار من السماء فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدى العجلانى فقال انطلقا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدماه وحرقاه فخرجا فحرقاه وهدماه وذلك بعد ان انزل الله فيه والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا الآية • قال الواحدى قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة اهل التفسير الذين اتخذوا مسجد الضرار كانوا اثنى عشر رجلا يضارون به مسجد قبا وذلك انهم قالوا فى طائفة من المنافقين نبنى مسجدا فنقيل فيه فلا نحضر خلف محمد قال المفسرون ولما بنوا ذلك لاغراضهم الفاسدة عند ذهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك قالوا يا رسول الله بنينا مسجدا لذى العلة والليلة المطيرة ونحن نحب ان تصلى فيه وتدعو لنا بالبركة فقال عليه السلام انى على جناح سفر فاذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سالوه اتيان المسجد فنزلت هذه الآية ولما دنى صلى الله عليه وسلم من المدينة خرج الناس لتلقيه وخرج النساء والصبيان **والولائد يقلن** طلع البدر علينا من ثنيات الوداع • وجب الشكر علينا ما دعا لله داع • وقد وهم بعض الرواة كما قدمته وقال انما كان هذا عند مقدمه المدينة وهو وهم ظاهر لان ثنيات الوداع انما هى من ناحية الشام لا يراها القادم من مكة الى المدينة ولا يراها الا اذا توجه الى الشام كما تقدم ذلك **وفى البخارى** لما رجع صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك فدنا من المدينة فقال ان بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم العذر وهذا يؤيد معنى ما روى نية المؤمن خير من عمله فان نية هؤلاء ابلغ من اعمالهم فانها بلغت بهم مبلغ اولئك العاملين بابدانهم وهم على فرشهم فى بيوتهم والمسابقة الى الله والى الدرجات العلا ابلغ من النيات والهمم لا بمجرد الاعمال **ولما اشرف صلى الله عليه وسلم** على المدينة قال هذه طابة وهذا احد جبل يحبنا ونحبه ولما دخل قال له العباس يا رسول

الله اتاذن لى ان امدحك قال قل لا يفضض الله فاك **فقال**

من قبلها طبت فى الظلال وفى • مستودع حين يخصف الورق •
ثم هبطت البلاد لا بشر • انت ولا مضغة ولا علق •
بل نطفة تركب السفين وقد • الجم نسرا واهله الغرق •
تنقل من صالب الى رحم • اذا مضى عالم بدا طبق •
وردت نار الخليل مكتتما • فى صلبه انت كيف يحترق •
حتى احتوى بيتك المهيمن من • خندف علياء تحتها النطق •
وانت لما ولدت اشرقت الارض • وضاءت بنورك الافق •
فنحن فى ذلك الضياء وفى • النور وسبل الرشاد نخترق •
وعاليا قدرك الرفيع وفى • معناك حسنا يميله النسق •
فذا انيتك والقوام اذا • غصنا رطيبا قوامك الرشق •
ووجهك البدر ان يضئ ومن • شعرك الليل يحلك الغسق •
اضاء منك الوجود نور سنا • وفاح مسكا ونشرك العبق •

وقوله من قبلها طبت الى آخره فى ظلال الجنة اى انك كنت طيبا فى صلب ادم حيث كان فى الجنة **وقوله** من قبلها اى من قبل نزولك الى الارض فكنى عنها ولم يتقدم لها ذكر لبيان المعنى • وقوله ثم هبطت البلاد لا بشر اى لما اهبط الله ادم الى الدنيا كنت فى صلبه غير بالغ هذه الاشياء • وقوله وقد الجم نسرا واهله الغرق يريد الصنم الذى يعبده قوم نوح وهو المذكور فى قوله تعالى ولا يغوث ويعوق ونسرا • وقوله حتى احتوى بيتك المهيمن الى آخره النطق جمع نطاق وهى اعراض من جبال بعضها فوق بعض اى نواح واوساط منها شبهت بالنطق التى يشد بها اوساط الناس ضربت مثلا فى ارتفاعه وتوسطه فى عشيرته وجعلهم تحته بمنزلة اوساط الجبال واراد ببيته شرفه والمهيمن نعته اى احتوى شرفك الشاهد على فضلك اعلا مكان من نسب خندق وهو بكسر الخاء المعجمة والدال المهملة انتهى **وجاءه** صلى الله عليه وسلم من كان تخلف عنه تخلفوا له فعذرهم واستغفر لهم وارجأ امر كعب وصاحبيه حتى نزلت توبتهم فى قوله تعالى لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم • وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم • والثلاثة هم كعب بن مالك

وهلال بن امية ، ومرارة بن ربيعه ، والله اعلم وعند البيهقي في الدلائل من
مرسل سعيد بن المسيب ان ابا لبابة لما اشار لبني قريظة بيده الى حلقه انه الذبح
فاخبر عنه صلى الله عليه وسلم احسبت ان الله غفل عن يدك حين تشير اليهم
بها الى حلقك فلبث حينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عاتب عليه ثم غزا
تبوكا فتخلف عنه ابو لبابة فيمن تخلف فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم
منها جاء ابو لبابة يسلم عليه فاعرض عنه صلى الله عليه وسلم ففزع ابو لبابة
فارتبط بسارية التوبة سبعا وقال لا يزال هذا مكاني حتى افارق الدنيا او يتوب
الله علي الحديث وعنده ايضا من حديث ابن عباس في قوله تعالى وآخرون
اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا ، قال كانوا عشرة رهط تخلفوا عن النبي صلى
الله عليه وسلم في غزوة تبوك فلما رجع صلى الله عليه وسلم اوثق سبعة منهم
انفسهم بسواري المسجد وكان ممر النبي صلى الله عليه وسلم اذ رجع في المسجد
عليهم فقال من هؤلاء قالوا هذا ابو لبابة واصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله
حتى تطلقهم وتعذرهم قال اقسم بالله لا اطلقهم حتى يكون الله هو الذي يطلقهم
رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو فانزل الله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا فلما
نزلت رسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فاطلقهم وعذرهم الحديث قالوا
ولما قدم عليه السلام من تبوك وجد عويمر العجلاني امرأته حبلى فلاعن عليه السلام
بينهما ثم حجة ابو بكر الصديق رضي الله عنه بالناس سنة تسع في ذي القعدة
كما ذكره ابن سعد وغيره بسند صحيح عن مجاهد ووافقه عكرمه بن خالد
فيما اخرجه الحاكم في الاكليل وقال قوم في ذي الحجة وبه قال الداودي والثعلبي
والماوردي ويؤيده ان ابن اسحق صرح بان النبي صلى الله عليه وسلم اقام
بعد ما رجع من تبوك رمضان وشوالا وذا القعدة ثم بعث ابا بكر اميرا على الحج
فهو ظاهر في ان بعث ابي بكر كان بعد انسلاخ ذي القعدة فيكون حجه في ذي
الحجة على هذا والله اعلم وكان مع ابي بكر ثلاثمائة رجل من المدينة وعشرون
بدنة ، وفي البخاري ومسلم عن ابي هريرة ان ابا بكر بعثه في ذي الحجة التي امره
صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم النحر ان لا يحج
بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان قال ثم اردف النبي صلى الله عليه وسلم
بعلي بن ابي طالب وامره ان يؤذن ببراءة فاذن معلنا في اهل منى ببراءة وان لا يحج
بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان قال فنبذ ابو بكر الى الناس في ذلك
العام القابل الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك

بذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم صح

فانزل

فانزل الله تعالى في العام الذي نبذ فيه ابو بكر الى المشركين يا ايها الذين امنوا انما
المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا الآية وقد دلت هذه الآية
الكريمة على نجاسة المشرك كما في الصحيح المؤمن لا ينجس واما نجاسة بدنه فالجمهور
على انه ليس بنجس البدن والذات وذهب بعض الظاهرية الى نجاسة ابدانهم وهذا
ضعيف لان اعيانهم لو كانت نجسة كالكلب والخنزير لما طهرهم الاسلام ولا استوى
في النهي عن دخول المشركين المسجد الحرام وغيره من المساجد فالمراد الاجتناب لما
فيهم من خبث الظاهر بالكفر وخبث الباطن بالعداوة قاله مقاتل وروى النسائي
عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة الجعرانة بعث ابا بكر على
الحج واقبلنا معه حتى اذا كنا بالعرج ثوب بالصبح فلما استوى للتكبير سمع الرغوة
خلف ظهره فوقف عن التكبير فقال هذه رغوة ناقة رسول الله صلى الله عليه
وسلم الجدعا لقد بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الحج فلعله ان يكون رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنصلي معه فاذا علي عليها فقال له ابو بكر امير ام رسول
قال لا بل رسول ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة اقرأها على الناس
في مواقف الحج فقدمنا مكة فلما كان قبل التروية بيوم قام ابو بكر فخطب الناس
فحدثهم عن مناسكهم حتى اذا فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها ثم خرجنا
معه حتى اذا كان يوم عرفة قام ابو بكر فخطب الناس فعلمهم مناسكهم حتى اذا
فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها ثم كان يوم النحر فافضنا فلما رجع ابو بكر
خطب الناس فحدثهم عن افاضتهم وعن نحرهم وعن مناسكهم فلما فرغ قام علي
فقرأ على الناس براءة حتى ختمها فلما كان يوم النفر الاول قام ابو بكر فخطب الناس
فحدثهم كيف ينفرون وكيف يرمون فلما فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها
وهذا السياق فيه غرابة من جهة ان امير الحاج سنة عمرة الجعرانة انما هو
عتاب بن اسيد فاما ابو بكر رضي الله عنه فانما كان سنة تسع واستدل بهذه
القصة على ان فرض الحج كان قبل حجة الوداع والاحاديث في ذلك شهيرة كثيرة
وذهب جماعة الى ان حج ابي بكر هذا لم يسقط عنه الفرض بل كان تطوعا قبل
فرض الحج ولا يخفى ضعفه وفي هذه السنة مات عبد الله بن ابي بن سلول فجاء
ابنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ان يعطيه قميصه يكفن فيه اباه
فاعطاه ثم سأله ان يصلي عليه فقام ليصلي عليه فقام عمر فاخذ بثوب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي
عليه فقال صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله عز وجل قال استغفر لهم او

لنجاسة الميتة لموت قلوبهم بالكفر وتطهرها بالاسلام كالدابغ لجلود الميتة ، مه

لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسأزيد على السبعين
قال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل
ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا
وهم فاسقون رواه الشيخان والنسائي وفي هذه السنة ايضا آلى صلى الله عليه وسلم
من نسائه شهرا وجحش شقه اي خدش وجلس في مشربة له درجها من جذوع
فاتاه اصحابه يعودونه فصلى بهم جالسا وهم قيام فلما سلم قال انما جعل الامام
ليؤتم به فاذا صلى قائما فصلوا قياما وان صلى قاعدا فصلوا قعودا ولا تركعوا
حتى يركع ولا ترفعوا حتى يرفع ونزل لتسع وعشرين فقالوا يا رسول الله انك آليت
شهرا فقال ان الشهر يكون تسعا وعشرين ثم بعث ابو موسى ومعاذ الى اليمن قبل
حجة الوداع كل واحد منهما على مخلاف قالوا واليمن مخلافان ثم قال يسرا ولا
تعسرا وبشرا ولا تنفرا، وقال لمعاذ انك ستاتي قوما اهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم
الى ان يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فانهم اطاعوا لك بذلك
فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم
اطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم اموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين
الله حجاب رواه البخاري والمخلاف بكسر الميم وسكون المعجمة وآخره فاء بلغة اهل
اليمن الكورة والاقليم والرستاق وكانت جهة معاذ العليا الى صوب عدن وكان
من عمل الجند بفتح الجيم والنون وله بها مسجد مشهور وكانت جهة ابي موسى السفلى
ثم ارسل خالد بن الوليد قبل حجة الوداع ايضا في ربيع الاول سنة عشر، وفي
الاكليل في ربيع الآخر، وقيل في جمادى الاولى الى بني عبد المدان قبيلة بنجران
فاسلموا ثم ارسل علي بن ابي طالب الى اليمن في شهر رمضان سنة عشر من الهجرة
وعقد له لواء وعممه بيده واخرج ابو داود واحمد والترمذي من حديث علي
قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلت يا رسول الله تبعثني الى قوم
اسن مني وانا حديث السن لا ابصر القضاء قال فوضع يده في صدري وقال اللهم
ثبت لسانه واهد قلبه وقال يا علي اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى
تسمع من الآخر الحديث فخرج في ثلاثمائة فارس ففرق اصحابه فاتوا بنهب وغنائم
ونساء واطفال ونعم وشاء وغير ذلك ثم لقي جمعهم فدعاهم الى الاسلام فابوا
ورموا بالنبل ثم حمل عليهم علي باصحابه فقتل منهم عشرين رجلا فتفرقوا وانهزموا
فكف عن طلبهم ثم دعاهم الى الاسلام فاسرعوا واجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم
على الاسلام ثم قفل فوافى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قد قدمها للحج سنة عشر

ثم حج

ثم حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وتسمى حجة الاسلام وحجة البلاغ وكره ابن
عباس ان يقال حجة الوداع وكان صلى الله عليه وسلم قد اقام بالمدينة يضحي كل
عام ويغزو المغازي فلما كان في ذي القعدة سنة عشر من الهجرة اجمع على الخروج
الى الحج، قال ابن سعد ولم يحج غيرها منذ تنبأ الى ان توفاه الله تعالى وفي البخاري
عن زيد بن ارقم ان النبي صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة وانه حج بعد
ما هاجر حجة واحدة لم يحج بعدها حجة الوداع، قال وقال ابن اسحق وبمكة
اخرى، وقيل حج بمكة حجتين هذا بعد النبوة وقبلها لا يعلمه الا الله فخرج صلى
الله عليه وسلم من المدينة يوم السبت لخمس ليال بقين من ذي القعدة، وجزم
ابن حزم بان خروجه كان يوم الخميس، وفيه نظر لان اول ذي الحجة كان يوم الخميس
قطعا لما ثبت وتواتر ان وقوفه بعرفة كان يوم الجمعة فتعين ان اول الشهر كان
يوم الخميس ولا يصح ان يكون خروجه يوم الخميس بل ظاهر الخبران يكون يوم
الجمعة لكن ثبت في الصحيحين عن انس صلينا مع النبي صلى الله عليه وسلم
الظهر بالمدينة اربعا والعصر بذي الحليفة ركعتين فدل على ان خروجهم لم يكن
يوم الجمعة ويحمل قول من قال لخمس بقين اي ان كان الشهر ثلاثين فاتفق ان جاء
تسعا وعشرين فيكون يوم الخميس اول ذي الحجة بعد مضي اربع ليال لا لخمس
وبها تتفق الاخبار هكذا جمع الحافظ عماد الدين بن كثير الروايات، وقوى
هذا الجمع بقول جابر انه خرج لخمس بقين من ذي القعدة او اربع، وصرح الواقدي
بان خروجه عليه السلام كان يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة، وكان
خروجه من المدينة بين الظهر والعصر وكان دخوله مكة صبح رابعة كما ثبت
في حديث عائشة وذلك يوم الاحد وهذا يؤيد ان خروجه من المدينة كان
يوم السبت كما تقدم فيكون مكثه في الطريق ثمان ليال وهي المسافة الوسطى
وخرج معه عليه السلام تسعون الفا ويقال مائة الف واربعة عشر الف
ويقال اكثر من ذلك كما حكاه البيهقي ويأتي الكلام على حجة الوداع وما فيها
من المباحث في مقصد العبادات ان شاء الله تعالى ثم سرية اسامة بن زيد
بن حارثة الى اهل ابنا بالسراة ناحية بالبلقا وكانت يوم الاثنين لاربع ليال بقين
من صفر سنة احدى عشرة وهي آخر سرية جهزها النبي صلى الله عليه وسلم
واول شيء جهزه ابو بكر الصديق رضي الله عنه لغزو الروم مكان قتل ابيه زيد فلما
كان يوم الاربعاء بدأ برسول الله وجعه فحم وصدع فلما اصبح يوم الخميس عقد لاسامة
لواء بيده فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بريدة الاسلمي وعسكر بالجرف فلم يبق احد

قف على انه صلى الله عليه وسلم كان وقفه يوم الجمعة

قف على عدة الصحابة الذي خرجوا معه في حجة الوداع

من وجوه المهاجرين والانصار الا انتدب فيهم ابو بكر وعمر فتكلم قوم وقالوا يستعمل
هذا الغلام على المهاجرين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عصب رأسه
وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس ما مقالة
بلغتني عن بعضكم في تاميري اسامة ولئن طعنتم في امارتي اسامة لقد طعنتم في
امارتي ابيه من قبله وايم الله ان كان للامارة لخليقا وان ابنه من بعده لخليق
للامارة وان كان لمن احب الناس الي فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم ثم نزل
عن المنبر فدخل بيته وكان ذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الاول سنة
احدى عشرة وجاء المسلمون الذين يخرجون مع اسامة يودعون رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويخرجون الى العسكر بالجرف فلما كان يوم الاحد اشتد برسول
الله صلى الله عليه وسلم وجعه فدخل اسامة من معسكره والنبي صلى الله عليه
وسلم مغمور وهو اليوم الذي لدوه فيه فطاطا اسامة فقبله ورسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يتكلم فجعل يرفع يديه الى السماء ثم يضعهما على اسامة قال
اسامة فعرفت انه يدعو لي ورجع اسامة الى معسكره ثم دخل يوم الاثنين واصبح
صلى الله عليه وسلم مفيقا فودعه اسامة وخرج الى معسكره فامر الناس بالرحيل
فبينا هو يريد الركوب اذا رسول امه ام ايمن قد جاءه يقول ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يموت فاقبل هو وعمر وابو عبيدة فتوفي عليه الصلاة والسلام حين
زاغت الشمس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول **واستشكل السهيلي**
ومن تبعه وذلك انهم اتفقوا على ان ذي الحجة كان اوله يوم الخميس فمهما فرضت
الشهور الثلاثة تواما او نواقص او بعضها لم يصح **قال الحافظ** ابن حجر وهو ظاهر
لمن تامله **واجاب** البارزي ثم ابن كثير باحتمال وقوع الاشهر الثلاثة كوامل
وكان اهل مكة والمدينة اختلفوا في رؤية هلال ذي الحجة فراه اهل مكة ليلة الخميس
ولم يره اهل المدينة الا ليلة الجمعة فحصلت الوقفة برؤية اهل مكة ثم رجعوا
الى المدينة فارخوا برؤية اهلها فكان اول ذي الحجة الجمعة وآخره السبت واول
المحرم الاحد وآخره الاثنين واول صفر الثلاثا وآخره الاربعا واول ربيع الاول
الخميس فيكون ثاني عشره الاثنين قال وهذا الجواب بعيد من حيث انه يلزم منه توالي
اربعة اشهر كوامل **وقد جزم سليمان التيمي** احد الثقاة بان ابتداء مرضه صلى الله
عليه وسلم كان يوم السبت الثاني والعشرين من صفر ومات يوم الاثنين لليلتين
خلتا من ربيع الاول فعلى هذا يكون صفر ناقصا ولا يمكن ان يكون اول صفر السبت
الا ان كان ذو الحجة والمحرم ناقصين فيلزم منه نقص ثلاثة اشهر متوالية قال

والمعتمد

والمعتمد ما قاله ابو مخنف انه توفي في ثاني ربيع الاول **وكان** سبب غلط غيره انهم
قالوا مات في ثاني شهر ربيع الاول فغيرت فصارت ثاني عشر واستمر الوهم بذلك يتبع
بعضهم بعضا من غير تامل انتهى **ثم ان وفاته عليه السلام** يوم الاثنين
من ربيع الاول بلا خلاف بل كاد يكون اجماعا لكن في حديث ابن مسعود في حادي عشر
رمضان رواه البزار والمعتمد ما تقدم والله اعلم وسياتي ان شاء الله تعالى حديث
الوفاة الشريفة في المقصد الاخير **ولما** توفي عليه السلام دخل المسلمون الذين عسكروا
بالجرف الى المدينة ودخل بريدة بلواء اسامة معقودا حتى اتى به باب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فغرزه عند بابه فلما بويع ابو بكر الصديق رضي الله عنه
امر بريدة ان يذهب باللواء الى بيت اسامة ليمضي لوجهه فمضى به الى معسكرهم
الاول وخرج اسامة هلال ربيع الآخر سنة احدى عشرة الى اهل ابنا فشن عليهم
الغارة فقتل من اشرف له وسبى من قدر عليه وحرق منازلهم ونخلهم وقتل قاتل
ابيه في الغارة ثم رجع الى المدينة ولم يصب احد من المسلمين **وخرج** ابو بكر في المهاجرين
واهل المدينة يتلقونه سرورا والله اعلم فجميع سراياه وبعوثه نحو ستين ومغازيه سبع وعشرين

المقصد الثاني

في ذكر اسمائه الشريفة المنبئة عن كمال صفاته المنيفة • وذكر اولاده الكرام الطاهرين •
وازواجه الطاهرات امهات المؤمنين • واعمامه وعماته • واخوته من الرضاعة •
وجداته • وخدمه • ومواليه • وحرسه • وكتابه • وكتبه الى اهل الاسلام في الشرايع
والاحكام • ومكاتباته الى الملوك وغيرهم من الانام • وآلات حروبه • ودوابه • والوافدين
اليه صلى الله عليه وسلم **وفيه** عشرة فصول **الفصل الاول** في ذكر اسمائه
المنبئة عن كمال صفاته المنيفة **واعلم** ان الاسماء جمع اسم وهو كلمة وضعته
العرب بازاء مسمى متى اطلقت فهم منها ذلك المسمى فعلى هذا لا بد من مراعات
اربعة اشياء الاسم والمسمى بفتح الميم والمسمي بكسرها والتسمية فالاسم هو
اللفظ الموضوع على الذات لتعريفها او تخصيصها عن غيرها كلفظ زيد والمسمى
هو الذات المقصود تمييزها بالاسم كشخص زيد والمسمي هو الواضع لذلك اللفظ
والتسمية هي اختصاص ذلك اللفظ بتلك الذات والوضع تخصيص لفظ بمعنى
اذا اطلق او احس فهم ذلك المعنى • واختلفوا هل الاسم عين المسمى او غيره وهي مسئلة
طويلة تكلم فيها الناس قديما وحديثا فذهب قوم الى ان الاسم عين المسمى
واستدلوا عليه بقوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى والتسبيح انما هو للرتجل
وعلا فدل على ان اسمه هو هو **واجيب** بانه اشرب معنى سبح اذكر فكانه قال

البيضاوي وبعضهم الخلاف لفظي لانهم ان ارادوا المفهوم فهو عينه وان ارادوا اللفظ فهو غيره ولا ينبغي اطلاق القول فيه انتهى ملخصا

اذكر اسم ربك الاعلى كقوله تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وقد اشرب
معنى اذكر سبح عكس الاول قال تعالى واذكر ربك كثيرا اى سبح ربك والاشراب
جار فى لغتهم يشربون معنى فعل فعلا واستشكل على معنى كونه هو المسمى اضافته
اليه فانه يلزم منه اضافة الشئ الى نفسه واجيب بان الاسم هنا بمعنى
بمعنى التسمية والتسمية غير الاسم لان التسمية هى اللفظ بالاسم والاسم هو
اللازم للمسمى فتغايرا واحتج من قال ان الاسم عين المسمى ايضا بقوله تعالى بغلام
اسمه يحيى ثم قال يا يحيى خذ الكتاب بقوة فنادى الاسم فدل على انه المسمى وجوابه
بان المعنى يا ايها الغلام الذى اسمه يحيى ولو كان الاسم عين المسمى لكان من
قال احترق لسانه ومن قال العسل ذاق حلاوته وكثرة الاسماء تدل على شرف
المسمى وقد سمى الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم باسماء كثيرة فى القران
العظيم وغيره من الكتب السماوية وعلى السنة انبيائه عليهم السلام ثم ان اشهر
اسمائه صلى الله عليه وسلم محمد وبه سماه جده عبد المطلب وذلك انه لما قيل
له ما سميت ولدك قال محمد فقيل كيف سميته باسم ليس لاحد من ابائك وقومك
فقال انى ارجو ان يحمده اهل الارض كلهم وذلك لرؤيا كان راها عبد المطلب كما
ذكر حديثها على القيروانى العابر فى كتابه البستان قال كان عبد المطلب قد راى
فى المنام كان سلسلة من فضة خرجت لها طرف فى السماء وطرف فى المشرق وطرف
فى المغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور واذا اهل المشرق والمغرب
كانهم يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه اهل المشرق
واهل المغرب ويحمده اهل السماء والارض فلذلك سماه محمدا مع ما حدثته به
امه آمنة حين قال لها الملك انك حملت بسيد هذه الامة فاذا وضعتيه فسميه
محمدا وعن ابن عباس قال لما ولد النبى صلى الله عليه وسلم عق عنه عبد المطلب
وسماه محمدا فقيل له يا ابا الحارث ما حملك على ان سميته محمدا ولم تسمه باسم
ابائك قال اردت ان يحمده الله فى السماء ويحمده الناس فى الارض وعن محمد بن
جبير بن مطعم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى اسماء
انا محمد وانا احمد وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وانا الحاشر الذى يحشر
الناس على قدمى وانا العاقب رواه الشيخان وقد روى عن قدمى بتخفيف الياء
بالافراد وبالتشديد على التثنية قال النووى فى شرح مسلم معنى الروايتين
يحشرون على اثرى وزمانى ورسالتى وفى رواية نافع بن جبير عند البخارى
فى تاريخه الصغير والاوسط والحاكم فى مستدركه وصححه وابو نعيم فى الدلائل

وابن سعد انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال تحصى اسماء رسول الله صلى الله عليه
وسلم التى كان جبير بن مطعم يعدها قال نعم هى ستة فذكر الخمسة التى ذكرها محمد
بن جبير وزاد الخاتم وفى حديث حذيفه احمد • ومحمد • والحاشر • والمقفى • ونبى الرحمة •
ولفظ رواية ابى نعيم هى ستة محمد • واحمد • وخاتم • وحاشر • وعاقب • وماحى •
فاما حاشر فبعث مع الساعة نذيرا لكم بين يدى عذاب شديد • واما عاقب فانه
اعقب الانبياء • واما ماح فان الله عز وجل محا به سيئات من اتبعه • وذكر بعضهم
ان العدد ليس من قول النبى صلى الله عليه وسلم وانما ذكره الراوى بالمعنى وفيه
نظر لتصريحه فى الحديث ان لى خمسة اسماء والذى يظهر انه اراد ان لى خمسة
اسماء اختص بها لم يتسم بها احد قبلى او مشهورة فى الامم الماضية لا انه اراد
الحصر فيها • وبهذا يجاب عن الاستشكال الوارد وهو ان المقرر فى علم المعانى ان
تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر ولكن ورود الروايات بما هو اكثر يدل على انه
ليس حصرا مطلقا فالطريق فى ذلك ان يحمل على حصر مقيد كما ذكر والله اعلم
وروى النقاش عنه عليه السلام لى فى القران سبعة اسماء محمد • واحمد • ويس •
وطه • والمزمل • والمدثر • وعبد الله • وقد جاءت من القابه صلى الله عليه وسلم
وسماته فى القران عدة كثيرة وقد تعرض جماعة لتعدادها وبلغوا بها عددا
مخصوصا فمنهم من بلغ تسعة وتسعين موافقة لعدد اسماء الله الحسنى
الواردة فى الحديث قال القاضى عياض وقد خصه تعالى بان سماه من اسمائه
الحسنى بنحو من ثلاثين اسما • وقال ابن دحيه فى كتابه المستوفى اذا فحص عن جملتها
من الكتب المتقدمة والقرآن والحديث وفى الثلاثمائة انتهى ورايت فى كتاب احكام
القران للقاضى ابى بكر بن العربى قال بعض الصوفية لله تعالى الف اسم وللنبى صلى
الله عليه وسلم الف اسم انتهى والمراد الاوصاف فكل الاسماء التى وردت اوصاف
مدح واذا كان كذلك فله صلى الله عليه وسلم من كل وصف اسم ثم ان منها ما هو
مختص به او الغالب عليه • ومنها ما هو مشترك وكل ذلك بين بالمشاهدة لا يخفى
واذا جعلنا له من كل وصف من اوصافه اسما بلغت اوصافه ما ذكر بل اكثر
والذى رايته فى كلام شيخنا فى القول البديع والقاضى عياض فى الشفاء وابن
العربى فى القبس والاحكام له وابن سيد الناس وغيرهم يزيد على الاربعمائة وقد
سردتها مرتبة على حروف المعجم وهى ا الآمر بالله • الابطحى • اتقى الناس • الاجود •
اجود الناس • الاحد • الاحسن • احسن الناس • احد • احيد بضم اوله وكسر
المهملة ثم ياء تحتانية • الآخذ بالحجزات • آخذ الصدقات • الآخر • الاخشى لله •

قف عدد اسمائه
صلى الله عليه وسلم

اذن خير • ارجح الناس عقلا • ارحم الناس بالعيال • الازهر وهو النيّر المشرق الوجه •
اشجع الناس • الاصدق في الله • اطيب الناس ريحا • الاعز • الاعلى • الاعلم بالله •
اكثر الناس تبعا • الاكرم • اكرم الناس • اكرم ولد ادم • المص • امام الخير • امام الرسل •
امام المتقين • امام النبيين • الامام • الآمر • الآمن • آمنة اصحابه • الامين • الامي •
انعم الله • الاول • اول شافع • اول المسلمين • اول مشفع • اول المؤمنين • اول
من تنشق الارض • ب البر • البارقليط • الباطن • البرهان • بشير •
بشرى عيسى • البشير • البصير • البليغ • بالغ البيان • البينة ت التالي
التذكرة • التقي • التنزيل • التهامي • ث ثاني اثنين ج الجبار • الجد • الجواد •
جامع • ح حاتم • حزب الله • الحاشر • الحافظ • الحاكم بما اراه الله • الحامد •
حامل لواء الحمد • الحائد لامته عن النار • الحبيب • حبيب الرحمن • حبيب الله •
الحجازي • الحجة • الحجة البالغة • حجة الله على الخلائق • حرز الاميين • الحرمي •
حريص • الحريص على الايمان • الحسيب • الحفيظ • الحق • الحكيم • الحليم • حماد •
حمطايا او قال حمياطا • حمعسق • حفي • الحمد • الحنيف خ الخبير • خاتم النبيين •
خاتم المرسلين • الخاتم • الخازن لمال الله • الخاشع • الخاضع • الخالص • خطيب
الانبياء • خطيب الامم • خطيب الوافدين على الله • الخليل • خليل الرحمن •
خليل الله • الخليفة • خير الانبياء • خير البرية • خير خلق الله • خير العالمين
طرا • خير الناس • خير هذه الامة • خيرة الله د دار الحكمة • الداعي الى الله •
دعوة ابراهيم • دعوة النبيين • دليل الخيرات ذ الذاكر • الذكر • ذكر
الله • ذو الحوض المورود • ذو الخلق العظيم • ذو الصراط المستقيم • ذو القوة •
ذو مكانة • ذو عزة • ذو فضل • ذو المعجزات • ذو المقام المحمود • ذو الوسيلة •
ر الراضع • الراضي • الراغب • الرافع • راكب البراق • راكب البعير • راكب الجمل •
راكب الناقة • راكب النجيب • الرحمة • رحمة الامة • رحمة العالمين • رحمة مهداة •
الرحيم • الرسول • رسول الراحة • رسول الرحمة • رسول الله • رسول الملاحم
الرشيد • الرفيع الذكر • رافع الرتب • رفيع الدرجات • الرقيب • روح الحق •
روح القدس • الرؤف • ركن المتواضعين ز الزاهد • زعيم الانبياء • الزكي •
الزمزمي • زين من في القيمة س السائق • السابق بالخيرات • سابق العرب •
الساجد • سبيل الله • السراج المنير • الصراط المستقيم • السعيد • سعد الله •
سعد الخلائق • السميع • السلام • السيد • سيد ولد آدم • سيد المرسلين • سيد
الناس • سيد الكونين • سيد الثقلين • سيف الله المسلول ش الشارع • الشافع

الشاكر • الشاهد • الشكور • الشكار • الشمس • الشهيد ص الصابر • الصاحب •
صاحب المعجزات • صاحب الايات • صاحب البرهان • صاحب البيان • صاحب التاج •
صاحب الجهاد • صاحب الحجة • صاحب الحطيم • صاحب الحوض المورود • صاحب
الخاتم • صاحب الخير • صاحب الدرجة العالية الرفيعة • صاحب الرداء • صاحب
الازواج الطاهرات • صاحب السجود للرب المعبود • صاحب السرايا • صاحب السلطان •
صاحب السيف • صاحب الشرع • صاحب الشفاعة الكبرى • صاحب العطايا •
صاحب العلامات الباهرات • صاحب العلو والدرجات • صاحب الفضيلة •
صاحب الفرج • صاحب القضيب • صاحب القضيب الاصفر • صاحب قول
لا اله الا الله • صاحب القدم • صاحب الكوثر • صاحب اللواء • صاحب المحشر •
صاحب المدينة • صاحب المغفر • صاحب المغنم • صاحب المعراج • صاحب المظهر
المشهود • صاحب المقام المحمود • صاحب المنبر • صاحب النعلين • صاحب
الهراوة • صاحب الوسيلة • الصادع بما امر • الصادق • الصبور • الصدق •
صراط الله • صراط الذين انعمت عليهم • الصراط المستقيم • الصفوح • الصفوح
عن الزلات • الصفوة • الصفي • الصالح ض الضارب بالحسام المثلوم • الضحاك •
الضحوك ط طاب طاب • الطاهر • الطيب • طسم • طه ظ الظاهر • الظفور
من الظفر وهو الفوز ع العابد • العادل • العظيم • العافي • العاقب • العالم •
علم الايمان • علم اليقين • العالم بالحق • العامل • عبد الله • العبد • العدل • العربي •
العروة الوثقى • العزيز • العفو • العليم • العطوف • العلي • العلامة • عين العز •
عبد الكريم • عبد الجبار • عبد الحميد • عبد المجيد • عبد الوهاب • عبد القهار •
عبد الرحيم • عبد الخالق • عبد القادر • عبد المهيمن • عبد القدوس • عبد
الغياث • عبد الرزاق • عبد السلام • عبد المؤمن • عبد الغفار غ الغالب •
الغفور • الغني • الغني بالله • الغيث • الغوث • الغياث ف الفاتح • الفار
قليط • وقيل بالبا وقد تقدم • الفارق • الفاروق • الفتاح • الفجر • الفرط • الفصيح
فضل الله • فواتح النور ق القاسم • القاضي • القانت • قائد الخيرات • قائد
الغر المحجلين • القائل القايم • القتال • القتول • قثم • القثوم • قدم صدق •
القرشي • القريب • القمر • القيم • ومعناه الجامع الكامل وصوابه بالمثلثة بدل
الباء • القوي ك كافة الناس • الكفيل • الكامل في جميع اموره • الكريم •
كهيعص ل اللسان م الماجد • ماذ ماذ • المؤمّل • الماحي • المامون •
المانح • الماء المعين • المبارك • المبتهل • المبرا • المبشر • مبشر اليائسين • المبعوث •

بالحق، المبعوث، المبلغ، المبيح، المبين، المتين، المتبتل، المتبسم، المتربص، المترحم
المتضرع، المتقى، المتلو عليه، المتهجد، المتوسط، المتوكل، المتثبت، مجاب
مجيب، المجتبى، المجير، المحرض، المحرم، المحفوظ، المحلل، محمد، المحمود، المخبر
المختار، المخصوص بالشرف، المخصوص بالعز، المخصوص بالمجد، المخلص، المدثر
المدنى، مدينة العلم، المذكر، المذكور، المرتضى، المرتل، المرسل، المرتجى، المرحوم
المرتفع الدرجات، المرء، وهو الرجل الكامل المروة، المزكى، المسبح، المستغفر
المستغنى، المستقيم، المسرى به، المسعود، المسيلم، المسلم، المشاور، المشفع
المشفوع، المسقح، المشهود، المشير، المصباح، المصارع، المصافح، مصحح
الحسنات، المصدوق، المصطفى، المصلح، المصلى عليه، المطاع، المطهر، المظهر
المطلع، المطيع، المظفر، المعزز، المعصوم، المعطى، المعقب، المعلم، معلم
امته، المعلم، المعلن، المعلى، المفصال، المفتاح، مفتاح الجنة، المقتصد
المقفى يعنى قفى النبيين، المقدس، المقرى، المقسط، المقسم، المقصوص عليه
المقفى وقيل بزيادة تا بعد القاف كما تقدم، مقيل العثرات، مقيم السنة بعد الفترة
المكرم، المكتفى، المكفى، المكين، المكى، الملاحمى، ملقى القران، الممنوح، المنادى
المنتصر، المنجى، المنذر، المنزل، المنحنا، المنصف، المنصور، المنيب، المنير، المهاجر
المهتدى، المهدى، المهداة، المهيمن، المؤتمن، المؤتى، جوامع الكلم، الموحى اليه
الموصل، الموقر، المولى، المؤمن، المؤيد، الميسر ن نون، النابذ
الناجز، الناس لقوله تعالى ام يحسدون الناس المفسر به عليه السلام، الناسخ
الناشر، الناصح، الناصر، الناطق بالحق، الناهى، نبى الاحمر، نبى الاسود،
نبى التوبة، نبى الحرمين، نبى الراحة، نبى الرحمة، النبى الصالح، نبى الله، نبى المرحمة
نبى الملحمة، نبى الملاحم، النبى، النجم، النجم الثاقب، نجى الله، النذير، النسيب
نصيح، ناصح، النعمة، نعمة الله، النقيب، النور، نور الامم اى الهادى لها
الذى اوصلها، نور الله الذى لا يطفى ه الهادى، هدى، هدية الله، الهاشمى
و الوجيه، الواسط، الواسع، الواصل، الواضع، الواعد، الواعظ،
الورع، الوسيلة، الوفى، الوافى، ولى الفضل، الولى ى اليثربى، يس،
وكنيته المشهورة ابو القاسم كما جاء فى عدة احاديث صحيحة ويكنى بابى ابرهيم
كما فى حديث انس فى مجى جبريل اليه عليهما الصلاة والسلام وقوله السلام
عليك يا ابا ابرهيم. وبابى الارامل فيما ذكره ابن دحية وبابى المؤمنين فيما ذكره
غيره واعلم انه لا سبيل لنا ان نستوعب شرح جميع هذه الاسماء الشريفة اذ

فى ذلك

فى ذلك تطويل يفضى بنا الى العدول عن غرض الاختصار فلنذكر من ذلك ما يفتح
تعالى به مما يدل على سواه بالله تعالى استعين فاول ذلك ما له عليه السلام
من معنى الحمد الذى هو اسمه المنبئ عن ذاته الذى سائر اسمائه اوصافه راجعة
اليه وهو فى المعنى واحد وله فى الاشتقاق صيغتان الاسم المبنى صيغته
على صيغة افعل المنبئة عن الانتهاء الى غاية ليس وراها منتهى وهو اسمه احمد
والاسم المبنى على صيغة التفعل المنبئة عن التضعيف والتكثير الى عدد لا ينتهى
له الاحصار وهو اسمه محمد قال السهيلى محمد منقول من الصفة فالمحمد فى اللغة
هو الذى يحمد حمدا بعد حمد ولا يكون مفعل مثل مضرب وممدح الا لمن تكرر منه
منه الفعل مرة بعد اخرى واما احمد وهو اسمه عليه السلام الذى سمى به على
لسان عيسى وموسى فانه منقول ايضا من الصفة التى معناها التفضيل فمعنى
احمد احمد الحامدين لربه وكذلك هو فى المعنى لانه يفتح عليه فى المقام المحمود
بمحامد لم تفتح على احد قبله فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له بها لواء الحمد قال
واما محمد فمنقول من صفة ايضا وهو فى معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة
والتكرار فالمحمد هو الذى حمد مرة بعد اخرى كما ان المكرم من اكرم مرة بعد اخرى
وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه وتعالى سماه به
قبل ان يسمى به علم من اعلام نبوته عليه السلام اذا كان اسمه صادقا عليه فهو
صلى الله عليه وسلم محمود فى الدنيا بما هدى اليه ونفع به من العلم والحكمة وهو
محمود فى الآخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضى اللفظ ثم انه لم يكن محمدا
حتى كان احمد حمد ربه فنبأه وشرفه فلذلك تقدم اسم احمد على الاسم الذى هو
محمد فذكره عيسى فقال اسمه احمد وذكره موسى احمد حين قال له ربه تلك امة احمد
فقال اللهم اجعلنى من امة احمد فباحمد ذكر قبل ان يذكر بمحمد لان حمده لربه كان قبل
حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل وكذلك فى الشفاعة يحمد ربه
بالمحامد الذى يفتحها عليه فيكون احمد الحامدين لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته
فانظر كيف ترتب هذا الاسم قبل الاسم الاخر فى الذكر والوجود وفى الدنيا والآخرة
تلح لك الحكمة الالهية فى تخصيصه بهذين الاسمين انتهى وقال القاضى عياض
كان عليه السلام احمد قبل ان يكون محمدا كما وقع فى الوجود لان تسمية وقعت
فى الكتب السالفة وتسمية محمد وقعت فى القران وذلك انه حمد ربه قبل ان يحمده
الناس انتهى وهذا موافق لما قاله السهيلى وذكره فى فتح البارى واقره عليه وهو يقتضى
سبقية اسم احمد خلافا لما ادعاه ابن القيم وذكر ابن القيم فى اسم احمد انه

قوله مرة بعد اخرى كان الناس استقاط منه لصدقه بين بين . ح م

قف على ان تسميته احمد سابق على محمد

قيل فيه انه بمعنى مفعول ويكون التقدير احمد الناس اى احق الناس واولاهم
ان يحمد فيكون محمدا فى المعنى لكن الفرق بينهما ان محمدا هو الكثير الخصال التى يحمد
عليها واحمد هو الذى يحمد افضل مما يحمد غيره فمحمد فى الكثرة والكمية واحمد فى
الصفة والكيفية فيستحق من الحمد اكثر مما يستحق غيره اى افضل حمد حمده البشر
فالاسمان واقعان على المفعول قال وهذا ابلغ فى مدحه واكمل معنى فلو اريد
معنى الفاعل لسمى الحماد اى كثير الحمد فانه صلى الله عليه وسلم كان اكثر الناس
حمدا لربه فلو كان اسمه احمد باعتبار حمده لربه لكان الاولى به الحماد كما سميت
بذلك امته وايضا فان هذين الاسمين انما اشتقا من اخلاقه وخصائله
المحمودة التى لاجلها استحق ان يسمى محمدا واحمد وقال القاضى عياض فى باب
تشريفه تعالى له عليه السلام مما سماه به من اسمائه الحسنى احمد بمعنى اكبر من حمد واجل
من حمد ثم ان فى اسم محمد خصائص منها كونه على اربعة احرف ليوافق اسمه تعالى
اسم محمد فان عدد الجلالة اربعة احرف كمحمد ومنها انه قيل مما اكرم الله به
الآدمى ان كانت على صورته على شكل كتب هذا اللفظ فالميم الاول راسه والحاء
جناحاه والميم سرته والدال رجلاه ولا يدخل النار من يستحق دخولها اعاذنا
الله منها الا ممسوخ الصورة اكراما لصورة اللفظ حكاهما ابن مرزوق والاول
ابن العماد فى كتاب كشف الاسرار ومنها انه تعالى اشتق اسمه من اسمه المحمود كما قال
حسان بن ثابت

اغر عليه للنبوة خاتم ❊ من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبى الى اسمه ❊ اذ قال فى الخمس المؤذن اشهد
وشق له من اسمه ليجله ❊ فذو العرش محمود وهذا محمد

واخرج البخارى فى تاريخه الصغير من طريق على بن زيد قال كان ابو طالب يقول

وشق له من اسمه ليجله ❊ فذو العرش محمود وهذا محمد

وقد سماه الله بهذا الاسم قبل الخلق بالفى عام كما ورد من حديث انس بن مالك من
طريق ابو نعيم فى مناجاة موسى وروى ابن عساكر عن كعب الاحبار قال ان الله
انزل على ادم عصيا بعدد الانبياء والمرسلين ثم اقبل على ابنه شيث فقال اى
بنى انت خليفتى من بعدى فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى فكلما ذكرت الله
فاذكر بجنبه اسم محمد فانى رايت اسمه مكتوبا على ساق العرش وانا بين الروح والطين
ثم انى طفت السموات فلم ار فى السموات موضعا الا ورايت اسم محمد مكتوبا عليه
وان ربى سكننى الجنة فلم ار فى الجنة قصرا ولا غرفة الا رايت اسم محمد مكتوبا عليه
ولقد رايت اسم محمد مكتوبا على نحور الحور العين وعلى ورق قصب آجام الجنة وعلى ورق

قف على ما فى اسم محمد صلى الله عليه وسلم من الخصائص

شجر طوبى وعلى ورق سدرة المنتهى وعلى اطراف الحجب وبين اعين الملئكة فاكثر ذكره

فان الملئكة تذكره فى كل ساعاتها بيت مفرد

بدا مجده من قبل نشأة آدم ❊ فاسماؤه فى العرش من قبل تكتب

وروينا فى جزء الحسن بن عرفة من حديث ابى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم قال
لما عرج بى الى السماء ما مررت بسماء الا وجدت اى علمت اسمى فيها مكتوبا محمد رسول
الله وابو بكر من خلفى ووجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقى مصلح امين
ذكره فى الشفاء وعلى حجر بالخط العبرانى باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان عربى
مبين لا اله الا الله محمد رسول الله وكتبه موسى بن عمران ذكره ابن ظفر فى البشر
عن معمر عن الزهرى وشوهد كما ذكره فى الشفاء فى بعض بلاد خراسان مولود ولد
على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله وببلاد الهند ورد
احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وذكر العلامة ابن مرزوق
عن عبد الله بن صوحان عصفت بنا ريح ونحن فى لجج بحر الهند فارسينا فى جزيرة فراينا
فيها وردا احمر زكى الرائحة طيب الشم وفيه مكتوب بالابيض لا اله الا الله محمد رسول
الله ووردا ابيض مكتوب عليه بالاصفر براءة من الرحمن الرحيم الى جنات النعيم لا اله
الا الله محمد رسول الله وفى تاريخ ابن العديم عن على بن عبد الله الهاشمى الرقى انه
وجد ببعض قرى الهند وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء عليها مكتوب بخط ابيض
لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الفاروق قال فشككت فى ذلك وقلت
انه معمول فعمدت الى وردة لم تفتح فكان فيها مثل ذلك وفى البلد منه شئ كثير
واهل تلك القرية يعبدون الحجارة لا يعرفون الله تعالى وقال ابو عبد الله بن
مالك دخلت بلاد الهند فسرت الى مدينة يقال لها نميله او ثميله فرايت شجرة كبيرة
تحمل ثمرا كاللوز له قشر فاذا كسرت ثمرته خرج منها ورقة خضراء مطوية مكتوب
عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله واهل الهند يتبركون بها ويستسقون
بها اذا منعوا الغيث حكاه القاضى ابو البقا ابن الضيا فى منسكه وفى كتاب
روض الرياحين لليافعى عن بعضهم انه وجد ببلاد الهند شجرة تحمل ثمرا كاللوز له
قشران اذا كسر خرج منه ورقة خضراء طرية مكتوب فيها بالحمرة لا اله الا الله محمد
رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بها قال فحدثت بذلك ابا يعقوب الصياد
فقال ما استعظم هذا كنت اصطاد على نهر الابلة فاصطدت سمكة على جنبها
الايمن لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله فلما رايتها قذفتها فى الماء
احتراما لها وعن بعضهم مما ذكره ابن مرزوق فى شرحه لبردة الابوصيرى

وذكر العلامة ابن مرزوق عن عبد الله بن صوحان عصفت بنا ريح ونحن فى لجج بحر الهند فارسينا فى جزيرة فراينا فيها وردا احمر زكى الرائحة طيب الشم وفيه مكتوب بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله ووردا ابيض مكتوب عليه بالاصفر براءة من الرحمن الرحيم الى الجنات النعيم لا اله الا الله محمد رسول الله نسخة

انه اتى بسمكة فراى في احد شحمتي اذنيها لا اله الا الله وفي اخرى محمد رسول الله وعن
جماعة انهم وجدوا بطيخة صفراء فيها خطوط شتى بالابيض خلقة ومن جملة الخطوط
كتب بالعربي في احد جنبيها الله وفي الاخرى عز احمد بخط بين لا يشك فيه عالم
بالخط وانه وجد في سنة تسع او قال سبع بالموحدة وثمانمائة حبة عنب مكتوب
فيها بخط بارع بلون اسود محمد وفي كتاب النطق المفهوم لابن طغربك السياف
عن بعضهم انه راى في جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب فيه
بالحمرة والبياض في الخضرة كتابة بينة واضحة خلقة ابتدعها الله بقدرته في الورقة
ثلاثة اسطر الاول لا اله الا الله والثاني محمد رسول الله والثالث ان الدين عند
الله الاسلام قال ابن قتيبة ومن اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم لم يسم قبله
احد باسم محمد صيانة من الله تعالى لهذا الاسم كما فعل بيحيى اذ لم يجعل له من
قبل سميا وذلك انه تعالى سماه في الكتب المتقدمة وبشر به الانبياء فلو جعل اسمه
مشتركا فيه لوقعت الشبهة الا انه لما قرب زمنه وبشر اهل الكتاب بقربه سمى قوم
اولادهم بذلك رجاء ان يكون هو هو والله اعلم حيث يجعل رسالته

ما كل من زار الحما سمع الندا	من اهله اهلا بذاك الزائر

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد عدهم القاضي عياض ستة ثم قال لا سابع
لهم وذكر عبد الله بن خالويه في كتاب ليس والسهيلي في الروض انه لا يعرف في العرب
من يسمى محمدا قبل النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة قال الحافظ ابو الفضل بن حجر
رحمه الله وهو حصر مردود والعجب ان السهيلي متاخر الطبقة عن عياض ولعله
لم يقف على كلامه قال وقد جمعت اسماء من تسمى بذلك في جزء مفرد فبلغوا نحو
العشرين لكن مع تكرير في بعضهم ووهم في بعض فيتخلص منهم خمسة عشر نفسا
واشهرهم محمد بن عدي بن ربيعة بن سواة بن جشم بن سعد بن زيد مناة بن
تميم التميمي السعدي ومنهم محمد بن احيحة بضم الهمزة وفتح المهملة ابن الجلاح
بضم الجيم وتخفيف اللام آخره مهملة الاوسي ومحمد بن مالك بن حبيب بن
العنبر ومحمد بن البراء وقيل البر بن طريف بن عتوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد
مناة البكري العتواري ومحمد بن الحارث بن خديج بن حويص ومحمد بن حرماز
بن مالك اليعمري ومحمد بن حمران بن ابي حمران ربيعة بن مالك الجعفي المعروف
بالشويعر ومحمد بن خزاعي بن علقمة بن حزابة السلمي من بني ذكوان ومحمد بن خولي
الهمداني ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن اليحمد الازدي ومحمد بن يزيد
بن عمرو بن ربيعة ومحمد بن الاسدي ومحمد بن الفقيمي ولم يدركوا الاسلام

الا الاول

الا الاول ففي سياق خبره ما يشعر بذلك والا الرابع فهو صحابي جزما وفيمن ذكره عياض
محمد بن مسلمة الانصاري وليس ذكره بجيد فانه ولد بعد النبي صلى الله عليه وسلم
بازيد من عشرين سنة لكنه قد ذكر تلو كلامه المتقدم محمد بن يحمد الماضي فصار
من عنده ستة لا سابع لهم واما اسمه عليه السلام محمود فاعلم ان من اسماء الله
تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه تعالى حمد نفسه وحمده عباده وقد سمي الرسول
صلى الله عليه وسلم بمحمود وكذا وقع اسمه في زبور داود واما الماحي ففسر
في الحديث بمحو الكفر ولم يمح الكفر باحد من الخلق ما محي بالنبي صلى الله عليه وسلم
فانه بعث واهل الارض كلهم كفار ما بين عباد اوثان ويهود ونصارى ضالين
وصابئة دهرية لا يعرفون ربا ولا معادا وبين عباد الكواكب وعباد النار
وفلاسفة لا يعرفون شرايع الانبياء ولا يقرون بها فمحاها برسوله حتى اظهر
دينه على كل دين وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار وصارت دعوته مسير الشمس
في الاقطار ولما كانت البحار هي الماحية للادران كان اسمه عليه السلام فيها
الماحي واما الحاشر ففسر ايضا في الحديث بانه الذي يحشر الناس على قدميه
اي يقدمهم وهم خلفه وقيل على سابقته وقيل قدامه وحوله اي يجتمعون اليه
في القيمة وقد كان نحشره لاهل الكتاب اخراجه لهم من حصونهم وبلادهم من هجرته
الى حيث اذاقهم الله من شدة الحشر ما شاء في دار الدنيا الى ما اتصل لهم بذلك في
برزخهم وهو اول من ينشق عنه الارض فيحشر الناس على اثره واليه يلجؤن في محشرهم
وقيل على سنته واما العاقب فهو الذي جاء عقب الانبياء فليس بعده نبي لان
العاقب هو الآخر اي عقب الانبياء قيل وهو اسمه عليه السلام في النار فاذا جاء
بحرمة شفاعته خمدت النار وسكنت كما روي ان قوما من حملة القرآن يدخلونها
فينسيهم الله تعالى ذكر محمد صلى الله عليه وسلم حتى يذكرهم جبريل فيذكرونه
فتخمد النار وتنزوي عنهم واما المقفي فكذلك اي قفا آثار من سبقه من الرسل
وهي لفظة مشتقة من القفو يقال قفاه يقفوه اذا تأخر عنه ومنه قافية الرأس
وقافية البيت فالمقفي اي قفى من قبله من الرسل فكان خاتمهم وآخرهم واما الاول
فلانه اول النبيين خلقا كما مر وكما انه اول في البدء فهو اول في العود فهو اول
من تنشق عنه الارض واول من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع كما كان في
اوليات البدء في عالم الذر اول مجيب اذ هو اول من قال بلى اذ اخذ ربه الميثاق على
الذرية الآدمية فاشهدهم على انفسهم الست بربكم فهو صلى الله عليه وسلم
الاول في ذلك كله على الاطلاق واما الآخر فلانه آخر الانبياء في البعث كما في الحديث

واما الاول في اسماء الله تعالى فهو بمعنى الذي لا ابتداء لوجوده

واما الظاهر فلانه ظهر على جميع الظاهرات ظهوره وظهر على الاديان دينه فهو
الظاهر فى وجوه الظهور كلها واما الباطن فهو المطلع على بواطن الامور بواسطة
ما يوحيه الله تعالى اليه واما الفاتح الخاتم ففى حديث الاسرا عن ابى هريرة من
طريق الربيع بن انس قول الله تعالى له وجعلتك فاتحا وخاتما وفى حديث ابى هريرة
ايضا فى الاسرا قوله صلى الله عليه وسلم وجعلنى فاتحا وخاتما فهو الذى فتح الله
به باب الهدى بعد ان كان مرتجا وفتح به اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وفتح
امصار الكفر وفتح به ابواب الجنة وفتح به طرق العلم النافع والعمل الصالح والدنيا
والآخرة والقلوب والاسماع والابصار والامصار وقد يكون المراد المبدا المقدم
فى الانبيآء والخاتم لهم كما قال عليه السلام كنت اول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث
واما الرؤف الرحيم ففى القران لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص
عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وهو فعول من الرافة وهى ارق من الرحمة قال ابو عبيدة
والرحيم فعيل من الرحمة وقيل رؤف بالمطيعين رحيم بالمذنبين واما الحق المبين
فقال الله تعالى حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال تعالى وقل انى انا النذير المبين
وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد عليه السلام
وقيل القران ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره والمبين لبين
امره ورسالته او المبين عن الله عز وجل ما بعثه به كما قال تعالى لتبين للناس
ما نزل اليهم واما المؤمن فقال الله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون
هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اى يصدق وقال عليه
السلام انا امنة لاصحابى فهذا بمعنى المؤمن واما المهيمن فقال تعالى وانزلنا
اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه قال ابن الجوزى
فى زاد المسير ان ابن ابى نجيح روى عن مجاهد ومهيمنا عليه قال محمد مؤتمن على القران
قال فعلى قوله فى الكلام محذوف كانه قال وجعلناك يا محمد مهيمنا عليه وسماه العباس
بن عبد المطلب فى شعره مهيمنا فى قوله حتى احتوى بيتك المهيمن من
خندف علياء تحتها النطق وروى ثم اغتدى بيتك المهيمن قيل اراد
يا ايها المهيمن قاله القتبى والامام ابو القاسم القشيرى واما العزيز فمعناه
جلالة القدر او الذى لا نظير له او المعز لغيره وقد استدل القاضى عياض لهذا
الاسم بقوله تعالى ولله العزة ولرسوله اى فجائز ان يوصف النبى صلى الله
عليه وسلم بالعزيز والمعز لحصول العزله ولقائل ان يقول هذا الوصف ايضا للمؤمنين
لشمول العطف اياهم فلا اختصاص للنبى صلى الله عليه وسلم والغرض اختصاصه

قال اليمنى وعجيب من القاضى كيف خفى عليه مثل هذا ويجاب باختصاصه عليه
السلام برتبة من العزة ليست لغيره والله اعلم والعالم والعليم والمعلم ومعلم
امته فقد قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون واما الخبير فمعناه المطلع على كنه الشئ العالم بحقيقته
وقيل المخبر فقال الله تعالى الرحمن فسئل به خبيرا قال القاضى بكر بن العلا فيما ذكره
فى الشفا المامور بالسؤال غير النبى صلى الله عليه وسلم والمسؤل الخبير هو النبى صلى
الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبى صلى الله عليه وسلم والمسؤل الله عز
وجل فالنبى صلى الله عليه وسلم خبير بالوجهين المذكورين قبل لانه عليه الصلاة
والسلام عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظم معرفته مخبر
لامته بما اذن له فى اعلامهم به واما العظيم فقال الله تعالى فى شانه وانك
لعلى خلق عظيم ووقع فى اول سفر من التورية عن اسمعيل وسيلد عظيما لامة
عظيمة فهو صلى الله عليه وسلم عظيم وعلى خلق عظيم واما الشاكر والشكور
فقد وصف صلى الله عليه وسلم نفسه بذلك فقال افلا اكون عبدا شكورا
اى اترك تهجدى فلا اكون عبدا شكورا والمعنى ان المغفرة سبب لكون التهجد
شكرا فكيف اتركه وعلى هذا فتكون الفا للسببية وقال القاضى عياض شكورا
اى معترفا بنعم ربى عالما بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسى فى الزيادة من ذلك
لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم واما الشكار فهو ابلغ من شاكر وفى حديث
ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم كان من دعائه رب اجعلنى لك شكارا
واما الكريم والاكرم واكرم ولد ادم فسماه الله تعالى به فى قوله تعالى انه لقول
رسول كريم اى محمد صلى الله عليه وسلم وليس المراد به جبريل لانه تعالى
لما قال انه لقول رسول كريم ذكر بعده انه ليس بقول شاعر ولا كاهن والمشركون
لم يكونوا يصفوا جبريل بذلك فتعين ان يكون المراد بالرسول الكريم هنا محمدا
صلى الله عليه وسلم كما سيأتى ان شاء الله تعالى بيانه فى مقصد آى التنزيل
وقال عليه السلام انا اكرم ولد ادم واما الولى والمولى فقال عليه السلام انا
ولى كل مؤمن واما الامين فقد كان عليه السلام يعرف به وشهر به قبل النبوة
وبعدها وهو احق العالمين بهذا الاسم فهو امين الله على وحيه ودينه وهو
امين من فى السماء والارض واما الصادق والمصدوق فقد ورد فى الحديث
تسميته بهما ومعناهما ظاهر خفى وكذلك الاصدق وروى انه عليه السلام
لما كذبه قومه حزن فقال له جبريل انهم ليعلمون انك صادق واما الطيب

وسيلد نسخة

وماذ ماذ بميم ثم الف ثم ذل معجمة منونة ثم ميم ثم الف ثم ذال معجمة كذا رأيته
لبعض العلماء ونقل العلامة الحجازى فى حاشيته على الشفا عن السهيلى ضم الميم
واشمام الهمزة ضمة بين الواو والالف ممدودا وقال نقلته عن رجل اسلم من علماء
بنى اسرائل وقال معناه طيب طيب ولاريب انه صلى الله عليه وسلم اطيب الطيبين
وحسبك انه كان يؤخذ من عرقه ليتطيب به فهو صلى الله عليه وسلم طيب الله
الذى نفحه فى الوجود فتعطرت به الكائنات وسمت واغتذت به القلوب فطابت
وتنسمت به الارواح فنمت   واما الطاهر والمطهر والمقدس اى المطهر من
الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر او الذى يتطهر
من الذنوب ويتنزه بابتاعه عنها كما قال تعالى ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات
الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية •
واما العفو والصفوح فمعناهما واحد وقد وصفه الله تعالى بهما فى القران و
التورية والانجيل كما فى حديث عبد الله بن عمرو بن العاصى عند البخارى ولا يجزى
بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وامره تعالى بالعفو فقال خذ العفو وقال
فاعف عنهم واصفح   واما العطوف فهو الشفوق وسمى به عليه السلام لكثرة
شفقته على امته ورافته بهم   واما النور فقال الله تعالى قد جاءكم من الله نور
قيل محمد صلى الله عليه وسلم • وقيل القران فهو نور الله الذى لا يطفى واما السراج
فسماه الله تعالى به فى قوله وسراجا منيرا لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب
المؤمنين والعارفين بما جاء به فهو نير فى ذاته منير لغيره فهو السراج الكامل فى
الاضاءة ولم يوصف بالوهاج كالشمس لان المنير هو الذى ينير من غير احراق بخلاف
الوهاج   واما الهادى فبمعنى الدلالة والدعا قال الله تعالى وانك لتهدى الى صراط
مستقيم وقال تعالى فيه وداعيا الى الله باذنه   واما البرهان فقال تعالى يا ايها
الناس قد جاءكم برهان من ربكم قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معجزاته وقيل
القران   واما النقيب فروى انه صلى الله عليه وسلم لما مات نقيب بنى النجار ابو
امامة اسعد بن زرارة وجد عليه صلى الله عليه وسلم ولم يجعل عليه نقيبا بعده
وقال انا نقيبكم فكانت من مفاخرهم والنقيب هو شاهد القوم وناظرهم وضمينهم •
واما الجبار فسمى به فى مزامير داود فى قوله فى مزمور اربعة واربعين تقلدايها
الجبار سيفك فان ناموسك وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك لانه الجبار الذى
جبر الخلق بالسيف على الحق وصرفهم عن الكفر جبرا • قال القاضى عياض وقد نفى
الله تعالى عنه فى القران جبرية التكبر التى لا تليق به فقال وما انت عليهم بجبار

واما الشاهد

واما الشاهد والشهيد فسماه الله تعالى بهما فى قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا اى
على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وقوله ويكون الرسول عليكم
شهيدا روى ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فطالبهم الله ببينة التبليغ وهو
اعلم بهم اقامة للحجة عن المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول
الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيه
الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسأل عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة
وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته عدى بعلى وقدمت الصلة للدلالة
على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم قاله البيضاوى واما الناشر فسمى به لانه نشر
الاسلام واظهر شرايع الاحكام   واما المزمل فاصله المتزمل فادغمت التا فى الزاى وسمى
لما روى انه صلى الله عليه وسلم كان يفرق من جبريل ويتزمل بالثياب اول ما جاءه • وقيل
اتاه وهو فى قطيفة • وقال السدى يا ايها النائم قال وكان متلففا فى ثياب نومه • وعن
ابن عباس يعنى المتزمل بالقران • وعن عكرمة بالنبوة • وقيل من الزمل بمعنى الحمل و منه
الزاملة اى المتحمل باعبا النبوة • وعلى هذا يكون التزمل مجازا • وقال السهيلى ليس المزمل
باسم من اسمائه يعرف به وانما هو مشتق من حالته التى كان التبس بها حالة الخطاب والعرب
اذا قصدت الملاطفة بالمخاطب بترك المعاتبة نادوه باسم مشتق من حالته التى هو
عليها كقول النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه وقد نام ولصق جنبه بالتراب
قم ابا تراب اشعارا بانه ملاطف له فقوله يا ايها المزمل فيه تانيس وملاطفة • واما
ما روى عن عائشة انها قالت كان متزملا مرطا طوله اربع عشرة ذراعا نصفه على وانا
نائمة ونصفه عليه فكذب صراح لان نزول يا ايها المزمل بمكة فى اول مبعثه ودخوله
بعائشة كان بالمدينة   واما المدثر فاصله المتدثر فادغمت التاء فى الدال • روى انه
عليه السلام قال كنت بحرا فنوديت فنظرت عن يمينى وشمالى فلم ار شيئا فنظرت فوقى
فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت فرجعت الى خديجة
فقلت دثرونى دثرونى فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر • وعن عكرمة يا ايها المدثر
بالنبوة واثقالها قد تدثرت هذا الامر فقم به • وقيل ناداه بالمزمل والمدثر فى اول امره
فلما شرع خاطبه الله تعالى بالنبوة والرسالة   واما طه فروى النقاش عنه عليه
السلام لى فى القران سبعة اسماء فذكر منها طه • وقيل هو اسم لله وقيل معناه
يا رجل • وقيل يا انسان • وقيل يا طاهر يا هادى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وهو مروى
عن الواسطى • وقيل معناه يا مطمع الشفاعة للامة ويا هادى الخلق الى الله • وقيل
الطا فى الحساب بتسعة والها بخمسة وذلك اربعة عشر فكانه قال يا بدر وهذه من محاسن

التأويلات لكن المعتمد انهما من اسماء الحروف وامّا يس فحكى ابو محمد المكى انه روى عنه
عليه السلام قال لى عند ربى عشرة اسماء ذكر منها يس وقد قيل معناه انسان بلغة طى
وقيل بالحبشية، وقيل بالسريانية واصله كما قاله البيضاوى وابن الخطيب وغيرهما
يا أُنَيْسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به، وقيل يس لكن تعقب بانه لا يعلم ان العرب
قالوا فى تصغيره أُنَيْسين وانّ الذى نقل عنهم فى تصغيره أُنَيْسيان بيا بعدها الف وبانّ
التصغير من التحقير الممتنع فى حق النبوة لنصهم على انّ التصغير لا يدخل فى الاسماء المعظمة
شرعا ويأتى مزيد لذلك ان شاء الله تعالى فى الفصل الرابع من النوع الخامس من انواع
المقصد السادس، وعن ابن الحنفية معناه يا محمد، وعن ابن العالية يا رجل، وعن ابى
بكر الوراق يا سيد البشر، وعن جعفر الصادق يا سيد مخاطبة له عليه السلام
وفيه من تعظيمه على تفسير يا سيد ما فيه وامّا الفجر فقال ابن عطا فى قوله تعالى والفجر
وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان وهو تأويل غريب لم يُر لغيره
والصواب انه الفجر المفسر بالصبح فى قوله والصبح اذا تنفس وامّا القوى فقال الله تعالى
ذى قوة عند ذى العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل عليهما الصلوة والسلام وسيأتى
فى المقصد السادس ما فى ذلك وامّا ما قاله ابن عطا فى قوله تعالى ق والقران المجيد
اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة
ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله فلا يخفى ما فيه وامّا النجم فعن جعفر بن محمد بن على
بن الحسين فى تفسير قوله تعالى والنجم انه محمد صلى الله عليه وسلم اذا هوى اذا نزل
من السماء ليلة المعراج، وحكى السُّلَمى فى قوله تعالى والسماء والطارق وما ادريك
ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم والصحيح ان المراد
النجم على ظاهره وسمى به عليه السلام لانه يهتدى به فى طرق الهدى كما يهتدى بالنجم
وامّا الشمس فسمى بها صلى الله عليه وسلم لكثرة نفعه وعلو رفعته وظهور شريعته
وجلالة قدره وعظم منزلته لانه لا يحاط بكماله حتى لا يسع الرائى له ان ينظر اليه
ملأ عينيه اجلالا له كما ان الشمس فى الرتبة ارفع من غالب الكواكب لانها فى السماء
السادسة والانتفاع بها اكثر من غيرها كما لا يخفى ولا يدركها البصر لكبر جرمها وايضا
فلما كان سائر الكواكب تستمد من نورها ناسب تسميته عليه السلام بها لان نور الانبياء
مستمد من نوره وامّا النبى والرسول فمن خصائصه عليه السلام ان خاطبه تعالى
بهما فى القران دون سائر انبيائه ثم ان النبوة بالهمزة ماخوذة من النبأ وهو الخبر وقد
لا يهمز تسهيلا اى ان الله اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبيا منبئا او
يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا عما اطلعه الله عليه وبغير الهمزة يكون

مشتقا

مشتقا من النبوة وهو ما ارتفع من الارض اى ان له رتبة شريفة ومكانة عند الله منيفة
قال الشيخ بدر الدين الزركشى فى شرح البردة وكان نافع يقرأ النبىء بالهمزة فى جميع القران
والاختيار تركه وهو لغة النبى صلى الله عليه وسلم وقد جاء فى الحديث ان رجلا قال
يا نبىء الله بالهمزة فقال له لست نبىء الله ولكنى نبىّ الله فانكر الهمزة لانه لم يكن من لغته عليه
السلام قال الجوهرى والصاغانى انما انكره لان الاعرابى اراد يا من خرج من مكة الى المدينة يقال
نبأت من ارض الى ارض اذا خرجت منها الى اخرى وتكلم جماعة من القراء فى هذا الحديث وقد
رواه الحاكم فى المستدرك عن ابى الاسود عن ابى ذر وقال صحيح على شرط الشيخين وفيما
قاله نظر فان فيه حسين الجعفى كذا قال بعضهم وليس من شرطهما، ورواه ابو عبيد
حدثنا محمد بن سعد عن حمزة الزيات عن حمران بن اعين ان رجلا الحديث وهذا منقطع
انتهى، والرسول انسان بعثه الله الى الخلق بشريعة مجددة يدعو الناس اليها، واختلف
هل هما بمعنى او بمعنيين فقال بالاول قوم مستدلين بقوله تعالى وما ارسلنا من
قبلك من رسول ولا نبى فاثبت لهما معا الارسال وعلى هذا فلا يكون النبى الا رسولا ولا
الرسول الا نبيا وقال آخرون بالثانى وانهما يجتمعان فى النبوة التى هى الاطلاع على الغيب
والاعلام بخواص النبوة والرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا فى زيادة الارسال
وحجتهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين اذ لو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما
فى الكلام البليغ ويكون المعنى وما ارسلنا من نبى الى امة او نبى ليس بمرسل الى احد، وذهب
آخرون الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدأ ومن لم يأت به نبى غير رسول وان امر بالابلاغ
والانذار، والصحيح ان كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا نعم نوزع فى هذا بانه كلام يطلقه
من لا تحقيق عنده فان جبريل عليه السلام وغيره من الملائكة المكرمين بالرسالة رسل
لا انبياء، فالانفصال عنه بان يقيد الفرق بين الرسول والنبى الرسول البشرى ثم ان
النبوة والرسالة ليستا ذاتا للنبى صلى الله عليه وسلم ولا وصف ذات بل تخصيص الله اياه
بذلك خلافا للكرامية، وقال القرافى كما نقله عنه ابن مرزوق يعتقد كثير ان النبوة مجرد
الوحى وهو باطل لحصوله لمن ليس بنبى كمريم وليست بنبية على الصحيح مع قوله تعالى
فارسلنا اليها روحنا الآية وان امر بخبر وفى مسلم بعث الله تعالى ملكا لرجل على مدرجته كان
خرج فى زيارة اخ له فى الله تعالى وقال له ان الله يعلمك انه يحبك لحبك لاخيك فى الله
وليس بنبوة لانها عند المحققين ايحاء الله تعالى لبعض خلقه انسانى يختص به كقوله اقرأ
باسم ربك فهذا تكليف يختص به فى الوقت فهذه نبوة لا رسالة فلما نزل قم فانذر كانت
رسالة لتعلق هذا التكليف بغيره ايضا فالنبى كلف بما يخصه والرسول بذلك وبتبليغ
غيره فالرسول اخص مطلقا انتهى وهل نبينا رسول الآن صلى الله عليه وسلم قال ابو الحسن

قف على ما ذكر فى الفرق بين النبى والرسول

فيه نظر لان يوشع وموسى وهارون ارسلوا معا وموسى وعيسى كذلك لان التورية ليس فيها ما يخالف الانجيل الا القليل

قف على ان نبينا رسول الآن

الاشعری هو صلی الله علیه وسلم فی حکم الرسالة وحکم الشئ یقوم مقام اصل الشئ الا تری
ان العدة تدل علی ماکان من احکام النکاح ویاتی لذلك مزید بیان ان شاء الله تعالی ٭
واما المذکر فقال تعالی فذکر انما انت مذکر   واما البشیر والمبشر والنذیر والمنذر
فقال تعالی انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذیرا ای مبشرا لاهل طاعته بالثواب
وقیل بالمغفرة ونذیرا لاهل معصیته بالعذاب ٭ وقیل محذرا من الضلالات واما المبلغ
فقال تعالی یا ایها الرسول بلغ ما انزل الیك من ربك   واما الحنیف فقال تعالی فاقم
وجهك للدین حنیفا   واما نبی التوبة فلان الامم رجعت بهدایته علیه السلام
بعد ما تفرقت بها الطرق الی الصراط المستقیم   واما رسول الرحمة ونبی المرحمة فقال
تعالی وما ارسلناك الا رحمة للعالمین وقال تعالی بالمؤمنین رؤف رحیم فبعثه الله رحمة
لامته ورحمة للعالمین ٭ وروی البیهقی مرفوعا انما انا رحمة مهداة فرحم الله تعالی به
الخلق مؤمنهم وکافرهم وهذا الاسم من اخص اسمائه وقد کان حظ آدم من رحمته سجود
الملئکة له تعظیما له اذ کان فی صلبه ونوح خروجه من السفینة سالما وابراهیم کانت
النار علیه بردا وسلاما اذ کان فی صلبه فرحمته علیه السلام صلی الله علیه وسلم فی البدا والختام
والدوام لما ابقی الله له من دعوة الشفاعة ولما کانت نبوته رحمة دائمة مکررة مضاعفة
اشتق له من الرحمة اسم المرحمة   واما نبی الملحمة والملاحم وهی الحروب فاشارة الی ما بعث
به علیه الصلوة والسلام من القتال والسیف ولم یجاهد نبی قط امته ما جاهد صلی الله علیه
وسلم وامته والملاحم التی وقعت وتقع بین امته وبین الکفار لم یعهد مثلها قبله فان
امته یقاتلون الکفار فی الاقطار علی تعاقب الاعصار حتی یقاتلوا الاعور الدجال واما
صاحب القضیب فهو السیف کما وقع مفسرا فی الانجیل قال معه قضیب من حدید
یقاتل به وامته کذلك وقد یحمل علی انه القضیب الممشوق الذی کان یمسکه   واما
صاحب الهراوة فهی فی اللغة العصا وقد کان علیه السلام یمسك فی یده القضیب
کثیرا وکان یمشی بین یدیه بالعصا وتغرز له فی الارض فیصلی الیها ٭ قال القاضی
عیاض واراها العصا المذکورة فی حدیث الحوض اذود الناس عنه بعصای لاهل
الیمن ای لاجلهم لیتقدموا فلما کان صلی الله علیه وسلم داعیا للخلق سائقا لجمیعهم
الی موارد هم کان صاحب الهراوة یرعی بها اهل الطواعیة   وصاحب السیف یعذب به
من لا تزیده الحیاة الا شرا   واما الضحاك بالمعجمة فهو الذی یسیل دماء العدو فی الحرب
لشجاعته   واما صاحب التاج فالمراد به العمامة ولم تکن حینئذ الا للعرب والعمائم
تیجانها   واما صاحب المغفر فهو بکسر المیم وسکون الغین المعجمة وفتح الفاء زرد
ینسج من الدروع علی قدر الرأس کان صلی الله علیه وسلم یلبسه فی حروبه   واما

قدم صدق فقال قتادة والحسن وزید بن اسلم فی قوله تعالی وبشر الذین امنوا ان لهم
قدم صدق عند ربهم هو محمد صلی الله علیه وسلم یشفع لهم   وعن ابی سعید الخدری
هی شفاعة نبیهم محمد صلی الله علیه وسلم هو شفیع صدق عند ربهم   وعن سهل
بن عبد الله هی سابقة رحمة اودعها فی محمد صلی الله علیه وسلم   واما نعمة الله فقال
سهل فی قوله تعالی وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد صلی الله علیه وسلم
وقال تعالی یعرفون نعمة الله ثم ینکرونها یعنی یعرفون ان محمدا صلی الله علیه وسلم
نبی ثم یکذبونه ٭ وهذا مروی عن مجاهد والسدی وقال به الزجاج   واما الصراط المستقیم
فقال ابو العالیة والحسن البصری فی تفسیر سورة الفاتحة هو رسول الله صلی الله
علیه وسلم وخیار اهل بیته واصحابه ٭ وحکی الماوردی ذلك فی تفسیر صراط الذین
انعمت علیهم عن عبد الرحمن بن زید   واما العروة الوثقی فحکی عبد الرحمن السلمی عن بعضهم
فی تفسیر قوله تعالی فقد استمسك بالعروة الوثقی الآیة انه محمد صلی الله علیه وسلم
واما رکن المتواضعین فلانه عمادهم وقد ظهر علیه صلی الله علیه وسلم من التواضع
ما لم یظهر علی غیره فکان یرقع القمیص ویخصف النعل ویقم البیت ٭ ووقع فیما ترجموه
من کتاب شعیا مما یدل صریحا فی البشارة برسول الله صلی الله علیه وسلم ولا یمیل الی
الهوی ولا یذل الصالحین الذین هم کالقصبة الضعیفة بل یقوی الصدیقین وهو رکن
المتواضعین وهو نور الله الذی لا یطفا   واما قثم وقثوم بالقاف والمثلثة ففسره
القاضی عیاض بالجامع للخیر ٭ وقال ابن الجوزی مشتق من القثم وهو الاعطا یقال قثم
له من العطا یقثم اذا اعطاه وقد کان رسول الله صلی الله علیه وسلم اعظم الخلق
ندی واسخاهم یدا   واما البارقلیط والفارقلیط بالموحدة وبالفاء بدلها وفتح الراء
والقاف وبسکون الراء مع فتح القاف وبفتح الراء مع سکون القاف وبکسر الراء وسکون
القاف غیر منصرف للعجمة والعلمیة فوقع فی انجیل یوحنا ومعناه روح الحق ٭ وقال ثعلب
الذی یفرق بین الحق والباطل ٭ وفی نهایة ابن الاثیر فی صفته صلی الله علیه وسلم
ان اسمه فی الکتب السالفة فارقلیطا ای یفرق بین الحق والباطل قال ومنه الحدیث
محمد فرق بین الناس ای یفرق بین المؤمنین والکافرین بتصدیقه وتکذیبه   واما
حمیاطا بفتح الحاء المهملة وسکون المیم ٭ قال الهروی ای حامی الحرم ٭ وقال ابن الاثیر
فی حدیث کعب انه قال فی اسماء النبی صلی الله علیه وسلم فی الکتب السالفة محمد واحمد
وحمیاطا یعنی بالحاء المهملة ثم میم ساکنة فمثناة تحتیة فالف فطاء مهملة فالف
قال ابو عمرو وسالت بعض من اسلم من الیهود عنه فقال معناه یحمی الحرم من الحرام ویعطی
الحلال   واما احید بهمزة مضمومة ثم حاء مهملة مکسورة ثم مثناة تحتیة ساکنة

ثم دال مهملة كذا وجدته في بعض نسخ الشفا المعتمدة والمشهور ضبطه بفتح الهمزة وسكون
الحاء المهملة وبفتح المثناة التحتية وفي نسخة بفتحها وكسر الحاء وسكون المثناة فقال
النووي في كتابه تهذيب الاسماء واللغات عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اسمي في القرآن محمد وفي الانجيل احمد وفي التورية أحيد وانما سميت احيد
لاني أحيد عن امتي نار جهنم **واما المُنْحَمَنّا** وهو بضم الميم وسكون النون وفتح
الحاء المهملة وكسر الميم وتشديد النون الثانية المفتوحة مقصور وضبطه
بعضهم بفتح الميم فمعناه بالسريانية محمد **واما المشفح** وهو بضم الميم وبالشين
المعجمة وبالفاء المشددة المفتوحتين ثم حاء مهملة وروي بالقاف بدل الفاء ففي كتاب
شعيا في البشارة به عليه السلام يفتح العيون العور والآذان الصم ويحيي القلوب
الغُلف وما اعطيه لا اعطي احداً مشفح يحمد الله حمداً جديداً وهو بلغتهم الحمد **واما
مقيم السنة** ففي كتاب الشفا قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمداً مقيم السنة
بعد الفترة **واما المبارك** فبدأ الكون ونماؤه كائن من بركته المستمدة من بركة
الله ومن كمال بركته نبع الماء من بين اصابعه وتكثير الطعام القليل ببركته حتى
اشبع الجيش الكثير وغير ذلك مما لمسه او باشره كما سيأتي ان شاء الله في مقصد
معجزاته **واما المكين** فهو صلى الله عليه وسلم المكين بعلو مكانته عند ربه تعالى
ومن ذلك ان قرن سبحانه ذكره بذكره فما اذن باسم احد سواه ولا قرن اسم احد
مع اسمه الا اياه فاعلن له في السابقة على ساق العرش واذن به في اللاحقة على
منار الايمان **واما الامي** فهو من اخص اسمائه وقال تعالى ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا فهو تعالى يقرئه ما كتبه
بيده وما خطته اقلامه العلية في الواح قدسه الاقدسية فيغنيه بذلك
عن ان يقرأ ما تكتب الخلق **واما المكي** فقد كانت بداية ظهوره عليه السلام في الارض
في مكة التي هي حرم الله وهي مبدا البركة ومنشا الهدى فهو عليه السلام مكي الاقامة
ومبدا النبوة ومكي الاعادة وكان من آية ذلك توجهه لها حيثما توجه فهو
عليه السلام المكي الذي لم يبرح وجوداً وقصداً والمرء حيث قصده لا حيث جسمه
حتى كان من شرعه ان يوجه الميت للكعبة ومن اومى لشيء فهو لما اومى ولذلك صحت
الصلوة ايماء **واما المدني** فلان المدينة دار هجرته واقامته لا رحلة له عنها
وخصت تربتها ان ضمت اعضاءه المقدسة **واما عبد الكريم** فذكر الحسين بن
محمد الدامغاني في كتابه سوق العروس وانس النفوس نقلاً عن كعب الاخبار انه قال
اسم النبي صلى الله عليه وسلم عند اهل الجنة عبد الكريم وعند اهل النار عبد

الجبار • وعند اهل العرش عبد الحميد • وعند سائر الملئكة عبد المجيد • وعند
الانبياء عبد الوهاب • وعند الشياطين عبد القهار • وعند الجن عبد الرحيم • وفي
الجبال عبد الخالق • وفي البر عبد القادر • وفي البحر عبد المهيمن • وعند الحيتان
عبد القدوس • وعند الهوام عبد الغياث • وعند الوحوش عبد الرزاق • وعند
السباع عبد السلام • وعند البهائم عبد المؤمن • وعند الطيور عبد الغفار •
وفي التورية موذ موذ • وفي الانجيل طاب طاب • وفي الصحف عاقب • وفي الزبور
فاروق • وعند الله طه ويس • وعند المؤمنين محمد صلى الله عليه وسلم قال
وكنيته ابو القسم لانه يقسم الجنة بين اهلها **واما عبد الله** فسماه الله تعالى في
اشرف مقاماته فقال وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله
وقال تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً • وقال الحمد لله
الذي انزل على عبده الكتاب فذكره بالعبودية في مقام انزال الكتاب عليه والتحدي
بان ياتوا بمثله • وقال تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه فذكره في مقام الدعوة
اليه • وقال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً وقال فاوحى الى عبده ولو كان
له اسم اشرف منه لسماه به في تلك الحالات العلية ولما رفعه الله تعالى الى حضرته
السنية ورقاه الى اعلا المعالي العلوية الزمه تشريفاً له اسم العبودية وقد كان
صلى الله عليه وسلم يجلس للاكل جلوس العبد وكان يتخلى عن وجوه الترفعات كلها
في ملبسه وماكله ومبيته ومسكنه اظهاراً لظاهر العبودية فيما بناه العيان
صدقاً عما في باطنه من تحقق العبودية لربه تحقيقاً لمعنى الذي جاء بالصدق وصدق
به ولما خير ان يكون نبياً ملكاً او نبياً عبداً اختار ان يكون نبياً عبداً فاختار ما هو
الاتم وكان صلى الله عليه وسلم يقول كما في الصحيح لا تطروني كما اطرت النصارى
(اى لا تبالغوا في مدحي هم)
عيسى ولكن قولوا عبد الله ورسوله فاستثبت ما هو ثابت له واسلم لله ما هو له
لا لسواه وليس للعبد الا الاسم العبد ولذا كان عبد الله احب الاسماء الى الله تعالى

(اى بالنسبة له تعالى واما بالنسبة الينا فكالمطلوب الادب في خطه صلى الله عليه وسلم هـ)

الفصل الثاني في ذكر اولاده الكرام عليه وعليهم الصلوة والسلام اعلم ان جملة
ما اتفق عليه منهم ستة • القاسم • وابرهيم • واربع بنات • زينب • ورقية •
وام كلثوم • وفاطمة • وكلهن ادركن الاسلام وهاجرن معه **واختلف** فيما
سوى هؤلاء • فعند ابن اسحق الطاهر والطيب ايضاً فيكون على هذا ثمانية اربعة
ذكور واربعة اناث • وقال الزبير بن بكار كان له عليه السلام سوى ابراهيم القاسم
وعبد الله مات صغيراً بمكة ويقال له الطيب والطاهر ثلاثة اسماء وهو قول اكثر
اهل النسب قاله ابو عمرو • وقال الدارقطني هو الاثبت وسمي عبد الله بالطيب والطاهر

لانه ولد بعد النبوة فعلى هذا يكون جملتهم سبعة ثلاثة ذكور وقيل عبد الله غير
الطيب والطاهر حكاه الدارقطنى وغيره فيكون جملتهم على هذا تسعة خمسة ذكور
وقيل كان له الطيب والمطيب ولدا فى بطن والطاهر والمطهر ولدا فى بطن ذكره صاحب
الصفوة فيكون على هذا احد عشر وقيل ولد له صلى الله عليه وسلم ولد قبل
المبعث يقال له عبد مناف فيكون على هذا اثنا عشر وكلهم سوى هذا ولد فى الاسلام
بعد المبعث وقال ابن اسحق كلهم غير ابرهيم قبل الاسلام ومات البنون قبل الاسلام
وهم يرتضعون وقد تقدم من قول غيره ان عبد الله ولد بعد النبوة وكذلك سمى
بالطيب والطاهر فتحصل من جميع الاقوال ثمانية ذكور اثنان متفق عليهما القاسم
وابرهيم وستة مختلف فيهم عبد مناف وعبد الله والطيب والمطيب والطاهر والمطهر
والاصح انهم ثلاثة ذكور واربع بنات متفق عليهن وكلهن من خديجة بنت خويلد
الا ابرهيم فاما القاسم فهو اول ولد ولد له عليه السلام قبل النبوة وبه كان
يكنى وعاش حتى مشى وقيل عاش سنتين وقال مجاهد مكث سبع ليال وخطاه العلائى
فى ذلك وقال الصواب انه عاش سبعة عشر شهرا وقال ابن فارس بلغ ركوب الدابة
ومات قبل المبعث وفى مستدرك الفريابى ما يدل على انه توفى فى الاسلام وهو اول
من مات من ولده عليه السلام واما زينب فهى اكبر بناته بلا خلاف الا ما لا يصح
وانما الخلاف فيها وفى القاسم ايهما ولد اولا وعند ابن اسحق انها ولدت فى سنة
ثلثين من مولد النبى صلى الله عليه وسلم وادركت الاسلام وهاجرت وماتت سنة
ثمان من الهجرة عند زوجها وابن خالتها ابى العاص لقيط وقيل مهشم بن الربيع بن عبد
العزى بن عبد شمس وكانت هاجرت قبله وتركته على شركه وردها النبى صلى الله
عليه وسلم له بالنكاح الاول بعد سنتين وقيل بعد ست سنين وقيل قبل انقضاء العدة
فيما ذكر ابن عقبة وفى حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ردها له بنكاح
جديد سنة سبع وولدت له عليا مات صغيرا وقد ناهز الحلم وكان رديف
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته يوم الفتح وولدت له ايضا امامة التى
حملها صلى الله عليه وسلم فى صلوة الصبح على عاتقه وكان اذا ركع وضعها واذا
رفع راسه من السجود اعادها وتزوجها على بن ابى طالب بعد موت فاطمة واما
رقية فولدت سنة ثلاث وثلثين من مولده عليه السلام وذكر الزبير بن بكار
وغيره انها اكبر بناته صلى الله عليه وسلم وصححه الجرجانى النسابة والاصح الذى
عليه الاكثرون كما تقدم ان زينب اكبرهن وكانت رقية تحت عتبة بن ابى لهب واختها
ام كلثوم تحت اخيه عتيبة فلما نزلت تبت يدا ابى لهب قال لهما ابوهما ابو لهب رأسى

فقط على ان عليا تزوج امامة بنت زينب بنت النبى عليه السلام بعد فاطمة

من راسكما

من راسكما حرام ان لم تفارقا ابنتى محمد ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما فتزوج عثمان بن عفان
رقية بمكة وهاجر بها الهجرتين الى ارض الحبشة وكانت ذات جمال رائع وذكر الدولابى
ان تزويجه بها كان فى الجاهلية وذكر غيره ما يدل على انه كان بعد اسلامه وتوفيت
والنبى صلى الله عليه وسلم ببدر وعن ابن عباس لما عزى صلى الله عليه وسلم
برقية قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات خرجه الدولابى واما ام كلثوم ولا
يعرف لها اسم انما تعرف بكنيتها وكانت عند عتيبة بن ابى لهب كما قدمته ففارقها
قبل الدخول ويروى ان عتيبة لما فارق ام كلثوم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم
فقال كفرت بدينك وفارقت ابنتك لا تحبنى ولا احبك وسطا عليه وشق قميصه
وهو خارج نحو الشام تاجرا فقال صلى الله عليه وسلم اما انى اسال الله ان يسلط
عليك كلبه وفى رواية اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وابو طالب حاضر فوجم
لها وقال ما كان اغناك عن دعوة ابن اخى فخرج فى تجرة من قريش حتى نزلوا مكانا
من الشام يقال له الزرقا ليلا فاطاف بهم الاسد تلك الليلة فجعل عتيبة يقول
يا ويل امى هو والله اكلى كما دعا على محمد قاتلى ابن ابى كبشة وهو بمكة وانا بالشام
فعدى عليه الاسد من بين القوم فاخذ براسه ففدغه وفى رواية فجاء الاسد
فجعل يتشمم وجوههم ثم ثنى ذنبه فوثب فضربه ضربة واحدة فخدشه فقال
قتلنى ومات وفى رواية ان الاسد اقبل يتخطاهم حتى اخذ برأس عتيبة ففدغه
ذكره الدولابى ولما توفيت رقية خطب عثمان ابنة عمر حفصة فرده فبلغ ذلك
النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا عمر ادلك على خير لك من عثمان وادل عثمان على
خير له منك قال نعم يا نبى الله قال تزوجنى ابنتك وازوج عثمان ابنتى اخرجه
الخجندى وكان تزوج عثمان بام كلثوم سنة ثلاث من الهجرة وروى انه عليه السلام
قال له والذى نفسى بيده لو ان عندى مائة بنت يمتن واحدة بعد واحدة زوجتك
اخرى بعد اخرى هذا جبريل اخبرنى ان الله يامرنى ان ازوجكها رواه الفضائلى
وماتت ام كلثوم سنة تسع من الهجرة وصلى عليها عليه السلام ونزل فى حفرتها
على والفضل واسامة بن زيد وفى البخارى جلس صلى الله عليه وسلم على القبر
وعيناه تدرفان وقال هل فيكم من احد لم يقارف الليلة فقال ابو طلحة انا فقال انزل
قبرها فنزل وقد روى نحو ذلك فى رقية وهو وهم فانه عليه السلام لم يكن
حال دفنها حاضرا بل كان فى غزوة بدر كما قدمته وغسلتها اسماء بنت عميس
وصفية بنت عبد المطلب وشهدت ام عطية غسلها وروت قوله عليه السلام
اغسلنها ثلاثا وخمسا او سبعا او اكثر من ذلك ان رايتن بماء وسدر ولتجعلن

في الاخرة كافورا فاذا فرغتن فآذنني فلما فرغنا آذناه فالقا الينا حقوه وقال اشعرنها

اياه قالت ومشطناها ثلاثة قرون والقيناها خلفها والحقو الازار واشعرنها اى

اجعلنه شعارها الذى يلى جسدها وذلك هو الشعار وما فوقه الدثار وامّا فاطمة

الزهرا البتول فولدت سنة احدى واربعين من مولد النبى صلى الله عليه وسلم

قال ابو عمر وهو مغاير لما راه ابن اسحق ان اولاده عليه السلام كلهم ولدوا قبل

النبوة الا ابرهيم، وقال ابن الجوزى ولدت قبل النبوة بخمس سنين ايام بناء البيت

وروى مرفوعا انما سميت فاطمة لان الله تعالى قد فطمها وذريتها عن النار يوم

القيمة اخرجه الحافظ الدمشقى وروى الغسانى مرفوعا لان الله فطمها ومحبيها

عن النار وسميت بتولا لانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا وحسبا، وقيل

لانقطاعها عن الدنيا الى الله قاله ابن الاثير تزوجت بعلى بن ابى طالب فى السنة

الثانية وقيل بعد احد، وقيل بعد بنائه عليه السلام بعائشة باربعة اشهر ونصف

وبنى بها بعد تزويجها بسبعة اشهر ونصف، وقيل فى صفر فى السنة الثانية وقيل

بعد احد وبنى بها فى ذى الحجة على راس اثنين وعشرين شهرا وكان تزويجها بامر الله

ووحيه وتزوجت ولها خمس عشرة سنة وخمسة اشهر ونصف ولعلى احد

وعشرون سنة وخمسة اشهر وقيل غير ذلك وتقدم مزيد لذلك فى المغازى والسير

من المقصد الاول قال ابو عمر وفاطمة وام كلثوم افضل بنات النبى صلى الله عليه وسلم

وكانت فاطمة احب اهله اليه صلى الله عليه وسلم وكان يقبلها فى فيها ويمصها

لسانه واذا اراد سفرا يكون آخر عهده بها واذا قدم اول ما يدخل عليها، وقال عليه

السلام فاطمة بضعة منى فمن اغضبها اغضبنى رواه البخارى وقال لها اما ترضين

ان تكونى سيدة نساء المؤمنين رواه مسلم وفى رواية احمد افضل نساء اهل الجنة

وتوفيت بعده عليه السلام لستة اشهر ليلة الثلاثا لثلاث خلون من شهر

رمضان سنة احدى عشرة وهى ابنة تسع وعشرين سنة قاله المدينى وقيل

توفيت بعده بثمانية اشهر وقيل غير ذلك والاول اصح كذا قالوه فيما رايته وهو

غير منتظم مع السابق فليتامل، وروى انها قالت لاسماء بنت عميس انى قد استقبحت

ما يصنع بالنساء انه يطرح على المراة الثوب فيصفها فقالت اسما يا بنت رسول

الله لا اريك شيئا رايته بارض الحبشة فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت

عليها ثوبا فقالت فاطمة ما احسن هذا يعرف به المراة من الرجل فاذا انا مت

فاغسلينى انت وعلى ولا يدخل على احد الحديث اخرجه ابو عمر وفى حديث ام سلمى

انها لما اشتكت اغتسلت ولبست ثيابا جددا واضطجعت فى وسط البيت

فاطمة الزهرا رضى الله عنها

مطلب فيه بشارة للاشراف وسرور وشرف

مطلب للمحبين للسيدة فاطمة

ووضعت

ووضعت يدها اليمنى تحت خدها ثم استقبلت القبلة وقالت انى مقبوضة الآن فلا

يكشفنى احد ولا يغسلنى ثم قبضت مكانها ودخل على فاخبر بالذى قالت فاحتملها

فدفنها بغسلها ذلك ولم يكشفها ولا غسلها احد رواه احمد فى المناقب والدولابى

وهذا لفظه مختصر وهو مضاد لخبر اسما المتقدم قال ابو عمر فاطمة اول من غطى نعشها

من النساء على الصفة المذكورة فى خبر اسما المتقدم ثم بعدها زينب بنت جحش صنع

بها ذلك ايضا وولدت لعلى حسنا وحسينا ومحسنا فمات محسن صغيرا وام كلثوم

وزينب ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم عقب الا من ابنته فاطمة رضى الله

عنها، وانتشر نسله الشريف منها من جهة السبطين الحسن والحسين فقط ويقال

للمنسوب لاولهما حسنى ولثانيهما حسينى وقد يضم للحسينى ممن يكون من ذرية اسحق

بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن على بن الحسين بن على بن ابى

طالب لاسحق فيقال الحسينى الاسحقى واسحق هذا هو زوج السيدة نفيسة ابنة

الحسن بن زيد بن الحسن بن على وله منها القسم وام كلثوم ولم يعقبا وتزوج عمر

بن الخطاب ام كلثوم بنت فاطمة فولدت له زيدا ورقية ولم يعقبا ثم تزوجت ام

كلثوم بعد موت عمر بعون ابن جعفر، ثم تزوجت بعد وفاته باخيه محمد بن جعفر

ثم مات عنها فتزوجت باخيهما عبد الله بن جعفر ثم ماتت عنده ولم تلد لواحد من

الثلاثة سوى للثانى ابنة توفيت صغيرة فليس لها عقب ثم تزوج عبد الله جعفر

باختها زينب بنت فاطمة فولدت له عدة من الاولاد منهم على وام كلثوم، وتزوج

ام كلثوم هذه ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر بن ابى طالب فولدت له عدة اولاد

منهم فاطمة زوج حمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام وله منها عقب وبالجملة

فعقب عبد الله بن جعفر انتشر من على واخته ام كلثوم ابنتى زينب بنت الزهرا

ويقال لكل من ينتسب لهؤلاء جعفرى ولا ريب ان لهؤلاء شرفا، واما الجعافرة الذين

ينتسبون لعبد الله بن جعفر فلهم ايضا شرف لكنه يتفاوت فمن كان من ولده من زينب

بنت الزهرا فهم اشرف من غيرهم مع كونهم لا يوازون شرف المنسوبين للحسن والحسين

لمزيد شرفهما ولذا يوصف العباسيون بالشرف لشرف بنى هاشم قال الحافظ ابن حجر

فى الالقاب وقد لقب به يعنى بالشرف كل عباسى ببغداد وعلوى بمصر وفى شيوخ ابن

الرفعة شخص يقال له الشريف العباسى وامّا عبد الله بن النبى صلى الله عليه وسلم

فقيل مات صغيرا بمكة فقال العاصى بن وائل قد انقطع ولده فهو ابتر فانزل الله تعالى

ان شانئك هو الابتر واختلف هل ولد قبل النبوة او بعدها وهل هو الطيب والطاهر

والصحيح انهما لقبان له كما تقدم وامّا ابرهيم فمن مارية القبطية وسيأتى ذكرها

مطلب ابن النبى عبد الله رضى الله عنه

ابرهيم رضى الله عنه

فى سراريه عليه السلام ان شاء الله تعالى فى الفصل التالى لهذا فى امهات المؤمنين
وولد فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة وقيل ولد بالعالية ذكره الزبير بن بكار وكانت
سلمى زوج ابى رافع مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قابلته فبشر ابو رافع
به النبى صلى الله عليه وسلم فوهب له عبدا وعق عنه يوم سابعه بكبشين
وحلق راسه ابو هند وسماه النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ وتصدق بزنة شعره
ورقا على المساكين ودفنوا شعره فى الارض وفى البخارى من حديث انس بن مالك
انه صلى الله عليه وسلم قال ولد لى الليلة غلام سميته باسم ابى ابرهيم ثم دفعه
الى ام سيف امرأة قين بالمدينة يقال له ابو سيف الحديث وفيه انه بقى عندها
الى ان مات والقين الحداد ويجمع بينهما بان التسمية كانت قبل السابع كما فى حديث
انس هذا ثم ظهرت فيه واما حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عند الترمذى
مرفوعا انه امر بتسمية المولود يوم سابعه فيحمل على انها لا تؤخر عن السابع لا انها
لا تكون الا فيه بل هى مشروعة من الولادة الى السابع • قال الزبير بن بكار وتنافست
الانصار فيمن يرضع ابرهيم عليه السلام فانهم احبوا ان يفرغوا مارية له عليه
السلام فاعطاه لام بردة بنت المنذر بن زيد الانصارى زوجة البراء بن اوس فكانت
ترضعه بلبن ابنها فى بنى مازن بن النجار وترجع به الى امه واعطى صلى الله عليه
وسلم ام بردة قطعة نخل وقد تقدم انه اعطاه ام سيف وبقى عندها الى ان مات
فيحمل على ان يكون اعطاه اولا ام بردة ثم اعطاه ام سيف وبقى عندها الى ان توفى لكن
قد روى انه توفى عند ام بردة فيرجع فى الترجيح الى التصحيح • وعن انس بن مالك
قال ما رايت احدا ارحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ابرهيم مسترضعا
فى عوالى المدينة فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وكان ظئره قينا فياخذه فيقبله
ثم يرجع الحديث رواه ابو حاتم وفى حديث جابر اخذ صلى الله عليه وسلم بيد عبد
الرحمن بن عوف فاتى به النخل فاذا ابنه ابرهيم يجود بنفسه فاخذه صلى الله عليه وسلم
فوضعه فى حجره ثم ذرفت عيناه ثم قال انا بك يا ابرهيم لمحزونون تبكى العين ويحزن
القلب ولا نقول ما يسخط الرب خرجه بهذا السياق ابو عمرو بن السماك ومعناه
فى الصحيح وتوفى وله سبعون يوما فيما ذكره ابو داود فى ربيع الاول يوم الثلاثا
لعشر خلون منه وقيل بلغ ستة عشر شهرا وثمانية ايام • وقيل ستة وعشرا شهر
وستة ايام وحمل على سرير صغير وصلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم بالبقيع
وقال ندفنه عند فرطنا عثمان بن مظعون • وروى ان عائشة قالت دفنه عليه
الصلوة والسلام ولم يصل عليه فيحتمل ان يكون لم يصل عليه بنفسه وامر اصحابه

ان يصلوا عليه اولم يصل عليه فى جماعة • وروى ان الذى غسله ابو بردة • وروى الفضل
بن العباس ولعلهما اجتمعا عليه ونزل قبره الفضل واسامة والنبى صلى الله عليه
وسلم على شفير القبر ورش قبره وعلم بعلامة • قال الزبير وهو اول قبر رش • وكسفت
الشمس يوم موته فقال الناس انما كسفت لموت ابرهيم فقال عليه السلام ان الشمس
والقمر آيتان من ايات الله لا ينكسفان لموت احد رواه الشيخان • قيل والغالب ان الكسوف
يكون يوم الثامن والعشرين او التاسع والعشرين فكسفت يوم موت ابرهيم فى
العاشر فلذلك قالوا كسفت لموته • وقال عليه السلام ان له مرضعا فى الجنة رواه
ابن ماجه • وقد روى من حديث انس بن مالك انه قال لو بقى ابراهيم بن النبى صلى
الله عليه وسلم لكان نبيا ولكن لم يبق لان نبيكم آخر الانبياء اخرجه ابو عمر قال الطبرى
وهذا انما يقوله عن توقيف يخص ابرهيم والا فلا يلزم ان يكون ابن النبى نبيا بدليل
ابن نوح عليه السلام وقال النووى فى تهذيب الاسماء واللغات واما ما روى عن بعض
المتقدمين لو عاش ابرهيم لكان نبيا فباطل وجسارة على الكلام على المغيبات ومجازفة
وهجوم على عظيم انتهى • قال شيخنا فى كتابه المقاصد الحسنة ونحوه قول ابن عبد البر
فى تمهيده لا ادرى ما هذا فقد ولد نوح غير نبى ولو لم يلد النبى الا انبياء لكان كل احد
نبيا لانهم من ولد نوح انتهى • قال الحافظ بن حجر ولا يلزم من الحديث المذكور ما ذكره
الطبرى لما لا يخفى وكانه سلف النووى وقال ايضا عقب كلام النووى انه عجيب
مع وروده عن ثلاثة من الصحابة قال وكانه لم يظهر له وجه تاويله فقال
فى انكاره ما قال وجوابه ان القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع ولا يظن بالصحابة
الهجوم على مثل بالظن • قال شيخنا والطرق الثلاثة احدها ما اخرجه ابن ماجة
وغيره من حديث ابن العباس لما مات ابرهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم صلى عليه
وقال ان له موضعا فى الجنة ولو عاش لكان صديقا نبيا ولو عاش لاعتقت اخواله
من القبط وما استرق قبطى قط وفى سنده ابو شيبة ابرهيم بن عثمان الواسطى
وهو ضعيف ومن طريقه اخرجه ابن منده فى المعرفة وقال انه غريب ثانيها ما رواه
ابراهيم السدى عن انس قال كان ابرهيم قد ملأ المهد ولو بقى لكان نبيا الحديث
ثالثها عند البخارى من طريق محمد بن بشر عن اسمعيل بن ابى خالد قال قلت لعبد الله بن
ابى اوفى رايت ابرهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم قال مات صغيرا ولو قضى بعد محمد
نبى عاش ابنه ابرهيم ولكن لا نبى بعده اخرجه احمد عن وكيع عن اسمعيل سمعت ابن
ابى اوفى يقول لو كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم نبى ما مات ابنه انتهى •••
الفصل الثالث فى ذكر ازواجه الطاهرات وسراريه المطهرات قال الله تعالى النبى

اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم اى ازواجه عليه السلام امهات
المؤمنين سوآ من مات عنها او ماتت عنه وهى تحته وذلك فى تحريم نكاحهن
ووجوب احترامهن لا فى نظر وخلوة ولا يقال بناتهن اخوات المؤمنين ولا اباؤهن
وامهاتهن اجداد وجدات ولا اخوتهن واخواتهن اخوال وخالات قال البغوى كن
امهات المؤمنين دون النسآء روى ذلك عن عائشة رضى الله عنها وهو جار على
الصحيح عند اصحابنا وغيرهم من اهل الاصول ان النسآء لا يدخلن فى خطاب الرجال
قال وكان صلى الله عليه وسلم ابا للرجال وللنسآء ويجوز ان يقال ابو المؤمنين فى
الحرمة وفضلت زوجاته عليه السلام على النسآء وثوابهن وعقابهن مضاعفان
ولا يحل سؤالهن الا من ورآء حجاب وافضلهن خديجة وعائشة رضى الله عنهما
وفى افضلهما خلاف يأتى تحقيقه ان شآء الله تعالى قريبا واختلف فى عدة ازواجه
صلى الله عليه وسلم وترتيبهن وعدة من مات منهن قبله ومن مات عنهن ومن
دخل بها ومن لم يدخل بها ومن خطبها ولم ينكحها ومن عرضت نفسها عليه والمتفق
عليه انهن احدى عشرة امرأة ست من قريش خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد
العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوى وعائشة بنت ابى بكر بن ابى قحافة بن
عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لوى وحفصه بنت عمر بن
الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب
بن لوى وام حبيبه (واسمها رملة) بنت ابى سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف
بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى وام سلمة (واسمها هند) بنت ابى امية بن المغيرة بن عبد
الله بن عمر بن مخزوم بن يقظه بن مرة بن كعب بن لوى وسودة بنت زمعة بن
قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك من حسل بن عامر بن لوى واربع
عربيات • زينب بنت جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كعب بن غنم بن
دودان بن اسد بن خزيمة وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت خزيمة
الهلالية ام المساكين وجويرية بنت الحارث الخزاعية المصطلقية وواحدة
غير عربية من بنى اسرائل وهى صفية بنت حيى من بنى النضير • ومات عنده صلى الله عليه
وسلم منهن اثنتان خديجة • وزينب ام المساكين • ومات صلى الله عليه وسلم
عن تسع ذكر اسمآءهن الحافظ ابو الحسن بن الفضل المقدسى نظما فقال

توفى رسول الله عن تسع نسوة • اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعايشة ميمونة وصفية • وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة • ثلاث وست ذكرهن مهذب

خديجة رضى الله عنها

ولاخلاف

ولاخلاف فى ان اول امرأة تزوج بها منهن خديجة بنت خويلد وانه صلى الله عليه وسلم
لم يتزوج عليها حتى ماتت وهذا حين الشروع فى ذكرهن على الترتيب • فاما ام المؤمنين
خديجة وامها فاطمة بنت زائدة بن الاصم فكانت تدعى فى الجاهلية الطاهرة
وكانت تحت ابى هالة النباش بن ابى زرارة فولدت له هندا وهالة وهما ذكران •
ثم تزوجها عتيق بن عائذ المخزومى فولدت له جارية اسمها هند وبعضهم يقدم
عتيقا على ابى هالة ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولها يومئذ من العمر
اربعون سنة وبعض اخرى • وكان سنه عليه السلام احدى وعشرين سنة
وقيل خمسا وعشرين وعليه الاكثر وقيل ثلاثين وكانت قد عرضت نفسها عليه
فذكر ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على خويلد بن اسد فخطبها اليه
فتزوجها صلى الله عليه وسلم واصدقها عشرين بكرة وزاد ابن اسحق من طريق
آخر وحضر ابو طالب ورؤسا مضر فخطب ابو طالب وقد قدمت خطبته فى المقصد
الاول عند ذكر تزويجها له صلى الله عليه وسلم • وذكر الدولابى وغيره ان النبى صلى
الله عليه وسلم اصدق خديجة اثنى عشرة اوقية ذهبا • وكانت خديجة كما قدمته
اول من آمن من النسآء • وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة ان جبريل قال للنبى صلى الله
عليه وسلم يا محمد هذه خديجة قد اتتك باناء فيه طعام او ادام وشراب فاذا هى
اتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب
فيه ولا نصب والقصب اللؤلؤ المجوف • قال ابن اسحق كان صلى الله عليه وسلم لا يسمع
شيئا من رد عليه وتكذيب له عليه السلام فيحزنه ذلك الا فرج الله عنه بخديجة
اذا رجع اليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه امر الناس حتى ماتت • وعن
عبد الرحمن بن زيد قال قال آدم عليه السلام انى لسيد البشر يوم القيمة الا رجلا
من ذريتى نبيا من الانبيا يقال له احمد فضل على باثنين زوجته عاونته فكانت
له عونا وكانت زوجى على عونا واعانه الله على شيطانه فاسلم وكفر شيطانى خرجه
الدولابى كما ذكره الطبرى وخرج الامام احمد عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم
قال افضل نسآء اهل الجنة خديجه بنت خويلد وفاطمة ابنة محمد ومريم ابنة عمران
وآسية امرأة فرعون • قال الشيخ ولى الدين العراقى خديجة افضل امهات المؤمنين
على الصحيح المختار وقيل عائشة انتهى • وقال شيخ الاسلام ابو يحيى زكريا الانصارى
فى شرح بهجة الحاوى عند ذكر ازواجه صلى الله عليه وسلم وافضلهن خديجه
وعائشة وفى افضلهما خلاف صحح ابن العماد تفضيل خديجة لما ثبت انه صلى الله عليه
وسلم قال لعائشة حين قالت له قد رزقك الله خيرا منها فقال لا والله ما رزقنى

الله خيرا منها امنت بي حين كذبني الناس واعطتني مالها حين احرمني الناس وسئل
ابن ابي داود ايهما افضل فقال عائشة اقراها النبي صلى الله عليه وسلم السلام من
جبريل وخديجة اقراها جبريل من ربها السلام على لسان محمد عليه السلام فهي
افضل قيل له فمن افضل خديجة ام فاطمة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان فاطمة بضعة مني فلا اعدل ببضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا
ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم لها اما ترضين ان تكوني سيدة نساء اهل
الجنة الا مريم واحتج من فضل عائشة بما احتجت به من انها في الآخرة مع النبي
صلى الله عليه وسلم في الدرجة وفاطمة مع علي فيها وسئل السبكي عن ذلك
فقال الذي نختاره وندين الله له ان فاطمة بنت محمد افضل ثم امها خديجة ثم عائشة
ثم استدل لذلك بما تقدم بعضه واما خبر الطبراني خير نساء العالمين مريم
بنت عمران ثم خديجة بنت خويلد ثم فاطمة بنت محمد ثم آسية امرأة فرعون فاجاب
عنه ابن العماد بان خديجة انما فضلت فاطمة باعتبار الامومة لا باعتبار السيادة
واختار السبكي ان مريم افضل من خديجة لهذا الخبر وللاختلاف في نبوتها انتهى
وقال ابو امامة بن النقاش ان سبق خديجة وتاثيرها في اول الاسلام وموازرتها
ونصرها وقيامها في الدين لله بمالها ونفسها لم يشركها فيه احد لا عائشة ولا
غيرها من امهات المؤمنين وتاثير عائشة في آخر الاسلام وحمل الدين وتبليغه الى
الامة وادراكها من الامة ما لم يشركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها
انتهى وماتت خديجة بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل باربع وقيل بخمس
ودفنت بالحجون وهي ابنة خمس وستين سنة ولم يكن يومئذ يصلى على الجنازة
وكانت مدة مقامها مع النبي صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة وقيل اربعا وعشرين
سنة واما ام المؤمنين سودة بنت زمعه وامها الشموش بنت قيس فاسلمت قديما
وبايعت وكانت تحت ابن عم لها يقال له السكران بن عمرو اخو سهيل بن عمرو واسلم معها
قديما وهاجرا جميعا الى ارض الحبشة الهجرة الثانية فلما قدما مكة مات زوجها وقيل
انه مات بالحبشة وتزوجها صلى الله عليه وسلم بمكة بعد موت خديجة قبل
ان يعقد على عائشة هذا قول قتادة وابو عبيدة ولم يذكر ابن قتيبة غيره ويقال
تزوجها بعد عائشة ويجمع بين القولين بانه صلى الله عليه وسلم عقد على عائشة
قبل سودة ودخل بسودة قبل عائشة والتزويج يطلق على كل واحد منهما وان كان
المتبادر الى الفهم العقد دون الدخول ولما كبرت سودة اراد صلى الله عليه وسلم
طلاقها فسالته ان لا يفعل وجعلت يومها لعائشة فامسكها وتوفيت بالمدينة

في شوال سنة

في شوال سنة اربع وخمسين وروى البخاري في تاريخه باسناد صحيح الى سعيد بن
ابي هلال انها ماتت في خلافة عمر وجزم الذهبي في التاريخ الكبير بانها ماتت في آخر
خلافة عمر وقال ابن سيد الناس انه المشهور واما ام المؤمنين عائشة رضي الله
عنها وامها ام رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس من بني مالك ابن كنانة فكانت
مسماة على جبير بن مطعم فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم واصدقها فيما قاله ابن
اسحق اربعمائة درهم وتزوجها بمكة في شوال سنة عشر من النبوة وقبل الهجرة
بثلاث ولها ست سنين واعرس بها بالمدينة في شوال سنة اثنين من الهجرة على
راس ثمانية عشر شهرا ولها تسع سنين وقيل بعد ستة اشهر من مقدمه عليه
السلام واخرج الشيخان عن عائشة انها قالت تزوجني رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانا ابنة ست سنين فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحرث بن الخزرج فوعكت
فتمزق شعري فاتتني امي ام رومان واني لفي ارجوحة مع صواحب لي فصرخت بي
فاتيتها ما ادري ما تريد مني فاخذت بيدي حتى اوقفتني على باب الدار وانا انهج
حتى سكن بعض نفسي ثم اخذت شيئا من ماء فمسحت به وجهي وراسي ثم ادخلتني
الدار فاذا نسوة من الانصار في البيت فقلن على الخير والبركة فاسلمتني اليهن فاصلحن
من شاني فلم يرعني الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى فاسلمتني اليه وانا يومئذ
بنت تسع سنين واخرجه ابو حاتم بتغيير بعض الفاظه قال ابو عمر كان نكاحه عليه
السلام لعائشة في شوال وابتنا بها في شوال وكانت تحب ان يدخل النساء من اهلها
واحبتها في شوال على ازواجهن وكانت احب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليه وكانت اذا هويت الشيء تابعها عليه وفقدها عليه السلام في بعض اسفاره
فقال واعروساه خرجه احمد وقال له عليه السلام كما في الصحيحين رايتك في
المنام ثلاث ليال جاءني بك الملك في سرقة من حرير فيقول هذه امراتك فاكشف عن
وجهك فاقول ان يكن من عند الله يمضه والسرقة شقة الحرير البيضا وفي الترمذي
ان جبريل جاءه عليه السلام بصورتها في خرقة حرير خضرا وقال هذه زوجتك
في الدنيا والآخرة وفي رواية عنده قال جبريل ان الله قد زوجك بابنة ابي بكر
ومعه صورتها وكانت مدة مقامها معه عليه السلام تسع سنين ومات
عنها صلى الله عليه وسلم ولها ثمانية عشر سنة ولم يتزوج بكرا غيرها وكانت
فقيهة عالمة فصيحة كثيرة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عارفة
بايام العرب واشعارها روى عنه جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين وكان
صلى الله عليه وسلم يقسم لها ليلتين ليلتها وليلة سودة بنت زمعة لانها وهبت

ليلتها الماكبرت لها كما تقدم ولنسآئه ليلة ليلة وكان يدور على نسآئه ويختم بعائشة
وماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين ، وقال الواقدى ليلة الثلاثا لسبع عشرة
خلت من رمضان سنة ثمان وخمسين وهى ابنة ست وستين سنة واوصت
ان تدفن بالبقيع ليلا وصلى عليها ابو هريرة وكان يومئذ خليفة مروان على المدينة
فى ايام معاوية بن ابى سفيان وكانت عائشة تكنى ام عبد الله يروى انها اسقطت
من النبى صلى الله عليه وسلم سقطا ولم يثبت والصحيح انها كانت تكنى بعبد الله
بن الزبير بن اختها فانه صلى الله عليه وسلم تفل فى فيه لما ولد وقال لعائشة هو عبد
الله وانت ام عبد الله قالت فمازلت اكنى بها وما ولدت قط اخرجه ابو حاتم واما
ام المؤمنين حفصه بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنها وامها زينب بنت مظعون
فاسلمت وهاجرت وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت خنيس بضم
المعجمة وفتح النون وبالسين المهملة ابن حذافة السهمى هاجرت معه ومات عنها
بعد غزوة بدر فلما تايمت (اى صارت بلا زوج) ذكرها عمر رضى الله عنه على ابى بكر وعثمان فلم يجبه واحد
منهما الى زواجها فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحه اياها فى سنة ثلاث
من الهجرة وطلقها تطليقة واحدة ثم راجعها نزل عليه الوحى راجع حفصة فانها
صوامة قوامة وانها زوجتك فى الجنة روى عنها جماعة من الصحابة والتابعين
وماتت فى شعبان سنة خمس واربعين فى خلافة معاوية وقيل سنة احدى
واربعين وهى ابنة ستين سنة ، وقيل انها ماتت فى خلافة عثمان واما ام المؤمنين
ام سلمة هند وقيل رملة والاول اصح وامها عاتكة بنت عامر بن ربيعة وليست
عاتكة بنت عبد المطلب فكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت ابى سلمة
بن عبد الاسد وكانت هى وزوجها اول من هاجر الى ارض الحبشة فولدت له بها
زينب وولدت له بعد ذلك سلمة وعمر ودرة ، وقيل هى اول ظعينة دخلت المدينة
مهاجرة ومات ابو سلمة سنة اربع وقيل سنة ثلاث من الهجرة وكانت ام سلمة
سمعته عليه السلام يقول ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول اللهم اجرنى فى
مصيبتى واخلف على خيرا منها الا اخلف الله له خيرا منها قالت فلما مات ابو سلمة
قلت اى المسلمين خير من ابى سلمة ثم انى قلتها فاخلف الله لى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فارسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن ابى بلتعة يخطبنى له وفى
رواية فخطبها ابو بكر فابت وخطبها عمر فابت ثم ارسل اليها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت مرحبا برسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى خلالا ثلاثا انا امرأة
شديدة الغيرة وانا امرأة مصيبة وانا امرأة ليس لى هنا احد من اوليآئى فيزوجنى

فغضب

فغضب عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم اشد ما غضب لنفسه حين ردته فاتاها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما ما ذكرت من غيرتك فانى ادعو الله ان يذهبها
عنك واما ما ذكرت من صبيتك فان الله سيكفيهم واما ما ذكرت من اوليائك
فليس احد من اوليآئك يكرهنى فقالت لابنها زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فزوجه قال صاحب السمط الثمين رواه بهذا السياق هدبة ابن خالد وصاحب
الصفوة • وخرج احمد والنسائى طرفا منه ومعناه فى الصحيح وفيه دلالة على ان
لا بن يلى العقد على امه وعندنا انما زوجها بالعصوبة لانه ابن بن عمها لان ابا سلمة
عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله وام سلمة هند بنت سهيل بن المغيرة بن
عبد الله ولم يكن من عصبتها احد حاضر غيره وكانت ام سلمة من اجمل الناس وتزوجها
صلى الله عليه وسلم فى ليال بقين من شوال من السنة التى مات فيها ابو سلمة وماتت
سنة تسع وخمسين • وقيل سنة اثنين وستين والاول اصح ودفنت بالبقيع
وصلى عليها ابو هريرة • وقيل سعد بن زيد وكان عمرها اربعا وثمانين سنة واما ام
المؤمنين ام حبيبة رملة بنت ابى سفيان صخر بن حرب • وقيل اسمها هند والاول
اصح وامها صفية بنت ابى العاصى فكانت تحت عبيد الله بن جحش وهاجر بها الى ارض
الحبشة الهجرة الثانية ثم تنصر وارتد عن الاسلام ومات هناك وثبتت ام حبيبة
على الاسلام واختلف فى وقت نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها وموضع
العقد • فقيل انه عقد عليها بارض الحبشة سنة ست فروى انه صلى الله عليه وسلم
بعث عمرو بن امية الضمرى الى النجاشى ليخطبها عليه فزوجها اياه واصدقها عنه
اربعمائة دينار وبعث بها اليه مع شرحبيل بن حسنة • وروى ان النجاشى ارسل
اليها جاريته ابرهة فقالت ان الملك يقول لك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتب الى ان ازوجك منه وانها ارسلت الى خالد بن سعيد بن العاصى فوكلته واعطت
ابرهه سوارين وخاتم فضة سرورا بما بشرتها به فلما كان العشى امر النجاشى جعفر
بن ابى طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا فخطب النجاشى • فقال الحمد لله الملك
القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
اما بعد فقد اجبت الى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصدقتها
اربعمائة دينار ذهبا ثم سكب الدنانير بين يدى القوم فتكلم خالد بن سعيد فقال
الحمد لله واحمده واستعينه واستغفره واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره

المشركون اما بعد فقد اجبت الى ما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته ام
حبيبة بنت ابى سفيان فبارك الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع الدنانير
الى خالد بن سعيد بن العاص فقبضها ثم ارادوا ان يقوموا فقال اجلسوا فان سنة
الانبياء اذا تزوجوا ان يؤكل طعام على التزويج فدعا بطعام فاكلوا ثم تفرقوا خرجه
صاحب الصفوة كما قاله الطبرى وكان ذلك فى سنة سبع من الهجرة قال ابو عمر
واختلف فيمن زوجها فروى انه سعيد بن العاص وروى عثمان بن عفان وهى ابنة
عمته وذكر البيهقى ان الذى زوجها خالد بن سعيد بن العاص وهو ابن بن عم
ابيها لكن ان صح التاريخ المذكور فلا يصح ان يكون عثمان هو الذى زوجها فانه كان مقدمه
من الحبشة قبل وقعة بدر فى السنة الثانية من الهجرة وكان ابو سفيان ابوها حال نكاحها
بمكة مشركا محاربا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان عقد النكاح عليها كان
بالمدينة بعد رجوعها من ارض الحبشة والمشهور الاول وماتت بالمدينة سنة
اربع واربعين وقيل سنة اثنين واربعين واما ام المؤمنين زينب بنت جحش وامها
اميمة بنت عبد المطلب بن هاشم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجها من زيد
بن حارثة فمكثت عنده مدة ثم طلقها كما سياتى ان شاء الله تعالى فى الخصائص فلما انقضت
عدتها منه قال صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة اذهب فاذكرنى لها قال فذهبت
اليها فجعلت ظهرى الى الباب فقلت يا زينب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك
فقالت ما كنت لاحدث شيئا حتى اوامر ربى عز وجل فقامت الى مسجدها فانزل الله
تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل
عليها بغير اذن اخرجه مسلم، وقال المنافقون حرم محمد نساء الولد وقد تزوج
امرأة ابنه فانزل الله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم الآية وكانت زينب تفتخر على
ازواج النبى صلى الله عليه وسلم وتقول زوجكن اباؤكن وزوجنى الله من فوق
سبع سموات رواه الترمذى وصححه وكان اسمها برة فسماها عليه السلام زينب
وعن انس لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش دعا القوم
فطعموا ثم جلسوا يتحدثوا فاذا هو صلى الله عليه وسلم يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما راى
ذلك قام وقام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبى صلى الله عليه وسلم ليدخل فاذا القوم
جلوس ثم انهم قاموا فانطلقت فجئت فاخبرت النبى صلى الله عليه وسلم انهم انطلقوا
فجاء حتى دخل فذهبت لادخل فالقى الحجاب بينى وبينه فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تدخلوا بيوت النبى الآية، وكان تزويجها له صلى الله عليه وسلم فى سنة خمس من
الهجرة وقيل سنة ثلاث وهى اول من مات من ازواجه بعده، وقالت عائشة فى شانها

ولم يكن

ولم تكن امرأة خيرا منها فى الدين واتقى لله واصدق حديثا واوصل للرحم واعظم صدقة
واشد ابتذالا لنفسها فى العمل الذى تتصدق به وتتقرب به الى الله رواه ابو مسلم
وماتت بالمدينة سنة عشرين، وقيل سنة احدى وعشرين ولها ثلاث وخمسون
سنة وصلى عليها عمر بن الخطاب وهى اول من جعل على جنازتها نعش واما ام المؤمنين
زينب بنت خزيمة بن الحرث الهلالية وكانت تدعى فى الجاهلية ام المساكين لاطعامها
اياهم فكانت تحت عبد الله بن جحش فى قول ابن شهاب فقتل عنها يوم أحد فتزوجها رسول
الله صلى الله عليه وسلم سنة ثلاث ولم تلبث عنده الا شهرين او ثلاثة وتوفيت
فى حياته صلى الله عليه وسلم، وقيل مكثت عنده ثمانية اشهر ذكره الفضائلى وقيل
كانت قبله تحت الطفيل بن الحرث ثم خلف عليها اخوه عبيدة بن الحرث وقتل عنها يوم
احد شهيدا فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والاول اصح وتوفيت فى
ربيع الآخر سنة اربع ودفنت بالبقيع قال الطبرى كذا ذكره الفضائلى وانما يكون هذا
على ما حكاه من انها مكثت عنده عليه السلام ثمانية اشهر اما على ما حكاه ابو عمر فلا
يصح اذا العقد كان فى سنة ثلاث فمدتها عنده صلى الله عليه وسلم شهران او ثلاثة
فلا يصح ان يكون وفاتها فى ربيع الآخر انتهى فليتأمل واما ام المؤمنين ميمونة بنت
الحارث الهلالية وامها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة بن حمير فتزوجها
صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة معتمرا سنة سبع بعد غزوة خيبر وكانت اختها
ام الفضل لبابة الكبرى تحت العباس بن عبد المطلب واختها لامها اسما بنت عميس
تحت جعفر وسلمى بنت عميس تحت حمزة، وكانت جعلت امرها الى العباس فانكحها النبى
صلى الله عليه وسلم وهو محرم فلما رجع بنا بها بسرف حلالا ذكره ابو عمر، وفى الصحيح
من افراد مسلم عنها انه صلى الله عليه وسلم تزوجها وهو حلال زاد البرقانى بعد قوله
تزوجها حلالا وبنا بها حلالا وماتت بسرف فيحمل قوله وهو محرم اى داخل الحرم
فيكون العقد وقع بعد انقضاء العمرة ثم خرج منه الى سرف وابتنا بها فيه وهو
على عشرة اميال من مكة كذا قاله الطبرى وسياتى فى مقصد المعجزات فى ذكر الخصائص
مزيد بيان لذلك ان شاء الله تعالى، وكانت ميمونة قبل عند ابى رهم بن عبد العزى
ويقال بل عبد الله بن ابى رهم، وقيل بل عند حويطب بن عبد العزى، وقيل بل فروة
بن عبد العزى قال ابن اسحق ويقال انها وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم
وذلك ان خطبته عليه السلام انتهت اليها وهى على بعيرها فقالت البعير وما عليه
لله ولرسوله وقيل الواهبة نفسها غيرها وتوفيت ميمونة بسرف فى الموضع الذى
بنا بها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك سنة احدى وخمسين وقيل ست

وستين وقيل ثلاث وستين وصلى عليها ابن عباس ودخل قبرها **واما ام المومنين**
جويرية بنت الحرث بن ابى ضرار بكسر الضاد المعجمة وتخفيف الراء فكانت تحت مسافع
بالسين المهملة والفا ابن صفوان المصطلقى وكانت قد وقعت فى سهم ثابت بن قيس
بن شماس الانصارى فى غزوة المريسيع وهى غزوة بنى المصطلق فى سنة خمس وقيل
سنة ست فكاتبته على نفسها ثم جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله انا جويرية بنت الحرث وكان من امرى ما لا يخفى عليك ووقعت فى سهم
ثابت بن قيس بن شماس وانى كاتبت نفسى فجئت اسئلك فى كتابتى فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فهل لك الى ما هو خير قالت وما هو يا رسول الله قال اودى عنك
كتابتك واتزوجك قالت قد فعلت فتسامع الناس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد تزوج جويرية فارسلوا ما فى ايديهم من السبى فاعتقوهم وقالوا اصهار
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة فما راينا امرأة كانت اعظم بركة
على قومها منها اعتق فى سببها مائة اهل بيت من بنى المصطلق خرجه ابو داود
من حديث عائشة **وقال** ابن هشام ويقال اشتراها صلى الله عليه وسلم من
ثابت بن قيس واعتقها وتزوجها واصدقها اربعمائة درهم وعن ابن شهاب
سبى صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث يوم المريسيع فحجبها وقسم لها
وكانت ابنة عشرين سنة وكان اسمها برة فحوله صلى الله عليه وسلم وسماها
جويرية وقد تقدم مثل ذلك فى زينب بنت جحش **وتوفيت** وعمرها خمس و
ستون سنة فى ربيع الاول سنة خمسين وقيل سنة ست وخمسين **واما**
ام المؤمنين صفية بنت حيى بن اخطب بن شعية بفتح الشين وسكون العين
المهملتين وبالياء المثناة التحتية ابن ثعلبة بن عبيد من بنى اسرائل من سبط هرون
بن عمران عليه السلام وامها ضرة بفتح الضاد المعجمة وتشديد الرا بنت سموأل
بفتح السين المهملة وفتح الميم وسكون الواو وفتح الهمزة وباللام فكانت تحت
كنانة بن ابى الحقيق بضم الحاء المهملة وفتح القاف الاولى وسكون المثناة التحتية
فقتل يوم حنين فى المحرم سنة سبع من الهجرة قال انس لما افتتح صلى الله عليه وسلم
خيبر وجمع السبى جاءه دحية فقال يا رسول الله اعطنى جارية من السبى فقال
اذهب فخذ جارية من السبى فاخذ صفية بنت حيى فجاء رجل الى النبى صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله اعطيت دحية صفية بنت حيى سيدة قريظة والنضير
ما تصلح الا لك قال ادعوه بها فجاء بها فلما نظر اليها النبى صلى الله عليه وسلم قال
خذ جارية من السبى غيرها قال واعتقها وتزوجها فقال له ثابت يا ابا حمزة ما اصدقها

قال

قال نفسها اعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها له ام سليم فاهدتها
له من الليل فاصبح صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شىء فليجئ به
قال فبسط نطعا قال فجعل الرجل يجئ بالاقط وجعل الرجل يجئ بالتمر وجعل الرجل
يجئ بالسمن فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى
رواية فقال الناس ما ندرى اتزوجها ام اتخذها ام ولد قالوا ان حجبها فهى امرأته
وان لم يحجبها فهى ام ولد فلما اراد ان يركب حجبها وفى رواية فانطلقنا حتى اذا
راينا جدر المدينة هششنا اليها فرفعنا مطايانا ورفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم مطيته قال وصفية خلفه قد اردفها قال فعثرت مطية رسول الله
صلى الله عليه وسلم فصرع وصرعت قال فليس احد من الناس ينظر اليه واليها
حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسترها قال فدخلنا المدينة فخرجن
جوارى نسائه يتراءينها ويشمتن بصرعتها رواه الشيخان وهذا لفظ مسلم
وروى عن جابر انه صلى الله عليه وسلم اتى بصفية يوم خيبر وانه قتل اباها
واخاها وان بلالا مر بها بين المقتولين وانه صلى الله عليه وسلم خيرها بين ان
يعتقها فترجع الى من بقى من اهلها او تسلم فيتخذها لنفسه فقالت اختار الله
ورسوله خرجه فى الصفوة **واخرج** تمام فى فوائده من حديث انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لها هل لك فى قالت يا رسول الله كنت اتمنى ذلك فى الشرك
فكيف اذا مكننى الله منه فى الاسلام **واخرج** ابو حاتم من حديث ابن عمر راى صلى
الله عليه وسلم بعين صفية خضرة فقال ما هذه الخضرة فقالت كان راسى
فى حجر ابن ابى الحقيق وانا نائمة فرايت قمرا وقع فى حجرى فاخبرته بذلك فلطمنى
وقال تمنين ملك يثرب وبنا بها صلى الله عليه وسلم بالصهبا وماتت فى رمضان
سنة خمسين فى زمن معاوية وقيل غير ذلك ودفنت بالبقيع فهؤلاء ازواجه
اللاتى دخل بهن لا خلاف فى ذلك بين اهل السير والعلم بالاثر **وقد ذكر** انه صلى
الله عليه وسلم تزوج نسوة غير من ذكر وجملتهن اثنى عشر امرأة **الاولى** الواهبة
نفسها له صلى الله عليه وسلم **واختلف** من هى فقيل ام شريك القرشية العامرية
واسمها غزية بضم الغين المعجمة وفتح الزاى وتشديد المثناة التحتية بنت جابر بن عوف
من بنى عامر بن لوى وقيل بنت داود بن عوف وطلقها صلى الله عليه وسلم ولا خلف
فى دخوله بها وقيل هى ام شريك غزية الانصارية من بنى النجار وفى الصفوة هى ام شريك
غزية بنت جابر الدوسية قالوا والاكثرون على انها التى وهبت نفسها للنبى صلى الله
عليه وسلم فلم يقبلها فلم تتزوج حتى ماتت وذكر ابن قتيبة فى المعارف عن ابى اليقظان

فصل فى من تزوج من النساء وفارقهن فى حياته غير من مات عنهن وهن ١٢

ان الواهبة نفسها خولة بنت حكيم السلمي ويجوز ان يكونا وهبتا انفسهما من غير
تضادد • وقال عروة بن الزبير كانت خوله بنت حكيم من اللاتي وهبن انفسهن
للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة اما تستحي المرأة ان تهب نفسها للرجل
فلما نزلت ترجي من تشاء منهن قالت عائشة يا رسول الله ما ارى ربك الا يسارع
لك في هواك رواه الشيخان وهذه خولة هي زوجة عثمان بن مظعون ولعل ذلك
المراد به ما يقتضيه ويريده لا ما يميل اليه النفس م
وقع منها قبل عثمان الثانية خولة بنت الهذيل بن هبيرة تزوجها صلى الله عليه
وسلم فهلكت قبل ان تصل اليه الثالثة عمرة بنت يزيد بن الجون بفتح الجيم الكلابية
وقيل عمرة بنت يزيد بن عبيد بن اوس بن كلاب الكلابية قال ابو عمر وهذا اصح
تزوجها صلى الله عليه وسلم فتعوذت منه حين ادخلت عليه فقال لها لقد
عذت بمعاذ فطلقها وامر اسامة بن زيد فمتعها بثلاثة اثواب قال ابو عمر هكذا
روي عن عائشة • وقال قتادة كان ذلك في امرأة من سليم • وقال ابو عبيدة انما ذلك
لاسما بنت النعمان بن الجون وهكذا ذكره ابن قتيبة وسياتي وقال في عمرة هذه ان
اباها وصفها للنبي صلى الله عليه وسلم ثم قال وازيدك انها لم تمرض قط فقال
عليه السلام ما لهذه عند الله من خير فطلقها الرابعة اسما بنت النعمان بن الجون
بفتح الجيم ابن الحرث الكندية وهي الجونية اجمعوا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم تزوجها • واختلفوا في سبب فراقه لها فقال قتادة وابو عبيدة انه صلى
الله عليه وسلم لما دعاها قالت تعال انت وابتا ان تجي • وقال بعضهم قالت اعوذ
بالله منك فقال عذت بمعاذ وقد اعاذك الله مني • وقيل ان نساءه صلى الله عليه
وسلم علمنها ذلك فانها كانت من اجمل النساء فخفن ان تغلبهن عليه فقلن لها انه
يحب اذا دنا منك ان تقولي اعوذ بالله منك فقال قد عذت بمعاذ فطلقها ثم سرحها
الى اهلها وكانت تسمي نفسها الشقية وقال الجرجاني قلن لها ان اردت ان تحظي عنده
فتعوذي بالله منه فقالت ذلك فولى بوجهه عنها وقيل المتعوذة غيرها • قال ابو عمر
ويجوز ان يكون تعوذتا • وقال اخرون كان باسما وضح فقال لها الحقي باهلك وقد
قيل في اسمها اميمة وقيل امامه الخامسة مليكة بنت كعب الليثية قال بعضهم
هي التي ستعاذت من النبي صلى الله عليه وسلم وقيل دخل بها وماتت عنده والاول
اصح ومنهم من ينكر تزويجه بها اصلا السادسة فاطمة بنت الضحاك بن سفيان
الكلابي تزوجها بعد وفاة ابنته زينب وخيرها حين نزلت آية التخيير فاختارت
الدنيا ففارقها عليه الصلاة والسلام فكانت بعد ذلك تلقط البعر وتقول هي
الشقية اختارت الدنيا هكذا رواه ابن اسحق لكن قال ابو عمر هذا عندنا غير صحيح

لان ابن شهاب يروي عن عروة عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم حين خير ازواجه
بدا بها فاختارت الله ورسوله وتابع ازواج النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال
قتادة وعكرمة كان عنده صلى الله عليه وسلم عند التخيير تسع نسوة وهن اللاتي
توفي عنهن • وقيل انه عليه السلام تزوجها سنة ثمان • وقيل ان اباها قال انها
لم تصدع قط فقال عليه السلام لا حاجة لي بها السابعة غالية بنت ظبيان بن عمرو
بن عوف تزوجها صلى الله عليه وسلم وكانت عنده ما شاء الله ثم طلقها وقل من
ذكرها • وقال ابو سعيد طلقها حين ادخلت عليه صلى الله عليه وسلم الثامنة
قتيلة بضم القاف وفتح المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية بنت قيس اخت
الاشعث بن قيس الكندي زوجه اخوها في سنة عشر ثم انصرف الى حضرموت
فحملها فقبض صلى الله عليه وسلم سنة احدى عشرة قبل قدومها عليه وقيل
تزوجها عليه السلام قبل وفاته بشهرين وقال قائلون ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اوصى بان تخير فان شاءت ضرب عليها الحجاب وكانت من امهات المؤمنين
وان شاءت الفراق فلتنكح من شاءت فاختارت النكاح فتزوجها عكرمة بن ابي جهل
بحضرموت فبلغ ذلك ابا بكر فقال هممت ان احرق عليها بيتها فقال له عمر رضي الله
عنهما ما هي من امهات المؤمنين ما دخل بها صلى الله عليه وسلم ولا ضرب عليها الحجاب
وقال بعضهم لم يوص عليه السلام بشيء ولكنها ارتدت حين ارتد اخوها • وبذلك
احتج عمر على ابي بكر رضي الله عنهما انها ليست من امهات المؤمنين التاسعة سبا
بنت اسما بن الصلت السلمية تزوجها عليه الصلاة والسلام وماتت قبل ان يدخل
بها • وعند ابن اسحق طلقها قبل ان يدخل بها العاشرة شراف بفتح الشين المعجمة
وتخفيف الراء وبالفاء بنت خليفة الكلبية اخت دحية الكلبي تزوجها صلى الله
عليه وسلم فماتت قبل دخوله عليه السلام بها الحادية عشر ليلى بنت الخطيم بفتح
الخاء المعجمة وكسر الطاء المهملة اخت قيس تزوجها صلى الله عليه وسلم وكانت غيورا
فاستقالته فاقالها فاكلها الذئب وقيل هي التي وهبت نفسها له صلى الله عليه
وسلم الثانية عشر امرأة من غفار تزوجها صلى الله عليه وسلم فامرها فنزعت ثيابها
فرأى بكشحها بياضا فقال الحقي باهلك ولم يأخذ مما اتاها شيئا خرجه احمد فهؤلاء
جملة من ذكر من ازواجه صلى الله عليه وسلم وفارقهن في حياته بعضهن قبل
الدخول وبعضهن بعده كما ذكرناه فيكون جملة من عقد عليهن ثلاثا وعشرين امرأة
دخل ببعضهن دون بعض مات منهن عنده بعد الدخول خديجة وزينب بنت خزيمة
ومات منهن قبل الدخول اثنتان اخت دحية وبنت الهذيل باتفاق واختلف في مليكة

وسبا هل ماتا او طلقهما مع الاتفاق على انه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بهما وفارق بعد
الدخول باتفاق بنت الضحاك وبنت ظبيان وقبله باتفاق عمرة واسما والغفارية
واختلف في ام شريك هل دخل بها مع الاتفاق على الفرقة والمستقيلة التي جهل حالها
والمفارقات باتفاق سبع واثنتان على خلاف والميتات باتفاق في حياته اربع ومات
صلى الله عليه وسلم عن عشر واحده لم يدخل بها   وروى انه صلى الله عليه وسلم
خطب عدة نسوة الاولى منهن امرأة من بني مرة بن عوف بن سعد خطبها صلى الله عليه
وسلم الى ابيها فقال ان بها برصًا وهو كاذب فرجع فوجد البرص بها ويقال ان ابنها
شبيب بن البرصا بن الحارث بن عوف ذكره ابن قتيبة كما قاله الطبري وعند ابن
الاثير في جامع الاصول جمرة بنت الحرث بن عوف خطبها صلى الله عليه وسلم فقال
ابوها ان بها سوآءً ولم يكن بها شئ فرجع اليها ابوها وقد برصت قال وهي ام شبيب
بن البرصا الشاعر الثانية امرأة قريشية يقال لها سورة خطبها صلى الله عليه وسلم
وكانت مُصْبِئة فقالت اخاف ان تضغو اصبيتي اى يضجوا ويبكوا عند راسك فدعا
لها وتركها الثالثة صفية بنت بَشامة بفتح الموحدة وتخفيف الشين المعجمة كان
اصابها في سبي فخيرها بين نفسه الكريمة وبين زوجها فاختارت زوجها الرابعة
ولم يذكروا اسمها قيل انه صلى الله عليه وسلم خطبها فقالت استامر ابي فلقيتا باها
فاذن لها فعادت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها قد التحفنا لحافا غيرك الخامسة
ام هانى فاختة بنت ابي طالب اخت علي خطبها صلى الله عليه وسلم فقالت اني امرأة مصبية
واعتذرت اليه فعذرها السادسة ضُباعة بضم الضاد المعجمة وتخفيف الموحدة
وبالعين المهملة بنت عامر بن قُرْط بضم القاف وسكون الرا وبالطاء المهملة خطبها
صلى الله عليه وسلم الى ابنها سلمة بن هاشم فقال حتى استامرها فقيل للنبي صلى
الله عليه وسلم انها قد كبرت فلما عاد ابنها وقد اذنت له سكت عنها صلى الله عليه
وسلم فلم ينكحها السابعة امامة بنت حمزة بن عبد المطلب عرضت عليه صلى الله
عليه وسلم نفسها فقال هي ابنة اخي من الرضاعة الثامنة عزة بنت ابي سفيان
عرضتها اختها ام حبيبة عليه صلى الله عليه وسلم فقال انها لا تحل لي لمكان اختها
ام حبيبة تحت النبي صلى الله عليه وسلم وقيل تزوج عليه السلام الجُنْدُعية
بضم الجيم وسكون النون وضم الدال وبالعين المهملة امرأة من جندع وهي ابنة
جندب بن ضمرة ولم يدخل بها وانكره بعض الرواة فهؤلاء النساء اللاتي ذكر
انه صلى الله عليه وسلم تزوجهن او خطبهن او دخل بهن ولم يدخل بهن او عرضن
عليه صلوات الله وسلامه عليه   واما سراريه فقيل انه اربعة مارية القبطية

قف على انه صلى الله عليه وسلم مات عن عشر نسوة

بنت

بنت شمعون بفتح الشين المعجمة اهداها له المقوقس القبطي صاحب مصر والاسكندرية
واهدى معها اختها سيرين بكسر السين المهملة وسكون المثناة التحتية وكسر الراء
وبالنون اخرها وخصيا يقال له مابور والف مثقال ذهبا وعشرين ثوبا لينا من قباطي
مصر وبغلة شهبا وهي دُلْدُل وحمارا اشهب وهو عُفَير ويقال له يعفور وعسلا
من عسل بنها فاعجب النبي صلى الله عليه وسلم بالعسل ودعا في عسل بنها بالبركة
قال ابن الاثير وبنها بكسر البا وسكون النون قرية من قرى مصر بارك النبي صلى الله
عليه وسلم في عسلها والناس اليوم يفتحون البا انتهى ووهب صلى الله عليه وسلم
سيرين لحسان بن ثابت وهي ام عبد الرحمن بن حسان ومارية هي ام ابرهيم بن النبي
صلى الله عليه وسلم   وماتت مارية في خلافة عمر سنة ست عشرة ودفنت بالبقيع
وريحانة بنت شمعون وهي من بني قريظة وقيل من بني النضير والاول اظهر وماتت
قبل وفاته عليه السلام مرجعه من حجة الوداع سنة عشر ودفنت بالبقيع
وكان عليه السلام وطئها بملك اليمين وقيل اعتقها وتزوجها ولم يذكر ابن
الاثير غيره واخرى وهبتها له زينب بنت جحش الرابعة اصابها في بعض السبي

الفصل الرابع في اعمامه وعماته واخوته من الرضاعة وجداته

قال صاحب ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى كان له صلى الله عليه وسلم اثنى عشر
عما بنو عبد المطلب ابوه عبد الله ثالث عشرهم الحارث وابو طالب واسمه عبد
مناف والزبير ويكنى ابا الحارث وحمزة وابو لهب واسمه عبد العزى والغيداق
والمقوم وضرار والعباس وقثم وعبد الكعبة وجحل بتقديم الجيم وهو
السقاء الضخم وقال الدارقطني بتقديم الحا وهو القيد والخلخال ويسمى المغيرة
وقيل كانوا احد عشر فاسقط المقوم وقيل هو عبد الكعبة وقيل عشرة فاسقط
الغيداق وحجلا وقيل تسعة فاسقط قثم فاما حمزة فامه هالة بنت وهيب
بن عبد مناف بن زهرة ويكنى ابا عمارة وابا يعلى كنيتان له بابنيه عمارة ويعلى
وفي معجم البغوي انه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده انه لمكتوب عند الله
في السماء السابعة حمزة اسد الله واسد رسوله وكان اسلامه في السنة الثانية
من المبعث وقيل في السادسة بعد دخوله عليه السلام دار الارقم وقيل قبل
اسلام عمر بثلاثة ايام وشهد بدرا وقتل بها عتبة بن ربيعة مبارزة قاله موسى
بن عقبة وقيل قتل شيبة بن ربيعة مبارزة قاله ابن اسحق واول راية عقدها
عليه السلام لاحد من المسلمين كانت لحمزة واول سرية بعثها وقال عليه الصلوة
والسلام خير اعمامي حمزة رواه الحافظ الدمشقي وروى ابن السري مرفوعا

سيد الشهداء يوم القيمة حمزة بن عبد المطلب • وذكر السلفي عن بريدة في قوله تعالى
يا ايتها النفس المطمئنة قال حمزة بن عبد المطلب • وعن ابن عباس فمنهم من قضى نحبه
قال حمزة واستشهد في وقعة احد قتله وحشي وعن سعيد بن المسيب كان يقول
كنت اعجب لقاتل حمزة كيف ينجو حتى انه مات غريقا في الخمر رواه الدارقطني على
شرط الشيخين • وقال ابن هشام بلغني ان وحشيا لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من
الديوان وكان عمر يقول لقد علمت ان الله لم يكن ليدع قاتل حمزة • ولما راى النبي صلى
الله عليه وسلم حمزة قتيلا بكا فلما راى ما مثل به شهق وعن ابي هريرة وقف عليه
السلام على حمزة وقد قتل ومثل به فلم ير منظرا كان اوجع لقلبه منه رواه ابو عمر
والمخلص وصاحب الصفوة • وعند ابن هشام انه صلى الله عليه وسلم قال لن اصاب
بمثلك ابدا ما وقفت موقفا قط اغيظ لي من هذا وعند ابن شاذان من حديث ابن مسعود
ما راينا رسول الله باكيا قط اشد من بكائه على حمزة بن عبد المطلب وضعه في القبلة
ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشغ من البكاء يقول يا حمزة يا عم رسول الله واسد
الله واسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا كاشف الكربات يا حمزة يا ذابا عن وجه
رسول الله والنشغ الشهيق حتى يبلغ به الغشي وكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى
على جنازة كبر عليها اربعا وكبر على حمزة سبعين تكبيرة رواه البغوي في معجمه وقد
روى انس بن مالك ان شهداء احد لم يغسلوا ودفنوا بدمائهم ولم يصل عليهم خرجه
احمد وابو داود فيحمل امر حمزة على التخصيص ومن صلى عليه غيره على انه جرح حال
الحرب ولم يمت حتى انقضت الحرب وكان سن حمزة يوم قتل تسعا وخمسين سنة
ودفن هو وابن اخته عبد الله بن جحش في قبر واحد **واما العباس** وكنيته ابو
الفضل فامه نتلة ويقال نُتيله بنت خباب بن كلب بن النمر بن قاسط ويقال انها
اول عربية كست البيت الحرام الديباج واصناف الكسوة لان العباس ضل وهو
صبي فنذرت ان وجدته ان تكسو البيت وكان العباس جميلا وسيما ابيض له ضفيرتان
معتدلا • وقيل كان طوالا وولد قبل الفيل بثلاث سنين وكان اسن من النبي صلى الله
عليه وسلم بسنتين او ثلاث وكان رائيسا في قريش واليه عمارة المسجد الحرام وكان
مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم العقبة يعقد له البيعة على الانصار وكان عليه
السلام يثق به في امره كله ولما شدوا وثاقه في اسرى بدر سهر عليه السلام تلك
الليلة فقيل ما يسهرك يا رسول الله قال لانين العباس فقام رجل فارخى من وثاقه
وفعل ذلك بالاسرى كلهم ذكره ابو عمر وصاحب الصفوة • وقيل كان يكتم اسلامه
وخرج مع المشركين يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم من لقي العباس فلا يقتله فانه

خرج

قف على ان ام العباس اول عربية كست البيت الشريف بالديباج

خرج مستكرها فاسره كعب بن عمرو ففادا نفسه ورجع الى مكة • وقيل انه اسلم يوم
بدر ثم اقبل الى المدينة مهاجرا فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بالابوا
وكان معه يوم فتح مكة وبه ختمت الهجرة • وقال ابو عمر اسلم قبل فتح خيبر وكان يكتم
اسلامه ويسره ما يفتح الله على المسلمين واظهر اسلامه يوم فتح مكة وشهد حنينا
والطائف وتبوك • ويقال ان اسلامه كان قبل يوم بدر وكان يكتب باخبار المشركين
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المسلمون بمكة يثقون به وكان يحب القدوم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه صلى الله عليه وسلم ان مقامك بمكة
خير لك • وقال ابو مصعب اسمعيل بن قيس بن سعد بن زيد بن ثابت حدثنا ابو حازم
سلمة بن دينار عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال استاذن العباس النبي صلى الله
عليه وسلم في الهجرة فقال يا عم اقم مكانك الذي انت فيه فان الله عز وجل يختم بك
الهجرة كما ختم بي النبوة • **ورواه** ابو يعلى والهيثم بن كليب في مسنديهما والطبراني في الكبير
وابو مصعب متروك لكن يعتضد بقول عروة بن الزبير كان العباس قد اسلم واقام
على سقايته ولم يهاجر رواه الحاكم في مستدركه **وذكر السهمي** في الفضائل ان ابا رافع
لما بشر النبي صلى الله عليه وسلم باسلام العباس اعتقه وكان عليه السلام يكرم
العباس بعد اسلامه ويعظمه • ووصفه عليه السلام فقال اجود الناس كفا واحناه
عليهم رواه الفضائلي وفي معجم البغوي العباس عمي وصنو ابي من اذاه فقد اذاني
وفي الترمذي نحوه وقال حسن صحيح **وذكر** السهمي في الفضائل ان العباس اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فلما راه قام اليه وقبل ما بين عينيه ثم اقعده عن يمينه ثم
قال هذا عمي فمن شاء فليباه بعمه فقال العباس نعم القول يا رسول الله قال ولم
لا اقول هذا انت عمي وصنو ابي وبقية ابائي ووارثي وخير من اخلف من اهلي وقال
له عليه السلام يا عم لا ترم منزلك انت وبنوك غدا حتى اتيك فان لي فيكم حاجة
فلما اتاهم اشتمل عليهم بملاءته ثم قال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم
من النار كستري اياهم بملاءتي هذه قال فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت
فقالت امين امين امين رواه ابن غيلان والسهمي ورواه ابن السري وفيه فما
بقي في البيت مدرة ولا باب الا امن **ورواه الترمذي** من حديث ابن عباس بلفظ
فالبسنا كساء ثم قال اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر
ذنبا اللهم احفظه في ولده وقال حسن غريب • وعند ابن عبد الباقي من حديث ابي
هريرة اللهم اغفر للعباس ولولد العباس ولمن احبهم • وفي تاريخ دمشق من حديث
ابن عباس عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له في فتح مكة اللهم

انصر العباس وولد العباس قالها ثلاثا ثم قال يا عم اما علمت ان المهدى من ولدك• وروى
الحاكم فى مستدركه والبغوى فى معجمه عن سعيد بن المسيب انه قال العباس خير هذه
الامة ووارث النبى صلى الله عليه وسلم وعمه قال الذهبى سنده صحيح قال وتكلف
لتاويله بان قوله خير بالمعجمة والتحتية• وفى الافراد للدارقطنى عن جابر الانصارى
رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لم يحب العباس
بن عبد المطلب واهل بيته فقد برئ من الله ورسوله• وفى سنده عمر بن راشد الحارثى
وهو ضعيف جدا لكن يشهد له ما رواه محمد بن الحسين الاشنانى ثم ابو بكر بن عبد
الباقى فى اماليه ومن طريقهما المنذرى من طريق منصور عن مسلم بن صبيح ابى الضحى
عن مسروق عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من لم يحب عمى هذا واخذ بيد العباس فرفعها الله عز وجل ولقرابته منى فليس بمؤمن
وللترمذى وقال حسن عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى
يحبكم لله ورسوله ثم قال يا ايها الناس من اذى عمى فقد اذانى فانما عم الرجل صنو
ابيه• وروى البغوى انه عليه السلام قال له لك يا عم من الله حتى ترضى• وروى
الذهبى فى الفضائل انه عليه السلام قال يا عباس ان الله غير معذبك ولا احد من
ولدك وفى المعجم الكبير للطبرانى عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم اغفر للعباس وابنا العباس وابناء ابنا العباس• وفى مسند عبد
الرحمن بن حاتم المرادى المصرى وهو متروك• وفى تاريخ دمشق مما هو شديد الوهى
عن ابى هريرة مرفوعا اللهم اغفر للعباس وولد العباس ومحبى العباس وشيعتهم• وللذهبى
عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس ان الله غير معذبك ولا
احد من ولدك وفى المناقب للامام احمد بسند لا باس به ان العباس قال كنت عند
النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال انظر هل ترى فى السماء نجما قلت نعم قال ما ترى
قلت الثريا قال اما انه يلى هذه الامة بعددها من صلبك• وروى من حديث ابن عباس
انه عليه السلام قال له الا ابشرك يا عم قال بلى بابى انت وامى فقال عليه السلام ان
من ذريتك الاصفيا ومن عترتك الخلفا• ومن حديث ابى هريرة فيكم النبوة والمملكة
ومن حديث ابن عباس عن ابيه هذا عمى ابو الخلفا اجود قريش كفا واجملها وان من
ولده السفاح والمنصور والمهدى وذكر ابن حسان والملا من حديث ابن عباس
انه عليه السلام قال يا ابا بكر هذا العباس قد اقبل وعليه ثياب بيض وسيلبس ولده
من بعده السواد وعن جابر بن عبد الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول

يقول ليكونن فى ولده يعنى العباس ملوك يكونون امرا امتى يعز الله بهم الدين• قال
الحافظ ابو الحسن الدارقطنى هذا حديث غريب من حديث عمرو بن دينار عن جابر
خرجه الاصفهانى وتوفى العباس رضى الله عنه فى خلافة عثمان رضى الله عنه
قبل مقتله بسنتين بالمدينة يوم الجمعة لاثنتى عشرة• وقيل لاربع عشرة خلت من رجب
وقيل من رمضان سنة اثنتين• وقيل ثلاث وثلاثين سنة وهو ابن ثمان وثمانين
سنة• وقيل تسع وثمانين سنة ادرك منها فى الاسلام اثنين وثلاثين سنة ودفن
بالبقيع ودخل قبره ابنه عبد الله وكان عظيما جليلا وكان يسمى ترجمان القرآن
وهو ابو الخلفا• ويروى ان امه ام الفضل لما وضعته اتت به النبى صلى الله عليه
وسلم فاذن فى اذنه اليمنى واقام فى اليسرى• وقال اذهبى بابى الخلفا• رواه ابن حبان
وغيره وقد ملا عقبه الارض حتى قيل انهم بلغوا فى زمن المامون ستمائة الف وستين
فالله اعلم وكان العباس اصغر اعمامه عليه السلام ولم يسلم منهم الا هو وحمزة
واسنهم الحارث واما عماته صلى الله عليه وسلم بنات عبد المطلب بن هاشم فجملتهن
ست• عاتكه• واميمة• والبيضا وهى ام حكيم• وبرة• وصفية• واروى• ولم يسلم
منهن الا صفية ام الزبير بلا خلاف واختلف فى اروى وعاتكه فذهب ابو جعفر العقيلى
الى اسلامها وعدهما فى الصحابة وذكر الدارقطنى عاتكة فى جملة الاخوة والاخوات
ولم يذكر اروى واما ابن اسحق فذكر انه لم يسلم منهن غير صفية فاما صفية فاسلمت
باتفاق كما ذكرنا وشهدت الخندق وقتلت رجلا من اليهود وضرب لها عليه الصلاة
والسلام بسهم وامها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة شقيقة حمزة
والمقوم وحجل وكانت فى الجاهلية تحت الحرث بن حرب بن امية بن عبد شمس ثم هلك
فخلف عليها العوام بن خويلد اخو خديجة ام المؤمنين فولدت له الزبير والسائب
وعبد الكعبة• وتوفيت بالمدينة فى خلافة عمر رضى الله عنه سنة عشرين ولها
ثلاث وسبعون سنة ودفنت بالبقيع واما عاتكة المختلف فى اسلامها وهى
صاحبة الرؤيا فى قصة بدر واما هالة المختلف فى اسلامها فامها فاطمة بنت
عمرو بن عائذ فتكون شقيقة عبد الله ابى النبى صلى الله عليه وسلم وابى طالب
والزبير وعبد الكعبة وهى صاحبة الرؤيا فى قصة بدر واما اروى المختلف
ايضا فى اسلامها فامها صفية بنت جندب فهى شقيقة الحرث بن عبد المطلب
وكانت تحت عمير بن وهب بن عبد قصى فولدت له طليبا ثم حلف عليها كلدة
بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى واسلم طليب وكان سببا فى اسلام امه كما
ذكره الواقدى واما ام حكيم البيضا فهى شقيقة عبد الله ابى النبى صلى الله عليه

وسلم واما برة فامها فاطمة ايضا وكانت عند ابي رهم بن عبد العزى العامري ثم
خلف عليها عبد الاسد بن هلال المخزومي فولدت له ابا سلمة بن عبد الاسد الذي
كانت عنده ام سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم واما اميمة فامها فاطمة ايضا
وكانت تحت جحش بن رياب فولدت له عبد الله وعبيد الله وابا احمد وزينب وام
حبيبة وحمزة اولاد جحش بن رياب واما جداته عليه الصلاة والسلام من ابيه
فام عبد الله ابيه هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمر بن مخزوم، وام عبد المطلب سلمى
ابنة عمرو من بني النجار وكانت قبل هاشم تحت احيحة بن الحلاج فولدت له عمرو
بن احيحة وهو اخو عبد المطلب لامه وام هاشم عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج
بن ذكوان من بني سليم، وام عبد مناف عاتكة بنت فالج بن مليك بن ذكوان من بني
سليم، وام قصي فاطمة بنت سعد من ازد الشراه، وام كلاب نعم بنت سرير بن ثعلبة
بن مالك بن كنانة، وام مرة وحشية بنت شيبان بن محارب من فهم، وام كعب
سلمى بنت محارب من فهم وام لوي وحشية بنت مدلج بن مرة بن عبد مناف بن كنانة
وام غالب سلمى بنت سعد بن هذيل وام فهر جندلة بن الحرث الجرهمي وام مالك هند
بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن غيلان وام النضر برة بنت مرة اخت تميم بن مرة
ذكره ابن قتيبة في كتاب المعارف كما حكاه الطبري عنه وقال فالجدة الاولى مخزومية
والثانية نجارية، والثالثة سلمية، والرابعة سلمية ايضا وقيل خزاعية، والخامسة
اردية، والسادسة كنانية، والسابعة فهمية، والثامنة فهمية ايضا او فهرية
الخط في الاصل بوهم، والتاسعة كنانية، والعاشرة هذلية، والحادية عشر
جرهمية، والثانية عشر قيسية، والثالثة عشر مرية واما جداته عليه الصلوة
والسلام من امه فام امنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب برة بنت
عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة، وام ابيها وهب عاتكة بنت الاوقص بن مرة
بن هلال بن فالج بن ذكوان من بني سليم ذكره ابن قتيبة، وقال ابو عمر ويعرفا بوها
بابي كبشة الذي كان ينسب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقال ابن ابي
كبشة وينسب اليه لانه كان يعبد الشعرى ولم يكن احد من العرب يعبدها غيره
فلما جاءهم عليه السلام بخلاف ما كانت عليه العرب قالوا هذا ابن ابي كبشة ولم
يقصدوا ذمه عليه السلام بذلك، وقيل بل نسب الى وهب ابي امه كان يدعى بها
وقيل كان ابوه من الرضاعة الحارث بن عبد العزى زوج حليمة فنسب اليه
وام برة هي ام حبيب قاله ابن قتيبة، وقال ابو سعد ام سفيان بنت اسد بن
عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة وام ام حبيب هي برة بنت عوف بن عبيد

جداته عليه السلام من ابيه

جداته من امه عليه السلام

بن عدي

بن عدي بن كعب بن لوي بن غالب وام برة بنت عوف قلابة بنت الحرث بن صعصعة بن
عائذ بن لحيان من هذيل وام قلابة هند بنت يربوع من ثقيف قاله ابن قتيبة وقال ابن
سعد امها بنت مالك بن عثمان من بني لحيان فالجدة الاولى والثانية والثالثة من امهات
امه عليه السلام قرشيات، وام امه سلمية، والرابعة لحيانية هذلية، والخامسة
ثقفية، ففي كل قبيلة من قبائل العرب له عليه السلام علقة نسب واما اخوته عليه
السلام من الرضاعة فحمزة وابو سلمة بن عبد الاسد ارضعتهما معه صلى الله عليه وسلم
ثويبة جارية ابي لهب بلبن ابنها مسروح بن ثويبة وابو سفيان بن الحرث بن عبد
المطلب ارضعته ورسول الله صلى الله عليه وسلم حليمة السعدية وعبد الله
وانيسة وحذافة وتعرف بالشيما الثلاثة اولاد حليمة، وقد روي ان خيلا له عليه
السلام اغارت على هوازن فاخذوها في جملة السبي فقالت انا اخت صاحبكم فلما قدموا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يا محمد انا اختك فرحب بها وبسط
لها رداه واجلسها عليه ودمعت عيناه وقال عليه السلام ان احببت فاقيمي
عندي مكرمة محببة وان احببت ان ترجعي الى قومك وصلتك قالت بل ارجع
الى قومي فاسلمت واعطاها صلى الله عليه وسلم ثلاثة اعبد وجارية ونعما وشاء
ذكره ابو عمر وابن قتيبة واما امه من الرضاعة فحليمة بنت ابي ذويب من هوازن
وهي التي ارضعته حتى اكملت رضاعه وجاءته عليه السلام يوم حنين فقام اليها
وبسط رداه لها فجلست عليه وكذا ثويبة جارية ابي لهب ايضا واختلف في اسلامها
كما اختلف في اسلام حليمة وزوجها فالله اعلم وكانت ثويبة تدخل عليه صلى الله عليه
وسلم بعد ان تزوج خديجة فكانت تكرمها واعتقها ابو لهب وكان عليه السلام
يبعث اليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر ذكره ابو عمر وكانت
حاضنته عليه السلام ام ايمن بركة بنت ثعلبة بن حصين بن مالك غلبت عليها
كنيتها وكنيت باسم ابنها ايمن الحبشي وهي ام اسامة بن زيد تزوجها زيد بعد عبيد
فولدت له اسامة ويقال انها مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجرت
الهجرتين الى ارض الحبشة والى المدينة وكانت لعبد الله بن عبد المطلب فورثها النبي
صلى الله عليه وسلم وقيل كانت لامه عليه السلام وكان عليه السلام يقول ام ايمن
امي بعد امي وكانت الشيما بنت حليمة السعدية تحضنه ايضا مع امها حليمة السعدية

الفصل الخامس في خدمه وحرسه ومواليه ومن كان على نفقاته وخاتمه ونعله وسواكه ومن ياذن عليه ومن كان يضرب الاعناق بين يديه

اما خدمه
فمنهم انس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الانصاري الخزرجي يكنى ابا حمزة

واما اخوته عليه السلام من الرضاعة

واما امه عليه السلام من الرضاعة

والتصحيح ان الانبياء لا يرثون ولا يورثون (?)

قف على خدمه من الرجال

خدم النبي صلى الله عليه وسلم تسع سنين او عشر سنين ودعا له صلى الله عليه وسلم
فقال اللهم اكثر ماله وولده وادخله الجنة وقال ابو هريرة ما رايت احدا اشبه
صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم منه وتوفي في سنة ثلاث وتسعين
وقيل سنة اثنين وقيل سنة احدى وتسعين وقد جاوز المائة • ومنهم ربيعة بن
كعب الاسلمي صاحب وضوئه وتوفي سنة ثلاث وتسعين • ومنهم ابن ام ايمن صاحب
مطهرته عليه السلام استشهد يوم حنين • ومنهم عبد الله بن مسعود بن غافل
بالمعجمة والفا بن حبيب الهذلي احد السابقين الاولين شهد بدرا والمشاهد وكان
صاحب الوسادة والسواك والنعلين والطهور كان يلي ذلك من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان اذا قام النبي صلى الله عليه وسلم البسه نعليه واذا جلس جعلهما
في ذراعيه حتى يقوم • وتوفي بالمدينة وقيل بالكوفة سنة اثنين وثلاثين وقيل
سنة ثلاث • ومنهم عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو الجهني وكان صاحب بغلته يقود
به عليه السلام في الاسفار • روينا عنه انه قال بينما انا اقود برسول الله صلى الله
عليه وسلم بغلته في نقب من تلك النقاب اذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
اركب يا عقبه قال فاجللت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اركب مركبه ثم اشفقت
ان يكون معصية قال فركبت هنيهة ثم نزلت ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم وقدت
به فقال لي يا عقبة الا اعلمك من خير سورتين قرا بهما الناس فقلت بلى بابي انت وامي
يا رسول الله فقال قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس الحديث رواه احمد وابو
داود والنسائي • ولاحمد قال يا عقبة الا اعلمك خير ثلاث سور انزلت في التورية
والانجيل والزبور والقرآن العظيم قلت بلى قال فاقرانى قل هو الله احد وقل اعوذ برب
الفلق وقل اعوذ برب الناس وكان عقبة عالما بكتاب الله وبالفرائض فصيحا شاعرا
مفوها ولي مصر لمعوية سنة اربع واربعين ثم صرفه بمسلمة بن مخلد وتوفي بها سنة
ثمان وخمسين • ومنهم اسلع بن شريك صاحب راحلته وفي الطبراني عن الربيع بن
بدر قال حدثني ابي عن ابيه عن رجل يقال له الاسلع قال كنت اخدم النبي صلى الله
عليه وسلم وارحل له فقال لي ذات يوم يا اسلع قم فارحل فقلت يا رسول الله اصابتني جنابة
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاه جبريل باية الصعيد فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قم يا اسلع فتيمم قال فقمت فتيممت ثم رحلت له ثم سار حتى مر بماء فقال
لي يا اسلع مس وامس هذا جلدك قال فاراني التيمم ضربة للوجه وضربة لليدين الى
المرفقين انتهى • ومنهم سعد مولى ابي بكر وقيل سعيد ولم يثبت وروى عنه ابن ماجه
ومنهم ابوذر جندب بن جنادة الغفاري اسلم قديما • وتوفي بالربذة سنة احدى وثلاثين

وصلى عليه

وصلى عليه عبد الله بن مسعود ثم مات بعده في ذلك اليوم قاله ابن الاثير في معرفة الصحابة
وفي التقريب للحافظ بن حجر سنة اثنين وثلثين ومنهم مهاجر مولى ام سلمة ومنهم
حنين والد عبد الله مولى ابن عباس كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ثم وهبه لعمه
العباس ومنهم نعيم بن ربيعة الاسلمي ومنهم ابو الحمرا مولاه صلى الله عليه وسلم
وخادمه واسمه هلال بن الحارث او ابن ظفر نزل حمص ومنهم ابو السمح خادمه عليه
الصلوة والسلام واسمه اياد ومن النساء بركة ام ايمن الحبشية وهي والدة

خدمه من النساء

اسامة بن زيد ماتت في خلافة عثمان رضي الله عنه وخولة جدة حفص وسلمى
ام رافع زوج ابي رافع • وميمونة بنت سعد وام عباس مولاة رقية بنت النبي
صلى الله عليه وسلم • وكان يضرب الاعناق بين يديه علي بن ابي طالب والزبير بن العوام

يضرب الاعناق بين يديه

والمقداد بن عمرو ومحمد بن مسلمة وعاصم بن ثابت بن ابي الاقلح • والضحاك بن سفيان
وكان قيس بن سعد بن عبادة بين يديه عليه السلام بمنزلة صاحب الشرطة
وكان بلال على نفقاته ومعيقيب بن ابي فاطمة الدوسي على خاتمه وابن مسعود
على سواكه ونعله كما تقدم وابو رافع واسمه اسلم وقيل غير ذلك نبطي كان على ثقله
واذن عليه السلام في المشربة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه رباح النوبي واما
حراسه فمنهم سعد بن معاذ بن النعمان بن امرء القيس سيد الاوس اسلم بين العقبتين
على يد مصعب بن عمير وشهد بدرا واحدا والخندق فرمي فيه بسهم عاش شهرا
ثم انتقض جرحه فمات حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين نام
في العريش ومنهم محمد بن مسلمة الانصاري حرسه يوم احد ومنهم الزبير بن العوام
حرسه يوم الخندق ومنهم بلال المؤذن مولى ابي بكر رضي الله عنه اسلم قديما
وعذب في الله وسكن الشام اخيرا ولا عقب له وتاتي وفاته ان شاء الله تعالى
وكان يحرس النبي صلى الله عليه وسلم بوادي القرى وكان ابو بكر الصديق يوم بدر في
العريش شاهرا سيفه على راسه صلى الله عليه وسلم لئلا يصل اليه احد من المشركين
رواه ابن السمان في الموافقة ووقف المغيرة بن شعبة على راسه بالسيف يوم الحديبية
وكان يحرسه عليه السلام ايضا عباد بن بشر فلما نزلت والله يعصمك من الناس
ترك ذلك واما مواليه صلى الله عليه وسلم فمنهم اسامة وابوه زيد بن حارثة

مواليه صلى الله عليه وسلم

حب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقه وزوجه مولاته ام ايمن واسمها بركة •
فولدت له اسامة وكان زيد قد اسر في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة
بنت خويلد زوج النبي صلى الله فاستوهبه النبي صلى الله عليه وسلم منها ذكر قصته
محمد بن اسحق في السيرة وان اباه وعمه اتيا مكة فوجداه فطلبا ان يفديا مخيرة النبي

صلى الله عليه وسلم بين ان يدفعه لهما او يبقى عنده فاختار ان يبقى عنده عليه السلام
وفى رواية الترمذى قال يا رسول الله لا اختار عليك احدا واستشهد زيد فى غزوة
موتة ومات ابنه اسامة بالمدينة او بوادى القرى سنة اربع وخمسين ومنهم
ثوبان لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل بعده الشام ومات بحمص سنة اربع
وخمسين وابو كبشة اوس ويقال سليم من مولدى مكة وشهد بدرا وشقران
بضم الشين وسكون القاف واسمه صالح الحبشى ويقال فارسى شهد بدرا وهو مملوك
ثم عتق قاله الحافظ بن حجر وقال اظنه مات فى خلافة عثمان ورباح وهو بفتح
الرا وبالموحدة الاسود وكان ياذن عليه احيانا اذا انفرد وهو الذى اذن لعمر
بن الخطاب فى المشربة كما تقدم ويسار الراعى وهو الذى قتله العرنيون وزيد وهو
ابو يسار وليس زيد بن حارثة والد اسامة ذكره ابن الاثير ومدعم بكسر الميم وفتح
العين المهملة عبد اسود كان لرفاعة بن زيد الضبيبى بضم الضاد المعجمة وفتح الموحدة
الاولى فاهداه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو رافع واسمه اسلم القبطى وكان
للعباس فوهبه النبى صلى الله عليه وسلم فلما بشر النبى صلى الله عليه وسلم باسلام
العباس اعتقه توفى قبل قتل عثمان بيسير ورفاعة بن سعيد الجذامى وسفينة
واختلف فى اسمه فقيل طهمان وقيل كيسان وقيل مهران وقيل غير ذلك وسماه
رسول الله صلى الله عليه وسلم سفينة لانهم كانوا حملوه شيئا كثيرا فى السفر ومابور
القبطى وهو من جملة ما اهداه المقوقس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وواقد
او ابو واقد وانجشة الحادى ويأتى ذكره فى حداته عليه السلام ان شاء الله تعالى
وسلمان الفارسى ابو عبد الله ويقال له سلمان الخير اصله من اصبهان وقيل
من رام هرمز اول مشاهده الخندق مات سنة اربع وثلاثين يقال بلغ ثلاثمائة سنة
وشمعون بن زيد ابو ريحانة قال الحافظ بن حجر حليف الانصار ويقال مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم شهد فتح دمشق وقدم مصر وسكن بيت المقدس وابو بكرة نفيع
بن الحارث بن كلدة جد القاضى الجليل بكار بن قتيبة الحنفى قاضى مصر المدفون بها
ومن النساء ام ايمن الحبشية وسلمى ام رافع زوج ابى رافع ومارية وريحانة
وقيصر واخت مارية وغير ذلك قال ابن الجوزى مواليه صلى الله عليه وسلم ثلاثة
واربعون واماؤه احدى عشرة انتهى

الفصل السادس فى امرائه ورسله وكتابه وكتبه الى اهل الاسلام فى الشرايع والاحكام ومكاتباته الى الملوك وغيرهم من الانام

اما كتابه فجمع كثير وجم غفير ذكرهم بعض المحدثين فى تاليف له بديع استوعب
فيه جملا من اخبارهم ونبذا من سيرهم وآثارهم وصدر فيه بالخلفاء الاربعة الكرام

خواص

خواص حضرته عليه السلام فاولهم فى التقديم ابو بكر الصديق وكان اسمه فى الجاهلية
عبد الكعبة وفى الاسلام عبد الله وسمى بالصديق لتصديقه النبى صلى الله عليه
وسلم وقيل لان الله صدقه ويلقب عتيقا لجماله او لانه ليس فى نسبه ما يعاب به
وقيل لانه عتيق من النار ولى الخلافة سنتين ونصفا وستة اشهر صح واربع ليال وسنه سن المصطفى
عليه الصلاة والسلام وتوفى مسموما واسلم ابوه ابو قحافة يوم الفتح وتوفى بعده ولده
فى خلافة عمر واسلمت امه ام الخير سلمى بنت صخر قديما فى دار الارقم وعمر بن الخطاب
بن نفيل بن عبد العزى استخلفه ابو بكر فاقام عشر سنين وستة اشهر واربع ليال
وقتله ابو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة وعثمان بن عفان بن ابى العاص
بن امية وكانت خلافته احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما ثم قتل
يوم الدار شهيدا وروى عن عائشة مما ذكره الطبرى فى فضائله من كتابه الرياض
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسند ظهره الى وان جبريل ليوحى اليه القران
وانه ليقول اكتب يا عثيم رواه احمد وروى البيهقى عن جعفر بن محمد عن ابيه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس جلس ابو بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعثمان
بين يديه وكان كاتب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بن ابى طالب واقام فى الخلافة
اربع سنين وتسعة اشهر وثمانية ايام وتوفى شهيدا على يد داعيه عبد الرحمن بن ملجم
واختص على بكتابة الصلح يوم الحديبية وطلحة بن عبيد الله التيمى احد العشرة استشهد
يوم الجمل سنة ست وثلاثين وهو ابن ثلاث وستين سنة والزبير بن العوام بن
خويلد الاسدى ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه احد العشرة ايضا
قتل سنة ست وثلاثين يوم الجمل قتله جرموز بوادى السباع غيلة وهو نائم وسعيد
بن العاص اخو خالد وابان وعامر بن فهيرة مولى ابى بكر رضى الله عنه وعبد الله بن
الارقم القرشى الزهرى كان يكتب الرسائل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الملوك
وغيرهم وكتب بعده لابى بكر ثم لعمر من بعده رضى الله عنهم واستعمله عمر على بيت المال
مدة ولايته ثم عثمان من بعده الى ان استعفى عثمان من الولاية وبقى عاطلا وكان
امير المؤمنين عمر يقول فى حقه ما رايت اخشى لله منه مات فى خلافة عثمان رضى الله
عنهما وابى بن كعب بضم الهمزة وفتح الموحدة من سباق الانصار كان يكتب الوحى له
صلى الله عليه وسلم وهو احد الستة الذين حفظوا القران على عهده صلى الله عليه
وسلم واحد الفقهاء الذين كانوا يفتون على عهده عليه السلام وتوفى بالمدينة سنة
تسع عشرة وقيل سنة عشرين وقيل غير ذلك وهو الذى كتب الكتاب الى ملكى عمان جيفر
وعبد ابنى الجلندا كما سياتى ان شاء الله تعالى وثابت بن قيس بن شماس استشهد

باليمامة وهو الذى كتب كتاب قطن بن حارثة العُلَيمى كما سياتى ان شاء الله تعالى
وحنظلة بن الربيع الاُسَيدى الذى غسلته الملئكة حين استشهد وابو سفيان
صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الاموى وابنه معاوية
امير المؤمنين بعد الحسن بن على سبط سيد المرسلين ولى لعمر الشام واقره عثمان
قال ابن اسحق وكان اميرا عشرين سنة وخليفة عشرين سنة وروينا فى مسند
الامام احمد من حديث العرباض قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب وهو مشهور بكتابة
الوحى اسلم يوم فتح مكة ومات فى الفتح سنة ستين وقد قارب الثمانين وقال ابن عبد
البر عن اثنين وثمانين سنة والله اعلم واخوه يزيد بن ابى سفيان بن حرب امره عمر
على دمشق حتى مات بها سنة عشرة بالطاعون فوليها بعده اخوه معاوية حتى رقى
منها الى الخلافة وكان يزيد رضى الله عنه من سروات الصحابة وساداتهم اسلم
يوم الفتح ايضا واعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين مائة بعير
واربعين اوقية وزنها له بلال رضى الله عنه وزيد بن ثابت بن الضحاك الانصارى
النجارى مشهور بكتب الوحى مات سنة خمسين وثمان واربعين وقيل بعد الخمسين
وكان احد فقهاء الصحابة واحد من جمع القران فى خلافة ابى بكر ونقله فى المصحف
فى زمن عثمان وشرحبيل بن حسنة وهى امه وهو اول كاتب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم والعلاء بن الحضرمى، وخالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى
سيف الله اسلم بين الحديبية والفتح مات سنة احدى واثنين وعشرين وعمرو
بن العاص بن وائل السهمى فاتح مصر فى ايام امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنهما اسلم عام الحديبية وولى امارة مصر مرتين وهو الذى فتحها ومات بها
سنة نيف واربعين وقيل بعد الخمسين والمغيرة بن شعبة الثقفى اسلم قبل
الحديبية وولى امارة البصرة ثم الكوفة مات سنة خمسين على الصحيح وعبد
الله بن رواحة الخزرجى الانصارى احد السابقين شهد بدرا واستشهد بموتة
ومعيقيب بقاف وآخره موحدة مصغرا ابن ابى فاطمة الدوسى من السابقين
الاولين وشهد المشاهد مات فى خلافة عثمان او على وحذيفة بن اليمانى من السابقين
صح فى مسلم انه صلى الله عليه وسلم اعلمه بما كان وما يكون الى ان تقوم الساعة
وابوه صحابى ايضا واستشهد باحد ومات حذيفة فى اول خلافة على سنة ست
وثلاثين وحويطب بن عبد العزى العامرى اسلم يوم الفتح عاش مائة وعشرين
سنة ومات سنة اربع وخمسين وله كتاب آخر سوى هؤلاء ذكروا فى الكتاب

الذى تقدم ذكره وكان معاوية وزيد بن ثابت الزمهم لذلك واخصهم به كما قاله
الحافظ الشرف الدمياطى وغيره ونبهت عليه قال الحافظ بن حجر وقد كتب له قبل
زيد بن ثابت ابى بن كعب وهو اول من كتب له بالمدينة واول من كتب له بمكة من
قريش عبد الله بن سعد بن ابى سرح ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام يوم الفتح، وممن كتب
فى الجملة اكثر من غيره الخلفاء الاربعة وابان وخالد ابنا سعيد بن العاصى بن امية
وقد كتب صلى الله عليه وسلم الى اهل الاسلام كتبا فى الشرايع والاحكام منها كتابه
فى الصدقات الذى كان عند ابى بكر فكتبه ابو بكر لانس لما وجهه الى البحرين ولفظه
كما عند البخارى وابى داود والنسائى بسم الله الرحمن الرحيم هذه فريضة الصدقة التى
فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين والتى امر الله بها رسوله صلى الله
عليه وسلم فمن سئلها من المسلمين على وجهها فليعطها ومن سئل فوقها فلا يعط
فى اربع وعشرين من الابل فادونها من الغنم فى كل خمس من الابل شاة، فاذا بلغت خمسا
وعشرين الى خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض انثى فان لم تكن ابنة مخاض فابن لبون
ذكر، فاذا بلغت ستا وثلاثين الى خمس واربعين ففيها بنت لبون انثى، فاذا بلغت
ستا واربعين الى ستين ففيها حقة طروقة الجمل، فاذا بلغت احدى وستين الى
خمس وسبعين ففيها جذعة، فاذا بلغت ستا وسبعين الى تسعين ففيها بنتا
لبون، فاذا بلغت احدى وتسعين الى عشرين ومائة ففيها حقتان طروقتا الجمل
فاذا زادت على عشرين ومائة ففى كل اربعين ابنة لبون ففى كل خمسين حقة ومن
لم يكن معه الا اربع من الابل فليست فيها صدقة الا ان يشاء ربها، فاذا بلغت خمسا
من الابل ففيها شاة، ومن بلغت عنده من الابل صدقة الجذعة وليست عنده جذعة
وعنده حقة فانها تقبل منه الحقة ويجعل معها شاتين ان استيسرتا له او عشرين
درهما، ومن بلغت عنده صدقة الحقة وليست عنده الحقة وعنده الجذعة فانها
تقبل منه الجذعة ويعطيه المصدق عشرين درهما او شاتين ومن بلغت عنده صدقة
الحقة وليست عنده الا ابنة لبون فانها تقبل منه بنت لبون ويعطى شاتين او عشرين
درهما ومن بلغت صدقته بنت لبون وعنده حقة فانها تقبل منه الحقة ويعطيه
المصدق عشرين درهما او شاتين، ومن بلغت عنده صدقة بنت لبون وليست
عنده وعنده بنت مخاض فانها تقبل منه بنت المخاض ويعطى معها عشرين درهما
او شاتين، ومن بلغت صدقته بنت مخاض وليست عنده وعنده بنت لبون فانها
تقبل منه بنت لبون ويعطيه المصدق عشرين درهما او شاتين فان لم يكن عنده
بنت مخاض على وجهها وعنده ابن لبون فانه يقبل منه وليس معه شىء وفى صدقة

الغنم في سائمتها اذا بلغت اربعين الى عشرين ومائة شاة شاة فاذا زادت على عشرين
ومائة الى مائتين ففيها شاتان فاذا زادت على مائتين الى ثلاثمائة ففيها ثلاث شياه
فاذا زادت على ثلاث مائة ففي كل مائة شاة فاذا كانت سائمة الرجل ناقصة من اربعين
شاة شاة واحدة فليس فيها صدقة الا ان يشاء ربها ولا يجمع بين متفرق ولا يفرق
بين مجتمع خشية الصدقة وما كان من خليطين فانهما يتراجعان بينهما بالسوية ولا
يخرج في الصدقة هرمة ولا ذات عوار ولا تيس الا ان يشاء المصدق وفي الرقة ربع
العشر فان لم يكن الا تسعين ومائة فليس فيها صدقة الا ان يشاء ربها والرقة الدراهم
المضروبة والهاء فيه عوض من الواو المحذوفة من الورق قاله ابن الاثير في الجامع
وقال في فتح الباري هي بكسر الراء وتخفيف القاف الفضة الخالصة سواء كانت مضروبة
او غير مضروبة ومنها كتابه الذي كان عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نصب
الزكاة وغيرها كما رواه ابو داود والترمذي عن سالم عن ابيه عبد الله بن عمر رضي
الله عنهما قال كتب صلى الله عليه وسلم كتاب الصدقة ولم يخرجه الى عماله وقرنه
بسيفه حتى قبض فعمل به ابو بكر حتى قبض ثم عمل به عمر حتى قبض وكان فيه في خمس
من الابل شاة وفي عشر شاتان وفي خمسة عشر ثلاث شياه وفي عشرين اربع شياه
وفي خمس وعشرين بنت مخاض الى خمس وثلاثين فان زادت واحدة ففيها ابنة لبون
الى خمس واربعين فان زادت واحدة ففيها حقة الى ستين فان زادت واحدة ففيها
جذعة الى خمس وسبعين فان زادت واحدة ففيها ابنتا لبون الى تسعين فان
زادت واحدة ففيها حقتان الى عشرين ومائة فاذا كانت الابل اكثر من ذلك ففي كل
خمسين حقة وفي كل اربعين ابنة لبون وفي الغنم في كل اربعين شاة شاة الى عشرين
ومائة فان زادت واحدة فشاتان الى مائتين فان زادت على المائتين ففيها ثلاث
شياه الى ثلاثمائة فان كانت الغنم اكثر من ذلك ففي كل مائة شاة شاة ثم ليس فيها
شيء حتى تبلغ المائة ولا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين مفترق مخافة الصدقة وما
كان من الخليطين فانهما يتراجعان بالسوية ولا يؤخذ في الصدقة هرمة ولا ذات
عيب وقال الزهري واذا جاء المصدق قسم الشاء اثلاثا ثلث خيار وثلثا وساط
وثلث شرار واخذ من الوسط رواه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن
صحيح انتهى قال ورواه يونس وغير واحد عن الزهري عن سالم ولم يرفعه انتهى
قال ابن الاثير في النهاية والخليط المخالط يريد به الشريك الذي يخلط ماله بمال
شريكه والتراجع بينهما هو ان يكون لاحدهما مثلا اربعون بقرة وللآخر ثلثون بقرة
ومالهما مختلط فياخذ الساعي عن الاربعين مسنة وعن الثلثين تبيعا فيرجع باذل

المسنة

المسنة بثلاثة اسباعها على شريكه وباذل التبيع باربعة اسباعه على شريكه لان
كل واحد من المسنتين واجب على الشيوع كان المال ملك واحد انتهى وقال في فتح الباري
واختلف في المراد بالخليط فعند ابي حنيفة انه الشريك واعترض عليه بان الشريك
لا يعرف عين ماله وقد قال انهما يتراجعان بينهما بالسوية ومما يدل على ان الخليط
لا يستلزم ان يكون شريكا قوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء وقد بينه قبل ذلك بقوله
ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة واعتذر بعضهم عن الحنفية
بانهم لم يبلغهم هذا الحديث او رأوا ان الاصل قوله ليس فيما دون خمس ذود صدقة
وحكم الخلطة يغاير هذا الاصل فلم يقولوا به وقال ابو حنيفة لا يجب على احد منهم
فيما يملك الا مثل الذي يجب عليه لو لم يكن خلطة وقال سفيان الثوري لا يجب حتى يتم
لهذا اربعون شاة ولهذا اربعون شاة وقال الشافعي واحمد واصحاب الحديث
اذا بلغت ماشيتهما النصاب زكيا والخلطة عندهم ان يجتمعا في المسرح والمبيت
والحوض والفحل والشركة اخص منها انتهى ومنها كتابه عليه الصلوة والسلام
الى اهل اليمن وهو كتاب جليل فيه من انواع الفقه في الزكاة والديات والاحكام
وذكر الكبائر والطلاق والعتاق واحكام الصلوة في الثوب الواحد والاحتباء
فيه ومس المصحف وغير ذلك واحتج الفقهاء كلهم بما فيه من مقادير الديات
ورواه النسائي وقال قد روى هذا الحديث يونس عن الزهري مرسلا وابو حاتم
في صحيحه وغيرهما متصلا عن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن ابيه عن جده ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن وكان في كتابه ان من اعتبط مؤمنا
قتلا عن بينة فانه قود الا ان يرضى اولياء المقتول وفيه ان الرجل يقتل بالمرأة
وفيه في النفس الدية مائة من الابل وعلى اهل الذهب الف دينار وفي الانف اذا
اوعب جدعه الدية مائة من الابل وفي اللسان الدية وفي الشفتين الدية وفي
البيضتين الدية وفي الذكر الدية وفي الصلب الدية وفي العينين الدية وفي الرجل
الواحدة نصف الدية وفي المامومة ثلث الدية وفي الجائفة ثلث الدية وفي المنقلة
خمس عشرة من الابل وفي كل اصبع من اصابع اليد والرجل عشر من الابل وفي السن
خمس من الابل وفي رواية مالك وفي العين خمسون وفي اليد خمسون وفي الرجل خمسون
وفي الموضحة خمس من الابل واما مكاتباته عليه السلام الى الملوك وغيرهم فروي
انه عليه الصلوة والسلام لما رجع من الحديبية كتب الى الروم فقيل له انهم لا يقرؤن
كتابا الا ان يكون مختوما فاتخذ خاتما من فضة ونقش فيه ثلاثة اسطر محمد سطر
ورسول سطر والله سطر وختم به الكتاب وانما كانوا لا يقرؤن الكتاب الا مختوما

خوفا من كشف اسرارهم وللاشعار بان الاحوال المعروضة عليهم ينبغى ان تكون
مما لا يطلع عليها غيرهم وعن انس ان ختم كتاب السلطان والقضاة سنة متبعة
وقال بعضهم هو سنة لفعله صلى الله عليه وسلم فكتب الى قيصر المدعو هرقل
ملك الروم يوم ذاك ثم قال بعد تمام كتابة الكتاب من ينطلق بكتابى هذا الى قيصر
وله الجنة فقالوا وان لم يصل يا رسول الله فقال وان لم يصل فاخذه دحية بن خليفة
الكلبى وتوجه به الى جهته فكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله وفى
رواية البخارى عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم وفى رواية غير البخارى الى
قيصر صاحب الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام
اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان توليت فان عليك اسم الاريسيين ويا اهل
الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ
بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون رواه
البخارى وكان ارساله صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب مع دحية بن خليفة الكلبى
الى هرقل فى اخر سنة ست بعد ان رجع من الحديبية كما قاله الواقدى ووقع فى
تاريخ بن خليفة ان ارساله كان سنة خمس والاول اثبت بل هذا غلط لتصريح ابى
سفيان بان ذلك كان فى مدة صلح الحديبية كما فى حديث البخارى فى المدة التى كان
عليه السلام مادّ فيها ابا سفيان وكفار قريش يعنى مدة صلح الحديبية وكان سنة
ست اتفاقا ولم يقل صلى الله عليه وسلم الى هرقل ملك الروم لانه معزول بحكم الاسلام
ولم يخله من الاكرام لمصلحة التاليف وقوله يؤتك الله اجرك مرتين اى لكونه مؤمنا
بنبيه ثم امن بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله فان عليك اثم الاريسيين اى فان
عليك مع اثمك اثم الاتباع بسبب انهم اتبعوك على استمرار الكفر وقيل انه عليه السلام
كتب هذه الاية يعنى يا اهل الكتاب قبل نزولها فوافق لفظه لفظها لما نزلت لان هذه
الاية نزلت فى قصة وفد نجران وكانت قصتهم سنة الوفود سنة تسع وقصة
ابى سفيان هذه كانت قبل ذلك سنة ست وقيل نزلت فى اليهود وجوز بعضهم
نزولها مرتين وهو بعيد والله اعلم ولما قرا كتاب النبى صلى الله عليه وسلم غضب
ابن اخى قيصر غضبا شديدا وقال ارنى الكتاب فقال له وما تصنع به فقال انه بدأ
بنفسه وسماك صاحب الروم فقال له عمه والله انك لضعيف الراى تريد ان ارمى
كتاب رجل ياتيه الناموس الاكبر وكلا ما هذا معناه او قال ان ارمى بكتاب ولم اعلم
ما فيه لئن كان رسول الله انه لاحق ان يبدا بنفسه ولقد صدق انا صاحب الروم
والله ما لكى ومالكه ثم امر بانزال دحية واكرامه الى ان كان من امره ما ذكره البخارى

فى حديثه انتهى وكتب صلى الله عليه وسلم الى كسرى ابرويز بن هرمز بن انوشروان
ملك فارس بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام
على من اتبع الهدى وامن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
وان محمدا عبده ورسوله ادعوك بداعية الله عز وجل فانى رسول الله الى الناس
كلهم لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين اسلم تسلم فان ابيت وتوليت
فعليك اثم المجوس فلما قرئ عليه الكتاب مزقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال مزق الله ملكه وفى البخارى من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعث بكتابه الى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمى فامره ان
يدفعه الى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين الى كسرى فلما قرأه مزقه فحسبت ان
ابن المسيب قال فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يمزقوا كل ممزق
وقيل بعثه مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه والذى فى البخارى هو الصحيح وفى كتاب
الاموال لابى عبيد من مرسل عمرو بن اسحق قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى كسرى وقيصر فاما كسرى فلما قرا الكتاب مزقه واما قيصر فلما قرا الكتاب طواه ثم
رفعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هؤلاء فيمزقون واما هؤلاء فيكون
لهم بقية وروى انه لما جاءه جواب كسرى قال مزق ملكه ولما جاء جواب هرقل قال
ثبت ملكه وذكر شيخ الاسلام ابو الفضل بن حجر العسقلانى رحمه الله فى كتابه فتح البارى
عن سيف الدين قلج المنصورى احد امراء الدولة القلاوونية انه قدم على ملك الغرب
بهدية من الملك المنصور قلاوون فارسله ملك الغرب الى ملك الفرنج فى شفاعة
وانه قبله واكرمه وقال لاتحفنك بتحفة سنية فاخرج له صندوقا مصفحا بذهب
فاخرج منه مقلمة من ذهب فاخرج منها كتابا قد زالت اكثر حروفه وقد الصقت
عليه خرقة حرير فقال هذا كتاب نبيكم لجدى قيصر ما زلنا نتوارثه الى الان واوصانا
اباؤنا عن ابائهم الى قيصر انه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا فنحن نحفظه
غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا انتهى وكتب صلى الله
عليه وسلم الى النجاشى بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشى ملك
الحبشة اما بعد فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن
المهيمن واشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته القيها الى مريم البتول الطيبة الحصينة
فحملت بعيسى حملته من روحه ونفخه كما خلق ادم بيده وانى ادعوك الى الله وحده
لا شريك له والموالاة على طاعته وان تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى فانى رسول الله
وانى ادعوك وجنودك الى الله تعالى وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتى وقد بعثت

اليكم ابن عمي جعفر ومعه نفر من المسلمين والسلام على من اتبع الهدى وبعث الكتاب
مع عمرو بن امية الضمري فقال النجاشي له عندما قرأ الكتاب اشهد بالله انه النبي
الامي الذي ينتظره اهل الكتاب وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى
براكب الجمل وان العيان ليس باشفى من الخبر عنه ولكن اعواني من الجيش قليل فانظرني
حتى اكثر اعواني والين القلوب ثم كتب النجاشي جواب الكتاب الى النبي صلى الله عليه
وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله من النجاشي اصحمة سلام عليك
يا رسول الله ورحمته وبركاته الذي لا اله الا هو الذي هداني للاسلام اما بعد
فقد بلغني كتابك يا رسول الله فما ذكرت من امر عيسى فورب السماء والارض ان عيسى
عليه السلام لا يزيد على ما ذكرت تفروقا انه كما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به الينا
اي علاقة بين النواة والقشر
فاشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك واسلمت
على يديه لله رب العالمين وقد بعثت اليكم بابني وان شئت اتيتك بنفسي فعلت
يا رسول الله فاني اشهد انما تقوله حق والسلام عليك ورحمة الله وبركاته
ثم انه ارسل ابنه في اثر من ارسله من عنده مع جعفر بن ابي طالب عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما كانوا في وسط البحر غرقوا ووافى جعفر واصحابه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا سبعين رجلا عليهم ثياب الصوف منهم
منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من اهل الشام فقرأ عليهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم القرآن سورة يس الى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن وامنوا و
قالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه وفيهم انزل الله تعالى ولتجدن اقربهم
مودة للذين امنوا الى آخر الاية لانهم كانوا من اصحاب الصوامع انتهى والتفروق
علاقة ما بين النواة والقشر وهذا هو اصحمة الذي هاجر اليه المسلمون في رجب سنة
خمس من البعثة وكتب له النبي صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام
مع عمرو بن امية سنة ست من الهجرة فآمن به واسلم على يدي جعفر بن ابي طالب وتوفي
في رجب سنة تسع ونعاه النبي صلى الله عليه وسلم يوم توفي وصلى عليه بالمدينة
واما النجاشي الذي ولي بعده وكتب له النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام
فكان كافرا لا يعرف اسلامه ولا اسمه وقد خلط بعضهم ولم يميز بينهما فانهما اثنان
وقد جاء ذلك مبينا • وفي صحيح مسلم عن قتادة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم
كتب الى كسرى والى قيصر والى النجاشي وليس بالنجاشي الذي صلى عليه وكتب عليه السلام
الى المقوقس ملك مصر والاسكندرية واسمه جريج بن مينا بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى

اي من حيث النبوة والرسالة واما من حيث ذات النبي صلى الله عليه وسلم فالعيان اشفى من الخبر.

اي ابنه ومن كان معه وكانوا مسلمين..

امابعد

اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت
فعليك اثم القبط ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله
ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا
بانا مسلمون وبعث به مع حاطب بن ابي بلتعة فتوجه اليه الى مصر فوجده
بالاسكندرية فذهب اليها فراه في مجلس مشرف على البحر فركب سفينة اليه وحاذى
مجلسه واشار بالكتاب اليه فلما رآه امر باحضاره بين يديه فلما جيء به اليه ووقف
بين يديه ونظر الى الكتاب فضه وقرأه وقال لحاطب ما منعه ان كان نبيا ان يدعو
علي فيسلط علي فقال له حاطب وما منع عيسى ان يدعو على من خالفه ان يسلط
عليه فاستعاد منه الكلام مرتين ثم سكت فقال له حاطب انه كان قبلك رجل
يزعم انه الرب الاعلى فاخذه نكال الاخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك
ولا يعتبر غيرك بك فقال ان لنا دينا لن ندعه الا لما هو خير منه فقال حاطب ندعوك
الى دين الله وهو الاسلام الكافي به الله فقد ما سواه ان هذا النبي صلى الله عليه
وسلم دعا الناس فكان اشدهم عليه قريش واعداهم له يهود واقربهم منه النصارى
ولعمري ما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما دعاؤنا
اياك الى القرآن الا كدعائك اهل التورية الى الانجيل وكل نبي ادرك قوما فهم من امته
فالحق عليهم ان يطيعوه فانت ممن ادرك هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح
ولكنا نأمرك به فقال المقوقس اني قد نظرت في امر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود
فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم اجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت
معه آلة النبوة باخراج الخبء والاخبار بالنجوى وسانظر واخذ كتاب النبي صلى
الله عليه وسلم فجعله في حق من عاج ودفعه لجارية له ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية
فكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله
من المقوقس عظيم القبط اما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعوا
اليه وقد علمت ان نبيا قد بقي وكنت اظن ان يخرج من الشام وقد اكرمت رسولك
وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم وبكسوة واهديت اليك بغلة
لتركبها والسلام ولم يزد على هذا ولم يسلم وكتب صلى الله عليه وسلم الى المنذر بن
ساوى ذكر الواقدي باسناده عن عكرمة قال وجدت هذا الكتاب في كتب ابن عباس
بعد موته فنسخته فاذا فيه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي
الى المنذر بن ساوى وكتب اليه كتابا يدعوه فيه الى الاسلام فكتب المنذر الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم اما بعد يا رسول الله فاني قرأت كتابك على اهل البحرين

فمنهم من احب الاسلام واعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه وبارضي يهود ومجوس
فاحدث الى في ذلك امرك فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم
الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى سلام عليك فاني احمد
اليك الله الذى لا اله الا هو واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
اما بعد فاني اذكرك الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلي
ويتبع امرهم فقد اطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وان رسلي قد اثنوا عليك
خيرا واني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما اسلموا عليه وعفوت
عن اهل الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن اقام
على يهوديته او مجوسيته فعليه الجزية وكتب عليه السلام الى ملكي عمان
وبعثه مع عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله
الى جيفر وعبد ابني الجلندا سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوكما بدعاية
الاسلام اسلما تسلما فاني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول
على الكافرين وانكما ان اقررتما بالاسلام وليتكما وان ابيتما ان تقرا بالاسلام فان
ملككما زائل عنكما وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما وكتب ابي بن كعب
وختم الكتاب قال عمرو فخرجت حتى انتهيت الى عمان فلما قدمتها عمدت الى عبد وكان
احلم الرجلين واسهلهما خلقا فقلت اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليك والى اخيك فقال اخي المقدم علي بالسن والملك وانا اوصلك اليه حتى تقرا
كتابك عليه ثم قال وما تدعو اليه قلت ادعوك الى الله وحده لا شريك له وتخلع
ما عبد من دونه وتشهد ان محمدا عبده ورسوله قال يا عمرو انك ابن سيد قومك
فكيف صنع ابوك فان لنا فيه قدوة قال مات ولم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم
ووددت انه لو كان اسلم وصدق به وقد كنت على مثل رأيه حتى هداني الله للاسلام
قال فمتى تبعته قلت قريبا فسالني اين كان اسلامك قلت عند النجاشي واخبرته ان
النجاشي قد اسلم قال فكيف صنع قومه بملكه قلت اقروه واتبعوه قال والاساقفة
والرهبان تبعوه قلت نعم قال انظر يا عمرو ما تقول انه ليس من خصلة في رجل افضح له
من كذب قلت ما كذبت وما نستحله في ديننا ثم قال فاخبرني ما الذى يامر به وينهى
عنه قلت يامر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويامر بالبر وصلة الرحم وينهى
عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب قال
ما احسن هذا الذى يدعو اليه ولو كان اخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق
به ولكن اخي اضن بملكه من ان يدعه ويصير ذنبا قلت انه ان اسلم ملكه رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم على قومه فاخذ الصدقة من غنيتهم فردها على فقرائهم قال ان
هذا الخلق حسن قال وما الصدقة فاخبرته بما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الصدقات في الاموال حتى انتهيت الى الابل فقال يا عمرو ويؤخذ من سوائم مواشينا
التي ترعى الشجر وترد المآء فقلت نعم فقال والله ما ارى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم
يطيعون لهذا قال فمكثت ببابه اياما وهو يصل الى اخيه فيخبره كل خبرك ثم انه دعاني
يوما فدخلت عليه فاخذ اعوانه بضبعي فقال دعوه فارسلت فذهبت لاجلس
فابوا ان يدعوني اجلس فنظرت فقال تكلم بحاجتك فدفعت اليه الكتاب مختوما
ففض ختمه وقراه حتى انتهى الى آخره ثم دفعه الى اخيه فقراه مثل قراءته الا اني رايت
اخاه ارق منه فقال الا تخبرني عن قريش كيف صنعت قلت تبعوه اما راغب في الدين
واما مقهور بالسيف قال ومن تبعه قلت الناس قد رغبوا في الاسلام واختاروه
على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله انهم كانوا في ضلال فما اعلم احدا بقي غيرك
في هذه الحرجة وان لم تسلم اليوم وتتبعه يوطيك الخيل فاسلم تسلم ويستعملك على قومك
والا تدخل عليك الخيل والرجال قال دعني يومي هذا وارجع الي غدا فرجعت الى اخيه
فقال يا عمرو اني ارجو ان يسلم ان لم يضن بملكه حتى اذا كان الغد اتيت اليه فابى
ان ياذن لي فانصرفت الى اخيه فاخبرته اني لم اصل اليه فاوصلني اليه فقال اني فكرت
فيما دعوتني اليه فاذا انا اضعف العرب ان ملكت رجلا ما في يدي وهو لا تبلغ
خيله ههنا وان بلغت خيله الفت قتالا ليس كقتال من لاقي قلت وانا خارج غدا
فلما ايقن بمخرجي خلا به اخوه فاصبح فاجاب الى الاسلام هو واخوه جميعا وصدق
النبي صلى الله عليه وسلم وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا
لي عونا على من خالفني وكتب صلى الله عليه وسلم الى صاحب اليمامة هوذة بن علي
وارسل به مع سليط بن عمرو العامري بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول
الله الى هوذة بن علي سلام على من اتبع الهدى واعلم ان ديني سيظهر الى منتهى الخف
والحافر فاسلم تسلم واجعل لك ما تحت يدك فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم مختوما انزله وحياه وقرا عليه الكتاب فرد ردا دون
رد وكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم ما احسن ما تدعو اليه واجمله والعرب
تهاب مكاني فاجعل لي بعض الامر اتبعك واجاز سليطا بجائزة وكساه اثوابا
من نسج هجر فقدم بذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره وقرا النبي صلى الله عليه
وسلم كتابه وقال لو سالني سيابة من الارض ما فعلت باد وباد ما في يده فلما انصرف
صلى الله عليه وسلم من الفتح جاءه جبرئيل عليه السلام بان هوذة مات فقال صلى الله

عليه وسلم اما ان اليمامة سيظهر بها كذاب فيتنبا يقتل بعدى فكان كذلك وكتب صلى الله
عليه وسلم الى الحارث بن ابى شمر الغسانى وكان بدمشق بغوطتها بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله الى الحرث بن ابى شمر سلام على من اتبع الهدى وامن بالله وصدق وانى
ادعوك الى ان تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك وارسله مع شجاع بن وهب
وقال صاحب باعث النفوس روى عن ابى هند الدارمى قال قدمنا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونحن ستة نفر تميم بن اوس الدارى واخوه نعيم ويزيد بن قيس
وابو عبد الله بن عبد الله وهو صاحب الحديث واخوه الطيب بن عبد الله فسماه النبى
صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن وفاكهة بن النعمان فاسلمنا وسالنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يقطعنا ارضا من ارض الشام فقال عليه الصلوة والسلام
سلوا حيث شئتم قال ابو هند فنهضنا من عنده صلى الله عليه وسلم الى موضع
نتشاور فيه اين نسأل فقال تميم ارى ان نسأله بيت المقدس وكورتها فقال ابو
هند رايت ملك العجم اليوم اليس هو بيت المقدس قال تميم نعم قال ابو هند فكذلك
يكون فيه ملك العرب واخاف ان لا يتم هذا قال تميم نسأله بيت حبرون وكورتها
فقال ابو هند اكبر واكثر فقال تميم فاين ترى ان نسئله فقال ارى ان نسئله القرى
التى نضع فيها حصونا مع ما فيها من اثار ابرهيم عليه السلام فقال تميم اصبت
ووفقت قال فنهضنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا تميم اتحب ان تخبرنى
بما كنتم فيه او اخبركم فقال تميم بل تخبرنا يا رسول الله فنزداد ايمانا فقال عليه الصلوة
والسلام اردت يا تميم امرا واراد ابو هند غيره ونعم الرأى راى ابى هند فدعى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بقطعه من ادم كتب لهما فيها كتابا نسخته بسم الله الرحمن
الرحيم هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم للداريين
اذا اعطاه الله الارض وهب لهم بيت عينون وحبرون والمرطلوم وبيت ابرهيم
ومن فيهم الى ابد الابد شهد عباس بن عبد المطلب وخزيمة بن قيس وشرحبيل بن حسنة
وكتب قال ثم دخل بالكتاب الى منزله فعالج فى زاوية الرقعة بشئ لا يعرف وعقد من
خارج الرقعة بسير عقدتين وخرج به الينا مطويا وهو يقول ان اولى الناس بابرهيم
للذين اتبعوه وهذا النبى والذين امنوا والله ولى المؤمنين ثم قال انصرفوا حتى تسمعوا
انى هاجرت قال ابو هند فانصرفنا فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة
قدمنا عليه وسالناه ان يجدد لنا كتابا فكتب لنا كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما انطا محمد رسول الله لتميم الدارى واصحابه انى انطيتكم بيت عين وحبرون
والمرطلوم وبيت ابرهيم برمتهم وجميع ما معهم نطية بت ونفذت وسلمت

فى تغير الاسماء الدالة على التركية

والمرطهوم نسخة

لهم ذلك

لهم ذلك ولاعقابهم من بعدهم ابد الابد فمن اذيهم فيه اذاه الله شهد ابو بكر بن
ابى قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن ابى طالب ومعاوية بن ابى سفيان
وكتب فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر رضى الله عنه وجند
الجنود الى الشام كتب كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم من ابى بكر الصديق الى ابى
عبيدة بن الجراح سلام عليك فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو اما بعد فامنع
من كان يؤمن بالله واليوم الاخر من الفساد فى قرى الداريين وان كان اهلها قد
جلوا عنها واراد الداريون يزرعونها فليزرعونها واذا رجع اليها اهلها فهى
لهم واحق والسلام عليك نقل من كتاب اسعاف الاخصا بفضائل المسجد الاقصى
وكتب صلى الله عليه وسلم ليوحنة بن روبة صاحب ايلة لما اتاه بتبوك وصالح
رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطاه الجزية بسم الله الرحمن الرحيم هذا
امنة من الله ومحمد النبى رسول الله ليوحنة بن روبة واهل ايلة اساقفهم وسائرهم
فى البر والبحر لهم ذمة الله وذمة النبى ومن كان معه من اهل الشام واهل اليمن
واهل البحر فمن احدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه طيب لمن اخذه
من الناس وانه لا يحل ان يمنعوا ماء يريدونه ولا طريقا يريدونه من بر او بحر هذا
كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكتب صلى الله عليه وسلم لاهل جربا واذرح لما اتوه بتبوك ايضا واعطوه الجزية
بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لاهل جربا واذرح انهم
امنون بامان الله وامان محمد وان عليهم مائة دينار فى كل رجب وافية طيبة
والله كفيل عليهم بالنصح والاحسان الى المسلمين ومن لجا اليهم من المسلمين فى المخافة
وعن حسين بن عبد الله بن ضميرة عن ابيه عن جده ضميرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مر بام ضميرة وهى تبكى فقال ما يبكيك اجائعة انت ام عارية فقالت
يا رسول الله فرق بينى وبين ابنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفرق
بين الوالدة وولدها ثم ارسل الى الذى عنده ضميرة فدعاه فابتاعه منه ببكر قال
ابن ابى ذؤيب ثم اقرانى كتابا عنده بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد
رسول الله لابى ضميرة واهل بيته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقهم
وانهم اهل بيت من العرب ان احبوا اقاموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
وان احبوا رجعوا الى قومهم ولا يعرض لهم الا بحق ومن لقيهم من المسلمين فليستوص
بهم خيرا وكتب عليه الصلوة والسلام كتابا الى اهل وج سياتى فى وفد ثقيف
من الفصل العاشر من هذا المقصد ان شاء الله تعالى وهذا كتابه عليه الصلاة والسلام

الى مسيلمة الكذاب فى وفد بنى حنيفة وكتب صلى الله عليه وسلم لاهل جربا. واذرح لما
اتوه بتبوك ايضا واعطوه الجزية لبسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبى رسول
الله لاهل اذرح انهم امنون بامان الله وامان محمد وان عليهم مائة دينار فى كل
رجب وافية طيبة والله كفيل عليهم بالنصح والاحسان الى المسلمين ومن لجا اليهم
من المسلمين فى المخافة وكتب عليه الصلوة والسلام لاكيدر واهل دومة الجندل لما
صالحه لبسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لاكيدر واهل
دومة ان لنا ايضا من الضحل والبور والمعامى واغفال الارض والحلقة والسلاح
والحافر والحصين. ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور ولا يعدل بسارحتكم
ولا تعد فاردتكم ولا يحصر عليكم النبات تقيمون الصلوة لوقتها وتؤتون الزكاة
بحقها عليكم بذلك حق الله والميثاق. ولكم به الصدق والوفاء. شهد الله ومن
حضر من المسلمين والضاحى البارز الظاهر. والضحل الماء القليل والبور الارض لم تستخرج
والمعامى اغفال الارض والضامنة النخل الذى معهم فى الحصن والمعين الظاهر
من الماء الدائم وباع صلى الله عليه وسلم للعداء عبدا وكتب عليه السلام لاهل
قرح سجلا فى وفد ثقيف من الفصل العاشر من هذا المقصد ان شاء الله تعالى وكذا
كتابه عليه السلام الى مسيلمة الكذاب فى وفد بنى حنيفة وباع صلى الله عليه وسلم
للعداء وكتب لبسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى العداء بن خالد بن هوذة من محمد
رسول الله اشترى عبدا او امة شك الراوى لا داء ولا غائلة ولا خبثة بيع المسلم
المسلم رواه ابو داود والدارقطنى والغائلة الاباق والسرقة والزنا والخبثة
قال ابن ابى عروبة بيع اهل غير المسلمين وكان اسلام العداء بعد فتح خيبر وهذا يدل
على مشروعية الاشهاد فى المعاملات قال الله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم والامر
هنا ليس للوجوب فقد باع عليه السلام ولم يشهدوا اشترى ورهن درعه عند
يهودى ولم يشهد ولو كان الاشهاد امرا واجبا لوجب مع الرهن خوف المنازعة
والله اعلم واما امراؤه عليه السلام، فمنهم باذان بن ساسان من ولد
بهرام امره صلى الله عليه وسلم على اليمن وهو اول امير فى الاسلام على اليمن واول
من اسلم من ملوك العجم وامر صلى الله عليه وسلم على صنعا خالد بن سعيد وولى
زياد بن لبيد الانصارى حضرموت وولى ابا موسى الاشعرى زبيد وعدن وولى
معاذ بن جبل الجند وولى ابا سفيان بن حرب نجران وولى ابنه يزيد تيما وولى
عتاب بفتح المهملة وتشديد المثناة الفوقية ابن اسيد بفتح الهمزة وكسر السين
المهملة مكة واقامة الموسم والحج بالمسلمين سنة ثمان وولى على بن ابى طالب

القضاء باليمن. وولى عمرو بن العاص عمان واعمالها. وولى ابا بكر الصديق اقامة الحج
سنة تسع وبعث فى اثره عليا فقرأ على الناس براءة فقيل لان اولها نزل بعد ان خرج
ابو بكر الى الحج وقيل اردفه به عونا له ومساعدا ولهذا قال له الصديق اميرا او مامور
قال بل مامور واما الرافضة فقالوا بل عزله وهذا لا يبعد من بهتهم وافترائهم وقد
ولى عليه السلام الصدقات جماعة كثيرة واما رسله صلى الله عليه وسلم فقد
روى انه عليه السلام بعث ستة نفر فى يوم واحد فى المحرم سنة سبع وذكر القاضى
عياض فى الشفا مما عزاه للواقدى انه اصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين
بعثه اليهم انتهى وكان اول رسول بعثه صلى الله عليه وسلم عمرو بن امية الضمرى
الى النجاشى ملك الحبشة وكتب اليه كتابين يدعوه فى احدهما الى الاسلام ويتلو عليه
القران فاخذه النجاشى ووضعه على عينيه ونزل على سريره فجلس على الارض ثم اسلم
وشهد شهادة الحق وقال لو كنت استطيع ان آتيه لاتيته وفى الكتاب الاخر ان يزوجه
ام حبيبة بنت ابى سفيان فزوجه اياها كما تقدم فى ذكر الازواج ودعا بحق من عاج
فجعل فيه كتابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لن تزال الحبشة بخير ما كان
هذان الكتابان بين اظهرهم وصلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم وهو بالحبشة
كذا قاله الواقدى وغيره وليس كذلك فان النجاشى الذى صلى عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس هو الذى كتب اليه كما قدمته وبعث عليه السلام
دحية بن خليفة الكلبى وهو احد الستة الى قيصر ملك الروم واسمه هرقل يدعوه
الى الاسلام فهم بالاسلام فلم توافقه الروم فخافهم على ملكه فامسك وبعث
عبد الله السهمى الى كسرى وهو الثالث وبعث الرابع وهو حاطب بن ابى بلتعة
الى المقوقس فاكرمه وبعث الى النبى صلى الله عليه وسلم بجاريتين وكسوة وبغلة
ولم يسلم وبعث الخامس وهو شجاع بن وهب الاسدى الى ملك البلقا الحارث بن ابى
شمر الغسانى وبعث السادس وهو سليط بن عمرو العامرى الى هوذة والى ثمامة
بن اثال الحنفى فاسلم ثمامة وبعث عمرو بن العاص فى القعدة سنة ثمان الى جيفر
وعبد ابنى الجلندا بعمان فاسلما وصدقا وبعث العلا بن الحضرمى الى المنذر بن ساوى
العبدى ملك البحرين قبل منصرفه من الجعرانة وقيل قبل الفتح فاسلم وصدق وبعث
المهاجر بن ابى امية المخزومى الى الحارث بن كلال الحميرى باليمن فقال سانظر فى امرى
وبعث ابا موسى الاشعرى ومعاذ بن جبل الى اليمن عند انصرافه من تبوك سنة
عشر فى ربيع الاول داعيين الى الاسلام فاسلم غالب اهلها من غير قتال ثم بعث
على بن ابى طالب بعد ذلك اليهم ووافاه بمكة فى حجة الوداع وبعث جرير بن عبد الله

البجلى الى ذى الكلاع وذى عمرو يدعوهم الى الاسلام فاسلما وتوفى صلى الله عليه وسلم
وجرير عندهم وبعث عمرو بن امية الضمرى الى مسيلمة الكذاب بكتاب وبعث الى
فروة بن عمرو الجذامى وكان عاملا لقيصر يدعوه الى الاسلام فاسلم وكتب الى النبى
صلى الله عليه وسلم باسلامه وبعث اليه بهدية مع مسعود بن سعد وهى بغلة
شهبا يقال لها فضة وفرس يقال لها الظرب وحمار يقال له يعفور وبعث اليه اثوابا
وقبا سندسا مذهبا فقبل هديته ووهب لمسعود بن سعد اثنى عشر اوقية وبعث
المصدقين لاخذ الصدقات هلال المحرم سنة تسع فبعث عيينة بن حصن الفزارى
الى بنى تميم وبعث بريدة ويقال كعب بن مالك الى اسلم وغفار وبعث عباد بن بشر
الى سليم ومزينة وبعث رافع بن مكيث الى جهينة وبعث عمرو بن العاص الى فزارة
وبعث الضحاك بن سفيان الى بنى كلاب وبعث بشر بن سفيان الكعبى ويقال النحام
العدوى الى بنى كعب وبعث عبد الله بن اللتبية الى ذبيان وبعث رجلا من سعد
هذيم الى قومه الفصل السابع فى مؤذنيه وخطبائه وحداته
وشعرائه اما مؤذنوه فاربعة اثنان بالمدينة بلال بن رباح وامه
حمامة مولى ابى بكر الصديق وهو اول من اذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم ياذن بعده لاحد من الخلفاء الا ان عمر لما قدم الشام حين فتحها اذن بلال
فتذكر الناس النبى صلى الله عليه وسلم قال اسلم مولى عمر فلم ار باكيا اكثر من يومئذ
وتوفى بلال سنة سبع عشرة او ثمان عشرة او عشرين بداريا بباب كيسان وله
بضع وستون وقيل دفن بحلب وقيل بدمشق وعمرو بن ام مكتوم القرشى
الاعمى وهاجر الى المدينة قبل النبى صلى الله عليه وسلم واذن له بقبا سعد بن
عائذ او ابن عبد الرحمن المعروف بسعد القرظ او بالقرظى مولى عمار بقى الى ولاية
الحجاج على الحجاز سنة اربع وسبعين وبمكة ابو محذورة واسمه اوس الجمحى
المكى وابوه معير بكسر الميم وسكون المهملة وفتح التحتانية مات بمكة سنة
تسع وخمسين وقيل تاخر بعد ذلك وكان منهم من يرجع الاذان ويثنى الاقامة
وبلال لا يرجع ويفرد الاقامة فاخذ الشافعى باقامة بلال واهل مكة اخذوا
باذان ابى محذورة واقامة بلال واخذ ابو حنيفة واهل العراق باذان بلال
واقامة ابى محذورة واخذ احمد واهل المدينة باذان بلال واقامته وخالفهم
مالك فى موضعين اعادة التكبير وتثنية لفظ الاقامة واما شعراؤه عليه
السلام الذين يذبون عن الاسلام فكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة الخزرجى
الانصارى وحسان بن ثابت بن المنذر بن عمرو بن حرام الانصارى دعا له عليه السلام

فقال

فقال اللهم ايده بروح القدس فيقال اعانه جبريل بسبعين بيتا وفى الحديث ان جبريل
مع حسان ما نافح عنى وهو بالحاء المهملة اى دافع والمراد هجاء المشركين ومجاوبتهم
على اشعارهم وعاش مائة وعشرين ستين فى الجاهلية وستين فى الاسلام وكذا
عاش ابوه ثابت وجده المنذر وجد ابيه حرام كل واحد منهم عاش مائة وعشرين
سنة وتوفى حسان سنة اربع وخمسين ولما جاءه عليه السلام بنى تميم و
شاعرهم الاقرع بن حابس فنادوه يا محمد اخرج الينا نفاخرك ونشاعرك فان مدحنا
زين وذمنا شين فلم يزد عليه السلام على ان قال ذاك الله اذا مدح
زان واذا ذم شان انى لم ابعث بالشعر ولم اومر بالفخر ولكن هاتوا فامر عليهم
ثابت بن قيس ان يجيب خطيبهم فخطب فغلبهم فقام الاقرع بن حابس شاعرهم فقال

اتيناك كيما يعرف الناس فضلنا	اذا خالفونا عند ذكر المكارم
وانا رؤس الناس من كل معشر	وان ليس فى ارض الحجاز كدارم

فامر النبى صلى الله عليه وسلم حسانا ان يجيبهم فقال

بنى دارم لا تفخروا ان فخركم	يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وانتم	لنا خول ما بين قن وخادم

وكان اول من اسلم شاعرهم وكان اشد شعرائه عليه السلام على الكفار حسانا
وكعبا ولما رجع عليه الصلاة والسلام من تبوك وفد عليه وفد همدان عليهم
مقطعات الحبرات والعمائم العدنية جعل ملك النمط يرتجز بين يديه عليه السلام
وكان خطيبه عليه السلام ثابت بن قيس بن شماس بمعجمة وميم مشددة وآخره
مهملة وهو خزرجى شهد له النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة وكان خطيب
الانصار واستشهد يوم اليمامة سنة اثنتى عشرة وكان يحدو بين يديه
عليه السلام فى السفر عبد الله بن رواحة وفى رواية الترمذى فى الشمائل عن
انس انه عليه السلام دخل مكة فى عمرة القضية وابن رواحة يمشى بين يديه ويقول

خلوا بنى الكفار عن سبيله	اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله	ويذهل الخليل عن خليله

وقد تقدم مزيد لهذا فى عمرة القضية والله اعلم وعامر بن الاكوع بفتح الهمزة
وسكون الكاف وفتح الواو وبالعين المهملة وهو عم سلمة بن الاكوع واستشهد
يوم خيبر ومرت قصته فى غزوتها وانجشة يحدو بالنساء وقد كان يحدو
وينشد القريض والرجز فقال له عليه السلام كما فى رواية البراء بن مالك رويدك
رفقا بالقوارير اى النساء فشبههن بالقوارير من الزجاج لانه يسرع اليها الكسر

ن وهو العبد الاسود وهو بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الجيم وبالشين المعجمة وكان يحسن الحدا قال انس [illegible] ابن المالك يحدا بالرجال ورفقة [illegible] صح

فلم يامن عليه السّلام ان يصيبهنّ او يقع فى قلوبهنّ حداؤه فامره بالكفّ عن
ذلك وفى المثل الغنا رقيه الزنا وقيل ارادانّ الابل اذا سمعت الحدا اسرعت فى المشى
واشتدت فازعجت الراكب واتعبته فنهاه عن ذلك لانّ النسآء يضعفن عن شدّة
الحركة الفصل الثامن فى آلات حروبه عليه السّلام كدروعه واقواسه
ومنطقته واتراسه امّا اسيافه عليه السّلام فكان له تسعة اسياف
مأبور وهو اوّل سيف ملكه عليه السلام وهو الذى يقال انّه قدم به الى المدينة
فى الهجرة والعضب ارسله اليه سعد بن عُبادة حين سار الى بدر وذو الفقار
لانّه كان فى وسطه مثل فقرات الظهر ويجوز فى فائه الفتح والكسر وصار اليه
يوم بدر وكان للعاصى بن منبه وكان هذا السّيف لايفارقه صلّى الله عليه
وسلّم يكون معه فى كلّ حرب يشهدها وكانت قائمته وقبيعته وحلقته وذؤابته
وبكراته ونعله من فضّة والقلعى بضمّ القاف وفتح اللام وهو الّذى اصابه
من قلع موضع بالبادية والبتار اى القاطع والحتف وهو الموت والمخذم
وهو القاطع والرّسوب اى يمضى فى الضّربة ويغيب فيها وهو فعول من رسب
يرسب اذا ذهب الى اسفل واذا ثبت اصابهما من الفُلس بضمّ الفآء واسكان اللام
صنم كان لطىّ والقضيب واما ادراعه فسبعة ذات الفضول بالضّاد المعجمة
لطولها ارسل بها اليه سعد بن عُبادة حين سار الى بدر وكانت من حديد
وهى الّتى رهنها عند ابى الشّحم اليهودى على شعير وكان ثلثى صاع وكان الدّين
الى سنة وذات الوِشاح وذات الحواشى والسُّغدية ويقال بالعين وهى درع
عكبر القينقاعى قيل وهى درع داود عليه السّلام الّتى لبسها حين قتل جالوت
وفضة وكان قد اصابهما من بنى قينقاع والبتر لقصرها والخرنق باسم ولد
الارنب وكان عليه صلّى الله عليه وسلّم يوم احد درعان ذات الفضول وفضّة
وكان عليه عليه السّلام يوم خيبر درعان ذات الفضول والسغدية واما
اقواسه عليه الصّلوة والسّلام فكانت ستّة الزّوراء وثلاثة من سلاح
بنى قينقاع قوس تدعا الرّوحا وقوس تدعا الصّفرا وشوحط والكتوم كسرت
يوم احد فاخذها قتادة والسّداد وكانت له منطقة من اديم فيها ثلاث
حلق من فضّة والابزيم من فضّة والطّرف من فضّة وكانت له جعبة تدعى
الكافور واما اتراسه فكان له عليه الصّلاة والسّلام ترس اسمه الزّلوق
يزلق عنه السّلاح وترس يقال له الفتق وترس اهدى له فيه صورة تمثال
عقاب او كبش فوضع يده عليه فاذهب الله ذلك التمثال واما ارماحه

اقواسه عليه السّلام

عليه

عليه الصلوة والسّلام فالمثوى قال ابن الاثير سمّى به لانّه يثبت المطعون به من الثّوى
وهو الاقامة انتهى والمثنى ورمحان اخران وكان له عليه الصّلاة والسّلام حربة
كبيرة تسمّى البيضا وكانت له عليه الصّلاة والسّلام حربة صغيرة دون الرّمح
شبه العكاز يقال له العنزة وكانت تُركز امامه ويصلّى اليها وكان له عليه
الصّلاة والسّلام مغفر من حديد يسمّى السّبوغ او ذات السّبوغ وآخر يسمّى الموشح
بكميل وكان له عليه الصّلاة والسّلام فسطاط يسمّى الكِنّ وكان له مِحجن قدر
ذراع او اكثر يمشى ويركب به ويعلّقه بين يديه على بعيره وكانت له مخصرة تسمّى
العرجون وقضيب من الشّوحط يسمّى الممشوق وكان له قدح يسمّى الريان وآخر يسمّى
مغيثا وقدح مضبب بسلسلة من فضّة فى ثلاث مواضع وآخر من عيدان وآخر
من زجاج وتور من حجارة يسمّى المخضب وركوة تسمّى الصّادرة ومخضب من نحاس
ومُغتسل من صفر ومُدهن وربعة اسكندرانيه يجعل فيها المرآة ومشط من عاج
وهو الذبل والمكحلة يكتحل منها عند النوم ثلاثا فى كلّ عين وكان فى الرّبعة ايضا
المقراض والسّواك وهذه الرّبعة اهداها المقوقس صاحب الاسكندريّة مع مارية
امّ ابرهيم عليه السّلام وكانت له قصعة تسمّى الغرّا باربع حِلق وصاع ومدّ
وقطيفة وسرير قوائمه من ساج وفراش من آدم حشوه ليف وخاتم من حديد
ملوى بفضّة وخاتم فضّة فصّه منه يجعله فى يمينه ثمّ حوّله الى يساره منقوش
عليه محمّد رسول الله واهدى له النجاشى خفّين سادجين فلبسهما وكان له ثلاث
جباب يلبسهنّ فى الحرب وجبّة سندس اخضر وجبة طيالسة وعمامة يقال
لها السّحاب واخرى سوداء ورداء صلوات الله وسلامه عليه الفصل
التاسع فى ذكر خيله ولقاحه ودوابه عليه السّلام امّا خيله عليه السّلام فالسّكب
يقال فرس سكب اى كثير الجرى كانّما يصبّ جريه صبّا واصله من سكب الماء يسكبه
وهو اوّل فرس ملكه اشتريه عليه الصّلوة والسّلام بعشرة اواقى وكان اغرّ
محجّلا طلق اليمين كُميتا وقال ابن الاثير كان ادهم والمرتجز بضمّ الميم وسكون
الرّا وفتح التا وكسر الجيم بعدها زاى سمّى به لحسن صهيله ماخوذ من الرّجز الّذى
هو ضرب من الشّعر وكان ابيض وهو الّذى شهد له فيه خزيمة بن ثابت فجعل شهادته
بشهادة رجلين والظّرب بالظاء المعجمة آخره موحّدة واحد الظّراب سمّى به لكبره وسمنه
وقيل لقوّته وصلابة حافره اهداه له فروة بن عمرو الجذامى واللُّحيف بالمهملة
اهداه له ربيعة بن ابى البرآء سمّى به لسمنه وكبره كانّه يلحف الارض اى يغطيها بذنبه
لطوله فعيل بمعنى فاعل يقال لحفت الرّجل باللحاف طرحته عليه ويروى بالجيم وبالخاء

قف على انّه صلّى الله
عليه وسلّم كان له مشط
من عاج وهو الذبل

المعجمة رواه البخاري ولم يتحققه والمعروف بالحاء المهملة قاله في النهاية **واللزاز**
سمي به لشدة تلززه واجتماع خلقه ولزبه الشيء اي لزق به كانه يلتزق بالمطلوب
لسرعته وهذه اهداها له المقوقس **والورد** **وسبحة** بالموحدة من قولهم فرس
سابح اذا كان حسن مد اليدين في الجري فهذه سبعة متفق عليها ، وذكر ابن قتيبة
فيما حكاه الحافظ الدمياطي البحر في خيله عليه السلام قال وكان اشتراه من تجار
قدموا من اليمن فسبق عليه مرات فجثا صلى الله عليه وسلم على ركبتيه ومسح
وجهه وقال ما انت الا بحر فسمي بحرا قال ابن الاثير وكان كميتا **والسجل** بكسر السين
المهملة وسكون الجيم ذكره علي بن محمد بن الحسين بن عبدوس الكوفي ولعله مأخوذ
من قولك سجلت الماء فانسجل اي صببته فانصب **وذو اللمة** بكسر اللام وتشديد
الميم ذكره ابن حبيب **وذو العقال** بضم العين المهملة وتشديد القاف وحكى بعضهم
تخفيفها **والسرحان** بكسر السين المهملة وسكون الراء ذكره ابن خالويه **والطرف**
بكسر الطاء المهملة وسكون الراء بعدها فاء ذكره ابن قتيبة في المعارف وذكر في رواية
انه الذي اشتريه من الاعرابي وشهد له به خزيمة بن ثابت **والمرتجل** بكسر الجيم ذكره ابن
خالويه من قولهم ارتجل الفرس ارتجالا اذا خلط العنق بشيء من الهملجة **والمرواح**
بكسر الميم من ابنية المبالغة كالمطعام مشتق من الريح لسرعته او من الرواح لتوسعه
في الجري اهداه له قوم من مذحج ذكره ابن سعد **وملاوح** بضم الميم وكسر الواو ذكره
ابن خالويه **والمندوب** ذكره بعضهم في خيله صلى الله عليه وسلم **والنجيب** ذكره ابن
قتيبة وان في رواية انه الذي اشتريه من الاعرابي وشهد له به خزيمة **واليعبوب**
واليعسوب ذكرهما قاسم بن ثابت في كتاب الدلائل وكان سرجه وفتاه من ليف
وكان له عليه السلام من البغال **دلدل** بدالين مهملتين وكانت شهباء اهداها له
المقوقس **وفضة** اهداها له فروة بن عمرو الجذامي واخرى اهداها له ابن العلماء صاحب
ايلة واخرى من دومة الجندل واخرى من عند النجاشي قيل واهدى له كسرى
بغلة اخرى وفي ذلك نظر لان كسرى مزق كتابه صلى الله عليه وسلم ، وكان له عليه
السلام من الحمير **عفير** اهداه له المقوقس **ويعفور** اهداه له فروة بن عمرو ويقال
هما واحد وذكر ان سعد بن عبادة اعطى للنبي صلى الله عليه وسلم حمارا فركبه
وكان له صلى الله عليه وسلم من اللقاح **القصوى** وهي التي هاجر عليها **والعضبا**
والجدعا ولم يكن بها عضب ولا جدع وانما سميتا بذلك وقيل كان باذنها عضب
وقيل العضبا والجدعا واحدة والعضباء هي التي كانت لا تسبق فجاء اعرابي على قعود له
فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال عليه الصلوة والسلام ان حقا على الله ان

قال ابن سعد اهداها له تميم الداري اعطاه عمر وحمل عليه في سبيل الله ثم وجده يباع برخص نسخة

بغال [النبي] صلى الله عليه وسلم خمسة وقيل ستة

لا يرفع

لا يرفع من الدنيا شيئا الا وضعه **وغنم عليه الصلاة والسلام** يوم بدر جملا لابي
جهل في انفه برة من فضة فاهداه يوم الحديبية ليغيظ بذلك المشركين وكانت له
عليه الصلاة والسلام خمسة واربعون لقحة ارسل بها اليه سعد بن عبادة
منها الجلال ، والطراق ، وبردة ، والبغوم ، وبركة ، والحناء ، ورمزة ، والريا ،
والسغدية ، والسقيا ، والشمراء ، والشقراء ، وعجرة ، والعريس ، وغوثة ، وقيل
غيثة ، وقمر ، وصره ، ومهرة ، وورشه ، والعسيرة **وكانت** له مائة شاة
وكانت له ستة اعنز منايح ترعاهن ام ايمن **الفصل العاشر**
في ذكر من وفد عليه صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه **قال** النووي
الوفد الجماعة المختارة للتقدم في لقي العظماء واحدهم وافد انتهى وقد كان ابتداء
الوفود عليه بعد رجوعه عليه السلام من الجعرانة في آخر سنة ثمان وما بعدها
وقال ابن اسحق بعد غزوة تبوك وقال ابن هشام كانت سنة تسع تسمى سنة
الوفود وقد سرد محمد بن سعد في الطبقات الوفود وتبعه الدمياطي في السيرة
له وابن سيد الناس ومغلطاي والحافظ زين الدين العراقي ومجموع ما ذكروه
يزيد على الستين فقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد هوازن كما رواه البخاري
وغيره وذكر موسى بن عقبة في المغازي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف
من الطائف في شوال الى الجعرانة وفيها السبي يعني سبي هوازن قدمت عليه وفود
هوازن مسلمين فيهم تسعة نفر من اشرافهم فاسلموا وبايعوا ثم كلموه فقالوا
يا رسول الله ان فيمن اصبتم الامهات والاخوات والعمات والخالات فقال
ساطلب لكم وقد وقعت المقاسم فاي الامرين احب اليكم السبي ام المال قالوا
خيرتنا يا رسول الله بين الحسب والمال فالحسب احب الينا ولا نتكلم في شاة
ولا بعير فقال اما الذي لبني هاشم فهو لكم وسوف اكلم لكم المسلمين فكلموهم
واظهروا اسلامكم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الهاجرة قاموا
فتكلم خطباؤهم فابلغوا ورغبوا الى المسلمين في رد سبيهم ثم قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين فرغ فشفع لهم وحض المسلمين عليه وقال قد رددت
الذي لبني هاشم عليهم وفي رواية ابن اسحق عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
وادركه وفد هوازن بالجعرانة وقد اسلموا فقالوا يا رسول الله انا اهل
وعشيرة وقد اصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا من الله عليك
وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال يا رسول الله ان اللواتي في الحظائر من السبايا
خالاتك وعماتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك وانت خير مكفول ثم انشد يقول

ذكر الوفود عليه عليه السلام

امنن علينا رسول الله فى كرم ... فانك المرء نرجوه وننتظر

الابيات المشهورة الاتية ان شاء الله تعالى ورويناه فى المعجم الصغير للطبرانى من ثلاثياته عن زهير بن صُرد الجشمى يقول لما اسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين يوم هوازن وذهب يفرق السبى والشاء اتيته فانشات اقول هذا الشعر

امنن علينا رسول الله فى كرم	فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على بيضة قد عاقها قدر	مشتت شملها فى دهرها غير
ابقت لنا الدهر هتافا على حزن	على قلوبهم الغماء والغمر
ان لم تداركهم نعماء تنشرها	يا ارجح الناس حلما حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها	اذ فوك تملاؤه من محضها الدرر
اذ انت طفل صغير كنت ترضعها	واذ يزينك ما تاتى وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته	واستبق منا فانا معشر زهر
انا لنشكر للنعماء اذ كفرت	وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فالبس العفو من قد كنت ترضعه	من امهاتك ان العفو مشتهر
يا خير من مرحت كمت الجياد به	عند الهياج اذا ما استوقد الشرر
انا نؤمل عفوا منك تلبسه	هادى البرية اذ تعفو وتنتصر
فاعف عفا الله عما انت راهبه	يوم القيمة اذ يهدى لك الظفر

لا تجعلنا كمن شالت نعامته باطل القدم والبتر ... فاتت قدمه

قال فلما سمع النبى صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال ما كان لى ولعبد المطلب فهو لكم وقالت قريش ما كان لنا فهو لله ولرسوله وقالت الانصار وما كان لنا فهو لله ولرسوله ومن بين الطبرانى وزهير لا يعرف لكن تقوى حديثه بالمتابعة المذكورة فهو حديث حسن وقد وهم من زعم انه منقطع وقد زاد الطبرانى على ما اورده ابن اسحق خمسة ابيات وذكر الواقدى ان وفد هوازن اربعة وعشرين بيتا فيهم ابو برقان السعدى فقال يا رسول الله ان هذه الحظائر لا من بها الا عماتك وخالاتك وحواضنك ومرضعاتك فامنن علينا من الله عليك فقال قد استانيت بكم حتى ظننت انكم لا تقدمون وقد قسمت السبى وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد ثقيف بعد قدومه عليه السلام من تبوك وكان من امرهم انه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف قيل له يا رسول الله ادع على ثقيف فقال اللهم اهد ثقيفا وأيت بهم ولما انصرف عنهم اتبع اثره عروة بن مسعود حتى ادركه قبل ان يدخل المدينة فاسلم وساله ان يرجع الى قومه بالاسلام فلما اشرف لهم على علية له وقد دعاهم الى الاسلام واظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل وجه فاصابه

سهم فقتله ثم اقامت ثقيف بعد قتله اشهرا ثم انهم ائتمروا بينهم وراوا انهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا واسلموا واجمعوا ان يرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا عبد يا ليل بن عمرو بن عمير ومعه اثنان من الاحلاف الحكم بن عمرو بن معتب بن مالك وشرحبيل بن غيلان وثلاثة من بنى مالك عثمان بن ابى العاص واوس بن عوف ونمير بن خرشه فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبة فى ناحية المسجد وكان خالد بن سعيد بن العاصى هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسلموا واكتتبوا كتابهم وكان خالد هو الذى كتبه وكان فيما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدع لهم الطاغية وهى اللات لا يهدمها ثلاث سنين فابى عليهم عليه الصلاة والسلام الا ان يبعث ابا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة يهدمانها وكانوا سالوه مع ذلك ان يعفيهم من الصلاة وان لا يكسروا اوثانهم الا بايديهم فقال عليه السلام كسروا اوثانكم بايديكم واما الصلوة فلا خير فى دين لا صلوة فيه فلما اسلموا وكتبوا لهم الكتاب امر عليهم عثمان بن العاص وكان من احدثهم سنا لكنه كان من احرصهم على التفقه فى الاسلام وتعلم القرآن فرجعوا الى بلادهم ومعهم ابو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم الطاغية فلما دخل المغيرة عليها علاها يضربها بالمعول وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين عليها واخذ المغيرة بعد ان كسرها مالها وحليها وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب لهم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المؤمنين ان عضاه وج وصيده حرام لا يعضد من وجد يفعل شيئا من ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه فان تعدى ذلك فانه يؤخذ فيبلغ النبى محمدا وان هذا امر النبى محمد رسول الله فكتب خالد بن سعيد بامر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعداه احد فيظلم نفسه فيما امر به محمد رسول الله ووج واد بالطائف واختلف فيه هل هو حرم يحرم صيده وقطع شجره فالجمهور انه ليس فى البقاع حرم الا حرم مكة والمدينة وخالفهم ابو حنيفة فى حرم المدينة وقال الشافعى فى احد قوليه وج حرم يحرم صيده وشجره واحتج لهذا القول بحديثين احدهما ما تقدم والثانى حديث عروة بن الزبير عن ابيه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان صيد وج وعضاهه حرم محرم لله رواه الامام احمد وابو داود لكن فى سماع عروة عن ابيه نظر وان كان قد رآه وفى مغازى المعتمر بن سليمان عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفى عن عمه عمرو بن اوس عن عثمان بن ابى العاصى قال استعملنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اصغر الستة

الذين وفدوا عليه من ثقيف وذلك انى كنت قرات سورة البقرة فقلت يا رسول الله
ان القران يتفلت منى فوضع يده على صدرى وقال يا شيطان اخرج من صدر عثمان
فما نسيت شيئا بعده اريد حفظه، وفى صحيح مسلم عن عثمان بن ابى العاص قلت
يا رسول الله ان الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وقراءتى فقال ذلك شيطان
يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا قال ففعلت
فاذهبه الله عنى **وقدم وفد بنى عامر** عليه صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق لما
فرغ عليه السلام من تبوك واسلمت ثقيف وبايعت ضربت اليه وفود العرب من
كل جهة فدخلوا فى دين الله افواجا يضربون اليه من كل وجه فوفد اليه عليه السلام
بنو عامر بن الطفيل واربد بن قيس وخالد بن جعفر وجبار بن اسلم بن مالك وكان
هذا النفر رؤسا القوم وشياطينهم فقدم عدو الله عامر بن الطفيل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يريد ان يغدر به فقال لاربد اذا قدمنا على الرجل فانى
شاغل عنك وجهه فاذا فعلت ذلك فاعله بالسيف فكلم عامر رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال والله لاملأنها عليك خيلا ورجالا فلما ولى قال عليه السلام
اللهم اكفنى عامر بن الطفيل فلما خرجوا قال عامر لاربد ويحك اينما كنت امرتك به
فقال والله ما هممت بالذى امرتنى به الا دخلت بينى وبينه افاضربك بالسيف
ولما كانوا ببعض الطريق بعث الله تعالى على عامر بن الطفيل الطاعون فى عنقه فقتله
الله، وفى صحيح البخارى ان عامرا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اخيرك بين ثلاث
خصال تكون لك اهل السهل ولى اهل المدر او اكون خليفتك من بعدك او اغزوك
بغطفان بالف اشقر والف شقراء فطعن فى بيت امرأة فقال اغدة كغدة البكر
فى بيت امرأة من بنى فلان ائتونى بفرس فركب فمات على ظهر فرسه **وقدم وفد
عبد القيس عليه زاده الله فضلا وشرفا لديه** وهى قبيلة كبيرة يسكنون
البحرين ينسبون الى عبد القيس بن افصى بسكون الفا بعدها مهملة بوزن اعمى
بن دعمى بضم الدال وسكون العين المهملتين وكسر الميم بعدها تحتانية، وفى
الصحيحين من حديث بن عباس قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ممن القوم فقالوا من ربيعة فقال مرحبا بالوفد غير خزايا ولا
ندامى فقالوا يا رسول الله ان بيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر وانا لا نصل
اليك فى شهر حرام فمرنا بامر فصل ناخذ به ونامر به من وراءنا وندخل به الجنة
قال امركم باربع وانهاكم عن اربع امركم بالايمان بالله وحده اتدرون ما الايمان
بالله شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول واقام الصلوة وايتاء الزكاة

قوله خنزب قال الشيخ محى الدين النووى فى شرح مسلم خنزب بخاء معجمة ثم نون ساكنة ثم زاى مفتوحة ثم باء موحدة واختلف العلماء فى ضبط الخاء فمنهم من فتحها ومنهم من كسرها وهذان مشهوران ومنهم من ضمها حكاه ابن الاثير فى نهاية الغريب والمعروف الفتح والكسر انتهى ١٢

وفد بنى عامر

وصوم رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس وانهاكم عن اربع عن الدبا والحنتم
والنقير والمزفت فاحفظوهن وادعوا اليهن من وراءكم، قال ابن القيم ففى هذه
القصة ان الايمان بالله مجموع هذه الخصال من القول والعمل كما على ذلك اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وتابعوهم كلهم ذكره الشافعى فى
المبسوط وعلى ذلك ما يقارب مائة دليل من الكتاب والسنة ولم يعد الحج من
هذه الخصال وكان قدومهم فى سنة تسع وهذا احد ما يحتج به على ان الحج
لم يكن فرض بعد وانه انما فرض فى العاشرة ولو كان فرض لعده من الايمان كما عد
الصوم والزكاة انتهى **وقد** كان لعبد القيس وفادتان احديهما قبل الفتح
ولهذا قالوا له عليه السلام حال بيننا وبينك كفار مضر وكان ذلك قديما
اما فى سنة خمس وقبلها وكانت قريتهم بالبحرين وكان عدد الوفد الاول
ثلاثة عشر رجلا وقيل كانوا اربعة عشر راكبا وفيها سألوه عن الايمان وعن
الاشربة وكان فيهم الاشج وكان كبيرهم وقال له عليه السلام ان فيك خصلتين
يحبهما الله الحلم والاناءة رواه مسلم من حديث ابى سعيد **واخرج** البيهقى بينما
النبى صلى الله عليه وسلم يحدث اصحابه قال سيطلع عليكم من ههنا ركب هم
خير اهل المشرق فقام عمر نحوهم فلقى ثلاثة عشر راكبا فبشرهم بقوله عليه
السلام ثم مشى معهم حتى اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرموا بانفسهم
عن ركائبهم فاخذوا يده فقبلوها الحديث، واخرجه البخارى فى الادب المفرد
فيمكن ان يكون احد المذكورين غير راكب او مرتدفا، وثانيتهما كانت فى سنة الوفود
وكان عددهم حينئذ اربعين رجلا كما فى حديث ابى خيرة الصباحى عند ابن منده
ويؤيد التعدد ما اخرجه من وجه آخر انه عليه السلام قال مالى ارى الوانكم
تغيرت ففيه اشعار بانه كان رآهم قبل التغيير وفى قولهم رسول الله دليل على
انهم كانوا قبل المقالة مسلمين وكذا فى قولهم كفار مضر وقولهم الله ورسوله
اعلم ويدل على سبقهم الى الاسلام ايضا ما فى البخارى ان اول جمعة جمعت بعد
جمعة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد عبد قيس بجواثى من
البحرين وهى قرية لهم وانما جمعوا بعد رجوع وفدهم اليهم، قال فى فتح البارى
فدل على انهم سبقوا جميع القرى الى الاسلام وما جزم به ابن القيم من ان السبب
فى كونه لم يذكر الحج فى الحديث لانه لم يكن فرض هو المعتمد وقد مت الدليل على قدم اسلامهم
لكن جزمه تبعا للواقدى بان قدومهم كان فى سنة تسع قبل فتح مكة ليس بجيد
لان فرض الحج كان فى سنة ست على الاصح ولكنه اختار كغيره ان فرض الحج كان

الدبا القرع والحنتم الجرار الخضر والنقير فعول النخل ينقر وان ينبذ فيها والمزفت هو الذى يجعل فيه الزفت وكل هو لا مسدودة المسام ليسرع اليها الاسكار ١٢

فى السنة العاشرة حتى لا يرد على مذهبه انه على الفور شئ وقد احتج الشافعى
لكونه على التراخى بان فرض الحج كان بعد الهجرة وانه صلى الله عليه وسلم كان قادرًا
على الحج فى سنة ثمان وفى سنة تسع ولم يحج الا فى سنة عشر وسياتى فى حجه
عليه السلام فى مقصد عباداته مزيد لذلك ان شاء الله تعالى فان قلت
كيف قال اربع والمذكورات خمس اجاب القاضى عبد الوهاب تبعا لابن بطال
بان الاربع ما عدا اداء الخمس قال وكانه اراد اعلامهم بقواعد الايمان وفروض
الاعيان ثم اعلمهم بما يلزمهم اخراجه اذا وقع لهم جهاد لانهم كانوا بصدد محاربة
كفار مضر ولم يقصد الى ذكرها بعينها لانها مسببة عن الجهاد ولم يكن الجهاد اذ
ذاك فرض عين قال ولذلك لم يذكر الحج لانه لم يكن فرض وقال غيره قوله وان تعطوا
معطوف على قوله باربع اى آمركم باربع وان تعطوا ويدل عليه العدول عن سياق
الاربع والاتيان بان والفعل مع توجه الخطاب اليهم • وقال القاضى ابو بكر بن العربى
يحتمل ان يقال انه عليه السلام عد الصلوة والزكاة واحدة لانها قرينته فى كتاب
الله وتكون الرابعة اداء الخمس او انه لم يعد الخمس لانه داخل فى عموم ايتاء الزكاة والجامع
بينهما انه اخراج مال معين وقال البيضاوى الظاهر ان الامور الخمسة هنا تفسير
للايمان وهو احد الاربعة الموعود بذكرها والثلاثة الاخرى حذفها الراوى
اختصارًا ونسيانا وتعقب بانه وقع فى صحيح البخارى ايضا فى رواية امركم باربع
شهادة ان لا اله الا الله وعقد واحدة فدل على ان الشهادة احدى الاربع وقال
القرطبى قيل ان اول الاربع المامور بها اقام الصلوة وانما ذكر الشهادتين تبركا
والى هذا نحى الطيبى فقال عادة البلغاء ان الكلام اذا كان منصوبا لغرض جعلوا
سياقه له وطرحوا ما عداه وهنا لم يكن الغرض فى الايراد ذكر الشهادتين لان
القوم كانوا مؤمنين مقرين بكلمتى الشهادة ولكن ربما كانوا يظنون ان الايمان
مقصور عليهما كما كان الامر فى صدر الاسلام قال ولهذا لم يعد الشهادتين فى الاوامر
انتهى ملخصا من فتح البارى وقدم عليه عليه الصلاة والسلام وفد بنى حنيفة
فيهم مسيلمة الكذاب فكان منزلهم فى دار امرأة من الانصار من بنى النجار فاتوا
بمسيلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستر بالثياب ورسول الله صلى الله
عليه وسلم جالس مع اصحابه فى يده عسيب من سعف النخل فلما انتهى الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كلمه وساله فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم لو سالتنى هذا العسيب الذى فى يدى ما اعطيتك وذكر
حديثه ابن اسحق على غير ذلك فقال حدثنى شيخ من اهل اليمامة من بنى حنيفة ان وفد بنى حنيفة

انوا

انوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفوا مسيلمة فى رحالهم فلما اسلموا ذكروا له
مكانه فقالوا يا رسول الله انا قد خلفنا صاحبا لنا فى رحالنا وركابنا يحفظها لنا فامر
له رسول الله صلى الله عليه وسلم بما امر به للقوم وقال لهم انه ليس بشركم مكانا
يعنى لحفظه ضيعة اصحابه ثم انصرفوا فلما قدموا اليمامة ارتد عدو الله وتنبا
وقال انى اشركت فى الامر معه ثم جعل يسجع السجعات فيقول لهم فيما يقول
مضاهاة للقرآن لقد انعم الله على الحبلى اخرج منها نسمة تسعى من بين سغاق وحشى
وسجع اللعين على سورة انا اعطيناك الكوثر فقال انا اعطيناك الجواهر فصل لربك
وهاجر ان مبغضك رجل فاجر • وفى رواية انا اعطيناك الجماهر فخذ لنفسك
وبادر • واحذر ان تحرص وتبادر • وفى رواية انا اعطيناك الكواثر فصل لربك
وبادر فى الليالى الغوابر • ولم يعرف المخذول انه محروم عن المطلوب وسياتى فى
اوائل مقصد معجزاته عليه السلام من تسجيع مسيلمة الركيك مزيد على ما ذكرته
هنا ان شاء الله تعالى وقيل انه ادخل البيضة فى القارورة وادعى انها معجزة له فافتضح
بنحو ما ذكر ان النوشادر اذا ضرب فى خل الخمر ضربا جيدا وجعلت فيه بيضة بنت
يومها يوما وليلة فانها تمتد كالخيط فتجعل فى القارورة ويصب عليه الماء
البارد فانها تجمد ولما سمع اللعين ان النبى صلى الله عليه وسلم مج فى بئر فكثر
ماؤها وتفل فى عين على وكان ارمد فبرئ فتفل اللعين فى بئر فغار ماؤها وفى عين
بصير فعمى ومسح بيده ضرع شاة حلوب فارتفع درها ويبس ضرعها • ولله
در الشقراطيسى حيث يقول يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم

اعجزت بالوحى ارباب البلاغة فى ... عصر البيان فضلت اوجه الحيل •
سالتهم سورة فى مثل حكمته • ... فتلهم عنه حين العجز حين تلى •
فرام رجس كذوب ان يعارضه • ... بعى غى فلم يحسن ولم يطل •
مثبج بركيك الافك ملتبس • ... ملجلج بزرى الزور والخطل •
يمج اول حرف سمع سامعه • ... ويعتريه كلال العجز والملل •
كانه منطق الوزها شذبه • ... لبس من الخبل ومس من الخبل •
احرت البئر واغورت لمجته • ... فيها واعمى بصير العين بالتفل •
وايبس الضرع منه شوم راحته • ... من بعد ارسال رسل منه منهمل •

فشبه هذا الكلام الذى عارض به مسيلمة بكلام امرأة ورها وهى الحمقاء التى
تتكلم لحمقها بما لا يفهم فهى تهذى بكلام مشذب اى تخلط لا يقترن بعضه ببعض
ولا يشبه بعضه بعضا ككلام من به خبل بسكون الموحدة اى فساد او مس

من الخَبَل بفتحها اى جنون ثم انّ اللعين وضع عن قومه الصلوة واحلّ لهم الخمر والزنا
وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلّم انه نبىّ وقد كانت كتب لرسول
الله صلى الله عليه وسلّم من مسيلمة رسول الله الى محمّد رسول الله امّا بعد فانى
اُشركتُ معك فى الامر وانّ لنا نصف الامر ولقريش نصف الامر فقدم عليه صلى
الله عليه وسلّم رسوله بهذا الكتاب فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلّم
بسم الله الرحمن الرحيم من محمّد رسول الله الى مسيلمة الكذّاب سلام على من
اتّبع الهدى امّا بعد فانّ الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين
وفى الصحيحين من حديث نافع بن جبير عن ابن عباس قال قدم مسيلمة الكذّاب
على رسول الله صلى الله عليه وسلّم فجعل يقول ان جعل لى محمّد الامر من بعده
اتبعته وقدمها فى بشر كثير من قومه فاقبل النبى صلى الله عليه وسلّم ومعه ثابت
بن قيس بن شماس وفى يد النبى صلى الله عليه وسلّم قطعة جريد حتى وقف على
مسيلمة فى اصحابه فقال ان سالتنى هذه القطعة ما اعطيتكها ولن تعدو
امر الله فيك ولئن ادبرت ليعقرنّك الله وانى لاراك الذى ريت فيه ما رايت وهذا
ثابت بن قيس يجيبك عنّى ثم انصرف قال ابن عباس فسالت عن قول النبى صلى الله
عليه وسلّم انك الذى ريت فيه ما رايت فاخبرنى ابو هريرة انّ النبى صلى الله عليه
وسلّم قال بينا انا نائم رايت فى يدى سوارين من ذهب فاهمّنى شانهما فاوحى الله
الىّ فى المنام ان انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما كذابين يخرجان من بعدى فهذان
هما احدهما العنسى صاحب صنعا والآخر مسيلمة فان قلت كيف يلتئم خبر ابن
اسحق مع الحديث الصحيح انّ النبى صلى الله عليه وسلّم اجتمع به وخاطبه بحضرة
قومه انه لو سأله القطعة من الجريدة ما اعطاه فالجواب انّ المصير الى ما
فى الصحيح اولى ويحتمل انّ مسيلمة قدم مرّتين الاولى كان تابعا وكان رئيس بنى
حنيفة غيره ولهذا اقام فى حفظ رحالهم ومرّة متبوعا وفيها خاطبه النبى
صلى الله عليه وسلّم او القصّة واحدة وكانت اقامته فى رحالهم باختيار انفة
منه واستكبارا ان يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلّم وعامله
صلى الله عليه وسلّم معاملة الكرم على عادته فى الاستيلاف فقال لقومه
انه ليس بشركم اى مكانا لكونه كان يحفظ رحالهم واراد استيلافه بالاحسان
بالقول والفعل فلمّا لم يفد فى مسيلمة توجه بنفسه اليه ليقيم عليه الحجة ويعذر
اليه بالانذار والعلم عند الله تعالى وقدم عليه صلى الله عليه وسلّم وفد طىّ وفيهم
زيد الخيل وهو سيّدهم فعرض عليه الاسلام فاسلموا وحسن اسلامهم وقال عليه

الصلوة والسلام ما ذكر رجل من العرب بفضل ثم جاءنى الا رايته دون ما يقال
فيه الا زيد الخيل فانه لم يبلغ كلما فيه ثم سمّاه زيد الخير فخرج راجعا الى قومه فلمّا انتهى
الى ماء من مياه نجد اصابته الحمّى فمات قال ابن عبد البر وقيل مات فى آخر خلافة
عمر وله ابنان مكنف وحريث اسلما وصحبا رسول الله صلى الله عليه وسلّم
وشهدا قتال اهل الردّة مع خالد وقدم عليه صلى الله عليه وسلّم وفد كندة
فى ثمانين او ستين راكبا من كندة فدخلوا عليه مسجده قد رجّلوا جممهم وتسلحوا
ولبسوا جباب الحبرات مكففة بالحرير فلمّا دخلوا قال صلى الله عليه وسلّم اولم
تسلموا قالوا بلى قال فما هذا الحرير فى اعناقكم فشقوه فنزعوه والقوه وقدم عليه
زاده الله شرفا وفضلا لديه الاشعريون واهل اليمن قيل هو من عطف الخاص على
العام وقال الحافظ ابو الفضل شيخ الاسلام ابن حجر المراد بهم بعض اهل اليمن وهم
وفد حمير قال ووجدت فى كتاب الصحابة لابن شاهين من طريق اياس بن عمرو
الحميرى انه قدم وافدا على رسول الله صلى الله عليه وسلّم فى نفر من حمير فقالوا
اتيناك لنتفقه فى الدين الحديث والحاصل انّ الترجمة مشتملة على طائفتين وليس
المراد اجتماعهما فى الوفادة فانّ قدوم الاشعريين كان مع ابى موسى فى سنة سبع
عند فتح خيبر وقدوم حمير كان فى سنة تسع وهى سنة الوفود ولهذا اجتمعوا مع
بنى تميم • وروى يزيد بن هرون عن حميد عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلّم
قال يقدم عليكم قوم هم ارق منكم قلوبا فقدم الاشعريون فجعلوا يرتجزون • غدا
نلقى الاحبة • محمّدا وحزبه • وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلّم يقول جاء اهل اليمن هم ارق افئدة واضعف قلوبا الايمان
يمان والحكمة يمانية السكينة فى اهل الغنم والفخر والخيلاء فى الفدادين اهل الوبر
قبل مطلع الشمس رواه مسلم • وفى البخارى انّ نفرا من بنى تميم جاؤا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلّم فقال ابشروا يا بنى تميم فقالوا بشرتنا فاعطنا فتغير وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلّم وجاء نفر من اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى اذ
لم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا ثم قالوا يا رسول الله قد جئنا لنتفقه فى الدين
ونسئلك عن هذا الامر فقال كان الله ولم يكن شئ غيره وكان عرشه على الماء وكتب
فى الذكر كل شئ وقوله وجاء نفر من اهل اليمن هم الاشعريون قوم ابى موسى وقدم
عليه صلوات الله وسلامه عليه صرد بن عبد الله الازدى فاسلم وحسن
اسلامه فى وفد من الازد فامّره عليه السلام على من اسلم من قومه فامره ان يجاهد
بمن اسلم اهل الشرك من قبائل اليمن فخرج صرد يسير بامر رسول الله صلى الله عليه

وسلم حتى نزل بجرش وبها قبائل من قبائل العرب فحاصروهم فيها قريبا من شهر
وامتنعوا فيها فرجع عليهم قافلا حتى اذا كان في جبل لهم وظنوا انه انما ولى عليهم
منهزما خرجوا في طلبه حتى ادركوه عطف عليهم فقتلهم قتلا شديدا وكان
اهل جرش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين منهم فبينما هما عنده
عليه السلام عشية فقال لهما عليه السلام ان بدن الله لتنحر عند شكر اى
المكان الذى وقع به قتل قومهم قال فجلس الرجلان الى ابى بكر وعثمان فقالا لهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينعى لكما قومكما فخرجا الى قومهما فوجداهم قد
اصيبوا فى اليوم الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم ما قال وفى الساعة التى ذكر
فيها ما ذكر فخرج وفد جرش حتى قدموا عليه صلوات الله وسلامه عليه فاسلموا
وحمى لهم حول قريتهم **وفد بنى الحرث بن كعب** قال ابن اسحق بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى شهر ربيع الآخر وجمادى الاولى سنة عشر الى
بنى الحارث بن كعب بنجران وامره ان يدعوهم الى الاسلام قبل ان يقاتلهم ثلاثا
فان استجابوا فاقبل منهم وان لم يفعلوا فقاتلهم فخرج خالد حتى قدم عليهم
فبعث الركبان يضربون فى كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون ايها الناس اسلموا
تسلموا فاسلم الناس ودخلوا فيما دعوا اليه فاقام خالد يعلمهم الاسلام وكتب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ثم اقبل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومعه وفدهم منهم قيس بن الحصين ويزيد بن المحجل وشداد بن عبد
الله وقال لهم عليه الصلاة والسلام بم كنتم تغلبون من قاتلكم قالوا كنا نجتمع
ولا نتفرق ولا نبدا احدا بظلم قال صدقتم وامر عليهم قيس بن الحصين فرجعوا
الى قومهم فى بقية من شوال او من ذى القعدة فلم يمكثوا الا اربعة اشهر حتى توفى
رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد همدان**
فيهم مالك بن النمط وضمام بن مالك وعمر بن مالك فلقوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم من مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات والعمائم العدنية
على الرواحل المهرية والارحبية ومالك بن النمط يرتجز بين يديه صلى الله عليه
وسلم وذكروا له كلاما كثيرا حسنا فصيحا فكتب لهم عليه السلام كتابا اقطعهم
فيه ما سالوه وامر عليهم مالك بن النمط واستعمله على من اسلم من قومه
وامره بقتال ثقيف فكان لا يخرج لهم سرح الا اغار عليهم ، وروى البيهقى باسناد
صحيح عن البراء ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى اهل اليمن
يدعوهم الى الاسلام قال البراء فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد فاقمنا ستة اشهر

وامره بقتال ثقيف فيه نظر لانه غلط [illegible]

ندعوهم الى الاسلام فلم يجيبوا ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث على بن ابى طالب وامره
ان يقفل خالدا الا رجلا ممن كان مع خالد ان يعقب مع على فلما دنونا من القوم خرجوا
الينا فصلى بنا على ثم صفنا صفا واحدا ثم تقدم بين ايدينا وقرا عليهم كتاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت همدان جميعا فكتب على الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم باسلامهم فلما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب خر ساجدا ثم رفع راسه
فقال السلام على همدان واصل الحديث فى صحيح البخارى وهذا اصح مما تقدم ولم تكن
همدان تقاتل ثقيفا ولا تغير على سرحهم فان همدان باليمن وثقيف بالطائف قاله ابن
القيم فى الهدى النبوى **وفد مزينة** روى البيهقى عن النعمان بن مقرن قال قدمنا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعمائة رجل من مزينة فلما اردنا ان ننصرف قال
يا عمر زود القوم قال ما عندى الا شئ من تمر ما اظنه يقع من القوم موقعا قال
انطلق فزودهم قال فانطلق بهم عمر فادخلهم منزله ثم اصعدهم الى علية فلما دخلنا
اذا فيها من التمر مثل الجمل الاورق فاخذ القوم منه حاجتهم قال النعمان وكنت فى
آخر من خرج فنظرت وما افقد موضع تمرة من مكانها **وفد دوس** وكان قدومهم
عليه صلى الله عليه وسلم بخيبر قال ابن اسحق كان الطفيل بن عمرو الدوسى يحدث
انه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها فمشى اليه رجال من قريش وكان
الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا فقالوا له انك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذى بين
اظهرنا فرق جماعتنا وشتت امرنا وانما قوله كالسحر يفرق بين المرء وابنه وبين المرء
واخيه وبين الرجل وزوجه وانا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمه
ولا تسمع منه قال فوالله ما زالوا بى حتى اجمعت ان لا اسمع منه شيئا ولا اكلمه
حتى حشوت فى اذنى حين غدوت الى المسجد كرسفا فرقا من ان يبلغنى شئ من قوله
قال فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة
فقمت قريبا منه فابى الله الا ان يسمعنى بعض قوله فسمعت كلاما حسنا فقلت واثكل
امياه والله انى لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى ان اسمع من
هذا الرجل ما يقول فان كان ما يقول حسنا قبلت وان كان قبيحا تركت قال فمكثت
حتى انصرف عليه السلام الى بيته فتبعته حتى اذا دخل بيته فقلت يا محمد ان قومك
قد قالوا لى كذا وكذا فوالله ما برحوا يخوفوننى امرك حتى سددت اذنى بكرسف ان
لا اسمع قولك ثم ابى الله الا ان يسمعنيه فسمعت قولا حسنا فاعرض على امرك فعرض
على رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام وتلى على القرآن فلا والله ما سمعت قولا
قط احسن منه ولا امرا اعدل منه فاسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت يا رسول الله

انى امرء مطاع فى قومى وانى راجع اليهم فداعيهم الى الاسلام فادع الله ان يجعل لى آية
قال فخرجت الى قومى حتى اذا كنت بثنية تطلعنى على الحاضر وقع نور بين عينى مثل
المصباح قال قلت اللهم فى غير وجهى انى اخشى ان يقولوا مثلة وقعت فى وجهى لفراق دينهم
قال فتحول فوقع فى راس سوطى كالقنديل المعلق وانا اهبط اليهم من الثنية حتى جئتهم
واصبحت فيهم فلما نزلت اتانى ابى وكان شيخا كبيرا فقلت اليك عنى يا ابت فلست منى
ولست منك قال ولم يا بنى قد اسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم قال
يا بنى فدينى دينك قال فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعال اعلمك ما علمت
قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فاسلم ثم اتتنى
صاحبتى فقلت لها اليك عنى فلست منك ولست منى قالت لم قلت فرق الاسلام
بينى وبينك اسلمت وتابعت محمدا صلى الله عليه وسلم قالت فدينى دينك فاسلمت
ثم دعوت دوسا الى الاسلام فابطوا على فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله انه قد غلبنى على دوس الزنا فادع الله عليهم فقال اللهم اهد
دوسا ثم قال ارجع الى قومك فادعهم الى الله وارفق بهم فرجعت اليهم فلم ازل
بارض دوس ادعهم الى الله ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فنزلت
المدينة بسبعين او ثمانين بيتا من دوس ثم لحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم
فاسهم لنا مع المسلمين وهذا يدل على تقدم اسلامهم وقد جزم ابن ابى حاتم بانه
قدم مع ابى هريرة بخيبر وكانها قدمته الثانية **وقدم عليه صلى الله عليه وسلم**
وفد نصارى نجران فلما دخلوا المسجد النبوى بعد العصر حانت صلاتهم فقاموا
يصلون فيه فاراد الناس منعهم فقال عليه السلام دعوهم فاستقبلوا المشرق
فصلوا صلاتهم وكانوا ستين راكبا منهم اربعة وعشرين رجلا من اشرافهم
والاربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر اليهم يؤول امرهم **العاقب** امير القوم وذو رايهم
وصاحب مشورتهم واسمه عبد المسيح والسيد صاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه
الايهم بتحتانية ساكنة ويقال شرحبيل وابو حارثة بن علقمة اخو بكر بن وائل
قد شرف فيهم ودرس كتبهم وكانت ملوك الروم من اهل النصرانية قد شرفوه
ومولوه وكان يعرف امر النبى صلى الله عليه وسلم وشانه وصفته مما علمه من
الكتب المتقدمة ولكن حمله جهله على الاستمرار فى النصرانية لما يرى من تعظيمه
ووجاهته عند اهلها فدعاهم النبى صلى الله عليه وسلم الى الاسلام وتلى عليهم
القرآن فامتنعوا فقال ان انكرتم ما اقول فهلم اباهلكم • وفى البخارى من حديث
حذيفة جاء السيد والعاقب صاحبا نجران الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهنا حذف من الراوى

بدايته الثالثة ولم يعد الاولى التى اسلم فيها الاهتمام لكن مقصودة والتى شكى قومه فيها وهذه

ان يلاعناه

ان يلاعناه يعنى يباهلاه فقال احدهما لصاحبه لا تفعل • وعند ابى نعيم ان القائل ذلك
هو السيد • وعند غيره بل الذى قال ذلك هو العاقب لانه صاحب رايهم • وفى زيادات يونس
بن بكير فى المغازى ان الذى قال ذلك شرحبيل فوالله لئن كان نبيا فلاعناه يعنى باهلناه
لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا زاد فى رواية ابن مسعود ابدا ثم قالا انا نعطيك
ما سالتنا وابعث معنا رجلا ولا تبعث معنا الا امينا فقال لابعثن معكم رجلا امينا
حق امين فاستشرف لها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قم يا ابا عبيدة
بن الجراح فلما قام قال صلى الله عليه وسلم هذا امين هذه الامة وفى رواية يونس
بن بكير انه صالحهم على الفى حلة الف فى رجب والف فى صفر ومع كل حلة اوقية
وساق الكتاب الذى بينهم مطولا **وذكر** ابن سعد ان السيد والعاقب رجعا بعد
ذلك واسلما وفى ذلك مشروعية مباهلة المخالف اذا اصر بعد ظهور الحجة
ووقع ذلك لجماعة من العلماء سلفا وخلفا **ومما عرف بالتجربة** ان من باهل وكان
مبطلا لا تمضى عليه سنة من يوم المباهلة **وقدم عليه صلى الله عليه وسلم**
فروة بن عمرو الجذامى ملك الروم وكان منزله معان باسلامه واهدى له بغلة
بيضا ولما بلغ الروم ذلك من اسلامه طلبوه حتى اخذوه فحبسوه ثم صلبوه على
ما بفلسطين وضربوا عنقه على ذلك الماء **وقدم عليه صلى الله عليه وسلم**
ضمام بن ثعلبة بعثه بنو سعد بن بكر • روى البخارى من حديث انس بن مالك
قال بينما نحن جلوس مع النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد دخل رجل على جمل
فاناخه فى المسجد ثم عقله ثم قال ايكم محمد والنبى متكئ بين ظهرانيهم فقلنا هذا
الرجل الابيض المتكئ فقال له الرجل ابن عبد المطلب فقال النبى صلى الله عليه وسلم
قد اجبتك قال انى سائلك فمشدد عليك فى المسالة فلا تجد على فى نفسك فقال سل
عما بدا لك اسالك بربك ورب من قبلك آلله ارسلك الى الناس كلهم قال اللهم نعم
قال انشدك الله آلله امرك ان تصوم هذا الشهر من السنة قال اللهم نعم قال
انشدك بالله آلله امرك ان تاخذ هذه الصدقة من اغنيائنا فتقسمها على فقرائنا
فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم نعم فقال الرجل امنت بما جئت به وانا رسول
من ورائى من قومى وانا ضمام بن ثعلبة اخو بنى سعد بن بكر وزاد ابن اسحق فى مغازيه
فقال آلله امرك ان نعبده ولا نشرك به شيئا وان نخلع هذه الانداد التى كان اباؤنا
يعبدون فقال صلى الله عليه وسلم اللهم نعم قال وكان ضمام رجلا جلدا اشعر
ذا غديرتين ثم اتى بعيره واطلق عقاله ثم خرج حتى اتى قومه فاجتمعوا اليه وكان
اول ما تكلم به ان قال بئست اللات والعزى فقالوا مه يا ضمام اتق البرص والجنون

قوله ملك الروم فيه نظر فانه كان آخر امرائهم لا ملك

هذا دليل لسندنا مالك على طهارة بول الابل وقوله متكئ اى مستند ظهره الى وسادة او الى الحائط

والجذام قال ويلكم انهما لا يضران ولا ينفعان ان الله قد بعث رسولا وانزل عليه كتابا
استنقذكم به واني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واني قد جئتكم من
عنده بما امركم به ونهاكم عنه فوالله ما امسى في ذلك اليوم في حاضره رجل ولا
امرأة الا مسلما قال ابن عباس فما سمعنا بوافد قوم افضل من ضمام بن ثعلبة **وفد**
طارق بن عبد الله وقومه روى البيهقي عن جامع بن شداد قال حدثني رجل يقال له
طارق بن عبد الله قال اني قائم بسوق ذي المجاز اذ اقبل رجل وهو يقول يا ايها
الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا ورجل يتبعه يرميه بالحجارة يقول يا ايها الناس
انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا هذا غلام من بني هاشم يزعم انه رسول
الله قال قلت من هذا الذي يفعل به هذا قالوا هذا عمه عبد العزى قال فلما اسلم
الناس وهاجروا خرجنا من الربذة نريد المدينة نمتار من تمرها فلما دنونا من
حيطانها ونخلها قلنا لو نزلنا فلبسنا ثيابا غير هذه فاذا رجل في طمرين له فسلم
وقال من اين اقبل القوم قلنا من الربذة قال واين تريدون قلنا نريد المدينة قال
ما حاجتكم فيها قلنا نمتار من تمرها قال ومعنا ظعينة لنا ومعنا جمل احمر مخطوم
فقال اتبيعون جملكم هذا قالوا نعم بكذا وكذا صاعا من تمر فاخذ بخطام الجمل
فانطلق فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها قلنا ما صنعنا والله ما بعنا
جملنا ممن نعرف ولا اخذنا له ثمنا قال تقول المرأة التي معنا والله لقد رايت
رجلا كأن وجهه قطعة القمر ليلة البدر انا ضامنة لثمن جملكم • وفي رواية
ابن اسحق قالت الظعينة فلا تلاوموا لقد رايت وجه رجل لا يغدر بكم ما رايت
شيئا اشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه اذ اقبل رجل فقال انا رسول الله اليكم
هذا تمركم فكلوا واشبعوا واكتالوا واستوفوا فاكلنا حتى شبعنا واستوفينا واكتلنا
ثم دخلنا المدينة فلما دخلنا المسجد اذا هو قائم على المنبر يخطب الناس فادركنا من خطبته
وهو يقول تصدقوا فان الصدقة خير لكم اليد العليا خير من اليد السفلى **وقدم**
عليه صلى الله عليه وسلم وفد تجيب وهم من السكون ثلاثة عشر رجلا قد ساقوا
معهم صدقات اموالهم التي فرض الله عليهم فسر عليه السلام بهم واكرم منزلتهم
وامر بلالا ان يحسن ضيافتهم ثم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعونه
فامر بلالا فاجازهم بارفع مما كان يجيز به الوفود قال وهل بقي منكم احد قالوا غلام
خلفناه على رحالنا هو احدثنا سنا قال ارسلوه الينا فلما اقبل الغلام على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان حاجتي ليست كحاجة اصحابي
وان كانوا راغبين في الاسلام والله ما اخرجني من بلادي الا ان تسأل الله ان يغفر

لي ويرحمني

لي ويرحمني وان يجعل غناي في قلبي فقال عليه السلام اللهم اغفر له وارحمه
واجعل غناه في قلبه ثم امر له بما امر لرجل من اصحابه ثم انطلقوا راجعين الى اهليهم
ثم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى سنة عشر فقال ما فعل الغلام قالوا
يا رسول الله ما راينا مثله قط ولا حدثنا باقنع منه بما رزقه الله لو ان الناس
اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت اليها **قدوم وفد بني سعد هذيم** من قضاعة
روى الواقدي عن ابي النعمان عن ابيه من بني سعد هذيم قال قدمت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وافدا في نفر من قومي فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا
نؤم المسجد فقمنا ناحية ولم ندخل مع الناس في صلاتهم حتى نلقى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونبايعه ثم بايعناه صلى الله عليه وسلم على الاسلام ثم
انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا اصغرنا فبعث عليه السلام في طلبنا فاتي بنا اليه
فتقدم صاحبنا اليه فبايعه على الاسلام فقلنا يا رسول الله انه اصغرنا وخادمنا
فقال اصغر القوم خادمهم بارك الله عليك قال فكان والله خيرنا واقرأنا بدعاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم امره علينا فكان يؤمنا فرجعنا الى قومنا
فرزقهم الله الاسلام **وفد بني فزارة** قال ابو الربيع بن سالم في كتاب الاكتفاء
ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك قدم عليه وفد بني فزارة بضعة
عشر رجلا فيهم خارجة بن حصن والحر بن قيس بن اخي عيينة بن حصن وهو اصغرهم
مقرين بالاسلام وهم مسنتون على ركاب عجف فسالهم عليه السلام عن بلادهم
فقال احدهم يا رسول الله اسنتت بلادنا وهلكت مواشينا واجدب جناتنا
وغرث عيالنا فادع لنا ربك يغيثنا واشفع لنا الى ربك ويشفع لنا ربك اليك
فقال صلى الله عليه وسلم سبحان الله ويلك هذا انما شفعت الى ربي عز وجل
فمن الذي يشفع ربنا اليه لا اله الا هو العظيم وسع كرسيه السموات والارض
فهي تئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد وقال عليه السلام ان الله
عز وجل ليضحك من شفقكم وقرب غياثكم فقال الاعرابي يا رسول الله ويضحك
ربنا عز وجل قال نعم فقال الاعرابي لن نعدمك من رب يضحك خيرا فضحك صلى
الله عليه وسلم من قوله وصعد المنبر فرفع يديه حتى رؤي بياض ابطيه وكان مما حفظ
من دعائه اللهم اسق بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريعا طبقا واسعا عاجلا
غير آجل نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق اللهم
اسقنا الغيث وانصرنا على الاعداء الحديث ورواه ابن سعد والبيهقي ويأتي بتمامه
ان شاء الله تعالى في الاستسقاء في مقصد عباداته عليه السلام **وقدم عليه صلى**

عليه وسلم وفد بني اسد عشرة رهط فيهم وابصة بن معبد وطليحة بن خويلد
وفد بني اسد
ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع اصحابه فقال متكلمهم يا رسول الله انا
شهدنا ان الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وجئناك ولم تبعث الينا
بعثا فانزل الله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن
عليكم ان هديكم للايمان ان كنتم صادقين وقدم عليه صلوات الله وسلامه
عليه وفد بهرا من اليمن وكانوا ثلثة عشر رجلا فلما انتهوا الى باب المقداد رحب
وفد بهرا
بهم وقدم لهم جفنة من حيس فاكلوا منها حتى نهلوا وردت القصعة وفيها شئ
فجمع في قصعة صغيرة وارسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ام
سلمة فاصاب منها هو ومن معه في البيت حتى نهلوا ثم اكل منها الضيف ما اقاموا
يرد دون ذلك عليهم وما تغيض حتى جعلوا يقولون يا ابا معبد انك لتنهلنا من
احب الطعام الينا وما نقدر على مثل هذا الا في الحين فاخبرهم ابو معبد بخبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه اكل منها وردها وان هذه بركة اصابعه عليه السلام
فجعل القوم يقولون نشهد انه رسول الله وازدادوا يقينا وتعلموا الفرائض واقاموا
اياما ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر لهم بجوائز وانصرفوا الى
اهليهم وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد عذرة في صفر سنة تسع وكانوا
وفد عذره
اثني عشر رجلا منهم حمزة بن النعمان فرحب بهم عليه السلام فاسلموا وبشرهم بفتح
الشام وهرب هرقل الى ممتنع من بلاده ثم انصرفوا وقد اجيزوا وقدم عليه صلوات
الله وسلامه عليه وفد بلي فاسلموا فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي
وفد بلي
هديكم للاسلام فكل من مات على غير الاسلام فهو في النار ثم ودعوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد ان اجازهم وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد
ذي مرة وكانوا ثلاثة عشر رجلا ورئيسهم الحارث بن عوف فقال لهم عليه الصلوة
وفد ذي مره
والسلام كيف البلاد فقالوا والله انا المسنتون فادع الله لنا فقال عليه السلام
اللهم اسقهم الغيث ثم اقاموا اياما ورجعوا بالجائزة فوجدوا بلادهم قد امطرت
في ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم عليه زاده
الله شرفا وفضلا لديه وفد خولان في شعبان سنة عشر وكانوا عشرة فقالوا
وفد خولان
يا رسول الله نحن مؤمنون بالله مصدقون برسول الله وقد ضربنا اليك اباط
الابل وركبنا حزون الارض وسهولها والمنة لله ولرسوله علينا وقدمنا زائرين
لك فقال عليه السلام اما ما ذكرتم من مسيركم الي فان لكم بكل خطوة خطاها
بعير احدكم حسنة واما قولكم زائرين لك فانه من زارني بالمدينة كان في جواري

يوم القيمة

يوم القيمة ثم قال عليه السلام ما فعل صنم خولان الذي كانوا يعبدونه قالوا ابدلنا
الله به ما جئت به الا ان عجوزا وشيخا كبيرا يتمسكان به وان قدمنا عليه هدمناه
ان شاء الله تعالى ثم علمهم عليه السلام فرائض الدين وامرهم بالوفا بالعهد واداء
الامانة وحسن الجوار وان لا يظلموا احدا ثم اجازهم ورجعوا الى قومهم وهدموا
الصنم وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد محارب عام حجة الوداع وكانوا
وفد محارب
اغلظ العرب وافظهم عليه ايام عرضه على القبائل يدعوهم الى الله فجاء عليه السلام
منهم عشرة فاسلموا ثم انصرفوا الى اهليهم وقدم عليه عليه السلام وفد
وفد صدا
صدا في سنة ثمان وذلك انه لما انصرف من الجعرانة بعث قيس بن سعد بن عبادة
في اربعمائة وامره ان يطأ ناحية من اليمن فيها صدا فقدم رجل منهم وعلم بالبعث
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اردد الجيش وانا لك
بقومي فرد قيسا ورجع الصدائي الى قومه فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
خمسة عشر رجلا منهم فبايعوه على الاسلام ورجعوا الى قومهم ففشا فيهم الاسلام
فوافا رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة رجل في حجة الوداع ذكره الواقدي
وذكر من حديث زياد بن الحرث الصدائي انه الذي قدم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له اردد الجيش وقال كان زياد هذا معه صلى الله عليه وسلم في بعض
اسفاره وانه عليه السلام قال له يا اخا صدا هل معك ماء قلت معي شئ في اداوتي
فقال صبه فصببته في قعب ثم وضع عليه السلام كفه فيه فرايت الماء ينبع من اصابعه
عينا تفور وقدم عليه عليه السلام وفد غسان في شهر رمضان سنة عشر
وفد غسان
وكانوا ثلاثة نفر فاسلموا واجازهم عليه السلام بجوائز وانصرفوا راجعين
وقدم عليه عليه السلام وفد سلامان في شوال سنة عشر كما قال الواقدي
وفد سلامان
وكانوا سبعة نفر فيهم خبيب بن عمرو فاسلموا وشكوا اليه جدب بلادهم
فدعا لهم ثم ودعوه وامر لهم بالجوائز ورجعوا الى بلادهم فوجدوها قد امطرت
في اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الساعة وقدم
عليه عليه السلام وفد بني عبس فقالوا يا رسول الله قدم علينا قراؤنا فاخبرونا
وفد بني عبس
انه لا اسلام لمن لا هجرة له ولنا اموال ومواشي فان كان لا اسلام لمن لا هجرة له
بعناها وهاجرنا فقال عليه السلام اتقوا الله حيث كنتم فانه لا يلتكم من اعمالكم
شيا وقدم عليه وفد غامد سنة عشر وكانوا عشرة فاقروا بالاسلام وكتب
وفد غامد
لهم كتابا فيه شرايع الاسلام وامر ابي بن كعب فعلمهم قرانا واجازهم عليه السلام
وانصرفوا وقدم عليه عليه السلام وفد الازد ذكر ابو نعيم في كتاب معرفة الصحابة
وفد الازد

وابو موسى المدينى من حديث احمد بن ابى الحوارى قال سمعت ابا سليمان الدارانى
قال حدثنى علقمة بن يزيد بن سويد الازدى قال حدثنى ابى عن جدى قال وفدت
سابع سبعة من قومى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخلنا عليه وكلمناه
اعجبه ما راى من سمتنا وزينا فقال ما انتم قلنا مؤمنون فتبسم عليه السلام
وقال ان لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وايمانكم قلنا خمس عشرة خصلة خمس
منها امرتنا رسلك ان نؤمن بها وخمس امرتنا ان نعمل بها وخمس تخلقنا بها فى الجاهلية
فنحن عليها الآن نكره منها شيئا فقال صلى الله عليه وسلم ما الخمس التى امرتكم بها
رسلى قلنا امرتنا ان نؤمن بالله وملئكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت
قال وما الخمس التى امرتكم ان تعملوا بها قلنا امرتنا ان نقول لا اله الا الله ونقيم الصلوة
ونؤتى الزكوة ونصوم رمضان ونحج البيت ان استطعنا اليه سبيلا قال وما
الخمس التى تخلقتم بها فى الجاهلية قلنا الشكر عند الرخا والصبر عند البلا والرضى
بمر القضاء والصدق فى مواطن اللقاء وترك الشماتة بالاعداء فقال صلى الله
عليه وسلم حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء ثم قال وانا ازيدكم خمسا
فتتم لكم عشرون خصلة ان كنتم كما تقولون فلا تجمعوا ما لا تاكلون ولا تبنوا ما لا
تسكنون ولا تنافسون فى شئ انتم عنه غدا زائلون واتقوا الله الذى اليه ترجعون
وعليه تعرضون وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون فانصرفوا وقد
حفظوا وصيته عليه السلام وعملوا بها وقدم عليه وفد بنى المنتفق روى
عبد الله بن الامام احمد فى مسند ابيه عن دلهم بن الاسود عن عاصم بن لقيط
ان لقيط بن عامر بن صبرة بن عبد الله بن المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة
بن عامر بن صعصعة ابا رزين بن العقيل المعدود فى اهل الطائف خرج وافدا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم
بن مالك بن المنتفق فوافيناه صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلوة الغداة
فقام فى الناس خطيبا فقال يا ايها الناس الا انى قد خبأت لكم صوتى منذ اربعة ايام
لتسمعوا اليوم الا فهل من امرء بعثه قومه فقالوا له اعلم لنا ما يقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا ثم لعله يلهيه حديث نفسه او حديث صاحبه الا وانى مسؤل
هل بلغت الا اسمعوا تعيشوا الحديث وفيه ذكر البعث والنشور والجنة والنار
وفيه ثم قال قلت يا رسول الله على ما ابايعك فبسط صلى الله عليه وسلم
يده وقال على اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان لا تشرك بالله شيئا وقدم عليه
صلى الله عليه وسلم وفد النخع وهم آخر الوفود قدوما عليه وكان قدومهم فى نصف

وفد النخع

المحرم

المحرم سنة احدى عشرة فى مائتى رجل فنزلوا دار الاضياف ثم جاؤا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقرين بالاسلام وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل فقال رجل
منهم يقال له زرارة بن عمرو يا رسول الله انى رايت فى سفرى هذا عجبا قال وما
رايت قال رايت اتانا تركتها كانها ولدت جديا اسفع احوى فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل تركت لك مصرة على حمل قال نعم قال فانها قد ولدت غلاما
وهو ابنك فقال يا رسول الله ما باله اسفع احوى قال ادن منى فدنا منه قال
هل بك من برص تكتمه قال والذى بعثك بالحق نبيا ما علم به احد ولا اطلع عليه غيرك
قال فهو ذلك قال يا رسول الله ورايت النعمان بن المنذر عليه قرطان مدلجان
ومسكتان قال ذلك ملك العرب رجع الى احسن زيه وبهجته قال يا رسول الله
ورايت عجوزا شمطا خرجت من الارض قال تلك بقية الدنيا قال ورايت نارا
خرجت من الارض فحالت بينى وبين ابن لى يقال له عمرو فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تلك فتنة فى آخر الزمان قال يا رسول الله وما الفتنة قال يقتلون
الناس امامهم وخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصابعه يحسب
المسئ فيها انه محسن ويكون دم المؤمن عند المؤمن احلا من شرب الماء ان مات ابنك
ادركت الفتنة وان مت انت ادركها ابنك قال يا رسول الله ادع الله ان لا ادركها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدركها فمات فبقى ابنه فكان ممن خلع
عثمان بن عفان رضى الله عنه انتهى ملخصا من الهدى النبوى والله الموفق وسياتى
هذا ان شاء الله تعالى فى تعبيره صلى الله عليه وسلم الرؤيا من المقصد الثامن

المقصد الثالث

فيما فضله الله تعالى به من كمال خلقته وجمال صورته وكرمه تعالى به من الاخلاق
الزكية وشرفه به من الاوصاف المرضية وما تدعو ضرورة حياته اليه صلى الله
وسلم عليه وفيه اربعة فصول الفصل الاول فى كمال خلقته وجمال صورته
صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم اعلم ان من تمام الايمان به صلى الله عليه
وسلم الايمان بان الله تعالى جعل خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده
خلق آدمى مثله فيكون ما يشاهد من خلق بدنه آيات على ما يتضح من عظيم خلق نفسه
الكريمة وما يتضح من عظيم اخلاق نفسه آيات على ما تحقق له من سر قلبه المقدس ...

ولله در الابوصيرى حيث قال

فهو الذى تم معناه وصورته	ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم
منزه عن شريك فى محاسنه	فجوهر الحسن فيه غير منقسم

يعني حقيقة الحسن الكامل كائنة فيه لانه الذى تم معناه دون غيره وهى غير منقسمة
بينه وبين غيره والا لما كان حسنه تاما لانه اذا انقسم لم ينله الا بعضه فلا يكون
تاما • وفى الاثر ان خالد بن الوليد خرج فى سرية من السرايا فنزل ببعض الاحيا
فقال له سيد ذلك الحى صف لنا محمدا فقال اما انى فصل فلا فقال الرجل اجمل
فقال الرسول على قدر المرسل ذكره ابن المنير فى اسرار الاسرى فمن ذا الذى يصل
قدره ان يقدر قدر الرسول ويبلغ من الاطلاع على ما ثور احواله المأمول والسول
وقد حكى القرطبى فى كتاب الصلاة عن بعضهم انه قال لم يظهر
لنا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم لانه لو ظهر لنا تمام حسنه لما طاقت
اعيننا رؤيته صلى الله عليه وسلم • ولقد احسن الابوصيرى حيث قال

اعى الورى فهم معناه فليس يرى • للقرب والبعد فيه غير منفحم •
كالشمس تظهر للعينين من بعد • صغيرة وتكل الطرف من امم •

وهذا مثل قوله ايضا •

انما مثلوا صفاتك للناس • كما مثل النجوم الماء •

واشار بقوله تظهر الى وجه التشبيه بالشمس لا مطلقا ولقد بين عيب التشبيه بها على
الاطلاق ابو نواس حيث قال

تتيه الشمس والقمر المنير • اذا قلنا كانهما الامير •
لان الشمس تغرب حين تمسى • وان البدر ينقصه المسير •

وهذه التشبيهات الواردة فى حقه عليه السلام انما هى على سبيل التقريب والتمثيل
والا فذاته اعلا ومجده اغلا امّا راسه الشريف المقدس فحسبك ما ذكره الترمذى
فى جامعه بسنده الى هند بن ابى هالة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عظيم الهامة • وقال نافع بن جبير وصف لنا على بن ابى طالب رضى الله عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان عظيم الهامة وامّا وجهه الشريف
فحسبك ما روى الشيخان من حديث البرا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
احسن الناس وجها واحسنهم خلقا ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير البائن
وعن ابى هريرة رضى الله عنه ما رايت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان الشمس تجرى فى وجهه رواه الترمذى والبيهقى واحمد وابن حبان قال
الطيبى شبه جريان الشمس فى فلكها بجريان الحسن فى وجهه صلى الله عليه وسلم
قال ويحتمل ان يكون من تناهى التشبيه جعل وجهه مقرا ومكانا للشمس ولله در القائل

لم لا يضئ بك الوجود وليله • فيه صباح من جمالك مسفر •

ستحى به للالاذ كان له ذانشان يتوسان على ظهره اى تحركان ذكره كما فى رضى الله عنه فى لولا عنوة اى غفة فى رخلعه لاخذت العلم عنه واسمه هانئ بن مسعود • صحاح ••

راسه الشريف عليه السلام

وجهه الشريف عليه السلام

فبشمس

فبشمس حسنك كل يوم مشرق • وببدر وجهك كل ليل مقمر •

وفى البخارى سئل البرا اكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف
فقال لا بل مثل القمر وكان السائل اراد مثل السيف فى الطول فرد عليه البرا فقال
بل مثل القمر اى فى التدوير ويحتمل ان يكون اراد مثل السيف فى اللمعان والصقال
فقال بل فوق ذلك وعدل الى القمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان • وقال
الحافظ النسابة ابو الخطاب بن دحية رحمه الله فى كتاب التنوير فى مولد البشير
النذير صلى الله وسلم وشرف وعظم وكرم عند ايراد حديث البرا المذكور ما لفظه
ففى هذا الحديث من العلم ان التشبيه ممن لا يحسنه لا يصلح الاقرار عليه لان السائل
شبه وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ولو شبهه بالشمس لكان
اولى فرد عليه البرا قوله وقال بل مثل القمر وابدع فى تشبيهه لان القمر يملأ الارض
بنوره ويؤنس كل من يشاهده ونوره من غير حر يفزع ولا كل ينزع والناظر الى القمر
متمكن من النظر بخلاف الشمس التى تغشى البصر وتجلب للناظر الضر اسى وفى
رواية مسلم من حديث جابر بن سمرة وقال له رجل اكان وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وانما قال
مستديرا للتنبيه على انه جمع الصفتين لان قوله مثل السيف يحتمل ان يريد به الطول
ويحتمل ان يريد به اللمعان كما تقدمت الاشارة اليه فيما سبق من العبادة فرده
المسؤل ردا بليغا • ولما جرى التعارف به ان التشبيه بالشمس انما يراد به غالبا
الاشراق وبالقمر انما يراد به الملاحة دون غيرهما فقوله وكان مستديرا اشار به
الى انه اراد التشبيه بالصفتين معا الحسن والاستدارة • وقال المحازلى عن اشعث
عن ابى اسحق عن جابر بن سمرة انه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
ليلة اضحيان وعليه حلة حمرا فجعلت انظر اليه والى القمر فلهو كان احسن فى عينى
من القمر وفى رواية بعد قوله حمرا فجعلت اماثل بينه وبين القمر وروى الترمذى
والبيهقى عن على انه نعته صلى الله عليه وسلم فقال لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم
كان فى وجهه تكلثم تدوير والمكلثم المدور الوجه اى لم يكن شديد تدوير الوجه
بل فى وجهه تدوير قليل • وفى حديث على عند ابى عبيد فى الغرائب وكان فى وجهه
تدوير قليل • قال ابو عبيد فى شرحه يريد انه ما كان فى غاية التدوير بل كان فيه
سهولة وهو احلى عند العرب وفى حديث ابى هريرة عند الذهلى فى الزهريات فى
صفته صلى الله عليه وسلم كان اسيل الخدين قال ابن الاثير الاسالة فى الخد
الاستطالة وان لا يكون مرتفع الوجنة وقال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر

ولعله هو الحامل على من سال كان وجهه مثل السيف واخرج البخارى عن كعب بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سُرّ استنار وجهه كانه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه اى الموضع الذى يتبين فيه السرور وهو جبينه وقالت عائشة دخل النبى صلى الله عليه وسلم يوما مسرورا تبرق اسارير وجهه ولذلك قال كعب كانه قمر وفى حديث جبير بن مطعم عند الطبرانى التفت الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجه مثل شقة القمر فهذا محمول على صفته عند الالتفات وقد اخرج الطبرانى حديث كعب بن مالك من طرق فى بعضها كانه دارة قمر ويسال عن السر فى التقييد بالقطعة مع كثرة ما ورد فى كثير من كلام البلغا من تشبيه الوجه بالقمر بغير تقييد وقد كان كعب بن مالك قائل هذا من شعراء الصحابة فلا بد فى التقييد بذلك من حكمة وما قيل فى ان ذلك من الاحتراز عن السواد الذى فى القمر ليس بقوى لان المراد بتشبيهه ما فى القمر من الضياء والاستنارة وهو فى تمامه لا يكون فيها اقل مما فى القطعة المجردة فكان التشبيه وقع على بعض الوجه فناسب ان يشبه ببعض القمر وعن ابى بكر الصديق رضى الله عنه قال كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كدارة القمر اخرجه ابو نعيم وروى البيهقى عن ابى اسحق عن امرأة من همدان سماها قالت حججت مع النبى صلى الله عليه وسلم مرات فرايته على بعير له يطوف بالكعبة بيده محجن عليه بردان احمران يكاد يمس شعره منكبه اذا مر بالحجر استلمه بالمحجن ثم يرفعه الى فمه فيقبله قال ابو اسحق فقلت لها شبهيه قالت كالقمر ليلة البدر لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم وروى الدارمى والبيهقى وابو نعيم والطبرانى وعبد الله بن محمد بن اسحق الفاكهى من حديث اسامة بن زيد عن ابى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال قلت للربيع بنت معوذ صفى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لو رايته لقلت الشمس طالعة وفى لفظ قالت بنى لو رايت الشمس طالعة وروى مسلم عن ابى الطفيل انه قيل له صف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ابيض مليح الوجه وفيما اخرجه الترمذى من حديث هند بن ابى هالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألؤ وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر وقالت ام معبد حين وصفته لزوجها متبلج الوجه يعنى مشرقة معينة ومنه تبلج الصبح اذا اسفر وما احسن قول سيدى على بن وفا حيث قال

الا يا صاحب الوجه المليح ... سألتك لا تغيب فانت روحى
متى ما غاب شخصك عن عيانى ... رجعت فلا ترى الا ضريحى
بحقك جد لرقك ما جيبى ... وداوى لوعة القلب الجريحى

ورق

ورق المغرم فى الحب اسبى ... واصبح بالهوى دنفا طريحى
فحب ضاق بالاشواق ذرعا ... واوى منك للكرم الفسيحى

وفى النهاية انه عليه السلام كان اذا سُرّ فكأن وجهه المرآة وكان الجدر تلاحك وجهه قال والملاحكة شدة الملاءمة اى يرى شخص الجدر فى وجهه صلى الله عليه وسلم وفى حديث ابن ابى هالة يتلألؤ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وذلك لان القمر يملأ الارض بنوره ويونس كل من شاهده وهو يجمع النور من غير اذى ويتمكن من النظر اليه بخلاف الشمس التى تغشى البصر فتمنع من تمكن الرؤية والتشبيه بالبدر ابلغ فى العرف من التشبيه بالقمر لانه وقت كماله كما قال الفاروق رضى الله عنه حين راه او كلما راه لو كنت من شئ سوى بشر كنت المنور ليلة البدر وقد صادف هذا التشبيه تحقيقا فمن اسمائه صلى الله عليه وسلم البدر ولهذا انشد والما قدم المدينة

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
الى اخره ولقد احسن من قال
كالبدر والكاف ان انصفت زائدة ... فيه فلا تظننها كافا للتشبيه

وما احلى قول ابن الحلاوى

يقولون يحكى البدر فى الحسن وجهه ... وبدر الدجى عن ذلك الحسن ينحط
كما شبهوا غصن النقا بقوامه ... لقد بالغوا بالمدح للغصن واشتطوا

فقد حصل للبدر والغصن غاية من الفخر بهذا التشبيه على ان هذه التشبيهات الواردة فى صفاته عليه السلام انما هى على عادة الشعراء والعرب والا فلا شئ فى هذه المحدثات يعادل صفاته الخلقية والخلقية ولله در امام العارفين سيدى محمد وفا الشاذلى المالكى رحمه الله حيث قال

كم فيه للابصار حسن مدهش ... كم فيه للارواح راح مسكر
سبحان من انشاه من سبحاته ... بشرا باسرار الغيوب يبشر
فاسوه جهلا بالغزال تغزلا ... هيهات يشبهها الغزال الاحور
هذا وحقك ماله من مشبه ... وارى المشبه بالغزالة يكفر
يا لى عظيم الذنب فى تشبيهه ... لولا لرب جماله يستغفر
فخر الملاح بحسنهم وجمالهم ... وبحسنه كل المحاسن تفخر
فجماله مجلا لكل جميلة ... وله منار كل وجه نير
جنات عدن فى جنا وجناته ... ودليله ان المراشف كوثر
هيهات الهوى عن هواه بغيره ... والغير فى حشر الاجانب يحشر
كتب الغرام على فى اسفاره ... كتبا تؤول بالهوى وتفسر

فدع الدعى وما ادّعاه فى الهوى ••• فدعيه بالهجر فيه بهجر
وعليك بالعلم العليم فانه ••• لخطيبه فى كل خطب منبر

بصره الشريف

اى لخطيبه اى لطالبه فى كل حرك(؟) فرحة وخلاص

واما بصره الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه الله تعالى فى كتابه العزيز بقوله ما زاغ البصر وما طغى • وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بالليل فى الظلمة كما يرى بالنهار فى الضوء رواه البخارى • وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بالليل فى الظلماء كما يرى فى الضوء رواه البيهقى • وعن ابى هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتى ههنا فوالله ما يخفى على ركوعكم ولا سجودكم انى لاريكم من وراء ظهرى رواه البخارى ومسلم وعند مسلم من رواية انس انه صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس انى امامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود فانى اريكم من امامى ومن خلفى • وعن مجاهد فى قوله تعالى الذى يريك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين قال كان صلى الله عليه وسلم يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من بين يديه رواه الحميدى فى مسنده وابن المنذر فى تفسيره • وهذه الرؤية رؤية ادراك والرؤية لا تتوقف على وجود آلتها التى هى العين عند اهل الحق ولا شعاع ولا مقابلة وهذا بالنسبة الى القديم العالى اما المخلوق فتتوقف صفة الرؤية فى حقه على الحاسة والشعاع والمقابلة بالاتفاق ولهذا كان خرق عادة فى حقه عليه السلام وخالق البصر فى العين قادر على خلقه فى غيرها قال الحرالى وهذه الآية قد جعلها الله دالة على ما فى حقيقة امره فى الاطلاع الباطن لسعة علمه ومعرفته لما عرف بربه لا بنفسه اطلعه الله على ما بين يديه مما تقدم من امر الله فلما كان على ذلك من الاحاطة فى دراكات مدركات القلوب جعل الله تعالى له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فى مدركات العيون فكان يرى المحسوسات من وراء ظهره كما يراها من بين يديه كما قال صلى الله عليه وسلم انتهى • ومن الغريب ما ذكره الزاهدى بختيار مجتبى بن محمود شارح القدورى فى رسالته الناصرية انه صلى الله عليه وسلم كان له بين كتفيه عينان كسم الخياط يبصر بهما ولا يحجبهما الثياب وقيل بل كانت صورهم تنطبع فى حائط قبلته كما ينطبع فى المرآت مثلتهم فيها فيشاهد افعالهم وهذا ان كان نقلا عن الشارع عليه السلام بطريق صحيح فمقبول والا فليس المقام مقام راى على ان الاقعد فى اثبات كونه معجزة حملا على الادراك من غير آلة والله اعلم وقد ذهب بعضهم الى ان هذه الرؤية رؤية قلبه الشريف وعن بعضهم المراد بها العلم اما بان يوحى الله اليه كيفية فعلهم واما بان يلهم والصحيح والصواب ما تقدم • وقد استشكل على قول من يقول ان المراد بذلك

العلم

العلم ما ذكره ابن الجوزى فى بعض كتبه بغير اسناد انه صلى الله عليه وسلم قال انى لا اعلم ما وراء جدارى هذا فان صح فالمراد منه نفى العلم بالمغيبات فكيف يجتمعان واجيب بان الاحاديث الاول ظاهرها ينطق باختصاص ذلك بحالة الصلاة ويحمل المطلق منها على المقيد واما اذا ذهبنا الى الادراك بالبصر وهو الصواب فلا اشكال لان نفى العلم هنا عن الغيب وذاك مشاهدة وفى المقاصد الحسنة للحافظ شمس الدين السخاوى حديث ما اعلم ما خلف جدارى هذا قال شيخنا يعنى شيخ الاسلام ابن حجر لا اصل له قلت ولكنه قال فى تلخيص تخريج احاديث الرافعى عند قوله فى الخصائص ويرى من وراء ظهره كما يرى من قدامه هو فى الصحيحين وغيرهما من حديث انس وغيره والاحاديث الواردة فى ذلك مقيدة بحالة الصلوة وبذلك يجمع بينه وبين قوله لا اعلم ما وراء جدارى هذا انتهى قاله شيخنا وهذا مشعر بوروده وعلى تقدير وروده لا تنافى بينهما لعدم تواردهما على كل واحد فان قيل يشكل على هذا ايضا اخباره صلى الله عليه وسلم بكثير من المغيبات التى فى زمانه وبعده ووقعت كما اخبر صلى الله عليه وسلم فالجواب ان نفى العلم فى هذا ورد على اصل الوضع وهو ان علم الغيب مختص بالله تعالى وما وقع منه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وغيره فمن الله تعالى اما بوحى والهام ويدل على ذلك الحديث الذى فيه انه لما ضلت ناقته صلى الله عليه وسلم تكلم بعض المنافقين ان محمدا يزعم انه يخبركم عن خبر السماء وهو لا يدرى اين ناقته فقال صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك والله انى لا اعلم الا ما علمنى ربى وقد دلنى ربى عليها وهى فى موضع كذا وكذا احتبسها شجرة بخطامها فذهبوا فوجدوها كما اخبر صلى الله عليه وسلم فصح انه لا يعلم ما وراء جداره ولا غيره الا ما علمه الله تبارك وتعالى وذكر القاضى عياض فى الشفاء انه صلى الله عليه وسلم كان يرى فى الثريا احد عشر نجما عند البيهقى اثنى عشر • وفى حديث ابن ابى هالة واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة وهى مفاعلة من اللحظ وهو النظر بشق العين الذى يلى الصدغ واما الذى يلى الانف فالموق والماق وقوله واذا التفت التفت جميعا اراد انه لا يسارق النظر وقيل لا يلوى عنقه يمنة ولا يسرة اذا نظر الى الشئ وانما يفعل ذلك الطائش الخفيف ولكن كان يقبل جميعا ويدبر جميعا قاله ابن الاثير وعن على قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين اهدب الاشفار مشرب العين بحمرة رواه البيهقى وعن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم اشكل العينين منهوس القدمين رواه مسلم والشكلة

وحاصل ما تقدم ان ما حصل فيه نفى فراجع لذاته الشريفة وما حصل فيه اثبات فراجع الى اخبار الله له اياه ولا اشكال • منه •

الحمرة فی بیاض العین وهو محصود محبوب واما الشهلة فانها حمرة فی سوادها
وهذا هو الصواب لاما فسره بعضهم بانه طول شق العین وعند الترمذی فی حدیث
عن علی انه لعت رسول الله صلی الله علیه وسلم فقال کان فی وجهه تدویر ابیض
مشرب ادعج العینین اهدب الاشفار الحدیث والادعج الشدید سواد الحدقة
والاهدب الطویل الاشفار وهو شعر العین وعنده ایضا عن علی قال کان اسود
الحدقة اهدب الاشفار وعن علی بعثنی النبی صلی الله علیه وسلم الی الیمن لاخطب
یوما علی الناس وحبر من احبار یهود واقف بیده سفر ینظر فیه فلما رآنی صف لی
ابا القاسم فقلت لیس بالطویل البائن ولا بالقصیر الحدیث وفیه قال علی ثم
سکت فقال الحبر وماذا قلت هذا ما یحضرنی قال الحبر فی عینیه حمرة حسن اللحیة
ثم قال علی هذه والله صفته قال الحبر فانی اجد هذه الصفة فی سفر آبائی وانی اشهد
انه نبی وانه رسول الله الی الناس کافة الحدیث **واما سمعه الشریف** فحسبك انه قد
قال صلی الله علیه وسلم انی اری ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون أطت السماء
وحق لها ان تئط لیس فیها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا
لله تعالی رواه الترمذی من روایة ابی ذر وما رواه ابو نعیم عن حکیم بن حزام
بینما رسول الله صلی الله علیه وسلم فی اصحابه اذ قال لهم تسمعون ما اسمع قالوا ما
نسمع من شیء قال انی لاسمع اطیط السماء وما تلام ان تئط وما فیها موضع شبر
الا وعلیه ملك ساجدا وقائم **واما جبینه الکریم** صلی الله علیه وسلم فقد کان
واضح الجبین مقرون الحاجبین بهذا وصفه علی کما عند ابن سعد وابن عساکر
فقال مقرون الحاجبین صلت الجبین ای واضحه والقرن اتصال شعر الحاجبین
وعند البیهقی عن رجل من الصحابة قال رایت رسول الله صلی الله علیه وسلم فاذا
رجل حسن الجسم عظیم الجبهة دقیق الحاجبین ولله در القائل

جبینه مشرق من فوق طرته ... یتلو الضحی لیله واللیل کافره
بالمسك خطت علی کافور جبهته ... من فوق نوناته سینی ضفائره
مکمل الخلق ما تحصی خصائصه ... منضر الحسن قد قلت نظائره

وقال ابن هالة ازج الحواجب وفسر بالمقوس الطویل الوافر الشعر ثم قال من غیر
قرن بینهما عرق یدره الغضب ای یمتلیء دما اذا غضب کما یمتلی الضرع لبنا اذا در
قاله فی النهایة وعن مقاتل بن حیان قال اوحی الله الی عیسی علیه السلام اسمع واطع
یا ابن الطاهرة البکر البتول انی خلقتك من غیر فحل فجعلتك آیة للعالمین فایای فاعبد
وعلی فتوکل فسر لاهل سوران انی انا الله الحی القیوم الذی لا ازول صدقوا النبی الامی

صاحب

صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلین والهراوة الجعد الرأس الصلت الجبین المقرون
الحاجبین الاهدب الاشفار الادعج العینین الاقنی الانف الواضح الخدین الکث اللحیة
عرقه فی وجهه کاللؤلؤ وریح المسك ینفح منه کان عنقه ابریق فضة الحدیث والانجل
الواسع شق العین والقرن بالتحریك التقاء الحاجبین وما وصفه ابن ابی هالة مخالف
لما فی حدیث مقاتل بن حیان وما فی حدیث ام معبد فانها قالت ازج اقرن ای مقرون
الحاجبین قال ابن الاثیر والاول هو الصحیح فی صفته یعنی سوابغ من غیر قرن والقنا
فی الانف طوله ودقة ارنبته مع حدب فی وسطه **وقد وصفه علیه السلام** غیر واحد
بانه کان عظیم الهامة ای الراس کذا فی حدیث ابن ابی هالة المشهور وقال علی بن ابی طالب
فی حدیث رواه الترمذی وصححه والبیهقی ضخم الراس وکذا قال انس فی روایة البخاری
وکان علیه السلام ایضا ضخم الکرادیس وهی رؤس العظام کما وصفه به علی فی حدیث
الترمذی وقال ایضا فی روایة الترمذی جلیل المشاش والکتد وفسر برؤس العظام
کالرکبتین والمرفقین والمنکبین ای عظیمها والکتد بفتحتین ویجوز کسر التاء مجتمع
الکتفین **وکان** علیه السلام دقیق العرنین ای علا الانف کما وصفه به علی فی روایة
ابن سعد وابن عساکر وفی روایة ایضا عن ابن عمر من وصف علی له ایضا اقنی الانف
وفسر بالسائل المرتفع وسطه وقال ابن ابی هالة اقنی العرنین له نور یعلوه یحسبه
من لم یتأمله اشم والاشم الطویل قصبة الانف **واما فمه الشریف علیه السلام**
ففی مسلم من حدیث انه صلی الله علیه وسلم کان ضلیع الفم یعنی واسعه وکذا وصفه
به ابن ابی هالة وزاد یفتتح الکلام ویختمه باشداقه یعنی لسعة فمه والعرب تمدح
به وتذم بصغر الفم وقال شم عظیم الاسنان وفی حدیث عند البزار والبیهقی قال
ابو هریرة کان رسول الله صلی الله علیه وسلم اسیل الخدین واسع الفم ووصفه
صلی الله علیه وسلم ابن ابی هالة فقال اشنب مفلج الاسنان والشنب رونق الاسنان
وماؤها وقیل دقتها وتحززها وافلج الاسنان ای متفرقها وقال علی مبلج الثنایا
بالموحدة اخرجه ابن سعد من حدیث ابی هریرة وعند ابن عساکر عن علی براق
الثنایا وعن ابن عباس قال کان رسول الله صلی الله علیه وسلم افلج الثنیتین اذا
تکلم رئی کالنور یخرج من ثنایاه رواه الترمذی فی الشمائل والدارمی والطبرانی
فی الاوسط وکان علیه السلام احسن عباد الله شفتین والطفهم ختم فم

بحر من الشهد فی فیه مراشفه ... یاقوته صدف فیه جواهره

وعن ابی قرصافة قال بایعنا رسول الله صلی الله علیه وسلم انا وامی وخالتی فلما
رجعنا قالت لی امی وخالتی یا بنی ما راینا مثل هذا الرجل احسن وجها ولا انقی ثوبا

سمعه الشریف

جبینه الکریم

فمه الشریف علیه السلام

ريقه الشريف

ولا الين كلاما ورأينا كالنور يخرج من فيه **واما ريقه الشريف** ففي الصحيح عن سهل بن
سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لاعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على
يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم كلهم يرجوا ان يعطاها فقال اين علي بن ابي طالب فقالوا هو يا رسول
الله يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عينيه فبرأ حتى كان لم يكن به وجع الحديث متفق عليه واتي بدلو من ماء فشرب
من الدلو ثم صب في البئر او قال مج في البئر ففاح منها مثل رائحة المسك رواه احمد
وابن ماجة من حديث وائل بن حجر وبزق في بئر في دار انس فلم يكن في المدينة بئر
اعذب منها رواه ابو نعيم وكان عليه السلام يوم عاشورا يدعو برضعائه ورضعاء
ابنته فاطمة ويتفل في افواههم ويقول للامهات لا ترضعنهم الى الليل فكان ريقه
يجزيهم رواه البيهقي ودخلت عليه عميرة بنت مسعود هي واخواتها يبايعنه
وهن خمس فوجدنه ياكل قديدا فمضغ لهن قديدة فمضغنها كل واحدة منهن قطعة
قطعة فلقين الله وما وجد لافواههن خلوف رواه الطبراني ومسح صلى الله عليه
وسلم بيده الشريفة بعد ان نفث فيها من ريقه على ظهر عتبة وبطنه وكان به شي فكان
يشتم اطيب منه رائحة رواه الطبراني واعطى الحسن لسانه وكان قد اشتد ظمأوه
فمصه حتى روي رواه ابن عساكر ولله در امام العارفين سيدي محمد وفا الشاذلي حيث قال

جنا النحل من فيه وفيه حياتنا ... ولكن من لي بلثم لثامه
رحيق الثنايا والمثاني تنفست ... اذا قال عن فتح بطيب ختامه

فصاحة لسانه وجوامع كلمه وبديع بيانه وحكمه

واما فصاحة لسانه وجوامع كلمه وبديع بيانه وحكمه فكان صلى الله عليه وسلم
افصح خلق الله واعذبهم كلاما واسرعهم اداء واحلاهم منطقا حتى كان

كلامه ياخذ بمجامع القلوب ويسلب الارواح

ينظم درا لثغر نثر مقوله ... فيا حسنه في نثره ونظامه
يناجي فينجي من يناجي من الجوا ... وكل كليم بروه في كلامه

فلفصاحة لسانه عليه السلام غاية لا يدرك مداها ومنزلة لا يداني منتهاها
وكيف لا يكون ذلك وقد جعل الله تعالى لسانه سيفا من سيوفه يبين عنه مراده
ويدعو اليه عباده فهو ينطق بحكمه عن امره ويبين عن مراده بحقيقة ذكره
افصح خلق الله اذا لفظ وانصحهم اذا وعظ لا يقول هجرا ولا ينطق هذرا
كلامه كله يثمر علما ويمتثل شرعا وحكما لا يتفوه بشر بكلام احكم منه في مقالته
ولا اجزل منه في عذوبته وخليق بمن عبر عن مراد الله بلسانه واقام به الحجة على

عباده

عباده ببيانه وبين مواضع فروضه واوامره ونواهيه وزواجره ووعده
ووعيده وارشاده ان يكون احكم الخلق جنانا وافصحهم لسانا واوضحهم
بيانا **وكان عليه السلام** اذا تكلم تكلم بكلام مفصل مبين يعده العاد ليس بهذر
مسرع لا يحفظ قالت عائشة رضي الله عنها ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسرد سردكم هذا كان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه فكان يعيد الكلمة ثلاثا
لتفهم عنه وكان يقول انا افصح العرب وقد قال له عمر بن الخطاب يا رسول الله ما لك
افصحنا ولم تخرج من بين اظهرنا فقال كانت لغة اسمعيل قد درست فجاءني بها
جبريل فحفظنيها رواه ابو نعيم وروى العسكري في الامثال من حديث علي بسند
ضعيف جدا قال قدم بنو نهد على النبي صلى الله عليه وسلم وفيه ذكر خطبتهم وما
اجابهم النبي صلى الله عليه وسلم قال فقلنا يا رسول الله نحن بنو اب واحد ونشأنا
في بلد واحد وانك تكلم العرب بلسان ما نفهم اكثره فقال ان الله عز وجل ادبني
فاحسن ادبي ونشأت في بني سعد بن بكر وعن محمد بن عبد الرحمن الزهري عن ابيه
عن جده قال قال رجل يا رسول الله ايدالك الرجل امرأته قال نعم اذا كان ملحفا فقال
له ابو بكر يا رسول الله ما قال لك وما قلت له قال يماطل الرجل اهله قلت له نعم
اذا كان مفلسا قال ابو بكر يا رسول الله طفت في العرب وسمعت فصحاءهم ما سمعت
افصح منك قال ادبني ربي ونشأت في بني سعد رواه السرقسطي في الدلائل بسند
واه وكذا اخرجه ابن عساكر قال في القاموس ودالكه اي ماطله انتهى وقوله ملحفا
بضم الميم وفتح الفا اسم فاعل من الحف الرجل فهو ملحف اذا كان فقيرا وهو غير
مقيس ومثله احصن فهو محصن واسهب فهو مسهب في الفاظ شذت والقياس
الكسر قاله ابن مرزوق لكن قال ابن الاثير لم يجئ الا في ثلاثة احرف اسهب واحصن
والحف **وقال** غيره معناه ايداعب الرجل امرأته قبل الجماع وسماه مطلا لكون غرضها
الاعظم الجماع قال اذا كان عاجزا ليكون ذلك محركا لشهوته ولعجزه سمي مفلسا
واما ما يروى انا افصح من نطق بالضاد فقال ابن الاثير لا اصل له انتهى لكن معناه
صحيح والله اعلم وقد حد والفصاحة بخلوص الكلمة من التنافر والغرابة ومخالفة
القياس والمراد بالتنافر تقارب مخارج الحروف كقوله غدائره مستشزرات الى العلا
فان السين والشين والتاء والزاي كلها متقاربة المخارج والغرابة كون الكلمة لا تدل
على المراد من اول وهلة لاحتمال معنى آخر ومخالفة القياس استعمال الكلمة على
غير قياس كابقاء وجود المثلين من كلمة واحدة من غير ادغام كقوله الحمد لله العلي
الاجلل والفصاحة يوصف بها الكلام والكلمة والمتكلم والبلاغة ان يطابق الكلام

مقتضى الحال مع فصاحته والجزالة خلاف الركاكة ففصاحته صلى الله عليه وسلم
الى الحد الخارق للعادة البالغ نهاية المزية والزيادة التي تصدع القلوب قبل الاذهان
وتقرع الجوانح قبل الأذان مما يروق ويفوق ويثبت له على سائر البشر الحقوق التي
لا تقابل بالعقوق فهو صاحب جوامع الكلم وبدايع الحكم وقوارع الزجر وقواطع
الامر والامثال السائرة والغرر السائلة والدرر المنثورة والدرارى المأثورة والقضايا
المحكمة والوصايا المبرمة والمواعظ التي هى على القلوب محكمة والحجج التي هى للدى
الخصما مفحمة ملجمة وقليل هذا الوصف فى حقه صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا
لديه وقد روى الحاكم فى مستدركه وصححه من حديث ابن عباس انه اهل الجنة يتكلمون
بلغة محمد صلى الله عليه وسلم وبالجملة فلا يحتاج العلم لفصاحته الى شاهد ولا
ولا ينكرها موافق ولا معاند وقد جمع الناس من كلامه الفرد الموجز البديع الذى
لم يسبق اليه دواوين وفى كتاب الشفاء للقاضى عياض من ذلك ما يشفى الغليل كقوله
المرء مع من احب وقوله اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وقوله السعيد من
وعظ بغيره ومما لم يذكره القاضى رحمه الله قوله عليه السلام انما الاعمال بالنيات
رواه الشيخان وغيرهما وقوله ليس للعامل من عمله الا ما نواه وتحتهاتين الكلمتين
كنوز من العلم ولهذا قال الشافعى رحمه الله حديث الاعمال بالنيات يدخل فى نصف
العلم وذلك ان للدين ظاهرا وباطنا والنية متعلقة بالباطن والعمل هو الظاهر
وايضا فالنية عبودية القلب والعمل عبودية الجوارح وقال بعض الائمة حديث
الاعمال بالنيات ثلث الدين ووجهه ان الدين قول وعمل ونية وقوله نية المرء
خير من عمله رواه الطبرانى لكن قال بعضهم لا يصح رفعه قال ورواه القضاعى عن اسمعيل
بن عبد الرحمن الصفار اخبرنا على بن عبد الله الفضل حدثنا محمد بن الحنفية الواسطى
حدثنا محمد بن عبد الله الحلبى حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن انس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يقول نية المؤمن ابلغ من عمله قال وهذا اسناد
لا ضوء عليه ويوسف بن عطية متروك الحديث ورواه عثمان بن عبد الله
الشامى من حديث النواس بن سمعان وقال نية المؤمن خير من عمله ونية الفاجر
شر من عمله وقال ابن عدى عثمان بن عبد الله الشامى له احاديث موضوعات
هذا من جملتها وقال ابن الجوزى لا يصح رفعه ومعناه ان النية سر والعمل
ظاهر والعمل السر افضل وهو يقتضى انه لو نوى ان يذكر الله او يتفكر تكون نية
الذكر والتفكر خير منه وليس بصحيح وقيل ان النية بمجردها خير من العمل بمجرده
دون النية وهذا بعيد لان العمل اذا خلا عن النية لم يكن فيه خير اصلا وقيل

النية

النية عمل القلب والفعل عمل الجوارح وعمل القلب خير من عمل الجوارح فان القلب امير
الجوارح وبينه وبينها علاقة واذا تالمت تالم القلب واذا تالم القلب تالمت فارتعدت
الفرائص وتغير اللون فانه الملك الراعى والجوارح خدمه ورعيته وعمل الملك ابلغ
من عمل رعيته وقيل لما كانت النية اصل الاعمال كلها وروحها ولبها والاعمال تابعة
لها تصح بصحتها وتفسد بفسادها وهى التى تقلب العمل الصالح فتجعله فاسدا
وغير الصالح تجعله صالحا مثابا عليه ويثاب عليها اضعاف ما يثاب على العمل
فلذا كانت نية المؤمن خير من عمله وقال ابو بكر بن دريد فى مجتباه المعنى والله
اعلم ان المؤمن ينوى الاشياء من ابواب البر نحو الصدقة والصوم وغير ذلك
فلعله يعجز عن بعض ذلك وهو معقود النية عليه فنيته خير من عمله وقوله
عليه السلام يا خيل الله اركبى رواه ابو الشيخ فى الناسخ والمنسوخ عن سعيد
بن جبير والعسكرى عن انس وابن عائذ فى المغازى عن قتادة ولفظه عن ابن
عائذ قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يعنى يوم الاحزاب مناديا
ينادى يا خيل الله اركبى قال العسكرى وابن دريد فى مجتناه وهذا على المجاز والتوسع
اراد يا فرسان خيل الله اركبى فاختصره وقوله الولد للفراش وللعاهر الحجر رواه الشيخان
وقوله كل الصيد فى جوف الفرا هو بفتح الفا حمار الوحش رواه الرامهرمزى والمعنى والله
اعلم ان حظ العاهر الحجر ولا شئ له فى الولد وقيل اراد حظه الغلظة والخشونة من اقامة
الحد التى بجنايته رمى بالحجر وقيل اراد بالحجر هنا الكناية عن رجوعه بالخيبة فى الولد
اذا لم تكن المراة زوجا له والله اعلم وقوله كل الصيد فى جوف الفرا هو بفتح الفا حمار
الوحش رواه الرامهرمزى فى الامثال وسنده جيد ولكنه مرسل ونحوه عند
العسكرى وقال جوفا وجنب وهذا خاطب به النبى صلى الله عليه وسلم ابا سفيان
بن الحارث بن عبد المطلب حين جاءه مسلما بعد ان كان عدوا له هجاء كثير الهجا مقرعا
فيه فكانه يقول صلى الله عليه وسلم ان الحمار الوحشى من اعظم ما يصاد وكل صيد
دونه كما انك من اعظم اهلى وامسهم رحما بى ومن اكرم من ياتينى وكل دونك انتهى
قوله الحرب خدعة رواه البخارى ومسلم عن ابى هريرة قال سمى النبى صلى الله عليه
وسلم الحرب خدعة وليس عند مسلم سمى وقوله خدعة مثلث الخا اشهرها فتح
الخا واسكان الدال قال ثعلب وغيره وهى لغة النبى صلى الله عليه وسلم والثانية
ضم الخاء واسكان الدال والثالثة ضم الخا وفتح الدال وقد قال ذلك صلى الله عليه
وسلم يوم الاحزاب لما بعث نعيم بن مسعود وامره ان يخذل بين قريش وغطفان
واليهود واشار بذلك الى ان المماكرة انفع من المكاثرة قال النووى اتفق العلماء

على جواز خدع الكفار في الحرب كيف امكن الا ان يكون فيه نقض عهد وامان فلا
يحل وقوله واياكم وخضراء الدمن رواه الرامهرمزي والعسكري في الامثال وابن
عدي في الكامل وابو بكر بن دريد في المجتنا والقضاعي في مسند الشهاب والديلمي من حديث
الواقدي حدثنا محمد بن سعيد بن دينار عن ابي وجزة يزيد بن عبيد عن عطا بن يزيد
الليثي عن ابي سعيد مرفوعا قيل يا رسول الله وماذا قال المراة الحسنى في المنبت السوء
قال ابن عدي تفرد به الواقدي ومعناه انه كره نكاح الفاسدة وقال ان اعراق السوء
تنزع اولادها وتفسير حقيقته ان الريح تجمع الدمن وهو البعر في البقعة من الارض
ثم يركبه السافي فاذا اصابه المطر انبت نبتا غضا ناعما يهتز وتحته الاصل الخبيث فيكون
ظاهره حسنا وباطنه قبيحا فاسد فالدمن جمع دمنة وهي البعرة وانشد زفر بن الحارث

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى	وتبقى حزازات النفوس كما هيا

ومعنى البيت ان الرجلين قد يظهران الصلح والمودة وينطويان على البغضا والعداوة
كما ينبت المرعى على الدمن وهذا اكثري او كلي في زماننا اشار اليه شيخنا وقوله
والانصار كرشي وعيبتي رواه البخاري اي انهم بطانته وموضع سره والعيبة كذلك
لان المجتر يجمع علفه في كرشه والرجل يجمع ثيابه في عيبته وقيل هم الذين اعتمد
عليهم وافزع اليهم واقوى بهم وقيل اراد بالكرش الجماعة اي جماعتي وصحابتي ويقال
عليه كرش من الناس اي جماعة ووقع في رواية الترمذي لا ان عيبتي التي اوي اليها
اهل بيتي وان كرشي الانصار وقوله لا يجني على المرء الا يده رواه احمد ولاحمد وابن ماجه
من حديث عمرو بن الاحوص لا يجني جان الا على نفسه الحديث وقد اراد صلى الله عليه
وسلم بهذا انه لا يؤخذ انسان بجناية غيره ان قتل او جرح او جنى وانما يؤخذ بما جنته
يده فيده هي التي ادته الى ذلك وقوله ليس الشديد من غلب الناس انما الشديد من غلب
نفسه رواه ابن حبان في صحيحه ورواه الشيخان بلفظ ليس الشديد بالصرعة
انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب يعني انه اذا ملكها كان قد قهر اقوى
اعدائه وشر خصومه ولذلك قال اعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك وهذا
من باب المجاز ومن فصيح الكلام لانه لما كان الغضبان بحالة شديدة من الغيظ
وقد ثارت عليه شدة من الغضب فقهرها بحلمه وصرعها بثباته كان كالصرعة
الذي يصرع الرجال ولا يصرعونه وقوله ليس الخبر كالمعاينة رواه احمد وابن
منيع والطبراني والعسكري وقوله المجالس بالامانة رواه العقيلي في ترجمة
حسين بن عبد الله بن ضمرة عن ابيه عن جده عن علي رفعه وعن جابر بن عتيك
اذا حدث الرجل ثم التفت فهي امانة ورواه ابو داود في سننه والترمذي في

جامعه

في جامعه وابن ابي الدنيا في الصمت وغيرهم ففي هاتين الكلمتين من الحمل على اداب العشرة
وادب الصحبة وكتم السر وحفظ الود وحسن العهد واصلاح ذات البين والتحذير
من النميمة بين الاخوان الموقعة للشنأن ما لا يكاد يخفى على مبادي الاذهان وقوله
البلاء موكل بالمنطق رواه ابن ابي شيبة والبخاري في الادب المفرد من رواية ابرهيم عن
ابن مسعود ورواه الديلمي عن ابي الدردا مرفوعا البلاء موكل بالمنطق واورده ابن الجوزي
في الموضوعات من حديث ابي الدرداء وابن مسعود قال شيخنا في المقاصد الحسنة ولا
يحسن مع مجموع ما ذكرنا الحكم عليه بالوضع ويشهد لمعناه قوله صلى الله عليه وسلم
للاعرابي الذي دخل عليه يعوده وقال لا باس طهور فقال الاعرابي بل هي حمى تفور على
شيخ كبير تزيره القبور فقال صلى الله عليه وسلم فنعم اذا وانشد في معناه

لا تنطقن بما كرهت فربما	نطق اللسان بحادث فيكون

وقوله عليه السلام ترك الشر صدقة ومعنى ذلك ان من ترك الشر واذى الناس
فكانه تصدق عليهم وعلم من ذلك ان فضل ترك الشر كفضل الصدقة انتهى وقوله
اي داء ادوى من البخل رواه البخاري والبخل قد جعله صلى الله عليه وسلم داء وليس
بداء مولم لصاحبه وانما شبه بالداء اذا كان مفسدا للرجل مورثا سوء الثنا كما ان
الداء يؤل الى طول الضنا وشدة العنا فالمقصد في هذا النهي عن البخل اعاذنا الله
منه وقوله لا ينتطح فيها عنزان اي لا يجري فيها خلف ولا نزاع وقوله الحيا خير
كله متفق عليه وقوله اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع رواه في مسند الفردوس
من حديث ابي هريرة وقوله سيد القوم خادمهم رواه ابو داود وعبد الرحمن
السلمي في اداب الصحبة له عن عقبة بن عامر رفعه وفي سنده ضعف وانقطاع
ورواه غيره ايضا وقوله فضل العلم خير من فضل العبادة رواه الطبراني والبزار
وقوله الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيمة وفي لفظ لغيرهما معقود بنواصيها الخير
وقوله اعجل الاشياء عقوبة البغي وقوله ان من الشعر لحكما رواه ابو داود من رواية
صخر بن عبيد الله بن بريدة عن ابيه عن جده سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان من البيان لسحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما فقال صعصعة بن
صوحان صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اما قوله ان من البيان لسحرا
فالرجل يكون عليه الحق وهو الحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب
بالحق واما قوله ان من العلم جهلا فتكلف العالم الى علمه ما لا يعلم فيجهله واما قوله ان
من الشعر حكما فهي هذه المواعظ والامثال التي يتعظ بها الناس ومفهومه ان بعض
الشعر ليس كذلك لان من تبعيضية وفي البخاري ان من الشعر حكمة اي قولا صادقا

اي ينبغي ان يكون سيد القوم هو المتولي لحوائجهم وما على الانشا اولى من الخبر صح

في نواصيها الخير متفق عليه من حديث مالك عن نافع عن ابن عمر رفعه بلفظ الخيل صح صح

مطابقا للحق قال الطبرى وفى هذا الحديث رد على من كره الشعر مطلقا واحتج بقول
ابن مسعود الشعر مزامير الشيطان وعن ابى امامة رفعه ان ابليس لما اهبط الى
الارض قال رب اجعل لى قرانا قال قرآنك الشعر ثم اجاب عن ذلك بانها احاديث واهية
وهو كذلك فحديث ابى امامة فيه على بن زيد الالهانى وهو ضعيف وعلى تقدير
قوتها فهو محمول على الافراط فيه والاكثار منه ويدل على الجواز احاديث كثيرة
منها ما اخرجه البخارى فى الادب المفرد عن عمرو بن الشريد عن ابيه استنشدنى النبى
صلى الله عليه وسلم من شعر امية بن ابى الصلت فانشدته مائة قافية وقوله الصحة
والفراغ نعمتان رواه البخارى وقوله استعينوا على الحاجات بالكتمان فان كل ذى نعمة
محسود رواه الطبرانى فى معاجيمه الثلاثة عن معاذ بن جبل رفعه واخرجه الخلعى
عن على مرفوعا استعينوا على قضاء الحوايج بالكتمان لها وقوله المكر والخديعة فى النار
رواه الديلمى عن ابى هريرة ومعناه ان ذا المكر والخداع لا يكون تقيا ولا خائفا من
الله لانه اذا مكر غدر واذا غدر خدع واذا فعلهما اوبق وهذا لا يكون فى تقى فكل
خلة جانبت التقى فهى فى النار وقوله من غشنا فليس منا رواه مسلم فى صحيحه
وقوله والمستشار مؤتمن رواه احمد وغيره ومعناه ان من افضى اليك بسره وامنك
على ذات نفسه فقد جعلك بموضع نفسه فيجب عليك ان لا تشير عليه الا بما تراه
صوابا فانه كالامانة للرجل الذى لا يامن على ايداع ماله الا الثقة فى نفسه والسر
الذى ربما كان فى اذاعته تلف النفس اولى بان لا يجعل الا عند الموثوق به وقوله الندم
توبة رواه الطبرانى فى الكبير وقوله الدال على الخير كفاعله رواه العسكرى وابن
جميع ومن طريقه المنذرى عن ابن عباس فى حديث مرفوع بلفظ وكل معروف صدقة
والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان والمعنى ان من دل على خير وارشد
اليه فنلته بارشاده فكانه فعل ذلك الخير وقوله حبك الشئ يعمى ويصم رواه
ابو داود والعسكرى من حديث بقية بن الوليد عن ابى بكر بن عبد الله بن ابى
مريم عن خالد بن محمد الثقفى عن بلال بن ابى الدرداء عن ابيه مرفوعا ولم ينفرد به
بقية بل توبع عليه وابن ابى مريم ضعيف وقد حكم الصغانى عليه بالوضع وتعقبه
العراقى وقال ان ابن ابى مريم لم يتهمه احد بكذب ويكفينا سكوت ابى داود عليه
فليس بموضوع بل ولا شديد الضعف فهو حسن قال العسكرى اراد النبى
صلى الله عليه وسلم ان من الحب ما يعميك عن طريق الرشد ويصمك عن
استماع الحق وان الرجل اذا غلب الحب على قلبه ولم يكن له رادع من عقل ودين
اصمه حبه عن العذل واعماه عن الرشد ولذا قال بعض الشعرا

وعين

وعين الرضى عن كل عيب كليلة	ولكن عين السخط تبدى المساويا

اشار اليه شيخنا فى المقاصد الحسنة وقوله عليه السلام العارية مؤداة والمنحة
مردودة والدين مقضى والزعيم غارم رواه الترمذى وابو داود وقوله سبقك
بها عكاشة رواه البخارى وقوله عجب ربك من كذا روى فى عدة روايات عند
البخارى وغيره ومعناه كما قاله ابن الاثير عظم ذلك عنده وكبر لديه اعلم الله انما
يتعجب الادمى من الشئ اذا عظم موقعه عنده وخفى عليه سببه فاخبرهم بما يعرفون
ليعلموا موقع هذه الاشياء عنده وقيل معنى عجب ربك اى رضى واثاب فسماه عجبا
مجازا وليس بعجب فى الحقيقة والاول اوجه وقوله قتل صبرا رواه غير واحد وقوله
ليس المسؤل باعلم من السائل رواه مسلم وغيره وقوله ولا ترفع عصاك عن اهلك
ادبا رواه احمد اى لا تدع تاديبهم وجمعهم على طاعة الله تعالى شق العصا اى فارق
الجماعة وليس المراد الضرب بالعصا ولكنه جعله مثلا وقيل لا تغفل عن ادبهم ومنعهم
من الفساد قاله ابن الاثير وقوله ان مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا او يلم رواه البخارى
وذكره ابن دريد وقال انه من الكلام المفرد الوجيز الذى لم يسبق صلى الله عليه
وسلم الى معناه اى كلما انبت الجدول واسناد الانبات اليه مجاز والمنبت فى الحقيقة
هو الله تعالى وليست من للتبعيض وحبطا بفتح المهملة والموحدة والطاء المهملة
ايضا وهو انتفاخ البطن من كثرة الاكل حتى ينتفخ فيموت ويلم بضم اليا اى يقرب من
الهلاك وهو مثل للمنهمك فى جمع الدنيا المانع من اخراجها فى وجوهها وقوله عليه
السلام خير المال عين ساهرة لعين نائمة ومعناه عين ماء تجرى ليلا ونهارا و
صاحبها نائم فجعل دوام جريانها سهرا لها وقوله خير مال المرء مهرة مامورة او
سكة مابورة رواه الامام الاحمد والطبرانى عن سويد بن هبيرة ومعنى مامورة
اى كثيرة النتاج ومسكة مابورة اى طريقة مصطفة من النخل ومنه قيل للازقة
سكة والتابير تلقيح النخل وقوله عليه السلام من بطا به عمله لم يسرع به نسبه
رواه مسلم من حديث ابى هريرة وقوله زر غبا تزدد حبا رواه البزار والحارث
بن ابى اسامة عن ابى هريرة مرفوعا وفى بعض احاديث الباب انه قيل له يا اباهريرة
اين كنت امس قال زرت ناسا من اهلى فقال يا اباهريرة زر غبا تزدد حبا وقوله
انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم باخلاقكم رواه ابو يعلى والبزار من طرق
احدها حسن بلفظ انكم لن تسعوا الناس باموالكم ولكن يسعهم منكم بسط
الوجه وحسن الخلق وقوله الخلق السئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل رواه
الطبرانى فى الكبير والاوسط والبيهقى وقوله ان هذا الدين متين فاوغل فيه

كناية عن الاستعظام وقيل مجاز عن الاستعظام لانه سببه باى قربه

برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى رواه
البزار والحاكم فى علومه والبيهقى فى سننه كلهم من طريق محمد بن سوقه عن محمد بن
المنكدر عن جابر مرفوعا وهو مما اختلف فيه على ابن سوقه فى ارساله ووصله وفى
رفعه ووقفه ثم فى الصحابى اهو جابر او عائشة او عمر ورجح البخارى فى تاريخه من
حديث ابن المنكدر ارساله ومعناه انه بقى فى طريقه عاجزا عن مقصده لم يقض
وطره وقد اعطب ظهره والوغول الدخول فكانه قال ان هذا الدين مع كونه يسيرا
سهلا شديد فبالغوا فيه بالعبادة لكن اجعلوا تلك المبالغة مع رفق فان من
بالغ بغير رفق وتكلف من العبادة فوق طاقته يوشك ان يمل حتى ينقطع عن الواجبات
فيكون مثله كمثل الذى يعسف الركاب ويحملها من السير على ما لا تطيق رجاء الاسراع
فينقطع ظهره فلا هو الذى قطع الارض الذى اراد ولا هو ابقى ظهره سالما
ينتفع به بعد ذلك **وقوله** عليه السلام من شاد هذا الدين غلبه رواه العسكرى
عن ابى بريدة وللبخارى من حديث معن بن محمد الغفارى عن سعيد المقبرى عن ابى
هريرة مرفوعا ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا
وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة **وقوله** الكيس من
دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله
الامانى رواه الحاكم عن شداد بن اوس وقال صحيح على شرط البخارى وتعقبه
الذهبى بابن ابى مريم وهو واه وكذا رواه العسكرى والقضاعى والترمذى وابن
ماجة **وقوله** صلى الله عليه وسلم ما حاك فى صدرك فدعه رواه الطبرانى فى
الكبير من حديث ابى امامة **وقوله** عليه السلام تنكح المرأة لجمالها ومالها ودينها
وحسبها فعليك بذات الدين تربت يداك متفق عليه من حديث ابى هريرة **وقوله**
الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه رواه البيهقى واحمد
وابو نعيم مختصرا والعسكرى بتمامه كلهم من حديث دراج عن ابى الهيثم عن ابى سعيد
وله شواهد وانما كان الشتاء ربيع المؤمن لانه يرتع فيه فى بساتين الطاعات ويسرح
فى ميادين العبادات وينزه قلبه فى رياض الاعمال الميسرة فيه من الطاعات فان المؤمن
يقدر على صيام نهاره من غير مشقة ولا كلفة ولا يحصل له جوع ولا عطش فان نهاره
قصير بارد فلا يحصل فيه مشقة الصيام **وقوله** عليه السلام القناعة مال لا ينفد
وكنز لا يفنى رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث المنكدر بن محمد بن المنكدر عن ابيه
عن جابر والقضاعى بدون وكنز لا يفنى عن انس وفى القناعة احاديث كثيرة ولو لم يكن
فى القنع الا التمتع بالعز لكفى صاحبه وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام اللهم

اى ابشروا بان الله تعالى يثيبكم على الاعمال القليلة الدائمة اكثر من الاعمال الكثيرة المنقطعة صحـ

قنعنى

قنعنى بما رزقتنى وانشد بعضهم

ما ذاق طعم الغنى من لا قنوع له ۝ ولن ترى قانعا ما عاش مفتقرا ۝

وقوله صلى الله عليه وسلم ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال
من اقتصد رواه الطبرانى فى معجمه الاوسط من حديث انس **وقوله** عليه الصلاة
والسلام الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة والتودد الى الناس نصف العقل وحسن
السؤال نصف العلم رواه البيهقى فى الشعب والعسكرى فى الامثال وابن السنى
والديلمى من طريقه والقضاعى كلهم من حديث نافع عن ابن عمر مرفوعا وضعفه
البيهقى لكن له شاهد عند العسكرى من حديث خلاد بن عيسى عن ثابت عن انس
رفعه الاقتصاد نصف العيش وحسن الخلق نصف الدين وكذا اخرجه الطبرانى
وابن لال ومن شواهده ايضا ما للعسكرى عن انس رفعه السؤال نصف العلم و
الرفق نصف المعيشة وما عال امرء فى اقتصاد وللديلمى من حديث ابى امامة رضى الله
عنه رفعه السؤال نصف العلم والرفق نصف المعيشة وفى صحيح ابن حبان من
حديث طويل عن ابى ذر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له يا ابا ذر لا عقل كالتدبير
ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق وهذا اللفظ عند البيهقى فى الشعب وله
ايضا وللعسكرى عن على مرفوعا التودد نصف الدين وما عال امرء قط على اقتصاد
اى ما افتقر من انفق قصدا ولم يجاوزه الى الاسراف **وقوله** عليه السلام المؤمن من
امنه الناس رواه الترمذى **وقوله** المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر
من هجر ما حرم الله متفق عليه عن ابن عمرو به مرفوعا وعن ابى موسى ومسلم عن جابر
وقوله قلة العيال احد اليسارين رواه صاحب مسند الفردوس ولفظه التدبير
نصف المعيشة والتودد نصف العقل والهم نصف الهرم وقلة العيال احد اليسارين
وقوله عليه الصلاة والسلام اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك رواه
ابو داود والترمذى من حديث من رواية شريك وقيس بن الربيع كلاهما عن ابى
صالح والحارث من رواية الحسن كلاهما عن ابى هريرة وقال الترمذى حديث حسن
غريب واخرجه الدارمى فى مسنده والدارقطنى والحاكم وقال انه صحيح على شرط
مسلم ولكن اعله ابن حزم وكذا ابن القطان والبيهقى وقال ابو حاتم انه منكر وقال
الشافعى انه ليس بثابت عند اهله وقال احمد هذا حديث باطل لا اسمعه عن
النبى صلى الله عليه وسلم من وجه صحيح قال شيخنا لكن بانضمامها يقوى الحديث
انتهى **وقوله** الرضاع يغير الطباع رواه ابو الشيخ من حديث ابن عمر **وقوله** عليه
السلام لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له رواه احمد وابو يعلى فى

مسنديهما والبيهقي في الشعب عن انس **قوله** النسآء حبائل الشيطان رواه في
مسند الفردوس عن عقبة بن عامر **وقوله** عليه الصلاة والسلام حسن العهد
من الايمان رواه الحاكم في مستدركه عن عائشة قالت جاءت عجوز الى النبي صلى
الله عليه وسلم وهو عندي فقال لها من انت قالت حسانة المزنية قال انت حسانة
كيف انتم كيف حالكم كيف كنتم بعدنا قالت بخير بابي انت وامي فلما خرجت قلت
يا رسول الله تقبل على هذا العجوز هذا الاقبال قال انها كانت تاتينا زمن خديجة
وان حسن العهد من الايمان وقال انه صحيح على شرط الشيخين وليس له علة ٥
وقوله صلى الله عليه وسلم جمال الرجل فصاحة لسانه رواه القضاعي من حديث
الاوزاعي والعسكري من حديث المنكدر بن محمد بن المنكدر كلاهما عن محمد بن المنكدر
عن جابر مرفوعا واخرجه ايضا الخطيب وابن طاهر وفي اسناده احمد بن عبد الرحمن
بن الجارود الرقي والديلمي من حديث جابر رفعه الجمال صواب المقام والكمال حسن
الفعال بالصدق ٥ وعند العسكري من حديث العباس قلت يا نبي الله ما الجمال في
الرجل قال فصاحة لسانه **وقوله** عليه السلام منهومان لا يشبعان طالب علم
وطالب دنيا ولا يستويان اما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان واما صاحب
العلم فيزداد من رضى الرحمن وقال انه موقوف منقطع وكذا رواه البزار والعسكري
وغيرهما وبمجموعهما يتقوى وان كانت مفرداته ضعيفة والله اعلم **وقوله** عليه السلام
لا فقر اشد من الجهل ولا مال اعز من العقل ولا وحشة اشد من العجب رواه ابن ماجة
وقوله عليه السلام الذنب لا ينسى والبر لا يبلى والديان لا يموت فكن كما شئت
رواه في مسند الفردوس عن ابن عمر **وقوله** عليه السلام ما جمع شي الى شي احسن
من حلم الى علم رواه العسكري في الامثال من حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي بن
الحسين عن علي به مرفوعا بزيادة وافضل الايمان التحبب الى الناس وثلاث من لم تكن
فيه فليس مني ولا من الله حلم يرد به جهل الجاهل وحسن خلق يعيش به في الناس
وورع يحجزه عن معاصي الله وعنده ايضا من حديث جابر مرفوعا ما آوى شي
احسن من حلم الى علم وصاحب العلم غرثان الى علم **وقوله** عليه السلام التمسوا الرزق
في خبايا الارض رواه في جزء بعني عن ابن ابي شريح والمراد الزرع وانشد

تتبع خبايا الارض وادع مليكها ... لعلك يوما ان تجاب فترزقا ٥

وقوله عليه السلام كن في الدنيا كانك غريب وعابر سبيل وعد نفسك في اهل
القبور رواه البيهقي في الشعب والعسكري من حديث ابن عمر مرفوعا في حديث
واخرجه البخاري والترمذي وغيرهم **وقوله** عليه السلام صنايع المعروف

تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر اخرجه
الطبراني في الكبير بسند حسن **وقوله** عليه السلام العفو لا يزيد العبد الا عزا
والتواضع لا يزيده الا رفعة وما نقص مال من صدقة وروى ما نقصت صدقة
من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله وروى
القضاعي عن ابي سلمة مرفوعا ما نقص مال من صدقة ولا عفى رجل عن مظلمة
الا زاده الله بها عزا ٥ وروى الديلمي من حديث ابي هريرة مرفوعا والذي نفس
محمد بيده لا ينقص مال من صدقة رواه الترمذي وقال حسن صحيح **وقوله**
اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري ومن شر لساني ومن شر قلبي ومن
شر منيتي اخرجه ابو داود في جامعه والحاكم في مستدركه عن شكل **وقوله** عليه
السلام اللهم اني اعوذ بك من فتنة الغنا **وقوله** عليه السلام ان الدنيا عرض
حاضر ياكل منها البر والفاجر وان الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك عادل
قادر يحق فيها الحق ويبطل الباطل فكونوا ابناء الآخرة ولا تكونوا ابناء الدنيا
فان كل ام يتبعها ولدها رواه ابو نعيم في الحلية من حديث شداد **وقوله** عليه
السلام اخسر الناس صفقة من اذهب آخرته بدنيا غيره وعند ابن النجار من
حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه وهو ما بيض له الديلمي اخسر
الناس صفقة رجل اخلق بدنه في آماله ولم تساعده الايام على منيته فخرج
من الدنيا بغير زاد وقدم على الله بغير حجة **وقوله** عليه الصلوة والسلام
ان من كنوز البر كتمان المصائب **وقوله** عليه السلام اليمين حنث او ندم رواه
ابو يعلى وابن ماجه الا انه قال الحلف **وقوله** عليه السلام لا تظهر الشماتة
باخيك فيعافيه الله ويبتليك رواه الترمذي من حديث مكحول عن واثلة
وكان حسن غريب وهو عند الطبراني ايضا ٥ وفي رواية لابن ابي الدنيا فيرحمه
الله بدل فيعافيه ٥ وروى الترمذي مرفوعا من عير اخاه بذنب لم تمت حتى
يعمله **وقوله** عليه السلام لابي هريرة جف القلم بما انت لاق قال صاحب فتح
المنة بشرح الاخبار لمحي السنة هو كناية عن جريان القلم بالمقادير وامضائها
والفراغ منها فان الفراغ بعد الشروع يستلزم جفاف القلم عن مداده فهو
من اطلاق اللازم على الملزوم وهذا اللفظ لم يوجد في كلام العرب بل هو من الالفاظ
التي لم يهتد اليها البلغا بل اقتضتها الفصاحة النبوية **وقوله** عليه السلام
اليوم الرهان وغدا السباق والغاية الجنة والهالك من دخل النار **وقوله** عليه
السلام من ضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه ضمنت له على الله الجنة رواه

جماعة منهم العسكرى به • وفى البخارى والترمذى عن سهل بن سعد بلفظ من
يضمن لى ما بين لحييه وما بين رجليه اضمن له الجنة والمراد بما بين لحييه اللسان
وما ياتى به النطق وما بين رجليه الفرج وقال الداودى المراد بما بين اللحيين الفم
فيتناول الاقوال والاكل والشرب وسائر ما يتاتى بالفم وفى لفظ من توكل لى ما بين
فقميه ورجليه اتوكل له بالجنة والفقم بالضم والفتح اللحى وفى لفظ آخر من تكفل
لى تكفلت له • وللديلمى بسند ضعيف عن انس رفعه من وُقِىَ شر قبقبه وذبذبه
ولقلقه وجبت له الجنة ولفظ الاحيا وُقِى يعنى البطن من القبقبة وهو
صوت يسمع فى البطن وكانها حكاية ذلك الصوت ويجوز ان يكون كناية
عن اكل الحرام وشبهه والذكر واللسان فهذا واشباهه مما يعسر استقصاؤه
يدلك على ذلك انه صلى الله عليه وسلم قد رقى فى الفصاحة وجوامع الكلم درجة
لا يُقاس بها غيره وحاز مرتبة لا يُقدر فيها قدره صلى الله عليه وسلم **وممّا عُدّ**
من وجوه بلاغته ما ذكر انه جمع متفرقات الشرايع وقواعد الاسلام فى اربعة
احاديث وهى حديث انما الاعمال بالنية رواه الشيخان • وحديث الحلال بيّن
والحرام بيّن رواه مسلم • وحديث البينة على المدعى واليمين على من انكر • وحديث
لا يكمل ايمان المرء حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه رواه الشيخان • فالحديث
الاول يشتمل على ربع العبادت والثانى على ربع المعاملات • والثالث على ربع الحكومات
وفصل الخصومات والرابع على ربع الاداب والمناصحات ويدخل تحته التحذير
من الجنايات قال ابن المنير **ومما عُدّ** ايضا من انواع بلاغته كلامه عليه السلام
مع كل ذى لغة بليغة بلغته اتساعا فى الفصاحة واستحداثا للالفة فكان
صلى الله عليه وسلم يخاطب اهل الحضر بكلام الين من الدهن وارق من المزن
ويخاطب اهل البدو بكلام ارسى من الهضب وارهف من العضب فانظر الى دعائه
لاهل المدينة حين سالوه ذلك فقال اللهم بارك لهم فى مكيالهم وبارك لهم فى صاعهم
ومدهم وفى حديث آخر بارك لنا فى تمرنا وبارك لنا فى مدينتنا وبارك لنا فى صاعنا
وبارك لنا فى مُدّنا اللهم انى ادعوك للمدينة مثل ما دعاك ابرهيم لمكة ومثله معه
ثم انظر دُعاءه لبنى نهد وقد وفدوا عليه فى جملة الوفود فقام طهفة بن زهم
النهدى يشكو الجدب فقالوا اتيناك يا رسول الله من غورى تهامة باكوار
الميس ترتمى بنا العيس نستحلب الصبير • ونستخلب الخبير • ونستعضد البرير •
ونستخيل الرهام • ونستجيل الجهام • من ارض غائلة النطا • غليظة الموطا • قد
نشف المدهن • ويبس الجعثن • وسقط الاملوج • ومات العسلوج • وهلك

الهدى

الهدى ومات الودى برئنا اليك يا رسول الله من الوثن والعنن وما يحدث الزمن
لنا دعوة السلام وشريعة الاسلام ما طما البحر واقام تعار ولنا نعم همل اغفال
ما تبل ببلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل اصابتها سنية حمرا مؤزلة ليس بهم
علل ولا نهل فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لهم فى محضها
ومخضها ومذقها وابعث راعيها فى الدثر بيانع الثمر وافجر له الثمد وبارك له
فى المال والولد من اقام الصلاة كان مسلما ومن اتى الزكاة كان محسنا ومن شهد
ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بنى نهد ودايع الشرك ووضايع الملك لا تلطط
فى الزكاة ولا تلحد فى الحياة ولا تتاقل عن الصلاة **ثم كتب معه** كتابا الى بنى نهد
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى بنى نهد بن زيد السلام على من
امن بالله عز وجل ورسوله لكم يا بنى نهد فى الوظيفة الفريضة ولكم الفارض
والفريش وذا العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم
ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الاماق وتاكلوا الرباق من اقر بما فى هذا الكتاب فله
من الله الوفا بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة **وتحتاج هذه الالفاظ**
البالغة اعلا انواع البلاغة الى التفسير • فالميس شجر صلب تعمل منه اكوار الابل
ورحالها **ونستحلب** بالحاء المهملة **والصبير** بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة هو
سحاب ابيض متراكب متكاثف اى يستدر السحاب **ونستخلب** بالخاء المعجمة الخبير
بالخاء المعجمة ايضا ثم الموحدة النبات والعشب شبه بخبير الابل وهو وبرها
واستخلابه احتشاشه بالمخلب وهو المنجل والخبير يقع على الوبر والزرع والاكار
قاله ابن الاثير **ونستعضد** البرير اى نقطعه ونجنيه من شجره للاكل وهو بموحدة
وراءين بينهما مثناة تحتية ثمر الاراك اذا اسود وبلغ وقيل هو اسم له فى كل حال
وكانوا ياكلونه فى الجدب **ونستخيل** بالخاء المعجمة الرهام بكسر الرا وهى الامطار
الضعيفة واحدتها رهمة اى نتخيل الماء فى السحاب القليل وقيل الرهمة اشد وقعا
من الديمة **ونستجيل** بالجيم اى نراه جائلا تذهب به الريح ههنا وههنا **والجهام**
بالجيم اى السحاب الذى فرغ ماؤه ومن روى نستخيل بالخاء المعجمة فهو يستفعل
من خلت اخال اذا ظننت اراد لا نتخيل فى السحاب حالا الا المطر وان كان جهاما
لشدة حاجتنا اليه ومن رواه بالحاء المهملة وهو الاشهر اراد لا ننظر من السحاب
فى حال الا الى جهام من قلة المطر **وارض غائلة** بالغين المعجمة **والنطا** بكسر النون
اى مهلكة للبعد يقال بلد نطى اى بعيد ويروى المنطى وهو مفعل منه **والمدهن**
نقرة فى الجبل **والجعثن** بالجيم والمثلثة اصله النبات ويقال اصل الصليان

خاصة وهو نبت معروف والعُسلوج بضم العين وبالسين المهملتين آخره جيم هو
الغصن اذا يبس وذهب طراوته وقيل هو القضيب الحديث الطلوع يريد ان الاغصان
يبست وهلكت من الجدب وجمعه عساليج والاملوج بالضم والجيم ورق شجر
يشبه الطرفا والسرو وقيل هو ضرب من النبات وورقه كالعيدان وقيل هو نوى
المقل وفي رواية وسقط الاملوج ومن البكار بالكسر جمع البكر بالفتح يريد ان
السِمن الذى علا بكارة الابل بما رعت من هذه الشجرة قد سقط عنها فسماه باسم
المرعى اذ كان سببا له وهلك الهديّ بفتح الها وكسر الدال المهملة والتشديد كا
الهَدى بالتخفيف وهو ما يهدى الى البيت الحرام من النعم لتنحر فاطلق على جميع الابل
وان لم تكن هديا تسمية للشئ ببعضه يقال كم هدى بنى فلان اى كم ابلهم ومات
الودِيّ بالتشديد فسيل النخل يريد هلكت الابل ويبست النخيل وبرئنا اليك
من الوثن والعنن الوثن الصنم والعنن الاعتراض يقال عن لى الشئ اى اعترض كانه
قال برئنا اليك من الشرك والظلم وقيل اراد به الخلاف والباطل وماطما البحر اى ارتفع
بامواجه وتِعار بكسر التاء المثناة الفوقية يصرف ولا يصرف اسم جبل ولنا نعم
هُمَّل اى مهملة لا رعاء لها ولا فيها ما يصلحها ويهديها فهو كالضالة والابل
الاغفال لا لبن فيها وقوله عليه السلام في محضها بالحاء المهملة والضاد المعجمة
اى خالص لبنها ومخضها بالمعجمتين ما مخض من اللبن واخذ زبده ومذقها بفتح
الميم وسكون المعجمة وبالقاف اى ممزوج بالماء وابعث راعيها فى الدثر بالمهملة
المفتوحة ثم المثلثة الساكنة ثم الرا المال الكثير وقيل الخصب والنبات الكثير
وافجر له الثمد بفتح المثلثة الماء القليل اى صيره كثيرا وودايع الشرك قيل المراد
بها العهود والمواثيق يقال توادع الفريقان اذا اعطى كل واحد منهم عهدا
للآخر لا يغزوه وقيل ما كانوا استودعوه من اموال الكفار الذين لم يدخلوا فى
الاسلام اراد احلالها لهم لانها مال كافر قُدِرَ عليه من غير عهد ولا شرط ووضايع الملك
جمع وضيعة وهى الوظيفة التى تكون على الملك وهو ما يلزم الناس فى اموالهم من الزكوة
والصدقة اى لكم الوظائف التى تلزم المسلمين لا نتجاوزعنكم ولا نزيد عليكم فيها شيا
ولا تلطط بضم المثناة الفوقية ثم اللام الساكنة ثم طاءين الاولى مكسورة والثانية
مجزومة على النهى اى لا تمنعها ولا تُلحد فى الحياة بضم المثناة الفوقية واسكان اللام
وكسر الحا المهملة آخره دال مهملة اى لا تمل عن الحق ما دمت حيا قال بعضهم كذا رواه
العُتبى لا تُلطط ولا تُلحد على النهى للواحد ولا وجه له لانه خطاب للجماعة ورواه
غيره ما لم يكن عهد ولا موعد ولا تثاقل عن الصلاة ولا تلطط فى الزكاة ولا
تلحد فى الحيوة قال الحافظ ابو السعادات الجزرى وهو الوجه لانه

خطاب

خطاب للجماعة واقع على ما قبله وقوله ولا تثاقل عن الصلاة اى لا تتخلف والوظيفة الحق
الواجب والفريضة اى الهرمة المسنة اى لا تاخذوا فى الصدقات هذا الصنف
كما انا لا ناخذ خيار المال والفارض بالفا والضاد المعجمة المريضة والفريش بفتح
الفا آخره شين معجمة وهى من الابل كالنفسا من بنات آدم اى لكم خيار المال
وشواره ولنا وسطه وذو العنان بكسر العين سير اللجام والركوب بفتح الرا الفرس
الذلول والضبيس بفتح المعجمة وكسر الموحدة آخره مهملة المهر العسر الصعب امتن
عليهم بترك الصدقة فى الخيل جيدها ورديها ولا يمنع بضم المثناة التحتية وفتح
النون سرحكم بفتح السين المهملة وسكون الرا وبالحا المهملة ما سرح من المواشى اى
لا يدخل عليكم احد فى مراعيكم ولا يُعضد طلحكم اى لا يقطع ولا يحبس دركم اى لا
تحبس ذوات الدر عن المرعى الى ان تجتمع الماشية ثم تعد وان معناه ان ياخذها
لما فى ذلك من الاضرار والإماق بالميم بالميم اى ما لم تضمروا الغيظ والبكا مما يلزمكم
من الصدقة قاله فى القاموس وقال الزمخشرى المراد اضمار الكفر والعمل على ترك
الاستبصار فى دين الله وفى رواية الرماق بالرا والميم اى النفاق يقال رامقته رماقا
وهو ان تنظر اليه شزرا نظر العداوة يعنى ما لم تضق قلوبكم عن الحق يقال عيش رماق
تضق اى ضيق وعيش رمق ومُرمق اى يمسك الروح والرمق بقية الروح وآخر النفس
وتاكلوا الرباق بكسر الرا وبالموحدة المخففة اى الا ان تنقضوا العهد واستعار
الاكل لنقض العهد لان البهيمة اذا اكلت الربق وهو الحبل يجعل فيها عرى وتشد به
خلصت من الرباط والربوة بكسر الرا وفتحها وضمها اى الزيادة يعنى من تقاعد عن اعطا
الزكاة فعليه الزيادة فى الفريضة عقوبة له فانظر الى هذا الدعا والكتاب
الذى نطبق على لغتهم وجاد وزاد عليها فى الجزالة والبداوة ابن هذا من كتابه صلى
الله عليه وسلم لانس فى الصدقة واين هذا من كتابه بين قريش والانصار انهم
امة واحدة دون الناس من قريش على رباعتهم يتعاقلون بينهم معاقلهم الاولى
ويفكون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين وان المؤمنين المتقين ايديهم
على من بغى عليهم او ابتغى دسيعة ظلم وان سلم المؤمنين واحد على سوا وعدل
بينهم وان كل غازية غزت يعقب بعضهم بعضا ومن اعتبط مؤمنا قتلا فهو قود
الا ان يرضى ولى المقتول ومن ظلم واثم فانه لا يوبق الا نفسه واولاهم بهذه الصحيفة
البر المحسن كذا روى مختصرا من حديث ابن شهاب وقوله دسيعة ظلم اى عظيمة
من الظلم ورباعتهم امرهم القديم الذى كانوا عليه ويتعاقلون بينهم معاقلهم الاولى
اى يكونون على ما كانوا عليه من اخذ الديات واعطائها وهو تفاعل من العقل والمعاقل
الديات جمع معقلة يقال بنو فلان على معاقلهم التى كانوا عليها اى مراتبهم وحالاتهم

ولا يوقع اى لا يهلك ويعقب بعضهم بعضا اى يكون الغزو بينهم نوبا فاذا خرجت
طائفة ثم عادت لم تكلف ان تعود ثانية حتى يعقبها غيرها **وابن هذا اللين** فى
القول وقرب الماخذ فى اللفظ على طريق الحاضرة وعرف الجمهور المشهور من كتابه
لذى المشعار الهمدانى لما لقيه وفد همدان مقدمه من تبوك فقال مالك بن نمط يا
رسول الله نصيه من همدان من كل حاضر وباد اتوك على قلص نواج متصلة بحبائل
الاسلام لا تاخذهم فى الله لومة لائم من مخلاف خارف ويام لا ينقض عهدهم
عن سنة ماحل ولا سودا عنقفير ما اقام لعلع وماجرى اليعفور بصلع **فكتب**
اليهم النبى صلى الله عليه وسلم هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف واهل
جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافدها ذى المشعار ملك بن نمط ومن اسلم من قومه
على ان لهم فراعها ووهاطها وعزازها ما اقاموا الصلاة وآتوا الزكوة ياكلون علافها
ويرعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة
الثلب والناب والفصيل والفارض الداجن والكبش الحورى وعليهم فيه الصالغ و
القارح **قوله نصية** من حاضر وباد قال ابن الاثير النصية من ينتضى من القوم اى يختار
من نواصيهم وهم الرؤس والاشراف ويقال للاشراف نواص كما يقال للاتباع اذناب
واتوك على قلص بضم القاف واللام جمع قلوص وهى الناقة الشابة والنواجح السراع
وقوله متصلة بحبائل الاسلام اى عهوده واسبابه وخارف بالخاء المعجمة ويام
بالمثناة التحتية قبيلتان ولا ينقض عهدهم عن سنة ماحل اى لا ينقض بسعى ساع
بالنميمة والافساد كما يقال لا افسد ما بينى وبينك بمذاهب الاشرار وطرقهم فى الفساد
والسنة الطريقة والسنن ايضا والعنقفير بفتح العين المهملة وسكون النون وتقديم
القاف الداهية اى لا ينقض عهدهم بسعى الواشى ولا بداهية تنزل **ولعلع** جبل
وماجرى اليعفور بفتح التحتية الخشف ولد البقرة الوحشية وقيل هو تيس الظبا
والجمع اليعافير واليا زائدة وبصلع بضم الصاد المهملة وتشديد اللام الارض
التى لا نبات فيها **وقوله** عليه السلام واهل جناب الهضب بكسر الجيم اسم موضع
وحقاف الرمل اسماء بلادهم وفراعها بكسر الفا وبرا وعين مهملة اى ما علا من
الجبال والارض ووهاطها بكسر الواو وبطا مهملة المطمئنة واحدها وهط
وبه سمى الوهط وهو مال كان لعمرو بن العاص بالطائف وقيل الوهط قرية بالطائف
كان الكرم المذكور بها وعزاز بفتح العين المهملة ثم زايين مخففتين ما صلب من
الارض واشتد وخشن وانما يكون فى اطرافها وياكلون علافها بكسر العين المهملة
وتخفيف اللام وبالفا جمع علف وهو ما تاكله الماشية وعفا بفتح المهملة وتخفيف

الفا وبالمد اى المباح ومن دفئهم بكسر الدال المهملة وسكون الفا وبالهمز قال فى المجمل نتاج
الابل والبانها والانتفاع بها وصرامهم بكسر الصاد المهملة وتخفيف الراى من نخلهم
والثلب بكسر المثلثة واللام الساكنة وبا موحدة ما هرم من ذكور الابل وتكسرت
اسنانه • والناب بالنون والموحدة الناقة الهرمة التى طال نابها • والفصيل بالمهملة
الذى انفصل عن امه • والفارض بالفا المسن من الابل • والداجن بالمهملة والجيم
الدابة التى تالف البيوت • والكبش الحورى بالحا المهملة ثم واو مفتوحتين فرا
مكسورة الذى فى صوفه حمرة والصالغ بالصاد المهملة والغين المعجمة من صلغت
الشاة ونحوها اذا تمت اسنانها • والقارح بالقاف والرا والحا المهملة وهو من
الخيل الذى دخل فى السنة الخامسة انتهى **وهذا** من جنس كتابه لقطن بن حارثة
العليمى من كلب هذا كتاب من محمد لعمائر كلب واحلافها ومن ظاره الاسلام من غيرهم
مع قطن بن حارثة العليمى باقام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة بحقها فى شدة عقدها
ووفاء عهدها ومحضر من شهود المسلمين وسمى جماعة منهم دحية بن خليفة الكلبى
عليهم من الحمولة الراعية البساط الظؤار من كل خمسين ناقة غير ذات عوار والحمولة
المائرة لهم لاغية • وفى الشوى الورى مسنة حامل او حائل • وفيما سقى الجدول من
العين المعين العشر • وفى العثرى شطره بقيمة الامين لا يزاد عليهم قطيفة ولا يفرق
شهد على ذلك الله ورسوله وكتب ثابت بن قيس بن شماس **وتفسير غريبه**
ان قوله ومن ظاره الاسلام بالظاء المعجمة والهمز آخرها اى عطف عليه وعليهم
من الحمولة بفتح الها هى التى ترعى بانفسها ولا تستعمل فعولة بمعنى مفعولة والبساط
التى معها اولادها والظؤار ان تعطف الناقة على غير ولدها • والحمولة المائرة لهم
لاغية يعنى الابل التى يحمل عليها الميرة وهى الطعام ونحوه مما يجلب للبيع لا يؤخذ
منها زكاة لانها عوامل • وفى الشوى بفتح الشين المعجمة وكسر الواو واليا المشددة
اسم جمع الشاة والورى السمينة **ومن هذا النمط** كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل
بن حجر بتقديم الحا المضمومة على الجيم الساكنة الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب
وذكر الفرائض فقال فى التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة
وفى السيوب الخمس ومن زنا مم بكر فاصفعوه مائة واستوفضوه عاما ومن
زنا مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم فى الدين ولا غمة فى فرائض وكل مسكر
حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال **وفسر** الاقيال وهو بالقاف والمثناة التحتية
بالرؤسا الذين دون الملوك والعباهلة بالمهملة المفتوحة والموحدة الذين اقروا
على ملكهم لا يزالون والارواع بفتح الهمزة وسكون الرا آخره عين مهملة جمع رائع

وهم ذو الهيئات الحسان الوجوه • والمشابيب بفتح الميم والشين المعجمة وبأين موحدتين
بينهما مثناة تحتية ساكنه السادة الرؤس الحسان الوجوه • وفى التيعة بكسر المثناة
الفوقية وسكون المثناة التحتية وبالعين المهملة اربعون من الغنم • وفى القاموس
والنهاية ادنى ما يجب فيه الصدقة من الحيوان ولا مقورة بضم الميم وفتح القاف
وتشديد الواو • والالياط بفتح الهمزة وسكون اللام آخرها طا مهملة اى لا
مسترخية الجلود لكونها هزيلة • ولا ضناك بكسر المعجمة وتخفيف النون ضدها
وهى المتكثرة اللحم • وأنطوا بقطع الهمزة اى اعطوا • والثبجة بالمثلثة ثم موحدة
ثم جيم مفتوحات وقد تكسر الموحدة اى اعطوا الوسط فى الصدقة لا من خيار المال
ولا من رذاله • وفى السيوب بالمهملة وآخره موحدة اى الركاز قاله الهروى وقيل
المال المدفون فى الجاهلية او المعدن • ومن زنا مم بكر بكسر الراء بلا تنوين لان اصله
من البكر لكن اهل اليمن يبدلون لام التعريف ميما وهى ساكنة فادغمت النون فيها
والمراد بالبكر الجنس وقال ابن الاثير اى من بكر ومن ثيب فقلبت النون الساكنة ميما
اما مع بكر فلان النون اذا سكنت قبل البا فانها تقلب ميما فى النطق نحو عنبر وشنبا
واما مع غير البا فانها لغة يمانية كما يبدلون الميم من لام التعريف انتهى • فاصقعوه
بهمزة وصل واسكان الصاد المهملة وفتح القاف والعين اى اضربوه • واستوفضوه
بهمزة وصل وكسر الفا وضم الضاد المعجمة اى غربوه وانفوه • وفضرجوه بالضاد
المعجمة وتشديد الرا وبالجيم • وبالاضاميم بفتح الهمزة والضاد المعجمة اى ادموه بالضرب
بجماهير الحجارة • ولا توصيم بصاد مهملة مكسورة اى لا كسل عن اقامة الحدود
ولا غمة بضم المعجمة وتشديد الميم اى لا يستر ولا يخفى • ويترفل بتشديد الفا المفتوحة
يتسود ويترأس استعارة من ترفيل الثوب وهو اسباغه واسباله وقريب
من هذا كتابه لأكيدر واهل دومة كما قدمته فى مكاتباته عليه السلام وقال
عليه السلام فى حديث عطية السعدى فان اليد العليا هى المنطية والسفلى
هى المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقد كان هذا من
خصائصه صلوات الله وسلامه عليه ان يكلم كل ذى لغة بليغة بلغته على
اختلاف لغة العرب وتركيب الفاظها واساليب كلمها وكان احدهم لا يتجاوز
لغته وان سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربى وما ذلك منه صلى الله عليه
وسلم الا بقوة الهية وموهبة ربانية لانه بعث الى الكافة طرا والى الخليقة سودا
وحمرا والكلام باللسان يعنى فى غاية البيان ولا يوجد غالبا متكلم بغير لغته الا
قاصرا فى الترجمة نازلا عن صاحب الاصالة فى تلك اللغة الا نبينا وسيدنا

محمد

محمد صلى الله عليه وسلم كما تقدم فانه زاده الله تكريما وشرفا بما تكلم فى كل لغة
من لغة العرب فصيح وانصح بلغاتها منها بلغة نفسها وجدير به ذلك فقد اوتى
فى سائر القوى البشرية المحمودة زيادة ومزية على الناس مع اختلاف الاصناف
والاجناس ما لا يضبطه قياس ولا يدخل فى تحققه الباس انتهى واما صوته الشريف
صوته الشريف
فعن انس قال ما بعث الله نبيا قط الا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله
نبيكم محمدا صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه حسن الصوت رواه ابن عساكر
وروى نحوه من حديث على بن ابى طالب وروى انه كان اذا تكلم رءى كالنور يخرج من
بين ثناياه وقد كان صوته عليه السلام يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره فعن البرا
خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمع العواتق فى خدورهن رواه البيهقى
وقالت عائشة رضى الله عنها جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على
المنبر فقال للناس اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة وهو فى بنى تميم فجلس فى مكانه
رواه ابو نعيم • وقال عبد الرحمن بن معاذ التيمى خطبنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمنى ففتحت اسماعنا وفى لفظ ففتح الله اسماعنا حتى ان كنا لنسمع ما يقول ونحن
فى منازلنا رواه ابن سعد • وعن ام هانى قالت كنا نسمع قراءة النبى صلى الله عليه
وسلم فى جوف الليل عند الكعبة وانا على عريشى رواه ابن ماجة واما ضحكه صلى الله
ضحكه عليه السلام
ففى البخارى عن عائشة قالت ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا
قط ضاحكا حتى ارى منه لهواته انما كان يتبسم اى ما رايته مستجمعا من جهة
الضحك بحيث يضحك ضحكا تاما مقبلا بكليته على الضحك • واللهوات بفتح اللام
جمع لهاة وهى اللحمة التى باعلا الحنجرة من اقصا الفم وهذا لا ينافيه ما فى حديث
ابى هريرة فى قصة المواقع اهله فى رمضان فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى بدت نواجذه رواه البخارى وهى بالجيم والذال المعجمة الاضراس ولا تكاد تظهر الا
عند المبالغة فى الضحك لان عائشة انما نفت رؤيتها وابو هريرة اخبر بما شاهده
والمثبت مقدم على النافى وقد قال اهل اللغة التبسم مبادى الضحك والضحك انبساط
الوجه حتى تظهر الاسنان من السرور فان كان بصوت وكان بحيث يسمع من بعيد
فهو القهقهة والا فالضحك وان كان بلا صوت فهو التبسم • وقال ابن ابى هالة
جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام اى يبدى اسنانه ضاحكا وحب الغمام
البرد وقال الحافظ ابن حجر والذى يظهر من مجموع الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم
كان فى معظم احواله لا يزيد على التبسم وربما زاد على ذلك فضحك قال والمكروه من
ذلك انما هو الاكثار منه او الافراط فيه لانه يذهب الوقار قال ابن بطال والذى

ينبغي ان يقتدى به من افعاله ما واظب عليه من ذلك وقد روى البخاري في الادب
المفرد وابن ماجة عن ابي هريرة رفعه لا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب
وقال ابو هريرة واذا ضحك صلى الله عليه وسلم يتلالؤ في الجدر رواه البزار والبيهقي
اي يضيء في الجدر بضم الجيم والدال جمع جدار وهو الحائط اي يشرق نوره عليها اشراقا
كاشراق الشمس عليها وكان صلى الله عليه وسلم اذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم
ضاحكا حتى ترتفع عنه بل كان اذا خطب او ذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته
كانه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم رواه مسلم وكان بكاؤه صلى الله عليه وسلم
من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة ولكن تدمع
عيناه حتى تهملن ويسمع لصدره ازيز يبكي رحمة لميت وخوفا على امته وشفقة
ومن خشية الله وعند سماع القران واحيانا في صلاة الليل قاله في الهدي النبوي
وقد حفظه الله تعالى من التثاوب ففي تاريخ البخاري ومصنف ابن ابي شيبة عن
يزيد بن الاصم ما تثاوب النبي قط لكن في رواية عند ابي شيبة ما تثاءب نبي قط
واما يده الشريفة صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد بانه كان شثن
الكفين كما سياتي اي غليظ اصابعهما وبانه عبل الذراعين رحب الكفين وقد
مسح صلى الله عليه وسلم خد جابر بن سمرة قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما
اخرجهما من جونة عطار رواه مسلم • وفي حديث وائل بن حجر عند الطبراني والبيهقي
لقد كنت اصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم او يمس جلدي جلده فاتعرفه بعد
في يدي وانه لاطيب رائحة من المسك • وقال يزيد بن الاسود ناولني رسول الله
صلى الله عليه وسلم يده فاذا هي ابرد من الثلج واطيب ريحا من المسك رواه البيهقي
وعن المسور بن شداد عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخذت بيده
فاذا هي الين من الحرير وابرد من الثلج رواه الطبراني • ودخل صلى الله عليه وسلم
على سعد بن ابي وقاص بمكة يعوده وقد اشتكى قال فوضع يده على جبهتي فمسح
وجهي وصدري وبطني فما زلت يخيل الي اني اجد برد يده على كبدي حتى الساعة وفي
البخاري من حديث انس ما مسست حريرا ولا ديباجا الين من كف رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو من باب عطف الخاص على العام لان الديباج نوع من
الحرير قيل وهذا الوصف في هذا الحديث يخالف ما وقع في حديث ابن ابي هالة عند
الترمذي في صفته صلى الله عليه وسلم فان فيه كما تقدم كان شثن الكفين اي
غليظهما في خشونة وهكذا وصفه علي من عدة طرق عند الترمذي والحاكم وغيرهما
وكذا وصف عائشة له عند ابن ابي خيثمة والجمع بينهما ان المراد اللين في الجلد والغلظ

يده الشريفة عليه السلام

في العظام

في العظام فيجتمع له من نعومة البدن وقوته • وقال ابن بطال كانت كفه صلى الله عليه
وسلم ممتلئة لحما مع انها مع ضخامتها كانت لينة كما في حديث انس قال واما قول الاصمعي
الشثن غلظ الكف في خشونة فلم يوافق على تفسيره بالخشونة والذي فسر به الخليل
اولى قال وعلى تسليم ما فسر به الاصمعي الشثن يحتمل ان يكون انس وصف حالتي كف رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا عمل بكفه في الجهاد او في مهنة اهله صار كفه
خشنا للعارض المذكور واذا ترك ذلك رجع كفه الى اصل جبلته من النعومة وقال
القاضي عياض فسر ابو عبيد الشثن بالغلظ مع القصر وتعقب بانه ثبت في وصفه
عليه السلام انه كان سائل الاطراف ويؤيد كونها لينة قوله في رواية النعمان
كان سبط الكفين بتقديم المهملة على الموحدة فانه موافق لوصفها باللين والتحقيق
في الشثن انه الغلظ من غير قصر ولا خشونة وقد نقل ابن خالويه ان الاصمعي لما فسر
الشثن بما مضى قيل له انه ورد في صفة النبي صلى الله عليه وسلم انه لين الكف فالى
على نفسه ان لا يفسر شيئا في الحديث انتهى وفي حديث معاذ عند الطبراني والبزار
اردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه فما مسست شيئا قط الين من جلده
صلى الله عليه وسلم • واصيب عائذ بن عمر في وجهه يوم حنين فسال الدم على
وجهه وصدره فسلت صلى الله عليه وسلم الدم بيده عن وجهه وصدره ثم
دعا له فكان اثر يده صلى الله عليه وسلم الى منتهى ما مسح من صدره غرة سائلة
كغرة الفرس رواه الحاكم وابو نعيم وابن عساكر • واخرج البخاري في تاريخه والبغوي
وابن منده في الصحابة من طريق صاعد بن العلاء بن بشر عن ابيه عن جده بشر بن معاوية
انه قدم مع ابيه معوية بن ثور على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح راسه ودعا
له بالبركة فكانت في وجهه مسحة رسول الله صلى الله عليه وسلم كالغرة وكان لا
يمسح شيئا الا برئ • ومسح صلى الله عليه وسلم راس مدلوك ابي سفيان فكان ما مرت
يده عليه اسود وشاب ما سوى ذلك رواه البخاري في تاريخه والبيهقي وكذا وقع
له عليه السلام في راس السائب رواه البغوي والبيهقي وابن منده واخرج البيهقي
وصححه والترمذي وحسنه عن ابي زيد الانصاري قال مسح عليه السلام بيده
على راسي ولحيتي ثم قال اللهم جمله قال فبلغ بضعا ومائة سنة وما في لحيته بياض
ولقد كان منبسط الوجه ولم ينقبض وجهه حتى مات • ومسح عليه الصلاة والسلام
راس حنظلة بن حذيم بيده وقال بورك فيه فكان يؤتى بالشاة الوارم ضرعها والبعير
والانسان به الورم فيتفل في يده ويمسح بصلعته ويقول بسم الله على اثر يد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيمسحه ثم يمسح موضع الورم فيذهب الورم رواه احمد

والبخارى فى التاريخ وابو يعلى وغيرهم وقد جاء فى عدة احاديث عن جماعة من الصحابة
ببياض ابطه فعن انس قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه فى الدعاء
حتى رايت بياض ابطيه • وقال الطبرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم ان الابط
من جميع الناس متغير اللون غيره اى الا هو عليه السلام ومثله للقرطبى وزاد وانه
لا شعر عليه لكن نازع فيه صاحب شرح تقريب الاسانيد وقال انه لم يثبت ذلك بوجه
من الوجوه قال والخصائص لا تثبت بالاحتمال ولا يلزم من ذكر انس وغيره بياض ابطيه
ان لا يكون له شعر • وقد قال عبد الله بن اقرم الخزاعى وقد صلى معه صلى الله عليه
وسلم كنت انظر الى عفرة ابطه حسنه الترمذى والعفرة بياض ليس بالناصع كما قاله
الهروى وغيره وسياتى مزيد لذلك فى الخصائص ان شاء الله تعالى • وعن رجل من
بنى حريش قال ضمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على من عرق ابطه مثل
ريح المسك رواه البزار ووصفه على فقال ذو مسربة وفسر بخيط الشعر بين الصدر
والسرة وقال ابن ابى هالة دقيق المسربة وعند ابن سعد عن على طويل المسربة
وعند البيهقى له شعرات من لبته الى سرته تجرى كالقضيب ليس على صدره ولا على
بطنه غيره ووصفت بطنه ام هانى فقالت ما رايت بطن رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا ذكرت القراطيس المثنى بعضها على بعض رواه الطيالسى والطبرانى وقال
ابو هريرة رضى الله عنه كان صلى الله عليه وسلم ابيض كانما صيغ من فضة رجل الشعر
مفاض البطن عظيم مشاش المنكبين وتقدم ان المشاش هى رؤس العظام كالركبتين ومفاض
اى واسع البطن وقيل مستوى البطن مع الصدر • وخرج الامام احمد عن محرش الكعبى
قال اعتمر النبى صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ليلا فنظرت الى ظهره كانه سبيكة
فضة وكان صلى الله عليه وسلم بعيد ما بين المنكبين رواه البخارى اى عريض الصدر
ووقع عند ابن سعد من حديث ابى هريرة رحب الصدر واما قلبه الشريف
صلى الله عليه وسلم فاعلم ان القلب مضغة فى الفؤاد معلقة بالنياط
فهو اخص من الفؤاد قاله الواحدى وسمى به لتقلبه بالخواطر والعزوم قال الشاعر

وما سمى الانسان الا لنسيه •		وما القلب الا انه يتقلب •

وقال الزمخشرى مشتق من القلب الذى هو المصدر لفرط تقلبه الا ترى ما روى
ابو موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم ومثل هذا القلب كمثل ريشة
ملقاة بفلاة يقلبها الريح بطنا لظهر قال والفرق بينه وبين الفؤاد ان الفؤاد
وسط القلب سمى لتفوده اى توقده • وفسر الجوهرى القلب بالفؤاد ثم فسر
الفؤاد بالقلب • قال الزركشى والاحسن قول غيره الفؤاد غشاء القلب والقلب حبته

قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم

وسويد

وسويداه ويريد الفرق قوله صلى الله عليه وسلم الين قلوبا وارق افئدة وهى اولى
من قول بعضهم انه كرر لاختلاف اللفظ • وقال الراغب يعبر بالقلب عن المعانى التى
تختص به كالعلم والشجاعة وقيل حيث ما ذكر الله القلب فاشارة الى العقل والعلم
كقوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب وحيث ما ذكر الصدر فاشارة الى ذلك
والى سائر القوى من الشهوة والغضب ونحوها انتهى • وقال بعض العلماء وقد خلق الله
تعالى الانسان وجعل له قلبا يعقل عنه وهو اصل وجود اذا صلح قلبه صلح سائره
واذا فسد قلبه فسد سائره وجعل سبحانه القلوب محل السر والاخلاص الذى
هو سر الله يودعه قلب من شاء من عباده فاول قلبا ودعه قلب محمد صلى الله
عليه وسلم لانه اول خلق وصورته صلى الله عليه وسلم آخر صورة ظهرت من
صور الانبياء فهو اولهم وآخرهم وقد جعل تعالى اخلاق القلوب للنفوس علاما
على اسرار القلوب فمن تحقق قلبه بسر الله اتسعت اخلاقه لجميع خلق الله وكذلك
جعل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم جثمانية اختص بها من بين سائر النبيين فتكون
علامات اختصاص جثمانيته ايات دالة على احوال نفسه الشريفة وعظيم خلقه
وتكون علامات عظيم اخلاقه ايات على سر قلبه المقدس ولما كان قلبه صلى الله
عليه وسلم اوسع قلب اطلع الله عليه كما ورد فى الخبر كان هو الاولى ان يكون هو
قلب العبد الذى يقول فيه الله تعالى ما وسعنى ارضى ولا سمائى ووسعنى قلب
عبدى المؤمن ولما كان كماله قبل الاسرى بمنزلة سائر النبيين كان صدره يضيق
فاتسع قلبه لما انشرح صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره وقد صح
ان جبريل عليه السلام شقه واستخرج منه علقة فقال له هذا حظ الشيطان
منك ثم غسله فى طشت من ذهب بماء زمزم ثم لامه فاعاده فى مكانه قال انس
فلقد كنت ارى اثر المخيط فى صدره رواه مسلم • وانما خلقت هذه العلقة فى ذاته
الكريمة ثم استخرجت منه لانها من جملة الاجزاء الانسانية فخلقها تكملة للخلق
الانسانى فلا بد منها ونزعها امر ربانى طرأ بعد ذلك قاله السبكى • وعند احمد وصححه
الحاكم ثم استخرجا قلبى فشقاه فاخرجا منه علقتين سوداوين فقال احدهما ائتنى
بماء وثلج فغسلا به جوفى ثم قال ائتنى بماء برد فغسلا به قلبى ثم قال ائتنى بالسكينة
فذراها فى قلبى ثم قال احدهما لصاحبه خطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة • وفى
رواية البيهقى ان ملكين جاآنى فى صورة كركيين معهما ثلج وبرد وماء بارد فشرح
احدهما صدرى ومج الآخر بمنقاره فيه • وعن ابى هريرة قال يا رسول الله ما اول ما ابتدئت
به من امر النبوة قال انى لفى صحراء ابن عشر حجج اذا انا برجلين فوق راسى يقول

احدهما لصاحبه اهو هو فقال نعم فاخذانى فلصقانى لحلاوة القفا ثم شقا بطنى
فكان احدهما يختلف بالمآ فى طشت من ذهب والآخر يغسل جوفى وقال احدهما لصاحبه
افلق صدره فاذا صدرى فيما ارى مفلوقا لا اجد له وجعا ثم قال شقق قلبه فشق
قلبى فقال اخرج الغل والحسد منه فاخرج شبه العلقة فنبذ به ثم قال ادخل الرأفة
والرحمة قلبه فادخل شيئا كهيئة الفضة ثم اخرج ذرورا كان معه فذر عليه ثم
نقرابهامى ثم قال اغد فرجعت بما لم اغد به من رحمتى للصغير ورقتى على الكبير رواه
عبد الله بن الامام احمد فى زوائد المسند وابو نعيم وقال تفرد به معاذ عن آبائه
وتفرد بذكر السن وعند ابو نعيم فى حديث يونس بن ميسرة فاستخرج حشوة جوفى
فغسلها ثم ذر عليها ذرورا ثم قال قلب وكيع يعى ما وقع فيه عينان بصيرتان
واذنان تسمعان وانت محمد رسول الله المقفى الحاشر قلبك سليم ولسانك صادق
ونفسك مطمئنة وخلقك قيم وانت قثم وهذا الشق روى انه وقع له عليه السلام
مرات مرة فى حال طفوليته ارهاصا وتقديم المعجزة على زمان البعثة جائز للارهاص
ومثل هذا فى حق الرسول عليه السلام كثير وبه يجاب عن استشكال وقوع ذلك
فى زمان طفوليته لانه من المعجزات ولا يجوز ان يتقدم على النبوة قاله الرازى والذى
عليه اكثر اهل الاصول اشتراط اقتران المعجزة بالدعوى كما نبهت عليه فى اوائل
الكتاب ويأتى تحقيقه ان شاء الله تعالى فى المقصد الرابع وهو المراد بقوله الم نشرح
لك صدرك وقد قيل المراد بالشرح فى الآية ما يرجع الى المعرفة والطاعة ثم ذكروا
فى ذلك وجوها منها انه لما بعث الى الاحمر والاسود من جنى وانسى اخرج تعالى
عن قلبه جميع الهموم وانفسح صدره حتى اتسع لجميع المهمات فلا يقلق ولا يضجر
بل هو فى حالتى البوس والفرح منشرح الصدر مشتغل باداء ما كلف فان قلت
لم قال الم نشرح لك صدرك ولم يقل قلبك اجيب بان محل الوسوسة الصدر
كما قال تعالى يوسوس فى صدور الناس فازال تلك الوسوسة وابدلها بدواعى
الخير وهى الشرح لا جرم خص ذلك الشرح بالصدر دون القلب وقد قال محمد على الترمذى
القلب محل العقل والمعرفة وهو الذى يقصده الشيطان يجئ الى الصدر الذى هو
حصن القلب فاذا دخل مسلكا اغار فيه وانزل جنده فيه وبث فيه الهموم والغموم
والحرص فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة واذا طرد
العدو فى الابتداء حصل الامن وزال الضيق وانشرح الصدر وتيسر له القيام
باداء العبودية وههنا دقيقة قال الله تعالى حكاية عن موسى رب اشرح لى
صدرى وقال لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم الم نشرح لك صدرك اعطى بلا سؤال

ثم انه تعالى نعته عليه السلام فقال وسراجا منيرا فانظر الى التفاوت فان شرح الصدر
هو ان يصير قابلا للنور والسراج المنير تقتبس منه الانوار والفرق بينهما واضح • قال
الدقاق كان موسى عليه السلام مريدا اذ قال رب اشرح لى صدرى ونبينا محمد صلى الله
جماع الشريف
عليه وسلم مرادا اذ قال الله له الم نشرح لك صدرك والله اعلم واما جماعه الشريف
صلى الله عليه وسلم فقد كان يدور على نسائه فى الساعة الواحدة من الليل والنهار
وهن احدى عشرة قال الراوى قلت لانس اوكان يطيقه قال كنا نتحدث انه اعطى
قوة ثلاثين رواه البخارى • وعند الاسماعيلى عن معاذ قوة اربعين زاد ابو نعيم
عن مجاهد كل رجل من رجال اهل الجنة • وعن انس مرفوعا يعطى المؤمن فى الجنة قوة
كذا وكذا فى الجماع قلت يا رسول الله او يطيق ذلك قال يعطى قوة مائة قال الترمذى
صحيح غريب لا نعرفه من حديث قتادة الا من حديث عمران القطان فاذا ضربنا اربعين
فى مائة بلغت اربعة الآف وبهذا يندفع ما استشكل من كونه صلى الله عليه وسلم
اوتى قوة اربعين فقط وسليمن قوة مائة رجل او الف على ما ورد • وذكر ابن العربى
انه كان له صلى الله عليه وسلم القوة الظاهرة على الخلق فى الوطء وكان له فى الاكل
القناعة ليجمع الله له الفضيلتين فى الامور الاعتيادية كما جمع له الفضيلتين فى الامور
الشرعية حتى يكون حاله كاملا فى الدار وطاف عليه السلام على نسائه التسع ليلة
رواه ابن سعد • وروى انه صلى الله عليه وسلم قال اتانى جبريل بقدر فاكلت منها
فاعطيت قوة اربعين رجلا فى الجماع رواه ابن سعد حدثنا عبيد الله بن موسى
عن اسامة بن زيد عن صفوان بن سليم مرسلا • وروى من حديث ابى هريرة شكى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل قلة الجماع فتبسم جبريل حتى تلألأ مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم من بريق ثناياه ثم قال له اين انت من اكل الهريسة
فان فيه قوة اربعين رجلا • ومن حديث حذيفة بلفظه اطعمنى جبريل الهريسة
اشد بها ظهرى واتقوى بها على الصلاة رواه الدارقطنى ومن حديث جابر بن سمرة
وابن عباس وغيرهم وكلها واهية بل صرح الحافظ بن ناصر الدين فى جزء له سماه
الدسيسة بوضع حديث الهريسة بانه موضوع • وروى بانه عليه السلام اعطى
قوة بضع واربعين رجلا كل من اهل الجنة رواه الحارث بن ابى اسامة وقد حفظه
الله من الاحتلام فعن ابن عباس قال ما احتلم نبى قط وانما الاحتلام من الشيطان
قدمه الشريف
رواه الطبرانى واما قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد
بانه كان شثن القدمين اى غليظ اصابعهما رواه الترمذى وغيره • وعن ميمونة
بنت كردم قالت رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نسيت طول اصبع قدميه

السبابة على سائر اصابعه رواه احمد والطبرانى وعن جابر بن سمرة كانت خنصر رسول
الله صلى الله عليه وسلم من رجله متظاهرة رواه البيهقى وقد اشتهر على الالسنة
ان سبابة النبى صلى الله عليه وسلم كانت اطول من الوسطى قال الحافظ بن حجر وهو
غلط ممن قاله وانما ذلك فى اصابع رجليه انتهى وقال شيخنا فى المقاصد الحسنة
وسلف جمهورهم الكمال الدميرى وهو خطأ ناش عن اعتماد رواية مطلقة وعبارة
كذا رواه ابن هرون عن عبد الله بن مقسم عن سارة بنت مقسم انها سمعت ميمونة
ابنة كردم تخبر انها رات اصابع النبى صلى الله عليه وسلم كذلك فضم ما وقع
فيها من اطلاق الاصابع الى كون الوسطى من كل اطول من السبابة وعين اليد
منه صلى الله عليه وسلم لذلك بناء على ان القصد ذكر وصف اختص به صلى
الله عليه وسلم عن غيره ولكن الحديث فى مسند الامام احمد من حديث يزيد بن
هرون المذكور مقيدا بالرجل ولفظه كما قدمته فما نسيت طول اصبع قدمه
السبابة على سائر اصابعه وهو عند البيهقى ايضا فى الدلائل من طريق يزيد ولفظها
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهو على ناقة وانا مع ابى فدنا منه
ابى فاخذ بقدمه فاقر له رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فما نسيت طول
اصبع قدمه السبابة على سائر اصابعه • وعن ابى هريرة انه صلى الله عليه وسلم
كان اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص رواه البيهقى • وعن ابى امامة
الباهلى قال كان النبى صلى الله عليه وسلم لا اخمص له يطأ على قدمه كلها رواه ابن
عساكر وقال ابن ابى هالة خمصان الاخمصين مسيح القدمين • قال ابن الاثير
الاخمص من القدم الموضع الذى لا يلتصق بالارض منها عند الوطئ والخمصان
المبالغ منه اى ان ذلك الموضع من اسفل قدمه شديد التجافى عن الارض وسئل
ابن الاعرابى عنه فقال اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو اسفل
القدم جدا فهو احسن ما يكون واذا استوى وارتفع جدا فهو ذم فيكون بمعنى
ان اخمصه معتدل الخمص بخلاف الاول • ووقع فى حديث ابى هريرة اذا وطئ
بقدميه وطئ بكلها ليس له اخمص وقوله مسيح القدمين اى ملساوان لينتان
ليس فيهما تكسر ولا شقاق فاذا اصابهما الما نبا عنهما كما قال ابن ابى هالة ينبو
عنهما الما وهو معنى حديث ابى هريرة • وعن عبد الله بن بريدة كان صلى الله عليه
وسلم احسن البشر قدما رواه ابن سعد واما طوله صلى الله عليه وسلم طوله عليه السلام
فقال على كان صلى الله عليه وسلم لا قصير ولا طويل وهو الى الطول اقرب رواه
البيهقى وعنه كان صلى الله عليه وسلم ليس بالذاهب طولا وفوق الربعة اذا جامع

القوم غمرهم رواه عبد الله بن الامام احمد وعن ابى هريرة كان صلى الله عليه وسلم
ربعة وهو الى الطول اقرب رواه البيهقى وقوله ربعة اى مربوعا والتانيث باعتبار
النفس وقد فسر فى الحديث الآتى بانه ليس بالطويل البائن ولا بالقصير والمراد بالطويل
البائن المفرط فى الطول مع اضطراب القامة • وقال ابن ابى هالة اطول من المربوع
واقصر من المشذب بمعجمتين مفتوحتين ثانيهما مشدد البائن الطول فى نحافة
طول وهو مثل قوله فى الحديث الآخر لم يكن بالطويل الممغط وهو بتشديد الميم
الثانية المتناهى الطول وامغط النهار اذا امتد وامغطت الحبل اذا مددته واصله
منمغط والنون للمطاوعة فقلبت ميما وادغمت فى الميم ويقال بالعين المهملة بمعناه
وعن عائشة قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ولا
بالقصير المتردد وكان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده ولم يكن على حال يماشيه احد
من الناس ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم وربما اكتنفه الرجلان
الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
الربعة رواه ابن عساكر والبيهقى وزاد ابن سبع فى الخصائص انه كان اذا جلس
يكون كتفه اعلا من جميع الجالسين ووصفه ابن ابى هاله بانه بادن متماسك
شعره الشريف اى معتدل الخلق كان اعضاءه يمسك بعضها بعضا واما شعره الشريف
صلى الله عليه وسلم فعن قتادة قال سالت انسا عن شعر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال شعر بين شعرين لا رجل ولا سبط ولا جعد قطط وكان بين
اذنيه وعاتقه وفى اخرى الى انصاف اذنيه رواه البخارى ومسلم وابو داود
والنسائى • وعن عائشة قالت كنت اغتسل انا والنبى صلى الله عليه وسلم من اناء
واحد وكان له شعر فوق الجمة ودون الوفرة رواه الترمذى وابو داود والوفرة
الشعر الواصل الى شحمة الاذن • وقال ابن ابى هالة ايضا كان رجل الشعر وهو بفتح
الرا وكسر الجيم اى يتكسر قليلا بخلاف السبط والجعد ان انفرقت عقيقته فرق
والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنه اذا هو وفره والعقيقة بالقافين شعر راسه
الشريف يعنى ان انفرقت بنفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى ان انفرقت
عقيصته بالصاد وهى الشعر المعقوص • وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يسدل شعره وكان المشركون يفرقون رؤسهم وكان اهل الكتاب
يسدلون رؤسهم وكان يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشئ ثم
فرق صلى الله عليه وسلم راسه رواه الترمذى فى الشمائل وفى صحيح مسلم نحوه
وسدل الشعر ارساله على الجبين واتخاذه على القصة واما الفرق فهو فرق الشعر

بعضه من بعض قال العلما والفرق سنة لانه الذى رجع اليه صلى الله عليه وسلم
والصحيح جواز الفرق والسدل لكن الفرق افضل وعن عائشة كان له صلى الله
عليه وسلم شعر فوق الجمة ودون الوفرة رواه الترمذى وفى حديث انس كان الى
اذنيه وفى حديث البرا يضرب منكبيه وفى حديث ابى رمثة يبلغ الى كتفيه او منكبيه
وفى رواية ما رايت من ذى لمة احسن منه والجمة هى الشعر الذى نزل الى المنكبين
والوفرة ما نزل الى شحمة الاذنين واللمة التى لمت بين المنكبين قال القاضى عياض
والجمع بين هذه الروايات ان ما يلى الاذن هو الذى يبلغ شحمة اذنيه وما خلفه
هو الذى يضرب منكبيه قال وقيل بل ذلك لاختلاف الاوقات فاذا غفل عن
تقصيرها بلغت المنكب واذا قصرها كانت الى انصاف الاذنين فكانت تطول وتقصر
بحسب ذلك وعن ام هانى بنت ابى طالب قالت قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم علينا مكة قدمة وله اربع غدائر رواه الترمذى وفى الشمائل والغدائر
بالغين المعجمة والدال المهملة هى الذوائب واحدتها غديرة وفى مسلم عن انس
كان فى لحيته عليه السلام شعرات بيض وفى رواية عنده لم ير من الشيب الا قليلا
وفى اخرى له ايضا لو شئت ان اعد شمطات كن فى راسه ولم يخضب وعنده ايضا
لم يخضب عليه السلام انما كان البياض فى عنفقته وفى الصدغين وفى الراس نبذ
بضم النون وفتح البا الموحدة وبفتح النون واسكان الموحدة اى شعرات متفرقة
وفى رواية ما شانه الله ببيضا قال الشيخ عبد الجليل فى شعب الايمان فيما حكاه
عنه الفاكهانى كان كذلك لان النسا يكرهن الشيب غالبا ومن كره من النبى صلى
الله عليه وسلم شيئا كفر وقال فى النهاية قد جعل الشيب ههنا عيبا وليس بعيب
فانه جا فى الحديث انه وقار وانه نور والشيب ممدوح وذلك عجيب منه لا سيما فى حق
النبى صلى الله عليه وسلم ويمكن الجمع بينهما ووجه الجمع انه عليه السلام لما راى
ابا قحافة وراسه كالثغامة امرهم بتغييره وكرهه ولذلك قال غيروا الشيب فلما علم
انس ذلك من عادته قال ما شانه الله ببيضا بنا على هذا القول وحملا له على هذا
الراى ولم يسمع الحديث الآخر ولعل احدهما ناسخ للآخر انتهى وفى رواية ابى جحيفة
عنده رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه منه بيضاء ووضع الراوى
بعض اصابعه على عنفقته وفى حديث انس عند البيهقى ما شانه الله بالشيب
ما كان فى راسه ولحيته الا سبع عشرة او ثمان عشرة شعرة بيضاء وفى ابى جحيفة
كان ابيض قد شمط رواه البخارى وفى الصحيحين ان ابن عمر راى النبى صلى الله عليه
وسلم يصبغ بالصفرة وعن عمر انما كان شيبه صلى الله عليه وسلم نحوا من عشرين

شعرة

شعرة بيضا رواه الترمذى وروى ايضا عن ابن عباس قال ابو بكر يا رسول الله قد
شبت قال شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت
وفى حديث جابر عنده لم يكن فى راسه عليه السلام شيب الا شعرات فى مفرق راسه
اذا ادهن واراهن الدهن وفى رواية البيهقى اسود اللحية حسن الشعر واختلف
العلماء هل خضب عليه الصلاة والسلام ام لا قال القاضى عياض منعه
الاكثرون وهو مذهب مالك وقال النووى المختار انه صبغ فى وقت وتركه
فى معظم الاوقات فاخبر كل بما راى وهو صادق قال وهذا التاويل كالمتعين
فحديث ابن عمر فى الصحيحين ولا يمكن تركه ولا تاويل له واما اختلاف الرواية
فى قدر شيبه فالجمع بينهما انه راى شيئا يسيرا فمن اثبت شيبه اخبر عن ذلك
اليسير ومن نفاه اراد لم يكثر فيه كما قاله فى الرواية الاخرى لم ير من الشيب
الا قليلا انتهى وعن جابر بن سمرة كان صلى الله عليه وسلم قد شمط مقدم راسه
ولحيته وكان اذا ادهن لم يتبين فاذا شعث راسه تبين وكان كثير شعر اللحية
رواه مسلم والنسائى وعن انس كان صلى الله عليه وسلم يكثر دهن راسه وتسريح
لحيته رواه البغوى فى شرح السنة وقد وصفه عليه الصلاة والسلام ابن
ابى هالة بانه كان موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى كالخيط عارى الثديين
مما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين واعالى الصدر وعن انس قال رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع
شعرة الا فى يد رجل رواه مسلم وسياتى ان شاء الله تعالى من قصة حلق راسه
الشريف فى حجة الوداع ولم يروانه عليه الصلاة والسلام حلق راسه الشريف
فى غير نسك حج او عمرة فيما علمته فتبقية الشعر فى الراس سنة ومنكرها مع علم
يجب تاديبه ومن لم يستطع التبقية فمباح له ازالته وقد رايت بمكة المشرفة فى
ذى القعدة سنة سبع وتسعين ثمانمائة شعرة عند الشيخ ابى حامد المرشدى
شاع وذاع انها من شعره صلى الله عليه وسلم زرتها صحبة المقام الفرسى خليل
العباس والى الله احسانه عليه وعن محمد بن سيرين قال قلت لعبيدة عندنا من
شعر النبى صلى الله عليه وسلم اصبناه من قبل انس ومن قبل اهل انس قال لان تكون
عندى شعرة منه احب الى من الدنيا وما فيها رواه البخارى وعن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده انه صلى الله عليه وسلم كان ياخذ من لحيته من عرضها وطولها رواه
الترمذى وقال حديث غريب واخرج الترمذى عن ابن عباس وحسنه قال كان
النبى صلى الله عليه وسلم يقص شاربه وعنده من حديث زيد بن ارقم قال صلى الله

عليه وسلم من لم ياخذ شاربه فليس منا وفى الصحيحين حديث خالفوا المشركين
وفروا اللحا واحفوا الشوارب واختلف فى قص الشارب وحلقه ايهما افضل ففى الموطا
يؤخذ من الشارب حتى يبدو طرف الشفة وعن ابن عبد الحكم عن مالك قال ويحفى
الشارب ويعفى اللحا وليس احفاء الشارب حلقه وارى تاديب من حلق شاربه وعن
اشهب ان حلقه بدعة قال وارى ان يوجع ضربا من فعله قال النووى المختار فى
قص الشارب انه يقصه حتى يبدو طرف الشفة ولا يحفه من اصله وقال الطحاوى
لم نجد عن الشافعى شيئا منصوصا فى هذا وكان المزنى والربيع يحفان شاربهما واما
ابو حنيفة وصاحباه فمذاهبهم فى شعر الراس والشارب ان الاحفا افضل من التقصير
واما احمد فقال الاثرم رايته يحفى شاربه شديدا وقد اختلفوا فى كيفية قص الشارب
هل يقص طرفاه ايضا وهما المسميان بالسبالين ام يترك السبالان كما يفعله كثير
من الناس قال الغزالى فى الاحيا لا باس بتركه سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك
عمر وغيره لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمرة الطعام اذ لا يصل اليه انتهى
وروى ابو داود عن جابر قال كنا نعفى السبال الا فى حج او عمرة وكره بعضهم ابقاه
لما فيه من التشبه بالاعاجم بل بالمجوس واهل الكتاب وهذا اولى بالصواب لما رواه
ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن عمر قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
المجوس فقال انهم يوفرون سبالهم ويحفون لحاهم فخالفوهم فكان يجز سبالهم
كما تجز الشاة او البعير وروى احمد فى مسنده فى اثناء حديث لابى امامة فقلنا
يا رسول الله فان اهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم فقال قصوا
سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا اهل الكتاب والعثانين بالعين المهملة والثاء
المثلثة والنون المكررة جمع عثنون وهو اللحية قاله فى شرح تقريب الاسانيد
واما العانة ففى حديث انس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يتنور وكان اذا كثر شعره
حلقه ولكن سنده ضعيف وروى ابن ماجة والبيهقى ورجاله ثقات ولكن اعل
بالارسال وانكر احمد صحته من حديث ام سلمة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا
طلا بدأ بعانته فطلاها بالنورة وسائر جسده اهله واما الحديث الذى يروى
ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل حمام الجحفة فموضوع باتفاق اهل المعرفة بالحديث
كما قاله الحافظ ابن كثير بل لم تعرف العرب الحمام ببلادهم الا بعد موته صلى الله عليه
وسلم واخرج البيهقى من مرسل ابى جعفر الباقر قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يستحب ان ياخذ من اظفاره وشاربه يوم الجمعة وله شاهد موصول من
حديث ابى هريرة لكن سنده ضعيف اخرجه البيهقى فى الشعب وسئل عنه احمد

عانته الشريفة صلى الله عليه وسلم

فقال ليس

فقال ليس يوم الجمعة قبل الزوال وعنه يوم الخميس وعنه يتخير قال الحافظ ابو الفضل
بن حجر وهذا هو المعتمد انه يستحب كيفما احتاج قال ولم يثبت فى استحباب قص الظفر
يوم الخميس حديث وكذا لم يثبت فى كيفيته شئ ولا فى تعيين يوم له عن النبى صلى الله
عليه وسلم وما يعزى من النظم فى ذلك لعلى رضى الله عنه ثم لشيخ الاسلام ابن حجر
قال شيخنا انه باطل والمراد ازالة ما يزيد على ما يلامس راس الاصبع من الظفر لان الوسخ
يجتمع فيه فيستقذر وقد ينتهى الى حد يمنع وصول الماء الى ما يجب غسله فى الطهارة
وقد حكى اصحاب الشافعى فيه وجهين فقطع المتولى بان الوضوء حينئذ لا يصح
وقطع الغزالى فى الاحياء بانه يعفى عن مثل ذلك واخرج الطبرانى فى الاوسط عن
عائشة كان صلى الله عليه وسلم لا يفارق سواكه ومشطه وكان ينظر فى المرآة اذا
سرح لحيته وعن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم كانت له مكحلة يكتحل
منها كل ليلة ثلاثة فى هذه وثلاثة فى هذه رواه ابن ماجة والترمذى واحمد
ولفظه كان يكتحل بالاثمد كل ليلة قبل ان ينام وكان يكتحل فى كل عين ثلاثة اميال
وروى النسائى والبخارى فى تاريخه عن محمد بن على قال سالت عائشة اكان النبى
صلى الله عليه وسلم يتطيب قالت نعم بذكارة الطيب المسك والعنبر واما مشيه
صلى الله عليه وسلم فعن على قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى
تكفا تكفؤا كانما ينحط من صبب رواه الترمذى وصححه البيهقى والتكفو الميل الى
سنن المشى وعند الترمذى فى الشمائل من حديثه وما رايت احدا اسرع فى مشيه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو
غير مكترث وعن يزيد بن مرثد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى
اسرع حتى يهرول الرجل وراءه فلا يدركه رواه ابن سعد ويروى انه كان اذا
مشى مشى مجتمعا اى قوى الاعضا غير مسرع فى المشى وقال على رضى الله عنه كان النبى
صلى الله عليه وسلم اذا مشى تقلع وقال ابن ابى هالة اذا زال زال تقلعا ويمشى هونا
ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب وفى رواية اذا زال زال قلعا بالفتح والضم
فبالفتح هو مصدر بمعنى الفاعل اى لا يزول قالعا لرجله من الارض وهو بالضم اما
مصدر او اسم وهو بمعنى الفتح وقال الهروى قرأت هذا الحرف فى كتاب غريب الحديث
لابن الانبارى قلعا بفتح القاف وكسر اللام وكذلك قرأته بخط الازهرى وهو كما
جاء فى حديث آخر كانما ينحط من صبب والانحدار من الصبب والتقلع من الارض قريب
بعضه من بعض اراد انه كان يستعمل التثبت ولا يتبين الشيب منه فى هذه الحالة
استعجال ومبادرة شديدة وذريع المشى اى واسع الخطوة قاله ابن الاثير

مشيه الشريف صلى الله عليه وسلم

وقال ابن القيم التقلع الارتفاع من الارض بجملته كحال المنحط فى الصبب وهى مشية اولى العزم والهمة والشجاعة وهى اعدل المشيات واروحها للاعضاء فكثير من الناس يمشى قطعة واحدة كانه خشبة محمولة فهى مذمومة واما ان يمشى بانزعاج مشى الجمل الاهوج وهى مشية مذمومة وهى علامة خفة عقل صاحبها ولاسيما ان اكثر الالتفات حال مشيه يمينا وشمالا وفى بعض الاسانيد ان المشاة شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشى فى حجة الوداع فقال استعينوا بالنسلان وهو العدو الخفيف الذى لا يزعج الماشى واما مشيه صلى الله عليه وسلم مع اصحابه فكانوا يمشون بين يديه وهو خلفهم ويقول خلوا ظهرى للملئكة وهو معنى قول القائل وكان يسوق اصحابه ويماشيهم فرادى وجماعة ومشى عليه السلام فى بعض غزواته مرة وخرجت اصبعه وسال منها الدم

فقال هل انت الا اصبع دميت ۔ وفى سبيل الله ما لقيت

رواه ابو داود ولم يكن له صلى الله عليه وسلم ظل فى شمس ولا قمر رواه الترمذى والحكيم عن ذكوان وقال ابن سبع كان صلى الله عليه وسلم نورا فكان اذا مشى فى الشمس والقمر لا يظهر له ظل قال غيره ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه واجعلنى نورا واما لونه الازهر صلى الله عليه وسلم فقد وصفه جمهور اصحابه بالبياض منهم ابو بكر وعمر وعلى وابو جحيفة وابن عمر وابن عباس وابن ابى هالة والحسن بن على وابو الطفيل ومحرش الكعبى وابن مسعود والبزار وعائشة وانس فى احدى الروايتين عنه فاما ابو جحيفة فقال كان ابيض رواه البخارى واما ابو الطفيل كان ابيض مليحا رواه الترمذى فى الشمائل وفى رواية مسلم ابيض مليح الوجه وفى رواية عند الطبرانى ما انسى شدة بياض وجهه مع شدة سواد شعره وفى شعر ابى طالب

لون الشريف

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ۔ ثمال اليتامى عصمة للارامل

وقال على ابيض مشرب والمشرب هو الذى فى بياضه حمرة كما قال فى الرواية الاخرى ابيض مشرب بحمرة وبهذا فسر قول انس فى صحيح مسلم ازهر اللون وفى النسائى من حديث ابى هريرة بينا النبى صلى الله عليه وسلم جالس بين اصحابه جاء رجل فقال ايكم ابن عبد المطلب قالوا هذا الامغر المرتفق والامغر المشرب بحمرة والمرتفق المتكى على مرفقه وفى البخارى من حديث انس ليس بابيض امهق قال الحافظ بن حجر ووقع عند الداودى تبعا لرواية المروزى امهق ليس بابيض وفى رواية عند ابى حاتم اسمر واستشكله بعضهم وقال ان غالب هذه الروايات مدافع وبعضها ممكن الجمع كالابيض مع رواية مشرب بحمرة والازهر وبعضها غير ممكن الجمع كالابيض مع رواية مشرب بحمرة والازهر

وبعضها

وبعضها غير ممكن الجمع كالابيض الشديد الوضح مع الاسمر واعترض الداودى رواية امهق ليس بابيض وهى التى وقعت عنده تبعا لرواية المروزى وقال القاضى عياض انها وهم قال وكذلك رواية من روى انه ليس بالابيض ولا الادم وليس بصواب قال الحافظ بن حجر هذا ليس بجيد لان المراد انه ليس بالابيض الشديد البياض ولا بالادم الشديد الادمة وانما يخالط بياضه الحمرة والعرب قد تطلق على كل من كان كذلك اسمر ولهذا جاء فى حديث انس عند احمد والبزار وابن منده باسناد صحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اسمر واخرجه البيهقى فى الدلائل من وجه آخر عن انس فذكر الصفة النبوة فقال كان النبى صلى الله عليه وسلم ابيض بياضه الى السمرة وفى حديث ابن عباس فى صفته صلى الله عليه وسلم رجل بين رجلين جسمه ولحمه احمر الى البياض اخرجه احمد وقد تبين من مجموع الروايات ان المراد بالسمرة الحمرة التى تخالط البياض وان المراد بالبياض المثبت ما تخالطه الحمرة والمنفى ما لا تخالطه وهو الذى تكره العرب لونه وتسميه امهق وبهذا تبين ان رواية المروزى امهق ليس بابيض مقلوبة على انه يمكن توجيهها بان المراد بالامهق الاخضر اللون الذى ليس بياضه فى الغاية ولا سمرته ولا حمرته فقد نقل عن رواية ان المهق خضرة الماء فهذا التوجيه يتم على تقدير ثبوت الرواية وقد تقدم فى حديث ابى جحيفة اطلاق كونه ابيض وكذا فى حديث ابى الطفيل عند الترمذى ومسلم وفى حديث سراقة عند ابن اسحق فجعلت انظر الى ساقه كانها جمارة ولاحمد من حديث محرش الكعبى فى عمرة الجعرانة فنظرت الى ظهره كانه سبيكة فضة وعن سعيد بن المسيب انه سمع ابا هريرة يصف صلى الله عليه وسلم فقال كان شديد البياض اخرجه يعقوب بن سفيان والبزار باسناد قوى ويجمع بينهما بما تقدم وقال البيهقى يقال ان المشرب فيه حمرة والى السمرة ما ضحى للشمس والريح اى كالوجه والعنق واما ما تحت الثياب فهو الازهر الابيض انتهى وهذا ذكره ابن ابى خيثمة عقب حديث عائشة فى صفته صلى الله عليه وسلم بابسط من هذا وزاد ولونه الذى لا يشك فيه الابيض الازهر انتهى والله اعلم وقد تعقب بعضهم قول من قال انما وصف بالسمرة ما كانت الشمس تصيب منه بان انسا لا يخفى عليه امره حتى يصفه بغير صفته اللازمة له لقربه منه ولم يكن عليه السلام ملازما للشمس نعم لو وصفه بذلك بعض القادمين ممن صادفه فى وقت غيرته الشمس لامكن فالاولى حمل السمرة فى رواية انس على الحمرة التى تخالط البياض كما قدمناه تنبيه فى الشفاء حكاية عن احمد بن ابى سليمان صاحب سحنون من قال ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل انتهى وهذا يقتضى ان مجرد الكذب عليه فى صفة

طيب ريحه صلى الله عليه وسلم

من صفاته كفر يوجب القتل وليس كذلك بل لا بد من ضميمة ما يشعر بنقص فى ذلك كما فى مسئلتنا هذه فان الاسود لون مفضول **واما طيب ريحه صلى الله عليه وسلم** وعرقه وفضلاته فقد كانت الرايحة الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم وان لم يمس طيبا وروينا عن انس قال ما مسست ريحا قط ولا مسكا ولا عنبرا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث رواه احمد وفى رواية البخارى ولا شممت مسكة ولا عنبرة اطيب من رايحة النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية الترمذى ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان اطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ۰ وقوله شممت بكسر الميم الاولى وسكون الثانية وعن ام عاصم امراة عقبة بن فرقد السلمى قالت كنا عند عتبه اربع نسوة فما منا امرأة الا وهى تجتهد فى الطيب لتكون اطيب من صاحبتها وما يمس عتبة الطيب الا ان يمس دهنا يمسح به لحيته ولهو اطيب ريحا منا وكان اذا خرج الى الناس قالوا ما شممنا ريحا اطيب من ريح عتبة فقلت له يوما انا لنجتهد فى الطيب ولانت اطيب ريحا منا فمم ذلك قال اخذنى الشرى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته فشكوت اليه ذلك فامرنى ان اتجرد فتجردت وقعدت بين يديه والقيت ثوبى على فرجى فنفث فى يده ثم مسح ظهرى وبطنى بيده فعبق بى هذا الطيب من يومئذ رواه الطبرانى فى معجمه الصغير ۰ وروى ابو يعلى والطبرانى فى قصة الذى استعان به النبى صلى الله عليه وسلم على تجهيز ابنته فلم يكن عنده شئ فاستدعى بقارورة فسلت له فيها من عرقه وقال مرها فلتطيب به فكانت اذا تطيبت به شم اهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين ۰ وقال جابر بن عبد الله كان فى رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال لم يكن فى طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيب عرقه وعرقه ولم يكن يمر بحجر الا سجد له رواه الدارمى والبيهقى وابو نعيم ولله در القائل

فلو ان ركبا يممموك لقادهم ۰ ... نسيمك حتى يستدل به الركب ۰

وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر فى طريق من طرق المدينة وجدوا منه رايحة الطيب وقالوا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق رواه ابو يعلى والبزار باسناد صحيح ۰ وما احسن قول القائل

يروح على غير الطريق الذى غدا ۰ ... عليها فلا تنهى علاة نهاته ۰
تنفسه فى الوقت انفاس عطره ۰ ... فمن طيبه طابت له طرقاته ۰
تروح له الارواح حيث تنسمت ۰ ... لها سحرا من حيه نسماته ۰

وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها وانورهم لونا لم يصفه واصفه قط الا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر وكان عرقه

فى وجهه

فى وجهه مثل اللؤلؤ اطيب من المسك الاذفر رواه ابو نعيم وعن انس قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندنا فعرق وجاءت امى بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال يا ام سليم ما هذا الذى تصنعين قالت هذا عرقك نجعله لطيبنا وهو اطيب الطيب رواه مسلم ۰ وفى رواية له كان صلى الله عليه وسلم يدخل بيت ام سليم فينام على فراشها وليست فيه فجاءت ذات يوم فقام على فراشها فاتيت فقيل لها هذا النبى نائم فى بيتك على فراشك قال فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة اديم على الفراش ففتحت عتيدها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره فى قواريرها ففزع صلى الله عليه وسلم فقال ما تصنعين يا ام سليم قالت يا رسول الله نرجوا بركته لصبياننا قال اصبت والعتيدة كالصندوق الصغير الذى تترك فيه المرءة ما يعز عليها من متاعها واما ما روى ان الورد خلق من عرقه صلى الله عليه وسلم او من عرق البراق فقال شيخنا فى الاحاديث المشهورة قال النووى لا يصح وقال شيخ الاسلام ابن حجر انه موضوع وسبقه لذلك ابن عساكر وهو فى مسند الفردوس بلفظ الورد الابيض خلق من عرقى ليلة المعراج والورد الاحمر خلق من عرق جبريل والورد الاصفر خلق من عرق البراق رواه من طريق مكى بن بندار الزنجانى حدثنا الحسن بن على بن عبد الواحد القرشى حدثنا هشام بن عمار عن الزهرى عن انس به مرفوعا ثم قال ابن مسعود حدث به ابو عبد الله الحاكم عن رجل عن مكى ومكى تفرد به انتهى ورواه ابو الحسين بن فارس اللغوى فى الريحان والراح له عن مكى به ومكى ممن اتهمه الدارقطنى بالوضع وله طريق اخرى رواه ابو الفرج النهروانى فى الخامس والتسعين من الجليس الصالح له من طريق محمد بن عنبسه بن حماد حدثنا ابى عن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار عن انس رفعه لما عرج بى الى السماء بكت الارض من بعدى فنبت اللصف من نباتها فلما ان رجعت قطر من عرقى على الارض فنبت وردا احمر الا من اراد ان يشم رايحتى فليشم الورد الاحمر ثم قال ابو الفرج اللصف الكبر قال وما اتى به هذا الخبر فهو اليسير من كثير مما اكرم الله به نبيه ودل على فضله ورفيع منزلته انتهى وانما ذكرته ليعلم وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من جونة عطار قال غيره مسها بطيب او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبى فيعرف من بين الصبيان بريحها وجونة العطار بضم الجيم وهمزة بعدها ويجوز تخفيفها وواسلة مستديرة مغشاة ادما ۰ وقد ورد مما عزاه القاضى عياض للاخباريين ومن الف فى الشمائل الكريمة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد

ان يتغوط انشقت الارض وابتلعت بوله وغائطه وفاحت لذلك رائحة طيبة
على غيره ولم يطلع على ما يخرج منه بشر قط واسند محمد بن سعد كاتب الواقدى
كما فى بعض نسخ الشفا وقالوا انه ليس من الرواية ولا من حواشى اصل بن جبير
بل من حواشى غيره عن عائشة رضى الله عنها انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم
انك تاتى الخلا فلا نرى منك شيئا من الاذى فقال يا عائشة او ما علمت ان الارض
تبلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شئ انتهى وفى الشفا لابن سبع عن بعض
الصحابة قال صحبته صلى الله عليه وسلم فى سفر فلما اراد قضاء الحاجة تاملته
وقد دخل مكانا فقضى حاجته فدخلت الموضع الذى خرج منه فلم ارله اثر غائط
ولا بول ورايت فى ذلك الموضع ثلاثة احجار فاخذتهن فوجدت لهن رائحة طيبة
وعطر قلت وقد سئل الحافظ عبد الغنى المقدسى هل روى انه صلى الله عليه
وسلم كان ما يخرج منه تبلعه الارض قال قد روى انه صلى الله عليه وسلم كان
ما يخرج منه تبتلعه الارض قال قد روى ذلك من وجه غريب والظاهر يؤتين
فانه لم يذكر عن احد من الصحابة انه راه ولا ذكره واما البول فقد شاهده غير واحد
وشربته ام ايمن والله اعلم انتهى لكن قال البيهقى واما الحديث الذى اخبرنا به
ابو الحسين بن بشر اسمعيل بن محمد الصفار حدثنا زيد بن اسمعيل الصائغ حدثنا
حسين بن علوان عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت كان النبى اذا دخل
للغائط دخلت فى اثره فلا ارى شيئا الا انى كنت اشم رائحة الطيب فذكرت ذلك
له فقال يا عائشة اما علمت ان اجسادنا نبتت على ارواح اهل الجنة وما خرج منها
ابتلعته الارض فهذا من موضوعات الحسين بن علوان لا ينبغى ذكره ففى الاحاديث
الصحيحة والمشهور فى معجزاته كفاية عن كذب ابن علوان انتهى لكن للحديث طريق
غير طريق ابن علوان فعند الدارقطنى فى الافراد حدثنا محمد بن سليمن الباهلى
حدثنا محمد بن حسان الاموى حدثنا عبدة سليمان عن هشام بن عروة عن عائشة
قالت يا رسول الله انى اراك تدخل الخلاء ثم ياتى الذى بعدك فلا يرى لما يخرج منك
اثرا فقال يا عائشة اما علمت ان الله امر الارض ان تبتلع ما خرج من الانبياء ومحمد
بن حسان بغدادى ثقة وهو من رجال الصحيح وله طريق اخرى عند ابن سعد
واخرى عند الحاكم فى مستدركه وروى انه كان يتبرك ببوله ودمه صلى الله
عليه وسلم فروى ابن حبان فى الضعفا عن ابن عباس قال حجم النبى صلى الله عليه
وسلم غلام لبعض قريش فلما فرغ من حجامته اخذ الدم فذهب به من وراء الحائط
فنظر يمينا وشمالا فلم ير احدا تحسا دمه حتى فرغ ثم اقبل فنظر فى وجهه فقال ويحك

ماصنعت

ماصنعت بالدم قلت غيبته من وراء الحائط قال اين غيبته قلت نفست على دمك
يا رسول الله
ان اهريقه فى الارض فهو فى بطنى فقال اذهب فقد احرزت نفسك من النار وفى سنن
سعيد بن منصور من طريق عمرو بن السائب انه بلغه ان مالكا والد ابى سعيد الخدرى
لما جرح النبى صلى الله عليه وسلم مص جرحه حتى انقاه ولاح ابيض فقيل له مجه
فقال لا والله لا امجه ابدا ثم ازدرده فقال النبى صلى الله عليه وسلم من اراد ان
ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا فاستشهد واخرج البزار والطبرانى والحاكم
والبيهقى وابو نعيم فى الحلية من حديث عامر بن عبد الله بن الزبير عن ابيه قال احتجم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطانى الدم فقال اذهب فغيبه فذهبت فشربته
فاتيته صلى الله عليه وسلم قال ما صنعت قلت غيبته قال لعلك شربته قلت شربته
فقال ويل لك من الناس وويل للناس منك وعند الدارقطنى من حديث اسماء بنت ابى بكر
نحوه وفيه فلا تمسك النار وفى كمال الجواهر المكنون فى ذكر القبائل والبطون انه لما شرب
دمه صلى الله عليه وسلم تضوع فمه مسكا وبقيت رائحته موجودة فى فمه الى ان صلب
رضى الله عنه واخرج الحسن بن سفيان فى مسنده والحاكم والدارقطنى والطبرانى و
ابو نعيم من حديث ابى مالك النخعى عن الاسود بن قيس عن نبيح العنزى عن ام ايمن قالت
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل الى فخارة فى جانب البيت فبال فيها فقمت
من الليل وانا عطشانة فشربت ما فيها وانا لا اشعر فلما اصبح النبى صلى الله عليه وسلم
قال يا ام ايمن قومى فاهريقى ما فى تلك الفخارة فقلت قد والله شربت ما فيها قالت فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال اما والله لا تيجعن بطنك
ابدا وعن ابن جريج قال اخبرت ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يبول فى قدح من
عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فاذا القدح ليس فيه شئ فقال لامراة يقال لها
بركة كانت تخدم ام حبيبة جاءت معها من ارض الحبشة اين البول الذى كان فى القدح
قالت شربته قالت صحة يا ام يوسف فما مرضت قط حتى كان مرضها الذى ماتت فيه
وروى ابو داود عن ابن جريج عن حليمة عن امها اميمة بنت رقيقة وصحح ابن دحية
انهما قضيتان وقعتا لامراتين وقد وضح ان بركة ام يوسف غير بركة ام ايمن وهو الذى
ذهب اليه شيخ الاسلام البلقينى وفى هذه الاحاديث دلالة على طهارة بوله ودمه
صلى الله عليه وسلم قال النووى فى شرح المهذب واستدل من قال بطهارتهما
بالحديثين المعروفين ان ابا طيبة الحجام حجمه صلى الله عليه وسلم وشرب دمه ولم ينكر
عليه وان امراة شربت بوله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليها وحديث ابى طيبة
ضعيف وحديث شرب المراة البول صحيح رواه الدارقطنى وقال هو حديث حسن صحيح

وذلك كاف فى الاحتجاج لكل الفضلات قياسا ثم قال القاضى حسين قال الاصح
القطع بطهارة الجميع انتهى وبهذا قال ابو حنيفة كما قاله العينى وابو طيبة بفتح الطا
المهملة وسكون الياء المثناة تحت وبالموحدة نافع الحجام مولى محيصة بضم الميم
وفتح المهملة وتشديد المثناة تحت وكسرها هو ابن مسعود الانصارى وقال شيخ
الاسلام ابن حجر قد تكاثرت الادلة على طهارة فضلاته صلى الله عليه وسلم وعد
الائمة ذلك من خصائصه انتهى قال بعضهم وكان السر فى ذلك ما روى من صنيع
الملكين حين غسلا جوفه والله اعلم واما سيرته عليه السلام فى البراز ففى حديث
عائشة عند ابى عوانة فى صحيحه والحاكم ما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قائما منذ انزل عليه القران وفى حديث عبد الرحمن بن حسنة عند النسائى وابن
ماجة انه صلى الله عليه وسلم بال جالسا فقال انظروا اليه يبول كما تبول المرءة و
حكى ابن ماجة عند بعض مشايخه انه قال كان من شان العرب البول قائما ويؤيده
ما فى حديث عبد الرحمن من هذا وفيه دلالة على انه كان يخالفهم فى ذلك فيقعد
لكونه استر وابعد من مساسة البول وقال حذيفة اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم سباطة قوم فبال قائما ثم دعا بماء فجئته بما فتوضأ رواه البخارى وفى رواية
غيره بال قائما ففحج رجليه اى فرقهما وباعد ما بينهما والسباطة بضم المهملة وبعدها
موحدة هى المزبلة والكناسة تكون بفناء الدور مرفقا لاهلها ويكون فى الغالب
سهلة لا يرتد فيها البول على البائل واضافتها الى القوم اضافة اختصاص لا ملك
لانها لا تخلو عن النجاسة وبهذا يندفع ايراد من استشكله لكون البول يوهى الجدار
ففيه اضرار او يقول انما بال فوق السباطة لا فى اصل الجدار وهو صريح فى رواية ابى
عوانة فى صحيحه وقيل يحتمل ان يكون علم اذنهم فى ذلك بالتصريح او غيره او لكونه مما
يتسامح الناس به او لعلمه بايثارهم اياه بذلك او لكونه يجوز له التصرف فى مال امته
دون غيره لانه اولى بالمؤمنين من انفسهم واموالهم وهذا وان كان صحيح المعنى لكن لم
يعهد ذلك من سيرته ومكارم اخلاقه صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن حجر
واما مخالفته صلى الله عليه وسلم لما عرف من عادته من الابعاد عند قضاء الحاجة
عن الطرق المسلوكة وعن اعين النظار فقد قيل فيه انه صلى الله عليه وسلم كان مشغولا
بمصالح المسلمين ولعله طال عليه المجلس حتى احتاج الى البول فلو ابعد لتضرر واستدنى
حذيفة ليستره من خلفه عن رؤية من لعله يراه ولعله فعله لبيان الجواز ثم هو
فى البول اخف من الغائط لاحتياجه الى زيادة تكشف والغرض من الابعاد التستر وهو
يحصل بارخاء الذيل والدنو من الساتر وروى الطبرانى من حديث عصمة بن مالك قال

سيرته عليه السلام

خرج علينا

خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض سكك المدينة فانتهى الى سباطة قوم
فقال يا حذيفة استرنى فذكر الحديث وظهر منه الحكمة فى ادنائه حذيفة فى تلك الحالة
وقيل انما بال قائما لانها يؤمن معها خروج الريح بصوت ففعل ذلك لكونه قريبا من الديار
ويؤيده ما رواه عبد الرزاق عن عمر رضى الله عنه قال البول قائما احصن للدبر وقيل السبب
فى ذلك ما روى عن الشافعى واحمد ان العرب كانت تستشفى لوجع الصلب بذلك فلعله
كان به وروى الحاكم والبيهقى من حديث ابى هريرة قال انما بال صلى الله عليه وسلم قائما
لجرح كان بمأبضه والمأبض بهمزة ساكنة بعدها موحدة ثم معجمة باطن الركبة فكانه
لم يتمكن لاجله من القعود ولو صح هذا الحديث لكان فيه غنى عن جميع ما تقدم ولكن
ضعفه الدارقطنى والبيهقى والاظهر انه فعل ذلك لبيان الجواز وكان اكثر احواله البول
عن قعود وقيل ان البول عن قيام منسوخ واستدل بحديث عائشة المتقدم والصواب
انه غير منسوخ والجواب عن حديث عايشة انه مستند الى علمها فيحمل على ما وقع منه فى
البيوت واما غير البيوت فلم تطلع هى عليه وقد حفظه حذيفة وهو من كبار الصحابة وهو
جائز من غير كراهة اذا امن الرشاش وكان صلى الله عليه وسلم اذا اراد يدخل الخلا قال
اللهم انى اعوذ بك من الخبث والخبائث رواه البخارى من حديث انس والخبث بضم المعجمة
والموحدة ومراده ذكران الشياطين واناثهم وقد كان عليه السلام يستعيذ اظهارا
للعبودية ويجهر بذلك للتعليم وهل يختص هذا الذكر بالابنية المعدة لذلك لكونها
حضرة الشياطين او يعم الاصح الثانى ويقول ذلك قبل الدخول فى الامكنة واما فى
غيرها فيقول فى اول الشروع كتشمير ثيابه مثلا وهذا مذهب الجمهور فلو نسى يستعيذ
بقلبه لا بلسانه وعن انس كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد الحاجة لم يرفع ثوبه حتى
يدنو من الارض رواه الترمذى وابو داود والدارمى وعن عائشة قالت كان صلى
الله عليه وسلم اذا خرج من الخلا قال الحمد لله الذى اذهب عنى الاذى وعافانى رواه
ابن ماجه وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتى احدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا
يولها ظهره شرقوا او غربوا رواه البخارى من حديث ابى ايوب الانصارى وهذا فى
الصحراء اما فى البنيان فلا لما روى عن ابن عمر ارتقيت فوق بيت حفصة لبعض حاجتى
فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته مستدبر القبلة مستقبل
الشام رواه الشيخان واما حديث جابر عند ابى داود وابن خزيمة ولفظه عند احمد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهانا ان نستدبر القبلة او نستقبلها بفروجنا
اذا اهرقنا الماء قال ثم رايته قبل موته بعام مستقبل القبلة فقال فى فتح البارى الحق انه
ليس بناسخ لحديث النهى خلافا لمن زعمه بل هو محمول على انه راه فى بناء او نحوه لان ذلك

هو المعهود من حاله صلى الله عليه وسلم لمبالغته في التستر ودعوى خصوصية
ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم لا دليل عليه اذ الخصائص لا تثبت بالاحتمال ومذهب
الجمهور وهو مذهب مالك والشافعي واستحق التفريق بين البنيان والصحراء وهذا
اعدل الاقوال لاعماله جميع الادلة وقال قوم بالتحريم مطلقا وهو المشهور عن ابي
حنيفة واحمد ورجحه من المالكية ابن العربي وحجتهم ان النهي مقدم على الاباحة
ولم يصححوا حديث جابر المتقدم وقال قوم بالجواز مطلقا وهو قول عائشة وعروة
وربيعة محتجين بان الاحاديث تعارضت فلنرجع الى اصل الاباحة وفي البخاري
عن انس كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج لحاجة اجي وانا غلام معنا اداوة من
ماء يعني يستنجي به ، وفي رواية مسلم عنه فخرج علينا وقد استنجى بالماء ، وعن ابي
هريرة قال اتبعت النبي صلى الله عليه وسلم وخرج لحاجة فقال ابغني احجارا استنفض
بها ولا تاتني بعظم ولا روث فاتيته باحجار بطرف ثيابي فوضعها الى جنبه فلما قضى
حاجته اتبعه بهن وعن عبد الله بن مسعود قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم
الغائط فامرني ان اتيه بثلاثة احجار فوجدت حجرين والتمست الثالث فلم اجد فاخذت
روثة فاتيته بها فاخذ الحجرين والقى الروثة رواه البخاري وفي حديث سليمان عند
مسلم مرفوعا لا يستنج احدكم باقل من ثلاثة احجار وقد اخذ الشافعي واحمد واصحاب الحديث
بهذا فاشترطوا ان لا ينقص من الثلاثة مع مراعاة الانقا اذا لم يحصل بها فيزاد حتى
ينقى ويستحب حينئذ الايتار لقوله عليه السلام من استجمر فليوتر وليس بواجب لزيادة
في ابي داود حسنة الاسناد قال ومن لا فلا حرج قال الخطابي لو كان القصد الانقاء فقط
لخلا اشتراط العدد عن الفائدة فلما اشترط العدد لفظا وعلم الانقا فيه معنى دل
على ايجاب الامرين ونظيره العدة بالاقرا فان العدد مشترط ولو تحققت براءة الرحم
بقرء واحد وقال الطحاوي لو كان العدد مشترطا لطلب عليه السلام حجرا ثالثا وغفل
رحمه الله كما اخرجه احمد في مسنده من طريق معمر عن ابن مسعود في هذا الحديث فان
فيه فالقى الروثة وقال انها ركس ائتني بحجر ورجاله ثقات اثبات واستدلال الطحاوي
فيه نظر لاحتمال ان يكون اكتفى بطرف احدهما عن الثالث لان المقصود بالثلاثة ان
يمسح بها ثلاث مسحات وذلك حاصل ولو بواحد انتهى ملخصا من فتح الباري

الفصل الثاني فيما اكرمه الله تعالى به من الاخلاق الزكية وشرفه به من الاوصاف المرضية

اعلم ان الاخلاق جمع خلق بضم الخاء واللام ويجوز اسكانه قال الراغب
الخلق والخُلق بالفتح وبالضم في الاصل بمعنى واحد كالشَرب والشُرب لكن خص الخَلق
الذي بالفتح بالهيئات والصور المدركة بالبصر وخص الخُلق الذي بالضم بالقوى

والسجايا

والسجايا المدركة بالبصيرة انتهى وقد اختلف هل حسن الخلق غريزة ام مكتسب وتمسك
من قال بانه غريزة بحديث ابن مسعود ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم الحديث
رواه البخاري وقال القرطبي الخلق جبلة في نوع الانسان وهم في ذلك متفاوتون فمن
غلب عليه شيء منها كان محمودا والا فهو المامور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودا
وكذا ان كان ضعيفا فيرتاض صاحبه حتى يقوى وقد وقع في حديث الاشج انه
صلى الله عليه وسلم قال له ان فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناءة قال
يا رسول الله قديما كان في او حديثا قال قديما قال الحمد لله الذي جبلني على خلقين
يحبهما الله رواه احمد والنسائي وصححه ابن حبان فترديد السؤال وتقريره عليه
يشعر بان في الخلق ما هو جبلي وما هو مكتسب وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي اخرجه احمد وصححه ابن حبان وعند مسلم في حديث
دعاء الافتتاح واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت ولما اجتمع فيه
صلى الله عليه وسلم من خصال الكمال ما لا يحيط به حد ولا يحصره عد اثنى الله تعالى
عليه في كتابه الكريم فقال وانك لعلى خلق عظيم وكلمة على للاستعلاء فدل اللفظ
على انه مستعل على هذه الاخلاق ومستول عليها والخلق ملكة نفسانية يسهل على
المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة وقد وصف الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
بما يرجع الى قوته العلمية بانه عظيم فقال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله
عليك عظيما ووصف ما يرجع الى قوته العملية بانه عظيم فقال وانك لعلى خلق عظيم
فدل مجموع هاتين الايتين على ان روحه فيما بين الارواح البشرية عظيمة عالية الدرجة
كانها لقوتها وشدة كمالها كانت من جنس ارواح الملائكة قال الحليمي وانما وصف خلقه
بالعظم مع ان الغالب وصف الخلق بالكرم لان كرم الخلق يراد به السماحة والدماثة
ولم يكن خلقه صلى الله عليه وسلم مقصورا على ذلك بل كان رحيما بالمؤمنين رفيقا
بهم شديدا على الكفار غليظا عليهم مهيبا في صدور الاعداء منصورا بالرعب منهم
على مسيرة شهر فكان وصف خلقه بالعظم اولى ليشمل الانعام والانتقام وقال
الجنيد وانما كان خلقه صلى الله عليه وسلم عظيما لانه لم يكن له همة سوى الله تعالى
وقيل لانه عليه السلام عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه وقيل لاجتماع مكارم الاخلاق
فيه قال عليه السلام فيما رواه الطبراني في الاوسط بسند فيه عمر بن ابرهيم
المقدسي وهو ضعيف عن جابر ان الله بعثني بتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال
وفي رواية مالك في الموطا بلاغا بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فجميع الاخلاق الحميدة
كلها كانت فيه صلى الله عليه وسلم فانه اذب بالقران كما قالت عائشة رضي الله عنها

كان خلقه القرآن قال بعض العارفين وقد علم ان القرآن فيه المتشابه الذى لا يعلم تاويله
الا الله والراسخون فى العلم يقولون امنا به اى اقررناه فى نصابه واقررنا به من خلف
حجابه ونقلدنا بسيف الحجة به ولكن فى قرابه وما كونه مما يحصل مقلة وآخذه (اى خفى ادراكه)
مما تحس الانامل (اى لم تفهم معناه) • وقال صاحب عوارف المعارف ولا يبعد ان قول عائشة رضى الله
عنها ان خلقه القرآن فيه رمز غامض وايماء خفى الى الاخلاق الربانية فاحتشمت
الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان
خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطيف المقال وهذا من وفور
عقلها وكمال ادبها انتهى فكما ان معانى القرآن لا تتناهى فكذلك اوصافه الجميلة الدالة
على خلقه العظيم لا تتناهى اذ فى كل حالة من احواله يتجدد له من مكارم الاخلاق ومحاسن
الشيم وما يفيضه الله تعالى عليه فى معارفه وعلومه ما لا يعلمه الا الله تعالى فاذا
التعرض لحصر جزئيات اخلاقه الحميدة تعرض لما ليس من مقدور الانسان ولا من ممكنات
عاداته قال الحوالى وهو كما فى القاموس بتشديد اللام نسبة الى قبيلة بالبربر اسمه على بن احمد
بن الحسن ذو التصانيف المشهورة ولما كان عرفان قلبه عليه السلام بربه عز وجل
كما قال عليه السلام بربى عرفت كل شئ كانت اخلاقه اعظم خلق فلذلك بعثه الى الناس
كلهم ولم يقصر رسالته على الانس حتى عمت الجن ولم يقصرها على الثقلين حتى عمت
جميع العالمين فكل من كان الله ربه فمحمد رسوله وكما ان الربوبية تعم العالمين فالخلق
المحمدى يشمل جميع العالمين انتهى وهذا مصير منه الى انه صلى الله عليه وسلم قد ارسل
الى الملئكة ايضا وسياتى الكلام فى ذلك مستوفى ان شاء الله تعالى وهو المستعان
وقد كان صلى الله عليه وسلم مجبولا على الاخلاق الكريمة فى اصل خلقته الزكية النقية
لم يحصل له ذلك برياضة نفس بل بجود الهى ولهذا لم تزل تشرق انوار المعارف فى قلبه
حتى وصل الى الغاية العليا والمقام الاسنى واصل هذه الخصال الحميدة والمواهب
المجيدة كمال العقل لان به تقتبس الفضائل وتجتنب الرذائل فالعقل لسان الروح وترجمان
البصيرة والبصيرة للروح بمثابة القلب والعقل بمثابة اللسان قال بعضهم لكل شئ
جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل البصيرة واما ما روى ان الله تعالى لما خلق
العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال ادبر فادبر فقال وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا اشرف
منك فبك آخذ وبك اعطى فقال ابن تيمية وتبعه غيره انه كذب موضوع باتفاق انتهى
وفى رواية عبد الله بن الامام احمد على الزهد لابيه عن على بن مسلم عن يسار بن حاتم
وهو ممن ضعفه غير واحد وكان جماعا للرقائق • وقال القواريرى انه لم يكن له عقل
قال حدثنا جعفر بن سليمن الضبيعى حدثنا مالك بن دينار عن الحسن البصرى مرسلا

الضمير [illegible]

لما خلق الله العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر قال ما خلقت خلقا احب الى منك
بك آخذ وبك اعطى واخرجه داود بن المحبر فى كتاب العقل وابن المحبر كذاب قال الحافظ ابو الفضل
بن حجر والوارد فى اول ما خلق الله القلم وهو اثبت من حديث العقل ولابى الشيخ عن قرة بن اياس
المزنى رفعه الناس يعملون الخير وانما يعطون اجورهم على قدر عقولهم وقد اختلف فى
ماهية العقل اختلافا طويلا يطول استقصاؤه وفى القاموس ومن خط مؤلفه
نقلت العقل العلم او بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها او العلم
بخير الخيرين وشر الشرين او يطلق لامور لقوة بها يكون التمييز بين القبيح والحسن ولمعان
مجتمعة فى الذهن تكون بمقدمات يستتب بها الاغراض والمصالح والهيئة محمودة للانسان
فى حركاته وكلماته والحق انه روحانى به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية وابتداء
وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ انتهى وقد كان صلى
الله عليه وسلم من كمال العقل فى الغاية القصوى التى لم يبلغها بشر سواه ولهذا كانت
معارفه عظيمة وخصائصه جسيمة حارت العقول فى فيض ما افاضه من غيبه لديه
وكلت الافكار فى معرفة بعض ما اطلعه الله عليه وكيف لا يعطى ذلك وقد امتلأ
قلبه وباطنه وفاض على جسده المكرم لما وهبه من اسرار الهيبة ومعرفة ربوبيته
وتحقق عبوديته قال وهب بن منبه قرأت فى احد وسبعين كتابا فوجدت فى جميعها
ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله
صلى الله عليه وسلم الا كحبة رملة بين رمل من جميع رمال الدنيا وان محمدا صلى
الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا رواه ابو نعيم فى الحلية وابن عساكر
وعن بعضهم مما هو فى عوارف المعارف اللب والعقل مائة جزء تسعة وتسعون فى النبى
صلى الله عليه وسلم وجزء فى سائر المؤمنين ومن تامل حسن تدبيره للعرب الذين
هم كالوحش الشارد والطبع المتنافر المتباعد وكيف ساسهم واحتمل جفاهم وصبر
على اذاهم الى ان انقادوا اليه واجتمعوا عليه وقاتلوا دونه اهليهم وآباءهم وابناءهم
واختاروه على انفسهم وهجروا فى رضاه اوطانهم واحبابهم من غير ممارسة سبقت
له ولا مطالعة كتب يتعلم منها سير الماضين تحقق انه اعقل العالمين ولما كان عقله
عليه السلام اوسع العقول لا جرم اتسعت اخلاق نفسه الكريمة اتساعا لا يضيق
عن شئ فمن ذلك اتساع خلقه العظيم فى الحلم والعفو مع القدرة وصبره عليه السلام
على ما يكره وحسبك صبره وعفوه عليه السلام على الكافرين به المقاتلين المحاربين له
فى اشد ما نالوه به من الجراح والجهد بحيث كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد حتى
صار الدم يسيل على وجهه الشريف حتى شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت

قف على ابتداء وجود العقل

عليهم فقال انى لم ابعث لعانا ولكنى بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومى واهد قومى
فانهم لا يعلمون قال ابن حبان اى اغفر لهم ذنبهم فى شج وجهى لا انه اراد الدعا لهم
بالمغفرة مطلقا اذ لو كان كذلك لاجيب ولو اجيب لاسلموا كلهم كذا قال رحمه الله وقد
روى عن عمر انه قال فى بعض كلامه بابى انت وامى يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه
فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الآية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا
من عند اخرنا فقد وطئ ظهرك وادمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول
الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وههنا دقيقة وهى انه عليه السلام
لما شج وجهه عفا وقال اللهم اهد قومى وحين شغلوه عن الصلاة يوم الخندق
قال اللهم املأ بطونهم نارا فتحمل الشجة الحاصلة فى وجه جسده الشريف وما تحمل
الشجة الحاصلة فى وجه دينه فان وجه الدين هو الصلاة فرجح حق خالقه على
حقه واعلم ان الصبر على الاذى جهاد النفس وقد جبل الله تعالى النفس على التالم
بما يفعل بها ولهذا شق عليه صلى الله عليه وسلم نسبتهم له الى الجور فى القسمة
لكنه عليه السلام حلم على القائل وصبر لما علم من جزيل ثواب الصابر وان الله يأجره
بغير حساب وصبره عليه السلام على الاذى انما هو فيما كان فى حق نفسه واما
اذا كان لله فانه يمتثل فيه امر الله تعالى من الشدة كما قال له تعالى يا أيها النبى
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقد وقع له عليه السلام انه غضب
لاسباب مختلفة مرجعها الى ان ذلك كان فى امر الله واظهر الغضب فيها ليكون
اوكد فى الزجر فصبره وعفوه انما كان فيما يتعلق بنفسه الشريفة صلى الله عليه
وقد روى الطبرانى وابن حبان والحاكم والبيهقى عن زيد بن سعنة بالمهملة والنون
المفتوحتين كما قيده به عبد الغنى وذكره الدارقطنى وبالمثناة التحتية ثبت فى
الشفا وصحح عليه مؤلفه بخطه وهو الذى ذكره ابن اسحق وهو كما قاله النووى
اجل احبار اليهود الذين اسلموا انه قال لم يبق من علامات النبوة شئ الا وقد
عرفته فى وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم اخبرهما
منه يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت اتلطف له لان
اخالطه فاعرف حلمه وجهله فابتعت منه تمرا الى اجل فاعطيته الثمن فلما كان قبل
محل الاجل بيومين او ثلاثة اتيته فاخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه
بوجه غليظ ثم قلت الا تقضينى يا محمد حقى فوالله انكم يا بنى عبد المطلب مطل فقال
عمر اى عدو الله اتقول لرسول الله ما اسمع فوالله لولا ما احاذر فوته لضربت
بسيفى راسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر فى سكون وتؤدة

وتبسم

وتبسم ثم قال انا وهو كنا احوج الى غير هذا منك يا عمر ان تأمرنى بحسن الاداء وتأمره بحسن
التباعة اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته ففعل
فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت
اليه الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل الا حلما فقد اختبرتهما
فاشهدك انى قد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا
وعن ابى هريرة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ثم قام فقمنا حين قام
فنظرنا الى اعرابى قد ادركه فجذبه بردائه فحمر رقبته وكان رداء خشنا فالتفت اليه فقال
له الاعرابى احملنى على بعيرى هذين فانك لا تحملنى من مالك ولا من مال ابيك فقال
له النبى صلى الله عليه وسلم لا واستغفر الله لا واستغفر الله لا واستغفر الله لا
احملك حتى تقيدنى من جبذتك التى جبذتنى فكل ذلك يقول له الاعرابى والله لا اقيدكها
فذكر الحديث قال ثم دعا رجلا فقال احمل له على بعيريه هذين على بعير تمرا وعلى
الآخر شعيرا رواه ابو داود وروى البخارى من حديث انس بلفظ كنت امشى مع
النبى صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فادركه اعرابى فجبذه بردائه
جبذة شديدة قال انس فنظرت الى صفحة عاتقه وقد اثرت فيه حاشية البرد من شدة
جبذته ثم قال يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك فالتفت اليه فضحك ثم امر له
بعطاء وفى هذا بيان حلمه عليه السلام وصبره على الاذى فى النفس والمال والتجاوز
عمن جفا يريد تأليفه على الاسلام وعن عائشة لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فحاشا
ولا متفحشا ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح رواه الترمذى اى لم يكن
له الفحش خلقا ولا مكتسبا وروى البخارى من حديث ابن عمر لم يكن صلى الله عليه
وسلم فاحشا ولا متفحشا وفى روايته ايضا من حديث انس بن مالك لم يكن النبى
صلى الله عليه وسلم سبابا ولا فحاشا ولا لعانا والفحش كل ما خرج عن مقداره حتى
يستقبح ويدخل فى القول والفعل والصفة لكن استعماله فى القول اكثر والمتفحش
بالتشديد الذى يتعمد ذلك ويكثر منه ويتكلفه وعن عائشة ان رجلا استأذن
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال بئس اخو العشيرة وبئس ابن العشيرة
فلما جلس تطلق النبى صلى الله عليه وسلم فى وجهه وانبسط اليه فلما انطلق الرجل
قالت له عائشة يا رسول الله حين رايت الرجل قلت له كذا وكذا ثم تطلقت فى
وجهه وانبسطت اليه فقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة متى عهدتنى فحاشا
ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيمة من تركه الناس اتقاء شره رواه البخارى
قال ابن بطال هذا الرجل هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى وكان يقال

له الاحمق المطاع كذا فسّره به القاضي عياض والقرطبي والنووي واخرج عبد الغني من طريق
ابي عامر الخزاعي عن عائشة قالت جاء مخرمة بن نوفل يستاذن فلما سمع النبي صلى الله عليه
وسلم صوته قال بئس اخو العشيرة الحديث والمراد بالعشيرة الجماعة او القبيلة وانما
تطلق صلى الله عليه وسلم في وجهه تالفا له ليسلم قومه لانه كان رئيسهم وقد جمع هذا
الحديث كما قاله الخطابي علما وادبا وليس قوله عليه السلام في امته بالامور التي يسمهم
بها ويصفها اليهم من المكروه غيبة وانما يكون ذلك من بعضهم في بعض بل الواجب
عليه صلى الله عليه وسلم عليه ان يبين ذلك ويفصح به ويعرف الناس امرهم فان
ذلك من باب النصيحة والشفقة على الامة ولكنه لما جبل عليه من الكرم واعطيه
من حسن الخلق اظهر له البشاشة ولم يجبه بالمكروه لتقتدي به امته في اتقاء شر
من هذا سبيله وفي مداراته ليسلموا من شره وغائلته وقال القرطبي فيه جواز غيبة
المعلن بالفسق والفحش ونحو ذلك مع جواز مداراتهم اتقاء شرهم ما لم يؤد ذلك
الى المداهنة في دين الله ثم قال تبعا للقاضي حسين والفرق بين المدارة والمداهنة — الفرق بين المداراة والمداهنة
ان المدارة بذل الدنيا لصلاح الدنيا والدين او هما معا وهي مباحة وربما استحبت
والمداهنة بذل الدين لصلاح الدنيا والنبي صلى الله عليه وسلم انما بذل له من
دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته ومع ذلك فلم يمدحه بقول فلم يناقض
قوله فيه فعله فان قوله فيه قول حق وفعله معه حسن عشرة فيزول مع هذا
التقدير الاشكال ولله الحمد قال القاضي عياض لم يكن عيينة والله اعلم حينئذ
اسلم فلم يكن القول فيه غيبة او كان اسلم ولم يكن اسلامه ناصحا فاراد النبي صلى الله
عليه وسلم ان يبين ذلك لئلا يغتر من لم يعرف باطنه وقد كانت منه في حياة النبي
صلى الله عليه وسلم وبعده امور تدل على ضعف ايمانه فيكون ما وصفه به عليه
السلام من علامات النبوة واما الانة القول بعد ان دخل في الاسلام فعلى سبيل
الايتلاف وفي فتح الباري ان عيينة ارتد في زمن الصديق وحارب ثم رجع واسلم
وحضر بعض الفتوح في زمن عمر انتهى وما انتقم صلى الله عليه وسلم لنفسه رواه
البخاري فان قلت قد صح انه صلى الله عليه وسلم امر بقتل عقبة بن ابي معيط
وعبد الله بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذيه صلى الله عليه وسلم وهذا ينافي قوله وما
انتقم لنفسه فالجواب انهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله وقيل اراد بانه
لا ينتقم اذا اوذي في غير السبّ الذي يخرج الى الكفر كما عفى عن الاعرابي الذي جفا في رفع
صوته عليه وعن الاخذ الذي جذب به برداءه حتى اثر في كتفه وحمل الداودي عدم
الانتقام على ما يختص بالمال واما العرض فقد اقتص ممن نال منه وقد اخرج الحاكم

هذا الحديث من طريق معمر عن الزهري مطولا واوله ما لعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم مسلما بذكر اي بصريح اسمه وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يضرب في سبيل
الله ولا سئل شيئا قط الا ان يسأل مأثما وما انتقم لنفسه من شيء الا ان تنتهك
حرمات الله فيكون لله ينتقم الحديث ومما روي من اتساع خلقه وحلمه صلى الله
عليه وسلم اتساع خلقه للطائفة المنافقين الذين كانوا يؤذونه اذا غاب و
يتملقون له اذا حضر وذلك مما ينفر منه النفوس البشرية حتى تؤيدها العناية
الربانية وكان عليه السلام كلما اذن له في التشديد عليهم فتح لهم صلى الله عليه
وسلم بابا من الرحمة فكان يستغفر لهم ويدعو لهم حتى نزل الله عليه استغفر
لهم او لا تستغفر لهم فقال عليه السلام خيرني ربي فاخترت ان استغفر لهم ولما
قال الله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال صلى الله عليه
وسلم لازيدن على السبعين وامر ولد الذي تولى كبره النفاق والذي منهم ببر
ابيه ولما مات كفنه في ثوب خلعه عن بدنه وصلى عليه هذا وعمر بن الخطاب رضي
الله عنه يجذب بثوبه ويقول يا رسول الله اتصلي على راس المنافقين فنتر
ثوبه من عمر وقال اليك عني يا عمر فخالف مؤمنا وليا في حق منافق عدو وكل ذلك
رحمة منه لامته اشار اليه الحرالي وقال النووي قيل انما اعطاه قميصه وكفنه
فيه تطييبا لقلب ابنه فانه كان صحابيا صالحا وقد سئل ذلك فاجابه اليه وقيل
مكافاة لعبد الله المنافق الميت لانه كان البس العباس حين اسر يوم بدر قميصا
وفي ذلك كله بيان عظيم مكارم اخلاقه صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من
هذا المنافق من الايذاء وقابله بالحسنى فالبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر
له قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ومن ذلك انه صلى الله عليه وسلم لم يؤاخذ
لبيد بن الاعصم اذ سحره وعفى عن اليهودية التي سمته في الشاة على الصحيح من
الرواية والله تعالى يرحم القائل

وعفوك نقش الفص فاختم به عذري	وما الفضل الا خاتم انت فصه

ومن ذلك شفاقه صلى الله عليه وسلم على اهل الكبائر من امته وامره اياهم بالستر
فقال من بلي بهذه القاذورات يعني المحرمات فليستتر وامر امته ان يستغفروا
للمحدود ويترحموا عليه لما حنقوا عليه فسبوه ولعنوه فقال قولوا اللهم اغفر
له اللهم ارحمه وقال لهم في رجل كان كثيرا ما يؤتى به سكران بعد تحريم الخمر فلعنوه
مرة فقال لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله فاظهر لهم مكتوم قلبه لما فضحوه
بظاهر فعله وانما ينظر الله الى القلوب طهر الله قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا ومن

ذلك ما رواه الدارقطني من حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يصغي
الى الهرة الاناء حتى تشرب ثم يتوضا بفضلها ومن ذلك اتساع خلقه في شريف تواضعه
وآدابه وحسن عشرته مع اهله وخدمه واصحابه قال بعضهم اعلم ان العبد لا يبلغ
حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفي
ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق والخلق بمحو آثارها وسكون
وهجها وغبارها وكان الحظ الاوفر من التواضع لنبينا صلى الله عليه وسلم في اوطان
القرب وحسبك من تواضعه عليه السلام ان خيره ربه تعالى بين ان يكون نبيا
ملكا ونبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فاعطاه الله بتواضعه ان جعله اول
من تنشق عنه الارض واول شافع واول مشفع فلم ياكل متكئا بعد ذلك حتى فارق
الدنيا وقد قال عليه السلام لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم انما انا عبد
فقولوا عبد الله ورسوله رواه الترمذي ومن تواضعه عليه السلام انه كان لا ينهر
خادما روينا في كتاب الترمذي عن انس قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين
فما قال لي اف قط ولا قال لي لشيء صنعته لم صنعته ولا شيء تركته لم تركته وكذلك
كان صلى الله عليه وسلم مع عبيده واماته ما ضرب منهم احدا قط وهذا امر
لا يتسع له الطباع البشرية لولا التاييدات الربانية وفي رواية مسلم ما رايت احدا
ارحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة ما ضرب صلى الله
عليه وسلم شيئا قط بيده ولا امرأة ولا خادما الا ان يجاهد في سبيل الله وما نيل
منه شيء قط فينتقم من صاحبه الا ان ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله رواه
مسلم وسئلت عائشة كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلى في بيته
قالت الين الناس بساما ضحاكا لم يرقط مادا رجليه بين اصحابه، وعنها ما كان احد
احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه الا قال
لبيك، وعند احمد وابن سعد وصححه ابن حبان عنها كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله وفي رواية لاحمد ويرقع دلوه، وعنده ايضا يفلي
ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه وهذا يتعين حمله على وقت فانه ثبت انه كان له
خدم فتارة يكون بنفسه وتارة يكون بغيره وتارة بالمشاركة، وكان يركب الحمار
ويردف خلفه وركب يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف رواه الترمذي
وعن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ان اراد الانصراف
قرب له سعد حمارا وطا عليه بقطيفة وركب صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد
يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله

علي

عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف وفي رواية اخرى اركب امامي
فصاحب الدابة اولى بمقدمها رواه ابو داود وغيره وفي البخاري من حديث انس بن مالك
اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين واني لرديف ابي طلحة وهو يسير
وبعض نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا عثرت الناقة فقلبت المرأة فقال صلى الله عليه وسلم انها امكم فشددت الرحل
وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث والمرأة صفية والردف والرديف
الراكب خلف الراكب باذنه وقال معاذ بن جبل بينا انا رديف النبي صلى الله عليه وسلم
ليس بيني وبينه الا آخرة الرحل وقد ركب صلى الله عليه وسلم على حمار على اكاف عليه
قطيفة فدكية واردف اسامة وراءه ولما قدم عليه السلام مكة استقبله اغيلمة
بني عبد المطلب فحمل واحدا بين يديه وآخر خلفه وقال ابن عباس اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد حمل قثم بين يديه والفضل خلفه او قثم خلفه والفضل بين
يديه رواه البخاري وذكر المحب الطبري في مختصر السيرة النبوية له انه صلى الله
عليه وسلم ركب حمارا عريا الى قبا وابو هريرة معه قال يا ابا هريرة احملك قال ما شئت
يا رسول الله قال اركب فوثب ابو هريرة ليركب فلم يقدر فاستمسك برسول الله صلى
الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم ركب صلى الله عليه وسلم ثم قال يا ابا هريرة احملك
فقال ما شئت يا رسول الله فقال اركب فلم يقدر ابو هريرة على ذلك فتعلق برسول
الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم ركب ثم قال يا ابا هريرة احملك فقال لا والذي
بعثك بالحق لا رميك ثالثا وذكر الطبري ايضا انه عليه السلام كان في سفر وامر
اصحابه باصلاح شاة فقال رجل يا رسول الله علي ذبحها وقال آخر يا رسول الله علي
سلخها وقال آخر يا رسول الله علي طبخها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم علي
جمع الحطب فقالوا يا رسول الله نكفيك العمل فقال قد علمت انكم تكفوني ولكني اكره
ان اتميز عليكم وان الله يكره من عبده ان يراه متميزا بين اصحابه انتهى ولم اره هذا
لغير الطبري بعد التتبع نعم رايت في جزء تمثال النعل الشريف لابي اليمن بن عساكر
بعد ان روى حديث عبد الله بن عامر بن ربيعه عن ابيه قال كنت مع النبي صلى الله
عليه وسلم في الطواف فانقطعت شسعه فقلت يا رسول ناولني اصلحه فقال
هذه اثرة ولا احب الاثرة والاثرة بفتح الهمزة والثاء الاسم من آثر يوثر اذا اعطى والاثرة
الاستيثار وهو الانفراد بالشيء قال وكانه كره صلى الله عليه وسلم ان ينفرد احد
باصلاح نعله فيحوز فضيلة الخدمة فيكون له بمثابة الخادم ويكون له صلى الله
عليه وسلم ترفع المخدوم على خادمه كره ذلك صلى الله عليه وسلم لتواضعه وعدم ترفعه

على من يصحبه ويؤيده ما روى انه صلى الله عليه وسلم اراد ان يمتهن نفسه في شيء فقالوا
نحن نكفيك يا رسول الله قال قد علمت انكم تكفونى ولكن اكره ان اتميز عليكم فان الله يكره من
عبده ان يراه متميزا بين اصحابه انتهى ثم رايت شيخنا في الاحاديث المشهورة حكى ذلك
والله الموفق • وعن ابى قتادة وفد وفد النجاشى فقام النبى صلى الله عليه وسلم يخدمهم
فقال له اصحابه نكفيك قال انهم كانوا لاصحابى مكرمين وانا احب ان اكافيهم ذكره
في الشفاء • وفي البخارى عن انس كان الرجل يجعل للنبى صلى الله عليه وسلم النخلات
حتى افتتح قريظة والنضير وان اهلى امرونى ان اتى النبى صلى الله عليه وسلم فاسئله
الذى كانوا اعطوه او بعضه وكان عليه السلام قد اعطاه ام ايمن فجاءت ام ايمن
فجعلت الثوب في عنقى تقول كلا والله الذى لا اله غيره لا يعطيكم وقد اعطانيها او كما
قالت والنبى صلى الله عليه وسلم يقول لك كذا وتقول كلا والله حتى اعطاها حسبت
انه قال عشرة امثاله او كما قال وانما فعلت هذا ام ايمن لانها ظنت انها كانت هبة مؤبدة
وتمليكا لاصل الرقبة واراد النبى صلى الله عليه وسلم استطابة قلبها في استرداد ذلك
فلاطفها وما زال يزيدها في العوض حتى رضيت وكل هذا تبرع منه صلى الله عليه وسلم
واكرام لها لما فيها من حق الحضانة والتربية ولا يخفى ما في هذا من فرط جوده وكثرة حلمه
وبره صلى الله عليه وسلم وجاءته صلى الله عليه وسلم امرأة كان في عقلها شيء فقالت
ان لى اليك حاجة فقال اجلسى في اى سكك المدينة شئت اجلس اليك • وفي رواية
مسلم حتى اقضى حاجتك فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها ولا ريب ان
هذا كله من كثرة تواضعه صلى الله عليه وسلم • وقال عبد الله بن ابى الحمساء بالحاء
المهملة المفتوحة والميم الساكنة والسين المهملة وفي آخره همزة ممدودة بايعت النبى
صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه بها في مكانه
فنسيت فذكرت بعد ثلاث فاذا هو في مكانه فقال لقد شققت على انا ههنا منذ ثلاث
انتظرك رواه ابو داود وقال ابن ابى اوفى كان عليه السلام لا يانف ان يمشى مع الارملة
والمسكين فيقضى له الحاجة رواه النسائى • وفي رواية البخارى ان كانت الارملة
لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت وفي رواية
احمد فتنطلق به في حاجتها وعنده ايضا ان كانت الوليدة من ولائد اهل المدينة لتجئ
فتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به
حيث شاءت والمقصود من الاخذ باليد لازمه وهو الانقياد وقد اشتمل على انواع
من المبالغة في التواضع لذكره المراة دون الرجل والامة دون الحرة وحيث عمم
بلفظ الاماء اى اى امة كانت ويقول حيث شاءت اى من الامكنة والتعبير

باليد الاشارة الى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست منه
مساعدتها في تلك الحالة لساعدها على ذلك وهذا من مزيد تواضعه وبراءته
من جميع انواع الكبر صلى الله عليه ودخل الحسن وهو يصلى وقد سجد فركب على ظهره
فابطأ في سجوده حتى نزل الحسن فلما فرغ قال له بعض اصحابه يا رسول الله لقد
اطلت سجودك قال ان ابنى ارتحلنى فكرهت ان اعجله اى جعلنى كالراحلة فركب على
ظهرى وكان عليه السلام يعود المرضى ويشهد الجنازة اخرجه الترمذى في
الشمائل وحج عليه السلام على رحل رث وعليه قطيفة لا تساوى اربعة دراهم فقال
اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة وكان اذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم
فيها الماء فما يؤتى باناء الا غمس يده فيه فربما جاؤه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها
رواه مسلم والترمذى • وكان عليه السلام حسن العشرة مع ازواجه وكان عليه السلام
ينام مع ازواجه قال النووى وهو ظاهر فعله الذى واظب عليه مع مواظبته صلى
الله عليه وسلم على قيام الليل فينام مع احديهن فاذا اراد القيام لوظيفته قام وتركها
فيجمع بين وظيفته واداء حقها المندوب وعشرتها بالمعروف وقد علم من هذا ان
اجتماع الزوج مع زوجته في فراش واحد افضل لا سيما ان علم من حالها حرصها
على هذا ولا يلزم من نومه معها الجماع والله اعلم وقد كان عليه السلام يسرب الى
عائشة بنات الانصار يلعبن معها رواه الشيخان واذا شربت من الاناء اخذه فوضع
فمه على موضع فمها وشرب رواه مسلم واذا تعرقت عرقا وهو العظم الذى عليه اللحم
اخذه فوضع فمه على موضع فمها رواه الشيخان ايضا وكان يتكى في حجرها ويقبلها
وهو صائم رواه الشيخان وكان يريها الحبشة وهم يلعبون في المسجد وهى متكئة
على منكبه رواه البخارى • ورواه الترمذى بلفظ قام صلى الله عليه وسلم فاذا
حبشة تزفن والصبيان حولها فقال يا عائشة تعالى فانظرى فجئت فوضعت لحيى
على منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت انظر اليها ما بين المنكب الى راسه
فقال لى اما شبعت اما شبعت قالت فجعلت اقول لا لا وقال حسن صحيح غريب وروى
انه صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقته ثم سابقها بعد ذلك فسبقها قال
هذه بتلك • ورواه ابو داود بلفظ سابقته في سفر فسبقته على رجلى قالت فلما
حملت اللحم سابقته فسبقنى قال هذه بتلك السبقة • وعن انس بن مالك انهم
كانوا يوما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة رضى الله عنها اذ
اتى بصحفة خبز ولحم من بيت ام سلمة فوضعت بين يدى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ضعوا ايديكم فوضع نبى الله صلى الله عليه وسلم ووضعنا ايدينا فاكلنا

وعائشة تصنع طعاما عجلته قدرات الصحفة التي اتى بها فلما فرغت من طعامها جاءت
به فوضعته ورفعت صحفة ام سلمة فكسرتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلوا بسم الله غارت امكم ثم اعطى صحفتها ام سلمة فقال طعام مكان طعام واناء مكان اناء
رواه الدارقطني في الصغير وهو عند البخاري بلفظ كان عند بعض نسائه فارسلت
احدى امهات المؤمنين بصحفة فيها طعام فضربت التي النبي في بيتها يد الخادم فسقطت
الصحفة فانفلقت فجمع صلى الله عليه وسلم فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام
الذي كان في الصحفة ويقول غارت امكم ثم حبس الخادم حتى اتى بصحفة من عند التي
هو في بيتها فدفع الصحيحة الى التي كسرت صحفتها وامسك المكسورة في بيت التي
كسرت وعند احمد والنسائي وابي داود قالت عائشة ما رايت صانعة طعاما مثل
صفية اهدت الى النبي صلى الله عليه وسلم اناء من طعام فما ملكت نفسي ان كسرته
فقلت يا رسول الله ما كفارته قال اناء كاناء وطعام كطعام وعند غيرهم فاخذت
القصعة من بين يديه فضربت بها وكسرتها فقام صلى الله عليه وسلم يلتقط
اللحم والطعام وهو يقول غارت امكم فلم يترتب عليها فوسع خلقه الكريم اثار صفحات
انثار غيرتها ولم يتاثر وقضى عليها بحكم الله في القصاص وهكذا كانت احواله عليه
الصلاة والسلام مع ازواجه لا ياخذ عليهن ويعذرهن وان اقام عليهن قسطاس
عدل اقامه بغير قلق ولا غضب بل رؤف رحيم حريص عليهن وعلى غيرهن عزيز
عليه ما يعنتهم قيل وفي هذا الحديث اشارة الى عدم مؤاخذة الغيرى فيما يصدر
منها لانها في تلك الحالة يكون عقلها محجوبا بشدة الغضب الذي اثارته الغيرة
وقد اخرج ابو يعلى بسند لا باس به عن عائشة مرفوعا ان الغيرى لا تبصر اسفل
الوادي من اعلاه وعن عائشة رضي الله عنها اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
بخزيرة طبختها له وقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها كلي فابت
فقلت لها فابت فقلت لها لتاكلن او لالطخن بها وجهك فابت فوضعت يدي في
الخزيرة فلطخت بها وجهها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع فخذه
لها وقال لسودة الطخي وجهها فلطخت بها وجهي فضحك صلى الله عليه وسلم
الحديث رواه ابن غيلان من حديث الهاشمي وخرجه الملا في سيرته والخزيرة لحم يقطع
صغارا ويصب عليه ماء كثير فاذا نضج ذر عليه الدقيق وبالجملة فمن تامل سيرته
عليه السلام مع اهله واصحابه وغيرهم من الفقراء والايتام والارامل والاضياف
والمساكين علم انه قد بلغ من رقة القلب ولينه الغاية التي لا مرمى وراءها لمخلوق
وانه كان يشتد في حدود الله وحقوق دينه حتى قطع يد السارق الى غير ذلك

وقد

وقد كان صلى الله عليه وسلم يباسط اصحابه بما يوجب حبه في القلوب كان له رجل من
البادية يسمى زهيرا وكان يهادي النبي صلى الله عليه وسلم بموجود البادية بما يستطرف
منها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهاديه ويكافيه بموجود الحاضرة ومما
يستطرف منها وكان صلى الله عليه وسلم يقول زهير باديتنا ونحن حاضرته وكان صلى
الله عليه وسلم يحبه فمشى صلى الله عليه وسلم يوما الى السوق فوجده قائما فجاءه من
قبل ظهره وضمه بيده الى صدره فاحس زهير بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فجعلت امسح ظهري في ظهره رجاء بركته وفي رواية الترمذي في الشمائل فاحتضنه من
خلفه ولا يبصره فقال ارسلني من هذا فالتفت فعرف النبي صلى الله عليه وسلم فجعل
لا يالو ما الصق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وسلم حين عرفه فجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من يشتري العبد فقال له زهير يا رسول الله اذا تجدني
كاسدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت عند الله غال وفي رواية للترمذي
ايضا لكن عند الله لست بكاسد وقال انت عند الله غال واخرج ابو يعلى عن زيد بن اسلم
ان رجلا كان يهدي للنبي صلى الله عليه وسلم العكة من السمن والعسل فاذا جاء صاحبه
يتقاضاه جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعط هذا متاعه فما يزيد النبي صلى الله
عليه وسلم على ان يتبسم ويامر به فيعطى ووقع في حديث محمد بن عمرو بن حزم وكان لا
يدخل المدينة طرفة الا اشترى منها ثم جاء فقال يا رسول الله هذا اهديته لك فاذا جاء
صاحبه يطلب ثمنه جاء به فقال اعط هذا الثمن فيقول الم تهده لي فيقول ليس عندي
فيضحك ويامر لصاحبه بثمنه وكان عليه السلام يمزح ولا يقول الا حقا كما روى ابو هريرة
وقد قال له رجل كان فيه بله يا رسول الله احملني فباسطه عليه السلام من القول بما
عساه ان يكون شفاء لبلهه بعد ذلك فقال احملك على ابن الناقة فسبق لخاطره
استصغار ما يصدق عليه النبوة فقال يا رسول الله ما عسى يغني عني ابن الناقة فقال
له صلى الله عليه وسلم ويحك وهل تلد الجمل الا الناقة روى حديثه الترمذي وابو
داود وباسط عمته صفية وهي عجوز فقال لها ان الجنة لا يدخلها عجوز فلما جزعت
قال لها انك تعودين الى صورة الشباب في الجنة وفي رواية الترمذي عن الحسن انه
صلى الله عليه وسلم عجوز فقالت يا رسول الله ادع الله ان يدخلني الجنة فقال يا ام
فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكي فقال اخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز
ان الله تعالى يقول انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا وذكره رزين وكان عليه السلام
يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويونسهم وياخذ معهم في تدبير امورهم ويداعب
صبيانهم ويجلسهم في حجره وهو مع ذلك سره في الملكوت الاعلى يجول حيثما اراد الله به

والدعاء به بضم الدال وتخفيف العين المهملة وبعد الالف موحدة هى الملاطفة فى القول بالمزاح وغيره وقد اخرج الترمذى وحسنه من حديث ابى هريرة قالوا يا رسول الله انك تداعبنا قال انى لا اقول الا حقا وما ورد عنه عليه السلام فى النهى عن المداعبة محمول على الافراط لما فيه من الشغل عن ذكر الله والتفكر فى مهمات الدين وغير ذلك والذى يسلم من ذلك هو المباح فان صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب كما كان هو فعله عليه السلام فهو مستحب وقال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وكان لى اخ يقال له ابو عمير وكان له نغر يلعب به فمات فدخل على النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم فراه حزينا فقال ما شانه قالوا مات نغره فقال يا ابا عمير ما فعل النغير • رواه البخارى ومسلم • وفى رواية الترمذى قال انس كان النبى صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لاخ لى صغير يا ابا عمير ما فعل النغير قال الجوهرى النغير تصغير نغر والنغر جمع النغرة وهو طائر صغير كالعصفور والجمع نغران مثل صُرَد وصِردان وكان قد التقى عليه مع الدعابة المهابة ولقد جاء اليه صلى الله عليه وسلم رجل فقام بين يديه فاخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هوِّن عليك فانى لست بملك ولا جبار انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس انى اوحى الى ان تواضعوا الا فتواضعوا حتى لا يبغى احد على احد ولا يفخر احد على احد وكونوا عباد الله اخوانا فسكن عليه الصلاة والسلام روعه شفقة لانه بالمؤمنين رؤف رحيم وسلب عنه وصف الملكية بقوله لست بملك لما يلزمه من الجبروتية وقال انما انا ابن امراة تاكل القديد تواضعا لان القديد مفضول وهو ماكول المتمسكنة ولما راته عليه السلام قيلة بنت مخرمة فى المسجد وهو قاعد القرفصا ارتعدت من الفرق رواه ابو داود وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ملات عينى منه قط حياء منه وتعظيما له ولو قيل لى صفه لما قدرت وكما قال واذا كان هذا قوله وهو من جلة الصحابة ولولا انه عليه السلام كان يباسطهم ويتواضع لهم ويؤنسهم لما قدر احد منهم ان يقعد معه ولا ان يسمع كلامه عليه السلام لما رزقه الله تعالى من المهابة والجلالة يبين ذلك ويوضحه ما روى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا فرغ من ركوع الفجر حدث عائشة ان كانت مستيقظة والا اضطجع بالارض ثم خرج بعد ذلك الى الصلاة وما ذاك الا انه عليه السلام لو خرج على تلك الحالة التى كان عليها وما حصل له من القرب والتدانى فى مناجاته وسماع كلام ربه وغير ذلك من الاحوال التى يكل اللسان عن وصف بعضها لما استطاع بشر ان يلقاه ولا يباشره فكان عليه السلام يتحدث مع عائشة او يضطجع بالارض

حتى

حتى يحصل التانيس بجنسهم وهو التانيس مع عائشة او جنس اصل الخلقة التى هى الارض ثم يخرج اليهم وما ذاك الا رفقا بهم وكان بالمؤمنين رحيما قاله ابن الحاج فى المدخل وقد جاء فى الحديث انه لما خير ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فنظر الى جبريل كالمستشير له فنظر جبريل الى الارض يشير الى التواضع فاختار عليه السلام العبودية فلما كان تواضعه الى الارض حيث اشار جبريل اورثه الله تعالى رفعته الى السماء ثم الى الرفوف الاعلى الى حضرة قاب قوسين او ادنى ووقف بين يديه محمود بن الربيع وهو صغير ابن خمس سنين فمج عليه السلام فى وجهه مجة من ماء من دلو يمازحه بها فكان فى ذلك من البركة انه لما كبر لم يبق فى ذهنه من ذكر رؤية النبى صلى الله عليه وسلم الا تلك المجة فعُد بها من الصحابة وحديثه مذكور فى البخارى ودخلت عليه ربيبة زينب بنت ام سلمة وهو فى مغتسله فنضح الماء فى وجهها فكان فى ذلك من البركة فى وجهها انه لم يتغير فكان ماء الشباب ثابتا فى وجهها ظاهرا فى رونقها وهى عجوز كبيرة وحديثها مذكور فقد علمت انه عليه السلام كان مع اصحابه واهله ومع الغريب والقريب من سعة الصدر ودوام البشر وحسن الخلق والسلام على من لقيه والوقوف مع من استوقفه والمزح بالحق مع الصغير والكبير احيانا واجابة الداعى ولين الجانب حتى يظن كل واحد من اصحابه انه احبهم اليه وهذا الميدان لا تجد فيه الا واجبا او مستحبا او مباحا فكان يباسط الخلق ويلابسهم ليستضيؤن بنور هدايته فى ظلمات دياج الجهل ويقتدون بهديه صلى الله عليه وسلم وقد كانت مجالسه عليه السلام مع اصحابه رضى الله عنهم عامتها مجالس تذكير بالله وترغيب وترهيب اما بتلاوة القران او بما اتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة وتعليم ما ينفع من الدين كما امره الله تعالى ان يذكر ويعظ ويقص وان يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وان يبشر وينذر فلذلك كانت المجالس توجب لاصحابه رقة القلوب والزهد فى الدنيا والرغبة فى الاخرة كما ذكر ابو هريرة بما رواه احمد والترمذى وابن حبان فى صحيحه قال قلنا يا رسول الله ما لنا اذا كنا عندك رقت قلوبنا وزهدنا فى الدنيا وكنا من اهل الاخرة فاذا خرجنا من عندك عافسنا اهلنا وشممنا اولادنا وانكرنا انفسنا فقال صلى الله عليه وسلم لو انكم اذا خرجتم من عندى كنتم على حالكم ذلك لزارتكم الملئكة فى بيوتكم الحديث وقوله عافسنا بالعين المهملة بعد الالف فاء فسين مهملة ساكنة اى عالجنا اهلنا ولاعبناهم ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم انه ما عاب ذواقا قط ولا عاب طعاما قط ان اشتهاه اكله والا تركه رواه البخارى وهذا اذا كان الطعام مباحا اما الحرام فكان يعيبه ويذمه وينهى عنه وذهب بعضهم

الى ان العيب ان كان من جهة الخلقة كسره وان كان من جهة الصنعة لم يكره قال لان
صنعة الله تعالى لا تعاب وصنعة الادميين تعاب قال في فتح الباري والذي يظهر
التعميم فان فيه كسر قلب الصانع قال النووي ومن اداب الطعام المتاكدة ان لا يعاب
كقوله مالح حامض قليل الملح غليظ رقيق غير ناضج ونحو ذلك ومن تواضعه ان هذه الدنيا
شاع سبها في العالمين فقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدنيا ثم مدحها فقال
نعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر وقال لا تسبوا الدهر رواه البخاري
من حديث ابي هريرة بلفظ ولا تقولوا خيبة الدهر فان الله هو الدهر وفي لفظ له لم

قف على قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر

يسب بنو ادم الدهر وانا الدهر بيدي الليل والنهار وعند مسلم من حديث بلفظ
لا يسب احدكم الدهر ومحصل ما قيل في تاويله ثلاثة اوجه احدها ان المراد بقوله ان الله
هو الدهر اي المدبر للامور ثانيها انه على حذف مضاف اي صاحب الدهر ثالثها التقدير
مقلب الدهر ولذلك عقبه بقوله في رواية البخاري بيدي الليل والنهار وقال المحققون
من نسب شيا من هذه الافعال الى الدهر حقيقة كفر ومن جرى هذا اللفظ على لسانه غير
معتقد لذلك فليس بكافر لكن يكره له ذلك لتشبهه باهل الكفر في الاطلاق وما خير
صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس
منه رواه البخاري اي بين امرين من امور الدنيا لا اثم فيهما وابهم فاعل خير ليكون اعم
من قبل الله ومن قبل المخلوقين وقوله الا اختار ايسرهما وقوله ما لم يكن اثما اي ما لم يكن
الاسهل مقتضيا للاثم فانه حينئذ يختار الاشد وفي حديث انس عند الطبراني في
الاوسط الا اختار ايسرهما ما لم يكن لله فيه سخط ووقع التخيير بين ما فيه اثم وما لا
اثم فيه من قبل المخلوقين ومن تواضعه عليه الصلاة والسلام انه لم يكن له بواب
راتب كما جاء عن انس انه قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بامراة وهي تبكي عند قبر
فقال اتقي الله واصبري فقالت اليك عني فانك خلو من مصيبتي قال فجاوزها ومضى
فمر بها رجل فقال ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ما عرفته قال انه
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجاءت الى بابه فلم تجد عليه بوابا الحديث رواه
البخاري لكن في حديث ابي موسى انه كان بوابا للنبي صلى الله عليه وسلم لما جلس على
القف وجمع بينهما بانه كان عليه السلام اذا لم يكن في شغل من اهله ولا انفراد من امره
انه كان يرفع حجابه بينه وبين الناس ويبرز لطالب الحاجة اليه وفي حديث عمر حين استاذن
له الاسود في قصة حلفه ان لا يدخل على نسائه شهرا ففيه انه كان في وقت خلوته
بنفسه يتخذ بوابا ولولا ذلك لاستاذن عمر لنفسه ولم يحتج الى قوله يا ابا رباح
استاذن لي لكن يحتمل ان يكون وجد عليه بسبب ابنته فاراد ان يختبر ذلك باستيذانه

عليه

قف على جواز اتخاذ الحجاب

عليه فلما اذن له اطمان وقد اختلف في مشروعية الحجاب للحاكم فقال الشافعي
وجماعة ينبغي للحاكم ان لا يتخذ حاجبا وذهب آخرون الى جوازه وحمل الاول على
زمن سكون الناس واجتماعهم على الخير وطواعيتهم للحاكم وقال اخرون بل يستحب
ذلك حينئذ ليرتب الخصوم ويمنع المستطيل ويدفع الشرير والله اعلم واما
ما روي من حيائه صلى الله عليه وسلم فحسبك ما في البخاري من حديث ابي سعيد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذرا في خدرها والعذرا هي
البكر والخدر بكسر الخاء المعجمة اي في سترها وهو من باب التتميم لان العذرا في
الخلوة يشتد حياؤها اكثر مما تكون خارجة عنه لكون الخلوة مظنة وقوع
الفعل بها فالظاهر ان المراد تقييده بما اذا دخل عليها في خدرها لا حيث تكون منفردة
فيه والحياء بالمد وهو من الحياة ومنه الحيا للمطر لكن هو مقصور على حسب حياة
القلب يكون فيه قوة خلق الحياة وقلة الحياة من موت القلب والروح وكلما كان

قف على معنى الحيا لغة وشرعا

القلب حيا كان الحياء اتم وهو في اللغة تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف
ما يعاب به وقد يطلق على مجرد ترك الشيء لسبب والترك انما هو من لوازمه
وفي الشرع خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق وقال
ذو النون الحيا وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما يسبق منك الى ربك والحب
ينطق والحيا يسكت والخوف يقلق وقال يحيى بن معاذ رحمه الله من استحيى من الله
مطيعا استحيى الله منه وهو مذنب وهذا الكلام يحتاج الى شرح ومعناه ان
من غلب عليه خلق الحيا من الله حتى في حال طاعته فقلبه مطرق بين يديه اطراق
مستحي خجل فانه اذا وقع منه ذنبا استحيى الله من نظره اليه في تلك الحالة لكرامته
عليه فيستحيي ان يرى من وليه ما يشينه عنده وفي الشاهد شاهد بذلك
فان الرجل اذا اطلع على اخص الناس به واحبهم اليه واقربهم منه من صاحب
او ولد او من يحبه وهو يخونه فانه يلحقه من ذلك الاطلاع عليه حيا عجيب
حتى كانه هو الجاني وهذا غاية الكرم وللحيا اقسام ثمانية يطول استقصاؤها
منها حياء الكرم كحيائه عليه السلام من القوم الذي دعاهم الى وليمة زينب وطولوا
عنده المقام واستحيا ان يقول لهم انصرفوا ومنها حياء المحب من محبوبه حتى انه
اذا خطر على قلبه في حال غيبته هاج الحياء من قلبه واحس به في وجهه فلا
يدري ما سببه ومنها حياء العبودية وهو حياء يمتزج بين محبة وخوف
ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده وان قدره اعلا واجل منها فعبوديته
له توجب استحيا منه لا محالة ومنها حياء المؤمن من نفسه وهو حياء النفوس

الشريفة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص وقنعها بالدون فيجد نفسه مستحيا
من نفسه حتى كان له نفسين يستحيي باحديهما من الاخرى وهذا اكمل ما يكون من
الحيا فان العبد اذا استحيي من نفسه فهو بان يستحي من غيره اجدر والحياء كما قال
عليه السلام لا ياتي الا بخير وهو من الايمان كما رواه البخاري قال القاضي عياض
وانما جعل الحياء من الايمان وان كان غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج
الى قصد واكتساب وعلم وقال القرطبي الحياء المكتسب هو الذي جعله الشارع
من الايمان وهو المكلف به دون الغريزي غير ان من كان فيه غريزة منه فانها تعينه
على المكتسب حتى يكاد يكون غريزيا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جمع له النوعان
فكان في الغريزي اشد حياء من العذرا في خدرها قال القاضي عياض روى انه
صلى الله عليه وسلم كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد واما خوفه
صلى الله عليه وسلم ربه جل وعلا فاعلم ان الخوف والوجل والرهبة الفاظ متقاربة
غير مترادفة قال الجنيد الخوف توقع العقوبة على مجاري الانفاس وقيل الخوف اضطراب
القلب وحركته من تذكر الخوف وقيل الخوف قوة العلم بمجاري الاحكام وهذا سبب
الخوف لا انه نفسه وقيل الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره و
الخشية اخص من الخوف فان الخشية للعلماء بالله تعالى قال تعالى انما يخشى الله من
عباده العلمؤا فهو خوف مقرون بمعرفة وقال صلى الله عليه وسلم انا اتقيكم لله
واشدكم له خشية فالخوف حركة والخشية انجماع وانقباض وسكون فان الذي
يرى العدو والسيل ونحوهما له حالتان احديهما حركته للهرب منه وهي حالة الخوف
والثانية سكونه وقراره في مكان لا يصل اليه وهي الخشية واما الرهبة فهي الامعان
في الهرب من المكروه وهو ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه واما
الوجل فرجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته واما الهيبة
فخوف مقارن للتعظيم والاجلال واكثر ما يكون مع المعرفة والمحبة والاجلال
تعظيم مقرون بالحب فالخوف لعامة المؤمنين والخشية للعلماء العارفين والهيبة
للمحبين والاجلال للمقربين وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية كما قال
صلى الله عليه وسلم اني لاعلمكم بالله واشدكم له خشية رواه البخاري، وقال
عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا رواه البخاري من حديث
ابي هريرة وفيه دلالة على اختصاصه صلى الله عليه وسلم بصرية وقلبية وقد
يطلع الله عليها غيره من المخلصين من امته لكن بطريق الاجمال واما تفاصيلها فاختص
بها صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم من حديث انس انه عليه السلام قال والذي

خوف عليه السلام

قف على معنى الخوف والرهبة والوجل

نفس

نفس محمد بيده لو رايتم ما رايت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قالوا وما رايت يا رسول
الله قال رايت الجنة والنار فقد جمع الله له بين علم اليقين وعين اليقين مع الخشية
القلبية واستحضار العظمة الالهية على وجه لا يجتمع لغيره ولذا قال ان اتقيكم واعلمكم
بالله انا وهو في الصحيح من حديث عائشة وكان صلى الله عليه وسلم يصلي ولجوفه
أزيز كأزيز المرجل من البكاء رواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه بلفظ
كأزيز الرحا اي حنين من الخوف بالخاء المعجمة وهو صوت البكاء وقيل هو ان يجيش جوفه
ويغلي بالبكاء واما ما روي من شجاعته عليه الصلاة والسلام ونجدته وقوته في الله
تعالى وشدته فعن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس
واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابي
طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وفي رواية كان فزع بالمدينة
فاستعار النبي صلى الله عليه وسلم فرسا من ابي طلحة يقال له المندوب فركب فلما
رجع قال ما راينا من شيء وان وجدناه لبحرا وانه لبحر قال وكان فرسا بطيا رواه البخاري
ومسلم وابو داود والترمذي وللبخاري ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب النبي صلى الله
عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف او فيه قطاف فلما رجع قال وجدنا فرسكم
هذا بحرا فكان بعد لا يجارى وفي اخرى له ثم خرج يركض وحده فركب الناس يركضون
خلفه فقال لن تراعوا انه لبحر فما سبق بعد ذلك اليوم وقوله لن تراعوا اي روعا
مستقرا او روعا يضركم وفي الحديث بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم من شدة
عجلته في الخروج الى العدو وقبل الناس كلهم بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول
الناس وفيه بيان عظيم بركته ومعجزته في انقلاب الفرس سريعا بعد ان كان بطيأ
وهو معنى قوله عليه السلام وجدناه بحرا اي واسع الجري وقد كان فيه قطاف يقال
قطف الفرس في مشيه اذا تضايق خطوه واسرع مشيه قال القاضي عياض وقد
كان في افراسه صلى الله عليه وسلم مندوب فلعله صار اليه بعد ابي طلحة وقال
النووي يحتمل انهما فرسان اتفقا في الاسم وقال ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذكر ابن اسحق في كتابه وغيره انه كان بمكة رجل شديد
القوة يحسن الصراع وكان الناس ياتونه من البلاد للمصارعة فيصرعهم فبينما هو ذات
يوم في شعب من شعاب مكة اذ لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ركانة
الا تتقي الله وتقبل ما ادعوك اليه او كما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
له ركانة يا محمد هل من شاهد يدل على صدقك قال ارايت ان صرعتك اتؤمن بالله

قف على شجاعته ونجدته وقوته عليه السلام

ورسوله قال نعم يا محمد فقال له تهيأ للمصارعة قال تهيأت فدنى منه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخذه ثم صرعه قال فتعجب ركانة من ذلك ثم ساله الاقالة
والعود ففعل به ذلك ثانيا وثالثا فوقف ركانة متعجبا وقال ان شانك لعجيب ورواه
الحاكم في مستدركه عن ابي جعفر محمد بن ركانة المصارع ورواه ابوداود والترمذي
وكذا البيهقي من رواية سعيد بن جبير وقد صارع عليه السلام جماعة غير ركانة
منهم ابو الاسود الجمحي كما قاله السهيلي ورواه البيهقي وكان شديدا بلغ من شدته
انه كان يقف على جلد البقرة ويجاذب باطرافه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتمزق
الجلد ولم يتزحزح عنه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال ان
صرعتني امنت بك فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسلم وفي قصته طول
وفي البخاري من حديث البرا وساله رجل من قيس افررتم عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كان هوازن
رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على المغانم فاستقبلتنا بالسهام ولقد
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضا وان ابا سفيان بن الحرث
اخذ بزمامها وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وهذا في غاية ما يكون من
الشجاعة التامة لانه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى وقد انكشف عنه جيشه وهو
مع هذا على بغلة ليست بسريعة الجري ولا تصلح لكر ولا فر ولا هرب وهو مع ذلك
يركضها في وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من ليس يعرفه صلوات الله وسلامه عليه
وفي حديث كنا اذا احمر الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلناه
قدامنا واستقبلنا العدو به وقمنا خلفه واما ما ذكر من سخائه وجوده وكرمه
فاعلم ان السخا صفة غريزية وفي مقابلته الشح والشح من لوازم صفة النفس قال
الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فحكم بالفلاح لمن وقي الشح وحكم
بالفلاح ايضا لمن انفق وبذل فقال ومما رزقناهم ينفقون اولئك على هدى من ربهم واولئك
هم المفلحون والفلاح اجمع اسم لسعادة الدارين وليس الشح من الادمي بعجيب لانه جبلي
فيه وانما العجب وجود السخا في الغريزة والسخا اتم واكمل من الجود وفي مقابلته البخل
وفي مقابلة السخا الشح والجود والبخل يتطرق اليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف
الشح والسخا اذا كان ذلك من ضرورة الغريزة فكل سخي جواد وليس كل جواد سخيا
والجود يتطرق اليه الريا ويأتي به الانسان متطلعا الى غرض من الخلق والحق بمقابلة
من الثنا او غيره من الخلق والثواب من الله تعالى ولا يتطرق الريا الى السخا لانه ينبع من
النفس الزكية المرتفعة عن الاغراض اشار اليه في عوارف المعارف وقد كان رسول

قف على سخائه وجوده وكرمه عليه السلام

الله

الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس واشجع الناس واجود الناس رواه البخاري ومسلم
من حديث انس واجود افعل تفضيل من الجود وهو اعطاء ما ينبغي لمن ينبغي ومعناه
هو اسخى الناس لما كانت نفسه اشرف النفوس ومزاجه اعدل الامزجة لابدان يكون
فعلها احسن الافعال وشكله اصلح الاشكال وخلقه احسن الاخلاق فلا شك
يكون اجود وكيف لا وهو مستغن عن الفانيات بالباقيات الصالحات واقتصار
انس على هذه الاوصاف الثلاثة من جوامع الكلم لانها امهات الاخلاق فان في كل انسان
ثلاث قوى احديها الغضبية وكماله الشجاعة وثانيها الشهوانية وكمالها الجود
وثالثها العقلية وكمالها النطق بالحكمة وفي رواية لمسلم عنه ما سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم شيئا الا اعطاه فجاءه رجل فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه
فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفقر وعنده ايضا عن صفوان
بن امية قال لقد اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعطاني وانه لمن
ابغض الناس الي فما برح يعطيني حتى انه لاحب الناس الي قال ابن شهاب اعطاه يوم
حنين مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة وفي مغازي الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم
اعطا صفوان يومئذ واديا مملوا ابلا ونعما وقال صفوان اشهد ما طابت بهذا
الا نفس نبي • ويرحم الله ابن جابر • حيث قال •

هذا الذي لا يتقي فقرا اذا •	يعطي ولو كثر الانام وداموا •
واذا من الانعام اعطى آملا •	فتحيرت لعطائه الاوهام •

وانما اعطاه ذلك لانه عليه السلام علم ان داءه لا يزول الا بهذا الدواء وهو
الاحسان فعالجه به حتى برئ من داء الكفر واسلم وهذا من كمال شفقته ورحمته
ورافته عليه السلام اذ عامله بكمال الاحسان وانقذه من حر النيران الى برد
لطف الجنان • وكان علي اذا وصفه صلى الله عليه وسلم قال كان اجود الناس
كفا واصدق الناس لهجة وخرج ابن عدي باسناد فيه ضعف من حديث انس مرفوعا
انا اجود بني ادم فهو صلى الله عليه وسلم بلا ريب اجود بني ادم على الاطلاق كما انه افضلهم واعلمهم
واشجعهم واكملهم في جميع الاوصاف الحميدة وكان جوده بجميع انواع الجود من بذل العلم والمال وبذل
نفسه لله في اظهار دينه وهداية عباده وايصال النفع اليهم بكل طريق من اطعام
جايعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوايجهم وتحمل اثقالهم ولقد احسن ابن جابر حيث قال

يروي حديث الندا والبشر عن يده •	ووجهه بين منهل ومنسجم •
من وجه احمد لي بدر ومن يده •	بحر ومن فمه در لمنتظم •
يمم نبيا تبارى الريح انمله •	والمزن من كل هام الودق مرتكم •

لو عامت الفلك فيما فاض من يده ❊ لم تلق اعظم بحر منه ان يعم
تحيط كفاه بالبحر المحيط فلذ ❊ به ودع كل طامى الموج ملتطم
لولم تحط كفه بالبحر ما شملت ❊ كل الانام وردت قلب كل ظمى

فسبحان من اطلع انوار الجمال من افق جبينه وانشا امطار السحاب من غمائم يمينه
روى البخارى من حديث جابر ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ قط
فقال لا وكذا عند مسلم اى ما طلب منه شئ من امر الدنيا فمنعه قال الفرزدق

ما قال لا قط الا فى تشهده ❊ لولا التشهد كانت لاءه نعما

لكن قال شيخ مشايخنا الحافظ ابو الفضل بن حجر ليس المراد انه يعطى ما يطلب منه
جزما بل المراد انه لا ينطق بالرد بل ان كان عنده اعطاه ان كان الاعطاء سائغا
والا سكت قال وقد ورد بيان ذلك فى حديث مرسل لابن الحنفية عن ابن سعد
ولفظه اذا سئل فاراد ان يفعل قال نعم واذا لم يرد ان يفعل سكت وهو قريب
من حديث ابى هريرة ما عاب طعاما قط ان اشتهاه اكله والا تركه قال الشيخ عز
الدين بن عبد السلام معناه لم يقل لا منعا للعطاء ولا يلزم من ذلك ان يقولها
اعتذارا كما فى قوله قلت لا اجد ما احملكم عليه ولا يخفى الفرق بين قول لا اجد ما احملكم
وبين لا احملكم انتهى وهو نظير ما فى حديث ابى موسى الاشعرى لما ساله الاشعريون
الحملان فقال صلى الله عليه وسلم ما عندى ما احملكم لكن يشكل عليه انه صلى الله عليه
وسلم حلف لا يحملهم فقال والله لا احملكم فيمكن ان يخص من عموم حديث جابر ما اذا
سئل ما ليس عنده والسائل يتحقق انه ليس عنده ذلك وحيث كان المقام لا يقتضى
الاقتصار على السكوت من الحالة الواقعة او من حال السائل كان لم يكن يعرف العادة
فلو اقتصر فى جوابه على السكوت مع حاجة السائل لتمادى على السؤال مثلا ويكون
القسم على ذلك تاكيدا لقطع طمع السائل والسر فى الجمع بين قوله لا اجد ما احملكم
وقوله والله لا احملكم ان الاول لبيان ان الذى سئله لم يكن موجودا عنده والثانى
انه لا يتكلف الاجابة الى ما سئل بالقرض وبالاستيهاب اذ لا اضطرار حينئذ وروى
الترمذى انه حمل اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها
فما رد سائلا حتى فرغ منها قال وجاءه رجل فقال ما عندى شئ ولكن ابتع على
فاذا جاءنا شئ قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر فكره النبى صلى الله
عليه وسلم فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق بلالا ولا تخف من ذى العرش
اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر فى وجهه وقال بهذا امرت وانما
فعل ذلك للمصلحة الداعية لذلك كالاستيلاف ونحوه وذكر ابن فارس فى كتابه

فى اسماء النبى صلى الله عليه وسلم انه فى يوم حنين جاءته امرأة فانشدت شعرا تذكره
ايام رضاعته فى هوازن فرد عليهم ما اخذ منهم واعطاهم عطاء كثيرا حتى قوم
ما اعطاهم ذلك اليوم فكان خمسمائة الف الف قال ابن دحية وهذا نهاية الجود
الذى لم يسمع بمثله فى الجود ❊ وفى البخارى من حديث انس انه اتى بمال من البحرين
فقال انثروه يعنى صبوه فى المسجد وكان اكثر مال اتى به صلى الله عليه وسلم
فخرج الى المسجد ولم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه فما كان يرى احدا
الا اعطاه اذ جاءه العباس فقال اعطنى فانى فاديت نفسى وفاديت عقيلا فقال
له خذ فحثا فى ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يا رسول الله مر بعضهم
يرفعه الى قال لا قال فارفعه انت على قال لا فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع
فقال يا رسول الله مر بعضهم يرفعه على قال لا قال فارفعه انت قال لا ثم نثر
منه ثم احتمله فالقاه على كاهله فانطلق فما زال صلى الله عليه وسلم يتبعه
بصره حتى خفى علينا عجبا من حرصه فما قام عليه السلام وثم منها درهم وفى
رواية ابن ابى شيبة من طريق حميد بن هلال مرسلا كان مائة الف وانه ارسل
به العلاء بن الحضرمى من خراج البحرين قال وهو اول مال حمل اليه صلى الله عليه وسلم
وسايره جابر على جمل له فقال له عليه الصلاة والسلام بعنى جملك فقال هو لك يا رسول
الله بابى انت وامى فقال بل بعنيه فباعه اياه وامر بلالا ان ينقده ثمنه فنقده ثم قال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب بالثمن والجمل بارك الله لك فيهما مكافأة
لقوله بل هو لك فاعطاه الثمن ورد عليه الجمل وزاده الدعاء بالبركة فيهما وحديثه
فى البخارى ومسلم وغيرهما وقد كان جوده عليه السلام كله لله وفى ابتغاء مرضاته
فانه كان يبذل المال تارة لفقير او محتاج وتارة ينفقه فى سبيل الله وتارة يتالف به
على الاسلام من يتقوى الاسلام باسلامه وكان يوثر على نفسه واولاده فيعطى عطاء
يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر ويعيش فى نفسه عيش الفقراء فياتى عليه الشهر
والشهران لا يوقد فى بيته نار وربما ربط الحجر على بطنه الشريفة من الجوع وكان صلى الله
عليه وسلم قد اتاه سبى فشكت اليه فاطمة ما تلقى من خدمة البيت وطلبت منه خادما
يكفيها مؤنة بيتها فامرها ان تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد وقال لا اعطيك
وادع اهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع واتته امرأة ببردة فقالت يا رسول
الله اكسوك هذه فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها فلبسها فرآها
عليه رجل من الصحابة فقال يا رسول الله ما احسن هذه فاكسنيها فقال نعم فلما قام
صلى الله عليه وسلم لامه اصحابه قالوا ما احسنت حين رأيت النبى صلى الله عليه

وسلم اخذها محتاجا اليها ثم سالته اياها وقد عرفت انه لايسئل شيا فيمنعه رواه
البخارى من حديث سهل بن سعد وفى رواية ابن ماجه والطبرانى قال نعم فلما دخل
طواها وارسل بها اليه وافاد الطبرانى فى رواية زمعة بن صالح انه صلى الله
عليه وسلم امر ان يصنع له غيرها فمات قبل ان يفرغ منها وفى هذا الحديث من الفوائد
حسن خلقه صلى الله عليه وسلم وسعة جوده واستنبط منه السادة الصوفية
جواز استدعاء المريد خرقة التصوف من المشايخ تبركا بهم وبلباسهم كما استدلوا
لالباس الشيخ للمريد بحديث انه صلى الله عليه وسلم البس ام خالد خميصة سوداء
ذات علم لكن قال شيخنا ما يذكرونه من ان الحسن البصرى لبسها من على بن ابى طالب
رضى الله عنه فقال ابن دحية وابن الصلاح انه باطل وقال شيخ الاسلام الحافظ
ابن حجر ليس فى شئ من طرقها ما يثبت ولم يرد فى خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف انه
صلى الله عليه وسلم البس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لاحد من
اصحابه ولا امر احدا من اصحابه بفعلها وكلما يروى صريحا فى ذلك فباطل قال ثم ان
من الكذب المفترى قول من قال ان عليا البس الخرقة لحسن البصرى فان ائمة الحديث لم
يثبتوا للحسن من على سماعا فضلا عن ان يلبسه الخرقة وكذا قال الدمياطى والذهبى
والعلائى ومغلطاى والعراقى والابناسى والحلبى وغيرهم مع كون جماعة منهم لبسوها
والبسوها تشبها بالقوم نعم ورد لبسهم لها مع الصحبة المتصلة الى كميل بن زياد
وهو صحب على بن ابى طالب رضى الله عنه من غير خلف فى صحبته له بين ائمة الجرح
والتعديل وفى بعض الطرق اتصالها باويس القرنى وهو اجتمع بعمر بن الخطاب وعلى بن
ابى طالب رضى الله عنهما وهذه صحبة لا مطعن فيها وكثير من السادة تكتفى بمجرد الصحبة
كالشاذلية وشيخنا ابى اسحق المتبولى وكان الشيخ يوسف العجمى يجمع بين تلقين الذكر
واخذ العهد واللبس وله فى ذلك رسالته ريحان القلوب قرأتها على ولد ولده العارف
المسلك سيدى على مع الباسه لى الخرقة والتلقين والعهد وللشيخ قطب الدين القسطلانى
ارتقاء الرتبة فى اللباس والصحبة والله تعالى يهدينا الى سبيل الرشاد **الفصل الثالث**
فيما تدعو ضرورته اليه صلى الله عليه وسلم من غذائه وملبسه ومنكحه وما يلحق
بذلك وفيه اربعة انواع **النوع الاول فى عيشه صلى الله عليه وسلم فى الماكل و**
المشرب اعلم ان تناول الطعام اصل كبير يحتاج الى علوم كثيرة لاستماله على المصالح
الدينية والدنيوية وتعلق اثره بالقلب والقالب وبه قوام البدن باجراء سنة الله
تعالى بذلك والقالب مركب القلب وبهما عمارة الدنيا والاخرة والقالب بمفرده على طبيعة
الحيوانات يستعان به على عمارة الدنيا والروح والقلب على طبيعة الملئكة يستعان

قف على ما اخذ السادة الصوفية خرقة التصوف للمريد

صحبة اويس للصحابة

بهما على عمارة الاخرة وباجتماعهما يصلحان لعمارة الدارين **قال الغزالى** ولا طريق الى الوصول
الى اللقاء الا بالعلم والعمل ولا يمكن المواظبة عليهما الا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة
البدن الا بالاطعمة والاقوات والتناول منها بقدر الحاجات على تكرر الاوقات فمن هذا
الوجه قال بعض السلف الصالحين ان الاكل من الدين وعليه نبه رب العالمين بقوله
وهو اصدق القائلين كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فمن تناول الاكل ليستعين به على
العلم والعمل ويقوى به على التقوى فلا ينبغى ان يترك نفسه سدى يسترسل فى الاكل
استرسال البهائم فى المرعى فانما هو ذريعة الى الدين ووسيلة اليه ينبغى ان تظهر
انوار الدين عليه وانما نور الدين وادابه وسننه التى يزم بزمامها ويلجم المتقى بلجامها
حتى يزن بميزان الشرع شهوة الطعام فى اقدامها واحجامها فيصير بسببها مرفعة
للوزر ومجلبة للاجر **واعلم ان الشبع** بدعة ظهرت بعد القرن الاول وقد روى
النسائى وابن ماجه وصححه الحاكم من حديث المقدام بن معدى كرب ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب الآدمى لقيمات يقمن صلبه
فان غلبت الادمى نفسه فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس قال القرطبى فى
شرح الاسما كما نقله شيخ الاسلام والحافظ ابن حجر لو سمع بقراط بهذه القسمة لعجب
من هذه الحكمة وقال غيره انما خص الثلاثة بالذكر لانها اسباب حياة الحيوان وانه لا يدخل
البطن سواها وهل المراد بالثلث التساوى على ظاهر الخبر والتقسيم الى ثلثة اقسام
متقاربة محل احتمال وقد صح المؤمن ياكل فى معى واحد وهى بكسر الميم مقصور المصارين
والكافر ياكل فى سبعة امعاء وليست حقيقة العدد مرادة وتخصيص السبعة للمبالغة
فى التكثير والمعنى ان المؤمن من شانه التقلل من الاكل لاشتغاله باسباب العبادة
ولعلمه بان مقصود الشرع من الاكل ما سد الجوع ويعين على العبادة ولخشيته ايضا
من حساب ما زاد على ذلك والكافر بخلاف ذلك وعند اهل التشريح ان امعاء الانسان
سبعة المعدة ثم ثلاثة امعاء بعدها متصلة بها البواب ثم الصائم ثم الرقيق والثلاثة
رقاق ثم الاعور والقولون والمستقيم وطرفه الدبر وكلها غلاظ وقد نظمها الحافظ زين الدين
العراقى فى قوله

سبعة امعاء لكل ادمى ٭ معدة بوابها مع صائم
ثم الرقيق اعور قولون ٭ والمستقيم مسلك المطاعم

فيكون المعنى ان الكافر لكونه ياكل بشرهة لايشبعه الا ملأ امعائه السبعة والمؤمن
يشبعه ملء معى واحد ولا يلزم من هذا الحديث اطراد فى حق كل مؤمن وكافر فقد يكون
فى المؤمنين من ياكل كثيرا اما بحسب العادة واما لعارض يعرض له من مرض باطن او لغير
ذلك ويكون فى الكفار من ياكل قليلا اما لمراعات الصحة على راى الاطباء واما للرياضة

قف على ان الشبع بدعة ظهرت بعد القرن الاول

على راى الرهبان واما العارض كضعف المعدة ومحصل القول ان من شان المؤمن الحرص على الزهادة والاقتناع بالبلغة بخلاف الكافر وقيل المراد ان المؤمن يسمى الله عند طعامه وشرابه فلا يشركه الشيطان فيكفيه القليل بخلاف الكافر وقيل المراد المؤمن في هذا الحديث التام الايمان لان من حسن اسلامه وكمل ايمانه اشتغل فكره فيما يصير اليه من الموت وما بعده فيمنعه شدة الخوف وكثرة الفكر والاشفاق على نفسه من استيفاء شهوته كما ورد في حديث لابي امامة رفعه من كثر تفكره قل مطعمه ومن قل تفكره كثر مطعمه وقسا قلبه وقالوا لا تدخل الحكمة معدة ملئت طعاما ومن قل طعامه قل شربه وخف منامه ومن خف منامه ظهرت بركة عمره ومن امتلأ بطنه كثر شربه ومن كثر شربه ثقل نومه ومن ثقل نومه محقت بركة عمره فاذا اكتفى بدون الشبع حسن اغتذاء بدنه وصلح حال نفسه وقلبه ومن تملأ من الطعام ساء غذاء بدنه واشرت نفسه وقسى قلبه وعن ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم ان اهل الشبع في الدنيا هم اهل الجوع غدا في الآخرة رواه الطبراني وعن سلمان وابي جحيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اكثر الناس شبعا في الدنيا اطولهم جوعا في الآخرة • وقالت عائشة لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان في اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب وقولها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط محمول على الشبع الذي يثقل المعدة ويثبط صاحبه عن القيام بالعبادة ويفضي الى البطر والاشر والنوم والكسل وقد تنتهي كراهته الى التحريم بحسب ما يترتب عليه من المفسدة وليس المراد الشبع النسبي المعتاد في الجملة • ففي صحيح مسلم خروجه صلى الله عليه وسلم وصاحبيه من الجوع وذهابهم الى بيت الانصاري وذبحه الشاة وفيه فلما ان شبعوا ورووا • قال النووي فيه جواز الشبع وما جاء في كراهته محمول على المداومة عليه وعن ابي هريرة ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من طعام ثلثة ايام تباعا حتى قبض رواه الشيخان وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة واهله طاويا لا يجدون عشاء وانما كان خبزهم الشعير رواه الترمذي وصححه • وفي حديث متفق عند مسلم شبع آل محمد يومين من خبز البر الا واحدهما تمر واخرج ابن سعد من طريق عمران بن زيد المدني حدثني والدي قال دخلنا على عائشة فقالت خرج يعني النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يملأ بطنه في يوم من طعامين كان اذا شبع من التمر لم يشبع من الشعير واذا شبع من الشعير لم يشبع من التمر وليس في هذا ما يدل على ترك الجمع بين لونين فقد جمع صلى الله عليه وسلم القثاء بالرطب كما سياتي ان شاء الله تعالى وعن الحسن قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله ما امسى

في آل محمد صاع من طعام وانها لتسعة ابيات والله ما قالها استقلالا لرزق الله ولكن اراد ان تتأسى به امته رواه الدمياطي في السيرة له وعن عائشة قالت كان يعجب نبي الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ثلاثة اشياء الطيب والنساء والطعام فاصاب اثنتين ولم يصب واحدة اصاب النساء والطيب ولم يصب الطعام ذكره الدمياطي ايضا • وفي الشمائل للترمذي عن النعمان بن بشير لقد رايت نبيكم وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه وفي رواية مسلم يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما يملأ بطنه وقالت عائشة ان كنا آل محمد نمكث شهرا ما نستوقد بنار ان هو الا الماء والتمر وقال عتبة بن غزوان لقد رايتني واني لسابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام الا ورق السمر حتى تقرحت اشداقنا • وفي رواية البخاري ومسلم كانت عائشة تقول لعروة والله يا ابن اختي ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثلاثة اهلة في شهرين وما اوقد في ابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء الا انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البانها فيسقيناه ولمسلم ايضا قالت لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين • وقال انس ما اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رغيفا مرققا حتى لحق بالله ولا راى شاة سميطا بعينه حتى لحق بالله رواه البخاري والمرقق الملين المحسن كخبز الحوارى وشبهه والترقيق التليين ولم يكن عندهم مناخل وقد يكون المرقق الرقيق الموسع قاله القاضي عياض وجزم ابن الاثير فقال وهو السميد وما يصنع من كعك وغيره وقال ابن الجوزي هو الخفيف كانه اخذ من المرقاق وهي الخشبة التي يرقق بها والحوارى بضم المهملة وتشديد الواو وفتح الراء الخالص الذي ينخل مرة بعد اخرى وقوله ولا شاة سميطا هو الذي ازيل شعره بالماء السخن وشوي بجلده وانما يصنع ذلك في الصغير السن وهو من فعل المترفهين من وجهين احدهما المبادرة الى ذبح ما لو بقي لازداد ثمنه وثانيهما ان المسلوخ ينتفع بجلده في اللبس وغيره والسمط يفسده وقد جرى ابن بطال وابن الاثير على ان المسموط هو المشوي لكن الثاني ذكر ان اصله نزع صوفه بالماء الحار كما تقدم قال وانما يفعل ذلك في الغالب ليشوى ولعله يعني انه لم ير السميط في ماكوله والانفاق لم يكن معهودا فلا يمدح وعن ابي حازم انه سال سهلا هل رايتم في زمان النبي صلى الله عليه وسلم النقي قال لا فقلت كنتم تنخلون الشعير قال لا ولكن كنا ننفخه رواه البخاري وفي رواية له هل كانت لكم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مناخل قال ما راى النبي صلى الله

عليه وسلم منخلا من حيث بعثه الله حتى قبضه الله قال شيخ الاسلام بن حجر اظنه
احترز عما قبل البعثة لكونه صلى الله عليه وسلم كان يسافر فى تلك المدة الى الشام تاجرًا
وكان الشام اذ ذاك مع الروم والخبز النقى عندهم كثير وكذا المناخل وغيرها من آلات
الترفة ولا ريب انه راى ذلك عندهم واما بعد البعثة فلم يكن الا بمكة والطائف والمدينة
ووصل الى تبوك وهى من اطراف الشام لكن لم يفتحها ولا طالت اقامته بها انتهى وقد
تتبعت هل كانت اقراص خبزه صغارًا ام كبارًا فلم اجد فى ذلك شيئًا بعد التفتيش نعم
روى امره بتصغيرها فى حديث عند الديلمى عن عائشة رفعته بلفظ صغروا الخبز
واكثروا عدده يبارك لكم فيه وهو واه بحيث ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وقال
ان المتهم به جابر ابن سليم وروى عن ابن عمر مرفوعا البركة فى صغر القرص وقيل عن النسائى
انه كذب لكن روى البزار بسند ضعيف عن ابى الدرداء مرفوعا قوتوا طعامكم يبارك
لكم فيه قال فى النهاية وحكى عن الاوزاعى انه تصغير الارغفة وكذلك حكى البزار عن
ابرهيم بن عبد الله بن الجنيد عن بعض اهل العلم انه تصغير الارغفة اشار الى ذلك
شيخنا فى المقاصد الحسنة ولعل هذا سند شيخى وقدوتى وعين بصيرتى العارف
الربانى برهان العارفين ابى اسحق ابرهيم المتبولى فى تصغيره ارغفة سماطه كالشيخ
ابى العباس احمد البدوى والسادات اكسير معارف السعادات اولى المواهب العلية
والحقايق المحمدية بنى الوفا اعاد الله من بركاتهم علينا وواصل امداداتهم الينا
وعن عائشة قالت توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عندى شئ ياكله ذو كبد
الا شطر شعير فى رف لى فاكلت منه حتى طال على فكلته ففنى رواه البخارى ومسلم
وعندهما ايضا قالت توفى صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى على
ثلثين صاعا من شعير وقال ابن عباس ودرعه مرهونة بعشرين صاعا من طعام
اخذه لاهله رواه الترمذى وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاذا هو بابى بكر وعمر فقال ما اخرجكما من بيوتكما
هذه الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال وانا والذى نفسى بيده لاخرجنى الذى
اخرجكما فاتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس فى بيته فلما راته المراة قالت مرحبا
واهلا فقال لها صلى الله عليه وسلم اين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء اذ
جاء الانصارى فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه وقال الحمد لله
ما احد اليوم اكرم اضيافا منى قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال
كلوا واخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح
لهم فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما ان شبعوا ورووا قال صلى الله عليه

وسلم لابى بكر وعمر والذى نفسى بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيمة اخرجكم
من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى اصابكم هذا النعيم رواه مسلم وغيره وهذا السؤال
سؤال تشريف وانعام وتعديد فضل واكرام وعن طلحة بن نافع انه سمع جابر بن
عبد الله يقول اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى ذات يوم الى منزله
فاخرج اليه فلق من خبز فقال ما من ادم فقالوا لا الا شئ من خل قال نعم الادام الخل
قال جابر فما زلت احب الخل منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
طلحة فما زلت احب الخل منذ سمعتها من جابر رواه مسلم وروى ابن بجير قال اصاب
النبى صلى الله عليه وسلم جوع يوما فعمد الى حجر فوضعه على بطنه ثم قال الا رب
نفس طاعمة ناعمة فى الدنيا جائعة عارية يوم القيمة الا رب مكرم لنفسه وهو
لها مهين الا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم رواه ابن ابى الدنيا وعن انس بن ابى
طلحة قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا
عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه عن حجرين قال الترمذى
هذا حديث غريب من حديث ابى طلحة لا نعرفه الا من هذا الوجه ومعنى قوله
ورفعنا عن بطوننا عن حجر قال كان احدهم يشد فى بطنه الحجر من الجهد والضعف
الذى به من الجوع وقصة جابر يوم الخندق حين راى النبى صلى الله عليه وسلم
يوم الخندق وقد قام الى الكدية وبطنه معصوب بحجر وتقدمت وما احسن قول
الابوصيرى • وشد من سغب احشاءه وطوى • تحت الحجارة كشحا مترف الادم • والكشح
كما ذكرته فى شرح هذه القصيدة ما بين خاصرته الشريفة واقصر ضلع من جنبه
الشريف وانما فعل هذا صلى الله عليه وسلم ليسكن بعض الم الجوع وانما كان هذا
الفعل مسكنا لان كلب الجوع من شدة حرارة المعدة الغريزية فهذا اذا امتلات
من الطعام اشتغلت تلك الحرارة بالطعام فاذا لم يكن فيها طعام طلبت رطوبات
الجسم وجواهره فيتالم الانسان بتلك الحرارة فيتعلق بكثير من جواهر البدن فاذا
انضمت على المعدة الاحشاء والجلد خمدت نارها بعض الخمود فقل الالم وانما تالمه
بالجوع ليحصل له تضعيف الاجر مع حفظ قوته ونضارة جسمه حتى ان من
راه لا يظن ان به جوعا لان حسنه صلى الله عليه وسلم انما كان يرى اشد نضارة
من اجسام المترفين بالنعم فى الدنيا وهذا المعنى هو الذى قصد الناظم بقوله مترف
الادم وهو من باب الاحتراس والتكميل لانه لما ذكر انه شد من سغب خاف ممن يتوهم ان
جسمه الشريف حينئذ يظهر فيه اثر الجوع فاحترس ورفع ذلك الايهام بقوله مترف
الادم وقد انكر ابو حاتم وابن حبان احاديث وضع الحجر على بطنه الشريف من الجوع

وقال انها باطلة متمسكا بحديث الوصال لست كاحدكم انى اُطعم واُسقى قال وانما معناه
الحجز بالزاى وهو طرف الازار لان الله تعالى قدكان يطعم رسوله عليه الصلاة والسلام
ويسقيه اذا واصل فكيف يحتاج الى شد الحجر على بطنه وما يغنى الحجر عن الجوع انتهى وقال
بعضهم يجوز ان يكون عصب الحجر لعادة عند العرب واهل المدينة انهم يفعلون ذلك
اذا خلت اجوافهم وغارت بطونهم يشدون عليها حجرا ففعل صلى الله عليه وسلم
ذلك ليعلم اصحابه انه ليس عنده ما يستاثر به عليهم والصواب صحة الاحاديث وانه
صلى الله عليه وسلم فعل ذلك اختيارا للثواب وقد استشكل كونه صلى الله عليه وسلم
واصحابه كانوا يطوون الايام جوعا مع ما ثبت انه كان يرفع لاهله قوت سنة وانه
قسم بين اربعة انفس من اصحابه الف بعير مما افاء الله عليه وانه ساق فى عمرته مائة
بدنة فنحرها واطعمها المساكين وانه امر لاعرابى بقطيع من الغنم وغير ذلك مع من كان
معه من اصحابه الاموال كابى بكر وعمر وعثمان وطلحة وغيرهم مع بذلهم انفسهم واموالهم
بين يديه وقد امر بالصدقة فجاء ابو بكر بجميع ماله وعمر بنصفه وحث على تجهيز جيش
العسرة فجهزهم عثمان بالف بعير الى غير ذلك واجاب عنه الطبرى كما حكاه فى فتح البارى
ان ذلك كان منهم فى حالة دون حالة لا لعوز وضيق بل تارة للايثار وتارة لكراهة
الشبع ولكثرة الاكل انتهى وتعقب بان ما نفاه مطلقا فيه نظر لما تقدم من الاحاديث
واخرج ابن حبان فى صحيحه عن عائشة من حدثكم انا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم فلما
افتتحت قريظة اصبنا شيئا من التمر والودك الى غير ذلك قال الحافظ ابن حجر والحق ان
الكثير منهم كانوا فى حال ضيق قبل الهجرة حيث كانوا بمكة ثم لما هاجروا الى المدينة كان
اكثرهم كذلك فواساهم الانصار بالمنازل والمنايح فلما فتحت لهم النضير وما بعدها ردوا
عليهم منايحهم كما تقدم وقد قال عليه السلام لقد اخفت فى الله وما يخاف احد ولقد
اوذيت فى الله وما يوذى احد ولقد اتت على ثلاثون من يوم وليلة مالى ولبلال
طعام ياكله احد الا شئ يواريه ابط بلال رواه الترمذى وصححه نعم كان صلى
الله عليه وسلم يختار ذلك مع امكان حصول التوسع والتبسط فى الدنيا له كما
اخرج الترمذى من حديث ابى امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرض على
ربى ليجعل بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب لكن اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت
اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك وحكمة هذا التفصيل الالتذاذ بالخطاب
والا فالله تعالى عالم بالاشياء جملة وتفصيلا وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل على الصفا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا جبريل والذى بعثك بالحق ما امسى لآل محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق فلم

بكن

بكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء افزعته فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم امر الله القيمة ان تقوم قال لا ولكن امر اسرافيل فنزل اليك حين سمع كلامك فاتاه
اسرافيل فقال ان الله قد سمع ما ذكرت فبعثنى اليك بمفاتيح خزائن الارض وامرنى ان
اعرض عليك اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت فان
شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فاومى اليه جبريل ان تواضع فقال بل نبيا
عبدا ثلاثا رواه الطبرانى باسناد حسن فانظر الى همته العلية صلى الله عليه وسلم
كيف عرضت عليه مفاتيح كنوز الارض فاباها ومعلوم انه لو اخذها لانفقها فى
طاعة ربه فابى ذلك واختار العبودية المحضة فيالها من همة شريفة رفيعة
ما اسناها ونفس زكية ما ابهاها ولله در صاحب بردة المديح حيث قال

وراودته الجبال الشم من ذهب	عن نفسه فاراها ايما شمم
واكدت زهده فيها ضرورته	ان الضرورة لا تعدو على العصم
وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من	لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

اى كيف تدعو ضرورة سيد المعصومين الى زخرف الدنيا وهى وما فيها انما برزت
لاجله فكيف يضطر اليها لكن فى كلامه شئ فانه فى مقام المدح فلا يليق منه الوصف
بالزهد ولا بالضرورة قال الحليمى فى شعب الايمان من تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم
ان لا يوصف بما هو عند الناس من اوصاف الضعة فلا يقال كان فقيرا وانكر بعضهم
اطلاق الزهد فى حقه صلى الله عليه وسلم وقد حكى صاحب نثر الدرر عن محمد بن
واسع انه قيل له فلان زاهد قال وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها وقد ذكر القاضى عياض
فى الشفاء ونقله عنه الشيخ تقى الدين السبكى فى كتابه السيف المسلول ان فقهاء
الاندلس افتوا بقتل حاتم الطليطلى وصلبه لاستخفافه بحق النبى صلى الله عليه وسلم
وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وزعمه انه لم يكن زهده قصدا ولو قدر على الطيبات
اكلها انتهى وذكر الشيخ بدر الدين الزركشى عن بعض الفقهاء المتاخرين انه كان يقول
لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال قط ولا حاله حال فقير بل كان اغنى الناس
بالله قد كفى امر دنياه فى نفسه وعياله وكان يقول فى قوله عليه السلام اللهم احينى
مسكينا ان المراد به استكانة القلب لا المسكنة التى هى ان لا يجد ما يقع موقعا من
كفايته وكان يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك انتهى واما ما يروى انه عليه السلام
قال الفقر فخرى وبه افتخر فقال شيخ الاسلام والحافظ ابن حجر هو باطل موضوع واعلم
انه لم يكن من عادته صلى الله عليه وسلم حبس نفسه على نوع واحد من الاغذية لا
يتعداه الى سواه فان ذلك يضر بالطبيعة جدا ولو انه افضل الاغذية بل كان صلى

قف على ما روى له صلى الله عليه وسلم الفقر فخرى وبه افتخر كذب

عليه وسلم يأكل ماجرت عادة اهل بلده من اللحم والفاكهة والخبز والتمر وغيره مما سيأتي
فاكل صلى الله عليه وسلم الحلوى والعسل وكان يحبهما رواه البخاري والترمذي والحلوى
بالقصر والمد كل حلو وقال الخطابي اسم الحلوى لا يقع الا على ما دخلته الصنعة وقال
ابن سيده ما عولج من الطعام بحلو وقد يطلق على الفاكهة قال الخطابي ولم يكن حبه
عليه السلام لها على معنى كثرة التشهي لها وشدة نزاع النفس اليها وانما كان ينال
منها اذا حضرت اليه نيلا صالحا فيعلم بذلك انها تعجبه ووقع في كتاب فقه اللغة
للثعالبي ان حلوى النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يحبها هي المجيع بالميم والجيم بوزن
عظيم وهي تمر يعجن بلبن حكاه في فتح الباري ولا يصح وروده انه عليه السلام كان يحب
السكر ولا انه تصدق به ولا انه رآه لكن اخرج ابو جعفر الطحاوي والبيهقي في سننه
من حديث لمازة عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم حضر ملاك رجل من الانصار فجاءت الجواري معهن الاطباق
عليها اللوز والسكر فامسك القوم ايديهم فقال عليه السلام الا تنتهبون قالوا
انك نهيت عن النهبة قال اما العرسان فلا قال فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يجاذبهم ويجاذبوه واحتج به الطحاوي على ان النثار غير مكروه كما ذهب اليه ابو حنيفة
وقضى به على الاحاديث الصحيحة التي فيها النهي عن النهبة لكن قال البيهقي بعد رواية
الحديث وهذا لا يثبت ثم قال وروي من حديث عائشة عنه صلى الله عليه وسلم ولا
يثبت في هذا المعنى شيء وشنع على الطحاوي القول في ذلك جدا في كتاب المعرفة
وقال الحديث انما يروى عن عون بن عمارة وعصمة بن سليمان وكلاهما لا يحتج به
وشيخهما لمازة بن المغيرة مجهول فهاتان علتان كل منهما منفردة توجب ضعف الحديث
فكيف بهما مجتمعتان هذا وخالد بن معدان منقطع ولا حجة في منقطع فهذه علل
ثلاث يضعف الحديث بدونها وقد افرد الكلام على ذلك ابن مفلح اليوسفي والله اعلم
وعن ليث بن ابي سالم قال اول من خبص في الاسلام عثمان بن عفان قدمت عليه
عير تحمل الدقيق والعسل فخلط بينهما وبعث به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاكل فاستطابه قال الطبري في الرياض رواه خيثمة في فضائل عثمان وعن عبد الله
بن سلام قال قدمت عير فيها جمل لعثمان بن عفان عليه دقيق حواري وسمن وعسل
فاتى بها النبي صلى الله عليه وسلم فدعا فيها بالبركة ثم دعا ببرمة فنصبت على النار
وجعل فيها من العسل والدقيق والسمن ثم عصد حتى نضج او كاد ينضج ثم انزل
فقال صلى الله عليه وسلم كلوا هذا شيء تسميه فارس الخبيص قال الطبري خرجه
تمام في فوائده والطبراني في معجمه رجاله ثقات واكل صلى الله عليه وسلم لحم الضان

وهذه الثلاثة اعني الحلوى والعسل واللحم من افضل الاغذية وانفعها للبدن والاعضاء
ولا ينفر منها الا من به علة وآفة واللحم سيد طعام اهل الجنة وفي رواية سيد الطعام
لاهل الدنيا والآخرة رواه ابن ماجة وابن ابي الدنيا من حديث ابي الدرداء مرفوعا
وسنده ضعيف وله شواهد منها عن علي رفعه سيد طعام الدنيا اللحم ثم الارز
اخرجه ابو نعيم في الطب النبوي واكل اللحم يزيد سبعين قوة قاله الزهري وعن علي
انه يصفي اللون ويحسن الخلق ومن تركه اربعين ليلة ساء خلقه ولابي الشيخ بن حيان
قف على ان اللحم سيد طعام الدنيا والارز ايضا
من رواية سمعان قال سمعت من علمائنا يقولون كان احب الطعام الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة
ولو سالت ربي ان يطعمنيه كل يوم لفعل وقال الامام الشافعي ان اكله يزيد في العقل
وكان عليه السلام يعجبه الذراع ولذلك سم فيه وعن ابي رافع انه اهديت له شاة
فجعلها في قدر فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا ابا رافع فقال
شاة اهديت لنا يا رسول الله فطبختها في القدر فقال ناولني الذراع يا ابا رافع فناولته
الذراع ثم قال ناولني الذراع الآخر فقال ناولني الذراع الآخر فقلت يا رسول الله انما
للشاة ذراعان فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اما انك لو سكت لناولتني ذراعا
فذراعا ما سكت ثم دعا بماء فمضمض فاه وغسل اطراف اصابعه ثم قام فصلى الحديث
رواه احمد ورواه الدارمي والترمذي عن ابي عبيد بلفظ طبخت له صلى الله عليه
وسلم قدرا وكان يعجبه الذراع ثم قال ناولني الذراع فناولته الذراع ثم قال ناولني الذراع
فقلت يا رسول الله وكم للشاة من ذراع فقال والذي نفسي بيده لو سكت لناولتني
قف على انه صلى الله عليه وسلم كان يحب الذراع والرقبة
الذراع ما دعوت وقالت عائشة وكان الذراع احب اليه وكان لا ياكل اللحم الا غبا وكان
يعجل اليها لانها اعجل نضجا رواه الترمذي وكذلك كان يحب لحم الرقبة فعن ضباعة
بنت الزبير انها ذبحت في بيتها شاة فارسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اطعمنا من شاتكم فقالت ما بقي عندنا الا الرقبة واني لاستحي ان ارسل بها الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الرسول فاخبره فقال ارجع اليها فقل ارسلي
بها فانها هادية الشاة واقرب الشاة الى الخير وابعدها من الاذى ولا ريب ان اخف
لحم الشاة لحم الرقبة ولحم الذراع والعضد وهو اخف على المعدة واسرع انهضاما
وفي هذا انه ينبغي مراعاة الاغذية التي تجمع ثلاث خواص احدها كثرة نفعها وتاثيرها
في القوى الثاني خفتها على المعدة وسرعة انحدارها عنها الثالث سرعة هضمها
وهذا افضل ما يكون من الغذاء وقال عليه السلام اطيب اللحم لحم الظهر رواه الترمذي
واما حديث انه صلى الله عليه وسلم يكره الكليتين لمكانهما من البول فقال الحافظ

العراقي رويناه في جزء من حديث ابي بكر محمد بن عبد الله الشخير من حديث ابن عباس باسناد
فيه ضعف انتهى• وكان عليه السلام ينتهش اللحم اي يقبض عليه بفمه ويزيله من العظم
او غيره وينتشله اي يقتلعه من المرق والنهش بعيد الانتشال• وفي البخاري انه عليه
السلام احتز من كتف شاة في يده فدعي الى الصلاة فالقاها والسكين التي يحتز
بها ثم قام الى الصلاة ولم يتوضا• قال ابن بطال هذا الحديث يرد حديث ابي معشر
عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رفعته لا تقطعوا اللحم بالسكين فانه من
صنيع الاعاجم وانهشوه فانه اهنى وامرى قال ابو داود وهو حديث ليس بالقوي
قال الحافظ ابو الفضل العسقلاني رحمه الله له شاهد من حديث صفوان بن امية
اخرجه الترمذي بلفظ انهشوا اللحم نهشا فانه اهنى وامرا• وقال لا نعرفه الا من حديث
عبد الكريم انتهى• قال وعبد الكريم هو ابو امية بن ابي المخارق ضعيف لكن اخرجه ابن
ابي عاصم من وجه آخر عن صفوان بن امية فهو حسن لكن ليس فيه ما زاده ابو معشر
من التصريح بالنهي عن قطع اللحم بالسكين واكثر ما في حديث صفوان ان النهش اولى
انتهى ويمكن الجمع بان النهش من ما على العظم الصغير والاحتراز مما على الكبير واكل صلى
الله عليه وسلم المشوي فعن ام سلمة انها قربت الى النبي صلى الله عليه وسلم جنبا
مشويا فاكل منه ثم قام الى الصلاة وما توضا قال الترمذي حديث صحيح واكل صلى الله
عليه وسلم القديد كما في حديث السنن عن رجل قال ذبحت لرسول الله صلى الله عليه
وسلم شاة ونحن مسافرون فقال اصلح لحمها فلم ازل اطعمه منه الى المدينة واكل
عليه السلام من الكبد المشوية واكل لحم الدجاج رواه الشيخان والترمذي وغيرهم
واكل لحم حمار الوحش رواه الشيخان• واكل لحم الجمل سفرا وحضرا• واكل لحم الارنب
رواه الشيخان• واكل من دواب البحر رواه مسلم• واكل الثريد وهو بفتح المثلثة ان يثرد
الخبز بمرق اللحم وقد يكون معه اللحم ومن امثالهم الثريد احد اللحمين وروى ابو داود
من حديث ابن عباس قال كان احب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الثريد من الخبز والثريد من الحيس• واكله عليه السلام بالسمن واكل الخبز بالزيت
وعن حذيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان جبريل اطعمني الهريسة يشد
بها ظهري لقيام الليل رواه الطبراني في الاوسط• وفيه محمد بن الحجاج اللخمي وهو
الذي وضع هذا الحديث واكل عليه السلام الدبا وكانت تعجبه وكان يتتبعها من
حوالي القصعة قال انس فلم ازل احب الدبا من يومئذ رواه مسلم قال النووي فيه
انه يستحب ان يحب الدبا وكذلك كل شيء كان يحبه النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك اكل
عليه السلام السلق مطبوخا بالشعير قال الترمذي حديث حسن غريب• واتى الحسن

بن علي

بن علي وابن عباس وابن جعفر الى سلمى فقالوا اصنعي لنا طعاما مما كان يعجب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويحسن اكله فقالت يا بني لا تشتهيه اليوم قال بل اصنعيه لنا
قال فقامت فاخذت شيئا من الشعير فطحنته ثم جعلته في قدر وصبت عليه شيئا
من زيت ودقت الفلفل والتوابل فقربته اليهم فقالت هذا مما كان يعجبه صلى الله عليه
وسلم ويحسن اكله رواه الترمذي• واكل عليه الصلاة والسلام الخزيرة وهي بخاء معجمة
مفتوحة ثم زاي مكسورة وبعد التحتانية الساكنة راء ما يتخذ من الدقيق على هيئة
العصيدة لكنه ارق منها قاله الطبري وقال ابن فارس دقيق يخلط بشحم وقال القتبي
وتبعه الجوهري ان يوخذ اللحم فيقطع صغارا ويصب عليه ماء كثير فاذا نضج ذر
عليه الدقيق فان لم يكن فيها لحم فهي عصيدة وقيل مرقة تصفى من بلالة النخالة ثم
تطبخ وقيل الخزيرة بالاعجام من النخالة والحريرة بالاهمال من اللبن وعن عتبان انه غدى على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر حين ارتفع النهار وحبسناه على خزيرة صنعناه
واكل عليه السلام الاقط كما قاله ابن عباس فيما رواه وهو جبن اللبن المستخرج
زبده وهو كثير بمكة والمدينة زادهما الله شرفا وهو اشبه شيء بالكشك• واكل
عليه السلام الرطب والتمر والبسر رواه مسلم والترمذي وغيرهما• واكل الكباث
رواه مسلم وهو بفتح الكاف وتخفيف الموحدة وبعد الالف مثلثة النضيج من ثمر
الاراك وقيل ورق الاراك وتعقبه الاسماعيلي فقال انما هو ثمر الاراك وهو البرير
بموحدة بوزن الحرير فاذا هو اسود فهو الكباث• وفي النهاية لابن الاثير انه عليه السلام
كان يحب الجذب بالجيم والذال المعجمة المفتوحتين اي الجمار وهو شحم النخل واحدتها
جذبة واما الجبن ففي السنن من حديث ابن عمر قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم بجبنة
في تبوك فدعى بسكين فسمى وقطع رواه ابو داود• وكان عليه السلام يراعي صفات
الاطعمة وطبايعها واستعمالها على قاعدة الطب فاذا كان في احد الطعامين ما يحتاج
الى كسر وتعديل كسره وعدله بضده ان امكن كتعديله حرارة الرطب بالبطيخ وهذا
اصل كبير في المركبات من الادوية وان لم يجد ذلك تناوله على حاجة وداعية من
النفس من غير اسراف وروى ابو داود من حديث ابي اسامة عن هشام انه صلى الله
عليه وسلم كان ياكل البطيخ بالرطب ويقول نكسر حر هذا ببرد هذا وبرد هذا بحر هذا
رواه يزيد بن رومان عن الزهري عن عروة بتقديم الطا كما للنوقاني وبتاخيرها كما
للنسائي في الوليمة فكانه كان عند هشام باللفظين وكذا رواه ابن حبان في صحيحه
من حديث محمد بن عبد الرحمن عن الامام احمد بن حنبل عن وهب بن جرير بن حازم
حدثنا ابي سمعت حميدا يحدث عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم ياكل الطبيخ والبطيخ

بالرطب وقال عتبة الشك من احمد وتقديم الطا لغة حكاها صاحب المحكم وقد كان
محمد بن اسلم لا ياكل البطيخ لانه لم ينقل كيفية اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
له وروى الطبراني في الاوسط من حديث عبد الله بن جعفر قال رايت في يمين النبي
صلى الله عليه وسلم قثا وفي شماله رطبا وهو ياكل من ذا مرة ومن ذا مرة وفي سنده
ضعف واخرج فيه وفي الرطب لابي نعيم من حديث انس كان ياخذ الرطب بيمينه والبطيخ
بيساره فياكل الرطب بالبطيخ وكان احب الفاكهة اليه واخرج النسائي بسند صحيح عن
حميد عن انس رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرطب والخربز وهو
بكسر الخا المعجمة وسكون الرا وكسر الموحدة بعدها زاى نوع من البطيخ الاصفر وفي
هذا تعقب على من زعم ان المراد بالبطيخ في الحديث الاخضر واعتلوا بان الاصفر فيه حرارة
كما في الرطب وقد ورد التعليل بان احدهما يطفي حرارة الآخر والجواب عن ذلك بان
في الاصفر بالنسبة للرطب برودة وان كان فيه لحلاوة طرف حرارة والله اعلم وفي
رواية النسائي ايضا بسند صحيح عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم اكل البطيخ
والرطب جميعا واخرج ابن ماجة عن عائشة ارادت امي معالجتي للسمنة لتدخلني
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فما استقام لها ذلك حتى اكلت الرطب بالقثاء
فسمنت كاحسن سمنة ورواه النسائي وقال بالتمر مكان الرطب واما فضائل البطيخ
فاحاديثه باطلة وان افرده النوقاني في جزء كما قاله الحفاظ والله اعلم وقد كان عليه
السلام ياكل التمر بالزبد ويعجبه فعن عبد الله بن بشر وعطية ابني بشر قالا دخل علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمنا له زبدا وتمرا وكان يحب الزبد والتمر رواه
ابو داود وابن ماجة وسمى صلى الله عليه وسلم اللبن بالتمر الاطيبين رواه احمد وكان
ياكل الخبز مأدوما ما وجد له اداما فتارة يأدمه باللحم ويقول هو سيد الطعام لاهل
الدنيا والآخرة وتارة بالبطيخ وتارة بالتمر فانه وضع تمرة على كسرة من خبز الشعير
وقال هذه ادام هذه رواه ابو داود والترمذي بسند حسن من حديث يوسف بن عبد
الله بن سلام قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم اخذ فذكره قال ابن القيم وهذا
من تدبير الغذا فان الشعير بارد يابس والتمر حار رطب على اصح القولين فأدم خبز
الشعير به من احسن التدبير وتارة بالخل ويقول نعم الادم الخل رواه مسلم وتقدم
قال الخطابي والقاضي عياض معناه مدح الاقتصاد في المأكل ومنع النفس من ملاذ
الاطعمة تقديره ايتدموا بالخل وما في معناه مما تخف مؤنته ولا يعز وجوده ولا تتانقوا
في الشهوات فانها مفسدة للدين مسقمة للبدن وتعقبه النووي فقال الذي ينبغي
ان يجزم به انه مدح للخل نفسه واما الاقتصاد في المطعم وترك الشهوات فمعلوم

من قواعد اخر وقال ابن القيم هذا ثناء عليه بحسب مقتضى الحال الحاضر لا تفضيل له على
غيره كما ظنه بعضهم قال وسبب الحديث انه دخل على اهله يوما فقدموا له خبزا
فقال ما من أدم فقالوا ما عندنا الا خل فقال نعم الادم الخل والمقصود ان اكل الخبز
مع الأدم من اسباب حفظ الصحة بخلاف الاقتصار على احدهما وسمى الادم ادما
لاصلاحه الخبز وجعله ملايما لحفظ الصحة وليس في هذا تفضيل له على اللبن واللحم
والعسل والمرق ولو حضر لحم او لبن لكان اولى بالمدح منه فقال هذا جبرا وتطييبا
لقلب من قدم له لا تفضيلا له على سائر انواع الأدم وكان عليه السلام ياكل من فاكهة
بلده عند مجيئها ولا يحتمي عنها وهذا من اكبر اسباب الصحة فان الله سبحانه بحكمته
جعل في كل بلد من الفاكهة ما ينتفع به اهلها في وقته فيكون تناوله من اسباب
صحتهم وعافيتهم ويغني عن كثير من الادوية وقل من احتمى عن فاكهة بلده خشية
السقم الا وهو اسقم الناس جسما وابعدهم من الصحة والقوة فمن اكل منها ما ينبغي
في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي كان له دواء نافعا وقد روى ابن عباس
قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل العنب خرطا رويناه في الغيلانيات
لكن قال ابو جعفر العقيلي كما حكاه في الهدى لا اصل لهذا الحديث قال ابن الاثير يقال
خرط العنقود واخترطه اذا وضعه في فيه ثم ياخذ حبه ويخرج عرجونه عاريا
منه قال وجاء في بعض الروايات خرصا يعني بالصاد بدل الطاء واما البصل فروى
ابو داود في سننه عن عائشة انها سئلت عن البصل فقالت ان آخر طعام اكله
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بصل وثبت عنه في الصحيحين انه منع آكله
من دخول المسجد وكان عليه السلام يترك الثوم دائما لانه يتوقع مجيء الملئكة
والوحي كل ساعة قال النووي واختلف اصحابنا في حكم الثوم في حقه صلى الله
عليه وسلم وكذلك البصل والكراث ونحوها فقال بعض اصحابنا محرمة عليه
والاصح عندهم انها مكروهة كراهية تنزيه وليست محرمة لعموم قوله عليه
السلام لا في جواب قوله احرام هي ومن قال بالاول يقول معنى الحديث ليس بحرام
في حقكم انتهى فينبغي لمحبه موافقته عليه السلام في ترك الثوم ونحوه وكراهة
ما كان يكرهه عليه السلام فان من اوصاف المحب الصادق ان يحب ما احب
محبوبه ويكره ما يكرهه وكان عليه السلام ياكل باصابعه الثلاث رواه
الترمذي في الشمائل وهذا كما في الهدى انفع ما يكون من الاكلات فان الاكل باصبع
اكل المتكبر ولا يستلذ به الاكل ولا يمريه ولا يشبعه الا بعد طول ولا يفرح آلات
الطعام والمعدة بما ينالها في كل اكلة فياخذها على اغماض كما ياخذ الرجل حقه حبة

حبة اونحو ذلك فلا يستلذ باخذه والاكل بالخمسة والراحة يوجب ازدحام الطعام
على الآلة وعلى المعدة وربما استدت الالات فمات وتغصب الالات على دفعه والمعدة
على احتماله ولايجد له لذة ولا استمراء فانفع الاكل اكله صلى الله عليه وسلم واكل من اقتدى
به بالاصابع الثلاث وكان عليه السلام يلعق اصابعه اذا فرغ ثلاثا رواه الترمذى
فى الشمائل وفى رواية مسلم ويلعق يده قبل ان يمسحها • وفى رواية انه امر بلعق الاصابع
والصحفة وقد روى الترمذى عن ام عاصم قالت دخل علينا نبيشة الخير ونحن
ناكل فى قصعة فحدثنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اكل من قصعة
ثم لحسها استغفرت له القصعة وكذا اخرجه ابن ماجة واحمد وابن شاهين
والدارمى وغيرهم وقال الترمذى انه حديث غريب واورده بعضهم بلفظ
تستغفر الصحفة للاحسها • وفى حديث جابر مرفوعا عند ابى الشيخ فى الثواب من
اكل ما يسقط من الخوان والقصعة امن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده
الحمق وللديلمى من طريق الرشيد عن ابائه عن ابن عباس رفعه من اكل ما يسقط من
المائدة خرج ولده صبيح الوجوه ونفى عنه الفقر • واورده الغزالى فى الاحياء بلفظ
عاش فى سعة وعوفى فى ولده وكلها مناكر لكن فى مسلم عن جابر وانس مرفوعا اذا
وقعت لقمة احدكم فلياخذها فليمط ما كان بها من اذى ولا يدعها للشيطان
ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه لانه لا يدرى فى اى طعامه البركة وفى
حديث كعب بن عجرة عند الطبرانى فى الاوسط صفة لعق الاصابع ولفظه رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل باصابعه الثلاث بالابهام والتى تليها والوسطى
ثم رايته يلعق اصابعه الثلاث قبل ان يمسحها الوسطى ثم التى تليها ثم الابهام
قال الحافظ زين الدين العراقى فى شرح الترمذى كان السر فيه ان الوسطى اكثر تلويثا
لانه اطول فيبقى فيها من الطعام اكثر من غيرها ولانها لطولها اول ما ينزل الطعام
وقد وقع فى مرسل بن شهاب عند سعيد بن منصور ان النبى صلى الله عليه وسلم
كان اذا اكل اكل بخمس فيجمع بينه وبين ما تقدم باختلاف الحال وقد جاءت علة
اللعق مبنية فى بعض الروايات لانه لا يدرى احدكم فى اى طعامه البركة وفى الحديث
رد على من كره لعق الاصابع استقذارا ممن ينسب للرياسة والامرة فى الدنيا نعم
يحصل ذلك لو فعله فى اثناء الاكل لانه يعيد اصابعه فى الطعام وعليها اثر ريقه
قال الخطابى عاب قوم افسد عقلهم الترفه لعق الاصابع وزعموا انه مستقبح
كانهم لم يعلموا ان الطعام الذى علق بالاصابع والصحفة جزء من اجزاء ما اكلوه
واذا لم يكن سائر اجزائه مستقذرا لم يكن الجزء اليسير منه مستقذرا وليس فى

ذلك اكثر من مص اصابعه بباطن شفتيه ولا يشك عاقل ان لا باس بذلك فقد
يتمضمض الانسان فيدخل اصبعه فى فيه فيدلك اسنانه وباطن فمه ثم لم يقل احد
ان ذلك قذارة وسوء ادب انتهى ولاريب ان من استقذر ما نسب الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم مسئ الادب يخشى عليه امر عظيم فنسال الله من وجاهة
وجهه الكريم ان لا يسلك بنا غير سبيل سنته وان يديم لنا حلاوة محبته وقد
كان صلى الله عليه وسلم لا ياكل متكئا لما صح انه قال لا اكل متكئا رواه البخارى وقال
انما انا عبد اجلس كما يجلس العبد واكل كما ياكل العبد وروى بن ماجة والطبرانى
باسناد حسن قال اهديت للنبى صلى الله عليه وسلم شاة فجثى على ركبتيه ياكل
فقال له اعرابى ما هذه الجلسة فقال ان الله جعلنى كريما ولم يجعلنى جبارا عنيدا
قال ابن بطال انما فعل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك تواضعا لله ثم ذكر من طريق
ايوب عن الزهرى قال اتى النبى صلى الله عليه وسلم ملك لم ياته قبلها فقال ان
ربك يخيرك بين ان تكون نبيا عبدا او نبيا ملكا فنظر الى جبريل كالمستشير له فاوما
اليه ان تواضع فقال بل عبدا نبيا قال فما اكل متكئا وهذا مرسل او معضل وقد
وصله النسائى من طريق الزبيدى عن الزهرى عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال ما رءى النبى صلى الله عليه وسلم ياكل متكئا قط واخرج ابن ابى شيبة عن مجاهد قال
ما اكل النبى صلى الله عليه وسلم متكئا الا مرة واحدة ويمكن الجمع بان تلك المرة التى
فى اثر مجاهد لم يطلع عليها عبد الله بن عمرو فقد اخرج ابن شاهين فى ناسخه من مرسل
عطا بن يسار ان جبريل راى النبى صلى الله عليه وسلم ياكل متكئا فنهاه وروى ابن ماجة
انه صلى الله عليه وسلم نهى ان ياكل الرجل وهو منبطح على وجهه وقد فسر القاضى
عياض فى الشفا الاتكاء بالتمكن للاكل والتقعدد للجلوس له كالمتربع وشبهه
من تمكن الجلسات التى يعتمد فيها الجالس على ما تحته قال والجالس على هذه الهيئة
يستدعى الاكل ويستكثر منه والنبى صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل
جلوس المستوفز مقعيا قال وليس معنى الحديث فى الاتكا الميل على شق عند المحققين
انتهى والاقعا ان يلصق اليتيه بالارض وينصب ساقيه ويتساند الى ظهره وهو
المنهى عنه فى الصلاة وتفسير القاضى عياض الاتكا بما فسره به حكاه فى الاكمال عن
الخطابى وقال ان الخطابى خالف فى هذا التاويل اكثر الناس وانهم انما حملوا الاتكاء على
انه الميل على احد الجانبين انتهى والذى رايته بعزى للخطابى تحسب العامة ان المتكئ
هو الاكل على احد شقيه وليس كذلك بل هو المعتمد على الوطاء الذى تحته انتهى وقد
فسر ايضا بالميل على احد الشقين وبه جزم ابن الجوزى وقيل هو الاعتماد على الشئ وقيل

ان يعتمد على يده اليسرى من الارض وقد اخرج ابن عدى بسند ضعيف زجر النبى صلى الله عليه
وسلم ان يعتمد الرجل على يده اليسرى عند الاكل قال الامام مالك هو نوع من الاتكاء
قال الحافظ ابو الفضل العسقلانى وفى هذا اشارة من مالك الى كراهة كلما يعد الآكل
فيه متكئا ولا يختص بصفة بعينها وحكى ابن الاثير فى النهاية ان من فسر الاتكاء
بالميل على احد الشقين تاوله على مذهب الطب وقال ابن القيم انه يضر بالآكل فانه
يمنع مجرى الطعام الطبيعى عن هيئاته ويعوقه عن سرعة نفوذه الى المعدة و
يضغط المعدة فلا يستحكم فتحها للغذاء واما الاعتماد على الشئ فهو من جلوس
الجبابرة المنافى للعبودية ولهذا قال عليه السلام آكل كما ياكل العبد وان كان المراد
بالاتكاء الاعتماد على الوسائد والوطاء الذى تحت الجالس كما ذكرته عن الخطابى فيكون
المعنى انى اذا اكلت لم اقعد متكئا على الاوطية والوسائد كفعل الجبابرة ومن يريد
الاكثار من الطعام لكنى آكل بلغة من الزاد فلذلك اقعد مستوفزا وفى حديث انس
انه صلى الله عليه وسلم اكل تمرا وهو مقع وفى رواية وهو محتفز والمراد الجلوس
على وركيه غير متمكن واختلف السلف فى حكم الاكل متكئا فزعم ابن العاص ان ذلك
من خصائصه صلى الله عليه وسلم وتعقبه السهيلى فقال قد يكره لغيره ايضا
لانه من فعل المتعظمين واصله مأخوذ من ملوك العجم قال فان كان بالمرء مانع
لا يتمكن معه من الاكل الا متكئا لم يكن فى ذلك كراهة ثم ساق عن جماعة من السلف
انهم اكلوا كذلك واشار الى حمل ذلك عنهم على الضرورة قال فى فتح البارى وفى الحمل نظر
وقد اخرج ابن ابى شيبة عن ابن عباس وخالد بن الوليد ومحمد بن سيرين وعطا بن
يسار وغيرهم جواز ذلك مطلقا واذا ثبت كونه مكروها او خلاف الاولى فالمستحب
فى صفة الجلوس للاكل ان يكون جاثيا على ركبتيه وظهور قدميه او ينصب الرجل
اليمنى ويجلس على اليسرى انتهى وقال ابن القيم ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم
انه كان يجلس للاكل متوركا على ركبتيه ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر اليمنى تواضعا
لله عز وجل وادبا بين يديه قال وهذه الهيئة انفع هيئات الاكل وافضلها لان الاعضا
كلها تكون على وضعها الطبيعى التى خلقها تعالى عليه انتهى واخرج ابن ابى شيبة
من طريق ابرهيم النخعى قال كانوا يكرهون ان ياكلوا اتكاء مخافة ان تعظم بطونهم وكان
صلى الله عليه وسلم اذا وضع يده فى الطعام يسمى الله تعالى واما قول النووى فى
آداب الاكل من الاذكار والافضل ان يقول بسم الله الرحمن الرحيم فان قال بسم
الله كفاه وحصلت السنة فقال فى فتح البارى لم ار لما ادعاه من الافضلية دليلا
خاصا وكان عليه السلام يحمد الله فى آخره فيقول الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه

غير مودع ولا مستغنى عنه ربنا رواه الترمذى وقوله غير مودع بفتح الدال الثقيلة
اى غير متروك ولا مستغنى بفتح النون وربنا بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى
هو ربنا ويجوز النصب على المدح او الاختصاص او اضمار اعنى وقال ابن الجوزى
بالنصب على النداء مع حذف اداة النداء وفى رواية الحمد لله الذى اطعمنا وسقانا
وجعلنا مسلمين وللنسائى من طريق عبد الرحمن بن جبير المصرى انه حدثه رجل
خدم النبى صلى الله عليه وسلم ثمان سنين انه كان يسمع النبى صلى الله عليه
وسلم اذا قرب اليه طعام يقول بسم الله فاذا فرغ قال اللهم اطعمت وسقيت
واغنيت واقنيت وهديت واحييت فلك الحمد على ما اعطيت وسنده صحيح
وقد كان عليه السلام يحب التيامن فى شانه كله وقال عليه السلام سم الله
سم الله وكل بيمينك ومما يليك قال الحافظ زين الدين العراقى فى شرح الترمذى
حمله اكثر الشافعية على الندب وبه جزم الغزالى ثم النووى لكن نص الشافعى
فى الرسالة وفى موضع آخر من الام على الوجوب وكذا ذكره عنه الصيرفى فى شرح
الرسالة ونقل البويطى فى مختصره ان الاكل من راس الثريد والتعريس على الطريق
والقران فى التمر حرام ومثل البيضاوى فى منهاجه للندب بقوله صلى الله عليه
وسلم كل مما يليك • وتعقبه الشيخ تاج الدين السبكى فى شرحه بان الشافعى
نص فى غير هذا الموضع على ان من اكل مما لا يليه عالما بالنهى كان عاصيا آثما قال
وقد جمع والدى نظائر هذه المسئلة فى كتاب له سماه كشف اللبس عن المسائل الخمس
ونصر القول بان الامر فيها للوجوب قال شيخ الاسلام بن حجر بعد ان ذكر ذلك
ويدل على وجوب الاكل باليمين ورود الوعيد فى الاكل بالشمال ففى صحيح مسلم
ان النبى صلى الله عليه وسلم راى رجلا ياكل بشماله فقال كل بيمينك قال لا استطيع
قال لا استطعت فما رفعها الى فيه بعد فان قلت انه عليه السلام كان يتتبع الدبا
من حوالى القصعة وهو يعارض الاكل مما يلى فالجواب انه لبيان الجواز على ما اذا علم
رضا من ياكل معه فاذا علم كراهة من ياكل معه لذلك لم ياكل الا مما يليه قال ابن بطال
وانما جالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطعام لانه علم ان احدا لا يكره ذلك
منه ولا يتقذره بل كانوا يتبركون بريقه ومماسته بيده بل كانوا يتبادرون الى نخامته
فيتدلكون بها وقال غيره انما فعل ذلك لانه كان ياكل وحده وهو غير مسلم لان انسا
اكل معه صلى الله عليه وسلم • وحديث عكراش عند الترمذى الذى فيه التفصيل
بين ما اذا كان لونا واحدا فلا يتعدى ما يليه او اكثر من لون فيجوز ضعيف والله اعلم
وقرب اليه صلى الله عليه وسلم طعام فقالوا الا ناتيك بوضوء فقال انما امرت بالوضوء

اذا قمتا الى الصلوة رواه الترمذى • وفى رواية انه عليه السلام قال بركة الطعام الوضوء
قبله والوضوء بعده فيحمل الوضوء الاول على الشرعى والثانى على اللغوى • وروى ابو يعلى
باسناد ضعيف من حديث ابن عمر من اكل من هذه اللحوم شيئا فليغسل يده من ريح وضره
ولا يوذى من حذاه ولم يكن صلى الله عليه وسلم ياكل طعاما حارا فروى الطبرانى فى
الصغير والاوسط من حديث بلال ابن ابى هريرة عن ابيه ان النبى صلى الله عليه وسلم
اتى بصحفة تفور فقال ان الله لم يطعمنا نارا قال وبلال قليل الرواية عن ابيه انتهى • وعند
ابى نعيم فى الحلية من حديث انس مرفوعا كان يكره الكى والطعام الحار ويقول عليكم بالبارد
فانه ذو بركة الا وان الحار لا بركة له الحديث • ولاحمد وابى نعيم من حديث سما انها كانت
اذا ثردت غطته بشئ حتى يذهب فوره ثم تقول انى سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول هو اعظم بركة لكن عند البيهقى بسند صحيح عن ابى هريرة قال اتى النبى صلى
الله عليه وسلم بطعام سخن فقال ما دخل بطنى طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم وكان
له عليه السلام قدح من خشب مضبب بحديد قال انس لقد سقيته عليه السلام بهذا
القدح الشراب كله الماء والنبيذ والعسل • وفى البخارى عن سهل بن سعد فاقبل النبى صلى
الله عليه وسلم حتى جلس فى سقيفة بنى ساعدة هو واصحابه ثم قال اسقنا يا سهل
فاخرجت لهم هذا القدح فاسقيتهم فيه فاخرج لنا سهل هذا القدح فشربنا منه ثم
استوهبه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك فوهبه له الحديث وكان عمر بن عبد العزيز قد
ولى حينئذ امرة المدينة • وعند البخارى من حديث عاصم الاحول قال رايت قدح رسول
الله صلى الله عليه وسلم عند انس بن مالك وكان قد انصدع فسلسله بفضة وهو
قدح جيد عريض من نضار وقال قال انس لقد سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى هذا القدح اكثر من كذا وكذا قال وقال ابن سيرين انه كان فيه حلقة من حديد فاراد
انس ان يجعل مكانها حلقة من ذهب وفضة فقال ابو طلحة لا تغيرن شيئا صنعه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتركه • وعنده فى فرض الخمس من طريق ابى حمزة السكرى عن
عاصم قال رايت القدح وشربت منه • واخرجه ابو نعيم من طريق على بن الحسن بن شقيق
عن ابى حمزة ثم قال قال على بن الحسن وانا رايت القدح وشربت منه وذكر القرطبى فى مختصر
البخارى انه راى فى بعض النسخ القديمة من البخارى قال ابو عبد الله البخارى رايت هذا
القدح بالبصرة وشربت منه وكان اشترى من ميراث النضر بن انس بثمانمائة الف
ووقع عند احمد من طريق شريك عن عاصم رايت عند انس قدح النبى صلى الله عليه
وسلم فيه ضبة من فضة وقوله من نضار بضم النون وبالضاد المعجمة الخالص من
العود ومن كل شئ ويقال اصله من شجر النبع وقيل من الاثل ولونه يميل الى الصفرة ولم ياكل

صلى الله

صلى الله عليه وسلم على خوان ولا اكل خبزا مرققا رواه الترمذى والخوان بكسر المعجمة ويجوز
ضمها المائدة ما لم يكن عليها طعام اما السفرة فاشتهرت لما يوضع عليه الطعام • وكان
صلى الله عليه وسلم ينهى عن النوم على الاكل ويذكر انه يقسى القلب ذكره ابو نعيم ولذا قال
الاطبا كما فى الهدى من اراد حفظ الصحة فليمش بعد العشا ولو مائة خطوة ولا ينام عقبه
فانه يضر جدا والصلوة بعد الاكل يسهل هضمه وكان شربه صلى الله عليه وسلم فقد
كان يستعذب له الماء اى يطلب له الماء الحلو قالت عائشة كان يستعذب له الماء من بيوت
السقيا رواه ابو داود وهو بضم المهملة وبالقاف وهى عين بينها وبين المدينة يومان
قال ابن بطال واستعذاب الماء لا ينافى الزهد ولا يدخل فى الترفه المذموم بخلاف تطييب
الماء بالمسك ونحوه فقد كرهه مالك لما فيه من السرف واما شرب الماء الحلو وطلبه
فمباح قد فعله الصالحون وليس فى شرب الماء الملح فضيلة وقد كان عليه السلام يشرب
العسل الممزوج بالماء البارد قال ابن القيم وفى هذا من حفظ الصحة ما لا يهتدى الى معرفته
الا افاضل الاطبا فان شرب العسل ولعقه على الريق يزيل البلغم ويغسل خمل المعدة و
يجلو لزوجتها ويدفع عنها الفضلات ويسخنها باعتدال ويفتح سددها والماء البارد
رطب يقمع الحرارة ويحفظ البدن • وقالت عائشة كان احب الشراب اليه صلى الله عليه
وسلم الحلو البارد رواه الترمذى ويحتمل ان يريد به الماء الممزوج بالعسل او الذى نقع
فيه التمر والزبيب وكان ينبذ له اول الليل ويشربه اذا اصبح يومه ذلك والليلة التى
تجئ والغد الى العصر فان بقى منه شئ سقاه الخادم او امر به فصب رواه مسلم • وهذا
النبيذ هو ما يطرح فيه تمر يحليه وله نفع عظيم فى زيادة القوة ولم يكن يشربه بعد
ثلاث خوفا من تغيره الى الاسكار وكان صلى الله عليه وسلم يشرب اللبن خالصا تارة
وتارة مشوبا بالماء البارد لان اللبن عند الحلب يكون حارا وتلك البلاد فى الغالب حارة
فكان يكسر حر اللبن بالماء البارد • وعن جابر انه صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من
الانصار ومعه صاحب له فسلم فرد الرجل وهو يحول الماء فى حائطه فقال صلى الله عليه
وسلم ان كان عندك ماء بات فى شنه والا كرعنا فقال عندى ماء بات فى شن فانطلق
الى العريش فسكب فى قدح ماء ثم حلب عليه من لبن داجن فشرب عليه السلام رواه
البخارى وكان عليه السلام يقول ليس يجزئ من الطعام والشراب الا اللبن قال الترمذى حديث
حسن وللترمذى عن ابن عمر مرفوعا ثلاثة لا ترد اللبن والوسادة والدهن وانشد بعضهم

قد كان من سيرة خير الورى •	صلى عليه الله طول الزمن •
ان لا يرد الطيب والمتكا •	واللحم ايضا يا اخى واللبن •

قال ابن القيم ولم يكن صلى الله عليه وسلم يشرب على طعامه لئلا يفسده ولا سيما

ان كان الماء حارا او باردا فانه ردى جدا انتهى وكان عليه السلام يشرب قاعدا وكان ذلك
عادته رواه مسلم وفى رواية له ايضا انه نهى عن الشرب قائما وفى رواية له ايضا عن
ابى هريرة لا يشربن احدكم قائما فمن نسى فليستقى اى يتقايأ • وفى الصحيحين من حديث ابن عباس قال
اتيت النبى صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء زمزم فشرب وهو قائم وفى حديث على عند
البخارى انه شرب وهو قائم ثم قال ان ناسا يكرهون الشرب قائما وان النبى صلى الله عليه
وسلم صنع مثل ما صنعت وكل هذه الاحاديث صحيحة ولا اشكال فيها ولا تعارض وغلط
من زعم ان فيها نسخا وكيف يصار الى النسخ مع امكان الجمع بين الاحاديث والصواب ان النهى
محمول على كراهة التنزيه واما شربه عليه السلام قائما فلبيان الجواز فان قلت كيف يكون
الشرب قائما مكروها وقد فعله صلى الله عليه وسلم فالجواب ان فعله صلى الله
عليه وسلم اذا كان بيانا للجواز لا يكون مكروها بل البيان واجب عليه صلى الله عليه وسلم
واما قوله عليه السلام فمن نسى فليستقى فمحمول على الاستحباب والندب فيستحب لمن شرب
قائما ان يتقايأ لهذا الحديث الصحيح الصريح سواء كان ناسيا او لا قاله النووى وقال
المالكية لا باس بالشرب قائما واستدلوا لذلك بحديث جبير بن مطعم قال رايت ابا بكر
الصديق يشرب قائما ويقول مالك انه بلغه عن عمر بن الخطاب وعثمان وعلى انهم كانوا
يشربون قياما واجابوا عن حديث ابى هريرة لا يشربن احدكم قائما فمن نسى فليستقى بان
عبد الحق قال ان فى اسناده عمرو بن حمزة العمرى وهو ضعيف انتهى • وقال المازرى قال
بعض شيوخنا لعل النهى منصرف لمن اتى اصحابه بماء فبادر ليشربه قائما قبلهم استبدادا
به وخروجا عن كونه ساقى القوم اخرهم شربا وقال بعض الشيوخ الاظهر انه موقوف
على ابى هريرة قال والاظهر ان احاديث شربه قائما تدل على الجواز واحاديث النهى تحمل
على الاستحباب والحث على ما هو اولى واكمل لان فى الشرب قائما ضررا ما فكره من اجله
وفعله هو لامنه منه قال وعلى هذا الثانى يحمل قوله فمن شرب فليستق على ان ذلك يحرك خلطا
يكون القئ دواء ويؤيده قول النخعى انما نهى عن ذلك لداء البطن انتهى • وقال ابن القيم
وللشرب قائما آفات عديدة منها انه لا يحصل به الرى التام ولا يستقر فى المعدة حتى
يقسمه الكبد على الاعضاء وينزل بسرعة الى المعدة فيخشى منه ان يبرد حرارتها ويسرع
النفوذ الى اسافل البدن بغير تدريج وكل هذا يضر بالشارب قائما فاذا فعله نادرا
لم يضره وعند احمد عن ابى هريرة انه راى رجلا يشرب قائما فقال له قئه فقال لمه
قال ايسرك ان يشرب معك الهر قال لا قال قد شرب معك من هو شر منه الشيطان
وكان صلى الله عليه وسلم يتنفس فى الشراب ثلاثا ويقول انه اروى وامرا وابرا رواه
مسلم ومعنى تنفسه ابانة القدح عن فيه وتنفسه خارجه ثم يعود الى الشرب واخرج

الطبرانى فى الاوسط بسند صحيح عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يشرب فى
ثلثة انفاس اذا ادنى الاناء الى فيه سمى الله فاذا اخره حمد الله يفعل ذلك ثلاثا وفى هذا
الشرب حكم جمة وفوائد مهمة نبه عليه السلام على مجامعها بقوله انه اروى وامرا
وابرا فاروى من الرى بكسر الرا من غير همز اشد ريا وابلغه وانفعه وابرا افعل
من البرء بالهمز وهو الشفاء اى يبرى من شدة العطش ودائه لتردده على المعدة
الملتهبة دفعات فتسكن الدفعة الثانية ما عجزت الاولى عن تسكينه والثالثة ما
عجزت عنه الثانية وايضا فانه اسلم لحرارة المعدة وابقى عليها من ان يهجم عليها البارد
وهلة واحدة ونهلة واحدة فانه اسلم عاقبة وآمن غائلة من تناول جميع ما يروى
دفعة واحدة فانه يخاف منه ان يطفى الحرارة الغريزية بشدة برده وكثرة كميته
او يضعفها فيؤدى ذلك الى فساد المعدة والكبد والى امراض ردية خصوصا فى
سكان البلاد الحارة وفى الازمنة الحارة فان الشرب فيهما وهلة واحدة مخوف عليهم
جدا وقوله وامرا بالهمز افعل من مرئ الطعام والشراب فى بدنه اذا دخله وخالطه
بسهولة ولذة ونفع انتهى • وقال بعضهم والمعنى انه يصير هنيئا مريئا اى سالما
ومبرئا من مرض او عطش واذى ويؤخذ من ذلك انه اقمع للعطش واقوى على الهضم
ومن آفات الشرب نهلة واحدة انه يخاف منه الشرق بان ينسد مجرى الشراب لكثرة
الوارد عليه فاذا تنفس رويدا ثم شرب امن من ذلك • وقد روى عبد الله بن المبارك
والبيهقى وغيرهما عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا شرب احدكم فليمص الماء مصا ولا
يعبه عبا فانه يورث الكباد والكباد بضم الكاف وتخفيف البا جمع الكبد ولا معارضة
بين التنفس هنا وبين النهى عن التنفس فى الاناء الوارد فى الحديث لان المنهى عنه
التنفس داخل الاناء فانه ربما حصل للماء تغير من النفس اما لكون المتنفس كان متغير
الفم بماكول مثلا او لبعد عهده بالسواك والمضمضة او لان النفس يصعد ببخار
المعدة وههنا التنفس خارج الاناء فلا تعارض فلو لم يتنفس جاز الشرب بنفس واحد
وقيل يمنع مطلقا لانه شرب الشيطان وكان صلى الله عليه وسلم اذا دعى لطعام وتبعه
احد اعلم به رب المنزل فيقول ان هذا تبعنا فان شئت رجع وكان يكرر على اضيافه
ويعرض عليهم الاكل مرارا • وفى حديث ابى هريرة فى قصة شرب اللبن وقوله له مرارا
اشرب فما زال يقول اشرب حتى قال والذى بعثك بالحق لا اجد له مسلكا رواه
البخارى • وكان عليه السلام اذا اكل مع قوم كان آخرهم اكلا رواه البيهقى عن جعفر
بن محمد عن ابيه مرسلا • وفى حديث ابن عمر مرفوعا عند ابن ماجة والبيهقى اذا وضعت
المائدة فلا يقوم الرجل وان شبع حتى يفرغ القوم فان ذلك يخجل جليسه وعسى

ان يكون له في الطعام حاجة وكان عليه السلام اذا اكل عند قوم لم يخرج حتى يدعو لهم فدعا
في منزل عبد الله بن بسر فقال اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم رواه مسلم
ودعا في منزل سعد فقال افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملئكة
رواه ابو داود وسقاه آخر لبنا فقال اللهم امتعه بشبابه فمرت عليه ثمانون سنة لم ير شعرة
بيضا. رواه ابن السني النوع الثاني في لباسه عليه السلام وفراشه • قال البخاري
باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتجوز من اللباس يعني يتوسع فلا يضيق بالاقتصار
على صنف بعينه اولا يضيق بطلب النفيس الغالي بل يستعمل ما تيسر • وقال القاضي عياض
كان عليه السلام قد اقتصر منه على ما تدعو ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس
ما وجد فيلبس في غالب احواله الشملة والكسا الخشن والاردية والأزر ويقسم
على من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهات في
الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النسا والمحمود
منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه
انتهى وقد روى ابو نعيم في الحلية عن ابن عمر مرفوعا ان من كرامة المؤمن على الله عز
وجل نقاوة ثوبه ورضاه باليسير • وله ايضا من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه
وسلم راى رجلا وسخة ثيابه فقال اما وجد هذا شيئا ينقي به ثيابه فقد كانت سيرته
صلى الله عليه وسلم في ملبسه اتم وانفع للبدن واخفه عليه فانه لم تكن عمامته بالكبيرة
التي يوذي حملها ويضعفه ويجعله عرضة للآفات كما يشاهد من حال اصحابها ولا
بالصغيرة التي تقصر عن وقاية الراس من الحر والبرد بل وسطا بين ذلك وكان يدخلها
تحت حنكه فانه يقي العنق الحر والبرد وهو اثبت لها عند ركوب الخيل والابل والكر
والفر وكذلك الاردية والأزر اخف على البدن من غيرها وقد اطنب ابن الحاج في المدخل
في الاستدلال لاستحباب التحنيك ثم قال واذا كانت العمامة من باب المباح فلا بد فيها
من فعل سنن تتعلق بها من تناولها باليمين والتسمية والذكر الوارد ان كانت مما لبس
جديدا وامتثال السنة في صفة التعميم من فعل التحنيك والعذبة وتصغير العمامة
يعني سبعة اذرع او نحوها يخرجون منها التحنيك والعذبة فان زاد في العمامة قليلا
لاجل حر او برد فيسامح فيه ثم قال بعد ان ذكر قوله وما اتيكم الرسول فخذوه • وما
نهيكم عنه فانتهوا فعليك بان تتسرول قاعدا وتتعمم قائما انتهى ولم يكن النبي صلى
الله عليه وسلم يطول اكمامه ويوسعها بل كان كم قميصه الى الرسغ وهو منتهى الكف
عند المفصل لا يجاوز اليد فيشق على لابسه ويمنعه سرعة الحركة والبطش ولا
يقصره صلى الله عليه وسلم عن هذا فتبرز للحر والبرد • وقد روى عن اسما بنت يزيد

قالت

قالت كان كم قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرسغ رواه الترمذي وكان
ذيل قميصه الى انصاف الساقين لم يجاوز الكعبين فيوذي الماشي ويجعله كالمقيد ولم
يقصر عن عضلة ساقيه فيتأذى بالحر والبرد اشار اليه في زاد المعاد واخرج الترمذي
عن الاشعث بن سليم قال سمعت عمتي تحدث عن عمها قال بينا انا امشي في المدينة
اذا انسان خلفي يقول ارفع ازارك فانه اتقى وانقى فاذا هو رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت يا رسول الله انما هي بردة قال اما لك في اسوة فنظرت فاذا ازاره
الى نصف ساقيه واخرج الطبراني من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن عمر
قال رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم اسبلت ازاري فقال يا ابن عمر كل شئ
لمس الارض من الثياب في النار وفي البخاري من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ما اسفل من الكعبين من الازار في النار قال الخطابي يريد ان الموضع الذي يناله
الازار من اسفل الكعبين في النار فكنى بالثوب عن بدن لابسه ومعناه ان الذي دون
الكعبين من القدم يعذب بالنار عقوبة وحاصله انه من باب تسمية الشئ باسم
ما جاوره او حل فيه وتكون من بيانية وللطبراني من حديث عبد الله بن معقل
رفعه ازرة المؤمن الى انصاف الساقين وليس عليه حرج فيما بينه وبين الكعبين
وما اسفل من ذلك ففي النار والإزرة بالكسر الحالة وهيئة الايتزار مثل الركبة
والجلسة واعلم طهر الله ثوبي وثوبك ونزه سري وسرك ان هذا الاطلاق محمول
على ما ورد من قيد الخيلا فهو الذي ورد فيه الوعيد بالاتفاق وقد اخرج اصحاب
السنن الا الترمذي واستغربه وابن ابي شيبة من طريق عبد العزيز بن ابي رواد
عن سالم بن عبد الله عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاسبال في
الازار والقميص والعمامة من جر منها شيئا خيلا الحديث فبين في هذه الرواية ان
الحكم ليس خاصا بالازار وان جا في اكثر طرق الاحاديث بلفظ الازار قال الطبري
انما ورد الخبر بلفظ الازار لان اكثر الناس في عهده كانوا يلبسون الازر والاردية
فلما لبس الناس القمص والدراريع كان حكمها حكم الأزر في النهي قال ابن بطال هذا
قياس صحيح لو لم يات النص بالثوب فانه يشمل جميع ذلك وفي تصوير جر العمامة نظر
الا ان يكون المراد ما جرت به عادة العرب من ارخاء العذبات فمهما زاد على العادة
في ذلك كان من الاسبال وهل يدخل في الزجر عن جر الثوب تطويل اكمام القميص ونحوه
محل نظر والذي يظهر ان من اطالها حتى خرج عن العادة كما فعله بعض الحجازيين
دخل في ذلك قال ابن القيم واما هذه الاكمام الواسعة الطوال التي هي كالاخراج
وعمايم كالابراج فلم يلبسها عليه السلام هو ولا احد من اصحابه وهي مخالفة لسنته

وفي جوازها نظر فانها من جنس الخيلا انتهى وقال صاحب المدخل ولا يخفى على ذي بصيرة
ان كم بعض من ينسب الى العلم اليوم فيه اضاعة المال المنهي عنها لانه قد يفصل من ذلك
الكم ثوبا لغيره انتهى لكن حدث للناس اصطلاح بتطويلها وصار لكل نوع من الناس
شعار يعرفون به ومهما كان من ذلك على سبيل الخيلا فلا شك في تحريمه وما كان
على طريق العادة فلا تحريم فيه مالم يصل الى جر الذيل الممنوع منه ونقل القاضي عياض
عن العلماء كراهة كل ما زاد على العادة وعلى المعتاد في اللباس من الطول والسعة وفي حديث
ابي هريرة عند البخاري مرفوعا بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل جمته اذا خسف به فهو
يتجلجل الى يوم القيمة وفي الطبراني وابو داود ان رجلا ممن كان قبلكم لبس بردة فتبختر
فيها فنظر الله اليه فمقته فامر الارض فاخذته وهذا الوعيد المذكور يتناول الرجال والنساء
على هذا الفعل المخصوص وقد فهمت ذلك ام سلمة رضي الله عنها فاخرج النسائي والترمذي
وصححه من طريق ايوب عن نافع عن ابن عمر فقالت ام سلمة فكيف تصنع النساء بذيولهن
قال يرخين شبرا فقالت اذا تنكشف اقدامهن قال فيرخينه ذراعا لا يزدن عليه وحاصل
ما ذكر في ذلك ان للرجال حالين حال استحباب وهو ان يقتصر بالازار على نصف الساق
وحال جواز وهو الى الكعبين وكذلك للنساء حالان حال استحباب وهو ما يزيد على
ما هو جائز للرجال بقدر الشبر وحال جواز بقدر ذراع وان الاسبال يكون في الازار
والقميص والعمامة وانه لا يجوز اسباله تحت الكعبين ان كان للخيلا وان كان لغيرها
فهو مكروه للتنزيه قال النووي وظاهر الاحاديث في تقييدها بالخيلا يدل على ان
التحريم مخصوص بالخيلا قال وهذا نص الشافعي على الفرق كما ذكرناه على الفرق تنبيه
قال العراقي في شرح الترمذي الذراع الذي رخص للنساء فيه هل ابتداؤه من الحد الممنوع
منه الرجال وهو من الكعبين او من الحد المستحب وهو انصاف الساقين او حده من
اول ما يمس الارض الظاهر ان المراد الثالث بدليل حديث ام سلمة الذي رواه ابو داود
والنسائي واللفظ له وابن ماجه قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كم تجر
المرءة من ذيلها قال شبرا قالت اذن تنكشف عنها قال فذراع لا تزيد عليه فظاهره
ان لها ان تجر على الارض منه ذراعا قال والظاهر ان المراد بالذراع ذراع اليد وهو
شبران لما في سنن ابن ماجة عن ابن عمر قال رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم
لامهات المومنين شبرا ثم استزدنه فزادهن شبرا فدل على ان الذراع الماذون فيه
شبران وهو الذراع الذي يقاس به الحصر اليوم انتهى وانما جاز ذلك للنساء لاجل
الستر لان المراة كلها عورة الا ما استثنى وقد كان له عليه السلام عمامة تسمى
السحاب ويلبس تحتها القلانس اللاطئة والقلانس جمع قلنسوة بفتح القاف واللام

وسكون

وسكون النون وضم المهملة وفتح الواو وقد تبدل الفاء وتفتح السين فيقال قلنساة وقد تحذف
النون من هذه بعدها هاء تانيث غشاء مبطن يستتر به الراس قال القراء في شرح الفصيح
وقال ابن هشام هي التي تقول لها العامة الشاشية وفي المحكم هي ملابس الرؤس معروفة
وقال ابو هلال العسكري هي التي تغطى بها العمايم وتستر من الشمس والمطر كانها عنده
راس البرنس انتهى وروى الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال دخل النبي صلى الله عليه
وسلم مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء وفي رواية انس عند البخاري دخل عام الفتح
وعلى راسه المغفر وهو بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء زرد ينسج من الدروع
على قدر الراس ويجمع بينهما بان العمامة السوداء كانت فوق المغفر وجمع بينهما القاضي
عياض بان اول دخوله كان على راسه المغفر ثم بعد ذلك كان على راسه العمامة بعد
ازالة المغفر بدليل قوله في حديث عمرو بن حريث عن ابيه خطب الناس وعليه عمامة
سوداء لان الخطبة انما كانت عند باب الكعبة بعد تمام فتح مكة قال الولي بن العراقي
وهو اولى واظهر في الجمع من الاول وقد تقدم نحو ذلك في غزوة فتح مكة وعن ابن عمر
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اعتم سدل رواه الترمذي في الشمائل زاد مسلم
وقد ارخى طرفها بين كتفيه وروى ابو محمد بن حبان في كتاب اخلاق النبي صلى الله عليه
وسلم من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتم قال يدير كور العمامة
على راسه ويغرسها من ورائه ويرخي لها ذوابة بين كتفيه وروى مسلم من حديث
عمرو بن حريث قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء
قد ارخى طرفها بين كتفيه وعنده ايضا عن جابر دخل مكة وعليه عمامة سوداء
ولم يذكر فيه ذوابة فدل انه لم يكن يرخيها دائما بين كتفيه لكن قد يقال ان دخوله
مكة كان وعليه اهبة القتال والمغفر على راسه فلبس في كل موطن ما يناسبه
قال ابن القيم في الهدى النبوي وكان شيخ الاسلام ابن تيمية يذكر في سبب الذوابة
شيئا بديعا وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم انما اتخذها صبيحة المنام الذي راه
بالمدينة لما راى رب العزة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا ادري فوضع
يده بين كتفي فعلمت ما بين السماء والارض الحديث وهو في الترمذي وسال عنه
البخاري فقال صحيح قال فمن تلك الغداة ارخى الذوابة بين كتفيه قال وهذا من
العلم الذي تنكره السنة الجهال وقلوبهم قال ولم ار هذه الفائدة في شان الذوابة
لغيره انتهى وعبارة غير الهدى وذكر ابن تيمية انه صلى الله عليه وسلم لما راى
ربه واضعا يده بين كتفيه اكرم ذلك الموضع بالعذبة انتهى لكن قال العراقي بعد
ان ذكره لم نجد لذلك اصلا انتهى وروى ابن ابي شيبة عن علي قال عممني النبي

صلى الله عليه وسلم بعمامة سدل طرفها على منكبي وقال ان الله امدني يوم بدر و يوم
حنين بملائكة معممين هذه العمة قال ان العمامة حاجز بين المسلمين والمشركين • قال
عبد الحق الاشبيلي وسنة العمامة بعد فعلها ان يرخي طرفها ويتحنك به فان كانت
لغير طرف ولا تحنيك فذلك يكره عند العلماء • واختلف في وجه الكراهة فقيل
لمخالفة السنة فيها وقيل لانها كذلك كانت عمايم الشياطين وجاءت الاحاديث في ارسال
طرفها على انواع منها ما تقدم انه ارسل طرفها على منكب علي ومنها ان عبد الرحمن بن عوف
قال عممني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسدلها بين يدي ومن خلفي ذكره ابو داود
وعن ابن عباس انه راى النبي صلى الله عليه وسلم عمامة دسما اي سودا رواه الترمذي
وفي حديث ركانة انه صلى الله عليه وسلم قال ان فرق ما بيننا وبين المشركين العمايم
على القلانس رواه الترمذي ايضا • وعن ابي كبشة الانماري قال كانت كمام اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم بطحا رواه الترمذي ايضا • وفي رواية اكمة وهما جمع كثرة وقلة
الكمة القلنسوة يعني انها كانت منبطحة غير منتصبة وعن عائشة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كانت له كمة بيضا رواه الدمياطي وكان احب الثياب اليه صلى الله
عليه وسلم القميص كما في الشمائل للترمذي من حديث ام سلمة قالت كان احب الثياب
اليه صلى الله عليه وسلم القميص • وعن معاوية بن قرة عن ابيه قال اتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم في رهط من مزينة لنبايعه وان قميصه لمطلق الازرار وقال زر
قميصه مطلق قال فادخلت يدي في جيب قميصه فمسست الخاتم رواه الترمذي • وعن
انس قال كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم قطنا قصير الطول والكمين رواه
الدمياطي • وعن انس بن مالك قال كان احب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يلبسه الحبرة رواه الترمذي والحبرة ضرب من البرود فيه حمرة • وعن ابي رمثة
قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بردان اخضران رواه الترمذي وعن
عطا بن ابي يعلى عن ابيه قال رايته صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت مضطبعا ببرداء
اخضر رواه ابو داود • وعن عروة بن المغيرة بن شعبة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه
وسلم لبس جبة رومية ضيقة الكمين رواه الترمذي • وعن ابي ذر اتيت النبي صلى
الله عليه وسلم وعليه ثوب ابيض رواه البخاري • وعن عائشة قالت خرج النبي صلى
الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط من شعر اسود رواه الترمذي • وعن انس قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف وكان له عليه السلام كساء
ملبد يلبسه ويقول انما انا عبد البس كما يلبس العبد رواه الشيخان • فان قلت
قد علم من هذا ومن سيرة السلف الصالح بذاذة الهيئة ورثاثة الملابس فما بال الشاذلية

من الصوفية

من الصوفية يجملون هيئاتهم وملابسهم وطريقتهم الاقتداء بالسنة الشريفة والسلف
الصالح اجاب العارف الرباني سيدي علي الوفوي ومن خطه الكريم نقلت بما لفظه ذلك لانهم
نظروا الى المعاني والحكم فوجدوا السلف الصالح لما وجدوا اهل الغفلة والشغل بدنياهم
منهمكين على الزينة الظاهرة تفاخرا بدنياهم واطمينانا اليها واشعارا بانهم من اهلها
خالفوهم اظهارا للحقارة ما حقره الحق مما عظمه الغافلون وتنويها بالغنى عما اطمان
اليه الغافلون فكان اظهارهم يومئذ يقول الحمد لله الذي اغنانا به عما افقر نفسه
اليه من همة دنياه فلما طال الامد وقست القلوب بنسيان ذلك المعنى واتخذ الغافلون
رثاثة الاطمار وبذاذة الهيئات حيلة على دنياهم انعكس الامر فصار مخالفة هؤلاء
في ذلك لله هو قول السلف وطريقتهم كما تقدم قال وقد ارشد الاستاذ ابو الحسن
الشاذلي قدس الله سره العزيز الى ذلك بقوله لبعض من انكر عليه جمال هيئته من
اصحاب الرثاثة يا هذا هيئتي هذه تقول الحمد وهيئاتك هذه تقول اعطوني شيئا من دنياكم
والقوم افعالهم دائرة مع الحكمة الربانية مرادهم مرضاة ربهم انتهى ما قاله سيدي
علي وقد ورد في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال
وفي الحديث الاخر ان الله نظيف يحب النظافة • وفي السنن عن ابي الاحوص الجشمي
عن ابيه قال راني النبي صلى الله عليه وسلم وعلي اطمار وفي رواية النسائي وعلي ثوب
دون فقال هل لك من مال قلت نعم قال من اي المال قلت من كل ما اتى الله من الابل
والشاء قال فكثر نعمته وكرامته عليك • وفي رواية النسائي قال فاذا اتاك الله مالا
فكثر اثر نعمة الله عليك وكرامته • وفي حديث جابر انه عليه السلام راى رجلا
شعثا قد تفرق شعره فقال ما كان يجد هذا ما يسكن به راسه وراى رجلا عليه
ثياب وسخة فقال ما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه رواه احمد • وفي السنن ان الله
تعالى يحب ان يرى اثر نعمته على عبده فهو سبحانه يحب ظهور اثر نعمته على عبده فانه
من الجمال الذي يحبه وذلك من شكره على نعمه وهو جمال باطن فيحب ان يرى على عبده
الجمال الظاهر بالنعمة والجمال الباطن بالشكر عليها ولاجل محبته تعالى للجمال انزل على
عباده لباسا يجمل ظواهرهم وتقوى جمل بواطنهم فقال تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليكم
لباسا يواري سواتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير • وقال في اهل الجنة ولقيهم
نضرة وسرورا وجزيهم بما صبروا جنة وحريرا فجمل وجوههم بالنضرة وبواطنهم
بالسرور وابدانهم بالحرير وهو سبحانه كما يحب الجمال في الاقوال والافعال واللباس
والهيئة يبغض القبيح من الاقوال والافعال والهيئة فيبغض القبيح واهله ويحب الجمال
واهله • ولكن ضل في هذا الموضع فريقان فريق قالوا كلما خلق الله تعالى جميل فهو يحب

كما خلقه ونحن نحب كلما خلقه الله فلا نبغض منها شيئا قالوا ومن راى الكائنات منه
راها كلها جميلة واحتجوا بقوله تعالى الذى احسن كل شئ خلقه فهؤلاء قد عدموا
الغيرة لله من قلوبهم والبغض فى الله والمعاداة فيه وانكار المنكر واقامة الحدود و
الفريق الثانى قالوا قد ذم الله جمال الصورة وتمام القامة والخلقة فقال عن المنافقين
واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وفى صحيح مسلم مرفوعا ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم
وانما ينظر الى قلوبكم قالوا وقد حرم الله علينا لباس الحرير والذهب وانية الذهب
والفضة وذلك من اعظم جمال الدنيا وقال تعالى لا تمدن عينيك الى ما متعنا به
ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه وفى الحديث البذاذة من الايمان وقد
ذم الله المسرفين والسرف كما يكون فى الطعام والشراب يكون فى اللباس وفصل النزاع
ان يقال الجمال فى الصور واللباس والهيئة ثلاثة انواع منه ما يحمد ومنه ما يذم
ومنه ما لا يتعلق به مدح ولا ذم فالمحمود منه ما كان لله واعان على طاعة الله و
تنفيذ اوامره والاستجابة له كما كان صلى الله عليه وسلم يتجمل للوفود وهو نظير
لباس الة الحرب للقتال ولباس الحرير فى الحرب والخيلاء فيه فان ذلك محمود اذ تضمن
اعلاء كلمة الله ونصر دينه وغيظ عدوه والمذموم منه ما كان للدنيا والرياسة
والفخر والخيلاء وان يكون هو غاية البعد واقصا مطلبه فان كثيرا من النفوس ليس
لها همة فى سوى ذلك واما ما لا يحمد ولا يذم فهو ما خلا عن هذين القصدين وتجرد
عن الوصفين والمقصود من هذا الحديث ان الله تعالى يحب من عباده ان يجمل لسانه
بالصدق وقلبه بالاخلاص والمحبة والانابة وجوارحه بالطاعة وبدنه باظهار
نعمته عليه فى لباسه وتطهيره له من الانجاس والاحداث والشعور المكروهة
والختان وتقليم الاظفار وغير ذلك مما وردت به السنة وعن عون بن ابى جحيفة
عن ابيه قال رايت النبى صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمرا كانى انظر الى بريق ساقيه
قال سفيان اراها حبرة • وعن البراء بن عازب قال ما رايت احدا من الناس احسن فى حلة
حمرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواهما الترمذى وعن جابر بن سمرة رايت النبى
صلى الله عليه وسلم فى ليلة اضحيان فجعلت انظر اليه والى القمر وعليه حلة حمرا فهو
عندى احسن من القمر رواه الدارمى والترمذى • وفى رواية البخارى فى حلة حمرا لم ار
شيئا قط احسن منه وفى رواية لابى داود ما رايت من ذى لمة احسن فى حلة حمرا
احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله من ذى لمة بكسر اللام اى شعر
الراس دون الجمة سميت بذلك لانها المت بالمنكبين فاذا زادت فهى الجمة • وفى رواية
النسائى ما رايت رجلا احسن فى حلة حمرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

قوله وعن جابر الى قوله والترمذى مقدم على قوله وعن عون الى اخره

فى القاموس

ونوعين لون اولونين

عقود واحدة

فى القاموس الحلة بالضم ازار ورداء برد وغيره ولا يكون حلة الا من ثوبين او ثوب له
بطانة وقال ابن القيم وغلط من ظن انها حمرا بحتا لا يخالطها غيرها وانما الحلة الحمرا
بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الاسود كسائر البرود اليمنية وهى معروفة
بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط والا فالاحمر البحت اى الخالص منهى عنه اشد النهى ففى
صحيح البخارى انه صلى الله عليه وسلم نهى عن المياثر الحمر • وفى صحيح مسلم عن ابن عمر
قال راى النبى صلى الله عليه وسلم على ثوبين معصفرين فقال ان هذا لباس الكفار
فلا تلبسهما ومعلوم ان ذلك انما يصبغ صباغا احمر قال وفى جواز لبس الاحمر من الثياب
والجوخ وغيرهما نظر واما كراهته فشديدة فكيف يظن به صلى الله عليه وسلم انه لبس
الاحمر القانى كلا لقد اعاذه الله منه وانما وقعت الشبهة فى لفظ الحلة الحمرا والله
اعلم انتهى وقال النووى اختلف العلماء فى الثياب المعصفر وهى المصبوغة بعصفر فاباحها
جميع العلما من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبه قال الشافعى وابو حنيفة ومالك
ولكنه قال غيرها افضل منها وفى رواية عنه انه اجاز لباسها فى البيوت وافنية
الدور وكرهه فى المحافل والاسواق وغيرها • وقال جماعة من العلما هو مكروه
كراهة تنزيه وحملوا النهى على هذا لانه ثبت انه عليه السلام لبس حلة حمرا • وفى
الصحيحين من حديث ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم صبغ بالصفرة وحمل بعضهم
النهى على المحرم بالحج والعمرة وقد اتقن البيهقى المسئلة فى معرفة السنن فقال نهى
الشافعى الرجل عن المزعفر واباح له المعصفر قال الشافعى وانما رخصت فى المعصفر
لانى لم اجد احدا يحكى عنه صلى الله عليه وسلم النهى عنه الا ما قال على رضى الله عنه
انه صلى الله عليه وسلم نهانى ولا اقول نهاكم قال البيهقى وقد جاءت احاديث تدل
على النهى على العموم ثم ذكر حديث مسلم ان هذه لباس الكفار واحاديث غيرها ثم قال
ولو بلغت هذه الاحاديث الشافعى لقال بها ان شاء الله تعالى • ثم ذكر باسناده ما
صح عن الشافعى انه قال اذا صح الحديث بخلاف قولى فاعملوا بالحديث ودعوا قولى
وفى رواية مذهبى قال البيهقى قال الشافعى وانهى الرجل الحلال بكل حال ان يتزعفر
قال وامره اذا تزعفر ان يغسله قال البيهقى فتبع السنة فى المزعفر فمتابعتها فى المعصفر
اولى به انتهى • ورايت فى فتاوى شيخنا العلامة قاسم احد ائمة الحنفية ومحققيها
كراهته للتحريم مع صحة الصلاة فيه واستدل له بما ذكرته وبما فى حديث طاوس
عند الحاكم وقال على شرطهما عن ابن عمرو بن العاص قال دخلت على النبى صلى الله عليه
وسلم وعلى ثوب معصفر قال من اين لك هذا قال صنعته لى اهلى فقال عليه السلام
احرقه انتهى • وعن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس

برده الاحمر في العيدين والجمعة وعن يحيى بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصبغ ثيابه بالزعفران قميصه ورداه وعمامته رواهما الدمياطي وهو
عند ابي داود بلفظ يصبغ بالورس والزعفران ثيابه حتى عمامته وكذا رواه من
حديث زيد بن اسلم وام سلمة وابن عمر لكن يعارضه ما في الصحيح انه صلى الله عليه
وسلم نهى عن التزعفر واما صفة ازاره صلى الله عليه وسلم فعن ابي بردة بن ابي
موسى الاشعري قال اخرجت الينا عائشة كساء وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم في هذين رواه البخاري وفي رواية ازارا غليظا مما يصنع باليمن و
كساء من هذه التي تدعونها الملبدة وفي رواية كساء ملبد قال ابن الاثير اي مرقعا يقال
لبدت القميص البده ولبدته ويقال للخرقة التي يرقع بها صدر القميص اللبدة وقيل الملبد
الذي ثخن وسطه وصفق حتى صار يشبه اللبد وروى مسلم من حديث عائشة
قالت خرج رسول الله ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر اسود والمرط بكسر الميم
واسكان الراء كساء من صوف وخز يؤتزر به والمرحل بتشديد الحاء المهملة المفتوحة
كمعظم هو الذي فيه صور الرحال قال في القاموس في مادة رح ل وكمعظم برد فيه
تصاوير رحل قال وتفسير الجوهري اياه بازار خز فيه علم غير جيد انما ذلك تفسير
المرجل بالجيم وقال في مادة رجل يعني بالجيم وبرد مرجل كمعظم فيه صور الرجال انتهى
وقال النووي والصواب الذي رواه الجمهور وضبطه المتقنون بالحاء المهملة اي عليه
صور رحال الابل ولا باس بهذه الصورة وانما يحرم تصوير الحيوان. وقال الخطابي
المرحل الذي فيه خطوط والله اعلم. وعن عروة ان طول رداء النبي صلى الله عليه وسلم
اربعة اذرع وعرضه ذراعان وشبر وعن معن بن عيسى قال حدثنا محمد بن هلال
قال رايت على هشام بن عبد الملك برد النبي صلى الله عليه وسلم من حبرة له حاشيتان
وعن ابن عمر قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ازار يتقعقع وعن
يزيد بن ابي حبيب انه صلى الله عليه وسلم كان يرخي الازار من بين يديه ويرفعه من
ورائه وعن ابن عباس قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتزر تحت سرته
وتبدو سرته ورايت عمر ياتزر فوق سرته رواها كلها الدمياطي فصل
وعن اسماء بنت ابي بكر انها اخرجت جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها
مكفوفات بالديباج وقالت هذه جبة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت عند
عائشة فلما قبضت قبضتها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها
للمرضى فنستشفي بها رواه مسلم. وقوله جبة طيالسة وكسروانية بكسر الكاف وفتحها
والسين ساكنة والراء مفتوحة نسبة الى كسرى ملك الفرس. ولبنة بكسر اللام واسكان

الباء رقعة في جيب القميص وفيه جواز لبس ماله فرجان وانه لا كراهة فيه وان المراد
بالنهي عن الحرير المتمحض منه وما اكثره منه وانه ليس المراد تحريم كل جزء منه بخلاف
الخمر والذهب فانه يحرم كل جزء منهما قاله النووي لطيفة قيل لما كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يبدو منه الا طيب كان اية ذلك في بدنه الشريف انه لا يتسخ له ثوب
قط قيل ولم يقمل ثوبه قط وقال ابن سبع في الشفا والسبتي في اعذب الموارد واطيب
الموالد ولم يكن القمل يوذيه تعظيما له وتكريما صلى الله عليه وسلم لكن يشكل عليه
ما رواه احمد والترمذي في الشمائل عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يفلي ثوبه ويحلب شاته ومن لازم التفلي وجود شيء يوذي في الجملة اما
قملا او برغوثا ونحو ذلك ويمكن ان يجاب ان التفلي لاستقذار وجود ما علق بثوبه الشريف
من غيره ولو لم يحصل منه اذى في حقه صلى الله عليه وسلم وهذا فيه بحث لان اذى
القمل هو غذاؤه من البدن على ما اجرى الله العادة به واذا امتنع الغذا لا يعيش الحيوان
عادة ونقل الفخر الرازي ان الذباب لا يقع على ثيابه قط وانه لا يمتص دمه البعوض
واما الطيلسان وهو بفتح اللام واحدة الطيالسة والها في الجمع للعجمة لانه فارسي
معرب وهو الساج ايضا وقال ابن خالويه في شرح الفصيح يقال للطيلسان الاخضر
الساج وفي المجمل لابن فارس الطاق الطيلسان فقال ابن القيم لم ينقل عنه صلى الله عليه
وسلم انه لبسه ولا احد من اصحابه بل ثبت في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الدجال فقال يخرج معه سبعون الفا من يهود
اصبهان عليهم الطيالسة وراى انس جماعة عليهم الطيالسة فقال ما اشبههم بيهود
خيبر قال ومن ههنا كرهه جماعة من السلف والخلف لما روى ابو داود والحاكم في
المستدرك عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تشبه
بقوم فهو منهم وفي الترمذي ليس منا من تشبه بغيرنا واما ما جاء في حديث الهجرة
انه صلى الله عليه وسلم تلك الساعة ليختفي بذلك للحاجة ولم يكن عادته التقنع وقد ذكر
عنه انس صلى الله عليه وسلم انه كان يكثر القناع وهذا انما كان يفعله للحاجة من
الحر ونحوه انتهى وقال شيخ الاسلام الولي ابن العراقي في شرح تقريب الاسانيد التقنع
معروف وهو تغطية الراس بطرف العمامة او برداء ونحو ذلك انتهى. وقال ابن الحاج في
المدخل واما قناع الرجل فهو ان يغطي راسه بردائه ويرد طرفه على احد كتفيه انتهى واما
قول ابن القيم انه عليه السلام انما فعل ذلك للحاجة فيرد عليه حديث سهل بن سعد
انه صلى الله عليه وسلم كان يكثر القناع رواه البيهقي في الشعب والترمذي ايضا
وابن سعد في طبقاته من حديث انس بلفظ يكثر التقنع فهذا وما اشبهه يرد قول ابن القيم

انه لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه لبسه واما قوله ولا احد من اصحابه فيرده ما اخرجه
الحاكم فى المستدرك بسند على شرط الشيخين عن مرة بن كعب قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يذكر فتنة فقربها فمر رجل مقنع فى ثوب فقال هذا يومئذ على الهدى فقمت
فاذا هو عثمان بن عفان رضى الله عنه واخرج سعيد بن منصور فى سننه عن ابى
العلا قال رايت الحسن بن على يصلى وهو مقنع راسه واخرج ابن سعد عن سليمان بن
المغيرة قال رايت الحسن يلبس الطيالسة واخرج عن عمارة بن زاذان قال رايت على الحسن
طيلسانا اندقيا واما ما ذكره ابن القيم من قصة اليهود فقال الحافظ ابن حجر انما يصح الاستدلال
به فى الوقت التى تكون الطيالسة من شعارهم وقد ارتفع ذلك فى هذه الازمنة فصار
ذلك داخلا فى عموم المباح وقد ذكره ابن عبد السلام فى امثلة البدعة المباحة وقد
يصير من شعار قوم فيكون تركه من الاخلال بالمروة وقيل انما انكر انس الوان الطيالسة
لانها كانت صفرا والله تعالى اعلم واما الخاتم ففى الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ورق فكان فى يده ثم كان فى يد ابى بكر ثم كان فى
يد عمر ثم كان فى يد عثمان حتى وقع فى بئر اريس وفيهما ايضا عن انس بن مالك ان النبى
صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة فيه فص حبشى وكان يجعل فصه مما يلى كفه
واخرج احمد والنسائى والترمذى والبزار فى مسنده عن بريدة ان النبى صلى الله عليه
وسلم راى فى يد رجل خاتما من حديد فقال ما لى اجد منك ريح الاصنام ثم قال له اتخذه
من فضة ولا تزد على مثقال وقد اختلف العلماء فى لبسه فى الجملة فاباحه كثير من اهل
العلم من غير كراهة ومنهم من كرهه اذا قصد به الزينة ومنهم من كرهه الا لذى سلطان
لحديث ابى داود والنسائى عن ابى ريحانة ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس
الخاتم الا لذى سلطان ولانه عليه السلام انما اتخذه لحاجة ختم الكتب التى يبعثها الى
الملوك كما فى حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى وقيصر والنجاشى فقيل له
انهم لا يقبلون كتابا الا بختم فصاغ خاتما ونقش فيه محمد رسول الله وانما لبسه ابو بكر
رضى الله عنه لاجل ولايته فانه كان يحتاج اليه كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يحتاج
اليه وكذلك عمر وعثمان وحكى ابن عبد البر عن طائفة من العلماء كراهة لبسه مطلقا
احتجاجا بحديث انس انه صلى الله عليه وسلم نبذه ولم يلبسه وفى الشمائل للترمذى
عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة فكان يختم به ولا يلبسه
وفى الصحيحين من حديث انس انه راى فى يده صلى الله عليه وسلم خاتما من ورق يوما
واحدا ثم ان الناس اصطنعوا الخواتيم من ورق ولبسوها فطرح رسول الله صلى الله عليه
وسلم خاتمه فطرح الناس خواتيمهم والصواب القول الاول فان لبس النبى صلى الله

عليه

عليه وسلم الخاتم انما كان فى الاصل لاجل المصلحة لختم الكتب التى يرسلها الى الملوك ثم
استدام لبسه ولبس اصحابه معه ولم ينكر عليهم بل اقرهم عليه فدل ذلك على الاباحة
المجردة واما حديث النهى عن الخاتم الا لذى سلطان فقال ابن رجب ذكر بعض اصحابنا
ان احمد ضعفه واما ما جاء فى حديث الزهرى عن انس انه صلى الله عليه وسلم لبسه
يوما واحدا ثم القاه فقد اجيب عنه بثلاثة اجوبة احدها انه وهم من الزهرى و
سهو جرى على لسانه لفظ الورق وانما الذى لبسه يوما واحدا ثم القاه كان من ذهب
كما ثبت ذلك من غير وجه فى حديث ابن عمر وانس ايضا الثانى ان الخاتم الذى رمى به
عليه السلام لم يكن كله فضة وانما كان حديدا عليه فضة وروى ابو داود عن
معيقيب الصحابى وكان على خاتم النبى صلى الله عليه وسلم قال كان خاتم النبى صلى الله
عليه وسلم من حديد ملوى عليه فضة فلعل هذا هو الذى لبسه يوما واحدا ثم
طرحه ولعله هو الذى كان يختم به ولا يلبسه الثالث ان طرحه انما كان لئلا يظن
انه سنة مسنونة فانهم اتخذوا الخواتيم لما راوه قد لبسه فتبين بطرحه انه ليس بمشروع
ولا سنة ثم ان الخاتم يكون تارة من فضة وتارة من ذهب وتارة من حديد وتارة
من صفر او رصاص او نحوها وتارة من عقيق فاما الذهب ففى الصحيحين عن البرآ
بن عازب قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خاتم الذهب وانية الفضة
وفيهما عن ابى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه نهى عن خاتم الذهب وفيهما ايضا
عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ذهب فجعله فى يمينه وجعل فصه
مما يلى باطن كفه فاتخذ الناس خواتيم الذهب قال فصعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم المنبر فالقيه ونهى عن التختم بالذهب وهو مذهب الائمة الاربعة مالك
والشافعى وابو حنيفة واحمد واكثر العلما ورخصت فيه طائفة منهم اسحق بن
راهونة وقال مات خمسة من اصحابه عليه السلام خواتيمهم من ذهب قال مصعب
بن سعيد رايت على طلحة وسعد وصهيب خواتيم من ذهب وعن حمزة بن ابى اسيد
والزبير بن المنذر بن ابى اسيد انهما نزعا من يد ابى اسيد خاتما من ذهب حين مات
وكان بدريا رواهما البخارى فى تاريخه وروى النسائى عن سعيد بن المسيب قال قال
عثمان لصهيب ما لى ارى عليك خاتم الذهب فقال قد رآه من هو خير منك فلم يعبه
قال من هو قال رسول الله صلى الله عليه واما خاتم الفضة فاباحه كثير من العلماء
ولبسه صلى الله عليه وسلم وجماعة من اصحابه قال الرافعى يجوز للرجل التختم بالفضة
وكذا فى الروضة وغيرها وكتب اصحابنا طافحة بجوازه وروى ابو داود وصححه ابن
حبان من حديث بريدة بن الحصيب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال البس الخاتم

الحديد مالى ارى عليك حلية اهل النار فطرحه وقال يا رسول الله من اى شىء اتخذه
قال من ورق ولا تتمه مثقالا واخرجه ايضا النسائى والترمذى وقال غريب ، واخرجه
احمد وابو يعلى فى مسنديهما والضيا فى المختارة مما ليس فى الصحيحين ورجاله رجال
الصحيحين الا عبد الله بن مسلم المعروف بابى طيبة وهو محدث مشهور وتصحيح ابن
حبان لحديثه دال على قبوله فاقل احواله ان يكون من درجة الحسن والاصل فى النهى
كونه للتحريم ولان الاصل فى استعمال الفضة للرجال التحريم الا ما رخص فيه فاذا حد
فيه حد وجب الوقوف عنده وبقى ما عداه على الاصل وقد قال ابن الرفعة فى باب ما
يكره لبسه من الكفاية ، وينبغى ان ينقص وزنه عن مثقال لان رسول الله صلى الله
عليه وسلم راى رجلا وساق الحديث ، وقوله ينبغى يصلح للوجوب وغيره وحمله عليه
اولى لانه ساق الحديث مساق الاحتجاج لهذا الحكم فلا يصرف النهى عن حقيقته الا
بصارف وظاهر صنيع ابن الملقن فى شرح منهاج النووى يقتضيه فانه قال فى زكاة
النقد فرع فى ابى داود وصحيح ابن حبان من حديث بريدة انه صلى الله عليه وسلم
قال لذلك الرجل وذكر الحديث فساقه سوق الفروع التى لا خلاف فيها بين الاصحاب
وظاهر ذلك تحريم المثقال ، وفى القوت للاوزاعى لم يتعرض اصحابنا لمقدار الخاتم
ولعلهم اكتفوا بالعرف فما خرج عنه كان اسرافا كما قالوا فى الخلخال للمرأة ونحوه والصواب
الضبط بما نص عليه فى الحديث وليس فى كلامهم ما يخالفه هذا لفظه وهو يشير
الى هذا الحديث ولذا مشى عليه ابن العماد فى التعقبات وعبارته واذا جاز لبس الخاتم
فشرطه ان لا يبلغ به مثقالا للحديث انتهى لكن قال الحافظ العراقى فى شرح الترمذى
ان النهى فى قوله ولا تتمه مثقالا محمول على التنزيه فيكره ان يبلغ به وزن مثقال
قال وفى رواية ابى داود فى رواية صاحب المعالم ولا تتمه مثقالا ولا قيمة مثقال وليست
هذه الزيادة فى رواية اللولوى ومعنى هذه الزيادة انه ربما وصل الخاتم بالنفاسة
فى صنعته الى ان يكون قيمة مثقال فهو داخل فى النهى ايضا انتهى ، وقد افتى العلامة
ابن السراج العبادى بانه يجوز ان يبلغ به مثقالا وان ما زاد عليه حرام **واما خاتم**
الحديد فاخرج ابو داود فى الخاتم من سننه والبيهقى فى شعب الايمان والادب
وغيرهما من تصانيفه من طريقه والنسائى فى الزينة من سننه وابن حبان فى صحيحه
ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وعليه خاتم من شبه وهو بفتح المعجمة
والموحدة وباسكانها وكسر المعجمة نوع من النحاس كانت الاصنام تتخذ منه وسمى بذلك
لشبهه بالذهب لونا فقال مالى اجد منك ريح الاصنام فطرحه ثم جاء وعليه خاتم
من حديد فقال مالى ارى عليك حلية اهل النار فطرحه واخرجه الترمذى لكنه

قال

قال من صفر بدل من شبه وهما بمعنى قال النووى فى شرح المهذب قال صاحب الابانة يكره
الخاتم من حديد او شبه وتابعه صاحب البيان فقال يكره الخاتم من حديد او رصاص
او نحاس لحديث الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للذى خطب الواهبة
نفسها اطلب ولو خاتما من حديد قال ولو كان فيه كراهة لم ياذن فيه وفى سنن ابى داود
باسناد جيد عن معيقيب الصحابى كان خاتمه عليه السلام من حديد ملوى عليه
فضة والمختار انه يكره لهذين الحديثين ، وقال فى شرح مسلم فى الكلام على حديث المرأة
الواهبة نفسها وفى هذا الحديث جواز اتخاذ خاتم الحديد وفيه خلاف للسلف حكاه
القاضى ولاصحابنا فى كراهته وجهان اصحهما لا يكره لان الحديث فى النهى عنه ضعيف
انتهى ، ولعل تضعيف النووى للحديث انما هو بالنسبة الى مقاومة حديث سهل بن سعد
فى الصحيحين وغيره فى قصة الواهبة نفسها لا مطلقا كيف وله فى ذلك شواهد عدة
ان لم ترقه الى درجة الصحة لم تدعه ينزل عن درجة الحسن **واما العقيق** فعن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تختموا بالعقيق واليمين احق بالزينة وفى سنده
مجهول ، وروى بلفظ تختموا بالعقيق فانه ينفى الفقر ، وروى يعقوب بن ابرهيم عن
عائشة مرفوعا قال تختموا بالعقيق فانه مبارك ويعقوب متروك ، وروى ابو بكر
بن شعيب عن فاطمة رضى الله عنها مرفوعا من تختم بالعقيق لم يزل يرى خيرا وهذا
ايضا لا يثبت وكذا ورد فيه احاديث غير هذه وكلها كما قال الحافظ ابن رجب لا يثبت
وقال العقيلى لا يصح فى التختم بالعقيق عن النبى صلى الله عليه وسلم شىء ، وروى ابن
منجوية فى كتاب الخواتيم له باسناد ضعيف عن على مرفوعا من تختم بالياقوت الاصفر
منع الطاعون واسناده ضعيف **واما فص خاتمه** عليه الصلاة والسلام فروى
انس ان النبى صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة فصه منه اخرجه البخارى وغيره
وفى صحيح مسلم ان خاتمه صلى الله عليه وسلم كان فصه حبشيا ، قال النووى قال العلماء
يعنى حجرا حبشيا اى فصا من جزع او عقيق فان معدنهما بالحبشة واليمن انتهى فان صح
انهم كانوا يعنون بالحبشى العقيق فيكون له خاتمان احدهما فصه عقيق والاخر فصه
فضة ، وفى شرح مسلم للنووى حكاية انه صلى الله عليه وسلم كان له فى وقت خاتم
فصه منه قال وفى حديث آخر فصه عقيق انتهى لكن لم يرو عنه عليه السلام انه لبس
خاتما كله عقيق **واما نقش خاتمه** عليه السلام ففى صحيح مسلم عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم صنع خاتما من ورق نقش فيه محمد رسول الله وقال للناس انى
اتخذت خاتما من فضة ونقشت فيه محمد رسول الله فلا ينقش احد على نقشه قال الترمذى
معنى قوله فلا تنقشوا عليه نهى ان ينقش احد على خاتمه محمد رسول الله وفى رواية

النسائى اتخذ خاتما من ورق فصه حبشى ونقش فيه محمد رسول الله وفى رواية
البخارى والترمذى وكان نقش الخاتم ثلاثة اسطر محمد سطر ورسول سطر والله
سطر قال فى فتح البارى ظاهره انه لم يكن فيه زيادة على ذلك وانه كان على هذا الترتيب
لكن لم تكن كتابته على الترتيب العادى فان ضرورة الاحتياج الى ان يختم به تقتضى
ان تكون الاحرف المنقوشة مقلوبة ليخرج الختم مستويا • واما قول بعض الشيوخ
ان كتابته كانت من فوق يعنى الجلالة اعلا الاسطر الثلاثة ومحمد اسفلها فلم ار التصريح
بذلك فى شئ من الاحاديث بل رواية الاسماعيلى يخالف ظاهرها ذلك فانه قال محمد سطر
والسطر الثانى رسول والسطر الثالث الله • وعن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يلبس
خاتمه فى يمينه فلما قبض صلى الله عليه وسلم صار فى يد ابى بكر فى يمينه فلما قبض صار
فى يد عمر فى يمينه ثم صار فى يد عثمان فى يمينه ثم ذهب يوم الدار عليه لا اله الا الله
رواه بركة بن محمد الحلبى كما حكاه ابن رجب فى كتاب الخواتم ثم قال وهى رواية ساقطة
جدا فان بركة مذكور بالكذب وفى لفظه ما يدل على بطلانه وهو قوله ذهب يوم
الدار عليه لا اله الا الله فانه انما اسقط فى بئر اريس قبل الدار وقد عاش عثمان بعد
مدة واتخذ له خاتما عوضه وانما كان نقشه محمد رسول الله لا كلمة الاخلاص ••
تنبيه قال شيخ الاسلام الشرف المناوى وتحصل السنة بلبس الخاتم مطلقا ولو
مستعارا او مستاجرا لكن الاوفق للسنة لبسه بالملك والاستدامة على ذلك ويجوز
تعدد الخواتم اتخاذا واما الاستعمال فمفهوم كلام الرافعى عدم الجواز وبه صرح المحب
الطبرى فقال المتجه انه لا يجوز للرجل ان يلبس خاتمين من فضة فى يديه او فى احديهما
لان استعمال الفضة حرام الا ما وردت به الرخصة ولم ترد الا فى خاتم واحد لكن
ذكر الخوارزمى فى الكافى انه يجوز له انه يلبس زوجا فى يد وفردا فى الاخرى فانه
ليس فى كل واحدة زوجا فقال الصيدلانى فى الفتاوى لا يجوز • وقال الدارمى فى
الاستذكار يكره للرجل لبس فوق خاتمين فاقتصاره على الكراهة يدل على عدم الحرمة
واذا تقرر ذلك فالمسئلة ذات خلاف والذى يظهر كلام المحب الطبرى فان تسامحنا
اعتمدنا على ما افتى به الصيدلانى انتهى • ويجوز التختم فى اليمين وفى اليسار واختلف
الناس فى افضلهما فقيل اليسار وهو نص الامام احمد فى رواية صالح قال التختم
فى اليسار احب الى وهو مذهب الامام مالك • ويروى انه كان يلبسه فى يساره وكذلك
الامام الشافعى وفى صحيح مسلم عن انس قال كان خاتم النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه
واشار الى الخنصرة من يده اليسرى • وفى سنن ابى داود عن ابن عمر انه صلى الله عليه
وسلم كان يتختم فى يساره • وروى اسمعيل بن مسلم السليطى قال رايت النبى صلى

الله عليه

الله عليه وسلم فى ليلة قمرا وكانى انظر الى عكن بطنه وكانها القباطى والى وبيص خاتمه
فى يساره واسمعيل هذا قال البخارى تركه ابن المبارك وربما روى عنه • وقد ذكر بعض
الحفاظ كما افاده الحافظ ابن رجب ان التختم فى اليسار مروى عن عامة الصحابة و
التابعين ورجحت طائفة التختم فى اليمين وهو قول ابن عباس وعبد الله بن جعفر
وروى عن حماد بن ابى سلمة قال رايت ابن ابى نافع يتختم فى يمينه وقال كان النبى صلى
الله عليه وسلم يتختم فى يمينه وقال كان النبى صلى الله عليه وسلم يتختم فى يمينه رواه
احمد والنسائى وابن ماجه والترمذى وقال قال محمد يعنى البخارى هذا اصح شئ
روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب وفى الشمائل للترمذى عن جابر انه صلى
الله عليه وسلم كان يتختم فى يمينه وهذا فيه ضعف لحال عبد الله بن ميمون ويروى
من حديث عباد بن صهيب عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر بن عبد الله قال
قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم والخاتم فى يمينه وعباد بن صهيب متروك
ايضا • وروى البزار فى مسنده من حديث عبيد بن القسم عن هشام بن عروة عن
ابيه عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يمينه وقبض والخاتم فى
يمينه وعبيد هذا كذاب قال الحافظ ابن رجب وقد جاء التصريح بان تختمه عليه السلام
فى يساره كان آخر الامرين فى حديث رواه سليمان بن محمد عن عبد الله بن عطا عن نافع
عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يمينه ثم انه حوله الى يساره وقال
وكيع التختم فى اليمين ليس بسنة ونص الامام احمد انه يكره التختم فى السبابة والوسطى
وروى عن على انه قال نهانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اتختم فى هذه او فى هذه
واومى الى السبابة والوسطى والله اعلم • وفى اللباب وكان عليه السلام يتختم وربما خرج
وفى خاتمه خيط مربوط يستذكر به الشئ ورواه ابن عدى بسند ضعيف من حديث
واثلة بلفظ كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد حاجة اوثق فى خاتمه خيطا • وروى
ابو يعلى عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اشفق من الحاجة ان ينساها ربط
فى اصبعه خيطا ليذكرها وهذا فى رابع الخلعيات لكن فيه سالم بن عبد الاعلى ابو
الفيض رماه ابن حبان بالوضع بل اتهمه ابو حاتم بهذا الحديث واما السراويل
فاختلف هل لبسها النبى صلى الله عليه وسلم ام لا فجزم بعض العلماء انه عليه السلام
لم يلبسه ويستانس له بما جزم به النووى فى ترجمة عثمان بن عفان رضى الله عنه من
كتاب تهذيب الاسماء اللغات انه رضى الله عنه لم يلبس السراويل فى جاهلية ولا اسلام
الا يوم قتله فانه كان احرص شئ على اتباعه صلى الله عليه وسلم لكن ورد فى حديث عند
ابى يعلى الموصلى فى مسنده بسند ضعيف جدا عن ابى هريرة قال دخلت السوق يوما

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الى البزازين فاشترى سراويل باربعة
دراهم وكان لاهل السوق وزان يزن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتزن وارجح فقال الوزان ان هذه لكلمة ما سمعتها من احد قال ابو هريرة فقلت له كفى
بك من الوهن والجفا في دينك ان لا تعرف نبيك فطرح الميزان ووثب الى يد رسول الله
صلى الله عليه وسلم يريد ان يقبلها فجذب يده صلى الله عليه وسلم منه وقال يا هذا
انما تفعل هذا الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم فوزن فارجح واخذ صلى
الله عليه وسلم السراويل قال ابو هريرة فذهبت لاحمله عنه فقال صاحب الشئ احق
بشئه ان يحمله الا ان يكون ضعيفا يعجز عنه فيعينه اخوه المسلم قال قلت يا رسول
الله فانك لتلبس السراويل قال اجل في السفر والحضر وبالليل والنهار فاني امرت بالستر
فلم اجد شيئا استر منه وكذا اخرجه ابن حبان في الضعفا عن ابي يعلى ورواه الطبراني
في الاوسط والدارقطني في الافراد والعقيلي في الضعفا ومداره على يوسف بن زياد
الواسطي لكن صح شراء النبي صلى الله عليه وسلم له ۰ وفي الهدى والظاهر انه صلى الله
عليه وسلم انما اشتريه ليلبسه وقد روى انه لبس السراويل وكانوا يلبسونه في زمانه
وباذنه ۰ قال ابو عبد الله الحجازي في حاشيته على الشفا وما قاله في الهدى من انه صلى
الله عليه وسلم لبس السراويل قالوا سبق قلم والله اعلم وقد اورد ابو سعيد النيسابوري
ذكر الحديث في تجارته صلى الله عليه وسلم من كتابه شرف المصطفى وقد ترجم البخاري
في اللباس في صحيحه باب السراويل واورد فيه حديث المحرم لكونه لم يرد فيه شئ على شرطه
واما الخف فروى الترمذي عن بريدة ان النجاشي اهدى للنبي صلى الله عليه و　واما خفه عليه السلام
سلم خفين اسودين ساذجين فلبسهما ثم توضأ ومسح عليهما ۰ وعن المغيرة بن شعبة
قال اهدى دحية للنبي صلى الله عليه وسلم خفين فلبسهما وقال اسرائيل عن جابر عن
عامر وجبة فلبسهما حتى تخرقا لا يدرى النبي صلى الله عليه وسلم اذكيان هما ام لا
رواه الطبراني واما نعله صلى الله عليه وسلم والنعل قال صاحب المحكم ما وقيت به　نعله الشريف
القدم ففي البخاري عن قتادة عن انس ان نعل النبي صلى الله عليه وسلم كان له قبالان
والقبالان تثنية القبال وهو زمام النعل وهو السير الذي يكون بين الاصبعين
وعن ابن عباس قال كان لنعل النبي صلى الله عليه وسلم قبالان مثنى شراكهما رواه
الترمذي في الشمائل وفيها ايضا عن ابي هريرة قال كان لنعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبالان ۰ وعن عيسى بن طهمان قال اخرج الينا انس بن مالك نعلين
جرداوين لهما قبالان فحدثني ثابت بعد ان انس انهما كانت نعل النبي صلى الله عليه
وسلم ۰ وعن عبيد بن جريج انه قال لابن عمر رايتك تلبس النعال السبتية قال اني

رايت

رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التي ليس فيها شعر يتوضأ فيها
فانا احب ان البسها ۰ وعن ابن عمرو بن حريث قال رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلي في نعلين مخصوفتين وعن عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحب التيامن ما استطاع في ترجله وتنعله وطهوره رواها الترمذي وعن ابي
هريرة قال صلى الله عليه وسلم اذا انتعل احدكم فليبدا باليمنى فاذا نزع فليبدأ بالشمال
لتكن اليمنى اولهما تنعل وآخرهما ينزع وكان عليه السلام ينهى ان ينتعل الرجل قائما
رواه ابو داود والترمذي وقد ذكر ابو اليمن تمثال نعله الشريف الكريمة عليه
افضل الصلاة والسلام في جزء مفرد رويته قراءة وسماعا وكذا افرده بالتاليف ابو
اسحق ابراهيم بن محمد بن خلف السلمي المشهور بابن الحاج من اهل المرية بالاندلس وكذا
غيرهما ولم اثبتها هنا اتكالا على شهرتها وصعوبة ضبط تسطيرها الا على حاذق
ومن بعض ماذكر من فضلها وجرب من نفعها وبركتها ما ذكره ابو جعفر احمد بن
عبد المجيد وكان شيخا صالحا وربما قال حذوت هذا التمثال لبعض الطلبة فجاءني
يوما فقال لي رايت البارحة من بركة هذا النعل عجبا اصاب زوجي وجع شديد
كاد يهلكها فجعلت النعل على موضع الوجع وقلت اللهم شف ببركة صاحب هذا
النعل فشفاها الله للحين ۰ وقال ابو اسحق قال ابو القاسم بن محمد ومما جرب من بركته
انه من امسكه عنده متبركا به كان له امانا من بغي البغاة وغلبة العداة وحرزا من
كل شيطان مارد وعين كل حاسد وان امسكته المرأة الحامل بيمينها وقد اشتد
عليها الطلق تيسر امرها بحول الله وقوته ۰ ولله در ابو اليمن بن عساكر حيث قال

يا منشدا في رسم ربع خال ۰ … ومنا شدا لدوارس الاطلال ۰
دع ندب اثار وذكر ما شر ۰ … لاحبة بانوا وعصر خال ۰
والثم ثرى الاثر الكريم فحبذا ۰ … ان فزت منه بلثم ذا التمثال ۰
آثاره بقلوبنا اثرلها ۰ … شغل الخلي بحب ذات الخال ۰
قبل لك الاقبال نعلي اخمص ۰ … حل الهلال بها محل قبال ۰
الصق به قلبا يقلبه الهوى ۰ … وجلا على الاوصاب والاوجال ۰
صافح بها خدا وعفر وجنة ۰ … في تربها وجدا وفرط فعال ۰
سبل حرجوى نوى بجوانح ۰ … في الحب ما جنحت الى الابلال ۰
يا شبه نعل المصطفى روحي الفدا ۰ … لمحلك الاسمى الشريف العال ۰
هملت لمراك العيون وقد نأى ۰ … مرمى العيان بغير ما اهمال ۰
وتذكرت عهد العقيق فنابرت ۰ … شوقا عقيق المدمع الهطال ۰

وصبت فواصلت الحنين الى الذى ماذال بالى منه فى بلبال
اذكرتنى قدماها قدم العلى والجود والمعروف والافضال
اذكرتنى من لم يزل ذكرى له يعتاد فى الابكار والاصال
ولها المفاخر والماثر فى الدنا والدين فى الاقوال والافعال
لوان خدى يحتذى بظلالها لبلغت من نيل المنى امالى
اوان اجفانى لوطئ نعالها ارض سمت عزا بذا الاذلال

وما احسن قول ابى الحكم بن المرحل فى قصيدة ذكرها ابو اسحق بن الحاج

بوصف حبيبى طرز الشعر ناظمه وتمم خد الطرس بالنقش راقمه
رؤف عطوفا وسع الناس رحمة وجادت عليهم بالنوم غمائمه
له الحسن والاحسان فى كل مذهب فاثاره محبوبة ومعالمه
به ختم الله النبيين كلهم وكل فعال صالح فهو خاتمه
احب رسول الله حبا لوانه تقاسمه قومى كفتهم قسائمه
كان فؤادى كلما مر ذكره من الورق خفاق اصيبت قوادمه
اهيم اذا هبت نواسم ارضه ومن لفؤادى ان تهب نواسمه
فانشق مسكا طيبا وكانما نوافجه جاءت به ولطائمه
ومما دعانى والدعاوى كثيرة الى الشوق ان الشوق مما اكاتمه
مثال لنعلى من احب حديثه فها انا فى يومى وليلى لاثمه
اجر على راسى ووجهى اديمه والثمه طورا وطورا الازمه
امثله فى رجل اكرم من مشى فتبصره عينى وما انا حالمه
احرك خدى ثم احسب وقعه على وجنتى خطوا هناك يداومه
ومن لى بوقع الفعل فى حر وجنتى لماش علت فوق النجوم براجمه
ساجعله فوق الترائب عوذة لقلبى لعل القلب يبرد جاحمه
واربطه فوق الشؤن تميمة لجفنى لعل الجفن يرقا ساجمه
الا بابى تمثال نعل محمد لقد طاب حاذيه وقدس خادمه
يود هلال الافق لوانه هوى يزاحمنا فى لثمه ونزاحمه
وما ذاك الا ان حب نبينا يقوم باجساد الخليقة لازمه
سلام عليه كلما هبت الصبا وغنت باغصان الاراك حمائمه

ولابى بكر بن احمد بن الامام محمد عبد الله بن الحسين القرطبى رحمه الله تعالى

ونعل خضعنا هيبة لبهائها وانا متى نخضع لها ابدا نعلو

فضعها

فضعها على على المفارق انها حقيقتها تاج وصورتها نعل
باخمص خير الخلق حازت مزية على التاج حتى باهت المفرق الرجل
طريق الهدى عنها استنارت لمبصر وان بحار الجود من فيضها تحلو
سلونا ولكن عن سواها وانما تهيم لمعناها الغريب وما نسلوا
فما شاقنا مذ راقنا رسم عزها حميم ولا مال كريم ولا نسلو
شفاء لذى سقم رجاء لبائس امان لذى خوف كذا ينسب الفضل

واما فراشه صلى الله عليه وسلم فقد كان صلى الله عليه وسلم اخذ من ذلك بما تدعو

ضرورته اليه وترك ما سوى ذلك • وفى صحيح مسلم قوله عليه الصلاة والسلام فراش للرجل وفراش لامرأته والثالث للضيف والرابع للشيطان • قال العلماء معناه ما زاد على الحاجة فاتخاذه انما هو للمباهاة والاختيال والالتهاء بزينة الدنيا وما كان بهذه الصفة فهو مذموم وكل مذموم يضاف للشيطان لانه يرتضيه ويوسوس به ويحسنه وقيل انه على ظاهره وانه اذا كان لغير حاجة كان للشيطان عليه مبيت ومقيل واما تعداد الفراش للزوج والزوجة فلا باس به لانه قد يحتاج كل واحد منهما الى فراش عند المرض ونحوه وعن عائشة انما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه ادما حشوه ليف رواه الشيخان • وروى البيهقى من حديثها قالت دخلت على امرأة من الانصار فرات فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيفة مثنية فبعثت الى بفراش حشوه الصوف فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذا يا عائشه قلت يا رسول الله فلانة الانصارية دخلت فرأت فراشك فبعثت الى بهذا فقال رديه يا عائشة فوالله لو شئت لاجرى الله معى جبال الذهب والفضة وعن عبد الله بن مسعود نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد اثر فى جنبه الحديث رواه ابن ماجة والترمذى وقال حسن صحيح والطبرانى ولفظه دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى غرفة كانها بيت حمام وهو نائم على حصير وقد اثر بجنبه فبكيت فقال ما يبكيك يا عبد الله قلت يا رسول الله كسرى وقيصر يطؤن على الخز والديباج والحرير وانت نائم على هذا الحصير قد اثر فى جنبك فقال فلا تبك يا عبد الله فان لهم الدنيا ولنا الاخرة • وقوله كانها بيت حمام بتشديد الميم اى ان فيها من الحر والكرب كما فى بيت الحمام وعن ابن عباس قال حدثنى عمر بن الخطاب قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير قال فجلست فاذا عليه ازاره وليس عليه غيره واذا الحصير قد اثر فى جنبه واذا انا بقبضة من شعير نحو الصاع واذا اهاب معلق فابتدرت عيناى فقال ما يبكيك يا ابن الخطاب فقال يا نبى الله وما

لى لا ابكى وهذا الحصير قد اثر فى جنبك وهذه خزائنك لا ارى فيها الا ما ارى وذاك كسرى
وقيصر فى الثمار والانهار وانت نبى الله وصفوته وهذه خزائنك قال ابن الخطاب اما ترضى
ان تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا • رواه ابن ماجة باسناد صحيح والحاكم وقال صحيح على
شرط مسلم ولفظه قال عمر رضى الله عنه استاذنت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدخلت عليه فى مشربة وانه لمضطجع على حفصة ان بعضه لعلا التراب وتحت
راسه وسادة محشوة ليفا وان فوق راسه لاهاب عطين وفى ناحية المشربة قرظ
فسلمت عليه وجلست فقلت انت نبى الله وصفوته وكسرى وقيصر على سرر الذهب
وفرش الديباج والحرير فقال اولئك عجلت لهم طيباتهم وهى وشيكة الانقطاع وانا
قوم اخرت لنا طيباتنا فى اخرتنا وعن عائشة كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
سرير مرخل بالبردى عليه كساء اسود وقد حشوناه بالبردى فدخل ابو بكر وعمر
عليه فاذا النبى صلى الله عليه وسلم نائم عليه فلما رآهما استوى جالسا فنظراه فاذا
اثر السرير فى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ما يوذيك
خشونة ما نرى من فراشك وسريرك وهذا كسرى وقيصر على فرش الحرير والديباج
فقال عليه الصلاة والسلام لا تقولا هذا فان فراش كسرى وقيصر فى النار وان فراشى
وسريرى هذا عاقبته الى الجنة • رواه ابن حبان فى صحيحه • ويروى انه عليه الصلاة
والسلام ما عاب مضطجعا قط ان فرش له اضطجع والا اضطجع على الارض وتغطى
صلى الله عليه وسلم باللحاف قال عليه الصلاة والسلام ما اتانى جبريل وانا فى لحاف
امرأة منكن غير عائشة النوع الثالث فى سيرته عليه الصلاة والسلام فى نكاحه
قد كان صلى الله عليه وسلم ياخذ من الجماع بالاكمل مما تحفظ به الصحة وتتم به اللذة
وسرور النفس وتحصل به مقاصده التى وضع لاجلها فان الجماع فى الاصل وضع لثلاثة
اشياء هى مقاصده الاصلية احدها حفظ النفس ودوام النوع الانسانى الى ان تتكامل
العدة التى قدر الله تعالى بروزها الى هذا العالم • الثانى قضاء الوطر ونيل اللذة والتمتع
بالنعمة وهذه الفائدة التى فى الجنة اذ لا تناسل هناك ولا احتقان يستفرغه الانزال
وفضلاء الاطباء يرون ان الجماع من احد اسباب حفظ الصحة يعنى لا ينبغى اخراج المنى الا فى
طلب النسل واخراج المحتقن منه فاذا دام احتقانه احدث امراضا ردية منها الوسواس
والجنون والصرع وغير ذلك وقد يبرئ استعماله من هذه الامراض كثيرا فانه اذا طال
احتباسه فسد واستحال الى كيفية سمية يوجب امراضا ردية قال محمد بن زكريا من
ترك الجماع مدة طويلة ضعفت قوى اعصابه واستدت مجاريها وتقلص ذكره قال
ورايت جماعة تركوه لنوع من التقشف فبردت ابدانهم وعسرت حركاتهم ووقعت

سيرته فى نكاحه عليه السلام

علیهم

عليهم كأبة بلا سبب وقلت شهواتهم وهضمهم اشار اليه فى زاد المعاد ومن منافعه
غض البصر وكف النفس والقدرة على العفة عن الحرام وتحصيل ذلك للمرأة فهو ينفع
نفسه فى دنياه واخرته وينفع المراة ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح
به سيرة ماضية ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يتعاهده ويقول كما فى حديث انس
عند الطبرانى فى الاوسط والنسائى فى سننه حبب الى من دنياكم النساء والطيب و
جعلت قرة عينى فى الصلاة اى المناجاة فيها ربه زاد الامام احمد فى الزهد واصبر
عن الطعام والشراب ولا اصبر عنهن فمحبة النساء والنكاح من كمال الانسان هذا
خليل الله امام الحنفاء كان عنده سارة اجمل نساء العالمين واحب هاجر وتسرى
بها وذكر سعد بن ابرهيم بن عامر بن سعد عن ابيه قال كان الخليل ابرهيم عليه
السلام يزورها جر فى كل يوم من الشام على البراق شغفا بها وقلة صبر عنها وهذا
داود عليه السلام كان عنده تسع وتسعون امرأة فاحب تلك المرأة
وتزوج بها فكمل المائة وهذا سليمان ابنه كان يطوف فى الليل على تسعين
امرأة تنبيه قد وقع فى الاحياء للغزالى وتفسير ال عمران من الكشاف
وكثير من كتب الفقها حبب الى من دنياكم ثلاث وقالوا انه عليه السلام
قال ثلاث ولم يذكر الا ثنتين الطيب والنساء قالوا ومنه قول الشاعر

ان الاحامرة الثلاثة اهلكت • مالى وكنت بهن قدما مولعا •
الخمر واللحم القراح واطلى • بالزعفران فلا ازال مولعا •

وذكرها ابن فورك فى جزء مفرد ووجهها واطنب فى ذلك وهذا يسمى عندهم طى وهو ان يذكر
جمع ثم يؤتى ببعضه ويسكت عن ذكر باقيه لغرض للمتكلم وانشد الزمخشرى عليه

كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم • من العبيد وثلث من مواليها •

وفائدة الطى عندهم تكثير ذلك الشئ لكن قال ابن القيم وغيره من رواه حبب الى من
دنياكم ثلاث فقد وهم ولم يقل صلى الله عليه وسلم ثلاثا والصلاة ليست من امور
الدنيا التى تضاف اليها انتهى نعم تضاف اليها لكونها ظرفا لوقوعها فقط فهى عبادة
محضة وقال شيخ الاسلام حافظ ابن حجر فى تاريخ الكشاف ان لفظ ثلاث لم تقع فى شئ
من طرقه وزيادته تفسد المعنى وكذا قال شيخ الاسلام الولى ابن العراقى فى اماليه
وعبارته ليست هذه اللفظة وهى ثلاث فى شئ من كتب الحديث وهى مفسدة للمعنى فان
الصلاة ليست من امور الدنيا وكذا صرح به الزركشى وغيره كما حكاه شيخنا فى المقاصد
الحسنة وافره وقال ابن الحاج فى المدخل نظر الى حكمة قوله عليه السلام حبب ولم يقل
احببت وقال من دنياكم فاضافها اليهم دونه عليه السلام فدل على ان حبه كان خاصا

هذا فى بعض الاحوال والاوكان يطوف على مائة وثلاث مائة لانه كان له الف سرية وثلاث مائة حرة

الا ان يقال يحتمل ان يكون قرة عينى فى الصلاة عطف على حبب وان ما سواه من قول منه فى جميع بمعنى حرره

بمولاه تعالى وجعلت قرة عينه فى الصلاة فكان عليه الصلاة والسلام بشرى الظاهر ملكوتى الباطن وكان عليه السلام لا ياتى الى شئ من احوال البشرية الا تانيسا لامته وتشريعا لها لا انه محتاج الى شئ من ذلك الا ترى الى قوله تعالى قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم انى ملك فلم ينف الملكية عنه الا بالنسبة اليهم اعنى فى معانيه عليه السلام لا فى ذاته الكريمة اذ انه عليه السلام يلحق بشريته ما يلحق البشر ولهذا قال سيدى ابو الحسن الشاذلى فى صفته صلى الله عليه وسلم هو بشر ليس كالابشار كما الياقوت حجر ليس كالاحجار وهذا منه رحمه الله على سبيل التقريب للفهوم فدل على انه صلى الله عليه وسلم كان ملكى الباطن ومن كان ملكى الباطن ملك نفسه انتهى وههنا لطيفة روى انه عليه السلام لما قال حبب الى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة قال ابو بكر وانا يا رسول الله حبب الى من الدنيا النظر الى وجهك وجمع المال للانفاق عليك والتوسل بقرابتك اليك وقال عمر وانا يا رسول الله حبب الى من الدنيا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والقيام بامر الله وقال عثمان وانا يا رسول الله حبب الى من الدنيا اشباع الجايع وارواء الظمآن وكسوة العارى وقال على بن ابى طالب وانا يا رسول الله حبب الى من الدنيا الصوم فى الصيف واقرا الضيف والضرب بين يديك بالسيف قال الطبرى خرجه الجندى كذا قال والعهدة عليه وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الناس باربع بالسماحة والشجاعة وكثرة الجماع وشدة البطش رواه الطبرانى وقال انس كان صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه فى الساعة الواحدة من الليل وهن احدى عشرة قلت لانس وكان يطيقه قال كنا نتحدث انه اعطى قوة ثلثين رواه البخارى من طريق قتادة قال ابن خزيمة تفرد بذلك معاذ بن هشام عن ابيه ورواه سعيد بن ابى عروبة وغيره عن قتادة فقال تسع نسوة انتهى وكذا رواه البخارى من طريق سعيد بن ابى عروبة بلفظ وله يومئذ تسع نسوة وجمع بينهما ابن حبان فى صحيحه بان حمل ذلك على حالين لكنه وهم فى قوله ان الاولى كانت فى اول قدومه المدينة حيث كان تحته تسع نسوة والحالة الثانية فى آخر الامر حيث اجتمع عنده احدى عشرة امرأة وموضع هذا الوهم منه انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة لم يكن تحته سوى سودة ثم دخل على عائشة بالمدينة ثم تزوج ام سلمة وحفصه وزينب بنت خزيمة فى السنة الرابعة ثم زينب بنت جحش فى الخامسة ثم جويرية فى السادسة ثم صفية وام حبيبة وميمونة فى السابعة هؤلاء

جميع من دخل بهن من الزوجات بعد الهجرة على المشهور لكن تحمل رواية هشام على انه ضم مارية وريحانة اليهن واطلق عليهن لفظ نسائه تغليبا فان قلت وطئ المرأة فى يوم الاخرى ممنوع والقسم وان لم يكن واجبا عليه لكنه عليه السلام التزمه تطييبا لنفوسهن اجيب باحتمال اذن صاحبة اليوم له او انه فى يوم لم يثبت فيه قسم بعد كيوم قدوم من سفر او اليوم الذى بعد كمال الدورة لانه يستانف القسم فيما بعد وانه من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقد اختص فى باب النساء باشياء كما سياتى ان شاء الله تعالى وعن طاووس ومجاهد اعطى صلى الله عليه وسلم قوة اربعين رجلا فى الجماع رواه ابو سعيد وفى رواية عن مجاهد قوة بضع واربعين رجلا كل رجل من اهل الجنة رواه الحارث بن ابى اسامة وعند احمد والنسائى وصححه الحاكم من حديث زيد بن ارقم رفعه ان الرجل من اهل الجنة ليعطى قوة مائة فى الاكل والشرب والجماع والشهوة وعن صفوان بن سليم مرفوعا اتانى جبريل بقدر فاكلت منه فاعطيت قوة اربعين رجلا فى الجماع رواه ابن سعد ولما كان عليه السلام ممن اقدر على القوة فى الجماع واعطى الكثير منه ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره قال ابن عباس تزوجوا فان افضل هذه الامة اكثرها نساء يشير اليه صلى الله عليه وسلم وقيد بهذه الامة ليخرج مثل سليمان عليه السلام فانه كان اكثر نساء ووقع عند الطبرى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس تزوجوا فان خيرنا اكثرنا نساء قيل المعنى خير امة محمد عليه افضل الصلاة والسلام من كان اكثر نساء من غيره مما يتساوى معه فيما عدا ذلك من الفضائل قال الحافظ ابو الفضل العسقلانى والذى يظهر ان مراد ابن عباس بالخير النبى صلى الله عليه وسلم وبالامة اخصاء اصحابه وكانه اشار الى ان ترك التزويج مرجوح اذ لو كان راجحا لما اثر النبى صلى الله عليه وسلم غيره وكان مع كونه اخشى الناس لله واعلمهم به يكثر التزويج لمصلحة تبليغ الاحكام التى لا يطلع عليها الرجال ولاظهار المعجزة البالغة فى خرق العادة لكونه كان لا يجد ما يستمتع به من القوت غالبا وان وجد فكان يوثر باكثره ويصوم كثيرا ويواصل ومع ذلك فكان يطوف على نسائه فى الليلة الواحدة ولا يطاق ذلك مع قوة البدن وقوة البدن تابعة لما يقوم به من استعمال المقويات من ماكول ومشروب وهى عنده عليه السلام نادرة او معدومة وقال بعض العلماء لما كان الحر لفضله على العبد يستبيح من النساء اكثر مما يستبيح العبد وجب ان يكون النبى صلى الله عليه وسلم لفضله على جميع الامة يستبيح من النساء اكثر مما تستبيحه الامة قالوا ومن فوائد ذلك زيادة التكليف فى القيام بهن مع تحمل اعباء الرسالة فيكون ذلك اعظم لمشاقه واكثر لاجره ومنها ان النكاح فى حقه عبادة ومنها نقل محاسنه

قوله ومن طاووس الى قوله والجماع والشهوة تقدم على قوله فان قلت هكذا فى النسخ

الباطنة فقد تزوج عليه السلام ام حبيبة وكان ابوها فى ذلك الوقت عدوه وصفية
وقد قتل اباها وعمها وزوجها فلولم يطلعن من باطن احواله على انه اكمل خلق الله لكانت
الطباع البشرية تقتضى ميلهن الى آبائهن وقد ابتهن فكان فى كثرة النساء عنده بيان
لمعجزاته وكماله باطنا كما عرف منه الرجال ظاهرا وقد رغب عليه السلام فى النكاح
فروى ابو داود والنسائى من حديث معقل بن يسار مرفوعا تزوجوا الولود الودود
فانى مكاثر بكم الامم ، وفى ابن ماجة عن ابى هريرة رفعه انكحوا فانى مكاثر بكم وهو
معنى ما اشتهر على الالسنة تناكحوا تناسلوا فانى اباهى بكم الامم ولم اقف عليه بهذا
اللفظ ، وارشد عليه السلام من لم يستطع الباءة الى الصوم لان كثرته تقل مادة
النكاح وتضعف ما يجد المرء من الحرارة القوية التى تبعثه على النكاح ، وخص الشباب
فى قوله يا معشر الشباب لان للشباب من شهوة النكاح ما ليس لغيرهم وقد ظهر لك
ان النكاح اعظم فى الاجر والثواب من الصيام فانه صلى الله عليه وسلم يامر اولا بالصيام
انما امر به عند عدم الطول الى النكاح واذا كان النكاح ينوى به التناسل لتكثير هذه
الامة المحمدية فهو بلا شك افضل قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه انى لاطؤ النساء
ومالى اليهن حاجة رجاء ان يخرج الله من ظهرى من يكاثر به محمد الامم يوم القيمة
ذكره ابن ابى جمره وانظر كون نبينا صلى الله عليه وسلم بالاجماع اعبد الناس
مع ما طبعت عليه بشريته من حب الجماع وكيف لم يخل بعبادته شيئا لانه عليه السلام
لم يكن ياتيها الا على مشروعيتها وهذا هو غاية الكمال فى البشرية لانه يرجع ما طبع
عليه تابعا لما امر به وقد روى عنه عليه السلام لا رهبانية فى الاسلام وهو ترك
النساء ولو كان تركهن افضل لشرع ذلك فى ديننا اذ هو خير الاديان ، وقد قال
سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة الحديث رواه البخارى وهذا
فيه معجزة لسليمان عليه السلام اذ البشر عاجز عن الطواف على مائة امرأة فى ليلة
واحدة فاظهر الله تعالى قدرته بان اعطى لسليمان عليه السلام القوة على ذلك
فكان فيها معجزة واظهار قدرة وابداء حكمة ردا على من ربط الاشياء بالعوائد
فيقول لا يكون كذا الا فى كذا ولا يتولد كذا الا من كذا فالقى الله تعالى فى صلب سليمان
ماء مائة رجل وكان له ثلاثمائة زوجة والف سرية وهذا لا يعطى تفضيل سليمان
عليه السلام على نبينا صلى الله عليه وسلم اذ سيدنا محمد لم يعط الا ماء اربعين
رجلا ولم يكن له الا عشر نسوة لان مرتبة نبينا عليه الصلاة والسلام فى الافضلية
لا يساويه فيها احد وسليمان تمنى ان يكون ملكا فاعطى ذلك واعطى هذه القوة
فى الجماع لكى يتم له الملك على خرق العادة من كل الجهات ليمتاز بذلك فكان نساؤه من جنس

ملكه الذى لا ينبغى لاحد من بعده كما طلب ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم لما خير
بين ان يكون نبيا ملكا ابى ذلك واختار ان يكون نبيا عبدا فاعطى من الخصوصية ذلك
القدر لكونه عليه السلام اختار الفقر والعبودية فاعطى الزائد بخرق العادة فى النوع
الذى اختار وهو الفقر والعبودية فكان صلى الله عليه وسلم يربط على بطنه الاحجار
من شدة الجوع والمجاهدة وهو على حاله فى الجماع لم ينقصه شيئا والناس ابدا اذا
اخذهم الجوع والمجاهدة لا يستطيعون على ذلك فهو ابلغ فى المعجزة قاله فى بهجة
النفوس النوع الرابع فى نومه صلى الله عليه وسلم كان صلى الله عليه وسلم
ينام اول الليل ويستيقظ فى اول النصف الثانى فيقوم فيستاك ويتوضا ولم يكن ياخذ
من النوم فوق القدر المحتاج ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج اليه منه ، وكان ينام
على جانبه الايمن ذاكرا الله تعالى حتى تغلبه عيناه غير ممتلى البدن من الطعام والشراب
لانه عليه السلام كان يحب التيامن فى شانه كله وليرشد امته لان فى الاضطجاع
على الشق الايمن سرا وهو ان القلب معلق فى الجانب الايسر فاذا نام الرجل على الجانب
الايسر استثقل نوما لانه يكون فى دعة واستراحة فيثقل نومه فاذا نام على الشق
الايمن فانه يقلق ولا يستغرق فى النوم لتعلق القلب وطلبه مستقره وميله اليه
قالوا وكثرة النوم على الجانب الايسر وان كان اهنى مضر بالقلب بسبب ميل الاعضاء
اليه فتنصب المواد ، واما قول القاضى عياض فى الشفا وكان نومه على جانبه الايمن
استظهارا على قلة النوم الى آخره ففيه شئ لانه عليه السلام لا ينام قلبه فسواء
كان نومه على الجانب الايمن والايسر فهذا الحكم ثابت له وما علله به انما يستقيم
فى حق من ينام قلبه وحينئذ فالاحسن تعليله بحب التيامن وبقصد التعليم كما مر
واردى النوم النوم على الظهر ولا يضر الاستلقاء عليه للراحة من غير نوم واردى منه
ان ينام منبطحا على وجهه ، وفى سنن ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم مر برجل فى
المسجد منبطحا على وجهه فضربه برجله وقال قم واقعد فانها نومة جهنمية وكان
عليه السلام ينام على الفراش تارة وعلى النطع تارة وعلى الحصير تارة وعلى الارض
تارة وكان فراشه ادما حشوه ليف وكان له مسح ينام عليه وكان صلى الله عليه
وسلم اذا اخذ مضجعه وضع كفه تحت خده الايمن وقال رب قنى عذابك يوم تبعث
عبادك وفى رواية تجمع عبادك ، وقال ابو قتادة كان عليه السلام اذا عرس بليل
اضطجع على شقه الايمن واذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعيه ووضع راسه على كفه
وقال ابن عباس كان عليه السلام اذا نام نفخ ، وعن حذيفة كان عليه السلام اذا آوى
الى فراشه قال اللهم باسمك اموت واحيى ، وقالت عائشة كان يجمع كفيه فينفث

فيهما ويقرؤ قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما
استطاع من جسده يبدؤ بهما على راسه ووجهه وما اقبل من جسده يصنع ذلك
ثلاث مرات وقال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوى الى فراشه قال
الحمد لله الذى اطعمنا وسقانا وكفانا واوانا وكم ممن لا كافى له ولا مؤوى ؛ روى ذلك
الترمذى وكان عليه السلام تنام عينه ولا ينام قلبه رواه البخارى من حديث عائشة
قاله لها عليه السلام لما قالت له اتنام قبل ان توتر وانما كان عليه السلام لا ينام
قلبه لان القلب اذا قويت فيه الحياة لا ينام اذا نام البدن وكمال هذه الحالة كان
لنبينا صلى الله عليه وسلم ولمن احيى الله قلبه بمحبته واتباع رسوله من ذلك
بحسب نصيبه منها فمستيقظ القلب وغافله كمستيقظ البدن ونائمه والى هذا
الذى ذكرته اشار صاحب المعارف العلية والحقايق السنية سيدى على بن سيدى
محمد وفا ؛ عينى تنام لكن قلبى ؛ والله ما ينام ؛ وكيف ينام عاشق متيم ؛ فى الحب مستهام ؛
ناظر الى وجه الحب ؛ شاخص على الدوام ؛ اتاه فى المعنى مرسوم ؛ ان يمحى الرسوم ؛
فقام بالحى القيوم ؛ يا سعد من يقوم ؛ وقد جمع العلماء بين هذا الحديث وبين حديث
نومه صلى الله عليه وسلم فى الوادى عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس وحميت حتى
ايقظه عمر رضى الله عنه بالتكبير فقال النووى له جوابان احدهما ان القلب انما يدرك
الحسيات المتعلقة به كالحدث والالم ونحوهما ولا يدرك ما يتعلق بالعين لانها نائمة
والقلب يقظان والثانى انه كان له حالات حال كان قلبه لا ينام فيه وهو الاغلب
وحال ينام فيه قلبه وهو نادر فصادف هذا اى قضية النوم عن الصلاة قال
والصحيح المعتمد هو الاول والثانى ضعيف قال فى فتح البارى وهو كما قال ولا يقال
القلب وان كان لا يدرك ما يتعلق بالعين من رؤية الفجر مثلا لكنه يدرك اذا كان -
يقظانا مرور الوقت الطويل فان من ابتداء طلوع الفجر الى ان حميت الشمس مدة طويلة
لا تخفى على من لم يكن مستغرقا لانا نقول يحتمل ان يقال كان قلبه صلى الله عليه وسلم
اذ ذاك مستغرقا بالوحى ولا يلزم مع ذلك وصفه بالنوم كما كان يستغرق صلى
الله عليه وسلم حالة القاء الوحى فى اليقظة وتكون الحكمة بيان التشريع بالفعل
لانه اوقع فى النفس كما فى قصة سهوه فى الصلاة وقريب من هذا جواب ابن المنير
ان القلب يحصل له السهو فى اليقظة لمصلحة التشريع ففى النوم النوم بطريق الاولى
او على السواء وقال ابن العربى فى القبس النبى صلى الله عليه وسلم كيف ما اختلف حاله
من نوم او يقظة فى حق وتحقيق ومع الملئكة فى كل طريق ان نسى فيا كد من المنسى
اشتغل وان نام فبقلبه ونفسه على الله اقبل ولهذا قالت الصحابة كان صلى الله عليه وسلم

اذانام

اذا نام لا نوقظه حتى يستيقظ لانا لا ندرى ما هو فيه فنومه عن الصلاة او نسيانه لشئ
منها لم يكن عن آفة وانما كان بالتصرف من حالة الى حالة مثلها لتكون لنا سنة انتهى
وقد اجيب عن اصل الاشكال باجوبة اخرى ضعيفة منها ان معنى قوله لا ينام قلبى
اى لا يخفى عليه حالة انتقاض وضوئه ومنها ان معناه لا يستغرقه النوم حتى يوجد منه
الحدث وهذا قريب من الذى قبله قال ابن دقيق العيد كان قائل هذا اراد تخصيص
يقظة القلب باى ذاك حالة الانتقاض وذلك بعيد وذلك ان قوله صلى الله عليه
وسلم ان عينى تنامان ولا ينام قلبى خرج جوابا عن قول عائشة اتنام قبل ان توتر
وهذا كلام لا تعلق له بانتقاض الطهارة التى تكلموا فيه وانما هو جواب يتعلق بامر
الوتر فيحمل يقظته على تعلق القلب باليقظة للوتر وفرق بين من شرع فى النوم مطمئن
القلب به وبين من شرع فيه متعلقا باليقظة قال وعلى هذا فلا تعارض ولا اشكال
فى حديث النوم حتى طلعت الشمس لانه يحتمل انه اطمأن فى نومه لما اوجبه تعب السير
معتمدا على من وكله بكلاءة الفجر انتهى ومحصله تخصيص اليقظة المفهومة من
قوله ولا ينام قلبى بادراكه وقت الوتر ادراكا معنويا لتعلقه به وان نومه فى حديث
الباب كان نوما مستغرقا ويؤيده قول بلال اخذ بنفسى الذى اخذ بنفسك كما فى
حديث ابى هريرة عند مسلم ولم ينكر عليه ومعلوم ان نوم بلال كان مستغرقا وقد
اعترض عليه بان ما قوله يقتضى اعتبار خصوص السبب واجاب بانه يعتبر
اذا قامت عليه قرينة وارشد اليها السياق وهو هنا كذلك ومن الاجوبة
الضعيفة ايضا قول من قال كان قلبه يقظانا وعلم بخروج الوقت لكن
ترك اعلامهم بذلك لمصلحة التشريع والله اعلم

المقصد الرابع

فى معجزاته الدالة على ثبوت نبوته وصدق رسالته وما خص به من خصائص اياته
وبدايع كراماته وفيه فصلان الاول فى معجزاته صلى الله عليه وسلم اعلم ايها المحب
لهذا النبى الكريم والرسول العظيم سلك الله بى وبك مناهج سنته واماتنا على محبته
بمنه ورحمته ان المعجزة هى الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدى الدال على صدق
الانبياء عليهم السلام وسميت معجزة لعجز البشر عن الاتيان بمثلها فعلم ان لها
شروطا احدها ان تكون خارقة للعادة كانشقاق القمر وانفجار الماء من بين اصابعه
وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة واعدام جبل فخرج غير الخارق للعادة كطلوع
الشمس كل يوم الثانى ان تكون مقرونة بالتحدى وهو طلب المعارضة والمقابلة قال
الجوهرى يقال تحديت فلانا اذا باريته فى فعل ونازعته للغلبة وفى القاموس نحوه

وفي الاساس حدا يحدو وهو حادى الابل واحدا بها حداءً اذا غنى ومن المجاز تحدّى
اقرانه اذا باراهم ونازعهم للغلبة واصله الحُدا يتباريا فيه الحاديان ويتعارضان
فيتحدّى كلّ واحد منهما صاحبه اى يطلب حُداه كما يقال توفاه بمعنى ستوفاه ٥ وفى
بعض الحواشى الموقوف بها كانوا عند الحَدْوِ يقوم حاد عن يمين القطار وحاد عن
يساره يتحدا كلّ واحد منهما صاحبه بمعنى يستحديه اى يطلب منه حُداه ثم اتّسع
فيه حتى استعمل فى كلّ مباراة انتهى من حاشية الطيبى على الكشاف وقال المحققون
التحدى الدعوى للرسالة انتهى والشرط الثالث من شروط المعجزة ان لا ياتى احد
بمثل ما اتى به المتحدى على وجه المعارضة وعبّر عنه بعضهم بقوله دعوى الرسالة
مع امن المعارضة وهو احسن من التّعبير بعدم المعارضة لانّه لا يلزم من عدم
المعارضة امتناعها والشرط انما هو عدم امكانها وقد خرج بقيد التحدّى الخارق
من غير تحدّ وهو الكرامة للولىّ وبالمقارنة الخارق المتقدم على التحدى كاظلال الغمام
وشقّ الصدر الواقعين لنبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلّم قبل دعوى الرسالة وكلام
عيسى فى المهد وما شابه ذلك مما وقع من الخوارق قبل دعوى الرسالة فانها ليست
معجزات انما هى كرامات ظهورها على الاولياء جائز والانبيا قبل نبوّتهم لا يقصرون
عن درجة الاولياء فيجوز ظهورها عليهم ايضا وحينئذ يسمّى ارهاصا اى تاسيسا
للنبوّة كما صرّح به العلامة السيد الجرجانى فى شرح المواقف وغيره وهو مذهب
جمهور ائمة الاصول وغيرهم وخرج ايضا بقيد المقارنة المتاخر عن التحدى بما يخرجه
عن المقارنة العرفية نحو ما رُوى بعد وفاة النبى صلّى الله عليه وسلّم من نُطق بعض
الموتى بالشهادتين وشبهه مما تواترت به الاخبار وخرج ايضا بامن المعارضة
السحر المقرون بالتحدّى فانه يمكن معارضته بالاتيان بمثله من المرسل اليهم واختلف
هل السحر قلب الاعيان واحالة الطبايع ام لا فقال بالاول قائلون حتى جوّزوا للساحر
ان يقلب الانسان حمارًا وذهب آخرون الى انّ احدًا لا يقدر على قلب عين ولا احالة
طبيعة الّا الله تعالى لانبيائه وانّ الساحر والصالح لا يقلبان عينا قالوا ولو جوّزنا
للساحر ما جاز للنبى فاىّ فرق عندكم بينهما فان لجاتم الى ما ذكره القاضى العلامة ابو بكر
الباقلانى من الفرق بالتحدّى فقد قيل لكم هذا باطل من وجوه احدها انّ اشتراط
التحدّى قول لا دليل عليه لا من كتاب ولا من سنة ولا من قول صاحب ولا اجماع وما
تعرّى من البرهان فهو باطل الثانى انّ اكثر اياته صلّى الله عليه وسلّم واعمّها واغلبها
كانت بلا تحدّ كنطق الحصى ونبع الماء ونطق الجذع واطعامه المائتين من صاع
وتفله فى العين وتكليم الذراع وشكوى البعير وكذا سائر معجزاته العظام ولعله

لم يتحدّ

لم يتحدّ بسوى القران وتمنّى الموت قالوا ناف لقوله لا يبقى من الايات ما يسمّى معجزة الّا هذين
الشيئين ويلغى معجزات كالبحر المتقاذف بالامواج ومن قال انّ هذه ليست معجزات ولا
ايات فهو الى الكفر اقرب منه الى البدعة قالوا وقد كان عليه الصلاة والسلام يقول
عند ورود اية من هذه الايات اشهد انّى رسول الله كما قال ذلك عند تحققهم مصداق
قوله فى الاخبار عن الذى انكى فى المشركين قتلا فى المعركة انه من اهل النار فقتل نفسه
بحضر ذلك الذى اتبعه من المسلمين قالوا والوجه الثالث وهو الدامغ لهذا القول قوله
تعالى واقسموا بالله جهدا يمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمننّ بها قل انما الايات عند الله
وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ، وقال تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الّا
ان كذب بها الاولون فسمّى الله تعالى تلك المعجزات المطلوبات من الانبياء ايات ولم
ولم يشترط تحديًا من غيره فصحّ انّ اشتراط التحدّى باطل محض انتهى ملخصا من تفسير شيخ
الى امامة النقاش واجيب بانه ليس الشرط الاقتران بالتحدّى بمعنى طلب الاتيان
بالمثل الذى هو المعنى الاصلى للتحدى بل يكفى للتحدّى دعوى الرسالة والله اعلم الرابع
من شروط المعجزة ان تقع على وفق دعوى المتحدى بها فلو قال المدعى للرسالة آية
نبوّتى ان تنطق يدى او هذه الدابة فنطقت يده والدابة بكذبه فقالت كذب وليس
هو نبى فانّ الكلام الذى خلقه الله دالّ على كذب ذلك المدعى لانّ ما فعله الله تعالى
لم يقع على وفق دعواه كما يُروى انّ مسيلمة الكذاب لعنه الله تعالى ليكثر ماؤها فغارت
وذهب ما فيها من الماء فمتى اختلّ شرط من هذه لم تكن معجزة ولا يقال قضيّة ما قلتم
انّ ما توفرت فيه الشروط الاربعة من المعجزات لا يظهر الّا على ايدى الصادقين وليس
كذلك لانّ المسيح الدجال يظهر على يديه من الايات العظام ما هو مشهور كما وردت
به الاخبار الصحيحة لانّ ما ذكر فيمن يدّعى الرسالة وهذا يدّعى الربوبية وقد قامت الدليل
على انّ بعثة بعض الخلق غير مستحيلة فلم يبعد ان يقيم الله تعالى الادلة على صدق مخلوق
اتى عنه بالشرع والملّة ودلّت القواطع على كذب المسيح الدجال فيما يدّعيه للتغيير
من حال الى حال وغير ذلك من الاوصاف التى تليق بالمحدثات وتعالى عنها رب البريّات
ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فان قلت اىّ الاسمين احق واولى بما اتت
به الانبيا هل لفظ المعجزة او لفظ الاية او الدليل فالجواب انّ كبار الائمة يسمّون
معجزات الانبياء دلائل النبوة وايات النبوة ولم يرد فى القران لفظ المعجزة بل ولا فى السنة
ايضا وانما فيهما لفظ الاية والبينة والبرهان كما فى قصة موسى فذانك برهانان
من ربك فى العصا واليد وفى حق نبينا عليه السلام قد جاءكم برهان من ربكم واما
لفظ الايات فكثير بل هو اكثر من ان نسرده هنا كقوله تعالى واذا جاءتهم آية وان فى ذلك

لا يات واما لفظ المعجز اذا اطلق فانه لا يدل على كون ذلك آية الا اذا فسر المراد به وذكرت
شرائطه وقد كان كثير من اهل الكلام لا يسمى معجزا الا ما كان للانبياء فقط ومن اثبت
للاولياء خوارق عادات سماها كرامات والسلف كانوا يسمون هذا وهذا معجزا كالامام
احمد وغيره بخلاف ما كان آية وبرهانا عن نبوة النبى صلى الله عليه وسلم فان هذا يجب
اختصاصه به وقد يسمون الكرامات ايات لكونها تدل على نبوة من اتبعه ذلك الولى
فان الدليل مستلزم للمدلول يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول فكذلك ما كان آية وبرهانا
انتهى **واذا علمت هذا** فاعلم ان دلائل نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة والاخبار
بظهور معجزاته شهيرة **فمن دلائل نبوته** ما وجد فى التورية والانجيل وسائر كتب الله المنزلة
من ذكره ونعته وخروجه بارض العرب وما خرج بين يدى ايام مولده ومبعثه من
الامور الغريبة العجيبة القادحة فى سلطان الكفر الموهنة لكلمتهم المؤيدة لشان العرب
المنوهة بذكرهم كقصة الفيل وما احل الله تعالى باصحابه من العقوبة والنكال وخمود
نار فارس وسقوط شرافات ايوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة ورؤيا الموبذان
وما سمع من الهواتف الصارخة بنعوته واوصافه وانتكاس الاصنام المعبودة
وخرورها لوجهها من غير دافع لها من امكنتها الى سائر ما روى وما نقل فى الاخبار
المشهورة من ظهور العجايب فى ولادته وايام حضانته وبعدها الى ان بعثه الله نبيا
ولم يكن له صلى الله عليه وسلم ما يستميل به القلوب من مال فيطمع فيه ولا قوة يقهر
بها الرجال ولا اعوان على الراى الذى اظهره والدين الذى دعا اليه وكانوا يجتمعون
على عبادة الاصنام وتعظيم الازلام مقيمون على عادة الجاهلية فى العصبية والحمية
والتعادى والتباغى وسفك الدما وشن الغارات لا يجمعهم الفة دين ولا يمنعهم
عن سوء افعالهم نظر فى عاقبة ولا خوف عقوبة ولا ئمة فالف صلى الله عليه وسلم
بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الآرا وتناصرت القلوب وترادفت الايدى فصاروا
البا واحدا فى نصرته وعنقا واحدا الى طلعته وهجروا بلادهم واوطانهم وجفوا قومهم
وعشائرهم فى محبته وبذلوا مهجهم وارواحهم فى نصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف
فى اعزاز كلمته بلا دنيا بسطها لهم ولا اموالا افاضها عليهم ولا عوض فى العاجل
اطمعهم فى نيله يحوونه او ملك وشرف فى الدنيا يحوزونه بل كان من شانه صلى الله عليه
وسلم ان يجعل الغنى فقيرا والشريف اسوة الوضيع فهل يلتئم مثل هذه الامور او يتفق
مجموعها لاحد هذا سبيله من قبيل الاختيار العقلى والتدبير الفكرى لا والذى بعثه
بالحق وسخر له هذه الامور ما يرتاب عاقل فى شئ من ذلك وانما هو امر الهى وشئ غالب
سماوى ناقض للعادات يعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر عليه الا من له الخلق والامر

لا بالمهام المتفقة على الشى

تبارك الله

تبارك الله رب العالمين **ومن دلائل نبوته** عليه السلام انه كان اميا لا يخط كتابا بيده
ولا يقرؤه ولد فى قوم اميين ونشأ بين اظهرهم فى بلد ليس بها عالم يعرف اخبار الماضين
ولم يخرج فى سفر ضاربا الى عالم فيعكف عليه فجاءهم باخبار التورية والانجيل والامم
الماضية وقد كان ذهبت معالم تلك الكتب ودرست وحرفت عن مواضعها ولم يبق
من المتمسكين بها واهل المعرفة بصحيحها وسقيمها الا القليل ثم حاج كل فريق من
اهل الملل المخالفة له بما لو احتشد له حذاق المتكلمين وجهابذة النقاد المتفننين
لم يتهيأ له نقض ذلك وهذا ادل شئ على انه امر جاءه من عند الله تعالى **ومن ذلك**
القران العظيم فقد تحدى بما فيه من الاعجاز ودعاهم الى معارضته والاتيان بسورة
من مثله فنكلوا عنه وعجزوا عن الاتيان بشئ منه قال بعض العلماء ان الذى اورده
عليه السلام على العرب من الكلام الذى اعجزهم عن الاتيان بمثله اعجب فى الآية
واوضح فى الدلالة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لانه اتى اهل البلاغة وارباب
الفصاحة ورؤسا البيان والمتقدمين فى اللسن بكلام مفهوم المعنى عندهم وكان
عجزهم عنه اعجب من عجز من شاهد المسيح عند احياء الموتى لانهم لم يكونوا يطمعون
فيه ولا فى ابراء الاكمه والابرص ولا يتعاطون علمه وقريش كانت تتعاطى الكلام
الفصيح والبلاغة والخطابة فدل على ان العجز عنه انما كان ليصير علما على رسالته
وصحة نبوته وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح **وقال ابو سليمان الخطابى** وقد
كان صلى الله عليه وسلم من عقلاء الرجال عند اهل زمانه بل هو اعقل خلق الله
على الاطلاق وقد قطع القول فيما اخبر به عن ربه تعالى بانهم لا ياتون بمثل ما
تحداهم به فقال فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فلولا علمه بان ذلك من عند الله علام
الغيوب وانه لا يقع فيما اخبر عنه خلف والا لم ياذن له عقله ان يقطع القول فى
شئ بانه لا يكون وهو يكون انتهى وهذا من احسن ما يقال فى هذا المجال وابدعه
واكمله وابينه فانه نادى عليهم بالعجز قبل المعارضة وبالتقصير عن بلوغ الغرض
فى المناقضة صارخا بهم على رؤس الاشهاد فلم يستطع احد منهم الالمام به مع توفر
الدعاوى وتظاهر الاجتهاد فقال وكان بما القى اليهم عليما خبيرا قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
ظهيرا فرضيت هممهم الشريفة وانفسهم الشريفة الابية بسفك الدما وهتك
الحريم **وقد** ورد من الاخبار فى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم بعض ما نزل عليه
على المشركين الذين كانوا من اهل الفصاحة والبلاغة واقرارهم باعجاز جمل كثيرة
فمنها ما روى عن محمد بن كعب قال حدثت ان عتبة ابن ربيعة قال ذات يوم

لا بات واما لفظ المعجز اذا اطلق فانه لا يدل على كون ذلك آية الا اذا فسر المراد به وذكرت
شرائطه وقد كان كثير من اهل الكلام لا يسمى معجزا الا ما كان للانبياء فقط ومن اثبت
للاولياء خوارق عادات سماها كرامات والسلف كانوا يسمون هذا وهذا معجزا كالامام
احمد وغيره بخلاف ما كان آية وبرهانا عن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم فان هذا يجب
اختصاصه به وقد يسمون الكرامات ايات لكونها تدل على نبوة من اتبعه ذلك الولي
فان الدليل مستلزم للمدلول يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول فكذلك ما كان آية وبرهانا
انتهى **واذا علمت هذا** فاعلم ان دلائل نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة والاخبار
بظهور معجزاته شهيرة **فمن دلائل نبوته** ما وجد في التورية والانجيل وسائر كتب الله المنزلة
من ذكره ونعته وخروجه بارض العرب وما خرج بين يدي ايام مولده ومبعثه من
الامور الغريبة العجيبة القادحة في سلطان الكفر الموهنة لكلمتهم المؤيدة لشان العرب
المنوهة بذكرهم كقصة الفيل وما احل الله تعالى باصحابه من العقوبة والنكال وخمود
نار فارس وسقوط شرافات ايوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة ورؤيا الموبذان
وما سمع من الهواتف الصارخة بنعوته واوصافه وانتكاس الاصنام المعبودة
وخرورها لوجهها من غير دافع لها من امكنتها الى سائر ما روى وما نقل في الاخبار
المشهورة من ظهور العجايب في ولادته وايام حضانته وبعدها الى ان بعثه الله نبيا
ولم يكن له صلى الله عليه وسلم ما يستميل به القلوب من مال فيطمع فيه ولا قوة يقهر
بها الرجال ولا اعوان على الراي الذي اظهره والدين الذي دعا اليه وكانوا يجتمعون
على عبادة الاصنام وتعظيم الازلام مقيمون على عادة الجاهلية في العصبية والحمية
والتعادي والتباغي وسفك الدما وشن الغارات لا تجمعهم الفة دين ولا يمنعهم
عن سوء افعالهم نظر في عاقبة ولا خوف عقوبة ولائمة فالف صلى الله عليه وسلم
بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الآرا وتناصرت القلوب وترادفت الايدي فصاروا
البا واحدا في نصرته وعنقا واحدا الى طاعته وهجروا بلادهم واوطانهم وجفوا قومهم
وعشائرهم في محبته وبذلوا مهجهم وارواحهم في نصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف
في اعزاز كلمته بلا دنيا بسطها لهم ولا اموالا افاضها عليهم ولا عوض في العاجل
اطعمهم في نيله يحوونه وملكا وشرفا في الدنيا يحوزونه بل كان من شانه صلى الله عليه
وسلم ان يجعل الغني فقيرا والشريف اسوة الوضيع فهل يلتئم مثل هذه الامور ويتفق
مجموعها لاحد هذا سبيله من قبيل الاختيار العقلي والتدبير الفكري لا والذي بعثه
بالحق وسخر له هذه الامور ما يرتاب عاقل في شئ من ذلك وانما هو امر الهي وشئ غالب
سماوي ناقض للعادات يعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر عليه الا من له الخلق والامر

الالب الجماعة المتفقة على الشئ

تبارك الله

تبارك الله رب العالمين **ومن دلائل نبوته** عليه السلام انه كان اميا لا يخط كتابا بيده
ولا يقرؤه ولد في قوم اميين ونشأ بين اظهرهم في بلد ليس بها عالم يعرف اخبار الماضين
ولم يخرج في سفر ضاربا الى عالم فيعكف عليه فجاءهم باخبار التورية والانجيل والامم
الماضية وقد كان ذهبت معالم تلك الكتب ودرست وحرفت عن مواضعها ولم يبق
من المتمسكين بها واهل المعرفة بصحيحها وسقيمها الا القليل ثم حاج كل فريق من
اهل الملل المخالفة له بما لو احتشد له حذاق المتكلمين وجهابذة النقاد المتفننين
لم يتهيأ له نقض ذلك وهذا ادل شئ على انه امر جاء من عند الله تعالى **ومن ذلك**
القران العظيم فقد تحدى بما فيه من الاعجاز ودعاهم الى معارضته والاتيان بسورة
من مثله فنكلوا عنه وعجزوا عن الاتيان بشئ منه قال بعض العلماء ان الذي اورده
عليه السلام على العرب من الكلام الذي اعجزهم عن الاتيان بمثله اعجب في الآية
واوضح في الدلالة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لانه اتى اهل البلاغة وارباب
الفصاحة ورؤسا البيان والمتقدمين في اللسن بكلام مفهوم المعنى عندهم وكان
عجزهم عنه اعجب من عجز من شاهد المسيح عند احياء الموتى لانهم لم يكونوا يطمعون
فيه ولا في ابراء الاكمه والابرص ولا يتعاطون علمه وقريش كانت تتعاطى الكلام
الفصيح والبلاغة والخطابة فدل على ان العجز عنه انما كان ليصير علما على رسالته
وصحة نبوته وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح **وقال ابو سليمان** الخطابي وقد
كان صلى الله عليه وسلم من عقلاء الرجال عند اهل زمانه بل هو اعقل خلق الله
على الاطلاق وقد قطع القول فيما اخبر به عن ربه تعالى بانهم لا ياتون بمثل ما
تحداهم به فقال فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فلولا علمه بان ذلك من عند الله علام
الغيوب وانه لا يقع فيما اخبر عنه خلف والا لم ياذن له عقله ان يقطع القول في
شئ بانه لا يكون وهو يكون انتهى وهذا من احسن ما يقال في هذا المجال وابدعه
واكمله وابينه فانه نادى عليهم بالعجز قبل المعارضة وبالتقصير عن بلوغ الغرض
في المناقضة صارخا بهم على رؤس الاشهاد فلم يستطع احد منهم الالمام به مع توفر
الدعاوى وتظاهر الاجتهاد فقال وكان بما القى اليهم عليما خبيرا قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
ظهيرا فرضيت هممهم الشريفة وانفسهم الشريفة الابية بسفك الدما وهتك
الحريم **وقد** ورد من الاخبار في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم بعض ما نزل عليه
على المشركين الذين كانوا من اهل الفصاحة والبلاغة واقرارهم باعجاز جمل كثيرة
فمنها ما روى عن محمد بن كعب قال حدثت ان عتبة ابن ربيعة قال ذات يوم

وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد
يا معشر قريش الا اقوم الى هذا فاعرض عليه امورا لعله ان يقبل منا بعضها ويكف
عنها قالوا بلى يا ابا الوليد فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكر الحديث فيما قاله عتبة وفيما عرض عليه من المال وغير ذلك فلما فرغ قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم افرغت يا ابا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال افعل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم ٭ حم تنزيل من
الرحمن الرحيم ٭ حتى بلغ قرآنا عربيا فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها عليه
فلما سمعها عتبة انصت لها والقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع منه حتى
انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد فيها ثم قال سمعت يا ابا
الوليد قال سمعت فانت وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف
بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك
يا ابا الوليد قال اني والله قد سمعت قولا ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر
ولا بالسحر ولا الكهانة يا معشر قريش اطيعوني خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه
فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ قال فاجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا شعر
ولا كهانة قرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم حتى بلغ
فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت فمه وناشدته الرحيم ان يكف
وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب رواه البيهقي
وغيره وفي حديث سلام ابي ذر ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر
من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة
وجاء الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون
شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو قولهم على اقراء الشعر فلم يلتئم ولم
يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون رواه مسلم
والبيهقي وعن عكرمة في قصة الوليد بن المغيرة وكان زعيم قريش في الفصاحة
انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم اقرا علي فقرأ عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان
وايتاء ذي القربى الى آخر الآية قال اعد فاعاد صلى الله عليه وسلم فقال والله ان
له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وما يقول هذا
بشر ثم قال لقومه والله ما فيكم رجل اعلم بالاشعار مني ولا اعلم برجزه ولا باشعار
الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا والله ان لقوله الذي يقول لحلاوة
وان عليه لطلاوة وانه لمثمر اعلاه مغدق اسفله وانه ليعلو وما يعلى وفي خبره الآخر

حين

الزمزمة كلام مختلط بعضه ببعض لا يفهم

زمزمة

حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رايا
لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول هو كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته
ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا بوسوسته قالوا فنقول
شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهجزه وقريضه ومبسوطه و
مقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال فما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده
قالوا فما نقول قال ما انتم قائلون من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل رواه ابن اسحق
والبيهقي واخرج ابو نعيم من طريق ابن اسحق حدثني اسحق بن يسار عن رجل من بني
سلمة قال لما اسلم فتيان بني سلمة قال عمرو بن الجموح لابنه اخبرني ما سمعت من كلام
هذا الرجل فقرأ عليه الحمد لله رب العالمين الى قوله الصراط المستقيم فقال ما احسن
هذا واجمله أوكل كلامه مثل هذا قال يا ابت واحسن من هذا ٭ وقال بعضهم ان هذا
القرآن لو وجد مكتوبا في مصحف في فلاة من الارض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت
العقول السليمة انه منزل من عند الله وان البشر لا قدرة لهم على تاليف ذلك فكيف اذا
جاء على يد اصدق الخلق وابرهم واتقيهم وقال انه كلام الله وتحدى الخلق كلهم
ان ياتوا بسورة من مثله فعجزوا فكيف يبقى مع هذا شك فيه انتهى واعلم
ان وجوه اعجاز القرآن لا تنحصر لكن قال بعضهم انه قد اختلف العلماء في اعجازه على
ستة اوجه ٭ احدها ان وجه اعجازه هو الايجاز والبلاغة مثل قوله ولكم في
القصاص حيوة فجمع في كلمتين عدد حروفهما عشرة احرف معاني كلام كثير وحكى
ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحة
هذا الكلام وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد
ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وقال الاصمعي انه راى جارية خماسية او
سداسية وهي تقول استغفر الله من ذنوبي كلها فقلت لها مم تستغفرين ولم يجر
عليك قلم فقالت استغفر الله لذنبي كله قتلت انسانا بغير حله مثل غزال ناعم
في دله انتصف الليل ولم اصل له فقلت لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او يعد هذا
فصاحة بعد قوله واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم
ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فجمع في آية واحدة بين
امرين ونهيين وخبرين وبشارتين وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان
يوما نائما في المسجد فاذا هو برجل قائم على راسه يتشهد شهادة الحق فاعلمه انه
من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين
يقرأ آية من كتابكم فتاملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى بن مريم من احوال

الدنيا والاخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه الاية
وقد رام قوم من اهل الزيغ والالحاد او تواطرفا من البلاغة وحظا من البيان ان
يضعوا شيئا يلبسون به فلما وجدوه مكان النجم مزيدا المتناول مالوا الى السور القصار
كسورة الكوثر والنصر واشباههما لوقوع الشبهة على الجهال فيما قل عدد حروفه
لان العجز انما يقع في التاليف والاتصال وممن رام ذلك من العرب والتشبيه بالسور
القصار مسيلمة الكذاب فقال يا ضفدع نقي كم تنقين اعلاك في الماء واسفلك في
الطين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين فلما سمع ابو بكر رضي الله عنه هذا قال
انه لكلام لم يخرج من ال قال ابن الاثير اي من ربوبية والال بالكسر هو الله تعالى
وقيل الال الاصل الجيد اي لم يجئ من الاصل الذي جاء منه القران ولما سمع مسيلمة
عليه اللعنة والنازعات قال والباذرات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات
قمحا والطاحنات طحنا والحافرات حفرا والباردات بردا واللاقمات لقما لقد فضلتم
على اهل الوبر وما سبقكم اهل المدر الى غير ذلك من الهذيان مما ذكرت في الوفود من
المقصد الثاني بعضه والله اعلم وقال آخر الفيل ما الفيل وما ادريك ما الفيل له
ذنب وثيل ومشفر طويل وان ذلك من خلق ربنا القليل ففي هذا الكلام مع قلة
حروفه من السخافة ما لا اخفا به على من لا يعلم فضلا عمن يعلم والثاني ان اعجازه
هو الوصف الذي صار به خارقا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب
والشعر والرجز والسجع فلا يدخل في شئ منها ولا يختلط بها مع كون الفاظه وحروفه
من جنس كلامهم ومستعملة في نثرهم ونظمهم ولذلك تحيرت عقولهم وتدلهت احلامهم
ولا يهتدون الى مثله في جنس كلامهم فلا ريب انه في فصاحته قد قرع القلوب ببديع
نظمه وفي بلاغته قد اصاب المعاني بصائب سهمه فانه حجة الله الواضحة ومحجته
اللايحة ودليله القاهر وبرهانه الباهر ما رام معارضته شقي الا تهافت تهافت
الفراش في الشهاب وذل ذل النقد حول الليوث الغضاب وقد حكى عن غير واحد ممن
عارضه انه اعترته روعة وهيبة كفته عن ذلك وحكى ايضا ان ابن المقنع وكان
افصح اهل وقته طلب ذلك ورامه ونظم كلاما وجعله مفصلا وسماه سورا
فاجتاز يوما بصبي يقرؤا في مكتب قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء
اقلعي وغيض الماء وقضي الامر الاية فرجع ومحى ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض
ابدا وما هو من كلام البشر كما حكى عن يحيى بن حكيم الغزال بتخفيف الزاي وقد تشدد
وكان بليغ الاندلس في زمانه انه قد رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو
على مثالها وينسج بزعمه على منوالها فاعترته خشية ورقة حملته على التوبة

وقال آخر الم تر كيف فعل ربك بالحبلى اخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف وحشى • نسخة •

والانابة ولله در العارف سيدي محمد وفا حيث قال يعني النبي عليه السلام والقران العظيم

له آية الفرقان في عين جمعه •	جوامع ايات بها اتضح الرشد •
حديث نزيه عن حدوث منزه •	قديم صفات الذات ليس له ضد •
بلاغ بليغ للبلاغة معجز •	له معجزات لا يعد لها عد •
تحلت بروح الوحي حلة نسجه •	عقود اعتقاد لا يحل لها عقد •
وغاية ارباب البلاغة عجزهم •	لديه وان كانوا هم الالسن اللد •
فافاكهم بالافك اعياه غيه •	بصدي وبالاسماع عن غيه صد •
فلا الله اقوالا يهاجر هجرها •	هوانا بها الورها والبهم البلد •
تلاها فتل الفحش في القبح وجهها •	وعن ريبها الالباب نزهها الزهد •
لقد فرق الفرقان شمل فريقه •	بجمع رسول الله واستعلن الرشد •
اتى بالهدى صلى عليه الهه •	ولم يله بالاهواء اذ جاءه الجد •

والثالث ان وجه اعجازه هو ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته
تزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة وطلاوة ولا يزال غضا طريا وغيره من الكلام
ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادي اذا اعيد وكتابنا يستلذ
به في الخلوات ويونس بتلاوته في الازمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى
احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف
صلى الله عليه وسلم القران بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه
هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا يزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة
هو الذي لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد اشار
اليه القاضي عياض والرابع ان وجه اعجازه هو ما فيه من الاخبار بما كان مما علموه
وما لم يعلموه فاذا سالوا عنه عرفوا صحته وتحققوا صدقه كالذي حكاه من قصة
اهل الكهف وشان موسى مع الخضر عليهما السلام وحال ذو القرنين وقصص الانبياء
مع اممها والقرون الماضية في دهرها والخامس ان وجه اعجازه هو ما فيه من علم
الغيب والاخبار بما يكون فيوجد على صدقه وصحته مثل قوله تعالى لليهود قل ان كانت
لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
ثم قال ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم فما تمناه احد منهم ومثل قوله لقريش فان
لم تفعلوا ولن تفعلوا فقطع بانهم لا يفعلوا فلم يفعلوا ونعقب بان الغيوب التي
اشتمل عليها القران وقع بعضها في زمنه صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى انا فتحنا
لك فتحا مبينا وبعضها بعده كقوله تعالى الم غلبت الروم فلو كان كما قالوا لنا زعوا

وقع المتوقع وبان الاخبار عن الغيب جاء في بعض سور القران واكتفى منهم بمعارضة
سورة غير معينة فلو كان كذلك لعارضوه بقدر اقصر سوره لا غيب فيها **والسادس
ان وجه اعجازه** هو كونه جامعا لعلوم كثيرة لم يتعاطى العرب الكلام فيها ولا يحيط
بها من علماء الامم واحد منهم ولا يشتمل عليها كتاب بين الله فيه خبر الاولين و
الاخرين وحكم المختلفين وثواب الطائعين وعقاب العاصين • فهذه ستة اوجه
يصح ان يكون كل واحد منها اعجازا فاذا جمعها القران فليس اختصاص احدها بان
يكون معجزا باولى من غيره فيكون الاعجاز بجمعها • وقد قيل يقال قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله فلم يقدر احد ان ياتي بمثل القران في
زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده على نظمه وتاليفه وعذوبة منطقه
وصحة معانيه وما فيه من الامثال والاشياء التي دلت على البعث واياته والانبا
بما كان ويكون وما فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والامتناع من اراقة
الدماء وصلة الارحام الى غير ذلك فكيف يقدر على ذلك احد وقد عجزت عنه العرب
الفصحاء والخطباء البلغاء والشعراء والفهماء في قريش وغيرها وهو صلى الله عليه وسلم
في مدة ما عرفوه قبل نبوته واداء رسالته اربعين سنة لا يحسن نظم كتاب ولا عقد
حساب ولا يتعلم سحرا ولا ينشد شعرا ولا يحفظ خبرا ولا يروي اثرا حتى اكرمه الله
تعالى بالوحي المنزل والكتاب المفصل فدعاهم اليه وحاجهم به • قال الله تعالى قل
لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون و
شهد له في كتابه بذلك فقال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
اذا لارتاب المبطلون **واما ما عدا القران** من معجزاته عليه السلام كنبع الماء من بين
اصابعه وتكثير الطعام ببركته وانشقاق القمر ونطق الجماد • **فمنه** ما وقع التحدي
به **ومنه** ما وقع دالا على صدقه من غير سبق تحدي ومجموع ذلك يفيد القطع
بانه ظهر على يده صلى الله عليه وسلم من خوارق العادات شيء كثير كما يقطع بوجود
جود حاتم وشجاعة علي وان كان افراد ذلك ظنية وردت موارد الاحاد مع ان
كثيرا من المعجزات النبوية قد اشتهر ورواه العدد الكثير والجم الغفير وافاد الكثير
منه القطع عند اهل العلم بالاثار والعناية بالسير والاخبار وان لم يصل عند
غيرهم الى هذه المرتبة لعدم عنايتهم بذلك فلو ادعى مدع ان غالب هذه الوقايع
مفيد للقطع النظري لما كان مستبعدا وذلك انه لا مرية ان رواة الاخبار في كل
طبقة قد حدثوا بهذا الاخبار في الجملة ولا يحفظ عن احد من اصحابه مخالفة
الراوي فيما حكاه من ذلك ولا انكاره عليه فيما هنالك فيكون الساكت منهم كالناطق

لان مجموعهم

لان مجموعهم محفوظ على الاغضاء على الباطل وعلى تقدير ان يوجد من بعضهم انكار وطعن
على بعض من روى شيئا من ذلك فانما هو من جهة توقف في صدق الراوي وتهمته
بكذب او توقف في ضبطه او نسبته الى سوء الحفظ وجواز الغلط ولا يوجد احد
منهم طعن في المروي كما وجد منهم في غير هذا الفن من الاحكام وحروف القران ونحو
ذلك والله اعلم **وانت** اذا تاملت معجزاته وباهر اياته وكراماته عليه السلام
وجدتها شاملة للعلوي والسفلي والصامت والناطق والساكن والمتحرك والمايع
والجامد والسابق واللاحق والغائب والحاضر والباطن والظاهر والعاجل والاجل
الى غير ذلك مما لو اعيد لطال كالرمي بالشهب الثواقب ومنع الشياطين من استراق
السمع في الغياهب وتسليم الحجر والشجر عليه وشهاداتها له بالرسالة بين يديه و
مخاطبتها له بالسيادة وحنين الجذع ونبع الماء من كفه في الميضأة والتور والمزادة
وانشقاق القمر ورد العين من العور ونطق البعير والذيب والجمل وكالنور المتوارث
من ادم الى جبهة ابيه من الازل وما سوى ذلك من المعجزات التي تداولتها الحملة
ونقلتها عن السنة الاول النقلة مما لو اعملنا انفسنا في حصرها لفني المدى في ذكرها
ولو بالغ الاولون في احصاء مناقبه لعجزوا عن استقصاء ما حباه الكريم به من مواهبه
ولكان الملم بساحل بحرها مقصرا عن حصر بعض فخرها • **ولقد** صح لمحبيه ان ينشدوا

وعلى تفنن واصفيه بحسنه • يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف •

وانه لخليق بمن ينشد

فما بلغت كف امرئ متناولا • من المجد الا والذي نال اطول •
ولا بلغ المهدون في القول مدحة • ولو حذقوا الا الذي فيه افضل •

ولله در امام العارفين سيدي محمد وفا فلقد كفى وشفى بقوله

ما شئت قل فيه فانت مصدق • فالحب يقضي والمحاسن تشهد •

ولقد ابدع الامام الاديب شرف الدين الابوصيري حيث قال

دع ما ادعته النصارى في نبيهم • واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم •
وانسب الى ذاته ما شئت من شرف • وانسب الى قدره ما شئت من عظم •
فان فضل رسول الله ليس له • حد فيعرب عنه ناطق بفم •

يعني ان المداح وان انتهوا الى اقصى الغايات لا يصلون الى شاوه اذ لا حد له ويحكى
انه روي الشيخ عمر بن الفارض السعدي في النوم فقيل له لم لا مدحت النبي صلى الله عليه وسلم **فقال**

ارى كل مدح في النبي مقصرا • وان بالغ المثني عليه واكثرا •
اذا الله اثنى بالذي هو اهله • عليه فما مقدار ما يمدح الورى •

قال الشيخ بدر الدين الزركشي ولهذا لم يتعاط فحول الشعر المتقدمين كابي تمام والبحتري وابن الرومي مدحه صلى الله عليه وسلم وكان مدحه عندهم من اصعب ما يحاولونه فان المعاني عندهم دون مرتبته والاوصاف دون وصفه وكل علو في حقه تقصير فيضيق على البليغ مجال العظم وعند التحقيق اذا اعتبرت جميع الامداح التي فيها علو بالنسبة الى من فرضت له وجدتها صادقة في حق النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان الشعراء على صفاته عليه السلام كانوا يعتمدون والى امداحه كانوا يقصدون وقد اشار الابوصيري بقوله دع ما ادعته النصارى في نبيهم الى ما اطرت النصارى به عيسى ابن مريم من اتخاذه الها قال النيسابوري انهم صحفوا في الانجيل عيسى نبيي وانا ولدته فحرفوا الاول بتقديم البا الموحدة وخففوا اللام في الثاني فلعنة الله على الكافرين فان قلت هل ادعى احد في نبينا عليه السلام ما ادعي في عيسى اجيب بانهم قد كانوا ان يفعلوا نحو ذلك حين قالوا له عليه السلام افلا نسجد لك فقال لو كنت آمر احدا ان يسجد لبشر لامرت المرأة ان تسجد لزوجها فنهيهم عما عساه يبلغ بهم من العبادة وقد جا في صفته في حديث ابن ابي هالة ولا يقبل الثناء الا من مكافي اي مقارب في مدحه غير مفرط فيه وقال ابن قتيبة معناه الا ان يكون ممن له عليه منة فيكافيه الآخر وغلطه ابن الانباري بانه لا ينفك احد من انعام رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله بعثه رحمة للعالمين فالثنا عليه فرض عليهم لا يتم الاسلام الا به قال وانما المعنى لا يقبل الثنا الا من رجل عرف حقيقة اسلامه ثم ان حاصل معجزاته وباهر اياته وكراماته كما نبه عليه القطب الرباني القسطلاني يرجع الى ثلاثة اقسام ماض وجد قبل كونه فقضى بحين ومستقبل وقع بعد موارته في لحده وكائن معه من حين حمله ووضعه الى ان نقله الله الى محل فضله ومواطن جمعه فاما القسم الاول الماضي وهو ما كان قبل ظهوره الى هذا الوجود فقد ذكرت منه جملة في المقصد الاول كقصة الفيل وغير ذلك مما هو تاسيس لنبوته وارهاص لرسالته • قال الامام فخر الدين الرازي ومذهبنا انه يجوز تقديم المعجزة تاسيسا وارهاصا قال ولذلك قالوا كانت الغمامة تظله يعني في سفره قبل النبوة خلافا للمعتزلة القائلين بانه لا يجوز ان تكون المعجزة قبل الارسال انتهى • وقد تقدم اول هذا المقصد ان الذي عليه جمهور ائمة الاصول وغيرهم ان هذا ونحوه مما هو متقدم على الدعوى لا يسمى معجزة بل تاسيسا للرسالة وكرامة للرسول عليه السلام واما القسم الثاني وهو ما وقع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فكثير جدا اذ في كل حين يقع لخواص امته من خوارق العادات بسببه ما يدل على تعظيم قدره الكريم

مالايحصى

ما لا يحصى كالاستغاثة به وغير ذلك مما سياتي ان شاء الله تعالى في المقصد الاخير في اثنا الكلام على زيارة قبره المنير واما القسم الثالث وهو ما كان معه من حين ولادته الى وفاته فكالنور الذي خرج معه حتى اضاء له قصور الشام واسواقها حتى رؤيت اعناق الابل ببصرى ومسح الطائر على فؤاد امه حتى لم تجد الما لولادته والطواف به في الافاق الى غير ذلك وكانشقاق القمر عند اقتراحه عليه وانضمام الشجرتين لما دعاهما اليه وكاطعام الجيش الكثير من النزر اليسير في عدة من المواضع واستيلاء النجايع وغير ذلك مما امده الله تعالى به من المعجزات واكرمه به من خوارق العادات تاييدا لاقامة حجته وتمهيدا لهداية محجته وتاييدا لسيادته في كل امة وتسديدا لمن اذكر بعد امته مما لو تتبعته يخرج عن مقصود الاختصار اذ هو باب فسيح المجال منيع المنال لكني انبه من ذلك على نبذة يسيرة وانوه في اثباتها بجملة خطيرة فاقول وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب اما معجزة انشقاق القمر فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز اقتربت الساعة وانشق القمر الآية والمراد وقوع انشقاقه ويؤيده قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فان ذلك ظاهر في ان المراد بقوله انشق وقوع انشقاقه لان الكفار لا يقولون ذلك يوم القيمة واذا تبين ان قولهم ذلك انما هو في الدنيا تبين وقوع الانشقاق وانه المراد بالاية التي زعموا انها سحر وسياتي ذلك صريحا في حديث ابن مسعود وغيره واعلم ان القمر لم ينشق لاحد غير نبينا صلى الله عليه وسلم وهو من امهات معجزاته عليه السلام وقد اجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه لاجله صلى الله عليه وسلم فان كفار قريش لما كذبوه ولم يصدقوه طلبوا منه آية تدل على صدقه في دعويه فاعطاه الله هذه الآية العظيمة التي لا قدرة لبشر على ايجادها دلالة على صدقه عليه السلام في دعواه الوحدانية لله تعالى وانه منفرد بالربوبية وان هذه الالهة التي يعبدونها باطلة لا تنفع ولا تضر وان العبادة انما تكون لله وحده لا شريك له قال الخطابي انشقاق القمر اية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من ايات الانبياء وذلك انه ظهر في ملكوت السموات والارض خارجا عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبايع فليس مما يطمع في الوصول اليه بحيلة فلذلك صار البرهان به اظهر انتهى • وقال ابن عبد البر قد روى هذا الحديث يعني حديث انشقاق القمر عن جماعة كثيرة من الصحابة وروى ذلك عنهم امثالهم من التابعين ثم نقله عنهم الجم الغفير الى ان انتهى الينا وتايد بالآية الكريمة انتهى • وقال العلامة ابن السبكي في شرحه لمختصر ابن الحاجب والصحيح عندي ان انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القران مروي في الصحيحين وغيرهما

من طرق من حديث شعبة عن سليمان عن ابرهيم عن ابى معمر عن ابن مسعود ثم قال
وله طرق آخر شتى بحيث لا يمترى فى تواتره انتهى • وقد جاءت احاديث الانشقاق
فى روايات صحيحة عن جماعة من الصحابة منهم انس وابن مسعود وابن عباس
وعلى وحذيفه وجبير بن مطعم وابن عمر وغيرهم • فاما انس وابن عباس فلم يحضرا
ذلك لانه كان بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين وكان ابن عباس اذ ذاك لم يولد
واما انس فكان ابن اربع او خمس بالمدينة واما غيرهما فيمكن ان يكون شاهد
ذلك ففى الصحيحين من حديث انس رضى الله عنه ان اهل مكة سالوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر شقتين حتى راوا
حرا بينهما • وقوله شقتين بكسر الشين المعجمة اى نصفين • ومن حديث ابن مسعود
قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل
وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا • وفى الترمذى
من حديث ابن عمر فى قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال قد كان ذلك
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق فلقتين فلقة دون الجبل وفلقة
خلف الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد • وعند الامام احمد من حديث
جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين
فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا سحرنا محمد فقالوا ان كان سحرنا فانه
لا يستطيع ان يسحر الناس • وعن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال كفار قريش هذا سحر ابن ابى كبشة قال فقالوا انظروا
ما ياتيكم به السفار فان محمدا لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم قال فجاء السفار فاخبروهم
بذلك رواه ابو داود الطيالسى • ورواه البيهقى بلفظ انشق القمر بمكة فقالوا سحركم
ابن ابى كبشة فسلوا السفار فان كانوا راوا ما رايتم فقد صدق وان لم يكونوا راوا
ما رايتم فهو سحر فسالوا السفار وقد قدموا من كل وجه فقالوا رايناه • وعند ابى نعيم
فى الدلائل من وجه ضعيف عن ابن عباس قال لما اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة وابو جهل بن هشام والعاصى بن وائل والاسود
بن المطلب والنضر بن الحارث ونظراؤهم فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا
فشق لنا القمر فرقتين فسال ربه فانشق • وعند البخارى مختصرا من حديث ابن عباس
بلفظ انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عباس وان كان لم
يشاهد القصة كما قدمته ففى بعض طرقه انه حمل الحديث عن ابن مسعود • وعند
مسلم من حديث شعبة عن قتادة بلفظ فاراهم انشقاق القمر مرتين وكذا فى مصنف

عبد الرزاق عن معمر بلفظ مرتين ايضا واتفق الشيخان عليه من رواية شعبة عن قتادة
بلفظ فرقتين كما فى حديث جبير عند احمد وفى حديث ابن عمر فلقتين باللام كما قدمته
وفى لفظ فى حديث جبير فانشق باثنين وفى رواية عن ابن عباس عند ابى نعيم فى
الدلائل فصار قمرين ووقع فى نظم السيرة للحافظ ابى الفضل العراقى وانشق مرتين
بالاجماع قال الحافظ ابن حجر واظن قوله بالاجماع يتعلق بانشق لا بمرتين فانى لا اعلم
من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق فى زمنه صلى الله عليه وسلم ولعل
قائل مرتين اراد فرقتين وهذا الذى لا يتجه غيره جمعا بين الروايات وقد وقع فى رواية
البخارى من حديث ابن مسعود ونحن بمنى وهذا لا يعارض قول انس ان ذلك كان
بمكة لانه لم يصرح انه عليه السلام ليلتئذ بمكة فالمراد ان الانشقاق كان وهم
بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة والله اعلم وقد انكر هذه المعجزة جماعة من المبتدعة
كجمهور الفلاسفة متمسكين بان الاجرام العلوية لا يتهيؤ فيها الانخراق والالتيام
وكذا قالوه فى فتح ابواب السماء ليلة الاسرا الى غير ذلك وجواب هؤلاء ان كانوا
كفارا ان يناظروا اولا على ثبوت الاسلام فاذا تم اشتركوا مع غيرهم ممن انكر
ذلك من المسلمين ومتى سلم المسلم بعض ذلك دون بعض لزم التناقض وايضا فلا
سبيل له الى انكار ما ثبت فى القران من الانخراق والالتيام فى القيامة واذا ثبت هذا
استلزم الجواز ووقوع معجزة النبى صلى الله عليه وسلم وقد اجاب القدما عن ذلك
فقال ابو اسحق الزجاج فى معانى القران انكر بعض المبتدعة الموافقين لمخالفى الملة انشقاق
القمر ولا انكار للعقل فيه لان القمر مخلوق لله يفعل فيه ما يشاء كما يكون يوم القيمة
ويفنيه انتهى • واما قول الملاحدة لو وقع هذا لنقل متواترا واشترك اهل الارض
كلهم فى معرفته ولم يختص بها اهل مكة لانه امر صدر عن حس ومشاهدة فالناس
فيه شركا والدواعى متوفرة على رواية كل غريب ونقل ما لم يعهد ولو كان لذلك
اصل لخلد فى كتب التسيير والتنجيم اذ لا يجوز اطباقهم على تركه واغفاله مع جلالة شانه
ووضوح امره فاجاب عنه الخطابى وغيره ان هذه القصة خرجت عن الاسود التى
ذكروها لانه شئ طلبه خاص من الناس فوقع ليلا لان القمر لا سلطان له بالنهار
ومن شان الليل ان يكون الناس فيه نياما ومستكنين فى الابنية والبارز منهم
بالصحراء اذا كان يقظانا يحتمل ان يتفق انه كان فى ذلك الوقت مشغولا بما يلهيه
من سمر وغيره ومن المستبعد ان يقصدوا الى مراكز القمر ناظرين اليه لا يغفلون عنه
فقد يجوز انه وقع ولم يشعر به اكثر الناس وانما راه من تصدى لرؤيته ممن اقترح وقوعه
ولعل ذلك انما كان فى قدر اللحظة الذى هى مدرك البصر وقد يكون القمر حينئذ فى بعض

المنازل التي تظهر لبعض اهل الآفاق دون بعض كما يكون ظاهر القوم غائبا عن قوم وكما
يجد الكسوف اهل بلد دون اهل بلد آخر • وقد ابدى الخطابي حكمة بليغة في كون المعجزات
المحمدية لم يبلغ شئ منها مبلغ التواتر الذي لا نزاع فيه كالقرآن بما حاصله ان معجزة
كل نبي كانت اذا وقعت عامة اعقبت هلاك من كذب بها من قومه والنبي صلى الله
عليه وسلم بعث رحمة للعالمين فكانت معجزته التي تحدى بها عقلية فاختص بها القوم
الذين بعث منهم لما اوتوه من فضل العقول وزيادة الافهام ولو كان ادراكها عاما
لعوجل من كذب به كما عوجل من قبلهم انتهى وكذا اجاب عنه عبد البر بنحوه
تنبيه ما يذكره بعض القصاص ان القمر دخل في جيب النبي صلى الله عليه وسلم
وخرج من كمه فليس له اصل كما حكاه الشيخ بدر الدين الزركشي عن شيخه العماد
ابن كثير واما رد الشمس له صلى الله عليه وسلم فروى عن اسما بنت عميس ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه وراسه في حجر علي رضي الله عنه فلم يصل
العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي قال لا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد
عليه الشمس قالت اسما فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت ووقعت على الجبال
والارض وذلك بالصهبا في خيبر رواه الطحاوي في مشكل الحديث كما حكاه القاضي
عياض في الشفا وقال قال الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله
العلم التخلف عن حفظ حديث اسما لانه من علامات النبوة انتهى قال بعضهم هذا الحديث
ليس بصحيح وان اوهم تخريج القاضي عياض له في الشفا عن الطحاوي من طريقين فقد
ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال انه موضوع بلا شك في سنده احمد بن داود
وهو متروك الحديث كذاب كما قاله الدارقطني • وقال ابن حبان كان يضع الحديث
قال ابن الجوزي وقد روى هذا الحديث ابن شاهين فذكره ثم قال وهذا حديث باطل
قال ومن تغفل واضعه انه نظر الى صورة فضيلة ولم يلمح عدم الفائدة فيها وان صلاة
العصر بغيبوبة الشمس تصير قضا ورجوع الشمس لا يردها ادا. وقد افرد ابن تيمية تصنيفا
مفردا بالرد على الروافض ذكر فيه الحديث بطرقه ورجاله وانه موضوع والعجب
من القاضي مع جلالة قدره وعلو خطره في علوم الحديث كيف سكت موهما صحته
وناقلا ثبوته موثقا رجاله انتهى وقال شيخنا قال احمد لا اصل له وتبعه ابن الجوزي
فاورده في الموضوعات ولكن قد صححه الطحاوي والقاضي عياض واخرجه ابن منده
وابن شاهين من حديث اسما بنت عميس وابن مردويه من حديث ابي هريرة رضي الله
عنه انتهى ورواه الطبراني في معجمه الكبير باسناد حسن كما حكاه شيخ الاسلام ابن العراقي

ردّ الشمس

في شرح التقريب عن اسما بنت عميس ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر
بالصهبا ثم ارسل عليا في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر فوضع
صلى الله عليه وسلم راسه في حجر علي فنام فلم يحركه حتى غابت الشمس فقال عليه الصلاة
والسلام اللهم ان عبدك عليا احتبس بنفسه على نبيه فرد عليه الشمس قالت اسما
فطلعت عليه الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الارض وقام علي فتوضا وصلى العصر
ثم غابت وذلك بالصهبا • وفي لفظ آخر كان عليه السلام اذا نزل عليه الوحي يغشى
عليه فانزل عليه يوما وهو في حجر علي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صليت العصر
قال لا يا رسول الله فدعا الله فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قالت فرايت الشمس
طلعت بعد ما غابت حين ردت حتى صلى العصر قال وروى الطبراني ايضا في معجمه
الاوسط باسناد حسن عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الشمس فتاخرت
ساعة من نهار • وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي في روايته عن ابن اسحق
مما ذكره القاضي عياض لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة
والعلامة التي في العير قالوا متى تجي قال يوم الاربعا فلما كان ذلك اليوم اشرفت
قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له
في النهار ساعة وحبست عليه الشمس انتهى وهذا يعارضه قوله في الحديث الصحيح
لم تحبس الشمس على احد الا ليوشع بن نون يعني حين قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما ادبرت
الشمس خاف ان تغيب قبل ان يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله
فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم • قال الحافظ ابن كثير فيه ان هذا كان من خصائص
يوشع فيدل على ضعف الحديث الذي رويناه ان الشمس رجعت حتى صلى علي بن ابي طالب
وقد صححه احمد بن صالح المصري ولكنه منكر ليس في شيء من الصحاح والحسان وهو
مما تتوفر الدواعي على نقله وقد تفردت بنقله امراة من اهل البيت مجهولة لا يعرف
حالها انتهى • ويحتمل الجمع بان المعنى لم تحبس على احد من الانبيا غيري الا يوشع والله
اعلم • وروي حبس الشمس لنبينا صلى الله عليه وسلم ايضا يوم الخندق حين شغل
عن صلاة العصر فيكون حبس الشمس مخصوصا بنبينا صلى الله عليه وسلم وبيوشع
كما ذكره القاضي عياض في الاكمال وعزاه لمشكل الآثار ونقله النووي في شرح مسلم
في باب حل الغنائم عن عياض وكذا الحافظ ابن حجر في باب الاذان من تخريج احاديث
الرافعي ومغلطاي في الزهر الباسم واقروه وتعقب بان الثابت في الصحيح وغيره
انه صلى الله عليه وسلم صلى العصر في الخندق بعد ما غربت الشمس كما سبق في وقعة
غروبها • وذكر البغوي في تفسيره انها حبست لسليمان عليه السلام ايضا لقوله

ردّ وها علىّ ونوزع فيه بعدم ذكر الشمس في الآية فالمراد الصافنات الجياد والله
اعلم قال القاضي عياض واختلف في جبس الشمس المذكور هنا فقيل ردّت على ادراجها
وقيل وقفت ولم ترد وقيل بطوء حركتها قال وكل ذلك من معجزات النبوة انتهى واما
ما روى من طاعة الجمادات وتكليمها له بالتسبيح والسلام ونحو ذلك مما وردت
به الاخبار فمنها تسبيح الطعام والحصى في كفه الشريف صلى الله عليه وسلم
فخرج محمد بن يحيى الذهلي في الزهريات قال اخبرنا ابو اليمان قال شعيب عن الزهري قال
ذكر الوليد بن سويد ان رجلا من سليم كبير السن كان ممن ادرك ابا ذر بالربذة عن
ابي ذر قال هجرت يوما من الايام فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج من بيته
فسالت عنه الخادم فاخبرني انه ببيت عائشة فاتيته وهو جالس ليس عنده احد
من الناس وكان حينئذ ارى انه في وحي فسلمت عليه فردّ السلام ثم قال ما جاء بك قلت
الله ورسوله فامرني ان اجلس فجلست الى جنبه لا اسأله عن شيء ولا يذكره لي فمكثت
غير كثير فجاء ابو بكر يمشي مسرعا فسلم عليه فردّ عليه السلام ثم قال ما جاء بك قال
جاءني الله ورسوله فاشار بيده ان اجلس فجلس الى ربوة مقابل النبي صلى الله
عليه وسلم ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل ذلك وجلس الى جنب ابي بكر ثم جاء عثمان كذلك وجلس الى جنب عمر ثم قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصيات سبع او تسع او ما قرب من ذلك
فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل في كف رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم ناولهن ابا بكر وجاوزني فسبحن في كف ابي بكر ثم اخذهن منه فوضعهن
في الارض فخرسن وصرن حصى ثم ناولهن عمر فسبحن في كفه كما سبحن في كف ابي بكر
ثم اخذهن منه فوضعهن في الارض فخرسن ثم ناولهن عثمان فسبحن في كفه كنحو
ما سبحن في كف ابي بكر وعمر ثم اخذهن فوضعهن في الارض فخرسن • وقال الحافظ
ابن حجر قد اشتهر على الالسنة تسبيح الحصى ففي حديث ابي ذر قال تناول النبي صلى الله
عليه وسلم سبع حصيات فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنينا ثم وضعهن في يد
ابي بكر فسبحن ثم وضعهن في يد عمر فسبحن ثم وضعهن في يد عثمان فسبحن اخرجه
البزار والطبراني في الاوسط وفي رواية الطبراني فسمع تسبيحهن من في الحلقة ثم
ثم دفعهن الينا فلم يسبحن مع احد منا • قال البيهقي في الدلائل كذا رواه صالح
بن الاخضر ولم يكن بالحافظ عن الزهري عن سويد بن يزيد السلمي عن ابي ذر والمحفوظ
ما رواه شعيب بن ابي حمزة عن الزهري قال وذكر الوليد بن سويد ان رجلا من بني
سليم كان كبير السن انتهى • وليس لحديث تسبيح الحصا الا هذه الطريق الواحدة

مع ضعفها

مع ضعفها لكنه مشهور عند الناس • وما احسن قول سيدي محمد وفا

لسبحة ذاك الوجه قد سبح الحصا ومن سح سحب الكف قد سبح الرعد •

وقول الآخر

يا حبذا لو لثمت كفا • قد سبحت وسطها الحصاة •

وقد اخرج البخاري من حديث ابن مسعود كنا ناكل مع النبي صلى الله عليه وسلم
الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وعن جعفر بن محمد عن ابيه مرض النبي صلى
الله عليه وسلم فاتيه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه النبي صلى الله عليه
وسلم فسبح رواه القاضي عياض في الشفا ونقله عنه الحافظ ابو الفضل في فتح الباري
واعلم ان التسبيح من قبيل الالفاظ الدالة على معنى التنزيه واللفظ يوجد حقيقة
فيمن قام به اللفظ فيكون في غير من قام به مجازا فالطعام والحصاة والشجر ونحو ذلك
كل منها متكلم باعتبار خلق الكلام فيها حقيقة وهذا من قبيل خرق العادة وفي قوله
ونحن نسمع تسبيحه تصريح بكرامة الصحابة بسماع هذا التسبيح وفهمه وذلك
ببركته صلى الله عليه وسلم ومن ذلك تسليم الحجر عليه صلى الله عليه وسلم خرج
مسلم من حديث جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف
حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث اني لاعرفه الآن وقد اختلف في هذا الحجر فقيل هو
الحجر الاسود وقيل حجر عند بزقاق يعرف به بمكة والناس يتبركون بلمسه ويقولون
انه هو الذي كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم متى اجتاز به • وقد ذكر الامام
ابو عبد الله محمد بن رشيد بضم الراء في رحلته مما ذكر في شفاء الغرام على علم الدين
احمد بن ابي بكر بن خليل قال اخبرني عمي سليمان قال اخبرني محمد بن اسمعيل بن
ابي الصيف قال اخبرني ابو حفص الميانشي قال اخبرني كل من لقيته بمكة ان هذا
الحجر يعني المذكور هو الذي كلم النبي صلى الله عليه وسلم • وروى الترمذي والدارمي
والحاكم وصححه عن علي بن ابي طالب قال كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم فخرجنا
في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله • وعن
عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استقبلني
جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله رواه
البزار وابو نعيم وعن جابر بن عبد الله قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر بحجر
ولا شجر الا سجد له ومن ذلك تامين اسكفة الباب وحوائط البيت على دعائه
عليه السلام عن ابي اسيد الساعدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
للعباس بن عبد المطلب يا ابا الفضل لا ترم منزلك انت وبنوك غدا حتى اتيكم فان

لى فيكم حاجة فانتظروه حتى جآء بعد ما اضحى فدخل عليهم فقال السلام عليكم
فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته قال كيف اصبحتم قالوا اصبحنا بخير
بحمد الله فقال لهم تقاربوا فتقاربوا يزحف بعضهم الى بعض حتى اذا امكنوه اشتمل
عليهم بملاءته فقال يا رب هذا عمى وصنو ابى وهؤلاء اهل بيتى فاسترهم من النار
كسترى اياهم بملاءتى هذه قال فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت فقالت امين
امين امين رواه البيهقى فى الدلائل وابن ماجه مختصرا ومن ذلك كلامه للجبل
وكلام الجبل له صلى الله عليه وسلم عن انس قال صعد النبى صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وعمر وعثمان أُحدا فرجف بهم فضربه النبى صلى الله عليه وسلم برجله وقال
اثبت أُحد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان رواه احمد والبخارى والترمذى
وابو حاتم ۰ قال ابن المنير قيل الحكمة فى ذلك انه لما رجف اراد الرسول صلى الله
عليه وسلم ان يبين هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى لما
حرفوا الكلم وان تلك رجفة الغضب وهذه هزة الطرب ولهذا نص على مقام النبوة
والصديقية والشهادة التى توجب سرور ما اتصلت به لا رجافه فاقر الجبل
بذلك واستقر انتهى ۰ واحد جبل بالمدينة وهو الذى قال فيه أُحد جبل يحبنا
ونحبه رواه البخارى ومسلم واختلف فى المراد بذلك فقيل اراد به اهل المدينة
كما قال تعالى وَسْئَلِ القَرْيَةَ اى اهلها قاله الخطابى وقال البغوى فيما حكاه الحافظ المنذرى
الاولى اجراؤه على ظاهره ولا ينكر وصف الجمادات بحب الانبياء والاولياء واهل
الطاعة كما حنت الاسطوانة على مفارقته صلى الله عليه وسلم حتى سمع الناس
حنينها الى ان سكنها وكما اخبر ان حجرا كان يسلم عليه قبل الوحى فلا ينكر ان يكون
جبل أُحد وجميع اجزاء المدينة تحبه وتحن الى لقائه حالة مفارقته اياها انتهى
وقال الحافظ المنذرى وهذا الذى قاله البغوى جيد ۰ وعن ثمامة عن عثمان بن
عفان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير بمكة ومعه ابو بكر وعمر
وانا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض فركضه برجله وقال اسكن ثبير
فانما عليك نبى وصديق وشهيدان اخرجه النسائى والترمذى والدارقطنى و
الحضيض القرار من الارض عند منقطع الجبل وركضه برجله اى ضربه بها وعن ابى هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو وابو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة
والزبير فتحركت الصخرة فقال صلى الله عليه وسلم اسكن حرا فما عليك الا نبى او صديق
او شهيد وفى رواية سعد بن ابى وقاص ولم يذكر عليا خرجهما مسلم وانفرد بذلك
وخرجه الترمذى فى مناقب عثمان ولم يذكر سعدا وقال اهدأ مكانك اسكن وقال

حديث

حديث صحيح ۰ وخرجه الترمذى ايضا عن سعيد بن زيد وذكر انه كان عليه العشرة الا
عبيدة وقال اثبت حرا كذا رواه الخلعى عنه بنحوه لم يذكر ابا عبيدة بن الجراح رواه
ايضا اسحق البغدادى فيما رواه الكبار عن الصغار والابا عن الابنا ولله در القائل

وما لِ حراً من تحته فرحا به ۰ فلولا مقال اسكن تضعضع وانقضا

وحرا وثبير جبلان متقابلان معروفان بمكة واختلاف الروايات يحمل على انها
قضايا تكررت قاله الطبرى وغيره لكن صحح الحافظ ابن حجر انه أُحد قال ولولا اتحاد
المخرج لجوزت تعدد القصة ثم ظهر لى ان الاختلاف فيه من سعيد فانى وجدته
فى مسند الحارث بن ابى اسامة عن روح بن عبادة فقال فيه احدا وحرا بالشك
وقد اخرجه احمد من حديث بريدة بلفظ حرا واسناده صحيح ۰ واخرجه ابو يعلى
من حديث سهل بن سعد بلفظ احد واسناده صحيح فقوى احتمال تعدد القصة
واخرج مسلم من حديث ابى هريرة ما يؤيد تعدد القصة فذكر انه كان على حرا ومعه
المذكورون هنا وزاد معهم غيرهم ولما طلبته عليه الصلاة والسلام قريش قال له
ثبير اهبط يا رسول الله فانى اخاف ان يقتلوك على ظهرى فيعذبنى الله فقال له حرا
الىّ يا رسول الله رواه فى الشفا وهو حديث مروى فى الهجرة من السيرة وحرا مقابل
لثبير والوادى بينهما وهما على يسار السالك الى منى وحرا قبلى ثبير مما يلى شمال الشمس
وهذه الواقعة غير واقعة ثور فى خبر الهجرة هذا هو الظاهر والله اعلم وقال السهيلى
فى حديث الهجرة واحسب فى الحديث ان ثورا ناداه ايضا لما قال له ثبير اهبط عنى
ومن ذلك كلام الشجرة له وسلامها عليه وطواعيتها له وشهادتها له بالرسالة
صلى الله عليه وسلم اخرج البزار وابو نعيم من حديث عائشة قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما اوحى الى جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك
يا رسول الله ۰ وخرج الامام احمد عن ابى سفيان طلحة بن نافع قال جاء جبريل
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء
ضربه بعض اهل مكة فقال له مالك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل
بى هؤلاء وفعلوا فقال له جبريل اتحب ان اريك آية فقال نعم قال فنظر الى شجرة من وراء
الوادى فقال ادع الى تلك الشجرة فدعاها قال فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه فقال
مرها فلترجع الى مكانها فامرها فرجعت الى مكانها فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم حسبى حسبى ورواه الدارمى من حديث انس ۰ وعن على قال كنت مع النبى
صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو
يقول السلام عليك يا رسول الله رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب ۰ وخرج

الحاكم فى مستدركه باسناد جيد عن ابن عمر قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فاقبل اعرابى فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اين تريد قال الى اهلى قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال هل لك من شاهد على ما تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى على شاطئ الوادى فاقبلت تخد الارض خدا فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثم رجعت الى منبتها الحديث ورواه الدارمى ايضا بنحوه وقوله تخد بضم الخاء المعجمة وتشديد الدال المهملة اى تشق الارض ۰ وعن بريدة سال اعرابى النبى صلى الله عليه وسلم اية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابى مرها فلترجع منبتها فرجعت فدلت عروقها فى ذلك الموضع فاستقرت فقال الاعرابى ائذن لى اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها رواه البزار وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بما اعرف انك رسول الله قال ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة تشهد انى رسول الله فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ينزل من النخلة حتى سقط الى النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال ارجع فعاد فاسلم الاعرابى رواه الترمذى وصححه وفى حديث يعلى بن مرة الثقفى ثم سرنا حتى نزلنا منزلا فنام النبى صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الارض حتى غشيته ثم رجعت الى مكانها فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له فقال هى شجرة استاذنت ربها فى ان تسلم على فاذن لها الحديث رواه البغوى فى شرح السنة ۰ وفى حديث جابر بن عبد الله سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديا افيح فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعته باداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئا فاذا شجرتان فى شاطئ الوادى فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احدهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادى على باذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده ثم فعل بالاخرى كذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما على باذن الله تعالى فالتأمتا عليه الحديث رواه مسلم والمنصف بفتح الميم الموضع الوسط بين الموضعين والتلاوم الاجتماع ولله در الابوصيرى حيث قال ۰

اى تخد بها اخدودا اى مشقوقة صح

جاءت

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة ۰	تمشى اليه على ساق بلا قدم ۰
كانما سطرت سطرا لما كتبت ۰	فروعها من بديع الخط باللقم ۰

فشبه آثار مشى الشجرة لما جاءت اليه صلى الله عليه وسلم بكتابة كاتب اوقعها على نسبة معلومة فى اسطر منظومة واذا كانت الاشجار تبادر لامتثال امره صلى الله عليه وسلم حتى تخر ساجدة بين يديه فنحن اولى بالمبادرة لامتثال ما دعا اليه زاده الله شرفا وتامل قول الاعرابى ائذن لى ان اسجد لك لما راى من سجود الشجرة فراى انه احرى بذلك حتى اعلمه عليه الصلاة والسلام ان ذلك لا يكون الا لله فحق على كل مؤمن ان يلازم السجود للحق المعبود ويقوم على ساق العبودية وان لم يكن له قدم كما قامت الشجرة ومن ذلك حنين الجذع شوقا اليه صلى الله عليه وسلم اعلم ان الحنين مصدر مضاف الى الفاعل والمراد شوقه وانعطافه الى النبى صلى الله عليه وسلم والذى فى الاحاديث المسوقة هنا انه صوت ولعل المراد منه الدلالة على الشوق اى الصوت الدال على شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والجذع واحد جذوع النخل وهو بالذال المعجمة وقد روى حديث حنين الجذع عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة تفيد القطع بوقوع ذلك ۰ قال العلامة التاج بن السبكى فى شرحه لمختصر ابن الحاجب والصحيح عندى ان حنين الجذع متواتر رواه البخارى عن نافع عن ابن عمر ورواه احمد من رواية ابى حباب عن ابيه عن ابن عمر ورواه ابن ماجة وابو يعلى الموصلى وغيرهما من رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن انس واسناده على شرط مسلم ورواه الترمذى وصححه وابو يعلى وابن خزيمة والطبرانى وصححه وقال على شرط مسلم يلزمه اخراجه من رواية اسحق بن عبد الله بن ابى طلحة عن انس ورواه الطبرانى من رواية الحسن عن انس ورواه احمد وابن منيع والطبرانى وغيرهم من رواية حماد بن سلمة عن عمار بن ابى عمار عن ابن عباس ورواه احمد والدارمى وابو يعلى وابن ماجة وغيرهم من رواية الطفيل بن ابى بن كعب عن ابيه ۰ ورواه الدارمى من رواية ابى حازم عن سهل بن سعد ورواه ابو محمد الجوهرى من رواية عبد العزيز بن ابى رواد عن نافع عن تميم الدارى ثم قال ولست ادعى ان التواتر حاصل بما عددت من الطرق بل من طرق اخرى كثيرة يجدها المحدث ضمن المسانيد والاجزاء وغيرها وانما ذكرت فى المشاهد منها وبعضها ورب متواتر عند قوم غير متواتر عند آخرين انتهى وقال الحافظ بن حجر فى فتح البارى حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له فى ذلك والله اعلم انتهى ۰ وقال البيهقى قصة حنين الجذع

من الامور الظاهرة التى حملها الخلف عن السلف انتهى وهذه الآية من اكبر الايات
والمعجزات الدالة على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم قال الشافعى فيما نقله ابن ابى
حاتم عنه فى مناقبه ما اعطى الله نبيا ما اعطى نبينا محمدا عليه السلام فقيل له
اعطى عيسى احياء الموتى قال اعطى محمد الحنين الجذع حتى سمع صوته فهى اكبر من ذلك
وقال القاضى عياض حديث حنين الجذع مشهور منتشر والخبر متواتر اخرجه اهل
الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم ابى بن كعب وابو سعيد الخدرى و
بريدة وام سلمة والمطلب بن ابى وداعة انتهى • فاما حديث ابى فرواه الشافعى من حديث
الطفيل بن ابى بن كعب عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الى
جذع اذ كان المسجد عريشا وكان يخطب الى ذلك الجذع فقال رجل من اصحابه هل
لك ان نجعل لك منبرا تقوم عليه يوم الجمعة وتسمع الناس خطبتك قال نعم فصنع
له ثلاث درجات هى التى على المنبر فلما صنع وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
موضعه الذى هو فيه فكان اذا بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخطب عليه
تجاوز الجذع الذى كان يخطب اليه خار حتى تصدع وانشق فنزل رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما سمع صوت الجذع فمسحه بيده ثم رجع الى المنبر الحديث واما حديث
جابر فرواه البخارى من طرق • وفى لفظ له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم
الى شجرة او نخلة فقالت امرأة من الانصار او رجل من الانصار الا نجعل لك منبرا
قال ان شئتم فجعلوا له منبرا فلما كان يوم الجمعة رفع الى المنبر فصاحت النخلة
فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضمها اليه فجعلت تئن انين الصبى الذى
يسكن قال كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها • وفى لفظ قال جابر بن
عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبى صلى الله عليه وسلم
اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت
العشار وهو بكسر العين النوق الحوامل • وفى حديث ابى الزبير عن جابر عند النسائى
فى الكبرى اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوج انتهى والخلوج بفتح الخاء
المعجمة وضم اللام الخفيفة وآخره جيم الناقة التى انتزع منها ولدها والحنين
هو صوت المتألم المشتاق عند الفراق وانما يشتاق الى بركة الرسول ويأسف على
مفارقته اعقل العقلاء والعقل والحنين بهذا الاعتبار يستدعى الحياة وهذا يدل
على ان الله عز وجل خلق فيه الحياة والعقل والشوق ولهذا حن وان فان قيل
مذهب الشيخ ابى الحسن الاشعرى ان الاصوات لا يستلزم خلقها فى المحل خلق
الحياة ولا العقل اجيب بانه كذلك ونحن لم نجعل الحيوة لازمة الا ان الشوق

الى الحق

الى الحق شوقا معنويا عقليا لا طبيعيا بهيميا ومذهب الشيخ ابى الحسن ان الذكر
المعنوى والكلام النفسى يستلزمان الحياة استلزام العلم لها وقد بينا ان هذه المعانى
وجدت فى الجذع واطلق الحاضرون حينئذ على صوته انه حنين وفهموا انه شوق الى
الذكر والى مقام الحبيب عنده وقد عامله النبى صلى الله عليه وسلم هذه المعاملة
فالتزمه كما يلتزم الغائب اهله واعزته ببرد غليل شوقهم اليه واسفهم عليه ولله در
القائل

وحن اليه الجذع شوقا ورقة • ورجع صوتا كالعشار مرددا •
فبادره ضما فقر لوقته • لكل امرئ من دهره ما تعودا •

واما حديث انس فرواه ابو يعلى الموصلى بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يوم الجمعة يسند ظهره الى جذع منصوب فى المسجد فجاءه رومى فقال له الا اصنع
لك شيئا تقعد عليه كانك قائم فصنع له منبرا له درجتان ويقعد على الثالثة فلما
قعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر خار الجذع كخوار الثور حتى ارتج المسجد
لخواره حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل اليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم من المنبر فالتزمه وهو يخور فلما التزمه سكت ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم والذى نفس محمد بيده لو لم التزمه لزال هكذا حتى تقوم الساعة حزنا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فامر به صلى الله عليه وسلم فدفن • ورواه الترمذى وقال
صحيح غريب وكذا رواه ابن ماجة والامام احمد من طريق الحسن عن انس ولفظه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب يوم الجمعة يسند ظهره الى خشبة فلما
كثر الناس قال ابنوا الى منبرا اراد ان يسمعهم فبنوا له عتبتين فتحول من الخشبة الى
المنبر قال فاخبر انس بن مالك انه سمع الخشبة تحن حنين الوالة قال فما زالت تحن
حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فمشى اليها فاحتضنها فسكنت
ورواه ابو القسم البغوى وزاد فيه فكان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى
ثم قال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا
اليه لمكانه من الله فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه ولله در القائل

والقى حنة فى الجمادات حبه • فكانت لاهدا السلام له نهدا •
وفارق جذعا كان يخطب عنده • فان انين الام اذ تجد الفقدا •
يحن اليه الجذع يا قوم هكذا • اما نحن اولى ان نحن له وجدا •
اذا كان جذع لم يطق بعد ساعة • فليس وفاء ان نطيق له بعدا •

واما حديث سهل بن سعد ففى الصحيحين من طرق واما حديث ابن عباس فعند الامام
احمد باسناد على شرط مسلم ورواه ابن ماجة واما حديث ابن عمر ففى البخارى واما حديث

ابى سعيد الخدرى فعند عبد بن حميد واما حديث عائشة فعند البيهقى وفى
آخره فاختار الآخرة واما حديث بريدة فعند الدارمى وفيه ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال ان شئت اردك الى الحائط الذى كنت فيه تنبت لك عروقك
ويكمل خلقك ويتجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك فى الجنة فياكل اولياء
الله من تمرك ثم اصغى له النبى صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقول فقال بل تغرسنى
فى الجنة فياكل منى اولياء الله واكون فى مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال
النبى صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقا على دار الفنا واما حديث
ام سلمة فعند ابى نعيم فى الدلائل والقصة واحدة وما فى الفاظها مما ظاهره التغاير
هو من الرواة وعند التحقيق ترجع الى معنى واحد فلا نطيل بذكر ذلك والله اعلم
**واما كلام الحيوانات وطاعتها له صلى الله عليه وسلم فمنها سجود الجمل وشكواه
اليه عليه السلام** عن انس بن مالك رضى الله عنه قال كان اهل بيت من الانصار
لهم جمل يثنون عليه وانه استصعب عليهم فمنعهم ظهره وان الانصار جاؤا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انه كان لنا جمل نسنى عليه وانه استصعب
علينا ومنعنا ظهره وقد عطش النخل والزرع فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لاصحابه قوموا فقاموا فدخل الحائط والجمل فى ناحية فمشى رسول الله صلى
الله عليه وسلم نحوه فقالت الانصار يا رسول الله قد صار مثل الكلب الكلب وانا
نخاف عليك صولته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على منه باس فلما
نظر الجمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فاخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته اذل ما كان قط حتى ادخله فى العمل فقال
له اصحابه يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن احق ان نسجد
لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلح لبشر ان يسجد لبشر لو صلح لبشر
لامرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها رواه احمد والنسائى والحائط
هو البستان وقوله نسنى عليه بالنون والسين المهملة اى نسقى عليه وفى حديث
يعلى بن مرة الثقفى بينا نحن نسير مع النبى صلى الله عليه وسلم اذ مررنا ببعير يسنى
عليه فلما راه البعير جرجر فوضع جرانه فوقف عليه النبى صلى الله عليه وسلم
فقال اين صاحب هذا البعير فجاءه فقال بعنيه فقال بل نهبه لك يا رسول الله
وانه لاهل بيت ما لهم معيشة غيره فقال اما اذا ذكرت هذا من امره فانه شكى
كثرة العمل وقلة العلف فاحسنوا اليه رواه البغوى فى شرح السنة والجران بكسر
الجيم قال ابن فارس مقدم عنق البعير من مذبحه الى منحره • وروى الامام احمد قصة

اخرى نحو ما تقدم من حديث جابر ضعيفة والبيهقى باسناد جيد وكذا روى الطبرانى
قصة اخرى عن عكرمة عن ابن عباس لكن باسناد ضعيف والامام احمد ايضا من
حديث يعلى بن مرة • واخرج ابن شاهين فى الدلائل عن عبد الله بن جعفر رضى الله
عنهما قال اردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه فاسر الى حديثا
لا احدث به احدا من الناس وكان احب ما استتر به النبى صلى الله عليه وسلم
لحاجته هدفا او حايش نخل فدخل حائط رجل من الانصار فاذا جمل فلما راى النبى
صلى الله عليه وسلم حن فذرفت عيناه فاتاه النبى صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه
وفى رواية فسكن ثم قال من رب هذا الجمل لمن هذا الجمل فجاء فتى من الانصار فقال
هذا لى يا رسول الله فقال الا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله اياها فانه شكى
الى انك تجيعه وتدئبه قال فى المصباح وهو حديث صحيح قال ورواه ابو داود
عن موسى عن اسماعيل عن مهدى بن ميمون والحائش بالحاء المهملة وبالشين المعجمة
ممدودا هو جماعة النخل لا واحد له من لفظه وقوله ذفراه تثنية ذفرى بكسر الذال
المعجمة مقصور وهو الموضع الذى يعرق من قفا البعير عند اذنه **ومنها
سجود الغنم** له صلى الله عليه وسلم عن انس بن مالك قال دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم حائطا للانصار ومعه ابو بكر وعمر ورجل من الانصار
وفى الحائط غنم فسجدت له فقال ابو بكر يا رسول الله نحن احق بالسجود لك من
هذه الغنم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغى لاحد ان يسجد لاحد
رواه ابو محمد عبد الله بن حامد الفقيه فى كتاب دلائل النبوة باسناد ضعيف و
ذكره القاضى عياض فى الشفا وذكر ايضا عن جابر بن عبد الله عن رجل اتى النبى صلى
الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان فى غنم يرعاها لهم فقال
يا رسول الله كيف لى بالغنم قال احصب وجوهها فان الله سيؤدى عنك امانتك
ويردها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها **ومنها قضية
كلام الذئب** وشهادته له صلى الله عليه وسلم • اعلم انه قد جاء حديث قصة
كلام الذئب فى عدة طرق من حديث ابى هريرة وانس وابن عمر وابى سعيد الخدرى
فاما حديث ابى سعيد فرواه الامام احمد باسناد جيد ولفظه قال عدى الذئب على
شاة فاخذها فطلبه الراعى فانتزعها فاقعى الذئب على ذنبه وقال الا تتقى الله تنزع
منى رزقا ساقه الله الى فقال الراعى يا عجبا ذئب مقع على ذنبه يكلمنى بكلام الانس
فقال الذئب لا اخبرك باعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بانباء ما قد سبق قال
فاقبل الراعى يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها الى زاوية من زواياها ثم اتى رسول

الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي بالصلوة
جامعة ثم خرج فقال للاعرابي اخبرهم فاخبرهم واما حديث ابن عمر فاخرجه ابو سعيد
الماليني والبيهقي واما حديث انس فاخرجه ابو نعيم في الدلائل واما حديث ابي هريرة
فرواه سعيد بن منصور في سننه قال جاء الذئب فاقعى بين يدي رسول الله صلى
الله عليه وسلم وجعل يبصبص بذنبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا
وافد الذياب جاء يسئلكم ان تجعلوا له من اموالكم شيئا قالوا والله لا نفعل واخذ رجل
من القوم حجرا رماه به فادبر الذئب وله عواء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذئب وما الذئب وروى البغوي في شرح السنة واحمد وابو نعيم بسند صحيح
عن ابي هريرة ايضا قال جاء ذئب الى راعي غنم فاخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى
انتزعها منه قال فصعد الذئب على تل فاقعى واستثفر وقال عمدت الى رزق رزقنيه
الله اخذته ثم انتزعته مني وقال الرجل تالله ان رايت كاليوم ذئب يتكلم فقال الذئب
اعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم قال
وكان الرجل يهوديا فجاء الى النبي فاخبره واسلم فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم
ثم قال صلى الله عليه وسلم انها امارات بين يدي الساعة قد اوشك الرجل ان يخرج
فلا يرجع حتى يحدثه نعلاه وسوطه بما احدث اهله بعده، قال القاضي عياض
وفي بعض الطرق عن ابي هريرة فقال الذئب انت اعجب مني واقفا على غنمك وتركت نبيا
لم يبعث الله قط اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على
اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال
الراعي من لي بغنمي قال الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر
قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها
واستثفر بالسين والمثناة ثم المثلثة والفا آخره راء كاستفعل اي جعل ذنبه بين
رجليه كما يفعل الكلب وقد روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب
وصفوان بن امية مع ذئب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب
فعجبا من ذلك فقال الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى
الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة
لتتركنها خلوفا بضم الخاء المعجمة اي فاسدة متغيرة بمعنى يقع الفساد والتغير
في اهلها ومن ذلك حديث الحمار اخرج ابن عساكر عن ابي منظور قال لما فتح رسول
الله صلى الله عليه وسلم خيبر اصاب حمارا اسود فكلم رسول الله صلى الله

عليه وسلم الحمار فكلمه الحمار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
اسمك قال يزيد بن شهاب اخرج الله من نسل جدي ستين حمارا كلهم لا يركبه
الا نبي وقد كنت اتوقعك ان تركبني لم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبياء غيرك
قد كنت قبلك لرجل يهودي وكنت اتعثر به عمدا وكان يجيع بطني ويضرب ظهري
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فانت يعفور فكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يبعثه الى باب الرجل فياتي الباب فيقرعه براسه فاذا خرج اليه صاحب الدار
اومى اليه ان اجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض رسول الله صلى
الله عليه وسلم جاء لبئر كانت لابي الهيثم بن التيهان فتردى فيها جزعا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورواه ابو نعيم بنحوه من حديث معاذ بن جبل لكن الحديث
مطعون فيه • وذكره ابن الجوزي في الموضوعات وفي معجزاته عليه السلام ما
هو اعظم من كلام الحمار وغيره ومن ذلك حديث الضب وهو مشهور على الالسنة
ورواه البيهقي في احاديث كثيرة لكنه حديث غريب ضعيف قال المزي لا يصح
اسنادا ولا متنا وذكره القاضي عياض في الشفا وقد روي من حديث عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي من بني سليم قد صاد
ضبا جعله في كمه ليذهب به الى رحله فيشويه وياكله فلما راى الجماعة قال من هذا
قالوا نبي الله فاخرج الضب من كمه وقال واللات والعزى لا امنت بك او يؤمن هذا
الضب وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه
يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى
القيمة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله
وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين
وقد افلح من صدق وقد خاب من كذبك فاسلم الاعرابي الحديث بطوله وهو مطعون
فيه وقيل انه موضوع لكن معجزاته عليه السلام فيها ما هو ابلغ من هذا وليس
فيه ما ينكر شرعا خصوصا وقد رواه الائمة فنهايته الضعف لا الوضع والله اعلم
ومن ذلك حديث الغزالة روى حديثها البيهقي من طرق وضعفه جماعة من الائمة
لكن طرقه يقوي بعضها بعضا وذكره القاضي عياض في الشفا ورواه ابو نعيم
في الدلائل باسناد فيه مجاهيل عن حبيب بن محصن عن ام سلمة رضي الله عنها
قالت بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحراء من الارض اذا هاتف يهتف
يا رسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة في وثاق واعرابي منجدل
في شملة نائم في الشمس فقال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان

فى ذلك الجبل فاطلقنى حتى اذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين فقالت عذبنى الله
عذاب العشار ان لم اعد فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها النبى صلى الله عليه وسلم
فانتبه الاعرابى وقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت
تعدو فى الصحرا فرحا وهى تضرب برجليها الارض وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك
رسول الله وكذا رواه الطبرانى بنحوه وساق الحافظ المنذرى حديثه فى الترغيب و
الترهيب من باب الزكاة ونقل شيخنا الحافظ ابو الخير السخاوى عن ابن كثير انه لا اصل
له وان من نسبه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقد كذب ثم كذب شيخنا لكن ورد فى الجملة
فى عدة احاديث يتقوى بعضها ببعض وردها شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر فى المجلس الحادى
والستين من تخريج احاديث المختصر والله اعلم انتهى ۰ وفى مختصر ابن الحاجب للعلامة ابن السبكى
وتسبيح الحصا رواه الطبرانى وابن ابى عاصم من حديث ابى ذر وتسليم الغزالة رواه الحافظ
ابو نعيم الاصبهانى والبيهقى فى دلائل النبوة ونحن نقول فيهما انهما وان لم يكونا اليوم
متواتر فلعلهما استغنى عنهما بنقل غيرهما او لعلهما تواترا اذ ذاك انتهى ومن ذلك داجن
البيوت وهو ما الفها من الحيوان كالطير والشاة وغيرهما روى قاسم بن ثابت عن عائشة رضى
الله عنها قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت
مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب وذكره
القاضى عياض بسنده واما نبع الماء الطهور من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم
وهو اشرف المياه فقال القرطبى قصة نبع الماء من بين اصابعه قد تكررت منه صلى الله
عليه وسلم فى عدة مواطن فى مشاهد عظيمة وردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم
القطعى المستفاد من التواتر المعنوى ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن نبينا صلى الله عليه
وسلم حيث نبع الماء من اصابعه ابلغ فى المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى
بالعصا فتفجرت منه المياه لان خروج الماء من الحجارة معهود بخلاف خروج الماء من
بين الاصابع اللحم والدم انتهى وقد روى حيث نبع الماء جماعة من الصحابة منهم انس وجابر
وابن مسعود فاما حديث انس ففى الصحيحين قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتى رسول الله بوضوء فوضع
يده فى ذلك الاناء فامر الناس ان يتوضئوا منه فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس
حتى توضئوا من عند آخرهم وفى لفظ البخارى كانوا ثمانين رجلا ۰ وفى لفظ له فجعل الماء ينبع
من بين اصابعه واطراف اصابعه حتى توضا القوم قال فقلنا لانس كم كنتم قال كنا ثلاثمائة
قوله حتى توضئوا من عند آخرهم قال الكرمانى حتى للتدريج ومن للبيان اى توضا الناس
حتى توضا الذين هم عند آخرهم وهو كناية عن جميعهم وعند بمعنى فى لان عند وان

كانت للظرفية الخاصة لكن المبالغة تقتضى ان تكون لمطلق الظرفية فكانه قال الذين هم
فى آخرهم وقال التيمى المعنى توضأ القوم حتى وصلت النوبة الى الآخر وقال النووى من هنا
بمعنى الى وهى لغة وتعقبه الكرمانى بانها شاذة قال ثم ان الى لا يجوز ان تدخل على عند
ويلزم عليه وعلى ما قاله التيمى ان لا يدخل الاخير لكن ما قاله الكرمانى من ان الى لا تدخل
على عند لا يلزم مثله فى من اذا وقعت بمعنى الى وعلى توجيه النووى يمكن ان يقال عند
زائدة قاله فى فتح البارى وروى هذا الحديث ايضا عن انس ابن شاهين ولفظه كنت
مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فقال المسلمون يا رسول الله عطشت دوابنا
وابلنا فقال هل من فضلة ماء فجاء رجل فى شن بشئ فقال هاتوا صحفة فصب الماء
ثم وضع راحته فى الماء قال فرايتها تخلل عيونا بين اصابعه قال فسقينا ابلنا ودوابنا
وتزودنا فقال اكتفيتم فقالوا نعم اكتفينا يا نبى الله فرفع يده فارتفع الماء واخرج البيهقى
عن انس ايضا قال خرج النبى صلى الله عليه وسلم الى قبا فاتى من بعض بيوتهم بقدح
صغير فادخل يده فلم يسعه القدح فادخل اصابعه الاربعة ولم يستطع ان يدخل
ابهامه ثم قال للقوم هلموا الى الشراب قال انس بصر عينى ينبع الماء من بين اصابعه
فلم يزل القوم يردون القدح حتى رووا منه جميعا ۰ واما حديث جابر ففى الصحيحين قال
عطش الناس يوم الحديبية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة
يتوضؤ منها وجهش الناس نحوه فقال ما لكم فقالوا يا رسول الله ليس عندنا ما
نتوضؤ به ولا ما نشرب به الا ما بين يديك فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور
من بين اصابعه كامثال العيون فشربنا وتوضانا قلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف
لكفانا كنا خمسة عشر مائة ۰ وقوله يفور اى يغلى ويظهر متدفقا وفى رواية الوليد بن
عبادة بن الصامت عنه فى حديث مسلم الطويل فى ذكر غزوة بواط قال لى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا
قطرة فى عزلا شجب فاتى به النبى صلى الله عليه وسلم فغمره وتكلم بشئ لا ادرى ما
هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبى صلى الله
عليه وسلم بسط يده فى الجفنة وفرق اصابعه وصب عليه جابر فقال بسم الله
قال فرايت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلات
وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقى من احد له حاجة فرفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهى ملأى ۰ وروى حديث جابر ايضا
الامام احمد فى مسنده بلفظ اشتكى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه العطش
فدعا بعس فصب فيه شيئا من الماء ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده

وقال استقوا فاستقا الناس فكنت ارى العيون تنبع من بين اصابعه وفي لفظ
له ايضا قال فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم كفه في الاناء ثم قال بسم الله
ثم قال سبغوا الوضوء قال جابر فو الذي بتلاني ببصري لقد رايت العيون عيون
الماء يومئذ تخرج من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم فما رفعها حتى توضئوا
اجمعون ورواه ايضا عنه البيهقي في الدلائل قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في سفر فاصابنا عطش فجهشنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوضع
يده في تور من ماء بين يديه قال فجعل الماء ينبع من بين اصابعه كانه العيون قال
خذوا بسم الله فشربنا فوسعنا وكفانا ولو كنا مائة الف لكفانا قلت لجابر كم كنتم قال
الفا وخمسمائة واخرجه ابن شاهين من حديث جابر ايضا قال اصابنا عطش
بالحديبية فجهشنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث واخرجه ايضا عن
جابر احمد من طريق نبيح العنزي عنه وفيه فجاء رجل باداوة فيها شيء من ماء ليس
في القوم ماء غيره فصبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قدح ثم توضأ فاحسن
الوضوء ثم انصرف وترك القدح قال فتزاحم الناس على القدح فقال على رسلكم
فوضع كفه في القدح ثم قال اسبغوا الوضوء قال فلقد رايت العيون عيون الماء
تخرج من بين اصابعه واما حديث ابن مسعود ففي الصحيح من رواية علقمة بينما
نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فاتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه
فجعل الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهر هذا ان الماء
كان ينبع من بين اصابعه بالنسبة الى رؤية الرائي وهو في نفس الامر للبركة الحاصلة
فيه يفور ويكثر كفه صلى الله عليه وسلم في الاناء فيراه الرائي نابعا من بين اصابعه
وظاهر كلام القرطبي انه نبع من نفس اللحم الكائن في الاصابع وبه صرح النووي في شرح
مسلم ويؤيده قول جابر فرايت الماء يخرج من بين اصابعه وفي رواية فرايت الماء ينبع
من بين اصابعه وهذا هو الصحيح وكلاهما معجزة له صلى الله عليه وسلم وانما فعل
ذلك ولم يخرجه من غير ملابسة ماء ولا وضع الماء تادبا مع الله تعالى اذ هو المنفرد
بابتداع المعدومات وايجادها من غير اصل وروى ابن عباس قال دعا النبي صلى
الله عليه وسلم بلالا فطلب الماء فقال لا والله ما وجدت الماء قال فهل من شن
فاتاه بشن فبسط كفه فيه فانبعث تحت يده عين فكان ابن مسعود يشرب وغيره يتوضأ
رواه الدارمي وابو نعيم ولذا رواه الطبراني وابو نعيم من حديث ابي ليلى الانصاري وابو
نعيم من طريق القاسم بن عبد الله بن ابي رافع عن ابيه عن جده **ومن ذلك تفجير الماء ببركته**

وانبعاثه

وانبعاثه ببسمة ودعوته روى مسلم في صحيحه عن معاذ ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لهم انكم ستاتون غدا ان شاء الله عين تبوك وانكم لن تاتوها حتى يضحي النهار فمن
جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي قال فجئناها وقد سبق اليها رجلان والعين مثل
الشراك تبض بشيء من ماء فسالهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هل مسستما من مائها
شيئا قالا نعم فسبهما وقال لهما ما شاء الله ان يقول ثم غرفوا من العين قليلا قليلا حتى
اجتمع في شيء ثم غسل عليه السلام به وجهه ويديه ثم اعاده فيها فجرت العين بماء
كثير فاستقى الناس ثم قال عليه السلام يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ما
هنا قد ملئ جنانا اي بساتين وعمرانا وهذا ايضا من معجزاته عليه السلام ورواه
القاضي عياض في الشفا بنحوه من طريق مالك في الموطأ وزاد فقال قال في حديث ابن اسحق
فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق وفي البخاري في غزوة الحديبية من حديث
المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم انهم نزلوا باقصا الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه
الناس تبرضا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش
فانتزع سهما من كنانته ثم امرهم ان يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا
عنه والثمد بالمثلثة والتحريك الماء القليل وقوله يتبرضه الناس تبرضا بالضاد المعجمة
اي ياخذونه قليلا قليلا والبرض الشيء القليل وقوله فما زال يجيش بفتح المثناة التحتية
وبالجيم آخره شين معجمة اي يفور ماؤه ويرتفع وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم
توضأ ومج في بئر الحديبية من فمه فجاشت بالماء كذلك وفي مغازي ابي الاسود عن عروة
انه توضأ في الدلو ومضمض فاه ثم مج فيه وامر ان يصب في البئر ونزع سهما من كنانته
والقاه في البئر ودعا الله ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بايديهم منها وهم جلوس
على شفتها فجمع بين الامرين وكذا رواه الواقدي من طريق اوس بن خولي وهذه القصة
غير القصة السابقة في ذكر نبع الماء من اصابعه صلى الله عليه وسلم مما رواه البخاري
في المغازي من حديث جابر عطش الناس بالحديبية وبين يدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ركوة فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه الحديث فبين القصتين
مغايرة وجمع ابن حبان بينهما بان ذلك وقع في وقتين انتهى فحديث جابر في نبع الماء
كان حين حضرت صلاة العصر عند ارادة الوضوء وحديث البراء كان لارادة ما هو اعم
من ذلك ويحتمل ان يكون الماء لما تفجر من اصابعه ويده في الركوة وتوضأ كلهم وشربوا
امر حينئذ بصب الماء الذي بقي في الركوة في البئر فتكاثر الماء فيها انتهى وفي حديث البراء
وسلمة بن الاكوع مما رواه البخاري في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها
لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

على جباها ٥ قال البرآ واتى بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها
نجاشت فارووا انفسهم وركابهم قال فى رواية البرا ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها
ثم قال دعوها ساعة قوله على جباها بفتح الجيم والموحدة والقصر ما حول البئر وبالكسر
ما جمعت فيه من المآء وقوله وركابهم اى الابل التى يسار عليها وفى الصحيحين عن
عمران بن الحصين قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فاشتكى اليه الناس من
العطش فنزل فدعا فلانا كان يسميه ابو رجا ونسيه عوف ودعا عليا وقال اذهبا
فابتغيا المآء فانطلقا فتلقيا امراة بين مزادتين او سطيحتين من مآء فجاءا بها النبى
صلى الله عليه وسلم فاستنزلوها عن بعيرها ودعا النبى صلى الله عليه وسلم باناء
ففرغ فيه من افواه المزادتين او السطيحتين واوكا افواههما واطلق العزالى ونودى
فى الناس اسقوا واستقوا فسقى من سقى واستقى من شاء وهى قائمة تنظر الى ما يفعل
بمائها وايم الله لقد اقلع عنها وانه لايخيل الينا انها اشد ملئة منها حين ابتدأ فيها
فقال النبى صلى الله عليه وسلم اجمعوا لها فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة
حتى جمعوا لها طعاما فجعلوه فى ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها
قال تعلمين ما رزانا من مائك شيئا ولكن الله هو الذى سقانا فاتت اهلها فقالت العجب
لقينى رجلان فذهبا بى الى هذا الرجل الذى يقال له الصابى ففعل كذا وكذا فوالله انه لاسحر
الناس كلهم او انه رسول الله حقا فقالت لقومها فهل لكم للاسلام الحديث وعن ابى
قتادة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انكم تسيرون عشيتكم وليلتكم
وتاتون المآء غدا ان شآء الله فانطلق الناس لا يلوى احد على احد فبينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم يسير حتى ابهار الليل اى ابيض فمال عن الطريق فوضع راسه ثم قال
احفظوا علينا صلاتنا فكان اول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس
فى ظهره ثم قال اركبوا فركبنا فسرنا حتى اذا ارتفعت الشمس نزل ثم دعا بميضاة كانت
معى فيها شىء من مآء فتوضأ منها وضوءا قال وبقى شىء من مآء ثم قال احفظ علينا
ميضاتك فسيكون لها نبو ثم اذن بلال بالصلاة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ركعتين ثم صلى الغداة وركب وركبنا معه فانتهينا الى الناس حين امتد النهار وحمى
كل شىء وهم يقولون يا رسول الله هلكنا وعطشنا فقال لا هلك عليكم ودعا بالميضاة
فجعل يصب وابو قتادة يسقيهم فلم يعد ان راى الناس ما فى الميضاة فتكابوا عليها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احسنوا الملأ كلكم سيروى قال ففعلوا فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب وليسقيهم حتى ما بقى غيرى وغير رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم صب فقال لى اشرب فقلت لا اشرب حتى تشرب يا رسول الله فقال

ان ساقى القوم آخرهم قال فشربت وشرب الحديث رواه مسلم وعن انس قال اصابت الناس
سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما النبى صلى الله عليه وسلم يخطب فى
يوم الجمعة قام اعرابى فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع
يديه وما نرى فى السمآء قزعة فوالذى نفسى بيده ما وضعها حتى ثار السحاب امثال الجبال
ثم لم ينزل عن منبره حتى رايت المطر يتحادر على لحيته فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد
الغد حتى الجمعة الاخرى وقام ذلك الاعرابى او غيره فقال يا رسول الله تهدم البنا وغرق
المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير الى ناحية من السحاب
الا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة وسال الوادى قناة شهرا ولم يجئ احد من
ناحية الا حدث بالجود وفى رواية اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الاكام والظراب
وبطون الاودية ومنابت الشجر فاقلعت وخرجنا نمشى فى الشمس رواه البخارى ومسلم
والجوبة بفتح الجيم والموحدة بينهما واو ساكنة الحفرة المستديرة الواسعة وكل منفتق
بلا بنا جوبة اى حتى صار الغيم والسحاب محيطا بآفاق المدينة والجود بفتح الجيم و
اسكان الواو المطر الواسع الغزير وعن عبد الله بن عباس انه قيل لعمر بن الخطاب رضى
الله عنه حدثنا عن ساعة العسرة فقال عمر خرجنا الى تبوك فى قيظ شديد فنزلنا
منزلا اصابنا عطش حتى ظننا ان رقابنا ستقطع حتى ان كان الرجل ليذهب يلتمس
الرحل فلا يرجع يظن ان رقبته ستنقطع حتى ان كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه
فيشربه ويجعل ما بقى على كبده فقال ابو بكر يا رسول الله ان الله قد عودك فى الدعا
خيرا فادع الله لنا قال تحبون ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السمآء
فانسكبت فملؤا ما معهم من انية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها تجاوز العسكر قال الحافظ
المنذرى اخرجه البيهقى فى الدلائل وشيخه ابن بشران ثقة ودعلج ثقة وابن خزيمة احد
الائمة ويونس احتج به مسلم فى صحيحه وابن وهب وعمرو بن الحارث ونافع بن جبير
احتج بهم البخارى ومسلم وعتبة فيه مقال انتهى وقد رواه القاضى عياض فى الشفا
مختصرا وروى ابن اسحق فى مغازيه نحوه وروى صاحب كتاب مصباح الظلام عن عمرو
بن شعيب ان ابا طالب قال كنت مع ابن اخى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم بذى المجاز
فادركنى العطش فشكوت اليه فقلت يا ابن اخى عطشت وما قلت له ذلك وانا ارى
عنده شيئا الا الجزع فثنى وركه ثم نزل وقال يا عم اعطشت فقلت نعم فاهوى بعقبه الى
الارض فاذا بالمآء فقال اشرب يا عم فشربت وكذا رواه ابن سعد وابن عساكر ومن ذلك تكثير
الطعام القليل ببركة دعائه عن جابر فى غزوة الخندق قال فانكفات الى امراتى فقلت هل عندك شىء
فانى رايت بالنبى صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا فاخرجت جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن

سوق من اسواق العرب

فذبحتها وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئت الى النبي صلى الله عليه وسلم فساررته
فقلت يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعا من شعير فتعال انت ونفر معك فصاح
النبي صلى الله عليه وسلم يا اهل الخندق ان جابرا صنع سورًا فحي هلا بكم فقال صلى الله عليه وسلم
لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى اجئ برجال فاخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد
الى برمتنا فبصق وبارك ثم قال ادع خابزة فلتخبز معك واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها وهم الف
فاقسم بالله لاكلوه حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو رواه البخاري
ومسلم وقوله فانكفات اى انقلبت وقوله داجن بمعنى سمينة وقوله فذبحتها بسكون الحاء وطحنت
بسكون التاء يعنى ان الذى ذبح هو جابر والذى طحنت هى امراته سهيلة بنت معوذ الانصارية
وقوله سورًا بضم المهملة وسكون الواو وبغير همز قال ابن الاثير اى طعاما يدعوا اليه قيل
واللفظة فارسية وقوله فحي هلا بكم كلمة استدعى فيه حث اى هلموا مسرعين وقوله واقدحي
اى اغرفي وقوله وان برمتنا لتغط بالغين المعجمة والطاء المهملة اى تغلى ويسمع غطيطها
وعن انس قال قال ابو طلحة لام سليم لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضعيفا اعرف فيه الجوع فهل عندك من شئ فقالت نعم فاخرجت اقراصا من شعير ثم اخرجت
خمارا فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدى ولاثتنى ببعضه اى ادارت بعض الخمار على
راسى مرتين كالعمايم ثم ارسلتنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت به فوجدت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس فسلمت عليه فقال لى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ارسلك ابو طلحة قلت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه قوموا فانطلق
وانطلقت بين ايديهم حتى جئت ابا طلحة فاخبرته فقال ابو طلحة يا ام سليم قد جاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم فقالت الله ورسوله اعلم فانطلق ابو طلحة
حتى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو طلحة
معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلمي يا ام سليم ما عندك فاتت بذلك الخبز
فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت عليه ام سليم عكة فادمته
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء الله ان يقول ثم قال ائذن لعشرة
فاذن لهم فاكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة ثم لعشرة فاكل القوم كلهم
وشبعوا والقوم سبعون او ثمانون رجلا رواه البخاري ومسلم والمراد بالمسجد هنا
الموضع الذى اعده النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه حين محاصرة الاحزاب
للمدينة في غزوة الخندق وفي رواية مسلم انه قال ائذن لعشرة فدخلوا فقال كلوا
وسموا الله فاكلوا حتى فعل ذلك بثمانين رجلا ثم اكل النبي صلى الله عليه وسلم واهل البيت
وتركوا سؤرا اى بقية وهو بالهمزة وفي رواية للبخاري قال ادخل على عشرة حتى عد اربعين

ثم اكل

ثم اكل النبي صلى الله عليه وسلم فجعلت انظر هل نقص منها شئ وفي رواية يعقوب ادخل على
ثمانية ثمانية فما زال حتى دخل عليه ثمانون ثم دعاني ودعا امي وابا طلحة فاكلنا حتى شبعنا انتهى
وهذا يدل على تعدد القصة فان اكثر الروايات فيها انه ادخلهم عشرة عشرة سوى هذه قاله
الحافظ بن حجر قال وظاهره انه عليه السلام دخل المنزل ابي طلحة وحده وصرح بذلك في رواية
عبد الرحمن بن ليلى ولفظه فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الباب فقال لهم اقعدوا
ودخل وفي رواية يعقوب عن انس فقال ابو طلحة يا رسول الله انما ارسلت انسا يدعوك وحدك
ولم يكن عندنا ما يشبع من ارى وفي رواية عمرو بن عبد الله عن انس فقال ابو طلحة انما هو
قرص فقال ان الله سيبارك فيه قال العلماء وانما ادخلهم عشرة عشرة والله اعلم لانها كانت
قصعة واحدة لا يمكن الجماعة الكثيرة ان يقدروا على التناول منها مع قلة الطعام فجعلهم
عشرة ليتنالوا من الاكل ولا يزدحموا واما قوله عليه الصلوة والسلام ارسلك ابو طلحة
قلت نعم قال الطعام قلت نعم فقال لمن معه قوموا فظاهره ان النبي صلى الله عليه وسلم
فهم ان ابا طلحة استدعاه الى منزله فلذلك قال لمن عنده قوموا واول الكلام يقتضى ان
ان ام سليم وابا طلحة ارسل الخبز مع انس ان ياخذه النبي صلى الله عليه وسلم فياكله فلما
وصل انس وراى كثرة الناس حول النبي صلى الله عليه وسلم استحيى وظهر له ان يدعو النبي
صلى الله عليه وسلم ليقوم معه وحده الى المنزل فيحصل مقصودهم من اطعامه ويحتمل
ان يكون ذلك عن راى من ارسله عهد اليه اذا راى كثرة الناس ان يستدعي النبي صلى
الله عليه وسلم وحده خشية ان لا يكفى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم هو ومن معه
وقد عرفوا ايثاره عليه السلام وانه لا ياكل وحده ووقع في رواية يعقوب بن عبد الله
بن ابي طلحة عن انس عند ابي نعيم واصله عند مسلم فقال لى ابو طلحة يا انس اذهب فقم
قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قام فدعه حتى يتفرق عنه اصحابه ثم اتبعه
حتى اذا قام على عتبة بابه فقل له ان ابى يدعوك وفيه فقال ابو طلحة يا رسول الله انما ارسلت
انسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من ارى فقال ادخل فان الله سيبارك فيما عندك
وفي رواية ابن فضالة فقال هل من سمن فقال ابو طلحة قد كان في العكة شئ فجاء بها فجعلا يعصرانها
حتى خرج ثم مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم القرص فانتفخ وقال بسم الله فلم يزل يصنع
ذلك والقرص ينتفخ حتى رايت القرص في الجفنة يتسع وفي رواية النضر بن انس فجئت بها ففتح
رباطها ثم قال بسم الله اللهم اعظم فيها البركة وعرف بهذا المراد بقوله فقال فيها ما شاء
الله ان يقول وفي رواية انس عند احمد ان ابا طلحة راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
طاويا وعند ابي يعلى من طريق محمد بن سيرين عن انس ان ابا طلحة بلغه انه ليس عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم طعام فاجر نفسه بصاع من شعير فعمل بقية يومه ذلك ثم جاء

به الحديث وفى رواية عمرو بن عبد الله بن ابى طلحة عند مسلم وابى يعلى قال راى ابو طلحة رسول الله
صلى الله عليه وسلم مضطجعا يتقلب ظهرا لبطن وفى رواية يعقوب بن عبد الله بن ابى طلحة عند
مسلم ايضا عن انس قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته جالسا مع اصحابه يحدثهم
وقد عصب بطنه بعصابة فسالت بعض اصحابه فقال من الجوع فذهبت الى ابى طلحة فاخبرته فدخل
على ام سليم فقال اعندك شئ فانى مررت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرئ اصحاب الصفة
سورة النساء وقد ربط على بطنه حجرا وعن ابى هريرة قال لما كان غزوة تبوك اصاب الناس
مجاعة فقال عمر يا رسول الله ادعهم بفضل ازوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة فقال نعم
فدعا بنطع فبسط ثم دعا بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجئ بكف ذرة ويجئ الآخر بكسرة حتى
اجتمع على النطع شئ يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا فى اوعيتكم
فاخذوا فى اوعيتهم حتى ما تركوا فى العسكر وعاء الا ملأه قال فاكلوا حتى شبعوا وفضلت
فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله لا يلقى
الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة رواه مسلم وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم عروسا بزينب فعمدت امى ام سليم الى تمر وسمن واقط فصنعت حيسا فجعلته فى تور
فقالت يا انس اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا اليك امى وهى
تقرئك السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعه ثم قال اذهب فادع لى فلانا
وفلانا رجالا سماهم وادع لى من لقيت فدعوت من سمى ومن لقيت فرجعت فاذا البيت غاص
باهله قيل لانس عددكم كانوا قال زهاء ثلاثمائة فرايت النبى صلى الله عليه وسلم وضع يده
على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة ياكلون منه ويقول لهم اذكروا
اسم الله وليا كل كل رجل مما يليه قال فاكلوا حتى شبعوا فخرجت طائفة حتى اكلوا كلهم
قال لى يا انس ارفع فرفعت فما ادرى حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت رواه البخارى
ومسلم وعن جابر قال ان ام مالك كانت تهدى للنبى صلى الله عليه وسلم فى عكة لها سمنا
فياتيها بنوها فيسئلونها الادم وليس عندهم شئ فتعمد الى الذى كانت تهدى فيها للنبى صلى
الله عليه وسلم فتجد فيه سمنا فما زال يقيم لها ادم بيتها حتى عصرته فاتت النبى صلى الله
عليه وسلم فقال عصرتيها قالت نعم قال لو تركتيها ما زال قائما رواه مسلم وعنه ان رجلا
اتى النبى صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق من شعير فما زال ياكل منه وامرأته
وضيفه حتى كاله فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام
بكم رواه مسلم ايضا والحكمة فى ذهاب بركة السمن حين عصرت العكة واعدام بركة الشعير
حين كاله ان عصرها وكيله مضادة للتسليم والتوكل على رزق الله تعالى ويتضمن التدبير
والاخذ بالحول والقوة وتكلف الاحاطة باسرار حكم الله تعالى وفضله فعوقب فاعله

بزواله قال النووى وعن ابى العلاء سمرة بن جندب قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم نتداول
من قصعة من غدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة قلنا فمما كانت تمد قال من اى شئ تعجب
ما كانت تمد الا من هنا واشار بيده الى السماء رواه الترمذى والدارمى وعنه اتى النبى صلى الله
عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد اخرون فقال
رجل لسمرة هل كانت تمد قال ما كانت تمد الا من ههنا واشار الى السماء رواه الدارمى وابن ابى شيبة
والترمذى والحاكم والبيهقى وصححوه وابو نعيم وفى حديث عبد الرحمن بن ابى بكر كنا مع النبى صلى
الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر الحديث انه عجن صاع وصنعت شاة فشوى سواد
بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة الا وقد حز له حزة من سواد بطنها جعل منها
قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل فى القصعتين فحملته على البعير رواه البخارى وعن ابى هريرة
قال امرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادعوا اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم
فوضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهى مثلها حين وضعت الا ان فيها
اثر الاصابع رواه ابن ابى شيبة والطبرانى وابو نعيم وعن على بن ابى طالب جمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة ويشربون
الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقى كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا
وبقى كانه لم يشرب منه رواه فى الشفا ومن ذلك ابراء ذوى العاهات واحياء الموتى و
كلامهم وكلام الصبيان وشهادتهم له بالنبوة روى البيهقى فى الدلائل انه صلى الله عليه
وسلم دعا رجلا الى الاسلام فقال لا او من بك حتى تحيى لى ابنتى فقال صلى الله عليه وسلم
ارنى قبرها فاراه اياه فقال صلى الله عليه وسلم يا فلانة فقالت لبيك وسعديك فقال صلى
الله عليه وسلم اتحبين ان ترجعين الى الدنيا فقالت لا والله يا رسول الله انى وجدت
الله خيرا لى من ابوى ووجدت الآخرة خيرا لى من الدنيا وروى الطبرانى عن عائشة ان النبى
صلى الله عليه وسلم نزل الحجون كئيبا حزينا فاقام به ما شاء الله عز وجل ثم رجع مسرورا
قال سالت ربى عز وجل فاحيى لى امى فامنت بى ثم ردها وكذا روى من حديث عائشة ايضا
احيا ابويه صلى الله عليه وسلم حتى امنا به اورده السهيلى وكذا الخطيب فى السابق واللاحق
لكن قال السهيلى ان فى اسناده مجاهيل وقال ابن كثير انه منكر جدا وتقدم البحث فى ذلك
فى اوائل المقصد الاول وعن انس ان شابا من الانصار توفى وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها
فقالت مات ابنى فقلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم انى هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تعيننى على
كل شدة فلا تحملن على هذه المصيبة فما برحنا ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا رواه
ابن عدى وابن ابى الدنيا والبيهقى وابو نعيم وعن النعمان بن بشير قال كان زيد بن خارجة
من سروات الانصار فبينما هو يمشى فى طريق من طرق المدينة بين الظهر والعصر اذ خر

وهى الآفة المفسدة لبدن او عضو او نبات م

فتوفى فاعلمت به الانصار فاتوه فاحتملوه الى بيته فسجوه كسا وبردين وفى البيت نساء
من نساء الانصار يبكين عليه ورجال من رجالهم فمكث على حاله حتى اذا كان بين المغرب
والعشاء الآخرة سمعوا صوت قائل يقول انصتوا فنظروا فاذا الصوت من تحت الثياب فحسروا
عن وجهه وصدره فاذا القائل يقول على لسانه محمد رسول الله النبى الامى خاتم النبيين
لا نبى بعده كان ذلك فى الكتاب الاول ثم قال صدق صدق ثم قال هذا رسول الله السلام
عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته رواه ابو بكر بن ابى الدنيا فى كتاب من عاش وعن
سعيد بن المسيب ان رجلا من الانصار توفى فلما كفن واتاه القوم يحملونه تكلم فقال محمد
رسول الله اخرجه ابو بكر بن الضحاك واخرج ابو نعيم ان جابرا ذبح شاة وطبخها وثرد فى
جفنه واتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكل القوم وكان صلى الله عليه وسلم يقول
كلوا ولا تكسروا عظما ثم انه عليه الصلاة والسلام جمع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم
بكلام فاذا الشاة قامت تنفض اذنيها كذا رواه والله اعلم وعن معيقيب اليمامى قال حججت
حجة الوداع فدخلت دارا بمكة فرايت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورايت منه
عجبا جاء رجل من اهل اليمامة بغلام يوم ولد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا غلام من انا قال انت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم
بعد ذلك حتى شب فكنا نسميه مبارك اليمامة رواه البيهقى من حديث معرض بالضاد
المعجمة وعن فهد بن عطية ان النبى صلى الله عليه وسلم اتى بصبى قد شب لم يتكلم قط
فقال من انا قال رسول الله رواه البيهقى وعن ابن عباس قال ان امراة جاءت بابن لها
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابنى به جنون وانه ليأخذه عند
غدائنا وعشائنا فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره فثع ثعة وخرج من جوفه
مثل الجرو الاسود يسعى رواه الدارمى وقوله ثع قاء واصيبت يوم احد عين قتادة بن النعمان
حتى وقعت على وجنته فاتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
ان لى امراة احبها واخشى ان راتنى تقذرنى فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا و
كانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فساله عمر
من انت فقال

ابونا الذى سالت على الخد عينه ... فردت بكف المصطفى اى ما رد
فعادت كما كانت لاول امرها ... فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد

فوصله عمر واحسن جائزته قال السهيلى ورواه محمد بن ابى عثمان عن مالك بن انس عن محمد
بن عبد الله بن ابى صعصعة عن ابيه عن ابى سعيد عن اخيه قتادة بن النعمان قال اصيبت
عيناى يوم احد فسقطتا على وجنتى فاتيت بهما النبى صلى الله عليه وسلم فاعادهما مكانهما

وبصق

وبصق فيهما فعادتا تبرقان قال الدارقطنى هذا حديث غريب عن مالك تفرد به عمار بن نصر
وهو ثقة ورواه الدارقطنى عن ابرهيم الحربى عن عمار بن نصر واخرج الطبرانى وابو نعيم
عن قتادة قال كنت يوم احد اتقى السهام بوجهى دون وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتى فاخذتها بيدى وسعيت الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما راها فى كفى دمعت عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك
بوجهه فاجعلها احسن عينيه واحدهما نظرا وفى البخارى فى غزوة خيبر انه صلى الله
عليه وسلم قال اين على بن ابى طالب فقالوا يا رسول الله يشتكى عينيه قال فارسلوا اليه
فاتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه ودعا له فبرا حتى كان لم يكن
به وجع وعند الطبرانى من حديث على قال فما رمدت ولا صدعت منذ دفع الى صلى الله عليه وسلم
الراية يوم خيبر وفى رواية مسلم من طريق اياس بن سلمة عن ابيه قال فارسلنى النبى صلى
الله عليه وسلم الى على فجئت به اقوده ارمد فبصق فى عينيه فبرا وعند الحاكم من حديث
على قال فوضع صلى الله عليه وسلم راسى فى حجره ثم بصق فى راحته فدلك بها عينى وعند
الطبرانى فما اشتكيتهما حتى الساعة قال ودعا لى صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اذهب عنه
الحر والقر قال وما اشتكيتهما حتى يومى هذا واصيب سلمة يوم خيبر ايضا بضربة فى ساقه
فنفث فيها صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكاها قط رواهما البخارى ونفث فى
عينى فديك وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيئا وكان وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط
فى الابرة وانه لابن ثمانين سنة وان عينيه لمبيضتان رواه ابن ابى شيبة والبغوى والبيهقى والطبرانى
وابو نعيم

الفصل الثانى فيما خصه الله تعالى به من المعجزات وشرفه به على سائر الانبياء من الكرامات والايات البينات

اعلم نور الله قلبى وقلبك
وطهر سرى وسرك ان الله تعالى قد خص نبينا صلى الله عليه وسلم باشياء لم يعطها نبى
قبله وما خص نبى بشئ الا وكان لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فانه اوتى جوامع الكلم
وكان نبيا وآدم بين الروح والجسد وغيره من الانبياء لم يكن نبيا الا فى حال نبوته وزمان
رسالته ولما اعطى هذه المنزلة علمنا انه صلى الله عليه وسلم الممد لكل انسان كامل
مبعوث ويرحم الله الاديب شرف الدين الابوصيرى فلقد احسن حيث قال

وكل آى اتى الرسل الكرام بها ... فانما اتصلت من نوره بهم
فانه شمس فضل هم كواكبها ... يظهرن انوارها للناس فى الظلم

قال العلامة ابن مرزوق يعنى ان كل معجزة اتى بها كل واحد من الرسل فانما اتصلت بكل
واحد منهم من نور محمد صلى الله عليه وسلم وما احسن قوله فانما اتصلت من نوره بهم
فانه يعطى ان نوره صلى الله عليه وسلم لم يزل قائما به ولم ينقص منه شئ ولو قال فانما

هي من نوره لتوهم انه وزع عليهم وقد لا يبقى له منه شئ وانما كانت ايات كل واحد من نوره
صلى الله عليه وسلم لانه شمس فضل هم كواكب تلك الشمس للناس في الظلم فالكواكب ليست
مضيئة بالذات وانما هي مستمدة من الشمس فهي عند غيبة الشمس تظهر نور الشمس فكذلك
الانبياء قبل وجوده عليه الصلاة والسلام كانوا يظهرون فضله فجميع ما ظهر على ايدي
الرسل عليهم السلام سواه من الانوار فانما هو من نوره الفائض ومدده الواسع من
غير ان ينقص منه شئ واول ما ظهر ذلك في ادم عليه السلام حيث جعله الله خليفة
وامده بالاسماء كلها من مقام جوامع الكلم التي لمحمد صلى الله عليه وسلم فظهر بعلم
الاسماء كلها على الملئكة القائلين اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ثم توالت الخلائف
في الارض الى ان وصل الى زمان وجود صورة جسم نبينا صلى الله عليه وسلم الشمس يفي لاظهار
حكم منزلته فلما برز كان كالشمس اندرج في نوره كل نور وانطوى تحت منشور اياته كل آية
لغيره من الانبياء ودخلت الرسالات كلها في صلب نبوته والنبوات كلها تحت لواء رسالته
فلم يعط احد منهم كرامة او فضيلة الا وقد اعطى صلى الله عليه وسلم مثلها فادم عليه
السلام اعطى ان الله تعالى خلقه بيده اعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم شرح صدره
بنفسه وخلق فيه الايمان والحكمة وهو الخلق النبوي فتولى من ادم الخلق الوجودي
وتولى من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الخلق النبوي مع ان المقصود كان من خلق ادم
خلق نبينا في صلبه فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المقصود وادم الوسيلة و
المقصود سابق على الوسيلة واما سجود الملئكة لادم فقال الامام فخر الدين الرازي
في تفسيره ان الملئكة امروا بالسجود لادم لاجل ان نور محمد صلى الله عليه وسلم كان
في جبهته ولله در القائل « تجليت جل الله في وجه ادم «« فصلى له الاملاك حين توصل «
وعن ابي عثمان الواعظ فيما حكاه الفاكهاني سمعت الامام سهل بن محمد يقول هذا
التشريف الذي شرف به محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله وملئكته يصلون على النبي
الاية اتم واجمع من تشريف ادم عليه السلام بامر الملئكة له بالسجود لانه لا يجوز ان يكون
الله مع الملئكة في ذلك التشريف فتشريف يصدر عنه ابلغ من تشريف تختص به الملئكة
انتهى قال بعضهم واما تعليم ادم اسماء كل شئ فاخرج الديلمي في مسند الفردوس من حديث
ابي رافع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلت لي امتي في الماء والطين وعلمت
الاسماء كلها فكما ان آدم علم اسماء العلوم كلها كذلك نبينا صلى الله عليه وسلم وزاد
عليه واصل الله صلاته وسلامه عليه بعلم ذواتها ولله در الابوصيري حيث قال
لك ذات العلوم من عالم الغيب « ومنها لادم الاسماء ««
ولا ريب ان المسميات اعلا رتبة من الاسماء لان الاسماء يؤتى بها لتبيين المسميات فهي

بيان ما اعطى الله نبينا محمدا فضل ما اعطى غيره من الانبياء

بيديه معنى انه تم خلق صورة لغيره

المقصود بالذات واليه الايماء بقوله ذات العلوم والاسماء مقصودة لغيرها فهي
دونها ففضل العالم بحيث فضل علومه واما ادريس عليه السلام فرفعه مكانا عليا — ادريس عليه السلام
فاعطى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المعراج ورفع الى مكان لم يرفع اليه غيره واما نوح
عليه السلام فنجاه الله تعالى ومن امن معه من الغرق ونجاه من الخسف فاعطى سيدنا محمد — نوح عليه السلام
صلى الله عليه وسلم انه لم تهلك امته بعذاب من السماء قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم واما قول الفخر الرازي في تفسيره اكرم الله نوحا بان امسك سفينته على الماء
وفعل بمحمد صلى الله عليه وسلم اعظم منه روي انه صلى الله عليه وسلم كان على شط ماء
وقعد عكرمة بن ابي جهل فقال ان كنت صادقا فادع ذلك الحجر الذي في الجانب الاخر فليسبح
ولا يغرق فاشار اليه عليه الصلاة والسلام فانقلع الحجر من مكانه وسبح حتى صار بين
يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له بالرسالة فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم يكفيك هذا فقال حتى يرجع الى مكانه فلم ار لغيره والله اعلم بحاله واما ابراهيم الخليل — ابراهيم عليه السلام
عليه الصلاة والسلام فكانت عليه نار نمرود بردا وسلاما فاعطى سيدنا محمد نظير ذلك
اطفأ نار الحرب عنه عليه الصلاة والسلام وتناهيك بنار حطبها السيوف ووهجها
الحتوف وموقدها الحسد ومطلبها الروح والجسد قال الله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب
اطفاها الله فكم ارادوا ان يطفؤا النور بالنار وابى الجبار الا ان يتم نوره وان يخمد شرورهم
ويجمد لمحمد عليه السلام سروره وظهوره ويذكر انه عليه الصلاة والسلام مر ليلة
المعراج على بحر النار الذي دون سماء الدنيا مع سلامته منه كما روي مما رايته في بعض الكتب
وروى النسائي ان محمد بن حاطب قال كنت طفلا فاصبت القدر علي واحترق جلدي كله فحملني
ابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفل عليه الصلاة والسلام في جلدي ومسح بيده
على المحترق وقال اذهب الباس رب الناس فصرت صحيحا لا باس بي واما ما اعطيه ابرهيم عليه
السلام من مقام الخلة فقد اعطيه نبينا صلى الله عليه وسلم وزاد بمقام المحبة
وقد روى في حديث الشفاعة ان الخليل ابراهيم عليه السلام اذا قيل له اتخذ الله
خليلا فاشفع لنا قال انما كنت خليلا من وراء وراء اذهبوا الى غيري الى ان تنتهي الشفاعة
الى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول انا لها انا لها وهذا يدل على ان نبينا صلى الله عليه
وسلم كان خليلا مع رفع الحجاب وكشف الغطا ولو كان خليلا من وراء وراء لاعتذر
كما اعتذر ابراهيم عليه الصلاة والسلام وفيه تنبيه ظاهر على انه عليه الصلوة
والسلام فاز برؤية الحق سبحانه وكشف له الغطا حتى راى الحق بعيني راسه كما سياتي في
البحث ان شاء الله تعالى في المقصد الخامس والملخص من هذا ان النبي صلى الله عليه
وسلم نال درجة الخلة التي اشتهرت لابرهيم عليه السلام على وجه نطق ابرهيم

بان نصيب سيدنا محمد عليه السلام منه الاعلا بمفهوم قوله عن نفسه انما كنت
خليلا من ورآء ورآ فلم يشفع ففيه دليل على انه انما يشفع من كان خليلا لا من
ورآ ورآ بل مع الكشف والعيان وقرب المكانة من خطيرة القدس لا المكان وذلك
مقام محمد صلى الله عليه وسلم بالدليل والبرهان **ومما اعطيه** ابراهيم عليه
السلام انفراده في اهل الارض بعبادة الله وتوحيده والانتصاب للاصنام
بالكسر والقسر اعطى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كسرها باسرها بمحضر
من ولي نصرها بقضيب ليس مما يكسر الا بقوة ربانية ومادة الهية اجتزآء
فيها بالانفاس عن الفاس وما عول على المعول ولا عرض في القول ولا تمرض في
الصول بل قال جهرا غير ستر وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا **ومما**
اعطيه الخليل عليه السلام بناء البيت الحرام ولا خفاء ان البيت جسد وروحه
الحجر الاسود بل هو سويدا القلب بل جاء انه يمين الرب كناية عن استلامه كما تسلم
الايمان عند عقد العهود والايمان وقد اعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
ان قريشا لما بنت البيت بعد تهدمه ولم يبق الا وضع الحجر تنافسوا على الفخر
الفخم والمجد الضخم ثم اتفقوا ان يحكموا اول داخل فاتفق دخول سيدنا محمد عليه
الصلاة والسلام فقالوا هذا الامين فحكموه في ذلك فامر ببسط ثوب ووضع
الحجر فيه ثم قال برفع كل بطن بطرف فرفعوه جميعا ثم اخذه سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم فوضعه في موضعه فادخر الله له ذلك المقام ليكون له منقبة على مد
الايام **واما اعطيه موسى عليه السلام من قلب العصى حية غير ناطقة** فاعطى سيدنا
محمد حنين الجذع وقد مرت قصته وحكى الامام الرازي في تفسيره وغيره انه لما
اراد ابو جهل ان يرميه عليه السلام بالحجر راى على كتفه ثعبانين فانصرف
مرعوبا **واما ما اعطيه** موسى عليه السلام ايضا من اليد البيضا وكان بياضها
يغشى البصر فاعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه لم يزل نورا ينتقل
في اصلاب الاباء وبطون الامهات من لدن آدم الى ان انتقل الى عبد الله ابيه واعطى
صلى الله عليه وسلم قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مطيرة عرجونا
وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا
دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء
له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج رواه ابو نعيم
واخرج البيهقي وصححه الحاكم عن انس قال كان عباد بن بشر واسيد بن
حضير عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة حتى ذهب من الليل

مظلمة
نسخة

ساعة

ساعة وهي ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا وبيد كل واحد منهما عصا فاضاءت
لهما عصى احدهما فمشيا في ضوئها حتى اذا افترقت بهما الطريق اضاءت للآخر
عصاه فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ هديه ورواه البخاري بنحوه
في الصحيح واخرج البخاري في تاريخه والبيهقي وابو نعيم عن حمزة الاسلمي
قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فتفرقنا في ليلة ظلماء فاضاءت
اصابعي حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم وان اصابعي لتنير **ومما اعطي**
موسى عليه السلام ايضا انفراق البحر له اعطى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
انشقاق القمر كما مر فموسى تصرف في عالم الارض وسيدنا محمد تصرف في عالم السماء
والفرق بينهما واضح وقال ابن المنير وذكر ابن حبيب ان بين السماء والارض بحرا
يسمى المكفوف يكون بحر الارض بالنسبة اليه كالقطرة من البحر المحيط قال فعلى
هذا يكون ذلك البحر انفلق لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حتى جاوزه يعني
ليلة الاسرى قال وهو اعظم من انفلاق البحر لموسى عليه السلام **ومما اعطى**
موسى عليه السلام اجابة دعائه اعطى نبينا من ذلك ما لا يحصى **ومما اعطى** موسى
عليه السلام تفجير الماء من الحجارة اعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
ان الماء تفجر من بين اصابعه وهذا ابلغ لان الحجر من جنس الارض التي ينبع منها
الماء ولم تجر العادة بنبع الماء من بين اللحم ورحم الله القائل

وكل معجزة للرسل قد سلفت	وافا باعجب منها عند اظهار
فما العصا حية تسعى باعجب من	شكوى البعير ولا من مشى اشجار
ولا انفجار معين الماء من حجر	اشد من سلسل من كفه جار

ومما اعطيه موسى عليه السلام الكلام اعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
مثله ليلة الاسرى او زيادة الدنو وايضا كان مقام المناجاة في حق نبينا
صلى الله عليه وسلم فوق السموات العلى وسدرة المنتهى والمستوى وحجب
النور والرفرف ومقام المناجاة لموسى عليه السلام طور سينا **واما**
ما اعطيه هرون عليه السلام من فصاحة اللسان فقد كان نبينا صلى
الله عليه وسلم من الفصاحة والبلاغة بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل
ولقد قال له بعض اصحابه ما راينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني
وقد نزل القران بلساني لسان عربي مبين وقد كانت فصاحة هرون غايتها
في العبرانية والعربية افصح منها وهل كانت فصاحة هرون معجزة ام لا
قال ابن المنير الظاهر انها لم تكن معجزة ولكن فضيلة ولم يتحد بها نبي من الانبياء

بالفصاحة الا لنبينا صلى الله عليه وسلم لان هذه الخصوصية لا تكون لغير الكتاب العزيز وهل فصاحته عليه الصلاة والسلام في جوامع الكلم التي ليست من التلاوة ولكنها معدودة من السنة هل تحدى بها اولا وظاهر قوله عليه الصلاة والسلام اوتيت جوامع الكلم انه من التحدث بنعمة الله عليه و خصائصه ولا خلاف انها باعتبار ما اشتملت عليه من الاخبار بالمغيبات ونحوها معجزة واما ما اعطيه يوسف عليه السلام من شطر الحسن فاعطى نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن كله وسياتي الاشارة الى ذلك ان شاء الله تعالى في مقصد الاسرا ومن تامل ما نقلته في صفته صلى الله عليه وسلم تبين له من ذلك التفصيل التفضيل على كل مشهور بالحسن في كل جيل واما ما اعطيه يوسف عليه السلام من تعبير الرؤيا فالذى نقل عنه من ذلك ثلاث مناماتٍ احدها حين راى احد عشر كوكبا والشمس والقمر والثانى منام صاحبي السجن والثالث منام الملك وقد اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا يدخله الحصر ومن تصفح الاخبار وتتبع الآثار وجد من ذلك العجب العجاب وسياتي نبذة من ذلك ان شاء الله تعالى واما ما اعطيه داود عليه السلام من تليين الحديد له فكان اذا نسج الحديد لان فاعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ان العود اليابس اخضر في يده واورق ومسح صلى الله عليه وسلم شاة ام معبد الجربا فبرات ودرت واما ما اعطيه سليمان من كلام الطير وتسخير الشياطين والريح والملك الذي لم يعطه احد من بعده فقد اعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وزيادة اما كلام الطير والوحش فنبينا صلى الله عليه وسلم كلمه الحجر وسبح في كفه الحصا وهو جماد وكلمه ذراع الشاة المسمومة كما تقدم في غزوة خيبر وكذلك كلمه الظبي وشكى اليه البعير كما مر وروى ان طيرا فجع بولده فجعل يرفرف على راسه ويكلمه فيقول ايكم فجع هذا بولده فقال رجل انا فقال اردد ولده ذكره الرازي ورواه ابو داود بلفظ كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فانطلق لحاجته فراينا حمرة معها فرخان فاخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تفرش اى تدنو من الارض فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال من فجع هذه بولدها ردوا ولدها اليها الحديث وقصة كلام الذئب مشهورة واما الريح التي كانت غدوها شهر ورواحها شهر تحمله اين اراد من اقطار الارض فقد اعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم البراق الذى هو اسرع من الريح بل اسرع من البرق

الخاطف

الخاطف فحمله من الفرش الى العرش في ساعة زمانية واقل مسافة ذلك سبعة الاف سنة وتلك مسافة السموات واما الى المستوى والى الرفرف فذلك ما لا يعلمه الا الله تعالى وايضا فالريح سخرت لسليمان لتحمله الى نواحي الارض وسيدنا محمد زويت له الارض صلى الله عليه وسلم اى جمعت حتى راى مشارقها ومغاربها وفرق بين من يسعى الى الارض وبين من تسعى له الارض واما ما اعطيه من تسخير الشياطين فقد روى ان ابا الشياطين ابليس اعترض سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة فامكنه الله منه وربطه بسارية من سوارى المسجد وخبر مما اوتيه سليمان من ذلك ايمان الجن بمحمد صلى الله عليه وسلم فسليمان استخدمهم ومحمد صلى الله عليه و سلم استسلمهم واما عد الجن من جنود سليمان في قوله تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن فخير منه عد الملئكة جبريل ومن معه في جملة اجناده عليه الصلاة والسلام باعتبار الجهاد وباعتبار تكثير السواد على طريقة الاجناد واما عد الطير من جملة اجناده فاعجب منه حمامة الغار وتوكيرها في الساعة الواحدة وحمايتها له من عدوه والغرض من استكثار الجند انما هو الحماية وقد حصلت من اعظم شئ بايسر شئ واما ما اعطيه من الملك فنبينا صلى الله عليه وسلم خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار صلى الله عليه وسلم ان يكون نبيا عبدا ولله در القائل

باخير عبد على كل الملوك ولى

واما ما اعطيه عيسى عليه السلام من ابرا الاكمه والابرص واحياء الموتى فاعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه رد العين الى مكانها بعد ما سقطت فعادت احسن ما كانت وفي دلائل النبوة للبيهقي قصة الرجل الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم لا او من بك حتى تحيي لي ابنتي وفيه انه صلى الله عليه وسلم اتى قبرها فقال يا فلانة فقالت لبيك وسعديك يا رسول الله الحديث وقد مر وروى ان امراة معاذ بن عفرا وكانت برصا فشكت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح عليها بعصا فاذهب الله البرص منها ذكره الرازي وايضا فقد سبح الحصى في كفه صلى الله عليه وسلم وسلم عليه الحجر وحن لفراقه الجذع وذلك ابلغ من تكليم الموتى لان هذا من جنس ما لا يتكلم واما ما اعطيه عليه السلام ايضا من انه كان يعرف ما يخفيه الناس في بيوتهم فقد اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا يحصى وسياتي من ذلك ان شاء الله تعالى ما يكفي ويشفي واما ما اعطيه عيسى ايضا عليه السلام من رفعه الى السماء فقد اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك ليلة المعراج

قد الى العرش فيه نظر لان الصحيح انه ربطه في الصخرة في بيت القدس ولعل ذلك على بعض الروايات

قف على ان الذى اعترض صلى الله عليه وسلم في صلاته ابو الشياطين ابليس دون غيره

اى عششها ذكرا وافرخت في الساعة الواحدة

وزاد فى الرقى لمزيد الدرجات وسماع المناجاة والحظوة فى الحضرة المقدسة بالمشاهدات
وبالجملة فقد خص الله تعالى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم من خصائص التكريم
بما لم يعطه احدا من الانبيآ عليهم الصلاة والسلام وقد روى جابر عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلى كان كل نبى يبعث الى قومه خاصة
وبعثت الى كل احمر واسود واحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وجعلت لى الارض
مسجدا وطهورا فايما رجل من امتى ادركته الصلاة فليصل حيث كان ونصرت
بالرعب مسيرة شهر واعطيت الشفاعة رواه البخارى وفى رواية وبعثت الى الناس
كافة وزاد البخارى فى روايته فى الصلاة عن محمد بن سنان من الانبيا وعند الامام
احمد اعطيت خمسا لم يعطهن نبى قبلى ولا اقوله فخرا وفيه واعطيت الشفاعة
فاخترتها لامتى فهى لمن لا يشرك بالله شيئا واسناده كما قال ابن كثير جيد
وليس المراد حصر خصائصه صلى الله عليه وسلم فى هذه الخمس المذكورة فقد
روى مسلم من حديث ابى هريرة مرفوعا فضلت على الانبياء بست اعطيت جوامع
الكلم ونصرت بالرعب وجعلت لى الارض طهورا ومسجدا وارسلت الى الخلق
كافة وختم بى النبيون فذكر الخمسة المذكورة فى حديث جابر الا الشفاعة وزاد
خصلتين وهما اعطيت جوامع الكلم وختم بى النبيون فتحصل منه ومن حديث
جابر سبع خصال ولمسلم ايضا من حديث حذيفة فضلنا على الناس بثلاث
جعلت صفوفنا كصفوف الملئكة وذكر خصلة الارض كما تقدم قال وذكر خصلة
اخرى وهذه الخصلة المبهمة قد بينها ابن خزيمة والنسائى وهى واعطيت هذه
الايات من اخر سورة البقرة من كنز تحت العرش يشير الى ما حطه الله تعالى عن
امته من الاصر وتحميل ما لا طاقة لهم به ورفع الخطأ والنسيان فصارت
الخصال تسعا ولاحمد من حديث على اعطيت اربعا لم يعطهن احد من انبياء الله
تعالى اعطيت مفاتيح الارض وسميت احمد وجعلت امتى خير الامم وذكر خصلة
التراب فصارت الخصال ثنتى عشرة خصلة وعند البزار من وجه آخر عن ابى هريرة
رفعه فضلت على الانبياء غفر لى ما تقدم من ذنبى وما تاخر وجعلت امتى خير الامم
واعطيت الكوثر وان صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيمة تحته آدم فمن دونه
وذكر ثنتين مما تقدم وله من حديث ابن عباس رفعه فضلت على الانبيا بخصلتين
كان شيطانى كافرا فاعاننى الله عليه فاسلم قال ونسيت الاخرى فينتظم بهذا سبع
عشرة خصلة ويمكن ان يوجد اكثر من ذلك لمن امعن التتبع وقد ذكر ابو سعيد
النيسابورى فى كتاب شرف المصطفى ان عدد الذى خص به صلى الله عليه وسلم

ستون

ستون خصلة وطريق الجمع ان يقال لعله عليه الصلاة والسلام اطلع
اولا على بعض ما اختص به ثم اطلع على الباقى ومن لا يرى مفهوم العدد حجة
يدفع هذا الاشكال من اصله وقد ذكر بعض العلماء انه صلى الله عليه وسلم
اوتى ثلاثة آلاف معجزة وخصيصة وقد اختلف فى العلم بخصائصه
عليه السلام فقال الصيمرى من الشافعية منع ابو على بن خيران الكلام
فيها لانه امر انقضى فلا معنى للكلام فيه وقال امام الحرمين قال المحققون
ذكر الاختلاف فى مسائل الخصائص خبط غير مفيد فانه لا يتعلق به حكم ناجز
تمس اليه حاجة وانما يجرى الخلاف فيما لا يوجد بد من اثبات حكم فيه فان
الاقيسة لا مجال لها والاحكام الخاصة يتبع فيها النصوص وما لا نص
فيه فالخلاف فيه هجوم على الغيب من غير فائدة وقال النووى فى الروضة
والتهذيب بعد نقله هذين الكلامين وقال سائر الاصحاب لا باس
به وهو الصحيح لما فيه من زيادة العلم فهذا كلام الاصحاب والصواب
الجزم بجواز ذلك بل باستحبابه ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيدا لانه ربما
راى جاهل بعض الخصائص ثابت فى الحديث الصحيح فعمل به اخذا باصل
التاسى فوجب بيانها لتعرف فلا يعمل بها فاى فائدة اهم من هذه واما
ما يقع فى ضمن الخصائص مما لا فائدة فيه اليوم فقليل لا تخلو ابواب الفقه
عن مثله للتدرب ومعرفة الادلة وتحقيق الشئ على ما هو عليه انتهى كلام
النووى وقد تتبعت ما شرف الله تعالى به نبينا من الخصائص والايات
واكرمه به من الفضائل والكرامات من كتب العلماء كالخصائص لابن سبع
وخصائص الروضة للنووى ومختصرها للحجازى وشرح الحاوى لابن
الملقن وشرح البهجة لشيخ الاسلام زكريا الانصارى واللفظ المكرم
فى خصائص النبى صلى الله عليه وسلم للشيخ قطب الدين الخيضرى واستفدت
منه كثيرا فى فضل المعجزات مع ما رايته اثناء مطالعتى لفتح البارى وشرح
مسلم للنووى وشرح تقريب الاسانيد للعراقى وغير ذلك مما يطول ذكره فتحصل
لى من ذلك جملة وقد قسمها غير واحد من الائمة اربعة اقسام الاول ما اختص
به صلى الله عليه وسلم من الواجبات والحكمة فى ذلك زيادة الزلفى والدرجات
فانه لن يتقرب المتقربون الى الله تعالى بمثل اداء ما افترض عليهم قال بعضهم
خص الله تعالى نبيه عليه السلام بواجبات عليه لعلمه بانه اقوم بها منهم
وقيل ليجعل اجره بها اعظم فاختص صلى الله عليه وسلم بوجوب الضحى على المذ

لكن قول عائشة فى الصحيح ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبح
سبحة الضحى يدل على ضعف انها كانت واجبة عليه قال الحافظ بن حجر
ولم يثبت ذلك فى خبر صحيح انتهى وسياتى مزيد لذلك ان شاء الله تعالى فى
ذكر صلاة الضحى من مقصد عباداته عليه السلام وهل كان الواجب عليه
اقل الضحى او اكثرها او ادنى الكمال قال الحجازى لا نقل فيه لكن فى مسند احمد
امرت بركعتى الضحى ولم يؤمر وابها • ومنها الوتر وركعتا الفجر كما رواه الحاكم
فى المستدرك وغيره ولفظ احمد والطبرانى ثلاث على فريضة وهن لكم تطوع
الوتر وركعتى الفجر وركعتى الضحى قال بعضهم وقد ثبت انه عليه الصلاة و
السلام صلى الوتر على الراحلة قال ولو كان واجبا لما جاز فعله على الراحلة
وتعقب بان فعله على الراحلة من الخصائص ايضا كما سياتى فيما اختص به
عليه السلام من المباحات ان شاء الله تعالى • ومنها صلاة الليل قال تعالى ومن
الليل فتهجد به نافلة لك على الصلوة المفروضة او فضيلة لك لاختصاص
وجوبه بك وهل كان الواجب عليه اقل الوتر ام اكثره ام ادنى الكمال قال
الحجازى لم ار فيه نقلا والله اعلم • ومنها السواك واستدلوا له بما رواه
ابو داود من حديث عبد الله بن ابى حنظلة بن ابى عامر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم امر بالوضوء عند كل صلاة طاهرا وغير طاهر فلما شق
ذلك عليه امر بالسواك لكل صلوة وفى اسناده محمد بن اسحق وقد رواه
بالعنعنة وهو مدلس وحجة من لم يجعله واجبا عليه ما رواه ابن ماجة
فى سننه من حديث ابى امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما جاءنى جبريل الا اوصانى بالسواك حتى خشيت ان يفرض على وعلى
امتى واسناده ضعيف • وروى احمد فى مسنده من حديث واثلة بن
الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت بالسواك حتى
خشيت ان يكتب على واسناده حسن والخصائص لا تثبت الا بدليل صحيح
قاله فى شرح تقريب الاسانيد • ومنها الاضحية قال الله تعالى فصل لربك
وانحر • وروى الدارقطنى والحاكم عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم
قال ثلاث هن على فرائض ولكم تطوع النحر والوتر وركعتا الفجر • ومنها
المشاورة قال الله تعالى وشاورهم فى الامر فظاهره الايجاب ويقال انه
استحباب استمالة للقلوب ومعناه استخرج اراهم • ونقل البيهقى فى
معرفة السنن والاثار عن النص ان المشورة غير واجبة عليه كما نبه عليه

واجيب بانه يحتاج الى دليل وهل كان الواجب عليه اقل الوتر ام اكثره ام ادنى الكمال قال الحجازى لم ار فيه نقلا والله اعلم صح

الحجازى وغيره واختلف فى المعنى الذى لاجله امر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام
بالمشاورة مع كمال عقله وجزالة رايه وتتابع الوحى عليه ووجوب
طاعته على امته فقال بعضهم هو خاص فى المعنى وان كان عاما فى اللفظ
اى وشاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد يدل عليه قراءة ابن
عباس وشاورهم فى بعض الامر وقال الكلبى يعنى ناظرهم فى لقاء العدو
ومكائد الحرب عند الغزو • وقال قتادة ومقاتل كانت سادات العرب
اذا لم تشاور فى الامر شق عليهم فامر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام ان
يشاورهم فان ذلك اعطف لهم واذهب لاضغانهم واطيب لنفوسهم
وقال الحسن قد علم الله تعالى ان ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن
به من بعده • وحكى القاضى ابو يعلى فى الذى امر بالمشاورة فيه قولين
احدهما فى امر الدنيا خاصة • والثانى فى امر الدين والدنيا وهو الاصح
قاله المعافا فى تفسيره • والحكمة فى المشاورة فى الدين التنبيه لهم على
علل الاحكام وطريق الاجتهاد • واخرج ابن عدى والبيهقى فى الشعب
عن ابن عباس قال لما نزلت وشاورهم فى الامر قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اما ان الله ورسوله لغنيان عنها ولكن جعلها الله
رحمة لامتى • وعند الترمذى الحكيم من حديث عائشة رفعته ان الله
امرنى بمداراة الناس كما امرنى باقامة الفرائض • ومنها مصابرة العدو
وان كثر عددهم • ومنها تغيير المنكر اذا راه لكن قد يقال كل مكلف تمكن
من تغييره يلزمه فيقال المراد انه لا يسقط عنه صلى الله عليه وسلم
بالخوف بخلاف غيره • ومنها قضاء دين من مات مسلما معسرا • روى
مسلم حديث انا اولى بالمؤمنين من انفسهم فمن توفى وعليه دين فعلى قضاؤه
ومن ترك مالا فلورثته • قال النووى كان هذا القضا واجبا عليه
صلى الله عليه وسلم • وقيل ينزع منه والخلاف وجهان لاصحابنا
وغيرهم قال ومعنى الحديث انه عليه السلام قال انا قائم بمصالحكم فى
حياة احدكم او موته انا وليه فى الحالين فان كان عليه دين قضيته من
عندى ان لم يخلف وفا وان كان له مال فلورثته لا آخذ منه شيئا وان
خلف عيالا محتاجين ضائعين فليأتوا الى فعلى نفقتهم ومؤنتهم انتهى
وفى وجوب قضائه على الامام من مال المصالح وجهان لكن قال الامام من
استدان وبقى معسرا الى ان مات لم يقض دينه من بيت المال فان كان ظلم

بالمطل ففيه احتمال والاولى لا والله اعلم ومنها تخيير نسائه فى فراقه
وامساكهن بعدان اخترنه فى احد الوجهين وترك التزوج عليهن والتبدل
بهن مكافاة لهن ثم نسخ ذلك لتكون المنة له عليه السلام عليهن قال
الله تعالى يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها
الآية واختلف فى تخييره لهن على قولين احدهما انه خيرهن بين اختيار
الدنيا فيفارقهن واختيار الآخرة فيمسكهن ولم يخيرهن فى الطلاق
وهذا قول الحسن وقتادة • والثانى انه خيرهن بين الطلاق والمقام
معه وهذا قول عائشة ومجاهد والشعبى ومقاتل • واختلفوا فى السبب
الذى لاجله خير صلى الله عليه وسلم نساءه على اقوال • احدها ان الله
تعالى خيره بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة فاختار الآخرة وقال اللهم احينى
مسكينا وامتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين فلما اختار ذلك امره
الله تعالى بتخيير نسائه ليكن على مثل اختياره حكاه ابو القاسم النمرى الثانى
لانهن تغايرن عليه • والثالث لان ازواجه طالبنه وكان غير مستطيع
فكان اولهن ام سلمة سالته سترا معلما وسالته ميمونة حلة يمانية
وسالته زينب ثوبا مخططا وهو البرد اليمانى وسالته ام حبيبة ثوبا
سحوليا وسالته كل واحدة شيا الا عائشة حكاه النقاش • والرابع
ان ازواجه عليه السلام اجتمعن يوما فقلن نريد ما يريد النساء من
الحلى فانزل الله تعالى آية التخيير حكاه النقاش ايضا وذلك انه لما نصر
الله تعالى رسوله وفتح عليه قريظة والنضير ظن ازواجه انه اختص
بنفائس اليهود وذخائرهم فقعدن حوله وقلن يا رسول الله بنات كسرى
وقيصر فى الحلى والحلل ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق والمن قلبه
بمطالبتهن له بتوسعة الحال وان يعاملن بما يعامل به الملوك والاكابر
ازواجهم فامره الله تعالى ان يتلو عليهن ما نزل بامرهن لئلا يكون لاحد
منهن منة عليه فى الصبر على ما اختاره من خشونة العيش فلما اخترنه
وصبرن معه عوضهن الله على صبرهن بامرين • احدهما ان جعلهن
امهات المؤمنين تعظيما لحقهن وتاكيدا لحرمتهن وتفضيلهن على سائر
النساء بقوله تعالى لستن كاحد من النساء • والثانى ان حرم عليه طلاقهن
والاستبدال بهن فقال تعالى لا تحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن
من ازواج الآية فكان تحريم طلاقهن مستداما واما تحريم التزوج عليهن

فنسخ

فنسخ قالت عائشة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له
النساء يعنى اللاتى حرمن عليه • وقيل الناسخ لتحريمهن قوله تعالى انا احللنا
لك ازواجك الآية • وقال النووى فى الروضة اما خيرهن فاخترنه كافاهن
الله على حسن صنيعهن بالجنة فقال فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما
انتهى وانما اختص صلى الله عليه وسلم بوجوب التخيير لنسائه بين التسريح
والامساك لان الجمع بين عدد منهن يوغر صدورهن بالغيرة التى هى من
اعظم الآلام وهو ايذاء يكاد ينفر القلب ويوهن الاعتقاد وكذا الزامهن
على الصبر والفقر يوذيهن ومهما القى زمام الامر اليهن خرج عن ان يكون
ضررا فنزه عن ذلك منصبه العالى • وقيل له يا ايها النبى قل لازواجك
ومنها اتمام كل تطوع شرع فيه حكاه فى الروضة واصلها قال النووى
وهو ضعيف وفرع بعض الاصحاب على انه يحرم عليه صلى الله عليه و
سلم اذا لبس لامته ان ينزعها حتى يلقى العدو ويقاتل ذكره فى تهذيب
الاسما واللغات ومنها انه كان يلزمه صلى الله عليه وسلم اداء فرض
الصلوة بلا خلل قاله الماوردى • قال العراقى فى شرح المهذب بانه كان معصوما
عن نقص الفرض انتهى والمراد خلل لا يبطل الصلاة وقال بعضهم كان يجب
عليه صلى الله عليه وسلم اذا راى ما يعجبه ان يقول لبيك ان العيش عيش
الآخرة ثم قال هذه كلمة صدرت منه صلى الله عليه وسلم فى انعم حالة
وهو يوم حجه بعرفه وفى اشد حالة وهو يوم الخندق انتهى ومنها انه
صلى الله عليه وسلم كان يوخذ عن الدنيا حالة الوحى ولا يسقط عنه
الصوم والصلاة وسائر الاحكام كما ذكره فى زوائد الروضة عن ابن
القاص والقفال وكذا ذكره ابن سبع ومنها انه صلى الله عليه وسلم
كان يغان على قلبه فيستغفر الله سبعين مرة ذكره ابن القاص ونقله
ابن الملقن فى الخصائص ورواه مسلم وابو داود من حديث الاغر المزنى
بلفظ انه ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة هذا لفظ
مسلم • وقال ابو داود فى كل يوم • قال الشيخ ولى الدين ابن العراقى والظاهر
ان الجملة الثانية مرتبة على الاولى وان سبب الاستغفار الغين ويدل
لذلك قوله فى رواية النسائى فى عمل اليوم والليلة انه ليغان على قلبى حتى
استغفر الله كل يوم مائة مرة • وفى رواية له ايضا فاستغفر الله والفاظ
الحديث المختلفة يفسر بعضها بعضا ويحتمل من حيث اللفظ ان يكون الجملة

الثانية كلاما براسه غير متعلقة بما قبله فيكون عليه الصلاة والسلام
اخبر بانه يغان على قلبه وبانه يستغفر في اليوم مائة مرة انتهى وقال
ابو عبيد اصل الغين في هذا ما يغشى القلب ويغطيه واصله من غين
السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره الغين شئ يغشى القلب ولا يغطيه
كل التغطية كالغيم الرقيق الذى يعرض في الهوى فلا يمنع ضوء الشمس قال
القاضى عياض بعد حكايته ذلك فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات
قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان
صلى الله عليه وسلم دفع اليه من مقاسات البشر وسياسة الامة
ومعاناة الاهل ومقاومة الولى والعدو ومصلحة النفس وكلفه من
اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو فى كل هذا فى طاعة ربه وعبادة
خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة و
اعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همته
وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه رأى عليه
الصلاة والسلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من على حاله
وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك قال وهذا اولى وجوه
الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا اليه مال كثير من الناس وحام حوله
فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبنى
على جواز الفترة والغفلات والسهو فى غير طريق البلاغ انتهى وتعقب
بانه لا ترضى نسبته صلى الله عليه وسلم الى ذلك لما يلزم عليه من تفضيل
الملئكة بعدم الفترة على التسبيح والمشاهدة ولقوله صلى الله عليه وسلم
لست انسى ولكن انسى لاسن فهذه ليست فترة وانما هى لحكمة مقصودة
يثبت بها حكم شرعى فالاولى ان يحمل على ما جعله علة فيه وهو ما دفع اليه
من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل وحمل كل اعباء النبوة
وحمل اثقالها انتهى وقيل الغين شئ يعترى القلب مما يقع من حديث النفس
قال الحافظ بن حجر شيخ الاسلام وهذا اشار اليه الرافعى فى اماليه وقال
ان والده كان يقرره وقيل كانت حالة يطلع فيها على احوال امته فيستغفر
لهم وقيل هو السكينة التى تغشى قلبه والاستغفار لاظهار العبودية
لله والشكر لما اولاه قال شيخ الاسلام بن العراقى ايضا هذه الجملة
حالية اخبر عليه الصلاة والسلام انه يغان على قلبه مع ان حاله

الاستغفار فى اليوم مائة مرة وهى حالة مقدرة لان الغين ليس موجودا
فى حال الاستغفار بل اذا جاء الاستغفار اذهب ذلك الغين قال وعلى
تقدير تعلق احدى الجملتين بالاخرى وان الثانية مسببة عن الاولى فيحتمل
ان يكون هذا الغين تغطية للقلب عن امور الدنيا وحجابا بينه وبينها
فينجمع القلب حينئذ على الله تعالى ويتفرغ للاستغفار شكرا وملازمة
للعبودية قال وهذا معنى ما قاله القاضى عياض انتهى ومراده قوله فى
الشفا وقد يحتمل ان تكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام تغشى
قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة لعبوديته الى آخر كلامه قال
الشيخ بن العراقى وهو عندى كلام حسن جدا وتكون الجملة الثانية مسببة
عن الاولى لا بمعنى انه يسعى بالاستغفار فى ازالة الغين بل بمعنى ان الغين
اصله محمود وهو الذى تسبب عنه الاستغفار وترتب عليه وهذا
انزه الاقوال واحسنها لان الغين حينئذ وصف محمود وهو الذى نشأ
عنه الاستغفار وعلى الاول يكون الغين مما يسعى فى ازالته بالاستغفار
وما ترتب الاشكال وجاء السؤال الاعلى تفسير الغين بذلك واهل
اللغة انما فسروا الغين بالغشا فنحمله على غشا يليق بحاله صلى الله عليه
وسلم وهو الغشا الذى يصرف القلب ويحجبه عن امور الدنيا لا سيما
وقد رتب على الغشا امرا محمودا وهو الاستغفار فما نشأ هذا الامر
الحسن الا عن امر حسن انتهى وذكر الشيخ تاج الدين بن عطاء الله فى كتابه
لطائف المنن ان الشيخ ابا الحسن الشاذلى قال رايت النبى صلى الله عليه
وسلم فى النوم فسالته عن هذا الحديث انه ليغان على قلبى فقال لى يا مبارك
ذلك غين الانوار لا غين الاغيار القسم الثانى فيما اختص به صلى الله
عليه وسلم مما حرم عليه فمنها تحريم الزكاة عليه وكذا الصدقة على الصحيح
المشهور المنصور قال عليه السلام انا لا ناكل الصدقة رواه مسلم ومن
قال باباحتها له يقول لا يلزم من امتناعه من اكلها تحريمها فلعله ترك
ذلك تنزها مع اباحته له وهذا خلاف ظاهر الحديث وقال الشيخ الاسلام
بن العراقى فى شرح التقريب وعلى كل حال ففيه ان من خصائصه عليه الصلاة
والسلام الامتناع من اكل الصدقة اما وجوبا واما تنزها انتهى والحكمة
فى ذلك صيانة منصبه الشريف عن اوساخ اموال الناس ومنها تحريم
الزكاة على اله صلى الله عليه وسلم وتحريم كون اله عمالا على الزكاة فى الاصح

وكذا يحرم صرف النذر والكفارة اليهم واما صدقة التطوع فتحل لهم
فى الاصح خلافا للمالكية وهو وجه عندنا ومنها انه يحرم عليه صلى الله
عليه وسلم اكل ماله رايحة كريهة كثوم وبصل لتوقع مجىء الملئكة والوحى
فى ساعته والاكل متكئا فى احد الوجهين فيهما والاصح فى الروضة كراهتهما
وتعقب السهيلى الاتكاء فقال قد يكره لغيره ايضا لانه من فعل المتعاظمين
وتقدم مزيد لذلك ومنها تحريم الكتابة والشعر وانما يتجه القول بتحريمهما
ممن يقول انه صلى الله عليه وسلم كان يحسنهما والاصح انه كان لا يحسنهما
قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
وما علمناه الشعر وما ينبغى له اى ما هو فى طبعه ولا يحسنه ولا تقتضيه
جبلته ولا يصلح له واجيب بان المراد تحريم التوصل اليهما وهل عدم
الشعر خاص به عليه السلام او بنوع الانبياء قال بعضهم هو عام
لقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له لانه لا يظهر فيه للخصوصية
نكتة وتقدم فى قصة الحديبية البحث فى كونه عليه السلام هل كان
يحسن الكتابة ام لا ومنها نزع لامته اذا لبسها حتى يقاتل او يحكم الله
بينه وبين عدوه ومنها المن ليستكثر ذكره الرافعى قال تعالى ولا تمنن
تستكثر اى لا تعطى شيئا لتعطى اكثر منه بل اعط لربك واقصد به وجهه
فادبه باشرف الاداب قاله اكثر المفسرين ، وقال الضحاك ومجاهد هذا
كان للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة وليس على احد من امته ، وقال
قتادة لا تعط شيئا لمجازاة الدنيا اى اعط لربك وعن الحسن لا تمنن
على الله بعملك فتستكثره وقيل لا تمنن على الناس بالنبوة فتاخذ عليها
اجرا وعوضا من الدنيا ومنها مد العين الى ما متع به الناس قال الله
تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به اى استحسانا له وتمنيا ان يكون
لك مثله ازواجا منهم اى اشكالا واشباها من الكفار وهى المزاوجة
بين الاشياء وهى المشاكلة ، وعن ابن عباس اصنافا منهم فانه مستحقر
بالاضافة اليها اوتيه فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات
ومنها خائنة الاعين وهى الايماء الى مباح من قتل او ضرب على خلاف
ما يشعر به الحال كما قيل له عليه السلام فى قصة رجل اراد قتله هلا
اومات الينا بقتله فقال ما كان ينبغى لنبى ان تكون له خائنة الاعين
ولا يحرم ذلك على غيره الا فى محظور قاله الرافعى فيما نقله الحجازى فى مختصر

الروضة ومنها نكاح من لم تهاجر فى احد الوجهين قال الله تعالى يا ايها النبى
انا احللنا لك ازواجك اللاتى اتيت اجورهن اى مهورهن لان المهر اجر على
البضع وتقييد الاحلال باعطائها معجلة لا يتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل
له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية فى قوله وما ملكت يمينك مما افاء
الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك يعنى
من نساء زهرة اللاتى هاجرن معك اى الى المدينة قالوا والمراد هاجرت
كما هاجرت وان لم تكن هجرتها فى حال هجرته عليه الصلاة والسلام وظاهره
يدل على ان الهجرة شرط فى التحليل وان من لم تهاجر من النساء لم يحل له نكاحها
وقالت ام هانى خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه بعذر
فعذرنى ثم انزل الله تعالى يا ايها النبى انا احللنا لك ازواجك الى قوله
اللاتى هاجرن معك فلم اكن لاحل له فانى لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وعن
بعض المفسرين ان شرط الهجرة فى التحليل منسوخ ولم يذكر ناسخه ، وعن
الماوردى قولين احدهما ان الهجرة شرط فى احلال كل النساء له عليه الصلوة
والسلام من غريبة وقريبة والثانى انها شرط فى احلال بنات عمه وعماته
المذكورات فى الاية وليس شرطا فى احلال الاجنبيات ، وعنه ايضا ان المراد
بالمهاجرات المسلمات ومنها تحريم امساك من كرهته قاله الحجازى وغيره
ومنها نكاح الكتابية لان ازواجه امهات المؤمنين وزوجات له فى
الاخرة ومعه فى درجته فى الجنة ولانه صلى الله عليه وسلم اشرف من
ان يضع ماءه فى رحم كافرة قالوا ولو نكح كتابية لهديت الى الاسلام كرامة
له ومنها نكاح الامة المسلمة ولو قدر نكاحه امة كان ولده منها حرا
ولا تلزمه قيمته لتعذر الرق قاله القاضى حسين وقال ابو عاصم نعم
نقله الحجازى ولا يشترط فى حقه حينئذ خوف العنت ولا فقد الطول
واما التسرى بالامة فالاصح الحل لانه صلى الله عليه وسلم استمتع
بامته ريحانة قبل ان تسلم وعلى هذا فهل عليه تخييرها بين ان تسلم
فيمسكها او تقيم على دينها فيفارقها فيه وجهان احدهما نعم لتكون من
زوجاته فى الاخرة والثانى لا لانه لما عرض على ريحانة الاسلام فابت لم
يزلها عن ملكه واقام على الاستمتاع بها وقد اسلمت بعد ومنها تحريم
الاغارة اذا سمع التكبير كما ذكره ابن سبع فى الخصائص القسم
الثالث فيما اختص به صلى الله عليه وسلم من المباحات اختص

عليه الصلاة والسلام باباحة المكث فى المسجد جنبا قاله صاحب
التلخيص ومنعه القفال • قال النووى وما قاله فى التلخيص قد يحتج له بقوله
عليه الصلاة والسلام فى حديث ابى سعيد الخدرى يا على لا يحل لاحد
ان يجنب فى هذا المسجد غيرى وغيرك قال الترمذى حديث حسن غريب
وقد يعترض على هذا الحديث بان عطية ضعيف عند الجمهور ويجاب بان
الترمذى حكم بانه حسن فلعله اعتضد بما اقتضى حسنه لكن اذا شاركه
عليه الصلاة والسلام فى ذلك على لم يكن من الخصائص وقد غلط امام
الحرمين وغيره صاحب التلخيص فى الاباحة واعلم ان معظم الاباحات
لم يفعلها صلى الله عليه وسلم ومما اختص به صلى الله عليه وسلم ايضا
انه لا ينتقض وضوءه بالنوم مضطجعا وفى اللمس وجهان قال النووى
المذهب الجزم بانتقاضه به واستدل القائلون بالاول بنحو حديث
عائشة عند ابى داود ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقبل بعض
ازواجه ثم يصلى ولا يتوضأ ورواه النسائى ايضا وقال ابو داود هو
مرسل ابرهيم التيمى لم يسمع من عائشة • وقال النسائى ليس فى هذا
الباب حديث احسن من هذا الحديث وان كان مرسلا • واختص ايضا
باباحة الصلاة بعد العصر فقد فاتته ركعتان بعد الظهر فقضاهما بعد
العصر ثم واظب عليهما ذكره الحجازى وبجواز صلاة الوتر على الراحلة مع
وجوبه عليه كما ذكره فى شرح المهذب وعبارته كان من خصائصه صلى
الله عليه وسلم جواز فعل هذا الواجب الخاص به على الراحلة وبالصلاة
على الغائب عند ابى حنيفة ومالك وبالقبلة فى الصوم مع قوة الشهوة
روى البخارى من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقبل بعض ازواجه وهو صائم وكان املككم لاربه قال الحافظ
بن حجر فاشارت بذلك الى ان الاباحة لمن يكون مالكا لنفسه دون من
لا يامن من الوقوع فيما يحرم • قال وفى رواية حماد عند النسائى قال
الاسود قلت لعائشة ايباشر الصائم قالت لا قلت اليس كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يباشر وهو صائم قالت انه كان املككم لاربه
قال وظاهر هذا انها اعتقدت خصوصية النبى صلى الله عليه وسلم
بذلك قاله القرطبى قال وهو اجتهاد منها ويدل على انها لا ترى بتحريمها
ولا بكونها من الخصائص ما رواه مالك فى الموطأ ان عائشة بنت طلحة

كانت

كانت عند عائشة فدخل عليها زوجها وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن
ابى بكر فقالت له عائشة ما يمنعك ان تدنو من اهلك فتلاعبها وتقبلها
قال اقبلها وانا صائم قالت نعم واختص ايضا باباحة الوصال فى الصوم
كما سياتى وقال امام الحرمين هو قربة فى حقه عليه السلام وان ياخذ
الطعام والشراب من مالكهما المحتاج اليهما اذا احتاج ويجب على صاحبهما
البذل ويفدى بمهجته مهجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الله تعالى النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم ولو قصده ظالم وجب
على من حضره ان يبذل نفسه دونه صلى الله عليه وسلم كما وقاه طلحة
بنفسه يوم احد وباباحة النظر الى الاجنبيات وسياتى ان شاء الله
تعالى فى القسم الرابع حكم غيره عليه الصلاة والسلام وبجواز الخلوة
بهن قال فى فتح البارى الذى وضح لنا بالادلة القوية ان من خصائصه
صلى الله عليه وسلم جواز الخلوة بالاجنبية والنظر اليها ويدل له قصة
ام حرام بنت ملحان فى دخوله صلى الله عليه وسلم عليها ونومه عندها
وتفليتها راسه ولم يكن بينهما محرمية ولا زوجية انتهى ومنها نكاح
اكثر من اربع نسوة وكذلك الانبيا وفى الزيادة لنبينا صلى الله عليه
وسلم على التسع خلاف ويجوز له النكاح بلفظ الهبة من جهة المرأة قال
تعالى وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى واما من جهته عليه السلام
فلا بد من لفظ الانكاح او التزويج على الاصح فى اصل الروضة وحكاه
الرافعى عن ترجيح ابى الشيخ حامد لظاهر قوله تعالى ان اراد النبى ان يستنكحها
خالصة لك قال البيضاوى فى قوله وامرأة مؤمنة الآية اى علمناك
حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها
واختلف فى ذلك والقائل به ذكر انها ميمونة بنت الحارث وزينب بنت
خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم قال وقرئ
ان بالفتح اى لان وهبت ومدة ان وهبت كقولك اجلس ما دام زيد
جالسا قال وقوله ان اراد النبى ان يستنكحها شرط للشرط الاول فى
استيجاب الحل فان هبتها نفسها لا يوجب له الا بارادته نكاحها فانها
جارية مجرى القبول قال والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبى صلى
الله عليه وسلم مكررا ثم الرجوع اليه فى قوله خالصة لك من دون
المؤمنين ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة

لاجله انتهى وقال المعافا وفى معنى خالصة ثلاثة اقوال احدها ان المرأة
اذا وهبت نفسها له لم يلزمه صداقها دون غيره من المؤمنين قاله انس
بن مالك وابن المسيب الثانى ان له ان ينكحها بلا ولى بلا شهود دون
غيره قاله قتادة والثالث خالصة لك ان تملك عقد نكاحها بلفظ الهبة
دون المؤمنين قال وهذا قول الشافعى واحمد وعن ابى حنيفة ينعقد النكاح
بلفظ الهبة لغيره صلى الله عليه وسلم ايضا وكذا يجوز له عليه الصلاة
والسلام النكاح بلا مهر ابتداء وانتهاء كما تقدم ان المرأة اذا وهبت
نفسها له عليه الصلاة والسلام لا يلزمه صداقها قال النووى اذا
وهبت امرأة نفسها عليه الصلاة والسلام فتزوجها بلا مهر حل له
ذلك ولا يجب عليه بعد ذلك مهرها بالدخول ولا بغير ذلك بخلاف
غيره فانه لا يخلو نكاحه من وجوب مهر اما مسمى واما مهر المثل والله
اعلم ◦ وكذا يجوز له النكاح فى حال الاحرام قال النووى فى شرح مسلم
قال جماعة من اصحابنا انه صلى الله عليه وسلم كان له ان يتزوج فى حال
الاحرام وهو مما خص به دون الامة قال وهذا اصح الوجهين عند
اصحابنا انتهى ◦ وكذا يجوز له صلى الله عليه وسلم النكاح بغير رضى
المرأة فلو رغب فى نكاح امراة خلية لزمها الاجابه وحرم على غيره خطبتها
او متزوجة وجب على زوجها طلاقها ◦ قال الغزالى ولعل السر فيه
من جانب الزوج امتحان ايمانه بتكليف النزول عن اهله فانه صلى الله
عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه واهله و
ولده والناس اجمعين ◦ والنبى يدل لهذه الخصيصة قصة زينب بنت
جحش بنت عمته صلى الله عليه وسلم اميمة بنت عبد المطلب المنصوص
عليها بقوله تعالى واذ تقول للذى انعم الله عليه اى بنعمة الاسلام
وهى اجل النعم وانعمت عليه اى بالاعتاق اى بتوفيق الله لك وهو زيد
بن حارثة الكلبى وكان من سبى الجاهلية فملكه رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل البعثة واعتقه وتبناه وخطب له زينب فابت هى واخوها
عبد الله ثم رضيا لما نزل قوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الآية
وكان الرجل فى الجاهلية وصدر فى الاسلام اذا تبنى ولد غيره يدعوه
الناس به ويرث ميراثه وتحرم عليه زوجته فنسخ الله تعالى التبنى بقوله
ادعوهم لآبائهم وبهذه القصة يثبت الحكم بالقول والفعل فاوحى الله تعالى

اليه

اليه ان زيدا سيطلقها وانه صلى الله عليه وسلم يتزوجها والقى فى قلب
زيد كراهتها فاراد فراقها فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى
اريد ان افارق صاحبتى قال ما لك ارابك منها شئ قال لا والله يا رسول
الله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم على بشرفها وتوذينى بلسانها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك واتق الله اى فى
امرها فلا تطلقها اضرارا بها وتعللا فلما قضى زيد منها وطرا ولم يبق له
فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها زوجها الله تعالى له كما قال تعالى
زوجناكها والمعنى انه امره بتزويجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة
عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى تولى نكاحى وانتن زوجكن اولياؤكن ◦ وقيل ان زيدا كان
السفير للتزويج وفى ذلك لزيد ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه
وقد علل الله تعالى تزويجها اياها بقوله لكى لا يكون على المؤمنين حرج
فى ازواج ادعيائهم اى فى ان يتزوجوا زوجات من كانوا يتبنونه اذا
فارقوهن وان هؤلاء الزوجات ليست داخلات فيما حرم فى قوله وحلائل
ابنائكم واما قوله وتخفى فى نفسك اى علمك انه سيطلقها فعاتبه الله
تعالى على هذا القدر فى شئ اباحه له بان قال امسك عليك زوجك مع
علمه بانه يطلق وهذا مروى عن على بن الحسين وعليه اهل التحقيق من
المفسرين كالزهرى وبكر بن العلا والقاضى ابى بكر بن العربى وغيرهم والمراد
بقوله وتخشى الناس انما هو فى ارجاف المنافقين فى تزويج نساء الابناء
والنبى صلى الله عليه وسلم معصوم فى الحركات والسكنات ولبعض
المفسرين هنا كلام لا يليق بمنصب النبوة ◦ وقيل قوله اتق الله وتخفى فى
نفسك ما الله مبديه خطاب من الله تعالى او من الرسول عليه السلام
لزيد فانه اخفى الميل اليها واظهر الرغبة عنها لما توهم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يريد ان تكون من نسائه ◦ قال جار الله وكم من
شئ مباح يتحفظ الانسان منه ويستحيى من اطلاع الناس عليه فطموح
قلب الانسان الى بعض مشتهياته فى امرأة وغيرها غير موصوف بالقبح
فى العقل ولا فى الشرع وتناول المباح بالطريق الشرعى ليس بقبيح ايضا
وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلبا ليه ولم
يكن مستنكرها عندهم ان ينزل الرجل منهم عن امراته لصديقه ولا مستهجنا

اذا نزل عنها ان ينكحها آخر فانّ المهاجرين حين دخلوا المدينة واسَتهمُ
الانصار بكلّ شئ حتى انّ الرّجل منهم اذا كانت له امراتان نزل عن احداهما
وانكحها المهاجرى فاذا كان الامر مباحًا من جميع جهاته لم يكن فيه وجه
من وجوه القبح انتهى وكذا يجوز له عليه الصّلاة والسّلام النّكاح
بلا ولىّ ولا شهود قال النّووى المشهور الصّحيح عند اصحابنا صحة
نكاحه عليه الصّلاة والسّلام بلا ولىّ ولا شهود لعدم الحاجة الى
ذلك فى حقّه عليه الصّلاة والسّلام وهذا الخلاف فى غير زينب اما
زينب فمنصوص عليها والله اعلم قال العلماء وانّما اعتبر الولى للمحافظة
على الكفاءة وهو صلّى الله عليه وسلّم فوق الاكفاء وانّما اعتبر الشهود
لأمن الجحود وهو عليه الصّلوة والسّلام لا يجحد ولو جحدت هى لم
يرجع الى قولها بل قال العراقى فى شرح المهذّب تكون كافرة بتكذيبه
فكان له صلّى الله عليه وسلّم تزويج المرأة ممّن شاء بغير اذنها واذن
وليّها وله اجبار الصّغيرة من غير بناته وزوّج ابنة حمزة مع وجود
عمّها العبّاس فيقدّم على الاب وزوّجه الله تعالى بزينب فدخل عليها
بتزويج الله بغير عقد من نفسه وعبّر فى الرّوضة عن هذا بقوله و
كانت المرأة تحلّ له بتحليل الله تعالى ومنها انه اعتق امته صفيّة
وجعل عتقها صداقها • وقد اختلف فى معناه فقيل انّه اعتقها
بشرط ان يتزوّجها فوجب له عليها قيمتها وكانت معلومة فتزوّجها
بها ويؤيّده قوله فى رواية عبد العزيز بن صهيب سمعت انسا قال
سبى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صفيّة فاعتقها وتزوّجها
فقال ثابت لانس ما اصدقها قال نفسها فاعتقها هكذا اخرجه
البخارى فى المغازى وفى رواية حمّاد عن ثابت وعبد العزيز عن انس
قال وصارت صفيّة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثمّ تزوّجها
وجعل عتقها صداقها فقال عبد العزيز لثابت يا ابا محمّد انت سالت
انسا ما امهرها قال امهرها نفسها فتبسّم فهو ظاهر جدا فى انّ المجعول
مهرا هو نفس العتق والتّاويل الاوّل لا باس به فانّه لا منافاة بينه
وبين القواعد حتّى لو كانت القيمة مجهولة فانّ فى صحّة العقد بالشّرط
المذكور وجها عند الشّافعيّة وقال آخرون بل جعل نفس العتق المهر
ولكنّه من خصائصه وممّن جزم بذلك الماوردى وقال آخرون قوله اعتقها

وتزوّجها

وتزوّجها معناه اعتقها ثمّ تزوّجها فلمّا لم يعلم انّه ساق لها صداقا قال
اصدقها نفسها ولم يصدقها شيئا فيما اعلم ولم ينف اصل الصّداق ومن
ثمّ قال ابو الطّيّب الطّبرى من الشّافعيّة وابن مرابط من المالكيّة ومن تبعهم
انّه قول انس قاله ظنّا من قبل نفسه ولم يرفعه ويعارضه ما اخرجه الطّبرانى
وابو الشّيخ من حديث صفيّة نفسها قالت اعتقنى النّبىّ صلّى الله عليه
وسلّم وجعل عتقى صداقى وهذا موافق لحديث انس وفيه ردّ على من قال
انّ انسا قال ذلك بناء على ظنّه ويحتمل ان يكون اعتقها بشرط ان ينكحها من
غير مهر فلزمها الوفا بذلك وهذا خاصّ بالنّبىّ صلّى الله عليه وسلّم دون
غيره ويحتمل انّه اعتقها بغير عوض وتزوّجها بغير مهر فى الحال ولا فى
المآل قال ابن الصّلاح معناه انّ العتق حلّ محلّ الصّداق وان لم يكن صداقا
قال وهذا كقولهم الجوع زاد من لا زاد له قال وهذا الوجه اصحّ الاوجه
واقربها الى لفظ الحديث وتبعه النووى فى الرّوضة وممّن جزم بانّ ذلك
كان من الخصائص يحيى بن اكثم فيما اخرجه البيهقى قال وكذا نقله المزنى عن
الشّافعى قال وموضع الخصوصيّة انّه اعتقها مطلقا وتزوّجها بغير مهر
ولا شهود وهذا بخلاف غيره انتهى وقال النووى فى شرح مسلم الصّحيح
الذى اختاره المحقّقون انّه اعتقها تبرّعا بلا عوض ولا شرط ثمّ تزوّجها
برضاها من غير صداق والله اعلم قاله شيخ الحفاظ بن حجر • واختلف فى انحصار
قف هل ينحصر طلاقه الثلاث
طلاقه صلّى الله عليه وسلّم فى الثّلاث وعلى الحصر قيل تحلّ له من غير محلّل
وقيل لا تحلّ له ابدا وكان له نكاح المعتدّة فى احد الوجهين قال الصّواب
القطع بامتناع نكاح المعتدّة من غيره والله اعلم وفى وجوب نفقة زوجاته
وجهان قال النّووى الصّحيح الوجوب انتهى ولا يجب عليه القسم فيما قاله
طوائف من اهل العلم وبه جزم الاصطخرى من الشّافعيّة والمشهور عندهم
قف هل له الجمع بين المرأة وعمتها
وعند الاكثرين الوجوب • وفى حلّ الجمع له بين المرأة وخالتها وعمّتها وجهان
لا اختها وبنتها وامّها قالوا ومرجع هذه الخصائص الى انّ النّكاح فى حقّه
كالتّسرّى فى حقّنا وكان له عليه الصّلاة والسّلام ان يصطفى ما شاء من
المغنم قبل القسمة من جارية وغيرها وابيح له القتال بمكّة والقتل بها و
جواز دخول مكّة بغير احرام مطلقا ذكره ابن القاص واستدلّوا له بحديث
انس عند السّتّة دخل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مكّة عام الفتح وعلى
راسه المغفر وذلك من كونه عليه الصّلاة والسّلام مستور الرّاس

بالمغفر والمحرم يجب عليه كشف راسه ومن تصريح جابر والزهرى ومالك
بانه لم يكن محرما وابدى بن دقيق العيد لستر الراس احتمالا فقال يحتمل ان يكون
لعذر انتهى وتعقبه الشيخ ولى الدين بن العراقى فقال هذا يرده تصريح
جابر وغيره قال وهذا الاستدلال له فى غير موضع الخلاف المشهور لانه
عليه الصلاة والسلام كان خائفا من القتال متاهبا ومن كان كذلك فله
الدخول عندنا بلا احرام بلا خلاف عندنا ولا عند احد نعلمه وقد استشكل
النووى فى شرح المهذب ذلك لان مذهب الشافعى ان مكة فتحت صلحا
خلافا لابى حنيفة فى قوله انها فتحت عنوة وحينئذ فلا خوف ثم اجاب
عنه بانه عليه الصلاة والسلام صالح ابو سفيان وقال لا يا من غدر اهل مكة
فدخلها صلحا وهو متاهب للقتال ان غدروا انتهى وقد ذكرت ما فى فتح مكة من
المباحث فى قصة فتحها من المقصد الاول ثم ان غيره صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن
خائفا فقال اصحابنا ان لم يكن ممن يتكرر دخوله ففى وجوب الاحرام عليه قولان
اصحهما عند اكثرهم انه لا يجب وقطع به بعضهم فان تكرر دخوله كالحطابين و
نحوهم ففيه خلاف مرتب واولى بعدم الوجوب وهو المذهب وقال الحنابلة بوجوب
الاحرام الا على الخائف واصحاب الحاجات المتكررة واوجبه المالكية فى المشهور
عندهم على غير ذوى الحاجات المتكررة واوجبه الحنفية مطلقا الا من
كان داخل الميقات وقد تحرر ان المشهور من مذهب الشافعى عدم الوجوب
مطلقا ومن مذاهب الائمة الثلاثة الوجوب الا فيما يستثنى ومن خصائصه صلى الله
عليه وسلم انه كان يقضى بعلمه من غير خلاف وان يقضى لنفسه ولولده وان يشهد
لنفسه ولولده ولا تكره له الفتوى والقضا فى حال الغضب كما ذكره النووى فى شرح
مسلم وقد قضى للزبير بشراج الحرة بعد ان اغضبه خصم الزبير لعصمته
صلى الله عليه وسلم فلا يقول فى الغضب الا كما يقول فى الرضا وكان
له ان يدعو لمن شاء بلفظ الصلاة وليس لنا ان نصلى الا على نبى او
ملك وكان له ان يقتل بعد الامان وان يلعن من شاء بغير سبب
واستبعد ذلك وجعل الله تعالى شتمه ولعنه قربة للمشتوم والملعون
لدعائه عليه الصلاة والسلام قاله ابن القاص وردوه عليه حكاه
الحجازى فى مختصر الروضة عن نقل الرافعى وكان يقطع الاراضى بعد فتحها
لان الله ملكه الارض كلها وافتى الغزالى بكفر من عارض اولاد تميم الدارى
فيما اقطعهم وقال عليه الصلاة والسلام كان يقطع ارض الجنة فارض الدنيا اولى

القسم الرابع فيما اختص به صلى الله عليه وسلم من الفضائل والكرامات

والكرامة اعم من المعجزة

القسم الرابع فيما اختص به صلى الله عليه وسلم من الفضائل والكرامات

منها انه اول النبيين خلقا كما تقرر فى اول هذا الكتاب وانه كان نبيا وادم بين
الروح والجسد رواه الترمذى من حديث ابى هريرة ومنها انه اول من اخذ
عليه الميثاق كما مر ومنها انه اول من قال بلى يوم الست بربكم رواه ابو سهل
القطان فى جزء من اماليه ومنها ان ادم وجميع المخلوقات خلقوا لاجله رواه
البيهقى وغيره ومنها ان الله تعالى كتب اسمه الشريف على العرش وعلى كل سماء وعلى
الجنان وما فيها رواه ابن عساكر عن كعب الاحبار ومنها ان الله تعالى اخذ
الميثاق على النبيين ادم فمن بعده ان يؤمنوا به وينصروه قال الله تعالى واذ اخذ
الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم
لتؤمنن به ولتنصرنه قال على بن ابى طالب لم يبعث الله نبيا من ادم فمن بعده الا اخذ
عليه العهد فى محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حى ليؤمنن ولينصرنه
ويأخذ العهد بذلك على قومه ومنها انه وقع التبشير به فى الكتب السالفة كما
يأتى ان شاء الله تعالى ومنها انه لم يقع فى نسبه من لدن ادم سفاح رواه البيهقى
والطبرانى فى الاوسط وابو نعيم فى الدلائل ومنها انه تنكست الاصنام لمولده
رواه الخرائطى فى الهواتف وغيره ومنها انه ولد مختونا مقطوع السرة رواه
الطبرانى وتقدم ما فيه من البحث فى اول الكتاب ومنها انه خرج نظيفا ما به
قذر رواه ابن سعد ومنها انه وقع الى الارض ساجدا رافعا اصبعه كالمتضرع
المبتهل رواه ابو نعيم من حديث ابن عباس ورأت امه عند ولادته نورا خرج
منها اضاء له قصور الشام وكذلك ترى امهات الانبياء رواه الامام
احمد وكان مهده يتحرك بتحريك الملائكة كما ذكره ابن سبع فى الخصائص وكان
القمر يحدثه وهو فى مهده ويميل حيث اشار اليه رواه ابن طغربك فى النطق
المفهوم وغيره وتكلم فى المهد رواه الواقدى وابن سبع وظللته الغمامة فى الحر
رواه ابو نعيم والبيهقى ومال اليه فئ الشجرة اذ سبق اليه رواه البيهقى ومنها
شق صدره الشريف رواه مسلم وغيره وغطه جبريل عند ابتداء الوحى
ثلاث غطات عد هذه بعضهم من خصائصه عليه السلام كما نقله الحافظ
ابن حجر قال ولم ينقل عن احد من الانبياء انه جرى له عند ابتداء الوحى ومنها
ان الله تعالى ذكره فى القران عضوا عضوا فقلبه بقوله ما كذب الفواد ما راى
وقوله نزل به الروح الامين على قلبك ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى
وقوله فانما يسرناه بلسانك وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى ووجهه

اى من حلى وحلل وحور وغرف وقصور وغير ذلك

وذا ديهم الى الاخرشل

اى انه يحدث القمة

بقوله قد نرى تقلب وجهك فى السماء ويده وعنقه بقوله ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك وظهره وصدره بقوله الم نشرح لك صدرك • ووضعنا
عنك وزرك • الذى انقض ظهرك • واشتق اسمه من اسم الله المحمود ويشهد
له ما اخرجه البخارى فى تاريخه الصغير من طريق على بن زيد قال كان ابو طالب يقول

وشق له من اسمه ليجله	فذو العرش محمود وهذا محمد

وهو مشهور لحسان بن ثابت وسمى احمد ولم يسم به احد قبله رواه مسلم
ولاحمد من حديث على اعطيت اربعا لم يعطهن احد قبلى وذكر منها وسميت
احمد ومنها انه صلى الله عليه وسلم كان يبيت جائعا ويصبح طاعما يطعمه ربه
ويسقيه من الجنة كما سيأتى البحث فيه ان شاء الله تعالى فى صيامه صلى الله
عليه وسلم من مقصد عباداته وكان يرى من خلفه كما يرى امامه رواه مسلم
ويرى فى الليل وفى الظلمة كما يرى بالنهار والضوء رواه البيهقى وكان ريقه يعذب
الماء الملح رواه ابو نعيم ويجزئ الرضيع رواه البيهقى ومنها انه صلى الله عليه وسلم
كان اذا مشى فى الصخر غاصت قدماه فيه كما هو مشهور قديما وحديثا على
الالسنة ونطق به الشعراء فى منظومهم والبلغاء فى منثورهم مع اعتقاده
بوجود قدمى اثر الخليل ابرهيم عليه السلام فى حجر المقام المنوه به فى التنزيل فى
قوله تعالى فيه ايات بينات مقام ابرهيم البالغ تعيينه وانه اثره مبلغ التواتر
القائل فيه ابو طالب • وموطئ ابرهيم فى الصخر رطبة • على قدميه حافيا
غير ناعل • ومما فى البخارى من حديث ابى هريرة مرفوعا من معجزة تأثير ضرب موسى
فى الحجر ستا او سبعا اذ فر بثوبه لما اغتسل اذ ما خص نبى بشئ من المعجزات و
الكرامات الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثله كما نصوا عليه مع ما يؤيد
ذلك وهو وجود اثر حافر بغلته الشريفة على ما قيل فى مسجد بطيبة حتى عرف
المسجد بها بحيث يقال له مسجد البغلة وما ذلك الا من سره السارى فيها
ليكون ذلك اقوى فى الاية واوضح فى الدلالة على اياته عليه الصلاة و
السلام هذه الاية التى اوتيها ابرهيم الخليل فى حجر المقام على وجه اعلا منه
بل قال الزبير بن بكار فيما نقله المجد الشيرازى فى المغانم المطابة بعد ذكره لاثر
حافر البغلة ومسجدها وفى غربى هذا المسجد اثر كانه اثر مرفق يذكر انه عليه
الصلاة والسلام اتكأ عليه ووضع مرفقه عليه وعلى حجر اخر اثر الاصابع
ولله در الابوصيرى حيث قال بعفرة بياض وكان ابطه عليه السلام لا شعر
عليه قاله القرطبى وكان ابيض غير متغير اللون كما ذكره الطبرى وعده

فى الخصائص وذكره بعض الشافعية لحديث انس المتفق عليه انه صلى الله
عليه وسلم كان يرفع يديه فى الاستسقاء حتى يرى بياض ابطيه وقال الشيخ
جمال الدين الاسنوى فى المهمات ان بياض الابط كان من خواصه صلى الله عليه
وسلم انتهى قال فى شرح تقريب الاسانيد وما ادعاه من كون هذا من الخصائص
فيه نظر اذ لم يثبت ذلك بوجه من الوجوه بل لم يرد ذلك فى كتاب من الكتب المعتمدة
والخصائص لا تثبت بالاحتمال ولا يلزم من ذكر انس وغيره بياض ابطيه ان لا يكون
له شعر فان الشعر اذا نتف بقى المكان ابيض وان بقى فيه اثار الشعر ولذلك ورد
فى حديث عبد الله بن اقرم الخزاعى انه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال كنت انظر الى عفرة ابطيه اذا سجد خرجه الترمذى وحسنه والنسائى
وابن ماجه وقد ذكر الهروى فى الغريبين وابن الاثير فى النهاية ان العفرة بياض
ليس بالناصع ولكن كلون عفرة الارض وهو وجهها وهذا يدل على ان اثار الشعر
هو الذى جعل المكان اعفر والا فلو كان خاليا من نبات الشعر جملة لم يكن اعفر نعم الذى
يعتقد فيه صلى الله عليه وسلم انه لم يكن لابطه رائحة كريهة بل كان نظيفا طيب
الرائحة كما ثبت فى الصحيح وكان عليه السلام يبلغ صوته وسمعه ما لا يبلغه صوت
غيره ولا سمعه وكان تنام عينيه ولا ينام قلبه رواه البخارى وما تثاءب قط كما
رواه ابن ابى شيبة والبخارى فى تاريخه من مرسل يزيد بن الاصم قال ما تثاءب
النبى صلى الله عليه وسلم واخرج الخطابى من طريق مسلمة بن عبد الملك بن مروان
قال ما تثاءب نبى قط ويؤيد ذلك ان التثاؤب من الشيطان رواه البخارى وما احتلم
قط وكذلك الانبياء رواه الطبرانى وكان عرقه اطيب من المسك رواه ابو نعيم
وغيره واذا مشى مع الطويل طاله رواه البيهقى ولم يقع له ظل على الارض ولا رئى
له ظل فى شمس ولا قمر ويشهد له انه لما سال الله تعالى ان يجعل فى جميع اعضائه
وجهاته نورا ختم بقوله واجعلنى نورا وكان صلى الله عليه وسلم لا يقع على
ثيابه ذباب قط نقله الفخر الرازى ولا يمتص دمه البعوض كذا نقله الحجازى
وغيره وما اذاه القمل قاله ابن سبع فى الشفاء والسبتى فى اعذب الموارد
ومنها انقطاع الكهنة عند مبعثه وحراسة السماء من استراق السمع و
الرمى بالشهب قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا
يدخلونها ويأتون باخبارها فيلقون على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام
منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات
كلها فما منهم احد يريد استراق السمع الا رمى بشهاب وهو الشعلة من النار

فلا يخطئ ابدا فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه ومنهم من تخبله فيصير
غولا يضر الناس في البراري وهذا لم يكن ظاهرا قبل مبعث النبي صلى
الله عليه وسلم ولم يذكره احد قبل زمانه وانما ظهر في بدء امره وكان ذلك
اساسا لنبوته وقال معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت
افرأيت قوله تعالى انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الاية قال غلظت وشدد امرها
حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه
ولكن لم يكن في شدة الحراسة بعد مبعثه وقيل ان النجم كان ينقض ويرمي الشيطان
ثم يعود الى مكانه ذكره البغوي ومنها انه اتى بالبراق ليلة الاسراء مسرجا
ملجما قيل وكانت الانبياء انما تركبه عريانا ومنها انه اسرى به صلى الله عليه
وسلم ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وعرج به الى المحل الاعلى واراه
من اياته الكبرى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى واحضر الانبياء
له صلى الله عليه وسلم وصلى بهم اماما وبالملائكة واطلعه على الجنة والنار
وعزيت هذه للبيهقي ومنها انه رأى الله تعالى بعينيه كما يأتي ذلك في مقصد
الاسراء ان شاء الله تعالى وجمع الله تعالى له بين الكلام والرؤية وكلمه تعالى
في الرفيع الاعلى وكلم موسى بالجبل ومنها انه يجب علينا ان نصلي ونسلم عليه لاية
ان الله وملئكته الخ ولم ينقل ان الامم المتقدمة كان يجب عليهم ان يصلوا على انبيائهم
ومنها ان الملائكة تسير معه حيث سار يمشون خلف ظهره وقاتلت معه كما في
غزوة بدر وحنين ومنها انه اوتي الكتاب العزيز وهو امي لا يقرأ ولا يكتب
ولا اشتغل بمدارسة ومنها حفظ كتابه هذا من التبديل والتحريف حتى سعى
كثير من الملحدة والمعطلة لاسيما القرامطة في تغييره وتبديل محكمه فما قدروا
على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلمه ولا تشكيك المسلمين في حرف من
حروفه قال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الاية وكتابه يشتمل
على ما اشتملت عليه جميع الكتب جامعا لاخبار القرون السالفة والامم
البائدة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من
احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك ويسر الله تعالى حفظه لمتعلميه
وقربه على متحفظيه كما قال تعالى ولقد يسرنا القران للذكر وسائر الامم
لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف بالجم الغفير على مرور السنين عليهم والقران
ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة ومنها انه انزل على سبعة احرف تسهيلا
علينا وتيسيرا وشرفا ورحمة وخصوصية لفضلنا ومنها كونه اية باقية

لاتعدم

لاتعدم ما بقيت الدنيا ومنها انه تعالى تكفل بحفظه فقال تعالى انا نحن نزلنا
الذكر وانا له لحافظون اي من التحريف والزيادة والنقصان ونظيره قوله تعالى
في صفة القران لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقوله ولو كان من
عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فان قلت هذه الاية تنفي الاختلاف
فيه وحديث انزل القران على سبعة احرف المروي في البخاري عن عمر يثبته اجاب
الجعبري في اول شرحه للشاطبية بان المثبت اختلاف تغاير والمنفي اختلاف
تناقض فموردهما مختلف انتهى فان قلت فلم اشتغلت الصحابة بجمع القران
في المصحف وقد وعد الله تعالى بحفظه وما حفظه الله تعالى فلا خوف عليه
فالجواب كما قال الرازي ان جمعهم للقران كان من اسباب حفظ الله تعالى اياه
فان الله تعالى لما اراد حفظه قيضهم لذلك قال وقال اصحابنا وفي هذه الاية
دلالة قوية على ان البسملة اية من اول كل سورة لان الله تعالى قد وعد بحفظ
القران والحفظ لا معنى له الا ان يبقى مصونا عن التغيير ولما كان محفوظا
عن الزيادة ولو جاز ان يظن بالصحابة انهم زادوا لوجب ايضا ان يظن بهم
النقصان وذلك يوجب خروج القران عن كونه حجة واختلف فيه كيف
يحفظ القران فقال بعضهم حفظه بان يجعله معجزا مباينا لكلام البشر
يعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لانهم لو زادوا فيه او نقصوا
منه تغير نظم القران فيظهر لكل العقلاء ان هذا ليس من القران وقال اخرون
اعجز الخلق عن ابطاله وافساده بل قيض جماعة يحفظونه ويدرسونه فيما بين
الخلق الى اخر بقاء التكليف وقال اخرون المراد بالحفظ هو ان احدا لو حاول
ان يغيره بحرف او نقطة لقال له اهل الدنيا هذا كذاب حتى ان الشيخ المهيب
لو اتفق له تغيير في حرف منه لقال الصبيان كلهم اخطأت ايها الشيخ و
صوابه كذا ولم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا الكتاب فانه لا كتاب الا وقد دخله
التصحيف والتغيير والتحريف وقد صان الله تعالى هذا الكتاب العزيز عن
جميع التحريف مع ان دواعي الملحدة واليهود والنصارى متوفرة على ابطاله
وانقضى الان ثمانية وتسعون سنة وثمانمائة سنة وهو بحمد الله في زيادة
من الحفظ ومنها انه عليه السلام خص باية الكرسي وبالمفصل وبالمثاني وبالسبع
الطول كما في حديث ابن عباس بلفظ واعطيت خواتيم سورة البقرة من كنوز
العرش وخصصت به دون الانبياء واعطيت المثاني مكان التورية و
المئين مكان الانجيل والحواميم مكان الزبور وفضلت بالمفصل رواه

ابو نعيم فى الدلائل وقال تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم
وفى البخارى من حديث ابى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ام القرآن هى
السبع المثانى والقرآن العظيم سائره واختلفوا لم سميت مثانى فعن الحسن
وابن عباس وقتادة لانها تثنى فى الصلاة فتقرأ فى كل صلاة وقيل لانها
مقسومة بين الله وبين العبد نصفين نصفها ثناء ونصفها دعاء كما فى
حديث ابى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى قسمت الصلاة
بينى وبين عبدى نصفين وقيل لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وعن
مجاهد لان الله تعالى استثناها وادخرها لهذه الامة فما اعطاها غيرهم وعن
سعيد بن جبير عن ابن عباس ان السبع المثانى هى السبع الطول اولها سورة البقرة
وآخرها سورة الانفال مع التوبة وقال بعضهم سورة يونس بدل الانفال
قال ابن عباس وانما سميت السبع الطول مثانى لان الفرائض والحدود والامثال
والخبر والعبر ثنيت فيها وقال طاوس القرآن كله مثانى قال الله تعالى الله
نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى وسمى القرآن مثانى لان القصص
ثنيت فيه والله اعلم ومنها انه اعطى مفاتيح الخزائن قال بعضهم وهى خزائن
اجناس العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبونه لذواتهم فكل ما ظهر من رزق العالم
فان الاسم الالهى لا يعطيه الا عن محمد صلى الله عليه وسلم الذى بيده المفاتيح
كما اختص تعالى بمفاتيح الغيب فلا يعلمها الا هو واعطى هذا السيد الكريم
منزلة الاختصاص باعطائه مفاتيح الخزائن ومنها انه صلى الله عليه وسلم
اعطى جوامع الكلم فالكلم جمع كلمة وكلمات الله تعالى لا تنفد فالكلمة منه كلمات
ولما علم جوامع الكلم اعطى الاعجاز بالقرآن الذى هو كلام الله تعالى وهو
المترجم عن الله فوقع الاعجاز فى الترجمة التى هى له فان المعانى المجردة عن المواد
لا يتصور الاعجاز بها وانما الاعجاز ربط هذه المعانى بصور الكلم القائم
من نظم الحروف فهو لسان الحق وسمعه وبصره ومنها انه صلى الله عليه وسلم
بعث الى الناس كافة قال بعضهم وهو من الكفت وهو الضم قال تعالى الم نجعل
الارض كفاتا اى تضم الاحياء على ظهرها والاموات فى بطنها كذلك ضمت
شريعته صلى الله عليه وسلم جميع الناس فلا يسمع به احد الا لزمه الايمان
ولما سمع الجن القرآن يتلى قالوا يا قومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به الآية فضمت
شريعته صلى الله عليه وسلم الانس والجن وعمت رحمته التى ارسل بها
العالم قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فمن لم تنله رحمته فما ذاك

مرجم

من جهته وانما ذلك من جهة القابل فهو كالنور الشمسى افاض شعاعه على الارض
فمن استتر عنه فى كن او ظل جدار فهو الذى لم يقبل انتشار النور عليه وعدل عنه
فلم ينسب الى الشمس من ذلك منع انتهى فان قلت ان نوحا كان مبعوثا الى اهل الارض
بعد الطوفان فانه لم يبق الا من كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا اليه وقد جاء
فى حديث جابر وغيره وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر و
اسود وفى رواية الى الناس كافة اجاب الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى بان هذا
العموم الذى حصل لنوح عليه السلام لم يكن فى اصل بعثته وانما اتفق بالحادث
الذى وقع وهو انحصار الخلق فى الموجودين بعد هلاك سائر الناس واما نبينا
صلى الله عليه وسلم فعموم رسالته من اصل البعثة فثبت اختصاصه بذلك
واما قول اهل الموقف لنوح كما صح فى حديث الشفاعة انه اول رسول الى اهل
الارض فليس المراد به عموم بعثته بل اثبات اولية ارساله وعلى تقدير ان يكون مرادا
فهو مخصوص بتنصيصه سبحانه وتعالى فى عدة آيات على ان ارسال نوح كان
الى قومه ولم يذكر انه ارسل الى غيرهم واستدل بعضهم لعموم بعثته بكونه دعا
على جميع من فى الارض فاهلكوا بالغرق الا اهل السفينة ولو لم يكن مبعوثا اليهم
لما اهلكوا لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد ثبت انه اول
الرسل واجيب بجواز ان يكون غيره ارسل اليهم فى اثناء مدة نوح وعلم نوح
بانهم لم يؤمنوا فدعا على من لم يؤمن من قومه وغيرهم فاجيب وهذا جواب
حسن لكن لم ينقل انه نبئ فى زمن نوح غيره ويحتمل ان يكون معنى الخصوصية
لنبينا صلى الله عليه وسلم فى ذلك بقاء شريعته الى يوم القيمة ونوح وغيره بصدد
ان يبعث نبى فى زمانه او بعده فينسخ بعض شريعته انتهى واما قول بعض اليهود
ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم انما هو مبعوث الى العرب خاصة ففاسد
والدليل عليه انهم اى اليهود سلموا انه رسول صادق الى العرب فوجب ان
يكون كل ما يقوله حقا وقد ثبت بالتواتر انه كان يدعى انه رسول الى كل الناس
فلو كذبوه فيه لزم التناقض اشار اليه صاحب المعالم ومنها نصره صلى الله
عليه وسلم بالرعب مسيرة شهر والشهر قدر قطع القمر درجات الفلك المحيط
فهو اسرع قاطع لعموم رعبه فى قلوب اعدائه فلا يقبل الرعب الا عدو مقصود
ليتميز السعيد من الشقى ومفهوم هذا انه لم يوجد لغيره النصر بالرعب فى هذه
ولا فى اكثر منها اما ما دونها فلا لكن لفظ رواية عمرو بن شعيب ونصرت على
العدو بالرعب ولو كان بينى وبينهم مسيرة شهر والظاهر اختصاصه به مطلقا

وانما جعل الغاية شهراً لانه لم يكن بين بلده عليه السلام وبين احد من اعدائه اكثر من شهر وهذه الخصوصية حاصلة له على الاطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر وهل هي حاصلة لامته من بعده فيه احتمال ومنها احلال الغنائم ولم تحل لاحد قبله وقد كان من تقدم على ضربين منهم من لم يؤذن له في الجهاد فلم تكن له مغانم ومنهم من اذن له فيه لكن كانوا اذا غنموا شيئاً لم يحل لهم ان ياكلوه وجاءت نار فاحرقته قال بعضهم اعطى صلى الله عليه وسلم ما يوافق شهوة امته لان النفوس لها التذاذ بها لكونها حصلت لهم عن قهر منهم لتحصيلها وغلبة فلا يريدون ان يفوتهم التنعم بها في مقابلة ما قاسوه من الشدة والتعب ومنها جعل الارض له ولامته مسجداً وطهوراً والمراد موضع سجود هم اي لا يختص السجود منها بموضع دون غيره ويمكن ان يكون مجازاً عن المكان المبني للصلاة وهو من مجاز التشبيه لانه لما جازت الصلاة في جميعها كان كالمسجد في ذلك وقيل المراد جعلت لي الارض مسجداً وطهوراً وجعلت لغيري مسجداً ولم تجعل له طهوراً لان عيسى كان يسيح في الارض ويصلي حيث ادركته الصلاة قاله ابن التين ومن قبله الداودي وقيل انما ابيح لهم في موضع يتيقنون طهارته بخلاف هذه الامة فابيح لها في جميع الارض الا فيما تيقنوا نجاسته والاظهر ما قاله الخطابي وهو ان من قبله انما ابيحت لهم الصلاة في اماكن مخصوصة كالبيع والصوامع ويؤيده رواية عمرو بن شعيب بلفظ وكان من قبلي انما كانوا يصلون في كنائسهم وهذا نص في موضع النزاع فيثبت الخصوصية ويؤيده ما رواه البزار من حديث ابن عساكر نحو حديث جابر وفيه ولم يكن من الانبياء احد يصلي حتى يبلغ محرابه قاله في فتح البادي ومنها ان معجزاته عليه السلام مستمرة الى يوم القيمة ومعجزات سائر الانبياء انقضت لوقتها فلم يبق الا خبرها والقران العظيم لم تزل حجة قاهرة ومعارضته ممتنعة ومنها انه اكثر الانبياء معجزة قال القاضي عياض اما كونها كثيرة فهذا القران وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين بسورة انا اعطيناك الكوثر او اية في قدرها وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة وذهب اخرون الى ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين قال القاضي والحق ما ذكرناه اولاً لقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا في القران من الكلمات من نحو سبع وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزأ القران

قوله فاحرقته ما لم يغل فيها والا فلا تنزل وغير الحيوان واما هو فيترك ينتفع به

اي على حذف اداة التشبيه

ولعله كان يتطهر بالماء دائماً

وعليه فيكون مسجداً اسماً لموضع السجود

وعلى هذا فيبطل قول من قال انه كان المسيح يصلي حيث ادركته الصلاة

قوله من كلمة كاضرب مثلاً فان الضمير فيها نزل منزلة كلمة اخرى ولا يتقيد بكونه مستتراً وجوباً

على نسبة انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الاخبار عن اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القران فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه انتهى ومن ذلك انشقاق القمر وتسليم الحجر وحنين الجذع ونبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم ولم يثبت لواحد من الانبياء مثل ذلك كما ذكره ابن عبد السلام وغيره وتقدم ما فيه من المباحث ومنها انه خاتم الانبياء والمرسلين قال عليه السلام مثلي ومثل الانبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فاحسنه الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا تلك اللبنة وانا خاتم النبيين رواه البخاري ومسلم ومنها ان شرعه مؤبد الى يوم الدين وناسخ لجميع شرائع النبيين وانه اكثر الانبياء تابعاً كما قال عليه الصلاة والسلام فارجو ان اكون اكثرهم تابعاً يوم القيمة رواه الشيخان من حديث ابي هريرة ومنها انه لو ادركه الانبياء لوجب عليهم اتباعه كما سيأتي تقريره ان شاء الله تعالى ومنها انه ارسل الى الجن اتفاقاً والدليل على ذلك قبل الاجماع الكتاب والسنة قال الله تعالى ليكون للعالمين نذيراً وقد اجمع المفسرون على دخول الجن في هذه الاية وهو مدلول لفظها فلا يخرج عنه الا بدليل وان قيل ان الملائكة خارجون من ذلك فلا يضر لان العام المخصوص حجة عند جمهور العلماء والاصوليين ولو بطل الاستدلال بالعمومات المخصوصة لبطل الاستدلال باكثر الادلة وقال تعالى في الاحقاف اجيبوا داعي الله فامر بعضهم بعضاً باجابته دليل على انه داع لهم وهو معنى بعثته اليهم الى غير ذلك من الايات واما السنة ففي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست فذكر منها وارسلت الى الخلق كافة فانه يشمل الجن والانس وحمله على الانس خاصة تخصيص بغير دليل فلا يجوز والكلام فيه كالكلام في اية الفرقان فان قلت ان قوله قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم وما ارسلناك الا كافة للناس ظاهر في اختصاص رسالته عليه الصلاة والسلام بالانس واحتمال غير ذلك عدول عن الظاهر فالجواب ان هذا انما يتمشى على مذهب الدقاق القائل بان مفهوم اللقب حجة والناس من قبيل اللقب فان المسئلة المترجمة في الاصول بمفهوم اللقب لا تختص باللقب بل الاعلام كلها واسماء الاجناس كلها كذلك كما

صفة والناس اسم جنس غير صفة فلا مفهوم له فهذه الاية ليس فيها اصلا ما يفهم
منه انه ليس رسولا الى غيرهم الا على مذهب الدقاق بل ولا يتم على مذهب المتمسك بهذا
المفهوم ايضا لان الدقاق انما يقول به حيث لم يظهر غرض اخر سواه في تخصيص ذلك الاسم
وحيث ظهر غرض لا يقال بالمفهوم بل يحمل التخصيص على ذلك الغرض والغرض في الاية
التعميم في جميع الناس وعدم اختصاص الرسالة ببعضهم فلا يلزم نفي الرسالة عن
غيرهم لا على مذهب الدقاق ولا على مذهب غيره وانما خاطب الناس لانهم الذين
تغلب رؤيتهم والخطاب معهم فمقصود الاية خطاب الناس والتعميم فيهم لا النفي
عن غيرهم وهذا اذا قلنا ان لفظ الناس لا يشمل الجن فان قلنا انه يشملهم فواضح
والاختلاف فيه مبني على الخلاف في اشتقاق الناس هل هو من النوس وهو الحركة
او من الانس ضد الوحشة فاذا قلنا بالاول اطلق على الفريقين ولكن استعماله في
الانس اغلب فحيث اطلق فالمراد به ولد ادم واذا قلنا بالثاني فلا لانا لا نبصر
الجن ولا نأنس بهم فدخول الجن في الاية اما ممتنع واما قليل فلا يحمل عليه و
بهذا يتبين ضعف الاستدلال بها لكنها لا تدل على خلافه **واما قول** الضحاك
ومن تبعه ان الرسل الى الجن منهم لقوله تعالى يا معشر الجن والانس الم يأتكم
رسل منكم فهو ظاهر الاية لكن لم يقل الضحاك ولا احد غيره باستمرار ذلك في
هذه المسئلة وانما محل الخلاف في ذلك في الملل المتقدمة خاصة واما في هذه
الملة فنبينا صلى الله عليه وسلم هو المرسل اليهم والى غيرهم ولم ينقل احد عن الضحاك
ان رسل الجن منهم مطلقا ولا ينبغي ان ينسب اليه ما يخالف الاجماع على ان
الاكثرين قالوا لم تكن الرسل الا من الانس ولم يكن من الجن قط رسول لكن لما جمع الجن
في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وهما يخرجان من الملح
دون العذب **وقيل** الرسل من الجن رسل الرسل من بني ادم اليهم لا رسل الله لقوله
تعالى ولوا الى قومهم منذرين قاله بعض العلماء **ومنها** انه ارسل الى الملائكة في
احد القولين ورجحه السبكي قال تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون
للعالمين نذيرا ولا نزاع ان المراد من العبد ههنا محمد عليه الصلاة والسلام والعالم
هو ما سوى الله تعالى فيتناول جميع المكلفين من الجن والانس والملائكة وبطل
بذلك قول من قال انه كان رسولا الى البعض دون البعض لان لفظ العالمين
يتناول جميع المخلوقات فتدل الاية على انه رسول الى جميع الخلق **ولو قيل** المدعى
خروج الملائكة من هذا العموم اقام الدليل عليه وربما عجز عنه فانه يحتمل ان يكون
من الملائكة من انذره صلى الله عليه وسلم اما ليلة الاسراء واما غيرها

جمعوا

لكن

لكن لا يلزم من الانذار والرسالة اليهم في شيء خاص ان يكون بالشريعة كلها واذا
قلنا ان الملائكة هم مؤمنوا الجن السماوية فاذا ركب هذا مع القول بعموم الرسالة
للجن الذي قام الاجماع عليه لزم عموم الرسالة لهم لكن القول بان الملائكة من الجن قول
شاذ **والجمهور** على ان العالمين في اية الفرقان عام مخصوص بالانس والجن كما فسر بهما
حديث وارسلت الى الخلق كافة المروي في مسلم **وصرح** الحليمي والبيهقي في الباب الرابع
من شعب الايمان بانه عليه الصلاة والسلام لم يرسل الى الملائكة **وفي** الباب الخامس عشر
بانفكاكهم عن شرعه **وفي** تفسير الامام فخر الدين الرازي والبرهان النسفي حكاية الاجماع
في تفسير اية الفرقان على انه لم يكن رسولا اليهم حكاه العلامة الجلال المحلي والله اعلم
وعبارة النسفي ثم انهم قالوا هذه الاية تدل على احكام **اولها** ان قوله ليكون للعالمين
نذيرا يتناول جميع المكلفين من الجن والانس والملئكة لكنا اجمعنا على انه عليه السلام
لم يكن رسولا الى الملائكة بل يكون رسولا الى الجن والانس جميعا **وهي** عبارة الامام فخر
الدين ايضا **وقد** تعقب الجلال المحلي العلامة كمال الدين بن ابي شريف فقال اعلم ان البيهقي
نقل ذلك عن الحليمي فانه قال هذا معنى قول الحليمي **وفي** قوله هذا اشعار بالتبري من عهدته
وبتقدير الاشعار فيه فلم يصرح بانه مرضي عنده **واما الحليمي** فانه وان كان من اهل
السنة فانه وافق المعتزلة في تفضيل الملئكة على الانبياء عليهم السلام وما نقله عنه
موافق لقوله بافضلية الملئكة فلعله بناه عليه **واما** ما ذكره من حكاية الرازي والنسفي
الاجماع على انه عليه السلام لم يكن مرسلا اليهم فقد وقع في نسخ من تفسير الرازي
لكنا بينا بدل اجمعنا على ان قوله اجمعنا ليس صريحا في اجماع الامة لان مثل هذه العبارة
تستعمل لاجماع الخصمين المتناظرين بل لو صرح به لمنع فقد قال الامام السبكي في
قوله ليكون للعالمين نذيرا قال المفسرون كلهم في تفسيرها للجن والانس وقال بعضهم
وللملائكة انتهى **وبالجملة** فالاعتماد على تفسير الرازي والنسفي في حكاية الاجماع انفرادا
لحكايته امر لا ينتهض حجة على طريقة علماء النقل لانه تدارك نقل الاجماع من كلام
الائمة وحفاظ الامة كابن المنذر وابن عبد البر ومن فوقهما في الاطلاع كائمة
اصحاب المذاهب المتبوعة ومن يلحق بهما في سعة دائرة الاطلاع والحفظ والاتقان
لها من الشهرة عند علماء النقل ما يغني عن بسط الكلام فيها **واللائق** بهذه المسئلة
التوقف عن الخوض فيها على وجه يتضمن دعوى القطع في شيء من الجانبين انتهى
ومنها انه ارسل رحمة للعالمين كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين **قال**
السمرقندي يعني الجن والانس **وقيل** لجميع الخلق رحمة للمؤمن بالهداية ورحمة للمنافق
بالامان من القتل **وقال** ابن عباس رحمة للبر والفاجر لان كل نبي اذا كذب اهلك الله

قوله بالامان من القتل لعل هذا كان في صدر الاسلام
واما الآن فمتى علم انه منافق قتل حرر

من كذب به ومحمد صلى الله عليه وسلم اخر من كذب به الى الموت او القيامة واما من صدقه
فله الرحمة فى الدنيا والاخرة فذاته عليه السلام رحمة تعم المومن والكافر كما قال تعالى
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وقال عليه السلام انما انا رحمة مهداة رواه
الدارمى والبيهقى من حديث ابى هريرة وسيأتى فى المقصد السادس مزيد لذلك ان شاء
الله تعالى والله الموفق ومنها ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء باسمائهم فقال
يا ادم يا نوح يا ابرهيم يا داود يا زكريا يا يحيى يا عيسى ولم يخاطب هو فى القران الا
بيا ايها الرسول يا ايها النبى يا ايها المزمل يا ايها المدثر ومنها انه حرم على الامة نداءه
باسمه قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اى لا تجعلوا
نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء
الحجرة ولكن قولوا يا رسول الله يا نبى الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت
وقيل لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا فى جواز الاعراض والمساهلة
فى الاجابة ومنها انه يحرم الجهر له بالقول قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم
وانتم لا تشعرون قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم كان ابو بكر
لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخى السرار وروى انه صلى الله عليه وسلم
ما كان سمع كلام عمر حتى يستفهمه مما يخفض صوته وكان ثابت بن قيس فى اذنه
وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفقده
ودعاه فقال يا رسول الله انزلت عليك هذه الاية وانى رجل جهير الصوت فاخاف
ان يكون عملى قد حبط فقال عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير
وانك من اهل الجنة قال انس فكنا ننظر الى رجل من اهل الجنة يمشى بين ايدينا فلما كان يوم
يوم اليمامة فى حرب مسيلمة راى ثابت من المسلمين بعض الانكشاف والتزمت طائفة
منهم فقاتل حتى قتل ومنها انه يحرم نداؤه من وراء الحجرات قال الله تعالى ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضى حسن الادب ومراعاة الحشمة
ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم اى لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال
لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول الله صلى الله عليه وسلم الموجبين للثناء
والثواب ومنها انه حبيب الله وجمع له بين المحبة والخلة وسيأتى تحقيق ذلك وما فيه
من المباحث فى اخر المقصد السابع ان شاء الله تعالى ومنها انه تعالى اقسم على رسالته
وبحياته كما سيأتى ذلك فى المقصد السادس ان شاء الله تعالى ومنها انه كلم بجميع اصناف
الوحى كما نقل عن ابن عبد السلام وسبق تحقيقه فى المبعث من المقصد الاول ومنها

ان اسرافيل

ان اسرافيل هبط عليه ولم يهبط على نبى قبله اخرج الطبرانى من حديث ابن عمر سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقد هبط على ملك من السماء ما هبط على نبى قبلى
ولا يهبط على احد بعدى وهو اسرافيل فقال انا رسول ربك اليك امرنى ان اخيرك
ان شئت نبيا عبدا وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل فاومى الى ان تواضع فلو انى
قلت نبيا ملكا لسارت الجبال معى ذهبا ومنها انه سيد ولد ادم رواه مسلم من حديث
ابى هريرة بلفظ انا سيد ولد ادم يوم القيامة وعند الترمذى من حديث ابى سعيد
الخدرى انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وانما قال
ذلك اخبارا عما اكرمه الله تعالى به من الفضل والسودد وتحدثا بنعمة الله عنده
واعلاما للامته ليكون ايمانهم به على حسبه وموجبه ولهذا اتبعه بقوله ولا فخر
اى ان هذه الفضيلة التى نلتها كرامة من الله لم انلها من قبل نفسى ولا بلغتها بقوتى
فليس لى ان افتخر بها ومنها انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قال الله تعالى ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام من خصائصه
صلى الله عليه وسلم ان اخبره الله تعالى بالمغفرة ولم ينقل انه اخبر احدا من الانبياء بمثل
ذلك ويدل له قولهم فى الموقف نفسى نفسى وقال ابن كثير فى تفسيره هذه الاية يعنى اية
الفتح لم يشاركه فيها غيره وقد اخرج ابو يعلى والطبرانى والبيهقى عن ابن عباس قال ان الله فضل
محمدا على اهل السماء وعلى الانبياء قالوا فما فضله على اهل السماء قال ان الله تعالى
قال لاهل السماء ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وقال لمحمد صلى الله
عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
فقد كتب له براءة قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله قال وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه وقال لمحمد وما ارسلناك الا كافة للناس فارسله الى الانس والجن
ومنها انه اكرم الخلق على الله فهو افضل من كل المرسلين وجميع الملائكة المقربين وسيأتى
الجواب عن قوله عليه السلام فى حديث ابن عباس عند مسلم ما ينبغى لعبد ان يقول انا
خير من يونس بن متى ونحو ذلك فى المقصد السادس ان شاء الله تعالى ومنها
اسلام قرينه رواه مسلم من حديث ابن مسعود والبزار من حديث ابن عباس
ومنها انه لا يجوز عليه الخطأ كما ذكره ابن ابى هريرة والماوردى والحجازى فى
مختصر الروضة وقال قوم ولا النسيان حكاه النووى فى شرح مسلم ومنها
ان الميت يسئل عنه عليه الصلاة والسلام فى قبره فعن عائشة رضى الله تعالى
عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما فتنة القبر فبى يفتنون وعنى
يسئلون فاذا كان الرجل الصالح اجلس فيقال له ما هذا الرجل الذى كان فيكم

فيقول محمد رسول الله الحديث رواه احمد والبيهقى ومنها انه حرم نكاح ازواجه
من بعده قال الله تعالى وازواجه امهاتهم اى هن فى المحرمة كالامهات اى حرم
نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن ازواج له فى الاخرة وهذا
فى غير المخيرات فمن اختارت منهن الدنيا ففى حلها للازواج طريقان احدهما طرد
الخلاف والثانى القطع بالحل واختاره الامام والغزالى والازواجه التى توفى
عنهن محرمات على غيره ابدا وفى جواز النظر وجهان اشهرهما المنع وتثبت لهن
حكم الامومة فى احترامهن وطاعتهن وتحريم نكاحهن لا فى جواز الخلوة والنفقة و
والميراث ولا يتعدى ذلك الى غيرهن فلا يقال بناتهن اخوات للمؤمنين على
الاصح وقيل انما حرمن لانه عليه الصلاة والسلام حى فى قبره ولهذا حكى الماوردى
انه لا يجب عليهن عدة الوفاة وفى الذى فارقها فى الحيوة كالمستعيذة والتى رأى
بكشحها بياضا اوجه احدها يحرمن ايضا وهو الذى نص عليه الشافعى و
صححه فى الروضة لعموم الاية وليس المراد بمن بعده بعدية الموت بل بعدية النكاح
وقيل لا والثالث وصححه امام الحرمين والرافعى فى الصغير تحريم المدخول بها فقط
لما روى ان الاشعث بن قيس نكح المستعيذة فى زمن عمر فهم عمر برجمه فاخبر انها
لم تكن مدخولا بها فكف وفى امة فارقها بعد وطئها اوجه ثالثها تحرم ان فارقها
بالموت كمارية ولا تحرم ان باعها فى الحياة انتهى ومنها ما عده ابن عبد السلام
انه يجوز ان يقسم على الله به وليس ذلك لغيره قال ابن عبد السلام وهذا ينبغى
ان يكون مقصورا على النبى صلى الله عليه وسلم لانه سيد ولد ادم وان لا يقسم
على الله بغيره من الملائكة والاولياء لانهم ليسوا فى درجته وان يكون هذا
مما خص به لعلو درجته ومرتبته انتهى ومنها انه يحرم رؤية اشخاص ازواجه
فى الازر وكذا يحرم كشف وجوههن واكفهن لشهادة اوغيرها كما صرح به القاضى
عياض وعبارته فرض الحجاب مما اختصصن به فهو فرض عليهن بلا خلاف فى
الوجه والكفين فلا يجوز لهن كشف ذلك فى شهادة ولا غيرها ولا اظهار
شخوصهن وان كن مستترات الا ما دعت اليه ضرورة من براز ثم استدل
بما فى الموطأ ان حفصة لما توفى عمر رضى الله عنه سترها النساء عن ان يرى
شخصها وان زينب بنت جحش جعلت لها القبة فوق نعشها الستر شخصها
انتهى قال الحافظ ابن حجر وليس فيما ذكره دليل على ما ادعاه من فرض ذلك عليهن
فقد كن بعد النبى صلى الله عليه وسلم يحججن ويطفن وكان الصحابة ومن بعدهم
يسمعون منهن الحديث وهن مستترات الابدان لا الاشخاص انتهى واما حكم

نظر

نظر غير ازواجه عليه السلام ففى الروضة واصلها عن الاكثرين جواز النظر الى
وجه حرة كبيرة اجنبية وكفيها اذا لم يخف فتنة مع الكراهة وقوة كلام الشيخين
الرافعى والنووى تقتضى رجحانه وصوبه فى المهمات لتصريح الرافعى فى الشرح بان
الاكثرين عليه لكن نقل ابن العراقى ان شيخه البلقينى قال الترجيح بقوة المدرك
والفتوى على ما فى المنهاج وقد جزم به فى التدريب وقوة كلام الصغير تقتضى
ترجيحه وعلله باتفاق المسلمين على منع النساء من الخروج سافرات ونقلا فى
الروضة واصلها هذا الاتفاق واقراه وعورض بنقل القاضى عياض عن العلماء
مطلقا انه لا يجب على المرأة ستر وجهها فى الطريق وانما هو سنة وعلى الرجال غض
البصر وحكاه عنه النووى فى شرح مسلم واقره قال الشيخ نجم الدين ابن القاضى
عجلون فى تصحيح المنهاج والله اعلم وكان النكاح فى حقه عليه الصلاة والسلام
عبادة مطلقا كما قاله السبكى وهو فى حق غيره ليس بعبادة عندنا بل من المباحات
والعبادة عارضة له ومنها ان بنات اولاده ينسبون اليه قال عليه الصلاة
والسلام فى الحسن ان ابنى هذا سيد رواه ابو يعلى ومنها ان كل سبب ونسب
منقطع يوم القيمة الا سببى ونسبى والنسب بالولادة والسبب بالزواج
معناه ان امته ينتفعون بالنسبة اليه يوم القيمة بخلاف امة غيره ومنها انه
لا يتزوج على بناته فعن المسور بن مخرمة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
على المنبر يقول ان بنى هشام بن المغيرة استأذنونى فى ان ينكحوا ابنتهم على على بن
ابى طالب فلا اذن ثم لا اذن ثم لا اذن لهم الا ان يحب ابن ابى طالب ان يطلق ابنتى
وينكح ابنتهم فانما ابنتى بضعة منى يريبنى ما رابها ويؤذينى ما اذاها اخرجه
الشيخان وصححه الترمذى وعنه ان على بن ابى طالب خطب بنت ابى جهل
وعنده فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم فلما سمعت بذلك فاطمة اتت
النبى صلى الله عليه وسلم فقالت ان قومك يتحدثون انك لا تغضب لبناتك
وهذا على ناكح ابنة ابى جهل قال المسور فقام النبى صلى الله عليه وسلم فسمعته
حين تشهد قال اما بعد فانى انكحت ابا العاص بن الربيع فحدثنى فصدقنى وان فاطمة
بنت محمد بضعة منى وانما اكره ان يفتنوها وانه والله لا يجتمع بنت رسول الله
وبنت عدو الله عند رجل واحد ابدا قال فترك على الخطبة اخرجه الشيخان
واسم بنت ابى جهل هذه جويرية اسلمت وبايعت وتزوجها عتاب بن اسيد
ثم ابان بن سعيد بن العاص قال ابو داود حرم الله تعالى على على ان ينكح على فاطمة
فى حياتها لقوله تعالى وما اتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا

وهى لغة قليلة لان اسفر افصح سفر

وهو اسم جبل عليه قرية سميت باسمه

وفى بعض النسخ ان بنى هاشم والصواب هشام

قوله بضعة بفتح الباء اى قطعة مطلقا صغيرة او كبيرة
قوله الا ان يحب هنا استثناء منقطع اى لكن قوله
قوله ويؤذينى عطف تفسير على ما قبلها
وعنده انه خطب بنت ابى جهل وهذه الرواية
تثبت الرواية قبلها

وهو الذى ولاه صلى الله عليه وسلم اميرا
على مكة يوم الفتح وسنه ثمانية عشر سنة

وذكر ابو على السنجى فى شرح التلخيص انه يحرم التزوج على بنات النبى صلى الله عليه
وسلم ويحتمل ان يكون ذلك خاصا بفاطمة رضى الله عنها وقد علل عليه السلام
بان ذلك يوذيه واذيته عليه الصلاة والسلام حرام بالاتفاق وفى هذا تحريم
اذى من يتأذى النبى صلى الله عليه وسلم بتأذيه لان ايذاء النبى صلى الله عليه
وسلم حرام اتفاقا قليله وكثيره وقد جزم عليه الصلاة والسلام بانه يوذيه
ما اذى فاطمة فكل من وقع منه فى حق فاطمة شئ فتأذت به فهو يوذى النبى
صلى الله عليه وسلم بشهادة هذا الخبر الصحيح وقد استشكل اختصاص فاطمة بذلك
مع ان الغيرة على النبى صلى الله عليه وسلم اقرب الى خشية الافتتان فى الدين ومع
ذلك فكان النبى صلى الله عليه وسلم يستكثر من الزوجات وتوجد منهن الغيرة
ومع ذلك ما راعى النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فى حقهن كما راعاه فى حق
فاطمة واجيب بان فاطمة كانت اذ ذاك فاقدة من تركن اليه ممن يونسها و
يزيل وحشتها من ام او اخت بخلاف امهات المؤمنين فان كل واحدة منهن كانت
ترجع الى من يحصل لها معه ذلك وزيادة عليه وهو زوجهن صلى الله عليه
وسلم لما كان عنده من الملاطفة وتطييب القلوب وجبر الخواطر بحيث ان
كل واحدة منهن ترضى منه لحسن خلقه وجميل خلقه بجميع ما يظهر منه بحيث
لو وجد ما يخشى وجوده من الغيرة لزال عن قريب ومنها ان لا يجتهد فى محراب
صلى اليه يمنة ولا يسرة وافتى شيخ الاسلام ابو زرعة بن العراقى فى شخص امتنع
من الصلاة الى محراب النبى صلى الله عليه وسلم وقال انا اجتهد واصلى بانه انفعل
ذلك مع الاعتراف بانه على ما كان عليه فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فهو ردة
وان ذكر تأويلا بان قال ليس هو الان على ما كان عليه فى زمنه عليه السلام بل غير
عن ما كان عليه فهذا سبب اجتهادى لم يحكم بردته وان لم يكن هذا التأويل
صحيحا ومنها ان من رآه فى المنام فقد رآه حقا فان الشيطان لا يتمثل به وفى رواية
مسلم من رانى فى المنام فسيرانى فى اليقظة او لكأنما رانى فى اليقظة لا يتمثل
الشيطان بى قال الحافظ ابن حجر ووقع عند الاسماعيلى فقد رانى فى اليقظة
بدل قوله فسيرانى ومثله عند ابن ماجة وصححه الترمذى من حديث ابن مسعود وفى
رواية قتادة عند مسلم ايضا من رانى فقد راى الحق وله ايضا من حديث جابر
من رانى فى المنام فقد رانى انه لا ينبغى للشيطان ان يتمثل فى صورتى وفى رواية
من رانى فى المنام فقد رانى فانه لا ينبغى للشيطان ان يتشبه بى وفى حديث
ابى سعيد عند البخارى فان الشيطان لا يتكوننى اى لا يتكون كونى فحذف المضاف

ووصل

ووصل المضاف اليه بالفعل وفى حديث ابى قتادة عند البخارى لا يترائى بى بالراء
بوزن يتعاطى ومعناه لا يستطيع ان يتمثل بى يعنى ان الله تعالى وان امكنه من
التصور فى اى صورة اراد فانه لم يمكنه من التصور فى صورة النبى صلى الله عليه
وسلم وقد ذهب الى هذا جماعة فقالوا فى الحديث ان محل ذلك اذا راه الرائى
على صورته التى كان عليها ومنهم من ضيق الفرع فى ذلك حتى قال لا بد ان يراه على
صورته التى قبض عليها حتى يعتبر عدد الشعرات البيض التى لم تبلغ عشرين شعرة
وعن حماد بن زيد قال كان محمد يعنى ابن سيرين اذا قص عليه رجل انه راى النبى
صلى الله عليه وسلم قال صف الذى رايته فان وصف له صفة لا يعرفها قال
لم تره وسنده صحيح وقد اخرج الحاكم من طريق عاصم بن كليب حدثنى ابى قال
قلت لابن عباس رايت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام قال صفه لى قال فذكرت
الحسن بن على فشبهته به قال قد رايته وسنده جيد لكن يعارضه ما اخرجه
ابن ابى عاصم من وجه اخر عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من رانى فى المنام فقد رانى فانى ارى فى كل صورة وفى سنده ابن التوأمة
وهو ضعيف لاختلاطه وهو من رواية من سمع منه بعد الاختلاط قال
القاضى ابو بكر بن العربى رؤيته صلى الله عليه وسلم بصفته المعلومة ادراك على
الحقيقة ورؤيته على غير صفته ادراك للمثال فان الصواب ان الانبياء لا تغيرهم
الارض ويكون ادراك الذات الكريمة حقيقة وادراك الصفات ادراك
المثال قال وقد شذ بعض القدرية فقال الرؤية لا حقيقة لها اصلا قال وقوله
فسيرانى معناه فسيرى تفسير ما راى لانه حق وغيب واما قوله فكانما رانى
فهو تشبيه ومعناه لو رانى فى اليقظة لطابق ما راه فى المنام فيكون الاول حقا و
حقيقة والثانى حقا وتمثيلا قال وهذا كله اذا راه على صورته المعروفة فان
راه على خلاف صفته فهى امثال فان راه مقبلا عليه مثلا فهو خير للرائى وعلى العكس
فبالعكس وقال القاضى عياض يحتمل ان يكون المراد بقوله فقد رانى او فقد راى
الحق ان من قد راه على صورته المعروفة فى حياته كانت رؤياه حقا ومن راه على غير
صورته كانت رؤيا تأويل انتهى وتعقبه النووى فقال هذا ضعيف بل الصحيح
انه يراه حقيقة سواء كانت على صفته المعروفة او غيرها انتهى وتعقبه شيخ
الاسلام الحافظ ابن حجر فقال لم يظهر لى من كلام القاضى عياض ما ينافى ذلك بل
ظاهر كلامه انه يراه حقيقة فى الحالين لكن فى الاولى لا تكون الرؤيا مما لا تحتاج الى
تعبير وفى الثانية مما تحتاج الى التعبير وقال بعضهم معناه ان من راه على صورته

التي كان عليها ويلزم من قول من قال انه لا تكون رؤيته الا على صورته المعلومة انه من رآه على غير صفته ان تكون رؤياه من اضغاث الأحلام ومن المعلوم انه يرى في النوم على حالة بخلاف غير حالته في الدنيا من الاحوال اللائقة ولو تمكن الشيطان من التمثيل بشيء مما كان عليه او ينسب اليه لعارض عموم قوله فان الشيطان لا يتمثل بي فالاولى ان ننزه رؤياه وكذا رؤيا شيء منه او مما ينسب اليه عن ذلك فانه ابلغ في الحرمة واليق بالعصمة كما عصم من الشيطان في يقظته فالصحيح في تأويل هذا الحديث ان مقصوده ان رؤيته في كل حالة ليست باطلة ولا اضغاثا بل هي حق في نفسها ولو رئي على غير صورته فتصور تلك الصورة ليس من الشيطان بل هو من قبل الله وهذا قول القاضي ابي بكر بن الطيب وغيره ويؤيده قوله فقد رأى الحق اشار اليه القرطبي **وقال ابن بطال** قوله فسيراني في اليقظة يريد تصديق تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها وخروجها على الحق وليس المراد انه يراه في الآخرة لانه سيراه يوم القيمة في اليقظة جميع امته من رآه في النوم ومن لم يره **وقال المازري** ان كان المحفوظ فكانما رآني في اليقظة فمعناه ظاهر وان كان المحفوظ فسيراني في اليقظة احتمل ان يكون اراد اهل عصره ممن لم يهاجر اليه فانه اذا رآه في المنام جعل ذلك علامة على انه يراه بعد ذلك في اليقظة واوحى الله بذلك اليه صلى الله عليه وسلم **وقيل** معناه سيرى تأويل تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها **واجاب** القاضي عياض باحتمال ان تكون رؤياه له في النوم على الصفة التي عرف بها ووصف عليها موجبة لتكرمته في الآخرة وان يراه رؤية خاصة من القرب منه او الشفاعة له بعلو الدرجة ونحو ذلك من الخصوصيات **قال** ولا يبعد ان يعاقب الله بعض المذنبين في القيمة بمنع رؤية نبيه صلى الله عليه وسلم مدة **وحمله** ابن ابي جمرة على محمل آخر فذكر عن ابن عباس او غيره انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فبقي بعد ان استيقظ متفكرا في هذا الحديث فدخل على بعض امهات المؤمنين لعلها خالته ميمونة فاخرجت له المرآة التي كانت للنبي صلى الله عليه وسلم فنظر فيها صورة النبي صلى الله عليه وسلم ولم ير صورة نفسه **وقال** الغزالي ليس معنى قوله فقد رآني انه رأى جسمي وبدني وانما المراد انه رأى مثالا صار ذلك المثال آلة يتأدى بها المعنى الذي في نفسي اليه وكذلك قوله فسيراني في اليقظة ليس المراد انه يرى جسمي وبدني **قال** والآلة تارة تكون حقيقية وتارة تكون خيالية والنفس غير المثال المتخيل فما رآه

من الشكل

من الشكل ليس هو روح المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا شخصه بل هو مثال له على التحقيق **قال** ومثل ذلك من يرى الله تعالى في المنام فان ذاته تعالى منزهة عن الشكل والصورة ولكن تنتهي تعريفاته تعالى الى العبد بواسطة مثال محسوس من نور او غيره ويكون ذلك المثال آلة حقا في كونه واسطة في التعريف فيقول الرائي رأيت الله تعالى في المنام لا يعني اني رأيت ذات الله تعالى كما يقول في حق غيره **وقال الغزالي** ايضا في بعض فتاويه من رأى الرسول يعني في المنام لم ير حقيقة شخصه المودع روضة المدينة وانما رأى مثاله لا شخصه **ثم قال** وذلك المثال مثال روحه المقدسة عن الصورة والشكل **وقال الطيبي** المعنى من رآني في المنام باي صفة كنت فليبشر وليعلم انه قد رأى الرؤيا الحق اي رؤية الحق لا الباطل وكذا قوله فقد رأى فالشرط والجزاء اذا اتحدا دل على الغاية في الكمال اي فقد رأى رؤيا ليس بعدها شيء **والحاصل** من الاجوبة انه على التشبيه والتمثيل ويدل عليه قوله فكانما رآني في اليقظة **ثانيها** سيرى في اليقظة تأويلها بطريق الحقيقة **ثالثها** انه خاص باهل عصره ممن آمن به قبل ان يراه **رابعها** المراد انه يراه في المرآة التي كانت له ان امكنه ذلك **قال شيخ** مشايخنا الحافظ ابن حجر وهذا من ابعد المحامل **خامسها** انه يراه يوم القيمة بمزيد خصوصية لا مطلق من رآه حينئذ ممن لم يره في المنام **والصواب** كما قدمنا في رؤيته عليه السلام التعميم على اي حالة رآه الرائي بشرط ان يكون على صورته الحقيقية في وقت ما سواء كان في شبابه او رجوليته او كهوليته او آخر عمره وقد يكون لما خالف ذلك تعبير يتعلق بالرائي كما قال بعض علماء التعبير ان من رآه شيخا فهو غاية سلم ومن رآه شابا فهو غاية حرب **وقال ابو سعيد** احمد بن محمد بن نصر من رأى نبيا على حاله وهيئته فذلك دليل على صلاح الرائي وكمال جاهه وظفره بمن عاداه ومن رآه متغير الحال عابسا مثلا فذلك دليل على سوء حال الرائي **وقال العارف** ابن ابي جمرة من رآه في صورة حسنة فذاك حسن في دين الرائي وان كان في جارحة من جوارحه شين او نقص فذلك خلل في الرائي من جهة الدين قال وهذا هو الحق وقد جرب ذلك فوجد على هذا الاسلوب وبه تحصل الفائدة الكبرى في رؤياه حتى يتبين للرائي هل عنده خلل اولا لانه عليه السلام نوراني مثل المرآة الصقيلة ما كان في الناظر اليها من حسن او غيره تصور فيها وهي في ذاتها على احسن حال لا نقص فيها **وكذلك** يقال في كلامه عليه السلام في النوم انه يعرض على سنته فما وافقها فهو حق وما خالفها فالخلل في سمع الرائي فرؤيا الذات

الكرامة حق والخلل انما هو فى سمع الرائى او بصره قال وهذا خير ما سمعته فى ذلك
انتهى وقال بعضهم ليست رؤيته عليه السلام رؤيا عين انما هى رؤيا بصائر
وذلك لا يستدعى حضر المرائى بل يرى من المشرق الى المغرب ومن الارض الى العرش فهى
كما ترى الصورة فى المرآة المحاذية لها وليست الصور منتقلة الى جرم المرآة وعين
الناظر مقابلة جميع الكائنات كالمرآة واختلاف رؤيته صلى الله عليه وسلم
بان يراه بعضهم شيخا واخر شابا واخر ضاحكا واخر باكيا ترجع الى الرائين
كاختلاف الصورة الواحدة فى مرائى مختلفة الاشكال والمقادير ففى الكبيرة يرى
وجهه كبيرا وفى الصغيرة صغيرا وفى المعوجة معوجا وفى الطويلة طويلا الى غير
ذلك فالاختلاف راجع الى اختلاف اشكال المرائى لا الى وجه الرائى كذلك الراؤون
له عليه السلام احوالهم بالنسبة اليه مختلفة فمن راه متبسما اليه دل على ان
الرائى متمسك بسنته والله اعلم وقد اجاب الشيخ بدر الدين الزركشى عن سؤال الرؤية
جماعة له صلى الله عليه وسلم فى آن واحد من اقطار متباعدة مع ان رؤيته صلى الله
عليه وسلم حق بانه صلى الله عليه وسلم سراج ونور الشمس فى هذا العالم مثال نوره
فى العوالم كلها وكما ان الشمس يراها كل من فى المشرق والمغرب فى ساعة واحدة وبصفات
مختلفة فكذلك النبى صلى الله عليه وسلم ولله در القائل

كالبدر من اى النواحى جئته	يهدى الى عينيك نورا ثاقبا

وامارؤيته صلى الله عليه وسلم فى اليقظة بعد موته فقال شيخنا
لم يصل الينا ذلك عن احد من الصحابة ولا عن من بعدهم وقد اشتد حزن فاطمة عليه
صلى الله عليه وسلم حتى ماتت كمدا بعده بستة اشهر على الصحيح وبيتها مجاور
لضريحه الشريف ولم ينقل عنها رؤيته فى المدة التى تاخرتها عنه وانما حكى عن
بعض الصالحين حكايات عن انفسهم كما هو فى توثيق عرى الايمان للبارزى
وبهجة النفوس لابى عبد الله بن ابى جمرة وروض الرياحين للعفيف اليافعى وغيره
من تصانيفه والشيخ صفى الدين بن ابى المنصور فى رسالته وعبارة ابن ابى جمرة
قد ذكر عن السلف والخلف الى هلم جرا عن جماعة كانوا يصدقون بهذا الحديث
يعنى من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة انهم راوه صلى الله عليه وسلم فى النوم
فراوه بعد ذلك فى اليقظة وسالوه عن اشياء كانوا منها متشوشين فاخبرهم
بتفريجها ونص لهم على الوجوه التى يكون منها فرجها فجاء الامر كذلك بلا زيادة
ولا نقص ثم قال والمنكر لهذا لا يخلو اما ان يكون ممن يصدق بكرامات الاولياء
اولا فان كان الثانى فقد سقط البحث معه فانه يكذب ما اثبتته السنة بالدلائل

الواضحة وان كان الاول فهذه منها لان الاولياء يكشف لهم بخرق العادة عن
اشياء فى العالمين العلوى والسفلى عديدة مع التصديق بذلك وقال ابن ابى المنصور
فى رسالته ان الشيخ ابا العباس بن القسطلانى دخل مرة على النبى صلى الله عليه
وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اخذ الله بيدك يا احمد وعن الشيخ ابى السعود
قال كنت ازور شيخك ابا العباس وغيره من صلحاء مصر فلما انقطعت واشتغلت
وفتح على لم يكن لى شيخ الا النبى صلى الله عليه وسلم وانه كان يصافحه عقب كل
صلاة وقال الشيخ ابو العباس الجزار دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم مرة
فوجدته يكتب مناشير الاولياء بالولاية قال وكتب لاخى محمد معهم منشورا
فقلت يا رسول الله فما تكتب لى كاخى فقال اتريد ان تكون قمهارا وهذه لغة
اخذ لسية يعنى طرقيا وفهم عنه ان له مقاما غير هذا وقال حجة الاسلام الغزالى
فى كتاب المنقذ من الضلال وهم يعنى ارباب القلوب فى يقظتهم يشاهدون الملئكة
وارواح الانبياء ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوائد انتهى ورأيت
فى كتاب المنح الالهية فى مناقب السادة الوفائية عن سيدى على بن سيدى محمد
وفا انه قال فى بعض مشاهده كنت وانا ابن خمس سنين اقرأ القرآن على رجل يقال
له الشيخ يعقوب فاتيته يوما فرأيت انسانا يقرأ عليه سورة الضحى وصحبته
رفيق له وهو يلوى شدقيه بالامالة ورفيقه يضحك اعجابا فرأيت النبى صلى الله
عليه وسلم يقظة لا مناما وعليه قميص ابيض قطن ثم رأيت القميص على فقال لى
اقرأ فقرأت عليه سورة الضحى والم نشرح ثم غاب عنى فلما بلغت احدى وعشرين
سنة احرمت لصلاة الصبح بالقرافة فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم قبالة وجهى
فعانقنى فقال لى واما بنعمة ربك فحدث فاوتيت لسانه من ذلك الوقت انتهى
قال شيخنا واما ما حكاه الشيخ تاج الدين بن عطاء الله فى لطائف المنن عن الشيخ
ابى العباس المرسى انه كان مع الشيخ ابى الحسن الشاذلى بالقيروان فى ليلة الجمعة سابع
عشرين رمضان فذهب معه الى الجامع الحكاية الى ان قال ورأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا على طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله فى
كل نفس الى اخره فيحتمل ان يكون مناما وكذا قول الشيخ قطب الدين القسطلانى كنت
اقرأ على ابى عبد الله محمد بن عمر بن يوسف القرطبى بالمدينة النبوية فجئته يوما
فى وقت خلوة وانا يومئذ حديث السن فخرج الى وقال من ادبك بهذا الادب وغاب
على فذهبت وانا منكسر الخاطر فدخلت المسجد وقعدت عند قبر النبى صلى الله عليه
وسلم فبينا انا جالس على تلك الحال واذا بالشيخ قد جاءنى وقال قم فقد جاء فيك شفيع

لا يرد **ونحوه** ما حكاه السهروردي في عوارف المعارف عن الشيخ عبد القادر
الكيلاني انه قال لي ما تزوجت حتى قال لي النبي صلى الله عليه وسلم تزوج **وحكي** عن
السيد نور الدين الايجي والد السيد صفي الدين والسيد عفيف الدين انه في بعض
زياراته للنبي صلى الله عليه وسلم سمع جواب سلامه من داخل القبر الشريف عليك
السلام يا ولدي **وقال البدر** حسن بن الاهدل في مسئلة الرؤية له ان وقوعها
للاولياء قد تواترت بأجناسها الاخبار وصار العلم بذلك قويا انتفى عنه الشك
وما تواترت عليه اخبارهم لم يبق له شبهة فيه ولكن يقع لهم ذلك في بعض غيبة حس
وغموض طرف لورود حال لا تكاد تضبطها العبارة ومراتبهم في الرؤية متفاوتة
وكثيرا ما يغلط فيها رواتها فقلما تجد رواية متصلة صحيحة عمن يوثق به **واما**
من لا يوثق به فقد يكذب وقد يرى مناما او في غيبة حس فيظنه يقظة وقد يرى
خيالا ونورا فيظنه الرسول وقد يلبس عليه الشيطان فيجب التحرز في هذا الباب
وبالجملة فالقول برؤيته صلى الله عليه وسلم بعد موته بعين الرأس يقظة يدرك
فساده بأوائل العقول لاستلزامه خروجه عليه السلام من قبره ومشيه في
الاسواق ومخاطبته الناس ومخاطبتهم له وخلو قبره عن جسده المقدس فلا يبقى
منه فيه شيء بحيث يزار مجرد القبر ويسلم على غائب اشار الى ذلك القرطبي في
الرد على القائل بان الرائي له في المنام رأى حقيقته ثم يراه كذلك في اليقظة **قال**
وهذه جهالات لا يقول بشيء منها من له ادنى مسكة من المعقول وملتزم شيء من
ذلك مختل مخبول **وقال القاضي** ابو بكر بن العربي وشذ بعض الصالحين فزعم انها تقع
بعيني الرأس حقيقة وقال في فتح الباري بعد ان ذكر كلام ابن ابي جمرة وهذا مشكل جدا
ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة ولامكن بقاء الصحبة الى يوم
القيامة انتهى ولكشيخ مسلم شيخ الطائفة المسلمية

فمن يدعي في هذه الدار انه ... يرى المصطفى حقا فقد فاه مشتطا
ولكن بين النوم واليقظة التي ... تيا سر هذا الامر مرتبة وسطا

وقد جعل القاضي ابو بكر بن العربي القول بان الرؤية في المنام بعيني الرأس غلو وحماقة
ثم حكى ما نسب لبعض المتكلمين وهو القول بانها مدركة بعينين في القلب وانه
ضرب من المجاز انتهى فلا يمتنع من الخواص ارباب القلوب القائمين بالمراقبة والتوجه
على قدم الخوف بحيث لا يشكون لشيء مما يقع لهم من الكرامات فضلا عن التحدث
بها للغير ضرورة مع السعي في التخلص من الكدورات والاعراض عن الدنيا واهلها
جملة وكون الواحد منهم يود انه يخرج من اهله وماله وان يرى النبي صلى الله عليه

وسلم

قوله لاستلزامه المحال لا يلزم عليه محذور شرعي
بل ولا عقلي وجميع ما يأتي بعد ذلك هو مبني على ما جعله
لازما وهو مردود **قوله** فلا يبقى منه شيء ممنوع
لان ذاته وشعاع نوره باق **قوله** وهذه جهالات
ليس الامر كما قال **قوله** لكان هؤلاء صحابة الخ
قلنا تعريف بعضهم الصحبة يمنعه لانه قال من لقي
النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته

وسلم كالشيخ عبد القادر الكيلاني ان يتمثل صورته صلى الله عليه وسلم يتمثل في
خاطره ويتصور في عالم سره انه يكلمه بشرط استقرار ذلك وعدم اضطرابه
فان تزلزل او اضطرب كان لمة من الشيطان وليس ذلك خادشا في علو مناصبهم
لعدم عصمة غير الانبياء فقد قال العلامة ابن السبكي في جمع الجوامع تبعا لغيره وان
الالهام ليس بحجة لعدم الثقة بمن ليس معصوما بخواطره وحينئذ فمن قال ممن
حكينا عنه او غيرهم بان المرئي هو المثال لا يمتنع حمله على هذا بل حمل كل من اطلق
عليه هو اللائق **وقريب** منه قوله صلى الله عليه وسلم اني رأيت الجنة والنار
مع جزمنا استبعاده هناك ان يكون المراد بالرؤية رؤية العلم **ويحكى** عن الشيخ ابي
العباس المرسي انه قال لو حجب عني سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت
نفسي من المسلمين وعلى هذا فيكون معنى قسيراني في اليقظة ان يتصور مشاهدتي
وينزل نفسه حاضرا معي بحيث لا يخرج عن آدابه وسنته صلى الله عليه وسلم
بل يسلك منهاجه ويمشي على شريعته وطريقته **ومنه** قوله عليه السلام
في الاحسان ان تعبد الله كانك تراه **ويحمل** العموم فيمن رأى على الموفقين واليه
يشير قول بعض المعتمدين اي من رأى رؤية معظم لحرمتي ومشتاق لمشاهدتي
وصل الى رؤية محبوبه وظفر بكل مطلوبه **وقريب** منه قول شارح المصابيح او
يراه حالة الذوق والانسلاخ عن العوائق الجسمانية كما نقل ذلك عن بعض
الصالحين انه رآه في حالة الذوق والشوق **وقد قال** عقب الحكاية عن
الشيخ ابي العباس المرسي وهذا فيه تجوز يقع في كلام الشيوخ وذلك ان المراد انه
لم يحجب حجاب غفلة ونسيان لدوام المراقبة واستحضارها في الاعمال ولم يرد
انه لم يحجب عن الروح الشخصية طرفة عين فذلك مستحيل والله اعلم انتهى
ومما اختص به عليه الصلاة والسلام ان التسمي باسمه ميمون ونافع في الدنيا
والاخرة **روينا** عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوقف
عبدان بين يدي الله تعالى فيؤمر بهما الى الجنة فيقولان ربنا بما استأهلنا الجنة
ولم نعمل عملا يجازينا به الجنة فيقول الله تعالى ادخلا الجنة فاني آليت على نفسي
ان لا يدخل النار من اسمه احمد ولا محمد **وروى** ابو نعيم عن نبيط بن شريط قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا عذبت
احدا تسمى باسمك في النار **وعن** علي بن ابي طالب قال ما من مائدة وضعت فحضر
عليها من اسمه احمد او محمد الا قدس الله ذلك المنزل كل يوم مرتين رواه ابو منصور
الديلمي وليس لاحد ان يكتني بكنية ابي القاسم سواء كان اسمه محمدا ام لا **ومنهم**

بل المراد انه رأى الجنة والنار حقيقة حتى انه في بعض
الروايات حتى انه اراد ان اخذ قطفا من عنب و
لو اخذه لاكلهم منه ما بقيت الدنيا **قوله**
لطرفة عين هو على ظاهره بالنسبة لمقام هذا العارف

والكاملان كلاهما ممن تقدم من الائمة الاعلام والسادة
الصوفية والفقهاء فالعجب حاله ومقامه و
قربه من النبي صلى الله عليه وسلم الخ المنكر قال
ذلك بحسب حاله وانه لم يقع له ذلك هكذا قرره شيخنا

من كره الجمع وجوز الأفراد وليشبه ان يكون هو الأصح قال النووي في هذه المسئلة مذاهب الشافعي منع مطلقا وجوزه مالك والثالث جوز لمن ليس اسمه محمدا ومن جوز مطلقا خص النهي بحياته صلى الله عليه وسلم وهو الأقرب انتهى ومنها انه يستحب الغسل لقراءة حديثه والتطيب ولا ترفع عنده الأصوات بل تخفض كما في حياته اذا تكلم فأن كلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه الشريف وأن يقرأ على مكان مرتفع روينا عن مطرف قال كان الناس اذا أتوا مالكا رحمه الله خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث ام المسائل فأن قالوا المسائل خرج اليهم في الوقت وان قالوا الحديث دخل مغتسله فاغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا وتعمم ولبس ساجه والساج الطيلسان وتلقى له منصة فيخرج ويجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث قال ابن ابي اويس فقيل له في ذلك فقال أحب ان اعظم حديث رسول الله عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة متمكنا ويقال انه اخذ ذلك عن سعيد بن المسيب وقد كره قتادة ومالك وجماعة التحديث على غير طهارة حتى كان الاعمش اذا كان على غيرها تيمم ولا شك ان حرمته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وتوقيره بعد مماته عند ذكره وذكر حديثه وسماع اسمه وسيرته كما كان في حياته والله أعلم ومنها انه يكره لقارئ الحديث ان يقوم لأحد قال ابن الحاج في المدخل لانه قلة أدب مع النبي صلى الله عليه وسلم وللقرآن اولى وقلة احترام وعدم مبالاة ان يقطع حديثه لاجل غيره فكيف لبدعة وقد كان السلف لا يقطعون تحديثه ولا يتحركون وان اصابهم الضرر في ابدانهم ويتحملون المشقة التي تنزل بهم اذ ذاك احتراما لحديث نبيهم صلى الله عليه وسلم وحسبك ما وقع لمالك رحمه الله في لسع العقرب له سبع عشرة مرة وهو لم يتحرك وتحمله للسعها توقيرا لجناب حديثه عليه السلام ان يكون يقرأ وهو يتحرك لضرر اصابه مع انه معذور فيما وقع به فكيف بالحركة والقيام اذ ذاك لا لضرورة بل للبدعة سيما اذا انضاف الى ذلك ما لا ينبغي من الكلام المعتاد انتهى ملخصا ومنها انه تثبت الصحبة لمن اجتمع به صلى الله عليه وسلم لحظة بخلاف التابعي مع الصحابي فلا تثبت الا بطول الاجتماع معه على الأصح عند اهل الأصول والفرق عظم منصب النبوة ونورها فبمجرد ما يقع بصره على الاعرابي الجلف ينطق

بالحكمة

بالحكمة ومنها ان اصحابه كلهم عدول لظواهر الكتاب والسنة فلا يبحث عن عدالة احد منهم كما يبحث عن سائر الرواة قال تعالى خطابا للموجودين حينئذ وكذلك جعلناكم امة وسطا اى عدولا وقال عليه السلام لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو انفق احدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال عليه السلام خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم في آيات كثيرة وأحاديث تقتضي القول بتعديلهم وكذلك اجمع من يعتد به على ذلك سواء في التعديل من لابس الفتنة منهم وغيره لوجوب حسن الظن بهم حملا للابس على الاجتهاد ونظرا الى ما تمهد لهم من المآثر من امتثال امره عليه السلام وفتحهم الأقاليم وتبليغهم عنه الكتاب والسنة وهدايتهم الناس مع مواظبتهم على الصلوات والزكوات وانواع القربات مع الشجاعة والبراعة والكرم والاخلاق الحميدة التي لم تكن في امة من الأمم المتقدمة ولا يكون لاحد بعدهم مثلهم في ذلك كل ذلك بحلول نظره عليه الصلاة والسلام وأفضلهم عند اهل السنة اجماعا ابو بكر ثم عمر واما بعدهما فالجمهور على انه عثمان ثم علي وسيأتي مزيد لذلك ان شاء الله تعالى في المقصد السابع ومنها ان المصلي يخاطبه بقوله السلام عليك ايها النبي ولا يخاطب غيره ومنها انه كان يجب على من دعاه وهو في الصلاة ان يجيبه ويشهد له حديث سعيد بن المعلى كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه وفيه الحديث الم يقل الله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فاجابته فرض يعصي المرء بتركها وهل تبطل الصلاة اما صرح جماعة من اصحابنا الشافعية وغيرهم انها لا تبطل وفيه بحث لاحتمال ان تكون اجابته واجبة مطلقا سواء كان المخاطب مصليا او غير مصل اما كونه يخرج بالاجابة من الصلاة او لا يخرج فليس في الحديث ما يستلزمه فيحتمل ان تجب الاجابة ولو خرج المجيب من الصلاة والى ذلك جنح بعض الشافعية والله أعلم ومنها ان الكذب عليه ليس كالكذب على غيره ومن كذب عليه لم تقبل روايته ابدا وان تاب فيما ذكره جماعة من المحدثين وقال عبد الرزاق انبأنا عمر عن رجل عن سعيد بن جبير ان رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير فقال اذهبا فان ادركتماه فاقتلاه ولهذا حكى امام الحرمين عن ابيه ان من تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يكفر لكن لم يوافقه احد من الائمة على ذلك والحق انه فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة ولكن لا يكفر بها الا ان استحله وقال النووي لم ار له اى للقول في اصل المسئلة دليلا ويجوز ان يوجه بأن ذلك

جعل تغليظا وزجرا بليغا عن الكذب عليه صلى الله عليه وسلم لعظم مفسدته
فانه يصير شرعا مستمرا الى يوم القيمة بخلاف الكذب على غيره والشهادة فان
مفسدتهما قاصرة ليست عامة وهذا الذى ذكره هؤلاء الائمة ضعيف
مخالف لقواعد الشريعة والمختار القطع بصحة توبته بشروطها المعروفة
قال فهذا هو الجارى على قواعد الشرع وقد اجمعوا على صحة رواية من كان كافرا
فاسلم قال واجمعوا على قبول شهادته ولا فرق بين الشهادة والرواية فى هذا
قال شيخنا ويمكن ان يقال فيما اذا كان كذبه فى وضع حديث وحمل عنه ودون
ان الاثم غير منفك عنه بل هو لاحق له ابدا فان من سن سنة سيئة عليه
وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة والتوبة حينئذ متعذرة ظاهرا وان
وجد مجرد اسمها ومنها انه معصوم من الذنوب كبيرها وصغيرها عمدها
وسهوها وكذلك الانبياء ومنها انه لا يجوز عليه الجنون لانه نقص والاغماء
الطويل والزمن فيما ذكره الشيخ ابو حامد فى تعليقه وجزم به البلقينى فى حواشى
الروضة وكذلك الانبياء ونبه السبكى على ان اغماءهم يخالف اغماء غيرهم
وانما هو عن غلبة الاوجاع للحواس الظاهرة دون القلب لانه قد ورد انه
انما تنام اعينهم دون قلوبهم فاذا حفظت قلوبهم وعصمت من النوم الذى
هو اخف من الاغماء فمن الاغماء بطريق الاولى قال السبكى ولا يجوز عليهم
العمى لانه نقص ولم يعم نبى قط وما ذكر عن شعيب انه كان ضريرا فلم يثبت
واما يعقوب فحصل له غشاوة وزالت انتهى وقال الامام فخر الدين الرازى
فى قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن لما قال يا اسفى على يوسف غلبه
البكاء وعند غلبة البكاء يكثر الماء فى العين فتصير العين كانها ابيضت من
من بياض ذلك الماء فقوله ابيضت عيناه من الحزن كانه من غلبة البكاء والدليل
على صحة هذا القول ان تاثير الحزن فى غلبة البكاء لا فى حصول العمى فلما حملنا
الابيضاض على غلبة البكاء كان هذا التعليل حسنا ولو حملناه على العمى
لم يحسن هذا التعليل فكان ما ذكرناه اولى ثم قال واختلفوا فقال بعضهم
انه كان قد عمى بالكلية فالله تعالى جعله بصيرا فى ذلك الوقت وقال اخرون
بل كان قد ضعف بصره من كثرة البكاء والاحزان بحيث صار يدرك
ادراكا ضعيفا فلما القوا القميص على وجهه وبشر بحياة يوسف عظم فرحه
وانشرح صدره وزالت احزانه فعند ذلك قوى بصره وزال عنه
النقصان انتهى ومنها ان من سبه او انتقصه قتل واختلف هل يحتم

قتله

قتله فى الحال ويوقف على استتابته وهل الاستتابة واجبة ام لا فمذهب
المالكية يقتل حدا لا ردة ولا تقبل توبته ولا عذره ان ادعى سهوا او غلطا
وعبارة شيخهم العلامة خليل فى مختصره وان سب نبيا او ملكا او عرض او
لعنه او عابه او قذفه او استخف به او غير صفته او الحق به نقصا وان فى دينه
او خصلته او غض من مرتبته او وفور علمه او زهده او اضاف له ما لا يجوز
عليه او نسب له ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم او قيل له بحق رسول الله
فلعن وقال اردت العقرب قتل ولم يستتب حدا الا ان يسلم الكافر وان ظهر انه
لم يرد ذمه لجهل او سكر او تهور وهذا قد ذكره القاضى عياض فى الشفاء وغيره
واستدلوا له بالكتاب والسنة والاجماع اما الكتاب فقوله تعالى ان الذين
يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا •
واللعنة من الله هى ابعاد الملعون عن رحمته واحلاله فى وبيل عقوبته قال
القاضى عياض وانما يستوجب اللعن من هو كافر وحكم الكافر القتل والاذى
هو الشر الخفيف فاذا زاد كان ضررا كذا قاله الخطابى وغيره واطلاق الاذى
فى حقه تعالى انما هو على سبيل المجاز لتعذر الحقيقة فيه ويشهد لذلك الحديث
الالهى يا عبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى وهذا بخلاف جانب الرسول
فالاذى فى حقه تعالى وحق رسوله كفر بشهادة هذه الاية لان العذاب المهين
انما يكون للكفار وكذلك العذاب الاليم وقال تعالى ابالله واياته ورسوله كنتم
تستهزؤن • لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم قال القاضى عياض قال اهل التفسير
كفرتم بقولكم فى رسول الله واما السنة فروى ابو داود والترمذى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من لنا بابن الاشرف وفى اخرى من لكعب بن الاشرف
اى من ينتدب لقتله فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا وفى رواية فانه يؤذى
الله ورسوله قال القاضى عياض ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف
غيره من المشركين وعلل باذاه له فدل على ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وفى
حديث مصعب بن سعيد عند ابى داود لما كان يوم الفتح امن رسول الله صلى
الله عليه وسلم الناس الا اربعة نفر فذكرهم ثم قال لى واما ابن ابى سرح فاختبأ
عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة
جاء به حتى اوقفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله بايع
عبد الله فرفع راسه فنظر اليه ثلاثا كل ذلك يابى فبايعه بعد ثلاث ثم اقبل على
اصحابه فقال ما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين كففت يدى عن بيعته

فيقتله فقالوا ما ندرى يا رسول الله ما فى نفسك الا اومأت الينا قال انه
لا ينبغى لنبى ان تكون له خائنة الاعين وفيه انه امر بقتل عبد الله بن خطل لان ابن
خطل كان يقول الشعر يهجو به النبى صلى الله عليه وسلم ويأمر جاريتيه ان تغنيا
به وكذلك قتل جاريتيه قالوا فقد ثبت انه امر بقتل من اذاه ومن تنقصه والحق
له عليه السلام وهو مخير فيه فاختار القتل فى بعضهم وعفا عن بعضهم وبعد
وفاته تعذر المعرفة بالعفو فبقى الحكم على عمومه فى القتل لعدم الاطلاع على العفو
وليس لامته بعده ان يسقطوا حقه فانه لم يرد الاذن عنه فى ذلك واما الاجماع
فقال القاضى عياض اجمعت الامة على قتل متنقصه من المسلمين وسابه فقال ابن
المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبى صلى الله عليه وسلم يقتل وممن
قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعى وقال
الخطابى لا اعلم احدا من المسلمين اختلف فى وجوب قتله اذا كان مسلما وقال
محمد بن سحنون اجمع العلماء على ان شاتم النبى صلى الله عليه وسلم المنتقص له كافر
والوعيد جار عليه بعذاب الله وحكمه عند الامة القتل فمن شك فى كفره وعذابه
كفر انتهى ومذهب الشافعية ان ذلك ردة تخرج من الاسلام الى الكفر فهو مرتد
كافر قطعا لا نزاع فى ذلك عند الجمهور من ائمتنا والمرتد يستتاب فان تاب
والا قتل وفى الاستتابة قولان اصحهما وجوبها لانه كان محترما بالاسلام
وربما عرضت له شبهة فينبغى ازالتها وقيل يستحب لانه غير مضمون الدم
فان قلنا بالاول فيجب فى الحال ولم يؤجل كغيره وفى الصحيح حديث من بدل دينه
فاقتلوه وفى قول يمهل ثلاثة ايام فان لم يتب واصر رجلا كان او امرأة قتل وان
اسلم صح الاسلام وترك لقوله تعالى فان تابوا واقاموا الصلوة الاية وعن ابن
عباس قال ايما مسلم سب الله او سب احدا من الانبياء فقد كذب رسول الله
وهى ردة يستتاب فان تاب والا قتل وايما معاهد سب الله او سب احدا
من الانبياء فقد نقض العهد فاقتلوه واجيب عما تقدم من ادلة المالكية فاما
قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله الاية فليس فيه الا كفر موذيه عليه السلام
اما كونه يقتل بعد التوبة والاسلام فلا دلالة فيه اصلا واما ابن خطل فانما قتل
ولم يستتب للكفر والزيادة عليه الاذى مع ما اجتمع فيه من موجبات القتل
ولانه اتخذ الاذى ديدنا فلا يقاس عليه من فرط منه فرطة وقلنا بكفره بها
وتاب ورجع الى الاسلام فالفرق واضح وكذلك قتل جاريتيه لانهما جعلتا
ذلك ديدنا مع ما قام بهما من صفة الكفر وقد روى البزار عن ابن عباس ان عقبة

بن معيط نادى يا معشر قريش مالى اقتل من بينكم صبرا فقال له النبى صلى الله عليه
وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله فذكر له سببين فى تحتم قتله وهذا فى غاية
الظهور واما قول الخطابى وغيره لا اعلم احدا من المسلمين اختلف فى وجوب قتله
اذا كان مسلما فمحمول على التقييد بعدم التوبة واما سياق القاضى عياض لقصة
الرجل الذى كذب على النبى صلى الله عليه وسلم وانه بعث عليا والزبير ليقتلاه
فليس يفيد غرضنا فى هذا المقام لان الظاهر ان هذا كذب فيه افساد وفتنة بين
المسلمين لا سيما ان كان كافرا فيكون من محاربى الله ورسوله مع السعى فى الارض
بالفساد فيكون متحتم القتل والا فليس مطلق الكذب عليه مما يوجب القتل
وكذا سياق حديث ابن عباس هجت امرأة من خطمة النبى صلى الله عليه وسلم فقال
من لى بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبى صلى الله
عليه وسلم بذلك فقال لا ينتطح فيها عنزان اى لا يجرى فيها خلف ولا نزاع فان
فى هذه الحكاية نظرا واضحا لقيام الكفر المحكى عنهم والزيادة منه وقد اخبر عليه
السلام انه لا عصمة لاحد من الناس بعد دعواهم الى الاسلام الا بالاسلام
فكل منهم مهدر الدم الا من عصم الله منهم بالاسلام وانما النافع له فى مقام
الاستدلال ذكر من طرأ عليه من المسلمين وصحة الارتداد بالسب على القول
بكونه ردة فرجع الى الاسلام وتاب هذا هو محل النزاع وموضع الاستدلال
لكل من المتنازعين اما ذكر كافر اصلى بلغته دعوة النبى صلى الله عليه وسلم وامتنع
من اجابته وحاربه بيده ولسانه فلا نزاع فى اهدار دمه قطعا لا سيما وقد نقل
عن هذه المرأة الكافرة انها كانت تعيب الاسلام وتوذى النبى صلى الله عليه وسلم
وتحرض عليه فاجتمع فيها موجبات القتل اجماعا فقد تبين مما ساقه القاضى
عياض ان امره عليه السلام بقتل سابه انما نقل عن الكفرة ولم ينقل انه عليه
السلام قتل مسلما بسببه وانما كان ذلك فى اهل الكفر والعناد ولو نقل فلا يتعين
كونه حدا لاحتمال ان يكون قتله كفرا وقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فاعلمنا ان ما وراء الشرك فى حيز المغفرة
وقال ان الله يغفر الذنوب جميعا فان قلت هذا بالنظر الى ظلم النفس وحقوق
الله تعالى لا بالنظر الى حقوق العباد لان حقوق الله تعالى مبنية على المسامحة
وحقوق العباد مبنية على المشاحة وهذا حق النبى صلى الله عليه وسلم
وليس لنا ان نسقطه بخلافه هو صلى الله عليه وسلم فان له ذلك فالجواب
لا بد لنا من نص على ذلك منه عليه السلام كان يقول مثلا من سبنى فاقتلوه

ولا تقبلوا له توبة ولا رجوعا عن سبه فان نقل اتبعناه ثم انه من جهة النظر ينبغى الحاق حقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم بحقوق الله تعالى فكما ان حقوقه تعالى مبناها على المسامحة كذلك حقوقه صلى الله عليه وسلم فانه متخلق بأخلاق الله تعالى ومما عد من خصائصه انه اذا قصده ظالم وجب على من حضره ان يبذل نفسه دونه حكاه النووى فى زيادة الروضة عن جماعة من الاصحاب ومن خصائصه ايضا انه كان صلى الله عليه وسلم يخص من شاء بما شاء من الاحكام كجعله شهادة خزيمة بشهادة رجلين روى ابو داود عن عمارة بن خزيمة عن ثابت عن عمه وكان من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ان النبى صلى الله عليه وسلم ابتاع من اعرابى فرسا فاستتبعه ليقبضه ثمن الفرس فاسرع النبى صلى الله عليه وسلم المشى وابطأ الاعرابى فطفق رجال يعرضون الاعرابى يساومونه بالفرس ولا يشعرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ابتاعه حتى زادوا على ثمنه فذكر الحديث فطفق الاعرابى يقول هلم شهيدا يشهد انى قد بعتك فمن جاء من المسلمين يقول ويلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن ليقول الا الحق حتى جاء خزيمة بن ثابت فاستمع المراجعة فقال انا اشهد انك قد بايعته الحديث وفيه قال فجعل النبى صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة برجلين وفى البخارى من حديث زيد بن ثابت قال فوجدتها مع خزيمة الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادتين وعند الحارث بن ابى اسامة فى مسنده من حديث النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى من اعرابى فرسا فجحده الاعرابى فجاء خزيمة فقال يا اعرابى انا اشهد عليك انك بعته فقال الاعرابى اذ شهد على خزيمة فاعطنى الثمن فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا خزيمة انا لم نستشهدك كيف تشهد قال انا اصدقك على خبر السماء الا اصدقك على ذا الاعرابى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين فلم يكن فى الاسلام من تعدل شهادته بشهادة رجلين غير خزيمة قال الخطابى هذا الحديث حمله كثير من الناس على غير محمله وتذرع به قوم من اهل البدع الى استحلال الشهادة لمن عرف عندهم بالصدق على كل شئ ادعاه وانما وجه الحديث انه صلى الله عليه وسلم حكم على الاعرابى بعلمه وجرت شهادة خزيمة مجرى التوكيد لقوله والاستظهار على خصمه فصار فى التقدير كشهادة اثنين فى غيرها من القضايا انتهى ومن ذلك ترخيصه فى النياحة لام عطية روى مسلم عنها قالت لما نزلت هذه الآية

قد تعالى الا يلحقه تعالى نقص اصلا بخلافه من حيث البشرية فلا ينا فى تخلقه باخلاق الله تعالى
وكنا بعد سعة لو تعدى انسان على قبره الشريف وجب بذل النفس فى دفعه وصورة المسئلة انه
علم انه لا يندفع الا ببذل النفس والا فيجب كذلك
قيل كان الفرس مع الاعرابى وقيل كان مع النبى صلى الله عليه وسلم والاول ارجح

قوله اذ يوجد فى بعض النسخ اذ وهو تصحيف
قوله انا لم نستشهدك انما اراد ان يعلم من اين اخذ ذلك واختيار خزيمة من وجوب العصمة له و وجوب الصدق لا انه يلومه
بالذال المعجمة اى تحذق ذريعة اى وسيلة
متعلق باستحلال الشهادة
اى اذا شهد عندهم زورا او حقيقة

يبايعنك

يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يعصينك فى معروف قالت كان منه النياحة فقلت يا رسول الله الا ال فلان فانهم كانوا اسعدونى فى الجاهلية فلا بد لى من ان اسعدهم فقال الا ال فلان قال النووى هذا محمول على الترخيص لام عطية فى ال فلان خاصة وللشارع ان يخص من العموم ما شاء ومن ذلك ترك الاحداد لاسماء بنت عميس اخرج ابن سعد عن اسماء بنت عميس قالت لما اصيب جعفر بن ابى طالب قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلبى ثلاثا ثم اصنعى ما شئت ومن ذلك الاضحية بالعناق لابى بردة بن نيار رواه الشيخان من حديث البراء بن عازب قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر فقال من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد اصاب السنة ومن نسك قبل الصلاة فتلك شاة لحم فقام ابو بردة بن نيار فقال يا رسول الله لقد نسكت قبل ان اخرج الى الصلاة وعرفت ان اليوم يوم اكل وشرب فتعجلت واكلت واطعمت اهلى وجيرانى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك شاة لحم فقال ان عندى عناقا جذعة هى خير من شاتى لحم فهل تجزى عنى فقال نعم ولن تجزى عن احد بعدك ونيار بكسر النون وتخفيف المثناة التحتية واخره راء وقوله ولن تجزى بفتح اوله غير مهموز اى تغنى والجذع بالجيم والذال المعجمة وفى هذا الحديث تخصيص ابى بردة باجزاء الجذع من المعز فى الاضحية لكن وقع فى عدة احاديث التصريح بنظير ذلك لغير ابى بردة ففى حديث عقبة بن عامر عند البيهقى ولا رخصة فيها لاحد بعدك قال البيهقى ان كانت هذه الزيادة محفوظة كان هذا رخصة لعقبة كما رخص لابى بردة قال الحافظ ابن حجر وفى هذا الجمع نظر لان فى كل منهما صيغة عموم فايهما تقدم على الاخر اقتضى انتفاء الوقوع للثانى ويحتمل ان تكون خصوصية الاول نسخت بثبوت الخصوصية للثانى ولا مانع من ذلك لانه لم يقع فى السياق استمرار المنع لغيره صريحا وفى كلام بعضهم ان الذين ثبتت لهم الرخصة اربعة او خمسة واستشكل الجمع وليس بمشكل فان الاحاديث التى وردت فى ذلك ليس فيها التصريح بالنفى الا فى قصة ابى بردة فى الصحيح وفى قصة عقبة بن عامر عند البيهقى واما ما عدا ذلك فاخرج ابو داود وصححه ابن حبان من حديث زيد بن خالد ان النبى صلى الله عليه وسلم اعطاه عتودا جذعا فقال ضح به فقلت انه جذع افاضحى قال ضح به وفى الاوسط للطبرانى من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم اعطى سعد بن ابى وقاص جذعا من المعز فامره ان يضحى به واخرجه الحاكم من حديث عائشة رضى الله عنها وفى سنده ضعف فلا منافاة بين ذلك وحديثى ابى بردة وعقبة لاحتمال ان يكون ذلك فى ابتداء الامر ثم تقرر الشرع بان الجذع

وكانت زوجة جعفر بن ابى طالب رضى الله عنه وعنها
اى ازيلى عنك ملابس الزينة اى فى غزوة مؤتة
اى والاحداد واجب على النساء مدة العدة
بمعنى تكفى

من المعز لا يجزي واختص ابو بردة وعقبة بالرخصة في ذلك وان تعذر الجمع بين
حديث ابي بردة وحديث عقبة فحديث ابي بردة اصح مخرجا وان كان حديث
عقبة عند البيهقي من مخرج الصحيح والله اعلم ومن ذلك انكاح ذلك الرجل بما معه من
القرآن فيما ذكره جماعة وورد به حديث مرسل اخرجه سعيد بن منصور عن ابي
النعمان الازدي قال زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة على سورة من القرآن
وقال لا يكون لاحد بعدك مهرا ومنها انه كان يوعك كما يوعك رجلان لمضاعفة
الأجر ومنها ان جبريل ارسل اليه ثلاثة ايام في مرضه يسئله عن حاله ذكره البيهقي
وغيره ومنها انه صلى عليه الناس افواجا افواجا بغير امام وبغير دعاء الجنازة المعروف
ذكره البيهقي وابن سعد وغيرهما وترك ثلاثة ايام بلا دفن كما سيأتي وفرش له
في لحده قطيفة وكلا الامران مكروهان في حقنا واظلمت الارض بعد موته كما سيأتي
ومنها انه لا يبلى جسده وكذلك الانبياء رواه ابو داود بلفظ ان الارض لا تأكل
اجساد الانبياء ومنها انه لا يورث فقيل لبقائه على ملكه وقيل لمصيره صدقة
وبه قطع الروياني ثم حكى وجهين في انه هل يصير وقفا على ورثته وانه اذا صار
وقفا هل هو الواقف وجهان قال النووي في زيادة الروضة الصواب الجزم
بزوال ملكه وان ما تركه صدقة على المسلمين لا تختص به الورثة انتهى قال
في الشرح الصغير المشهور انه صدقة وذكر الرافعي في قسم الفيء ان الخمس كان له صلى
الله عليه وسلم ينفق منه على نفسه ومصالحه ولم يكن يملكه ولا ينتقل الى
ورثته وقال في باب الخصائص انه ملكه ويجمع بينهما بان لجهة الانفاق
مادتين مملوكة وغير مملوكة والخلاف جار في احدهما انتهى وعلى هذا فيباح له
عليه الصلاة والسلام ان يوصي بجميع ماله للفقراء ويمضي ذلك بعد موته
بخلاف غيره فانه لا يمضي مما اوصى به الا الثلث بعد موته وكذلك الانبياء
لا يورثون لما رواه النسائي من حديث الزبير مرفوعا انا معاشر الانبياء
لا نورث وعلى هذا فيجاب عن قوله تعالى وورث سليمن داود وقوله فهب لي
من لدنك وليا يرثني بان المراد ارث النبوة والعلم ومنها انه حي في قبره وكذلك
الانبياء ولهذا قيل لا عدة على ازواجه قيل ويصلي فيه باذان واقامة وقد حكى
ابن زبالة وابن النجار ان الاذان ترك في ايام الحرة ثلاثة ايام وخرج الناس وسعيد
بن المسيب في المسجد قال سعيد فاستوحشت فدنوت من القبر فلما حضرت
الظهر سمعت الاذان في القبر فصليت الظهر ثم مضى ذلك الاذان والاقامة
في القبر لكل صلاة حتى مضت ثلاث ليال ورجع الناس وعاد المؤذنون

فسمعت

وهو الزمن الذي جهز فيه جيش يزيد بن معاوية المدينة واميرهم اذ ذاك عقبة بن مسلم قبح الله الجحيم واستباحها باسر يزيد ثلاثة ايام وشربت فيها الخمور على قبره فقضت فيها الاثنة الافاق وحملت فيها ثمانية الاف امرأة من الزنا

فسمعنا اذانهم كما سمعت الاذان في قبر النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وقد ثبت
ان الانبياء يحجون ويلبون فان قلت كيف يصلون ويحجون ويلبون وهم
اموات في الدار الاخرة وليست دار عمل فالجواب انهم كالشهداء بل
افضل منهم والشهداء احياء عند ربهم يرزقون فلا يبعد ان يحجوا او
يصلوا ونقول ان البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا في استكثارهم من
الاعمال وزيادة الاجور او ان المنقطع في الاخرة انما هو التكليف وقد
تحصل الاعمال من غير تكليف على سبيل التلذذ بها ولهذا انهم يسبحون ويقرؤن
القرآن ومن هذا سجود النبي صلى الله عليه وسلم وقت الشفاعة وقد قال
صاحب التلخيص ان ماله عليه السلام بعد موته قائم على نفقته وملكه
وعده من خصائصه ونقل امام الحرمين عنه ان ما خلفه بقي على ما كان
في حياته فكان ينفق منه ابو بكر على اهله وخدمه وكان يرى انه باق على ملك
النبي صلى الله عليه وسلم فان الانبياء احياء وهذا يقتضي اثبات الحياة
في احكام الدنيا وذلك زائد على حياة الشهيد والذي صرح به النووي
زوال ملكه عليه السلام وان ما تركه صدقة على جميع المسلمين لا تختص
ورثته فان قلت القرآن ناطق بموته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
انك ميت وانهم ميتون وقال عليه السلام اني مقبوض وقال الصديق ان
محمدا قد مات واجمع المسلمون على اطلاق ذلك اجاب الشيخ تقي السبكي بان ذلك
الموت غير مستمر وانه صلى الله عليه وسلم احيي بعد الموت ويكون انتقال
الملك ونحوه مشروطا بالموت المستمر والا فالحياة الثانية حياة اخروية
ولا شك انها اعلى واكمل من حياة الشهداء وهي ثابتة للروح بلا اشكال
وقد ثبت ان اجساد الانبياء لا تبلى وعود الروح الى الجسد ثابت في الصحيح لسائر
الموتى فضلا عن الشهداء فضلا عن الانبياء وانما النظر لاستمرارها في البدن
وفي ان البدن يصير حيا كحالته في الدنيا او حيا بدونها وهي حيث شاء الله فان
ملازمة الحياة للروح امر عادي لا عقلي فهذا مما يجوزه العقل فان صح به سمع اتبع
وقد ذكره جماعة من العلماء ويشهد له صلاة موسى في قبره فان الصلاة تستدعي
جسدا حيا وكذلك الصفات المذكورة في الانبياء ليلة الاسراء كلها صفات
الاجسام ولا يلزم من كونها حياة حقيقية ان تكون الابدان معها كما كانت في
الدنيا من الاحتياج الى الطعام والشراب وغير ذلك من صفات الاجسام التي
نشاهدها بل يكون لها حكم اخر فليس في العقل ما يمنع من اثبات الحياة الحقيقية

الصواب او ويوجد في بعض النسخ بالواو

لهم وأما الادراكات كالعلم والسماع فلا شك ان ذلك ثابت لهم بل ولسائر
الموتى حكاه الشيخ زين الدين المراغي وقال انه مما يعز وجوده وفي مثله يتنافس
المتنافسون ومنها انه وكل بقبره ملك يبلغه صلاة المصلين عليه رواه احمد
والنسائي والحاكم وصححه بلفظ ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني
عن امتي السلام وعند الاصبهاني عن عمارة ان لله ملكا اعطاه سمع العباد كلهم
فما من احد يصلي علي الا ابلغنيها وتعرض اعمال امته عليه ويستغفر لهم روى
ابن المبارك عن سعيد بن المسيب ليس من يوم الا ويعرض على النبي صلى الله عليه
وسلم اعمال امته غدوة وعشيا فيعرفهم بسيماهم واعمالهم ومنها ان منبره على
حوضه كما في الحديث وفي رواية ومنبري على ترعة من ترع الجنة واصل الترعة
الروضة على المكان المرتفع خاصة فاذا كانت في المطمئن فهي روضة ولم يختلف
احد من العلماء انه على ظاهره وانه حق محسوس موجود فان القدرة صالحة
لا يعجز فيها وكلما اخبر به الصادق عليه الصلاة والسلام من امور الغيب فالايمان
واجب ومنها ان ما بين منبره وقبره روضة من رياض الجنة رواه البخاري بلفظ ما
بين بيتي ومنبري وهذا يحتمل الحقيقة والمجاز اما الحقيقة فبان يكون ما اخبر عنه
صلى الله عليه وسلم بانه من الجنة ان يكون مقتطعا منها كما ان الحجر الاسود منها
وكذا النيل والفرات من الجنة وكذلك الثمار الهندية من الورق التي هبط بها آدم
عليه السلام من الجنة فاقتضت الحكمة ان يكون في هذه الدار من مياه الجنة
ومن ترابها ومن حجرها ومن فواكهها حكمة حكيم جليل واما المجاز فبان يكون من
اطلاق اسم المسبب على السبب فان ملازمة ذلك المكان للصلاة والعبادة
سبب في نيل الجنة قاله ابن ابي جمرة وهو معنى قول بعضهم لكون العبادة فيه تؤول
الى دخول العابد روضة الجنة وهذا فيه نظر اذ لا اختصاص لذلك بتلك
البقعة على غيرها وفي كتاب بهجة النفوس لابن ابي جمرة حكاية قول ان تلك البقعة
تنقل بعينها فتكون في الجنة يعني روضة من رياضها قال والاظهر الجمع بين الوجهين
معا يعني احتمال كونها تنقل الى الجنة وكون العمل فيها يوجب لصاحبه روضة في الجنة
ويأتي مزيد لذلك في فضل الزيارة من المقصد الاخير ان شاء الله تعالى ومنها انه
صلى الله عليه وسلم اول من ينشق عنه القبر وفي رواية مسلم انا اول من
تنشق عنه الارض وهو اول من يفيق من الصعقة قال عليه السلام انا اول
من يرفع رأسه بعد النفخة فاذا انا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا ادري
اقام قبلي ام جوزي بصعقة الطور رواه البخاري والظاهر انه عليه السلام

لم يكن عنده علم ذلك حتى علمه الله تعالى فقد اخبر عن نفسه الكريمة انه عليه
الصلاة والسلام اول من ينشق عنه القبر وهو اول من يجيز على الصراط رواه
البخاري من حديث ابي هريرة وانه يحشر في سبعين الفا من الملائكة كما روى عن
كعب الاحبار ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الف ملك يحفون بقبره عليه الصلاة
والسلام يضربون باجنحتهم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط سبعون الف ملك
حتى اذا انشقت عنه الارض خرج في سبعين الفا من الملائكة يوقرونه صلى
الله عليه وسلم الحديث رواه ابن النجاري في تاريخ المدينة وانه يحشر راكب
البراق رواه الحافظ السلفي كما ذكره الطبري ويكسى في الموقف اعظم الحلل من
الجنة رواه البيهقي بلفظ فاكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر ورواه
كعب بن مالك بلفظ يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي على تل ويكسوني ربي
حلة خضراء رواه الطبري وهو عند ابي شيبة بلفظ يحشر الناس على تل و
امتي على تل وعند الطبراني ايضا من حديث ابن عمر فيرقى هو يعني محمدا صلى
الله عليه وسلم هو وامته على كوم فوق الناس وانه يقوم عن يمين العرش
رواه ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم وفيه لا يقومه غيري
يغبطه فيه الاولون والآخرون ومنها انه يعطى المقام المحمود وقال مجاهد
هو جلوسه صلى الله عليه وسلم على العرش وعن عبد الله بن سلام على الكرسي ذكرهما البغوي و
سيأتي ما قيل في ذلك في ذكر تفضيله عليه الصلاة والسلام بالمقام المحمود
ان شاء الله تعالى ومنها انه يعطى الشفاعة عليه الصلاة والسلام العظمى
في فصل القضاء بين اهل الموقف حين يفزعون اليه بعد الانبياء والشفاعة
في ادخال قوم الجنة بغير حساب وفي رفع درجات ناس في الجنة كما جوز النووي
هذه والتي قبلها به وورد الاحاديث به في التي قبل وسيأتي مزيد لذلك ان
شاء الله تعالى في المقصد الاخير والله المعين ومنها انه صاحب لواء الحمد
يوم القيامة آدم فمن دونه تحت لوائه رواه البزار وانه اول من يقرع باب الجنة
روى مسلم من حديث المختار بن فلفل عن انس قال صلى الله عليه وسلم انا اكثر
الناس تبعا يوم القيامة وانا اول من يقرع باب الجنة وعنده ايضا عن انس قال
صلى الله عليه وسلم آتي يوم القيمة باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن بك
امرت لا افتح لاحد قبلك ورواه الطبراني بزيادة فيه قال فيقوم الخازن فيقول
لا افتح لاحد قبلك ولا اقوم لاحد بعدك وهذه خصوصية اخرى له صلى
الله عليه وسلم وهي ان خازن الجنة لا يقوم لاحد غيره صلى الله عليه وسلم

اى رضوان الذى هو الخازن

فقيامه له عليه السلام فيه اظهار لمزيته ومرتبته ولا يقوم لاحد بعده بل
خزنة الجنة يقومون فى خدمته وهو كالملك عليهم وقد اقامه الله تعالى فى
خدمة عبده ورسوله حتى مشى وفتح له الباب ومنها انه صلى الله عليه
وسلم اول من يدخل الجنة قال عليه السلام وانا اول من يحرك حلق الجنة
فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر رواه الترمذى
ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر فى الجنة يسيل فى حوضه
مجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج ومنها
الوسيلة وهى اعلا درجة فى الجنة واما خصائص امته صلى الله عليه
وسلم وزادها شرفا فاعلم انه لما انشأ الله سبحانه وتعالى العالم على غاية
من الاتقان وابرز جسد نبينا صلى الله عليه وسلم للعيان ظهرت غاية
الامة الانسانية بحضوره وظهوره فيها وان كان العالم الانسانى
والنارى كله امته لكن لهؤلاء خصوص وصف فجعلهم خير امة
اخرجت للناس وجعلهم ورثة الانبياء واعطاهم الاجتهاد فى نصب
الاحكام بما ادى اليه اجتهادهم وكل من دخل من الانبياء عليهم السلام
كعيسى او قدر دخوله كالخضر فى زمان هذه الامة بعد نبينا صلى الله
عليه وسلم على تقدير دخوله فانه لا يحكم فى العالم الا بما شرع محمد نبينا
صلى الله عليه وسلم فى هذه الامة فاذا نزل سيدنا عيسى صلى الله عليه
وسلم فانما يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالالهام او اطلاع
على الروح المحمدى او بما شاء الله تعالى فيأخذ عنه ما شرع الله له ان
يحكم به فى امته فلا يحكم فى شئ من تحريم وتحليل الا بما كان يحكم به نبينا
صلى الله عليه وسلم ولا يحكم بشريعته التى انزلت عليه فى اوان رسالته
ودولته فهو عليه السلام تابع لنبينا صلى الله عليه وسلم وقد نبه على
ذلك الترمذى الحكيم فى كتاب ختم الاولياء واعرب عنه صاحب عنقا مغرب
وكذا ذكره الشيخ سعد الدين التفتازانى فى شرح عقائد النسفى وصح انه يصلى
بالناس ويؤمهم ويقتدى به المهدى لانه افضل فامامته اولى انتهى فهو
عليه السلام وان كان خليفة فى الامة المحمدية فهو رسول ونبى كريم على
حاله لا كما يظن بعض الناس انه يأتى واحد من هذه الامة نعم هو واحد من هذه
الامة لما ذكر من وجوب اتباعه لنبينا صلى الله عليه وسلم والحكم بشريعته
فان قلت قد ورد فى صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم ليوشكن ان ينزل فيكم

قوله ليوشكن اى ليقرب لانه من افعال المقاربة

عيسى بن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وان
الصواب فى معناه انه لا يقبل الجزية ولا يقبل الا الاسلام او القتل وهذا خلاف
ما هو حكم الشرع اليوم فان الكتابى اذا بذل الجزية وجب قبولها ولم يجز قتله
ولا اكراهه على الاسلام واذا كان كذلك فكيف يكون عيسى عليه السلام
حاكما بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم فالجواب انه لا خلاف ان عيسى عليه
السلام انما ينزل حاكما بهذه الشريعة المحمدية ولا ينزل نبيا برسالة مستقرة
وشريعة ناسخة بل هو حاكم من حكام هذه الامة واما حكم الجزية وما يتعلق به
فليس حكما مستمرا الى يوم القيامة بل هو مقيد بما قبل نزول عيسى وقد اخبر
نبينا صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس عيسى عليه السلام هو الناسخ بل
نبينا صلى الله عليه وسلم هو المبين للنسخ فدل على ان الامتناع فى ذلك الوقت
من قبول الجزية هو شرع نبينا صلى الله عليه وسلم اشار اليه النووى فى
شرح مسلم فان قلت ما المعنى فى تغيير حكم الشرع عند نزول عيسى عليه
السلام فى عدم قبول الجزية اجاب ابن بطال بانا انما قبلناها نحن لاحتياجنا
الى المال وليس يحتاج عيسى عند خروجه الى مال لانه يفيض فى ايامه المال
حتى لا يقبله احد فلا يقبل الا القتل او الايمان بالله وحده انتهى واجاب
الشيخ ولى الدين بن العراقى بان قبول الجزية من اليهود والنصارى لشبهة ما فى
بايديهم من التورية والانجيل وتعلقهم بزعمهم بشرع قديم فاذا نزل عيسى
عليه السلام زالت تلك الشبهة بحصول معاينته فصاروا كعبدة
الاوثان فى انقطاع شبهتهم وانكشاف امرهم فعوملوا معاملتهم
فى ان لا يقبل منهم الا الاسلام والحكم يزول بزوال علته قال وهذا
معنى حسن مناسب لم ار من تعرض له وقال هذا اولى مما ذكره ابن بطال
انتهى وكذا من يقول من العلماء بنبوة الخضر وانه باق الى اليوم فانه تابع لاحكام
هذه الملة وكذلك الياس على ما صححه ابو عبد الله القرطبى ترجيحا ايضا
وليس فى الرسل من يتبعه رسول له كتاب الا نبينا صلى الله عليه وسلم
وكفى هذا شرفا لهذه الامة المحمدية زادها الله تعالى شرفا فالحمد لله الذى
خصنا بهذه الرحمة • واسبغ علينا هذه النعمة • ومن علينا بما عم به
من الفضائل الجمة • ونوه بنا فى كتابه العزيز بقوله كنتم خير امة فتأمل
قوله كنتم اى فى اللوح المحفوظ وقيل كنتم فى علم الله فينبغى لمن هو من هذه
الامة المحمدية • ان يتخلق بالاخلاق الزكية • ليثبت له ما لهذه الامة

الشريفة من الاوصاف المرضية ويتأهل لما لها من الخيرية قال مجاهد كنتم
خير امة اخرجت للناس اذا كنتم على الشرائط المذكورة اى تامرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر وقيل انما صارت امة محمد عليه السلام خير امة لان
المسلمين منهم اكثر والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فيهم افشى فقيل
هذا لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما قال عليه السلام خير الناس قرنى
ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وهذا يدل على ان اول هذه الامة افضل ممن
بعدها والى هذا ذهب معظم العلماء وان من صحبه صلى الله عليه وسلم وراه
ولو مرة من عمره افضل من كل من يأتى بعده وان فضيلة الصحبة لا يعدلها
عمل هذا مذهب الجمهور وذهب ابو عمر بن عبد البر الى انه قد يكون فيمن يأتى
بعد الصحابة افضل ممن كان فى جملة الصحابة وان قوله عليه السلام خير
الناس قرنى ليس على عمومه بدليل ما يجمع القرن بين الفاضل والمفضول وقد جمع
قرنه عليه السلام جماعة من المنافقين المظهرين للايمان واهل الكبائر و
الذين اقام عليهم وعلى بعضهم الحدود وقد روى ابو امامة انه صلى الله عليه
وسلم قال طوبى لمن رانى وامن بى وطوبى سبع مرات لمن لم يرنى وامن بى وفى
مسند ابى داود الطيالسى عن محمد بن ابى حميد عن زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر
قال كنت جالسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال اتدرون اى الخلق افضل
ايمانا قلنا الملائكة قال وحق لهم بل غيرهم قلنا الانبياء قال وحق لهم بل غيرهم
ثم قال صلى الله عليه وسلم افضل الخلق ايمانا قوم فى اصلاب الرجال يؤمنون
بى ولم يرونى فهم افضل الخلق ايمانا وروى ان عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة
كتب الى سالم بن عبد الله ان اكتب الى بسيرة عمر بن الخطاب لاعمل بها فكتب اليه
سالم بن عبد الله ان عملت بسيرة عمر فانت افضل من عمر لان زمانك ليس كزمان
عمر ولا رجالك كرجال عمر قال وكتب الى فقهاء زمانه فكلهم كتب بمثل قول سالم
قال ابو عمر فهذه الاحاديث تقتضى مع تواتر طرقها وحسنها التسوية بين هذه
الامة واخرها فى فضل العمل الا اهل بدر والحديبية ومن تدبر هذا الباب بان
له الصواب والله يؤتى فضله من يشاء انتهى واسناد حديث ابى داود
الطيالسى عن عمر ضعيف فلا يحتج به لكن روى احمد والدارمى والطبرانى عن
ابى عبيدة يا رسول الله احد خير منا اسلمنا معك وجاهدنا معك قال قوم
يكونون من بعدكم يؤمنون بى ولم يرونى واسناده حسن وصححه الحاكم والحق
ما عليه الجمهور ان فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم والدلائل على فضيلة الصحابة على غيرهم كثيرة متظاهرة لا نطيل
بذكرها وسياتى بقية مباحث ذلك فى فضل الصحابة من المقصد السابع ان شاء
الله تعالى وقد خص الله هذه الامة الشريفة بخصائص لم يؤتها امة قبلهم ابان بها
فضلهم والاخبار والاثار ناطقة بذلك فخرج ابو نعيم عن ابى هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان موسى لما نزلت عليه التورية قراها فوجد فيها ذكر
هذه الامة فقال يا رب انى اجد فى الالواح امة هم الاخرون السابقون فاجعلها
امتى قال تلك امة احمد قال يا رب انى اجد فى الالواح امة اناجيلهم فى صدورهم
يقرؤنها ظاهرا فاجعلها امتى قال تلك امة احمد قال يا رب انى اجد فى الالواح امة
ياكلون الفىء فاجعلها امتى قال تلك امة احمد قال يا رب انى اجد فى الالواح امة
يجعلون الصدقة فى بطونهم يوجرون عليها فاجعلها امتى قال تلك امة احمد
قال يا رب انى اجد فى الالواح امة اذا هم احدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة
واحدة وان عملها كتبت له عشر حسنات فاجعلها امتى قال تلك امة احمد قال يا رب
انى اجد فى الالواح امة اذا هم احدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب وان عملها كتبت
سيئة واحدة فاجعلها امتى قال تلك امة احمد قال يا رب انى اجد فى الالواح امة
يؤتون العلم الاول والعلم الاخر فيقتلون المسيح الدجال فاجعلها امتى قال
تلك امة احمد قال يا رب فاجعلنى من امة احمد فاعطى عند ذلك خصلتين فقال
يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما اتيتك وكن من
الشاكرين قال قد رضيت يا رب وروى ابن طغربك فى المنطق المفهوم عن ابن عباس يرفعه
قال موسى يا رب فهل فى الامم اكرم عليك من امتى ظللت عليهم الغمام وانزلت عليهم
المن والسلوى فقال الله سبحانه وتعالى يا موسى اما علمت ان فضل محمد على سائر
الامم كفضلى على جميع خلقى قال يا رب فارنيهم قال لن تراهم ولكن اسمعك كلامهم
فناداهم الله تعالى فاجابوا كلهم بصوت واحد لبيك اللهم لبيك وهم فى اصلاب
ابائهم وبطون امهاتهم فقال سبحانه وتعالى صلاتى عليكم ورحمتى سبقت غضبى
وعفوى سبق عذابى استجبت لكم قبل ان تسئلونى فمن لقينى منكم يشهد ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول الله غفرت له ذنوبه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاراد الله ان يمن على بذلك فقال وما كنت بجانب الطور اذ نادينا
اى امتك حتى اسمعنا موسى كلامهم ورواية قتادة وزاد فقال موسى يا رب
ما احسن اصوات امة محمد صلى الله عليه وسلم اسمعنى مرة اخرى وفى الحلية لابى نعيم
عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى الى موسى نبى

عليه وسلم قال انهم لم يحسدونا على شئ كما حسدونا على الجمعة التي هدانا الله
لها وعلى قولنا خلف الامام آمين قال الحافظ ابن حجر وهو حديث غريب لا اعرفه
بهذه الألفاظ الا من هذا الوجه لكن لبعضه متابع حسن في التأمين اخرجه
ابن ماجه وصححه ابن خزيمة كلاهما من رواية سهل بن ابي صالح عن ابيه عن عائشة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما حسدتنا اليهود على شئ ما حسدتنا على
السلام والتأمين ومنها الاختصاص بالركوع عن علي رضي الله عنه قال اول
صلاة ركعنا فيها العصر فقلت يا رسول الله ما هذا قال بهذا امرت رواه
البزار والطبراني في الاوسط ووجه الاستدلال منه انه صلى قبل ذلك
الظهر وصلى قبل فرض الصلوات الخمس قيام الليل فتكون الصلاة السابقة
بلا ركوع قرينة لخلو صلاة الامم السالفة منه قاله بعض العلماء قال
وذكر جماعة من المفسرين في قوله تعالى واركعوا مع الراكعين ان مشروعية
الركوع في الصلاة خاص بهذه الامة وانه لا ركوع في صلاة بني اسرائيل و
لهذا امرهم بالركوع مع امة محمد صلى الله عليه وسلم انتهى وهذا يعارضه
قوله تعالى يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين المفسر بأمرت
بالصلاة في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها قالوا وقدم
السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا توجب
الترتيب وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة لقوله تعالى امن هو قانت
اناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلاة لقوله تعالى وادبار السجود
وبالركوع الخشوع والاخبات ومنها الصفوف في الصلاة كصفوف
الملائكة رواه مسلم من حديث حذيفة ومنها تحية السلام لحديث
عائشة السابق ومنها الجمعة قال صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون
السابقون يوم القيمة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم
الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا
فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد رواه البخاري ومنها ساعة
الاجابة التي في الجمعة واختلف في تعيينها على اقوال تزيد على الثلاثين
ذكرتها في لوامع الانوار في الادعية والاذكار ومنها اذا كان اول ليلة من
شهر رمضان نظر الله اليهم ومن نظر اليه لم يعذب ابدا وتزيين الجنة فيه و
خلوف افواه الصائمين اطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة
في كل يوم وليلة حتى يفطروا واذا كان اخر ليلة غفر لهم جميعا رواه البيهقي

باسناد

قوله انظر اليهم اي نظر رحمة واحسان والا فالله تعالى عالم بهم ومطلع باحوالهم قوله ومن نظر اليه لم يعذبه لانه بعد نظر الرحمة ... قوله وخلوف اي ما يترتب على ... من الثواب ... اطيب من ريح المسك ...

باسناد لا بأس به بلفظ اعطيت امتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي
الحديث وتستغفر لهم الحيتان حتى يفطروا رواه البزار وتصفد فيه مردة
الشياطين رواه احمد والبزار ومنها السحور وتعجيل الفطر رواه الشيخان واباحة
الاكل والشرب والجماع ليلا الى الفجر وكان محرما على من قبلنا بعد النوم وكذا كان في
صدر الاسلام ثم نسخ ومنها ليلة القدر كما قاله النووي في شرح المهذب وهل
صيام رمضان من خصائص هذه الامة ام لا ان قلنا ان التشبيه الذي دلت
عليه الكاف في قوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم على
حقيقته فيكون رمضان كتب على من قبلنا وذكر ابن ابي حاتم عن ابن عمر رفعه
صيام رمضان كتبه الله على الامم قبلكم وفي اسناده مجهول وان قلنا المراد
مطلق الصيام دون قدره ووقته فيكون التشبيه واقعا على مطلق الصوم
وهو قول الجمهور ومنها ان لهم الاسترجاع عند المصيبة قال سعيد بن جبير
لقد اعطيت هذه الامة عند المصيبة ما لم تعط الانبياء عليهم السلام مثله
انا لله وانا اليه راجعون ولو اعطيت الانبياء لاعطيه يعقوب عليه السلام
اذ قال يا اسفا على يوسف ومنها ان الله تعالى رفع عنهم الاصر الذي كان على
الامم قبلهم قال الله تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم
اي ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعين القصاص في العمد و
الخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقطع موضع النجاسة وقتل النفس في التوبة
وقد كان الرجل من بني اسرائيل يذنب الذنب فيصبح قد كتب على باب بيته ان كفارته
ان تنزع عينيك فينزعهما واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه ان يحبسه
من الحراك لثقله ومنها ان الله احل لهم كثيرا مما شدد على من قبلهم ولم يجعل عليهم
في الدين من حرج كما قال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما
اشتد القيام به عليهم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه يعني من
لم يستطع ان يصلي قائما فليصل قاعدا واباح للصائم الفطر في السفر والقصر فيه
وقيل بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في
حقوقه تعالى والارش والديات في حقوق العباد قاله البيضاوي وروي عن ابن عباس
انه قال الحرج ما كان على بني اسرائيل من الاصر والشدائد وضعه الله عن هذه الامة وعن
كعب اعطى الله هذه الامة ثلاثا لم يعطهن الا للانبياء جعلهم شهداء على الناس
وما جعل عليهم في الدين من حرج وقال تعالى ادعوني استجب لكم ومنها ان الله
رفع عنهم المؤاخذة بالخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وحديث النفس وقد كان

قوله مواسم مصدر بمعنى التقدير اي تقدير الله فيها جميع ما يكون الى مثلها من العام القابل

قوله وفي اسناده مجهول فبطل الاستدلال

قوله ان لهم الاسترجاع اي شرع لهم ذلك

قوله وقطع موضع النجاسة من البدن اي اذا كان بالبول خاصة كما قرره شيخنا

بنوا اسرائل اذا نسوا شيئا مما امروا به او اخطأوا عجلت لهم العقوبة فحرم عليهم
شئ من مطعم او مشرب على حسب ذلك الذنب وقد قال صلى الله عليه وسلم
ان الله وضع عن امتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه رواه احمد وابن حبان
وابن ماجه ومنها ان الاسلام وصف خاص بهم لا يشركهم فيه غيرهم الا الانبياء
عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى هو سميكم المسلمين من قبل ورضيت لكم الاسلام
دينا اذ لو لم يكن خاصا بهم لم يكن فى الامتنان عليهم بذلك فائدة وقد يجاب بان رضى
الاسلام دينا لهم وتسمية ابرهيم اياهم بذلك لا ينفى اتصاف غيرهم به وفائدة ذلك
الاعلام بالانعام عليهم بما انعم به على غيرهم من الفضائل وقيل لا يختص بهم بل يطلق
على غيرهم ايضا وهو اسم لكل دين حق لغة وشرعا كما اجاب به ابن الصلاح لقوله تعالى
حكاية عن وصية يعقوب ولا تموتن الا وانتم مسلمون فما وجدنا فيها غير بيت
من المسلمين الى غير ذلك ولان الايمان اخص من الاسلام كما هو مذهب كثير من العلماء
وليس خاصا بهذه الامة بل يوصف به كل من دخل فى شريعة مقرا بالله تعالى وبانبيائه
كما قال الراغب ومنها ان شريعتهم اكمل من جميع شرائع الامم المتقدمة وهذا مما لا يحتاج
الى بيانه لوضوحه وانظر الى شريعة موسى عليه السلام فقد كان شريعة جلال و
قهر امروا بقتل نفوسهم وحرمت عليهم الشحوم وذوات الظفر وغيرها من الطيبات
وحرمت عليهم الغنائم وعجلت لهم من العقوبات ما عجل وحملوا من الاصار
والاغلال ما لم يحمله غيرهم وكان موسى عليه السلام من اعظم خلق الله هيبة و
وقارا واشدهم باسا وغضبا لله وبطشا باعداء الله فكان لا يستطاع
النظر اليه وعيسى عليه السلام كان فى مظهر الكمال وكانت شريعته شريعة
فضل واحسان وكان لا يقاتل ولا يحارب وليس فى شريعته قتال البتة والنصارى
يحرم عليهم فى دينهم القتال وهم به عصاة فان الانجيل يأمر فيه ان من لطمك على خدك
الايمن فأدر له خدك الايسر ومن نازعك ثوبك فاعطه رداءك ومن يحركك ميلا
فامش معه ميلين ونحو هذا وليس فى شريعتهم مشقة ولا آصار ولا اغلال
واما النصارى فابتدعوا تلك الرهبانية من قبل انفسهم ولم تكتب عليهم
واما نبينا صلى الله عليه وسلم فكان مظهر الكمال الجامع لتلك القوة والعدل
والشدة فى الله واللين والرأفة والرحمة فشريعته اكمل الشرائع وامته اكمل
الامم واحوالهم ومقاماتهم اكمل الاحوال والمقامات ولذلك تاتى شريعته
بالعدل ايجابا له وفرضا وبالفضل ندبا اليه واستحبابا وبالشدة فى موضع الشدة
وباللين فى موضع اللين ووضع السيف موضعه ووضع الندى موضعه فيذكر

الظلم

الظلم ويحرمه والعدل ويأمر به والفضل ويندب اليه فى بعض آية كقوله تعالى
وجزاء سيئة سيئة مثلها فهذا عدل فمن عفا واصلح فاجره على الله فهذا فضل
انه لا يحب الظالمين فهذا تحريم للظلم وقوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
هذا ايجاب للعدل وتحريم للظلم ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ندب الى
الفضل وكذلك تحريم ما حرم على هذه الامة صيانة وحمية حرم عليهم
كل خبيث وضار واباح لهم كل طيب ونافع فتحريمه عليهم رحمة وعلى من
كان قبلهم لم يخل من عقوبة كما اشرت اليه قريبا وهداهم لما ضلت عنه الامم
قبلهم كيوم الجمعة كما سيأتى ذكره ان شاء الله تعالى فى مقصد عباداته
عليه السلام وتقدم ما يشهد له ووهب لهم من علمه وحلمه وجعلهم
خير امة اخرجت للناس وكمل لهم من المحاسن ما فرقه فى الكتب قبله كما كمل
لنبيهم من المحاسن ما فرقه فى الانبياء قبله وكمل فى كتابه من المحاسن ما فرقه
فى الكتب قبله وكذلك فى شريعته فهذه الامة هم المجتبون كما قال الههم هو
اجتبيكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج وجعلهم شهداء على الناس
فاقامهم فى ذلك مقام الرسل الشاهدين على اممهم اشار اليه ابن القيم ومنها
انهم لا يجتمعون على ضلالة رواه الامام احمد فى مسنده والطبرانى فى الكبير
وابن ابى خيثمة فى تاريخه عن ابى نصرة الغفارى مرفوعا فى حديث سألت ربى
ان لا يجتمع امتى على ضلالة فاعطانيها ورواه ابن ابى عاصم والطبرانى ايضا من
حديث ابى مالك الاشعرى رفعه ان الله اجاركم من ثلاث وذكر منها وان لا تجتمعوا
على ضلالة قال شيخنا وبالجملة فهو حديث مشهور المتن ذو اسانيد كثيرة
وله شواهد متعددة فى المرفوع وغيره ومنها ان اجماعهم حجة وان اختلافهم
رحمة وكان اختلاف من قبلهم عذابا روى البيهقى فى المدخل فى حديث من رواية
سليمان بن ابى كريمة عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم واختلاف اصحابى لكم رحمة وجويبر ضعيف جدا و
الضحاك عن ابن عباس منقطع وهو كما قال الحافظ ابن حجر حديث مشهور على
الالسنة وقد اورده ابن الحاجب فى المختصر فى مباحث القياس بلفظ اختلاف
امتى رحمة للناس قال وكثر السؤال عنه وزعم كثير من الائمة انه لا اصل له
لكن ذكره الخطابى فى غريب الحديث مستطردا وقال اعترض على هذا الحديث
رجلان احدهما ماجن والآخر ملحد وهما اسحق الموصلى وعمرو بن بحر الجاحظ
وقالا جميعا لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذابا قال ثم تشاغل

قوله الا الانبياء هو الاستسلام وفيه تأمل لان بالنسبة للانبياء اسم للدين الخصوص والانقياد وبالنسبة للامة هو خاص بهم اى الشريعة المخصوصة وهو

قوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون فيه تأمل لان معناه طائعون لله مستسلمون بل قال بعض المفسرين ان معناه متزوجون فلا حجة فيه

قوله لا يجتمعون على ضلالة والمراد بهم العلماء المجتهدون اى لا يجتمعون على امر مخالف لقواعد الشرع

قوله وان اختلافهم رحمة اى اختلاف العلماء المجتهدين فى الاحكام الشرعية اى فى تيسير ذلك وتسهيله

قوله واختلاف اصحابى اى اختلافهم فى فهم الايات والاحاديث

الخطابي برد هذا الكلام ولم يقع في كلامه نص في عزو الحديث ولكنه اشعر
بأن له اصلاً عنده ومن حديث الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد قال
اهل العلم اهل توسعة وما برح المفتون يختلفون فيحل هذا ويحرم هذا
فلا يعيب هذا على هذا اشار اليه شيخنا في المقاصد الحسنة ومنها ان
الطاعون لهم شهادة ورحمة وكان على الأمم عذابا رواه احمد والطبراني
في الكبير من حديث ابي عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجال
احمد ثقات ولفظه الطاعون شهادة لامتي ورحمة لهم ورجز على الكافرين
ومنها انهم اذا شهد اثنان منهم لعبد بخير وجبت له الجنة وكان الامم
السالفة اذا شهد منهم مائة ومنها انهم اقل الامم عملا واكثرهم اجرا و
اقصرهم اعمارا واوتوا العلم الاول والأخر واخر الأمم فافتضحت الأمم
عندهم ولم يفتضحوا ومنها انهم اوتوا الاسناد وهو خصيصة فاضلة
من فضائل هذه الامة وسنة بالغة من السنن المؤكدة وقد روينا من
طريق ابي العباس الدغولي قال سمعت محمد بن حاتم بن المظفر يقول ان الله تعالى
قد اكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها بالاسناد وليس لاحد من الامم كلها
قديمها وحديثها اسناد انما هو صحف في ايديهم وقد خلطوا بكتبهم اخبارهم
فليس عندهم تمييز بين ما نزل من التورية والانجيل وبين ما الحقوه بكتبهم
من الاخبار التي اتخذوها من غير الثقات وهذه الامة الشريفة زادها الله
شرفا بنبيها انما تنص الحديث عن الثقة المعروف في زمانه بالصدق والامانة
عن مثله حتى تتناهى اخبارهم ثم يبحثون اشد البحث حتى يعرفوا الاحفظ
فالأحفظ والاضبط فالاضبط والاطول مجالسة لمن فوقه ممن كان
اقصر مجالسة ثم يكتبون الحديث من عشرين وجها فاكثر حتى يهذبوه
من الغلط والزلل ويضبطوا حروفه ويعدوه عدا فهذا من فضل الله
على هذه الامة فنستودع الله شكر هذه النعمة وغيرها من نعمه وقال
ابو حاتم الرازي لم يكن في امة من الامم منذ خلق الله ادم أمناء يحفظون
اثار الرسل الا في هذه الامة انتهى ومنها انهم اوتوا الانساب والاعراب قال
ابو بكر محمد بن احمد بلغني ان الله خص هذه الامة بثلاثة اشياء لم يعطها من
قبلها الاسناد والاعراب والانساب انتهى وهو مروي عن ابي علي الجياني
ايضا ومنها انهم اوتوا تصنيف الكتب ذكره بعضهم ولا تزال طائفة منهم
ظاهرين على الحق حتى يأتي امر الله رواه الشيخان ومنها ان فيهم اقطابا

قوله الطاعون وان صح ما قيل فيه انه وخز الجن لما
ورد في الحديث انه وخز اعدائكم الجن ويكفي ذلك
من داخل الجسد والوباء اعم منه

وهو معرفة طرق المتن والرجال اللهم هو التسند

قوله الانساب اي معرفة الانساب قوله والاعراب
اي معرفة احوال الكلم العربي بناء او اعرابا

واختلف في محلهم فقيل بالغرب وقيل بالشام
وقيل بمصر وجمع بانه لا يخلو قطر من الاقطار عن
واحد منهم فهم متفرقون في الارض

واوتادا

واوتادا ونجباء وابدالا عن انس مرفوعا الأبدال اربعون رجلا واربعون
امرأة كلما مات رجل ابدل الله رجلا مكانه واذا ماتت امرأة ابدل الله مكانها
امرأة رواه الخلال في كرامات الأولياء ورواه الطبراني في الاوسط بلفظ
لن تخلو الارض من اربعين رجلا مثل خليل الرحمن عليه السلام فبهم يسقون
وبهم ينصرون ما مات منهم احد الا ابدل الله مكانه اخر رواه ابن عدي
في كامله بلفظ البدلاء اربعون اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر
بالعراق كلما مات منهم احد ابدل الله مكانه اخر فاذا جاء الامر قبضوا كلهم فعند
ذلك تقوم الساعة وكذا يروى كما عند احمد في المسند والخلال من حديث
ابي عبادة بن الصامت موقوفا لا تزال في هذه الامة ثلاثون مثل ابرهيم خليل
الرحمن كلما مات واحد ابدل الله تعالى مكانه رجلا وفي لفظ للطبراني في
الكبير بهم تقوم الارض وبهم يمطرون وبهم ينصرون ولابي نعيم في الحلية
عن ابن عمر رفعه خيار امتي في كل قرن خمسمائة والأبدال اربعون فلا
الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون كلما مات رجل ابدل الله مكانه اخر
وهم في الارض كلها وفي الحلية عن ابن مسعود رفعه لا تزال اربعون رجلا
من امتي قلوبهم على قلب ابرهيم يدفع الله بهم عن اهل الارض يقال لهم الابدال
انهم لم يدركوها بصلاة ولا بصوم ولا بصدقة قال فبم ادركوها يا رسول
الله قال بالسخاء والنصيحة للمسلمين وعن معروف الكرخي من قال اللهم ارحم
امة محمد في كل يوم كتبه الله من الابدال وهو في الحلية بلفظ من قال في كل يوم
عشر مرات اللهم اصلح امة محمد اللهم فرج عن امة محمد اللهم ارحم امة محمد
كتب من الأبدال وعن غيره قال من علامة الأبدال ان لا يولد لهم ويروى
في مرفوع معضل علامة ابدال امتي انهم لا يلعنون شيئا ابدا وقال يزيد بن
هرون الابدال هم اهل العلم وقال الامام احمد ان لم يكونوا اصحاب الحديث
فمن هم وفي تاريخ بغداد للخطيب عن الكتاني قال النقباء ثلاثمائة والنجباء سبعون
والبدلاء اربعون والاخيار سبعة والعمد اربعة والغوث واحد فمسكن
النقباء المغرب ومسكن النجباء مصر ومسكن الأبدال الشام والاخيار
سياحون في الأرض والعمد في زوايا الارض ومسكن الغوث مكة فاذا
عرضت الحاجة من امر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الابدال ثم الاخيار
ثم العمد فان اجيبوا والا الغوث فلا يتم مسئلته حتى تجاب دعوته انتهى ومنها
انهم يدخلون قبورهم بذنوبهم ويخرجون منها بلا ذنوب تمحص عنهم باستغفار

قوله فبهم اي بدعائهم
اي مثل خليل الرحمن في المحبة والاخلاص لا من حيث النبوة

اي بدعائهم

اي يحصل لهما قواما

وللحماسي انه لا يعيش لهم ولد

المؤمنين لهم

رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث انس ولفظه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امتى امة مرحومة تدخل قبورها بذنوبها وتخرج من قبورها لا ذنوب عليها تمحص عنها باستغفار المؤمنين لها ومنها انهم اختصوا فى الاخرة بانهم اول من تنشق عنهم الارض من الامم رواه ابو نعيم عن ابن عباس مرفوعا بلفظ وانا اول من تنشق عنه الارض وعن امتى ولا فخر ومنها انهم يدعون يوم القيمة غرا محجلين من آثار الوضوء رواه البخارى والغرة بياض فى وجه الفرس والتحجيل بياض فى قوآئمه وذلك مما تكسبه حسنا فشبه صلى الله عليه وسلم النور الذى يكون يوم القيمة فى اعضاء الوضوء بالغرة والتحجيل ليفهم ان هذا البياض فى اعضاء الانسان مما يزينه لا مما يشينه يعنى انهم اذا دعوا على رؤس الخلائق نودوا بهذا الوصف وكانوا على هذه الصفة ومنها انهم يكونون فى الموقف على مكان عال رواه ابن جرير وابن مردويه من حديث جابر بلفظ انا وامتى على كوم مشرفين على الخلائق ما من الناس احد الا ود انه منا وما من نبى كذبه قومه الا ونحن نشهد انه بلغ رسالة ربه وعند ابن مردويه من حديث كعب فاكون انا وامتى على تل ومنها ان لهم سيماء فى وجوههم من اثر السجود قال تعالى سيماهم فى وجوههم من اثر السجود وهل هذه العلامة فى الدنيا او فى الاخرة فيه قولان احدهما انه فى الدنيا قال ابن عباس فى رواية ابن ابى طلحة السمت الحسن وقال فى رواية مجاهد ليست بالتى ترون هى سمت الاسلام وسيماه وخشوعه وقيل الصفرة فى الوجه من اثر السهر فتحسبهم مرضى وما هم بمرضى والقول الثانى انه فى الاخرة يعنى ان مواضع السجود من وجوههم تكون اشد بياضا يوم القيمة يعرفون بتلك العلامة انهم سجدوا فى الدنيا رواه العوفى عن ابن عباس وعن شهر بن حوشب تكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر وقال عطاء الخراسانى دخل فى هذه الاية كل من حافظ على الصلوات الخمس ومنها انهم يؤتون كتبهم بايمانهم رواه احمد والبزار ومنها ان نورهم يسعى بين ايديهم اخرجه احمد باسناد صحيح ومنها ان لهم ما سعوا وما يسعى لهم وليس لمن قبلهم الا ما سعى قاله عكرمة واما قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى ففيها اجوبة احدها انها منسوخة روى ذلك عن ابن عباس نسخها قوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم فجعل الولد الطفل فى ميزان ابيه ويشفع الله تعالى الآباء فى الابناء والابناء فى الآباء بدليل قوله تعالى آباؤكم وابناؤكم

قوله فى وجه الفرس اى وفوق الدرهم قوله فى قوآئمه اى ولم يجاوز العرقوب.

قوله فى الدنيا اى وفى الاخرة والا فالتاويل انه فى الدنيا لا يسعه ان يقولوا انه فى الدنيا فقط وان كان ظاهر العبارة يخالفه قوله التى ترون وهى العلامة التى فى الجبهة التى تخالف لون البشرة قوله اشد بياضا من نور بقية البشرة

قوله ٢ اى المؤمنين العصاة وغيرهم واخذ العصاة بايمانهم دليل على عدم خلودهم فى النار قوله يسعى بين ايديهم ويختلف ذلك باختلاف اعمالهم فى الدنيا ٣ الاولى الاتيان بقوله تعالى وما التناهم من عملهم من شىء اى ما انقصناهم قوله آباؤكم وابناؤكم الاية فيه تامل لان هذه الاية فى المواريث

لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا الثانى انها مخصوصة بالكافر واما المؤمن فله ما سعى وما سعى غيره قال القرطبى وكثير من الاحاديث يدل على هذا القول وان المؤمن يصل اليه ثواب العمل الصالح من غيره وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم للذى حج عن غيره حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها اعتكفت عن اخيها عبد الرحمن واعتقت عنه وقال سعد للنبى صلى الله عليه وسلم ان امى توفيت افاتصدق عنها قال نعم قال فاى الصدقة افضل قال سقى الماء وفى الموطا عن عبد الله بن بكر عن عمته انها حدثته عن جدته انها جعلت على نفسها مشيا الى مسجد قبا فماتت ولم تقضه فافتى عبد الله بن عباس ابنها ان يمشى عنها ومن المفسرين من قال ان الانسان فى الاية ابو جهل ومنهم من قال عقبة بن ابى معيط ومنهم من قال الوليد بن المغيرة ومنهم من قال اخبار عن شرع من قبلنا وقد دل شرعنا ان الانسان له سعيه وما سعى له ومنهم من قال الانسان بسعيه فى الخير وحسن صحبته وعشرته اكتسب الاصحاب واسدى لهم الخير وتودد اليهم فصار ثوابهم له بعد موته من سعيه ومنهم من قال الانسان فى الاية للحى دون الميت ومنهم من قال لم ينف فى الاية انتفاع الرجل بسعى غيره له وانما نفى ملكه لسعى غيره وبين الامرين فرق فقال الزمخشرى فى وان ليس للانسان الا ما سعى فان قلت اما صح فى الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه قلت فيه جوابان احدهما ان سعى غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعى نفسه وهو ان يكون مؤمنا مصدقا فلذلك كان سعى غيره كانه سعى نفسه لكونه تبعا له وقائما بقيامه والثانى ان سعى غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه له فهو فى حكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه والصحيح من الاجوبة ان قوله وان ليس للانسان الا ما سعى عام مخصوص لما تقدم من الاجوبة وقد اختلف العلماء فى ثواب قراءة القرآن هل يصل للميت فذهب الاكثرون الى المنع وهو المشهور من مذهب الامام الشافعى والامام مالك ونقل عن جماعة من الحنفية وقال كثير من الشافعية والحنفية يصل وبه قال الامام احمد بن حنبل رحمه الله بعد ان قال القراءة على القبر بدعة بل نقل عن الامام احمد يصل الى الميت كل شىء من صدقة وصلاة وحج واعتكاف وقراءة وذكر وغير ذلك وذكر الشيخ شمس الدين بن القطان العسقلانى ان وصول ثواب القراءة الى الميت من قريب او اجنبى هو الصحيح كما تنفعه الصدقة والدعاء والاستغفار بالاجماع وقد افتى القاضى حسين بان الاستيجار لقراءة القرآن على راس القبر

قوله سقى الماء ثم الخ من بين مات وعليه صيام صام عنه وليه وقال صلى الله عليه وسلم

قوله سقى الماء والراجح ان ذلك يختلف باختلاف الاحوال ففى زمن الغلاء الطعام افضل وفى زمن الحر سقى الماء وفى محاصرة العدو الانفاق فى سبيل الله

قوله فافتى بذلك بتقصيه ويذكر وتثبت ويصرف ولا يصرف

قوله بناء على ان اللام فى قوله للانسان للملك

جائز كالاستيجار للأذان وتعليم القرآن لكن قال الرافعي وتبعه النووي عود
المنفعة الى المستأجر شرط في الأجارة فيجب عود المنفعة في هذه الاجارة الى
المستأجر او ميته لكن المستأجر لا ينتفع بأن يقرأ الغير له ومشهور ان الميت
لا يلحقه ثواب القراءة المجردة فالوجه تنزيل الأستيجار على صورة انتفاع الميت
بالقرآءة وذكروا له طريقين احدهما ان يعقب القراءة بالدعاء للميت فان الدعا
يلحقه والدعاء بعد القرآءة اقرب الى الاجابة واكثر بركة والثاني ذكر الشيخ
عبد الكريم الشالوسي انه ان نوى القارئ بقرآءته ان يكون ثوابها للميت لم يلحقه
لكن لو قرأ ثم جعل ما حصل من الأجر له فهذا دعاء بحصول ذلك الأجر للميت
فينفع الميت قال النووي في زيادات الروضة ظاهر كلام القاضي حسين صحة
الأجارة مطلقا وهو المختار فان موضع القراءة موضع بركة وتنزل الرحمة
وهذا مقصود ينفع الميت وقال الرافعي وتبعه النووي في الوصية الذي
يعتاد من قراءة القرآن على رأس القبر قد ذكرنا في باب الاجارة طريقين في عود
فائدتها الى الميت وعن القاضي ابي الطيب طريق ثالث وهو ان الميت كالحي
الحاضر فترجى لهم الرحمة ووصول البركة اذا اهدى الثواب له القارئ وقال
الشالوسي اذا نوى بقراءته ان يكون ثوابها للميت لم يلحقه ان جعل ذلك قبل
حصوله وتلاوته عبادة البدن فلا تقع عن الغير وان قرأ ثم جعل ما حصل
من الثواب للميت ينفعه اذ قد جعل ما حضر من الاجر لغيره والميت يوجر
بدعاء الغير لكن اطلاق ان الدعاء ينفع الميت اعترض عليه بعضهم بانه
موقوف على الأجابة ويمكن ان يقال الدعاء للميت مستجاب كما اطلقوا اعتمادا
على سعة فضل الله وقال الرافعي والنووي يستوي في الصدقة والدعاء
الوارث والأجنبي قال الشافعي وفي وسع الله ان يثيب المتصدق ايضا
وقال الاصحاب يستحب ان ينوي المتصدق الصدقة عن ابويه فان الله
ينيلهما الثواب ولا ينقص من اجره شيئا وذكر صاحب العدة انه لو انبط عينا
او حفر بئرا او غرس شجرا او وقف مصحفا في حال حياته او فعل غيره بعد
موته يلحق الثواب بالميت وقال الرافعي والنووي ان هذه الامور اذا صدرت
من الحي فهي صدقات جارية يلحقه ثوابها بعد الموت كما ورد في الخبر ولا يختص
الحكم بوقف المصحف بل يلحق به كل وقف وهذا القياس يقتضي جواز
التضحية عن الميت فانها ضرب من الصدقة لكن في التهذيب انه لا تجوز
التضحية عن الغير بغير امره وكذا عن الميت الا ان يكونوا وصى به وقد روي

عن علي او غيره من الصحابة انه كان يضحي عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته
وعن ابي العباس محمد بن اسحق السراج قال ضحيت عن النبي صلى الله عليه وسلم
سبعين اضحية واما اهداء القرآءة الى النبي صلى الله عليه وسلم فلا نعرف فيه
خبرا ولا اثرا وقد انكر جماعة منهم الشيخ كمال الدين بن فركاح لان الصحابة
لم يفعله احد منهم وحكى صاحب الروح ان من الفقهاء المتأخرين من استحبه
ومنهم من رآه بدعة قالوا والنبي صلى الله عليه وسلم غني عن ذلك فان له
اجور كل من عمل خيرا من امته من غير ان ينقص من اجر العامل شيء قال الشافعي
ما من خير يعمله احد من امة النبي صلى الله عليه وسلم الا والنبي صلى الله عليه
وسلم اصل فيه قال في تحقيق النصرة فجميع حسنات المسلمين واعمالهم
الصالحة في صحائف سيدنا صلى الله عليه وسلم زيادة على ما له من
الأجر مع مضاعفة لا يحصرها الا الله تعالى لان كل مهتد وعامل الى يوم
القيمة يحصل له اجر ويتجدد لشيخه مثل ذلك الأجر ولشيخ شيخه
مثلاه وللشيخ الثالث اربعة وللرابع ثمانية وهكذا تضعف كل مرتبة
بعدد الأجور الحاصلة بعده الى النبي صلى الله عليه وسلم وبهذا يعلم
تفضيل السلف على الخلف فاذا فرضت المراتب عشرة بعد النبي صلى الله
عليه وسلم كان للنبي صلى الله عليه وسلم من الأجر الف واربعة وعشرون
فاذا اهتدى بالعاشر حادي عشر صار اجر النبي صلى الله عليه وسلم
الفين وثمانية واربعين وهكذا كلما ازداد واحد يتضاعف ما كان
قبله ابدا كما قال بعض المحققين انتهى ولله در القائل وهو سيدي محمد وفا

فلا حسن الا من محاسن حسنه	ولا محسن الا له حسناته

وبهذا يجاب عن استشكال دعاء القارئ له صلى الله عليه وسلم بزيادة
الشرف مع العلم بكماله عليه السلام في سائر انواع الشرف فكان الداعي
لحظ ان قبول قرآءته يتضمن لمعلمه نظير اجره وهكذا حتى يكون للمعلم الاول
وهو الشارع عليه السلام نظير جميع ذلك كما قررته ومن ذلك ما شرع
عند رؤية الكعبة من قوله اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما فثمرة
الدعاء بذلك عائدة على الداعي لاشتماله على طلب قبول القراءة وهذا
كما قالوا في الصلاة عليه زاده الله شرفا لديه ان ثمرتها عائدة على المصلي
اشار لنحوه الحافظ ابن حجر رحمه الله ومن خصائص هذه الامة انهم
يدخلون الجنة قبل سائر الأمم رواه الطبراني في الاوسط من حديث عمر

بن الخطاب مرفوعا حرمت الجنة على الانبياء حتى ادخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها امتى ومنها انه يدخل منهم الجنة سبعون الفا بغير حساب رواه الشيخان وعند الطبراني والبيهقي في البعث ان ربي وعدني ان يدخل من امتي الجنة سبعين الفا الا حساب عليهم وانى سألت ربى المزيد فاعطاني مع كل واحد من السبعين الفا سبعين الفا وبالجملة فقد اختصت هذه الامة بما لم يعطه غيرها من الأمم تكرمة لنبيها عليه السلام وزيادة في شرفه وتفصيل فضلها وخصائصها يستدعي سفرا بل اسفارا وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم المقصد الخامس في تخصيصه عليه السلام بخصائص المعراج والاسراء وتعميمه بعموم لطائف التكريم في حضرة التقريب بالمكالمة والمشاهدة والآيات الكبرى اعلم منحني الله واياك الترقي في معارج السعادات • واوصلنا به اليه في حظائر الكرامات ان قصة الاسراء والمعراج من اشهر المعجزات • واظهر البراهين البينات • واقوى الحجج المحكمات • واصدق الانباء واعظم الآيات واتم الدلالات • الدالة على تخصيصه عليه الصلاة والسلام بعموم الكرامات • وقد اختلف العلماء في الاسراء هل هو اسراء واحد في ليلة واحدة يقظة او مناما او اسراءان كل واحد في ليلة مرة بروحه وبدنه يقظة ومرة مناما او يقظة بروحه وبدنه من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم مناما من المسجد الاقصى الى العرش او هي اربع اسراآت احتج القائلون بأنها رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء وحي بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس لان الرؤيا مصدر الحلمية واما البصرية فالرؤية بالتاء وقد انكر ابن مالك والحريري وغيرهما كما افاده الشيخ بدر الدين الزركشي ورود الرؤيا للبصرية ولحنوا المتنبي في قوله • ورؤياك احلى في العيون من الغمض واجيب بانه انما قال الرؤيا لوقوع ذلك في الليل وسرعة تقضيه كانه منام وبان الرؤيا والرؤية واحد كقربى وقربة ويشهد له قول ابن عباس رضي الله عنهما في الآية كما عند البخاري هي رؤيا عين اريها صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به وزاد سعيد بن منصور عن سفيان في آخر الحديث وليس رؤيا منام ولم يصرح في رواية البخاري بالمرئي وعند سعيد بن منصور ايضا من طريق أبي مالك قال هو ما أري في طريقه الى بيت المقدس وهذا مما يستدل به على اطلاق لفظ الرؤيا على ما يرى بالعين في اليقظة وهو يرد على من خطأ المتنبي على انه اختلف المفسرون في هذه

الآية

الآية فقيل اي الرؤيا التي أريناك ليلة المعراج قال البيضاوي ففسر الرؤيا بالرؤية وقيل رؤيا عام الحديبية حين رأى انه دخل مكة فصده المشركون وافتتن بذلك ناس وقيل رؤيا وقعة بدر وسئل ابن النقيب شيخه ابا العباس القرطبي عن الآية فقال الصحيح انها رؤية عين يقظة اراه جبريل مصارع القوم ببدر فارى النبي صلى الله عليه وسلم الناس مصارعهم التي اراه جبريل فتسامعت به قريش فاستسخروا منه واحتج القائلون بانه رؤيا منام ايضا بقول عائشة ما فقدت جسده الشريف واجيب بان عائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن اذ ذاك زوجا ولا في سن من يضبط او لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسراء متى كان وقال التفتازاني ما فقد جسده عن الروح بل كان مع روحه وكان المعراج للجسد والروح جميعا انتهى واحتج القائلون بانه بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السماء بالروح بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فجعل المسجد الاقصى غاية الاسراء الذي وقع التعجب به بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي صلى الله عليه وسلم به واظهار الكرامة له بالاسراء قالوا ولو كان الاسراء بجسده الى زائد على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ في المدح واجيب بان حكمة التخصيص بالجسد لمسجد الاقصى سؤال قريش له عنه على سبيل الامتحان عما شاهدوه وعرفوه من صفة بيت المقدس وقد علموا انه لم يسافر اليه فيجيبهم بما عاين ويوافق ما يعلمونه فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع ولهذا لم يسألوه عما رأى في السماء اذ لا عهد لهم بذلك وقال النووي في فتاويه وكان الاسراء به عليه الصلاة والسلام مرتين مرة في المنام ومرة في اليقظة وذكر السهيلي تصحيح هذا المذهب عن شيخه القاضي ابي بكر بن العربي وان مرة النوم توطئة له وتيسير عليه كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ليسهل عليه امر النبوة فانه امر عظيم تضعف عنه القوى البشرية وكذلك الاسراء سهله عليه بالرؤيا لان هوله عظيم فجاء في اليقظة على توطئة وتقدمة رفقا من الله تعالى بعبده وتسهيلا عليه وقد جوز بعض قائلي ذلك ان تكون قصة المنام قبل المبعث لاجل قول شريك في روايته وذلك قبل ان يوحى اليه وسيأتي البحث في ذلك ان شاء الله تعالى واحتج القائلون بانه اربع اسراآت يقظة بتعدد الروايات في الاسراء واختلاف ما يذكر فيها فبعضهم يذكر شيئا لم يذكره الآخر وبعضهم يسقط شيئا ذكره الآخر واجيب بانه لا يدل

على التعدد لان بعض الرواة قد يحذف بعض الخبر للعلم به او بنسيانه وقال الحافظ بن كثير من جعل كل رواية خالفت الاخرى مرة على حدة فاثبت اسرآات متعددة فقد ابعد واغرب وهرب الى غير مهرب ولم يحصل كل مطلب ولم ينقل ذلك عن احد من السلف ولو تعدد هذا التعدد لاخبر صلى الله عليه وسلم به امته ولنقله الناس على التعدد والتكرار انتهى وقد وقع في رواية عبثر بن القاسم بموحدة ثم مثلثة بوزن جعفر في روايته عن حصين بن عبد الرحمن عند الترمذي والنسائي لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يمر بالنبي ومعه الواحد الحديث فان كان ذلك محفوظا كان فيه قوة لمن ذهب الى تعدد الاسراء وانه وقع بالمدينة ايضا غير الذي وقع بمكة قال في فتح الباري والذي يتحرر من هذه المسئلة ان الاسراء الذي وقع بالمدينة ليس فيه ما وقع بمكة من استفتاح ابواب السماء بابا بابا ولا من التقاء الانبياء كل واحد في سماء ولا المراجعة معهم ولا المراجعة مع موسى فيما يتعلق بفرض الصلوات ولا في طلب تخفيفها وسائر ما يتعلق بذلك وانما تكررت قضايا كثيرة سوى ذلك رآها صلى الله عليه وسلم فمنها بمكة البعض ومنها بالمدينة بعد الهجرة البعض ومعظمها في المنام والله اعلم انتهى وقال بعض العارفين انه صلى الله عليه وسلم اربعة وثلاثين مرة الذي اسري به منها بجسده اسراء واحد والباقي بروحه رؤيا رآها والحق انه اسراء واحد بروحه وجسده يقظة في القصة كلها والى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وترادفت عليه ظواهر الاخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عن ذلك اذ ليس في العقل ما يحيله قال الرازي قال اهل التحقيق الذي يدل على انه تعالى اسرى بروح محمد صلى الله عليه وسلم وجسده من مكة الى المسجد الاقصى القرآن والخبر اما القرآن فقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وتقرير الدليل ان العبد اسم للجسد والروح فوجب ان يكون الاسراء حاصلا بجميع الجسد والروح ويدل عليه قوله تعالى ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى ولا شك ان المراد هنا مجموع الروح والجسد وايضا قال سبحانه وتعالى في سورة الجن وانه لما قام عبد الله يدعوه والمراد مجموع الروح والجسد وكذا ههنا انتهى واحتجوا ايضا بظاهر قوله عليه الصلاة والسلام اسري بي لان الاصل في الافعال ان تحمل على اليقظة حتى يدل دليل على خلافه وبان ذلك لو كان مناما لما كان فيه فتنة للضعفاء ولا استبعده الاغبياء وبان الدواب لا تحمل

الارواح وانما تحمل الاجسام وقد تواترت الاخبار بانه اسري به على البراق فان قلت ما الحكمة في كونه جعل الاسراء ليلا اجيب بانه انما جعله ليلا تمكينا للتخصيص بمقام المحبة لانه تعالى اتخذه عليه السلام حبيبا وخليلا والليل اخص زمان للمحبين بجمعهما فيه والخلوة بالحبيب متحققة بالليل وقال ابن المنير ولعل تخصيص الاسراء بالليل ليزداد الذين امنوا ايمانا بالغيب وليفتتن الذين كفروا زيادة على فتنتهم اذ الليل اخفى حالا من النهار قال ولعله لو عرج به نهارا لفات المؤمن فضيلة الايمان بالغيب ولم يحصل ما وقع من الفتنة على من شقي وجحد وفي ذلك حكمة اخرى على طريقة اهل الاشارات وذكرها العلامة بن مرزوق وهي انه قيل لان الله تعالى لما محى اية الليل وجعل اية النهار مبصرة انكسر الليل فجبر بان اسري فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل افتخر النهار على الليل بالشمس فقيل له لا تفتخر ان كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيعرج شمس الوجود في الليل الى السماء وقيل لانه صلى الله عليه وسلم سراج والسراج انما يوقد في الليل وانشد

قلت يا سيدي ولم تؤثر الليل	على بهجة النهار المنير
قال لا استطيع تغيير رسمي	هكذا الرسم في طلوع البدور
انما زرت في الظلام لكيما	يشرق الليل من اشعة نوري

فان قلت ايما افضل ليلة الاسراء او ليلة القدر فالجواب كما قاله الشيخ ابو امامة بن النقاش ان ليلة الاسراء افضل في حق النبي صلى الله عليه وسلم وليلة القدر افضل في حق الامة لانها لهم خير من عمل في ثمانين سنة لمن قبلهم واما ليلة الاسراء فلم يأت في ارجحية العمل فيها صحيح ولا ضعيف ولذلك لم يعينها النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ولا عينها احد من الصحابة باسناد صحيح ولا صح الى الان ولا الى ان تقوم الساعة فيها شيء ومن قال فيها شيء فانما قاله من كيسه لمرجح ظهر له استأنس به ولهذا تصادمت الاقوال فيها وتباينت ولم يثبت الامر فيها على شيء ولو تعلق بها نفع للامة ولو بذرة لبينه لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم انتهى فان قلت هل وقع الاسراء لغيره صلى الله عليه وسلم من الانبياء اجاب العارف بالله عبد العزيز المهدوي بان مرتبة الاسراء بالجسم الى تلك الحضرات العلية لم يكن لاحد من الانبياء الا لنبينا صلى الله عليه وسلم انتهى وانما قال تعالى اسرى بعبده اشارة الى انه تعالى هو المسافر به ليعلم ان الامر من عنده عز وجل هبة الهية وعناية ربانية

سبقت له عليه السلام مما لم يخطر بسره ولا اختلج فى ضميره وادخل باء
المصاحبة فى قوله بعبده ليفيد انه تعالى صحبه فى مسراه صحبة بالالطاف و
العناية والاسعاف والرعاية ويشهد له قوله عليه السلام اللهم انت
الصاحب فى السفر وتامل قوله تعالى يسيركم فى البر والبحر وقوله اسرى بعبده
تلح لك خصوصية مصاحبة الرسول عليه السلام للحق دون عموم الخلق
وقرن سبحانه وتعالى التسبيح بهذا المسرى لينفى بذلك عن قلب صاحب الوهم
ومن يحكم عليه خياله من اهل التشبيه والتجسيم ما يتخيله فى حق الحق تعالى
من الجهة والحد والمكان ولذا قال لنريه من اياتنا يعنى ما رأى فى تلك الليلة من
عجائب الايات كانه يقول تعالى ما اسريت به الا لرؤية الايات لا الى فانى لا يحدنى
مكان ونسبة الامكنة الى نسبة واحدة فكيف اسرى به الى وانا عنده ومعه اينما كان ولله در القائل

سبحان من اسرى اليه بعبده	ليرى الذى اخفاه من اياته
لحضوره فى غيبه وكسكره	فى صحوه والمحو فى اثباته
ويرى الذى عنه تكون سره	فى منعه انشاءه وهباته
ويريه ما ابدى له من جوده	بوجوده والفقد من هيئاته
سبحانه من سيد ومهيمن	فى ذاته وسماته وصفاته

واكده تعالى بقوله ليلا مع ان الاسراء لا يكون فى اللسان العربى الا ليلا لا نهارا
ليرتفع الاشكال حتى لا يتخيل انه اسرى بروحه فقط ويزيل من خاطر من يعتقد
من الناس ان الاسراء ربما يكون نهارا فان القران وان كان نزل بلغة العرب فانه
خاطب به الناس اجمعين اصحاب اللسان وغيرهم وقال البيضاوى تبعا لصاحب
الكشاف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل
اى بعضه كقوله تعالى ومن الليل فتهجد به وتعقبه القطب فى حاشيته على الكشاف
كما نبهت عليه فى حاشية الشفا والمعاريج ليلة الاسراء عشرة سبع الى
السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى الذى سمع فيه صريف
الاقلام فى تصاريف الاقدار والعاشر الى العرش والرفرف والرؤية وسماع
الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيقى وقد وقع له عليه السلام فى سنى الهجرة
العشر ما كان فيه مناسبات لطيفة لهذه المعاريج العشرة ولهذا ختمت سنى
الهجرة بالوفاة وهى لقاء الحق جل جلاله والانتقال من دار الفناء الى دار البقاء
والعروج بالروح الكريمة الى المقعد الصدق والى الموعد الحق والى الوسيلة
وهى المنزلة الرفيعة كما ختمت معاريج الاسراء باللقاء وبالحضور بحظيرة

القدس

القدس وقد افاد الامام الذهبى ان الحافظ عبد الغنى جمع احاديث الاسراء فى
جزئين ولم يتيسر لى الوقوف عليهما بعد الفحص وقد صنف الشيخ ابو اسحاق
النعمانى رحمه الله فى الاسراء والمعراج كتابا جامعا للاطناب بزيادة الرقائق
والاشجان بفواصل الحقائق ولم اقف عليه حالة كتابتى هذا المقصد الشريف
ويرحم الله تعالى شيخ الاسلام والحفاظ الشهاب بن حجر العسقلانى فانه قد جمع
فى كتابه الفتح كثيرا مما تشتت من طرق حديث الاسراء وغيره من الاحاديث مع
تدقيق مباحث فقهه • والكشف عن اسرار معانى كلمه • وبدائع الفاظه وحكمه •
كل من صنف فى شىء من المنح النبوية • والمناقب المحمدية • لا يستغنى عن استجناء
معارف اللطائف من رياض غياض • والاستشفاء من ادواء المشكلات
بدواء شفائه المبرى لمعضل الامراض • فالله تعالى يفيض عليه وعلى سائر
علماء هذه الامة سجال رحمته ورضوانه • ويسكننا معهم فى بحبوحة جنانه •
وقد وردت احاديث الاسراء من حديث انس • وابى بن كعب • وجابر بن عبد الله
وبريدة • وسمرة بن جندب • وابن عباس • وابن عمر • وابن مسعود • وابن عمرو وحذيفة
بن اليمان • وشداد بن اوس • وصهيب • وعلى بن ابى طالب • وعمر بن الخطاب • ومالك
بن صعصعة • وابى امامة • وابى ايوب • وابى حية • وابى ذر • وابى سعيد
الخدرى • وابى سفيان بن حرب • وابى هريرة • وعائشة • واسماء بنت ابى بكر •
وام هانى • وام سلمة • وغيرهم وفى تفسير الحافظ بن كثير ما يكفى ويشفى وبالجملة
فحديث الاسراء اجمع عليه المسلمون • واعرض عنه الزنادقة الملحدون •
ليطفؤا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون وقد روى
البخارى عن قتادة عن انس بن مالك عن مالك بن صعصعة ان نبى الله صلى الله
عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسرى به بينما انا نائم فى الحطيم وربما قال فى الحجر
مضطجعا اذ اتانى فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه فقلت
للجارود وهو الى جنبى ما يعنى به قال من ثغرة نحره الى شعرته فاستخرج قلبى
ثم اتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبى ثم حشى ثم اعيد ثم
اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار فقال له الجارود وهو البراق يا ابا حمزة
قال انس نعم يضع خطوه عند اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بى جبريل حتى
اتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قال ومن معك قال محمد قيل
وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجىء فجاء ففتح فلما خلصت فاذا فيها ادم
فقال هذا ابوك ادم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا

بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السماء الثانية فاستفتح
فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل
مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح لنا فلما خلصنا اذا يحيى وعيسى ابنا الخالة قال
هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح
والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا قال
جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا فنعم المجيء
جاء ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه
فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السماء الرابعة
فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال
نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا ادريس قال هذا ادريس
فسلم عليه فسلمت فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي
حتى اتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا هرون قال هذا
هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح
ثم صعد بي حتى اتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن
معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت
فاذا موسى عليه السلام قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال
مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال ابكي
لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر ممن يدخلها من امتي ثم صعد
الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
قيل وقد بعث اليه قيل نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابرهيم
قال هذا ابوك فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام فقال مرحبا بالابن
الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا
ورقها مثل اذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى واذا اربعة انهار نهران باطنان
ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل فقال اما الباطنان فنهران في الجنة
واما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع بي الى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون
الف ملك ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال
هي الفطرة التي انت عليها وامتك ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم
فرجعت فمررت بموسى فقال بما امرت قال امرت بخمسين صلاة كل يوم قال

اكبر منهما ابن خالة الآخر

قوله بكى وبكاؤه هذا لفوات حظه من امته لا حسدا وليس في قوله غلام ما يقتضي لقائل الشريف بل على طريقة التعظيم لانه اذا استكمل الرجل الشباب وغيرها فقيل له غلام كما يقال في عبارة المصنف بعد

ان امتك

اي بني اسرائيل

ان امتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك
وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فسئله التخفيف لامتك
فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا
فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات كل يوم فقال مثله
فرجعت فامرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى قال ان امتك لا تستطيع
خمس صلوات كل يوم واني قد اختبرت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة
فارجع الى ربك فاسئله التخفيف لامتك قال سالت ربي حتى استحييت ولكن
ارضى واسلم قال فلما جاوزت ناداني مناد امضيت فريضتي وخففت
عن عبادي وفي رواية له ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء
بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغه في صدري ثم اطبقه وفي
رواية شريك فحشي به صدره ولغاديده وهي بلام مفتوحة وغين معجمة اي
عروق حلقه وفي النهاية جمع لغدود وهي لحمة عند اللهاة والشك في قوله وربما
قال في الحجر من قتادة كما بينه احمد عن عفان ولفظه بينما انا في الحطيم وربما قال
قتادة في الحجر والمراد بالحطيم هنا الحجر ووقع عند البخاري في اول بدء الخلق بلفظ
بينا انا عند البيت وهو اعم وفي رواية الزهري عن انس عن ابي ذر فرج سقف بيتي
وانا بمكة وفي رواية الواقدي باسانيده انه اسري به من شعب ابي طالب وفي
حديث ام هانئ عند الطبراني انه بات في بيتها ففقدته من الليل فقال جبريل
اتاني والجمع بين هذه الاقوال كما في فتح الباري انه بات في بيت ام هانئ وبيتها في
شعب ابي طالب ففرج سقف بيته واضاف البيت اليه لكونه كان يسكنه
فنزل منه الملك فاخرجه من البيت الى المسجد فكان به مضطجعا وبه اثر النعاس
فاخذه الملك فاخرجه فاركبه البراق قال وقد وقع في مرسل الحسن عند ابن
اسحاق ان جبريل اتاه فاخرجه الى المسجد فاركبه البراق وهو يؤيد هذا الجمع فان قيل
لم فرج سقف بيته عليه الصلاة والسلام ونزل منه الملك ولم يدخل عليه من
الباب مع قوله تعالى وأتوا البيوت من ابوابها اجيب بان الحكمة في ذلك ان الملك
انصب من السماء انصبابة واحدة ولم يعرج على شيء سواه مبالغة في المفاجاة
وتنبيها على ان الطلب وقع على غير ميعاد كرامة له عليه الصلاة والسلام وهذا
بخلاف موسى عليه السلام فكانت كرامته بالمناجات عن ميعاد واستعداد
بخلاف نبينا عليه الصلاة والسلام فانه حمل عنه الم الانتظار كما حمل عنه
الم الاعتذار ويؤخذ من هذا ان مقام نبينا عليه الصلاة والسلام بالنسبة

اي الى باب المسجد

الى مقام موسى عليه الصلاة والسلام مقام المراد بالنسبة الى مقام المريد
ويحتمل ان تكون توطئة وتمهيدا لكونه فرج عن صدره فاراه الملك بافراجه
عن السقف ثم التام السقف على الفور كيفية ما يصنع به وقرب له الامر
فى نفسه بالمثال المشاهد فى بيته لطفا فى حقه عليه الصلاة والسلام
وتثبيتا لصبره والله اعلم وقوله مضطجعا زاد فى بدء الخلق بين النائم واليقظان
وهو محمول على ابتداء الحال ثم لما اخرج الى باب المسجد فاركبه البراق استمر فى
يقظته واما ما وقع فى رواية شريك عنده ايضا فلما استيقظت فان قلنا
بالتعدد فلا اشكال والا حمل على ان المراد استيقظت يعنى انه افاق مما كان
فيه من شغل البال بمشاهدة الملكوت ورجع الى العالم الدنيوى فالمراد
الافاقة البشرية من الغمرة الملكية وقوله اذ اتانى آت هو جبريل عليه السلام
وفى رواية شريك انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه وهو نائم فى المسجد
الحرام فقال اولهم ايهم هو فقال اوسطهم هو خيرهم فقال اخرهم خذوا خيرهم
وكانت تلك الليلة اى كانت القصة الواقعة تلك الليلة ما ذكره هنا فلم يرهم
حتى اتوه ليلة اخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء
تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه وقد انكر الخطابى قوله قبل ان
يوحى اليه وكذا القاضى عياض والنووى وعبارة النووى وقع فى رواية شريك
يعنى هذه اوهام انكرها العلماء احدها قوله قبل ان يوحى اليه وهو غلط لم يوافق
عليه واجمع العلماء على ان فرض الصلاة كانت ليلة الاسراء فكيف يكون قبل
الوحى انتهى فقد صرح هؤلاء بان شريكا تفرد بذلك لكن قال الحافظ ابن حجر فى
دعوى التفرد نظر فقد وافقه كثير بن خنيس بالمعجمة ونون مصغرا عن انس كما اخرجه
سعيد بن يحيى بن سعيد الاموى فى كتاب المغازى من طريقه قال ولم يقع التعيين
بين المجيئين فيحمل على ان المجئ الثانى كان بعد الوحى وحينئذ وقع الاسراء والمعراج
واذا كان بين المجيئين مدة فلا فرق بين ان تكون تلك المدة ليلة واحدة او ليالى
او عدد سنين وبهذا يرتفع الاشكال عن رواية شريك ويحصل به الوفاق اذ
الاسراء كان فى اليقظة بعد البعثة وقبل الهجرة وسقط تشنيع الخطابى وغيره بان
شريكا خالف الاجماع فى دعواه ان المعراج كان قبل البعثة واقوى ما يستدل به
على ان المعراج بعد البعثة قوله فى هذا الحديث نفسه ان جبريل قال لبواب السماء
اذ قال له ابعث قال نعم فانه ظاهر فى ان المعراج كان بعد البعثة وقد وقع فى رواية
ميمون بن سياه عند الطبرانى فاتاه جبريل وميكائيل فقالا ايهم وكانت قريش

قوله فيما يرى قلبه هذا يقتضى ان الاسراء كان بقلبه وروحه

تنام

تنام حول الكعبة فقال امرنا بسيدهم ثم ذهبا ثم جاؤه وهم ثلاثة وفى رواية
مسلم سمعت قائلا يقول احد الثلاثة بين الرجلين فاتيت فانطلق بى والمراد بالرجلين
حمزة وجعفر وكان النبى صلى الله عليه وسلم نائما بينهما وقوله فقد بالقاف والدال
المهملة الثقيلة من ثغرة بضم المثلثة وسكون الغين المعجمة وهو الموضع المنخفض
بين الترقوتين الى شعرته بكسر الشين المعجمة اى شعر العانة الشريفة وفى رواية مسلم
الى اسفل بطنه وفى رواية للبخارى الى مراق البطن وفى رواية شريك عنده فشق جبريل ما
بين نحره الى لبته بفتح اللام وتشديد الموحدة وهو موضع القلادة من الصدر
وقد انكر القاضى عياض فى الشفاء وقوع شق صدره الشريف ليلة الاسراء وقال
انما كان وهو صبى وقبل الوحى يعنى فى بنى سعد ولا انكار فى ذلك كما قاله الحافظ
ابو الفضل العسقلانى رحمه الله فقد تواردت الروايات به وثبت شق الصدر
ايضا عند البعثة كما اخرجه ابو نعيم فى الدلائل ولكل منها حكمة فالاول وقع فيه
من الزيادة كما عند مسلم من حديث انس فاخرج علقة فقال هذا حظ الشيطان
منك وكان هذا فى زمن الطفولية فنشأ على اكمل الاحوال من العصمة من الشيطان
ولعل هذا الشق كان سببا فى اسلام قرينه المروى عند البزار من حديث ابن عباس
ويحتمل ان يكون اشارة الى حظ الشيطان المباين للعفريت الذى اراد ان يقطع عليه
صلاته وامكنه الله منه واما شق الصدر عند المبعث فلزيادة الكرامة وليتلقى
ما يوحى اليه بقلب قوى على اكمل الاحوال من التطهير واما شقه عند ارادة العروج
الى السماء فللتهئ للترقى الى الملأ الاعلى والثبوت فى المقام الاسنى والتقوى
لاستجلاء الاسماء الحسنى ولهذا لم يتفق لموسى عليه السلام مثل هذا التهيؤ
لم تتفق له هذه الرؤية وكيف يثبت الرجل لما لا يثبت له الجبل ويحتمل ان تكون
الحكمة فى هذا الغسل لتقع المبالغة فى الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر
فى شرعه عليه الصلاة والسلام ثم ان جميع ما ورد من شق الصدر واستخراج
القلب وغير ذلك من الامور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض
لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شئ من ذلك قال العارف
ابن ابى جمرة فيه دليل على ان قدرة الله عز وجل لا يعجزها ممكن ولا تتوقف لعدم
شئ ولا لوجوده وليست مربوطة بالعادات الا حيث شاءته القدرة لانه
على ما يعهد ويعرف ان البشر مهما شق بطنه كله واخرج القلب مات ولم يعش وهذا
النبى صلى الله عليه وسلم قد شق بطنه المكرم حتى اخرج القلب فغسل وقد شق
بطنه كذلك ايضا وهو صغير وشق قلبه واخرجت منه نزغة الشيطان

قوله هذا حظ الشيطان اى هذا مثل موضع حظ الشيطان من غيرك

تهما

ومعلوم ان القلب مهما وصل اليه الجرح مات صاحبه وهذا النبي صلى الله عليه
وسلم شق بطنه في هاتين المرتين ولم يتألم بذلك ولم يمت لما اذ اراد الله تعالى ان
لا يؤثر ما اجرى به العادة ان يؤثر بها موت صاحبها فابطل تلك العادة وقد رمي
ابرهيم عليه السلام في النار فلم تحرقه وكانت عليه بردا وسلاما انتهى وقد حصل
من شق صدره الكريم اكرامه عليه الصلاة والسلام بتحقيق ما اوتي من الصبر
فهو من جنس ما اكرم به اسماعيل الذبيح من تحقيق صبره على مقدمات الذبح شدا
كتفا وتلا للجبين واهواء للمدية الى المنحر فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين
ووفى بما وعد الله فاكرمه الله بالثناء على صبره الى الابد ولا مرية ان الذي حصل
من صبر نبينا صلى الله عليه وسلم على شق الصدر اشد واجل لان تلك مقدمات
وهذه نتيجة وتلك معاريض وهذه حقيقة والمنحر مقتل وما اصابه من
اسماعيل الا صورة القتل لا فعله وشق صدر نبينا عليه الصلاة والسلام
واستخراج قلبه ثم شقه ثم كذا ثم كذا مقاتل عديدة وقعت كلها ولكن انخرقت
العادة ببقاء الحياة فهذا الابتلاء اعظم من ابتلاء الذبيح بما ذكر **فان قلت**
انما يتحقق الصبر ان لو كان هناك مشقة فلعل العادة لما انخرقت في ابقاء الحياة
انخرقت في رفع المشاق وحمل الالام **أجيب** بانه ورد في حديث شق صدره فاقبل
وهو منتقع اللون او ممتقع بالميم بدل النون وهو يدل على ان الصبر على مشقة
المعالجة المذكورة محقق **قال** القاضي عياض واصل انتقع صار كلون النقع و
النقع الغبار وهو شبيه بلون الاموات وهذا يدل على غاية المشقة **واما** قول
ابن الجوزي فشقه وما شق عليه فيحمل على انه صبر صبر من لم يشق عليه انتهى
وكذلك الابتلاء ايضا من حيث السن فان ذلك وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم
بعيد ما فطم وايضا فانه كان منفردا عن امه • ويتيما من ابيه • واختطف من بين
الاطفال • وفعل به ما فعل من الافعال • تسهيلا لما يلقاه في المال • وتعظيما لما
يناله على الصبر من الثواب والثناء **و**لهذا لما شج وجرح وكسرت رباعيته
قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون زاده الله شرفا **وقوله** ثم اتيت بطست
من ذهب انما اتي بالطست لانه اشهر الات الغسل عرفا **فان قلت** ان استعمال
الذهب حرام في شرعه عليه الصلاة والسلام فكيف استعمل الطست الذهب هنا
أجاب العارف بن ابي جمرة بان تحريم الذهب انما هو لاجل الاستمتاع به في هذه
الدار واما في الاخرة فهو للمؤمنين خالصا لقوله عليه الصلاة والسلام هو لهم في
الدنيا وهو لنا في الاخرة **قال** ثم ان الاستمتاع بهذا الطست لم يحصل منه

عليه الصلاة

عليه الصلاة والسلام وانما كان غيره هو السائق له والمتناول لما كان فيه حتى
وضعه في القلب المبارك فسوقان الطست من هناك وكونه كان من ذهب دال
على ترفيع المقام فانتفى التعارض بدليل ما قررناه انتهى **وتعقبه** الحافظ بن حجر
بانه لا يكفي ان يقال ان المستعمل له ممن لا يحرم عليه ذلك من الملائكة لانه لو كان
قد حرم عليه استعماله لنزه ان يستعمله غيره في امر يتعلق ببدنه المكرم **ويمكن**
ان يقال ان تحريم استعماله مخصوص باحوال الدنيا وما وقع في تلك الليلة كان
الغالب انه من احوال الغيب فيلحق باحوال الاخرة او لعل ذلك قبل ان يحرم استعمال
الذهب في هذه الشريعة ويظهر هنا مناسبات **منها** انه من اواني الجنة **ومنها** انه
لا تاكله النار ولا التراب **ومنها** انه لا يلحقه الصدأ **ومنها** انه اثقل الجواهر
فناسب قلبه عليه الصلاة والسلام لانه من اواني احوال الجنة ولا تاكله النار ولا
التراب ان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء ولا يلحقه الصدى وانه اثقل
من كل قلب عدل به وفيه مناسبة اخرى وهي ثقل الوحي فيه انتهى **قلت** قوله ولعل
ذلك قبل ان يحرم استعمال الذهب في هذه الشريعة قد جزم هو في اول الصلاة من كتاب
فتح الباري بان تحريم الذهب انما وقع بالمدينة **وقال** السهيلي وابن دحية ان نظر الى
لفظ الذهب ناسب من جهة اذهاب الرجس عنه ولكونه وقع عند الذهاب الى ربه
وان نظر الى معناه فلوضاءته ونقائه وصفائه انتهى والمراد بقوله ملئ حكمة وايمانا
ان الطست جعل فيها شئ يحصل به كمال الايمان والحكمة فسمي حكمة وايمانا مجازا
ويحتمل ان يكون على حقيقته وتجسيد المعاني جائز كما ان سورة البقرة تجئ يوم
القيامة كانها ظلة والموت في صورة كبش وكذلك وزن الاعمال وغير ذلك **وقال**
البيضاوي لعل ذلك من باب التمثيل اذ تمثيل المعاني قد وقع كثيرا كما مثلت له صلى
الله عليه وسلم الجنة والنار في عرض الحائط وفائدته كشف المعنوي بالمحسوس
وقال العارف بن ابي جمرة فيه دليل على ان الايمان والحكمة جواهر محسوسات
لا معاني لانه عليه الصلاة والسلام قال عن الطست انه اتي به مملوء حكمة وايمانا
ولا يقع الخطاب الا على ما يفهم ويعرف والمعاني ليس لها اجسام حتى تملأ وانما
يمتلي الاناء بالاجسام والجواهر وهذا نص من الشارع عليه الصلاة والسلام
بضد ما ذهب اليه المتكلمون في قولهم ان الايمان والحكمة اعراض والجمع بين الحديث
وما ذهبوا اليه هو ان حقيقة اعيان المخلوقات التي ليس للحواس اليها ادراك
ولا من النبوة اخبار عن حقيقتها غير محققة وانما هو غلبة ظن لان للعقل
بالاجماع من اهل العقل المؤيدين بالتوفيق حدا يقف عنده ولا يتسلط فيما

عدا ذلك ولا يقدر ان يصل اليه فهذا وما اشبهه منها لانهم تكلموا على ما ظهر
لهم من الاعراض الصادرة عن هذه الجواهر التى ذكرها الشارع عليه الصلاة و
السلام فى الحديث ولم يكن للعقل قدرة ان يصل الى هذه الحقيقة التى اخبر بها
عليه الصلاة والسلام فيكون الجمع بينهما ان يقال ما قاله المتكلمون حق لانه
الصادر عن الجواهر وهو الذى يدرك بالعقل والحقيقة ما ذكره عليه الصلاة
والسلام ولهذا نظائر كثيرة بين المتكلمين واثار النبوة ويقع الجمع بينهما على
الاسلوب الذى قررناه اوما اشبهه ثم مثل بمجئ الموت فى صورة كبش املح ثم
بالاذكار والتلاوة ثم قال لان ما ظهر منها هنا معان وتوجد يوم القيمة
جواهر محسوسات لانها توزن ولا يوزن فى الميزان الا الجواهر قال وفى
ذلك دليل لاهل الصوفة واصحاب المعاملات والتحقيق القائلين بانهم
يرون قلوبهم وقلوب اخوانهم وايمانهم وايمان اخوانهم باعين بصائرهم
جواهر محسوسات فمنهم من يعاين ايمانه مثل المصباح ومنهم من يعاينه
مثل الشمعة ومنهم من يعاينه مثل المشعل وهو اقواها ويقولون بانه لا يكون
المحقق محققا حتى يعاين قلبه بعين بصيرته كما يعاين كفه بعين بصره فيعرف
الزيادة فيه من النقصان **فان قيل** ما الحكمة فى شق صدره الشريف ثم ملئ
ايمانا وحكمة ولم لم يوجد الله ذلك فيه من غير ان يفعل به ما فعل **اجاب**
العارف ابن ابى جمرة بانه عليه الصلاة والسلام لما اعطى كثرة الايمان والحكمة
وقوى التصديق اذ ذاك اعطى برؤية شق البطن والقلب عدم الخوف من جميع
العادات الجارية بالهلاك فحصلت له عليه الصلاة والسلام قوة الايمان
من ثلاثة اوجه بقوة التصديق وبالمشاهدة وعدم الخوف من العادات
المهلكات فكمل له عليه الصلاة والسلام بذلك ما اريد منه من قوة الايمان
بالله عز وجل وعدم الخوف مما سواه ولاجل ما اعطيه مما اشرنا اليه كان
عليه الصلاة والسلام فى العالمين اشجعهم واثبتهم واعلاهم حالا ومقالا ففى العلو
كان كما اخبر عليه الصلاة والسلام ان جبريل لما وصل الى مقامه قال هاانت و
ربك هذا مقامى لا اتعداه فزج فى النور زجة ولم يتوانا ولم يلتفت فكان هناك
فى الحضرة كما اخبر عنه ربه عز وجل بقوله ما زاغ البصر وما طغى **واما حاله**
عليه الصلاة والسلام فى هذا العالم فكان اذا حمى الوطيس فى الحرب
ركض بغلته فى نحر العدو وهم شاكين فى سلاحهم ويقول انا ابن عبد المطلب
انا النبى لا كذب **ثم** ان فى العناية بتطهير قلبه المقدس وافراغ الايمان والحكمة

ثم ملئه صح

العلوى صح

٢ صوابه شاكون

فيه اشارة الى مذهب اهل السنة فى ان محل العقل ونحوه من اسباب الادراكات
كالنظر والفكر انما هو القلب لا الدماغ خلافا للمعتزلة والفلاسفة **واما** الحكمة
فى غسل قلبه المقدس بماء زمزم فقيل لان ماء زمزم يقوى القلب ويسكن
الروع **قال الحافظ** الزين العراقى ولذلك غسل به قلبه عليه الصلاة والسلام
ليلة الاسراء ليقوى على رؤية الملكوت **واستدل** شيخ الاسلام البلقينى بغسل
قلبه الشريف به على انه افضل من ماء الكوثر قال لانه لم يكن يغسل قلبه الا بافضل
المياه واليه يومى قول العارف ابى جمرة فى كتابه بهجة النفوس **واما** قوله عليه الصلاة
والسلام فغسل صدرى فالظاهر ان المراد به القلب كما فى الرواية الاخرى **وقد يحتمل**
ان تحمل كل رواية على ظاهرها ويقع الجمع بان يقال اخبر عليه الصلاة والسلام مرة
بغسل صدره الشريف ولم يتعرض لغسل قلبه واخبر مرة اخرى بغسل قلبه
ولم يتعرض لذكر صدره فيكون الغسل قد حصل فيهما معا مبالغة فى تنظيف
المحل المقدس ولا شك ان المحل الشريف كان طاهرا مطهرا وقابلا لجميع ما يلقى اليه
من الخير وقد غسل اولا وهو عليه الصلاة والسلام طفل واخرجت من قلبه
نزغة الشيطان وانما كان ذلك اعظاما وتأهبا لما يلقى هناك وقد جرت الحكمة
بذلك فى غير ما موضع مثل الوضوء للصلاة لمن كان متنظفا لان الوضوء فى
حقه انما هو اعظام وتأهب للوقوف بين يدى الله تعالى ومناجاته فكذلك
غسل جوفه الشريف هنا وقد قال تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى
القلوب فكان الغسل له عليه الصلاة والسلام من تعظيم شعائر الله واشارة
لامته بالفعل بتعظيم شعائره كما نص لهم عليه بالقول **واما** قوله ثم اتيت
بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض يضع خطوه عند اقصى طرفه فحملت عليه
فانطلق بى جبريل حتى السماء الدنيا **وفى** رواية عنه فى الصلاة ثم اخذ بيدى
فعرج الى السماء فظاهره انه استمر على البراق حتى عرج الى السماء **قال** العارف
ابن ابى جمرة افاد ذلك انهم كانوا يمشون فى الهواء وقد جرت العادة بان البشر
لا يمشى فى الهواء سيما وكان راكبا على دابة من ذوات الاربع لكن لما ان شاءت
القدرة ذلك كان فكما بسط تعالى لهم الارض يمشون عليها كذلك يمشيهم
فى الهواء كل ذلك بيد قدرته تعالى لا ترتبط قدرته تعالى بعادة جارية **وقد** سئل
عليه الصلاة والسلام حين اخبر عن الاشقياء الذين يمشون على وجوههم
يوم القيامة كيف يمشون قال عليه الصلاة والسلام الذى امشاهم فى الدنيا
على اقدامهم قادر ان يمشيهم يوم القيامة على وجوههم انتهى **وقد استدل**

قوله ونحوه قد يقال لا حاجة لها لان ما ذكر من اسباب الادراكات راجع للعقل فليتامل

بعضهم بهذا الحديث على ان المعراج كان فى ليلة غير ليلة الاسراء الى بيت المقدس
لكون الاسراء اليه لم يذكر هنا فأما المعراج فى غير هذه الرواية من الاخبار انه لم يكن
على البراق بل رقى فى المعراج وهو السلم كما وقع التصريح به فى حديث عند ابن اسحق
والبيهقى فى الدلائل كما سيأتى ان شاء الله تعالى ويمكن ان يقال ما وقع هنا اختصار
من الراوى والاتيان بثم المقتضية للتراخى لا ينافى وقوع الاسراء بين الامرين المذكورين
وهما الاطباق والعروج وحاصله ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر وثابت
البنانى قد حفظ الحديث فى روايته عند مسلم انه اتى بيت المقدس فصلى فيه
ثم عرج الى السماء كما سيأتى ان شاء الله تعالى وقد قيل فى الحكمة فى الاسراء به
راكبا مع القدرة على طى الارض له الاشارة الى ان ذلك وقع تأنيسا له بالعادة
فى مقام خرق العادة لان العادة جرت ان الملك اذا استدعى من يختص به بعث
اليه بمركوب سنى يحمله عليه فى وفادته اليه وفى كلام بعض اهل الاشارات
لما كان صلى الله عليه وسلم ثمرة شجرة الكون ودرة صدفة الوجود وسر معنى
كلمة كن ولم يكن بد من عرض هذه الثمرة بين يدى مثمرها ورفعها الى حضرة قربه و
الطواف بها على ندمان حضرته ارسل اليه اعز خدام الملك عليه فلما ورد
عليه قادما وافاه على فراشه نائما فقال قم يا نائم فقد هيئت لك الغنائم
قال يا جبريل الى اين قال يا محمد ارفع الاين من البين انما انا رسول القدم
ارسلت اليك لاكون من جملة الخدم يا محمد انت مراد الارادة الكل
مراد لاجلك وانت مراد لاجله انت صفوة كأس المحبة انت درة
هذه الصدفة انت شمس المعارف انت بدر اللطائف ما مهدت الدار
الا لاجلك ما حمى الحمى الا لوصلك ما روق كأس المحبة الا لشربك
فقال عليه السلام يا جبريل فالكريم يدعونى اليه فما الذى يفعل بى قال ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال يا جبريل هذا لى فما لعيالى واطفالى
قال ولسوف يعطيك ربك فترضى قال يا جبريل الآن طاب قلبى ها انا
ذاهب الى ربى ثم قال جبريل يا محمد انما جئ بى الليلة لاكون خادم دولتك
وحاجب حاشيتك وحامل غاشيتك وجئ بالمركوب اليك لاظهار
كرامتك لان من عادة الملوك اذا استزاروا حبيبا او استدعوا قريبا
وارادوا اظهار اكرامه واحترامه ارسلوا اخص خدامهم واعزوا بهم
لنقل اقدامهم فجئناك على رسم عادة الملوك وآداب السلوك ومن اعتقد
انه يوصل اليه بالخطا فقد وقع فى الخطا ومن ظن انه محجوب بالغطا

فقد حرم

فقد حرم العطا انتهى والحكمة فى كون البراق دابة دون البغل وفوق الحمار ابيض و
لم يكن على شكل الفرس اشارة الى ان الركوب كان فى سلم وامن لا فى حرب وخوف
او لاظهار المعجزة بوقوع الاسراع الشديد بدابة لا توصف بذلك فى العادة
وذكره بقوله ابيض باعتبار كونه مركوبا او عطف بيان على لفظ البراق واختلف
فى تسميته بذلك فقيل من البريق وقال القاضى عياض لكونه ذا لونين يقال شاة
برقاء اذا كان فى خلال صوفها الابيض طاقات سود وقيل من البرق لانه
وصف بسرعة السير ويحتمل ان لا يكون مشتقا ووصفه بانه يضع خطوه
عند اقصى طرفه بسكون الراء وبالفاء اى يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره
وقال ابن المنير يقطع ما ينتهى اليه بصره فى خطوة واحدة قال فعلى هذا يكون قطع
من الارض الى السماء فى خطوة واحدة لان بصر الذى فى الارض يقع على السماء
فبلغ اعلى السموات فى سبع خطوات انتهى وفى حديث ابن مسعود عند ابى يعلى
والبزار كما افاده فى الفتح اذا اتى على جبل ارتفعت رجلاه واذا هبط ارتفعت
يداه وفى رواية لابن سعد عن الواقدى باسانيده له جناحان قال الحافظ
ابن حجر ولم ارها لغيره وعند الثعلبى بسند ضعيف عن ابن عباس فى صفة البراق
له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوائم كالابل واظلاف وذنب كالبقر
وكان صدره ياقوتة حمراء وفى رواية ابن سعد فى شرف المصطفى فكان الذى
امسك بركابه جبريل وبزمام البراق ميكائيل وفى رواية معمر عن قتادة عن انس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بالبراق ليلة اسرى به مسرجا ملجما فاستصعب
عليه فقال له جبريل ما حملك على هذا ما ركبك خلق قط اكرم على الله منه قال
فارفض عرقا اخرجه الترمذى وقال حسن غريب وصححه ابن حبان وذكر ابن
اسحق عن قتادة انه لما شمس وضع جبريل عليه السلام يده على معرفته وقال
اما تستحيى وذكر نحوه لكنه مرسل لانه لم يذكر انسا وفى رواية وثيمة عند ابن اسحاق
فعست حتى لصقت بالارض فاستويت عليها وفى رواية للنسائى وابن مردويه
من طريق يزيد بن ابى مالك عن انس نحوه موصولا وزاد وكانت تسخر للانبياء
قبله ونحوه فى حديث ابى سعيد عند ابن اسحاق وفيه دلالة على ان البراق
كان معدا لركوب الانبياء خلافا لمن نفى ذلك كابن دحية واول قول جبريل فما ركبك
اكرم على الله منه اى ما ركبك احد قط فكيف يركبك اكرم منه فيكون مثل قول
امرئ القيس على لاحب لا يهتدى لمناره فيفهم ان له منارا لا يهتدى به
وليس المراد انه لا منار له البتة فكيف يهتدى به فتامله وقد جزم السهيلى بان البراق

انما استصعب لبعد ركوب الانبياء قبله قال النووى قال صاحب مختصر العين
وتبعه صاحب المحرر كان الانبياء يركبون البراق قال وهذا يحتاج الى نقل صحيح انتهى
وقد تقدم النقل بذلك قال فى الفتح ويؤيده ظاهر قوله فربطته بالحلقة التى تربط
بها الانبياء انتهى فليتأمل فانه ليس فيه فربطته بالحلقة التى يربطها الانبياء
وانما قال يربط بها الانبياء وسكت عن ذكر المربوط ما هو فيحتمل كما قال ابن المنير
ان يكون غير البراق ويحتمل ان يريد ارتباط الانبياء انفسهم بتلك الحلقة اى تمسكهم
بها ويكون من جنس العروة الوثقى انتهى لكن وقع التصريح بذلك فى حديث ابى سعيد
عند البيهقى ولفظه فاوثقت دابتى بالحلقة التى كانت الانبياء تربطها فيه ووقع وقد
عند ابن اسحق من رواية وثيمة فى ذكر الاسراء فاستصعب البراق وكانت بعيدة
العهد بركوبهم لم تكن ركبت فى الفترة وفى مغازى ابن عائذ من طريق الزهرى عن سعيد
بن المسيب قال البراق هى الدابة التى كان يزور عليها ابرهيم اسماعيل وعلى هذا
فلا يكون ركوب البراق من خصائصه صلى الله عليه وسلم نعم قيل ركوبه مسرجا
ملجما لم يرو لغيره من الانبياء عليهم السلام فان قلت ما وجه استصعاب
البراق عليه أجيب بأنه تنبيه على انه لم يذلل قبل ذلك ان قلنا انه لم يركبه احد
قبله او لبعد العهد بركوبه ان قلنا انه ركب قبله ويحتمل ان يكون استصعابه
تيها وزهوا بركوبه صلى الله عليه وسلم واراد جبريل بمحمد تستصعب استنطاقه
بلسان الحال انه لم يقصد الصعوبة وانما تاه زهوا لمكان الرسول عليه الصلاة
والسلام منه ولهذا قال فارفض عرقا فكأنه اجاب بلسان الحال متبرئا
من الاستصعاب • وعرق من خجل العتاب • ومثل هذا رجفة الجبل به حتى قال
له اثبت فانما عليك نبى وصديق وشهيدان فانها هزة الطرب • لا هزة الغضب
وكذلك البراق لما قال له جبريل اسكن فما ركبك احد اكرم على الله منه فاستقر
وخجل من ظاهر الاستصعاب • وتوجه الخطاب فعرق • حتى غرق • ووقع
فى حديث حذيفة عند الامام احمد قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالبراق فلم يزل على ظهره هو وجبريل حتى انتهيا الى بيت المقدس وهذا لم يسنده
حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم فيحتمل انه قاله عن اجتهاد ويحتمل ان يكون
قوله هو وجبريل يتعلق بمرافقته فى السير لا فى الركوب وقال ابن دحية معناه
وجبريل قائد او سائق او دليل قال وانما جزمنا بذلك لان قصة المعراج كانت
كرامة للنبى صلى الله عليه وسلم فلا مدخل لغيره فيها وقد تعقب الحافظ ابن حجر
التأويل المذكور بان فى صحيح ابن حبان من حديث ابن مسعود ان جبريل حمله على البراق

وقد تقدم فى كلام الاصل التصريح بانه غير من
الانبياء وانما كانت تركبه عند

ردیفا

رديفا له وفى رواية الحارث فى مسنده اتى بالبراق فركبه خلف جبريل فسار بهما
فهذه صريح فى ركوبه معه والله اعلم انتهى وقد وقع فى غير هذه الرواية بيان ما رأى
فى ليلة الاسراء فمن ذلك ما وقع فى حديث شداد بن اوس عند البزار والطبرانى
وصححه البيهقى فى الدلائل انه اول ما اسرى به مر بأرض ذات نخل فقال له جبريل انزل
فصل فصلى فقال صليت بيثرب ثم مر بارض بيضاء فقال انزل فصل فصلى فقال
صليت بمدين ثم مر ببيت لحم فقال انزل فصل فنزل فصلى فقال صليت حيث
ولد عيسى وفى حديث انس عند البيهقى فى الدلائل لما جاء جبريل بالبراق اليه
صلى الله عليه وسلم فكانها اخرت اذنيها فقال لها جبريل مه يا براق فوالله
ما ركبك مثله فسار رسول الله صلى الله عليه فاذا هو بعجوز على جنب الطريق
فقال ما هذا يا جبريل قال سر يا محمد فسار ما شاء الله ان يسير فاذا هو بشيخ
يدعوه متنحيا عن الطريق يقول هلم يا محمد فقال له جبريل سر يا محمد وانه مر
بجماعة فسلموا عليه فقالوا السلام عليك يا اول السلام عليك يا اخر
السلام عليك يا حاشر فقال جبريل اردد عليهم السلام فرد الحديث وفى
اخره فقال له جبريل اما العجوز التى رأيت جانب الطريق فلم يبق من الدنيا الا
ما بقى من عمر تلك العجوز والذى دعاك ابليس والعجوز الدنيا اما لو اجبتها لاختارت
امتك الدنيا على الاخرة واما الذين سلموا عليك فابرهيم وموسى وعيسى عليهم السلام
قال الحافظ عماد الدين بن كثير فى الفاظه نكارة وغرابة وفى رواية انه مر بموسى عليه
السلام وهو يصلى فى قبره قال انس ذكر كلمة فقال اشهد انك رسول الله ولا مانع
ان الانبياء يصلون فى قبورهم لانهم احياء عند ربهم يرزقون فهم يتعبدون
بما يجدون من دواعى انفسهم لا بما يلزمون به كما يلهم اهل الجنة الذكر وسيأتى
الاشارة لذلك فى حجة الوداع ان شاء الله تعالى وفى حديث ابى هريرة عند
الطبرانى والبزار انه عليه الصلاة والسلام مر على قوم يزرعون ويحصدون فى
كل يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال عليه السلام لجبريل عليه السلام
ما هذا قال هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة الى سبعمائة
ضعف وما انفقوا من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم اتى على قوم ترضخ
رؤسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شئ فقال
ما هذا يا جبريل قال هؤلاء الذين تثاقل رؤسهم عن الصلاة المكتوبة ثم اتى على
قوم على اقبالهم رقاع وعلى ادبارهم يسرحون كما تسرح الانعام يأكلون الضريع
والزقوم ورضف جهنم فقال ما هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون

زكاة اموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد ثم اتى على قوم بين ايديهم لحم
نضيج فى قدور ولحم اخر نىء فى قدر خبيث فجعلوا ياكلون من النىء الخبيث ويدعون
النضيج قال ما هذا يا جبريل قال جبريل هذا الرجل من امتك تكون عنده المرأة
الحلال الطيب فيأتى امرأة خبيثة فيبيت حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها
حلالا طيبا فتأتى رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح ثم اتى على رجل قد جمع حزمة
عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل
من امتك تكون عليه امانات الناس لا يقدر على ادائها وهو يريد ان يحمل عليها ثم
اتى على قوم تقرض السنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما
كانت لا يفتر عنهم من ذلك شىء قال ما هذا يا جبريل قال هؤلاء خطباء الفتنة
قال ثم أتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد ان يرجع من حيث
خرج فلا يستطيع فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة
ثم يندم عليها فلا يستطيع ان يردها ثم اتى على واد فوجد ريحا طيبة باردة و
ريح مسك وسمع صوتا فقال ما هذا يا جبريل قال هذا صوت الجنة تقول
رب ائتنى بما وعدتنى فقد كثرت غرفى واستبرقى وحريرى وسندسى وعبقريى
ولؤلؤى ومرجانى وفضتى وذهبى واكوابى وصحافى واباريقى ومركبى وعسلى
ومائى ولبنى وخمرى فأتنى بما وعدتنى فقال لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن و
مؤمنة ومن آمن بى وبرسلى وعمل صالحا ولم يشرك ولم يتخذ من دونى اندادا
ومن خشينى فهو آمن ومن سألنى اعطيته ومن اقرضنى اجزيته ومن توكل
على كفيته اننى انا الله لا اله الا انا لا اخلف الميعاد قد افلح المؤمنون وتبارك
الله احسن الخالقين قالت رضيت ثم أتى على واد فسمع صوتا منكرا و
وجد ريحا منتنة فقال ما هذا يا جبريل قال هذا صوت جهنم تقول رب
ائتنى بما وعدتنى فقد كثرت سلاسلى واغلالى وسعيرى وحميمى وضريعى
وغساقى وعذابى وقد بعد قعرى واشتد حرى فأتنى بما وعدتنى قال لك كل
مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب قالت قد رضيت
قال فسار حتى أتى بيت المقدس وفى رواية ابى سعيد عند البيهقى دعانى داع
عن يمينى انظرنى اسئلك فلم أجبه ثم دعانى اخر عن يسارى كذلك فلم اجبه
وفيه اذا امرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى
فقالت يا محمد انظرنى اسئلك فلم التفت اليها وفيه ان جبريل قال له اما الداعى
الاول فهو داعى اليهود ولو اجبته لتهودت امتك واما الثانى فداعى النصارى

ولو اجبته

ولا مانع ان تتكلم فانما امر ممكن
جمع كعب وهو الاناء الذى لا اذن له

ولو اجبته لتنصرت امتك واما المرأة فالدنيا وفيه انه صعد الى السماء الدنيا
فرأى فيها آدم وانه رأى اخونة عليها لحم طيب ليس عليها احد واخرى
عليها لحم منتن عليها ناس ياكلون قال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين
يتركون الحلال ويأكلون الحرام وفيه انه مر بقوم بطونهم امثال البيوت
كلما نهض احدهم خر وان جبريل قال له هم اكلة الربا وانه مر بقوم مشافرهم
كالابل يلتقمون جمرا فيخرج من اسافلهم وان جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون اموال
اليتامى وانه مر بنساء يعلقن بثديهن وانهن الزوانى وانه مر بقوم يقطع من
جنوبهن اللحم فيطعمون وانهم الهمازون اللمازون وفى حديث ابى هريرة عند البزار
والحاكم انه صلى الله عليه وسلم صلى ببيت المقدس مع الملائكة وانه اتى هناك بارواح
الانبياء فاثنوا على الله وفيه قول ابرهيم لقد فضلكم محمد وفى رواية عبد الرحمن
بن هشام عن انس ثم بعث له آدم فمن دونه فامهم تلك الليلة وفى حديث ام هانى عند
ابى يعلى ونشر لى رهط من الانبياء منهم ابرهيم وموسى وعيسى وفى رواية لابى سلمة
ثم حانت الصلاة فاممتهم اخرجه مسلم وفى حديث ابى امامة عند الطبرانى فى
الاوسط ثم اقيمت الصلاة فتدافعوا حتى قدموا محمدا صلى الله عليه وسلم وفى رواية
ثابت البنانى عن انس عند مسلم قال فربطته يعنى البراق بالحلقة وهى باسكان اللام على الاشهر
التى يربط به الانبياء بضمير المذكر اعادة على معنى الحلقة وهى الشىء والمراد حلقة باب
مسجد بيت المقدس قاله صاحب التحرير قال عليه الصلاة والسلام ثم دخلت
المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل عليه السلام باناء من
خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال اخترت الفطرة اى اخترت اللبن الذى عليه
بنيت الخلقة وبه نبت اللحم ونشز العظم واخترته لانه الحلال الدائم فى دين الاسلام
بخلاف الخمر فحرام فيما يستقر عليه الامر قال النووى المراد بالفطرة هنا الاسلام
والاستقامة قال ومعناه والله اعلم اخترت علامة الاسلام والاستقامة
قال وجعل اللبن علامة لكونه سهلا طيبا طاهرا سائغا للشاربين سليم العاقبة
واما الخمر فانها ام الخبائث وجالبة لانواع الشر فى الحال والمآل انتهى وقال القرطبى يحتمل
ان يكون سبب تسمية اللبن فطرة لكونه اول شىء يدخل جوف المولود ويشق امعاءه
والسر فى ميل النبى صلى الله عليه وسلم اليه دون غيره لكونه مألوفا له اولا انتهى
واذا كانت الخمر مباحة لانها انما حرمت بالمدينة والاسراء كان بمكة فما وجه
تعيينه عليه الصلاة والسلام لاحد المباحين وما وجه عد ذلك صوابا
وعد الاخر خطأ وهما سواء فى الاباحة فيحتمل ان يكون توقاها تورعا وتعريضا

بانها ستحرم وانه لما وافق الصواب فى علم الله قال له جبريل اصبت الفطرة
او اصبت اصاب الله بك كما رويا واذا قلنا انها كانت من خمر الجنة فيكون
سبب تجنبها صورتها ومضاهاة الخمر المحرمة اى فى علم الله وذلك ابلغ
فى الورع ويستفاد منه ان من اتخذ من ماء الرمان او غيره ولو ماء قراحا شلا
وضاهابه الخمر فى الصورة وهياه بالهيآت التى يتعاطاها اهل الشهوات
من الاجتماعات والآلات فقد اتى منكرا وان كان لا يحد عليها قاله ابن المنير
وليتنظر فيما يعمله كثير من فقراء اليمن وغيرهم بمكة المشرفة وجدة وغيرهما من
ماء قشر البن ويسمونه بالقهوة وهى اسم من اسماء الخمر وفى حديث ابن عباس
عند احمد فلما اتى المسجد الاقصى قام فصلى فلما انصرف جئ بقدحين فى
احدهما لبن وفى الاخر عسل فاخذ اللبن وفى رواية البزار بثلاثة اوانى وان
الثالث كان خمرا وان ذلك وقع ببيت المقدس وان الاول كان ماء ولم يذكر
العسل وفى حديث شداد بن اوس فصليت من المسجد حيث شاء الله واخذنى
من العطش اشد ما اخذنى فأتيت باناءين احدهما لبن والاخر عسل ثم هدانى الله
فاخذت اللبن فقال شيخ[2] بين يدى يعنى بجبريل اخذ صاحبك الفطرة وقد كان
اتيانه بالاوانى مرتين مرة عند فراغه من الصلاة ومرة عند وصوله الى سدرة
المنتهى ورؤية الانهار الاربعة وممن صرح بانه كان مرتين الحافظ عماد الدين
بن كثير وعلى هذا فيكون تكرار جبريل عليه السلام للتصويب حيث اختار
اللبن تاكيدا للتحذير مما سواه وقد انكر حذيفة ربط البراق بالحلقة فروى احمد و
الترمذى من حديث حذيفة قال يحدثون ربطه خاف ان يفر منه وقد سخره له عالم
الغيب والشهادة وكذا انكر حذيفة ايضا صلاته عليه السلام ببيت المقدس
وتعقبه ابن كثير والبيهقى بان المثبت مقدم على النافى يعنى من اثبت ربط البراق و
الصلاة فى بيت المقدس معه زيادة علم على من نفى ذلك فهو اولى بالقبول ووقع
فى رواية بريدة عند البزار لما كان ليلة اسرى به فاتى جبريل الصخرة التى ببيت
المقدس فوضع اصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق ونحوه للترمذى وفى
حديث ابى سعيد عند البيهقى حتى اتيت بيت المقدس فاوثقت دابتى بالحلقة
التى كانت الانبياء تربطها فيه فدخلت انا وجبريل بيت المقدس فصلى كل واحد
منا ركعتين وفى رواية ابن مسعود نحوه وزاد ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين
ما بين قائم وراكع وساجد ثم اذن مؤذن فاقيمت الصلاة فقمنا صفوفا
ننتظر من يؤمنا فاخذ بيدى جبريل فقدمنى فصليت بهم وفى حديث ابن مسعود

ايضا

[2] هنا ملك من الملائكة

ايضا عند مسلم وحانت الصلاة فاممتهم وفى حديث ابن عباس عند احمد فلما اتى
صلى الله عليه وسلم الاقصى قام يصلى فاذا النبيون اجمعون يصلون معه و
عن ابى سعيد ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة ثم دخل
فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا
محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل قال نعم قالوا حياه الله من اخ
وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا عليهم
فقال ابرهيم عليه السلام الحمد لله الذى اتخذنى خليلا واعطانى ملكا
عظيما وجعلنى امة قانتا يؤتم بى وانقذنى من النار وجعلها على بردا و
سلاما ثم ان موسى عليه السلام اثنى على ربه فقال الحمد لله الذى كلمنى تكليما
واصطفانى وانزل على التوراة وجعل هلاك فرعون ونجاة بنى اسرائيل
على يدى وجعل من امتى قوما يهدون بالحق وبه يعدلون ثم ان داود عليه السلام
اثنى على ربه فقال الحمد لله الذى جعل لى ملكا عظيما وعلمنى الزبور والان لى الحديد
وسخر لى الجبال يسبحن معى والطير واتانى الحكمة وفصل الخطاب ثم ان
سليمان عليه السلام اثنى على ربه فقال الحمد لله الذى سخر لى الرياح وسخر
لى الشياطين يعملون ما شئت من محاريب وتماثيل وعلمنى منطق الطير واتانى
من كل شئ فضلا وسخر لى جنود الشياطين والانس والطير واتانى ملكا لا ينبغى
لاحد من بعدى وجعل ملكى ملكا طيبا ليس على فيه حساب ثم ان عيسى عليه
السلام اثنى على ربه فقال الحمد لله الذى جعلنى كلمته وجعلنى مثل ادم خلقه من
تراب ثم قال له كن فيكون وعلمنى الكتاب والحكمة والتورية والانجيل وجعلنى
اخلق من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وجعلنى ابرئ الاكمه
والابرص واحيى الموتى باذن الله ورفعنى وطهرنى واعاذنى وامى من الشيطان
الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل قال وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى
على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثنى على ربى الحمد لله الذى جعلنى رحمة
للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل على القرآن تبيانا لكل شئ وجعل
امتى امة وسطا وجعل امتى هم الاولون وهم الاخرون وشرح لى صدرى
ووضع عنى وزرى ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحا وخاتما فقال ابرهيم
بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء ذكره
القاضى عياض فى الشفاء مختصرا من حديث ابى هريرة من غير عزو و
رواه البيهقى من حديث ابى سعيد الخدرى وهذا لفظه وفى رواية ابن ابى حاتم

حسبى الله وحده
من الكتب التى وقفها الفقير
الى آلاء ربه ذى المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
وكفى بعبده ١١٧٥

فى تفسيره عن انس فلما بلغ بيت المقدس فبلغ المكان الذى يقال له باب محمد اتى الى
الحجر الذى به فغمز جبريل باصبعه فثقبه ثم ربطها ثم صعد فلما استويا
فى صرحة المسجد قال جبريل يا محمد هل سالت ربك ان يريك الحور العين قال نعم
قال فانطلق الى اولئك النسوة فسلم عليهن قال فسلمت عليهن فرددن على السلام
فقلت لمن انتن فقلن خيرات حسان نساء قوم ابرار نقوا فلم يدرنوا واقاموا
فلم يظعنوا وخلدوا فلم يموتوا قال ثم انصرفت فلم البث الا يسيرا حتى اجتمع ناس
كثير ثم اذن موذن واقيمت الصلاة قال فقمنا صفوفا ننظر من يؤمنا فاخذ بيدى
جبريل عليه السلام فقدمنى فصليت بهم فلما انصرفت قال لى جبريل اتدرى من صلى
خلفك قلت لا قال صلى خلفك كل نبى بعثه الله قال القاضى عياض يحتمل ان يكون صلى
الله عليه وسلم صلى بالانبياء جميعا فى بيت المقدس ثم صعد منهم الى السماء من
ذكر انه عليه الصلاة والسلام رآه ويحتمل ان يكون صلى بهم بعد ان هبط من السماء
فهبطوا ايضا والاظهر ان صلاته بهم ببيت المقدس كانت قبل العروج انتهى وقال
ابن كثير صلى بهم ببيت المقدس قبل العروج وبعده فان فى الحديث ما يدل على ذلك
ولا مانع منه انتهى وقد اختلف فى هذه الصلاة هل هى فرض او نفل واذا قلنا انها
فرض فاى صلاة هى قال بعضهم الاقرب انها الصبح ويحتمل ان تكون العشاء وانما يأتى
على قول من قال انه صلى بهم قبل العروج الى السماء واما على قول من قال انه صلى بهم بعد
العروج فيكون الصبح قال ابن كثير ومن الناس من يزعم انه امهم فى السماء والذى
تظاهرت به الروايات انه ببيت المقدس والظاهر انه بعد رجوعه اليهم لانه لما مر بهم
فى منازلهم جعل يسئل جبريل عنهم واحدا واحدا وهو يخبره بهم قال وهذا هو
اللائق لانه اولا كان مطلوبا الى الجناب العلوى ليفرض الله عليه وعلى امته ما يشاء
ثم لما فرغ مما اريد به اجتمع هو واخوانه من النبيين ثم اظهر شرفه عليهم بتقديمه فى
الامامة وفى رواية ابن اسحاق انه عليه الصلاة والسلام قال لما فرغت مما كان فى
بيت المقدس اتى بالمعراج ولم ار قط شيئا احسن منه وهو الذى يمد اليه الميت
عينيه اذا احتضر وصعد صاحبى فيه حتى انتهى الى باب من ابواب السماء
وفى رواية كعب فوضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب حتى عرج وجبريل
وفى شرف المصطفى انه اتى بالمعراج من جنة الفردوس وانه منضد عن يمينه
ملائكة وعن يساره ملائكة وفى رواية ابى سعيد عند البيهقى ثم اتيت بالمعراج الذى
تعرج عليه ارواح بنى ادم فلم تر الخلائق احسن من المعراج اما رأيت الميت
حين يشق بصره الى السماء فان ذلك عجبه بالمعراج وقد تقدم فى حديث البخارى

السابق فانطلق بى جبريل حتى اتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم ولم يقل جبريل عليه السلام انا
حيث قيل له من انما سمى نفسه فقال جبريل لان لفظ انا فيه اشعار بالعظمة
وفى السائر اول من قال انا ابليس فشقى وايضا فقوله انا مبهمة لافتقار الضمير
الى العود فهى غير كافية فى البيان وعلى هذا فينبغى للمستأذن اذا قيل له من انت
ان لا يقول فلان انا بل يقول فلان وفى رواية للبخارى ومسلم فعرج وهو بفتح العين
بمعنى صعد وفى حديث ابى سعيد عند البيهقى حتى انتهى الى باب من ابواب السماء يقال
له باب الحفظة وعليه ملك يقال له اسماعيل تحت يده اثنا عشر الف ملك وفى
رواية شريك عند البخارى ايضا ثم عرج به الى السماء الدنيا فضرب بابا من ابوابها
فناداه اهل السماء الدنيا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث
اليه قال نعم قالوا فمرحبا واهلا فاستبشر به اهل السماء لا يعلم اهل السماء بما يريد
الله به فى الارض حتى يعلمهم اى على لسان من شاء كجبريل ووقع فى هذه الرواية انه
رأى فى سماء الدنيا النيل والفرات عنصرهما وظاهره يخالف حديث مالك بن
صعصعة فان فيه بعد ذكر سدرة المنتهى فاذا فى اصلها اربعة انهار ويجمع بان اصل
نبعهما من تحت سدرة المنتهى ومقرهما فى السماء الدنيا ومنها ينزلان الى الارض ووقع
فى هذه الرواية ايضا ثم مضى به فى سماء الدنيا فاذا هو بنهر اخر عليه قصور من
لؤلؤ وزبرجد وانه الكوثر وهو مما استشكل من رواية شريك فان الكوثر من الجنة
والجنة فوق السماء السابعة ويحتمل ان يكون تقديره ثم مضى فى السماء الدنيا الى
السماء السابعة فاذا هو بنهر ثم ان فى قوله فى الحديث افتح دلالة على انه صادف ابواب
السماء مغلقة والحكمة فى ذلك والله اعلم التنويه بقدره عليه الصلاة والسلام
وتحقيق ان السموات لم تفتح ابوابها الا لاجله ولو وجدها مفتوحة لم يتحقق انها فتحت
من اجله فلما فتحت له تحقق عليه الصلاة والسلام ان المحل مصون وان فتحه لكرامته
وتبجيل واما قوله فى الحديث أأرسل اليه وفى رواية وقد بعث اليه فيحتمل ان يكون
استفهم عن الارسال اليه للعروج الى السماء وهو الاظهر لقوله اليه لان اصل
بعثته قد اشتهر فى الملكوت الاعلى وقيل سألوه تعجبا من نعمة الله عليه بذلك و
استبشارا به وقد علموا ان بشرا لا يترقى هذا الترقى الا باذن الله تعالى وان جبريل
لا يصعد بمن لم يرسل اليه وقيل ان الله تعالى اراد اطلاع نبيه على انه معروف عند
الملأ الاعلى لانهم قالوا او بعث اليه او ارسل اليه فدل على انهم كانوا يعرفون
ان ذلك سيقع له والا لكانوا يقولون ومن محمد مثلا ولذلك اجابوا بقولهم

قوله أأرسل اليه اى ارسل اليه لفرض الصلاة لا الارسال للبعثة فان ذلك كان معلوما عند اهل السماء كما قرره شيخنا

مرحبا به ولنعم المجئ جاء وكلامهم بهذه الصيغة ادل دليل على ما ذكرناه من
معرفتهم بجلالته وتحقيق رسالته ولان هذا اجل ما يكون من جنس الخطاب
والترفيع على المعروف من عادة العرب واما قوله من معك فيشعر بانهم احسوا
عليه الصلاة والسلام والا لكان السؤال بلفظ امعك احد وهذا الاحساس
اما بمشاهدة لكون السماء شفافة واما امر معنوى كزيادة انوار ونحوها قاله
الحافظ ابن حجر ولعله اخذه من كلام العارف بن ابى جمرة حيث قال فى بهجته الثانى
ان يكون سؤالهم له لما راوا حين راوا اقباله عليهم من زيادة الانوار وغيرها
من المآثر الحسان زيادة على ما يعهدونه منه قال وهذا هو الاظهر كانهم قالوا
من الشخص الذى من اجله هذه الزيادة التى معك فاخبرهم بما ارادوا وهو تعيين
الشخص باسمه حتى عرفوه انتهى وقد قال بعض العلماء فى قوله تعالى لقد رأى
من ايات ربه الكبرى انه رأى صورة ذاته المباركة فى الملكوت فاذا هو عروس المملكة
واما قولهم له مرحبا ولنعم المجئ جاء فيحتمل ان يكونوا قالوا لما عاينوه من بركاته عليه
السلام التى سبقته للسماء مبشرة بقدومه وفيه تقديم وتاخير والتقدير
جاء فنعم المجئ مجيئه وانما لم يقل الخازن مرحبا بك بصيغة الخطاب بل قال
بصيغة الغيبة لانه حياه قبل ان يفتح له الباب وقبل ان يصدر من النبى
صلى الله عليه وسلم خطاب ويحتمل ان يكون حياه بصيغة الغيبة تعظيما له
لان هاء الغيبة ربما كانت افخم من كاف الخطاب واما قوله فى الحديث فاذا
رجل قاعد على يمينه اسودة وعلى يساره اسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك
واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح قلت لجبريل
من هذا قال هذا ادم وهذه الاسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فاهل
اليمين منهم اهل الجنة والاسودة التى عن شماله اهل النار فاذا نظر عن يمينه
ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فالاسودة بوزن ازمنة هى الاشخاص والنسم
بالنون والسين المهملة المفتوحتين جمع نسمة وهى الروح وقد قال القاضى عياض
جاء ان ارواح الكفار فى سجين وان ارواح المؤمنين منعمة فى الجنة يعنى فكيف
تكون مجتمعة فى السماء الدنيا واجاب بانه يحتمل انها تعرض على ادم اوقاتا فوافق
عرضها مرور النبى صلى الله عليه وسلم ويدل على ان كونهم فى النار انما هو فى
اوقات دون اوقات قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا واعترض
بان ارواح الكفار لا تفتح لهم ابواب السماء كما هو نص القران والجواب ما ابداه
هو احتمالا ان الجنة كانت فى جهة يمين ادم والنار فى جهة شماله وكان يكشف له

قوله فاذا هو اى الملكوت هو باطن الملك الظاهر اى ما خفى عن اعيننا كالمرآة للصورة المحمدية ... فهذا من دقائق الامور

عنهما ولا يلزم من رؤية ادم لها وهو فى السماء ان تفتح لها ابواب السماء ولا
تلجها وفى حديث ابى هريرة عند البزار فاذا عن يمينه باب يخرج منه ريح
طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة اذا نظر عن يمينه استبشر
واذا نظر عن شماله حزن وهذا لو صح لكان المصير اليه اولى من جميع ما تقدم
ولكن سنده ضعيف قاله الحافظ ابن حجر واما قوله فى الحديث ثم صعد بى حتى
اتى السماء الثانية فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه
قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصنا فاذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة
قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح
الى قوله ثم صعد بى الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجئ جاء فلما خلصت فاذا ابرهيم
قال هذا ابوك ابرهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام وقال مرحبا بالابن الصالح
والنبى الصالح فهذه الرواية موافقة لرواية ثابت عن انس عند مسلم ان فى السماء الاولى
ادم وفى الثانية يحيى وعيسى وفى الثالثة يوسف وفى الرابعة ادريس وفى الخامسة
هرون وفى السادسة موسى وفى السابعة ابرهيم وخالف ذلك ابن شهاب
الزهرى فى روايته عن انس عن ابى ذر كما فى اول الصلاة من البخارى ايضا انه لم يثبت
كيف منازلهم وقال فيه وابرهيم فى السماء السادسة وفى رواية شريك عن انس ان
ادريس فى الثانية وهرون فى الرابعة واخر فى الخامسة لم احفظ اسمه وابرهيم فى
السادسة وموسى فى السابعة بتفضيل كلام الله وسياقه يدل على انه لم يضبط
منازلهم ايضا كما صرح به الزهرى ورواية من ضبط اولى ولا سيما من اتفاق قتادة
وثابت وقد وافقهما يزيد بن ابى مالك عن انس الا انه خالف فى ادريس وهرون فقال
هرون فى الرابعة وادريس فى الخامسة ووافقهم ابو سعيد الا ان فى روايته يوسف
فى الثانية وعيسى ويحيى فى الثالثة والمشهور فى الروايات ان الذى فى السابعة هو
ابرهيم واكد ذلك فى حديث مالك بن ابى صعصعة بانه كان مسندا ظهره الى البيت
المعمور فمع التعدد لا اشكال ومع الاتحاد فقد جمع بان موسى كان فى حالة العروج فى
السادسة وابرهيم فى السابعة على ظاهر حديث مالك بن صعصعة وعند الهبوط
كان موسى فى السابعة لانه لم يذكر فى القصة ان ابرهيم كلمه فى شئ مما يتعلق بما فرض على
امته من الصلاة كما كلمه موسى عليه السلام والسماء السابعة هى اول شئ انتهى
اليه حالة الهبوط فناسب ان يكون موسى بها لانه هو الذى خاطبه فى ذلك
كما ثبت فى جميع الروايات ويحتمل ان يكون لقى موسى فى السادسة فاصعد معه

فعلم ابنا الخالة فيه تغليب لان عيسى ابن بنت خالة يحيى

اى تعدد المعراج

الى السابعة تفضيلا له على غيره من اجل كلام الله تعالى وظهرت فائدة ذلك
فى كلامه مع نبينا فيما يتعلق بامر امته فى الصلاة قاله فى فتح البارى وقال النووى
اشار الى شيء من ذلك وفى رواية شريك عن انس فى قصة موسى لم اظن ان احدا يرفع
على قال ابن بطال فهم موسى عليه السلام من اختصاصه بكلام الله تعالى له فى
الدنيا دون غيره من البشر لقوله تعالى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى و
بكلامى ان المراد بالناس هنا البشر كلهم وانه استحق بذلك ان لا يرفع عليه احد
فلما فضل الله محمدا عليه الصلاة والسلام بما اعطاه من المقام المحمود وغيره
ارتفع على موسى وغيره بذلك وفى حديث ابى سعيد قال موسى يزعم بنو اسرائيل
انى اكرم على الله وهذا اكرم على الله منى زاد الاموى فى روايته ولو كان هذا
وحده هان ولكن معه امته وهم افضل الامم عند الله وفى حديث مالك
ابن صعصعة فلما جاوزته يعنى موسى بكى فنودى ما يبكيك قال رب هذا
غلام بعثته بعدى يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتى ولم يكن بكاء موسى
عليه السلام حسدا معاذ الله فان الحسد فى ذلك العالم منزوع من احاد
المؤمنين فكيف بمن اصطفاه الله تعالى بل كان اسفا على ما فاته من الاجر
الذى يترتب عليه رفع الدرجات بسبب ما وقع من امته من كثرة المخالفة
المقتضية لتنقيص اجورهم المستلزمة لتنقيص اجره لان لكل نبى مثل اجر كل من
اتبعه ولهذا كان من اتبعه فى العدد دون من اتبع نبينا صلى الله عليه وسلم
مع طول مدتهم بالنسبة لمدة هذه الامة وقال العارف بن ابى جمرة قد جعل الله
تعالى فى قلوب انبيائه عليهم السلام الرأفة والرحمة لاممهم وركبهم على ذلك
وقد بكى نبينا صلى الله عليه وسلم فقيل له ما يبكيك قال هذه رحمة وانما يرحم
الله من عباده الرحماء والانبياء عليهم السلام قد اخذوا من رحمة الله اوفر
ما كان لموسى عليه السلام من الرحمة واللطف بكى اذ ذاك رحمة منه لامته لان
هذا وقت افضال وجود وكرم فرجا لعل ان يكون وقت القبول والاقبال فيرحم
الله امته فى هذه الساعة فان قال قائل كيف يكون هذا وامته لا تخلوا من قسمين
قسم مات على الايمان وقسم مات على الكفر فالذى مات على الايمان لا بد له من
دخول الجنة والذى مات على الكفر لم يدخل الجنة ابدا فبكاؤه لاجل ما ذكر
لا يسوغ لان الحكم فيهم قد تم ونفذ قيل ان الله تعالى قدر قدره على قسمين
فقدر قدرا وقدر ان ينفذ على كل الاحوال وقدر قدرا وقدر ان لا ينفذ
ويكون دفعه بسبب دعاء او صدقة او غير ذلك فلاجل ما ركب فى موسى

نصيب فكانت الرحمة فى قلبه لعباد الله اكثر من غيرهم فلذلك

عليه السلام من اللطف والرحمة بالامة طمع لعل ان يكون ما اتفق لامته
من القدر الذى قدره الله تعالى وقدر ارتفاعه بسبب الدعاء والتضرع اليه
وهذا وقت يرجى فيه التعطف والاحسان من الله تعالى لانه وقت اسرى فيه
بالحبيب الكريم ليخلع عليه خلع القرب والفضل العميم فطمع الكليم لعل ان
يلحق لامته نصيبا من هذا الخير العظيم وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم
ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله وهذه نفحة من النفحات فتعرض لها موسى
فكان امر قد قدر والاسباب لا تؤثر الا بما سبقت القدرة بانها فيه تؤثر
وما كان قضاء نافذا لا ترده الاسباب حتم قد لزم وفى بكائه عليه السلام
وجه اخر وهو البشارة لنبينا صلى الله عليه وسلم وادخال السرور عليه
وذلك قول موسى عليه السلام الذى هو اكثر الانبياء اتباعا ان الذين يدخلون
الجنة من امة محمد صلى الله عليه وسلم اكثر مما يدخلها من امتى واما قول موسى
عليه السلام لانه غلاما ولم يقل غير ذلك من الصيغ فاشارة الى صغر سنه بالنسبة
اليه وقال الخطابى العرب تسمى الرجل المستجمع السن غلاما ما دامت فيه بقية
من القوة وفى القاموس الغلام الطار الشارب والكهل ضده قال فى فتح البارى و
يظهر لى ان موسى عليه السلام اشار الى ما انعم الله به على نبينا من استمرار القوة
فى الكهولة الى ان دخل فى اول سن الشيخوخة ولم يدخل على بدنه هرم ولا اعتراه فى قوته
نقص حتى ان الناس فى قدومه المدينة لما رأوه مردفا ابا بكر اطلقوا عليه اسم الشاب
وعلى ابى بكر اسم الشيخ مع كونه عليه الصلاة والسلام فى العمر اسن من ابى بكر والله اعلم
وقد ذكرت ذلك فى الهجرة من المقصد الاول وقد وقع فى حديث ابى هريرة عند
الطبرى فى ذكر ابرهيم فاذا هو برجل اشمط جالس عند باب الجنة على كرسى وفى رواية
مسلم من حديث ثابت عن انس ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاذا بابرهيم صلى الله
عليه وسلم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف
ملك ثم لا يعودون اليه وفيه فاذا انا بيوسف واذا هو قد اعطى شطر الحسن
وفى حديث ابى سعيد عند البيهقى وابى هريرة عند الطبرى فاذا انا برجل احسن
ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب وهذا
ظاهره ان يوسف عليه السلام كان احسن من جميع الناس لكن روى الترمذى من
حديث انس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم
احسنهم وجها واحسنهم صوتا فعلى هذا يحمل حديث المعراج على ان المراد غير
النبى صلى الله عليه وسلم ويؤيده قول من قال ان المتكلم لا يدخل فى عموم خطابه

قوله مردفا ابابكر اى راكبا بعيرا خلف بعيره عليه السلام لا انهما كانا على بعير واحد كما قد يتوهم

وحمل ابن المنير حديث الباب على ان المراد ان يوسف اعطى شطر الحسن الذي اوتيه
نبينا صلى الله عليه وسلم واما قوله في الحديث عن ادريس ثم قال مرحبا بالاخ
الصالح والنبي الصالح فيحمل على اخوة النبوة والاسلام لانها تجمع الوالد والولد
وقال ابن المنير وفي طريق شاذة مرحبا بالابن الصالح وهذه هي القياس لانه جده
الاعلى وقيل ان ادريس الذي لقيه ليس هو الجد المشهور ولكنه الياس فان كان
كذلك ارتفع الاشكال فان قلت لم كان هؤلاء الانبياء عليهم السلام في السموات
دون غيرهم من الانبياء وما وجه اختصاص كل واحد منهم بسماء تخصه ولم
كان في السماء الثانية بخصوصها اثنان أجيب عن الاقتصار على هؤلاء دون
غيرهم من الانبياء بانهم امروا بملاقات نبينا صلى الله عليه وسلم فمنهم من ادركه
في اول وهلة ومنهم من تاخر فلحقه ومنهم من فاته وقيل اشارة لما سيقع لنبينا
صلى الله عليه وسلم مع قومه من نظير ما وقع لكل منهم فاما ادم عليه السلام
فوقع التنبيه بما وقع له من الخروج من الجنة الى الارض بما سيقع لنبينا صلى
الله عليه وسلم من الهجرة الى المدينة والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة
والكراهة فراق ما الفه من الوطن ثم كان عاقبة كل منهما ان يرجع الى وطنه الذي
خرج منه وبعيسى ويحيى على ما وقع له اول الهجرة من عداوة اليهود وتماليهم
على البغي عليه وارادتهم السوء به وبيوسف بما وقع له مع اخوته على ما وقع
لنبينا عليه الصلاة والسلام من قريش في نصبهم الحرب له وارادتهم اهلاكه وكانت العاقبة
له وقد اشار عليه الصلاة والسلام يوم الفتح بقوله لقريش اقول كما قال يوسف
لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا فانتم الطلقاء
اي العتقاء وبادريس على رفيع منزلته عند الله تعالى وبهارون على ان قومه
رجعوا الى محبته بعد ان اذوه وبموسى بما وقع له من معالجة قومه وقد اشار
الى ذلك عليه الصلاة والسلام بقوله لقد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر
وبابرهيم في استناده الى البيت المعمور بما ختم له صلى الله عليه وسلم في اخر
عمره من اقامة منسك الحج وتعظيم البيت الحرام واجاب العارف بن ابي جمرة عن
وجه اختصاص كل واحد منهم بسماء بان الحكمة في كون ادم في السماء الدنيا لانه
اول الانبياء واول الاباء وهو الاصل ولاجل تأنيس النبوة بالابوة واما عيسى
فانما كان في السماء الثانية لانه اقرب الانبياء الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا تنسخ
شريعة عيسى الا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ولانه ينزل في اخر الزمان لامة
محمد صلى الله عليه وسلم على شريعته ويحكم بها ولهذا قال عليه الصلاة والسلام

انا اولى

انا اولى الناس بعيسى فكان في الثانية لاجل هذا المعنى وانما كان يحيى عليه السلام
معه هناك لانه ابن خالته وهما كالشيء الواحد فلاجل التزام احدهما بالاخر كانا هنا
معا وانما كان يوسف عليه السلام في السماء الثالثة لان على حسنه تدخل امة
محمد صلى الله عليه وسلم الجنة فاري له هناك لكي يكون ذلك بشارة له عليه الصلاة
والسلام فيسر بذلك وانما كان ادريس عليه السلام في السماء الرابعة لان هناك توفي
ولم تكن له تربة في الارض على ما ذكر وانما كان هرون عليه السلام في السماء الخامسة لانه
ملازم لموسى عليه السلام لاجل انه اخوه وخليفته في قومه فكان هناك لاجل هذا
المعنى وانما لم يكن مع موسى عليه السلام في السماء السادسة لان لموسى مزية وحرمة
وهي كونه كليما واختص باشياء لم تكن لهرون فلاجل هذا المعنى لم يكن معه في السماء
السادسة وانما كان موسى عليه السلام في السماء السادسة لاجل ما اختص
من الفضائل ولانه الكليم وهو اكثر الانبياء اتباعا بعد نبينا صلى الله عليه وسلم
وانما كان ابرهيم عليه السلام في السماء السابعة لانه الخليل والاب الاخير فناسب
ان يتجدد للنبي صلى الله عليه وسلم بلقيه انس لتوجهه بعده الى عالم اخر وهو
اختراق الحجب وايضا لانه الخليل ولا احد افضل من الخليل الا الحبيب والحبيب
ها هو قد علا ذلك المقام فكان الخليل فوق الكل لاجل خلته وفضله وارتفع
الحبيب فوق الكل لاجل ما اختص به بما زاد به عليهم قال الله تعالى تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فحصل لهم
الكمال والدرجة الرفيعة وهي درجة الرسالة والنبوة ورفعوا بعضهم فوق
بعض بمقتضى الحكمة ترفيعا للمرفوع دون تنقيص بالمنزول انتهى فليتأمل وقد اختلف
في رؤية نبينا صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الانبياء عليهم السلام فحمله
بعضهم على رؤية ارواحهم الا عيسى لما ثبت انه رفع بجسده وقد قيل
في ادريس ايضا ذلك واما الذين صلوا معه في بيت المقدس فيحتمل الارواح
خاصة ويحتمل الاجساد بارواحها وقيل يحتمل ان يكون عليه الصلاة والسلام
عاين كل واحد منهم في قبره في الارض على الصورة التي اخبر بها من الموضع الذي
ذكر انه عاينه فيه فيكون الله عز وجل قد اعطاه من القوة في البصر والبصيرة
ما ادرك به ذلك ويشهد له رؤيته عليه السلام الجنة والنار في عرض الحائط
وهو محتمل ان يكون عليه السلام رآهما في ذلك الموضع او مثل له صورتهما في عرض
الحائط والقدرة صالحة لكليهما وقيل يحتمل ان يكون الله سبحانه وتعالى لما اراد
باسراء نبينا صلى الله عليه وسلم رفعهم من قبورهم لتلك المواضع اكراما لنبيه

قوله وحمل ابن المنير الخ فيه تأمل والذي نعتقده انه صلى الله عليه وسلم لم يعط يوسف من جماله شيئا كما قال صاحب البردة فجوهر الحسن فيه غير منقسم

عليه الصلاة والسلام وتعظيما حتى يحصل له من قبلهم ما اشرنا اليه من الانس
والبشارة وغير ذلك مما لم نشر اليه ولا نعلمه نحن وكل هذه الوجوه محتملة و
لا ترجيح لاحدها على الاخر اذ القدرة صالحة لكل ذلك انتهى واما قوله في الحديث
ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل اذان الفيلة
قال هذه سدرة المنتهى واذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت
ما هذا يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل و
الفرات وفي رواية عند البخاري فاذا في اصلها اي سدرة المنتهى اربعة انهار
وعند مسلم يخرج من اصلها وعنده ايضا من حديث ابي هريرة اربعة انهار من
الجنة النيل والفرات وسيحان وجيحان فيحتمل ان يكون سدرة المنتهى مغروسة
في الجنة والانهار تخرج من اصلها فيصح انها من الجنة ووقع في حديث شريك
كما عند البخاري في التوحيد انه راى في السماء الدنيا نهرين يطردان اي الانهار فقال له جبريل
هما النيل والفرات عنصرهما والجمع بينهما انه راى هذين النهرين اي يجريان عند سدرة المنتهى
مع نهري الجنة وراهما في السماء الدنيا دون نهري الجنة واراد بالعنصر هنا عنصر
انتشارهما بالسماء الدنيا كذا قاله ابن دحية ووقع في حديث شريك ايضا ومضى
الى السماء واذا هو بنهر اخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فاذا هو
مسك اذفر فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك وروى
ابن ابي حاتم عن انس انه عليه الصلاة والسلام بعد ان راى ابرهيم قال ثم انطلق بي
على ظهر السماء السابعة حتى انتهى الى نهر عليه خيام الياقوت واللؤلؤ والزبرجد عليه
طير خضر انعم طير رأيت قال جبريل هذا الكوثر الذي اعطاك الله فاذا فيه
انية الذهب والفضة يجري على رضراض الياقوت والزمرد ماؤه اشد بياضا
من اللبن قال فأخذت من انيته فاغترفت من ذلك الماء فشربت فاذا هو احلى من
العسل واشد رايحة من المسك وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي فاذا فيها عين
تجري يقال لها السلسبيل فينشق منها نهران احدهما يقال له الكوثر والاخر يقال له
نهر الرحمة وسيأتي مزيد لما ذكرها من الكوثر في المقصد الاخير ان شاء الله تعالى
وقد وقع في حديث ثابت عن انس عند مسلم ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها
كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله عز وجل ما غشي تغيرت
فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها وقد جاء في حديث ابن مسعود
عند مسلم بيان سبب تسميتها بسدرة المنتهى ولفظه لما اسري برسول الله
صلى الله عليه وسلم قال انتهي بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة

قوله ووقع الخ قوله وروى لم يوجد في النسخ فراجع

اي في الاستئناف لا في العظم والا فقد ورد ان الغرقد منها تغطي هذه الامة او نحوها

جمع جامة

اي نعمة من كثرة ما تسرح في الجنة

حصى صغار

واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها وهو معنى قول ابن ابي جمرة لان اليها
تنتهي الاعمال ومن هناك ينزل الامر وتتلقى الاحكام وعندها تقف الحفظة و
وغيرهم ولا يتعدونها فكانت منتهى لان اليها ينتهي ما يصعد من العالم السفلي
وما ينزل من العالم العلوي من امر العلي وقال النووي لان علم الملئكة ينتهي اليها ولم يجاوزها
احد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعارض قوله في حديث ابن مسعود
هذا انها في السادسة ما دل عليه بقية الاخبار انه وصل اليها بعد ان دخل
في السماء السابعة لانه يحمل على ان اصلها في السماء السادسة واغصانها وفروعها
في السابعة وليس في السادسة الا اصل ساقها قاله في فتح الباري وجاء في حديث
ابي ذر عند البخاري في الصلاة فغشيها الوان لا ادري ما هي وفي حديث ابن مسعود
المذكور عند مسلم قال الله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي
حديث يزيد بن مالك عن انس جراد من ذهب قال البيضاوي وذكر الفراش وقع على
سبيل التمثيل لان من شان الشجر ان يسقط عليها الجراد وشبهه وجعلها من الذهب
حقيقة والقدرة صالحة لذلك وفي حديث ابي سعيد وابن عباس تغشاها
الملائكة وفي حديث علي على كل ورقة منها ملك وفي رواية ثابت عن انس عند
مسلم فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها
وفي رواية حميد عن انس عند ابن مردويه نحوه لكن قال تحولت ياقوتا ونحو ذلك قال
ابن دحية واختيرت السدرة دون غيرها لان فيها ثلاثة اوصاف ظل مديد وطعم لذيذ
ورايحة زكية فكانت بمنزلة الايمان الذي يجمع القول والعمل والنية فالظل بمنزلة
العمل والطعم بمنزلة النية والرايحة بمنزلة القول وقال العارف ابن ابي جمرة وهل
الشجرة مغروسة في شيء ام لا يحتمل الوجهين معا لان القدرة صالحة فكما جعل الله
في هذه الدار الارض مقرا للشجر كذلك يجعل الهوى لتلك مقرا وكما رجع صلى الله
عليه وسلم يمشي في الهوى كما كان يمشي في الارض ولان بالقدرة استقرت الارض
مع انها على الماء فلا مانع من ان تكون الشجرة في الهوا ويحتمل ان تكون مغروسة بارض
وان تكون من تراب الجنة والله قادر على ما يشاء واما قوله صلى الله عليه وسلم في
الحديث ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هي
الفطرة التي انت عليها فيدل على انه عرض عليه الانية مرتين مرة ببيت المقدس
ومرة عند وصوله سدرة المنتهى ورؤية الانهار الاربعة واما الاختلاف
في عدد الانية وما فيها فيحمل على ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الاخر ومجموعها
اربعة اواني فيها اربعة اشياء من الانهار الاربعة التي راها تخرج من اصل سدرة المنتهى

قوله وكما رجع يمشي في الهوآء فيه تامل لانه رجوعه من بيت المقدس على البراق ومن السماء على المعراج كما صرح على البراق ولعل ذلك على القول بانه صعوده

وَوقع فى حديث ابى هريرة عند الطبرى سدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماءٍ
غير اسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفّىً فلعله عرض
عليه من كل نهر اناء وَجاء عن كعب ان نهر العسل نهر النيل ونهر اللبن نهر جيحان و
نهر الخمر نهر الفرات ونهر الماءِ نهر سيحان وَلنهر النيل فضائل ولطائف افردها
بالتأليف غير واحد من الائمة وَوقع فى بعض الصور انه صلى الله عليه وسلم صلى
بالأنبياءِ فى السموات وَامّا قوله عليه السلام ثم رفع لى البيت المعمور فمعناه انه
ارى له وقد يحتمل ان يكون المراد الرفوع والرؤية معا لانه قد يكون بينه وبين البيت
المعمور عوالم حتى لا يقدر على ادراكه فرفع اليه وامد فى بصره وبصيرته حتى رآه
وَروى الطبرى من حديث سعيد بن ابى عروبة عن قتادة قال ذكر لنا ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال البيت المعمور مسجد فى السماءِ بحذاءِ الكعبة لو خر لخر عليها يدخله
سبعون الف ملك كل يوم اذا خرجوا منه لم يعودوا وَفى هذا دليل على عظيم
قدرة الله تعالى وانه لا يعجزها ممكن لان هذا البيت المعمور فيه كل يوم هذا العدد
العظيم منذ خلق الله تعالى الخلق الى الابد ثم طائفة هذا اليوم لا ترجع اليه ابداً
ومع انه قد روى انه ليس فى السموات موضع شبر الا وملك واضع جبهته هناك
ساجدا ثم البحار ما من قطرة الا وبها ملك موكل فاذا كانت السموات والارض والبحار
هكذا فهؤلاءِ الملائكة الذين يدخلون اين يذهبون هذا من عظيم القدرة التى
لا يشبهها شئ وَفى هذا دليل على ان الملائكة اكثر المخلوقات لانه اذا كان سبعون
الف ملك كل يوم تصلى فى البيت المعمور على ما تقدم ثم لا يعودون مع ان الملائكة فى
السموات والارض والبحار وَفى حديث ابى هريرة عند ابن مردويه وابن ابى حاتم ان فى
السماءِ نهرا يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه ثم يخرج فينتفض
فيخرج عنه سبعون الف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا فهم الذين يصلون فيه
اى فى البيت المعمور ثم لا يعودون اليه واسناده ضعيف وَذكر الامام فخر الدين
الرازى عند تفسير قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون انه روى عن عطا ومقاتل والضحاك عن
ابن عباس انه قال ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع
والبحار السبع يدخل فيه جبريل عليه السلام كل سحر ويغتسل فيه فيزداد نورا
الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل نقطة تقع من ريشه
كذا وكذا الف ملك تدخل منهم كل يوم سبعون الفا ثم لا يعودون اليه الى ان تقوم
الساعة وَقد روى ان ثم ملائكة يسبحون الله تعالى فيخلق الله تعالى بكل تسبيحة
ملكا هذا ما عدا الملائكة التى للتعبد وما عدا الملائكة الموكلين بالنبات والارزاق

والحفظة

والحفظة والملك الموكل بتصوير ابن آدم والملائكة الذين ينزلون فى السحاب والملائكة
الذين يكتبون الناس يوم الجمعة وخزنة الجنة والملائكة الذين يتعاقبون والذين يؤمنون
على قراءة المصلى والذين يقولون ربنا ولك الحمد والذين يدعون لمنتظر الصلاة والذين
يلعنون من هجرت فراش زوجها وروى ان فى السماءِ الدنيا وهى من ماءٍ ودخان ملائكةً
خلقوا من ماءٍ وريح عليهم ملك يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقولون
سبحان ذى الملك والملكوت وان فى السماءِ الثانية ملائكة على الوان شتى رافعين اصواتهم
يقولون سبحان ذى العزة والجبروت وان فيها ملكا نصف جسده من نار ونصف
جسده من ثلج فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفى النار وهو يقول يا من الف بين الثلج و
النار الف بين قلوب عبادك وان فى السماءِ الثالثة وهى من حديد ملائكة ذوا اجنحة
ووجوه شتى رافعين اصواتهم بالتسبيح يقولون سبحانك انت الله الحى الذى لا يموت
وهم صفوف قيام كانهم بنيان مرصوص لا يعرف احدهم لون صاحبه من خشية الله وان
فى السماءِ الرابعة وهى من نحاس ملائكة يضعفون على ملائكة الثالثة وكذلك كل سماءٍ اكثر
عددا من السماءِ التى تليها وان ملائكة السماءِ الرابعة قيام وركوع وسجود على الوان شتى
من العبادة يبعث الله الملك منهم الى امر من اموره فينطلق الملك ثم ينصرف فلا يعرف
صاحبه الذى الى جنبه من شدة العبادة وهم يقولون سبوح قدوس ربنا الرحمن
الذى لا اله الا هو وان فى الخامسة وهى من فضة ملائكة يزيدون على ملائكة الاربع
سموات وهم ركوع سجود لم يرفعوا ابصارهم الى يوم القيمة فاذا كان يوم القيمة يقولون
ربنا لم نعبدك حق عبادتك وان فى السادسة وهى من ذهب جند الله الاعظم وهم
الكروبيون لا يحصى عددهم الا الله سبحانه وتعالى وعليهم ملك له سبعون الف
ملك جند وكل ملك منهم جنوده سبعون الف ملك وهم الذين يبعثهم الله فى اموره
الى اهل الدنيا رافعوا اصواتهم بالتسبيح والتهليل وان فى السابعة وهى من ياقوتة
حمراءَ من الملائكة ما يزيدون على ما تقدم وعليهم ملك مقدم على سبع مائة الف ملك
منهم جنود مثل قطر السماءِ وتراب الثرى والرمل والسهل وعدد الحصى والورق وعدد
كل خلق فى السموات والارض ويخلق الله تعالى فى كل يوم ما يشاء وما يعلم جنود ربك
الا هو وان حملة العرش لكل ملك منهم وجوه شتى واعين شتى فى جسده لا يشبه
بعضها بعضا رافعة اصواتهم بالتهليل ينظرون الى العرش لا يفترون لو ان الملك
منهم نشر جناحه لطبق الدنيا بريشة من جناحه لا يعلم عددهم الا الله وحملة
العرش ثمانية يتجاوبون بصوت حسن رخيم يقول اربعة منهم سبحانك وبحمدك
على حلمك بعد علمك وتقول الاربعة سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك

واصوات شتى صح

وقد روى الطبرانى من حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لجبريل على اى شئ انت قال على الريح والجنود قال وعلى اى شئ ميكائيل قال على النبات
والقطر قال وعلى اى شئ ملك الموت قال على قبض الارواح الحديث وفى اسناده عبد
الرحمن بن ابى ليلى وقد ضعف لسوء حفظه ولم يترك وروى الترمذى من حديث ابى
سعيد مرفوعا وزيراى من اهل السماء جبريل وميكائيل الحديث وروى النقاش ان اسرافيل
اول من سجد من الملائكة وانه جوزى بولاية اللوح المحفوظ وفى كتاب العظمة لابى الشيخ
بن حبان من ذلك العجب العجاب وعندى منه الجزء الثانى وقد وقعت فى غير رواية البخارى
هنا زيادات فمنها ما وقع فى رواية ابى سعيد الخدرى عند البيهقى فى دلائله ثم صعدت الى
السماء السابعة فاذا بابرهيم الخليل سائد ظهره الى البيت المعمور كاحسن الرجال ومعه
نفر من قومه فسلمت عليه وسلم على واذا بامتى شطرين شطر عليهم ثياب بيض كانهم
القراطيس وشطر عليهم ثياب رمد قال فدخلت البيت المعمور ودخل معى الذين
عليهم الثياب البيض وحجب الاخرون الذين عليهم الثياب الرمد فصليت انا ومن معى فى
البيت المعمور وفى رواية الطبرانى فاذا هو برجل اشمط جالس عند باب الجنة على كرسى وعنده
قوم جلوس بيض الوجوه امثال القراطيس وقوم فى الوانهم شئ فدخلوا نهرا فاغتسلوا
فيه فخرجوا قد خلص من الوانهم شئ ثم دخلوا نهرا اخر فاغتسلوا فيه فخلص الوانهم
وصارت مثل الوان البيض الوجوه فقال من هذا ومن هؤلاء الذين فى الوانهم شئ وما
هذه الانهار التى دخلوا فيها فجاؤا وقد صفت الوانهم قال هذا ابوك ابرهيم اول من
شمط على الارض واما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا ايمانهم بظلم واما
هؤلاء النفر الذين فى الوانهم شئ فقوم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا فتابوا
فتاب الله عليهم واما الانهار فاولها رحمة الله والثانى نعمة الله والثالث وسقيهم
ربهم شرابا طهورا وفى رواية البخارى فى الصلاة ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه
صريف الاقلام الحديث والمستوى المصعد وصريف الاقلام بفتح الصاد المهملة تصويتها
حالة الكتابة والمراد ما تكتبه الملائكة من اقضية الله تعالى والقدر المكتوب قد تم
وانما الكتابة حادثة وظاهر الاخبار ان اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وجف القلم
بما فيه قبل خلق السموات والارض وانما هذه الكتابة فى صحف الملائكة كالفروع المنتسخة
من الاصل وفيها الاثبات والمحو على ما ذكر فى الاثر وذكر ابن القيم ان الاقلام اثنا عشر
قلما وانها متفاوتة فى الرتب فاعلاها واجلها قدرا قلم القدر السابق الذى كتب الله
مقادير الخلائق كما فى سنن ابى داود عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان اول ما خلق الله القلم قال اكتب قال رب وما اكتب قال اكتب

مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة فهذا القلم اول الاقلام واجلها وقد قال غير واحد
من اهل التفسير انه القلم الذى اقسم الله به والقلم الثانى قلم الوحى والثالث قلم التوقيع
عن الله ورسوله والرابع قلم طب الابدان يحفظ به صحتها والخامس قلم التوقيع عن
الملوك ونوابهم وبه تساس الممالك والسادس قلم الحساب وهو الذى يضبط به الاموال
مستخرجها ومصروفها ومقاديرها وهو قلم الارزاق والسابع قلم الحكم الذى
تثبت به الحقوق وتنفذ به القضايا والثامن قلم الشهادة الذى يحفظ به الحقوق
والتاسع قلم التعبير وهو الذى يكتب وحى المنام وتفسيره وتعبيره والعاشر قلم تواريخ
العالم ووقايعه والحادى عشر قلم اللغة وتفاصيلها والثانى عشر القلم الجامع وهو قلم الرد على
المبطلين ودفع شبه المحرفين فهذه الاقلام التى بها انتظام مصالح العالم قال ويكفى فى جلالة
القلم انه لم يكتب كتب الله الا به فانه تعالى اقسم به فى كتابه انتهى ملخصا من كتاب اقسام القران
وقد وقع فى رواية ابى ذر من الزيادة ايضا ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها
المسك الحديث والجنابذ بالجيم ثم النون المفتوحتين ثم الف ثم موحدة ثم ذال معجمة هى
القباب ويؤيده ما فى التفسير من البخارى من حديث قتادة عن انس لما عرج به صلى الله عليه وسلم
قال اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ واما ما فى كتاب الصلاة من البخارى واذا فيها حبايل
اللؤلؤ بالمهملة والموحدة واخره لام فقال القاضى عياض وغيره هو تصحيف وفى حديث
الامام احمد من رواية حذيفة ففتحت لهما ابواب السماء قال فرأيت الجنة والنار وفى حديث
ابى سعيد انه عرضت عليه الجنة وان رمانها كالدلاء واذا طيرها كانه البخت وانه عرضت
عليه النار فاذا هى لو طرح فيها الحجارة والحديد لاكلتهما ووقع عند مسلم من طريق همام
عن قتادة عن انس بينا انا اسير فى الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف واذا
طينته مسك اذفر فقال جبريل هذا الكوثر وفى رواية ابى عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن
ابيه ان ابرهيم عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم يا بنى انك لاق ربك الليلة وان
امتك اخر الامم واضعفها فان استطعت ان تكون حاجتك فى امتك فافعل ووقع فى
حديث ابى سعيد الخدرى عند البيهقى ثم صعدنى الى السماء السابعة قال ثم رفعت الى سدرة
المنتهى فاذا كل ورقة منها تغطى هذه الامة واذا فيها عين تجرى يقال لها السلسبيل فيشق
منها نهران احدهما الكوثر والاخر يقال له الرحمة فاغتسلت فيه فغفر لى ما تقدم من ذنبى
وما تاخر ثم رفعت الى الجنة فاستقبلتنى جارية فقلت لمن انت يا جارية قالت لزيد بن
حارثة واذا رمانها كانه الدلاء عظما ثم عرضت على النار فاذا فيها غضب الله وزجره
ونقمته لو طرحت فيها الحجارة والحديد لاكلتها ثم اغلقت دونى وفى الطبرانى من حديث عائشة
لما كان ليلة اسرى بى الى السماء ادخلت الجنة فوقفت على شجرة من اشجار الجنة لم ار فى الجنة

شجرة احسن منها ولا ابيض منها ولا اطيب منها ثمرة فتناولت ثمرة من ثمرها فاكلتها
فصارت نطفة فى صلبى فلما هبطت الى الارض واقعت خديجة فحملت بفاطمة
وهو حديث ضعيف وفيه التصريح بان الاسرآء قبل ولادة فاطمة وهى ولدت
قبل النبوة بسبع سنين وشئ ولاريب ان الاسرآء كان بعد النبوة وذكر ابو الحسن بن
غالب فيما تكلم فيه على احاديث الحجب السبعين والسبعمائة والسبعين الف حجاب
وعزاها لابى الربيع بن سبع فى شفاء الصدور من حديث ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال بعد ان ذكر مبدأ حديث الاسرآء كما ورد فى الامهات
اتانى جبريل وكان التسفير بى الى ان انتهى الى مقام ثم وقف عند ذلك فقلت يا جبريل
فى مثل هذا المقام يترك الخل خليله فقال ان تجاوزته احرقت بالنور فقال النبى صلى
الله عليه وسلم يا جبريل هل لك من حاجة الى ربك قال يا محمد سل الله لى ان ابسط
جناحى على الصراط لامتك حتى يجوزوا عليه قال النبى صلى الله عليه وسلم ثم زج بى فى النور
زجا فخرق بى الى سبعين الف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجابا فانقطع عنى
حس كل ملك وانسى فلحقنى عند ذلك استيحاش فعند ذلك نادانى مناد
بلغة ابى بكر قف ان ربك يصلى فبينا انا اتفكر فى ذلك فاقول هل سبقنى ابو بكر
فاذا النداء من العلى الاعلى ادن يا خير البرية ادن يا احمد ادن يا محمد ليدنو الحبيب
فادنانى ربى حتى كنت كما قال تعالى ثم دنى فتدلى • فكان قاب قوسين او ادنى •
قال لو سالنى ربى فلم استطع ان اجيبه فوضع يده بين كتفى بلا تكييف ولا تحديد
فوجدت بردها فاورثنى علم الاولين والاخرين وعلمنى علوما شتى فعلم اخذ
على كتمانه اذ علم انه لا يقدر على حمله احد غيرى وعلم خيرنى فيه وعلمنى القرآن
فكان جبريل يذكرنى به وعلم امرنى بتبليغه الى العام والخاص من امتى قال ولقد عاجلت
جبريل فى اية نزل بها على فعاتبنى ربى وانزل على ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى
اليك وحيه وقل رب زدنى علما ثم قلت اللهم انه لما لحقنى استيحاش قبل
قدومى عليك سمعت مناديا ينادى بلغة تشبه لغة ابى بكر فقال لى قف فان
ربك يصلى فعجبت من هاتين هل سبقنى ابو بكر الى هذا المقام وان ربى لغنى عن ان يصلى
فقال تعالى انا الغنى عن ان اصلى لاحد وانما اقول سبحانى سبحانى سبقت رحمتى
غضبى اقرأ يا محمد هو الذى يصلى عليكم وملئكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان
بالمؤمنين رحيما • فصلاتى رحمة لك ولامتك واما امر صاحبك يا محمد فان اخاك
موسى كان انسه بالعصى فلما اردنا كلامه قلنا وما تلك بيمينك يا موسى • قال
هى عصاى وشغل بذكر العصا عن عظيم الهيبة وكذلك انت يا محمد لما كان

انسك بصاحبك ابى بكر وانك خلقت وهو من طينة واحدة وهو انيسك فى الدنيا
والاخرة خلقنا ملكا على صورته يناديك بلغته ليزول عنك الاستيحاش لئلا يلحقك
من عظيم الهيبة ما يقطعك عن فهم ما يراد منك ثم قال الله تعالى واين حاجة جبريل
فقلت اللهم انك اعلم فقال يا محمد قد اجبته فيما سألك ولكن فيمن احبك وصحبك
وفى رواية تقدمت وجبريل على اثرى حتى انتهى بى الى حجاب فراش الذهب فحرك الحجاب
فقيل من هذا قال انا جبريل ومعى محمد صلى الله عليه وسلم قال الملك الله اكبر فاخرج
يده من تحت الحجاب فاحتملنى فوضعنى بين يديه فى اسرع من طرفة عين وغلظ الحجاب
مسيرة خمسمائة عام فقال لى تقدم يا محمد فمضيت فانطلق بى الملك فى اسرع من
طرفة عين الى حجاب اللؤلؤ فحرك الحجاب فقال الملك من وراء الحجاب من هذا قال
انا فلان صاحب حجاب الذهب وهذا محمد صلى الله عليه وسلم رسول رب العزة
معى فقال الله اكبر فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملنى حتى وضعنى بين يديه فلم ازل
كذلك من حجاب الى حجاب حتى جاوزنى سبعين حجابا غلظ كل حجاب مسيرة
خمسمائة عام فقال لى تقدم يا محمد فمضيت فانطلق بى الملك ثم دلى لى رفرف
اخضر يغلب ضوئه ضوء الشمس فالتمع بصرى ووضعت على ذلك الرفرف ثم
احتملنى حتى وصلت الى العرش فابصرت امرا عظيما لا تناله الالسن ثم تدلى لى
قطرة من العرش فوقعت على لسانى فما ذاق الذائقون شيئا قط احلا منها فانبأنى
الله بها نبأ الاولين والاخرين ونور قلبى وغشى نور عرشه بصرى فلم ار شيئا
فجعلت ارى بقلبى ولا ارى بعينى ورأيت من خلفى ومن بين كتفى كما رأيت امامى
الحديث والذى قبله فى كتاب شفاء الصدور كما ذكره الغالب والعهدة فى ذلك
عليه وتكثير الحجب لم يرد فى طريق صحيح ولم يصح مرويه غير ما فى مسلم حجابه النور
والرفرف البساط وقيل انه فى الاصل ما كان من الديباج وغيره رقيق حسن الصنعة
ثم اتسع فيه واعلم ان ما ذكر فى هذا المحل الرفيع من الحجب فهو فى حق المخلوق لا
فى حق الخالق عز وجل والله سبحانه وتعالى منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر
محسوس والخلق كلهم محجوبون عنه تعالى بمعانى الاسماء والصفات والافعال
وسائر المخلوقات من معانى الانوار والظلمات كل له مقام من الحجب معلوم وحظ
من الادراك والمعرفة مقسوم واقرب الخلق الى الله تعالى الملائكة الحافون و
الكروبيون وهم محجوبون بنور المهابة والعظمة والكبرياء والجلال والقدس
والقيومية حجب الذات بالصفات وهم فى الحجب عنه طبقات مختلفات كل
على مقام معلوم ودرجات وبالجملة فالمخلوقات كلها ما كانت حجابا عن الخالق

فقوم حجبوا برؤية النعم عن المنعم وبرؤية الاحوال عن المحول وبرؤية الأسباب
عن المسبب وقوم حجبوا بالعلم عن المعلم وبالفهم عن المفهم وبالعقل عن المعقل
وذلك كله من معنى حجاب النعم عن المنعم والمواهب عن الوهاب وقوم حجبوا
بالشهوات المباحة وقوم بالشهوات المحرمات والمعاصي والسيئات وقوم حجبوا
بالمال والبنين وزينة الحياة الدنيا اللهم لا تحجب قلوبنا عنك في الدنيا ولا ابصارنا
في الآخرة يا كريم وفي الصحيح عن انس قال عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار
رب العزة جل جلاله فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده
ما اوحى الحديث وهذا الدنو والتدلي المذكور في هذا الحديث وغيره من احاديث
المعراج غير الدنو والتدلي في قوله تعالى في سورة النجم ثم دنا فتدلى فكان قاب
قوسين او ادنى وان اتفقا في اللفظ فان الصحيح ان المراد في الآية جبريل لانه الموصوف
بما ذكر من اول السورة الى قوله ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى
هكذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح قالت عائشة رضي الله عنها
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال ذاك جبريل لم أره
في صورته التي خلق عليها الا مرتين ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك من وجوه
أحدها انه قال علمه شديد القوى وهذا جبريل الذي وصفه بالقوة في
سورة التكوير الثاني انه قال ذو مرة اي حسن الخلق وهو الكريم الذي في سورة
التكوير الثالث انه قال فاستوى وهو بالأفق الأعلى وهو ناحية السماء العليا
وهذا استواء جبريل عليه السلام واما استواء الرب جل جلاله فعلى عرشه
الرابع انه قال ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فهذا دنو جبريل و
نزل الى الأرض حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الدنو والتدلي
في حديث المعراج فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان فوق السموات فهناك
دنى الجبار جل جلاله منه وتدلى الخامس انه قال ولقد رآه نزلة اخرى عند
سدرة المنتهى والذي عند سدرة المنتهى قطعا جبريل وبهذا فسره النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ذاك جبريل السادس نفس الضمير في قوله ولقد رآه
وقوله دنى فتدلى وقوله فاستوى وقوله وهو بالافق الاعلى واحد
فلا يجوز ان يخالف بين المفسرين من غير دليل السابع انه سبحانه وتعالى اخبر
ان هذا الذي دنى فتدلى كان بالأفق الأعلى وهو افق السماء بل تحتها فدنا من
الأرض فتدلى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ودنو الرب تبارك وتعالى
وتدليه على ما في حديث شريك كان فوق العرش لا الى الأرض ثم نفى سبحانه

وتعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه ما زاغ البصر وما طغى ما يعرض للمرء
الذي لا ادب له بين يدي الملوك والعظماء من التفاته يمينا وشمالا ومجاوزة بصره
لما بين يديه واخبر عنه بكمال الأدب في ذلك المقام وفي تلك الحضرة اذ لم يلتفت جانبا
ولم يمد بصره الى غير ما ارى من الآيات وما هناك من العجايب بل قام مقام العبد الذي
اوجب ادبه اطراقه واقباله على ما اريه دون التفاته الى غيره ودون تطلعه الى ما لم يره مع ما
في ذلك من ثبات الجاش وسكون القلب وطمانينته وهذا غاية الكمال وقال في
مدارج السالكين وفي هذه الآية اسرار عجيبة هي من غوامض الآداب اللائقة باكمل
البشر صلوات الله وسلامه عليه تواطأ هناك بصره وبصيرته وتوافقا وتصادقا
فيما شاهده بصره والبصيرة مواطئة له وما شاهدته بصيرته فهو ايضا حق مشهود
بالبصر فتواطأ في حقه اي ما كذب الفؤاد ما رأى بصره ولهذا قرأها هشام و
ابو جعفر ما كذّب الفؤاد بتشديد الذال اي لم يكذب القلب البصر بل صدقه وواطأه
بصحة الفؤاد والبصر وكون المرأى المشاهد بالبصر والبصيرة حقا وقرأ الجمهور ما كذب
الفؤاد بالتخفيف وهو متعد وما رأى مفعوله اي ما كذب قلبه ما رأته عيناه
بل واطئه ووافقه فلمواطئة قلبه لقالبه وظاهره لباطنه وبصره لبصيرته
لم يكذب الفؤاد البصر ولم يجاوز البصر حده فيطغى ولم يمل عن المرئي فيزيغ بل اعتدل البصر
على المرئي ما جاوزه ولا مال عنه كما اعتدل القلب في الاقبال على الله تعالى والاعراض
عما سواه فانه اقبل على الله بكليته واعرض عما سواه بكليته وللقلب زيغ وطغيان
كما ان للبصر زيغا وطغيانا وكلاهما منتف عن قلبه وبصره فلم يزغ قلبه التفاتا عن
الله الى غيره ولم يطغ بمجاوزته مقامه الذي اقيم فيه وهذا غاية الكمال والأدب مع الله
تعالى الذي لا يلحقه فيه سواه فان عادة النفوس اذا اقيمت في مقام عال رفيع ان
تتطلع الى ما هو اعلى منه وفوقه الا ترى ان موسى عليه السلام لما اقيم مقام التكليم
والمناجاة طلبت نفسه الرؤية ونبينا صلى الله عليه وسلم لما اقيم في ذلك
المقام وفاه حقه ولم يلتفت بصره ولا قلبه الى غير ما اقيم فيه البتة ولاجل هذا
ما عاقه عائق ولا وقف به مراد حتى جاوز السموات السبع فلم تعقه ارادة و
لم يقف به دون كمال العبودية همة ولهذا كان مركوبه في مسراه يسبق خطوه الطرف
فيضع قدمه عند منتهى طرفه مشاكلا لحال راكبه وبعد شأوه الذي سبق به العالم
اجمع في سيره فكان قدم البراق لا يتخلف عن موضع نظره كما كان قدمه صلى الله عليه
وسلم لا يتأخر عن محل معرفته فلم يزل صلى الله عليه وسلم في خفارة كمال ادبه مع
الله سبحانه وتكميل مرتبة عبوديته له حتى خرق حجب السموات وجاوز السبع

اى قرب المنزلة

اى انكشفت

الطباق وجاوز سدرة المنتهى ووصل الى محل من القرب سبق به الاولين والآخرين •
فانصبت له هناك اقسام القرب انصبابا • وانقشعت سحاب الحجب ظاهرا وباطنا
حجابا حجابا • واقيم مقاما غبطه فيه الانبياء والمرسلون • فاذا كان فى المعاد
اقيم مقاما من القرب تاما يغبطه به الاولون والآخرون • واستقام هناك على
صراط مستقيم • من كمال ادبه مع الله تعالى • مازاغ البصر وماطغى • فاقامه فى هذا
العالم على اقوم صراط على الحق والهدى • واقسم بكلامه القديم • على ذلك فى الذكر الحكيم
فقال يس والقرآن الحكيم • انك لمن المرسلين • على صراط مستقيم • فاذا كان يوم القيمة
اقامه على الصراط فيسأل السلامة لاتباعه واهل سنته • حتى يجوزوا الى جنات
النعيم • وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم • ثم ان ما
ذكر هنا من القرب والدنو المراد به تاكيد المحبة والقربة ورفع المنزلة والرتبة
قال جعفر الصادق لما قرب الحبيب من الحبيب غاية القرب نالته غاية الهيبة
فلاطفه الحق تعالى بغاية اللطف وذلك قوله جل جلاله فاوحى الى عبده ما اوحى
اى كان ما كان وجرى ما جرى • وقال الحبيب للحبيب • ما يقول الحبيب للحبيب •
والطف به الطاف الحبيب للحبيب • فخفى السر ولم يطلع عليه احد ولم يعلم
احد ما اوحى الا الذى اوحى • وقال غيره فى قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى
ابهمه لعظمه فان الابهام قد يقع للتعظيم فهو مبهم لا يطلع عليه بل يتعبد
بالايمان به وقيل هو مفسر بالاخبار الواردة وقال سعيد بن جبير اوحى الله
تعالى اليه صلى الله عليه وسلم الم اجدك يتيما فآويتك • الم اجدك ضالا
فهديتك • الم اجدك عائلا فاغنيتك • الم نشرح لك صدرك • ووضعنا
عنك وزرك • الذى انقض ظهرك • ورفعنا لك ذكرك • وقيل اوحى الله تعالى
اليه ان الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها يا محمد وعلى الامم حتى تدخلها
امتك ذكره الثعلبى والقشيرى وقيل اوحى الله اليه خصصتك بحوض
الكوثر فكل اهل الجنة اضيافك بالماء ولهم الخمر واللبن والعسل ذكره القشيرى
وذكر ايضا انه اوحى اليه ما اوحى الى الرسل لقوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل
للرسل من قبلك وقيل اوحى الله اليه الصلوات الخمس ذكره النقاش وفى رواية
ابى سعيد الخدرى عند البيهقى ان الله سبحانه وتعالى قال له صلوات الله وسلامه
عليه سل فقال انك اتخذت ابرهيم خليلا • واعطيته ملكا عظيما • وكلمت
موسى تكليما • واعطيت داود ملكا عظيما • والنت له الحديد وسخرت له
الجبال • واعطيت سليمان ملكا عظيما • وسخرت له الانس والجن والشياطين

هذا مرسل لكن فى حكم المرفوع لانه لا مجال للرأى فيه

اى ممنوعة

اى خصصته بدونهم مع مشاركته صلى الله عليه وسلم لهم فى بقية الانهار

وسخرت

وسخرت له الرياح واعطيته ملكا لا ينبغى لاحد من بعده • وعلمت عيسى التوراة
والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى باذنك واعذته وامه
من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال ربه تعالى قد اتخذتك خليلا
حبيبا فهو مكتوب فى التورية حبيب الرحمن • وارسلتك الى الناس كافة بشيرا
ونذيرا • وشرحت لك صدرك • ووضعت عنك وزرك • ورفعت لك
ذكرك • فلا اذكر الا ذكرت معى • وجعلت امتك خير امة اخرجت للناس وجعلت
امتك امة وسطا • وجعلت امتك هم الاولون والآخرون • وجعلت امتك
لا يجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدى ورسولى • وجعلت من امتك اقواما
قلوبهم اناجيلهم • وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واولهم يقضى له
واعطيتك سبعا من المثانى لم اعطها نبيا قبلك • واعطيتك خواتيم سورة
البقرة من كنز تحت عرشى لم اعطها نبيا قبلك • واعطيتك الكوثر واعطيتك
ثمانية اسهم الاسلام • والهجرة • والجهاد • والصلاة • والصدقة • وصوم
رمضان • والامر بالمعروف • والنهى عن المنكر • وجعلتك فاتحا وخاتما وفى اسناده
ابو جعفر الرازى ضعفه بعضهم وقال ابو زرعة متهم وقال ابن كثير الاظهر انه
سيئ الحفظ وذكر الفخر الرازى عن والده قال سمعت ابا القاسم سليمان الانصارى
يقول لما وصل محمد صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة
فى المعارج اوحى الله تعالى اليه يا محمد بم اشرفك قال يا رب بنسبتى اليك
بالعبودية فانزل الله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده فسماه تعالى بهذا الاسم
لتحققه صلى الله عليه وسلم بالاسم الاعظم واتصافه بجميع صفاته
فلا يصلح هذا الاسم بالحقيقة الا له عليه الصلاة والسلام وللاقطاب
من بعده بتبعيته لا بالحقيقة وان اطلق على غيره مجازا ورحم الله الاديب برهان
الدين القيراطى فلقد اجاد حيث قال • ودعتنى بالعبد يوما فقالوا •
قد دعته باشرف الاسماء • ولبعض اهل الاشارات كان الله تعالى
قال له يا محمد قد اعطيتك نورا تنظر به جمالى • وسمعا تسمع به كلامى • يا محمد
انى اعرفك بلسان الحال معنى عروجك الى • يا محمد ارسلتك الى الناس شاهدا
ومبشرا ونذيرا • والشاهد مطالب بحقيقة ما يشهد به • فاريك جنتى
لتشاهد ما اعددت فيها لاوليائى • واريك نارى لتشاهد ما اعددت فيها
لاعدائى • ثم اشهدك جلالى • واكشف لك عن جمالى • لتعلم انى منزه فى كمالى •
عن الشبيه والنظير • والوزير والمشير • فرآه صلى الله عليه وسلم بالنور

وهم السادة الصوفية

الذى قواه • من غير ادراك ولا احاطة فرداً صمداً • لا فى شئ ولا من شئ • ولا قائماً بشئ ولا على شئ • ولا مفتقراً الى شئ ليس كمثله شئ • فلما كلمه شفاهاً • وشاهده كفاحاً • فقيل له يا محمد لا بد لهذه الخلوة من سر لا يذاع • ورمز لا يشاع • فاوحى الى عبده ما اوحى فكان سراً من سره لم يقف عليه ملك مقرب ولا نبى مرسل وانشد لسان الحال

بين المحبين سر ليس يفشيه	قول ولا قلم فى الكون يحكيه
سر يمازجه انس يقابله	نور تحير فى بحر من التيه

ولما انتهى الى العرش تمسك العرش باذياله • وناداه بلسان حاله • يا محمد انت فى صفاء وقتك • آمنا من مقتك • اشهدك جمال احديته • واطلعك على جلال صمديته • وانا الظمآن اليه • اللهفان عليه • المتحير فيه لا ادرى من اى وجه آتيه • جعلنى اعظم خلقه • فكنت اعظمهم منه هيبة واكثرهم فيه حيرة • واشدهم منه خوفاً • يا محمد خلقنى فكنت ارعد لهيبة جلاله فكتب على قائمتى لا اله الا الله فازددت لهيبة اسمه ارتعاداً وارتعاشاً • فكتب محمد رسول الله فسكن لذلك قلقى • وهدا روعى فكان اسمك لقاحاً لقلبى • وطمانينة لسرى • فهذه بركة اسمك على فكيف اذا وقع جميل نظرك الى • يا محمد انت المرسل رحمة للعالمين ولا بد لى من نصيب من هذه الرحمة ونصيبى يا حبيبى ان تشهد لى بالبراءة مما نسبه اهل الزور الى • وتقوله اهل الغرور على • زعموا انى اسع من لا مثل له • واحيط بمن لا كيفية له • يا محمد من لا حد لذاته • ولا عد لصفاته • كيف يكون مفتقراً الى او محمولاً على • اذا كان الرحمن اسمه • والاستواء صفته • وصفته متصلة بذاته فكيف يتصل بى • او ينفصل عنى • يا محمد وعزته لست بالقريب منه وصلاً • ولا بالبعيد عنه فصلاً • ولا بالمطيق له حملاً • اوجدنى منه رحمة وفضلاً • ولو محقنى لكان حقاً منه وعدلاً • يا محمد انا محمول قدرته • ومعمول حكمته • فاجاب لسان حال سيدى زاده الله فضلاً وشرفاً لديه • و والى صلواته وسلامه عليه • ايها العرش اليك عنى انا مشغول عنك فلا تكدر على صفوتى • ولا تشوش على خلوتى • فما اعاده صلى الله عليه وسلم منه طرفاً • ولا اقرأه من مسطور ما اوحى اليه حرفاً • ما زاغ البصر وما طغى • وورد فى بعض اخبار الاسراء مما ذكره العلامة ابن مرزوق فى شرحه لبردة المديح انه صلى الله عليه وسلم لما كان من ربه تعالى قاب قوسين قال اللهم انك عذبت الامم بعضهم

قوله ولما انتهى الى العرش فيه تأمل فانه لم يصح انه وصل الى العرش

قوله وصفته متصلة بذاته اى قائمة بذاته ولا يقال متصلة

بالحجارة

بالحجارة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالمسخ فما انت فاعل بامتى قال انزل عليهم الرحمة وابدل سيئاتهم حسنات ومن دعانى منهم لبيته ومن سألنى اعطيته ومن توكل على كفيته وفى الدنيا استر على العصاة وفى الآخرة اشفعك فيهم ولولا ان الحبيب يحب معاتبة حبيبه لما حاسبت امتك ولما اراد الانصراف صلى الله عليه وسلم قال يا رب لكل قادم من سفر تحفة فما تحفة امتى قال الله تعالى انا لهم ما عاشوا وانا لهم اذا ماتوا وانا لهم فى القبور وانا لهم فى النشور واعلم انه قد اختلف العلماء قديماً وحديثاً فى رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه تعالى ليلة الاسراء فروى البخارى من حديث مسروق قال قلت لعائشة يا امتاه هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعرى مما قلت واين انت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمداً رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم ما فى غد فقد كذب ثم قرأت وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس باى ارض تموت ومن حدثك انه كتم شيئاً فقد كذب ثم قرأت يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الآية ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين وفى رواية مسلم من حدثك ان محمداً رأى ربه فقد اعظم الفرية وقولها قف شعرى اى قام من الفزع لما حصل عندها من هيبة الله واعتقدته من تنزيهه واستحالة وقوع ذلك قال النووى تبعاً لغيره لم تنف عائشة وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية وقد خالفها غيرها من الصحابة والصحابى اذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقاً انتهى قال الحافظ ابو الفضل العسقلانى جزمه بان عائشة لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة وهو عجيب فقد ثبت ذلك عنها فى صحيح مسلم الذى شرحه الشيخ فعنده من طريق داود بن ابى هند عن الشعبى عن مسروق فى الطريق المذكورة قال مسروق وكنت متكئاً فجلست فقلت الم يقل الله ولقد رآه نزلة اخرى فقالت انا اول هذه الامة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا فقلت يا رسول الله هل رأيت ربك فقال لا انما رأيت جبريل منهبطاً نعم احتجاج عائشة رضى الله عنها بالآية خالفها فيه ابن عباس فاخرج الترمذى من طريق الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس قال رأى محمد ربه قلت اليس يقول الله لا تدركه الابصار قال ويحك ذاك اذا تجلى بنوره الذى هو نوره وقد رأى ربه مرتين وقال القرطبى الابصار فى الآية جمع محلى بالالف واللام فيقبل التخصيص وقد ثبت دليل ذلك سمعاً فى قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فيكون المراد الكفار بدليل قوله تعالى فى الآية

اى الافتراء

اى عادة وانما جوازه عقلاً فصحيح

الآخرة وجوه يومئذ ناضرة • الى ربها ناظرة • واذا جازت في الآخرة جازت في الدنيا
لتساوي الوقتين بالنسبة الى المرئي انتهى وهو استدلال جيد وقال القاضي عياض رؤية
الله تعالى جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها سؤال موسى عليه
السلام ثم قال وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته
جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار
لاختلاف التاويلات في الآية انتهى وقد روى ابن ابي حاتم بسنده عن اسمعيل بن علية في تاويل
هذه الآية قال هذا في الدنيا وقال آخرون لا تدركه الابصار اي جميعها وهذا مخصص بما ثبت
من رؤية المؤمنين له في الدار الآخرة وقال آخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من هذه الآية
انه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة فخالفوا اهل السنة والجماعة في ذلك مع ما ارتكبوه من الجهل
بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم اما الكتاب فقوله تعالى وجوه
يومئذ ناضرة • الى ربها ناظرة • وقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون • قال الامام الشافعي
رحمه الله فدل هذا على ان المؤمنين لا يحجبون عنه تبارك وتعالى واما السنة فقد تواترت
الاخبار عن ابي سعيد • وابي هريرة • وانس • وجرير • وصهيب • وبلال • وغير واحد من الصحابة
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات وفي
روضات الجنات جعلنا الله منهم وقيل المنفي في الآية ادراك العقول قال الحافظ
ابن كثير وهو غريب جدا وخلاف ظاهر الآية وقال آخرون لا منافاة بين اثبات الرؤية ونفي الادراك
فان الادراك اخص من الرؤية ولا يلزم من نفي الاخص انتفاء الاعم ثم اختلف هؤلاء
في الادراك المنفي ما هو فقيل معرفة الحقيقة فان هذا لا يعلمه الا هو وان رآه المؤمنون
كما ان من رأى القمر فانه لا يدرك حقيقته وكنهه وماهيته فالعظيم اولى بذلك
وله المثل الاعلى وقال آخرون المراد بالادراك الاحاطة قالوا ولا يلزم من عدم الاحاطة
عدم الرؤية كما لا يلزم من عدم الاحاطة بالعلم عدم العلم وفي صحيح مسلم لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك ولا يلزم من هذا عدم الثناء فكذلك هذا وروى ابن ابي حاتم عن
ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى لا تدركه الابصار
قال لو ان الانس والجن والشياطين والملائكة منذ خلقوا الى ان فنوا صفوا صفا واحدا
ما احاطوا بالله ابدا قال ابن كثير غريب لا يعرف الا من هذا الوجه ولم يروه احد من اصحاب
الكتب الستة والله اعلم ومما انتسب لامام الحرمين في لمع الادلة انه قال من اصحابنا من قال ان
الرب تعالى يرى ولا يدرك لان الادراك ينبئ عن الاحاطة ودرك الغاية والرب جل جلاله
تقدس عن الغاية والنهاية ثم قال فان عارضوا بقوله تعالى في جواب موسى عليه السلام
لن تراني وزعموا ان لن تفيد النفي على التابيد قلنا هذه الآية اوضح الادلة على جواز الرؤية

اي في الدنيا

بالعلم

فانها

فانها لو كانت مستحيلة لكان معتقد جواز الرؤية ضالا وكافرا وكيف يعتقد ما
لا يجوز على الله من اصطفاه الله لرسالته • واختاره لنبوته • وخصه بكرامته •
وشرفه بتكليمه • وجعله افضل زمانه • وايده ببرهانه • وكيف يجوز على الانبياء
الريب • في امر يتعلق بعلم الغيب • فيجب حمل الآية على ان ما اعتقد موسى عليه السلام
جوازه جائز • لكن ظن ان ما اعتقد جوازه ناجز • فرجع النفي في الجواب الى الانجاز انتهى
وما سأل موسى عليه السلام ربه في المآل فصرف النفي اليه والجواب يدل على قضية
الخطاب انتهى وقال البيضاوي في هذه الآية دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة
لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده
بقوله لن تراني دون لن أرى انتهى ونقل القاضي عياض عن ابي بكر الهذلي في الآية ان المراد ليس
لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات قال ولقد رأيت لبعض السلف
والمتأخرين ما معناه ان رؤيته تبارك وتعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل
الدنيا وقواهم وكونها متغيرة عرضا للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فاذا
كان في الآخرة وركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم
وقلوبهم قووا بها على الرؤية قال وقد رأيت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله
قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الآخرة ورزقوا ابصارا باقية
رئي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث
ضعف القوة فاذا قوى الله تعالى من يشاء لعما من عباده واقدره على اعباء الرسالة
لم يمتنع في حقه انتهى والاستثناء في قوله الا من حيث ضعف القوة ينبغي ان يكون
منقطعا على معنى لكن من حيث ضعف القوة والا فضعف القوة فصار ان راه
ان يكون مانعا اي امتنع من جهة ضعف القوة لا من جهة كونه مستحيلا ويدل على هذا
قوله فاذا قوى الله تعالى من يشاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية لم يمتنع في
حقه وقد وقع في صحيح مسلم ما يؤيد هذه التفرقة في حديث مرفوع فيه واعلموا انكم لن تروا
ربكم حتى تموتوا واخرجه ايضا من حديث ابي امامة ومن حديث عبادة بن الصامت
وفي تفسير ابن كثير ان في بعض كتب الله المتقدمة ان الله تعالى قال لموسى لما سأله الرؤية
يا موسى انه لن يراني حي الا مات وقد جزم القشيري في الرسالة بانها لا تجوز في
الدنيا على جهة الكرامة وادعى حصول الاجماع عليه وحكى القاضي عياض امتناعها
في الدنيا عن جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وقال القشيري ايضا سمعت
الامام ابا بكر بن فورك يحكي عن ابي الحسن الاشعري في ذلك قولين في كتاب الرؤية الكبير انتهى
وقد ذهبت عائشة وابن مسعود الى انه عليه الصلاة والسلام لم ير ربه ليلة الاسراء

اي قوله لن تراني

اي غايته

الرؤية م

فان جازت الرؤية عقلا فقد امتنعت
سمعا لكن من اثبتها للنبي صلى الله عليه وسلم
لا ان يقولوا ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه

واختلف عن ابي ذر وذهب جماعة الى اثباتها وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن انه حلف
ان محمدا رأى ربه واخرج ابن خزيمة عن عروة بن الزبير اثباتها وبه قال سائر اصحاب ابن عباس
وجزم به كعب الاحبار والزهري وصاحبه معمر وآخرون وهو قول الاشعري وغالب
اتباعه ثم اختلفوا هل رآه بعينه او بقلبه وجاءت عن ابن عباس اخبار مطلقة
واخر مقيدة فيجب حمل مطلقها على مقيدها فمن ذلك ما اخرجه النسائي باسناد صحيح و
صححه الحاكم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال اتعجبون ان تكون الخلة لابرهيم والكلام
لموسى والرؤية لمحمد ومنها ما اخرجه مسلم من طريق ابي العالية عن ابن عباس
في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى • ولقد رآه نزلة اخرى • قال رأى ربه بفؤاده
مرتين وله من طريق عطاء عن ابن عباس قال رآه بقلبه وعلى هذا اصرح من ذلك ما
اخرجه ابن مردويه من طريق عطاء عن ابن عباس قال لم يره رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعينه وانما رآه بقلبه وعلى هذا فيمكن الجمع بين اثبات ابن عباس ونفي عائشة
بان يحمل نفيها على رؤية البصر واثباته على رؤية القلب لكن روى الطبراني في الاوسط
باسناد رجاله ثقات رجال الصحيح خلا جهور بن منصور الكوفي وجهور بن منصور
قد ذكره ابن حبان في الثقات عن ابن عباس انه كان يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم
رأى ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده ثم ان المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب
لا مجرد حصول العلم لانه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله على الدوام بل مراد من
اثبت له انه رآه بقلبه ان الرؤية التي حصلت له خلقت له في قلبه كما تخلق الرؤية
بالعين لغيره والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلا ولو جرت العادة بخلقها في
العين وروى ابن خزيمة باسناد قوي عن انس قال رأى محمد ربه وفي مسلم من حديث ابي ذر
انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال نور اني اراه اي حجابه نور فكيف اراه
ومعناه ان النور حجبني عن الرؤية وعند احمد قال رأيت نورا ومن المستحيل ان تكون
ذات الله نورا اذ النور من جملة الاعراض والله تعالى يتعالى عن ذلك وعند ابن خزيمة
عنه قال رآه بقلبه ولم يره بعينه وبهذا يتبين مراده في حديث ابي ذر بذكر
النور اي ان النور حال بينه وبين رؤيته له ببصره وجنح ابن خزيمة في كتاب التوحيد
الى ترجيح الاثبات واطنب في الاستدلال بما يطول ذكره وحمل ما ورد عن ابن عباس
على ان الرؤية وقعت مرتين مرة بقلبه ومرة بعينه ومما يعزى للاستاد عبد العزيز
المهدوي انه صلى الله عليه وسلم لما رجع من سفر الاسراء اخبر العوالم من حيث قوتهم
ومراتبهم وسقى كل واحد من كاسه • وعلى قدر عقله • فخاطب الكفار وهم اخر العوالم
بما رأى في الطريق وما كان في المسجد الاقصى على العيان وبما يعرفون لانهم في فلك

الاجرام

اي خالق النور

فلكهم نسخة

الاجسام حتى صدقوا بالاسراء ثم ارتقى حتى حدث عن فلك السماء وكذلك في كل سماء
واخبر عن ما شاهد ورأى كل ملك وما يليق ان يحدث به اعني الصحابة كلا على قدر رتبته
بلا ضيق ولا مزاحم الى السماء السابعة ولما وصل مقام جبريل يحدث عن الافق المبين
وعما فوق الى الدنو والى التدلي الى موضع الايحاء عند حضرة اسقاط الصور والخلق فاخبر
بذلك اصحابه فمنهم من قال رأى جبريل بالافق المبين وبالافق الاعلى وصدق ومنهم من قال
برؤية الفؤاد والبصيرة وصدق وهي عائشة ومن معها ومنهم من قال بعيني رأسه
رأى وصدق فكل اخبر بما حصل له صلى الله عليه وسلم عن مقامه وسقاه من كاسه
وما يليق به فاذا صح هذا المعراج عرفت الاسراء ومقامات الرؤية والقائلين بذلك
واختلافهم وقولهم الجميع الحق انتهى وممن اثبت الرؤية لنبينا صلى الله عليه وسلم
الامام احمد فروى الخلال في كتاب السنة عن المروزي قلت لاحمد انهم يقولون
ان عائشة قالت من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية فبأي معنى يدفع
قولها قال بقول النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ربي قول النبي اكبر من قولها وقد انكر
صاحب الهدي على من زعم ان احمد قال رأى ربه بعين رأسه قال وانما قال مرة رأى
محمد ربه وقال مرة بفؤاده وحكى عنه بعض المتأخرين رآه بعين رأسه وهذا من تصرف
الحاكي فان نصوصه موجودة انتهى وقد رجح القرطبي في المفهم قول الوقف في
هذه المسئلة وعزاه لجماعة من المحققين وقواه بانه ليس في الباب دليل قاطع وغاية
ما استدل به الطائفتان ظواهر متعارضة قابلة للتأويل قال وليست المسئلة
من العمليات فيكتفي فيها بالادلة الظنية وانما هي من المعتقدات فلا يكتفي فيها
الا بالدليل القطعي والله اعلم واما قوله في الحديث ثم فرضت علي الصلاة خمسين
صلاة كل يوم وليلة ففي رواية ثابت البناني عن انس عند مسلم ففرض الله علي خمسين
صلاة كل يوم وليلة ونحوه في رواية مالك بن ابي صعصعة عند البخاري ايضا و
يحتمل ان يقال ذكر الفرض عليه يستلزم الفرض على الامة وبالعكس الا ما يستثنى من
خصائصه وفي حديث ثابت عن انس عند مسلم فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك
على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك واسئله التخفيف فان امتك
لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت
يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا فقال
ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسئله التخفيف قال فلم ازل ارجع
بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد هن خمس صلوات في اليوم والليلة لكل
صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة

م قال الشيخ نجم الدين النسفي ان الصواب انه مما يكتفى فيها بالادلة الظنية

فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة
واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته قال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف
فقلت لقد رجعت الى ربي حتى استحييت منه وفي رواية النسائي عن انس فقيل لي
اني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى امتك خمسين صلاة فقم بها انت
وامتك وذكر مراجعته مع موسى وفيه فانه فرض على بني اسرائيل صلاتان فما قاموا بهما
وقال في آخره فخمس بخمسين فقم بها انت وامتك قال فعرفت انها عزمة من الله فرجعت
فقال ارجع فلم ارجع فان قلت لم قال موسى عليه السلام لنبينا صلى الله عليه وسلم
ان امتك لا يطيقون ذلك ولم يقل انك وامتك لا تطيقون اجيب بان العجز
مقصور على الامة لا يتعداهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فهو لما رزقه الله تعالى من
الكمال يطيق ذلك فاكثر منه وكيف لا وقد جعلت قرة عينه في الصلاة قال العارف
ابن ابي جمرة والحكمة في تخصيص فرض الصلاة بليلة الاسراء انه صلى الله عليه وسلم
لما عرج به رأى في تلك الليلة تعبد الملائكة وان منهم القائم فلا يقعد والراكع
فلا يسجد والساجد فلا يقعد فجمع الله له ولامته تلك العبادات كلها في ركعة
يصليها العبد بشرائطها من الطمانينة والاخلاص وقد وقع من موسى عليه السلام
من العناية بهذه الامة في امر الصلاة ما لم يقع لغيره ووقعت الاشارة بذلك في حديث
ابي هريرة عند الطبراني والبزار قال صلى الله عليه وسلم كان موسى عليه السلام اشدهم
علي حين مررت وخيرهم لي حين رجعت وفي حديث ابي سعيد فاقبلت راجعا فمررت
بموسى ونعم الصاحب كان لكم فسألني كم فرض عليك ربك الحديث قال السهيلي واما اعتناء
موسى عليه السلام بهذه الامة والحاحه على نبيها ان يشفع لها ويسئل التخفيف عنها
فلقوله تعالى والله اعلم حين قضى اليه الامر بجانب الغربي ورأى صفات محمد صلى الله
عليه وسلم في الالواح وجعل يقول في الالواح امة صفتهم كذا اللهم اجعلهم
امتي فيقال له تلك امة احمد وهو حديث مشهور وقد تقدم ذكره في خصائص هذه
الامة قال فكان اشفاقه عليهم واعتناؤه بامرهم كما يعتني بالقوم من هو منهم لقوله اللهم
اجعلني منهم انتهى وقال القرطبي الحكمة في امر موسى بمراجعة النبي صلى الله عليه وسلم
في امر الصلوات يحتمل ان يكون لكون امة موسى عليه السلام كلفت من الصلوات ما لم يكلف به
غيرها من الامم قبلها فثقلت عليهم فاشفق موسى على امة محمد صلى الله عليه وسلم
مثل ذلك ويشير اليه قوله اني قد جربت الناس قبلك انتهى ووقع في كلام بعض اهل
الاشارات لما تمكنت نار المحبة من قلب موسى عليه السلام اضاءت له انوار نور
الطور فاسرع اليها ليقتبس فاقتبس فلما نودي من النادي اشتاق الى المنادي فكان

ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي

فاقتبس صح

بطوف

يطوف في بني اسرائيل فيقول من يحملني رسالة الى ربي ومراده ان تطول المناجاة مع
الحبيب فلما مر عليه نبينا ليلة المعراج ردده في امر الصلوات ليسعد برؤية حبيب
الحبيب وقال اخر لما سأل موسى عليه السلام الرؤية • ولم يحصل له البغية • بقي
الشوق يقلقه • والامل يعلله • فلما تحقق ان سيدنا محمدا الحبيب منح الرؤية • وفتح
له باب المزية • اكثر السؤال ليسعد برؤية من قد رأى كما قيل

واستنشق الارواح من نحو ارضكم ... لعلي اراكم او ارى من يراكم
واسئل من لاقيت عنكم عساكم ... تجودون لي بالعطف منكم عساكم
وانتم حياتي ان حييت وان امت ... فيا حبذا ان مت عبد هواكم

وقال آخر

وانما السر في موسى يردده ... ليجتلي حسن ليلى حين يشهده
يبدو سناها على وجه الرسول فيا ... لله در رسول حين اشهده

وقال اخر لما جلس الحبيب في مقام القرب • ودارت عليه كؤوس الحب • ثم عاد وهلال ما كذب
الفؤاد ما رأى بين عينيه • وسر فاوحى الى عبده ما اوحى ملأ قلبه واذنيه • فلما اجتاز بموسى قال لسان حاله

يا واردا من اهيل الحي يخبرني ... عن جيرتي شنفا الاسماع بالخبر
ناشدتك الله يا راوي حديثهم ... حدث فقد ناب سمعي اليوم عن بصري

فاجاب لسان حال نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا ... سر ارق من النسيم اذا سرى
واباح طرفي نظرة املتها ... فغدوت معروفا وكنت منكرا

فكل قوم يلحظون مذهبهم • وقد علم كل اناس مشربهم • والله تعالى بفضله واحسانه •
يوالي انسجام سحائب عفوه ورضوانه • على العارف الرباني ابي عبد الرحمن السلمي •
فلقد اجاد اذ افاد بما اورده من لطائف المعراج • حسبما جعله من كلام اهل الاشارات
باقوم منهاج • وقد استدل العلماء بقوله في الحديث فهن خمس صلوات كل يوم وليلة
لكل صلاة عشر فتلك خمسون على عدم فرضية ما زاد على الصلوات الخمس كالوتر وعلى
دخول النسخ قبل الفعل قال ابن بطال وغيره الا ترى انه عز وجل نسخ الخمسين بالخمس قبل
ان تصلى ثم تفضل عليهم بان اكمل لهم الثواب وتعقبه ابن المنير فقال هذا ذكره طوائف
من الاصوليين والشراح وغيرهم وهو مشكل على من اثبت النسخ قبل الفعل كالاشاعرة
او منعه كالمعتزلة لكونهم اتفقوا جميعا على ان النسخ لا يتصور قبل البلاغ وحديث
الاسراء وقع فيه النسخ قبل البلاغ فهو مشكل عليهم جميعا انتهى فان اراد قبل البلاغ
لكل احد فممنوع وان اراد قبل البلاغ الى بعض الامة فمسلم لكن قد يقال ليس هو بالنسبة اليهم نسخا

لكن هو نسخ بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم لانه كلف بذلك قطعا ثم نسخ
بعد ان بلغه وقبل ان يفعله فالمسئلة صحيحة التصوير في حقه صلى الله عليه
وسلم **ولما رجع** صلى الله عليه وسلم من سفر الاسراء مر في طريقه بعير لقريش تحمل
طعاما فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذى البعير
نفرت منه واستدارت وتصرع ذلك البعير **وفي رواية** اضلوا بعيرا لهم قد جمعه
فلان فقال صلى الله عليه وسلم فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم اتى
مكة قبل الصبح واخبر قومه بما رأى وقال لهم من اية ما اقول لكم انى مررت بعير لكم في مكان
كذا وكذا وقد اضلوا بعيرا لهم فجمعه فلان وان مسيرهم ينزلون بمكان كذا وكذا ويأتونكم
يوم كذا وكذا يقدمهم جمل آدم عليه مسح اسود وغرارتان فلما كان ذلك اليوم اشرف
الناس ينظرون حتى اذا كان قريب من نصف النهار اقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي
وصفه عليه الصلاة والسلام **وفي رواية** سألوه آية فاخبرهم بقدوم العير يوم
الاربعاء فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس ان تغرب فدعا الله تعالى فحبس
الشمس حتى قدموا كما وصف وعن عائشة لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم الى المسجد
الاقصى اصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس كانوا آمنوا وسعى رجال الى ابي بكر هل لك
الى صاحبك يزعم انه اسري به الليلة الى بيت المقدس قال وقد قال ذلك قالوا نعم قال
لئن قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل ان يصبح
فقال نعم انى لاصدقه فيما هو ابعد من ذلك في خبر السماء في غدوة وروحة فلذلك سمي
الصديق رواه الحاكم في المستدرك وابن اسحاق وزاد ثم انتهى حتى اتى الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال يا نبي الله حدثت هؤلاء انك جئت بيت المقدس في هذه الليلة
قال نعم قال يا نبي الله صفه لي فاني قد جئته قال الحسن فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرفع لي حتى نظرت اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لابي بكر
فيقول ابو بكر صدقت اشهد انك رسول الله كلما وصف له منه شيئا وقول ابي بكر صفه لي
لم يكن عن شك فانه صدقه من اول وهلة ولكنه اراد اظهار صدقه عليه السلام لقومه
فانهم كانوا يثقون بابي بكر فاذا طابق خبره عليه السلام ما كان يعلم ابو بكر وصدقه
كان حجة ظاهرة عليهم **وفي** البخاري فجلى الله لي بيت المقدس اي كشف الحجب بيني و
بينه حتى رأيته **وفي** رواية مسلم فسألوني عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا
شديدا لم اكرب مثله قط فرفعه الله الي انظر اليه ما يسألوني عن شيء الا انبأتهم
به فيحتمل ان يكون حمل الى ان وضع بحيث يراه ثم اعيد **وفي حديث** ابن عباس عند احمد
والبزار فجيء بالمسجد وانا انظر اليه حتى وضع عند دار عقيل فنعته وانا انظر اليه

لقريش

من المشركين

وهذا

وهذا ابلغ في المعجزة ولا استحالة فيه فقد احضر عرش بلقيس في طرفة عين **واما ما** وقع في
حديث ام هانئ عند ابن سعد فخيل الي بيت المقدس وطفقت اخبرهم فان ثبت احتمل
ان يكون المراد مثل قريبا منه كما قيل في حديث اريت الجنة والنار ويؤول قوله جيء
بالمسجد جيء بمثاله **وفي حديث** ام هانئ المذكور انهم قالوا كم للمسجد باب قال ولم اكن
عددتها فجعلت انظر اليه واعدها بابا بابا **وعند** ابي يعلى ان الذي سأله عن صفة
بيت المقدس هو المطعم بن عدي والد جبير بن مطعم **واشار** ابن ابي جمرة الى ان الحكمة في
الاسراء الى بيت المقدس اظهار الحق للمعاند لانه لو عرج به من مكة الى السماء لم يجد
لمعاندة الاعداء سبيلا الى البيان والايضاح حيث سألوه عن جزئيات من بيت
المقدس كانوا رأوها وعلموا انه لم يكن رآها قبل ذلك فلما اخبرهم بها حصل التحقيق انه اسري
الى بيت المقدس واذا صح البعض لزم تصحيح الباقي فكان ذلك سببا لقوة ايمان
المؤمنين ● وزيادة في شقاء من عاند وجحد من الكافرين ●●●

المقصد السادس فيما ورد في آي التنزيل من تعظيم قدره عليه السلام

ورفع ذكره وشهادته له بصدق نبوته وثبوت بعثته وقسمه تعالى على تحقق رسالته
وعلو منصبه الجليل ومكانته ● وايجاب طاعته واتباع سنته ● واخذه تعالى
له الميثاق على سائر النبيين فضلا ومنة ● ليؤمنن به ان ادركوه ولينصرنه ●
والتنويه به في الكتب السالفة كالتورية والانجيل ● بانه صاحب الرسالة والتبجيل ●
وغير ذلك **اعلم** اطلعني الله واياك على اسرار التنزيل ● ومنحنا بلطفه تبصرة
تهدينا الى سواء السبيل ● انه لا سبيل لنا ان نستوعب الآيات الدالة على ذلك وما
فيها من التصريح والاشارة الى علو قدره الرفيع ومرتبته ● ووجوب المبالغة في
حفظ الادب معه ● وكذلك الآيات التي فيها ثناؤه تعالى عليه ● واظهار عظيم
شانه لديه ● وقسمه تعالى بحياته ● ونداؤه بالرسول والنبي ● ولم يناد باسمه ● بخلاف
غيره من الانبياء ناداهم باسمائهم الى غير ذلك مما يشير الى انافة قدره العلي عنده ● وانه
لا مجد يساوي مجده ومن تأمل القرآن العظيم وجده طافحا بتعظيم الله تعالى النبيه صلى
الله عليه وسلم ويرحم الله تعالى ابن الخطيب الاندلسي **حيث قال**

مدحتك آيات الكتاب فما عسى ... يثني على علياك نظم مديح
واذا كتاب الله اثنى مفصحا ... كان القصور قصار كل فصيح

وهذا المقصد اكرمك الله يشتمل على عشرة انواع **النوع** الاول في آيات تتضمن
تعظيم قدره ● ورفعة ذكره ● وجليل رتبته ● وعلو درجته ● على الانبياء وتشريف
منزلته ● **قال الله تعالى** تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله

في نسخة
ورفعة نسخة
جمع آية
عطف على قوله من تعظيم قدره وانصح عطفه
على قوله فيما ورد

أي اعلاء

ينبئ نسخة
فصار الشيء خاشيه

كما قال المفسرون يعني موسى عليه السلام كلمه بلا واسطة وليس نصا في اختصاص موسى
بالكلام وقد ثبت انه تعالى كلم نبينا ايضا كما مر فان قلت اذا ثبت انه عليه الصلاة و
السلام كلمه ربه وقام به هذا الوصف فلم يشتق له من الكلام اسم الكليم كما اشتق منه
لموسى اجيب بان اعتبار المعنى قد يكون لتصحيح الاشارة كاسم الفاعل فيطرد بمعنى ان كل من
قام به ذلك الوصف اشتق له منه اسم وجوبا وقد يكون للترجيح فقط كالكليم والقارورة
فلا يطرد وحينئذ فلا يلزم في كل من قام به ذلك الوصف ان يشتق له منه اسم كما حققه
القاضي عضد الدين وهذا ملخصه وتحريره كما قاله المولى سعد الدين التفتازاني انتهى
وقوله تعالى ورفع بعضهم درجات يعني محمدا صلى الله عليه وسلم رفعه الله تعالى
من ثلاثة اوجه بالذات في المعراج وبالسيادة على جميع البشر وبالمعجزات لانه
عليه الصلاة والسلام اوتي من المعجزات ما لم يؤته نبي قبله قال الزمخشري
وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه
العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس انتهى وقد بينت هذه الآية وكذلك
قوله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ان مراتب الرسل والانبياء متفاوتة
خلافا للمعتزلة القائلين بانه لا فضل لبعضهم على بعض وفي هاتين الآيتين رد
عليهم وقال قوم آدم افضل لحق الابوة وتوقف بعضهم فقال السكوت افضل
والمعتمد الذي عليه جماهير السلف والخلف ان الرسل افضل من الانبياء وكذلك الرسل
بعضهم افضل من بعض بشهادة هاتين الآيتين وغيرهما قال بعض اهل العلم فيما حكاه
القاضي عياض والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون اياته و
معجزاته اظهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل واطهر وفضله
في ذاته راجع الى ما خصه الله تعالى به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او
رؤية او ما شاء الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه انتهى فلا مرية
اذ ان آيات نبينا صلى الله عليه وسلم ومعجزاته اظهر وابهر واكثر وابقى واقوى
ومنصبه اعلى ودولته اعظم واوفر وذاته افضل واظهر وخصوصياته
على جميع الانبياء اشهر من ان تذكر فدرجته ارفع من درجات جميع المرسلين
وذاته ازكى وافضل من سائر المخلوقين وتأمل حديث الشفاعة في المحشر وانتهائها
اليه وانفراده هناك بالسودد كما قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم
واول من تنشق عنه الارض يوم القيمة رواه ابن ماجة وفي حديث انس عند الترمذي
انا اكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر لكن هذا لا يدل على كونه افضل من آدم
بل من اولاده فالاستدلال بذلك على مطلق افضليته عليه الصلاة والسلام

على الانبياء

على الانبياء كلهم ضعيف واستدل الشيخ سعد الدين التفتازاني لمطلق افضليته
عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس قال لانه
لا شك ان خيرية الامة بحسب كمالهم في الدين وذلك تابع لكمال نبيهم الذي
يتبعونه واستدل له الفخر الرازي في المعالم بانه تعالى وصف الانبياء بالاوصاف
الحميدة ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده فامره ان يقتدي بآثارهم فيكون اتيانه به واجبا والا فيكون تاركا
للامر واذا اتى بجميع ما اتوا به من الخصال الحميدة فقد اجتمع فيه ما كان
متفرقا فيهم فيكون افضل منهم وبان دعوته عليه السلام في التوحيد و
العبادة وصلت الى اكثر بلاد العالم بخلاف سائر الانبياء فظهر ان
انتفاع اهل الدنيا بدعوته صلى الله عليه وسلم اكمل من انتفاع سائر الامم
بدعوة سائر الانبياء فوجب ان يكون افضل من سائر الانبياء وقد روى
الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
سيد ولد آدم يوم القيمة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي آدم
فمن سواه الا تحت لوائي وفي حديث ابي هريرة مرفوعا عند البخاري انا سيد
الناس يوم القيمة وهذا يدل على انه افضل من آدم عليه السلام ومن كل اولاده
وروى البيهقي في فضائل الصحابة انه ظهر علي بن ابي طالب من البعد فقال صلى
الله عليه وسلم هذا سيد العرب فقالت عائشة الست بسيد العرب
فقال انا سيد العالمين وهو سيد العرب وهذا يدل على انه افضل الانبياء
بل افضل الخلق كلهم وقد روى هذا الحديث الحاكم ايضا في صحيحه عن ابن عباس
بلفظ لكن انا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب وقال انه صحيح ولم يخرجاه وله
شاهد من حديث عروة عن عائشة وساقه من طريق احمد بن عبيد بن ناصح بن الحسين
بن علوان وهما ضعيفان عن هشام بن عروة عن ابيه بلفظ ادعوا الي سيد
العرب قالت عائشة فقلت يا رسول الله الست سيد العرب فقال وذكره
وكذا اورده من حديث عمر بن موسى الوجيهي وهو ضعيف ايضا عن ابي الزبير
عن جابر مرفوعا ادعوا الي سيد العرب فقالت عائشة الست سيد العرب
وذكره قال شيخنا وكلها ضعيفة بل جنح الذهبي الى الحكم على ذلك بالوضع انتهى
ولم يقل صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس عجبا وافتخارا على من دونه
حاشاه الله من ذلك وانما قاله عليه السلام اظهارا لنعمة الله تعالى
عليه واعلاما للامة بقدر امامهم ومتبوعهم عند الله تعالى وعلو

قوله فان قلت الى قوله انتهى يوجد في بعض النسخ

اي في قوله بعضهم

والصواب القول بالتفضيل كما اشار اليه المصنف

قوله فالاستدلال بذلك على مطلق الخ فيه تأمل لظهور
ويجاب بان قوله ولد آدم المراد به نوع هنا البشر

الباء في اقتده هاء السكت معناه اجمع ما فيهم
من الكمالات
اي من كل فرد فرد لا من المجموع وان كان افضل
من الجميع وعليه فهو مشكل

ذكره لانها انما ظهرت في ذلك اليوم بخلاف الدنيا

منزلته لديه ليعرف نعمة الله عليه وعليهم وكذلك العبد اذا لاحظ ما هو
فيه من فيض المدد وشاهده من عين المنة ومحض الجود وشهد مع ذلك فقره
الى ربه فى كل لحظة وعدم استغنائه عنه طرفة عين انشأ له ذلك فى قلبه
سحائب السرور فاذا انبسطت هذه السحائب فى سماء قلبه وامتلأ افقه
بها امطرت عليه وابل الطرب بما هو فيه من لذيذ السرور فان لم يصبه
وابل فطل وحينئذ يجرى على لسانه الافتخار من غير عجب ولا فخر بل فرح بفضل
الله وبرحمته كما قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
فالافتخار على ظاهره والافتقار والانكسار فى باطنه ولا ينافى احدهما الاخر
والى هذا المعنى يشير قول العارف سيدى على الوفوى فى قصيدته التى اولها

من انت مولاه حاشا ... علاه ان يتلاشا
والله يا روح قلبى ... لا مات من بك عاشا
قوم لهم انت ساق ... لا يرجعون عطاشا
لا قص دهر جناحا ... له وفاؤك راشا
بك النعيم مقيم ... لمن وهبت انتعاشا
ومن بحولك يقوى ... لن يضعف الدهر حاشا
عبد له بك عز ... فكيف لا يتحاشا
حاشا وفاؤك يرمى ... من انت مولاه حاشا

فان قلت فما الجمع بين هاتين الايتين وبين قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل
الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى
موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له
مسلمون والحديث الثابت فى الصحيحين عن ابى هريرة قال استب رجل من المسلمين
ورجل من اليهود فقال اليهودى فى قسمه لا والذى اصطفى موسى على العالمين
فرفع المسلم يده فلطم اليهودى فقال اى خبيث وعلى محمد فجاء اليهودى الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم واشتكى على المسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى
على الانبياء وفى رواية لا تفضلوا بين الانبياء وحديث ابى سعيد الخدرى عند
البخارى ومسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لا تخيروا بين الانبياء وحديث ابن عباس
عند البخارى ومسلم مرفوعا ما ينبغى لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وحديث
ابى هريرة عند الشيخين ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب اجاب العلماء
بان قوله عز وجل لا نفرق بين احد منهم يعنى فى الايمان بما انزل اليهم والتصديق

والافتقار بنحن

بهم والايمان بانهم رسل الله وانبياؤه والتسوية بينهم فى هذا لا تمنع ان يكون بعضهم
افضل من بعض واجابوا عن الاحاديث باجوبة فقال بعضهم ان يعتقد ان الله فضل
بعضهم على بعض على الجملة ونكف عن الخوض فى تفصيل التفضيل بارائنا قال ابن ظفر
فان اراد هذا القائل انا نكف عن الخوض فى تفصيل التفضيل بارائنا فصحيح وان اراد
انا لا نذكر فى ذلك ما فهمناه من كتاب الله وروينا من حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسقيم وقال الاخر نفضل من رفع الله درجته بخصائص الحظوة والزلفى ولا نخوض
فى تفضيل بعضهم على بعض فى سياسة المنذرين والصبر على الدين والنهضة فى اداء
الرسالة والحرص على هدى الضالين فان كلا منهم قد بذل وسعه الذى لا يكلفه
الله تعالى اكثر منه وقال اخر فيما ذكره القاضى عياض فى ذلك انه نهيه عليه الصلاة والسلام
عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد ادم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف
وان من فضل بلا علم فقد كذب قال الحافظ عماد الدين بن كثير وفى هذا نظر انتهى
وقال اخر انما قال صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفى التكبر والعجب قال
القاضى عياض وهذا لا يسلم من الاعتراض وقيل لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدى
الى تنقيص بعضهم او الغض منه وقيل منع التفضيل فى حق النبوة والرسالة فان
الانبياء عليهم السلام فيها على حد واحد لا تتفاضل وانما التفاضل فى زيادة
الاحوال والخصوص والكرامات والرتب واما النبوة فى نفسها فلا تتفاضل
وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل واولو عزم انتهى وهذا
قريب من القول الثانى وقال ابن ابى جمرة فى حديث يونس يريد بذلك نفى التكييف
والتحديد على ما قاله ابن خطيب الرى لانه قد وجدت الفضيلة بينهما فى عالم
الحس لان النبى صلى الله عليه وسلم اسرى به الى فوق السبع الطباق ويونس نزل به
الى قعر البحر وقد قال عليه الصلاة والسلام انا سيد ولد ادم يوم القيمة وقال عليه
السلام ادم ومن دونه تحت لوائى وقد اختص صلى الله عليه وسلم بالشفاعة الكبرى
التى لم تكن لغيره من الانبياء عليهم السلام فهذه الفضيلة وجدت بالضرورة
فلم يبق ان يكون قوله عليه الصلاة والسلام لا تفضلونى على يونس بن متى الا بالنسبة
للقرب والبعد فمحمد صلوات الله وسلامه عليه وان اسرى به لفوق السبع الطباق
واخترق الحجب ويونس عليه السلام وان نزل به لقعر البحر فهما بالنسبة الى القرب
والبعد من الله سبحانه وتعالى على حد واحد انتهى فهو مروى عن امام دار الهجرة
مالك بن انس وعزى نحوه لامام الحرمين وقال ابن المنير ان قلت انه لم يفضل
على يونس باعتبار استواء الجهتين بالنسبة الى وجود الحق تعالى فقد فضله

وهو الفخر الرازى

باعتبار تفاوت الجهتين في تفضيل الحق فانه تعالى فضل الملأ الاعلى على الحضيض
الادنى فكيف لا نفضله عليه الصلاة والسلام على يونس وان لم يكن التفضيل
بالمكان فهو بالمكانة بلا اشكال ثم قال قلت لم ينه عن مطلق التفضيل وانما نهى
عن تفضيل مقيد بالمكان يفهم منه القرب المكاني فعلى هذا يحمل جمعا بين القواعد
انتهى واختلف هل البشر افضل من الملائكة فقال جمهور اهل السنة والجماعة خواص
بني ادم وهم الانبياء افضل من خواص الملائكة وهم جبرئيل وميكائيل واسرافيل و
عزرائيل وحملة العرش والمقربون والكروبيون والروحانيون وخواص الملائكة
افضل من عوام بني ادم قال التفتازاني بالاجماع بل بالضرورة وعوام بني ادم افضل
من عوام الملائكة فالمسجود له افضل من الساجد فاذا ثبت تفضيل الخواص على
الخواص ثبت تفضيل العوام على العوام فعوام الملائكة خدام عمال الخير والمخدوم
له فضل على الخادم ولان المؤمنين ركب فيهم الهوى والعقل مع تسلط الشيطان
عليهم بوسوسته والملائكة ركب فيهم العقل دون الهوى ولا سبيل
للشيطان عليهم فالانسان كما قاله في شرح العقائد يحصل الفضائل
والكمالات العلمية والعملية مع وجود العوائق والموانع من الشهوة والغضب
وسنوح الحاجات الضرورية الشاغلة عن اكتساب الكمالات ولا شك
ان العبادة وكسب الكمال مع الشواغل والصوارف اشق وادخل في الاخلاص
فتكون افضل والمراد بعوام بني ادم هنا الصلحاء لا الفسقة كما نبه عليه العلامة
كمال الدين ابن ابي شريف المقدسي قال ونص عليه البيهقي في الشعب وعبارته
قد تكلم الناس قديما وحديثا في الملائكة والبشر فذهب ذاهبون الى ان الرسل
من البشر افضل من الرسل من الملائكة وان الاولياء من البشر افضل من الاولياء
من الملائكة انتهى وذهبت المعتزلة والفلاسفة وبعض الاشاعرة الى تفضيل
الملائكة وهو اختيار القاضي ابي بكر بن الباقلاني وابي عبد الله الحليمي وتمسكوا بوجوه
الاول ان الملائكة ارواح مجردة كاملة بالفعل مبرأة عن مبادي الشرور والافات
كالشهوة والغضب وعن ظلمات الهيولى والصورة قوية على الافعال العجيبة
عالمة بالكوائن ماضيها وآتيها من غير غلط والجواب ان مبنى ذلك على
الاصول الفلسفية دون الاصول الاسلامية الثاني ان الانبياء مع كونهم
افضل البشر يتعلمون ويستفيدون منهم بدليل قوله تعالى علمه شديد القوى
وقوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك ولا شك ان المعلم افضل من
المتعلم والجواب ان التعليم من الله تعالى والملائكة انما هم مبلغون الثالث

انه اطرد

انه اطرد في الكتاب والسنة تقديم ذكرهم على الانبياء وما ذلك الا لتقدمهم في
الشرف والرتبة والجواب ان ذلك لتقدمهم في الوجود او لان وجودهم اخفى
فالايمان بهم اقوى وبالتقديم اولى الرابع قوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا
لله ولا الملائكة المقربون فان اهل اللسان يفهمون من ذلك افضلية الملائكة من
عيسى اذ القياس في مثله الترقي من الادنى الى الاعلى يقال لا يستنكف من هذا الامر
الوزير ولا السلطان ولا يقال السلطان ولا الوزير ثم لا قائل بالفصل بين عيسى
عليه السلام وغيره من الانبياء عليهم السلام والجواب ان النصارى استعظموا المسيح
بحيث يترفع من ان يكون عبدا من عباد الله بل ينبغي ان يكون ابنا له لانه مجرد لا اب له
وكان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى بخلاف سائر العباد من بني ادم فرد عليهم
بانه لا يستنكف من ذلك المسيح ولا من هو اعلى منه في هذا المعنى وهم الملائكة الذين لا اب
لهم ولا ام ويقدرون باذن الله على افعال اقوى واعجب من ابراء الاكمه والابرص واحياء
الموتى باذن الله فالترقي والعلو انما هو في امر التجرد واظهار الاثار القوية لا في مطلق
الشرف والكمال فلا دلالة على افضلية الملائكة انتهى ثم ان الملائكة بعضهم افضل
من بعض وافضلهم الروح الامين جبريل المزكى من رب العالمين المقول فيه من ذي
العزة انه لقول رسول كريم • ذي قوة عند ذي العرش مكين • مطاع ثم امين •
فوصفه بسبع صفات فهو افضل الملائكة الثلاثة الذين هم افضل الملائكة على الاطلاق
وهم اسرافيل وميكائيل وعزرائيل وكذلك الرسل افضل من الانبياء وكذلك الرسل
بعضهم افضل من بعض ومحمد افضل الانبياء والرسل كما تقدم واول الانبياء
ادم واخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاما نبوة ادم فبالكتاب الدال على
انه قد امر ونهي مع القطع انه لم يكن في زمنه نبي اخر فهو بالوحي لا غير وكذا السنة و
الاجماع فانكار نبوته على ما نقل عن البعض يكون كفرا وقد اختلف في عدد الانبياء
والمرسلين والمشهور في ذلك ما في حديث ابي ذر عند ابن مردويه في تفسيره قال قلت
يا رسول الله كم الانبياء قال مائة الف واربعة وعشرون الفا قلت يا رسول الله كم
الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جم غفير قلت يا رسول الله من كان اولهم قال ادم
ثم قال يا ابا ذر اربعة سريانيون ادم وشيث ونوح وخنوخ وهو ادريس
وهو اول من خط بالقلم واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا ابا ذر
واول نبي من بني اسرائيل موسى واخرهم عيسى واول النبيين ادم واخرهم نبيك
وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ ابو حاتم بن حبان في كتابه الانواع والتقاسيم
وقد وسمه بالصحيح وخالفه ابن الجوزي فذكره في الموضوعات واتهم به ابراهيم بن هشام

قال الحافظ ابن كثير ولا شك انه قد تكلم فيه غير واحد من ائمة الجرح والتعديل من اجل
هذا الحديث فالله اعلم وروى ابو يعلى عن انس مرفوعا كان فيمن خلا من اخوانى من الانبياء
ثمانية الاف نبى ثم كان عيسى بن مريم ثم كنت انا والذين نص الله تعالى على اسمائهم
فى القرآن ادم وادريس ونوح وهود وصالح وابرهيم ولوط واسمعيل واسحق
ويعقوب ويوسف وايوب وشعيب وموسى وهرون ويونس وداود
وسليمن والياس واليسع وزكريا ويحيى وعيسى وكذا ذو الكفل عند كثير
من المفسرين والله اعلم وقال الله تعالى ورفعنا لك ذكرك روى ابن جرير من حديث
ابى سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتانى جبريل عليه السلام فقال
ان ربى وربك يقول تدرى كيف رفعت لك ذكرك قلت الله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت
معى وذكره الطبرى وصححه ابن حبان وروينا عن الامام الشافعى قال انبأنا ابن عيينه
عن ابن ابى نجيح معنى لا اذكر الا ذكرت معى اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
قال الامام الشافعى يعنى والله اعلم ذكره عند الايمان بالله والاذان قال ويحتمل
ذكره عند تلاوة الكتاب وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية انتهى وقيل
رفعه بالنبوة قاله يحيى بن ادم وعن ابن عطاء جعلتك ذكرا من ذكرى فمن ذكرك
ذكرنى وعنه ايضا جعلت تمام الايمان بذكرى معك وعن جعفر بن محمد الصادق
لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرنى بالربوبية قال البيضاوى واى رفعة مثل ان قرن
اسمه باسمه فى كلمتى الشهادة وجعل طاعته طاعته انتهى يشير الى قوله تعالى
من يطع الرسول فقد اطاع الله والله ورسوله احق ان يرضوه ومن يطع الله
ورسوله واطيعوا الله ورسوله واطيعوا الله والرسول وقول قتادة رفع الله ذكره
فى الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله انتهى فهو مذكور معه فى الشهادة والتشهد ومقرون بذكره
فى القرآن والخطب والاذان ويؤذن باسمه فى موقف القيمة واخرج ابو نعيم فى الحلية
عن ابى هريرة رفعه لما نزل ادم بالهند استوحش فنزل جبريل عليه السلام فنادى
بالاذان الله اكبر الله اكبر مرتين اشهد ان لا اله الا الله مرتين اشهد ان محمدا رسول الله
مرتين الحديث وكتب اسمه الشريف على العرش وعلى كل سماء وعلى الجنان وما فيها
رواه ابن عساكر واخرج البزار عن ابن عمر مرفوعا لما عرج بى الى السماء ما مررت بسماء
الا وجدت اسمى فيها مكتوبا محمد رسول الله وفى الحلية عن ابن عباس مرفوعا ما فى الجنة
شجرة عليها ورقة الا مكتوب عليها لا اله الا الله محمد رسول الله واخرج الطبرانى
من حديث جابر مرفوعا كان نقش خاتم سليمان بن داود عليهما السلام لا اله الا الله

محمد رسول الله وعزاه الحافظ ابن رجب فى كتاب احكام الخواتيم لجزء ابى على الخالدى
قال انه باطل موضوع وشق اسمه الكريم من اسمه تعالى كما قال حسان

وشق له من اسمه ليجله | فذو العرش محمود وهذا محمد

وسماه من اسمائه الحسنى بنحو سبعين اسما كما بينت ذلك فى اسمائه صلوات الله
وسلامه عليه وصلى عليه فى ملئكته وامر المؤمنين ان يصلوا عليه فقال ان الله
وملئكته يصلون على النبى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فاخبر عباده
بمنزلة عبده عنده فى الملأ الاعلى بانه يثنى عليه عند الملائكة المقربين وان الملئكة
تصلى عليه ثم امر العالم السفلى بالصلاة والتسليم عليه فيجتمع الثناء عليه من اهل
العالمين العلوى والسفلى جميعا وكتبه نبيا وادم بين الروح والجسد وختم به
النبوة والرسالة واعلن بذكره الكريم فى الاولين والاخرين ونوه بقدره الرفيع
حين اخذ الميثاق على جميع النبيين وجعل ذكره فى فواتح الرسائل وخواتمها وشرف
به المصاقع على المنابر وزين بذكره ارباب الاقلام والمحابر ونشر ذكره فى الافاق
شرقا وغربا برا وبحرا حتى فى السموات السبع وعند المستوى وصريف الاقلام والعرش
والكرسى وسائر الملائكة المقربين من الكروبيين والروحانيين والعلويين والسفليين
وجعله فى قلوب المؤمنين بحيث يستطيبون ذكره فترتاح ارواحهم
وربما تميل من طرب سماع اسمه اشباحهم

واذا ذكرتكمو اميل كانني | من طيب ذكركمو سقيت الراحا

كانه تعالى يقول املأ الوجود كله من اتباعك كلهم يثنون عليك ويصلون عليك
ويحفظون سنتك بل ما من فريضة من فرائض الصلاة الا ومعها سنة فهم متمسكون
فى الفريضة بامرى وفى السنة بامرك وجعلت طاعتى طاعتك وبيعتى بيعتك فالقراء
يحفظون الفاظ منشورك والمفسرون يفسرون معانى فرقانك والوعاظ يبلغون
بليغ وعظك والملوك والسلاطين يقفون فى خدمتك ويسلمون من وراء الباب
عليك ويمسحون وجوههم بتراب روضتك ويرجون شفاعتك فشرفك
باق الى ابد الابدين والحمد لله رب العالمين وقال تعالى طه ما انزلنا عليك القرآن
لتشقى اعلم ان للمفسرين فى طه قولين احدهما انها من حروف التهجى والثانى انها كلمة
مفيدة وعلى القول الاول قيل معناها يا مطمع الشفاعة للامة ويا هادى الخلق للملة
وقيل الطاء فى الحساب بتسعة والهاء بخمسة فالجملة اربعة عشر ومعناه يا ايها
البدر وهذه الاقوال لا يخبار يعتمد عليها اذ هى كما قاله المحققون من بدع التفسير
ومثلها قول الواسطى فيما حكاه القاضى عياض فى الشفاء اراد يا طاهر يا هادى

وأما على قول من قال انها كلمة مفيدة ففيه وجهان احدها ان معناه يا رجل وهو مروي
عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة قال سعيد بن
جبير بلسان النبطية وقال قتادة بلسان السريانية وقال عكرمة بلسان الحبشة
وقال البيضاوي وان صح انه معناه يا رجل فلعل اصله يا هذا فتصرف فوافيه بالقلب و
الاختصار انتهى قال الكلبي لو قلت في عك يا رجل لم تجب حتى تقول يا طه وقال
السدي معناه طه يا فلان وقال الزمخشري لعل عكا تصرفوا في يا هذا كانهم في
لغتهم قلبوا اليا طاء فقالوا يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها واثر الصيغة
ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به ان السفاهة طه في خلائقكم لا قدس
الله اخلاق الملاعين انتهى قال في البحر وكانه قد قدم ان طه في لغة عك في معنا
يا رجل ثم تخرص وتجرى على عك بما لا يقوله نحوي وهو انهم قلبوا اليا طا
وهذا لا يوجد في لسان العرب قلب يا التي للنداء طاء وكذلك حذف اسم
الاشارة في النداء واقرت ها التي للتنبيه انتهى وقيل معناه يا انسان وقرئ
طه باسكان الهاء على انه امر له صلى الله عليه وسلم بان يطا الارض بقدميه
فقد روي انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر
ان يطأ الارض بقدميه معا وان الاصل طأ فقلبت همزته هاء كما قالوا هياك
في اياك وهرقت في ارقت ويجوز ان يكون الاصل من وطى على ترك الهمزة فيكون
اصله طا يا رجل ثم اثبت الهاء فيها للوقف وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه
طاها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية عن الارض لكن يرد ذلك كتبها على
صورة الحرف وأما قوله تعالى ما انزلنا عليك القرآن لتشقى فذكروا في سبب
نزولها اقوالا احدها ان ابا جهل والوليد بن المغيرة ومطعم بن عدي قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انك لتشقى حيث تركت دين ابائك فقال صلى الله عليه
وسلم بل بعثت رحمة للعالمين فانزل الله هذه الاية ردا عليهم وتعريفا له صلى
الله عليه وسلم بان دين الاسلام والقرآن هو السلم الى نيل كل فوز والسبب
في ادراك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وثانيها انه صلى الله
عليه وسلم صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان
لها عليك حقا اي ما انزلناه عليك لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها
المشقة العظيمة وما بعثت الا بالحنيفة السمحاء وروي انه كان اذا قام من
الليل ربط صدره بحبل حتى لا ينام وقال بعضهم كان يسهر طول الليل وتعقب
بانه بعيد لانه صلى الله عليه وسلم ان فعل شيئا من ذلك فلا بد وان يكون قد فعله

بأمر

لغة لبعض فلاحي الشام

اي بقلب يا طاء والاختصار حذف ذا

اي اشتد اعتماده عليها مع وضع الاخرى ايضا

اي اشفق

اي قول الاسلام ثم نتبع ذلك

بأمر من الله تعالى واذا فعله عن امره فهو من باب السعادة لا من باب الشقاوة
وثالثها قال بعضهم يحتمل ان يكون المراد لا تشق نفسك وتعذبها بالاسف على كفر
هؤلاء فانما انزلنا عليك القران لتذكر به من امن فمن امن واصلح فلنفسه ومن
كفر فلا يحزنك كفره فما عليك الا البلاغ وهذا كقوله تعالى لعلك باخع نفسك الا
يكونوا مؤمنين ولا يحزنك كفرهم ورابعها ان هذه السورة من اوائل ما نزل بمكة وفي
ذلك الوقت كان صلى الله عليه وسلم مقهورا مع اعدائه فكانه قال لا تظن انك
تبقى على هذه الحالة بل يعلو امرك ويظهر قدرك فانا ما انزلنا عليك القران لتبقى
شقيا بل تصير معظما مكرما زاده الله تعظيما وتكريما وتشريفا قال تعالى انا
اعطيناك الكوثر السورة قال الامام فخر الدين بن الخطيب في هذه السورة كثير من
الفوائد منها انها كالمتممة لما قبلها من السور وذلك لان الله تعالى جعل سورة
والضحى في مدح نبينا صلى الله عليه وسلم وتفصيل احواله فذكر في اولها ثلاثة
اشياء تتعلق بنبوته وهي قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى وللاخرة خير لك
من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم ختمها كذلك باحوال ثلاثة فيما
يتعلق بالدنيا وهي قوله تعالى الم يجدك يتيما فاوى ووجدك ضالا اي عن علم
الاحكام فهدى ووجدك عائلا فاغنى ثم ذكر في سورة الم نشرح انه تعالى
شرفه عليه السلام بثلاثة اشياء وهي الم نشرح لك صدرك اي الم نفسحه
حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق ووضعنا عنك وزرك اي عناك
الثقيل الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك وهكذا سورة حتى قال
انا اعطيناك الكوثر اي اعطيناك هذه المناقب المتكاثرة التي كل واحدة منها
اعظم من ملك الدنيا بحذافيرها واذا انعمنا عليك بهذه النعم فاشتغل بطاعتنا
ولا تبال بقولهم ثم ان الاشتغال بالعبادة اما ان يكون بالنفس وهو قوله فصل
لربك واما بالمال وهو قوله وانحر وتامل قوله انا اعطيناك كيف ذكره بلفظ
الماضي ولم يقل سنعطيك ليدل على ان هذا الاعطاء حصل في الزمان الماضي
قال عليه الصلاة والسلام كنت نبيا وادم بين الروح والجسد ولا شك ان
من كان في الزمان الماضي عزيزا مرعي الجانب اشرف ممن سيصير كذلك كانه تعالى يقول
يا محمد قد هيأنا اسباب سعادتك قبل دخولك في هذا الوجود فكيف امرك بعد
وجودك واشتغالك بعبوديتنا يا ايها العبد الكريم انا لم نعطك هذا الفضل العميم
لاجل طاعتك وانما اخترناك بمجرد فضلنا واحساننا من غير موجب واختلف
المفسرون في تفسير الكوثر على وجوه منها انه نهر في الجنة وهذا هو المشهور المستفيض

ومنها ان ما علق اي الشقاوة والسعادة كانا من زمن
لفقره والراجح انه لم يعرف الا منه صلى الله عليه
وسلم وعليه فيكون معنى قوله لتشقى اي لتتعب نفسك
ويكون اه فقال السلام اه

ورضاه اذ لا يبقى احد من امته في النار

جمع حفد او حفدو اي جميع اجزائها

فعل واذا بالفعل

عند السلف والخلف فروى انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا
اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا
الكوثر الذى اعطاك ربك فاذا طينه مسك اذفر رواه البخارى وقيل الكوثر
اولاده لان هذه السورة انما نزلت ردا على من عابه عليه الصلاة والسلام
بعدم الاولاد وعلى هذا فالمعنى انه يعطيه نسلا يبقون على مر الزمان فانظر
كم قتل من اهل البيت ثم العالم ممتلى منهم ولم يتفق ذلك النبي من الانبياء غيره
وقيل الكوثر الخير الكثير وقيل النبوة وهى الخير الكثير وقيل علماء امته وقيل
الاسلام ولا ريب انهما من الخير الكثير فالعلماء ورثة الانبياء كما رواه احمد و
ابو داود والترمذى واما علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل فقال الحافظ ابن حجر
ومن قبله الدميرى والزركشى انه لا اصل له نعم روى ابو نعيم فى فضل العالم
العفيف بسند ضعيف عن ابن عباس رفعه اقرب الناس من درجة النبوة
اهل العلم والجهاد وقيل الكوثر كثرة الاتباع والاشياع وعن بعضهم المراد
بالكوثر العلم وحمله عليه اولى لوجوه احدها ان العلم هو الخير الكثير والثانى
اما ان يحمل الكوثر على نعم الاخرة او على نعم الدنيا فالاول غير جائز لانه قال
انا اعطيناك الكوثر والجنة سيعطيها لا انه اعطاها فوجب حمل الكوثر
على ما وصل اليه فى الدنيا واشرف الامور الواصلة اليه فى الدنيا هو العلم و
النبوة فوجب حمل اللفظ على العلم والثالث انه لما قال انا اعطيناك الكوثر قال
عقبه فصل لربك وانحر والشيء الذى يتقدم على العبادة هو المعرفة ولان
الفاء فى قوله فصل للتعقيب ومعلوم ان الموجب للعبادة ليس الا العلم وقيل
الكوثر الخلق الحسن وعن ابن عباس جميع نعمه تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم
وبالجملة فليس حمل الاية على بعض هذه النعم اولى من حملها على الباقى فوجب حملها
على الكل وكذا روى ان سعيد بن جبير لما روى هذا القول عن ابن عباس قال له
ان ناسا يزعمون انه نهر فى الجنة فقال سعيد النهر الذى فى الجنة من الخير الذى اعطاه
اياه قال الامام فخر الدين بن الخطيب قال بعض العلماء ظاهر قوله تعالى انا اعطيناك
الكوثر يقتضى انه تعالى قد اعطاه ذلك فيجب ان يكون الاقرب حمله على ما اتاه الله من
النبوة والقران والذكر العظيم والنصر على الاعداء واما الحوض وسائر ما اعد
الله له من الثواب فانه وان جاز ان يقال انه داخل فيه لانه ثبت بحكم وعد الله فهو
كالواقع الا ان الحقيقة ما قدمناه لانه ذلك وان اعد له فلا يصح ان يقال على
الحقيقة انه اعطاه الكوثر فى حال نزول هذه السورة بمكة ويحتمل ان يجاب عنه

بان من

بان من اقر لولده الصغير بشىء له يصح ان يقال اعطاه ذلك الشىء مع ان الصبى فى ذلك
الحال ليس اهلا للتصرف انتهى وقد روينا فى صحيح مسلم من حديث انس بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفا اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا
ما يضحكك اضحك الله سنك يا رسول الله قال نزلت على انفا سورة فقرا بسم الله
الرحمن الرحيم • انا اعطيناك الكوثر • فصل لربك وانحر • ان شانئك هو الابتر • ثم قال
اتدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير
وهو حوض ترد عليه امتى يوم القيمة انيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول
رب انه من امتى فيقول ما تدرى ما احدث بعدك وهذا تفسير صريح منه صلى الله
عليه وسلم بان المراد بالكوثر هنا الحوض فالمصير اليه اولى وهذا هو المشهور كما تقدم
فسبحان من اعطاه هذه الفضائل العظيمة • وشرفه بهذه الخصال العميمة •
وحباه بما افاضه عليه من نعمه الجسيمة • وقد جرت عادة الله مع انبيائه عليهم
السلام • ان يناديهم باسمائهم الاعلام • نحو يا ادم اسكن • يا نوح اهبط • يا موسى
انى انا الله • يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك • واما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
فناداه بالوصف الشريف من الانباء والارسال فقال يا ايها النبى يا ايها الرسول

ولله در القائل

فدعا جميع الرسل كلا باسمه	ودعاك وحدك بالرسول وبالنبى

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ولا يخفى على احد ان السيد اذا دعى بافضل ما
اوجد لهم من الاوصاف العلية والاخلاق السنية ودعا اخرين باسمائهم
الاعلام التى لا تشعر بوصف من الاوصاف ولا بخلق من الاخلاق ان منزلة من دعاه
بافضل الاسماء والاوصاف اعز عليه واقرب اليه ممن دعاه باسمه العلم وهذا
معلوم بالعرف ان من دعى بافضل اوصافه واخلاقه كان ذلك مبالغة فى تعظيمه و
تحريمه انتهى وانظر فى نحو قوله تعالى واذ قال ربك للملئكة انى جاعل فى الارض خليفة
من ذكر الرب تعالى واضافته اليه صلى الله عليه وسلم وما فى ذلك من التنبيه
على شرفه واختصاصه بخطابه وما فى ذلك من الاشارة اللطيفة وهى ان المقبل
عليه بالخطاب له الحظ الاعظم والقسم الاوفر من الجملة المخبر بها اذ هو فى
الحقيقة اعظم خلفائه • الا ترى الى عموم رسالته • ودعائه وجعله افضل
انبيائه • امامهم ليلة اسرائه • وجعل ادم فمن دونه يوم القيمة تحت لوائه •
فهو المقدم فى ارضه وسمائه • وفى دارى تكليفه وجزائه • وبالجملة فقد تضمن
الكتاب العزيز من التصريح بجليل رتبته وتعظيم قدره • وعلو منصبه ورفعة ذكره •

ذكره

ما يقضى بانه استولى على اقصى درجات التكريم • ويكفى اخباره تعالى بالعفو عنه
ملاطفة قبل ذكر العتاب فى قوله تعالى • عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك •
وتقديم ذكره على الانبياء تعظيما له مع تأخره عنهم فى الزمان فى قوله تعالى • ومنك
ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم • واخباره بتمنى اهل النار طاعته فى
قوله تعالى • يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا •
وهذا بحر لا ينفد • وقطر لا يعد • النوع الثانى فى اخذ الله تعالى له الميثاق
على النبيين فضلا ومنة ليؤمنن به ان ادركوه ولينصرنه قال الله تعالى • واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به و
لتنصرنه الآية اخبر تعالى انه اخذ ميثاق كل نبى بعثه من لدن آدم عليه السلام الى محمد
صلى الله عليه وسلم ان يصدق بعضهم بعضا قاله الحسن وطاوس وقتادة وقيل
معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وعن على
بن ابى طالب وابن عباس ما بعث الله نبيا من الانبياء الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد
صلى الله عليه وسلم وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه وما قاله قتادة والحسن وطاوس
لا يضاده ما قاله على وابن عباس ولا ينفيه بل يستلزمه ويقتضيه وقيل معناه ان
الانبياء عليهم السلام كانوا يأخذون الميثاق من اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه
وسلم ان يؤمنوا به وان ينصروه واحتج له بان الذين اخذ الله عليهم الميثاق يجب عليهم
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم عند مبعثه وكان الانبياء عليهم الصلاة والسلام
عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم من جملة الاموات والميت لا يكون مكلفا فتعين
ان يكون الميثاق مأخوذا على الامم قالوا ويؤكد هذا ان الذين اخذ الله عليهم الميثاق انهم
لو تولوا لكانوا فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالانبياء لو كانوا وانما يليق بالامم
واجاب الفخر الرازى بان يكون المراد من الآية ان الانبياء لو كانوا فى الحياة لوجب عليهم
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونظيره قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وقد علم
الله انه لا يشرك قط لكن خرج هذا الكلام على سبيل التقدير والفرض وقال تعالى
ولو تقول علينا بعض الاقاويل • لاخذنا منه باليمين • ثم لقطعنا منه الوتين •
وقال فى الملائكة ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم مع انه تعالى اخبر
عنهم بانهم لا يسبقونه بالقول وبانهم يخافون ربهم من فوقهم فكل ذلك خرج على
سبيل الفرض والتقدير واذا نزلت هذه الآية على ان الله تعالى لما اوجب على جميع الانبياء
ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لو كانوا فى الاحياء وانهم لو تركوا ذلك لصاروا
فى زمرة الفاسقين فلان يكون الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجبا على اممهم

من باب اولى فكان صرف هذا الميثاق الى الانبياء اقوى فى تحصيل المقصود قال السبكى
فى هذه الآية انه عليه السلام على تقدير مجيئهم فى زمانه يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته
ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم الى يوم القيمة وتكون الانبياء والامم كلهم من امته
ويكون قوله عليه السلام بعثت الى الناس كافة لا يختص به الناس من زمانه الى يوم القيمة
بل يتناول من قبلهم ايضا وانما اخذ المواثيق على الانبياء ليعلموا انه المقدم عليهم وانه
نبيهم ورسولهم وفى اخذ المواثيق وهى فى معنى الاستحلاف ولذلك دخل لام القسم
فى ليؤمنن به ولينصرنه لطيفة وهى كانها ايمان البيعة التى تؤخذ للخلفاء ولعل
ايمان الخلفاء اخذت من هنا فانظر هذا التعظيم العظيم للنبى صلى الله عليه وسلم من ربه
تعالى فاذا عرف هذا فالنبى صلى الله عليه وسلم نبى الانبياء ولهذا ظهر ذلك
فى الآخرة جميع الانبياء تحت لوائه وفى الدنيا كذلك ليلة الاسراء صلى بهم ولو اتفق
مجيئه فى زمن آدم ونوح وابرهيم وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى اممهم الايمان
به ونصرته وبذلك اخذ الله الميثاق عليهم فنبوته عليه الصلاة والسلام ورسالته
اليهم معنى حاصل له وانما امره يتوقف على اجتماعهم معه فتأخر ذلك الامر راجع
الى وجودهم لا الى عدم اتصافهم بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل
وتوقفه على اهلية الفاعل فهنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبى
صلى الله عليه وسلم الشريفة وانما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد
فى عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك ولهذا يأتى عيسى عليه السلام فى آخر الزمان
على شريعته وهو نبى كريم على حاله لا كما يظن بعض الناس انه يأتى واحد من هذه الامة
لما قلنا من اتباعه للنبى صلى الله عليه وسلم وانما يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم بالقرآن والسنة وكلما فيهما من امر ونهى فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الامة
وهو نبى كريم على حاله لم ينقص منه شئ وكذلك لو بعث النبى صلى الله عليه وسلم
فى زمانه او فى زمان موسى وابرهيم ونوح وآدم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم
الى اممهم والنبى صلى الله عليه وسلم نبى عليهم ورسول الى جميعهم فنبوته ورسالته
اعم واشمل واعظم وتتفق مع شرائعهم فى الاصول لانها لا تختلف وتقدم شريعته
صلى الله عليه وسلم فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع اما على سبيل التخصيص
واما على سبيل النسخ او لا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبى صلى الله عليه وسلم
فى تلك الاوقات بالنسبة الى اولئك الامم مما جاءت به انبياؤهم وفى هذا الوقت
بالنسبة الى هذه الامة الشريفة والاحكام تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات وبهذا
بان لنا معنى حديثين كانا خفيا عنا احدهما قوله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الناس

كافة كما نظن انه من زمانه الى يوم القيمة فبان انه الى جميع الناس اولهم واخرهم والثاني
قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وادم بين الروح والجسد كما نظن انه بالعلم فبان انه
زائد على ذلك وانما يفترق الحال بين ما بعد وجود جسده الشريف صلى الله عليه وسلم وبلوغه
الاربعين وما قبل ذلك بالنسبة الى المبعوث اليهم وتأهلهم لسماع كلمته لا بالنسبة
اليه ولا اليهم لو تأهلوا قبل ذلك وتعليق الاحكام على الشروط قد يكون بحسب المحل
القابل وقد يكون بحسب الفاعل المتصرف فهنا التعلق انما هو بحسب المحل القابل
وهو المبعوث اليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذي يخاطبهم بلسانه
وهذا كما يوكل الاب رجلا في تزويج ابنته اذا وجدت كفوا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل
اهل للوكالة ووكالته ثابتة وقد يحصل توقف التصرف على وجود الكفو ولا يوجد الا
بعد مدة وذلك لا يقدح في صحة الوكالة واهلية الوكيل انتهى النوع الثالث في وصفه
تعالى له عليه السلام بالشهادة وشهادته له بالرسالة قال الله تعالى حكاية عن ابرهيم واسمعيل
عند بناء البيت الحرام ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك
ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم
ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم
انك انت العزيز الحكيم فاستجاب الله دعاءهما وبعث في اهل مكة منهم رسولا
منهم بهذه الصفة من ولد اسمعيل الذي دعا مع ابيه ابرهيم عليهما السلام بهذا
الدعاء فان قلت من اين علم ان الرسول هنا المراد به محمد صلى الله عليه وسلم فالجواب
من وجوه احدها اجماع المفسرين وهو حجة الثاني قوله عليه السلام انا دعوة ابرهيم
وبشارة عيسى وهي ما ذكر في سورة الصف من قوله ومبشرا برسول يأتي من بعدي
اسمه احمد الثالث ان ابرهيم انما دعا بهذا الدعاء بمكة لذريته الذين كانوا بها
وبما حولها ولم يبعث الله تعالى الى من بمكة الا محمدا صلى الله عليه وسلم وقد من
الله تعالى على المؤمنين ببعث هذا النبي منهم على هذه الصفة فقال تعالى
لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب الاية فليس لله منة على المؤمنين اعظم من ارساله
محمدا صلى الله عليه وسلم يهدي الى الحق والى طريق مستقيم وانما كانت النعمة
على هذه الامة بارساله اعظم النعم لان النعمة به صلى الله عليه وسلم تمت بها
مصالح الدنيا والاخرة وكمل بسببها دين الله الذي رضيه لعباده وقوله
من انفسهم يعني انه بشر مثلهم وانما امتاز عليهم بالوحي وقرئ في الشواذ انفسهم
بفتح الفاء يعني من اشرفهم لانه من بني هاشم وبنو هاشم افضل قريش وقريش افضل العرب

والعرب

والعرب افضل من غيرهم ثم قيل لفظ المؤمنين عام ومعناه خاص في العرب لانه ليس حي من احياء
العرب الا وقد ولده وخص المؤمنين بالذكر لانهم المنتفعون به اكثر فالمنة عليهم اعظم
فان قلت هل العلم بكونه صلى الله عليه وسلم بشرا ومن العرب شرط في صحة الايمان او هو من فروض
الكفاية فاجاب الشيخ ولي الدين العراقي بانه شرط في صحة الايمان قال فلو قال شخص اومن برسالة
محمد الى جميع الخلق ولكن لا ادري هل هو من البشر او الملائكة او الجن او لا ادري هل هو من العرب او
العجم فلا شك في كفره لتكذيبه للقران وجحده ما تلقته قرون الاسلام خلفا عن سلف وصار
معلوما بالضرورة عند الخاص والعام ولا اعلم في ذلك خلافا فلو كان غبيا لا يعرف ذلك
وجب تعليمه اياه فان جحده بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى فان قلت هل هو عليه السلام
باق على رسالته الى الان اجاب ابو المعين النسفي بان الاشعري قال انه عليه السلام في حكم الرسالة
وحكم الشيء يقوم مقام اصل الشيء الا ترى ان العدة تدل على ما كان من احكام النكاح انتهى وقال
غيره ان النبوة والرسالة باقية بعد موته عليه السلام حقيقة كما يبقى وصف الايمان للمؤمن بعد موته
لان المتصف بالنبوة والرسالة والايمان هو الروح وهي باقية لا تتغير بموت البدن انتهى
وتعقب بان الانبياء احياء في قبورهم فوصف النبوة باق للجسد والروح معا وقال القشيري
كلام الله تعالى لمن اصطفاه ارسلتك ان تبلغ عني وكلامه تعالى قديم فهو عليه السلام قبل ان
يوجد كان رسولا وفي حال نومه والى الابد رسولا لبقاء الكلام وقدمه واستحالة البطلان
على الارسال الذي هو كلام الله تعالى ونقل السبكي في طبقاته عن ابن فورك انه قال انه عليه السلام
حي في قبره رسول الله ابدا الاباد على الحقيقة لا المجاز انتهى وقال تعالى هو الذي بعث في
الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل
لفي ضلال مبين والمراد بالاميين العرب تنبيها لهم على قدر هذه النعمة وعظمها حيث كانوا
اميين لا كتاب لهم وليس عندهم شيء من اثار النبوات كما عند اهل الكتاب فمن الله تعالى عليهم بهذا
الرسول وبهذا الكتاب حتى صاروا افضل الامم واعلمهم وعرفوا ضلالة من ضل قبلهم من
الامم وفي كونه عليه السلام منهم فائدتان احدهما ان هذا الرسول كان ايضا اميا كالامة المبعوث
اليهم لم يقرا كتابا قط ولم يخطه بيمينه كما قال تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا خرج عن
ديار قومه فاقام عند غيرهم حتى تعلم منهم بل لم يزل اميا بين امة امية لا يكتب ولا يقرا حتى
حتى كمل الاربعين من عمره ثم جاء بعد ذلك بهذا الكتاب المبين وهذه الشريعة الباهرة
وهذا الدين القيم الذي اعترف حذاق اهل الارض ونظارها انه لم يقرع العالم ناموس
اعظم منه وفي هذا برهان عظيم على صدقه عليه السلام الفائدة الثانية التنبيه على ان
المبعوث فيهم وهم الاميون خصوصا اهل مكة يعرفون نسبه وشرفه وصدقه وامانته
وعفته وانه نشأ بينهم معروفا بذلك وانه لم يكذب قط فكيف كان يدع الكذب على الناس

اعلم يا سفيان

ثم يفتري الكذب على الله عز وجل هذا هو الباطل ولذلك سأل هرقل عن هذه الاوصاف
واستدل بها على صدقه فيما ادعاه من النبوة والرسالة وقد قال الله تعالى خطابا له
فانهم لا يكذبونك ويروى ان رجلا قال والله يا محمد ما كذبتنا قط فنتهمك اليوم
ولكنا ان نتبعك نتخطف من ارضنا فنزلت هذه الاية رواه ابو صالح عن ابن عباس
وعن مقاتل كان الحارث بن عامر يكذب النبي صلى الله عليه وسلم في العلانية فاذا خلا مع
اهل بيته قال ما محمد من اهل الكذب وروي ان المشركين كانوا اذا رأوه عليه الصلاة
والسلام قالوا انه لنبي وعن علي قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك و
لكن نكذب بما جئت به فانزل الله الاية والمعنى انهم ينكرونه مع العلم بصحته اذ الجحد
لغة الانكار مع العلم فان قلت فما الجمع بين هذا وبين قوله تعالى ولقد كذبت رسل
من قبلك أجيب بانه على طريق الجحد وهو يختلف باختلاف احوالهم في الجهل
فمنهم من وقع منه ذلك لجهله فحيث علم آمن ومنهم من علم وانكر كفرا وعنادا كأبي
جهل فيكون المراد بقوله فانهم لا يكذبونك قوما مخصوصين منهم لا كلهم وحينئذ
فلا تعارض وروي ان ابا جهل لقيه صلى الله عليه وسلم فصافحه فقيل له انصافحه فقال والله
اني لاعلم انه نبي ولكن متى كنا تبعا لبني عبد مناف فانزل الله الاية رواه ابن ابي حاتم
والقرآن كله مملوء بالأيات الدالة على صدق هذا الرسول الكريم • وتحقيق رسالته •
وكيف يليق بكمال الله تعالى ان يقر من يكذب عليه اعظم الكذب ويخبر عنه بخلاف ما
الامر عليه • ثم ينصره على ذلك ويؤيده • ويعلي كلمته • ويرفع شأنه • ويجيب دعوته • ويهلك
عدوه ويظهر على يديه من الأيات والبراهين والأدلة ما يضعف عن مثله قوى
البشر • وهو مع ذلك كاذب عليه مفتر • ساع في الأرض بالفساد • ومعلوم ان شهادته
سبحانه على كل شيء وقدرته على كل شيء وحكمته وعزته وكماله المقدس يأبى ذلك كل
الأباء ومن ظن ذلك به وجوزه عليه فهو من ابعد الخلق عن معرفته ان عرف منه
بعض صفاته كصفة القدرة وصفة المشيئة والقرآن كله مملوء من هذه الطريق وهي
طريق الخاصة بل خاصة الخاصة الذين يستدلون بالله على افعاله وما يليق به ان يفعله
وما لا يفعله واذا تدبرت القرآن رأيته ينادي على ذلك ويبديه ويعيده لمن له فهم
وقلب واع عن الله تعالى قال الله تعالى • ولو تقول علينا بعض الأقاويل • لأخذنا
منه باليمين • ثم لقطعنا منه الوتين • فما منكم من احد عنه حاجزين • أفتراه
سبحانه وتعالى يخبر ان كماله وحكمته وقدرته تأبى ان يقر من تقول عليه بعض
الأقاويل بل لا بد ان يجعله عبرة لعباده كما جرت بذلك سنته في المتقولين عليه
وقال تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك هنا انتهى

اي ترول ما نحن فيه من الرياسة

قوله وبين قوله ولقد كذبت رسل الاية فيه تأمل ولعل الاية فعله تعالى والا يكذبونك فقد كذبت

لان ابا جهل من بني مخزوم

قوله ان عرف منه الخ فيه تأمل ولعل صواب العبارة وان عرف منه الخ • وهم ارباب الحجاز الذين استغنوا بالدليل الفهمي عن الدليل السمعي كالشاذ اليه المص قوله افتراه سبحانه الخ فيه تأمل ايضا ولعل صواب العبارة ان يقال فانت تراه الخ

جواب الشرط

جواب الشرط ثم اخبر خبرا جازما غير معلق انه يمحو الباطل ويحق الحق وقال تعالى
وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء فاخبر ان من نفى عنه
الارسال والكلام لم يقدره حق قدره ولا عرفه كما ينبغي ولا عظمه كما يستحق فكيف من
يظن انه ينصر الكاذب المفتري عليه ويؤيده ويظهر على يديه الأيات والادلة وهذا
في القرآن كثير يستدل به على كماله تعالى المقدس واوصافه وجلاله على صدق رسوله
وعلى وعده ووعيده ويدعو عباده الى ذلك قال تعالى لمن طلب اية تدل على صدق رسوله
اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون •
قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم يعلم ما في السموات والارض والذين امنوا بالباطل
وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون • فاخبر سبحانه ان الكتاب الذي انزله يكفي في
كل اية ففيه الحجة والدلالة على انه من الله تعالى وان الله سبحانه ارسل به رسوله
وفيه بيان ما يوجب لمن اتبعه السعادة وينجيه من العذاب ثم قال قل كفى بالله بيني
وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض فاذا كان سبحانه عالما بجميع الأشياء
كانت شهادته اصدق شهادة واعدلها فانها شهادة بعلم تام محيط بالمشهود به
وهو سبحانه وتعالى يذكر علمه عند شهادته • وقدرته وملكه عند مجازاته • وحكمته
عند خلقه • وامره ورحمته عند ذكر ارسال رسله • وحلمه عند ذنوب عباده •
فتأمل ورود اسمائه الحسنى في كتابه وارتباطها بالخلق والامر والثواب والعقاب
انتهى وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا • وداعيا الى الله باذنه
وسراجا منيرا • اي شاهدا على الوحدانية وشاهدا في الدنيا باحوال الأخرة
من الجنة والنار والميزان والصراط وشاهدا في الأخرة باحوال الدنيا والطاعة
والمعصية والصلاح والفساد وشاهدا على الخلق يوم القيمة كما قال تعالى
ويكون الرسول عليكم شهيدا • كأنه تعالى يقول يا ايها المشرف من قبلنا انا ارسلناك
شاهدا بوحدانيتنا ومشاهدا كمال فردانيتنا تبشر عبادنا عنا وتحذرهم
مخالفة امرنا وتعلمهم مواضع الخوف منا وداعيا الخلق الينا وسراجا منيرا
يستضيئون بك وشمسا تبسط شعاعك على جميع من صدقك وامن بك
ولا يصل الينا الا من اتبعك وخدمك وقدمك فبشرهم بفضلنا وطولنا
عليهم واحساننا اليهم • ولما كان الله تعالى قد جعله عليه السلام شاهدا على
الوحدانية والشاهد لا يكون مدعيا فالله تعالى لم يجعل النبي في مسئلة
الوحدانية مدعيا لها لان المدعي من يقول شيئا على خلاف الظاهر والوحدانية
اظهر من الشمس والنبي صلى الله عليه وسلم كان ادعى النبوة فجعل الله تعالى نفسه

ثم خ

شاهدا له فى مجازات كونه شاهدا له تعالى فقال سبحانه والله يشهد انك
لرسوله ومن هذا قوله تعالى ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله
شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب فاستشهد على رسالته
بشهادة الله له وكذلك قوله تعالى قل اى شئ اكبر شهادة قل الله شهيد
بينى وبينكم وقوله تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملئكة
يشهدون وكفى بالله شهيدا وقوله تعالى والله يعلم انك لرسوله وقوله تعالى
محمد رسول الله وهذا كله بنه تعالى شهادة لرسوله قد اظهرها وبينها
وبين صحتها غاية البيان بحيث قطع العذر بينه وبين عباده واقام
الحجة عليهم بكونه سبحانه شاهدا لرسوله وقال تعالى هو الذى ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا
فيظهر ظهورين ظهورا بالحجة والبيان وظهورا بالنصر والغلبة والتأييد
حتى يظهر على مخالفيه ويكون منصورا ومن شهادته تعالى ايضا ما اودعه
فى قلوب عباده من التصديق الجازم واليقين الثابت والطمانينة بكلامه
ووحيه فان الله تعالى فطر القلوب على قبول الحق والانقياد له والطمانينة
والسكون اليه ومحبته وفطرها على بغض الكذب والباطل والنفور عنه
وعدم السكون اليه ولو بقيت الفطرة على حالها لما اثرت على الحق سواه
ولما سكنت الا اليه ولا اطمأنت الا به ولا احبت غيره ولهذا ندب الحق
سبحانه الى تدبر القرآن فان كل من تدبره اوجب له علما ضروريا ويقينا جازما
انه حق بل احق كل حق واظهر كل صدق وقال تعالى افلا يتدبرون القرآن
ام على قلوب اقفالها فلو رفعت الاقفال عن القلوب لباشرتها حقايق
القرآن واستنارت فيها مصابيح الايمان وعلمت علما ضروريا بسائر
الامور الوجدانية كاللذة والالم انه من عند الله تكلم به حقا وبلغه
رسوله جبريل الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فهذا الشاهد فى
القلب من اعظم الشواهد انتهى ملخصا من مدارج السالكين وقال تعالى
قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا ففى هذه الاية دلالة على انه
صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كافة الثقلين وقالت العيسوية من
اليهود وهم اتباع عيسى الاصبهانى ان محمدا صادق مبعوث الى العرب غير
مبعوث الى بنى اسرائيل ودليلنا على ابطال قولهم هذه الاية لان قوله يا ايها
الناس انى رسول الله اليكم جميعا خطاب يتناول كل الناس ثم قال انى رسول الله

اليكم جميعا

اليكم جميعا وهذا يقتضى كونه مبعوثا الى جميع الناس وايضا فلانا نعلم بالتواتر
انه كان يدعى انه مبعوث الى الثقلين فاما ان نقول انه كان رسولا حقا او ما كان كذلك
فان كان رسولا حقا امتنع الكذب عليه ووجب الجزم بكونه صادقا فى كل ما يدعيه
فلما ثبت بالتواتر وبظاهر هذه الاية انه كان يدعى كونه مبعوثا الى جميع الثقلين وجب
كونه صادقا وذلك يبطل قول من يقول انه كان مبعوثا الى العرب فقط لا الى بنى اسرائيل
واذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا من الناس من
يقول انه عام دخله التخصيص ومنهم من انكر ذلك اما الاولون فقالوا دخله التخصيص من
وجهين الاول انه رسول الى الناس اذا كانوا من جملة المكلفين فاما اذا لم يكونوا من جملة
المكلفين لم يكن رسولا اليهم وذلك لانه عليه السلام قال رفع القلم عن ثلاث عن الصبى حتى
يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق رواه ابن جرير عن ابن عباس رضى
الله عنهما والثانى انه رسول الله الى كل من وصله خبر وجوده وخبر معجزاته وشرايعه حتى
يمكنه عند ذلك متابعته اما لو قدرنا حصول قوم فى طرف من اطراف الارض لم يبلغهم
خبره وخبر معجزاته وشرايعه حتى لا يمكنهم عند ذلك متابعته فلا يكونوا مكلفين بالاقرار
بنبوته وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال والذى نفسى بيده لا يسمع بى احد
من هذه الامة يهودى ولا نصرانى ومات ولم يؤمن بالذى ارسلت به الا كان من اصحاب النار
رواه مسلم ومفهومه ان من لم يسمع به صلى الله عليه وسلم ولم تبلغه دعوة الاسلام فهو
معذور على ما تقرر فى الاصول انه لا حكم قبل ورود الشرع على الصحيح وفى هذا الحديث
نسخ الملل كلها برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم وقال تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يبين لكم على فترة من الرسل الاية خاطب تعالى اهل الكتاب من اليهود والنصارى انه قد ارسل
اليهم رسوله محمدا خاتم النبيين الذى لا نبى بعده ولا رسول بل هو المعقب لجميعهم ولهذا قال
تعالى على فترة من الرسل اى بعد مدة متطاولة ما بين ارساله وعيسى ابن مريم وقد اختلفوا
فى مقدار هذه الفترة كم هى فقال النهدى وقتادة فى رواية عنه ستمائة سنة رواه البخارى
عن سلمان الفارسى وعن قتادة خمسمائة وستون سنة وقال الضحاك اربعمائة وبضع وثلثون
سنة وعن الشعبى فيما ذكره ابن عساكر تسعمائة وثلاثة وثلاثون سنة قال الحافظ عماد الدين
بن كثير والمشهور انها ستمائة سنة قال وكانت هى الفترة بين عيسى بن مريم اخر انبياء بنى اسرائيل
وبين محمد اخر النبيين من بنى ادم على الاطلاق كما فى البخارى من حديث ابى هريرة مرفوعا انا
اولى الناس بابن مريم لانه ليس بينى وبينه نبى وهذا فيه رد على من زعم انه بعث بعد عيسى بن
مريم نبى يقال له خالد بن سنان كما حكاه القضاعى وغيره والمقصود ان الله بعث محمدا على فترة
من الرسل وطموس من السبل وتغير الاديان وكثرة عبادة الاوثان والنيران والصلبان

فكانت النعمة به اتم والنفع به اعم وفي حديث عند الامام احمد مرفوعا ان الله نظر الى
اهل الارض فمقتهم عجمهم وعربهم الا بقايا من بني اسرائيل وفي لفظ مسلم من اهل الكتاب فكان
الدين قد التبس على اهل الارض كلهم حتى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم فهدى به الخلائق واخرجهم
الله به من الظلمات الى النور وتركهم على المحجة البيضاء والشريعة الغراء صلوات الله وسلامه
عليه وقال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم اى عزيز عليه عنتكم
اى اثمكم بالشرك والمعاصي حريص عليكم قال الحسن عزيز عليه ان تدخلوا النار حريص
عليكم ان تدخلوا الجنة ومن حرصه صلى الله عليه وسلم علينا انه لم يخاطبنا بما رءيا بلاغه
الينا وفهمنا اياه على قدر منزلته بل على قدر منزلتنا والى هذا اشار صاحب البردة بقوله

لم يمتحنا بما تعيى العقول به	حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

اى لم نتحير ولم نشك فيما القاه الينا وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
ولا رحمة مع التكليف بما لا يفهم ومن حرصه عليه السلام على هدايتنا كان كثيرا ما يضرب
المثل بالمحسوس ليحصل الفهم وهذه سنة القرآن ومن تتبع الكتاب والسنة رأى من
ذلك العجب العجاب ولما ساوى سبحانه وتعالى بين الناس في حرص رسوله عليه السلام
على اسلامهم خص المؤمنين برأفته ورحمته لهم وقال تعالى من انفسكم ولم يقل منا دواحكم فقيل
يحتمل ان يكون مراده منا بجسده المنفس لا بروحه المقدس ورحم الله القائل

اذا رمت مدح المصطفى شغفا به	تبلد ذهنى هيبة لمقامه
فاقطع ليلى ساهر الجفن مطرقا	هوى فيه احلى من لذيذ منامه
اذا قال فيه الله جل جلاله	رؤف رحيم في سياق كلامه
فمن ذا يجارى الوحى والوحى معجز	بمختلفيه نثره ونظامه

تنبيه واما قول القاضي عياض بعد ذكر الاية ثم وصفه بعد باوصاف حميدة
واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما
يعنتهم ويضربهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه فهو وان كان المقصد منه صحيحا
ففي ظاهره شيء لانه يوهم ان قوله وشدة ما يعنتهم معطوف على متعلق المصدر
الذي هو الحرص فيكون مخفوضا به ومما يقوى هذا التوهم قوة اعطاء الكلام ان الضمير
الاول من قوله وعزته عليه عائد على النبي صلى الله عليه وسلم والضمير الثاني عائد على الله تعالى
فلا يبقى للشدة الا ان تكون معطوفة على متعلق المصدر ولا يخفى ما في هذا وقد تأوله
بعض العلماء على حذف مضاف اى وكراهة شدة ما يعنتهم او نحو ذلك من المضافات
والاولى والصواب ان شاء الله تعالى ان تكون الشدة معطوفة على نفس المصدر
الذي هو الحرص ويكون قوله وعزته معطوفا على وشدة والضمير فيه راجع الى الموصول

وهوما

وهو ما في قوله ما يعنتهم والهاء الثانية في قوله عليه عائدة على النبي صلى الله عليه وسلم انتهى
وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين يجوز ان يكون رحمة مفعولا له اى لاجل
الرحمة ويجوز ان ينصب على الحال مبالغة في ان جعله نفس الرحمة واما على حذف مضاف
اى ذا رحمة او بمعنى راحم قاله السمين وقال ابو بكر بن طاهر فيما ذكره القاضي عياض
زين الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله
وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه
والواصل فيهما الى كل محبوب انتهى وقال ابن عباس رحمة للبر والفاجر لان كل نبي اذا
كذب اهلك الله من كذبه ومحمد صلى الله عليه وسلم اخر من كذبه الى الموت والقيامة
واما من صدقه فله الرحمة في الدنيا والاخرة وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني الجن
والانس وقيل رحمة لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل
ورحمة للكافر بتأخير العذاب فذاته عليه السلام كما قيل رحمة تعم المؤمن والكافر كما قال
الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وقال عليه السلام انما انا رحمة مهداة
رواه الدارمي والبيهقي في الشعب من حديث ابي هريرة وقال بعض العارفين الانبياء
خلقوا كلهم من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة ولقد احسن القائل

غنيمة عمر الكون بهجة عيشه	سرور حياة الروح فائدة الدهر
هو النعمة العظمى هو الرحمة التي	تجلى بها الرحمن في السر والجهر

فبيانه عليه السلام ونصحه رحمة ودعاؤه واستغفاره رحمة فرزق ذلك من قبله
وحرمه من رده فان قلت كيف كان رحمة وقد جاء بالسيف واستباحة الاموال
فالجواب من وجهين احدهما انه انما جاء بالسيف لمن استكبر وعاند ولم يتفكر ولم يتدبر
ومن اوصاف الله تعالى الرحمن الرحيم ثم هو منتقم من العصاة وقد قال تعالى وانزلنا من
السماء ماء مباركا ثم قد يكون سببا للفساد وثانيهما ان كل نبي من الانبياء قبل نبينا
اذا كذبه قومه اهلك الله المكذبين بالخسف والمسخ والغرق وقد اخر الله تعالى عذاب
من كذب نبينا الى الموت والى القيامة لا يقال ان الله تعالى قال قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم
وقال تعالى ليعذب المنافقين لانا نقول تخصيص العام لا يقدح فيه وفي الشفا للقاضي
عياض وحكى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام هل اصابك
من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت بثناء الله علي بقوله عز وجل
ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين انتهى وهذا يقتضي ان محمدا صلى الله
عليه وسلم افضل من جبريل وهو الذي عليه الجمهور خلافا لمن زعم ان جبريل افضل واستدل
بان الله تعالى وصف جبريل بسبعة اوصاف من اوصاف الكمال في قوله انه لقول رسول

كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين و وصف محمدا صلى الله
عليه وسلم بقوله وما صاحبكم بمجنون ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم مساويا لجبرئيل
فى صفات الفضل او مقاربا له لكان وصف محمد بمثل ذلك واجب بانا متفقون
على ان لمحمد صلى الله عليه وسلم فضائل اخرى سوى ما ذكر فى هذه الاية وعدم ذكر
الله تعالى لتلك الفضائل هنا لا يدل على عدمها بالاجماع واذا ثبت ان لمحمد صلى
الله عليه وسلم فضائل اخر زائدة فيكون افضل من جبرئيل وبالجملة فافراد احد
الشخصين بالوصف لا يدل البتة على انتفاء تلك الاوصاف عن الثانى واذا ثبت
بالدليل القرآنى انه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين والملائكة من جملة العالمين
وجب ان يكون افضل منهم والله اعلم وقال تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم
ولكن رسول الله وخاتم النبيين هذه الاية نص فى انه لا نبى بعده واذا كان لا نبى
بعده فلا رسول بطريق الاولى لان مقام الرسالة اخص من مقام النبوة فان كل رسول
نبى ولا ينعكس كما قدمنا ذلك فى اسمائه الشريفة من المقصد الثانى وبذلك وردت
الأحاديث عنه صلى الله عليه وسلم فروى احمد من حديث ابى بن كعب ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال مثلى فى النبيين كمثل رجل بنى دارا فاحسنها واكملها وترك فيها
موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون
لو تم موضع هذه اللبنة فانا فى النبيين موضع تلك اللبنة ورواه الترمذى عن
بندار عن ابى عامر العقدى وقال حديث حسن صحيح وفى حديث انس بن مالك مرفوعا
ان الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبى رواه الترمذى وغيره
وفى حديث جابر مرفوعا مثلى ومثل الانبياء كمثل رجل بنى دارا فاحسنها واكملها
الا موضع لبنة فكان من دخلها ونظر اليها قال ما احسنها الا موضع هذه اللبنة
وانا موضع اللبنة ختم بى الانبياء عليهم السلام رواه ابو داود والطيالسى وكذا
البخارى ومسلم وفى حديث ابى سعيد الخدرى فجئت انا فاتممت تلك اللبنة رواه مسلم
وفى حديث ابى هريرة عند مسلم وارسلت الى الخلق كافة وختم بى النبيون فمن تشريف
الله تعالى له صلى الله عليه وسلم ختم الانبياء والمرسلين به واكمل الدين الحنيف له
وقد اخبر الله فى كتابه ورسوله فى السنة المتواترة عنه انه لا نبى بعده ليعلموا ان
كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب افاك دجال ضال مضل ولو تخرق وشعبذ
وأتى بانواع السحر والطلاسم والنيرنجيات فكلها محال وضلالة عند اولى
الألباب ولا يقدح فى هذا نزول عيسى بن مريم عليه السلام بعده لانه اذا نزل
كان على دين نبينا صلى الله عليه وسلم ومنهاجه مع ان المراد انه اخر من نبئ قال

اى تمت وليس المراد انقطاعها لان النبيين صلوات الله عليهم بنقلهم باقية

اى فعل الخارق اى المخرقات

ابو حيان

اى الاعلام

ابو حيان من ذهب الى ان النبوة مكتسبة لا تنقطع او الى ان الولى افضل من النبى
فهو زنديق يجب قتله والله اعلم النوع الرابع فى التنويه به صلى الله عليه وسلم
فى الكتب السالفة كالتورية والانجيل بانه صاحب الرسالة والتبجيل قال الله تعالى
الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية و
الانجيل وهذا يدل على انه لو لم يكن مكتوبا لكان ذكر هذا الكلام من اعظم
المنفرات لليهود والنصارى عن قبول قوله لان الاصرار على الكذب والبهتان
من اعظم المنفرات والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله وينفر الناس عن قبول
مقاله فلما قال لهم عليه السلام هذا دل على ان ذلك النعت كان مذكورا فى التورية
والانجيل وذلك من اعظم الدلائل على صحة نبوته لكن اهل الكتاب كما قال الله تعالى
يكتمون الحق وهم يعلمون ويحرفون الكلم عن مواضعه والا فهم قاتلهم الله قد عرفوا
محمدا صلى الله عليه وسلم كما عرفوا ابناءهم ووجدوه مكتوبا عندهم فى التورية
والانجيل لكن حرفوهما وبدلوهما ليطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا
ان يتم نوره ولو كره الكافرون فدلائل نبوة نبينا فى كتابيهما بعد تحريفهما طافحة
واعلام شرايعه ورسالاته فيهما لائحة وكيف يغنى عنهم انكارهم وهذا اسم
النبى صلى الله عليه وسلم بالسريانية مشقحا فمشقح محمد بغير شك واعتباره
انهم يقولون شقحا لاها اذا ارادوا ان يقولوا الحمد لله واذا كان الحمد شقحا
فمشقح محمد ولان الصفات التى اقروا بها هى وفاق لاحواله وزمانه ومخرجه و
مبعثه وشريعته صلى الله عليه وسلم فليدلونا على من هذه الصفات له ومن
خرت له الامم من بين يديه وانقادت له واستجابت لدعوته ومن صاحب الجمل
الذى هلكت بابل واصنامها به على انا لو لم نأت بهذه الانباء والقصص من كتبهم
لم يكن فيما اودع الله عز وجل القرآن دليل على ذلك وفى تركهم جحد ذلك و
انكاره وهو يقرعهم به دليل على اعترافهم له بانه يقول الذين يتبعون الرسول
النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل ويقول حكاية
عن المسيح انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التورية ومبشرا
برسول يأتى من بعدى اسمه احمد ويقول يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق
بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون ويقول الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه
كما يعرفون ابناءهم وكانوا يقولون لمخالفيهم عند القتال هذا نبى قد اظل
مولده ويذكرون من صفته ما يجدونه مكتوبا عندهم فى كتابهم فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به حسدا او خوفا على الرياسة ويحتمل انهم كانوا يظنون

بالجيم والشين المعجمة والقاف اخره حاء مهملة

انه من بنى اسرائل فلما بعثه الله من العرب من نسل اسمعيل عظم ذلك عليهم واظهروا
التكذيب فلعنة الله على الكافرين وقد كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى اتباعه
وتصديقه فكيف يجوز ان يحتج بباطل من الحجج ثم يحيل ذلك على ما عندهم وما فى ايديهم
ويقول من علامة نبوتى وصدقى انكم تجدوننى مكتوبا عندكم وهم لا يجدونه كما ذكر وليس
ذلك مما يزيدهم عنه بعدا وقد كان غنيا ان يدعوهم بما ينفرهم ويستميلهم بما يوحشهم
وكم اسلم من اسلم من علمائهم كعبد الله بن سلام وتميم الدارى وكعب وقد وقفوا منه
على مثل هذه الدعاوى وقد روى ابن عساكر فى تاريخ دمشق من طريق محمد بن حمزة بن
عبد الله بن سلام عن جده عبد الله بن سلام انه لما سمع بمخرج محمد النبى صلى الله عليه
وسلم بمكة خرج فلقيه فقال النبى صلى الله عليه وسلم انت ابن سلام عالم اهل يثرب
قال نعم قال ناشدتك الله الذى انزل التورية على موسى هل تجد صفتى فى كتاب الله قال
انسب ربك يا محمد فارتج النبى صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل قل هو الله احد
الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال ابن سلام اشهد انك رسول الله
وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان وانى لاجد صفتك فى كتاب الله
يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا انت عبدى ورسولى سميتك
المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة مثلها
ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يستقيم به الملة المعوجة حتى يقولوا
لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وقوله ليس بفظ ولا
غليظ موافق لقوله فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا
من حولك ولا يعارض قوله واغلظ عليهم لان النفى محمول على طبعه الكريم الذى جبل
عليه والامر محمول على المعالجة والنفى بالنسبة الى المؤمنين والامر بالنسبة للكفار و
المنافقين كما هو مصرح به فى نفس الاية قلوبا غلفا اى مغشاة مغطاة واحدها اغلف
ومنه غلاف السيف وغيره واخرج البيهقى وابو نعيم عن ام الدرداء امراة ابى الدرداء
قالت قلت لكعب كيف تجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التورية قال كنا
نجده موصوفا فيها محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى
الاسواق واعطى المفاتيح ليبصر الله به اعينا عورا ويسمع به اذانا صما ويقيم به
السنة عوجا حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وحده لا شريك له يعين المظلوم و
يمنعه من ان يستضعف وفى البخارى عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو
بن العاص قلت اخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه
لموصوف فى التورية ببعض صفاته فى القران يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا

ونذيرا

ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا
سخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى
يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا
غلفا وعند ابن اسحاق ولا سخب فى الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا
اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم ثم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره
والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف
خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه
اهدى به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمى به بعد
النكرة واغنى به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به بين قلوب مختلفة
واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس واخرج
البيهقى عن ابن عباس قال قدم الجارود فاسلم فقال والذى بعثك بالحق لقد وجدت
وصفك فى الانجيل ولقد بشر بك ابن البتول واخرج ابن سعد قال لما امر ابرهيم
باخراج هاجر حمل على البراق وكان لا يمر بارض عذبة سهلة الا قال انزل هنا يا جبريل
فيقول لا حتى اتى مكة فقال جبريل انزل يا ابرهيم قال حيث لا ضرع ولا زرع قال نعم
ههنا يخرج النبى الذى من ذرية ابنك الذى تتم به الكلمة العليا وفى التورية مما اختاروه
بعد الحذف والتحريف والتبديل مما ذكره ابن ظفر فى البشر وابن قتيبة فى اعلام النبوة
تجلى الله من سيناء واشرف من ساعير واستعلن من جبال فاران فسينا
هو الجبل الذى كلم الله فيه موسى وساعير هو الجبل الذى كلم الله فيه عيسى وظهرت
فيه نبوته وجبال فاران هو اسم عبرانى وليست الفه الاولى همزة هى جبال بنى هاشم
الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث فى احدها وفيه فاتحة الوحى وهو
احد ثلاثة جبال احدها ابو قبيس والمقابل له قعيقعان الى بطن الوادى والثالث الشرقى
فاران ومنفخه الذى يلى قعيقعان الى بطن الوادى وهو شعب بنى هاشم وفيه مولده صلى
الله عليه وسلم على احد الاقوال قال ابن قتيبة وليس بهذا غموض لان مجئ الله من
سيناء انزاله التورية على موسى عليه السلام بطور سيناء ويجب ان يكون
اشراقه من ساعير انزاله على المسيح الانجيل وكان المسيح يسكن من ساعير ارض
الخليل بقرية تدعى ناصرة وباسمها سمى من اتبعه نصارى وكما وجب ان يكون
اشراقه من ساعير انزاله على المسيح فكذلك يجب ان يكون استعلانه من جبال فاران
انزاله القران على محمد صلى الله عليه وسلم وهى جبال مكة وليس بين المسلمين واهل الكتاب
فى هذا اختلاف فى ان فاران هى مكة وان ادعى انها غير مكة قلنا اليس فى التورية

ان الله اسكن هاجر واسماعيل فاران وقلنا دلونا على الموضع الذى استعلن
الله منه واسمه فاران والنبى الذى انزل عليه كتابا بعد المسيح اليس استعلن وعلن
بمعنى واحد وهو ما ظهر وانكشف فهل تعلمون دينا ظهر ظهور الاسلام وفشا فى
مشارق الارض ومغاربها فشوه وفى التورية ايضا مما ذكره ابن ظفر خطابا لموسى
والمراد به الذين اختارهم لميقات ربه الذين اخذتهم الرجفة خصوصا ثم بنى اسرائيل
عموما والله ربك يقيم نبيا من اخوتك فاستمع له كالذى سألت ربك فى حوريث
يوم الاجتماع حتى قلت لا اعود اسمع صوت الله ربى لئلا اموت فقال الله لى
نعم ما قالوا وسأقيم لهم نبيا مثلك من اخوتهم واجعل كلامى فى فمه فيقول لهم
كل شئ أمره به وايما رجل لم يطع من تكلم باسمى فانى انتقم منه قال وفى هذا الكلام ادلة
على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقوله نبيا من اخوتهم وموسى وقومه من بنى اسحق
واخوتهم بنى اسمعيل ولو كان هذا النبى الموعود به من بنى اسحق لكان من انفسهم لا من
اخوتهم واما قوله نبيا مثلك وقد قال فى التورية لا يقوم فى بنى اسرائيل احد مثل موسى
وفى ترجمة اخرى مثل موسى لا يقوم فى بنى اسرائيل ابدا فذهبت اليهود الى ان هذا النبى الموعود
هو يوشع بن نون وذلك باطل لان يوشع بن نون لم يكن كفوا لموسى عليهما السلام بل
كان خادما له فى حياته ومؤكدا لدعوته بعد مماته فتعين ان يكون محمدا صلى الله عليه
وسلم فانه كفو موسى فانه مماثله فى نصب الدعوى والتحدى بالمعجزة وشرع الاحكام واجراء
النسخ على الشرايع السالفة وقوله تعالى اجعل كلامى فى فمه فانه واضح فى ان المقصود
محمد صلى الله عليه وسلم فان معناه اوحى اليه بكلامى فينطق به على ما سمعه ولا انزل
صحفا ولا الواحا لانه امى لا يحسن ان يقرأ المكتوب وفى الانجيل مما ذكره ابن ظفر
فى الدر المنظم قال يوحنا فى انجيله عن المسيح انه قال انا اطلب لكم من الاب ان يعطيكم
فارقليط اخر يثبت معكم الى الابد روح الحق الذى لم يطق العالم ان يقتلوه وهو
عند ابن ظفر بلفظ ان احببتمونى فاحفظوا وصيتى وانا اطلب الى ابى فيعطيكم
فارقليطا اخر يكون معكم الدهر كله قال هذا تصريح بان الله سيبعث اليهم من
يقوم مقامه وينوب فى تبليغ رسالة ربه وسياسة خلقه منابه وتكون شريعته
باقية مخلدة ابدا فهل هذا الا محمد صلى الله عليه وسلم انتهى ولم يذكر فصول الفارقليط
كما افاده ابن طغربيك سوا يوحنا دون غيره من نقلة الاناجيل وقد اختلف
النصارى فى تفسير الفارقليط فقيل هو الحامد وقيل المخلص فان وافقناهم على انه
المخلص افضى بنا الامر الى ان المخلص رسول يأتى لخلاص العالم وذلك من غرضنا
لان كل نبى مخلص لامته من الكفر ويشهد له قول المسيح فى الانجيل انى جئت لخلاص

العالم

اى اسم جبل معناه حقق اباك الذين هم من ولد اسمعيل كما ذكر فى المص

فيه نسخة

وفاته نسخة

وهو اسم صنم فى الاصل

وهو ممنوع من الصرف لانه اسم اعجمى وهو بكسر الراء وفتح القاف وكسر اللام بعدها ياء اخره طاء

العالم فاذا ثبت ان المسيح هو الذى وصف نفسه بانه مخلص العالم وهو الذى سأل
الاب ان يعطيهم فارقليط اخر ففى مقتضى اللفظ ما يدل على انه قد تقدم فارقليط
اول حتى يأتى فارقليط اخر وان تنزلنا معهم على القول بانه الحامد فاى لفظ اقرب
الى احمد ومحمد من هذا قال ابن طغربيك فى الانجيل مما ترجموه ما يدل على ان الفارقليط
الرسول فانه قال ان هذا الكلام الذى تسمعونه ليس هو لى بل الاب الذى ارسلنى
بهذا الكلام لكم واما الفارقليط هو روح القدس الذى يرسله ابى باسمى فهو
يعلمكم كل شئ وهو يذكركم كلما قلته لكم فهل بعد هذا بيان اليس هذا صريح فى
ان الفارقليط رسول يرسله الله وهو روح القدس وهو يصدق بالمسيح
ويظهر اسمه انه رسول حق من الله وليس باله وهو يعلم الخلق كل شئ ويذكرهم
كلما قاله المسيح عليه السلام لهم وكلما امرهم به من توحيد الله واما قوله ابى فهذه
اللفظة مبدلة محرفة وليست منكرة الاستعمال عند اهل الكتابين اشارة الى الرب
سبحانه وتعالى لانها عندهم لفظة تعظيم يخاطب بها المتعلم معلمه الذى يستمد منه
العلم ومن المشهور مخاطبة النصارى عظماء دينهم بالاباء الروحانية ولم تزل
بنو اسرائيل وبنو عيصو يقولون نحن ابناء الله لسوء فهمهم عن الله تعالى
واما قوله يرسله ابى باسمى فهو اشارة الى شهادة المصطفى صلى الله عليه وسلم
له بالصدق والرسالة وما تضمنه القرآن من مدحه عما افترى فى امره وفى
ترجمة اخرى للانجيل انه قال الفارقليط اذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول
من تلقاء نفسه ما يسمع يكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث
وهو عند ابن طغربيك بلفظ فاذا جاء روح القدس ليس ينطق من عنده
بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بكل ما يأتى وهو يمجدنى لانه يأخذ مما هو لى ويخبركم
فقوله ليس ينطق من عنده وفى الرواية الاخرى ولا يقول من تلقاء نفسه بل
يتكلم بكل ما يسمع اى من الله الذى ارسله وهذا كما قال الله تعالى فى حقه صلى
الله عليه وسلم وما ينطق عن الهوى • ان هو الا وحى يوحى • وقوله وهو يمجدنى
فلم يمجده حق تمجيده الا محمد صلى الله عليه وسلم لانه وصفه بانه رسول الله وبرأه وبرأ امه
عليهما السلام مما نسب اليهما وامر امته بذلك قال ابن طغربيك فمن ذا الذى وبخ
العلماء على كتمان الحق وتحريف الكلم عن مواضعه وبيع الدين بالثمن البخس ومن ذا الذى انذر
بالحوادث واخبر بالغيوب الا محمد صلى الله عليه وسلم ولله در ابى محمد عبد الله الشقراطسى حيث قال فى قصيدته المشهورة

توراة موسى أتت عنه فصدقها	انجيل عيسى بحق غير مفتعل
اخبار احبار اهل الكتب قد وردت	عما رأوا ورووا فى الأعصر الأول

ينبغى ان يقرأ بكسر اللام كما يشير اليه بعد بقوله فمن ذا الذى وبخ العلماء الى اخره

ويعجبني قول العارف الرباني أبي عبد الله بن النعمان

هذا النبي محمد جاءت به ... توراة موسى للأنام تبشر
وكذاك انجيل المسيح موافق ... ذكرا لأحمد معرب ومذكر

ويرحم الله تعالى ابن جابر حيث قال

لمبعثه في كل جيل علامة ... على ما جلته الكتب من أمره الجلي
فجاء به انجيل عيسى بآخر ... كما قد مضت توراة موسى بأول

وفي الدلائل للبيهقي عن الحاكم بسند لا بأس به عن أبي أمامة الباهلي عن هشام بن العاص الأموي قال بعثت انا ورجل اخر الى هرقل صاحب الروم ندعوه الى الاسلام فذكر الحديث وانه ارسل اليهما ليلا قال فدخلنا عليه فدعا بشيء كهيئة الربعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها أبواب ففتح واستخرج حريرة سوداء فنشرها فاذا فيها صورة حمراء واذا رجل ضخم العينين عظيم الأليتين لم ار مثل طول عنقه واذا له ضفيرتان احسن ما خلق الله تعالى قال اتعرفون هذا قلنا لا قال هذا ادم عليه السلام ثم فتح بابا اخر فاستخرج منه حريرة سوداء واذا فيها صورة بيضاء احمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية قال اتعرفون هذا قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام قال ثم فتح بابا اخر واخرج حريرة فاذا فيها صورة بيضاء فاذا فيها والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتعرفون هذا قلنا نعم محمد رسول الله ونبينا والله انه قام قائما ثم جلس ثم قال انه لهو قلنا نعم انه لهو كانك تنظر اليه فامسك ساعة ينظر اليها ثم قال اما والله انه لاخر البيوت ولكني عجلته لكم لانظر ما عندكم الحديث وفيه ذكر صور الانبياء ابرهيم وموسى وعيسى وسليمان وغيرهم قال فقلنا له من اين لك هذه الصورة فقال ان ادم عليه السلام سال ربه ان يريه الانبياء من ولده فانزل عليه صورهم فكان في خزانة ادم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها الى دانيال وفي زبور داود عليه السلام في مزمور اربعة واربعين فاضت النعمة من شفتيك من اجل هذا باركك الله الى الابد تقلد ايها الجبار السيف فان شرايعك وسنتك مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسنونة وجميع الامم يخرون تحتك فهذا المزمور ينوه بمحمد صلى الله عليه وسلم فالنعمة التي فاضت من شفتيه هو القول الذي يقوله وهو الكتاب الذي انزل عليه والسنة التي سنها وفي قوله تقلد سيفك ايها الجبار دلالة على انه النبي العربي اذ ليس يتقلد السيوف امة من الامم سوى العرب فانهم يتقلدونها على عواتقهم وفي قوله فان شرايعك وسنتك نص صريح انه صاحب شريعة وسنة وانها تقوم بسيفه والجبار الذي يجبر الخلق بالسيف على الحق ويصرفهم عن الكفر جبرا وعن وهب بن منبه قال قرأت في بعض الكتب القديمة قال الله تبارك وتعالى وعزتي وجلالي لانزلن على جبال العرب نورا يملأ ما بين المشرق والمغرب ولأخرجن من ولد اسمعيل نبيا عربيا اميا يؤمن به عدد نجوم السماء ونبات الارض كلهم يؤمن بي ربا وبه رسولا يكفرون بملل آبائهم ويفرون منها قال موسى سبحانك وتقدست اسماؤك لقد كرمت هذا النبي وشرفته قال الله يا موسى اني انتقم من عدوه في الدنيا والاخرة واظهر دعوته على كل دعوة واذل من خالف شريعته بالعدل زينته وبالقسط اخرجته وعزتي لاستنقذن به امما من النار فتحت الدنيا بابرهيم واختمها بمحمد صلى الله عليه وسلم فمن ادركه ولم يؤمن به ولم يدخل في شريعته فهو من الله بريء ذكره ابن ظفر وغيره

النوع الخامس في آيات تتضمن اقسامه تعالى على تحقيق رسالته وثبوت ما اوحى اليه من آياته وعلو رتبته الرفيعة ومكانته • وهذا النوع اعزك الله لخصنا اكثره من كتاب اقسام القرآن للعلامة ابن القيم مع زيادات من فرائد الفوائد فاعلم انه تعالى ما اقسم بأمور على امور وانما اقسم بنفسه الموصوفة بصفاته • او آياته المستلزمة لذاته وصفاته • واقسامه ببعض مخلوقاته • دليل على انه من عظيم آياته • ثم انه تعالى تارة يذكر جواب القسم وهو الغالب وتارة يحذفه وتارة يقسم على ان القرآن حق • وتارة على ان الرسول حق • وتارة على ان الجزاء والوعد والوعيد حق • فالاول كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم • وانه لقسم لو تعلمون عظيم • انه لقرآن كريم • والثاني كقوله تعالى يس • والقرآن الحكيم • انك لمن المرسلين • والثالث كقوله تعالى والذاريات ذروا الى قوله وان الدين لواقع • وهذه الامور الثلاثة متلازمة فمتى ثبت ان الرسول حق ثبت ان القرآن حق وثبت المعاد • ومتى ثبت ان القرآن حق ثبت صدق الرسول الذي جاء به • ومتى ثبت ان الوعد والوعيد حق ثبت صدق الرسول الذي جاء به • وفي هذا النوع خمسة فصول

الفصل الاول في قسمه تعالى على ما خصه به من الخلق العظيم • وحباه من الفضل العميم • قال الله تعالى ن • والقلم وما يسطرون • ما انت بنعمة ربك بمجنون • وان لك لاجرا غير ممنون • وانك لعلى خلق عظيم • ن من اسماء الحروف كالم والمص وق واختلف فيها فقيل هي اسماء للقرآن وقيل اسماء للسور وقيل اسماء الله ويدل عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص يا حم عسق كما قيل ولعله اراد يا منزلهما وقيل انه سر استأثر الله بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله ورسوله لم يقصد بها افهام غيره

بكسر الهمزة

بكسر الهمزة

والمراد بالدين الجزاء وهو يتضمن الوعد والوعيد

بشماغ

يا أحم أعفر في نسخة

أي الرسول صلى الله عليه وسلم

اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد وهل المراد بقوله تعالى هنا ن اسم الحوت وهل المراد
به الجنس والبهموت وهو الذى عليه الارض وقيل المراد به الدواة وهو مروى عن ابن
عباس فيكون هذا قسما بالدواة والقلم فان المنفعة بهما بسبب الكتابة عظيمة فان
التفاهم تارة يحصل بالنطق وتارة بالكتابة وقيل ان نون لوح من نور تكتب فيه الملئكة
ما يأمرهم به رواه معاوية بن قرة مرفوعا والحق انه اسم للسورة اقسم تعالى بالكتاب
والقلم وهو القلم الذى هو احدى اياته واول مخلوقاته الذى جرى به قدره وشرعه
وكتب به الوحى وقيد به الدين واثبت به الشريعة وحفظت به العلوم وقامت به
مصالح العباد فى المعاش واقام فى الناس ابلغ خطيب وافصحه وانفعه لهم وانصحه
وواعظا تشفى مواعظه القلوب من السقم وطبيبا يبرئ باذن باريه من انواع
الألم على تنزيه نبيه ورسوله محمد المحمود فى كل افعاله واقواله مما غمصته
اعداؤه الكفرة به وتكذيبهم له بقوله تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون وكيف يرمى
بالجنون من اتى بما عجزت العقلاء قاطبة عن معارضته وكلت عن مماثلته
وعرفهم من الحق ما لا تهتدى اليه عقولهم بحيث اذعنت له عقول العقلاء
وخضعت له الباب الالباء وتلاشت فى جنب ما جاء به بحيث لم يسعها
الا التسليم له والانقياد والاذعان طائعة مختارة فهو الذى كمل عقولها كما
يكمل الطفل برضاع الثدى ثم اخبر تعالى عن كمال حالتى نبيه صلى الله عليه وسلم
فى دنياه واخرته • فقال وان لك لاجرا غير ممنون اى ثوابا غير منقطع بل هو دائم
مستمر ونكر الاجر للتعظيم اى اجرا عظيما لا يدرك الوصف ولا يناله التعبير ثم
اثنى عليه بما منحه فقال وانك لعلى خلق عظيم • وهذه من اعظم ايات نبوته ورسالته •
ولقد سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه
القرآن ومن ثم قال ابن عباس وغيره على دين عظيم وسمى الدين خلقا لان الخلق هيئة مركبة
من علوم صادقة • وارادات زاكية • واعمال ظاهرة وباطنة • موافقة للعدل
والحكمة والمصلحة • واقوال مطابقة للحق تصدر تلك الاقوال والاعمال عن تلك
العلوم والارادات فتكتسب النفس بها اخلاقا هى ازكى الاخلاق واشرفها
وافضلها • وهذه كانت اخلاقه صلى الله عليه وسلم المقتبسة من القرآن فكان
كلامه مطابقا للقرآن تفصيلا وتبيينا وعلومه علوم القرآن • واراداته واعماله
ما اوجبه وندب اليه القرآن • واعراضه وتركه لما منع منه القرآن • ورغبته
فيما رغب فيه • وزهده فيما زهد فيه • وكراهته لما كرهه • ومحبته لما احبه •
وسعيه فى تنفيذ اوامره • فترجمتا المؤمنين لكمال معرفتها بالقرآن وبالرسول

قوله وهل المراد هنا تقتضى ان هنا خلاف متفرع على الخلاف الأول واما الثانى متفرع على الثانى والقياس ان يقول وعليه هل المراد به الجنس

يجوز العرجان واوليهما حمل القرآن استعمالا مفخر لانه يقتضى ان خلقه لا ينحصر فى القرآن بخلاف الثانى

وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها كان خلقه القرآن وفهم السائل عنها هذا
المعنى • فاكتفى به واشتفى • ولما وصفه تعالى بانه على خلق عظيم قال فستبصر و
يبصرون • بايكم المفتون • اى فسترى يا محمد وسيرى المشركون كيف عاقبة امرك
فانك تصير معظما فى القلوب • ويصيرون اذلاء مغلوبين • وتستولى عليهم بالقتل
والنهب الفصل الثانى فى قسمه تعالى على ما انعم به عليه • واظهر من قدره العلى لديه •
قال الله تعالى والضحى والليل اذا سجى • ما ودعك ربك وما قلى السورة اقسم تعالى
على انعامه على رسوله صلى الله عليه وسلم واكرامه واعطائه ما يرضيه • وذلك متضمن
لتصديقه له فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزائه فى الاخرة فهو قسم على النبوة والمعاد
واقسم تعالى بايتين عظيمتين من اياته دالتين على ربوبيته ووحدانيته وحكمته
ورحمته وهما الليل والنهار وفسر بعضهم كما حكاه الامام فخر الدين الضحى بوجهه
صلى الله عليه وسلم والليل بشعره قال ولا استبعاد فيه وتامل مطابقة هذا القسم و
هو نور الضحى الذى يوافى بعد ظلام الليل للمقسم عليه وهو نور الوحى الذى وافاه
بعد احتباسه عنه حتى قال اعداؤه ودع محمدا ربه فاقسم بضوء النهار بعد
ظلمة الليل على ضوء الوحى ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه وايضا فان الذى
اقتضت رحمته ان لا يترك عباده فى ظلمة الليل سرمدا بل هداهم بضوء النهار
الى مصالحهم ومعايشهم لا يليق به ان يتركهم فى ظلمة الجهل والغى بل يهديهم بنور
الوحى والنبوة الى مصالح دنياهم واخرتهم فتامل حسن ارتباط المقسم به بالمقسم عليه
وتامل هذه الجزالة والرونق الذى على هذه الالفاظ والجلالة التى على معانيها ونفى
سبحانه ان يكون ودع نبيه او قلاه فالتوديع الترك والقلا البغض اى ما تركك
منذ اعتنى بك • ولا ابغضك منذ احبك • وحذف الكاف من قلا اكتفاء بكاف
ودعك ولان رؤس الايات بالياء فاوجب اتفاق الفواصل حذفها وهذا يعم
كل احواله وان كل حالة يرقيه اليها هى خير له مما قبلها كما ان الدار الاخرة هى خير له مما قبلها
ثم وعده بما تقر به عينه • وتفرح به نفسه • وينشرح به صدره • وهو ان يعطيه فيرضى
وهذا يعم ما يعطيه من القرآن والهدى والنصر والظفر باعدائه يوم بدر وفتح مكة
ودخول الناس فى الدين افواجا والغلبة على بنى قريظة والنضير وبث عساكره وسراياه
فى بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين فى اقطار الارض من المدائن وما قذف
فى قلوب اعدائه من الرعب ونشر الدعوة ورفع ذكره واعلاء كلمته وما يعطيه بعد
مماته وما يعطيه فى موقف القيمة من الشفاعة والمقام المحمود وما يعطيه فى الجنة
من الوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر قال ابن عباس يعطيه القصر من لؤلؤ ابيض

له نحو وقوله بعد ظلام

متعلق بقوله مطابقة هذا القسم
الليل متعلق بقوله يوافى اى ياتى

تراها المسك وفيها ما يليق بها وبالجملة فقد دلّت هذه على انه تعالى يعطيه
عليه السلام كل ما يرضيه واما ما يفتري به الجهال من انه لا يرضى واحد من امته
في النار ولا يرضى ان يدخل احد من امته النار فهو من غرور الشيطان لهم و
لعبه بهم فانه عليه الصلاة والسلام يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى
وهو سبحانه يدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة ثم يحدّ
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حدّا يشفع فيهم كما سيأتي ان شاء الله تعالى
في المقصد الاخير ورسوله عليه السلام اعرف به وبحقه من ان يقول لا ارضى
ان يدخل احد من امتي النار او يدعه فيها بل ربه تبارك وتعالى يأذن له فيشفع
فيمن شاء الله ان يشفع فيه ولا يشفع في غير من اذن له ورضيه ثم ذكره
سبحانه بنعمه عليه من ايوائه بعد يتمه فقال الم يجدك يتيما فاوى وذهب
بعضهم الى ان معنى اليتيم من قولهم درة يتيمة اي الم يجدك واحدا في قريش
عديم النظير فاواك اليه واغناك بعد الفقر ثم امره سبحانه ان يقابل
هذه النعم الثلاث بما يليق بها من الشكر فنهاه ان لا يقهر اليتيم وان لا ينهر
السائل وان لا يكتم النعمة بل يحدث بها فان من شكر النعمة الحديث بها وقيل
المراد بالنعمة النبوة والتحديث بها تبليغها **الفصل الثالث** في قسمه تعالى
على تصديقه عليه السلام فيما اتى به من وحيه وكتابه وتنزيهه عن الهوى في خطابه
قال الله تعالى والنجم اذا هوى • ما ضل صاحبكم وما غوى • وما ينطق عن
الهوى • اقسم تعالى بالنجم على تنزيه رسوله وبراءته مما نسبه اليه اعداؤه
من الضلال والغي واختلف المفسرون في النجم باقاويل معروفة منها النجم
على ظاهره وتكون ال لتعريف العهد في قول ولتعريف الجنس في اخر وهي
النجوم التي يهتدى بها فقيل الثريا اذا سقطت وغابت وهو مروي عن ابن
عباس في رواية علي بن ابي طلحة وعطية والعرب اذا اطلقت النجم تريد به الثريا و
عن ابن عباس في رواية عكرمة النجم التي ترمى بها الشياطين اذا سقطت في
اثارها عند استراق السمع وهذا قول الحسن وعن السدي الزهرة وعن
الحسن النجوم اذا سقطت يوم القيمة وقيل المراد به النبت الذي لا ساق له و
هوى اي سقط على الارض وقيل القران رواه الكلبي عن ابن عباس لانه نزل
نجوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول مجاهد ومقاتل والضحاك
وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسن هو محمد صلى الله عليه وسلم اذا هوى اذا نزل
من السماء ليلة المعراج واظهر الاقوال كما قاله ابن الصلاح انها النجوم التي

ترمى بها الشياطين ويكون سبحانه قد اقسم بهذه الاية الظاهرة المشاهدة التي نصبها
الله اية وحفظا للوحي من استراق الشياطين على ان ما اتى به رسوله حق وصدق
لا سبيل للشيطان ولا طريق له اليه بل قد حرس بالنجم اذا هوى رصدا بين يدي الوحي
وحرساً له وعلى هذا فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه في غاية الظهور وفي المقسم به
دليل على المقسم عليه وليس بالبين تسمية القران عند نزوله بالنجم اذا هوى ولا تسمية
نزوله هويا ولا عهد في القران بذلك فيحمل هذا اللفظ عليه وليس بالبين تخصيص
هذا القسم بالثريا وحدها اذا غابت وليس بالبين ايضا القسم بالنجوم عند انتثارها
يوم القيمة بل هذا مما يقسم الرب جل جلاله عليه ويدل عليه باياته فلا يجعله نفسه
دليلا لعدم ظهوره للمخاطبين ولا سيما منكرو البعث فانه سبحانه انما يستدل بما
لا يمكن جحده ولا المكابرة فيه ثم انه بين المقسم به والمقسم عليه ما لا يخفى فان قلنا
ان المراد النجوم التي هي للاهتداء فالمناسبة ظاهرة وان قلنا المراد الثريا فلانه اظهر
النجوم عند الرأي لانه لا يشتبه بغيره في السماء بل هو ظاهر لكل احد والنبي صلى الله
عليه وسلم تميز عن الكل بما منح من الايات البينات ولان الثريا اذا ظهرت من المشرق حان
ادراك الثمار واذا ظهرت من المغرب قرب اخر الخريف فتقل الامراض والنبي صلى الله
عليه وسلم لما ظهر قل الشرك والامراض القلبية وان قلنا ان المراد بها القران فهو استدلال
بمعجزته صلى الله عليه وسلم على صدقه وبراءته وانه ما ضل وما غوى • وان قلنا ان المراد
النبات فالنبات به ثبات القوى الجسمانية وصلاحها والقوى القلبية اولى بالصلاح
وذلك بالرسل وايضاح السبل وتأمل كيف قال تعالى ما ضل صاحبكم ولم يقل
ما ضل محمد تاكيدا لاقامة الحجة عليهم بانه صاحبهم وهم اعلم الخلق به وبحاله واقواله
واعماله وانهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال ولا ينقمون عليه امرا واحدا قط وقد نبه
تعالى على هذا المعنى بقوله عز وجل ام لم يعرفوا رسولهم ثم نزه نطق رسوله صلى الله
عليه وسلم ان يصدر عن هوى فقال تعالى وما ينطق عن الهوى • ان هو الا وحي يوحى •
ولم يقل وما ينطق بالهوى لان نفي نطقه عن الهوى ابلغ فانه يتضمن ان نطقه لا يصدر عن
هوى واذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به فيتضمن نفي الامرين نفي الهوى عن مصدر
النطق ونفيه عن النطق نفسه فنطقه بالحق ومصدره الهدى والرشاد لا الغي والضلال
ثم قال تعالى ان هو الا وحي يوحى • فاعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل اي ما
نطقه الا وحي يوحى وهذا احسن من جعل الضمير عائدا الى القران فان نطقه بالقران و
السنة وان كليهما وحي يوحى قال الله تعالى وانزلنا عليك الكتاب والحكمة وهما
القران والسنة وذكر الاوزاعي عن حسان بن عطية قال كان جبريل ينزل على

وهو الوحي

وهو النجم الهاوي

رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنته كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه اياها ثم اخبر تعالى
عن وصف من علمه الوحي والقرآن بما يعلم انه مضاد لاوصاف الشيطان معلم
الضلالة والغواية فقال علمه شديد القوى وهو جبريل اى قواه العلمية والعملية
كلها شديدة ولا شك ان مدح المعلم مدح للمتعلم فلو قال علمه جبريل ولم يصفه
لم تحصل للنبي صلى الله عليه وسلم به فضيلة ظاهرة وهذا نظير قوله تعالى ذى قوة
عند ذى العرش كما سياتى البحث فيه ان شاء الله تعالى ثم اخبر سبحانه وتعالى
عن تصديق فؤاده لما رأته عيناه وان القلب صدق العين وليس كمن رأى شيئا
على خلاف ما هو به فكذب فؤاده بصره بل ما رآه ببصره صدقه الفؤاد وعلم
انه كذلك وفى حديث قصة الاسراء مزيد لما ذكرته هنا والله اعلم والموفق والمعين
وقال تعالى فلا اقسم بالخنس • الجوار الكنس • الى قوله • وما هو بقول شيطان رجيم •
اى لا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم او اقسم ولا مزيدة للتاكيد وهذا قول
اكثر المفسرين بدليل قوله تعالى • وانه لقسم لو تعلمون عظيم • قال الزمخشرى والوجه ان
يقال هى للنفى اى انه لا يقسم بالشيء الا اعظاما له فكانه بادخال حرف النفى يقول ان
اعظامى له باقسامى به كلا اعظام يعنى انه يستاهل فوق ذلك اقسم تعالى بالنجوم فى احوالها
الثلاثة من طلوعها وجريانها وغروبها وبانصرام الليل واقبال النهار عقيبه
من غير فصل فذكر سبحانه حالة ضعف هذا وادباره وحالة قوة هذا وتنفسه
واقباله يطرد ظلمة الليل بتنفسه فكلما تنفس هرب الليل وادبر بين يديه وذلك من
اياته ودلائل ربوبيته ان القرآن قول رسول كريم وهو هنا جبريل لانه ذكر صفته
قطعا بعد ذلك بما يعينه به واما الرسول الكريم فى الحاقة فهو محمد صلى الله عليه وسلم
فاضافه الى الرسول الملكى تارة والى البشرى اخرى واضافته اليهما اضافة تبليغ
لا اضافة انشاء من عندهما ولفظ الرسول يدل على ذلك فان الرسول هو الذى
يبلغ كلام من ارسله فهذا صريح فى انه كلام من ارسل جبريل ومحمدا صلى الله عليه وسلم
فجبريل تلقاه عن الله عز وجل ومحمد صلى الله عليه وسلم تلقاه عن جبريل وقد وصف الله
تعالى رسوله الملكى فى هذه السورة بانه كريم يعطى افضل العطايا وهى العلم والمعرفة
والهداية والبر والارشاد وهذا غاية الكرم ذى قوة كما قال فى النجم علمه شديد القوى
فيمنع بقوته الشياطين ان تدنو منه وان يزيدوا فيه او ينقصوا منه وروى انه
رفع قريات قوم لوط على قوادم جناحه حتى سمع اهل السماء نباح كلابها واصوات
بنيها عند ذى العرش مكين • اى متمكن المنزلة وهذه العندية عندية الاكرام والتشريف
والتعظيم مطاع فى ملائكة الله المقربين • يصدرون عن امره • ويرجعون الى رأيه •

وعلى هذا فلا نافية اصلية

قوله والفجر الى اخره هنا وجهان على القول الاول
وهو ان لا نافية اصلية وكان القياس ان يأتى
بقوله والفجر الخ قبل قوله او اقسم ولا مزيدة

اى قوله تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون
انه لقول رسول كريم فقوله هو الذى صح هذا
مستعمل هنا بالمعنى اللغوى

جمع قادمة وهى اربع ريشات وتليها ستة بعدها
وهى اربع مدائن فى كل مدينة اربعمائة الف مقاتل

امين على وحى الله ورسالاته فقد عصمه الله من الخيانة والزلل فهذه خمس صفات
تتضمن تزكية سند القرآن وانه سماع محمد صلى الله عليه وسلم من جبريل وسماع جبريل
من رب العالمين • فناهيك بهذا السند علوا وجلالة فقد تولى الله تزكيته بنفسه
ثم نزه رسوله البشرى وزكاه مما يقول فيه اعداؤه فقال • وما صاحبكم بمجنون • وهذا
امر يعلمونه ولا يشكون فيه وان قالوا بالسنتهم خلافه فهم يعلمون انهم كاذبون ثم اخبر
عن رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام وهذا يتضمن انه ملك موجود فى الخارج
يرى بالعيان ويدرك بالبصر خلافا للقوم وحقيقته عندهم انه خيال موجود فى
الاذهان لا فى الاعيان وهذا مما خالفوا فيه جميع الرسل واتباعهم وخرجوا به
عن جميع الملل ولهذا كان تقرير رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل اهم من تقرير رؤيته
لربه تبارك وتعالى فان رؤيته عليه السلام لجبريل هى اصل الايمان الذى لا يتم الا
باعتقادها ومن انكرها كفر قطعا واما رؤيته لربه فغايتها ان تكون مسئلة نزاع
لا يكفر جاحدها بالاتفاق وقد صرح جماعة من الصحابة بانه لم يره فنحن الى تقرير رؤيته
لجبريل احوج منا الى تقرير رؤيته لربه تعالى وان كانت رؤية الرب سبحانه وتعالى
اعظم من رؤية جبريل فان النبوة لا يتوقف ثبوتها عليها البتة ثم نزه تعالى
رسوليه كليهما صلى الله عليهما وسلم احدهما بطريق النطق والثانى بطريق اللزوم
عما يضاد مقصود الرسالة من الكتمان الذى هو الضنة والبخل والتبديل و
التغيير الذى يوجب التهمة فقال وما هو على الغيب بضنين فان الرسالة
لا يتم مقصودها الا بامرين اداؤها من غير كتمان واداؤها على وجهها من غير زيادة
ولا نقصان والقراءتان كالايتين فتضمنت احديهما وهى قراءة الضاد تنزيهه
عن البخل فان الضنين البخيل يقال ضننت به اضن بوزن بخلت ابخل ومعناه
وقال ابن عباس ليس ببخيل بما انزل الله وقال مجاهد لا يضن عليهم بما يعلم واجمع
المفسرون على ان الغيب هنا القرآن والوحى قال الفراء يقول تعالى يأتيه غيب من
السماء وهو منفوس فيه فلا يضن به عليكم وهذا معنى حسن جدا فان عادة
النفوس الشح بالشيء النفيس ولا سيما عمن لا يعرف قدره ومع هذا فالرسول
صلى الله عليه وسلم لا يبخل عليكم بالوحى الذى هو انفس شيء واجله وقال ابو على
الفارسى المعنى يأتيه الغيب فيبينه ويخبر به ويظهره ولا يكتمه كما يكتم الكاهن
ما عنده ويخفيه حتى ياخذ عليه حلوانا واما قراءة من قرأ بظنين بالظاء فمعناه
المتهم يقال ظننت زيدا بمعنى اتهمته وليس هو من الظن بمعنى الشعور والا
فان ذلك يتعدى الى مفعولين والمعنى وما هذا الرسول على القرآن بمتهم بل هو امين

اى الاخبار عن رؤية جبريل

اى منزلتين منزلة ايتين دلت كل واحدة على غيرها
دلت على الاخرى

اى وهو مرغوب فيه

فيه لا يزيد فيه ولا ينقص منه وهذا يدل على ان الضمير فيه يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم
لانه قد تقدم وصف الرسول الملكي بالامانة ثم قال وما صاحبكم بمجنون ثم قال وما
هو اى وما صاحبكم بمتهم ولا بخيل فنفى سبحانه عن رسوله صلى الله عليه وسلم ذلك كله
وزكى سند القرآن اعظم تزكية • والله يقول الحق وهو يهدى السبيل • وقال تعالى
فلا اقسم بما تبصرون • وما لا تبصرون • انه لقول رسول كريم • الاية اقسم تعالى بالاشياء
كلها بما يبصرون منها وما لا يبصرون وهذا اعم قسم وقع في القرآن فانه يعم العلويات والسفليات
والدنيا والاخرة وما يرى وما لا يرى ويدخل في ذلك الملائكة كلهم والجن والانس والعرش
والكرسي وكل مخلوق وذلك كله من ايات قدرته وربوبيته ففي ضمن هذا القسم ان كل ما يرى
وما لا يرى اية ودليل على صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وان ما جاء به من عند الله تعالى وهو
كلامه تعالى لا كلام شاعر ولا مجنون ولا كاهن وانه حق ثابت كما ان سائر الموجودات ما يرى
منها وما لا يرى حق كما قال تعالى فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون •
فكانه سبحانه وتعالى يقول انه اى القرآن حق كما ان ما تشاهدونه من الخلق وما لا تشاهدونه
حق موجود ويكفى الانسان مع جميع ما يبصره وما لا يبصره نفسه ومبدأ خلقه ونشأته
وما يشاهد من احواله ظاهرا وباطنا ففي ذلك ابين دلالة على وحدانية الرب وثبوت
صفاته وصدق ما اخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم ومن لم يباشر قلبه ذلك حقيقة
لم تخالط بشاشة الايمان قلبه ثم اقام سبحانه البرهان القاطع على صدق رسوله وانه
لم يتقول عليه فيما قاله وانه لو تقول عليه وافترى لما اقره وعاجله بالاهلاك فان كمال علمه وقدرته
وحكمته يأبى ان يقر من تقول عليه وافترى عليه واضل عباده واستباح دماء من كذبه وحريمهم
واموالهم فكيف يليق باحكم الحاكمين • واقدر القادرين • ان يقره على ذلك بل كيف يليق به ان
يؤيده وينصره ويعليه ويظهره ويظفره بهم ويسفك دماءهم ويستبيح اموالهم و
اولادهم ونساءهم قائلا ان الله امرني بذلك واباحه لي بل كيف يليق به ان يصدقه بانواع
التصديق كلها فيصدقه باقراره وبالايات المستلزمة لصدقه ثم يصدقه بانواعها كلها
على اختلافها فكل اية على انفرادها مصدقة له ثم يقيم الدلالة القاطعة على ان هذا قوله و
كلامه فيشهد له باقراره وفعله وقوله فمن اعظم المحال وابطل الباطل وابين البهتان ان يجوز
على احكم الحاكمين ان يفعل ذلك والمراد بالرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم
كما قدمته لانه لما قال انه لقول رسول كريم ذكر بعده انه ليس بقول شاعر ولا كاهن و
المشركون ما كانوا يصفون جبريل بالشعر والكهانة ومن ذلك قوله تعالى • فلا اقسم
بمواقع النجوم • وانه لقسم لو تعلمون عظيم • انه لقرآن كريم • في كتاب مكنون • لا يمسه الا
المطهرون • قيل المراد بالكتاب المكنون اللوح المحفوظ قال ابن القيم والصحيح انه الكتاب

الذى

الذى في ايدى الملائكة وهو المذكور في قوله تعالى • في صحف مكرمة • مرفوعة مطهرة •
بايدى سفرة • كرام بررة • قال مالك احسن ما سمعت في هذه انها مثل الذى في
عبس قال ومن المفسرين من قال ان المراد ان المصحف لا يمسه الا طاهر والاول ارجح
لان الاية سيقت تنزيها للقرآن ان يتنزل به الشياطين وان محله لا يصل اليه
كما قال تعالى وما تنزلت به الشياطين • وما ينبغى لهم وما يستطيعون • وايضا
فان قوله لا يمسه بالرفع فهذا خبر لفظا ومعنى ولو كان نهيا لكان مفتوحا ومن
حمل الاية على النهى احتاج الى صرف الخبر عن ظاهره الى معنى النهى والاصل في الخبر و
النهى حمل كل منهما على حقيقته وليس ههنا موجب يوجب صرف الكلام عن الخبر الى النهى
انتهى ملخصا وهذا الذى قاله ابن القيم قد تمسك به جماعة منهم داود بانه يجوز مس
المصحف للمحدث وقد اجاب ابن الرفعة في الكفاية عن دليلهم المزخرفة فقال لما نص
القرآن لا يصح مسه فعلم ان المراد به الكتاب الذى هو اقرب المذكورين ولا يتوجه النهى
الى اللوح المحفوظ لانه غير منزل ومسه غير ممكن ولا يمكن ان يكون المراد بالمطهرين
الملائكة لانه قد نفى واثبت فكانه يقول يمسه المطهرون ولا يمسه غير المطهرين والسماء
ليس فيها غير مطهر بالاجماع فعلم انه اراد المطهرين من الادميين ويبين ذلك ما روى انه
عليه السلام قال في كتاب عمرو بن حزم المروى في الدارقطنى وغيره ولا تمس القرآن الا وانت
على طهر ثم قال فان قيل قد قال الواحدى ان اكثر اهل التفسير على ان المراد اللوح المحفوظ
وان المطهرين الملائكة ثم لو صح ما قلتم لم يكن فيها دليل لان قوله لا يمسه بضم السين ليس
بنهى عن المراد ولو كان نهيا لكان بفتح السين فهو اذا خبر قلنا اما قول اكثر المفسرين فهو
معارض بقول الباقين والمرجع الى الدليل واما كون المراد بالاية الخبر فجوابه انا نقول
اللفظ لفظ الخبر ومعناه النهى وهو كثير في القرآن قال تعالى لا تضار والدة بولدها و
المطلقات يتربصن انتهى واجاب العلامة البساطى في شرح مختصر الشيخ خليل بان لا يمسه
مجزوم وضم السين لاجل الضمير كما صرح به جماعة وقالوا انه مذهب البصريين ومنهم
ابن الحاجب في شافيته انتهى وقد ذكر هذا العلامة شهاب الدين احمد بن يوسف بن محمد
بن مسعود الحلبى المشهور بالسمين مع زيادة ايضاح وفوائد فقال في لا هذه وجهان
الثانى انها ناهية والفعل فيها مجزوم لانه لو فك عن الادغام لظهر ذلك فيه كقوله تعالى
لم يمسسهم سوء ولكنه ادغم ولما ادغم حرك اخره بالضمة لاجل هاء ضمير المذكر الغائب
ولم يحفظ سيبويه في نحو هذا الا الضم وفي الحديث انا لم نرده عليك الا انا حرم
وان كان القياس جواز فتحه تخفيفا قال وبهذا الذى ذكرته يظهر فساد رد من رد
بانه لو كان نهيا لكان يقال لا يمسه بالفتح لانه خفى عليه جواز ضم ما قبل الهاء في هذا

الضمير في زده يرجع لحمار الوحش المهدى اليه صلى الله عليه وسلم والقصة في طى ...

النحو

لا سيما على رأي سيبويه فانه لا يجيز غيره **الفصل الرابع** في قسمه تعالى على تحقيق رسالته
قال الله تعالى يس • والقرآن الحكيم • انك لمن المرسلين • الاية **اعلم** ان كل سورة بدأ الله فيها
بحروف التهجي كان في أوائلها الذكر او الكتاب والقرآن الا نون ثم ان في ذكر هذه الحروف
في اوائل السور امورا تدل على انها غير خالية عن الحكمة لكن علم الانسان لا يصل اليها الا
ان كشف الله له سر ذلك **و** اختلف المفسرون في معنى يس على اقوال **احدها** انه يا انسان
بلغة طي هذا قول ابن عباس والحسن وعكرمة والضحاك وسعيد بن جبير **وقيل** بلغة الحبشة
وقيل بلغة كلب **وحكى** الكلبي انها بالسريانية **قال الامام** فخر الدين وتقريره هو ان
تصغير الانسان انيسين وكأنه حذف الصدر منه واخذ العجز وقال يس فعلى هذا
فيكون الخطاب مع محمد صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى انك لمن المرسلين •
و تعقبه ابو حيان بأن الذي نقل عن العرب في تصغير انسان انيسيان بياء بعدها الف
فدل على ان اصله انيسيان لان التصغير يرد الاشياء الى اصولها ولا يعلم انهم قالوا
في تصغيره انيسين وعلى تقدير انه يصغر كذلك فلا يجوز ذلك الا ان يبنى على الضم
لانه منادى مقبل عليه ومع ذلك فلا يجوز لانه تحقير ويمتنع ذلك في حق الانبياء انتهى
قال السمين وهذا الاعتراض الاخير صحيح على ان التصغير لا يدخل في الاسماء المعظمة شرعا
وكذلك يحكى ان ابن قتيبة لما قال في المهيمن انه مصغر من مؤمن والاصل مؤيمن فابدلت
الهمزة هاء قيل له هذا يقرب من الكفر فليتق الله قائله انتهى **وقيل** معنى يس يا محمد قاله ابن
الحنفية والضحاك وقيل يا رجل قاله ابو العالية وقيل هو اسم من اسماء القرآن قاله قتادة
وعن ابي بكر الوراق يا سيد البشر وعن جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة للنبي
صلى الله عليه وسلم وفيه من تعظيمه وتمجيده ما لا يخفى وعن طلحة عن ابن عباس انه قسم
اقسم الله به وهو من اسمائه وعن كعب اقسم الله به قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام
يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا
لست مرسلا فاقسم الله تعالى باسمه في كتابه انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى طريق
مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله
تعالى لاحد من انبيائه بالرسالة الا له صلى الله عليه وسلم **الفصل الخامس** في قسمه تعالى
بمدة حياته صلى الله عليه وسلم وعصره وبلده قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون
والعمر والعمر واحد ولكنه في القسم يفتح لكثرة الاستعمال فاذا اقسموا قالوا لعمرك
القسم قال النحويون ارتفع قوله لعمرك بالابتداء والخبر محذوف والمعنى قسمي
فحذف الخبر فان في الكلام دليلا عليه وباب القسم يحذف منه الفعل نحو تالله
لافعلن والمعنى احلف بالله فتحذف احلف لعلم المخاطب بانك حالف قال الزجاج

اي على كونه عربيا وانه بمعنى انسان
اي فهو تساعي والذي قاله الفخر جار على القياس فاتفقا
اي لانه يقال لليس مصغرا وانما جئ به على صورة المصغر ولو قال
وما جاء الاعتراض عليه الا انه قال انه مصغر لم يعترض عليه
جئ به على صورة المصغر لم يعترض عليه

اي باسم محمد صلى الله عليه وسلم
والباء هنا بمعنى على اي على الرسالة مقسم
عليها لا بها

من قال

من قال لعمر الله كانه حلف ببقاء الله **ومن ثم** قال المالكية والحنفية ينعقد بها اليمين
لان بقاء الله من صفات ذاته وعن مالك لا يعجبني الحلف بذلك **وقال** الامام الشافعي
واسحق لا يكون يمينا الا بالنية **وعن احمد** كالمذهبين والراجح عنه كالشافعي واختلف
فيمن المخاطب في الاية على قولين **احدهما** ان الملائكة قالت للوط عليه السلام لما وعظ قومه وقال
هؤلاء بناتي هن اطهر لكم لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اي يتحيرون فكيف يعقلون
قولك • ويلتفتون الى نصيحتك • **والثاني** ان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه
تعالى اقسم بحياته وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض **قال** ابن عباس
ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله
اقسم بحياة احد غيره قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون يقول وحياتك وعمرك
وبقائك في الدنيا انهم لفي سكرتهم يعمهون رواه جرير ومراده بقوله وما سمعت الله
المتلو في الكتب المنزلة ورواه البغوي في تفسيره بلفظ وما اقسم الله بحياة احد الا
بحياته وما اقسم بحياة احد غيره وذلك يدل على انه اكرم خلق الله على الله وعلى
هذا فيكون قسمه بحياة محمد صلى الله عليه وسلم كلاما معترضا في قصة لوط **قال**
القرطبي فاذا اقسم الله بحياة نبيه فانما اراد بيان التصريح لنا انه يجوز لنا ان
نحلف بحياته **وقال الامام** احمد فيمن اقسم بالنبي صلى الله عليه وسلم ينعقد به يمينه وتجب
الكفارة بالحنث واحتج بكونه صلى الله عليه وسلم احد ركني الشهادة **وقال** ابن خويز منداد
واستدل من جوز الحلف به عليه الصلاة والسلام بان ايمان المسلمين جرت من عهده
صلى الله عليه وسلم ان يحلفوا به صلى الله عليه وسلم حتى ان اهل المدينة الى يومنا هذا اذا خاصم
احدهم صاحبه وقال احلف لي بحق ما حواه صاحب هذا القبر او بحق ساكن هذا
القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم **وقال تعالى** لا اقسم بهذا البلد • وانت حل بهذا
البلد • الاية اقسم تعالى بالبلد الامين وهو مكة ام القرى وهو بلده عليه السلام
وقيده بحلوله عليه السلام فيه اظهارا لمزيد فضله • واشعارا بان الله شرف المكان
بشرف اهله قاله البيضاوي • ثم اقسم بالوالد وما ولد وهو فيما قيل ابراهيم واسمعيل
وما ولد محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فتضمن السورة القسم به في
موضعين **وقيل** المراد به آدم وذريته وهو قول الجمهور من المفسرين وانما اقسم
تعالى بهم لانهم اعجب خلق الله تعالى على وجه الارض لما فيهم من البيان والنظر
واستخراج العلوم وفيهم الانبياء والدعاة الى الله تعالى والانصار لدينه
وكل ما في الارض من مخلوق خلق لاجلهم وعلى هذا فقد تضمن القسم اصل المكان
واصل السكان فمرجع البلاد الى مكة ومرجع العباد الى آدم **قوله** وانت حل هو

لانه عبارة عن الحياة
ومحله اذا اضيف لله كقولك لعمر الله
وهذا على القول الثاني

من الحلول ضد الظعن فتضمن اقسامه تعالى ببلده المشتمل على عبده ورسوله فهو
خير البقاع واشتمل على خير العباد فقد جعل الله تعالى بيته هدى للناس ونبيه اماما
وهاديا لهم وذلك من اعظم نعمه واحسانه الى خلقه **وقيل** المعنى وانت مستحل
قتلك واخراجك من هذا البلد الامين الذى يأمن فيه الطير والوحش وقد استحل
قومك حرمتك وهذا مروى عن شرحبيل بن سعد **وعن قتادة** وانت حل لست
بآثم وحلال لك ان تقتل بمكة من شئت وذلك ان الله تعالى يفتح عليه مكة واهلها
وما فتحت على احد قبله فاحل ما شاء وحرم ما شاء فقتل ابن خطل وهو متعلق
باستار الكعبة وغيره وحرم دار ابى سفيان **فان قلت** هذه السورة مكية وانت
حل بهذا البلد اخبار عن الحال والواقعة التى ذكرت فى اخر مدة هجرته الى المدينة فكيف
الجمع بين الامرين **أجيب** بانه قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبلا كقوله تعالى
انك ميت وانهم ميتون • وعلى كل حال فهذا متضمن للقسم ببلد رسوله عليه السلام
ولا يخفى ما فيه من زيادة التعظيم **وقد روى** ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال للنبى
صلى الله عليه وسلم بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان
اقسم بحياتك دون سائر الانبياء ولقد بلغ من فضيلتك عنده ان اقسم بتراب
قدميك فقال لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد وقال تعالى والعصر
ان الانسان لفى خسر اختلف فى تفسير العصر على اقوال فقيل هو الدهر لانه مشتمل
على الاعاجيب لانه يحصل فيه السراء والضراء والصحة والسقم وغير ذلك وذكر العصر الذى
بمضيه ينقضى عمرك فاذا لم يكن فى مقابلته كسب صار ذلك عين الخسران ولله در القائل

انا لنفرح بالايام نقطعها	وكل يوم مضى نقص من الاجل

وفى تفسير الامام فخر الدين والبيضاوى وغيرهما انه قسم بزمان الرسول صلى الله
عليه وسلم قال الامام الرازى واحتجوا له بقوله صلى الله عليه وسلم انما مثلكم ومثل من كان
قبلكم مثل رجل استأجر اجيرا فقال من يعمل لى من الفجر الى الظهر بقيراط فعملت اليهود
ثم قال من يعمل لى من الظهر الى العصر بقيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل لى من العصر
الى المغرب بقيراطين فعملتم فغضبت اليهود والنصارى فقالوا نحن اكثر عملا واقل
اجرا فقال الله تعالى وهل نقصت من اجركم شيئا قالوا لا قال فذلك فضلى اوتيه
من اشاء فكنتم اقل عملا واكثر اجرا رواه البخارى قالوا فهذا الحديث دل على ان
العصر هو عصره الذى هو فيه فيكون على هذا اقسم تعالى بزمانه فى هذه الآية و
بمكانه فى قوله وانت حل بهذا البلد وبعمره فى قوله لعمرك فكانه قال وعصرك وبلدك
وعمرك وذلك كله كالظرف له فاذا وجب تعظيم الظرف فكيف حال المظروف **قال**

ووجه

و وجه القسم كان الله تعالى قال ما اعظم خسرانهم اذا اعرضوا عنك انتهى **النوع السادس**
فى وصف تعالى له عليه الصلاة والسلام بالنور والسراج المنير **اعلم** ان الله تعالى
قد وصف نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم بالنور فى قوله تعالى لقد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين **وقيل** المراد القرآن فوصفه عليه السلام بالسراج المنير فى قوله تعالى
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا
والمراد كونه هاديا مبينا كالسراج يرى الطريق ويبين الهدى والرشاد فبيانه اقوى
واتم وانفع من نور الشمس واذا كان كذلك وجب ان يكون نفسه القدسية اعظم فى النورانية
فكما ان الشمس فى عالم الاجسام تفيد النور لغيرها ولا تستفيد من غيرها فكذا نفس
النبى صلى الله عليه وسلم تفيد الانوار العقلية • لسائر النفوس البشرية • ولذلك وصف
الله الشمس بانها سراج حيث قال وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا • وكما وصف الله
تعالى رسوله بانه نور وصف نفسه المقدسة بذلك فقال الله نور السموات والارض
فليس فيهما نور الا الله ونوره القدسى هو سر الوجود والحياة والجمال والكمال وهو
الذى اشرق على العالم فاشرق على العوالم الروحانية وهم الملائكة فصارت سرجا
منيرة يستمد منها من دونها بجود الله ثم سرى النور الى عالم النفوس الانسانية
ثم طرحته النفوس على صفحات الجسوم فليس فى الوجود الا نور الله السارى الى
الشئ منه بقدر قبوله ووسع استعداده ورحب تلقيه والنور فى الاصل
كيفية يدركها الباصر اولا وبوساطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة
من النيرين الشمس والقمر على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح
اطلاقه على الله الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم وبمعنى منور السموات
والارض فانه تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار وبالملائكة والانبياء
من قولهم للرئيس الفائق فى التدبير نور القوم لانهم يهتدون به فى الامور **ويؤيد**
هذا التأويل قراءة على بن ابى طالب وزيد بن على وغيرهما نور فعلا ماضيا والارض
بالنصب وقوله مثل نوره اى مثل هداه سبحانه وتعالى واضاف النور الى السموات
والارض امادلاله على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضئ له السموات والارض
واما الارادة اهل السماء والارض وانهم يستضيئون به **وعن مقاتل** اى مثل الايمان
فى قلب محمد كمشكاة فيها مصباح فالمشكاة نظير صدر عبد الله والزجاجة
نظير جسد محمد صلى الله عليه وسلم والمصباح نظير الايمان والنبوة فى قلب محمد
وعن غيره المشكاة نظير ابرهيم والزجاجة نظير اسمعيل عليهما السلام والمصباح
جسد محمد صلى الله عليه وسلم والشجرة النبوة والرسالة **وعن ابى سعيد** الخراز

وافق عليه البيضاوى

قوله الذى هو فيه اى عصره حياته صلى الله عليه وسلم ودينه الذى فيه امته

المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعل الله
في قلب محمد صلى الله عليه وسلم وعن كعب بن جبير النور الثاني هنا محمد صلى الله عليه و
سلم وعن سهل بن عبد الله مثل نور محمد اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكاة
صفتها كذا وكذا واراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره اى كانه كوكب درى لما فيه
من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة اى من نور ابرهيم وضرب المثل بالشجرة
المباركة وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء اى تكاد نبوة محمد تبين للناس قبل كلامه
حكى هذا القول الاخير القاضي ابو الفضل اليحصبي والفخر الرازي لكنه عن كعب
الاحبار وعن الضحاك يكاد محمد ان يتكلم بالحكمة قبل الوحي قال عبد الله بن رواحة

لو لم تكن فيه ايات مبينة	كانت بديهته تنبيك بالخبر

لكن التفسير الاول في هذه الاية هو المختار لانه تعالى ذكر قبل هذه الاية ولقد انزلنا
اليك ايات مبينات فاذا كان المراد بقوله مثل نوره اى مثل هداه كان ذلك مطابقا
لما قبله واختلفوا في هذا التشبيه اهو مشبه جملة بجملة لا يقصد فيها الى تشبيه
جزء بجزء ومقابلة شيء بشيء او مما قصد به ذلك اى مثل نور الله الذي هو هداه
واتقان صنعة كل مخلوق وبراهينه الساطعة على الجملة كهذه الجملة من الذي
تتخذونها انتم على هذه الصفة التي هي ابلغ صفات النور الذي بين يدي الناس اى
مثل نور الله في الوضوح هذا الذي هو منتهى ما كم ايها البشر وقيل هو من التشبيه
المفصل المقابل جزء بجزء وقد رده على تلك الاقوال الثلاثة اى في مثل نوره
في محمد صلى الله عليه وسلم او في المؤمنين او في القرآن والايمان كمشكاة فالمشكاة هو
الرسول او صدره والمصباح هو النبوة وما يتصل بها من علمه وهداه والزجاجة
قلبه والشجرة المباركة الوحي والملائكة رسل الله اليه وشبه المفضل به بالزيت
وهو الحجج والايات التي تضمنها الوحي وعلى قول المؤمنين فالمشكاة صدره و
المصباح الايمان والعلم والزجاجة قلبه والشجرة القرآن وزيتها هي الحجج والحكمة
التي تضمنها وعلى قول الايمان والقرآن اى مثل الايمان والقرآن في صدر المؤمنين
في قلبه كمشكاة واما الضمير على قول المؤمنين في قراءة ابي المذكورة في بعض التفاسير
ففيه اشكال من حيث الافراد وعن ابي هو عائد على المؤمنين وفي قراءته مثل نور
المؤمنين وفي قراءة عنه مثل نور من امن به وعن الحسن يعود على القرآن والايمان
النوع السابع في ايات تتضمن وجوب طاعته واتباع سنته قال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله وقال تعالى واطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون وقال تعالى قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب

قوله واختلفوا الى قوله النوع السابع لم يوجد في نسخة شيخنا ولا في غالب النسخ فليحرر

الكافرين

الكافرين قال القاضي عياض فجعل طاعته طاعة رسوله وقرن طاعته بطاعته و
وعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب وقال تعالى من يطع
الرسول فقد اطاع الله يعني من اطاع الرسول لكونه رسولا مبلغا الى الخلق احكام
الله فهو في الحقيقة ما اطاع الا الله وذلك في الحقيقة لا يكون الا بتوفيق الله
ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا فان من اعماه عن الرشد واضله عن الطريق
فان احدا من الخلق لا يقدر على ارشاده وهذه الاية من اقوى الادلة على ان الرسول
معصوم في جميع الاوامر والنواهي وفي كل ما يبلغه عن الله فانه لو اخطأ في شيء منها
لم تكن طاعته طاعة الله وايضا وجب ان يكون معصوما في جميع افعاله لانه تعالى
امر بمتابعته في قوله واتبعوه والمتابعة عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير فثبت
ان الانقياد له في جميع اقواله وافعاله الا ما خصه الدليل طاعة له وانقياد لحكم
الله تعالى قال الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الاية وهذا عام في المطيعين
لله من اصحاب الرسول ومن بعدهم وعام في المعية في هذه الدار وان فاتت فيها
معية الابدان وقد ذكر في سبب نزول هذه الاية ان ثوبان مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه
يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي وجع غير اني اذا لم ارك اشتقتك
واستوحشت وحشة عظيمة حتى القاك فذكرت الاخرة بحيث لا اراك هناك
لاني ان دخلت الجنة فانت تكون في درجات النبيين واذا انا لم ادخل الجنة فلا اراك
ابدا فنزلت هذه الاية وذكر ابن ابي حاتم عن ابي الضحى عن مسروق قال اصحاب
محمد يا رسول الله ما ينبغي لنا ان نفارقك فانك لو قدمت لرفعت فوقنا
ولم نرك فانزل الله هذه الاية وذكر عن عكرمة مرسلا قال اتى فتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا نبي الله ان لنا منك نظرة في الدنيا ويوم القيمة لا نراك
فانك في الجنة في الدرجات العلى فانزل الله هذه الاية فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم انت معي في الجنة وذكر ايضا فيها روايات اخر تاتي ان شاء الله تعالى
في مقصد محبته عليه السلام لكن قال المحققون لا ننكر صحة هذه الروايات الا ان
سبب نزول هذه الاية يجب ان يكون شيئا اعظم من ذلك وهو الحث على الطاعة
والترغيب فيها فانا نعلم ان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ فهذه الاية
عامة في حق جميع المكلفين وهو ان كل من اطاع الله واطاع الرسول فقد فاز

وأولى الجمع اى الايات

قال م

بالدرجات العالية والمراتب الشريفة عنده تعالى ثم ان ظاهر قوله تعالى ومن
يطع الله والرسول انه يكفي الاكتفاء بالطاعة الواحدة لان اللفظ الدال على الصفة
يكفي في جانب الثبوت حصول ذلك المسمى مرة واحدة لكن لا بد ان يحمل على غير ظاهره
وان يحمل الطاعة على فعل المأمورات وترك جميع المنهيات اذ لو حملناه على الطاعة
الواحدة لدخل فيه الفساق والكفار لانهم قد يأتون بالطاعة الواحدة قال الرازي
قد ثبت في اصول الفقه ان الحكم المذكور عقب الصفة مشعر بكون ذلك الحكم معللا
بذلك الوصف واذا ثبت هذا فنقول قوله من يطع الله اي في كونه الها وطاعة الله
في كونه الها هي معرفته والاقرار بجلالته وعزته • وبجبروته وصمديته • فصارت
هذه الاية تنبيها على امرين عظيمين من احوال المعاد فالاول منشأ جميع السعادات
يوم القيمة اشراق الروح بانوار معرفة الله فكل من كانت هذه الانوار في قلبه اكثر
وصفاؤها اقوى كان الى السعادة اقرب والى الفوز بالنجاة اوصل والثاني ان الله
تعالى ذكر في الاية السابقة وعد اهل الطاعة بالاجر العظيم • والثواب الجسيم •
ثم ذكر في هذه الاية وعدهم بكونهم مع النبيين وليس المراد بكون من اطاع الله واطاع
الرسول مع النبيين والصديقين كون الكل في درجة واحدة لان هذا يقتضي التسوية
في الدرجة بين الفاضل والمفضول وذلك لا يجوز فالمراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن
كل واحد منهم من رؤية الاخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم
بعضا واذا ارادوا الرؤية والتلاقي قدروا على ذلك فهذا هو المراد من هذه المعية
وقد ثبت وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المرء مع من احب وثبت ايضا انه قال
ان بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا نزلتم منزلا الا وهم معكم حبسهم العذر
فالمعية والصحبة الحقيقية انما هي بالسر والروح لا بمجرد البدن فهي بالقلب لا بالقالب
ولهذا كان النجاشي معه صلى الله عليه وسلم ومن اقرب الناس اليه وهو بين النصارى
بارض الحبشة وعبد الله بن ابي من ابعد الخلق عنه وهو معه في المسجد وذلك ان العبد
اذا اراد بقلبه امرا من طاعة او معصية او شخصا من الاشخاص فهو بارادته ومحبته
معه لا يفارقه فالارواح تكون مع الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم
وبينها وبينهم من المسافة الزمانية والمكانية بعد عظيم وقال تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم هذه الاية الشريفة تسمى
اية المحبة قال بعض السلف ادعى قوم محبة الله فانزل الله اية المحبة قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني وقال يحببكم الله اشارة الى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها فدليلها
وعلامتها اتباع الرسول وفائدتها وثمرتها محبة المرسل لكم فما لم تحصل المتابعة

فلا محبة

فلا محبة لكم حاصلة ومحبته لكم منتفية فجعل سبحانه اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم
مشروطا بمحبتهم لله وشرطا لمحبة الله لهم ووجود المشروط ممتنع بدون وجود
تحقق شرطه فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء
المتابعة لرسوله وانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم فيستحيل حينئذ ثبوت
محبتهم لله وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدل على
ان متابعة الرسول هي حب الله ورسوله وطاعة امره ولا يكفي ذلك في العبودية حتى
يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما فلا يكون شيء احب اليه من الله ورسوله ومتى
كان عنده شيء احب اليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفر لصاحبه البتة ولا يهديه
الله قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من
الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره والله لا يهدي القوم
الفاسقين فكل من قدم طاعة احد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله او قول احد منهم
على قول الله ورسوله او مرضاة احد منهم على مرضاة الله ورسوله او خوف احد
منهم ورجاءه والتوكل عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه او معاملة احد منهم
على معاملة الله ورسوله فهو ممن ليس الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان قال
بلسانه فهو كذب منه واخبار بما ليس هو عليه انتهى ملخصا من كتاب المدارج وسيأتي
مزيد لذلك ان شاء الله تعالى في مقصد محبته عليه السلام وقال تعالى فامنوا بالله
ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون اي الى الصراط
المستقيم فجعل رجاء الاهتداء اثر الامرين الايمان بالرسول واتباعه تنبيها على
ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو في الضلالة فكل ما اتى به الرسول عليه السلام
يجب علينا اتباعه الا ما خصه الدليل وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله والنور الذي
انزلنا يعني القران فالايمان به صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم ايمان الا به
ولا يصح اسلام الا معه • قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين
سعيرا • وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية معناه فوربك
كقوله فوربك لنسألنهم اجمعين ولا مزيدة للتاكيد لمعنى القسم كما في لئلا يعلم ولا يؤمنون
جواب قسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة انه لا يؤمن احد حتى يحكم الرسول صلى الله
عليه وسلم في جميع اموره ويرضى بجميع ما حكم به وينقاد له ظاهرا وباطنا سواء كان الحكم
بما يوافق اهواءهم او يخالفها كما ورد في الحديث والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى
يكون هواه تابعا لما جئت به وهذا يدل على ان من لم يرض بحكم رسول الله صلى الله

عليه وسلم لا يكون مؤمنا وعلى انه لا بد من حصول الرضى بحكمه فى القلب وذلك بان يحصل
الجزم والتيقن فى القلب بأن الذى يحكم به عليه السلام هو الحق والصدق فلا بد من الانقياد
ظاهرا وباطنا وسيأتى مزيد بيان لذلك ان شاء الله تعالى فى مقصد محبته عليه الصلاة
والسلام ثم ان ظاهر الآية يدل على انه لا يجوز تخصيص النص بالقياس لانه يدل
على انه تجب متابعة قوله وحكمه وانه لا يجوز العدول عنه الى غيره وقوله ثم لا يجدوا
فى انفسهم حرجا مما قضيت مشعر بذلك لانه متى خطر بقلبه قياس يقتضى ضد مدلول
النص فهناك يحصل الحرج فى النفس فبين تعالى انه لا يكمل ايمانه الا بعد ان لا يلتفت
الى ذلك الحرج ويسلم الى النص تسليما كليا قاله الامام فخر الدين وجوز غيره تخصيص
الكتاب والسنة بالقياس وبه صرح العلامة التاج بن السبكى فى جمع الجوامع و
غيره النوع الثامن فيما يتضمن الادب معه صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله فمن الادب ان لا يتقدم بين يديه
بأمر ولا نهى ولا اذن ولا تصرف حتى يأمر هو وينهى ويأذن كما امر الله تعالى بذلك
فى هذه الآية وهذا باق الى يوم القيامة لم ينسخ فالتقدم بين يدى سنته بعد وفاته
كالتقدم بين يديه فى حياته لا فرق بينهما عند ذى عقل سليم قال مجاهد لا تفتاتوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء حتى يقضيه الله على لسانه وقال الضحاك
لا تقضوا امرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره لا تأمروا حتى يأمر ولا تنهوا
حتى ينهى وانظر ادب الصديق رضى الله عنه معه عليه الصلاة والسلام فى الصلاة اذ
تقدم بين يديه كيف تأخر وقال ما كان لابن ابى قحافة ان يتقدم بين يدى رسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف اورثه مقامه والامامة بعده فكان ذلك التأخر الى خلفه
وقد اومى اليه ان اثبت مكانك سعيا الى قدام بكل خطوة الى وراء مراحل الى قدام تنقطع
فيها اعناق المطى ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا ترفع الاصوات فوق صوته
صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض قال الرازى افاد انه ينبغى ان لا يتكلم
المؤمن عنده صلى الله عليه وسلم كما يتكلم العبد عند سيده لان العبد داخل فى قوله تعالى
كجهر بعضكم لبعض لانه للعموم فلا ينبغى ان يجهر المؤمن للنبى صلى الله عليه وسلم كما يجهر
العبد للسيد والا كان قد جهر له كما يجهر بعضكم لبعض قال ويؤيد ما ذكرناه قوله تعالى
النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم والسيد ليس اولى عند عبده من نفسه حتى لو كانا
فى مخمصة ووجد العبد ما لو لم يأكله لمات لا يجب عليه بذله لسيده ويجب البذل
للنبى صلى الله عليه وسلم ولو علم العبد ان بموته ينجو سيده لا يلزمه ان يلقى نفسه فى

التهلكة لانجاء سيده ويجب لانجاء النبى صلى الله عليه وسلم فكما ان العضو الرئيس
اولى بالرعاية من غيره لان عند خلل القلب مثلا لا يبقى لليدين والرجلين استقامة
فلو حفظ الانسان نفسه وترك النبى صلى الله عليه وسلم لهلك هو ايضا بخلاف
العبد والسيد انتهى واعلم ان فى الرفع والجهر استخفافا قد يؤدى الى الكفر المحبط
وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وروى ان ابا بكر رضى الله عنه
لما نزلت هذه الآية قال والله يا رسول الله لا اكلمك الا كاخى السرار وان عمر رضى الله
عنه كان اذا حدثه حدثه كاخى السرار ما كان يسمع النبى صلى الله عليه وسلم بعد هذه
الآية حتى يستفهمه وقد روى ان ابا جعفر امير المؤمنين ناظر مالكا فى مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك فى هذا المسجد
فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا
له بالقول كجهر بعضكم لبعض الآية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم
الآية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية وان حرمته ميتا
كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر واذا كان رفع الصوت فوق صوته موجبا
لحبوط الاعمال فما الظن برفع الآراء ونتايج الافكار على سنته وما جاء به
ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا يجعل دعاءه كدعاء بعضنا بعضا قال
تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وفيه قولان للمفسرين
احدهما انكم لا تدعونه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا بل قولوا يا رسول الله يا نبى
الله مع التوقير والتواضع فلعل هذا المصدر مضاف الى المفعول اى دعاءكم الرسول
والثانى ان المعنى لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضا ان شاء اجاب
ان شاء ترك بل اذا دعاكم لم يكن بد من اجابته ولم يسعكم التخلف عنها البتة فان المبادرة
الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة فعلى هذا المصدر مضاف الى الفاعل
اى دعاؤه اياكم وقد تقدم فى الخصائص من المقصد الرابع عن مذهب الشافعى
ان الصلاة لا تبطل باجابته صلى الله عليه وسلم ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم
انهم اذا كانوا معه على امر جامع من خطبة او جهاد او رباط لم يذهب احد مذهبا
فى حاجة له حتى يستأذنه كما قال تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله
واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه واذا كان هذا مذهبا
مقيدا بحاجة عارضة لم يوسع لهم فيه الا باذنه فكيف بمذهب مطلق فى تفاصيل
الدين اصوله وفروعه دقيقه وجليله هل يشرع الذهاب اليه بدون استيذانه
فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا يستشكل

والطريقة الانبياء فالظاهر وجوب الاجابة
مع بطلانها

قوله بل تستشكل الأرآء بقوله ولا يعارض نصه بقياس بل تهدر الأقيسة وتلقى
نصوصه ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال المخالف تسميه اصحابه معقولا نعم
هو مجهول • وعن الصواب معزول • ولا يوقف قبول ما جاء به على موافقة احد
فكل هذا من قلة الأدب معه وهو عين الجراءة ومن الأدب معه صلى الله عليه وسلم
كمال التسليم له والانقياد لامره وتلقى خبره بالقبول والتصديق دون ان
يحمله معارضة خيال باطل يسميه معقولا او يسميه شبهة او شكا او يقدم عليه
آراء الرجال وزبالات اذهانهم فيوحدا بالتحكيم والتسليم والانقياد والاذعان
كما وحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والانابة والتوكل فهما توحيدان
لا نجاة للعبد من عذاب الله الا بهما توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول
فلا يتحاكم الى غيره ولا يرضى بحكم غيره انتهى ملخصا من المدارج والقرآن مملوّ بالآيات
المرشدة الى الادب معه صلى الله عليه وسلم فلتراجع النوع التاسع في آيات
تتضمن ردّه تعالى بنفسه المقدسة على عدوه صلى الله عليه وسلم ترفيعا لشانه
قال الله تعالى ن • والقلم وما يسطرون • ما انت بنعمة ربك بمجنون • لما قال
المشركون يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون اجاب تعالى عنه عدوه
بنفسه من غير واسطة وهكذا سنة الأحباب • فان الحبيب اذا سمع من
يسب حبيبه تولى بنفسه منتصرا له جوابه فههنا تولى الحق سبحانه
جوابهم بنفسه منتصرا له • لان نصرته تعالى له اتم من نصرته • وارفع لمنزلته •
وردّه ابلغ من ردّه • واثبت في ديوان مجده • فاقسم تعالى بما اقسم به من عظيم
آياته • على تنزيه رسوله وحبيبه وخليله • مما غمصته اعداؤه الكفرة به •
وتكذيبهم له بقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون • وسيعلم اعداؤه المكذبون
له انهم المفتون هو لا هم وقد علموا هم والعقلاء ذلك في الدنيا ويزداد علمهم
في البرزخ وينكشف ويظهر كل الظهور في الآخرة بحيث يتساوى الخلق
كلهم في العلم به وقال تعالى وما صاحبكم بمجنون • ولما رأى العاصي بن وائل
السهمي النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند
باب بني سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل
العاص قالوا من ذا الذي كنت تتحدث معه قال ذلك الابتر يعني النبي صلى
الله عليه وسلم وكان قد توفي ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة
فردّ الله تعالى عليه وتولى جوابه بقوله ان شانئك هو الابتر اي عدوك
ومبغضك هو الذليل الحقير ولما قالوا افترى على الله كذبا قال الله

تعالى

قول

قوله بنفسه تعكيد للضمير في قوله ردّه

بالغين المعجمة والصاد المهملة والمراد بها هنا العيب

وهو ما بين الدنيا والآخرة

والابتر في الاصل هو من ليس له ذنب من جنسها او الذي لا يولد له

تعالى بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد • ولما قالوا
لست مرسلا اجاب الله تعالى عنه فقال تعالى يس • والقرآن الحكيم • انك لمن
المرسلين • ولما قالوا ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ردّ الله عليهم
فقال بل جاء بالحق وصدق المرسلين • فصدقه ثم ذكر وعيد خصمائه
فقال انكم لذائقوا العذاب الأليم • ولما قالوا ام يقولون شاعر نتربص
به ريب المنون ردّ الله عليهم بقوله • وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو
الا ذكر وقرآن مبين • ولما حكى الله عنهم قولهم ان هذا الا افك افتراه واعانه
عليه قوم آخرون سماهم الله تعالى كاذبين بقوله فقد جاؤ ظلما وزورا • قال
قل انزله الذي يعلم السر في السموات والأرض ولما قالوا يلقيه اليه الشيطان
قال الله تعالى وما تنزلت به الشياطين الآية ولما تلا عليهم نبأ الأولين قال
النضر بن الحارث لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين قال
الله تعالى تكذيبا لهم قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا
القرآن لا يأتون بمثله ولما قال الوليد بن المغيرة ان هذا الا سحر يؤثر •
ان هذا الا قول البشر • قال الله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول
الا قالوا ساحر او مجنون • تسلية له عليه السلام ولما قالوا محمد قلاه ربه
فردّ الله تعالى عليهم بقوله ما ودعك ربك وما قلى • ولما قالوا ما لهذا
الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق قال الله تعالى وما ارسلنا
قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ولما
حسدته اعداء الله اليهود على كثرة النكاح والزوجات وقالوا ما همته
الا النكاح ردّ الله تعالى عليهم عن رسوله ونافح عنه فقال ام يحسدون
الناس على ما آتيهم الله من فضله فقد آتينا آل ابرهيم الكتاب والحكمة
وآتيناهم ملكا عظيما • ولما استبعدوا ان يبعث الله رسولا من البشر بقولهم
الذي حكاه الله عنهم وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان
قالوا ابعث الله بشرا رسولا • وجهلوا ان التجانس يورث التوانس وان
التخالف يورث التباين قال الله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون
مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا • اي لو كانوا ملائكة لوجب
ان يكون رسلهم من الملائكة لكن لما كان اهل الارض من البشر وجب
ان يكون رسلهم من البشر فاجل هذه الكرامة وقد كانت الانبياء انما
يدافعون عن انفسهم ويردون على اعدائهم كقول نوح عليه السلام

تعالى

وهو احد الجبابرة في زمنه صلى الله عليه وسلم وكان شاعرا

اي دافع

والاستفهام انكاري

يا قوم ليس بي ضلالة وقول هود ليس بي سفاهة واشباه ذلك النوع العاشر في ازالة الشبهات عن ايات وردت في حقه عليه الصلاة والسلام متشابهات قال الله تعالى ووجدك ضالا فهدى • اعلم انه صلى الله عليه وسلم ما ضل لحظة واحدة قط وهل هو جائز عقلا على الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم قبل النبوة قالت المعتزلة هو غير جائز عقلا لما فيه من التنفير وعند اصحابنا انه جائز عقلا في العقول ثم يكرم الله من اراده بالنبوة الا ان الدليل السمعي قام على ان هذا الجائز لم يقع قال الله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى قاله الامام فخر الدين وقال الامام ابو الفضل اليحصبي في الشفاء والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار عن الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشاتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا نبئ واصطفى ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل ثم قال وقد استبان لك بما قررناه ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم عن الجهل بالله وصفاته او كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء مما قرره من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله وارسله قصدا او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا • ونظرا وبرهانا • وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر اجماعا • وعن الصغائر تحقيقا • وعن استدامة الغفلة والسهو واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح بما يجب لك ان تتلقاه باليمين • وتشد عليه يد الضنين • فان من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يأمن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه • ولا ينزهه عما لا يجوز ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار • اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرتهم مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك

فلو جوزنا

فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده من القربة والاباحة والحظر والمعصية انتهى واختلف في تفسير هذه الاية على وجوه كثيرة احدها اي وجدك ضالا عن معالم النبوة وهو مروي عن ابن عباس والحسن والضحاك وشهر بن حوشب ويؤيده قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب اي ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان قاله السمرقندي وقال بكر القاضي ولا الايمان الذي هو الفرائض والاحكام فقد كان عليه السلام قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فازداد بالتكليف ايمانا وسيأتي اخر هذا النوع مزيد لذلك ان شاء الله تعالى الثاني من معنى قوله تعالى ضالا ما روي مرفوعا مما ذكره الامام فخر الدين انه قال عليه الصلاة والسلام ضللت عن جدي عبد المطلب وانا صبي حتى كاد الجوع يقتلني فهداني الله الثالث يقال ضل الماء في اللبن اذا صار مغمورا فمعنى الاية كنت مغمورا بين الكفار بمكة فقواك الله حتى اظهرت دينه الرابع ان العرب تسمي الشجرة الفريدة في الفلاة ضالة كانه تعالى يقول كانت تلك البلاد كالمفازة ليس فيها شجرة تحمل ثمر الايمان بالله تعالى ومعرفته الا انت فانت شجرة فريدة في مفازة الجهل الخامس قد يخاطب السيد والمراد قومه اي ووجد قومك ضالين فهداهم بك وبشرعك السادس اي محبا لمعرفتي وهو مروي عن ابن عطاء والضحاك والضال المحب كما قال تعالى انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة ولم يريدوا ههنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا السابع اي وجدك ناسيا فذكرك وذلك ليلة المعراج بشيء ما يجب ان يقال بسبب الهيبة فهداه الله الى كيفية الثناء حتى قال لا احصي ثناء عليك الثامن اي وجدك بين اهل ضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم التاسع اي وجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر وهذا مروي عن الجنيد العاشر عن علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد ثم ما هممت بعدهما بشيء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى باعلاء مكة لو حفظت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت حتى اتيت اول دار من دور مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير فجلست انظر اليهم وضرب الله على اذني فنمت ما ايقظني الا مس الشمس ثم قلت ليلة اخرى مثل ذلك فضرب الله على اذني فما ايقظني الا مس الشمس ثم ما هممت بعدهما بسوء حتى اكرمني الله برسالته واما قوله تعالى • ووضعنا عنك وزرك • الذي انقض ظهرك • فقد احتج بها جماعة

من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين المجوزين للصغائر على الانبياء صلوات الله و
سلامه عليهم اجمعين وبظواهر كثيرة من القرأن والحديث ان التزموا ظواهرها
افضت بهم كما قال القاضى عياض الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به
مسلم فكيف وكلما احتجوا به مما اختلف المفسرون فى معناه وتقابلت الاحتمالات
فى مقتضاه وجاءت الاقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا
لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وكانت الدلالة على خطاء
قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح انتهى وقد اختلف فى هذه
الاية فقال اهل اللغة الاصل فيه ان الظهر اذا اثقله الحمل سمع له نقيض اى صوت
كصوت المحامل والرحال وهذا مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه و
سلم من اعباء وقيل المراد منه تخفيف اعباء النبوة التى يثقل الظهر القيام بامرها
وحفظ موجباتها والمحافظة على حقوقها فسهل الله تعالى ذلك وحط عنه
ثقلها بان يسرها عليه حتى تيسرت وقيل الوزر ما كان يكرهه من تغييرهم لسنة
الخليل عليه السلام وكان لا يقدر على منعهم الى ان قواه الله وقال له اتبع ملة ابرهيم
وقيل معناه عصمناك عن الوزر الذى انقض ظهرك لو كان ذلك الذنب حاصلا
فسمى العصمة وضعا مجازا ومن ذلك ما فى الحديث انه عليه السلام حضر وليمة فيها
دف ومزامير قبل البعثة فضربه الله على اذنه فما ايقظه الا حر الشمس من الغد وقيل
ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا لك ذلك وقيل معناه
خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى
انقض كاد ينقضه قال القاضى فيكون المعنى على من جعل ذلك قبل النبوة اهتمام
النبى صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها
اوزارا وثقلت عليه واشفق منها وقيل انها ذنوب امته صارت كالوزر
عليه فامنه الله تعالى من عذابهم فى العاجل بقوله وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم ووعده الشفاعة فى الاجل واما قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر فقال ابن عباس اى انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان وقال
بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اى انك مغفور لك وقيل المراد ما كان من سهو
وغفلة وتأويل حكاه الطبرى واختاره القشيرى وقيل ما تقدم لابيك ادم
وما تأخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندى والسلمى عن ابن عطاء وقيل المراد امته
وقيل المراد بالذنب ترك الاولى كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين وترك
الاولى ليس بذنب لان الاولى وما يقابله مشتركان فى اباحة الفعل وقال السبكى

قد تأملتها

تعظيم

قد تأملتها يعنى الاية مع ما قبلها وما بعدها فوجدتها لا تحتمل الا وجها واحدا و
هو تشريف النبى صلى الله عليه وسلم من غير ان يكون هناك ذنب ولكنه اريد ان يستوعب
فى الاية جميع انواع النعم من الله على عباده الاخروية وجميع النعم الاخروية
شيئان سلبية وهى غفران الذنوب وثبوتية وهى لا تتناهى اشار اليها بقوله ويتم
نعمته عليك وجميع النعم الدنيوية شيئان دينية اشار اليها بقوله ويهديك
صراطا مستقيما ودنيوية وهى قوله وينصرك الله نصرا عزيزا فانتظم بذلك
قدر النبى صلى الله عليه وسلم باتمام انواع نعم الله تعالى عليه المتفرقة فى غيره ولهذا
جعل ذلك غاية الفتح المبين الذى عظمه وفخمه باسناده اليه بنون العظمة وجعله
خاصا بالنبى صلى الله عليه وسلم بقوله لك وقد سبق الى نحو هذا ابن عطية فقال
وانما معنى هذا التشريف بهذا الحكم ولم تكن ذنوب البتة ثم قال وعلى تقدير الجواز
لا شك ولا ارتياب انه لم يقع منه صلى الله عليه وسلم وكيف يتخيل خلاف ذلك وما
ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى واما الفعل فاجماع الصحابة على اتباعه و
التاسى به فى كل ما يفعله من قليل او كثير لم يكن عندهم فى ذلك توقف ولا بحث حتى
اعماله فى السر والخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها علم بهم او لم يعلم ومن تأمل
احوال الصحابة معه صلى الله عليه وسلم استحيى من الله ان يخطر بباله خلاف ذلك انتهى
واما قوله تعالى يا ايها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فلا مرية انه صلى
الله عليه وسلم اتقى الخلق والامر بالشئ لا يكون الا عند عدم اشتغال المأمور
بالمأمور به اذ لا يصلح ان يقال للجالس اجلس ولا للساكت اسكت ولا يجوز
عليه ان لا يبلغ ولا ان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا ان يطيع الكافرين والمنافقين
حاشاه الله من ذلك وانما امره الله تعالى بتقوى توجب استدامة الحضور
واجاب بعضهم عن هذا ايضا بانه صلى الله عليه وسلم كان يزداد علمه ومرتبته حتى
كان حاله عليه السلام فيما مضى بالنسبة الى ما هو فيه تركا للافضل فكانه فى كل ساعة
تقوى تتجدد وقيل المراد دم على التقوى فانه يصح ان يقال للجالس اجلس هنا الى ان اتيك
وللساكت قد اصبت فاسكت تسلم اى دم على ما انت عليه وقيل الخطاب مع النبى
صلى الله عليه وسلم والمراد امته ويدل عليه قوله تعالى ان الله كان بما تعملون خبيرا ولم يقل
بما تعمل واما قوله فلا تطع المكذبين فاعلم انه تعالى لما ذكر ما عليه الكفار فى امره صلى
الله عليه وسلم ونسبته الى ما نسبوه اليه مع ما انعم الله به عليه من الكمال فى امر الدين
والخلق العظيم اتبعه بما يقوى قلبه ويدعوه الى التشدد مع قومه وقوى قلبه بذلك
مع قلة العدد وكثرة الكفار فان هذه السورة من اوائل ما نزل فلا تطع المكذبين

والمراد رؤساء الكفار من اهل مكة وذلك انهم دعوه الى دينهم فنهاه الله ان
يطيعهم وهذا من الله تهييج للتشديد فى مخالفتهم وأما قوله تعالى فان كنت فى
شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الآية فاعلم ان
المفسرين اختلفوا فيمن المخاطب بهذا فقال قوم المخاطب النبى صلى الله عليه وسلم
وقال آخرون المخاطب غيره فاما من قال بالاول فاختلفوا على وجوه الاول ان
الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الظاهر والمراد غيره كقوله تعالى اذا طلقتم
النسآء وكقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وكقوله لعيسى بن مريم عليهما السلام
ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله ومثل هذا معتاد فان
السلطان اذا كان له امير وكان تحت راية ذلك الامير جمع فاذا اراد ان
يأمر الرعية بامر مخصوص فانه لا يوجه خطابه اليهم بل يوجهه الى ذلك الامير
ليكون ذلك اقوى تأثيرا فى قلوبهم الثانى قال الفرآء علم الله تعالى ان رسوله صلى
الله عليه وسلم غير شاك ولكن هذا كما يقول الرجل لولده ان كنت ابنى فبرنى ولعبده
ان كنت عبدى فاطعنى الثالث انه يقال لضيق الصدر شاك يقول ان ضقت
ذرعا بما تعانى من تعبهم واذاهم فاصبر واسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك
كيف صبر الانبياء على اذا قومهم وكيف كان عاقبة امرهم من النصر فالمراد تحقيق ذلك
والاستشهاد بما فى الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق لما فيه او تهييج الرسول
عليه السلام وزيادة تنبيه او يكون على سبيل الفرض والتقدير لا امكان وقوع الشك
له ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية والله لا اشك ولا اسأل واما
الوجه الثانى وهو ان المخاطب غيره صلى الله عليه وسلم فتقريره ان الناس كانوا فى زمانه
صلى الله عليه وسلم فرقا ثلاثة المصدقون به والمكذبون له والمتوقفون فى امره الشاكون
فيه فخاطبهم الله بهذا الخطاب فقال فان كنت فى شك ايها الانسان مما انزلنا
اليك من الهدى على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم فاسئل اهل الكتاب ليدلوك
على صحة نبوته وهذا مثل قوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ويا ايها الانسان
انك كادح واذا مس الانسان ضر فان المراد بالانسان هنا الجنس لا انسان بعينه
فكذا هنا ولما ذكر الله تعالى لهم ما يزيل ذلك الشك عنهم حذرهم من ان يلحقوا
بالقسم الثانى وهم المكذبون فقال ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من
الخاسرين وقوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن
من الممترين ۝ اى فى انهم لا يعلمون ذلك او يكون المراد قل لمن امترى يا محمد لا تكونن من
الممترين وانه صلى الله عليه وسلم يخاطب غيره وقيل غير ذلك واما قوله تعالى

فلوشاء

اى ليس المراد خصوص المخاطب بل كل من طلق وكذلك
قوله لعيسى عليه السلام ليس المراد خصوص
عليه السلام

وان هنا للتحقيق سواء كان فى جانب النفى او الاثبات
وان كان الاصل فيها ان يكون للشك فى الوقوع
اى انت ابنى وبرنى وانت عبدى واطعنى وفى الاية
معناه ما انت فى شك

ولو شآء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين فقال القاضى عياض لا يلتفت
الى من قال لا تكونن ممن يجهل ان الله تعالى لو شآء لجمعهم على الهدى اذ فيه اثبات الجهل
بصفة من صفات الله وذلك لا يجوز على الانبيآء والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا
فى امورهم بسمات الجاهلين وليس فى الآية دليل على كونه على تلك الصفة التى نهاه عن الكون
عليها فامره صلى الله عليه وسلم بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يخرج عن ذلك فيقارب
حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامته عليه السلام
اى فلا يكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد مكى قال ومثله فى القرآن كثير وكذلك قوله تعالى
وان تطع اكثر من فى الارض فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا وقوله تعالى ان
يشأ الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبه ذلك فالمراد غيره وان
هذه حال من اشرك والنبى صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا والله تعالى ينهاه عما يشآء
ويأمره بما يشآء كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية وما طردهم عليه السلام
وما كان من الظالمين واما قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين ۝ فليس بمعنى قوله
والذين هم عن آياتنا غافلون وانما المعنى لمن الغافلين عن قصة يوسف اذ لم تخطر ببالك
ولم تقرع سمعك قط فلم تعلمها الا بوحينا وأما قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله الآية فمعناه يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم
والنزغ ادنى حركة تكون كما قاله الزجاج فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه
او رام الشيطان من اغوائه به وخواطر ادنى وساوسه مما لم يجعل له سبيل اليه
ان يستعيذ به تعالى منه فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر
من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان فى صورة الملك
ويلبس عليه لا فى اول الرسالة ولا بعدها بل لا يشك النبى ان من يأتيه من الله هو الملك
ورسوله حقيقة اما بعلم ضرورى يخلقه الله له او ببرهان يظهره لديه كما قدمته فى
المقصد الاول عند البعثة لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته واما قوله
تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته
فاحسن ما قيل فيها ما عليه جمهور المفسرين ان التمنى المراد به هنا التلاوة والقاء
الشيطان فيها اشتغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالى حتى يدخل عليه الوهم
والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين من التحريف وسوء التأويل
ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم آياته قاله القاضى عياض وقد تقدم فى
المقصد الاول مزيد لذلك قال فى الشفاء واما قوله عليه السلام حين نام عن الصلاة يوم
الوادى ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان

وهو مأخوذ من ضيق وهو النهى ان لا يكون
من الجاهلين

اى وينتهى به ذلك الى علم ضرورى

الآية

اى تذكير

بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه
كما يهدى الصبى حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان فى ذلك الوادى انما كان على بلال
الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم
عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادى وعلة لترك الصلاة
به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به فى هذا الباب لبيانه و
ارتفاع اشكاله قال واما قوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى الايات فليس فيها
اثبات ذنب له عليه الصلاة والسلام بل اعلام الله تعالى ان ذلك المتصدى له ممن
لا يتزكى وان الصواب والاولى كان لو كشف له حال الرجلين لاختار الاقبال على الاعمى
وفعل النبى صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا
عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية ولا مخالفة له وما قصه الله عليه من
ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله
وما عليك الا يزكى اى ليس عليك بأس فى ان لا يتزكى بالاسلام اى لا يبلغن بك
الحرص على اسلامهم ان تعرض عمن اسلم بالاشتغال بدعوتهم ان عليك الا البلاغ
وقد كان ابن ام مكتوم يستحق التأديب والزجر لانه وان فقد بصره كان يسمع
مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لاولئك الكفار وكان يعرف بواسطة استماع تلك
الكلمات شدة اهتمامه عليه الصلاة والسلام بشانهم فكان اقدامه على قطع كلامه
عليه الصلاة والسلام ايذاء له عليه الصلاة والسلام وذلك معصية عظيمة فثبت
ان فعل ابن ام مكتوم كان ذنبا ومعصية وان الذى فعله الرسول صلى الله عليه وسلم
كان هو الواجب المتعين وقد كان عليه الصلاة والسلام مأذونا له فى تأديب اصحابه
لكن ابن ام مكتوم بسبب عماه استحق مزيد الرفق واما قوله تعالى عفا الله عنك لم
اذنت لهم الاية فروى ابن ابى حاتم عن مشعر عن عون قال هل سمعتم بمعاتبة احسن من
هذا ابدأ بالعفو قبل المعاتبة وكذا قال مورق العجلى وغيره وقال قتادة عاتبه كما تسمعون
ثم انزل الذى فى سورة النور فرخص له فى ان يأذن لهم ان شاء فقال تعالى فاذا استأذنوك
لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم ففوض الامر الى رأيه عليه الصلاة والسلام وقال
عمرو بن ميمون اثنتان فعلهما الرسول صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بشىء فيهما اذنه للمنافقين
واخذه الفداء من الاسرى فعاتبه الله كما تسمعون واما قول بعضهم ان هذه الاية
تدل على انه وقع من الرسول ذنب لانه تعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعى سابقة
ذنب وقول الاخر لم اذنت لهم استفهام بمعنى الانكار فاعلم انا لا نسلم ان قوله
تعالى عفا الله عنك يوجب ذنبا ولم لا يقال ان ذلك يدل على مبالغة الله تعالى فى

توقيره

اى ان اخذنا بمقتضى ظاهره

اى ان اخذنا بمقتضى ظاهره فما زال يهديه كما يهدى الصبى امه والدواية

قوله كان ذنبا ومعصية فيه تامل لانه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم ما قصد الا نصح قريش ومالكم كان اذا دخل عليه ابن ام مكتوم يقول له مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى فليحرر

توقيره وتعظيمه كما يقول الرجل لغيره اذا كان عظيما عنده عفا الله عنك فيما صنعت
فى امرى ورضى عنك ما جوابك عن كلامى وعافاك الله الا عرفت حقى فلا يكون غرضه
من هذا الكلام الا زيادة التبجيل والتعظيم وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال صلى الله
عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اى لم يلزمهم ذلك و
نحوه للقشيرى كما قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال
معنى عفا الله عنك اى لم يلزمك ذنبا واما الجواب عن الثانى فيقال اما ان يكون صدر من
الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب ام لا فان قلنا لا امتنع على هذا التقدير ان يكون قوله لم اذنت
لهم انكارا عليه وان قلنا انه قد صدر عنه ذنب وحاشاه الله من ذلك فقوله عفا الله عنك
يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه فثبت انه على جميع
التقادير يمتنع ان يقال ان قوله لم اذنت لهم يدل على كون الرسول مذنبا وهذا جواب
شاف كاف قاطع وعلى هذا يحمل قوله لم اذنت لهم على ترك الاولى والاكمل بل لم يعد
هذا اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى هذا قال نفطويه ذهب ناس من اهل العلم
الى ان النبى صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما
اذن لهم اعلمه الله انه لو لم يأذن لهم لقعدوا النفاقهم وانه لا حرج عليه فى الاذن لهم واما
قوله تعالى فى اسارى بدر ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض تريدون
عرض الدنيا والله يريد الاخرة الى قوله عظيم فروى مسلم من افراده من حديث عمر بن
الخطاب رضى الله تعالى عنه قال لما هزم الله المشركين يوم بدر وقتل منهم سبعون
واسر سبعون استشار النبى صلى الله عليه وسلم ابا بكر وعمر وعليا فقال ابو بكر يا رسول
الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان وانى ارى ان تأخذ منهم الفدية فيكون
ما اخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى ان يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت والله ما ارى ما
رأى ابو بكر ولكن ارى ان تمكننى من فلان قريب لعمر فاضرب عنقه وتمكن عليا
من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان اخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله انه
ليس فى قلوبنا هوادة للمشركين فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر
ولم يهو ما قلت فأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد غدوت الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاذا هو قاعد وابو بكر الصديق وهما يبكيان فقلت يا رسول الله
اخبرنى ماذا يبكيك انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد
تباكيت فقال النبى صلى الله عليه وسلم ابكى للذى عرض على اصحابك من الفداء
لقد عرض على عذابكم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة فانزل الله تعالى ما كان

وهو ان الاستفهام انكارى

وهى التى لم يروها الا من طريق واحد ويحتمل ان المراد ما انفرد به عن البخارى والاول اوفق

اى اين

لنبيّ ان يكون له أسرى حتى يثخن في الارض الى قوله عظيم وقوله حتى يثخن في الارض
اى يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولى اهله
وليس في هذا الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين
سائر الانبياء عليهم السلام فكأنه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه الصلاة و
السلام احلت لى الغنايم ولم تحل لنبى قبلى واما قوله تعالى تريدون عرض الدنيا فقيل
المراد بالخطاب من اراد منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها
وليس المراد بهذا النبى صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روى عن الضحاك انها نزلت
حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال
حتى خشى عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما
أخذتم عذاب عظيم فاختلف المفسرون في معنى هذه الآية فقيل معناها لولا ان
سبق منى ان لا اعذب احدا الا بعد النهى لعذبتكم فهذا ينفى ان يكون امر الاسرا
معصية وقيل لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم
على الغنايم وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم وهذا كله
ينفى الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص الله تعالى فكلوا مما غنمتم
حلالا طيبا وقيل بل كان عليه الصلاة والسلام قد خير في ذلك وقد روى عن علي
قال جاء جبريل عليه الصلاة والسلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال
خير اصحابك في الأسارى ان شاؤا القتل وان شاؤا الفداء على ان يقتل منهم العام المقبل
مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على انهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه
لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا
على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا
مذنبين قال القاضي بكر بن العلاء اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ان
تأويله وافق ما كتبه لهم من احلال الغنايم والفداء وقد كان قبل هذا فادى في سرية
عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله
ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه
وسلم في شأن الأسارى كان على تأويل وبصيرة على ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليه
لكن الله تعالى اراد تعظيم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته
بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب
قال القاضي عياض واما قوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا
اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الآية فالمعنى لولا ان ثبتناك لقاربت

ويشكل على هذا بما وقع منه صلى الله عليه وسلم وقوله
لقد عرض علي عذابكم الى اخر حد

ان يميل الى اتباع مرادهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب فضلا عن ان تركن
اليهم وهو صريح في انه صلى الله عليه وسلم ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها للعصمة
بتوفيق الله وحفظه ولو قاربت لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اى
ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطر الخطير اخطر وقد اعاذه
الله من الركون الى اعدائه بذرة من قلبه ومما يعزى للحريرى مما يؤيد ذلك قوله

نحوى هذا العصر ما هي لفظة	جرت في لساني جرهم وثمود
اذا استعملت في صورة الجحد اثبتت	وان اثبتت قامت مقام جحود

وفسر الاول وهو النفي المثبت بنحو فذبحوها وما كادوا يفعلون وقد فعلوا والثاني
وهو الثبوت المنفي بنحو قوله تعالى لقد كدت تركن اليهم قالوا وهو صلى الله عليه وسلم
ثبت قلبه ولم يركن واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين
ثم لقطعنا منه الوتين فالمعنى لو افترى علينا بشيء من عند نفسه لاخذنا بيمينه
وقطعنا نياط قلبه واهلكناه وقد اعاذه الله من التقول عليه فان قلت لا مرية
انه يعفى للمحب ولصاحب المحاسن والاحسان العظيم ما لا يعفى لغيره ويسامح بما لا يسامح غيره كما قال الشاعر

واذا الحبيب اتى بذنب واحد	جاءت محاسنه بالف شفيع

ولا شك ان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الحبيب الاعظم ذو المحاسن والاحسان
الاكبر فما هذه العقوبة المضاعفة والتهديد الشديد الواردان وقع منه ما يكره
وكم من راكن الى اعدائه ومتقول عليه من قبل نفسه لم يعبأ به كارباب البدع ونحوهم
فالجواب انه لا تنافى بين الامرين فان من كملت عليه نعمة الله واختصه منها بما لم يخص
به غيره واعطاه منها ما لم يعط غيره فحباه بالانعام وخصه بمزيد القرب والاكرام
اقتضت حاله من حفظ مرتبة القرب والولاية والاختصاص ان تراعى مرتبته
من ادنى مشوش وقاطع فلشدة الاعتناء به ومزيد تقريبه واتخاذه لنفسه و
اصطفائه على غيره يكون حقوق وليه وسيده عليه اتم ونعمه عليه اكمل فالمطلوب منه
فوق المطلوب من غيره فهو اذا غفل واخل بمقتضى مرتبته نبه بما لم ينبه عليه
البعيد مع كونه يسامح بما لم يسامح به ذلك ايضا فيجتمع في حقه الامران واذا
اردت معرفة اجتماعهما وعدم تناقضهما فالواقع شاهد بذلك فان الملك يسامح
خاصته واولياءه بما لا يسامح به من ليس في منزلتهم ويؤاخذهم بما لم يؤاخذ به غيرهم
وانت اذا كان لك عبدان او ولدان احدهما احب اليك من الآخر واقرب الى قلبك
واعز عليك عاملته بهذين الامرين واجتمع في حقه المعاملتان بحسب قربه منك
وحبك له وعزته فاذا نظرت الى كمال احسانك اليه واتمام نعمك عليه اقتضت

معاملته بما لا تعامل به من دونه من التنبيه وعدم الاهمال واذا نظرت الى محبته
لك وطاعته وخدمته وكمال عبوديته ونصحه وهبت له وسامحته و
وعفوت عنه بما لا تفعله مع غيره فالمعاملتان بحسب ما بينك وبينه و
قد ظهر اعتبار هذا المعنى في الشرع حيث جعل حد من انعم عليه بالتزويج اذا تعداه
الى الزنا الرجم وحد من لم يعطه هذه النعمة الجلد وكذلك ضاعف الحد على الحر
الذي قد ملك نفسه واتم عليه نعمته ولم يجعله مملوكا لغيره وجعل حد العبد
المنقوص بالرق الذي لم تحصل له هذه النعمة نصف ذلك فسبحان من بهرت حكمته في خلقه

فلله سر تحت كل لطيفة	فاخو البصائر غائص يتعقل

انتهى ملخصا واما قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فقيل
معناه ما كنت تدري الايمان على التفصيل الذي شرع لك في القرآن وقال
ابو العالية هو بمعنى الدعوة الى الايمان لانه كان قبل الوحي لا يقدر ان يدعو الى
الايمان بالله تعالى وقيل معناه انه ما كان يعرف الايمان حين كان في المهد وقبل
البلوغ رواه الماوردي والواحدي والقشيري وقيل انه من باب حذف المضاف اي
ما كنت تدري اهل الايمان اي من الذي يؤمن ابو طالب او العباس او غيرهما وقيل
المراد به شرائع الايمان ومعالمه وهي كلها ايمان وقد سمى الصلاة ايمانا بقوله
وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس فيكون اللفظ عاما
والمراد الخصوص قاله ابن قتيبة وابن خزيمة واشتهر في الحديث انه صلى الله عليه وسلم
كان يوحد الله ويبغض الاوثان ويحج ويعتمر وروى ابو نعيم وابن عساكر عن علي قال
قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا فهل شربت خمرا قط
قال لا وما زلت اعرف ان الذي هم عليه كفر وما كنت ادري ما الكتاب ولا الايمان
وعن عائشة كانت قريش ومن دان دينها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون
نحن اهل الحرم رواه الشيخان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية
يقف بعرفات دونهم توفيقا من الله رواه البيهقي وابو نعيم من حديث جبير بن
مطعم وقد ورد ان العرب لم يزالوا على بقايا من دين اسماعيل كحج البيت والختان
والغسل من الجنابة وكان عليه الصلاة والسلام لا يقرب الاوثان ويعيبها
ولا يعرف شرائع الله التي شرعها لعباده على لسانه فذلك قوله تعالى ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الايمان ولم يرد الايمان الذي هو الاقرار بالله لان آباءه الذين ماتوا
على الشرك كانوا يؤمنون بالله ويحجون مع شركهم انتهى والله اعلم **المقصد**
السابع في وجوب محبته واتباع سنته والاهتداء بهديه وطريقته وفرض

محبة آله واصحابه وقرابته وعترته وحكم الصلاة والتسليم عليه زاده الله
فضلا وشرفا لديه وفيه ثلاثة فصول **الاول** في وجوب محبته واتباع سنته والاقتدا
بهديه وسيرته صلى الله عليه وسلم **فاعلم** ان المحبة كما قال صاحب المدارج هي
المنزلة التي يتنافس فيها المتنافسون واليها يشخص العاملون والى علمها شمر
السابقون وعليها تفانى المحبون وبروح نسيمها تروح العابدون فهي قوت
القلوب وغذاء الارواح وقرة العيون وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة
الاموات والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات والشفاء الذي من عدمه
حلت بقلبه جميع الاسقام واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم والام
وهي روح الايمان والاعمال والمقامات والاحوال التي متى خلت منها فهي
كالجسد الذي لا روح فيه تحمل اثقال السائرين الى بلد لم يكونوا الا بشق الانفس
بالغيه وتوصلهم الى منازل لم تكونوا ابدا بدونها واصليها وتبوؤهم من مقاعد
الصدق الى مقامات لم يكونوا لولا هي داخليها وهي مطايا القوم التي سراهم
في ظهورها دائما الى الحبيب وطريقهم الاقوم الذي يبلغهم الى منازلهم
الاولى من قريب تالله لقد ذهب اهلها بشرف الدنيا والآخرة اذ لهم من معية
محبوبهم اوفر نصيب وقد قدر الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته
البالغة ان المرء مع من احب فيالها من نعمة على المحبين سابغة لقد سبق
القوم السعادة وهم على ظهور الفرش نائمون ولقد تقدموا الركب بمراحل وهم في سيرهم واقفون

من لي بمثل سيرك المدلل	تمشي رويدا وتجي في الاول

اجابوا مؤذن الشوق اذ نادى بهم حي على الفلاح وبذلوا انفسهم في طلب
الوصول الى محبوبهم وكان بذلهم بالرضى والسماح وواصلوا اليه المسير بالادلاج
والغدو والرواح ولقد حمدوا عند الوصول مسراهم وانما يحمد القوم السرى
عند الصباح وقد اختلفوا في المحبة وعباراتهم وان كثرت فليست في
الحقيقة ترجع الى اختلاف مقال وانما هي اختلاف احوال واكثرها يرجع الى
ثمرتها دون حقيقتها وقد قال بعض المحققين حقيقة المحبة عند اهل المعرفة
من المعلومات التي لا تحد وانما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه
وهذا كقول صاحب مدارج السالكين تبعا لغيره المحبة لا تحد بحد اوضح
منها فالحدود لا تزيدها الا خفاء وجفاء فحدها وجودها ولا توصف
المحبة بوصف اظهر من المحبة وانما يتكلم الناس في اسبابها وموجباتها
وعلاماتها وشواهدها وثمراتها واحكامها فحدودهم ورسومهم دارت

على هذه السّتة وتنوعت بهم العبارات وكثرت الاشارات بحسب الادراك
والمقام والحال وقد وضعوا لمعناها حرفين مناسبين للمسمّى غاية المناسبة
الحاء التى هى من اقصى الحلق والباء الشفهية التى هى نهايته فللحاء الابتداء
وللباء الانتهاء وهذا شان المحبة وتعلقها بالمحبوب فابتداؤها منه وانتهاؤها اليه • واعطوا الحبّ حركة الضم التى هى اشد الحركات واقواها مطابقة
لشدة حركة مسمّاه وقوتها واعطوا الحِبّ وهو المحبوب حركة الكسرة
لخفتها من الضمة وخفة المحبوب وذكره على قلوبهم والسنتهم فتامل هذا
اللطف والمناسبة العجيبة بين الالفاظ والمعانى تطلعك على قدر هذه
اللغة وان لها شانا ليس لسائر اللغات وهذه بعض رسوم وحد وقيلت
فى المحبة بحسب اثارها وشواهدها والكلام على ما يحتاج الى الكلام منها
فمنها موافقة الحبيب فى المشهد والمغيب وهذا موجبها ومقتضاها
ومنها محو المحب لصفاته واثبات الحِبّ لذاته وهذا من احكام الفناء
فى المحبة وهو ان تمحى صفات المحب وتفنى فى صفات محبوبه وذاته وهذا
يستدعى بيانا اتم من هذا لا يدركه الا من افناه وارد المحبة عنه واخذه
منه ومنها استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وهو
لابى يزيد وهو ايضا من احكامها وموجباتها وشواهدها والمحب الصادق
لو بذل لمحبوبه جميع ما يقدر عليه لاستقله واستحيى منه ولو ناله من محبوبه
ايسر شئ لاستكثره واستعظمه ومنها استكثار القليل من جنايتك واستقلال
الكثير من طاعتك وهو قريب من الاول لكنه مخصوص بما من المحب ومنها معانقة
الطاعة ومباينة المخالفة وهو لسهل بن عبد الله وهو ايضا حكم المحبة وموجبها
ومنها ان تهب كلك لمن احببت فلا يبقى لك منك شئ وهو لسيدنا ابى عبد الله
القرشى وهو ايضا من موجبات المحبة واحكامها والمراد ان تهب ارادتك وعزمك
وافعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه وتجعلها حبسا فى مرضاته
ومحابه ولا تاخذ منها لنفسك الا ما اعطاكه فتاخذه منه له ومنها ان تمحو
من القلب ما سوى المحبوب وكمال المحبة يقتضى ذلك فانه ما دامت فى القلب
بقية لغيره فالمحبة مدخولة ومنها ان تغار على المحبوب ان يحبه غيرك مثلك وهو
للشبلى ومراده احتقارك لنفسك واستصغارك ان يكون مثلك ممن يحبه ومنها
غض طرف المحب عما سوى المحبوب غيرة وعن المحبوب هيبة وهذا يحتاج الى
ايضاح اما الاول فظاهر واما الثانى فان غض طرف القلب عن المحبوب مع كمال

وهو المحبة

المحب يمحو

وهذا من رسوم البسطامي

اى الدوام عليها

ويسكن لغيره

محبة

محبة كالمستحيل ولكن عند استيلاء سلطان المحبة يقع مثل هذا وذلك من علامات
المحبة المقارنة للهيبة والتعظيم ومنها ميلك الى الشئ بكليتك ثم ايثارك له على
نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك فى حبه
قال الجنيد سمعت الحرث المحاسبى يقول ذلك ومنها سكر لا يصحو صاحبه الا
بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذى يحصل عند المشاهدة لا يوصف وانشد بعضهم

فاسكر القوم دور الكاس بينهم	لكن سكرى نشا من رؤية الساقى

ومنها سفر القلب فى طلب المحبوب ولهج اللسان بذكره على الدوام اما سفر القلب فى
طلبه فهو الشوق الى لقائه واما لهج اللسان بذكره فلا ريب ان من احب شيئا اكثر من ذكره
ومنها الميل الى ما يوافق الانسان كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة وغير ذلك
من الملاذ التى لا يخلو كل طبع سليم عن الميل اليها لموافقتها او لاستلذاذها بادراكه
بحاسته او يكون حبه لذلك لموافقته له من احسن اليه كما رواه ابو نعيم فى الحلية
وابو الشيخ وغيرهما واذا كان الانسان يحب من منحه فى دنياه مرة او مرتين معروفا فانيا
منقطعا او استنقذه من هلكة او مضرة لا تدوم فما بالك من منحه منحا لا تبيد و
لا تزول • ووقاه من العذاب الاليم ما لا يفنى ولا يحول • واذا كان المرء يحب غيره على ما
فيه من صورة جميلة • وسيرة حميدة • فكيف بهذا النبى الكريم • والرسول العظيم •
الجامع لمحاسن الاخلاق والتكريم • المانح لنا جوامع المكارم والفضل العميم •
ولقد اخرجنا الله به من ظلمات الكفر الى نور الايمان • وخلصنا به من نار الجهل
الى جنات المعارف والايقان • فهو السبب لبقاء مهجنا البقاء الابدى • فى النعيم
السرمدى • فاى احسان اجل قدرا • واعظم خطرا • من احسانه الينا • فلا منة
وحياته لاحد بعد الله كماله علينا • ولا فضل لبشر كفضله لدينا • فكيف ننهض
ببعض شكره • او نقوم من واجب حقه • بمعشار عشره • فقد منحنا الله به
منح الدنيا والاخرة واسبغ علينا نعمه باطنة وظاهرة فاستحق ان يكون حظه
من محبتنا له اوفى وازكى من محبتنا لانفسنا واولادنا واهلينا واموالنا
اجمعين • بل لو كان فى كل منبت شعرة منا محبة تامة له • صلوات الله وسلامه عليه
لكان ذلك بعض ما يستحقه علينا وقد روى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم
قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده رواه البخارى وقدم الوالد
للاكثرية لان كل احد له والد من غير عكس وفى رواية النسائى تقديم الولد على الوالد
وذلك لمزيد الشفقة وزاد فى رواية عبد العزيز بن صهيب عن انس والناس اجمعين
وفى صحيح ابن خزيمة من اهله وماله بدل من والده وولده وذكر الوالد والولد ادخل فى المعنى

لانهما اعز على العاقل من الاهل والمال بل ربما يكونان اعز من نفسه ولذلك لم يذكر
النفس في حديث ابي هريرة وذكر الناس بعد الوالد والولد من عطف العام على الخاص
قال الخطابي والمراد بالمحبة هنا حب الاختيار لا حب الطبع وقال النووي فيه
تلميح الى قضية النفس الامارة والمطمئنة فان من رجح جانب المطمئنة كان حب
النبي صلى الله عليه وسلم راجحا ومن رجح جانب الامارة كان حكمه بالعكس وفي كلام
القاضي عياض ان ذلك شرط في صحة الايمان فانه حمل المحبة على معنى التعظيم و
الاجلال وتعقبه صاحب المفهم بان ذلك ليس مرادا هنا لان اعتقاد الاعظمية ليس
مستلزما للمحبة اذ قد يجد الانسان اعظام شئ مع خلوه من محبته قال فعلى هذا من
لم يجد من نفسه ذلك الميل لم يكمل ايمانه والى هذا يومي قول عمر في الحديث الذي رواه البخاري
في الايمان والنذور من حديث عبد الله بن هشام ان عمر بن الخطاب قال للنبي صلى
الله عليه وسلم لانت يا رسول الله احب الي من كل شئ الا نفسي التي بين جنبي فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل
عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
الآن يا عمر فهذه المحبة ليست باعتقاد الاعظمية فقط فانها كانت حاصلة
لعمر قبل ذلك قطعا وفي رواية انه قال النبي صلى الله عليه وسلم لا والذي نفسي بيده حتى
اكون احب اليك من نفسك قال بعض الزهاد تقدير الكلام لا تصدق في حبي حتى تؤثر
رضاي على هواك وان كان فيه الهلاك واما توقف عمر في اول امره واستثناؤه
نفسه فلان حب الانسان نفسه طبع وحب غيره اختيار بتوسط الاسباب وانما اراد
عليه السلام منه حب الاختيار اذ لا سبيل الى قلب الطباع وتغييرها بما جبلت عليه
وعلى هذا فجواب عمر اولا كان بحسب الطبع ثم تأمل فعرف بالاستدلال ان النبي
صلى الله عليه وسلم احب اليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في
الدنيا والآخرة فاخبر بما اقتضاه الاختيار فلذلك حصل الجواب بقوله الآن
يا عمر اي الآن عرفت فنطقت بما يجب واذا كان هذا شان نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم عبد الله ورسوله في محبتنا له ووجوب تقديمها على محبة انفسنا
واولادنا ووالدينا والناس اجمعين فما الظن بمحبة الله ووجوب تقديمها
على ما سواه ومحبة الله تعالى تختص عن محبة غيره في قدرها وصفتها وافراده
سبحانه وتعالى بها فان الواجب له من ذلك ان يكون احب الى العبد من والده
وولده بل من سمعه وبصره ونفسه التي بين جنبيه فيكون الهه الحق ومعبوده
احب اليه من ذلك كله والشئ قد يحب لغيره من وجه دون وجه وقد يحب لغيره

وليس شئ

وليس شئ يحب لذاته من كل وجه الا الله وحده ولا تصلح الالوهية الا له
تعالى والتأله هو المحبة والطاعة والخضوع ومن علامات الحب المذكور لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يعرض الانسان على نفسه انه لو خير بين فقد غرض من اغراضه
او فقد رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ان لو كانت ممكنة فان كان فقدها ان
لو كانت ممكنة اشد عليه من فقد شئ من اغراضه فقد اتصف بالاحبية المذكورة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لا فلا قال القرطبي كل من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم
ايمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان شئ من تلك المحبة الراجحة غير انهم متفاوتون
فمنهم من اخذ من تلك المرتبة بالحظ الاوفى ومنهم من اخذ بالحظ الادنى كمن كان
مستغرقا في الشهوات محجوبا في الغفلات في اكثر الاوقات لكن الكثير منهم اذا ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم اشتاق الى رؤيته بحيث يؤثرها على اهله وماله وولده ويبذل
نفسه في الامور الخطيرة ويجد رجحان ذلك من نفسه وجدانا لا تردد فيه وقد شوهد
من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر لما وقر
في قلوبهم من محبته غير ان ذلك سريع الزوال بتوالي الغفلات انتهى فكل مسلم في
قلبه محبة الله ورسوله لا يدخل في الاسلام الا بها والناس متفاوتون في محبته
صلى الله عليه وسلم بحسب استحضار ما وصل اليهم من جهته عليه الصلاة والسلام
من النفع الشامل لخير الدارين والغفلة عن ذلك ولا شك ان حظ الصحابة
رضي الله عنهم في هذا المعنى اتم لان هذا ثمرة المعرفة وهم بها اعلم وقد روى ابن
اسحاق مما حكاه في الشفاء ان امرأة من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها
يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين فقالت اروبيه حتى انظر اليه فلما رأته
قالت كل مصيبة بعدك جلل يعني صغيرة ورواه البيهقي في دلائله وذكره صاحب
الكتاب بلفظ لما قيل يوم احد قتل محمد عليه السلام وكثرت الصوارخ بالمدينة خرجت
امرأة من الانصار فاستقبلت باخيها وابيها وزوجها وابنها فلا ادري بايهم
استقبلت اولا وكلما مرت بواحد منهم صريعا قالت من هذا قالوا اخوك وابوك
وزوجك وابنك قالت فما فعل النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون امامك حتى ذهبت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول بابي انت
وامي يا رسول الله لا ابالي ان سلمت من عطب وكذا رواه ابن ابي الدنيا بنحوه مختصرا و
قال عمرو بن العاص ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي بن ابي طالب
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الينا من اموالنا واولادنا وآبائنا وامهاتنا

وهو اشارة الى القصة او مثل

وهو القرطبي

وهذا اخبار عن المحبة الطبيعية كما سيأتي

يوجد في بعض النسخ المكتوبة قال

ومن الماء البارد على الظما ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة بفتح الدال وكسر المثلثة
وتشديد النون من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب انشدك بالله يا زيد
اتحب ان محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وانك فى اهلك فقال زيد والله
ما احب ان محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة وانى جالس فى اهلى
فقال ابو سفيان ما رأيت احدا من الناس يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا
وروى مما ذكره القاضى عياض ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
لانت احب الى من اهلى ومالى وانى اذكرك فما اصبر حتى اجئ فانظر اليك وانى ذكرت
موتى وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها
لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
فدعا به فقرأها عليه قال فى حديث اخر كان رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم ينظر
اليه لا يطرف فقال ما بالك فقال بابى وامى اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيمة
رفعك الله بتفضيله فانزل الله الآية وذكره البغوى فى تفسيره بلفظ نزلت
اى الآية فى ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديدا لحب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن فى وجهه
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بى مرض ولا وجع
غير انى اذا لم اراك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فاخاف
ان لا اراك لانك ترفع مع النبيين وانى ان دخلت الجنة فى منزلة ادنى من منزلتك
وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدا فنزلت هذه الآية وكذا ذكره الواحدى فى اسباب
النزول وعزاه للكلبى عن ثوبان وقال قتادة قال بعض اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم
كيف يكون الحال فى الجنة وانت فى الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف نراك
فانزل الله الآية وذكره ابن ظفر فى ينبوع الحياة بلفظ ان عامر الشعبى قال ان رجلا
من الانصار اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له والله لانت يا رسول الله احب الى
من نفسى ومالى وولدى واهلى ولولا انى اتيك فاراك لرأيت ان اموت او قال
ان سوف اموت وبكى الانصارى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابكاك قال بكيت
وذكرت انك ستموت واموت فترفع مع النبيين ونكون نحن ان دخلنا الجنة دونك
فلم يجر النبى صلى الله عليه وسلم اليه بمعنى اى لم يرجع اليه بقول فانزل الله الآية قال
وذكر مقاتل بن سليمان مثل هذا وقال هو عبد الله بن زيد بن عبد ربه الانصارى
الذى رأى الأذان وذكر ايضا ان عبد الله بن زيد هذا كان يعمل فى جنة له فاتاه ابنه فاخبره ان

بالجيم والنون اى بستان

النبى صلى الله عليه وسلم توفى فقال اللهم اذهب بصرى حتى لا ارى بعد حبيبى محمد
احدا فاعلم انه لا يمكن ان يجتمع فى القلب حبان فان المحبة الصادقة تقتضى توحيد
المحبوب فليختر المرء لنفسه احدى المحبتين فانهما لا يجتمعان فى القلب والانسان عبد محبوبه
كائنا ما كان كما قيل • انت القتيل باى من احببته • فاختر لنفسك فى الهوى من تصطفى
ولبعض الحكماء كما ان الغمد لا يتسع لعضبين فكذلك القلب لا يتسع لحبين فلذلك لان
اقبالك على من تهواه • اعراضك عن كل شئ سواه • فمن داهن فى المحبة او داجاه
فقد عرض لمدى الغيرة اوداجه • فمحبة الرسول عليه السلام بل تقديمه فى الحب على
الانفس والآباء والابناء لا يتم الايمان الا بها اذ محبته من محبة الله وقد حكى عن
ابى سعيد الخراز مما ذكره القشيرى فى رسالته انه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام
فقلت يا رسول الله اعذرنى فان محبة الله شغلتنى عن محبتك فقال يا مبارك من
احب الله فقد احبنى وقيل ان ذلك وقع لامرأة من الانصار مع النبى صلى الله عليه وسلم يقظة ولابن ابى المجد

الا يا محب المصطفى زد صبابة	وضمخ لسان الذكر منك بطيبه
ولا تعبأن بالمبطلين فانما	علامة حب الله حب حبيبه

وكذلك كل حب فى الله ولله كما فى الصحيحين عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما
وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود فى الكفر كما يكره ان يقذف فى النار •
فعلق ذوق الايمان بالرضا بالله ربا وعلق وجدان حلاوته بما هو موقوف عليه
ولا يتم الا به وهو كونه سبحانه وتعالى احب الاشياء الى العبد هو ورسوله فمن
رضى بالله ربا • رضيه الله له عبدا • ومعنى حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات
وتحمل المشقات فى الدين ويؤثر ذلك على اغراض الدنيا ومحبة العبد لله تحصل
بفعل طاعته • وترك مخالفته • وكذلك الرسول قاله النووى وقال غيره معناه
ان من استكمل الايمان علم ان حق الله ورسوله آكد عليه من حق والده وولده وجميع
الناس لان الهدى من الضلال والخلاص من النار انما كان بالله على لسان رسوله •
وفى قوله عليه الصلاة والسلام حلاوة الايمان استعارة تخييلية فانه شبه
رغبة المؤمن فى الايمان بشئ حلو واثبت له لازم ذلك الشئ واضافه اليه
وفيه تلميح الى قضية المريض والصحيح لان المريض الصفراوى يجد طعم العسل مرا
والصحيح يذوق حلاوته على ما هى عليه وكلما نقصت الصحة شيئا ما نقص ذوقه
بقدر ذلك وقال العارف ابن ابى جمرة واختلف فى الحلاوة المذكورة هل هى
محسوسة او معنوية فحملها قوم على المعنى وهم الفقهاء وحملها قوم على المحسوس

وابقوا اللفظ على ظاهره من غير ان يتأولوه وهم اهل الصفة او قال الصوفية قال والصواب معهم في ذلك والله اعلم لانهم ما ذهبوا اليه ابقوا به لفظ الحديث على ظاهره من غير تاويل قال ويشهد الى ما ذهبوا اليه احوال الصحابة والسلف الصالح واهل المعاملات فانه حكى عنهم انهم وجدوا الحلاوة محسوسة فمن ذلك حديث بلال حين صنع به ما صنع في الرمضاء اكراها على الكفر وهو يقول احد احد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وكذلك ايضا عند موته اهله يقولون واكرباه وهو يقول واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء وهي حلاوة الايمان ومنها حديث الصحابي الذي سرق فرسه بليل وهو في الصلاة فرأى السارق حين اخذه فلم يقطع لذلك صلاته فقيل له في ذلك فقال ما كنت فيه الذ من ذلك وما ذاك الا للحلاوة التي وجدها محسوسة في وقته ذلك وفي حديث الصحابيين اللذين جعلهما صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه من قبل العدو وقد اقبل نحوهما فكحل الجاسوس القوس ورمى الصحابي فاصابه فبقي على صلاته ولم يقطعها ثم رماه ثانية فاصابه فلم يقطع كذلك صلاته ثم رماه ثالثة فاصابه فعند ذلك ايقظ صاحبه وقال لولا اني خفت على المسلمين ما قطعت وما ذاك الا لشدة ما وجد فيها من الحلاوة حتى اذهب عنه ما يجد من الم السلاح صلاته قال ومثل هذا حكى عن كثير من اهل المعاملات انتهى وحديث هذين الصحابيين ذكره البخاري في صحيحه في باب من لم ير الوضوء الا من المخرجين بلفظ ويذكر عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في غزوة ذات الرقاع فرمى رجل بسهم فنزفه الدم فركع وسجد ومضى في صلاته وقد وصله ابن اسحاق في المغازي قال حدثني صدقة بن يسار عن عقيل عن جابر عن ابيه مطولا واخرجه احمد وابو داود والدارقطني وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وكلهم من طريق ابن اسحاق قال في فتح الباري وشيخه صدقة ثقة وعقيل بفتح العين لا اعرف راويا عنه غير صدقة ولهذا لم يجزم به البخاري او لكونه اختصره او للخلاف في ابن اسحاق واخرجه البيهقي في الدلائل من وجه اخر وسمى احدهما عباد بن بشر الانصاري وعمار بن ياسر من المهاجرين والسورة الكهف وانما قال مما سواهما ولم يقل ممن ليعم من يعقل ومن لا يعقل وفي قوله وان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما دليل على انه لا بأس بهذه التثنية واما قوله للذي خطب فقال ومن يعصهما فبئس الخطيب انت فليس من هذا لان المراد في الخطب الايضاح واما هنا المراد الايجاز في اللفظ ليحفظ ويدل عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم حيث قاله

وفي موضع اخر قال ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه وقيل انه من الخصائص فيمتنع من غير النبي صلى الله عليه وسلم ولا يمتنع منه لان غيره اذا جمع اوهم اطلاق التسوية بخلاف هو فان منصبه لا يتطرق اليه ايهام ذلك والى هذا مال ابن عبد السلام ومن محاسن الاجوبة في الجمع بين هذا الحديث وقصة الخطيب ان تثنية الضمير هنا للايماء الى ان المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة منهما فانها وحدها لاغية اذا لم ترتبط بالاخرى فمن يدعي حب الله مثلا ولا يحب رسوله لا ينفعه ذلك ويشير اليه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فاوقع متابعته مكتنفة بين قطري محبة العباد لله ومحبة الله للعباد واما امر الخطيب بالافراد فلان كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية اذ العطف في تقدير التكرير والاصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم ويشير اليه قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فاعاد اطيعوا في الرسول ولم يعده في اولي الامر لانهم لا استقلال لهم في الطاعة كاستقلال الرسول انتهى ملخصا من كلام البيضاوي والطيبي كما حكاه في فتح الباري وفي الصحيح ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا قال في المدارج فاخبر ان للايمان طعما وان القلب يذوقه كما يذوق الفم طعم الطعام والشراب وقد عبر النبي صلى الله عليه وسلم عن ادراك حقيقة الايمان والاحسان وحصوله للقلب ومباشرته له بالذوق تارة وبالطعام والشراب اخرى وبوجدان الحلاوة تارة كما قال ذاق وقال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ولما نهاهم عن الوصال قالوا انك تواصل قال اني لست كهيئتكم اني اطعم واسقى وقد غلط حجاب من ظن ان هذا طعام وشراب حسي للفم وسيأتي تحقيق الكلام في هذا ان شاء الله تعالى في الصوم من مقصد عباداته عليه الصلاة والسلام والمقصود ان ذوق حلاوة الايمان امر يجده القلب تكون نسبته اليه كذوق حلاوة الطعام الى الفم وذوق حلاوة الجماع الى اللذة كما قال عليه الصلاة والسلام حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك و للايمان طعم وحلاوة يتعلق بهما ذوق ووجد ولا تزول الشبه والشكوك الا اذا وصل العبد الى هذه الحال فباشر الايمان قلبه حقيقة المباشرة فيذوق ويجد حلاوته وقال العارف الكبير تاج الدين بن عطاء الله فيما يعني في هذا الحديث اشارة الى ان القلوب السليمة من امراض الغفلة والهوى تتنعم بملذوذات المعاني كما تتنعم النفوس بملذوذات الاطعمة وانما ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا لانه لما رضي بالله ربا استسلم له وانقاد لحكمه والقى قياده اليه فوجد لذاذة العيش وراحة التفويض ولما رضي

وصحبه نسخة

فكحل باللام اي يجعل الوتر في القوس وفي نسخة بالدال اي جعل السهم في كبدها اي في وسطها

لاط

اي سالمه

بالله ربا كان له الرضى من الله واذا كان له الرضى من الله اوجد الله حلاوة ذلك ليعلم
ما من به عليه وليعرف احسان الله اليه ولما سبقت لهذا العبد العناية خرجت
للعطايا من خزائن المنن فلما واصله امداد الله وانواره عوفي قلبه من الامراض و
الاسقام فكان نسليم الادراك فادرك لذاذة الايمان وحلاوته لصحة ادراكه و
سلامة ذوقه وقوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام دينا لانه اذا رضى بالاسلام
دينا فقد رضى بما رضى به المولى ولازم من رضى بمحمد نبينا ان يكون له وليا وان يتادب
باداب ويتخلق باخلاقه زهدا في الدنيا وخروجا عنها وصفحا عن الجفاة وعفوا
عمن اساء اليه الى غير ذلك من تحقيق المتابعة قولا وفعلا واخذا وتركا وحبا و
بغضا فمن رضى بالله استسلم له ومن رضى بالاسلام عمل له ومن رضى بمحمد صلى
الله عليه وسلم تابعه ولا يكون واحد منها الا بكلها اذ محال ان يرضى بالله ربا
ولا يرضى بالاسلام دينا او يرضى بالاسلام دينا ولا يرضى بمحمد صلى الله عليه وسلم
نبيا وتلازم ذلك بين لا خفاء به انتهى ملخصا واعلم ان محبة الله على قسمين
فرض وندب فالفرض المحبة التي تبعث على امتثال الاوامر والانتهاء عن المعاصي والرضى
بما يقدره فمن وقع في معصية من فعل محرم او ترك واجب فلتقصيره في محبة
الله حيث قدم هوى نفسه والتقصير يكون مع الاسترسال في المباحات و
الاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجاء فيقدم على المعصية
والندب ان يواظب على النوافل ويجتنب الوقوع في الشبهات والمتصف بذلك في
عموم الاوقات والاحوال نادر وفي البخاري من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
فيما يروى عن ربه تعالى انه قال ما تقرب الى عبدي بمثل اداء ما افترضته عليه وفي
رواية بشيء احب الي من اداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل
حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي
يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن
سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء انا فاعله
ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ويستفاد
من قوله وما تقرب الى عبدي بشيء احب الي ان اداء الفرائض احب الاعمال الى الله
تعالى وعلى هذا فقد استشكل كون النوافل تنتج المحبة ولا تنتجها الفرائض واجيب
بان المراد من النوافل اذا كانت مع الفرائض مشتملة عليها ومكملة لها ويؤيده
ان في رواية ابي امامة ابن ادم انك لن تدرك ما عندي الا باداء ما افترضته عليك
او يجاب بان الاتيان بالنوافل لمحض المحبة لا لخوف العقاب على الترك بخلاف

ای ومحبة النبی صلی الله علیه وسلم كذلك

وقد يقال ان الفرائض ينتج الاحبية وانما النوافل فينتج المحبة وفرق بين الاحبية واصل المحبة وعليه فلا يحتاج لما ذكره

الفرائض

الفرائض وقال الفاكهاني معنى الحديث انه اذا ادى الفرائض ودام على اتيان النوافل
من صلاة وصيام وغيرهما افضى به ذلك الى محبة الله تعالى وقد استشكل
ايضا كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره الى اخره واجيب باجوبة
منها انه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت كسمعه وبصره في ايثاره امري فهو
يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح ومنها ان المعنى ان كليته
مشغولة بي فلا يصغي بسمعه الا الى ما يرضيني ولا يرى ببصره الا ما امرته به و
منها ان المعنى كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه
ومنها انه على حذف مضاف اي كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع الا
ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك الى اخره قاله الفاكهاني قال ويحتمل معنى اخر ادق
من الذي قبله وهو ان يكون بمعنى مسموعه لان المصدر قد جاء بمعنى المفعول
مثل فلان املي بمعنى مأمولي المعنى انه لا يسمع الا ذكري ولا يلتذ الا بتلاوة كتابي
ولا يأنس الا بمناجاتي ولا ينظر الا في عجائب ملكوتي ولا يمد يده الا فيما فيه رضاي
ورجله كذلك وقال غيره اتفق العلماء ممن يعتد بقوله على ان هذا مجاز وكناية
عن نصرة العبد وتأييده واعانته حتى كانه سبحانه تنزل عنده منزلة الالات
التي يستعين بها ولهذا وقع في رواية فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي
قال والاتحادية زعموا انه على حقيقته وان الحق عين تعالى الله عما يقول
الظالمون والجاحدون علوا كبيرا وقال الخطابي عبر بذلك عن سرعة اجابة
الدعاء والنجح في الطلب وذلك ان مساعي الانسان كلها انما تكون بهذه
الجوارح المذكورة وعن ابي عثمان الحيري احد ائمة الطريق قال معناه كنت اسرع
الى قضاء حوائجه من سمعه في الاسماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي
كذا اسنده عنه البيهقي في الزهد وحمله بعض اهل الزيغ على ما يدعونه من ان العبد
اذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى تصفى من الكدورات انه يصير في معنى
الحق تعالى الله عن ذلك وانه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد ان الله هو الذاكر
لنفسه والموحد لنفسه والمحب لنفسه وان هذه الاسباب والرسوم تصير عدما
صرفا وعلى الاوجه كلها فلا متمسك فيه للاتحادية ولا القائلين بالوحدة
المطلقة لقوله في بقية الحديث ولئن سألني زاد في رواية عبد الواحد عبدي
انتهى ملخصا وقال العلامة ابن القيم تضمن هذا الحديث الشريف الالهي الذي
حرام على غليظ الطبع كثيف القلب فهم معناه والمراد به حصر اسباب
محبته في امرين اداء فرائضه والتقرب اليه بالنوافل وان المحب لا يزال يكثر

من النوافل حتى يصير محبوبا لله فاذا صار محبوبا لله اوجبت محبة الله له محبة اخرى منه لله فوق المحبة الاولى فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكر و الاهتمام بغير محبوبه وملكت عليه روحه ولم يبق فيه سعة لغير محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه وحبه ومثله الاعلا مالكا لزمام قلبه مستوليا على روحه استيلاء المحبوب على محبه الصادق في محبته التي قد اجتمعت قوى حبه كلها له ولا ريب ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان ابصر ابصر به وان بطش بطش به وان مشى مشى به فهو في قلبه ونفسه وانيسه وصاحبه والباء هنا باء المصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك بمجرد الاخبار عنها والعلم بها فالمسئلة حالية لا علمية محضة قال ولما حصلت الموافقة من العبد لربه في محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوايجه ومطالبه فقال ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه اي كما وافقني في مرادي بامتثال اوامري والتقرب الى بمحابي فانا اوافقه في رغبته ورهبته فيما يسألني ان افعله به ويستعيذني ان يناله وقوى امر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى تردد الرب سبحانه في اماتة عبده لانه يكره الموت والرب تعالى يكره ما يكره عبده ويكره مساءته فمن هذه الجهة يقتضي ان لا يميته ولكن مصلحته في اماتته فانه ما اماته الا ليحييه ولا امرضه الا ليصحه ولا افقره الا ليغنيه ولا منعه الا ليعطيه ولم يخرجه من الجنة في صلب ابيه الا ليعيده اليها على احسن احواله فهذا هو الحبيب في الحقيقة لا سواه انتهى وقال الخطابي التردد في حق الله غير جائز والبداء عليه في الامور غير سائغ ولكن له تاويلان احدهما ان العبد قد يشرف على الهلاك في ايام عمره من داء يصيبه وفاقة تنزل به فيدعو الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروهها فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد امرا ثم يبدو له فيه فيتركه ويعرض عنه ولا بد له من لقائه اذا بلغ الكتاب اجله لان الله تعالى قد كتب الفناء على خلقه واستاثر بالبقاء لنفسه والثاني ان يكون معناه ما رددت رسلي في شيء انا فاعله كترديدي اياهم في نفس المؤمن كما روي في قصة موسى عليه السلام وما كان من لطمه عين ملك الموت وتردده اليه مرة بعد اخرى قال وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه وقال الكلاباذي ما حاصله انه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات يعني باعتبار متعلقها اي عن الترديد بالتردد وجعل متعلق الترديد اختلاف احوال العبد من ضعف ونصب الى ان تنتقل محبته في الحياة الى محبته للموت

فيقبض

فيقبض على ذلك قال وقد يحدث الله في قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق اليه والمحبة للقائه ما يشتاق معه الى الموت فضلا عن ازالة الكراهة عنه انتهى وبالجملة فلا حياة للقلب الا بمحبة الله ومحبة رسوله ولا عيش الا عيش المحبين الذين قرت اعينهم بحبيبهم وسكنت نفوسهم اليه واطمأنت قلوبهم به واستأنسوا بقربه وتنعموا بمحبته ففي القلب طاقة لا يسدها الا محبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم والام وحسرات قال صاحب المدارج ولن يصل العبد الى هذه المنزلة العلية والمرتبة السنية حتى يعرف الله تعالى ويهتدي اليه بطريق توصله اليه ويحرق ظلمات الطبع باشعة البصيرة فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الاخرة فينجذب اليه بكليته ويزهد في التعلقات الفانية ويدأب في تصحيح التوبة والقيام بالمامورات الظاهرة والباطنة وترك المنهيات الظاهرة والباطنة ثم يقوم حارسا على قلبه فلا يسامحه بخطوة يكرهها الله تعالى ولا بخطوة فضول لا تنفعه فيصفو لذلك قلبه بذكره ومحبته والانابة اليه ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه الى فضاء الخلوة بربه وذكره

واخرج من بين البيوت لعلني	احدث عنك النفس بالسر خاليا

فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على ارادة ربه وطلبه والشوق اليه فاذا صدق في ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه فجعله امامه واستاذه ومعلمه وشيخه وقدوته كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديه فيطالع سيرته ومبادي اموره وكيفية نزول الوحي عليه ويعرف صفاته واخلاقه وادابه وحركاته وسكونه ويقظته ومنامه وعبادته ومعاشرته لاهله واصحابه الى غير ذلك مما منحه الله تعالى مما ذكرت بعضه حتى يصير كانه معه من بعض اصحابه فاذا رسخ في قلبه ذلك فتح عليه بفهم الوحي المنزل عليه من ربه بحيث اذا قرأ السورة شاهد بقلبه ماذا انزلت فيه وماذا اريد بها وحظه المختص منها من الصفات والاخلاق والافعال المذمومة فيجتهد في التخلص منها كما يجتهد في الشفاء من المرض المخوف ولمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام علامات اعظمها الاقتداء به واستعمال سنته وسلوك طريقته والاهتداء بهديه وسيرته والوقوف مع ما حد لنا من شريعته قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فجعل تعالى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم اية محبة العبد لربه وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله تعالى اياه وقد قال الحكيم وهو محمود الوراق كما افاده المحاسبي في كتاب القصد والرجوع

والسنة اعم من الطريقة لان من جملة السنة المباحات وهو مخير في جواب شرط مقدر تقديره ان تتبعوني يحببكم وقيل انه مجزوم في جواب الامر او مجزوم في جواب ان

المراد به من ينطق بالحكمة وهو من اكابر الصوفية وهو اقدم من الجنيد

تعصى الاله وانت تظهر حبه … هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته … ان المحب لمن يحب مطيع

وهذه المحبة تنشأ من مطالعة العبد منة الله عليه من نعمه الظاهرة والباطنة فبقدر مطالعة ذلك تكون قوة المحبة ومن اعظم مطالعة منة الله على عبده منة تأهله لمحبته ومعرفته ومتابعة حبيبه صلى الله عليه وسلم واصل هذا نور يقذفه الله تعالى في قلب العبد فاذا دار ذلك النور اشرقت له ذاته فرأى في نفسه وما اهلت له من الكمالات والمحاسن فعلت به همته وقويت عزيمته وانقشعت عنه ظلمات نفسه وطبعه لان النور والظلمة لا يجتمعان الا ويطرح احدهما الاخر فوقعت الروح حينئذ بين الهيبة والانس الى الحبيب الاول

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى … ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى … وحنينه ابدا لاول منزل

وبحسب هذا الاتباع توجب المحبة والمحبوبية معا ولا يتم الامر الا بهما فليس الشان ان تحب الله بل الشان ان يحبك الله ولا يحبك الا اذا اتبعت حبيبه ظاهرا وباطنا وصدقته خبرا واطعته امرا واجبته دعوة واثرته طوعا وفنيت عن حكم غيره بحكمه وعن محبة غيره من الخلق وعن طاعة غيره بطاعته وان لم تكن كذلك فلا تتعن فلست على شيء وتأمل قوله تعالى فاتبعوني يحببكم الله اى الشان في ان الله يحبكم لا في انكم تحبونه وهذا لا ينالونه الا باتباع الحبيب وقال المحاسبي في كتاب القصد والرجوع وعلامة محبة العبد لله عز وجل اتباع مرضاة الله والتمسك بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ذاق العبد حلاوة الايمان ووجد طعمه ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه فاستحلى اللسان ذكر الله عز وجل وما والاه واسرعت الجوارح الى طاعة الله فحينئذ يدخل حب الايمان في القلب كما يدخل حب الماء البارد الشديد برده في اليوم الشديد الحر للظمآن الشديد عطشه فيرتفع عنه تعب الطاعة لاستلذاذه بها بل تبقى الطاعات غذاء لقلبه وسرورا له وقرة عين في حقه ونعيما لروحه يلتذ بها اعظم من اللذات الجسمانية فلا يجد في اوراد العبادة كلفة وفي الترمذي عن انس مرفوعا ومن احيى سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة وعن ابن عطاء من الزم نفسه اداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام اشرف من مقام متابعة الحبيب في اوامره وافعاله واخلاقه وقال ابو اسحاق الرقي من اقران الجنيد علامة محبة الله ايثار طاعته

ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم وعن غيره لا يظهر على احد شيء من نور الايمان الا باتباع السنة ومجانبة البدعة فاما من اعرض عن الكتاب والسنة ولم يتلق العلم من مشكاة الرسول عليه الصلاة والسلام بدعواه علما لدنيا اوتيه فهو من لدن النفس والشيطان وانما يعرف كون العلم لدنيا روحانيا موافقته لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى فالعلم اللدني نوعان لدني رحماني ولدني شيطاني والمحك هو الوحي ولا وحي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم واما قصة موسى مع الخضر فالتعلق بها في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني الحاد وكفر مخرج عن الاسلام موجب لاراقة الدم والفرق ان موسى عليه السلام لم يكن مبعوثا الى الخضر ولم يكن الخضر مأمورا بمتابعته ولو كان مأمورا بها لوجب عليه ان يهاجر الى موسى ويكون معه ولهذا قال له انت موسى بني اسرائيل قال نعم ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى جميع الثقلين فرسالته عامة للجن والانس في كل زمان ولو كان موسى وعيسى حيين لكانا من اتباعه فمن ادعى انه مع محمد كالخضر مع موسى او جوز ذلك لاحد من الامة فليجدد اسلامه وليتشهد بشهادة الحق فانه مفارق لدين الاسلام بالكلية فضلا عن ان يكون من خاصة اولياء الله تعالى وانما هو من اولياء الشيطان وخلفائه ونوابه والعلم اللدني الرحماني هو ثمرة العبودية والمتابعة لهذا النبي الكريم عليه ازكى الصلوات واتم التسليم وبه يحصل الفهم من الكتاب والسنة بامر يختص به صاحبه كما قال علي بن ابي طالب وقد سئل هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء دون الناس فقال لا الا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه فهذا هو العلم اللدني الحقيقي فاتباع هذا النبي الكريم حياة القلوب ونور البصائر وشفاء الصدور ورياض النفوس ولذة الارواح وانس المستوحشين ودليل المتحيرين ومن علامات محبته ان يرضى مدعيها بما شرعه حتى لا يجد حرجا مما قضى قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له قال شيخ المحققين وامام العارفين تاج الدين بن عطاء الله الشاذلي اذاقنا الله حلاوة مشربه في هذه الاية دلالة على ان الايمان الحقيقي لا يحصل الا لمن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه قولا وفعلا واخذا وتركا وحبا وبغضا ويشتمل ذلك على حكم التكليف وحكم التعريف والتسليم والانقياد على كل مؤمن في كليهما

فاحكام التكليف الاوامر والنواهي المتعلقة باكتساب العباد واحكام التعريف هو
ما اورده عليك من فهم المراد فتبين من هذا انه لا يحصل لك حقيقة الايمان الا
بالامرين الامتثال لأمره والاستسلام لقهره ثم انه سبحانه لم يكتف بنفي
الايمان عمن لم يحكم او حكم ووجد الحرج في نفسه حتى اقسم على ذلك بالربوبية الخاصة
برسوله صلى الله عليه وسلم رأفة وعناية وتخصيصا ورعاية لانه لم يقل
فلا والرب وانما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ففي ذلك
تاكيد بالقسم وتاكيد في القسم علما منه سبحانه بما النفوس منطوية عليه من حب
الغلبة ووجود النصرة سواء كان الحق عليها او لها وفي ذلك اظهار لعنايته
برسوله صلى الله عليه وسلم اذ جعل حكمه حكمه وقضاءه قضاءه فاوجب على
عباده الاستسلام لحكمه والانقياد لامره ولم يقبل منه الايمان بالهيته
حتى يذعنوا لاحكام رسوله صلى الله عليه وسلم لانه كما وصفه به ربه وما ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فحكمه حكم الله وقضاؤه قضاء الله كما قال
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واكد ذلك بقوله يد الله فوق ايديهم وفي
الاية اشارة اخرى الى تعظيم قدره وتفخيم امره صلى الله عليه وسلم وهي قوله تعالى
فلا وربك فاضاف نفسه اليه كما قال في الاية الاخرى كهيعص ذكر رحمة ربك عبده
زكريا فاضاف الحق سبحانه نفسه الى محمد صلى الله عليه وسلم واضاف زكريا اليه
ليعلم العباد فرق ما بين المنزلتين وتفاوت ما بين المرتبتين ثم انه سبحانه لم يكتف بالتحكيم الظاهر
فيكونوا به مؤمنين بل اشترط فقدان الحرج وهو الضيق من نفوسهم في احكامه صلى
الله عليه وسلم سواء كان الحكم بما يوافق اهواءهم او يخالفها وانما الضيق للنفوس
لفقدان الانوار ووجود الاغيار فعنه يكون الحرج وهو الضيق والمؤمنون
ليسوا كذلك اذ نور الايمان ملأ قلوبهم فاتسعت وانشرحت فكانت واسعة
بنور الواسع العليم ممدودة بجود فضله العظيم مهيأة لواردات احكامه
مفوضة له في نقضه وابرامه انتهى وقال سهل بن عبد الله من لم ير ولاية الرسول
عليه في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه لم يذق حلاوة سنته لانه صلى الله عليه وسلم
قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وروينا عن سيدنا العارف الكبير
ابي عبد الله القرشي انه قال حقيقة المحبة ان تهب كلك لمن احببت ولا يبقى
لك منك شيء انتهى فمن اثر هذا النبي الكريم على نفسه كشف الله له عن حضرة قدسه
ومن كان معه بلا اختيار ظهرت له خفايا حقايق اسرار انسه ومن علامات
محبته صلى الله عليه وسلم نصر دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته

ويوجد في بعض النسخ في المقسم به

في العباد

والتخلق

والتخلق باخلاقه في الجود والايثار والحلم والصبر والتواضع وغيرها مما ذكرته
من اخلاقه العظيمة وتقدم في كلام ابن عطاء الله من بين لذلك قريبا فمن جاهد
نفسه على ذلك وجد حلاوة الايمان ومن وجدها استلذ الطاعات وتحمل
المشاق في الدين واثر ذلك على اغراض الدنيا ومن علامات محبته صلى الله عليه و
سلم التسلي عن المصائب فان المحب يجد في لذة المحبة ما ينسيه المصائب و
لا يجد من مسها ما يجد غيره حتى كانه قد اكتسى طبيعة ثانية ليست طبيعة الخلق
بل يقوى سلطان المحبة حتى يلتذ بكثير من المصائب اعظم من التذاذ الخلي بحظوظه
وشهواته والذوق والوجود شاهد بذلك فكرب المحبة ممزوج بالحلاوة
فاذا فقد تلك الحلاوة اشتاق الى ذلك الكرب كما قيل

تشكى المحبون الصبابة ليتني … تحملت ما يلقون من بينهم وحدي
فكانت بقلبي لذة الحب كلها … فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي

ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام كثرة ذكره فمن احب شيئا اكثر ذكره
ولبعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب ولآخر ذكر المحبوب على عدد الانفاس
ولغيره للمحب ثلاث علامات ان يكون كلامه ذكر المحبوب وصمته فكرا فيه
وعمله طاعة له قال المحاسبي علامة المحبين كثرة الذكر للمحبوب على طريق الدوام
لا ينقطعون ولا يملون ولا يفترون وقد اجتمع الحكماء على ان من احب شيئا اكثر
من ذكره فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبين لا يريدون به بدلا ولا يبغون
عنه حولا ولو قطعوا عن ذكر محبوبهم لفسد عيشهم وما تلذذ المتلذذون
بشيء الذ من ذكر المحبوب انتهى فالمحبون قد اشتغلت قلوبهم بلزوم ذكر المحبوب
عن اللذات وانقطعت اوهامهم عن عارض دواعي الشهوات ورقت الى
معادن الذخائر وبغية الطلبات وربما تزايد وجد المحب وهاج الحنين
وباح الانين وتحركت المواجيد وتغير اللون واستبسلت الجوارح وفتر البدن
واقشعر الجلد وربما صاح وربما بكا وربما شهق وربما وله وربما سقط وكسيك محمد وفا

اذا باح دمع المهجور هاجره … باح المحب بما تخفي ضمائره
ايكتم الحب صب باح مدمعه … لما جرى بالذي تخفي سرائره
كانما قلبه اجفان مقلته … ودمعه في ماقيه خواطره
يا جيرة الجذع هل الاجيرة لفتى … عليه في حكمه قد جار جائره
اه وكم لي على خطب الهوى خطب … من الغرام به تعلو منابره
مهفهف ابلج بدر على غصن … تخفي البدور واذا لاحت بوادره

جمع حكيم والمراد به من ينطق بالحكمة

اشتغلت

مطرز الخد بالريحان في ضرج	موزد آسه تزهو ازاهره
مكمل الخلق ما تحصى خصائصه	منضر الحسن قد قلت نظائره

وربما زاد الوجد على المحب فقتله اول نقد من ثمان المحبة بذل الروح فما
للمفلس الجبان وسومها بدم المحب يباع وصلهم تالله ما هزلت فيستامها
المفلسون • ولا كسدت فيستفقها بالنسيئة المعسرون • لقد أسيمت
للعرض في سوق من يزيد فلم يرض لها بثمن غير بذل النفوس فتأخر البطالون •
وتقدم المحبون ينظرون ايهم يصلح ان يكون ثمنا فدارت السلعة بينهم
ووقعت في يد اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين • فذكره عليه الصلاة
والسلام جلاء قلوبنا • وشفاء صدورنا • وحلاوة السنتنا • في جميع
الحالات • على اختلاف الاوقات والساعات • نتشرف بذكره في جميع
العبادات • وفي الجمع والجماعات • والخطب والصلوات • وسائر
التقلبات والتصرفات • حتى في المعاطات والمبايعات • وعقود
المصالحات • واستفتاح المعاقدات والمعاهدات • وخصوصا عند
الاذكار والدعوات • فان بها ولوجها في ابواب الاجابات • ومن علامات
محبته عليه الصلاة والسلام تعظيمه عند ذكره • واظهار الخشوع و
الانكسار مع سماع اسمه • فكل من احب شيئا خضع له كما كان كثير من
الصحابة بعده اذا ذكروه خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كان
كثير من التابعين فمن بعدهم يفعلون ذلك محبة وشوقا وتهيبا وتوقيرا
قال ابو ابرهيم التجيبي واجب على كل مؤمن اذا ذكره او ذكر عنده ان يخشع
ويخضع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته واجلاله بما كان
يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما ادبنا الله به وكان ايوب
السختياني اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى نرحمه وكان جعفر بن محمد
كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر لونه
وكان عبد الرحمن بن القاسم اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ينظر الى لونه كأنه
نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان عبد الله بن الزبير اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى
في عينيه دموع وكان الزهري من اهنأ الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبي
صلى الله عليه وسلم فكانك ما عرفته ولا عرفك وكان صفوان بن سليم
من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى

فلا يزال

فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وكان قتادة اذا سمع الحديث اخذه
العويل والزويل اشار الى ذلك القاضي عياض ومن علامات محبته صلى الله
عليه وسلم كثرة الشوق الى لقائه اذ كل حبيب يحب لقاء حبيبه • و
لبعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وعن معروف الكرخي المحبة ارتياح الذات
لمشاهدة الصفات • او مشاهدة اسرار الصفات • فيرى بلوغ السول •
ولو بمشاهدة الرسول • ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم اذا اشتد بهم الشوق
وازعجتهم لواعج المحبة قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشفوا
بمشاهدته • وتلذذوا بالجلوس معه والنظر اليه والتبرك به • صلى الله
عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان ما كان خالد يأوي الى
فراش الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه
من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال
شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم ولما احتضر بلال نادت
امرأته فقالت واحرباه فقال واطرباه غدا القى الاحبة • محمدا وصحبه •
اذا ذاق القلب طعم المحبة اشتاق وتاججت نيران المحبة والطلب في
قلبه • ويجد صبره عن محبوبه • من أعظم كبائره • كما قيل

والصبر يحمد في المواطن كلها	الا عليك فانه لا يحمد

وعن زيد بن اسلم خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة
يحرس فرأى مصباحا في بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول

على محمد صلاة الابرار	صلى عليه الطيبون الاخيار
قد كنت قواما بكاء بالاسحار	يا ليت شعري والمنايا اطوار
هل يجمعني وحبيبي الدار	تعني النبي صلى الله عليه وسلم

فجلس عمر يبكي ثم قام الى باب خيمتها فقال السلام عليكم ثلاث مرات فقال
لها اعيدي على قولك فأعادته بصوت حزين فبكى فقال وعمر لا تنسينه
يرحمك الله فقالت • وعمر فاغفر له يا غفار • يحكى انه رؤيت امرأة مسرفة
على نفسها بعد موتها فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي قيل بماذا قالت
بمحبتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشهوتي النظر اليه فنوديت من
اشتهى النظر الى حبيبنا نستحي ان نذله بعتابنا بل نجمع بينه وبين من يحبه
ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم حب القرآن الذي اتى به وهدى
واهتدى به وتخلق به واذا اردت ان تعرف ما عندك وعند غيرك من محبة الله

ورسوله فانظر محبة القرآن من قلبك والتذاذك بسماعه اعظم من التذاذ اصحاب الملاهي والغناء المطرب بسماعهم فانه من المعلوم ان من احب محبوبا كان كلامه وحديثه احب شيء اليه كما قيل

ان كنت تزعم حبي	فلم هجرت كتابي
اما تأملت ما فيه	من لذيذ خطابي

ويروى ان عثمان بن عفان قال لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود اقرأ علي قال اقرأ عليك وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه من غيري فاستفتح وقرأ سورة النساء حتى بلغ فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا • قال حسبك فرفع رأسه فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان من البكاء رواه البخاري وهذا يجده من سمع الكتاب العزيز باذن قلبه قال الله تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق قال صاحب عوارف المعارف اذا ذاق اهل الله حلاوة مشربه هذا السماع هو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من اهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين • فتفيض العين بالدمع لانه تارة يثير حزنا والحزن حار وتارة يثير شوقا والشوق حار وتارة يثير ندما والندم حار فاذا اثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملو من برد اليقين ابكى وادمع لان الحرارة والبرودة اذا اضطربتا عصرتا ماء فاذا الم السماع بالقلب تارة يخف الماء فيظهر اثره في الجسد ويقشعر منه الجلد قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وتارة يعظم وقعه ويتصوب اثره اي يصعد نحو الدماغ فتندفق منه العين بالدمع وتارة يتصوب اثره الى الروح فيموج منه الروح موجا يكاد يضيق عنه نطاق القلب فيكون من ذلك الصياح والاضطراب وهذه كلها احوال يجدها اربابها من اصحاب الاحوال وقد كان ابن عمر رضي الله عنهما ربما مر بآية في ورده فتخنقه العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب مريضا وقد كان الصحابة رضي الله عنهم اذا اجتمعوا وفيهم ابو موسى يقولون يا ابا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون فللمحبين السماع القرآني من الوجد والذوق واللذة والحلاوة والسرور اضعاف ما للمحبين السماع الشيطاني فاذا رأيت الرجل ذوقه ووجده وطربه ونشأته في سماع الابيات • دون سماع الآيات • وفي سماع الالحان دون سماع القرآن • كما قيل

تقرأ عليك الختمة • وانت خامد كالحجر • بيت من الشعر ينشد • تميل كالنشوان •

فاعلم

فاعلم ان هذا من اقوى الادلة على فراغ قلبه • من محبة الله ورسوله • ادام الله تعالى لنا حلاوة محبته • ولا سلك بنا في غير سبيل سنته • بمنه ورحمته • ومن علاماتها محبته صلى الله عليه وسلم محبة سنته وقراءة حديثه فان من دخلت حلاوة الايمان في قلبه اذا سمع كلمة من كلام الله او من حديث رسوله صلى الله عليه وسلم تشربها روحه وقلبه ونفسه ويقول

اشم منك نسيما لست اعرفه	اظن لمياء جرت فيك اردانا

فتعم تلك الكلمة وتشمله فتصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل ويقول

لي حبيب خياله نصب عيني	سره في ضمائري مدفون
ان تذكرته فكلي قلوب	او تأملته فكلي عيون

فحينئذ يستنير قلبه ويشرق سره وتتلاطم عليه امواج عند ظهور البراهين ويرتوي بري عطف محبوبه الذي لا شيء اروى لقلبه من عطفه عليه ولا شيء اشد للهيبه وحريقه من اعراضه عنه ولهذا كان عذاب اهل النار باحتجاب ربهم عنهم اشد عليهم من العذاب الجسماني كما ان نعيم اهل الجنة برؤيته تعالى وسماع خطابه ورضاه واقباله اعظم من النعيم الجسماني لا حرمنا الله ذوق حلاوة هذا المشرب ومن علاماتها محبته صلى الله عليه وسلم ان يلتذ محبه بذكره الشريف ويطرب عند سماع اسمه المنيف وقد يوجب له ذلك سكرا يستغرق قلبه وروحه وسمعه وسبب هذا السكر اللذة القاهرة للعقل وسبب اللذة ادراك المحبوب عليه الصلاة والسلام فاذا كانت المحبة قوية وادراك هذا المحبوب قويا كانت اللذة بادراكه تابعة لقوة هذين الامرين فان كان العقل قويا مستحكما لم يتغير لذلك وان كان ضعيفا حدث السكر المخرج له عن حكمه وقد حدوا السكر بانه سقوط التمالك في الطرب كانه يبقى في السكران بقية يلتذ بها ويطرب فلا يتمالك صاحبها ولا يقدر ان يفنى معها وقد يكون سبب السكر فوق الفرح بادراك المحبوب بحيث يختلط كلامه وتتغير افعاله بحيث يزول عقله ويعربد اعظم من عربدة شارب الخمر وربما قتله سكر هذا الفرح بسبب طبيعي وهو انبساط دم القلب وهلة واحدة انبساطا غير معتاد والدم هو حامل الحار الغريزي فيبرد القلب بسبب انبساط الدم عنه فيحدث الموت ومن هذا قول سكران الفرح بوجود راحلته في المفازة بعد ان استشعر الموت اللهم انت عبدي وانا ربك اخطأ من شدة فرحه وسكرة الفرح فوق سكرة الشراب فصور في نفسك حال فقير معدم عاشق للدنيا اشد العشق ظفر

بكنز عظيم فاستولى عليه امنا مطمئنا كيف يكون سكرته او غاب عنه
غلامه بمال عظيم مدة سنين حتى اضربه العدم فقدم عليه من غير انتظار له
بما له كله وقد كسب اضعافه ومن اقوى اسباب ما يحرك فيه سماع الاصوات
المطربة بالانشادات بالصفات النبوية المغربة المعربة اذا صادفت محلا
قابلا فلا تسأل عن سكرة السامع وهذا السكر يحدث عندها من جهتين
احدها انها في نفسها توجب لذة قوية ينغمر منها العقل الثانية انها تحرك
النفس الى محبوبها وجهته فتحصل بتلك الحركة والشوق والطلب مع التحصيل
للمحبوب واحضاره في النفس وادناء صورته الى القلب واستيلائها على الفكر
لذة عظيمة تغمر العقل فيجتمع لذة الالحان ولذة الاشجان فتسكر الروح سكرا
عجيبا اطيب والذ من سكر الشراب ويحصل به نشأة الذ من نشأة الشراب
وقد ذكر الامام احمد وغيره ان الله تعالى يقول لداود مجدني بذلك الصوت
الذي كنت تمجدني به في الدنيا فيقول كيف وقد اذهبته فيقول انا ارده
عليك فيقوم عند ساق العرش ويمجده فاذا سمع اهل الجنة صوته استفرغ
نعيم اهل الجنة واعظم من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه
لهم فاذا انضاف الى ذلك رؤية وجهه الكريم يغنيهم لذة رؤيته عن الجنة
ونعيمها فامر لا تدركه العبارة ولا تحيط به الاشارة وهذه صفة
لا تلج كل اذن وصيت لا تجيء به كل ارض وعين لا يشرب منها كل وارد و
سماع لا يطرب عليه كل سامع ومائدة لا يجلس عليها طفيلي اشار اليه
في المدارج فمن اتصف بهذه العلامات التي ذكرتها فهو كامل المحبة لله و
رسوله ومن خالف بعضها فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها بدليل
قوله عليه الصلاة والسلام للذي حده في الخمر لما لعنه بعضهم وقال ما اكثر
ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله فاخبر
انه يحب الله ورسوله مع وجود ما صدر منه وفيه الرد على من زعم ان
مرتكب الكبيرة كافر لثبوت النهي عن لعنه وثبوت الامر بالدعاء له وفيه لا تنافي
بين ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب وانه من تكررت
منه المعصية لا تنزع منه محبة الله ورسوله ويحتمل ان يكون ثبوت محبة
الله ورسوله في قلب العاصي مقيدا بما اذا ندم على وقوع المعصية او اذا اقيم
عليه الحد فكفر عنه الذنب المذكور بخلاف من لم يقع منه ذلك فانه يخشى بتكرار
الذنب ان يطبع على قلبه حتى يسلب منه ذلك اسأل الله العفو والثبات على محبته

وسلوك

وسلوك سنته بمنه ورحمته تنبيه وقد اختلف العلماء ايهما ارفع درجة المحبة
او درجة الخلة فحكى القاضي عياض ان بعضهم جعلهما سواء فلا يكون الحبيب الا
خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابرهيم بالخلة ومحمدا صلى الله عليه وسلم
بالمحبة قال وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت
متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة لفاطمة وابنيها واسامة انتهى
وهذا هو الظاهر من المعنى الاخص لان المحبة مأخوذة من معنى الخلة لكن يرد
ما روي في قصة الاسراء في مناجاته صلى الله عليه وسلم لربه تعالى حيث قال
له تعالى يا محمد سل فقال يا رب انك اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال
له تعالى الم اعطك خيرا من هذا الى قوله واتخذتك حبيبا او ما في معناه رواه
البيهقي بنحوه وهذا يعطي ان درجة المحبة ارفع وقد احتج من قال بتفضيل مقام
المحبة على الخلة بفروق كثيرة ذكر القاضي عياض في الشفاء منها نقلا عن الامام
ابي بكر بن فورك عن بعض المتكلمين نبذة منها ان الخليل يصل بالواسطة من قوله
تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض والحبيب يصل اليه
من قوله فكان قاب قوسين او ادنى ومنها ان الخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل
يوم لا يخزي الله النبي ومنها ان الخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له
حسبك الله ومنها ان الخليل هو الذي يكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي اطمع
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وفي كتاب تحفة السامع والقاري بختم صحيح
البخاري وجوه اخرى غير ما حكاه القاضي عياض وفي كلها نظر واضح كما بينته في حاشية
الشفاء وذلك ان مقتضى الفرق بين الشيئين ان يكونا في حد ذاتيهما يعني باعتبار
مدلول خليل وحبيب وما حكاه القاضي عياض وذكرته في التحفة يقتضي تفضيل
ذات محمد صلى الله عليه وسلم على ذات ابرهيم عليهما الصلاة والسلام لا فضل باعتبار
ثبوت وصف الجملة فيلزم ذلك لانا نقول كل منهما ثابت له وصف الخلة والمحبة اذ
لا يسلب عن ابرهيم وصف المحبة لا سيما والخلة اخص من المحبة ولا يسلب
عن نبينا صلى الله عليه وسلم وصف الخلة لا سيما وقد ثبت في حديث ابي هريرة
قول الله تعالى له اني اتخذتك خليلا وقد قام الاجماع على فضل نبينا صلى
الله عليه وسلم على جميع الانبياء بل هو افضل خلق الله مطلقا ولما قوله
ان الخليل يصل بالواسطة فلا يفيد غرضا في هذا المقام الذي هو بصدده
وليس المراد به قطعا الا الوصول الى المعرفة اذ الوصول الحسي ممتنع على الله

تعالى

اي في نفس محبة فقط او خلة فقط
لا بين ابرهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم
كما يشير اليه بعد اي بمجرد التسمية

اي قال كما سيأتي في كلام

اي يصل الى معرفة الله تعالى
اي فرق من يسأل ومن يعطى بلا سؤال

اي المغفرة له

وأما قوله والحبيب يصل به اليه فالوصول الى الله تعالى لا يكون الا بر حبيبا كان
او خليلا وأما قوله الخليل هو الذى تكون مغفرته فى حد الطمع الى اخره فانه لا يصح
ان يكون على جهة التفسير للخليل ولا تعلق له بمعناه وقصارى ما ذكره انه يعطى
تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على ابرهيم عليه الصلاة والسلام فى حد ذاته
من غير نظر الى ما جعله علة معنوية فى ذلك من وصف المحبة والخلة والحق ان
الخلة اعلا واكمل وافضل من المحبة قال ابن القيم واما ما يظنه بعض الغالطين ان
المحبة اكمل من الخلة وان ابرهيم خليل ومحمد حبيب الله فمن جهله فان المحبة عامة
والخلة خاصة والخلة نهاية المحبة قال وقد اخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان الله
اتخذه خليلا ونفى ان يكون له خليل غير ربه مع اخباره بحبه لعائشة ولأبيها
ولعمر بن الخطاب وغيرهم وايضا فانه تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب
الصابرين ويحب المحسنين ويحب المتقين ويحب المقسطين وخلته خاصة
بالخليلين قال وانما هذا من قلة العلم والفهم عن الله ورسوله انتهى وقال الشيخ
بدر الدين الزركشى فى شرحه لبردة الابوصيرى وزعم بعضهم ان المحبة افضل
من الخلة وقال محمد حبيب الله وابرهيم خليل الله وضعف بان الخلة خاصة
وهو توحيد المحب والمحبة عامة قال الله تعالى ان الله يحب التوابين قال وقد صح
ان الله اتخذ نبينا خليلا فقال ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابرهيم خليلا انتهى

الفصل الثانى فى حكم الصلاة عليه والتسليم فرضية وفضيلة وصفة
ومحلا قال الله تعالى ان الله وملئكته يصلون على النبى يا ايها الذين امنوا صلوا
عليه وسلموا تسليما • قال ابو العالية معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه
عند الملائكة ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعاء قال فى فتح البارى وهذا اولى
الاقوال فيكون معنى صلاة الله عليه ثناؤه عليه وتعظيمه وصلاة الملائكة وغيرهم
طلب ذلك له من الله تعالى والمراد طلب الزيادة لا طلب اصل الصلاة وعن ابن عباس
ان معنى صلاة الملائكة الدعاء بالبركة وروى ابن ابى حاتم عن مقاتل بن حيان قال صلاة
الله مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار وقال الضحاك بن مزاحم صلاة الله
رحمته وفى رواية عنه مغفرته وصلاة الملائكة الدعاء اخرجهما اسماعيل القاضى
عنه وكانه يريد المغفرة ونحوها وقال المبرد الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة
رقة تبعث على استدعاء الرحمة وتعقب بان الله غاير بين الصلاة والرحمة
فى قوله سبحانه اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وكذلك فهم الصحابة
المغايرة من قوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما • حتى سئلوا عن كيفية الصلاة

مع تقدم

مع تقدم ذكر الرحمة فى تعليم السلام حيث جاء بلفظ السلام عليك ايها النبى
ورحمة الله وبركاته واقرهم النبى صلى الله عليه وسلم فلو كانت الصلاة بمعنى الرحمة
لقال لهم قد علمتم ذلك فى السلام وجوز الحليمى ان تكون الصلاة بمعنى السلام
عليه وفيه نظر وقيل صلاة الله على خلقه تكون خاصة وتكون عامة فصلاته
على انبيائه هى ما تقدم من الثناء والتعظيم وصلاته على غيرهم الرحمة فهى التى
وسعت كل شئ وحكى القاضى عياض عن بكر القشيرى انه قال الصلاة على النبى
صلى الله عليه وسلم من الله تشريف وزيادة تكرمة وعلى من دون النبى رحمة وبهذا
يظهر الفرق بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين سائر المؤمنين حيث قال تعالى
فى سورة الاحزاب ان الله وملئكته يصلون على النبى وقال قبل ذلك فى السورة
المذكورة هو الذى يصلى عليكم وملئكته ومن المعلوم ان القدر الذى يليق
بالنبى صلى الله عليه وسلم من ذلك ارفع مما يليق بغيره والاجماع منعقد على ان
فى هذه الاية من تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم والتنويه به ما ليس فى غيرها وقال
الحليمى فى الشعب معنى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم تعظيمه فمعنى قولنا اللهم
صل على محمد اعظم محمدا والمراد تعظيمه فى الدنيا باعلاء ذكره واظهار دينه و
ابقاء شريعته وفى الاخرة باجزال مثوبته وتشريفه فى امته وابداء فضيلته
بالمقام المحمود وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى صلوا عليه ادعوا ربكم بالصلاة
عليه انتهى ولا يعكر عليه عطف اله وازواجه وذريته عليه فانه لا يمتنع ان يدعى
لهم بالتعظيم اذ تعظيم كل احد بحسب ما يليق به وما تقدم عن ابى العالية اظهر
فانه يحصل به استعمال لفظ الصلاة بالنسبة الى الله والى الملائكة والى المؤمنين
المأمورين بذلك بمعنى واحد ويؤيده انه لا خلاف فى جواز الترحم على غير الانبياء
واختلف فى جواز الصلاة على غير الانبياء ولو كان معنى قولنا اللهم صل على محمد
ارحم محمدا او ترحم على محمد جاز لغير الانبياء وكذا لو كان بمعنى البركة وكذلك الرحمة
لسقط الوجوب فى التشهد عند من يوجبه بقول المصلى فى التشهد السلام عليك
ايها النبى ورحمة الله وبركاته ويمكن الانفصال عنه بان ذلك وقع بطريق التعبد
فلا بد من الاتيان به ولو سبق الاتيان بما يدل عليه فان قلت فى اى وقت وقع الامر
بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فالجواب كما قاله ابو ذر الهروى انه وقع فى السنة الثانية
من الهجرة وقيل فى ليلة الاسراء وقيل ان شهر شعبان شهر الصلاة عليه صلى الله عليه و
سلم لان اية الصلاة يعنى ان الله وملائكته يصلون على النبى نزلت فيه والله اعلم
قال الحليمى والمقصود بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم التقرب الى الله تعالى بامتثال امره تعالى

وقضاء حق النبي صلى الله عليه وسلم علينا وتبعه ابن عبد السلام فقال في الباب
الثامن من كتابه المسمى بشجرة المعارف ليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم
شفاعة له فان مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله امرنا بمكافاة من احسن الينا فان
عجزنا عنها كافاناه بالدعاء فارشدنا الله لما علم عجزنا عن مكافاة نبينا الى الصلاة
عليه وذكر نحوه عن الشيخ ابي محمد المرجاني وقال ابن العربي فائدة الصلاة عليه ترجع الى الذي يصلي
عليه لدلالته ذلك على نصوح العقيدة وخلوص النية واظهار المحبة والمداومة على الطاعة
والاحترام للواسطة الكريمة صلى الله عليه وسلم واختلف في حكم الصلاة عليه صلوات الله
وسلامه عليه على اقوال احدها انها تجب في الجملة بغير حصر لكن اقل ما يحصل به الاجزاء
مرة الثاني يجب الاكثار منها من غير تقييد بعدد قاله القاضي ابو بكر بن بكير من المالكية
وعبارته كما قاله القاضي عياض افترض الله على خلقه ان يصلوا على نبيه صلى الله
عليه وسلم ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا
يغفل عنها الثالث يجب كلما ذكر قاله الطحاوي وجماعة من الحنفية والحليمي وجماعة
من الشافعية وقال ابن العربي من المالكية انه الاحوط وكذا قاله الزمخشري واستدلوا
لذلك بحديث من ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله اخرجه
ابن حبان من حديث ابي هريرة وحديث رغم انف من ذكرت عنده فلم يصل علي رواه
الترمذي من حديث ابي هريرة وصححه الحاكم وحديث شقي عبد ذكرت عنده فلم يصل
علي اخرجه الطبراني من حديث جابر لان الدعاء بالرغم والابعاد والشقي يقتضي الوعيد
والوعيد على الترك من علامات الوجوب ومن حيث المعنى ان فائدة الامر بالصلاة
مكافاة على احسانه واحسانه مستمر فيتاكد اذا ذكر واستدلوا ايضا بقوله تعالى
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فلو كان اذا ذكر لا يصلي عليه
كان كآحاد الناس واجاب من لم يوجب ذلك باجوبة منها انه قول لا يعرف عن
احد من الصحابة ولا التابعين فهو قول مخترع ولو كان ذلك على عمومه للزم المؤذن اذا
اذن وكذا سامعه وللزم القارئ اذا مر باية فيها ذكره عليه السلام في القرآن وللزم
الداخل في الاسلام اذا تلفظ بالشهادتين ولكان في ذلك من المشقة والحرج ما
جاءت الشريعة المطهرة السمحة بخلافه ولكان الثناء على الله تعالى كلما ذكر احق بالوجوب
ولم يقولوا به وقد اطلق القدوري وغيره من الحنفية ان القول بوجوب الصلاة
كلما ذكر مخالف للاجماع المنعقد قبل قائله لانه لا يحفظ عن احد من الصحابة انه خاطب
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليك ولانه لو كان كذلك
لما تفرغ لعبادة اخرى واجابوا عن الاحاديث بانها خرجت مخرج المبالغة انها

تاكيد

تاكيد ذلك وطلبا او في حق من اعتاد ترك الصلاة عليه ديدنا وبالجملة فلا دلالة
على وجوب تكرر ذلك بتكرر ذكره صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد انتهى ملخصا والله
اعلم الرابع في كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره مرارا حكاه الزمخشري الخامس في
كل دعاء حكاه ايضا السادس انها من المستحبات وهو قول ابن جرير الطبري وادعى
الاجماع على ذلك واحتج على ذلك مع ورود صيغة الامر بذلك بالاتفاق من جميع
المتقدمين والمتاخرين من علماء الامة على ان ذلك غير ملزم فرضيتها حتى يكون
تارك ذلك عاصيا فدل على ان الامر فيه للندب ويحصل الامتثال لمن قاله
ولو كان خارج الصلاة قال في فتح الباري وما ادعاه من الاجماع معارض بدعوى
غيره الاجماع على مشروعية ذلك في الصلاة اما بطريق الوجوب واما بطريق
الندب ولا يعرف عن السلف لذلك مخالف الا ما اخرجه ابن ابي شيبة والطبري
عن ابرهيم النخعي انه كان يرى ان قول المصلي في التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته مجزئ عن الصلاة ومع ذلك انما ادعى اجزاء السلام عن الصلاة
السابع تجب في العمر مرة في الصلاة او غيرها ككلمة التوحيد قاله ابو بكر الرازي
من الحنفية الثامن تجب في الصلاة من غير تعيين المحل ونقل ذلك عن ابي جعفر
الباقر التاسع تجب في التشهد وهو قول الشعبي واسحاق بن راهويه العاشر
تجب في القعود اخر الصلاة بين قول التشهد وسلام التحلل قاله الشافعي ومن
تبعه واستدل لذلك بما رواه اصحاب السنن وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم
عن ابي مسعود البدري انهم قالوا يا رسول الله اما السلام عليك فقد عرفناه
فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا في صلاتنا فقال قولوا اللهم صل على محمد
وعلى ال محمد الحديث ومعنى قولهم اما السلام عليك فقد عرفناه هو الذي
في التشهد الذي كان قد علمه اياهم كما يعلمهم السورة من القرآن وفيه السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته ورواه الشافعي في مسنده عن ابي هريرة بمثله
وقد احتج بهذه الزيادة جماعة من الشافعية منهم ابن خزيمة والبيهقي لايجاب الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم في التشهد بعد التشهد وقبل السلام وقال الشافعي في الام
فرض الله الصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله وملائكته يصلون
على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ولم يكن فرض الصلاة عليه
في موضع اولى منه في الصلاة ووجدنا الدلالة عن النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك اخبرنا ابرهيم بن محمد حدثنا صفوان بن سليم عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن
ابي هريرة انه قال يا رسول الله كيف نصلي عليك يعني في الصلاة قال تقولون

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم الحديث اخبرنا ابرهيم بن محمد
حدثني سعد بن اسحاق بن كعب بن عجرة عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن كعب بن عجرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في الصلاة اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت
على ابرهيم وآل ابرهيم الحديث قال الشافعي فلما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يعلمهم التشهد في الصلاة وروى انه علمهم كيف يصلون عليه في الصلاة لم يجز
ان يقول التشهد في الصلاة واجب والصلاة عليه فيه غير واجبة وقد تعقب
بعض المخالفين هذا الاستدلال من اوجه احدها ضعف ابرهيم بن ابي يحيى
والكلام فيه مشهور الثاني على تقدير صحته فقوله في الاول يعني في الصلاة لم يصرح
بالقائل يعني الثالث قوله في الثاني انه كان يقول في الصلاة وان كان ظاهره ان المراد
الصلاة المكتوبة لكنه يحتمل ان يكون المراد بقوله في الصلاة اي في صفة الصلاة
عليه وهو احتمال قوي لان اكثر الطرق عن كعب بن عجرة يدل على ان السؤال وقع عن
صفة الصلاة لا عن محلها الرابع ليس في الحديث ما يدل على تعين ذلك في التشهد
خصوصا بينه وبين السلام وقد اطنب قوم من متأخري المالكية وغيرهم في
التشنيع على الشافعي في اشتراط ذلك في الصلاة وزعم انه قد تفرد بذلك وحكى
الاجماع على خلافه منهم ابو جعفر الطبري والطحاوي وابن المنذر والخطابي
وحكى القاضي عياض في الشفاء مقالاتهم وقد عاب عليه غير واحد وقالوا
كان ينبغي سكوته عنها لان مبنى تأليفه الشفاء على كمال المبالغة في تعظيمه صلى
الله عليه وسلم واداء حقوقه والقول بوجوب الصلاة عليه في الصلاة من غرض
المبالغة في تعظيمه وقد استحسن هو القول بطهارة فضلاته مع ان الاكثر
على خلافه لكنه استجاده لما فيه من الزيادة في تعظيمه وكيف ينكر القول بوجوب
الصلاة عليه وهي من جنس الصلاة ومقتضياتها واذا شرع السلام فيها
على نفس المصلي وعلى عباد الله الصالحين فكيف لا يجب الصلاة على سيد المرسلين
وقد انتصر جماعة كثيرة من العلماء الاعلام للشافعي كالحافظ عماد الدين بن كثير
والعلامة ابن القيم وشيخ الاسلام والحافظ ابي الفضل بن حجر وتلميذه شيخنا
الحافظ وغيرهم ممن يطول عدهم واستدلوا لذلك بادلة نقلية ونظرية ودفعوا
دعوى الشذوذ فنقلوا القول بالوجوب عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود
وابو مسعود البدري وجابر بن عبد الله ونقله اصحاب الشافعي عن عمر بن الخطاب
وابنه عبد الله ومن التابعين الشعبي فيما رواه البيهقي كما سيأتي وكذا ابو جعفر
الباقر ومقاتل واخرج الحاكم بسند قوي عن ابن مسعود قال يتشهد الرجل

من وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في
التشهد بعده وقبل السلام
اي السخاوي

ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو لنفسه قال الحافظ ابن حجر وهذا اقوى
شيء يحتج به الشافعي فان ابن مسعود ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد
في الصلاة وانه قال ثم ليتخير من الدعاء ما شاء فلما ثبت عن ابن مسعود الامر
بالصلاة عليه قبل الدعاء دل على انه اطلع على زيادة ذلك بين التشهد والدعاء و
اندفعت حجة من تمسك بحديث ابن مسعود في دفع ما ذهب اليه الشافعي مثل ما ذكره
القاضي عياض قال وهذا تشهد ابن مسعود الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه
ذكر الصلاة عليه وفي جزء الحسن بن عرفة مرفوعا واخرجه المعمري في عمل يوم
وليلة عن ابن عمر بسند جيد قال لا تكون صلاة الا بقراءة وتشهد وصلاة علي
واخرج البيهقي في الخلافيات بسند قوي عن الشعبي وهو من كبار التابعين قال
كنا نعلم التشهد فاذا قال واشهد ان محمدا عبده ورسوله يحمد ربه ويثني عليه
ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل حاجته وفي حديث ابي جعفر عن ابن
مسعود مرفوعا من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه قال
الدارقطني الصواب انه من قول ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة
لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرأيت انها لا تتم لكن
راويه عن ابي جعفر جابر الجعفي وهو ضعيف كذا في الشفاء وقد وافق الشافعي
من فقهاء الامصار احمد في احدى الروايتين عنه وعمل به اخيرا كما حكاه عنه
ابو زرعة الدمشقي فيما ذكره الحافظ ابن كثير واوجب اسحاق بن راهويه الاعادة
مع تعمد تركها دون النسيان والمشهور عن احمد انها تبطل بتركها عمدا او سهوا
وعليه اكثر اصحابه حتى ان بعض ائمة الحنابلة اوجب ان يقال في الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم كما علمهم ان يقولوا لما سألوه كما ذكره ابن كثير ووافق
الخرقي اسحاق في التقييد بالعمد دون السهو والخلاف ايضا عند المالكية
كما ذكر ابن الحاجب في سنن الصلاة ثم قال على الصحيح فقال شارحه ابن
عبد السلام يريد ان في وجوبها قولين وهو ظاهر كلام ابن المواز وبه
صرح عنه ابن القصار وعبد الوهاب كما في الشفاء بلفظ انه يراها فريضة
في الصلاة كقول الشافعي قال وحكى ابو يعلى العبدي المالكي عن المذهب فيها
ثلاثة اقوال في الصلاة الوجوب والسنة والندب ورأيت مما عزي
للقاضي ابي بكر بن العربي في سراج المريدين قال ابن المواز والشافعي الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم من فرائض الصلاة وهو الصحيح انتهى وقد يلزم
القائل من الحنفية بوجوب الصلاة عليه كلما ذكر كالطحاوي ونقله السروجي

قد يقال قد يحتمل نفي الكمال
قد يقال هذا لا يدل لان الحمد والثناء غير واجبين
اي فكذا الصلاة

اي على تقدير ان حديث
قد يقال ان الامام احمد ليس من المتقدمين
بل هو تلميذ الامام وهما اصحاب الراويين عنه
واسحاق بن راهويه من المتاخرين عنه

قد يقال انه هنا لا ينافي عدم لزوم قبل بان ترك
المسنونة يجب له الاعادة كما في احد الروايتين
كذا في الاصلاح الصغاقاني عند المالكية

وابو بكر بن العربي اختيار انه ضعيفة

فى شرح الهداية عن أصحاب المحيط والعقد والتحفة من كتبهم انه يقول بوجوبها
فى التشهد لتقدم ذكره صلى الله عليه وسلم فى اخر التشهد فى قوله واشهد
ان محمدا رسول الله لكن لهم ان يلتزموا ذلك ولا يجعلونه شرطا فى صحة الصلاة
ولم يخالف الشافعى احد من اصحابه فى ذلك بل قال بعض اصحابنا بوجوب
الصلاة على الال كما حكاه البندنيجى والدارمى ونقله امام الحرمين والغزالى
قولا عن الشافعى قال الحافظ ابن كثير والصحيح انه وجد على ان الجمهور على خلافه
وللقول بوجوبه ظهور للحديث واما مخالفة الخطابى من اصحاب الشافعى الشافعى
فلا يعتد به لمقتضى الامر المحمول على الوجوب اجماعا واولى احوال الصلاة و
لا مانع من احتمال كونه مرادا واما قوله ولا اعلم له فيها قدوة فيقال عليه لا ريب
ان الشافعى قدوة يقتدى به والمقام مقام اجتهاد فلا افتقار له فيه الى غيره
واما قوله فى الشفاء والدليل على انها ليست من فروض الصلاة عمل السلف الصالح
قبل الشافعى واجماعهم عليه ففيه نظر لانه ان اراد بالعمل الاعتقاد فيحتاج الى
نقل صريح عنهم بان ذلك ليس بواجب وانى يوجد ذلك واما قوله وقد شنع
الناس عليه يعنى الشافعى هذه المسئلة جدا فلا معنى له فاى شناعة فى ذلك
ولم يخالف فيه نصا ولا اجماعا ولا قياسا ولا مصلحة راجحة بل القول بذلك
من محاسن مذهبه ولا ريب ان القائل بجواز ترك الصلاة على افضل خلق الله
فى الصلاة التى هى رأس العبادة المطلوب فيها الخضوع واستحضار شادعها
والثناء عليه اولى بالتشنيع واما نقله الاجماع فقد تقدم ما فيه واما قوله ان
الشافعى اختار تشهد ابن مسعود فلم يقل به احد والشافعى انما اختار تشهد ابن عباس
كما يأتى ان شاء الله فى مقصد عباداته صلى الله عليه وسلم وقد استدل للوجوب
بما اخرجه ابو داود والنسائى والترمذى وصححه وكذا ابن خزيمة وابن حبان
والحاكم من حديث فضالة بن عبيد قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو
فى صلاته لم يحمد الله ولم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال عجل هذا ثم دعاه
فقال اذا صلى احدكم فليبدأ بالحمد لله والثناء عليه ثم ليصل على النبى صلى الله
عليه وسلم ثم ليدع بما شاء قلت ومما يعد من كرامات امامنا الشافعى وسره
السارى ان القاضى عياضا ساق هذا الحديث بسنده من طريق الترمذى من
غير ان يطعن فى سنده بعد قوله فصل فى المواطن التى تستحب فيها الصلاة على
النبى صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك فى تشهد الصلاة وذلك بعد التشهد
وقبل الدعاء وهذا الحديث كما ترى من اعظم الادلة لنا فان قال قائل اليس لكم

فيه دلالة لانه قال فسمع رجلا يدعو فى صلاته ولم يقل فى تشهده يجاب بانه يلزم على
هذا ان القاضى عياضا ساقه فى غير محله لانه عقد الفصل كما قدمته لبيان مواطن
استحباب الصلاة ثم قال ومن ذلك فى تشهد الصلاة وفى مصابيح البغوى من حديث
فضالة بن عبيد هذا ما يدل على انه كان فى التشهد ولفظه قال دخل رجل فقال اللهم
اغفر لى وارحمنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجلت ايها المصلى اذا صليت
فقعدت فاحمد الله بما هو اهله وصل على ثم ادعه وفى قوله عجلت استلواح فوات
الكمال عن الحقيقة المجزئة اذ لو كانت مجزئة لما حسن اللوم والتعليم بصيغة الامر
فان قال انه فى مقام تعليم المستحبات اذ لو كان فى الواجبات لامره بالاعادة كما امر المسئ
صلاته يجاب بان فى قوله هذا غنية عن الامر بالاعادة لانه حيث علمه ما هو الواجب
علم قطعا انه لم يأت به اولا فلم يكن اتيا به فوجبا عادته وهم اهل الفهم والعرفان فان قال
ان قوله فقعدت يحتمل ان يكون عطفا على مقدر تقديره اذا صليت وفرغت فقعدت
للدعاء فاحمد الله يجاب بان الاصل عدمه وانما هو عطف على المذكور اى اذا كنت
فى الصلاة فقعدت للتشهد فاحمد الله اى اثن عليه بقولك التحيات لله الى اخره
والله اعلم وقال الجرجانى من الحنفية وغيره لو كانت فرضا للزم تاخير البيان عن وقت
الحاجة لانه عليه الصلاة والسلام علمهم التشهد وقال فليتخير من الدعاء ما شاء و
لم يذكر الصلاة واجيب باحتمال ان لا تكون فرضت حينئذ وقال الحافظ زين الدين
العراقى فى شرح الترمذى قد ورد هذا فى الصحيح بلفظ ثم ليتخير وثم للتراخى فدل
على انه هناك شئ بين التشهد والدعاء انتهى وقد اطنب الشيخ ابو امامة بن النقاش
فى تفسيره من الانتصار للشافعى فى هذه المسئلة بما يطول ذكره فالله يثيبه
على قصده الجميل واما صفة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فعن عبد الرحمن بن
ابى ليلى قال لقينى كعب بن عجرة فقال الا اهدى لك هدية ان النبى صلى الله عليه وسلم
خرج علينا فقلنا يا رسول قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك قال قولوا
اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم
بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ال ابرهيم انك حميد مجيد رواه البخارى
ومسلم والترمذى وابو داود والنسائى فان قلت كيف يطابق قوله اللهم صل
على محمد قوله كما صليت على ال ابرهيم اجاب القاضى عياض بان الال مقحم كما فى
قوله عليه السلام فى ابى موسى انه اعطى مزمارا من مزامير ال داود ولم يكن له ال
مشهور بحسن الصوت وقد روى هذا الحديث ابن ابى حاتم بلفظ لما نزلت ان
الله وملئكته يصلون على النبى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

قال قلنا يا رسول الله فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد
وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد وبارك على
محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد وقال
عبد الرحمن بن ابى ليلى يقول وعلينا معهم وعن ابى حميد الساعدى انهم قالوا
يا رسول الله كيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته
كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على
ال ابرهيم انك حميد مجيد رواه الامام احمد وعن ابى[٢] مسعود الانصارى
قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى مجلس سعد بن عبادة فقال له
بشير بن سعد امرنا الله ان نصلى عليك فكيف نصلى عليك قال فسكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا (اى وددنا) انه لم يسئله ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على
ابرهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وعلى ال ابراهيم فى
العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم رواه مالك ومسلم وغيرهما
فان قلت ما موقع التشبيه فى قوله كما صليت على ال ابرهيم مع ان المقرر ان
المشبه دون المشبه به والواقع هنا عكسه لان محمدا صلى الله عليه وسلم
وحده افضل من ال ابرهيم ومن ابرهيم ولا سيما وقد اضيف اليه ال محمد
وقضية كونه افضل ان تكون الصلاة المطلوبة افضل من كل صلاة حصلت او
تحصل لغيره فقد اجاب العلماء عنه باجوبة كثيرة منها انه عليه الصلاة والسلام
قال ذلك قبل ان يعلم انه افضل من ابرهيم وقد اخرج مسلم من حديث انس ان رجلا
قال للنبى صلى الله عليه وسلم يا خير البرية قال ذاك ابرهيم وتعقب[٤] بانه لو كان كذلك
لغير صفة الصلاة عليه بعد ان علم انه افضل ومنها انه قال ذلك تواضعا وشرع
ذلك لامته ليكتسبوا بذلك الفضيلة ومنها ان التشبيه انما هو لاصل
الصلاة باصل الصلاة لا للقدر بالقدر فهو كقوله تعالى انا اوحينا اليك
كما اوحينا الى نوح وهو كقول القائل احسن الى ولدك كما احسنت الى فلان
ويريد بذلك اصل الاحسان لا قدره ومنه قوله تعالى واحسن كما احسن الله
اليك ورجح هذا القول القرطبى فى المفهم ومنها ان قوله اللهم صل على محمد منقطع
عن التشبيه فيكون التشبيه متعلقا بقوله وعلى ال محمد وتعقب بان غير الانبياء
لا يمكن ان يساووا الانبياء فكيف يطلب لهم صلاة مثل الصلاة التى وقعت
لابرهيم والانبياء من اله ويمكن الجواب عنه بان المطلوب الثواب الحاصل لهم

[٢] وهو غير ابى مسعود البدرى وكلاهما انصارى
[٦] وكان رئيس الخزرج كما ان سعد بن معاذ رئيس الاوس
[٤] وقد يقال
اى الجواب بانه قال ذلك قبل ان يعلم
لا يلزم منه انها فما انتشرت فى الافاق
[٤] اى تفضيله التواضع
لانه اوحى الى نوح مائة وثلاث وسبعين مرة واوحى
الى محمد صلى الله عليه وسلم اربعة وعشرين الف مرة
[٤] نظير المعنى غير فانها مضافة

لا جميع الصفات التى كانت سببا للثواب وقد نقل العمرانى فى البيان عن الشيخ
ابى حامد انه نقل هذا الجواب عن نص الشافعى واستبعد ابن القيم صحة ذلك عن
الشافعى لانه مع فصاحته ومعرفته بلسان العرب لا يقول هذا الكلام المستلزم
هذا التركيب الركيك البعيد من كلام العرب كذا قال وتعقبه الحافظ ابن حجر فقال
ليس التركيب المذكور ركيكا بل التقدير اللهم صل على محمد وصل على ال محمد كما
صليت الى اخره فلا يمتنع تعلق التشبيه بالجملة الثانية ومنها دفع المقدمة
المذكورة اولا وهى ان المشبه به يكون ارفع من المشبه وان ذلك ليس مطردا بل
قد يكون التشبيه بالمثل بل بالدون كما فى قوله تعالى مثل نوره كمشكاة واين يقع
نور المشكاة من نوره تعالى ولكن لما كان المراد من المشبه به ان يكون شيئا ظاهرا
واضحا للسامع حسن تشبيه النور بالمشكاة وكذا هنا لما كان تعظيم ابرهيم
وال ابرهيم بالصلاة عليهم مشهورا واضحا عند جميع الطوائف حسن
ان يطلب لمحمد وال محمد بالصلاة عليهم مثل ما حصل لابرهيم وال ابرهيم
ويؤيد ذلك ختم الطلب المذكور بقوله فى العالمين اى كما ظهرت الصلاة على
ابرهيم وعلى ال ابرهيم فى العالمين ولهذا لم يقع فى العالمين الا فى ذكر ابرهيم دون
ذكر ال محمد على ما وقع فى الحديث الذى وردت فيه وهو حديث ابى مسعود
الانصارى الذى ذكرته وهذا معنى قول الطيبى وليس التشبيه المذكور من باب
الحاق الناقص بالكامل لكن من باب الحاق ما لم يشتهر بما اشتهر وقال النووى
احسن الاجوبة ما نسب الى الشافعى ان التشبيه لاصل الصلاة او للمجموع
بالمجموع وقال ابن القيم بعد ان زيف اكثر الاجوبة الا تشبيه المجموع بالمجموع
واحسن منه ان يقال هو صلى الله عليه وسلم من ال ابرهيم وقد ثبت ذلك عن
ابن عباس فى تفسير قوله ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على
العالمين قال محمد من ال ابرهيم فكانه امرنا ان نصلى على محمد وعلى ال محمد خصوصا
بقدر ما صلينا عليه مع ابرهيم وال ابرهيم عموما فيحصل لاله ما يليق بهم
ويبقى الباقى كله له وذلك القدر ازيد مما لغيره من ال ابرهيم وتظهر حينئذ
فائدة التشبيه وان المطلوب له بهذا اللفظ افضل من المطلوب بغيره من
الالفاظ وقال الحليمى سبب هذا التشبيه ان الملائكة قالت فى بيت ابرهيم
رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد وقد علم ان محمدا وال محمد
من اهل بيت ابرهيم فكانه قال اجب دعاء الملائكة الذين قالوا ذلك فى محمد و
ال محمد كما اجبتها عند ما قالوها فى ال ابرهيم الموجودين حينئذ ولذلك ختم

بل وصل
اى لان فيه تقديره والوقف على قوله محمد وليس بوقف

بما ختم به الآية وهو قوله انك حميد مجيد **وممّا يعزى** للعارف الربانى ابى محمد
المرجانى انه قال وسرّ قوله صلى الله عليه وسلم كما صليت على ابرهيم وكما باركت على
ابرهيم ولم يقل كما صليت على موسى لان موسى عليه السلام كان التجلى له بالجلال فخرّ
موسى صعقا والخليل ابرهيم كان التجلى له بالجمال لان المحبة والخلة من اثار التجلى
بالجمال فلهذا امرهم صلوات الله وسلامه عليه ان يصلوا عليه كما صلى على
ابرهيم ليسئلوا له التجلى بالجمال وهذا لا يقتضى التسوية فيما بينه وبين الخليل
صلوات الله وسلامه عليهما لانه انما امرهم ان يسئلوا له التجلى بالوصف الذى
تجلى به للخليل عليه السلام فالذى يقتضيه الحديث المشاركة فى الوصف الذى
هو التجلى بالجمال ولا يقتضى التسوية فى المقامين ولا فى الرتبتين فان الحق سبحانه
يتجلى بالجمال لشخصين بحسب مقاميهما وان اشتركا فى وصف التجلى بالجمال
فيتجلى لكل واحد منهما بحسب مقامه عنده ورتبته منه ومكانته فيتجلى
للخليل عليه السلام بالجمال بحسب مقامه ويتجلى لسيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم بالجمال بحسب مقامه فعلى هذا يفهم الحديث انتهى **فان قلت**
ما المراد بآل محمد فى هذا الحديث فالجواب ان الراجح انه من حرمت عليهم الصدقة
كما نص عليه الشافعى واختاره الجمهور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام
للحسن بن على انا آل محمد لا تحل لنا الصدقة وقيل المراد بآل محمد صلى الله عليه
وسلم ازواجه وذريته وقيل المراد جميع الامة امة الاجابة حكاه ابو الطيب
الطبرى عن بعض الشافعية ورجحه النووى فى شرح مسلم وقيده القاضى حسين
بالاتقياء منهم وعليه يحمل كلام من اطلق ويؤيده ما رواه تمام فى فوائده و
الديلمى عن انس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقى
من امة محمد زاد الديلمى ثم قرأ ان اولياؤه الا المتقون واسنادهما ضعيف لكن
وَرَدَ ما يشهد لذلك فى الصحيحين كحديث ان آل بنى فلان ليسوا لى باولياء انما
وليى الله وصالح المؤمنين انتهى ملخصا وقد استدل العلماء بتعليمه صلى الله
عليه وسلم لاصحابه هذه الكيفية بعد سؤالهم عنها بانها افضل كيفيات
الصلاة عليه لانه لا يختار لنفسه الا الاشرف الافضل ويترتب على ذلك لو حلف
ان يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة فطريق البرّ ان يأتى بذلك هكذا
صوّبه النووى فى الروضة بعد ذكر حكاية الرافعى عن ابرهيم المروزى انه قال يبرّ اذا
قال كلما ذكره الذاكرون وكلما سهى عن ذكره الغافلون قال النووى وكأنه اخذ ذلك
من كون الشافعى ذكر هذه الكيفية يعنى فى خطبة الرسالة لكن بلفظ غفل بدل سهى

وقال

الحاشية:

بالنظر لصلاة الله على ابرهيم وعلى آل ابرهيم وعلى الآل

بالنصب على الاختصاص

ووردت متينا ان آل بنى معيط قوله بانها افضل و الآباء
هنا بمعنى على اى قال ذلك زيادة على الصلاة
المتقدمة وفى السهو والغفلة ومثله عدم الذكر
وعدم اليقظة من واد بخلاف النسيان

وقال الاذرعى ابرهيم المذكور كثير النقل من تعليقة القاضى حسين ومع ذلك
فالقاضى قال فى طريق البرّ ان يقول اللهم صل على محمد كما هو اهله ويستحقه وكذا
نقله البغوى فى تعليقه ولو جمع بينها فقال ما فى الحديث واضاف اليه اثر الشافعى
وما قاله القاضى لكان اشمل ولو قيل يعمد الى جميع ما اشتملت عليه الروايات الثابتة
فيستعمل منها ذكرا يحصل به البرّ لكان حسنا **وعن** ابى مسعود ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا تشهد احدكم فى الصلاة فليقل اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابرهيم وعلى آل
ابرهيم انك حميد مجيد رواه الحاكم **وقد** استدل بهذا الحديث من ذهب الى جواز
الترحم على النبى صلى الله عليه وسلم كما هو قول الجمهور ويعضده حديث الاعرابى الذى
قال اللهم ارحمنى ومحمدا ولا ترحم معنا احدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد حجرت واسعا **وحكى** القاضى عياض عن جمهور المالكية منعه قال واجازه ابو محمد
بن ابى زيد انتهى وسيأتى ما فى ذلك من البحث ان شاء الله تعالى فى المقصد التاسع
عند الكلام على التشهد وعن سلامة الكندى ان عليا كان يعلم الناس هذا الدعاء
وفى لفظ يعلم الناس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول اللهم داحى
المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شرائف صلواتك ونوامى بركاتك ورأفة
تحننك على عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق
بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا
فى مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى
قبسا لقابس آلاء الله تصل باهله اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن
والاثم وانهج موضحات الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك
المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق
رحمة اللهم افسح له فى عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنئات
له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل على بناء
الناس بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له
مقبول الشهادة مرضى المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم
حديث موقوف رواه الطبرانى لكن قال الحافظ ابن كثير فى مسنده نظر قال وقال
شيخنا الحافظ ابو الحجاج المزى سلامة الكندى هذا ليس بمعروف ولم يدرك عليا
كذا قال **و**قوله داحى المدحوات اى باسط الارضين وكل شئ بسطته ووسعته
فقد دحوته بارئ المسموكات اى خالق السموات وكل شئ رفعته واعليته فقد سمكته

الحاشية:

وفيه تفويض ذلك الى الله تعالى

وهو الراجح عند المالكية

نسبة الى كندة قبيلة

اى الفاتح لما اغلق بعد الانبياء

من اضافة الصفة للموصوف وكذا يقال فيما بعده

ومن تعليلية اى اتمم له الاجل ابتعاثك

والدامغ لجيشات الاباطيل اى المهلك لما نجم وارتفع منها وفار واصل الدمغ
من الدماغ دمغه اصاب دماغه وجيشات من جاش اذا ارتفع واضطلع
افتعل من الضلاعة وهى القوة واورى قبسا لقابس اى اظهر نورا من الحق
لطالبه والآء الله نعم الله تصل باهله اى اهل ذلك القبس وهو الاسلام
والحق اسباب اهله المؤمنون وبه هديت القلوب بعد خوضات الفتن
والاثم اى هديت بعد الكفر والفتن لموضحات الاعلام ونائرات والمنيرات
الواضحات يقال نار الشئ وانار اذا وضح وشهيدك يوم الدين يريد الشاهد
على امته يوم القيامة وبعيثك نعمة اى مبعوثك فعيل بمعنى مفعول وافسح له
اى وسع له فى عدنك اى فى جنتك اى جنة عدن والمعلول من العلل وهو الشرب
بعد الشرب يريد ان عطاءه مضاعف له كانه يعل به عباده اى يعطيهم عطاء
بعد عطاء واعل على بناء الناس وفى رواية البانين اى ارفع فوق اعمال العاملين
عمله واكرم مثواه اى منزله ونزله رزقه والخطة بضم الخاء المعجمة الامر و
القصة والفصل القطع وعن عبد الله بن مسعود قال اذا صليتم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض
عليه قال فقالوا له علمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك
على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام
الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون
اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد وبارك
على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وال ابرهيم انك حميد مجيد حديث
موقوف رواه ابن ماجه وعن رويفع بن ثابت الانصارى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من صلى على محمد وقال اللهم انزله المقعد المقرب
عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتى رواه الطبرانى قال ابن كثير و
اسناده حسن ولم يخرجوه وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سره ان يكال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل
اللهم صل على محمد النبى الامى وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل
بيته كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد رواه ابو داود وعن طاووس
سمعت ابن عباس يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا
واعطه سؤله فى الاخرة والاولى كما اتيت ابرهيم وموسى رواه اسماعيل
القاضى قال ابن كثير واسناده جيد قوى صحيح واما المواطن التى تشرع فيها

اى لم يبق نبى ولا رسول ولا ملك الا تمنى ما ذلك

قضيته الاعتراض عليهم

الصلاة

الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فمنها التشهد الاخير وهى واجبة فيه كما قدمنا
وفى وجوبها فى التشهد الاول قولان اظهرهما المنع لبنائه على التخفيف بل سنة
وفى استحباب الصلاة على الآل فى التشهد الاول القولان وفى وجوبها فى الاخير
رأيان اصحهما المنع بل هى سنة تابعة واقلها اللهم صل على محمد وكذا صلى الله
على محمد واقلها على الآل واله وقال فى الكفاية باعادة على ومنها خطبة الجمعة وكذا
غيرها من الخطب ولا تصح خطبتا الجمعة الا بها لانها عبادة وذكر الله فيها شرط
فوجب ذكر الرسول فيها كالاذان والصلاة وهذا مذهب الشافعى واحمد
ومنها عقب اجابة المؤذن لما رواه الامام احمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم
صلوا على فانه من صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لى
الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وارجو الله ان
اكون انا هو فمن سأل الله لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة واخرجه مسلم و
ابو داود والترمذى والنسائى من حديث كعب بن علقمة وذكره بلفظ الرجاء
وان كان متحقق الوقوع ادبا وارشادا تعليما منه وتذكيرا بالخوف وتفويضا
الى الله بحسب مشيئته وليكن الطالب للشئ بين الرجاء والخوف وقوله
حلت عليه الشفاعة اى وجبت وقيل غشيته ونزلت به تنبيه قال شيخنا
فى المقاصد الحسنة حديث الدرجة الرفيعة المدرج فيما يقال بعد الاذان
لم اره فى شئ من الروايات واصل الحديث عند احمد والبخارى والاربعة عن
جابر مرفوعا من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة
القائمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته
حلت له شفاعتى يوم القيامة قال وكان من زادها اغتر لما وقع فى بعض نسخ
الشفاء فى حديث جابر المشار اليه لكن مع زيادتها فى هذه النسخة المعتمدة علم
عليها كاتبها بما يشير الى الشك فيها ولم ارها فى سائر نسخ الشفاء بل فى الشفاء
عقد لها فصلا فى مكان اخر ولم يذكر فيه حديثا صريحا وهو دليل لغلطها انتهى
والله اعلم ومنها اول الدعاء واوسطه واخره لما روى احمد من حديث جابر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجعلونى كقدح الراكب فان الراكب يملأ
قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب شربه او الوضوء توضأ
والا اهراقه ولكن اجعلونى فى اول الدعاء واوسطه واخره ومنها وهو من
اكدها عقب دعاء القنوت لما رواه احمد واهل السنن وابن جرير وابن حبان

والتاج انها لا تطلب
فعلى المنع اى عدم الوجوب

فى قوله وارجو ان اكون انا هو

وهو الشمس السخاوى

والحاكم من حديث ابي الجوزاء عن الحسن بن علي قال علمني رسول الله صلى الله
عليه وسلم كلمات اقولهن في الوتر اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت
وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما اعطيت وقني شر ما قضيت فانك تقضي
ولا يقضى عليك انه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت وزاد النسائي
في سننه وصلى الله على النبي وسيأتي في المقصد التاسع البحث في ذلك
ان شاء الله تعالى ومنها اثناء تكبيرات العيدين لما روى اسماعيل القاضي
ان ابن مسعود وابا موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة فقال ان
هذا العيد قد دنا فكيف التكبير فيه فقال عبد الله تبدأ فتكبر تكبيرة تفتح
بها الصلاة وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر
وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تقرأ
ثم تكبر وتركع ثم تقوم فتكبر وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تركع فقال حذيفة وابو موسى صدق
ابو عبد الرحمن قال ابن كثير اسناده صحيح ومنها عند دخول المسجد والخروج منه
لما رواه احمد عن فاطمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد
صلى على محمد ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج
صلى على محمد وسلم ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك ومنها
في صلاة الجنازة فان السنة ان يقرأ الفاتحة بعد احدى التكبيرات وبعد الاولى
اولى وان تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الثانية ويدعو للميت بعد الثالثة
وبعد الرابعة يقول اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده وفي ذلك حديث رواه
الشافعي والنسائي منها عند التلبية لما رواه الشافعي والدارقطني عن
القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق قال كان يؤمر الرجل اذا فرغ من تلبيته ان
يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم على كل حال منها عند الصفا والمروة لما
روى اسماعيل القاضي عن عمر بن الخطاب انه قال اذا قدمتم فطوفوا بالبيت
سبعا وصلوا عند المقام ركعتين ثم أتوا الصفا فقوموا عليه من حيث
ترون البيت فكبروا سبع تكبيرات تكبيرا بين حمد وثناء عليه وصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم ومسئلة لنفسك وعلى المروة مثل ذلك قال
ابن كثير اسناده حسن جيد قوي ومنها عند الاجتماع والتفرق لما روى
الترمذي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما جلس قوم
مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيه الا كان عليهم ترة فان شاء

عذبهم وان شاء غفر لهم وروى اسماعيل القاضي عن ابي سعيد قال ما من قوم
يقعدون ثم يقومون ولا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم
حسرة وان دخلوا الجنة لما يروا من الثواب ومنها عند الصباح والمساء
لما روى الطبراني من حديث ابي الدرداء مرفوعا من صلى علي حين يصبح عشرا وحين
يمسي عشرا ادركته شفاعتي يوم القيامة ومنها عند الوضوء لحديث ابن ماجه
عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وضوء لمن
لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم ومنها عند طنين الاذن لحديث ابي رافع
عند ابن السني مرفوعا اذا طنت اذن احدكم فليذكرني وليصل علي وليقل ذكر
الله من ذكرني بخير ومنها عند نسيان الشيء لحديث ابي موسى المديني بسند فيه
ضعف عن انس رفعه اذا نسيتم شيئا فصلوا علي تذكروه ان شاء الله ومنها
بعد العطاس كما ذهب اليه ابو موسى المديني وجماعة ونازعهم في ذلك اخرون
وقالوا هذا موطن يفرد فيه ذكر الله تعالى كالاكل والشرب والوقاع ونحو ذلك
ومنها عند زيارة قبره الشريف لحديث ابي داود عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه
السلام وروى ابن عساكر من صلى عند قبري سمعته وورد الاكثار منها يوم
الجمعة وليلتها وعن اوس بن اوس الثقفي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة
فاكثروا علي من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله وكيف
تعرض عليك صلاتنا وقد ارمت يعني وقد بليت قال ان الله حرم على الارض
ان تاكل اجساد الانبياء رواه احمد وابو داود والنسائي وقد صحح هذا الحديث
ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني قال الحافظ ابن كثير وقد روى البيهقي من حديث ابي امامة
عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة
ولكن في اسناده ضعف فان قلت ما الحكمة في خصوصية الاكثار من الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها اجاب ابن القيم بان رسول الله صلى
الله عليه وسلم سيد الانام ويوم الجمعة سيد الايام فللصلاة عليه فيه مزية ليست
لغيره مع حكمة اخرى وهي ان كل خير نالته امته في الدنيا والاخرة فانما نالته على يديه
صلى الله عليه وسلم فجمع الله لامته به بين خيري الدنيا والاخرة واعظم كرامة تحصل لهم
فانها تحصل يوم الجمعة فان فيه بعثهم الى منازلهم وقصورهم في الجنة وهو يوم
المزيد لهم اذا دخلوا الجنة وهو عيد لهم في الدنيا ويوم فيه يسعفهم الله تعالى

بطلباتهم وحوايجهم ولا يرد سائلهم وهذا كله انما عرفوه وحصل لهم بسببه
وعلى يده فمن شكره وحمده واداء القليل من حقه صلى الله عليه وسلم ان يكثر من
الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم وليلته وأما فضيلة الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم فقد ورد التصريح بها في احاديث قوية لم يخرج البخاري منها شيئا
امثلها ما اخرجه مسلم من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى علي
واحدة صلى الله عليه عشرا وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم لحاجة فلم يجد احدا يتبعه فاتاه عمر بمطهرة من خلفه فوجد النبي
صلى الله عليه وسلم ساجدا فتنحى عنه حتى رفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه فقال
احسنت يا عمر حين وجدتني ساجدا فتنحيت عني ان جبريل اتاني فقال من صلى عليك
من امتك واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ورفعه عشر درجات رواه الطبراني
وقال الترمذي حديث حسن صحيح قال ابن كثير وقد اختار هذا الحديث الحافظ الضياء
المقدسي في كتابه المستخرج على الصحيحين وعن ابي طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاء ذات يوم والسرور يرى في وجهه فقالوا يا رسول الله انا لنرى السرور في وجهك
فقال انه اتاني الملك فقال يا محمد اما يرضيك ان ربك عز وجل يقول انه لا يصلي
عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا
سلمت عليه عشرا قال قلت بلى رواه الدارمي واحمد وابن حبان والحاكم والنسائي
واللفظ له وعن عامر بن ربيعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة
لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي فليقل عبد من ذلك او ليكثر رواه احمد و
ابن ماجه من حديث شعبة وعن عبد الله بن عمرو بن العاص من صلى على رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلاة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة فليقل
عبد من ذلك او ليكثر رواه احمد والتخيير بعد الاعلام بما فيه الخيرة في المخير فيه على
جهة التحذير من التفريط في تحصيله وهو قريب من معنى التهديد وروى الترمذي ان
ابي بن كعب قال يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك من صلاتي
قال ما شئت قلت الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت فالنصف
قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت فالثلثين قال ما شئت وان زدت
فهو خير لك قلت اجعل لك صلاتي كلها قال اذا يكفى همك ويغفر ذنبك ثم قال هذا
حديث حسن وهذا ما يتعلق بالصلاة وأما السلام فقال النووي يكره افراد
الصلاة عن السلام واستدل بورود الامر بهما معا في الآية يعني قوله تعالى
إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

وتعقبوه

اى بيان ذلك

وتعقبوه بان النبي صلى الله عليه وسلم علم اصحابه التسليم قبل تعليم الصلاة
كما هو مصرح به في قولهم يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك
وقوله عليه الصلاة والسلام بعد ان علمهم الصلاة والسلام كما علمتم فافرد التسليم
مدة قبل الصلاة عليه لكن قال في فتح الباري انه يكره ان يفرد الصلاة ولا يسلم اصلا
اما لو صلى في وقت وسلم في وقت اخر فانه يكون ممتثلا وقال ابو محمد الجويني
من اصحابنا السلام بمعنى الصلاة فلا يستعمل في الغائب ولا يفرد به غير
الانبياء فلا يقال علي عليه السلام سواء في هذا الاحياء والاموات واما الحاضر
فيخاطب فيقال سلام عليك او عليكم او السلام عليك او عليكم وهذا
مجمع عليه انتهى وقد جرت عادة بعض النساخ ان يفردوا عليا وفاطمة رضي الله
عنهما بالسلام فيقولوا عليه او عليها السلام من دون سائر الصحابة في ذلك
وهذا وان كان معناه صحيحا لكن ينبغي ان يساوى بين الصحابة رضي الله عنهم في ذلك
فان هذا من باب التعظيم والتكريم والشيخان وعثمان اولى بذلك منهما اشار
اليه ابن كثير وأما الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم فاختلف فيها و
اخرج البيهقي بسند واه من حديث بريدة لا تتركن في التشهد الصلاة علي
وعلى انبياء الله واخرج اسماعيل القاضي بسند ضعيف من حديث ابي هريرة صلوا
على انبياء الله واخرج الطبراني من حديث ابن عباس رفعه اذا صليتم علي فصلوا
على انبياء الله فان الله بعثهم كما بعثني وثبت عن ابن عباس اختصاص ذلك
بالنبي صلى الله عليه وسلم اخرجه ابن ابي شيبة من طريق عثمان عن عكرمة عنه قال ما اعلم
الصلاة تنبغي على احد من احد الا على النبي صلى الله عليه وسلم وسنده صحيح وحكي القول
به عن مالك وجاء نحوه عن عمر بن عبد العزيز وقال سفيان يكره ان يصلى الا على
نبي وعن بعض شيوخ مذهب مالك لا يجوز ان يصلى الا على محمد قالوا وهذا غير
معروف عن مالك وانما قال اكره الصلاة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى
ما امرنا به وخالفه يحيى بن يحيى فقال لا بأس به واحتج بان الصلاة دعاء بالرحمة
فلا تمنع الا بنص او اجماع واما الصلاة على غير الانبياء فان كانت بطريق التبعية
كما تقدم في الحديث اللهم صل على محمد وال محمد ونحوه فهذا جائز بالاجماع
وانما وقع النزاع فيما اذا افرد غير الانبياء بالصلاة عليهم فقال قائلون
بجواز ذلك واحتجوا بقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته وبقوله
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وبقوله تعالى خذ من اموالهم
صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم وبحديث عبد الله بن ابي اوفى

بذلك

قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل
عليهم فاتاه ابى بصدقته فقال اللهم صل على ال ابى اوفى اخرجه الشيخان وقال الجمهور
من العلماء لا يجوز افراد غير الانبياء بالصلاة لان هذا قد صار شعار الانبياء
اذا ذكروا فلا يلحق غيرهم بهم فلا يقال ابو بكر صلى الله عليه وسلم او قال على صلى
الله عليه وسلم وان كان المعنى صحيحا كما لا يقال قال محمد عز وجل وان كان عزيزا
جليلا لان هذا من شعار ذكر الله عز وجل وحملوا ما ورد فى ذلك من الكتاب
والسنة على الدعاء لهم ولهذا لم يثبت شعار الال ابى اوفى وهذا مسلك
حسن وقال اخرون لا يجوز ذلك لان الصلاة على غير الانبياء قد صارت
من شعار اهل الاهواء يصلون على من يعتقدون فيهم فلا يقتدى بهم
فى ذلك ثم اختلف المانعون من ذلك هل هو من باب التحريم او كراهة التنزيه
او خلاف الاولى على ثلاثة اقوال حكاها النووى فى كتاب الاذكار ثم قال والصحيح
الذى عليه الاكثرون انه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار اهل البدع وقد نهينا عن شعارهم

الفصل الثالث فى ذكر محبة اصحابه عليه السلام واله وقرابته واهل
بيته وذريته **قال الطبرى اعلم** ان الله تعالى لما اصطفى نبيه صلى الله عليه
وسلم على جميع من سواه • وخصه بما عمه به من فضله الباهر وحباه • اعلا
ببركته من انتمى اليه نسبا او نسبه • ورفع من انطوى عليه بنصره وصحبه •
والزم مودة قرباه كافة بريته • وفرض محبة جملة اهل بيته المعظم وذريته •
فقال تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى ويروى انها لما نزلت قالوا
يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال على وفاطمة وابناهما وقال تعالى انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا • وقد اختلف فى المراد
باهل البيت فى هذه الاية فروى ابن ابى حاتم عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت
فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير عن عكرمة انه كان ينادى فى السوق
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت قال نزلت فى نساء النبى صلى الله عليه
وسلم قال الحافظ ابن كثير وهذا يعنى ما فيه الاية نص فى دخول ازواجه صلى الله
عليه وسلم لانهن سبب نزول هذه الاية وسبب النزول داخل فيه قولا واحدا
اما وحده على قول او مع غيره على الصحيح وقيل المراد النبى صلى الله عليه وسلم
قال عكرمة من شاء باهلته انها نزلت فى شان النبى صلى الله عليه وسلم وان كان المراد
انهن كن سبب النزول دون غيرهن ففى هذا نظر فانه قد ورد فى ذلك احاديث يدل على
ان المراد اعم من ذلك فروى الامام احمد عن واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم جاء ومعه على وحسن وحسين اخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل
فادنى عليا وفاطمة واجلسهما بين يديه واجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما
على فخذه ثم لف عليهم ثوبه او قال كساه ثم تلا هذه الاية انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا • وقال اللهم هؤلاء اهل بيتى احق زاد فى
رواية ابن جرير فقلت وانا يا رسول الله من اهلك قال وانت من اهلى قال
واثلة وانها من ارجى ما ارتجى وعن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى
بيتها اذ جاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة فدخلت عليه بها فقال ادعى زوجك وابنيك
قالت فجاء على وحسن وحسين فدخلوا عليه فجلسوا ياكلون من تلك الخزيرة وتحته
كساء قالت وانا فى الحجرة اصلى فانزل الله عز وجل هذه الاية انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا • قالت فاخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم
اخرج يده فالوى بها الى السماء ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتى وحامتى فاذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فادخلت راسى من البيت فقلت وانا معكم يا رسول الله
فقال انك الى خير انك الى خير رواه احمد وفى اسناده من لم يسم وبقية اسناده ثقات
وقوله وحامتى بالتشديد اى خاصتى وعن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم نزلت هذه الاية فى خمسة فى وفى على وحسن وحسين وفاطمة انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا • رواه ابن جرير ورواه احمد فى
المناقب والطبرانى وعن زيد بن ارقم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك
ان ياتينى رسول ربى عز وجل فاجيبه وانى تارك فيكم الثقلين اولهما كتاب الله
عز وجل فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله عز وجل وخذوا به وحث فيه ورغب فيه
ثم قال واهل بيتى اذكركم الله عز وجل فى اهل بيتى ثلاث مرات فقيل لزيد من اهل بيته
اليس نساؤه من اهل بيته قال بلى ان نساءه من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرم
عليهم الصدقة بعده قال من هم قال هم ال على وال جعفر وال عقيل وال العباس قال كل
هؤلاء حرم عليهم الصدقة قال نعم خرجه مسلم والثقل محركة كما فى القاموس كل شئ
نفيس مصون قال ومنه الحديث انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى وهى بكسر
المهملة وسكون المثناة الفوقية والاخذ بهذا الحديث احرى • وليس المراد باهل
الاواج فقط بل هم مع اله ولا يشك من تدبر القران ان نساء النبى صلى الله عليه وسلم
داخلات فى الاية الكريمة فان سياق الكلام معهن ولهذا قال بعد هذا كله واذكرن
ما يتلى فى بيوتكن من ايات الله والحكمة وهذا اختيار ابن عطية بعد ان نقل الجمهور

على انهم علي وفاطمة والحسن والحسين قال وجه الجمهور قوله تعالى عنكم ويطهركم بالميم ولو كان للنساء خاصة لكان عنكن واجيب بان الخطاب بلفظ التذكير وقع على سبيل التغليب فيكون المراد به كالمراد بالآل في حديث كيفية الصلاة عليه السابق ذكره على قول من فسره به كما قدمته مع غيره قريبا في المقصد السابق والله اعلم ولله در القائل

يا آل بيت رسول الله حبكم	فرض من الله في القرآن انزله
يكفيكم من عظيم الفخر انكم	من لم يصل عليكم لا صلاة له

واخرج احمد عن ابي سعيد معنى حديث زيد بن ارقم السابق مرفوعا بلفظ اني اوشك ان ادعى فاجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي وان اللطيف الخبير اخبرني انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا بما تخلفوني فيهما وعترة الرجل كما قال الجوهري اهله ونسله ورهطه الادنون اي الأقارب وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال يا أيها الناس ارقبوا محمدا في أهل بيته رواه البخاري والمراقبة للشيء المحافظة عليه يقول احفظوهم فلا تؤذوهم وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه كما في البخاري ايضا القرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي من ان اصل من قرابتي وهذا قاله على سبيل الاعتذار لفاطمة عن منعه اياها ما طلبته منه من تركة النبي صلى الله عليه وسلم وقد جرى منه على موجب الايمان لانه عليه الصلاة والسلام شرط الاحبية فيه على النفس والمال والولد كما ذكرته في الفصل الاول من هذا المقصد ثم انه صلى الله عليه وسلم اثبت لاقاربه ما اثبت لنفسه من ذلك فقال من احبهم فبحبي احبهم وحثنا على ذلك شفقة منه علينا صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ولقد احسن القائل

رأيت ولاء آل طه فريضة	على رغم اهل البعد يورثني القربى
فما طلب المبعوث اجرا على الهدى	بتبليغه الا المودة في القربى

وفي الترمذي وقال حسن غريب احبوا الله لما يغذوكم به واحبوني بحب الله واحبوا اهل بيتي بحبي وفي المناقب لاحمد من ابغض اهل البيت فهو منافق وروى ابن سعد من صنع الى احد من اهل بيتي معروفا فعجز عن مكافاته في الدنيا فانا المكافي له في القيامة والمراد بالقرابة من ينتسب الى جده الاقرب وهو عبد المطلب ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم منهم او رآه من ذكر وانثى وهم علي واولاده الحسن والحسين ومحسن وام كلثوم من فاطمة رضي الله عنها وجعفر واولاده وهم عبد الله وعون ومحمد ويقال انه كان لجعفر بن ابي طالب ابن اسمه احمد وعقيل بن ابي طالب وولده مسلم بن عقيل وحمزة بن عبد المطلب واولاده يعلى وعمارة وامامة

والعباس بن عبد المطلب واولاده الذكور العشرة وهم الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله والحارث ومعبد وعبد الرحمن وتمام وفيه يقول العباس رضي الله عنه

تموا بتمام فصاروا عشره	يا رب فاجعلهم كراما برره

ويقال ان لكل منهم رؤية وكان له من الاناث ام حبيبة وامية وصفية واكثرهم من لبابة ام الفضل ومعتب ابنا ابي لهب والعباس بن ابي لهب وكان زوج امية بنت العباس وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب واخته ضباعة وكانت زوج المقداد بن الاسود وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابناه المغيرة والحرث وكهند بن الحرث هذا رؤية وكان يلقب ببة بموحدتين الثانية مثقلة واميمة واروى وعاتكه وصفية بنات عبد المطلب اسلمت صفية وصحبت وفي الباقيات خلاف والله اعلم وفي البخاري من حديث سعد بن ابي وقاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي وفي لفظ اما ترضى ان تكون بمنزلة هرون من موسى اي نازلا مني منزلة هارون من موسى والباء زائدة وقال الطيبي معنى الحديث انت متصل بي نازل مني منزلة هارون من موسى وفيه تشبيه مبهم بينه بقوله الا انه لا نبي بعدي فعرف ان الاتصال بينهما ليس من جهة النبوة بل من جهة ما دونها وهو الخلافة ولما كان هرون المشبه به انما كان خليفة في حياة موسى دل ذلك على تخصيص خلافة علي للنبي صلى الله عليه وسلم بحياته والله اعلم واما ما استدل به من الحديث على استحقاق علي للخلافة دون غيره من الصحابة فان هرون كان خليفة موسى فاجيب بان هرون لم يكن خليفة موسى الا في حياته لا بعد موته لانه مات قبل موسى باتفاق اشار الى ذلك الخطابي واما حديث الترمذي والنسائي من كنت مولاه فعلي مولاه فقال الشافعي يعني بذلك ولاء الاسلام كقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم وقول عمر اصبحت مولى كل مومن اي ولي كل مومن وطرق هذا الحديث كثيرة جدا استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد وكثير من اسانيدها صحاح وحسان وروى انه صلى الله عليه وسلم قال من آذى عليا فقد آذاني خرجه احمد واخرج المخلص الذهبي من احب عليا فقد احبني وقد ذكر النقاش ان قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا نزل في علي قال محمد بن الحنفية لا تجد مومنا الا وهو يحب عليا واهل بيته وقال ابو حيان في البحر ومن الغريب ما انشدنا الامام اللغوي رضي الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الانصاري الشاطبي لزينب بنت اسحاق النصراني الرسعني

عدى وتيم لا احاول ذكرهم ... بسوء ولكنى محب لهاشم
وما يعتريني في علي ورهطه ... اذا ذكروا في الله لومة لائم
يقولون ما بال النصارى تحبهم ... واهل النهى من اعرب واعاجم
فقلت لهم انى لاحسب حبهم ... سرى في قلوب الخلق حتى البهائم

وقالت عائشة رضى الله عنها كانت فاطمة احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها على احب الرجال اليه رواه الترمذى وفى البخارى ان فاطمة بضعة منى فمن اغضبها اغضبنى والبضعة بفتح الموحدة وحكى ضمها وكسرها ايضا وبسكون المعجمة اى قطعة لحم واستدل السهيلى على ان من سبها فانه يكفر وفى الترمذى من حديث اسامة بن زيد وقال حسن غريب انه صلى الله عليه وسلم قال فى حسن وحسين اللهم انى احبهما فاحبهما واحب من يحبهما وخرجه مسلم من حديث ابى هريرة فى الحسن خاصة زاد ابو حاتم فما كان احد احب الى من الحسن بعد ما قال صلى الله عليه وسلم ما قال وفى حديث ابى هريرة ايضا عند الحافظ السلفى قال ما رايت الحسن بن على قط الا فاضت عيناى دموعا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما وانا فى المسجد فاخذ بيدى واتكأ على حتى جئنا سوق قينقاع فنظر فيه ثم رجع حتى جلس فى المسجد ثم قال ادعوا ابنى فاتى الحسن بن على يشتد حتى وقع فى حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح فمه ثم يدخل فمه فى فمه ويقول اللهم انى احبه فاحبه واحب من يحبه ثلاث مرات وفى الترمذى من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كان يشمهما ويضمهما اليه وقال من احبنى واحب هذين واباهما وامهما كان معى فى درجتى يوم القيمة رواه احمد وقال الترمذى كان معى فى الجنة وقال حديث غريب وليس المراد بالمعية هنا المعية من حيث المقام بل من جهة رفع الحجاب وتقدم نحوه فى قوله تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين فى المقصد السادس وفى حديث ابى زهير بن الارقم رجل من الازد انه صلى الله عليه وسلم قال فى الحسن من احبنى فليحبه فليبلغ الشاهد الغائب وفى البخارى هما ريحانتاى من الدنيا وكان يمص لسان الحسن وشفته رواه احمد وعن عقبة بن الحرث قال رأيت ابا بكر وحمل الحسن وهو يقول بابى شبيه بالنبى ليس شبيها بعلى وعلى يضحك وعن محمد بن سيرين عن انس كان يعنى الحسن اشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم رواهما البخارى وعنده من رواية الزهرى عن انس لم يكن احد اشبه بالنبى صلى الله عليه وسلم من الحسن بن على وهذا قد يعارضه قول على فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم لم ار قبله ولا بعده مثله اخرجه الترمذى

فى الشمائل كما تقدم فى المقصد الثالث واجيب بان يحمل النفى على عموم الشبه والاثبات على معظمه وقول انس لم يكن احد اشبه بالنبى صلى الله عليه وسلم من الحسن بن على قد يعارض رواية ابن سيرين عنه السابقة كان الحسين يعنى بالياء اشبههم بالنبى صلى الله عليه وسلم ويمكن الجمع بان يكون انس قال ما وقع فى رواية الزهرى فى حياة الحسن لانه يومئذ كان اشد بالنبى صلى الله عليه وسلم من اخيه الحسين واما ما وقع من رواية ابن سيرين فكان بعد ذلك او المراد بمن فضل عليه الحسين فى الشبه كان من عدا الحسن ويحتمل ان يكون كل منهما كان اشد شبها به فى بعض اعضائه فقد روى الترمذى وابن حبان من طريق هانى بن هانى عن على قال الحسن اشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الرأس الى الصدر والحسين اشبه النبى صلى الله عليه وسلم ما كان اسفل من ذلك وقد عدوا من كان له شبه بالنبى صلى الله عليه وسلم سوى الحسن والحسين جعفر بن ابى طالب وقد قال عليه السلام لجعفر اشبهت خلقى وخلقى قال الترمذى حسن صحيح وابنه عبد الله بن جعفر وقثم بن العباس بن عبد المطلب وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ومسلم بن عقيل بن ابى طالب ومن غير بنى هاشم السائب بن زيد المطلبى الجد الاعلى للامام الشافعى وعبد الله بن عامر بن كريز بضم الكاف وفتح الراء وكابس بن ربيعة رجل من اهل البصرة وجه اليه معاوية وقبل بين عينيه واقطعه قطيعة وكان انس اذا رآه بكى فهؤلاء عشرة ونظمهم شيخ الاسلام الحافظ ابو الفضل بن حجر فقال

شبه النبى لعشر سائب وابى ... سفيان والحسنين الطاهرين هما
وجعفر وابنه ثم ابن عامرهم ... ومسلم كابس يتلوه مع قثما

وعدهم بعضهم سبعة وعشرين وممن كان يشبهه ايضا فاطمة ابنته وابرهيم ولده وولدا جعفر عبد الله السابق ذكره واخوه عون وكان يشبهه ايضا من اهل البيت غير هؤلاء ابرهيم بن الحسين بن الحسن بن على بن ابى طالب ويحيى بن القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على وكان يقال له الشبيه قال الشريف محمد بن اسعد النسابة فى الزروق الانيسة لمشهد السيدة نفيسة انه كان ليحيى هذا موضع خاتم النبوة شامة قدر بيضة الحمام تشبه خاتم النبوة وكان اذا دخل الحمام ورآه الناس صلوا على النبى صلى الله عليه وسلم وازدحموا عليه يقبلون ظهره تبركا وكذا بالشبيه القسم بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن ابى طالب وعلى بن على بن عباد بن رفاعة الرفاعى شيخ بصرى من اتباع التابعين والمراد بالشبه هنا الشبه فى البعض والا فتمام حسنه صلى الله عليه وسلم منزه عن الشريك كما قال الابوصيرى رحمه الله واجاد

منزه عن شريك فى محاسنه ... فجوهر الحسن فيه غير منقسم

كما اشرت اليه في اول المقصد الثالث وقد اطلت المقال وانما جرني الى ذلك ذكر حمل
الصديق للحسن على عاتقه المشعر للاكرام من افضل البشر بعد النبيين لاهل
البيت المحمدي وحملهم على الاعناق لا سيما مع قوله رضي الله عنه لقرابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي فلما تضمن الحديث ذكر الشبه
الكريم جرني الكلام اليه وهذا وقع لي كثيرا في هذا المجموع بل في غالبه لكنه لا يخلو
عن زوائد الفوائد وقد روي انه صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبد المطلب مني
وانا منه لا تؤذوا العباس فتؤذوني من سب العباس فقد سبني اخرجه البغوي
في معجمه وقال صلى الله عليه وسلم للعباس ايضا والذي نفسي بيده لا يدخل قلب
رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ثم قال ايها الناس من اذى عمي فقد اذاني
فانما عم الرجل صنو ابيه رواه الترمذي وقال حسن صحيح وفي قوله لا يدخل قلب رجل
الايمان حتى يحبكم الاشارة الى الايمان الحقيقي المنجي وهو التصديق القلبي وبين
المحبة والايمان ارتباط من جهة ان المحبة ميل القلب الى المحبوب والايمان التصديق
القلبي فيجتمعان في القلب وجعلهما متلازمين فيلزم من نفي احدهما نفي الآخر
ثم علل هذه بكونها لله ورسوله فلا عبرة بمحبة تكون لغير ذلك ثم جعل اذاه كاذى
نفسه لانه غضوه وعصبته ثم عظم مقامه بتنزيله منزلة الاب فكما انه يجب
على الولد تعظيم والده والقيام بحقوقه فكذلك عمه فقال وانما عم الرجل صنو ابيه
وهو بكسر الصاد المهملة وسكون النون اي مثل ابيه قال ابن الاثير واصله ان
تطلع نخلتان من عرق واحد يريد ان اصل العباس واصل ابي واحد انتهى وجلله
عليه الصلاة والسلام وبنيه بكساء ثم قال اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة
ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم احفظه في ولده رواه الترمذي وقال
حسن غريب وبين ابن السري في روايته ان بنيه الذين جللوا بالكساء
كانوا ستة الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم ومعبد وعبد الرحمن
قال وغطاهم بشملة له سوداء مخططة بحمرة وقال اللهم ان هؤلاء اهل
بيتي وعترتي فاسترهم من النار كستري هم بهذه الشملة قال فما بقي في البيت مدرة
ولا باب الا امن وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لعقيل بن ابي طالب اني
احبك حبين حبا لقرابتك مني وحبا لما كنت اعلم من حب عمي لك قال الطبري
اخرجه ابو عمر والبغوي وروى الدارقطني انه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين
ابو سفيان بن الحرث خير اهلي او من خير اهلي واخرج الحاكم وصححه عن ابي سعيد
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبغضنا اهل البيت احد الا ادخله

الله النار واعلم انه قد اشتهر استعمال اربعة الفاظ يوصفون بها الاولى آله عليه
الصلاة والسلام والثانية اهل بيته والثالثة ذوو القربى والرابعة عترته
فاما الاولى فذهب قوم الى انهم هم اهل بيته وقال آخرون هم الذين حرمت عليهم
الصدقة وعوضوا عنها خمس الخمس وقال قوم من دان بدينه وتبعه فيه
واما اللفظة الثانية وهي اهل بيته فقيل من ناسبه الى جده الادنى وقيل من يجمع
معه في رحم وقيل من اتصل به بنسب او سبب واما اللفظة الثالثة وهي ذوو
القربى فروى الواحدي في تفسيره بسنده عن ابن عباس قال لما نزل قوله تعالى قل
لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين
امرنا الله تعالى بمودتهم قال علي وفاطمة وابناهما واما اللفظة الرابعة وهي
عترته فقيل العشيرة وقيل الذرية فاما العشيرة فهي الاهل الادنون واما الذرية
فنسل الرجل فاولاد بنته لرجل ذريته ويدل عليه قوله تعالى ومن ذريته
داود وسليمان الى قوله وعيسى ولم يتصل عيسى بابراهيم الا من جهة امه
مريم فهذه الذرية الطاهرة قد خصوا بمزايا التشريف وعموا بواسطة
السيدة فاطمة بفضل منيف والبسوا رداء الشرف ومنحوا بمزيد الاكرام
والتحف وقد وقع الاصطلاح على اختصاصهم من بين ذوي الشرف
كالعباسيين والجعافرة بالشطفة الخضراء لمزيد شرفهم والسبب في ذلك
كما قيل ان المأمون اراد ان يجعل الخلافة في بني فاطمة فاتخذ لهم شعارا اخضر و
البسهم ثيابا خضرا لكون السواد شعار العباسيين والبياض شعار سائر المسلمين
في جمعهم ونحوها والاحمر مختلف في كراهته والاصفر شعار اليهود باخرة ثم
انثنى عزمه عن ذلك ورد الخلافة لبني العباس فبقي ذلك شعار الاشراف العلويين
من الزهراء لكنهم اختصروا الثياب الى قطعة من ثوب اخضر توضع على عمائمهم
شعارا لهم ثم انقطع ذلك الى اواخر القرن الثامن قال في حوادث سنة ثلاث
وسبعين وسبعمائة من انباء الغمر بابناء العمر وفيها امر السلطان الاشرف
ان يمتازوا عن الناس بعصائب خضر على العمائم ففعل ذلك بمصر والشام
وغيرهما وفي ذلك يقول الاديب ابو عبد الله بن جابر الاندلسي

جعلوا لابناء الرسول علامة | ان العلامة شان من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم | يغني الشريف عن الطراز الاخضر

وللاديب شمس الدين المزني الدمشقي

اطراف تيجان اتت من سندس | خضر باعلام على الاشراف

والاشرف السلطان خصهم بها | شرفا ليفرقهم من الأطراف

والأشرف هو شعبان بن حسن بن الناصر محمد بن قلاوون **وأما أصحابه**
رضوان الله عليهم فقال الله سبحانه وتعالى محمد رسول الله والذين معه
اشدآء على الكفار رحمآء بينهم الى اخر السورة لما اخبر الله تعالى ان سيدنا
محمدا صلى الله عليه وسلم رسوله حقا من غير شك ولا ريب فقال محمد
رسول الله وهذا مبتدأ وخبر وقال البيضاوي وغيره جملة مبينة للمشهود به
يعني قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى الى وكفى بالله شهيدا قال
ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف انتهى وهذه الاية مشتملة
على كل وصف جميل ثم ثنى بالثناء على اصحابه فقال والذين معه اشدآء
على الكفار رحمآء بينهم كما قال تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين فوصفهم بالشدة والغلظة على الكفار
والرحمة والبر بالاخيار ثم اثنى عليهم بكثرة الاعمال مع الاخلاص التام فمن
نظر اليهم اعجبه سمتهم وهديهم لخلوص نياتهم وحسن اعمالهم **قال** مالك
بلغني ان النصارى كانوا اذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون والله
لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا وصدقوا فان هذه الامة المحمدية خصوصا
الصحابة لم يزل ذكرهم معظما في الكتب كما قال سبحانه وتعالى هنا ذلك مثلهم في التورية
ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه اي فراخه فآزره اي شده وقواه
فاستغلظ شب وطال فاستوى على سوقه يعجب الزراع قوته وغلظه و
حسن منظره فكذلك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم آزروه وايدوه و
نصروه فهم معه كالشطأ مع الزرع ليغيظ بهم الكفار ومن هذه الاية
انتزع الامام مالك رحمه الله في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون
الصحابة قال لانهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر وقد وافقه
على ذلك جماعة من العلماء والاحاديث في فضائل الصحابة كثيرة ويكفي ثناء الله
عليهم ورضوانه عنهم وقد وعدهم الله مغفرة واجرا عظيما ووعده حق
وصدق لا يخلف لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ومن في قوله منهم
لبيان الجنس واختلف في تعريف الصحابي فقيل من صحب النبي صلى الله
عليه وسلم او رآه من المسلمين واليه ذهب البخاري وسبقه اليه شيخه ابن المديني
وعبارته كما قال شيخنا من صحب النبي صلى الله عليه وسلم او رآه ولو ساعة
من نهار فهو من اصحابه انتهى وهذا هو الراجح والتقييد بالاسلام يخرج

كمثل زرع

من صحبه او رآه من الكفار ولو اتفق اسلامه بعد موته لكن يرد على التعريف من
صحبه او رآه مؤمنا ثم ارتد بعد ذلك ولم يعد الى الاسلام كعبيد الله بن
جحش فانه ليس بصحابي اتفاقا وكذلك ابن خطل وربيعة بن امية بن خلف الجمحي
وهو ممن اسلم في الفتح وشهد حجة الوداع وحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم
بعد موته ثم لحقه الخذلان والعياذ بالله في خلافة عمر فلحق بالروم وتنصر بسبب
شيء اغضبه وقد اخرج له الامام احمد في مسنده واخراجه له مشكل ولعله
لم يقف على قصة ارتداده فينبغي ان يزاد في التعريف ومات على ذلك فلو ارتد ثم عاد
الى الاسلام لكنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم ثانيا بعد عوده فالصحيح انه معدود
في الصحابة لاطباق المحدثين على عد الاشعث بن قيس ونحوه ممن وقع له ذلك واخراجهم
احاديثهم في المسانيد لكن قال الحافظ زين الدين العراقي ان في ذلك نظرا كبيرا فان
الردة محبطة للعمل عند ابي حنيفة ونص عليه الشافعي في الام وان كان الرافعي قد حكى
عنه انها انما تحبط بشرط اتصالها بالموت وحينئذ فالظاهر انها محبطة للصحبة
المتقدمة واما من رجع الى الاسلام في حياته صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن ابي سرح
فلا مانع من دخوله في الصحبة بدخوله الثاني في الاسلام وهل يشترط في الرائي ان
يكون بحيث يميز ما رآه او يكتفي بمجرد حصول الرؤية قال الحافظ ابن حجر محل نظر وعمل
من صنف في الصحابة يدل على الثاني فانهم ذكروا مثل محمد بن ابي بكر الصديق وانما ولد
قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة اشهر وايام كما في الصحيح ان امه اسماء بنت
عميس ولدته في حجة الوداع قبل ان تدخل مكة وذلك في اواخر ذي القعدة سنة عشر
من الهجرة ومنهم من بالغ فكان لا يعد في الصحابة الا من صحب الصحبة العرفية وروي
عن سعيد بن المسيب انه كان لا يعد في الصحابة الا من اقام مع النبي صلى الله عليه
وسلم سنة فصاعدا او غزا معه غزوة فصاعدا والعمل على خلاف هذا ومنهم من
اشترط في ذلك ان يكون حين اجتماعه به بالغا وهو مردود ايضا لانه يخرج مثل الحسن
بن علي ونحوه من احداث الصحابة واما التقييد بالرؤية فالمراد به عند عدم المانع منها
فان كان كابن ام مكتوم الاعمى فهو صحابي جزما فالاحسن ان يعبر باللقي بدل الرؤية ليدخل
فيه ابن ام مكتوم ونحوه قال الحافظ زين الدين العراقي وقولهم من رأى النبي هل المراد رآه
في حال نبوته او اعم من ذلك حتى يدخل من رآه قبل النبوة ومات قبل النبوة على دين
الحنيفية كزيد بن عمرو بن نفيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم انه يبعث امة وحده
وقد ذكره في الصحابة ابو عبد الله بن منده وكذلك لو رآه قبل النبوة ثم غاب عنه
وعاش الى بعد زمن البعثة واسلم ثم مات ولم يره ولم ار من تعرض لذلك ويدل

على ان المراد رآه بعد نبوته انهم ترجموا فى الصحابة لمن ولد للنبى صلى الله عليه وسلم
كابرهيم وعبد الله ولم يترجموا لمن ولد قبل النبوة ومات قبلها كالقاسم انتهى
وهل يختص جميع ذلك ببنى آدم ام يعم غيرهم من العقلاء محل نظر اما الجن فالراجح
دخولهم لان النبى صلى الله عليه وسلم بعث اليهم قطعا وهم مكلفون فيهم العصاة
والطائعون فمن عرف اسمه منهم لا ينبغى التردد فى ذكره فى الصحابة وان كان ابن الاثير
عاب على ابى موسى فلم يستند فى ذلك الى حجة واما الملائكة فيتوقف عدهم فى ذلك
على ثبوت البعثة اليهم فان فيه خلافا بين الاصوليين حتى نقل بعضهم الاجماع على
ثبوته وعكس بعضهم وهذا كله فيمن رآه فى قيد الحياة الدنيوية اما من رآه بعد موته
وقبل دفنه فالراجح انه ليس صحابيا والا لعد من اتفق انه يرى جسده المكرم فى
قبره المعظم ولو فى هذه الاعصار وكذلك من كشف له من الاولياء عنه
صلى الله عليه وسلم فرآه كذلك على طريق الكرامة كما قدمت مباحثه فى
خصوصياته عليه الصلاة والسلام من المقصد الرابع اذ حجة من اثبت
الصحبة لمن رآه قبل دفنه انه مستمر الحياة وهذه الحياة ليست دنيوية وانما
هى اخروية لا تتعلق بها احكام الدنيا واما من رآه فى المنام وان كان قد رآه حقا
فذلك فيما يرجع الى الامور المعنوية لا الاحكام الدنيوية فلذلك لا يعد صحابيا
ولا يجب عليه ان يعمل بما امره به فى تلك الحالة وقد اجمع جمهور العلماء من السلف
والخلف على انهم خير خلق الله وافضلهم بعد النبيين وخواص الملائكة
المقربين لما روى البخارى من حديث عبد الله ان النبى صلى الله عليه وسلم قال خير
الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وله من حديث عمران بن حصين
خير امتى قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادرى اذكر بعد قرنه
مرتين او ثلاثا قال فى فتح البارى والقرن اهل زمان واحد متقارب اشتركوا فى
امر من الامور المقصودة ويطلق على مدة من الزمان واختلفوا فى تحديدها من
عشرة اعوام الى مائة وعشرين لكن لم ار من صرح بالتسعين ولا بمائة وعشرة
وما عدا ذلك فقد قال به قائل وقال صاحب المحكم هو القدر المتوسط من
اعمار اهل كل زمن وهذا اعدل الاقوال والمراد بقرن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا
الحديث الصحابة وتقدم فى اول المقصد الاول حديث بعثت من خير قرون بنى آدم
وفى رواية بريدة عند احمد خير هذه الامة القرن الذى بعثت فيهم وقد ضبط الائمة
من الحفاظ اخر من مات من الصحابة على الاطلاق بلا خلاف ابو الطفيل عامر بن
واثلة الليثى كما جزم به مسلم فى صحيحه وكان موته سنة مائة على الصحيح وقيل

سنة سبع ومائة وقيل سنة عشر ومائة وهو الذى صححه الذهبى وهو مطابق لقوله
صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر على راس مائة سنة لا يبقى على وجه الارض ممن
هو عليها اليوم احد وفى رواية مسلم ارايتكم ليلتكم هذه فانه ليس من نفس منفوسة
تاتى عليها مائة سنة واما ما ذكر ان عكراش بن ذؤيب عاش بعد يوم الجمل مائة سنة
فذاك غير صحيح وان صح فمعناه انه استكمل المائة بعد الجمل لا انه بقى بعدها مائة سنة
كما نص عليه الائمة واما ما ذكر ايضا من امر بابا رتن ونحوه فان ذلك لا يروج على من
له ادنى مسكة من العقل كما قاله الائمة واما اخر الصحابة موتا بالاضافة الى النواحى
فقد افردهم ابن منده واما قوله ثم الذين يلونهم فهم اهل القرن الذين بعدهم وهم التابعون
ثم الذين يلونهم وهم اتباع التابعين واقتضى هذا الحديث ان الصحابة افضل من التابعين
والتابعون افضل من اتباع التابعين لكن هل هذه الفضيلة بالنسبة الى المجموع او الافراد
والذى ذهب اليه ابن عبد البر هو الاول كما قدمت ذلك فى خصائص هذه الامة من المقصد
الرابع واحتج لذلك سوى ما تقدم بحديث مثل امتى مثل المطر لا يدرى اخره خير ام اوله
قال الحافظ ابن حجر وهو حديث حسن له طرق وقد يرتقى بها الى درجة الصحة و
قد روى ابن ابى شيبة من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير احد التابعين باسناد
حسن له قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدركن المسيح اقواما انهم
لمثلكم او خير ثلاثا ولن يخزى الله امة انا اولها والمسيح اخرها وروى ابو داود والترمذى
من حديث ابى ثعلبة رفعه تاتى ايام للعامل فيهن اجر خمسين قيل منهم او منا يا رسول
الله قال بل منكم وهو شاهد لحديث مثل امتى مثل المطر لكن حديث للعامل منهم
اجر خمسين منكم لا يدل على افضلية غير الصحابة على الصحابة لان مجرد زيادة الاجر
لا يستلزم ثبوت الافضلية المطلقة وايضا الاجر انما يقع تفاضله بالنسبة الى
ما يماثله فى ذلك العمل فاما ما فاز به من شاهد النبى صلى الله عليه وسلم من فضيلة
المشاهدة فلا يعدله فيها احد ولا ريب ان من قاتل معه او فى زمانه بامره او
انفق شيا من ماله بسببه لا يعدله احد فى الفضل بعده كائنا من كان قال الله
تعالى لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين
انفقوا من بعد وقاتلوا وكذلك من ضبط الشرع المتلقى عنه وبلغه لمن بعده
فمحصل النزاع يتمحض فيمن لم يحصل له الا مجرد المشاهدة وقد ظهر انه فاز
بما لم يفز به من لم يحصل له ذلك وبهذا يمكن تاويل الاحاديث المتقدمة ثم
ان الصحابة على ثلاثة اصناف الاول المهاجرون الثانى الانصار وهم الاوس
والخزرج وحلفاؤهم ومواليهم الثالث من اسلم يوم الفتح قال ابن الاثير

فى الجامع والمهاجرون افضل من الانصار وهذا على سبيل الاجمال واما على سبيل
التفصيل فان جماعة من سباق الانصار افضل من جماعة من متأخرى المهاجرين
واما سباق المهاجرين افضل من سباق الانصار ثم هم بعد ذلك متفاوتون
فرب متأخر فى الاسلام افضل من متقدم عليه مثل عمر بن الخطاب وبلال بن
رباح وقد ذكر العلماء للصحابة ترتيبا على طبقات وممن قسمهم كذلك الحاكم
فى علوم الحديث الطبقة الاولى قوم اسلموا بمكة اول البعث وهم سباق المسلمين
مثل خديجة بنت خويلد وعلى بن ابى طالب وابى بكر الصديق وزيد بن حارثة
وبقية العشرة وقد تقدم الخلاف فى اول من اسلم فى المقصد الاول الطبقة
الثانية اصحاب دار الندوة بعد اسلام عمر بن الخطاب حمل النبى صلى الله عليه وسلم
ومن معه من المسلمين الى دار الندوة فاسلم لذلك جماعة من اهل مكة الطبقة
الثالثة الذين هاجروا الى الحبشة فرارا بدينهم من اذى المشركين اهل مكة منهم
جعفر بن ابى طالب وابو سلمة بن عبد الاسد الطبقة الرابعة اصحاب العقبة الاولى
وهم سباق الانصار الى الاسلام وكانوا ستة واصحاب العقبة الثانية من العام
المقبل وكانوا اثنى عشر وقد تقدم اسماء اهل العقبتين فى المقصد الاول الطبقة
الخامسة اهل العقبة الثالثة وكانوا سبعين من الانصار منهم البراء بن معرور
وعبد الله بن عمرو بن حرام وسعد بن عبادة وسعد بن عبادة الربيع وعبد الله بن رواحة
الطبقة السادسة المهاجرون الذين وصلوا الى النبى صلى الله عليه وسلم بعد هجرته
وهم بقبا قبل ان يبنى المسجد وينتقل الى المدينة الطبقة السابعة اهل بدر الكبرى قال
صلى الله عليه وسلم لعمر فى قصة حاطب بن ابى بلتعة وما يدريك لعل الله اطلع
على هذه العصابة من اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم رواه مسلم
الطبقة الثامنة الذين هاجروا بين بدر والحديبية الطبقة التاسعة اهل
بيعة الرضوان الذين بايعوا بالحديبية تحت الشجرة قال عليه الصلاة والسلام
لا يدخل النار ان شاء الله من اصحاب الشجرة احد رواه مسلم الطبقة العاشرة
الذين هاجروا بعد الحديبية وقبل الفتح كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص ومثل
بعضهم بابى هريرة لكن قال الحافظ العراقى لا يصح التمثيل به فانه هاجر قبل الحديبية
عقيب خيبر بل فى اواخرها الطبقة الحادية عشر الذين اسلموا يوم الفتح وهم خلق
كثير فمنهم من اسلم طائعا ومنهم من اسلم كارها ثم حسن اسلام بعضهم والله اعلم
الطبقة الثانية عشر صبيان ادركوا النبى صلى الله عليه وسلم ورأوه يوم
الفتح وبعده فى حجة الوداع وغيرهما كالسائب بن يزيد ثم انقطعت الهجرة بعد الفتح

ومدار قصى بن كلاب وسميت بذلك لان قريشا كانوا لا يفعلون شيئا الا بها كالاداروة وقطعها التسقيفة م الانصار

فقوله قبل كتاب فى الاخل وصواب بعد

على الصحيح

على الصحيح من الاقوال واما عدة اصحابه صلى الله عليه وسلم فمن رام حصر ذلك
رام امرا بعيدا ولا يعلم حقيقة ذلك الا الله تعالى لكثرة من اسلم من اول البعثة الى ان
مات النبى صلى الله عليه وسلم وتفرقهم فى البلدان والبوادى روى البخارى ان كعب
بن مالك قال فى قصة تخلفه عن غزوة تبوك واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يعنى الديوان لكن قد جاء ضبطهم فى بعض مشاهده كتبوك
وقد ورد انه سار عام الفتح فى عشرة الاف من المقاتلة والى حنين فى اثنى عشر الفا والى حجة
الوداع فى تسعين الفا والى تبوك فى سبعين الفا وقد روى انه قبض عن مائة الف واربعة
وعشرين الفا والله اعلم بحقيقة ذلك ثم ان افضلهم على الاطلاق عند اهل السنة
اجماعا ابو بكر ثم عمر رضى الله عنهما وعن ابن عمر قال كنا نخير بين الناس فى زمان رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنخير ابا بكر ثم عمر ثم عثمان بن عفان رواه البخارى وفى رواية عبيد الله
بن عمر عن نافع كنا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم لا نعدل بابى بكر احدا ثم عمر ثم عثمان
ثم نترك اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فلا نفاضل بينهم رواه البخارى ايضا وقوله
لا نعدل بابى بكر اى لا نجعل له مثلا ولابى داود من طريق سالم عن ابن عمر كنا نقول و
رسول الله صلى الله عليه وسلم حى افضل امة النبى صلى الله عليه وسلم بعده ابو بكر
ثم عمر ثم عثمان زاد الطبرانى فى رواية فيسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فلا ينكره
وروى خيثمة بن سليمان فى فضائل الصحابة من طريق سهيل بن ابى صالح عن ابيه عن ابن عمر كنا
نقول اذا ذهب ابو بكر وعمر وعثمان استوى الناس فيسمع النبى صلى الله عليه وسلم
ذلك فلا ينكره وفى ذلك تقديم عثمان بعد ابى بكر وعمر واهل السنة على ان عليا بعد عثمان
وذهب بعض السلف الى تقديم على على عثمان وممن قال به سفيان الثورى وقيل لا يفضل احدهما
على الاخر ونقل ذلك عن مالك فى المدونة وتبعه جماعة منهم يحيى بن القطان وقال ابن
معين من قال ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وعرف لعلى سابقته وفضله فهو صاحب سنة
ولا شك ان من اقتصر على عثمان ولم يعرف لعلى فضله فهو مذموم وقد ادعى ابن عبد البر
ان حديث الاقتصار على الثلاثة ابو بكر وعمر وعثمان خلاف قول اهل السنة ان عليا
افضل الناس بعد الثلاثة وتعقب بانه لا يلزم من سكوتهم اذ ذاك عن تفضيله عدم
تفضيله فالمقطوع به بين اهل السنة افضلية ابى بكر ثم عمر ثم اختلفوا فيمن بعدهما
فالجمهور على تقديم عثمان وعن مالك الوقف والمسئلة اجتهادية ومستندها ان
هؤلاء الاربعة اختارهم الله لخلافة نبيه واقامة دينه فمنزلتهم عنده بحسب ترتيبهم
فى الخلافة وقال الامام ابو منصور البغدادى اصحابنا مجمعون على ان افضلهم الخلفاء
الاربعة ثم الستة تمام العشرة يعنى طلحة والزبير وسعدا وسعيدا وعبد الرحمن بن عوف

عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العمرى المدنى ابو عثمان ثقة ثبت قدمه احمد بن صالح على مالك فى نافع وقدمه ابن معين فى القاسم على الزهرى

وابا عبيدة عامر بن الجراح وقد روى الترمذى عن سعيد بن زيد انه قال قال رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة فى الجنة ابو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة و
عثمان فى الجنة وعلى والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح
وسعد بن ابى وقاص فعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر فقال القوم ننشدك
الله من العاشر قال نشدتمونى بالله سعيد بن زيد فى الجنة يعنى نفسه وعن
ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه انه خرج الى المسجد فسأل عن النبى صلى الله عليه وسلم
فقالوا وجه ههنا فخرجت فى أثره حتى دخل بئر أريس فجلست عند الباب و
بابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته فتوضأ فقمت اليه
فاذا هو جالس على بئر اريس وتوسط قفها فجلست عند الباب فقلت لاكونن
بوابا للنبى صلى الله عليه وسلم اليوم فجاء ابو بكر فدفع الباب فقلت من هذا
فقال ابو بكر فقلت على رسلك ثم ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
هذا ابو بكر يستأذن فقال ايذن له وبشره بالجنة فاقبلت حتى قلت لابى بكر
ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة فدخل ابو بكر فجلس عن
يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم معه فى القف ودلى رجليه فى البئر
كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكشف عن ساقيه ثم رجعت فجلست
وقد تركت اخى يتوضأ ويلحقنى فقلت ان يرد الله بفلان خيرا يريد اخاه يأت به
فاذا بانسان يحرك الباب فقلت من هذا قال عمر بن الخطاب فقلت على رسلك
ثم جئت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقلت هذا عمر بن الخطاب يستأذنك
قال ايذن له وبشره بالجنة فجئت فقلت ادخل وبشرك رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالجنة فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القف عن يساره
ودلى رجليه فى البئر ورجعت وجلست فقلت ان يرد الله بفلان خيرا يأت به
فجاء انسان فحرك الباب فقلت من هذا فقال عثمان بن عفان فقلت على رسلك
وجئت الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال ايذن له وبشره بالجنة على بلوى
تصيبه فجئت فقلت ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة
على بلوى تصيبك فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه من الشق الآخر
قال شريك قال سعيد بن المسيب فاولتها قبورهم رواه احمد ومسلم و
ابو حاتم واخرجه البخارى واخرج ابو داود نحوه عن ابى سلمة عن نافع عن عبد
الحارث الخزاعى قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا من حوائط المدينة
فقال لبلال أمسك على الباب فجاء ابو بكر يستأذن فذكر نحوه قال الطبرى

وفى حديث

وفى حديث ان نافع بن الحرث هو الذى كان يستأذن وهذا يدل على تكرر القصة
لكن صوب الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر عدم التعدد وانها عن ابى موسى
ووهم القول بغيره وانشد لنفسه

لقد بشر الهادى من الصحب زمرة	بجنات عدن كلهم فضله اشتهر
سعيد زبير سعد طلحة عامر	ابو بكر عثمان بن عوف على عمر

ولابى الوليد بن الشحنة

اسماء عشر رسول الله بشرهم	بجنة الخلد ممن زانها وعمر
سعد سعيد على عثمان طلحة بو	بكر ابن عوف ابن جراح الزبير عمر

فان قلت من اعتقد فى الخلفاء الاربعة الافضلية على الترتيب المعلوم ولكن
محبته لبعضهم تكون اكثر هل يكون اثما به ام لا فاجاب شيخ الاسلام الولى بن
العراقى ان المحبة تكون لامر دينى وقد تكون لامر دنيوى فالمحبة الدينية لازمة
للافضلية فمن كان افضل كانت محبتنا الدينية له اكثر فمتى اعتقدنا فى واحد
منهم انه افضل ثم احببنا غيره من جهة الدين اكثر كان تناقضا نعم ان احببنا غير
الافضل اكثر من محبة الافضل لامر دنيوى كقرابة واحسان ونحوه فلا تناقض فى
ذلك ولا امتناع فمن اعترف بان افضل هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم
ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على لكنه احب عليا اكثر من ابى بكر مثلا فان كانت المحبة
المذكورة محبة دينية فلا معنى لذلك اذ المحبة الدينية لازمة للافضلية كما
قررناه وهذا لم يعترف بافضلية ابى بكر الا بلسانه واما بقلبه فهو مفضل
لعلى لكونه احبه محبة دينية زائدة على محبة ابى بكر وهذا لا يجوز وان كانت
المحبة المذكورة محبة دنيوية لكونه من ذرية على او لغير ذلك من المعانى فلا امتناع
فيه والله اعلم انتهى وقد روى الطبرى فى الرياض وعزاه للملا فى سيرته عن انس مرفوعا
ان الله افترض عليكم حب ابى بكر وعمر وعثمان وعلى كما افترض الصلاة والزكاة و
الصوم والحج فمن انكر فضلهم فلا تقبل منه الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج
واخرج الحافظ السلفى فى مشيخته من حديث انس مرفوعا حب ابى بكر واجب على امتى
واخرج الانصارى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا بكر ليت انى
لقيت اخوانى فقال ابو بكر يا رسول الله نحن اخوانك قال لا انتم اصحابى اخوانى الذين
لم يرونى وصدقوا بى واحبونى حتى انى لاحب الى احدهم من ولده ووالده قالوا
يا رسول الله انا نحن اخوانك قال لا انتم اصحابى الا تحب يا ابا بكر قوما احبوك
بحبى اياك قال فاحبهم ما احبوك بحبى اياك فمحبة من احبه الرسول عليه السلام

كال بيته واصحابه رضى الله عنهم علامة على محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما ان محبته عليه السلام علامة محبة الله تعالى وكذلك عداوة من عاداهم
وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب من يحب وابغض من يبغض
قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله
ورسوله فحب ال بيته عليه الصلاة والسلام واصحابه واولاده وازواجه
من الواجبات المعينات وبغضهم من الموبقات المهلكات ومن محبتهم وجوب
توقيرهم وبرهم والقيام بحقوقهم والاقتداء بهم بان يمشى على سننهم واداب
واخلاقهم والعمل باقوالهم مما ليس للعقل فيه مجال وحسن الثناء عليهم
بان يذكروا باوصافهم الجميلة على قصد التعظيم فقد اثنى عليهم الله تعالى
فى كتابه المجيد ومن اثنى الله عليه فهو واجب الثناء والاستغفار لهم
قالت عائشة امروا ان يستغفروا الاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسبوهم رواه مسلم وغيره وفائدة المستغفر لهم عائدة عليه وقال سهل بن
عبد الله التسترى لم يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم من لم يوقر اصحابه
ولم يعز اوامره ومما يجب ايضا الامساك عما شجر بينهم اى وقع بينهم من الاختلاف
والاضراب عن اخبار المورخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين
القادحة فى احد منهم قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابى فامسكوا وان يلتمس
لهم مما نقل من ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التأويلات ويخرج لهم اصوب
المخارج اذهم اهل ذلك كما هو مشهور فى مناقبهم ومعدود من مآثرهم مما يطول
ايراد بعضه وما وقع بينهم من المنازعات والمحاربات فله محامل وتأويلات
فسبهم والطعن فيهم اذا كان مما يخالف الادلة القطعية كفر كقذف عائشة
رضى الله عنها والا فبدعة وفسوق قال عليه السلام يا ايها الناس احفظونى فى اختانى
واصهارى واصحابى لا يطالبنكم الله بمظلمة احد منهم فانها ليست مما يوهب
رواه الخلعى وقال عليه السلام الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا من بعدى
من احبهم فقد احبنى ومن ابغضهم فقد ابغضنى ومن اذاهم فقد اذانى ومن
اذانى فقد اذى الله ومن اذى الله فيوشك ان يأخذه رواه المخلص الذهبى
وهذا الحديث كما قاله بعضهم خرج مخرج الوصية باصحابه على طريق التاكيد
والترغيب فى حبهم والترهيب عن بغضهم وفيه اشارة الى ان حبهم من الايمان
وبغضهم كفر لانه اذا كان بغضهم بغضا له كان كفرا بلا نزاع لحديث السابق
لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وهذا يدل على كمال قربهم منه

بتنزيلهم

بتنزيلهم منزلة نفسه حتى كان اذاهم واقع عليه وواصل اليه صلى الله عليه
وسلم والغرض الهدف الذى يرمى فيه فهو نهى عن رميهم موكدا ذلك بتحذيرهم
الله منه وما ذاك الا لشدة الحرمة وروى مرفوعا من سب احدا من اصحابى فاجلدوه
خرجه تمام فى فوائده وقال مالك بن انس وغيره فيما ذكره القاضى عياض من ابغض
الصحابة فليس له فى فيء المسلمين حق قال ونزع باية الحشر والذين جاؤا من بعدهم
الاية وقال من غاظه اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار

المقصد الثامن فى طبه صلى الله عليه وسلم لذوى الامراض والعاهات

وتعبيره الرؤيا وانبائه بالانباء المغيبات اعلم انه لا سبيل لاحد الى الاحاطة بنقطة
من بحار معارفه او قطرة مما افاضه الله تعالى عليه من سحائب عوارفه وانت اذا
تأملت ما منحه الله تعالى به من جوامع الكلم وخصه به من بدائع الحكم وحسن سيرة
وحكم حديثه وانباءه بانباء القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة
كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى مع الخضر ويوسف مع اخوته واصحاب
الكهف وذى القرنين واشباه ذلك وبدء الخلق واخبار الدار الاخرة وما فى
التورية والانجيل والزبور وصحف ابرهيم وموسى واظهار احوال الانبياء
واممهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامهم بمكتوم شرائعهم
ومضمنات كتبهم وغير ذلك مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما
ذكر منها بل اذعنوا لذلك فضلا عما اضافه من العلم ومحاسن الاداب والشيم
والمواعظ والحكم والتنبيه على الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين الادلة
الواضحات والاشارة الى فنون العلوم الذى اتخذ اهلها كلامه فيها قدوة واشاراته
حجة كاللغة والمعانى والبيان والعربية وقوانين الاحكام الشرعية والسياسات
العقلية ومعارف عوارف الحقائق القلبية الى غير ذلك من ضروب العلوم
وفنون المعارف الشاملة لمصالح الامة كالطب والعبارة والحساب وغير
ذلك مما لا يعد ولا يحد قضيت بان مجال هذا الكتاب فى حقه عليه السلام
ممتد تنقطع دون نفاده الادلاء وان بحر علمه ومعارفه زاخر لا تكدره الدلاء

وهذا المقصد اعزك الله يشتمل على ثلاثة فصول **الفصل الاول** فى طبه
صلى الله عليه وسلم لذوى الامراض والعاهات اعلم انه قد ثبت انه صلى الله عليه وسلم
كان يعود من مرض من اصحابه حتى لقد عاد غلاما كان يخدمه من اهل الكتاب وعاد
عمه وهو مشرك وعرض عليهما الاسلام فاسلم الاول وكان يهوديا كما روى
البخارى وابو داود من حديث انس ان غلاما من اليهود كان يخدم النبى صلى الله عليه وسلم

الى البحار التى هى
فيه اضافة اسم المشبه به للمشبه اى من معارفه التى هى كالبحار
جمع العارفة بمعنى المعروف اى معلومة والفقرة الثانية لا زمة للاولى وفيه ايضا اضافة اسم المشبه به للمشبه
فقوله به او بمعنى خص فيتكرر مع ما بعده اى اعطى والانبياء
مثال اضافة الصفة للموصوف جمع كلمة
كسدرة وسدر فهو منصوب اى وتأملت فهو معطوف على ما منحه اى اخباره
بكسر الهمزة اى اخباره
تنبيه الهمزة اى اخباره مثال لقوله وانباءه
بانباء القرون الخ فالتورية لموسى و
عيسى والانجيل مصدق وما فيه نسخ
الا قليل والزبور لداود وسليمان
اى علمائهم جمع شيمة وهى الخلق
طرقه
قوله قضيت جواب قوله واذا تأملت الخ
اى تعبير الرؤيا

فرض فعاده صلى الله عليه وسلم فقعد عند رأسه فقال اسلم فنظر الى ابيه
فقال اطع ابا القاسم فاسلم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول الحمد لله الذي
انقذه من النار وكان صلى الله عليه وسلم يدنو من المريض ويجلس عند رأسه و
يسأل عن حاله ويقول كيف تجدك وفي حديث جابر عند البخاري ومسلم والترمذي
وابي داود قال مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وابو بكر
وهما ماشيان فوجداني اغمي علي فتوضأ صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه
علي فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم وعند ابي داود فنفخ في وجهي فافقت
وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال يا جابر لا اراك ميتا من وجعك هذا وفي حديث
ابي موسى عند البخاري مرفوعا اطعموا الجائع وعودوا المرضى وفكوا العاني وعند
من رواية البراء امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع وذكر منها عيادة
المريض وعند مسلم خمس تجب للمسلم على المسلم فذكرها منها قال ابن بطال يحتمل
ان يكون الامر على الوجوب يعني الكفاية كاطعام الجائع وفك الاسير ويحتمل ان
يكون للندب على التواصل والالفة وعن الطبري يتاكد في حق من ترجى بركته
وتسن فيمن يراعي حاله ويباح فيما عدا ذلك وهو فرض كفاية عند ابي حنيفة
كما قاله ابو الليث السمرقندي في مقدمته واستدل بعموم قوله عودوا المريض
على مشروعية العيادة في كل مرض لكن استثنى بعضهم الارمد ورد بانه قد جاء
في عيادة الارمد بخصوصها حديث زيد بن ارقم قال عادني رسول الله صلى
الله عليه وسلم من وجع كان بعيني رواه ابو داود وصححه الحاكم واما ما اخرج
البيهقي والطبراني مرفوعا ثلاثة ليس لهم عيادة الرمد والدمل والضرس فصحح البيهقي
انه موقوف على يحيى بن كثير ويؤخذ من اطلاقه ايضا عدم التقييد بزمان يمضي من
ابتداء مرضه وهو قول الجمهور وجزم الغزالي في الاحياء بانه لا يعاد الا بعد
ليال ثلاث واستند الى حديث اخرجه ابن ماجه عن انس كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يعود مريضا الا بعد ثلاثة وهذا حديث ضعيف تفرد به
مسلمة بن علي وهو متروك وقال ابو حاتم هو حديث باطل ولا نطيل بايراد ما ورد
في فضل العيادة ويكفي حديث ابي هريرة مما حسنه الترمذي مرفوعا من عاد
مريضا ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا
وهذا لفظ ابن ماجه وفي سنن ابي داود عن انس مرفوعا من توضأ فاحسن الوضوء
وعاد اخاه المسلم محتسبا بوعد من جهنم مسيرة سبعين خريفا وفي حديث
ابي سعيد عند ابن حبان في صحيحه مرفوعا خمس من عملهن في يوم كتبه الله من

اهل الجنة من عاد مريضا وشهد جنازة وصام يوما وراح الى الجمعة واعتق
رقبة وعند احمد عن كعب مرفوعا من عاد مريضا خاض في الرحمة فاذا جلس عنده
استنقع فيها زاد الطبراني واذا قام من عنده فلا يزال يخوض فيها حتى يرجع من حيث
خرج ولم يكن صلى الله عليه وسلم يخص يوما من الايام بعيادة المريض ولا وقتا
من الاوقات فترك العيادة يوم السبت مخالف للسنة ابتدعه يهودي طبيب
لملك قد مرض والزمه بملازمته فاراد يوم الجمعة ان يمضي لسبته فمنعه فخاف على
استحلال سبته ومن سفك دمه فقال له ان المريض لا يدخل عليه يوم السبت فتركه
الملك ثم اشيع ذلك وصار كثير من الناس يعتمده ومن الغريب ما نقله ابن الصلاح
عن الفراوي ان العيادة تستحب في الشتاء ليلا وفي الصيف نهارا ولعل الحكمة في
ذلك ان المريض يتضرر بطول الليل في الشتاء وبطول النهار في الصيف فيحصل له
بالعيادة استرواح وينبغي اجتناب التطبب باعداء الدين من يهودي او نحوه فانه
مقطوع بغشه سيما ان كان المريض كبيرا في دينه او علمه خصوصا ان كان هذا العدو
يهوديا لان قاعدة دينهم ان من نصح منهم مسلما فقد خرج عن دينه وان من استحل السبت
فهو مهدر الدم عندهم حلال لهم سفك دمه ولا ديان من خاطر بنفسه يخشى
عليه ان يدخل في عموم النهي فيمن قتل نفسه بشيء وقد كثر الضرر في هذا الزمن باهل
الذمة فلا حول ولا قوة الا بالله والله تعالى يرحم القائل

لعن النصارى واليهود فانهم ... بلغوا بمكرهم بنا الامالا
خرجوا اطباء وحسابا لكي ... يتقسموا الارواح والاموالا

ومما كان يفعله عليه الصلاة والسلام ويأمر به تطييب نفوس المرضى وتقوية قلوبهم
ففي حديث ابي سعيد الخدري قال قال صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم على مريض فنفسوا
له في اجله فان ذلك يطيب نفسه يريد ان يقول له لا بأس عليك طهور ان شاء الله
ووجهك الآن حسن وما اشبه ذلك وقد يكون من هذا ان يذكر له الاجور الداخلة
عليه في مرضه وان المرض كفارة فربما اصلح ذلك قلبه وأمن من خوف زلل ونحوه
وقال بعضهم في هذا الحديث نوع شريف جدا من اشرف انواع العلاج وهو الارشاد
الى ما يطيب نفس العليل من الكلام الذي تقوى به الطبيعة وتنتعش به القوة وينبعث
به الحار الغريزي ويساعد على دفع العلة او تخفيفها الذي هو غاية تأثير الطبيب
وفي تفريح نفس المريض وتطييب قلبه وادخال السرور عليه تأثير عجيب في شفاء
علته وخفتها فان الارواح والقوى تقوى بذلك فتساعد الطبيعة على دفع
المؤذي وقد شاهد الناس كثيرا من المرضى تنتعش قواهم بعيادة من يحبونه ويعظمونه

ورؤيتهم له ولطفهم بهم ومكالمتهم اياهم قال في الهدي وكان صلى الله عليه وسلم يسأل
المريض عن شكواه وكيف يجد وعما يشتهيه فان اشتهى شيئا وعلم انه لا يضره امر له به
ويضع يده على جبهته وربما وضعها بين ثدييه ويدعو له ويصف له ما ينفعه
في علته وربما توضأ وصب على المريض من وضوئه كما في حديث جابر المتقدم و
ربما كان يقول للمريض لا بأس عليك طهور ان شاء الله وربما كان يقول كفارة وطهور
وقالت عائشة كان صلى الله عليه وسلم اذا عاد مريضا يضع يده على المكان الذي يألم
ثم يقول بسم الله رواه ابو يعلى بسند حسن واخرج الترمذي من حديث ابي امامة
بسند لين رفعه تمام عيادة المريض ان يضع احدكم يده على جبهته فيسأله كيف
هو وعند ابن السني بلفظ كيف اصبحت او كيف امسيت واذا علمت هذا فاعلم
ان المرض نوعان مرض القلوب ومرض الابدان فاما طب القلوب ومعالجتها
فخاص بما جاء به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى لا سبيل الى
حصوله الا من جهته فان صلاح القلوب ان تكون عارفة بربها وفاطرها وباسمائه
وصفاته وافعاله واحكامه وان تكون مؤثرة لرضاه ومحابه متجنبة لمناهيه
ومساخطه ولا صحة لها ولا حياة البتة الا بذلك ولا سبيل الى تلقي ذلك
الا من جهة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واما طب الاجساد فمنه ما جاء
في المنقول عنه صلى الله عليه وسلم ومنها ما جاء عن غيره لانه صلى الله عليه وسلم
انما بعث هاديا وداعيا الى الله والى جنته ومعرفا بالله ومبينا للامة مواقع
رضاه وامرا لهم بها ومواقع سخطه وناهيا لهم عنها ومخبرهم اخبار الانبياء
والرسل واحوالهم مع اممهم واخبار تخليق العالم وامر المبدأ والمعاد وكيفية
شقاوة النفوس وسعادتها واسباب ذلك واما طب الاجساد فجاء من تكميل
شريعته ومقصود لغيره بحيث انما يستعمل للحاجة اليه فاذا قدر الاستغناء
عنه كان صرف الهمم الى علاج القلوب وحفظ صحتها ودفع اسقامها وحميتها
مما يفسدها هو المقصود باصلاح الجسد واصلاح الجسد بدون اصلاح
القلب لا ينفع وفساد البدن مع اصلاح القلب مضرته يسيرة جدا وهي
مضرة زائلة يعقبها المنفعة الدائمة التامة فاذا علمت هذا فاعلم ان ضرر الذنوب
في القلوب كضرر السموم في الابدان على اختلاف درجاتها في الضرر وهل في الدنيا
والاخرة شر وداء الا وسببه الذنوب والمعاصي فللمعاصي من الاثار القبيحة المذمومة
والمضرة بالقلب والبدن والدنيا والاخرة ما لا يعلمه الا الله فمنها حرمان
العلم فان العلم نور يقذفه الله في القلب والمعصية تطفئ ذلك النور وللامام الشافعي

شكوت

وهو تابعي محمد بن الجراح

شكوت الى وكيع سوء حفظي	فارشدني الى ترك المعاصي
وقال اعلم بان العلم نور	ونور الله لا يؤتاه عاصي

ومنها حرمان الرزق ففي المسند ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ومنها
وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله لا يوازنها ولا يقارنها لذة
اصلا ومنها تعسير اموره عليه فلا يتوجه لامر الا يجده مغلقا دونه او متعسرا
عليه ومنها ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم
اذا ادلهم وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع في البدع والضلالات والامور
المهلكة وهو لا يشعر ثم تقوى هذه الظلمة حتى تعلو الوجه وتصير سوادا فيه
يراه كل احد ومنها انها توهن القلب والبدن ومنها حرمان الطاعة وتقصير
العمر ومحق البركة ولا تمتنع زيادة العمر باسباب كما ينقص باسباب وقيل تاثير
المعاصي في محق العمر انما هو بان حقيقة الحياة وهي حياة للقلب فليس عمر المرء
الا اوقات حياته بالله فتلك ساعات عمره فالبر والتقوى والطاعات تزيد في
هذه الاوقات التي هي حقيقة عمره ولا عمر له سواها وبالجملة فالعبد اذا اعرض
عن الله واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه ايام حياته الحقيقية ومنها ان
المعصية تورث الذل ومنها انها تفسد العقل فان العقل نور والمعصية تطفئ
نور العقل ومنها انها تزيل النعم وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة الا بذنب ولا حلت به نقمة
الا بذنب وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير وقد احسن القائل

اذا كنت في نعمة فارعها	فان الذنوب تزيل النعم
وحطها بطاعة رب العباد	فرب العباد سريع النقم

ومن عقوباتها انها تستجلب مواد هلاك العبد في دنياه واخرته فان الذنوب
هي امراض متى استحكمت قتلت ولا بد وكما ان البدن لا يكون صحيحا الا بغذاء يحفظ
قوته واستفراغ يستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط الردية التي متى غلبت
عليه افسدته وحمية يمتنع بها من تناول ما يؤذيه ويخشى ضرره فكذلك القلب
لا تتم حياته الا بغذاء من الايمان والاعمال الصالحة يحفظ قوته واستفراغ
بالتوبة النصوح يستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط الردية وحمية توجب له
حفظ الصحة وتجنب ما يضادها وهي عبارة عن ترك استعمال ما يضاد الصحة
والتقوى اسم مشارك لهذه الامور الثلثة فما فات منها فات من التقوى بقدره
واذا تبين هذا فالذنوب مضادة لهذه الامور الثلثة فانها تستجلب المواد
الموذية وتوجب التخليط المضاد للحمية وتمنع الاستفراغ بالتوبة النصوح

فانظر الى بدن عليل قد تراكمت عليه الاخلاط ومواد المرض ولا يستفرغها ولا يحتمي لها كيف تكون صحته وبقاؤه وقد احسن القائل

جسمك بالحمية حصنته	مخافة من المطارى
وكان اولى بك ان تحتمى	عن المعاصى خشية البارى

فمن حفظ القوة بامتثال الاوامر واستعمل الحمية باجتناب النواهى واستفرغ التخليط بالتوبة النصوح لم يدع للخير مطلبا ولا للشر مهربا وفى حديث انس الا ادلكم على دائكم ودوائكم الا ان دائكم الذنوب ودوائكم الاستغفار فقد ظهر لك ان طب القلوب ومعالجتها لا سبيل الى معرفته الا من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة الوحى واما طب الاجساد فغالبه يرجع الى التجربة ثم هو نوعان نوع لا يحتاج الى فكر ونظر بل فطر الله على معرفته الحيوانات مثل ما يدفع الجوع والعطش والبرد والتعب وهذا لا يحتاج فيه الى معالجة طبيب ونوع يحتاج الى الفكر والنظر لدفع ما يحدث فى البدن مما يخرجه عن الاعتدال وهو اما الى حرارة او برودة وكل منهما اما الى رطوبة او يبوسة او الى ما يتركب منهما وغالب ما يقاوم الواحد منها بضده والدفع قد يقع من خارج البدن وقد يقع من داخله وهو اعسرهما والطريق الى معرفته بتحقيق السبب والعلامة والطبيب الحاذق هو الذى يسعى فى تفريق ما يضر بالبدن جمعه او عكسه ومدار ذلك على ثلاثة اشياء حفظ الصحة والاحتماء عن المؤذى واستفراغ المادة الفاسدة وقد اشير الى الثلثة فى القرآن فالاول فى قوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وذلك ان السفر مظنة النصب وهو من مغيرات الصحة فاذا وقع فيه الصيام ازداد فابيح الفطر وكذا القول فى المرض والثانى وهو الحمية من قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم فانه استنبط منه جواز التيمم عند خوف استعمال الماء البارد وقال تعالى فى اية الوضوء وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فاباح للمريض العدول عن الماء الى التراب حمية له ان يصيب جسده ما يؤذيه وهو تنبيه على الحمية عن كل مؤذ له من داخل او خارج والثالث من قوله تعالى او به اذى من رأسه ففدية فانه اشير بذلك الى جواز حلق الرأس الذى منع منه المحرم لاستفراغ الاذى الحاصل من البخار المحتقن فى الرأس تحت الشعر لانه اذا حلق رأسه تفتحت المسام فخرجت تلك الابخرة

منها

منها فهذا الاستفراغ يقاس عليه كل استفراغ يؤذى انحباسه فقد ارشد تعالى عباده الى اصول الطب الثلاثة ومجامع قواعده وفى الصحيحين من حديث عطا عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله داء الا وانزل معه شفاء واخرجه النسائى وصححه الحاكم وابن حبان عن ابن مسعود بلفظ ان الله لم ينزل داء الا انزل له شفاء فتداووا وعند احمد من حديث انس ان الله حيث خلق الداء خلق الدواء فتداووا وعند البخارى فى الادب المفرد واحمد واصحاب السنن وصححه الترمذى وابن خزيمة والحاكم عن اسامة بن شريك رفعه تداووا يا عباد الله فان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء الا داء واحدا وهو الهرم وفى لفظ الا السام وهو بمهملة مخففا الموت يعنى الا داء الموت اى المرض الذى قدر على صاحبه الموت فيه واستثناء الهرم فى الرواية الاولى اما لانه جعله شبيها بالموت والجامع بينهما نقص الصحة او لقربه من الموت وافضائه اليه ويحتمل ان يكون استثناء منقطعا والتقدير لكن الهرم لا دواء له ولابى داود عن ابى الدرداء رفعه ان الله جعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام وفى البخارى ان الله تعالى لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم فلا يجوز التداوى بالحرام وروى مسلم عن جابر مرفوعا لكل داء دواء فاذا اصيب دواء الداء برأ باذن الله تعالى فالشفاء متوقف على اصابة الدواء الداء باذن الله تعالى وذلك ان الدواء قد يحصل معه مجاوزة الحد فى الكيفية او الكمية فلا ينجع بل ربما احدث داء اخر وفى رواية على عند الحميدى فى كتابه المسمى بطب اهل البيت ما من داء الا وله دواء فاذا كان كذلك بعث الله عز وجل ملكا ومعه ستر فجعله بين الداء والدواء فكلما شرب المريض من الدواء لم يقع على الداء فاذا اراد الله برأه امر الملك فرفع الستر ثم يشرب المريض الدواء فينفعه الله تعالى به وفى حديث ابن مسعود رفعه ان الله لم ينزل داء الا انزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله رواه ابو نعيم وغيره وفيه اشارة الى ان بعض الادوية لا يعلمها كل احد واما قوله لكل داء دواء فيجوز ان يكون على عمومه حتى يتناول الادواء القاتلة والادواء التى لا يمكن طبيب معرفتها ويكون الله قد جعل لها ادوية تبريها ولكن طوى علمها عن البشر ولم يجعل لهم عليها سبيلا لانه لا علم للخلق الا ما علمهم الله ولهذا علق صلى الله عليه وسلم الشفاء على مصادفة الدواء للداء وقد يقع لبعض المرضى انه يتداوى من دائه بدواء فيبرأ به ثم يعتريه بعد ذلك الداء والدواء بعينه فلا ينجع والسبب فى ذلك الجهل بصفة من صفات الدواء فرب مرضين تشابها ويكون احدهما مركبا

لا ينجع فيه ما ينجع فى الذى ليس مركبا فيقع الخطأ من هناك وقد يكون متحدا
لكن يريد الله ان لا ينجع وهنا تخضع رقاب الاطباء **وفى مجموع** ما ذكرنا
من الاحاديث الاشارة الى اثبات الاسباب وان ذلك لا ينافى التوكل كما
لا ينافيه دفع الجوع والعطش بالاكل والشرب وكذلك تجنب المهلكات و
الدعاء بطلب الشفاء ودفع المضار وغير ذلك **وقد سئل** الحارث بن اسد
المحاسبى فى كتاب القصد من تأليفه هل يتداوى المتوكل قال نعم قيل له من اين
ذلك قال من وجود ذلك عن سيد المتوكلين الذى لم يلحقه لاحق ولا سبقه
فى التوكل سابق محمد خير البرية صلى الله عليه وسلم قيل له ما تقول فى خبر
النبى صلى الله عليه وسلم من استرقى واكتوى برئ من التوكل قال برئ من توكل
المتوكلين الذين ذكرهم فى حديث اخر فقال يدخل الجنة من امتى سبعون الفا
بغير حساب واما سواهم من المتوكلين فباح لهم الدواء والاسترقاء
فجعل المحاسبى التوكل بعضه افضل من بعض **وقال** فى التمهيد انما اراد بقوله
برئ من التوكل اذا استرقى الرقا المكروهة فى الشريعة او اكتوى وهو يعلق
رغبته فى الشفاء بوجود الكى وكذلك قوله لا يسترقون الرقاء المخالفة
للشريعة ولا يكتوون وقلوبهم معلقة بنفع الكى ومعرضة عن فعل الله تعالى
وان كان الشفاء من عنده واما اذا فعل ذلك على ما جاء فى الشريعة وكان ناظرا
الى رب الدواء وتوقع الشفاء من الله تعالى وقصد بذلك استعمال بدنه اذا صح
لله تعالى واتعاب نفسه وكدها فى خدمة ربه فتوكله باق على حاله لا ينقص منه
منه الدواء شيئا استدلالا بفعل سيد المتوكلين اذ عمل بذلك فى نفسه وفى غيره
انتهى **فقد تبين** ان التداوى لا ينافى التوكل بل لا تتم حقيقة التوحيد الا
بمباشرة الاسباب التى نصبها الله تعالى مقتضيات لمسبباتها قدرا
وشرعا وان تعطيلها يقدح فى نفس التوكل كما يقدح فى الامر والحكمة **وحكى**
ابن القيم انه ورد فى خبر اسرائيلى ان الخليل عليه السلام قال يا رب ممن الداء
قال منى قال فمن الدواء قال منى قال فما بال الطبيب قال رجل الدواء على يديه قال
وفى قوله صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء تقوية لنفس المريض والطبيب
وحث على طلب الدواء والتفتيش عليه فان المريض اذا استشعرت نفسه
ان لدائه دواء يزيله تعلق قلبه بروح الرجاء وبرد من حرارة اليأس وانفتح له
باب الرجاء وقويت نفسه وانبعثت حرارته الغريزية وكان ذلك سببا
لقوة الارواح الحيوانية والنفسانية والطبيعية ومتى قويت هذه الارواح

قويت

قويت القوى التى هى حاملة لها فقهرت المرض ودفعته انتهى **فان قلت** ما المراد
بالانزال فى قوله فى الاحاديث السابقة الا انزل له دواء وفى الرواية الاخرى شفاء
فالجواب انه يحتمل ان يكون المراد انزال علم ذلك على لسان الملك للنبى صلى الله عليه
وسلم واين يقع طب حذاق الاطباء الذى غايته ان يكون مأخوذا من قياس او منامات
وحدس وتجربة من الوحى الذى يوحيه الله تعالى الى رسوله صلى الله عليه وسلم
بما ينفعه ويضره فنسبة ما عند حذاق الاطباء من الطب الى هذا الوحى كنسبة
ما عندهم من العلوم الى ما جاء به صلى الله عليه وسلم بل ههنا من الادوية التى
تشفى من الامراض ما لم تهتد اليها عقول اكابر الاطباء ولم تصل اليها علومهم و
تجربتهم واقيستهم من الادوية القلبية والروحانية وقوة القلب واعتماده
على الله تعالى والتوكل عليه والانكسار بين يديه والصدقة والصلاة والدعاء
والتوبة والاستغفار والاحسان الى الخلق والتفريج عن المكروب فان هذه
الادوية قد جربتها الامم على اختلاف اديانها ومللها فوجد لها من التاثير فى
الشفاء ما لم يصل اليه علم اعلم الاطباء وقد جربت ذلك والله مرات فوجدته
يفعل ما لا تفعله الادوية الحسية ولا ريب ان طب النبى صلى الله عليه وسلم
متيقن البرء لصدوره عن الوحى ومشكاة النبوة وطب غيره اكثره حدس او
تجربة وقد يتخلف الشفاء عن بعض من يستعمل طب النبوة وذلك لمانع قام
بالمستعمل من ضعف اعتقاد الشفاء به وتلقيه بالقبول واظهر الامثلة
فى ذلك القرآن الذى هو شفاء لما فى الصدور ومع ذلك فقد لا يحصل لبعض
الناس شفاء صدره به لقصوره فى الاعتقاد والتلقى بالقبول بل لا يزيد المنافق
الا رجسا الى رجسه ومرضا الى مرضه فطب النبوة لا يوافق الا الابدان الطيبة
كما ان شفاء القرآن لا يناسب الا الارواح الطيبة والقلوب الحية فاعراض
الناس عن طب النبوة كاعراضهم عن الاستشفاء بالقرآن الذى هو الشفاء
النافع وكان علاجه صلى الله عليه وسلم للمرض على ثلاثة انواع احدها بالادوية
الالهية الروحانية الثانى بالادوية الطبيعية والثالث بالمركب من الامرين **النوع
الاول فى طبه صلى الله عليه وسلم** بالادوية الالهية **اعلم** ان الله تعالى لم ينزل
من السماء شفاء قط اعم ولا انفع ولا اعظم ولا انجع فى ازالة الداء من القرآن
فهو للداء شفاء ولصداء القلوب جلاء كما قال تعالى وننزل من القرآن ما هو
شفاء ورحمة للمؤمنين ولفظة من كما قال الامام فخر الدين ليست للتبعيض
بل للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذى هو القرآن شفاء من الامراض

اى بيان الجنس

ان يكون عبر بالانزال عن التقدير وتحميل
اومنامات الخ هكذا وجد فى غالب النسخ
لعله فى خط المؤلف ايضا ونقف فى نسخنا فى ذلك
وقال لعله تصحيف معانات ويكون فعلا بعد
وحدس وتجربة تفسير له حرر

والمراد بالعلاج محاولة اذهاب المرض من الطبيب
اى كالمواعظ والدلالات فانها كالادوية
منشعية للطبيعة والمراد بها المشتملة
على الشفاء عند استعمالها لا بها

الروحانية وشفاء ايضا من الامراض الجسمانية اما كونه شفاء من الامراض
الروحانية فظاهر وذلك لان المرض الروحانى نوعان الاعتقادات الباطلة واشدها
فساد الاعتقادات الفاسدة فى الالهية والنبوات والمعاد والقضاء والقدر
والقرآن مشتمل على دلائل المذهب الحق فى هذه المطالب وابطال المذاهب الباطلة
ولما كان اقوى الامراض الروحانية هو الخطأ فى هذه المطالب والقرآن مشتمل
على الدلائل الكاشفة عما فى هذه المذاهب الباطلة من العيوب لا جرم كان القرآن
شفاء من هذا النوع من المرض الروحانى واما الاخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل
على تفصيلها وتعريفها وما فيها من المفاسد والارشاد الى الاخلاق الفاضلة
والاعمال المحمودة فكان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض فثبت ان القرآن
شفاء من جميع الامراض الروحانية واما كونه شفاء من الامراض الجسمانية
فلان التبرك بقراءته ينفع كثيرا من الامراض واذا اعترفت الجمهور من الفلاسفة
واصحاب الطلسمات بان لقراءة الرقى المجهولة والعزائم التى لا يفهم منها
شئ اثارا عظيمة فى تحصيل المنافع ودفع المفاسد افلا تكون قراءة القرآن العظيم
المشتمل على ذكر جلال الله تعالى وكبريائه وتعظيم الملائكة المقربين وتحقير
المردة والشياطين سببا لحصول النفع فى الدين والدنيا ويتأيد ما ذكرناه بما
روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله
ونقل عن الشيخ ابى القاسم القشيرى رحمه الله ان ولده مرض مرضا شديدا حتى
اشرف على الموت واشتد عليه الامر قال فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام
فشكوت اليه ما بولدى فقال اين انت من آيات الشفاء فانتبهت فافكرت فيها
فاذا هى فى ستة مواضع من كتاب الله تعالى وهى قوله تعالى ويشف صدور
قوم مؤمنين • وشفاء لما فى الصدور • يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه
فيه شفاء للناس • وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين • واذا مرضت
فهو يشفين • قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء قال فكتبتها ثم حللتها بالماء
وسقيته اياها فكانما نشط من عقال او كما قال وانظر الى رقية اللديغ بالفاتحة
وما فيها من السر البديع والبرهان الرفيع وتأمل قوله عليه السلام فى بعض ادعيته
وان تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى وجلاء حزنى وشفاء صدرى اى فيكون له
بمنزلة الدواء الذى يستأصل الداء ويعيد البدن الى صحته واعتداله وفى
حديث على عند ابن ماجه مرفوعا خير الدواء القرآن وههنا امر ينبغى ان يتفطن له
نبه عليه ابن القيم وهو ان الآيات والاذكار والادعية التى يستشفى بها ويرقى

بها هى فى نفسها نافعة شافية ولكن تستدعى قبول المحل وقوة همة الفاعل و
تأثيره فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تاثير الفاعل او لعدم قبول المحل المنفعل
او لمانع قوى فيه يمنع ان ينجع فيه الدواء كما يكون ذلك لعدم قبول الطبيعة
لذلك الدواء وقد يكون لمانع قوى يمنع من اقتضائه اثره فان الطبيعة اذا
اخذت الدواء بقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول وكذلك
القلب اذا اخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام وكان الدواء فى نفس فعالة وهمة
مؤثرة اثر فى ازالة الداء وكذلك الدعاء فانه من اقوى الاسباب فى رفع المكروه و
حصول المطلوب ولكن قد يتخلف اثره عنه اما لضعف فى نفسه بان يكون دعاء
لا يحبه الله لما فيه من العدوان واما لضعف القلب وعدم اقباله على الله
وجمعيته عليه وقت الدعاء واما لحصول المانع من الاجابة من اكل الحرام والظلم
ورين الذنوب على القلوب واستيلاء الغفلة والشهوة واللهو وقد روى
الحاكم حديث واعلموا ان الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه ومن انفع الادوية
الدعاء وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه او يخففه
اذا نزل وهو سلاح المؤمن واذا جمع الدعاء حضور القلب والجمعية بالكلية
على المطلوب وصادف وقتا من اوقات الاجابة كثلث الليل الاخير مع الخضوع
والانكسار والذل والتضرع واستقبال القبلة والطهارة ورفع اليدين و
البداءة بالحمد والثناء على الله تعالى والصلاة والتسليم على سيدنا محمد بعد
التوبة والاستغفار والصدقة والح فى المسئلة واكثر التملق والدعاء والتوسل
اليه باسمائه وصفاته والتوجه اليه بنبيه صلى الله عليه وسلم فان هذا الدعاء
لا يكاد يرد ابدا لا سيما ان دعا بالادعية التى اخبر صلى الله عليه وسلم لانها مظنة
الاجابة وانها متضمنة للاسم الاعظم لا خلاف فى مشروعية الفزع الى الله تعالى
والالتجاء اليه فى كل ما ينوب الانسان واما الرقى فاعلم ان الرقى بالمعوذات وغيرها
من اسماء الله تعالى هو الطب الروحانى واذا كان على لسان الابرار من الخلق حصل
الشفاء باذن الله تعالى لكن لما عز هذا النوع فزع الناس الى الطب الجسمانى وفى
البخارى من حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان ينفث على نفسه فى المرض
الذى مات فيه بالمعوذات وهى الفلق والناس والاخلاص فيكون من باب التغليب او
المراد الفلق والناس وكذلك كل ما ورد من التعويذ فى القرآن كقوله تعالى وقل رب
اعوذ بك من همزات الشياطين واما ما اخرجه احمد وابو داود والنسائى من
حديث ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره عشرة خصال

فذكر منها الرقى الا بالمعوذات ففى سنده عبد الرحمن بن حرملة قال البخارى لا يصح حديثه وعلى تقدير صحته فهو منسوخ بالاذن فى الرقية بالفاتحة واما حديث ابى سعيد عند النسائى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان وعين الانسان فذكر حتى نزلت المعوذات فاخذها وترك ما سواها وحسنه الترمذى فلا يدل على المنع من التعوذ بغير هاتين السورتين بل على الاولوية ولا سيما مع ثبوت التعوذ بغيرهما وانما اجتزا بهما لما اشتملتا عليه من جوامع الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا وقد اجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط ان يكون بكلام الله تعالى او باسمائه وصفاته وباللسان العربى او بما يعرف معناه من غيره وان يعتقد ان الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى واختلفوا فى كونها شرطا والراجح انه لا بد من اعتبارها وفى صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك كنا نرقى فى الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى فى ذلك فقال اعرضوا على رقاكم لا بأس بالرقى اذا لم يكن فيه شرك وله من حديث جابر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى فجاء ال عمرو بن الحزم فقالوا يا رسول الله انه كانت عندنا رقية نرقى بها من العقرب قال فعرضوا عليه فقال ما ارى بأسا من استطاع ان ينفع اخاه فلينفعه وقد تمسك قوم بهذا العموم فاجازوا كل رقية جربت منفعتها ولو لم يعقل معناها لكن دل حديث عوف انه مهما كان من الرقى يؤدى الى الشرك يمنع وما لا يعقل معناه لا يؤمن ان يؤدى الى الشرك فيمنع احتياطا والشرط الاخير لا بد منه وقال قوم لا تجوز الرقية الا من العين واللدغة لحديث عمران بن حصين لا رقية الا من عين او حمة واجيب بان معنى الحصر فيه انهما اصل كل ما يحتاج الى الرقية فيلتحق بالعين جواز رقية من به خبل او مس ونحو ذلك لاشتراكهما فى كونهما تنشأ عن احوال شيطانية من انس او جن ويلتحق بالسم كل ما عرض للبدن من قرح ونحوه من المواد السمية وقد وقع عند ابى داود من حديث انس مثل حديث عمران وزاد او دم وفى مسلم من حديث انس ايضا رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرقى من العين والحمة والنملة وفى حديث اخر والاذن ولابى داود من حديث الشفا بنت عبد الله ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الا تعلمين هذه يعنى حفصة رقية النملة والنملة قروح تخرج فى الجنب وغيره من الجسد وقيل المراد بالحصر يعنى الافضل اى لا رقية انفع كما قيل لا سيف الا ذو الفقار وقال قوم المنهى عنه من الرقى ما يكون قبل وقوع البلاء والمأذون فيه ما كان بعد وقوعه ذكره ابن عبد البر والبيهقى وغيرهما وروى ابو داود وابن ماجة وصححه الحاكم عن ابن مسعود رفعه ان الرقى والتمائم والتولة شرك والتمائم جمع تميمة وهى خرزة او قلادة تعلق

قوله واختلفوا فى كونها فيه تأمل لانه ظاهر رجوع الضمير للشروط ولا معنى لذلك وان كان راجعا فلا خير فالقياس كونه وقوله بعد ذلك لا بد من اعتبارها

فى الرأس كانوا فى الجاهلية يعتقدون ان ذلك يدفع الافات والتولة بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففا شئ كانت المرأة تستجلب به محبة زوجها وهو ضرب من السحر وانما كان ذلك من الشرك لانهم ارادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله ولا يدخل فى ذلك ما كان باسماء الله وكلامه فقد ثبت فى الاحاديث استعمال ذلك قبل وقوعه كما سيأتى ان شاء الله تعالى ولا خلاف فى مشروعية الفزع الى الله تعالى والالتجاء اليه سبحانه فى كل ما وقع وكل ما يتوقع وقال بعضهم المنهى عنه من الرقا هو الذى يستعمله المعزم وغيره ممن يدعى تسخير الجن له فيأتى بامور مشتبهة مركبة من حق وباطل يجمع الى ذكر الله تعالى واسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ بمردتهم ويقال ان الحية لعداوتها للانسان بالطبع تصادق الشياطين لكونهم اعداء بنى ادم فاذا عزم على الحية باسماء الشياطين اجابت وخرجت من مكانها وكذا اللديغ اذا رقى بتلك الاسماء سالت سمومها من بدن الانسان فلذلك كره من الرقى ما لم يكن بذكر الله واسمائه خاصة وباللسان العربى الذى يعرف معناه ليكون بريئا من شوب الشرك وعلى كراهة الرقى بغير كتاب الله تعالى علماء الامة وقال القرطبى الرقى ثلاثة اقسام احدها ما كان يرقى به فى الجاهلية مما لا يعقل معناه فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شرك او يؤدى الى الشرك الثانى ما كان بكلام الله او باسمائه فيجوز فان كان مأثورا فيستحب الثالث ما كان باسماء غير الله من ملك او صالح او معظم من المخلوقات كالعرش قال فهذا ليس من الواجب اجتنابه ولا من المشروع الذى يتضمن الالتجاء الى الله تعالى به والتبرك باسمائه فيكون تركه اولى الا ان يتضمن تعظيم المرقى به فينبغى ان يجتنب كالحلف بغير الله تعالى وقال الربيع سألت الشافعى عن الرقية فقال لا بأس ان ترقى بكتاب الله تعالى وبما يعرف من ذكر الله تعالى قلت ايرقى اهل الكتاب المسلمين قال نعم اذا رقوا بما يعرف من كتاب الله وبذكر الله انتهى وفى الموطأ ان ابا بكر قال لليهودية التى كانت ترقى عائشة ارقيها بكتاب الله تعالى قال النووى وقال القاضى عياض واختلف قول مالك فى رقية اليهودى والنصرانى المسلم وبالجواز قال الشافعى والله اعلم وروى ابن وهب عن مالك كراهية الرقية بالحديدة والملح وعقد الخيط والذى يكتب خاتم سليمان وقال لم يكن ذلك من امر الناس القديم رقية الذى يصاب بالعين روى مسلم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين اى

المراد كتابهم

اى بسبب العين وليست تأثر الالة اى فيصيبه الله بسبب العين

الأصابة بالعين شئ ثابت موجود وهي من جملة ما تحقق كونه قال المازري
اخذ الجمهور بظاهر الحديث وانكره طوائف من المبتدعة لغير معنى لان كل شئ
ليس محالا في نفسه ولا يؤدى الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فهو من مجوزات
العقول فاذا اخبر الشارع بوقوعه لم يكن لانكاره معنى وهل من فرق بين انكارهم
هذا وانكارهم ما يخبر به من امور الاخرة وقد استشكل بعض الناس هذه
الاصابة فقال كيف تعمل العين من بعد حتى يحصل الضرر للمعيون والجواب بان
طبايع الناس تختلف فقد يكون ذلك من سم يصل من عين العاين في الهوى الى
بدن المعيون وقد نقل عن بعض من كان معيانا انه قال اذا رأيت شيئا يعجبني وجدت
حرارة تخرج من عيني ويقرب ذلك بالمرأة الحائض تضع يدها في اناء اللبن
فيفسد ولو وضعتها بعد طهرها لم يفسد ومن ذلك ان الصحيح قد ينظر الى العين
الرمداء فيرمد وقال المازري زعم بعض الطبايعيين ان العاين تنبعث من عينيه
قوة سمية تتصل بالمعين فتهلك او تفسد وهو كاصابة السم من نظر الافعى
واشار الى منع الحصر في ذلك مع تجويزه وان الذي يتمشى على طريقة اهل السنة
ان العين انما تضر عند نظر العاين بعادة اجريها الله تعالى ان يحدث الضرر عند
مقابلة شخص اخر وهل ثم جواهر حقيقية اولا هو امر محتمل لا يقطع باثباته و
لا نفيه ومن قال ممن ينتمي الى الاسلام من اصحاب الطبايع بالقطع بان جواهر
لطيفة غير مرئية تنبعث من العاين فتتصل بالمعيون وتتخلل مسام جسمه
فيخلق الباري الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السم فقد اخطأ
القطع ولكن جائز ان يكون عادة ليست ضرورة ولا طبيعة انتهى وهو كلام
سديد وليس المراد بالتاثير المعنى الذي تذهب اليه الفلاسفة بل ما اجرى الله به
العادة من حصول الضرر للمعيون وقد اخرج البزار بسنده عن جابر رفعه
اكثر من يموت بعد قضاء الله وقدره بالنفس قال الراوي يعني العين وقد اجرى الله
العادة بوجود كثير من القوى والخواص في الاجسام والارواح كما يحدث
لمن ينظر اليه من يحتشمه من الخجل فيرى في وجهه حمرة شديدة لم تكن قبل ذلك
وكذا الاصفرار عند رؤية من يخافه وكثير من الناس يسقم بمجرد النظر اليه وتضعف
قواه وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى في الارواح من التاثيرات ولشدة
ارتباطها بالعين وليست هي المؤثرة وانما التاثير للروح والارواح مختلفة
في طبايعها وكيفياتها وخواصها فمنها ما يؤثر في البدن بمجرد الرؤية من غير
اتصال به لشدة خبث تلك الروح وكيفيتها الخبيثة والحاصل ان التاثير

بارادة

بارادة الله تعالى وخلقه ليس مقصورا على الاتصال الجسماني بل تارة به وتارة
بالمقابلة واخرى بمجرد الرؤية واخرى بتوجه الروح كالذي يحدث من الادعية
والرقى والالتجاء الى الله تعالى وتارة يقع ذلك بالتوهم والتخيل فالذي يخرج من
عين المعيان سهم معنوي ان صادف البدن لا وقاية له اثر فيه والا لم ينفذ
السهم بل ربما رد على صاحبه كالسهم الحسي سواء انتهى ملخصا من فتح
الباري وغيره قال ابن القيم والغرض العلاج النبوي لهذه العلة فمن المعوذات
والرقا الاكثار من قراءة المعوذتين والفاتحة واية الكرسي ومنها التعوذات
النبوية نحو اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة
ونحو اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق
وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في
الارض ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل و
النهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن واذا كان يخشى ضرر عينه واصابتها
للمعين فليدفع شرها بقوله اللهم بارك عليه كما قال صلى الله عليه وسلم
لعامر بن ربيعة لما عان سهل بن حنيف الا باركت عليه ومما تدفع به اصابة
العين قول ما شاء الله لا قوة الا بالله ومنها رقية جبريل للنبي صلى الله عليه
وسلم كما رواه مسلم بسم الله ارقيك من شر كل شئ يؤذيك من شر كل ذي نفس
او عين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك وعنده ايضا من حديث عائشة
كان جبريل يرقي النبي صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى بسم الله يبريك ومن كل
داء يشفيك ومن شر حاسد اذا حسد ومن شر كل ذي عين واخرج مسلم من حديث
ابن عباس رفعه العين حق ولو كان شئ سابق القدر سبقته العين واذا
استغسلتم فاغسلوا وظاهر الامر للوجوب وحكى المازري فيه خلافا وصحح
الوجوب وقال متى خشي الهلاك وكان اغتسال العاين مما جرت العادة بالشفاء
به فانه يتعين وقد تقرر انه يجبر على بذل الطعام للمضطر وهذا اولى ولم يبين
في حديث ابن عباس صفة الاغتسال قال الحافظ ابن حجر وقد وقعت في حديث
سهل بن حنيف عند احمد والنسائي ان اباه حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم
خرج وساروا معه نحو ماء حتى اذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل
سهل بن حنيف وكان ابيض حسن الجسم والجلد فنظر اليه عامر بن ربيعة فقال
ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة فلبط سهل اي صرع وسقط الى الارض فأتي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تتهمون من احد قالوا عامر بن ربيعة

فدعى عامراً فتغيظ عليه فقال علام يقتل احدكم اخاه هلا اذ رأيت ما يعجبك
بركت ثم قال اغتسل له فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه واطراف رجليه
وداخلة ازاره في قدح ثم صب ذلك الماء عليه رجل من خلفه على رأسه وظهره
ثم كفا القدح ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس قال المازري المراد
بداخلة ازاره الطرف المتدلي الذي يلي حقوه الايمن قال وظن بعضهم انه كناية
عن الفرج انتهى وزاد القاضي عياض ان المراد ما يلي جسده من الازار وقيل اراد موضع
الازار من الجسد وقيل اراد وركه لانه معقد الازار ورأيت مما عزي لخط
شيخنا الحافظ ابي الخير السخاوي قال ابن بكير راويه عن مالك انه كناية عن الثوب
الذي يلي الجلد وقال ابن الاثير في النهاية كان من عادتهم ان الانسان اذا اصابته عين
من احد جاء الى العائن بقدح فيه ماء فيدخل كفه فيه فيتمضمض ثم يمجه في القدح
ثم يغسل وجهه فيه ثم يدخل يده اليسرى فيصب على يده اليمنى ثم يدخل اليمنى فيصب
على يده اليسرى ثم يدخل يده اليسرى فيصب على مرفقه الايمن ثم يده اليمنى فيصب على
مرفقه الايسر ثم يدخل يده اليسرى فيصب على قدمه اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب
على قدمه الايسر ثم يدخل يده اليسرى فيصب على ركبته اليمنى ثم يدخل يده اليمنى
فيصب على ركبته اليسرى ثم يغسل داخلة ازاره ولا يوضع القدح بالارض ثم
يصب ذلك الماء المستعمل على المصاب بالعين من خلفه صبة واحدة فيبرأ
باذن الله تعالى انتهى وقال المازري وهذا المعنى مما لا يمكن تعليله ومعرفة
وجهه من جهة العقل فلا يرد لكونه لا يعقل معناه وقال ابن العربي ان توقف فيه
متشرع قلنا له قل الله ورسوله اعلم وقد عضدته التجربة وصدقته المعاينة
او متفلسف فالرد عليه اظهر لان عنده ان الادوية تفعل بقواها وقد تفعل بمعنى
لا يدرك ويسمون ما هذا سبيله الخواص قال ابن القيم ومن علاج ذلك والاحتراز
منه ستر محاسن من يخاف عليه العين بما يردها عنه كما ذكره البغوي في كتاب شرح
السنة ان عثمان بن عفان رأى صبيا مليحا فقال دسموا نونته لئلا تصيبه العين
ثم قال في تفسيره ومعنى دسموا نونته اي سودوا نونته والنونة النقرة
التي تكون في ذقن وذكر عن ابي عبد الله الساجي انه كان في بعض اسفاره للحج او الغزو
على ناقة فارهة فكان في الرفقة رجل عائن قلما نظر الى شيء الا اتلفه فقيل
لابي عبد الله احفظ ناقتك من العائن فقال ليس له الى ناقتي سبيل فاخبر
العائن بقوله فتحين غيبة ابي عبد الله فجاء الى رحله فنظر الى الناقة فاضطربت
وسقطت فجاء ابو عبد الله فاخبر ان العائن قد عانها وهي كما ترى فقال

دلوني

دلوني عليه فوقف عليه فقال بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب
قابس رددت عين العائن عليه وعلى احب الناس اليه فارجع البصر هل
ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير
فخرجت حدقتا العائن وقامت الناقة لا بأس بها انتهى وفي حديث هذا الباب
من الفوائد ان العائن اذا عرف يقضى عليه بالاغتسال وان الاغتسال من
النشرة النافعة وان العين تكون مع الاعجاب ولو بغير حسد ولو من الرجل
المحب ومن الرجل الصالح وان الذي يعجبه الشيء يبادر الى الدعاء للذي يعجبه
بالبركة ويكون ذلك رقية منه وان الاصابة بالعين قد تقتل وقد اختلف
في جريان القصاص بذلك فقال القرطبي ولو اتلف العائن شيئا ضمنه ولو قتل
فعليه القصاص او الدية اذا تكرر ذلك منه بحيث يصير عادة وهو في ذلك
كالساحر عند من لا يقتله كفرا انتهى ولم يتعرض الشافعية للقصاص في
ذلك بل منعوه وقالوا انه لا يقتل غالبا ولا يعد مهلكا وقال النووي في الروضة
ولا دية فيه ولا كفارة لان الحكم انما يترتب على منضبط عام دون ما يختص
ببعض الناس وبعض الاحوال مما لا انضباط لها كيف ولم يقع منه فعل
اصلا وانما غايته حسد وتمنى لزوال النعمة وايضا فالذي ينشأ عن
الاصابة بالعين حصول مكروه لذلك الشخص ولا يتعين ذلك المكروه في
زوال الحياة فقد يحصل له مكروه بغير ذلك من اثر العين انتهى قال الحافظ
ابن حجر ولا يعكر عليه الا الحكم بقتل الساحر فانه في معناه والفرق بينهما عسر
ونقل ابن بطال عن بعض اهل العلم انه ينبغي للامام منع العائن اذا عرف بذلك
من مداخلة الناس وان يلزم بيته فان كان فقيرا رزقه ما يقوم به فان
ضرره اشد من ضرر المجذوم الذي منعه عمر من مخالطة الناس واشد
من ضرر الثوم الذي منع الشارع آكله من حضور الجماعة قال النووي وهذا
القول صحيح متعين لا يعرف عن غيره تصريح بخلافه ذكر رقيته صلى الله
عليه وسلم التي كان يرقي بها عن عبد العزيز قال دخلت انا وثابت على
انس بن مالك فقال ثابت يا ابا حمزة اشتكيت فقال انس الا ارقيك برقية
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى قال قل اللهم رب الناس اذهب الباس
اشف انت الشافي لا شافي الا انت شفاء لا يغادر سقما رواه البخاري
وقوله اذهب الباس بغير همز للمواخاة واصله الهمز وفي قوله لا شافي الا انت
اشارة الى ان كل ما يقع من الدواء والداء والتداوي انه يصادف تقدير الله

والا فلا ينجع وقوله لا يغادر بالغين المعجمة اى لا يترك وفي البخاري ايضا عن مسروق
عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ بعض اهله يمسح بيده اليمنى
ويقول اللهم رب الناس اذهب الباس واشفه وانت الشافي لا شفاء الا
شفاؤك شفاء لا يغادر سقما وقوله يمسح بيده اى على الوجع وقوله الا شفاؤك
بالرفع بدل من موضع لا شفاء وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يرقى ويقول امسح الباس رب الناس بيدك الشفاء لا كاشف له الا انت رواه
البخاري ايضا وفي صحيح مسلم عن عثمان بن ابي العاص انه شكى الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وجعا يجده في جسده منذ اسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ضع يدك
على الذي تألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات اعوذ بعزة الله
وقدرته من شر ما اجد واحاذر وانما كرره ليكون انجع وابلغ كتكرار الدواء
لاخراج المادة ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الفزع والارق المانع من
النوم عن بريدة قال شكى خالد الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
ما انام الليل من الارق فقال صلى الله عليه وسلم اذا أويت الى فراشك فقل
اللهم رب السموات السبع وما اظلت ورب الارضين وما اقلت ورب الشياطين
وما اضلت كن لي جارا من شر خلقك كلهم جميعا ان يفرط على احد منهم او يبغى
على عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك رواه الترمذي ذكر طبه عليه السلام
من حر المصيبة ببرد الرجوع الى الله تعالى في المسند مرفوعا ما من احد تصيبه
مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي
خيرا منها الا اجره الله في مصيبته واخلف له خيرا منها قال في الهدي النبوي
وهذه الكلمة من ابلغ علاج المصاب وانفعه له في عاجلته واجلته فانها تتضمن
اصلين عظيمين اذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته احدهما ان العبد
واهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة وقد جعله الله عند العبد عارية
عارية فاذا اخذه منه فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير والثاني ان مصير
العبد ومرجعه الى الله ولا بد ان يخلف الدنيا وراء ظهره ويجيء ربه فردا كما خلقه
اول مرة بلا اهل ولا مال ولا عشيرة ولكن بالحسنات والسيئات فاذا كانت
هذه بداية العبد ونهايته فكيف يفرح بموجود او يأسى على مفقود ففكره في
مبدأه ومعاده من اعظم علاج هذا الداء قال ومن علاجه ان يطفئ نار مصيبته
ببرد التأسي باهل المصائب وانه لو فتش العالم لم ير فيه الا مبتلى اما بفوات محبوب
او حصول مكروه وان سرور الدنيا احلام نوم او ظل زائل ان اضحكت قليلا ابكت

كثيرا

ط بالقصر وبالمد الضم والجمع قال تعالى اذ اوينا الى الصخرة اى ملنا وقال تعالى واويناهما الى ربوة اى ضممناهما

ويقصر والقصر افصح من المد ولكن بالقصر معناه المنزل

الفزع الخوف والارق السهر

ذ اى مستجير بك

الحديث المسند المتصل المرفوع

ع اى تخلق بهما واتصف بهما

كثيرا وان سرت يوما اساءت دهرا وان متعت قليلا منعت طويلا
وما ملأت دارا حبرة الا ملأتها عبرة ولا سرته بيوم سرور الا خبأت له
يوم شرور قال ابن مسعود لكل فرحة ترحة وما ملئ بيت فرحا الا ملئ ترحا
ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من داء الهم والكرب بدواء
التوجه الى الرب عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يقول عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش
العظيم لا اله الا الله رب السموات ورب العرش الكريم رواه الشيخان
وقوله عند الكرب اى عند حلول الكرب وعند مسلم كان يدعو بهن ويقولهن
عند الكرب وعنده ايضا كان اذا حزبه امر وهو بفتح المهملة والزاي والموحدة
اى هجم عليه او غلبه قال الطبري معنى قول ابن عباس يدعو وانما هو تهليل و
تعظيم يحتمل امرين احدهما ان المراد تقديم ذلك قبل الدعاء كما عند عبد بن حميد
كان اذا حزبه امر قال فذكر الذكر المأثور وزاد ثم دعا قال الطبري ويؤيد هذا
ما روى الاعمش عن ابرهيم قال كان يقال اذا بدأ الرجل بالثناء قبل الدعاء استجيب له
واذا بدأ بالدعاء قبل الثناء كان على الرجاء ثانيهما ما اجاب به ابن عيينة وقد
سئل عن الحديث الذي فيه اكثر ما كان يدعو به النبي صلى الله عليه وسلم
لا اله الا الله وحده لا شريك له الحديث فقال سفيان هو ذكر وليس فيه
دعاء ولكن قال النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل من شغله ذكري
عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وقال
امية بن ابي الصلت في مدح عبد الله بن جدعان

أأذكر حاجتي ام قد كفاني	حباؤك ان شيمتك الحباء
اذا اثنى عليك المرء يوما	كفاه من تعرضك الثناء

فهذا مخلوق حين نسب الى الكرم اكتفى بالثناء عن السؤال فكيف بالخالق
ثم ان حديث ابن عباس هذا كما قال ابن القيم قد اشتمل على توحيد الالهية
والربوبية ووصف الرب سبحانه وتعالى بالعظمة والحلم وهاتان الصفتان
مستلزمتان لكمال القدرة والرحمة والاحسان والتجاوز ووصفه بكمال ربوبيته
الشاملة للعالم العلوي والسفلي والعرش الذي هو سقف المخلوقات و
اعظمها والربوبية التامة تستلزم توحيده وانه الذي لا تنبغي العبادة
والحب والخوف والرجاء والاجلال والطاعة الا له وعظمته المطلقة
تستلزم اثبات كل كمال له وسلب كل نقص وتمثيل عنه وحلمه

ومنها الحزن

ط اى قريب من الاجابة

بعرفته

اى بل كفاني وام منقطعة

عه هلك على جاهليته وهو ابن عم عائشة رضي الله عنها وكان من اجواد العرب وهو الذي صنع قصعة للضيفان يأكل منها وهو راكب

يستلزم كمال رحمته واحسانه الى خلقه فعلم القلب ومعرفته بذلك توجب محبته واجلاله وتوحيده فيحصل له من الابتهاج واللذة والسرور ما يدفع عنه الم الكرب والهم والغم وانت تجد المريض اذا ورد عليه ما يسره ويفرحه ويقوى نفسه كيف تقوى الطبيعة على دفع المرض الحسى فحصول هذا الشفاء للقلب اولى واحرى ثم اذا قابلت بين ضيق الكرب وسعة هذه الاوصاف التى تضمنها هذا الحديث وجدته فى غاية المناسبة لتفريج هذا الضيق وخروج القلب منه الى سعة البهجة والسرور وانما يصدق هذه الامور من اشرقت فيه انوارها وباشر قلبه حقائقها قال ابن بطال حدثنى ابو بكر الرازى قال كنت باصبهان عند ابى نعيم فقال له ان ابا بكر بن على قد سعى به عند السلطان فسجن فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وجبريل عن يمينه يحرك شفتيه بالتسبيح لا يفتر فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم قل لابى بكر بن على يدعو بدعاء الكرب الذى فى صحيح البخارى حتى يفرج الله عنه قال فاصبحت فاخبرته فدعا به فلم يمكث الا قليلا حتى اخرج وفى حديث على عند النسائى وصححه الحاكم لقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الكلمات وامرنى ان نزل بى كرب او شدة ان اقولها لا اله الا الله الكريم العظيم سبحان الله تبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين وفى لفظ الحليم الكريم فى الاول وفى لفظ لا اله الا الله وحده لا شريك له العليم العلى العظيم لا اله الا الله وحده لا شريك له الحليم الكريم وفى لفظ لا اله الا الله الحليم الكريم سبحانه تبارك وتعالى رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين اخرجها كلها النسائى وروى الترمذى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا همه الامر رفع طرفه الى السماء فقال سبحان الله العظيم واذا اجتهد فى الدعاء قال يا حى يا قيوم وعنده ايضا من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر قال يا حى يا قيوم برحمتك استغيث قال العلامة ابن القيم وفى تاثير قوله يا حى برحمتك استغيث فى دفع هذا الداء مناسبة بديعة فان صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الافعال ولهذا

كان

ولهذا كان الاسم الاعظم الذى اذا دعى به اجاب واذا سئل به اعطى هو اسم الحى القيوم والحياة التامة تضاد جميع الآلام والاسقام ولهذا لما كملت حياة اهل الجنة لم يلحقهم هم ولا غم ولا حزن ولا شئ من الآفات فالتوسل بصفة الحياة والقيومية له تاثير فى ازالة ما يضاد الحياة ويضر بالافعال فلهذا الاسم الحى القيوم تاثير عظيم خاص فى اجابة الدعوات وكشف الكربات ولهذا كان صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد فى الدعاء قال يا حى يا قيوم وروى ابو داود عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوات المكروب اللهم رحمتك ارجو فلا تكلنى الى نفسى طرفة عين واصلح لى شانى كله لا اله الا انت وفى هذا الدعاء كما قاله فى زاد المعاد من تحقيق الرجاء لمن الخير كله بيده والاعتماد عليه وحده وتفويض الامر اليه والتضرع اليه ان يتولى اصلاح شانه ولا يكله الى نفسه والتوسل اليه بتوحيده ما له تاثير فى دفع هذا الداء وكذا قوله فى حديث اسماء بنت عميس عند ابى داود ايضا مرفوعا كلمات الكرب الله ربى لا اشرك به شيئا وفى مسند الامام احمد من حديث ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما اصاب عبدا هم ولا حزن فقال اللهم انى عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتى بيدك ماض فى قضاؤك اسئلك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته فى كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به فى علم الغيب عندك ان تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى الا اذهب حزنه وهمه وابدله مكانه فرحا وانما كان هذا الدعاء بهذه المنزلة لاشتماله على الاعتراف بعبودية الداعى وعبودية ابائه وامهاته وان ناصيته بيده يصرفها كيف يشاء واثبات القدر وان احكام الرب تعالى نافذة فى عبده ماضية فيه لا انفكاك له عنها ولا حيلة له فى دفعها وانه سبحانه وتعالى عدل فى هذه الاحكام غير ظالم لعبده ثم توسله باسماء الرب تعالى التى سمى بها نفسه ما علم العباد منها وما لم يعلموا ومنها ما استاثر به فى علم الغيب عنده فلم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا فهذه الوسيلة اعظم الوسائل واحبها

الى الله واقربها تحصيلا للمطلوب ثم تسأله ان يجعل القرآن لقلبه
ربيعا كالربيع الذى يرتع فيه الحيوان وان يجعله لصدره كالنور
الذى هو مادة الحياة وبه يتم معاش العباد وان يجعله شفاء همه
وغمه فيكون بمنزلة الدواء الذى يستأصل الداء ويعيد البدن الى
صحته واعتداله وان يجعله لحزنه كالجلاء الذى يجلو الطبوع و
والاصدية وغيرها فاذا صدق العليل فى استعمال هذا الدواء
اعقبه شفاء تاما وفى سنن ابى داود عن ابى سعيد الخدرى
قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد
فاذا هو برجل من الانصار يقال له ابو امامة فقال يا ابا امامة
مالى اراك فى المسجد فى غير وقت الصلاة فقال هموم لزمتنى و
ديون يا رسول الله فقال الا اعلمك كلاما اذا انت قلته اذهب
الله عز وجل همك وقضى دينك قال قلت بلى يا رسول الله قال قل
اذا اصبحت واذا امسيت اللهم انى اعوذ بك من الهم والحزن
واعوذ بك من العجز والكسل واعوذ بك من الجبن والبخل
واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال قال ففعلت ذلك
فاذهب الله همى وقضى عنى دينى وقد تضمن هذا الحديث الاستعاذة
من ثمانية اشياء كل اثنين منها قرينان مزدوجان فالهم
والحزن اخوان والعجز والكسل اخوان والجبن والبخل اخوان
وضلع الدين وغلبة الرجال اخوان فحصلت الاستعاذة من كل
شر وفى سنن ابى داود ايضا عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل
الله له من كل هم فرجا • ومن كل ضيق مخرجا • ويرزقه من حيث
لا يحتسب • وانما كان الاستغفار له تأثير فى دفع الهم
والضيق لانه قد اتفق اهل الملل وعقلاء كل امة ان المعاصى
والفساد يوجبان الهم والغم والحزن وضيق الصدر
وامراض القلب واذا كان هذا تأثير الذنوب والآثام فى
القلوب فلا دواء لها الا التوبة والاستغفار وعن ابن عباس
عن النبى صلى الله عليه وسلم من كثرت همومه فليكثر من قول
لا حول ولا قوة الا بالله وثبت فى الصحيحين انها كنز من كنوز

الجنة

الجنة وفى الترمذى انها باب من ابواب الجنة وفى بعض
الآثار انه ما ينزل ملك من السماء ولا يصعد الا بلا حول
ولا قوة الا بالله وروى الطبرانى من حديث ابى هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كربنى امر الا تمثل
الى جبريل فقال لى يا محمد قل توكلت على الحى الذى لا يموت والحمد
لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى
من الذل وكبره تكبيرا وفى كتاب ابن السنى من حديث
ابى قتادة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسى
وخواتيم سورة البقرة عند الكرب اغاثه الله عز وجل وعنده
ايضا من حديث سعد بن ابى وقاص قال صلى الله عليه
وسلم لأعلم كلمة لا يقولها مكروب الا فرج الله عنه كلمة
اخى يونس فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك
انى كنت من الظالمين • وعند الترمذى لم يدع بها رجل
مسلم فى شئ قط الا استجيب له وروى الديلمى فى
مسند الفردوس عن جعفر بن محمد يعنى الصادق قال
حدثنى ابى عن جدى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا
احزنه امر دعا بهذا الدعاء اللهم احرسنى بعينك
التى لا تنام • واكنفنى بركنك الذى لا يرام • وارحمنى
بقدرتك على فلا اهلك وانت رجائى • فكم من نعمة انعمت
بها على قل لك بها شكرى • وكم من بلية ابتليتنى بها قل
لك بها صبرى • فيا من قل عند نعمته شكرى فلم يحرمنى •
ويا من قل عند بليته صبرى فلم يخذلنى • ويا من رآنى على
الخطايا فلم يفضحنى • يا ذا المعروف الذى لا ينقضى ابدا •
ويا ذا النعماء التى لا تحصى عددا • اسئلك ان تصلى على محمد
وعلى آل محمد وبك ادرأ فى نحور الاعداء والجبارين •
اللهم اعنى على دينى بالدنيا • وعلى آخرتى بالتقوى واحفظنى
فيما غبت عنه ولا تكلنى الى نفسى فيما حضرته على • يا من لا تضره
الذنوب ولا ينقصه العفو هب لى ما ينقصك واغفر لى
ما لا يضرك انك انت الوهاب • اسئلك فرجا قريبا • وصبرا جميلا •

ورزقا واسعا والعافية من البلايا وشكر العافية وفى رواية
وأسئلك تمام العافية • واسئلك دوام العافية • وأسئلك
الشكر على العافية • واسئلك الغنى عن الناس • ولا حول ولا قوة
الا بالله العلى العظيم • ذكر طبه صلى الله عليه
وسلم من داء الفقر عن ابن عمر ان رجلا قال يا رسول
الله ان الدنيا ادبرت عنى وتولت قال له فاين انت من
صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبه يرزقون قل عند
طلوع الفجر سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ❀
استغفر الله مائة مرة تأتيك الدنيا صاغرة فولى الرجل
فمكث ثم عاد فقال يا رسول الله لقد اقبلت على الدنيا فما ادرى
اين أضعها رواه الخطيب فى رواية مالك ذكر
طبه صلى الله عليه وسلم من داء الحريق
عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الحريق فكبروا
فان التكبير يطفئه فان قلت ما وجه الحكمة فى أطفاء
الحريق بالتكبير فأجاب صاحب زاد المعاد بانه لما كان
الحريق سببه النار وهى مادة الشيطان التى خلق منها
وكان فيه من الفساد العام ما يناسب الشيطان بمادته
وفعله وكان للشيطان اعانة عليه وتنفيذ له وكانت
النار تطلب بطبعها العلو والفساد وهما هدى الشيطان
واليهما يدعو وبهما يهلك بنى أدم فالنار والشيطان
كل منهما يريد العلو فى الأرض والفساد وكبرياء الله
تعالى يقمع الشيطان وفعله فلهذا كان تكبير الله
تعالى له تأثير فى اطفاء الحريق فان كبرياء الله تعالى
لا يقوم لها شئ فاذا كبر المسلم ربه اثر تكبيره فى
خمود النار التى هى مادة الشيطان وقد جربنا نحن
وغيرنا هذا فوجدناه كذلك انتهى ولقد جربت
ذلك بطيبة فى سنة خمس وتسعين وثمانمائة فوجدت
له اثرا عظيما لم اجده لغيره ولقد شاع وذاع رؤية

طيور

طيور بحريق طيبة الواقع فى ثالث عشرى رمضان فى
سنة ست وثمانين وثمانمائة معلنة بالتكبير ذكر ما
كان عليه السلام يطب به من داء الصرع
فى الصحيحين ان امرأة أتت النبى صلى الله عليه وسلم
فقالت انى اصرع وانى انكشف فادع الله لى فقال ان شئت
صبرت ولك الجنة وان شئت دعوت الله لك ان
يعافيك فقالت اصبر قالت فانى انكشف فادع الله
ان لا انكشف فدعا لها قال العلامة ابن القيم
ثم الصرع صرعان صرع من الارواح الخبيثة الأرضية
وصرع من الاخلاط الردية والثانى هو الذى يتكلم فيه
الأطباء فاما علاج صرع الارواح فيكون بامرين امر
من جهة المصروع وامر من جهة المعالج فالذى من جهة
المصروع يكون بقوة نفسه وصدق توجهه الى فاطر هذه
الأرواح وبارئها والتعوذ الصحيح الذى قد تواطئ عليه
القلب واللسان فان هذا نوع محاربة والمحارب لا يتم
له الانتصاف من عدوه بالسلاح الا بامرين ان يكون السلاح
صحيحا فى نفسه جيدا وان يكون الساعد قويا والثانى
من جهة المعالج بأن يكون فيه هذان الأمران ايضا حتى
ان من المعالجين من يكتفى بقوله اخرج منه او بقول
بسم الله او بقول لا حول ولا قوة الا بالله قال
وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول اخرج عدو الله
انا رسول الله وكان بعضهم يعالج ذلك بأية الكرسى و
يأمر بكثرة قراءة المصروع ومن يعالجه بها
وبقراءة المعوذتين قال ومن حدث له الصرع وله خمسة
وعشرون سنة وخصوصا بسبب دماغى أيس
من برئه وكذلك اذا استمر به الى هذا السن قال
فهذه المرأة التى جاء الحديث انها كانت تصرع و
تنكشف يجوز ان يكون صرعها من هذا النوع فوعدها
النبى صلى الله عليه وسلم بصبرها على هذا المرض

اى اين غبت عن ذلك

اى دعائهم

قال شيخنا والظاهر ان الاضافة بيانية

اى فى الحرايق

اى اطفاء الحريق

اى الارواح والاخلاط اجسام

وهو الجن الكفار

بالجنة ولقد جربت الاقسام بالنبي صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى
محمد رسول الله والذين معه الى اخر سورة الفتح في اثنتين صغيرتين صرعتا
فشفيتا ومن الغريب قصة غزال الحبشية خادمتنا لما صرعت
بدرب الحجاز الشريف واستغاثت به صلى الله عليه وسلم في ذلك
فجئ الى بصار عها في المنام بامره صلى الله عليه وسلم فوبخته واقسم
لا يعودوا اليها فاستيقظت وما بها قلبة ومن ثم لم يعد اليها فلله الحمد
ذكر دواء عليه السلام من داء السحر قال النووي السحر حرام وهو من الكبائر
بالاجماع وقد يكون كفرا وقد لا يكون كفرا بل معصية كبيرة فان كان فيه قول
او فعل يقتضي الكفر كفر والا فلا واما تعليمه وتعلمه فحرام واذا لم يكن فيه ما
يقتضي الكفر عزر فاعله واستتيب منه ولا يقتل عندنا وان تاب قبلت توبته
وقال مالك الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب ولا تقبل توبته بل يتحتم
قتله والمسئلة مبنية على الخلاف في قبول توبة الزنديق لان الساحر عنده كافر
كما ذكرناه وعندنا ليس بكافر وعندنا تقبل توبة المنافق والزنديق قال القاضي
عياض وبقول مالك قال احمد بن حنبل وهو مروي عن جماعة من الصحابة و
التابعين قال اصحابنا فاذا قتل الساحر بسحره انسانا واعترف انه مات بسحره
وانه يقتل غالبا لزمه القصاص وان قال مات به ولكنه قد يقتل وقد لا يقتل فلا قصاص
وتجب الدية والكفارة وتكون الدية في ماله لا على عاقلته لان العاقلة لا تحمل ما
ثبت باعتراف الجاني قال اصحابنا ولا يتصور ثبوت القتل بالسحر بالبينة وانما يتصور
باعتراف الساحر انتهى واختلف في السحر فقيل هو تخييل فقط ولا حقيقة له وهو
اختيار ابي جعفر الاستراباذي من الشافعية وابي بكر الرازي من الحنفية وطائفة قال النووي و
الصحيح ان له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة
المشهورة قال شيخ الاسلام ابو الفضل العسقلاني لكن محل النزاع هل يقع بالسحر انقلاب عين
اولا فمن قال انه تخييل فقط منع ذلك والقائلون بان له حقيقة اختلفوا هل له تاثير فقط
بحيث يغير المزاج فيكون نوعا من الامراض او ينتهي الى الاحالة بحيث يصير الجماد حيوانا مثلا وعكسه
فالذي عليه الجمهور هو الاول وقال المازري جمهور العلماء على اثبات السحر ولان العقل لا ينكر ان الله قد يخرق
العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق او تركيب اجسام او مزج بين قوى على ترتيب مخصوص ونظير ذلك
ما وقع من حذاق الاطباء من مزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار
منها بمفرده فيصير بالتركيب نافعا وقيل لا يزيد تاثير السحر
على ما ذكر الله في قوله يفرقون به بين المرء وزوجه لكون المقام مقام

بل يتصور بان كانوا تعاطوه سابقا ثم تابعا وعدلوا ثم شهدوا

قوله والذي عليه الجمهور الاول كذا في نسخ بل الجمهور على الاخر المعتمد خلافه

قوله ولان الصواب حذف الواو

تهويل فلو جاز ان يقع به اكثر من ذلك لذكره الله تعالى قال المازري والصحيح من جهة العقل ان
يقع به اكثر من ذلك قال والاية ليست نصا في منع الزيادة ولو قلنا انها ظاهرة في ذلك
ثم قال والفرق بين السحر والمعجزة والكرامة ان السحر يكون بمعاناة اقوال وافعال حتى يتم للساحر
ما يريد والكرامة لا تحتاج الى ذلك انما يقع غالبا اتفاقا واما المعجزة فتمتاز عن الكرامة
بالتحدي ونقل امام الحرمين الاجماع على ان السحر لا يقع الا من فاسق وان الكرامة لا تظهر
على يد فاسق ونقل نحوه النووي في زيادة الروضة عن المتولي وينبغي ان يعتبر حال من يقع منه
الخارق فان كان متمسكا بالشريعة مجتنبا للموبقات فالذي يظهر على يديه من الخوارق كرامة
والا فهو سحر وقال القرطبي السحر حيل صناعية يتوصل اليها بالاكتساب غير انها لدقتها
لا يتوصل اليها الا احاد الناس ومادته الوقوف على خواص الاشياء والعلم بوجوه تركيبها
واوقاتها واكثرها تخييلات من غير حقيقة وايهامات بغير ثبوت فيعظم عند من لا يعرف
كما قال تعالى عن سحرة فرعون وجاؤا بسحر عظيم مع ان حبالهم وعصيهم لم تخرج عن
كونها حبالا وعصيا وقال ابو بكر الرازي في الاحكام اخبر الله تعالى ان الذي ظنه موسى
انها تسعى لم يكن سعيا وانما كان تخييلا وذلك ان عصيهم كانت مجوفة قد ملئت
زيبقا وكذلك الحبال كانت من ادم محشوة زيبقا وقد حفروا قبل ذلك اسرابا وجعلوا
لها ازاجا وملؤها نارا فلما طرحت على ذلك الموضع وحمي الزيبق حركها لان من شان
الزيبق اذا اصابته النار ان يطير فلما اثقلته كثافة الحبال والعصي صارت تتحرك
بحركته فظن من راها انها تسعى ولم تكن تسعى حقيقة انتهى قال القرطبي والحق ان لبعض
اصناف السحر تاثيرا في القلوب كالحب والبغض والقاء الخير والشر وفي الابدان بالالام
والسقم وانما المنكر ان ينقلب الجماد حيوانا وعكسه بسحر الساحر وقد ثبت في البخاري
من حديث عائشة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سحر حتى انه كان يخيل
اليه انه يفعل الشيء وما يفعله حتى اذا كان ذات ليلة عند عائشة دعا ودعا ثم
قال يا عائشة اشعرت ان الله افتاني فيما استفتيته فيه اتاني رجلان فقعد
احدهما عند راسي والاخر عند رجلي فقال احدهما لصاحبه ما بال الرجل
قال مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال في اي شيء قال في مشط
ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر قال واين هو قال في بئر ذروان قال فاتاها
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في ناس من اصحابه فجاء فقال يا عائشة
كان ماءها نقاعة الحناء وكان رؤس نخلها رؤس الشياطين فقلت يا رسول الله افلا
استخرجته قال قد عافاني الله فكرهت ان اثير على الناس فيه شرا فامر بها فدفنت
وفي رواية للبخاري ايضا فاتى البئر حتى استخرجه فقال هذه البئر التي اريتها قالت

اي خرج اجابتنا ...

على العروج السحر المعجزة والكرامة

عائشة افلا تنشرت قال اما الله شفاني واكره ان اثير على الناس شرا وفي حديث ابن
عباس رض عند البيهقي في الدلائل بسند ضعيف في آخر قصة السحر الذي سحر به
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انهم وجدوا وترا فيه احدى عشر عقدة وانزلت
سورة الفلق والناس فجعل كلما قرا اية انحلت عقدة واخرجه ابن سعد بسند آخر منقطع
عن ابن عباس رض ان عليا وعمارا لما بعثهما النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاستخراج
السحر وجدا طلعة فيها احدى عشرة عقدة فذكر نحوه وفي رواية ذكرها في فتح الباري
فنزل رجل فاستخرجه وانه وجد في الطلعة تمثالا من شمع تمثال رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم واذا ابر مغروزة واذا وتر فيه احدى عشرة عقدة فنزل
جبريل ع م بالمعوذتين فكلما قرا اية انحلت عقدة وكلما نزع ابرة وجد لها الما ثم
يجد بعدها راحة وقد بين الواقدي السنة التي وقع فيها السحر كما اخرجه عنه ابن سعد
بسند له الى عمر بن الحكم مرسل قال لما رجع صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي
الحجة ودخل المحرم سنة سبع جاءت رؤساء اليهود الى لبيد بن الاعصم وكان
حليفا في بني زريق وكان ساحرا فقالوا انت اسحرنا وقد سحرناه فلم نصنع شيئا
ونحن نجعل لك جعلا على ان تسحره لنا سحرا ينكؤه فجعلوا له ثلاثة دنانير ووقع
في رواية ابي ضمرة عند الاسماعيلي فاقام اربعين ليلة وفي رواية وهيب عن هشام
عند احمد ستة اشهر ويمكن الجمع بان يكون الستة اشهر من ابتداء تغير مزاجه والاربعين
يوما من استحكامه وقال السهيلي لم اقف في شيء من الاحاديث المشهورة على قدر
المدة التي مكث صلى الله عليه وسلم فيها في السحر حتى ظفرت به في جامع معمر عن
الزهري انه لبث سنة قال الحافظ ابن حجر وقد وجدناه موصولا بالاسناد الصحيح
فهو المعتمد وقال المازري انكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا انه يحط منصب
النبوة ويشكك فيها قالوا وكلما ادى الى ذلك فهو باطل وزعموا ان تجويز هذا
يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع اذ يحتمل على هذا ان يخيل اليه انه جبريل
وليس هو ثم وانه يوحى اليه بشيء ولم يوح اليه بشيء قال المازري وهذا كله
مردود لان الدليل قد قام على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن
الله عز وجل وعلى عصمته في التبليغ والمعجزات شاهدات بتصديقه فتجويز
ما قام الدليل على خلافه باطل واما ما يتعلق ببعض امور الدنيا التي لم يبعث
لاجلها ولا كانت الرسالة من اجلها فهو في ذلك عرضة لما يعرض للبشر كالامراض
فغير بعيد ان يخيل اليه في امر من امور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك
في امور الدين انتهى وقال غيره لا يلزم من انه كان يظن انه يفعل الشيء ولم يكن فعله ان يجزم

بفعله

بفعله ذلك وانما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت فلا يبقى على هذا
للملحد حجة وقال القاضي عياض يحتمل ان يكون المراد بالتخيل المذكور انه يظهر له
من نشاطه ما الفه من سابق عادته من الاقتدار على الوطء فاذا دنى من المرأة
فتر ذلك كما هو شأن المعقود ويكون قوله في الرواية الاخرى حتى كاد ينكر بصره
اي صار كالذي ينكر بصره بحيث انه اذا رأى الشيء يخيل اليه انه على غير صفته فاذا تأمل
عرف حقيقته ويؤيد جميع ما تقدم انه لم ينقل عنه في خبر من الاخبار انه قال قولا
فكان بخلاف ما اخبر به قال بعضهم وقد سلك النبي صلى الله عليه وسلم في هذه
القصة التفويض وتعاطي الاسباب ففي اول الامر فوض وسلم لامر ربه واحتسب
الاجر في صبره على بلائه ثم لما تمادى ذلك وخشي من تماديه ان يضعفه عن فنون عبادته
جنح الى التداوي فقد اخرج ابو عبيد من مرسل عبد الرحمن بن ابي ليلى قال احتجم النبي
صلى الله عليه وسلم على رأسه يعني حين طب ثم جنح الى الدعاء وكل من المقامين غاية
في الكمال وقال ابن القيم من انفع الادوية واقوى ما يؤخذ من النشرة مقاومة للسحر
الذي هو من تأثير الارواح الخبيثة بالادوية الالهية من الذكر والدعاء والقراءة فالقلب
اذا كان ممتلئا من الله معمورا بذكره وله ورد من الذكر والدعاء والتوجه لا يخل به كان
ذلك من اعظم الاسباب المانعة من اصابة السحر له قال وسلطان تأثير السحر هو في القلوب
الضعيفة ولهذا غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال لان الارواح الخبيثة انما
تتسلط على ارواح تلقاها مستعدة لما يناسبها انتهى ملخصا ويعكر عليه حديث
الباب وجواز السحر على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع عظيم مقامه وصدق توجهه
وملازمة ورده ولكن يمكن الانفصال عن ذلك بان الذي ذكره محمول على الغالب وانما
وقع به صلى الله عليه وسلم لبيان تجويز ذلك عليه واما ما يعالج به من النشرة المقاومة
للسحرة فذكر ابن بطال ان في كتب وهب بن منبه ان يأخذ سبع ورقات من سدر اخضر
فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقلاقل ثم يحسو منه
ثلاث حسوات ثم يغتسل به فانه يذهب عنه ما كان به وهو جيد للرجل اذا حبس عن
اهله وممن صرح بجواز النشرة المزني عن الشافعي وابو جعفر الطبري وغيرهما انتهى وقال
ابن الحاج في المدخل كان الشيخ ابو محمد المرجاني اكثر تداويه بالنشرة يعملها لنفسه ولاولاده
ولاصحابه فيجدون على ذلك الشفاء واخبر رحمه الله ان النبي صلى الله عليه وسلم
اعطاها له في المنام وقال انه رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال له ما تعلم
ما عمل معك ومع اصحابك في هذه النشرة نقله عنه خادمه وهي هذه لقد جاءكم رسول
من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم الى آخر السورة

وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين لو انزلنا هذا القرآن على جبل
لرأيته خاشعا الى آخر السورة وسورة الاخلاص والمعوذتين ثم يكتب اللهم انت
المحيي وانت المميت وانت الخالق وانت البارئ وانت المبلي وانت المعافي وانت الشافي
خلقتنا من ماء مهين وجعلتنا في قرار مكين الى قدر معلوم اللهم اني اسألك باسمائك
الحسنى وصفاتك العلى يا من بيده الابتلاء والمعافى والشفاء والدواء واسألك
بمعجزات نبيك محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبركات خليلك ابراهيم عليه السلام
وحرمة كليمك موسى عليه السلام اللهم اشفه **ذكر رقية تنفع لكل شكوى** عن ابي
الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من اشتكى
منكم شيئا فليقل ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك امرك في السماء والارض
كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الارض واغفر لنا حوبنا وخطايانا انت
رب الطيبين انزل رحمة من عندك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرئ باذن
الله رواه ابو داود في سننه **رقيته عليه السلام من الصداع** روى الحميدي في
الطب عن يونس بن يعقوب عن عبد الله قال كان رسول الله عليه وسلم
يتعوذ من الصداع بسم الله الرحمن بسم الله الكبير واعوذ بالله العظيم من
شر كل عرق نعار ومن شر حر النار رواه ابن السني من حديث ابن عباس رض **واصاب**
اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما ورم في رأسها فوضع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يده على ذلك من فوق الثياب فقال بسم الله اذهب عنها سوءه
وفحشه بدعوة نبيك الطيب المبارك المكين عندك بسم الله صنع ذلك
ثلاث مرات وامرها ان تقول ذلك فقالت ثلاثة ايام فذهب الورم رواه الشيخ
ابن النعمان بسنده والبيهقي **رقيته صلى الله عليه وسلم من وجع الضرس** روى
البيهقي ان عبد الله بن رواحة شكا الى النبي صلى الله تعالى عليه وجع ضرسه
فوضع صلى الله تعالى عليه وسلم يده على خده الذي فيه الوجع وقال اللهم اذهب
عنه سوء ما يجده وفحشه بدعوة نبيك المكين المبارك عندك سبع مرات
فشفاه الله قبل ان يبرح **وروى** الحميدي ان فاطمة رضي الله عنها اتت رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم تشكو ما تلقى من ضربان الضرس فادخل
سبابته اليمنى فوضعها على السن الذي تألم فقال بسم الله وبالله اسألك بعزتك
وجلالك وقدرتك على كل شيء فان مريم لم تلد غير عيسى من روحك وكلمتك
ان تكشف ما تلقى فاطمة بنت خديجة من الضر كله فسكن ما بها **ومن الغريب**
مما شاع وذاع عن شيخنا المحب الطبري امام مقام الخليل بمكة ورأيته يفعله غير مرة

وضع

وضع يده على رأس الموجوع ضرسه ويسأل عن اسمه واسم امه وعن المدة التي
يجد الالم ان لا يألمه فيها فيقول سبع سنين او تسع سنين مثلا بالوتر قالوا فما
يرفع يده الا وقد سكن المه ويمكث المدة المذكورة لا يألمه كما انبئ ذلك واشهر
ومما جرب ان يكتب لحن الذي يلي الوجع بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الذي انشأكم
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وان شاء كتب وله ما
سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم **رقية لعسر البول** روى النسائي عن ابي الدرداء
انه اتاه رجل يذكر ان اباه احتبس بوله فاصابه حصاة البول فعلمه رقية سمعها من
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك امرك في السماء
والارض كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الارض واغفر لنا ذنوبنا وخطايانا
انت رب الطيبين فانزل شفاء من شفائك ورحمة من رحمتك على هذا الوجع فبرأ
وامره ان يرقيه فرقاه بها فبرأ وقد تقدم في رقية الشكوى العامة من حديث ابي داود
رقية الحمى عن انس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة وهي
موعوكة وهي تسب الحمى فقال لا تسبيها فانها مأمورة ولكن ان شئت علمتك
كلمات اذا قلتهن اذهبها الله عنك قالت فعلمني قال قولي اللهم ارحم جلدي
الرقيق وعظمي الدقيق من شدة الحريق يا ام ملدم ان كنت امنت بالله العظيم
فلا تصدعي الرأس ولا تنتني الفم ولا تأكلي اللحم ولا تشربي الدم وتحولي عني الى من
اتخذ مع الله الها آخر قالت فقالتها فذهبت عنها رواه البيهقي **وقد جرب**
ذلك كما رأيته بخط شيخنا ولفظه اللهم ارحم عظمي الدقيق وجلدي الرقيق واعوذ
بك من فورة الحريق يا ام ملدم ان كنت امنت بالله واليوم الآخر فلا تأكلي اللحم
ولا تشربي الدم ولا تفوري على الفم وانتقلي الى من يزعم ان مع الله الها آخر فاني
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله عبده ورسوله **ويكتب** للحمى المثلثة
مما ذكر صاحب الهدي على ثلاث ورقات لطاف بسم الله فرت بسم الله مرت
بسم الله قلت ويأخذ كل يوم ورقة ويجعلها في فمه ويبلعها بماء **وقد رخص**
جماعة من السلف في كتابة بعض القرآن وشربه وجعل ذلك من الشفاء الذي جعل
الله فيه قال ابن الحاج في المدخل وقد كان الشيخ ابو محمد المرجاني يكتب الاوراق
للحمى وغيرها على باب الزاوية فمن كان به الم اخذ ورقة منها فاستعملها فيبرأ باذن
الله عز وجل وكان المكتوب فيها ازلي لم يزل ولا يزال يزيل الزوال وهو لا يزال
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
وقال المروذي بلغ ابا عبد الله اني حممت فكتب لي من الحمى رقعة فيها بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله وبالله ومحمد رسول الله يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وارادوا
به كيدا فجعلناهم الاخسرين اللهم رب جبريل وميكائل واسرافيل اشف صاحب
هذا الكتاب بحولك وقوتك وجبروتك اله الحق امين **ومما جرب للخراج** ونقل صاحب
زاد المعاد ان يكتب عليه ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا **ومما يكتب لعسر الولادة** ما روى الخلال
عن عبد الله ابن الامام احمد بن حنبل قال رأيت ابي يكتب للمرأة اذا عسر عليها
ولادتها في جام ابيض او شيء نظيف حديث ابن عباس رض لا اله الا الله الحليم الكريم
سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كانهم يوم يرون ما يوعدون
لم يلبثوا الا ساعة من نهار كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار
كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحيها قال الخلال اخبرنا ابو بكر المروزي
ان ابا عبد الله جاءه رجل فقال يا ابا عبد الله تكتب لامرأة قد عسر عليها ولدها منذ
يومين فقال قل له يجيء بجام واسع وزعفران قال ورأيته يكتب لغير واحد **وفي
المدخل** يكتب في آنية جديدة اخرج ايها الولد من بطن ضيق الى سعة هذه الدنيا
اخرج بقدرة الله الذي جعلك في قرار مكين الى قدر معلوم لو انزلنا هذا القرآن
على جبل الى آخر السورة وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وتشرب منه
النفساء وترش منه على وجهها قال الشيخ محمد المرجاني اخذته عن بعض السادة فما
كتبته لاحد الا نجح في وقته انتهى **وروى** عن عكرمة عن ابن عباس قال مر عيسى عليه السلام
على امرأة وقد اعترض ولدها في بطنها فقالت يا كلمة الله ادع الله لي ان يخلصني
مما انا فيه فقال يا خالق النفس من النفس ومخلص النفس من النفس ويا مخرج
النفس من النفس خلصها قال فرمت بولدها فاذا هي قائمة قال فاذا عسر على
امرأة ولدها فاكتبه لها **ومما يكتب** ايضا لذلك ويكون في اناء نظيف اذا السماء
انشقت واذنت لربها وحقت واذا الارض مدت والقت ما فيها وتخلت وتشرب الحامل
منه وترش على بطنها **ومما يكتب للرعاف** على جبهة المرعوف وقيل يا ارض ابلعي ماءك
ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر ولا يجوز كتابتها بدم الرعاف كما يفعله
بعض الجهال فان الدم نجس فلا يجوز ان يكتب به كلام الله **ومما يكتب لعرق النساء**
بسم الله الرحمن الرحيم اللهم رب كل شيء ومليك كل شيء وخالق كل شيء انت
خلقتني وخلقت عرق النساء في فلا تسلطه علي باذى ولا تسلطني عليه
بقطع واشفني شفاء لا يغادر سقما لا شافي الا انت **واما** حفيظة رمضان
لا آلاء الا آلاؤك يا الله انك سميع عليم محيط به علمك كعسلهون وبالحق

ازلنا

ازلناه وبالحق نزل الى آخرها قال شيخنا اشتهرت ببلاد اليمن ومكة ومصر
والمغرب وجملة بلدان انها حفيظة رمضان تحفظ من الغرق والسرق والحرق
وسائر الآفات وتكتب آخر جمعة منه وجمهورهم يكتبها والخطيب يخطب
على المنبر وبعضهم بعد صلوة العصر وهذه بدعة لا اصل لها وان وقعت في
كلام غير واحد من الاكابر بل اشتهر كلام بعضهم ورودها في حديث ضعيف
وكان الحافظ ابن حجر ينكرها جدا حتى وهو قائم على المنبر في اثناء خطبته حين
يرى من يكتبها انتهى **ذكر ما يقي من كل بلاء** عن ابان ابن عثمان عن ابيه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال بسم الله الذي
لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث
مرات حين يمسي لم تصبه فجاة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين يصبح لم
تصبه فجاة بلاء حتى يمسي قال فاصاب ابان ابن عثمان الفالج فجعل الذي
سمع منه الحديث ينظر اليه فقال ما لك تنظر الي فوالله ما كذبت على
عثمان ولا كذب عثمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اليوم
الذي اصابني فيه ما اصابني غضبت فنسيت ان اقولها رواه ابو داود ورواه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعنده فكان ابان قد اصابه طرف فالج
فجعل الرجل ينظر اليه فقال له ابان ما لك تنظر الي اما ان الحديث كما حدثتك
ولكن لم اقله يومئذ ليمضي الله قدره **ذكر ما يستجلب به المعافاة** من سبعين بلاء ذكر
ابو محمد عبد الله بن محمد المالكي الافريقي في كتابه اخبار افريقية عن انس بن مالك
مرفوعا من قال بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
عشر مرات برئ من ذنوبه كيوم ولدته امه وعوفي من سبعين بلاء من بلايا الدنيا منها
الجنون والجذام والبرص والريح **ويشهد** له ما رواه الترمذي عن ابي هريرة
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من قول لا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم فانها من كنز الجنة قال مكحول فمن قال لا حول ولا قوة الا بالله
ولا ملجا من الله الا اليه كشف الله عنه سبعين بابا من الضر ادناها الفقر
وروى الطبراني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من قال لا حول ولا قوة الا بالله كان دواء من تسعة وتسعين داء ايسرها الهم **ومن
ذلك في الامان من الفقر** عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قال لا حول ولا قوة الا بالله مائة مرة في كل يوم لم يصبه فقر ابدا رواه ابن ابي
الدنيا **وروى** الطبراني عن ابي هريرة رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن ابطا عليه رزقه فليكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله وعن جعفر بن
محمد عن ابيه عن جده عن علي بن ابي طالب يرفعه من قال كل يوم وليلة لا اله
الا الله الملك الحق المبين مائة مرة كان له امانا من الفقر وانسا من وحشة
القبر واستفتح به باب الغنى واستقرع باب الجنة قال بعضهم واتم لو رحلتم في
هذا الحديث الى الصين ما كان كثيرا ذكره عبد الحق في كتاب الطب النبوي
ذكر دواء داء الطعام روى البخاري في تاريخه عن عبد الله بن مسعود من قال حين
يوضع الطعام بسم الله خير الاسماء في الارض وفي السماء لا يضر مع اسمه داء
جعل فيه رحمة وشفاء لم يضره ما كان ذكر دواء ام الصبيان عن علي قال
رسول الله صلى الله عليه من ولد له مولود فاذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى
لم تضره ام الصبيان رواه ابن السني وذكره عبد الحق في الطب النبوي وام الصبيان
هي الريح التي تعرض لهم فربما يخشى عليهم منها وسر التاذين كما قاله صاحب
التحفة الودود باحكام المولود ان يكون اول ما يقرع سمع المولود كلمات المتضمنة
لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التي اول ما يدخل بها في الاسلام فكان ذلك
كالتلقين له شعار الاسلام عند دخوله الى الدنيا كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه
منها مع ما في ذلك من فائدة اخرى وهي هروب الشيطان من كلمات الاذان وهو كان يرصده
حتى يولد فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها فيسمع الشيطان ما يضعفه و
يغيظه اول اوقات تعلقه به النوع الثاني في طبه صلى الله عليه وسلم بالادوية
الطبيعية ذكر ما كان عليه الصلاة والسلام يعالج به الصداع والشقيقة اعلم ان
الصداع الم في بعض اجزاء الراس او كله فما كان منه في احد جانبي الراس لازما سمي شقيقة
وسببه ابخرة مرتفعة او اخلاط حارة او باردة ترتفع الى الدماغ فان لم تجد منفذا احدث
الصداع وان مال الى احد شقي الراس احدث الشقيقة وان ملك كل الراس احدث داء
البيضة تشبيها ببيضة السلاح التي تشتمل على الراس كلها واسباب الصداع كثيرة
منها ما تقدم ومنها ما يكون عن ورم في المعدة او في عروقها او ريح غليظة فيها
او لامتلائها ومنها ما يكون من الحركة العنيفة كالجماع والقيء والاستفراغ والسهر او
كثرة الكلام ومنها ما يحدث من الاعراض النفسانية كالهم والحزن والجوع والحمى ومنها
ما يحدث عن حادث في الراس كضربة تصيبه او ورم في صفاق الدماغ او حمل شيء ثقيل
يضغط الراس او تسخينه بشيء خارج عن الاعتدال وتبريده بملاقات الهواء او الماء
في البرد واما الشقيقة فهي في شرايين الراس وحدها وتختص بالموضع الاضعف من الراس
وعلاجها بشد العصابة وقد اخرج الامام احمد من حديث بريدة انه صلى الله عليه

وسلم

وسلم كان ربما اخذته الشقيقة فيمكث اليوم واليومين لا يخرج وفي الصحيح انه صلى الله عليه
وسلم قال في مرض موته واراساه وانه خطب وقد عصب راسه فعصب الراس ينفع في
الشقيقة وغيرها من اوجاع الراس وفي البخاري من حديث ابن عباس رضي احتجم صلى الله عليه
وسلم وهو محرم في راسه من شقيقة كانت به وقد جاءت مقيدة بما في بعض طرق ابن عباس
نفسه وعند ابي داود والطيالسي في مسنده من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه
وسلم احتجم في وسط راسه وقد قال الاطباء انها نافعة جدا وورد انه صلى الله عليه
وسلم احتجم ايضا في الاخدعين والكاهل اخرجه الترمذي وحسنه وابو داود وابن ماجه وصححه الحاكم
وقد قال الاطباء الحجامة على الاخدعين تنفع من امراض الراس والوجه والاذنين والعينين
والاسنان والانف وقد ورد في حديث ضعيف جدا واخرجه ابن عدي من طريق عمر بن رباح
عن عبد الله بن طاوس عن ابيه عن ابن عباس رفعه الحجامة في الراس تنفع من سبع من الجنون والجذام
والبرص والنعاس والصداع ووجع الضرس والعين وعمر متروك رماه الفلاس وغيره
بالكذب وروى ابن ماجه في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صدع غلف راسه
بالحناء ويقول انه نافع باذن الله من الصداع وفي صحته نظر وهو علاج خاص بما اذا
كان الصداع من حرارة ملتهبة ولم يكن من مادة يجب استفراغها واذا كان كذلك نفع فيه
الحناء نفعا ظاهرا قالوا واذا دق وضمدت به الجبهة مع الخل سكن الصداع وهذا
لا يختص بوجع الراس بل يعم الاعضاء وفي تاريخ البخاري وسنن ابي داود ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما شكى اليه احد وجعا في راسه الا قال له احتجم ولا شكى
وجعا في رجليه الا قال له اختضب بالحناء وفي الترمذي عن علي بن عبد الله عن
جدته وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت ما كان يكون برسول الله صلى
الله عليه وسلم قرحة ولا نكتة الا امرني ان اضع عليه الحناء ذكر طبه صلى الله عليه
وسلم للرمد وهو ورم حار يعرض في الطبقة الملتحمة من العين وهو بياضها وسببه
انصباب بعض الاخلاط والابخرة تصعد من المعدة الى الدماغ فان اندفع الى الخياشيم
احدث الزكام او الى العين احدث الرمد او الى اللهاة والمنخرين احدث الخنان
بالخاء المعجمة والنون او الى الصدر احدث النزلة او الى القلب احدث الشوصة وان لم
ينحدر وطلب نفاذا فلم يجد احدث الصداع كما تقدم وروي انه عليه السلام
كان يعالج الرمد بالسكون والدعة وترك الحركة وفي سنن ابن ماجه عن صهيب
قال قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر فقال ادن وكل
فاخذت تمرا فاكلت فقال تاكل تمرا وبك رمد فقلت يا رسول الله امضغ
من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي انه صلى

وسلم حمى عليا من الرطب لما اصابه الرمد وفي البخاري من حديث سعيد بن زيد
قال سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول الكمأة من المن وماؤها شفاء
للعين والكمأة نبات لا ورق لها ولا ساق يوجد في الارض من غير ان تزرع وروى
الطبراني من طريق المنكدر عن جابر قال كثرت الكمأة على عهد رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فامتنع قوم من اكلها وقالوا هو جدري الارض فبلغه ذلك فقال
ان الكمأة ليست جدري الارض الا ان الكمأة من المن واختلف في قوله من المن فقيل
من المن الذي انزله الله على بني اسرائيل وهو الطل الذي يسقط على الشجر فيجمع ويؤكل
حلوا ومنه الترنجبيل فكانه يشبه الكمأة بجامع ما بينهما من وجود كل منهما عفوا
بغير علاج وقال الخطابي ليس المراد انها نوع من المن الذي انزل الله على بني اسرائيل
فان الذي انزل على بني اسرائيل كان كالترنجبيل الذي يسقط على الشجر وانما المعنى ان الكمأة
شيء يسقط من غير تكلف ببذر ولا سقي وانما اختصت الكمأة بهذه الفضيلة لانها
من الحلال المحض الذي ليس في اكتسابه شبهة ويستنبط منه ان استعمال الحلال المحض
يجلو البصر وقال ابن الجوزي في المراد بكونها شفاء للعين قولان احدهما ان ماؤها
حقيقة الا ان اصحاب هذا القول اتفقوا على انها لا تستعمل صرفا في العين لكن اختلفوا
كيف يصنع بها على رأيين احدهما انه يخلط في الادوية التي يكتحل بها حكاه ابو عبيد
ثانيهما انه يشق ويوضع على الجمر حتى يغلي ماؤها ثم يؤخذ الميل فيجعل في ذلك الشق
وهو فاتر فيكتحل بمائها لان النار تلطفه وتذهب فضلاتها الردية ويبقى النافع
منه ولا يجعل الميل في مائها وهي باردة يابسة فلا ينجع وقال آخر تجعل الكمأة في قدر
جديد ويصب عليها الماء ولا يطرح فيها ملح ثم يؤخذ غطاء جديد نقي فيجعل
على القدر فما جرى على الغطاء من بخار الكمأة فذلك الماء الذي يكتحل به وقال ابن واقد
ان ماء الكمأة اذا عصر وربي به الاثمد كان من اصلح الاشياء للعين اذا اكتحل به يقوي
اجفانها ويزيد الروح الباصر قوة وحدة ويدفع عنها نزول النوازل وقال ايضا
اذا اكتحل بماء الكمأة وحده بميل من ذهب تبين للفاعل كذلك قوة عجيبة وحدة
في البصر كثيرة وقال ابن القيم اعترف فضلاء الاطباء ان ماء الكمأة يجلو العين منهم
المسيحي وابن سينا وغيرهما قال والذي يزيل الاشكالات عن هذه الاختلاف ان الكمأة
وغيرها خلقت في الاصل سليمة من المضار ثم عرضت لها الآفات بامور اخرى
من مجاورة وامتزاج او غير ذلك من الاسباب التي اراد الله تعالى فالكمأة في الاصل
نافعة لما اختصت به من وصفها بانها من الله وانما عرضت لها المضار بالمجاورة
واستعمال وكلما وردت به السنة بصدق ينتفع به من يستعمله ويدفع الله عنه

الضرر

الضرر بنيته والعكس بالعكس والله اعلم ذكر طبه صلى الله تعالى عليه وسلم
من العذرة بضم المهملة وسكون الذال المعجمة وجع في الحلق يهيج الصبيان غالبا
وقيل هي قرحة تخرج بين الاذن والحلق او في الخرم الذي بين الانف والحلق وهو الذي
يسمى سقوط اللهاة وقيل هو اسم اللهات والمراد وجعها سمي باسمها وقيل هو موضع
قريب من اللهاة بفتح اللام اللحمة التي في اقصى الحلق وفي البخاري من حديث ام قيس
بنت محصن الاسدية اخت خزيمة وهي اخت عكاشة انها اتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم بابن لها قد علقت عليه من العذرة فقال النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم على م تدغرن اولادكن بهذا العلاق عليكم بهذا العود الهندي
فان فيه سبعة اشفية منها ذات الجنب يريد الكست وهو العود الهندي قوله
تدغرن خطاب للنسوة وهو بالغين المعجمة والدال المهملة والدغر غمز الحلق وعن
جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على عائشة
وعندها صبي يسيل منخراه دما فقال ما هذا فقالوا به العذرة او وجع في رأسه
فقال ويلكن لا تقتلن اولادكن ايما امرأة اصاب ولدها عذرة او وجع في رأسه
فلتأخذ قسطا هنديا فلتحكه بماء ثم تسعطه اياه فامرت عائشة فصنع
ذلك للصبي فبرأ الحديث وفي القسط تجفيف يشد اللهات ويرفعها الى مكانها
وكانوا يعالجون اولادهم بغمز اللهات وبالعلاق وهو شيء يعلقونه على الصبيان
فنهاهم صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك وارشدهم الى ما هو انفع للاطفال
واسهل عليهم والسعوط ما يصب في الانف وقد استشكل معالجتها بالقسط
مع كونه حارا والعذرة انما يعرض في زمن الحر بالصبيان وامزجتهم حارة لا سيما
وقطر الحجاز حار واجيب بان مادة العذرة دم يغلب عليه البلغم وفي القسط
تجفيف للرطوبة وقد يكون نفعه في هذا الداء بالخاصية وايضا فالادوية
الحارة تنفع من الامراض بالعرض كثيرا وبالذات ايضا وقد ذكر ابن سينا في معالجة
اللهات بالقسط مع الشب اليماني على اننا لو لم نجد شيئا من التوجيهات
لكان الجزم خارجا عن القواعد الطبيعية ذكر طبه صلى الله تعالى عليه وسلم
لداء استطلاق البطن في الصحيحين من حديث ابي المتوكل عن ابي سعيد
الخدري ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه
وفي رواية استطلق بطنه فقال اسقه عسلا فسقاه فقال اني سقيته فلم
يزده الا استطلاقا فقال صدق الله وكذب بطن اخيك وفي رواية لمسلم
فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا فقال سقيته فلم يزده الا

استطلاقا فقال صدق وفي رواية احمد عن زيد بن هارون فقال في الرابعة اسقه
عسلا قال فاظنه قال فسقاه فبرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الرابعة صدق الله وكذب بطن اخيك قال الخطابي وغيره اهل الحجاز يطلقون
الكذب في موضع الخطاء يقال كذب سمعك اي زل فلم يدرك حقيقة ما
قيل له فمعنى كذب بطنه اي بعد لقبول الشفاء وقال الامام فخر الدين الرازي لعله
صلى الله عليه وسلم علم بنور الوحي ان ذلك العسل سيظهر نفعه بعد ذلك فلما
لم يظهر نفعه في الحال مع كونه صلى الله تعالى عليه وسلم كان عالما بانه سيظهر نفعه
بعد ذلك كان جاريا مجرى الكذب فلهذا اطلق عليه هذا اللفظ وقد اعترض
بعض الملاحدة فقال العسل مسهل فكيف يوصف لمن وقع به الاسهال واجيب
بان ذلك جهل من قائله بل هو كقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه فقد اتفق
الاطباء على ان المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والعادة والزمان
والغذاء المالوف والتدبير وقوة الطبيعة وعلى ان الاسهال يحدث من انواع منها
الهيضة التي تنشاء عن تخمة واتفقوا على ان علاجها بترك الطبيعة وفعلها وان احتاجت
الى مسهل اعينت ما دام بالعليل قوة وكان هذا الرجل كان استطلاق بطنه من
تخمة اصابته فوصف له صلى الله تعالى عليه وسلم العسل لدفع الفضول
المجتمعة في نواحي المعدة من اخلاط لزجة تمنع استقرار الغذاء فيها وللمعدة خمل
كخمل المنشفة فاذا علقت بها الاخلاط اللزجة افسدتها وافسدت الغذاء الواصل
اليها فكان دواها باستعمال ما يجلو تلك الاخلاط ولا شيء في ذلك مثل العسل
لا سيما ان مزج بالماء الحار وانما لم يفده في اول مرة لان الدواء يجب ان يكون له
مقدار وكمية بحسب الداء ان قصر عنه لم يدفعه بالكلية وان جاوزه اوهن القوة
واحدث ضررا آخر فكان شرب منه اولا مقدارا لا يفي بمقاومة الداء فامره بمعاودة
سقيه فلما تكررت الشربات بحسب مادة الداء برأ باذن الله تعالى وفي قوله صلى الله
تعالى عليه وسلم وكذب بطن اخيك اشارة الى ان هذا الدواء نافع وان بقاء الداء
ليس لقصور الدواء في الشفاء ولكن لكثرة المادة الفاسدة فمن ثم امره بمعاودة شرب
العسل لاستفراغها وقال بعضهم ان العسل تارة يجري سريعا الى العروق وينفذ
معه جل الغذاء ويدر البول فيكون قابضا وتارة يبقى في المعدة فيهيجها بلذعه
لها حتى يدفع الطعام ويسهل البطن فيكون مسهلا فانكار وصفه بالمسهل
مطلقا قصور من المنكر قال ابن الجوزي في وصفه صلى الله عليه وسلم العسل
لهذا المسهل اربعة اقوال احدها حمل الآية على عمومها في الشفاء والى ذلك اشار بقوله

صلى الله تعالى عليه وسلم صدق الله في قوله فيه شفاء للناس فلما نبهه على
هذه الحكمة تلقاها بالقبول فشفي باذن الله الثاني ان الوصف المذكور على المالوف
من عادتهم من التداوي بالعسل في الامراض كلها الثالث ان الموصوف له ذلك كانت
هيضة كما تقدم تقريره الرابع يحتمل ان يكون امره بطبخ العسل قبل شربه فانه
يعقد البلغم فلعله شربه اولا بغير طبخ انتهى والثاني والرابع ضعيفان ويؤيد الاول
حديث ابن مسعود عليكم بالشفائين العسل والقرآن اخرجه ابن ماجه والحاكم
مرفوعا واخرجه ابن ابي شيبة والحاكم ايضا موقوفا ورجاله رجال الصحيح
واثر علي اذا اشتكى احدكم فليستوهب من امرأته من صداقها فليشتر به عسلا
ثم ياخذ ماء السماء فيجمع هنيئا مريئا مباركا اخرجه ابن ابي حاتم في التفسير بسند
حسن وروينا عنه رضي الله عنه انه قال اذا اراد احدكم الشفاء فليكتب آية من
كتاب الله في صحفة وليغسلها بماء السماء وليأخذ من امرأته درهما عن طيب نفس
منها فليشتر به عسلا فليشربه فانه شفاء قال الحافظ ابن كثير بعد ان ذكر اي
من وجوه قال الله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وقال
وانزلنا من السماء ماء مباركا وقال فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا
مريئا وقال في العسل فيه شفاء للناس ذكر طبه صلى الله تعالى عليه وسلم
يبس الطبيعة بما يمشيه ويلينه روى الترمذي وابن ماجة في سننه من حديث
اسماء بنت عميس قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا كنت
تستمشين قال بالشبرم قال حار جار ثم قالت استمشيت بالسنا فقال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم لو ان شيئا كان فيه شفاء من الموت لكان في السنا
قال ابو عيسى هذا حديث غريب وقد ذكره البخاري في تاريخه الكبير من حديث
اسماء بنت عميس مثل ما ذكره الترمذي وذكر ابو محمد الحميدي في كتاب الطب
له انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اياكم والشبرم فانه حار جار وعليكم
بالسنا فتداووا به فلو دفع الموت شيء لدفعه السنا وحكى عبد الحق الاشبيلي
في كتاب الطب النبوي له ان المحاسبي ذكره في كتابه المسمى بالقصد الى الله ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم شرب السنا بالتمر وفي سنن ابن ماجة من حديث ابراهيم
ابن ابي عبلة قال سمعت عبد الله بن حرام وكان ممن صلى مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالقبلتين يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
عليكم بالسنا والسنوت فان فيهما شفاء من كل داء الا السام قيل يا رسول الله وما
السام قال الموت والشبرم قشر عرق شجرة وهو حار يابس في الدرجة الرابعة

اى الذى ينبت فى نواحى مكة م

وهو من الادوية التى منع الاطبا من استعمالها لخطرها وفرط اسهالها واما
السنا فهو نبت حجازى افضله المكى وهو دواء شريف مامون الغائلة قريب
من الاعتدال حار يابس فى الدرجة الاولى يسهل الصفراء والسوداء ويقوم
جرم القلب وهذه فضيلة شريفة ومن خاصيته النفع من الوسواس السوداوى
قال الرازى والسنا والشاهترج يسهلان الاخلاط المحترقة وينفعان من الجرب والحكة
قال والشربة من كل واحد منهما من اربعة دراهم واما السنوت فقيل هو العسل
وقيل رب عكة السمن يخرج خطوطا سودا على السمن وقيل حب يشبه الكمون
وليس به وقيل هو الكمون الكرمانى وقيل انه الدارىانج وقيل انه الشبت وقيل انه
العسل الذى يكون فى زقاق السمن قال بعض الاطبا وهذا اجدر بالمعنى واقرب الى الصواب
اى يخلط السنا مدقوقا بالعسل المخالط للسمن ثم تلعق فيكون اصلح من استعماله
مفردا لما فى العسل والسمن من اصلاح واعانته على الاسهال ذكر طبه صلى الله
تعالى عليه وسلم للمفؤد وهو الذى اصيب فؤاده فهو يشتكيه كالمبطون روى
ابو داود عن سعد قال مرضت مرضا فاتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى
فوضع يده على ثديى حتى وجدت بردها على فؤادى وقال لى انك رجل مفؤد
فأت الحارث بن كلدة من ثقيف فانه رجل متطبب فليأخذ سبع تمرات من
عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليلدك بهن الفؤاد وهذا الحديث من الخطاب
العام الذى اريد به الخاص لاهل المدينة ومن جاورهم والتمر لاهل المدينة كالحنطة
لغيرهم واللدود ما يسقاه الانسان من احد جانبى الفم وفى التمر خاصية عجيبة
لهذا الداء سيما تمر المدينة ولا سيما العجوة وفى كونها سبعا خاصية اخرى تدرك
بالوحى وفى الصحيحين من تصبح بسبع تمرات عجوة من تمر العالية لم يضره ذلك
اليوم سم ولا سحر ذكر طبه صلى الله تعالى عليه وسلم لداء ذات الجنب فى البخارى
مرفوعا عليكم بهذا العود الهندى فان فيه سبعة اشفية منها ذات الجنب وفى الترمذى
من حديث زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تداووا من
ذات الجنب بالقسط البحرى والزيت اعلم ان ذات الجنب ورم حار يعرض فى الغشاء
المستبطن للاعضاء وقد يطلق على ما يعرض فى نواحى الجنب من رياح غليظة
تحتقن بين الصفاقات والعضل التى فى الصدر والاضلاع فيحدث وجعا فالاول
هو ذات الجنب الحقيقى الذى تكلم عليه الاطبا قالوا ويحدث بسببه خمسة امراض
الحمى والسعال والنخس وضيق النفس والنبض المنشارى ويقال لذات الجنب ايضا
وجع الخاصرة وهو من الامراض المخوفة لانها تحدث بين القلب والكبد وهى من سيئ

الاسقام

الاسقام والمراد بذات الجنب هنا الثانى لان القسط وهو العود الهندى هو الذى يذهب
بالريح الغليظة وقد حكى الامام ابن القيم عن المسبحى انه قال العود حار يابس قابض
محبس للبطن ويقوى الاعضاء الباطنة ويطرد الريح ويفتح السدد ويذهب
فضل الرطوبة نافع من ذات الجنب جيد للدماغ قال ويجوز ان ينفع من ذات
الجنب الحقيقية ايضا اذا كانت ناشئة عن مادة بلغمية ولاسيما فى وقت
انحطاط العلة ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لداء الاستسقاء عن انس
قال قدم رهط من عرينة وعكل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاجتووا
المدينة فشكوا ذلك الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لو خرجتم الى
ابل الصدقة فشربتم من البانها وابوالها فلما اصبحوا عمدوا الى الرعاة فقتلوهم
واستاقوا الابل وحاربوا الله ورسوله فبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى آثارهم فاخذوا فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم والقاهم فى
الشمس حتى ماتوا رواه الشيخان واعلم ان الاستسقاء مرض مادى سببه
مادة غريبة باردة تتخلل الاعضاء فتربو بها اما الاعضاء الظاهرة كلها
واما المواضع الخالية من النواحى التى فيها تدبير الغذاء والاخلاط واقسامه
ثلاثة لحمى وهو اصعبها وهو الذى يربو معه لحم جميع البدن بمادة بلغمية تفشو
مع الدم فى الاعضاء وزقى وهو الذى يجتمع عليه فى البطن الاسفل مادة
مائية ردية يسمع لها عند الحركة خضخضة كالماء فى الزق وهو اردى انواعه
عند اكثر الاطباء وطبلى وهو الذى تنتفخ معه البطن بمادة ريحية اذا ضربت
عليه سمعت له صوتا كصوت الطبل وانما امرهم عليه الصلاة والسلام
بشرب اللبن ذلك لان فى لبن اللقاح جلاء وتليينا وادرارا وتلطيفا و
تفتيحا للسدد اذ كان اكثر رعيها الشيح والقيصوم والبابونج والاقحوان والاذخر
وغير ذلك من الادوية النافعة للاستسقاء خصوصا اذا استعمل بحرارته
التى يخرج بها من الضرع مع بول الفصيل وهو حار كما يخرج من الحيوان فان
ذلك مما يزيد فى ملوحة اللبن وتقطيعه الفضول واطلاقه البطن ولما فيه
المعدة فذكر ابن الحاج فى المدخل ان بعض الناس مرض بمعدته فراى الشيخ الجليل
ابو محمد المرجانى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يشير لهذا الدواء وهو
ان يأخذ كل يوم على الريق وزن درهم من الورد المربى ويكون ملتوتا بالمصطكى
بعد دقها ويجعل فيها سبع حبات من الشونيز يفعل ذلك سبع ايام ففعله
فبرئ ومرض بعض الناس ببرد المعدة فراى الشيخ المرجانى ايضا النبى صلى الله

تعالى عليه وسلم وهو يشير بهذا الدواء اوقية ونصف عسل نحل
ودرهمين شونيز ومثلها انيسون ونصفا وقية من النعنع الاخضر و
من القرنفل درهم ومن القرفا نصف درهم وشيء من قشر الليمون مع قليل
من الخل ويعقد ذلك على النار فاستعمله فبرأ ومرض آخر بسلس الريح
فرأى الشيخ المرجاني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يشير بهذا الدواء
شونيز ثلاثة دراهم ومن خزامى درهمين ونصف ومن الكمون الابيض
ثلاثة دراهم ومثله من الصعتر الشامي ومثله من الغليا ووزن درهم من
البلوط وهو ثمرة الفؤاد واوقية من الزيت المرقي يجعل فيه من عسل النحل ما يعمر
به وهو ربع رطل ويؤخذ منه غدوة النهار وزن درهمين على الريق وعند النوم
وزن درهم ونصف فاستعمله فبرأ ثم انه صلى الله عليه وسلم بعد ذلك
قال في النوم لذلك الشخص الذي اخبره بهذا الدواء انه ينفع لادواء وهي الريح
وسلس الريح والمعدة وبرودتها ووجع الفؤاد والم الحيض والم النفساء ولتقطع
الرياح والزيت المرقي صفته ان تاخذ شيئا من الزيت الطيب وتجعله في اناء
نظيف وتحركه بعود وتقرأ عليه الاخلاص والمعوذتين ولقد جاءكم رسول
من انفسكم الى آخر السورة وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
لو انزلنا هذا القرآن الى آخر السورة وحصل لآخر قولنج فرأى النبي صلى الله عليه
وسلم فاشار بهذا الدواء وهو ان ياخذ ثلاثة دراهم من عسل النحل ووزن درهم
ونصف من الزيت المرقي واحدى وعشرين حبة من الشونيز ويخلط الجميع ثم
يفطر عليه ويفعل مثله عند النوم يفعل ذلك حتى يبرأ وتعمل له التلبينة
حساء يعمل من دقيق او نخالة وربما عمل فيها عسل ويكون غذاؤه مصلوقة
الدجاج او لحم الضان ففعله فبرأ بعد ان اعيا الاطباء ومرض آخر بوجع الظهر
فشكى ذلك للشيخ فرأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يشير بهذا الدواء وهو
عسل نحل وشونيز ودهن الالية مع الزيت المرقي ومرقيق البيضة ويخلط ذلك كله
ويعمر على الموضع ويذر عليه دقيق العدس بقشره مع الحرمل بعد ما يدق دقا
ناعما حتى يعود مثل الدقيق ففعله فبرأ وشكى بعض الناس الدوخة في رأسه فرأى الشيخ
النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فاشار الى هذا الدواء قرنفل وزنجبيل وقرفا وجوزة
طيب وسنبل من واحد درهم ونصف وشونيز درهمين يدق الجميع ويطبخ ويعقد
بعسل النحل فاذا قرب استواؤه عصر عليه قليل ليمون ويكون عسل النحل غالبا
عليه ففعله فبرأ انتهى وهذا وان كان مناما فقد عضدته التجربة مع ارشاد الشيخ

المرجاني

المرجاني ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من داء عرق النساء وهو بفتح النون والمهملة
المرض الحال بالعرق والاضافة فيه من باب اضافة الشيء الى محله وقيل وسمي بذلك لان
المه ينسي ما سواه وهذا العرق ممتد من مفصل الورك وينتهي الى آخر القدم وراء
الكعب وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دواء عرق النساء الية شاة
اعرابية تذاب ثم تجزأ ثلاثة اجزاء ثم تشرب على الريق في كل يوم جزء رواه ابن ماجة وهذا
الدواء خاص بالعرب واهل الحجاز ومن جاورهم وهو انفعه لهم لان هذا المرض يحدث
من يبس وقد يحدث من مادة غليظة لزجة فعلاجها بالاسهال والالية فيها الخاصيتان
الانضاج والتليين وهذا المرض علاجه الى هذين الامرين وفي تعيين الشاة الاعرابية
قلة فضولها وصغر مقدارها ولطف جوهرها وخاصية مرعيها لانها ترعى اعشاب
البر الحارة كالشيح والقيصوم ونحوهما وهذه اذا تغذى بها الحيوان صار في لحمه من
طبعها بعد ان يلطفها تغذيه ويكسبها مزاجا الطف منها ولا سيما الالية ذكر طبه
صلى الله تعالى عليه وسلم من الاورام والخراجات بالبط والبزل يذكر عن علي رضي الله
عنه قال دخلت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على رجل يعوده بظهره ورم
فقالوا يا رسول الله بهذه مدة فقال بطوا عنه قال علي فما برحت حتى بطت والنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم شاهد ذكر طبه صلى الله تعالى عليه وسلم بقطع العروق
والكي روى البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم
بعث الى ابي بن كعب طبيبا فقطع له عرقا وكواه عليه ولما خرج مسلم عن جابر لما رمي
سعد بن معاذ في اكحله حسمه النبي صلى الله عليه وسلم وروى الطحاوي
وصححه الحاكم عن انس قال كواني ابو طلحة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وعند
الترمذي انه صلى الله عليه وسلم كوى اسعد بن زرارة من الشوكة وروى مسلم عن عمران
ابن حصين كان يسلم علي حتى اكتويت فتركت ثم تركت الكي فعاد وفي رواية ان
الذي كان انقطع رجع اليّ يعني تسليم الملائكة وروى احمد وابو داود والترمذي
عن عمران نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الكي فاكتوينا فما افلحنا ولا انجحنا الحديث
وانما نستعمل الكي في الخلط الباغي الذي لا تنحسم مادته الا به ولهذا وصفه
صلى الله عليه وسلم ثم نهى عنه وانما كرهه لما فيه من الالم الشديد والخطر
العظيم ولهذا كانت العرب تقول في امثلتها آخر الدواء الكي والنهي فيه محمول
على الكراهة او على خلاف الاولى لما يقتضيه مجموع الاحاديث وقيل انه خاص
بعمران لانه كان به الباسور وكان موضعه خطرا فنهاه عن كيه فلما اشتد عليه
كواه فلم ينجح وقال ابن قتيبة الكي نوعان كي الصحيح لئلا يعتل فهذا الذي قيل فيه

ط قال الكاشف ما معناه ان عمران بن حصين خرج عن كانت الملائكة تسلم عليه

ج نهي تنزيه

قيل انه لا دلالة في الحديث على انه عليه السلام كان يداوي به فلعل وجه الدلالة انه لولا فيها خير لما نهى عنه فيصح امنه انه نهي تنزيه فدل ذلك على جوازه من حيث اقراره عليه الصلاة والسلام

لم يتوكل من اكتوى لانه يريد ان يدفع القدر والقدر لا يدافع والثاني كي الجرح
اذا افسد والعضو اذا قطع فهو الذي شرع التداوي له فان كان الكي لامر محتمل
فهو خلاف الاولى لما فيه من تعجيل التعذيب بالنار لامر غير محقق وحاصل
الجمع ان الفعل يدل على الجواز وعدم الفعل لا يدل على المنع بل يدل على ان تركه ارجح
من فعله ولذا وقع الثناء على تاركه واما النهي عنه فاما على سبيل الاختيار
والتنزيه واما عن ما لا يتعين طريقا الى الشفاء وقال بعضهم انما نهى عنه مع
اثباته الشفاء فيه اما لكونهم كانوا يرون انه يحسم الداء بطبعه فكرهه لذلك
ولذلك كانوا يبادرون اليه قبل حصول الداء لظنهم انه يحسم الداء فيتعجل الذي
يكتوي التعذيب بالنار لامر مظنون قال في فتح الباري ولم ار انه صحيح ان النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم اكتوى الا ان القرطبي نسبه الى كتاب اداب النفوس للطبري
ان النبي صلى الله عليه وسلم اكتوى وذكره الحليمي بلفظ روي انه اكتوى للجرح الذي
اصابه باحد قال الحافظ ابن حجر والثابت في الصحيح في غزوة احد ان فاطمة احرقت
حصيرا فحشت به جرحه وليس هذا الكي المعهود انتهى ذكر طبه صلى الله
عليه وسلم من الطاعون قال الخليل الطاعون الوبا وقال ابن الاثير الطاعون المرض
العام والوبا الذي يفسد له الهوى فتفسد به الامزجة والابدان وقال القاضي
ابو بكر ابن العربي الطاعون الوجع الغالب الذي يطفي الروح سمي بذلك لعموم
مصابه وسرعة قتله قال ابو الوليد الباجي هو مرض يعم الكثير من الناس في جهة بخلاف
المعتاد من امراض الناس وقال القاضي عياض اصل الطاعون القروح الخارجة
في الجسد والوبا عموم الامراض فسميت طاعونا لشبهها بها في الهلاك وقال النووي
في تهذيبه هو بثر وورم مولم جدا يخرج مع لهب ويسود ما حوله ويخضر او يحمر
حمرة شديدة بنفسجية كدرة ويحصل معه خفقان وقي ويخرج غالبا في المراق
والاباط وقد يخرج في الايدي والاصابع وساير الجسد وقال ابن سينا الطاعون
مادة سمية تحدث ورما قتالا يحدث في المواضع الرخوة والمغابن من البدن
واغلب ما يكون تحت الابط او خلف الاذن او عند الارنبة وسببه دم رديء
يستحيل الى جوهر سمي يفسد العضو ويغير ما يليه ويودي الى القلب كيفية ردية
فيحدث القي والغثيان والغشي والخفقان وهو لرداءته لا يقبل الا ما كان
اضعف بالطبع واردوه ما يقع في الاعضاء الرئيسة والاسود منه قل من يسلم
منه واسلمه الاحمر ثم الاصفر والطواعين تكثر عند الوبا في البلاد الوبية ومن ثم
اطلق على الطاعون وبا وبالعكس واما الوبا فهو فساد جوهر الهوى الذي هو مادة

الروح

الروح ومدده والحاصل ان حقيقته ورم ينشي عن هيجان الدم وانصباب الدم الى
الى عضو فيفسده وان غير ذلك من الامراض العامة الناشية عن فساد الهوى
يسمى طاعونا بطريق المجاز لاشتراكهما في عموم المرض او كثرة الموت والدليل على ان
الطاعون يغاير الوبا ان الطاعون لم يدخل المدينة النبوية وقد قالت عائشة
دخلنا المدينة وهي اوبا ارض الله وقال بلال اخرجونا الى ارض الوباء والطاعون
من طعن الجن وانما يتعرض الاطباء لكونه من طعن الجن لانه امر لا يدرك بالعقل وانما عرف
من الشارع فتكلموا في ذلك على ما اقتضته قواعدهم ومما يويد ان الطاعون انما
يكون من طعن الجن وقوعه غالبا في اعدل الفصول وفي اصح البلاد هوا واطيبها
ماء ولانه لو كان بسبب فساد الهوى لدام في الارض لان الهوى يفسد تارة ويصح
اخرى ويذهب احيانا ويجي احيانا على غير قياس ولا تجربة فربما جاء سنة على سنة
وربما ابطا سنين وبانه لو كان كذلك لعم الناس والحيوان والموجود بالمشاهدة
انه يصيب الكثير ولا يصيب من هم بجانبهم ممن هو في مثل مزاجهم ولو كان كذلك
لعم جميع البدن وهذا يختص بموضع من الجسد لا يتجاوزه ولان فساد الهوى
يقتضي تغير الاخلاط وكثرة الاسقام وهذا في الغالب يقتل بلا مرض فدل
على انه طعن الجن كما ثبت في الاحاديث الواردة في ذلك منها حديث احمد والطبراني
عن ابي بكر بن ابي موسى الاشعري قال سالت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال هو وخز اعدائكم من الجن وهو لكم شهادة قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر يقع
في الالسنة وهو في النهاية تبعا للغريبين للهروي بلفظ اخوانكم ولم اره بلفظ اخوانكم
بعد التتبع الطويل البالغ في شي من طرق الحديث المسندة لا في الكتب المشهورة ولا في
الاجزاء المنثورة وقد عزاه بعضهم لمسند احمد والطبراني او كتاب الطواعين لابن
ابي الدنيا ولا وجود لذلك في واحد منها والله اعلم انتهى وفي الصحيحين من حديث
اسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطاعون رجز ارسل
على طايفة من بني اسرائيل وعلى من كان قبلكم فاذا سمعتم به بارض فلا تدخلوا عليه واذا
وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه وقد ذكر العلماء في النهي عن الخروج حكما
منها ان الطاعون في الغالب يكون عاما في البلد الذي يقع به فاذا وقع فالظاهر
مداخلة سببه لمن هو بها فلا يفيده الفرار لان المفسدة اذا تعينت حتى لا ينفع الانفكاك
عنها كان الفرار عبثا فلا يليق بالعاقل ومنها ان الناس لو تواردوا على الخروج لصار
من عجز عنه بالمرض المذكور او بغيره ضايع المصلحة لفقد من يتعهده حيا وميتا وايضا
فلو شرع الخروج فخرج الاقويا كان في ذلك كسر قلوب الضعفاء وقد قالوا ان حكمة الوعيد

في الفرار من الزحف لما فيه من كسر قلب من لم يفر وادخال الرعب عليه بخلافه وقد
جمع الغزالي بين الامرين فقال الهوى لا يضر من حيث ملاقاة ظاهر البدن بل من حيث
دوام الاستنشاق فيصل الى القلب والرئة فيوثر في الباطن ولا يظهر على الظاهر
الا بعد التاثير في الباطن فالخارج من البلد الذي يقع به لا يسلم غالبا مما استحكم وينضاف
الى ذلك انه لو رخص للاصحاء في الخروج لبقي المرضى لا يجدون من يتعهدهم فتضيع مصالحهم
ومنها ما ذكره بعض الاطباء ان المكان الذي يقع به الوباء تتكيف امزجة اهله بهواء تلك
البقعة فتالفها وتصير لهم كالاهوية الصحيحة لغيرهم فلو انتقلوا الى الاماكن الصحيحة
لم توافقهم بل ربما اذا استنشقوا هواها استصحب معه الى القلب من الابخرة الردية
التي حصل تكيف بدنها لها فافسدته فمنع من الخروج لهذه النكتة ومنها ان الخارج
يقول لو اقمت لاصبت والمقيم يقول لو خرجت لسلمت فيقع في اللو المنهي عنه وقال العارف
ابن ابي جمرة البلاء انما يقصد به اهل البقعة لا البقعة نفسها فمن اراد الله انزال البلاء
به فهو واقع به لا محالة فاينما توجه يدركه فارشدنا الشارع الى عدم التنصب وقال
ابن القيم جمع صلى الله عليه وسلم للامة في نهيه عن الدخول الى البلد التي هو بها ونهيه
عن الخروج منها بعد وقوعها كمال التحرز منه فان في الدخول في الارض التي هو فيها تعرضا
للبلاء وموافاة له في محل سلطانه واعانة الانسان على نفسه وهذا مخالف للشرع
والعقل بل تجنب الدخول الى ارضه من باب الحمية التي ارشدنا الله تعالى اليها وهي حمية
عن الامكنة والاهوية المؤذية واما نهيه عن الخروج من بلده ففيه معنيان احدهما
حمل النفوس على الثقة بالله تعالى والتوكل عليه والصبر على اقضيته والرضا والثاني
ما قاله ائمة الطب انه يجب على من كان يحترز من الوباء ان يخرج عن بدنه الرطوبات الفضلية
ويقلل الغذاء ويميل الى التدبير المجفف من كل وجه والخروج من ارض الوباء والسفر منها
لا يكون الا بحركة شديدة وهي مضرة جدا هذا كلام افضل المتاخرين من الاطباء
فظهر المعنى الطبي من الحديث النبوي وما فيه من علاج القلب والبدن وصلاحهما
ذكر طبه صلى الله تعالى عليه وسلم من السلعة اخرج البخاري في تاريخه والطبراني والبيهقي
عن شرحبيل الجعفي قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكفي سلعة فقلت يا رسول الله
هذه السلعة قد اذتني تحول بيني وبين قائم السيف ان اقبض عليه وعنان الدابة فوضع
كفه على السلعة فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها عنها وما ارى اثرها ومسح صلى الله
عليه وجه ابيض بن حمال وكان به القوبا فلم يمس من ذلك اليوم ومنها اثر رواه البيهقي
وغيره ذكر طبه صلى الله تعالى عليه وسلم من الحمى روى البخاري من حديث ابن عمر عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فاطفئوها بالماء واختلف في نسبتها الى جهنم

فقيل

فقيل حقيقة واللهب الحاصل في جسم المحموم قطعة من جهنم وقدر الله ظهورها
باسباب تقتضيها ليعتبر العباد بذلك كما ان انواع الفرح اللذة من نعيم الجنة
اظهرها في هذه الدار عبرة ودلالة وقيل بل الخبر ورد مورد التشبيه والمعنى ان
حر الحمى شبيه بحر جهنم تنبيها للنفوس على حر النار وان هذه الحرارة الشديدة شبيهة
بفيحها وهو ما يصيب من قرب منها من حرها قوله فاطفئوها بهمزة قطع ثم
بالاطفاء وروى الطبراني الحمى حظ المؤمن من النار وفي رواية نافع عن ابن عمر
عند الشيخين قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الحمى او شدة الحمى من
فيح جهنم فابردوها بالماء بهمزة وصل والراء مضمومة على المشهور وحكي كسرها
وفي رواية ابن ماجة بالماء البارد وفي رواية ابي جمرة بالجيم عند البخاري قال كنت
اجالس ابن عباس بمكة واخذتني الحمى فاحتبست اياما فقال ما حبسك قلت الحمى
قال ابردها بماء زمزم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم
فابردوها بالماء او بماء زمزم شك قال ابن القيم قوله بالماء فيه قولان احدهما
انه كل ماء وهو الصحيح والثاني انه ماء زمزم ثم قال بعد ان ذكر حديث ابي جمرة هذا
وراوي هذا قد شك فيه ولو جزم به لكان امرا لاهل مكة بماء زمزم اذ هو
متيسر عندهم واخبرهم بما عندهم من الماء انتهى وتعقب بانه وقع في رواية احمد
عن عفان عن همام فابردوها بماء زمزم ولم يشك وكذا اخرجه النسائي وابن حبان
والحاكم قال ابن القيم واختلف من قال انه على عمومه هل المراد به الصدقة بالماء
او استعماله على قولين والصحيح انه استعماله واظن الذي حمل من قال ان المراد به
الصدقة به انه اشكل عليه استعمال الماء البارد في الحمى ولم يفهم وجهه مع ان
لقوله وجها حسنا وهو ان الجزاء من جنس العمل كما اخمد لهيب العطش عن
الظمآن بالماء البارد اخمد الله لهيب الحمى عنه جزاء وفاقا انتهى وقال الخطابي
وغيره اعترض بعض سخفاء الاطباء على هذا الحديث بان قال اغتسال المحموم بالماء
البارد خطر يقربه الى الهلاك لانه يجمع المسام ويحقن البخار ويعطف الحرارة
الى داخل الجسم فيكون ذلك سببا للتلف وقد غلط بعض من ينسب الى
العلم فانغمس في الماء لما اصابته الحمى فاحتقنت الحرارة في باطن بدنه فاصابته
علة صعبة كادت تهلكه فلما خرج من علته قال قولا سيئا لا يحسن ذكره وانما
اوقعه في ذلك جهله بمعنى الحديث والجواب ان هذا الاشكال عن صدر مرتاب
في صدق الخبر فيقال له اولا من اين حملت الامر على الاغتسال وليس في الحديث
الصحيح بيان الكيفية فضلا عن اختصاصها بالغسل وانما في الحديث الارشاد الى تبريد

الحمى بالماء فان ظهر الوجود او اقتضت صناعة الطب ان انغماس كل محموم في الماء
او صبه اياه على جميع بدنه يضره فليس هو المراد وانما قصده عليه السلام استعمال
الماء على وجه ينفع فليبحث عن ذلك الوجه ليحصل الانتفاع به وهو كما وقع في امر العاين
بالاغتسال واطلق وقد ظهر من الحديث الآخر انه لم يرد مطلق الاغتسال وانما اراد الاغتسال
على كيفية مخصوصة واولى ما يحمل عليه كيفية تبريد الحمى ما صنعته اسماء بنت ابي بكر
الصديق رضي الله عنهما فانها كانت ترش الماء على بدن المحموم شيئا من الماء بين يديه
وثوبه فيكون ذلك من باب النشرة المأذون فيها والصحابي ولا سيما مثل اسماء
التي كانت ممن يلازم بيت النبي صلى الله عليه وسلم اعلم بالمراد من غيرها وقد ذكر
ابو نعيم وغيره من حديث انس يرفعه اذا حم احدكم فليرش عليه الماء البارد ثلاث
ليال من السحر وقال المازري لا شك ان علم الطب من اكثر العلوم احتياجا الى التفصيل
حتى ان المريض يكون الشيء دواءه في ساعة فيصير داء له في الساعة التي تليها
لعارض يعرض من غضب يحمي مزاجه مثلا فيتغير علاجه ومثل ذلك كثير فاذا
فرض وجود الشفاء لشخص بشيء من حالة ما لم يلزم منه وجود الشفاء به له او لغيره
في سائر الاحوال والاطباء مجمعون على ان المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف
السن والزمان والعادة والغذاء المتقدم والتاثير المالوف وقوة الطباع ويحتمل
ان يكون هذا في وقت مخصوص فيكون من الخواص التي اطلع الله عليها النبي صلى
الله عليه وسلم بالوحي ويضمحل عند ذلك جميع كلام اهل الطب وحمل
ابن القيم خطابه صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث خاصا لاهل الحجاز وما والاهم
اذ كان اكثر الحميات التي تعرض لهم من نوع الحمى اليومية العرضية الحادثة عند حرارة
الشمس قال وهذه ينفعها الماء البارد شربا واغتسالا لان الحمى حرارة غريبة تشتعل
في القلب وتنتشر منه بتوسط الروح والدم في العروق الى جميع البدن وهي قسمان
عرضية وهي الحادثة عن ورم او حركة او اصابة حرارة الشمس او القيظ الشديد ونحو
ذلك ومرضية وهي ثلاثة انواع وتكون عن مادة ثم منها ما يسخن جميع البدن
فان كان مبدأ تعلقها بالروح فهي حمى يوم لا تقلع غالبا في يوم ونهايتها الى ثلاث
وان كان تعلقها بالاخلاط سميت عفنية وهي بعدد الاخلاط الاربعة اعني
صفراوية وسوداوية بلغمية دموية وتحت هذه الانواع المذكورة اصناف كثيرة
بسبب الافراد والتركيب انتهى واذا تقرر هذا فيجوز ان يكون المراد النوع الاول
فانها تسكن بالانغماس في الماء البارد وشرب الماء المبرد بالثلج وبغيره ولا تحتاج
الى علاج آخر وقد قال جالينوس لو ان شابا حسن اللحم خصب البدن ليس

في احشائه

في احشائه ورم استحم بماء بارد او سبح فيه وقت القيظ عند منتهى الحمى لانتفع
بذلك وقد تكرر في الحديث استعماله صلى الله عليه وسلم الماء البارد في علته
كما في الحديث صبوا علي من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن وفي المسند وغيره من حديث
الحسن عن سمرة يرفعه الحمى قطعة من النار فابردوها عنكم بالماء البارد وكان
صلى الله عليه وسلم اذا حم دعى بقربة من ماء فافرغها على رأسه فاغتسل وصححه
الحاكم ولكن قال في اسناده راو ضعيف وعن انس رفعه اذا حم احدكم فليسن
عليه من الماء البارد من السحر ثلاث ليال اخرجه الطحاوي وابو نعيم في الطب واخرج
الطبراني من حديث عبد الرحمن بن المرقع رفعه الحمى رائد الموت وهي سجن الله في الارض
فبردوا لها الماء في الشنان وصبوه عليكم فيما بين الاذانين المغرب والعشاء قال
ففعلوا فذهب عنهم وقد اخرج الترمذي من حديث ثوبان مرفوعا اذا اصاب احدكم
الحمى وهي قطعة من النار فليطفها عنه بالماء يستنقع في نهر جار ويستقبل جريته
وليقل بسم الله اللهم اشف عبدك وصدق رسولك بعد صلوة الصبح قبل
طلوع الشمس ولينغمس فيه ثلاث غمسات ثلاثة ايام فان لم يبرأ فخمس والا فسبع
والا فتسع فانها لا تكاد تجاوز تسعا باذن الله تعالى قال الترمذي غريب وفي سنده
سعيد بن زرعة مختلف فيه ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من حكة الجسم وما يولد
القمل لما كانت الحكة لا تكون الا عن حرارة ويبس وخشونة رخص صلى الله عليه
وسلم للزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف في لبس الحرير لحكة كانت بهما كما في البخاري
عن قتادة ان انسا حدثهم ان النبي صلى الله عليه وسلم رخص لعبد الرحمن بن عوف
والزبير في قميص من حرير من حكة كانت بهما وفي رواية ان عبد الرحمن بن عوف
والزبير شكيا الى النبي صلى الله عليه وسلم يعني القمل فارخص لهما في الحرير فرأيته
عليهما في غزاة وفي رواية رخص النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف
والزبير بن العوام في حرير وفي رواية رخص او رخص لحكة كانت بهما ويحتمل
ان تكون العلتان باحد الرجلين او ان الحكة حصلت في القمل فنسبت العلة
تارة الى السبب وتارة الى المسبب قال النووي هذا الحديث صريح في الدلالة لمذهب
الشافعي وموافقيه انه يجوز لبس الحرير للرجل اذا كانت به حكة لما فيه من البرودة
وكذا للقمل وما في معنى ذلك وقال مالك لا يجوز وهذا الحديث حجة عليه انتهى
وتعقب قوله لما فيه من البرودة بان الحرير حار والصواب ان الحكمة فيه لخاصية
فيه تدفع الحكة وقال ابن القيم واذا اتخذ منه ملبوس كان معتدل الحرارة في مزاجه
مسخنا للبدن وربما برد البدن بتسمينه اياه وقال الرازي الابريسم اسخن من

من الكتان وابرد من القطن ويربي اللحم وكل لباس خشن فانه يهزل ويصلب البشرة فما دون لبس الاوبار والاصواف تسخن وتدفئ وملابس الكتان والحرير والقطن تدفئ ولا تسخن فثياب الكتان باردة يابسة وثياب الصوف حارة يابسة وثياب القطن معتدلة الحرارة وثياب الحرير الين من القطن واقل حرارة منه ولما كانت الثياب الحمر ليس فيها شئ من اليبس والخشونة كغيرها صارت نافعة من الحكة لان الحكة كما قدمته لا تكون الا عن حرارة ويبس وخشونة فلذلك رخص عليه الصلوة والسلام **ذكر طبه** صلى الله عليه وسلم من السم الذي اصابه بخيبر تقدم في غزوتها قصة اليهودية التي اهدت اليه الشاة المسمومة **وقد روى** عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن ابن كعب بن مالك ان امرأة يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة مصلية بخيبر فقال ما هذه قالت هدية وحذرت ان تقول من الصدقة فلا يأكل فاكل النبي صلى الله عليه وسلم واكل اصحابه ثم قال امسكوا ثم قال للمرأة هل سممت هذه الشاة قالت من اخبرك قال هذا العظم لساقها وهو في يده قالت نعم قال لم قالت اردت ان كنت كاذبا ان نستريح منك والناس وان كنت نبيا لم يضرك قال فاحتجم النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة على كاهله **وقد ذكروا** في علاج السم ان يكون بالاستفراغات وبالادوية التي تعارض فعل السم وتبطله اما بكيفياتها واما بخواصها فمن عدم الدواء فليبادر الى الدواء الكلي وانفعه الحجامة ولا سيما اذا كان البلد حارا والزمان حارا فان القوة السمية تسري في الدم فتنبعث في العروق والمجاري حتى تصل الى القلب والاعضاء فاذا بادر المسموم واخرج الدم خرجت معه تلك الكيفية السمية التي خالطته فان كان استفراغا تاما لم يضره السم بل اما ان يذهب واما ان يضعف فتقوى عليه الطبيعة فيبطل فعله او تضعفه ولما احتجم صلى الله عليه وسلم احتجم على الكاهل لانه اقرب الى القلب فخرجت المادة السمية مع الدم لا خروجا كليا بل بقي اثرها مع ضعفه لما يريد الله تعالى من تكميل مراتب الفضل كلها له بالشهادة زاده الله فضلا وشرفا

النوع الثالث في طبه صلى الله عليه وسلم بالادوية المركبة من الالهية والطبيعية

ذكر طبه عليه الصلوة والسلام من القرحة والجرح وكل شكوى عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للمريض بسم الله تربة ارضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا وفي رواية انه كان يقول في الرقية تربة ارضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا رواه البخاري وفي رواية لمسلم اذا اشتكى الانسان او كانت به قرحة او جرح قال باصبعه هكذا ووضع سفيان سبابته بالارض الحديث وقوله تربة ارضنا خبر لمبتدأ محذوف اي هذه تربة ارضنا وقوله يشفى سقيمنا ضبط بوجهين بضم اوله

على

على البناء للمجهول وسقيمنا بالرفع وبفتح اوله على ان الفاعل مقدر وسقيمنا بالنصب على المفعولية قال النووي ومعنى الحديث انه اخذ من ريقه على اصبعه السبابة ثم وضعها على التراب فعلق به شئ منه ثم مسح به الموضع العليل او الجرح قائلا الكلام المذكور في حالة المسح وقال القرطبي زعم بعض علمائنا ان السر فيه ان تراب الارض لبرودته ويبسه يبرئ الموضع الذي به الالم ويمنع انصباب المواد اليه ليبسه مع منفعته في تجفيف الجراح واندمالها وقال في الريق انه يختص بالتحليل والانضاج وابراء الجروح والورم ولا سيما من الصائم الجائع **وتعقبه** القرطبي بان ذلك انما يتم اذا وقعت المعالجة على قوانينها من مراعاة مقدار التراب والريق وملازمة ذلك في اوقاته فالنفث ووضع السبابة على الارض انما يعلق بها ما ليس بال ولا اثر وانما هذا من باب التبرك باسماء الله تعالى واثار رسول الله صلى الله عليه وسلم واما وضع الاصبع بالارض فلعله لخاصية في ذلك او لحكمة اخفاء اثار القدرة بمباشرة الاسباب المعتادة وقال البيضاوي قد شهدت المباحث الطبية على ان للريق مدخلا في النضج وتعديل المزاج وتراب الوطن له تاثير في حفظ المزاج ودفع الضرر فقد ذكروا انه ينبغي للمسافر ان يستصحب تراب ارضه ان عجز عن استصحاب مائها حتى اذا ورد المياه المختلفة جعل شيئا منه في سقائه ليأمن من مضرة ذلك ثم ان الرقى والعزائم لها اثار عجيبة تتقاعد العقول عن الوصول الى كنهها **وقال** التوربشتي كان المراد بالتربة الاشارة الى النطفة كانه تضرع بلسان الحال انك اخترعت الاصل الاول من التراب ثم ابدعته من ماء مهين فهين عليك ان تشفي من كانت هذه نشأته **وقال** النووي وقيل المراد بارضنا ارض المدينة لبركتها وبعضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لشرف ريقه فيكون ذلك مخصوصا وفيه نظر وفي حديث عائشة عند ابي داود والنسائي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دخل على ثابت بن قيس بن شماس وهو مريض فقال اكشف الباس رب الناس ثم اخذ ترابا من بطحان فجعله في قدح ثم نفث عليه ثم صبه عليه قال الحافظ ابن حجر هذا الحديث تفرد به الشخص المرقي **ذكر طبه** صلى الله عليه وسلم من لدغة العقرب عن عبد الله بن مسعود قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي اذ سجد فلدغته عقرب في اصبعه فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعن الله العقرب ما تدع نبيا ولا غيره ثم دعا باناء فيه ماء وملح فجعل يضع موضع اللدغة في الماء والملح ويقرأ قل هو الله احد والمعوذتين حتى سكنت رواه ابن ابي شيبة في مسنده وقال ابن عبد البر رقى صلى الله عليه وسلم من لدغة العقرب بالمعوذتين وكان يمسح الموضع بماء فيه ملح **وهذا** طبه

مركب من الطبيعي والالهي فان سورة الاخلاص قد جمعت الاصول الثلاثة التي هي مجامع التوحيد وفي المعوذتين الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا ولهذا وصى صلى الله عليه وسلم عقبة بن عامر ان يقرأهما عقب كل صلاة رواه الترمذي وفي هذا سر عظيم في استدفاع الشرور من الصلاة الى الصلاة وقال ما تعوذ المتعوذون بمثلها واما الماء والملح فهو الطب الطبيعي فان في الملح نفعا لكثير من السموم ولا سيما لدغة العقرب وفيه من القوة الجاذبة المحللة ما يجذب السموم ويحللها ولما كان في لسعها قوة نارية تحتاج الى التبريد وجذب استعمل صلى الله عليه وسلم الماء والملح ولذلك **ذكر الطب** من النملة وهي بفتح النون وكان الميم قروح تخرج من الجنب وسمي نملة لان صاحبه يحس في مكانه كان نملة تدب عليه وتعضه وفي حديث مسلم عن انس انه صلى الله عليه وسلم رخص في الرقية من الحمة والعين والنملة وروى الخلال ان الشفاء بنت عبد الله كانت ترقي في الجاهلية من النملة فلما هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم وكانت قد بايعته بمكة قالت يا رسول الله اني كنت ارقي في الجاهلية من النملة فاريد ان اعرضها عليك فعرضتها فقالت بسم الله ضلت حتى تعود من افواهها ولا تضر احدا اللهم اكشف الباس رب الناس قالت ترقي بها على عود سبع مرات وتقصد مكانا نظيفا وتدلكه على حجر بخل خمر حاذق وتطليه على النملة **ذكر طبه** عليه الصلوة والسلام من البثرة روى النسائي عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قال اعندك ذريرة فقلت نعم فدعى بها فوضعها على بثرة بين اصبعين من اصابع رجله ثم قال اللهم مطفي الكبير ومكبر الصغير اطفها عني فطفيت **ذكر طبه** صلى الله عليه وسلم من حرق النار روى النسائي عن محمد بن حاطب قال تناولت قدرا فاصاب كفي من مائها فاحترق ظهر كفي فانطلقت بي امي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اذهب الباس رب الناس واحسبه قال واشف انت الشافي وتفل **ذكر طبه** صلى الله عليه وسلم بالحمية وهي قسمان حمية عما يجلب المرض وحمية عما يزيد فيقف على حاله فالاولى حمية الاصحاء والثانية حمية المرضى فان المريض اذا احتمى وقف مرضه عن التزايد واخذت القوى في دفعه والاصل في الحمية قوله تعالى وان كنتم مرضى او على سفر الى قوله فتيمموا صعيدا طيبا فحمى المريض من استعمال الماء لانه يضره كما وقعت الاشارة لذلك في وكان هذا المقصد وقد قال بعض فضلاء راس الطب الحمية والحمية الصحيح عندهم في المضرة بمنزلة التخليط للمريض والناقه وانفع ما تكون الحمية للناقه من المرض لان التخليط يوجب

الانتكاس والانتكاس اصعب من ابتداء المرض والفاكهة تضر بالناقه من المرض لسرعة استحالتها وضعف الطبيعة عن دفعها لعدم القوة وفي سنن ابن ماجه عن صهيب قال قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر فقال ادن وكل فاخذت فاكلت فقال اتاكل تمرا وبك رمد فقلت يا رسول الله امضغ من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه الاشارة الى الحمية وعدم التخليط وان الرمد يضره التمر **وعن ام** المنذر بنت قيس الانصارية قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي وهو ناقه من مرض ولنا دوال معلقة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل منها وقام علي ياكل منها فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يقول لعلي انك ناقه حتى كف قالت وصنعت شعيرا وسلقا فجئت به فقال صلى الله عليه وسلم لعلي من هذا اصب فانه انفع لك رواه ابن ماجه وانما منعه صلى الله عليه وسلم من اكله من الدوالي لان في الفاكهة نوع ثقل على المعدة ولم يمنعه من السلق والشعير لانه من انفع الاغذية للناقه ففي ماء الشعير التغذية والتلطيف والتليين وتقوية الطبيعة فالحمية من اكبر الادوية قبل الداء لكي تمنع تزايده وانتشاره **وقال** ابن القيم ومما ينبغي ان يعلم ان كثيرا مما يحمى عنه العليل والناقه والصحيح اذا اشتدت الشهوة اليه ومالت اليه الطبيعة فتناول منه الشيء اليسير الذي لا تعجز الطبيعة عن هضمه لم يضره تناوله بل ربما انتفع به فان الطبيعة والمعدة يتلقيانه بالقبول والمحبة فيصلحان ما يخشى من ضرره وقد يكون انفع من تناول ما تكرهه الطبيعة وتدفعه من الدواء ولهذا اقر النبي صلى الله عليه وسلم صهيبا وهو ارمد على تناول التمرات اليسيرة وعلم انها لا تضره ففي هذا الحديث يعني حديث صهيب سر طبي لطيف فان المريض اذا تناول ما يشتهيه عن جوع صادق وكان فيه ضرر ما كان انفع واقل ضررا مما لا يشتهيه وان كان نافعا في نفسه فان صدق شهوته ومحبة الطبيعة له تدفع ضرره وكذلك بالعكس **ذكر** حمية المريض من الماء عن قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله العبد حماه من الدنيا كما يظل احدكم يحمي سقيمه بالماء قال الترمذي حديث حسن غريب وروى حميد مرفوعا ان الناس قلوا من شرب الماء لاستقامة ابدانهم وللطبراني في الاوسط عن ابي سعيد مرفوعا من شرب على الريق انتقصت قوته وفيه محمد بن مخلد الرعيني وهو ضعيف **ذكر امره** صلى الله عليه وسلم بالحمية من الماء المشمس خوف البرص روى الدارقطني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لا تغتسلوا بالماء المشمس فانه يورث البرص **وروى**

الدارقطني هذا المعنى مرفوعا من حديث عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو
ضعيف وكذا اخرج العقيلي نحوه عن انس بن مالك ورواه الشافعي عن عمر فعلى
هذا يكره استعمال الماء المشمس شرعا خوف البرص لكنهم اشترطوا شروطا ان
يكون في البلاد والاوقات الحارة دون الباردة في الاواني المنطبعة على الاصح
دون الحجر والخشب ونحوهما واستثنى النقدان لصفائهما **وقال** الجويني بالتسوية حكاه
ابن الصلاح ولا يكره المشمس في الحياض والبرك قطعا وان يكون الاستعمال في
البدن لا في الثوب وان يكون مستعملا حال حرارته فلو برد زالت الكراهة في الاصح
في الروضة وصحح في الشرح الصغير عدم الزوال واشترط صاحب التهذيب كما قال الجيلي
ان يكون رأس الاناء منسدا التنجس الحرارة وفي شرح المهذب انها شرعية يثاب تاركها
وقال في شرح التنبيه ان اعتبرنا القصد فشرعية والا فارشادية واذا قلنا بالكراهة
فكراهة تنزيه لا تمنع صحة الطهارة وقال الطبراني ان خاف الاذى حرم قال ابن
عبد السلام لو لم يجد غيره وجب استعماله واختار النووي في الروضة عدم الكراهة
مطلقا وحكاه الروياني في البحر عن النص **ذكر الحمية** من طعام البخلاء عن عبد الله
ابن عمر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال طعام البخيل داء وطعام
الاسخياء شفاء رواه التنيسي عن مالك في غير الموطا كما ذكره عبد الحق في الاحكام
ذكر الحمية من داء الكسل روى ابو داود في المراسيل عن يونس عن ربيعة بن ابي عبد
الرحمن انه رآه مضطجعا في الشمس قال يونس فنهاني وقال بلغني ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال انها تورث الكسل وتثير الداء الدفين **ذكر الحمية** من داء البواسير
عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجامعن احدكم وبه حقن خلاء
فانه يكون منه البواسير رواه احمد والحاكم **ذكر** حماية السم من لمس احد جناحي الذباب
بانغماس الثاني عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا وقع الذباب
في اناء احدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فان في احد جناحيه داء وفي الآخر شفاء
وفي رواية ابي داود فانه يتقي بجناحه الذي فيه الداء فليغمسه كله وفي رواية الطحاوي
فانه يقدم السم ويؤخر الشفاء وفي قوله كله دفع توهم المجاز في الاكتفاء بالبعض
قال شيخ شيوخنا لم يقع في شيء من الطرق تعيين الجناح الذي فيه الشفاء من غيره لكن
ذكر بعض العلماء انه تامله فوجده يتقي بجناحه الايسر فعرف ان الايمن هو الذي فيه
الشفاء **واخرج** ابو يعلى عن ابن عمر مرفوعا عمر الذباب اربعون ليلة والذباب كله في
النار الا النحل وسنده لا باس به قال الجاحظ كونه في النار ليس تعذيبا له
بل ليعذب به اهل النار ويتولد من العفونة **ومن** عجيب امره ان رجيعه يقع على

الثوب

الثوب الاسود ابيض وبالعكس واكثر ما يظهر في اماكن العفونة ومبدأ خلقه منها ثم
من التوالد وهو اكثر الطيور سفادا وربما بقي عامة اليوم على الانثى **ويحكى** عن بعض العلماء
انه سأل الشافعي لاي علة خلق الذباب فقال مذلة للملوك وكانت الحت عليه ذبابة **قال**
الشافعي سألني ولم يكن عندي جواب فاستنبطت ذلك من الهيئة الحاصلة فرحمة
عليه ورضوانه **ذكر امره** صلى الله عليه وسلم بالحمية من الوباء النازل في الاناء بالليل
بتغطيته عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا الاناء واوكوا
السقاء فان في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر باناء ليس عليه غطاء او سقاء ليس
عليه وكاء الا نزل فيه من ذلك الوباء رواه مسلم في صحيحه قيل وذلك في آخر شهور السنة
الرومية **ذكر** حمية الولد من رضاع الحمقى روى ابو داود في المراسيل باسناد صحيح
عن زياد السهمي قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسترضع الحمقى فان اللبن
يشبه وعند ابي حبيب يعدي وعند القضاعي بسند حسن من حديث ابن عباس
مرفوعا الرضاع يغير الطباع وعند ابن حبيب ايضا مرفوعا انه نهى عن رضاع
الفاجرة وعن عمر بن الخطاب ان اللبن لمن تسترضع **واما** الحمية من البرد فاشتهر على
الالسنة اتقوا البرد فانه قتل ابا الدرداء لكن قال شيخ الحفاظ ابن حجر لا اعرفه فان
كان ورد فيحتاج الى تاويل فان ابا الدرداء عاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم دهرا
انتهى **واما** ما اشتهر على الالسنة ايضا اصل كل داء البردة فقال النجا رواه ابو نعيم
والمستغفري تمام ابن نجيح عن الحسن البصري عن انس رفعه وتمام ضعفه الدارقطني
وغيره ووثقه ابن معين وغيره ولابي نعيم ايضا من حديث ابن المبارك عن ثابت ابن
عبد الله بن علي بن زحر عن ابن عباس مرفوعا مثله وحديث عمرو بن الحارث عن
دراج ابن الهيثم عن ابي سعيد رفعه اصل كل داء البردة وقد قال الدارقطني عقب
حديث انس من علله عباد ابن منصور عن الحسن من قوله وهو شبيه بالصواب وجعله
الزمخشري في الفائق من كلام ابن مسعود قال الدارقطني في كتاب التصحيف قال
اهل اللغة رواه المحدثون يعني باسكان الراء والصواب البردة يعني بالفتح وهي
التخمة لانها تبرد حرارة الشهوة او لانها ثقيلة على المعدة بطيئة الذهاب من برد
اذا ثبت وسكن وقد اورده ابو نعيم مضموما بهذه الاحاديث حديث الحارث ابن
فضل عن زياد بن ميناء عن ابي هريرة رفعه استدفئوا من الحر والبرد وكذا اورد
المستغفري مع ما عنده منها حديث اسحاق ابن نجيح عن ابان عن انس رفعه ثلاث
لفرح بفراغ البرد عن معي اصل كل ذلك داء البرد وهما ضعيفان وذلك شاهد
لما حكي عن اللغويين في كون المحدثين رووه بالسكون انتهى **الفصل الثاني** في تعبيره

صلى الله عليه وسلم الرؤيا يقال عبرت الرؤيا بالتخفيف اذا فسرتها وعبرتها بالتشديد للمبالغة في ذلك واما بنون فعلى وقد تسهل الهمزة فهي ما يراه الشخص في منامه قال القاضي ابو بكر ابن العربي الرؤيا ادراكات علقها الله تعالى في قلب العبد على يدي ملك او شيطان اما باسمائها اي حقيقتها واما بكناها اي بعبارتها واما تخليطا وذهب القاضي ابو بكر ابن الطيب الى انها اعتقادات واحتج بان الرائي قد يرى نفسه بهيمة او طائرا مثلا وليس هذا ادراكا فوجب ان يكون على خلاف المعتقد قال ابن العربي والاول اولى والذي يكون من قبيل ما ذكره ابن الطيب من قبيل المثل والادراك انما يتعلق به لا باصل الذات وقال المازري كثر كلام الناس في حقيقة الرؤيا وقال فيها غير الاسلاميين اقاويل كثيرة منكرة لانهم حاولوا الوقوف على حقائق لا تدرك بالعقل ولا يقوم عليها برهان وهم لا يصدقون بالسمع فاضطربت اقاويلهم فمن ينتمي الى الطب ينسب جميع الرؤيا الى الاخلاط فيقول من غلب عليه البلغم رأى انه يسبح في الماء ونحو ذلك لمناسبة الماء طبيعة البلغم ومن غلبت عليه الصفراء رأى النيران والصعود في الجو وهكذا الى آخره وهذا وان جوزه العقل وجاز ان يجري الله العادة به لم يقم عليه دليل ولا اضطردت به عادة والقطع في موضع التجويز غلط ومن ينتمي الى الفلسفة يقول ان صور ما يجري في الارض هي في العالم العلوي كالنقوش فما حاذى بعض النفوس منها انتقش فيها قال وهذا اشد فسادا من الاول لكونه تحكما لا برهان عليه والانتقاش من صفات الاجسام واكثر ما يجري في العالم العلوي الاعراض والاعراض لا تنتقش فيها قال والصحيح ما عليه اهل السنة ان الله تعالى يخلق في النائم اعتقادات كما يخلق في قلب اليقظان فاذا خلقها فكانه جعلها علما على امور اخرى يخلقها في ثاني الحال ومهما وقع منها على خلاف المعتقد فهو كما يقع لليقظان ونظيره ان الله تعالى خلق الغيم علامة على المطر وقد يتخلف وتلك الاعتقادات تقع تارة بحضرة الملك فيقع بعدها ما يسر وتارة بحضرة الشيطان فيقع بعدها ما يضر والعلم عند الله واخرج الحاكم والعقيلي من رواية محمد بن عجلان عن سالم بن عبد الله عن ابيه قال لقي عمر عليا فقال يا ابا الحسن الرجل يرى الرؤيا فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد ولا امة ينام فيمتلئ نوما الا تخرج روحه الى العرش فالذي لا يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تصدق والذي يستيقظ دون العرش فتلك التي تكذب قال الذهبي في تلخيصه هذا حديث منكر ولم يصححه المؤلف

وذكر

وذكر ابن القيم حديثا مرفوعا غير معزو قال رؤيا المؤمن كلام يكلمه ربه في المنام ووجد الحديث للترمذي في نوادر الاصول من حديث عبادة بن الصامت اخرجه في الاصل الثامن والسبعين وهو من روايته عن شيخه عمر بن ابي عمر وهو واه وفي سنده جنيد بن ميمون عن حمزة ابن الزبير عن عبادة قال الحكيم قال بعض اهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب قال من وراء حجاب اي في المنام ورؤيا الانبياء وحي بخلاف غيرهم فالوحي لا يدخله خلل لانه محروس بخلاف رؤيا غير الانبياء فانها قد يحضرها الشيطان وقال الحكيم ايضا وكل الله بالرؤيا ملكا اطلع على احوال بني آدم من اللوح المحفوظ فينسخ منها ويضرب لكل على قصتها مثلا فاذا نام مثلت له تلك الاشياء على طريق الحكمة الالهية لتكون له بشرى او نذارة او معاتبة والآدمي قد تسلط عليه الشيطان لشدة العداوة بينهما فهو يكيده بكل وجه ويريد افساد اموره بكل طريق فيلبس عليه رؤياه اما بتغليطه فيها واما بغفلته عنها وفي البخاري من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة والمراد غالب رؤيا الصالحين والا فالصالح قد يرى الاضغاث ولكنه نادر لقلة تمكن الشيطان منهم بخلاف عكسهم فان الصدق فيها نادر لغلبة تسلطه عليهم وقد استشكل كون الرؤيا جزءا من النبوة مع ان النبوة قد انقطعت بموته صلى الله عليه وسلم واجيب بان الرؤيا ان وقعت منه صلى الله عليه وسلم فهي جزء من اجزاء النبوة حقيقة وان وقعت من غيره فهي جزء من اجزاء النبوة على سبيل المجاز وقيل المعنى انها نبوة باقية جزء من علم النبوة لان النبوة وان انقطعت فعلمها باق وتعقب بقول ابن مالك كما حكاه ابن عبد البر انه سئل ايعبر الرؤيا كل احد فقال ابالنبوة يلعب ثم قال الرؤيا جزء من النبوة واجيب بانه لم يرد انها نبوة فيه وانما اراد انها اشبهت النبوة من جهة الاطلاع على بعض الغيب لا ينبغي ان يتكلم فيها بغير علم فليس المراد ان الرؤيا الصالحة نبوة من جهة الاطلاع لان المراد تشبيه الرؤيا بالنبوة وجزء الشيء لا يستلزم ثبوت وصفه كمن قال اشهد ان لا اله الا الله رافعا صوته لا يسمى مؤذنا وفي حديث ام كرز الكعبية عند احمد وصححه ابن خزيمة وابن حبان ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعند احمد من حديث عائشة مرفوعا لم يبق بعدي من المبشرات الا الرؤيا وفي حديث ابن عباس عند مسلم وابي داود انه عليه الصلاة والسلام كشف الستارة ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه والناس صفوف خلف ابي بكر فقال يا ايها الناس انه لم يبق

من مبشرات النبوة الا الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له والتعبير بالمبشرات
خرج مخرج الغالب فان من الرؤيا ما تكون منذرة وهي صادقة يريها الله للمؤمن
رفقا به ليستعد لما يقع قبل وقوعه وقوله من الرجل لا مفهوم له فان المراة الصالحة
كذلك وحكى ابن بطال الاتفاق عليه وقوله جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة
كذا في اكثر الاحاديث وروى من حديث ابي هريرة جزء من خمسة واربعين جزءا وعنده
ايضا من حديث ابن عمر جزء من سبعة واربعين جزءا وعند الطبراني جزء من ستة
وسبعين جزءا وسنده ضعيف وعند ابن عبد البر من طريق عبد العزيز ابن المختار
عن ثابت عن انس مرفوعا جزء من ستة وعشرين جزءا ووقع في شرح مسلم للنووي
وفي رواية عبادة اربعة وعشرين والذي تحصل من الروايات عشر اقلها ما عند
النووي واكثرها من ستة وسبعين واضربنا عن باقيها خوف الاطالة قال القاضي
ابو بكر ابن العربي اجزاء النبوة لا يعلم حقيقتها الا ملك او نبي وانما القدر الذي اراده
النبي صلى الله عليه وسلم ان الرؤيا جزء من اجزاء النبوة في الجملة فيها الا ان فيها اطلاعا
على الغيب من وجه ما واما تفصيل النسبة فيختص بمعرفة درجة النبوة وقال
المازري لا يلزم العالم ان يعرف كل شيء جملة وتفصيلا فقد جعل الله للعالم حدا يقف
عنده فمنه ما يعلم المراد به جملة وتفصيلا ومنه ما يعلمه جملة لا تفصيلا وهذا
من هذا القبيل وقد تكلم بعضهم على الرواية المشهورة وابدى لها مناسبة فنقل
ابن بطال عن ابي سعيد السفاقسي ان بعض اهل العلم ذكر ان الله اوحى الى نبيه
في المنام ستة اشهر ثم اوحى اليه بعد ذلك في اليقظة بقية مدة حياته ونسبتها
الى الوحي في المنام جزء من ستة واربعين جزءا لانه عاش بعد النبوة ثلاثة وعشرين سنة
على الصحيح قال ابن بطال هذا التاويل بعيد من وجهين احدهما انه قد اختلف في
قدر المدة التي بعد بعثته صلى الله عليه وسلم والثاني انه يبقى حديث السبعين
جزءا بغير معنى وهذا الذي قاله من الانكار في هذه المسئلة وسبقه اليه الخطابي
فقال كان بعض اهل العلم يقولون في تاويل هذا العدد قولا لا يكاد يتحقق وذلك
انه عليه الصلوة والسلام اقام بعد الوحي ثلاثة وعشرين سنة وكان يوحى اليه
في منامه ستة اشهر وهي نصف سنة فهي جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة قال
الخطابي وهذا وان كان وجها يحتمله قسمة الحساب والعدد فاول ما يجب على من
قاله ان يثبت ما ادعاه خبرا ولم نسمع فيه اثرا ولا ذكر مدعيه خبرا فكانه قاله
على سبيل الظن والظن لا يغني عن الحق شيئا وليس كلما خفي علينا علمه يلزمنا
حجته كاعداد الركعات وايام الصيام ورمي الجمار فانا لا نصل من علمها الى امر

يوجب

يوجب حصرها تحت اعدادها ولم يقدح ذلك في موجب اعتقادنا للزومها
وقد ذكروا في المناسبات غير ذلك مما يطول ذكره وعن ابي سعيد عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال اصدق الرؤيا بالاسحار رواه الترمذي والدارمي وروى مسلم
من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا
المسلم تكذب واصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا قال الخطابي في المعالم في قوله اذا
اقترب الزمان قولان احدهما ان يكون معناه تقارب زمان الليل وزمان النهار و
وقت استوائهما ايام الربيع وذلك وقت اعتدال الطبايع الاربع غالبا قال
والمعبرون يقولون اصدق الرؤيا ما كان عند اعتدال الليل والنهار وادراك
الثمار والثاني ان اقتراب الزمان انتهاء مدته اذا دنى قيام الساعة وتعقب
الاول بانه يبعده التقييد بالمؤمن فان الوقت الذي تعتدل فيه الطبايع لا يختص
به وجزم ابن بطال بان الثاني هو الصواب واستند الى ما اخرجه الترمذي من
طريق معمر عن ايوب في هذا الحديث بلفظ في آخر الزمان لا تكذب رؤيا المؤمن
وقيل المراد بالزمان المذكور زمان المهدي عند بسط العدل وكثرة الامن وبسط
الخير والرزق فان ذلك الزمان يستقصر لاستلذاذه فتتقارب اطرافه وقال
القرطبي في المفهم المراد والله اعلم باخر الزمان المذكور في هذا الحديث زمان الطائفة
الباقية مع عيسى ابن مريم عليهما السلام بعد قتله الدجال فاهل هذا الزمان
احسن هذه الامة حالا بعد الصدر الاول واصدقهم اقوالا فكانت رؤياهم
لا تكذب ومن ثم قال عقب هذا واصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا وانما كان
كذلك لان من كثر صدقه تنور قلبه وقوي ادراكه وانتقشت فيه المعاني على
وجه الصحة وكذلك من كان غالب احواله الصدق في يقظته استصحب ذلك
في نومه فلا يرى الا صدقا وهذا بخلاف الكاذب والمخلط فانه يفسد قلبه
ويظلم فلا يرى الا تخليطا واضغاثا وقد يندر المنام احيانا فيرى الصادق
ما لا يصح ويرى الكاذب ما يصح ولكن الاغلب الاكثر ما تقدم انتهى ملخصا وعن
ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راى احدكم
الرؤيا يحبها فانما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها واذا راى غير ذلك
مما يكره فانما هي من الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها
لا تضره رواه البخاري وفي رواية مسلم والرؤيا السوء من الشيطان فمن راى رؤيا
فكره منها شيئا فلينفث عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان ولا يخبر بها
الا من يحب وقوله فلينفث بفتح التحتانية وسكون الموحدة وضم المعجمة من النفث وفي

حديث أبي رزين عند الترمذي ولا يقصها إلا على واد بتشديد الدال اسم فاعل من
الود أو ذي رأي وفي أخرى ولا يحدث بها إلا لبيبا أو حبيبا وفي أخرى لا تقص
رؤياك إلا على عالم أو ناصح وفي حديث أبي سعيد عند مسلم فليحمد الله عليها و
ليحدث بها وحاصل ما ذكر من أدب الرؤيا الصالحة ثلاثة أشياء أن يحمد الله عليها
وأن يستبشر بها وأن يحدث بها لكن لمن يحب دون من يكره وحاصل ما ذكر من أدب
الرؤيا المكروهة أربعة أشياء أن يتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان ويتفل
حين يهب من نومه ولا يذكرها لأحد أصلا وفي البخاري من حديث أبي هريرة خامسة
وهي الصلاة ولفظه فمن رأى شيئا يكرهه فلا يقصها على أحد وليقم فليصل
لكن لم يصرح البخاري بوصله وصرح به مسلم وزاد مسلم سادسة وهي التحول
عن جنبه الذي كان عليه فقال عن جابر رفعه إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق
عن جنبه الذي كان عليه قال النووي وينبغي أن يجمع هذه الروايات كلها ويعمل بجميع ما
تضمنته فإن اقتصر على بعضها أجزأه في دفع ضررها كما صرحت به الأحاديث
وتعقبه الحافظ ابن حجر بأنه لم ير في شيء من الأحاديث الاقتصار على واحد ثم قال
لكن أشار المهلب إلى أن الاستعاذة كافية في دفع شرها انتهى ولا ريب أن الصلاة
تجمع ذلك كله كما قاله القرطبي لأنه إذا قام يصلي تحول عن جنبه وبصق ونفث عند
المضمضة في الوضوء واستعاذ قبل القراءة ثم دعا الله في أقرب الأحوال إليه
فيكفيه الله شرها وذكر بعضهم سابعة وهي قراءة آية الكرسي ولم يذكر لذلك مستندا
فإن أخذ من عموم قوله في حديث أبي هريرة ولا يقربك شيطان فيتجه قال وينبغي
أن يقرأها في صلاته المذكورة وحكمة التفل كما قال القاضي عياض طرد الشيطان
الذي حضر الرؤيا المكروهة تحقيرا له واستقذارا وخص به اليسار لأنها محل
الأقذار ونحوها والتثليث للتأكيد وقد ورد التفل والنفث والبصق وقال النووي
في الكلام على النفث في الرقية تبعا للقاضي اختلف في التفل والنفث فقيل
هما بمعنى واحد ولا يكون إلا بريق وقال أبو عبيدة يشترط في التفل ريق يسير
ولا يكون في النفث وقيل عكسه وسئلت عائشة عن النفث في الرقية فقالت
كما ينفث آكل الزبيب لا ريق معه قال ولا اعتبار بما يخرج معه من بلة بغير قصد
قال وقد جاء في حديث أبي سعيد في الرقية بفاتحة الكتاب فجعل يجمع بزاقه قال القاضي
عياض وفائدة التفل التبرك بتلك الرطوبة والهواء والنفث للمباشر للرقية المقارن
للذكر الحسن كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر والأسماء وقال النووي أيضا وأكثر
الروايات في الرؤيا فلينفث وهو النفخ اللطيف بلا ريق فيكون التفل والبصق

محولين

محولين عليه مجازا وتعقبه الحافظ ابن حجر بأن المطلوب من الموضعين مختلف
لأن المطلوب في الرقية التبرك برطوبة الذكر كما تقدم والمطلوب هنا طرد الشيطان
وإظهار احتقاره واستقذاره كما نقله هو عن عياض كما تقدم فالذي يجمع
الثلاثة الحمل على التفل فإنه نفخ معه ريق لطيف فبالنظر إلى النفخ قيل له
نفث وبالنظر إلى الريق قيل له بصق وأما قوله فإنها لا تضره فمعناه كما قال
النووي أن الله تعالى جعل ما ذكر سببا للسلامة من المكروه المترتب على الرؤيا
كما جعل الصدقة وقاية للمال وأما التحول فللتفاؤل بتحول تلك الحالة التي
كان عليها وحكمة في قوله في الرؤيا الحسنة ولا يخبر بها إلا من يحب لأنه
إذا أخبر بها من لا يحبه قد يفسرها بما لا يحب إما بغضا وإما حسدا فقد
تقع على تلك الصفة أو يتعجل لنفسه من ذلك حزنا ونكدا فأمر بترك تحديث
من لا يحب بسبب ذلك وقد روي من حديث أنس مرفوعا الرؤيا لأول عابر
وهو حديث ضعيف فيه يزيد الرقاشي ولكن له شاهد أخرجه أبو داود
والترمذي وابن ماجه بسند حسن وصححه الحاكم عن أبي رزين العقيلي رفعه
الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت وعند الدارمي بسند حسن
عن سليمان بن يسار عن عائشة قالت كانت امرأة من أهل المدينة لها زوج تاجر
يختلف في التجارة فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن زوجي
غائب وتركني حاملا فرأيت في المنام أن سارية بيتي انكسرت وأني ولدت
غلاما أعور فقال خير يرجع إليك زوجك إن شاء الله صالحا وتلدين غلاما
برا فذكرت ذلك ثلاثا فجاءت ورسول الله صلى الله عليه وسلم غائب فسألتها فأخبرتني
بالمنام فقلت لها لئن صدقت رؤياك ليموتن زوجك ولتلدين غلاما فاجرا
فقعدت تبكي فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها مه يا عائشة إذا
عبرتم للمسلم الرؤيا فاعبروها على خير فإن الرؤيا تكون على ما يعبرها صاحبها
وعند سعيد بن منصور من مرسل عطاء بن رباح قالت جاءت امرأة إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت إني رأيت كأن جائزة بيتي انكسرت وكان زوجها
غائبا فقال رد الله زوجك عليك فرجع سالما الحديث قال أبو عبيدة وغيره معنى
قوله الرؤيا لأول عابر إذا كان العابر الأول عالما فعبر وأصاب وجه التعبير وإلا فهي
لمن أصاب بعده إذ ليس المدار إلا على إصابة الصواب في تعبير المنام ليتوصل بذلك إلى مراد
الله تعالى فيما ضربه من المثل فإن أصاب فلا ينبغي أن يسأل غيره وإن لم يصب فليسأل
الثاني وعليه أن يخبر بما عنده ويبين ما جهل الأول هكذا قال وفيه بحث يطول

ذكره ومن آداب المعبر ما اخرجه عبد الرزاق عن معمر كتب الى ابي موسى فاذا رأى
احدكم رؤيا فقصها على اخيه فليقل خيرا لنا وشرا لاعدائنا ورجاله ثقات ولكن
سنده منقطع وفي حديث ابن زمل عند الطبراني والبيهقي في الدلائل لما قص
على النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا فقال عليه الصلاة والسلام خير تلقاه
وشر تتوقاه وخير لنا وشر على اعدائنا والحمد لله رب العالمين اقصص رؤياك الحديث
وسنده ضعيف جدا ويأتي ان شاء الله تعالى ومن آداب العابر ان لا يعبرها
عند طلوع الشمس ولا عند غروبها ولا عند الزوال ولا في الليل وان لا يقصها على
امرأة لكن ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى الغداة يقول هل رأى احد
الليلة رؤيا فيقص ما شاء الله ان يقص ويعبر لهم ما يقصونه وبوب عليه البخاري
باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح قالوا وفيه اشارة الى ضعف ما اخرجه عبد
الرزاق عن معمر عن سعيد بن عبد الرحمن عن بعض علمائهم قال لا تقصص رؤياك
على امرأة ولا تخبر بها حتى تطلع الشمس وفيه اشارة الى الرد على من قال من اهل
التعبير ان المستحب ان يكون التعبير بعد طلوع الشمس الى الرابعة ومن العصر الى
قبل المغرب فان الحديث دال على استحباب تعبيرها قبل طلوع الشمس ولا يخالف قولهم
بكراهة تعبيرها في اوقات كراهة الصلاة قال المهلب تعبير الرؤيا عند صلاة
الصبح اولى من غيره من الاوقات لحفظ صاحبها لها لقرب عهده بها وقبل ما يعرض
له نسيانها ولحضور ذهن العابر وقلة شغله بالفكر فيما يتعلق بمعاشه وليعرف
الرائي ما يعرض له بسبب رؤياه فيستبشر بالخير ويحذر من الشر ويتأهب
لذلك فربما كان في الرؤيا تحذير من معصية فيكف عنها وربما كانت انذارا لامر
فيكون له مترقبا قال فهذه عدة فوائد لتعبير الرؤيا اول النهار قاله في فتح الباري
وذكر ائمة التعبير ان من آداب الرائي ان يكون صادق اللهجة وان ينام على
وضوء على جنبه الايمن وان يقرأ عند نومه والشمس والليل والتين وسورة
الاخلاص والمعوذتين ويقول اللهم اني اعوذ بك من سيئ الاحلام واستجير بك
من تلاعب الشيطان في اليقظة والمنام اللهم اني اسئلك رؤيا صالحة
صادقة نافعة حافظة غير منسية اللهم ارني في منامي ما احب وان لا يقصها
على عدو ولا جاهل اذا علمت هذا فاعلم ان جميع المرئي ينحصر في قسمين اضغاث احلام
وهي لا تنذر بشيء وهي انواع الاول تلاعب الشيطان ليحزن الرائي كان يرى انه قطع
رأسه وهو يتبعه او رأى انه واقع في هول ولا يجد من ينجده ونحو ذلك وروى مسلم
عن جابر جاء اعرابي فقال يا رسول الله اني حلمت ان رأسي قطع وانا اتبعه فزجره

صلى الله عليه وسلم وقال لا تخبر بتلعب الشيطان بك في المنام الثاني
ان يرى ان بعض الملائكة يأمره ان يفعل المحرمات ونحوه من المحال عقلا الثالث
ما تحدث به نفسه في اليقظة او يتمناه فيراه كما هو في المنام وكذا رؤية ما جرت
عادته في اليقظة او ما يغلب على مزاجه ويقع على المستقبل غالبا وعلى الحال كثيرا
وعلى الماضي قليلا القسم الثاني الصادقة وهي رؤيا الانبياء ومن تبعهم
من الصالحين وقد تقع لغيرهم بندور وهي التي تقع في اليقظة على وفق
ما وقعت في النوم وقد وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم من الرؤيا الصالحة
التي كفلق الصبح ما لا يعد ولا يحد قالت عائشة اول ما بدئ به رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا
الا جاءت مثل فلق الصبح الحديث رواه البخاري وفي رواية الرؤيا الصالحة وهما
بمعنى واحد بالنسبة الى امور الآخرة في حق الانبياء واما بالنسبة الى امور الدنيا
فالصالحة في الاصل اخص فرؤيا النبي صلى الله عليه وسلم كلها صادقة وقد
تكون صالحة وهو الاكثر وغير صالحة بالنسبة للدنيا كما وقع في الرؤيا يوم احد
فانه صلى الله عليه وسلم رأى بقرا تذبح ورأى في سيفه ثلما فاول البقر بما
اصاب اصحابه يوم احد والثلم الذي في سيفه برجل من اهل بيته يقتل ثم كانت
العاقبة للمتقين وكان بعد ذلك النصر والفتح على الخلق اجمعين واما رؤيا غير
الانبياء فبينهما عموم وخصوص ان فسرنا الصادقة بانها التي لا تحتاج الى تفسير
واما ان فسرناها بانها غير الاضغاث فالصالحة اخص مطلقا وقال الامام نصر بن
يعقوب الدينوري في التعبير القادري الرؤيا الصادقة ما يقع بعينه وما يعبر في المنام
او يخبر به ما لا يكذب والصالحة ما يسر واعلم ان الناس في الرؤيا على ثلاث درجات
الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ورؤياهم كلها صدق وقد يقع فيها ما يحتاج
الى تعبير ومن عداهم يقع في رؤياهم الصدق والاضغاث وهم على ثلاثة اقسام
مستورون فالغالب استواء الحال في حقهم وفسقة والغالب على رؤياهم الاضغاث
ويقل فيها الصدق وكفار ويندر في رؤياهم الصدق جدا ويشير الى ذلك قوله صلى
الله عليه وسلم واصدقهم رؤيا اصدقهم حديثا اخرجه مسلم من حديث ابي هريرة
وقد وقعت الرؤيا الصادقة من بعض الكفار كما في رؤيا صاحبي السجن مع يوسف عليه
السلام ورؤيا ملكهما وغير ذلك وقد روى الامام احمد مرفوعا وصححه ابن حبان
من حديث ابي سعيد اصدق الرؤيا بالاسحار وذكر الامام نصر بن يعقوب الدينوري
ان الرؤيا اول الليل يبطئ تأويلها ومن النصف الثاني يسرع بتفاوت اجزاء الليل وان

اسرعها تأويلا رؤيا القيلولة وعن محمد بن سيرين ان رؤيا النهار مثل الليل والنساء كالرجال وعن الخبر واني ان المرأة اذا رأت ما ليس لها اهلا فهو لزوجها وكذا حكم العبد لسيده كما ان رؤيا الطفل لابويه ومن غرائبه الكريمة عليه الصلاة والسلام شرب اللبن وتعبيره بالعلم كما في حديث ابن عمر عند البخاري قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول بينا انا نائم اتيت بقدح لبن فشربت منه حتى اني لارى الري يخرج في اظفاري ثم اعطيت فضلي يعني عمر قالوا فما اولته يا رسول الله قال العلم وفي رواية الكشميهني من اظفاري وفي رواية صالح ابن كيسان من اطرافي وهذه الرواية تحتمل ان تكون بصرية وهو الظاهر ويحتمل ان تكون علمية ويؤيد الاول ما اخرجه الحاكم والطبراني من طريق ابي بكر بن عبد الله بن عمر عن ابيه عن جده في هذا الحديث فشربته حتى رأيته يجري في عروقي بين الجلد واللحم على انه يحتمل ايضا قال بعض العارفين الذي خلص اللبن من بين فرث ودم قادر ان يخلق المعرفة من بين شك وجهل وهو كما قال لكن اطردت العادة بان العلم بالتعلم والذي ذكره قد يكون خارقا للعادة فيكون من باب الكرامة وقال العارف ابن ابي جمرة فاول النبي صلى الله عليه وسلم اللبن بالعلم اعتبارا بما بين له اول الامر حين اتي بقدح خمر وقدح لبن فاخذ اللبن فقال له جبريل اخترت الفطرة انتهى وقد جاء في بعض الاحاديث المرفوعة تأويله بالفطرة كما اخرجه البزار من حديث ابي هريرة رفعه اللبن في المنام فطرة ذكر الدينوري ان اللبن المذكور في هذا يختص بلبن الابل وانه لشاربه مال حلال وعلم قال ولبن البقر خصب السنة ومال حلال وفطرة ايضا ولبن الشاة مال وسرور وصحة جسم والبان الوحش شك في الدين والبان السباع غير محمودة الا ان لبن اللبوة مال مع عداوة لذي امر وفي الحديث اذ علم النبي صلى الله عليه وسلم بالله لا يبلغ احد درجته فيه لانه شرب حتى رأى الري يخرج من اطرافه واما اعطاؤه فضله عمر ففيه اشارة الى ما حصل لعمر من العلم بالله بحيث كان لا يأخذه في الله لومة لائم ووجه التعبير في الحديث بذلك من جهة اشتراك اللبن والعلم في كثرة النفع وكونهما سببا للصلاح فاللبن للغذاء المعنوي ومن ذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم القميص وتعبيره بالدين عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا فما اولته يا رسول الله قال الدين رواه البخاري وفي رواية الترمذي الحكيم من طريق اخر في هذا الحديث فقال ابو بكر على م تأولته هذا يا رسول الله والثدي بضم المثلثة وكسر الدال وتشديد الياء جمع ثدي بفتح

ثم سكون والمعنى ان القميص قصير جدا بحيث لا يصل من الحلق الى نحو السرة بل فوقها وقوله ومنها ما يبلغ دون ذلك يحتمل ان يريد من جهة السفل وهو الظاهر فيكون اطول ويحتمل ان يكون دونه من جهة العلو فيكون اقصر ويؤيد الاول ما في رواية الترمذي الحكيم المذكورة فمنهم من كان قميصه الى سرته ومنهم من كان قميصه الى ركبته ومنهم من كان قميصه الى انصاف ساقيه ويجوز النصب في قوله الدين والتقدير اولها الدين ويجوز الرفع وفي رواية الحكيم الترمذي المذكورة على الايمان وقد قيل في وجه تعبير القميص بالدين ان القميص يستر العورة في الدنيا والدين يسترها في الآخرة ويحجبها عن كل مكروه والاصل فيه قوله تعالى ولباس التقوى ذلك خير واتفق اهل التعبير على ان القميص يعبر بالدين وان طوله يدل على بقاء آثار صاحبه من بعده وقال ابن العربي انما اول النبي صلى الله عليه وسلم القميص بالدين لان الدين يستر عورة الجهل كما يستر القميص عورة البدن قال واما غير عمر فالذي كان يبلغ الثدي هو الذي يستر القلب عن الكفر ولو كان يتعاطى المعاصي والذي كان يبلغ اسفل من ذلك وفرجه باد هو الذي لم يستر رجله عن المشي الى المعصية والذي يستر رجله هو الذي احتجب بالتقوى من جميع الوجوه والذي يجر قميصه زاد على ذلك بالعمل الصالح الخالص واشار العارف ابن ابي جمرة الى ان المراد بالناس في هذا الحديث المؤمنون لتأويله القميص بالدين قال والذي يظهر ان المراد خصوص هذه الامة المحمدية بل بعضها والمراد بالدين العمل بمقتضاه كالحرص على امتثال الاوامر واجتناب المناهي وكان لعمر في ذلك المقام العالي قال ويؤخذ من هذا الحديث ان كل ما يرى من القميص من حسن او غيره فانه يعبر بدين لابسه قال والنكتة في القميص ان لابسه اذا اختار نزعه واذا اختار ابقاه فلما البس الله المؤمنين لباس الايمان واتصفوا به كان الكامل في ذلك سابغ الثوب ومن لا فلا وقد يكون نقص الثوب بسبب نقص العمل وفي الحديث ان اهل الدين يتفاضلون في الدين بالقلة والكثرة وبالقوة والضعف وهذا من امثلة ما يحمد في المنام ويذم في اليقظة شرعا اعني جر القميص لما ورد من الوعيد في تطويله ومن ذلك رؤيته عليه الصلاة والسلام السوارين الذهب في يده الشريفة وتعبيرهما بالكذابين روى البخاري عن عبيد الله بن عبد الله قال سألت عبد الله ابن عباس عن رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم التي ذكرها فقال ابن عباس ذكر لي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم رأيت انه وضع في يدي سواران من ذهب ففظعتهما وكرهتهما فاذن لي فنفختهما فطارا فاولتهما كذابين يخرجان فقال عبيد الله احدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن والآخر مسيلمة وفي رواية ابي هريرة

عند الشيخين بينا انا نائم اذ اتيت خزائن الارض فوضع في يدي سواران من ذهب
فكبرا علي واهماني واوحى الي ان انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما الكذابين الذين
انا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة قال المهلب هذه الرؤيا ليست على وجهها
وانما هي ضرب من المثل وانما اول النبي صلى الله عليه وسلم السوارين بالكذابين
لان الكذب وضع الشيء في غير موضعه فلما رأى في ذراعيه سوارين من ذهب
وليسا من لبسه لانهما من حلية النساء عرف انه سيظهر من يدعي ما ليس له وايضا
ففي كونهما من ذهب والذهب منهي عن لبسه دليل على الكذب وايضا فالذهب
مشتق من الذهاب فعلم انه شيء يذهب عنه وتاكد ذلك بالاذن له في نفخهما فطارا
فعرف انه لا يثبت لهما امر وان كلامه بالوحي الذي جاء به يزيلهما عن موضعهما وقال
ابن العربي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوقع بطلان امر مسيلمة والعنسي
فاول الرؤيا عليهما فيكون ذلك اخراجا للمنام عليهما فان الرؤيا اذا عبرت خرجت
ويحتمل ان يكون بوحي والمراد بخزائن الارض التي ذكرها ما فتح على الامة من الغنائم
ومن ذخائر كسرى وقيصر وغيرهما ويحتمل معادن الارض التي فيها الذهب والفضة
وقال القرطبي انما كبر عليه السواران لكون الذهب من حلية النساء ومما حرم على
الرجال وفي طيرانهما اشارة الى اضمحلال امرهما ومناسبة هذا التاويل لهذه الرؤيا
ان اهل الصنعاء واهل اليمامة كانوا اسلموا فكانوا كالمساعدين للاسلام فلما
ظهر فيهما الكذابان وبهرجا على اهلهما بزخرف اقوالهما ودعاويهما الباطلة انخدع
اكثرهم بذلك فكان اليدين بمنزلة البلدين والسوارين بمنزلة الكذابين وكونهما
من ذهب اشارة الى ما زخرفا والزخرف من اسماء الذهب وقال اهل التعبير من
رأى انه يطير فان كان الى جهة السماء بغير تعريج ناله الضرر وان غاب في السماء ولم يرجع
مات وان رجع افاق من مرضه وان كان يطير عرضا سافر ونال رفعة بقدر
طيرانه ومن ذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم المرأة السوداء الثائرة الراس
وتعبيرها بنقل وباء المدينة الى الجحفة روى البخاري من حديث عبد الله بن
عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت امرأة سوداء ثائرة الراس خرجت
من المدينة حتى قامت بمهيعة وهي الجحفة فاولت ان وباء المدينة نقل اليها
وهذا من قسم الرؤيا المعبرة وهي مما ضرب به المثل ووجه التمثيل انه شق من اسم
السوداء السوء والداء فتاول خروجها بما جمع اسمها وتاول من ثوران شعر راسها
ان الذي يسوء ويثير الشر يخرج من المدينة وقال القيرواني من اهل التعبير كل شيء
غلبت عليه السوداء في اكثر وجوهها فهو مكروه وقال غيره ثوران الراس يؤول

بالحمى لانها تثير البدن بالاقشعرار وبارتفاع الراس لا سيما من السوداء فانها
اكثر استيحاشا ومن ذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم انه في درع حصينة
وبقرا تنحر وتعبير ذلك روى عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال رأيت في المنام اني اهاجر من مكة الى ارض بها نخل فذهب وهلي الى
انها اليمامة او هجر فاذا هي المدينة يثرب ورأيت فيها بقرا والله خير فاذا هم
النفر من المؤمنين يوم احد واذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد وثواب
الصدق الذي اتانا بعد يوم بدر رواه البخاري ومسلم وروى الامام احمد
وغيره عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت كأني في درع حصينة
ورأيت بقرا تنحر فاولت الدرع الحصينة المدينة والبقر بقرا وهذه اللفظة الاخيرة
وهي بقر بفتح الموحدة وسكون القاف مصدر بقره يبقره بقرا ولهذا الحديث
سبب جاء بيانه في حديث ابن عباس عند احمد ايضا والنسائي والطبراني
وصححه الحاكم من طريق ابي الزناد عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس
في قصة احد واشارة النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ان لا يبرحوا من المدينة
وايثارهم الخروج لطلب الشهادة ولبسه اللامة وندامتهم على ذلك وقوله
صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل وفيه
اني رأيت اني في درع حصينة الحديث نحو حديث جابر واتم منه وقد تقدمت الاشارة
اليه في غزوة احد من المقصد الاول والمراد بقوله واذا الخير ما جاء الله به من الخير
وثواب الصدق الذي اتانا الله بعد يوم بدر فتح خيبر ثم مكة اي ما جاء الله به بعد
يوم بدر الثانية من تثبيت قلوب المؤمنين قال في فتح الباري وفي هذا السياق اشعار
بان قوله في الخبر والله خير من جملة الرؤيا قال والذي يظهر لي ان لفظة والله خير
لم يتحرر ايراده وان رواية ابن اسحق هي المحررة وانه رأى بقرا ورأى خيرا فاول البقر
على من قتل من الصحابة يوم احد واول الخير على ما حصل لهم من ثواب الصدق في
القتال والصبر على الجهاد يوم بدر وبعده الى فتح مكة والمراد بالبعدية على هذا
لا تختص بما بين بدر واحد نبه عليه ابن بطال ومن ذلك رؤيته عليه السلام
انه اتى برطب روى مسلم عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول رأيت الليلة فيما يرى النائم كانا في دار عقبة بن رافع واتينا برطب من
رطب ابن طاب فاولت ان الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة في الاخرة وان ديننا
قد طاب ومن ذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم سيفا يهزه وتعبيره في حديث
ابي موسى المتقدم انه صلى الله عليه وسلم قال ورأيت في رؤياي هذه اني هززت

سيفا فانقطع صدره فاذا هو ما اصيب به المؤمنون يوم احد ثم هززته اخرى
فعاد احسن ما كان فاذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين رواه الشيخان
وهذه ايضا من ضرب المثل ولما كان صلى الله عليه وسلم يصولون بالصحابة عبر
عن السيف بهم وبهزه عن امره لهم بالحرب وعن القطع فيه بالقتل فيهم وفي الهزة
الاخرى لما عاد الى حالته من الاستواء عبر به عن اجتماعهم والفتح عليهم وقال
اهل التعبير السيف يتصرف على وجوه منها ان من نال سيفا فانه ينال سلطانا اما
ولاية واما وديعة واما زوجة واما ولدا فان سله من غمده وانثلم سلمت زوجته
واصيب ولده فان انكسر الغمد وسلم السيف فبالعكس وان سلما او عطبا فكذلك
وقائم السيف يتعلق بالاب والعصبات ونعله بالام وذوي الرحم وان جرد السيف
واراد قتل شخص فهو لسانه يجرده في خصومته وربما عبر السيف بسلطان جائر وقال
بعض اهل التعبير ايضا من رأى انه اغمد سيفا فانه يتزوج او ضرب شخصا بسيف
فانه يبسط لسانه فيه ومن رأى سيفا عظيما فهو فتنة ومن قلد سيفا قلد امرا
فان كان قصيرا لم يدم امره ومن ذلك رؤيته عليه السلام انه على قليب عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم رأيتني على قليب وعليها دلو فنزعت
منها ما شاء الله ثم اخذها ابن ابي قحافة فنزع منها ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه ضعف
والله يغفر له ثم استحالت غربا فاخذها عمر بن الخطاب فلم ار عبقريا من الناس ينزع نزع
ابن الخطاب حتى ضرب بعطن الابل وعبقري القوم سيدهم وكبيرهم وقويهم وفي رواية
فلم يزل ينزع حتى تولى الناس والحوض يتفجر وفي رواية فاتاني ابو بكر فاخذ الدلو من يدي
ليريحني وفي رواية موسى عن سالم عن ابيه رايت الناس اجتمعوا فقام ابو بكر فنزع ذنوبا
او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم قام ابن الخطاب فاستحالت غربا فما رايت
من الناس من يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن رواه البخاري قال النووي قالوا هذا المنام
مثال جرى للخليفتين من ظهور اثارهما الصالحة وانتفاع الناس بها وكل ذلك ماخوذ
من النبي صلى الله عليه وسلم لانه صاحب الامر فقام به اكمل مقام وقرر قواعد الدين
ثم خلفه عمر فاتسع الاسلام في زمنه فشبه امر المسلمين بقليب فيه الماء الذي فيه حياتهم
وصلاحهم واميرهم المستقي لهم منها وفي قوله فاخذ الدلو من يدي اشارة الى خلافة
ابي بكر بعد موته صلى الله عليه وسلم لان الموت راحة من كد الدنيا وتعبها فقام ابو بكر
بتدبير امر العامة ومعانات احوالهم واما قوله وفي نزعه ضعف فهو اخبار عن حاله في قصر
مدة ولايته اما ولاية عمر فانها لما طالت كثر انتفاع الناس بها واتسعت دائرة
الاسلام بكثرة الفتوح وتمصير الامصار وتدوين الدواوين وليس في قوله

صح

صلى الله عليه وسلم ويغفر الله له نقص ولا اشارة الى انه وقع ذنب وانما هي
كلمة يقولونها وقوله فاستحالت في يده غربا اي تحولت الدلو غربا بفتح المعجمة وسكون
الراء بعدها موحدة اي دلوا عظيما واخرج احمد وابو داود عن سمرة بن جندب
ان رجلا قال يا رسول الله رأيت كان دلوا دلي من السماء فجاء ابو بكر فاخذ
بعراقيها فشرب شربا ضعيفا ثم جاء عمر فاخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع
ثم جاء عثمان فاخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جاء علي فانتشطت وانتضح
عليه منها شيء والعراقي جمع عرقوة الدلو وهي الخشبة المعروضة على فم الدلو و
هما عرقوتان كالصليب وقد عرقيت الدلو اذا ركبت العرقوة فيها وانتشطت
اي جذبت ورفعت فهذه نبذة من مرائيه الكريمة صلى الله عليه وسلم
واما ما راه غيره فعبره صلى الله عليه وسلم له مما يخص ويعم من امور الدنيا
والاخرة فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انفتل من صلاة الصبح
اقبل الى اصحابه فقال من رأى منكم الليلة رؤيا فليقصها علي اعبرها له فيقص
الناس عليه مرائيهم وروى البخاري عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول لاصحابه هل رأى احد منكم رؤيا فيقص
عليه ما شاء الله ان يقص وانه قال ذات غداة هل رأى احد منكم رؤيا فقالوا ما منا
احد رأى شيئا قال لكني اتاني الليلة اتيان وانهما ابتعثاني فقالا انطلق فانطلقت
فاتينا على رجل مضطجع واذا اخر قائم عليه بصخرة واذا هو يهوي بالصخرة لراسه
فيثلغ راسه الحديث واقام عليه الصلاة والسلام يسال اصحابه هل رأى منكم
الليلة احد رؤيا ما شاء الله ثم ترك السؤال فكان يعبر لمن قص متبرعا واختلف
النقلة في سبب تركه السؤال فقيل سبب ذلك حديث ابي بكرة عند الترمذي
وابي داود انه صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم من رأى منكم الرؤيا فقال رجل
انا يا رسول الله رأيت كان ميزانا نزل من السماء فوزنت انت وابو بكر فرجحت انت
بابي بكر ووزن ابو بكر وعمر فرجح ابو بكر ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ثم رفع
الميزان فراينا الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى قالوا فمن
حينئذ لم يسال النبي صلى الله عليه وسلم احدا عن رؤيا قال بعضهم وسبب
كراهته عليه السلام ايثاره لستر العواقب واخفاء المراتب فلما كانت هذه
الرؤيا كاشفة لمنازلهم مبينة لفضل بعضهم على بعض في التعيين خشي
ان تتواتر وتتوالى بما هو ابلغ من الكشف من ذلك ولله في ستر خلقه حكمة بالغة
ومشيئة نافذة وقال ابن قتيبة فيما ذكر ابن المنير سبب تركه السؤال حديث

ابن زمل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الصبح قال صلى الله عليه وسلم
وهو ثان رجليه سبحان الله وبحمده واستغفر الله ان الله كان توابا سبعين مرة ثم يقول
سبعون بسبع مائة لا خير لمن كانت ذنوبه في يوم اكثر من سبع مائة ثم يستقبل الناس
بوجهه فيقول هل رأى احد منكم شيئا قال ابن زمل فقلت ذات يوم انا يا رسول الله
قال خير تلقاه وشر توقاه وخير لنا وشر على اعدائنا والحمد لله رب العالمين اقصص
رؤياك قال رأيت جميع الناس على طريق رحب سهل والناس على الجادة منطلقون
فبينما هم كذلك اشفى ذلك الطريق بهم على مرج لم تر عيني مثله يرف رفيفا يقطر
ماؤه فيه من انواع الكلأ وكاني بالزعلة الاولى حين اشرفوا على المرج كبروا ثم
اكبوا رواحلهم في الطريق فلم يظلموه يمينا ولا شمالا ثم جاءت الزعلة الثانية من
بعدهم وهم اكثر منهم اضعافا فلما اشفوا على المرج كبروا ثم اكبوا رواحلهم في الطريق
ومنهم المرتع ومنهم الاخذ بالضغث ومضوا على ذلك قال ثم قدم عظم الناس
فلما اشفوا على المرج وقالوا هذا خير المنزل فمالوا في المرج يمينا وشمالا فلما رأيت ذلك
لزمت الطريق حتى اتيت اقصى المرج فاذا انا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات
وانت في اعلاها درجة واذا عن يمينك رجل اقنى ادم اذا هو تكلم يسمو يكاد يفرع
الرجال طولا واذا عن يسارك رجل ربعة تار احمر كثير خيلان الوجه اذا هو تكلم
اصغيتم اليه اكراما له واذا امام ذلك شيخ كانكم تقتدون به واذا امام ذلك
ناقة عجفاء شارف واذا انت كانك تبعثها يا رسول الله قال فانتقع لون رسول
الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سري عنه فقال اما ما رأيت من الطريق الرحب السهل
فذلك ما حملتكم عليه من الهدى فانتم عليه واما المرج الذي رأيت فالدنيا وغضارة
عيشها لم تتعلقوا بها ولم تردها واما الزعلة الثانية والثالثة وقص كلامه فانا لله
وانا اليه راجعون واما انت فعلى طريقة صالحة فلن تزال عليها حتى تلقاني واما
المنبر فالدنيا سبعة آلاف سنة انا في آخرها الفا واما الرجل الطويل الادم فذلك
موسى عليه السلام نكرمه بفضل كلام الله اياه واما الرجل الربعة التار الاحمر
فذلك عيسى عليه السلام نكرمه بفضل منزلته من الله واما الشيخ الذي رأيت
كاننا نقتدي به فذلك ابراهيم عليه السلام واما الناقة العجفاء الشارف التي رأيتني
ابعثها فهي الساعة عليها اي على الامة تقوم لا نبي بعدي ولا امة بعد امتي قال الراوي
فما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا احدا عن رؤيا الا ان يجيء
الرجل متبرعا فيحدثه بها رواه ابن قتيبة والطبراني والبيهقي في الدلائل وسنده
ضعيف جدا ومن غرائب ما نقل عنه صلى الله عليه وسلم من التعبير ان زرارة

ابن

ابن عمرو النخعي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد النخع فقال
يا رسول الله اني رأيت بكل طريق هذا رؤيا رأيت اتانا تركتها في الحي ولدت
جديا اسفع احوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك من
امة تركتها مصرة حملا قال نعم تركت امة اظنها قد حملت قال فقد ولدت
غلاما وهو ابنك قال فما باله اسفع احوى قال ادن مني فدنا منه قال هل
بك برص تكتمه قال نعم والذي بعثك بالحق ما رآه مخلوق ولا علم به قال فهو
ذلك قال ورأيت النعمان ابن المنذر وعليه قرطان ودملجان ومسكتان قال
ذلك ملك العرب عاد الى افضل زيه وبهجته قال ورأيت عجوزا شمطاء تخرج
من الارض قال تلك بقية الدنيا قال ورأيت نارا خرجت من الارض فحالت
بيني وبين ابن لي يقال له عمرو ورأيتها تقول لظى لظى بصير واعمى اكلكم كلكم
اهلكم ومالكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون في آخر الزمان
قال وما الفتنة يا رسول الله قال تفتك الناس بامامهم ثم يشتجرون اشتجار اطباق
الرأس وخالف صلى الله عليه وسلم بين اصابعه يحسب المسيء انه محسن
ودم المؤمن عند المؤمن احلى من شرب فانظر الى هذا التعبير البارز من مشكاة
النبوة محشوا حلاوة الحق مكسوا طلاوة الصدق مجلوا بانوار الوحي **والابن**
الذي اضنا جسده لون آخر **والاحوى** الاسود ليس بالشديد **والمسكتان**
السواران من ذهب **واطباق الرأس** عظامه **والاشتجار** الاختلاف والاشتباك
فان قلت تعبيره عليه الصلاة والسلام السوارين هنا يرجع الى البشرى وعبر بهما بالكذابين
كما مر **اجيب** بان النعمان ابن المنذر كان ملك العرب وكان ممتلكا من جهة الاكاسرة
وكانوا يسودون الملوك ويحلونهم وكان السواران من ذي النعمان ليسا منكورين في حقه
ولا بموضوعين في غير موضعهما عرفا **واما** النبي صلى الله عليه وسلم فهي من لباس
الذهب لاخادامته فحزنه اهمه ذلك لانه ليس من زيه واستدل به على امر يوضع
في غير موضعه ولكن حمدت العاقبة بزوالهما ولله الحمد **ومن ذلك** ما روي عن
قيس بن عباد بضم العين وتخفيف الموحدة في حلقة فيها سعد بن مالك وابن
عمر فمر عبد الله ابن سلام فقالوا هذا رجل من اهل الجنة فقلت له انهم قالوا كذا
وكذا قال سبحان الله ما كان ينبغي لهم ان يقولوا ما ليس لهم به علم انما رأيت كانما
عمود وضع في روضة خضراء فنصب فيها وفي رأسها عروة وفي اسفلها منصف
والمنصف الوصيف فقال ارقه فرقيته حتى اخذت بالعروة فقصصتها على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يموت عبد الله وهو آخذ بالعروة الوثقى رواه

البخاري في رواية خرشة بينما انا نائم اتاني رجل فقال لي قم فاخذ بيدي فانطلقت
معه فاذا انا بجواد بجيم ودال مشددة جمع جادة وهي الطريق المسلوك عن
شمال فاخذت لآخذ فيها اي اسير فقال لا تاخذ فيها فانها طريق اصحاب الشمال وفي
رواية النسائي من طريقه فبينا انا امشي اذ عرض لي طريق عن شمال فاردت ان اسلكها
فقال انك لست من اهلها وفي رواية مسلم فاذا منهج على يميني فقال خذ هاهنا
فاتى بي جبلا فقال لي اصعد قال فجعلت اذا اردت ان اصعد خررت حتى فعلت
ذلك مرارا وفي رواية ابن عون فقال تلك الروضة روضة الاسلام وذلك
العمود عمود الاسلام وتلك العروة العروة الوثقى لا تزال متمسكا بالاسلام حتى
تموت وفي رواية خرشة عند النسائي وابن ماجة قال رأيت خيرا اما المنهج فالمحشر
واما الجبل فهو منزل الشهداء زاد مسلم ولن تناله وهذا علم من اعلام نبوة نبينا
صلى الله عليه وسلم فان عبد الله ابن سلام لم يمت شهيدا وانما مات على فراشه
في اول خلافة معاوية بالمدينة وقولهم انه من اهل الجنة اخذوه من قوله لما ذكر طريق
الشمال انك لست من اهلها وانما قال ما كان ينبغي لهم ان يقولوا ما ليس لهم به علم
على سبيل التواضع وكراهية ان يشار اليه بالاصابع خشية ان يدخله العجب فانا عافانا
الله من نسائك المكارم وقال القيرواني الروضة التي لا يعرف نبتها تعبر بالاسلام
لنضارتها وحسن بهجتها وتعبر ايضا بمكان فاضل وقد تعبر بالمصحف وكتب
العلم ونحو ذلك انتهى وقال غيره من المعبرين الحلقة والعروة المجهولة تدل لمن تمسك بها
على قوته في دينه واخلاص صحة ومن ذلك ما رواه البخاري عن ام العلاء وهي امرأة من نسائهم
بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت لعثمان ابن مظعون بعد موته عينا
تجري فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذلك عمله
يجري له وقد قيل يحتمل انه كان لعثمان شيء من عمله بقي له ثوابه جاريا كالصدقة
وانكره مغلطاي وقال لم يكن له شيء من الامور الثلاثة التي ذكرها مسلم في
حديث ابي هريرة رفعه اذا مات العبد انقطع عمله الا من ثلاث وتعقبه شيخ
الحفاظ ابن حجر بانه كان له ولد صالح شهد بدرا وما بعدها وهو السائب مات
في خلافة ابي بكر فهو احد الثلاث قال وقد كان عثمان من الاغنياء فلا يبعد ان
يكون له صدقة استمرت بعد موته وقال المهلب العين الجارية تحتمل وجوها
فان كان ماؤها صافيا عبرت بالعمل الصالح والا فلا وقال غيره العين الجارية
عمل جار من صدقة او معروف لحي او ميت وقال آخر عين الماء نعمة وبركة وخير
وبلوغ امنية ان كان صاحبها مستورا فان كان غير عفيف اصابته مصيبة

يبكي

يبكي لها اهل داره والله اعلم فهذه طرق من تعبيره عليه السلام يهدي
الى غيره مما يشابهه والا فالذي نقل عنه صلى الله عليه وسلم من غرائب
التاويل ولطائف التعبير كما قاله ابن المنير لا تحصره المجلدات وانت اذا تاملت
ان كل كرامة اوتيها واحد من هذه الامة في علم او عمل هي اثار معجزة نبيه صلى الله
عليه وسلم وسر تصديقه وبركات طريقه وثمرات الاهتداء بهديه وتوفيقه
واستحضرت ما اوتيه الامام محمد بن سيرين من لطائف التعبير مما شاع وذاع
وامتلات به الاسماع طبق الارض صدقا وصوابا وعجبا عجابا بل بحرا عبابا
قضيت بان ما منحه صلى الله عليه وسلم من العلوم والمعارف لا تحيط به العبارات
ولا تدرك حقيقة كنهه الاشارات واذا كان هذا ابن سيرين واحد من امته عليه
السلام نقل عنه في فن التعبير ما لا يعد لكثرته فكيف به صلى الله عليه وسلم
وزاده فضلا وشرفا لديه وافاض علينا من سحائب علومه ومعارفه وتعطف
علينا بعواطفه الفصل الثالث في انبائه صلى الله عليه وسلم بالانباء المغيبات
اعلم ان علم الغيب يختص بالله تعالى وما وقع منه على لسان رسول الله صلى
الله عليه وسلم وغيره فمن الله تعالى اما بوحي او الهام والشاهد لهذا قوله تعالى
عالم الغيب والشهادة فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول ليكون
معجزة له واستدل به على ابطال الكرامات واجيب بتخصيص الرسول بالملك
والاظهار بما يكون بغير توسطه وكرامات الاولياء على المغيبات انما تكون بتلقيا
الملائكة كاطلاعنا على احوال الآخرة بتوسط الانبياء وفيه حديث انه صلى
الله عليه وسلم قال والله اني لا اعلم الا ما علمني ربي فكل ما ورد عنه صلى
الله عليه وسلم من الانباء المنبئة عن الغيوب ليس هو الا من اعلام الله له به اعلاما
على ثبوت نبوته ودلائل على صدق رسالته وقد اشتهر وانتشر امره عليه السلام
بين اصحابه بالاطلاع على الغيوب حتى ان كان بعضهم ليقول اسكت فوالله لو لم يكن
عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء ويشهد لهذا قول ابن رواحه

وفينا رسول الله يتلو كتابه   اذا انشق معروف من الصبح ساطع
ارانا الهدى بعد العمى فقلوبنا   به موقنات ان ما قال واقع

وقول حسان بن ثابت

نبي يرى ما لا يرى الناس حوله   ويتلو كتاب الله في كل مشهد
فان قال في يوم مقالة غائب   فتصديقها في ضحوة اليوم او غد

وهذا الفصل ينقسم قسمين الاول فيما اخبر به عليه الصلوة والسلام مما نطق

به القران العظيم ومن ذلك قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا
بسورة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقوله ولن تفعلوا اخبار عن غيب
تقضى العادة بخلافه ومن ذلك قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم الاية فانها قد كانت لقريش قافلتان
احدهما ذات غنيمة دون الاخرى فاخبر الله تعالى عما فى ضمائرهم وانجز لهم ما وعد
ولا شك ان الوعد كان قبل اللقاء لان الوعد بالشئ بعد وقوعه غير جائز ومن ذلك
قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وهذا اخبار عن المستقبل لان السين بمعنى
الاستقبال يعنى كفار قريش يوم بدر وقد كان عددهم ما بين تسعمائة الى الف
وكانوا مستعدين بالمال والسلاح وكان عدد المسلمين ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا
وليس معهم الا فرسان احدهما للزبير بن العوام والاخرى للمقداد فهزم الله المشركين
ومكن المسلمين من قتل ابطالهم واغتنام اموالهم ومن ذلك قوله تعالى فى كفار قريش
سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا يريد ما
قذف فى قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى
ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه الصلاة والسلام
ان شاء الله تعالى وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا
عليهم ليستاصلوهم فالقى الله الرعب فى قلوبهم ومن ذلك قوله تعالى الم غلبت
الروم فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين الى قوله
لا يخلف الله وعده سبب نزول هذه الاية ان كسرى وقيصر تقاتلا فغلب كسرى
قيصر فساء المسلمين ذلك لان الروم اهل كتاب ولتعظيم قيصر كتاب النبى
صلى الله عليه وسلم وتمزيق كسرى كتابه وفرح المشركون به فاخبر الله تعالى
بان الروم بعد ان غلبوا سيغلبون فى بضع سنين والبضع ما بين الثلاث الى
العشرة فغلبت الروم اهل فارس يوم الحديبية واخرجوهم من بلادهم وذلك بعد
سبع سنين ومن ذلك قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه
ابدا فاخبر انهم لا يتمنون الموت بالقلب ولا بالنطق باللسان مع قدرتهم عليه
ابدا فاخبر فوجد مخبره كما اخبر فلو لم يعلموا ما يلحقهم من الموت لسارعوا الى تكذيبه
بالتمنى ولو لم يعلم ذلك لخشى ان يجيبوا اليه فيقضى عليه بالكذب قال البيضاوى
وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا الموت لنقل واشتهر
لان التمنى ليس من عمل القلب فيخفى وورد مرفوعا لو تمنوا الموت لغص على
انسان منهم بريقه فمات مكانه وما بقى يهودى على وجه الارض ومن ذلك

قوله

قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى
الارض كما استخلف الذين من قبلهم الاية هذا وعد من الله لرسوله صلى الله
عليه وسلم بانه سيجعل امته خلفاء الارض ائمة الناس والولاة عليهم و
بهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس
امنا وحكما فيهم وقد فعل ذلك فيهم ولله الحمد والمنة فانه لم يمت صلى
الله عليه وسلم حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب
وارض اليمن بكمالها واخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض اطراف الشام وهاداه
هرقل ملك الروم وصاحب مصر واسكندرية وهو المقوقس وملوك
عمان والنجاشى ملك الحبشة الذى تملك بعد اصحمة وحمد الله ثم لما مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم واختار الله له ما عنده من الكرامة قام
بالامر بعده خليفته ابو بكر الصديق رضى الله عنه فلم شعث ما وهى عند
موته صلى الله عليه وسلم واطد جزيرة العرب ومهدها وبعث الجيوش
الاسلامية الى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد ففتحوا طرفا منها وجيشا
اخر صحبة ابى عبيدة الى ارض الشام وجيشا ثالثا صحبة عمرو بن العاص الى
بلاد مصر ففتح الله للجيش الشامى فى ايامه بصرى ودمشق ومخاليفهما من
بلاد حوران وما والاها وتوفاه الله واختار له ما عنده ومن على الاسلام
واهله بان الهم الصديق ان يستخلف عمر الفاروق فقام فى الامر بعده
قياما تاما لم يدر الفلك بعد الانبياء على مثله فى قوة سيرته وكمال عدله وتم
فى ايامه فتح البلاد الشامية بكمالها وديار مصر الى اخرها واكثر اقليم فارس
وكسر كسرى واهانه غاية الهوان وتقهقر الى اقصى مملكته وقصر قيصر وانتزع
يده من بلاد الشام فانحاز الى قسطنطينية وانفق اموالهما فى سبيل الله
كما اخبر بذلك ووعد به صلى الله عليه وسلم ثم لما كانت الدولة العثمانية
امتدت الممالك الاسلامية الى اقصى مشارق الارض ومغاربها ففتحت
بلاد المغرب الى اقصى ما هنالك الاندلس وقيروان وسبتة مما يلى البحر المحيط
ومن ناحية المشرق الى اقصى بلاد الصين وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية
وفتحت مدائن العراق وخراسان والاهواز وقتل المسلمون من الترك مقتلة
عظيمة جدا وجبى بالخراج من المشارق والمغارب الى حضرة امير المؤمنين عثمان
ابن عفان وذلك ببركة تلاوته ومدارسته وجمعه للامة على حفظ القران
فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومن ذلك قوله

تعالى ضربت عليهم الذلة والمسكنة فاليهود اذل الكفار في كل مكان وزمان
كما اخبر ومن ذلك قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله ولو كره المشركون وهذا ظاهر في العيان بان دين الاسلام كما اخبر
عال على سائر الاديان ومن ذلك قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح الى آخرها فكان
كما اخبر دخل الناس في الاسلام افواجا فما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد
العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام الى غير ذلك مما يطول استقصاؤه
القسم الثاني فيما اخبر به عليه الصلوة والسلام من الغيوب سوى ما في القرآن
العزيز فكان كما اخبر به في حياته وبعد مماته اخرج الطبراني عن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رفع لي الدنيا فانا انظر اليها والى ما
هو كائن فيها الى يوم القيمة كانما انظر الى كفي هذه وعن حذيفة قال قام فينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا في مقامه ذلك الى قيام الساعة
الا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء
وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه
ثم اذا رآه عرفه ثم قال حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه
ثلث مائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته رواه ابو داود
وروى مسلم من حديث ابن مسعود في الدجال فيبعثون عشر فوارس طليعة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف اسماءهم واسماء ابائهم والوان خيولهم
هم خير فوارس على ظهر الارض يومئذ فوضع من هذا الخبر وغيره مما يأتي من
الاخبار ونحو من خواطر الابرار الاخيار انه صلى الله عليه وسلم عرفهم بما يقع
في حياته وبعد موته وما قد انختم وقوعه فلا سبيل الى فوته وقال ابو ذر لقد
تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا
ذكرنا منه علما ولا شك ان الله تعالى قد اطلعه على ازيد من ذلك والقى عليه
علم الاولين والآخرين واما علم عوارف المعارف الالهية فتلك لا يتناهى عددها
واليه صلى الله عليه وسلم ينتهي مددها ومن ذلك ما رواه الشيخان عن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي للناس في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الى المصلى
وصف بهم وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات وفي حديث انس عند احمد والبخاري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صعد احدا ومعه ابو بكر وعمر وعثمان
فرجف بهم الجبل فضربه برجله وقال له اثبت احد فانما عليك نبي وصديق

وشهيد

وشهيدان فكان كما اخبر عليه الصلوة والسلام ومن ذلك ما رواه الشيخان
من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اذا هلك كسرى فلا كسرى
بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما
في سبيل الله قال النووي قال الشافعي وسائر العلماء معناه لا يكون كسرى بالعراق
ولا قيصر بالشام كما كان في زمنه عليه الصلوة والسلام فاعلمنا صلى الله عليه
وسلم بانقطاع ملكهما من هذين الاقليمين فكان كما قال فاما كسرى فانقطع
ملكه وزال بالكلية من جميع الارض وتمزق ملكه كل ممزق واضمحل بدعوة
النبي صلى الله عليه وسلم واما قيصر فانهزم من الشام ودخل اقصى بلاده
فافتتح المسلمون بلادهما واستقرت للمسلمين ولله الحمد انتهى وقد وقع ذلك
في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب كما قدمته وقال عليه الصلوة والسلام
لسراقة كيف بك اذا لبست سواري كسرى فلما اتي بهما عمر البسهما اياه وقال
الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة ومن ذلك اخباره عليه الصلوة
والسلام بالمال الذي تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غيري
وغيرها واسلم كما تقدم ذلك في غزوة بدر من المقصد الاول واخباره صلى
الله عليه وسلم بشان كتاب حاطب الى اهل مكة وبموضع ناقته حين ضلت
وكيف تعلقت بخطامها في الشجرة ولما رجع المشركون يوم الاحزاب قال النبي صلى
الله عليه وسلم الان نغزوهم ولا يغزوننا فلم يغزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعده وبعث صلى الله عليه وسلم جيشا الى مؤتة وامر عليهم زيد بن حارثة
ثم قال فان اصيب زيد فجعفر بن ابي طالب فان اصيب فعبد الله بن رواحة
فلما التقى المسلمون بمؤتة جلس النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فكشف
له حتى نظر الى معتركهم فقال اخذ الراية زيد بن حارثة حتى استشهد فصلى
عليه ثم قال استغفروا له ثم اخذ الراية جعفر بن ابي طالب حتى استشهد
فصلى عليه ثم قال استغفروا لاخيكم جعفر ثم اخذ الراية عبد الله بن
رواحة فاستشهد فصلى عليه ثم قال استغفروا لاخيكم فاخبر اصحابه بقتلهم
في الساعة التي قتلوا فيها ومؤتة دون دمشق بارض البلقاء وعن اسماء بنت عميس
قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة اليوم الذي قتل فيه جعفر
واصحابه فقال يا اسماء اين بنو جعفر فجئت بهم فضمهم وشمهم ثم ذرفت
عيناه بالدموع فبكى فقلت يا رسول الله بلغك عن جعفر شيء قال نعم قتل
اليوم رواه يعقوب الاسفرايني في كتابه دلائل الاعجاز وخرجه ابن اسحاق

والبغوي ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام زويت لي الارض فرايت
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وكان كذلك امتدت
في المشارق والمغارب ما بين اقصى ارض الهند الى اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث
لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه امة من الامم ومن ذلك اعلامه قريشا
باكل الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم
وانها بقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال عليه الصلوة والسلام
ومن ذلك ما رواه الطبراني في الكبير والبزار من حديث ابن عمر قال كنت
جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد منى فاتاه رجل من الانصار
ورجل من ثقيف فسلما ثم قالا يا رسول الله جئنا نسالك فقال ان شئتما
اخبرتكما بما جئتما تسالاني عنه فعلت وان شئتما ان امسك وتسالاني
فعلت فقالا اخبرنا يا رسول الله فقال الثقفي للانصاري سل فقال اخبرني
يا رسول الله فقال جئتني تسئلني عن مخرجك من بيتك تام البيت الحرام ومالك
فيه وعن ركعتيك بعد الطواف ومالك فيهما وعن سعيك بين الصفا والمروة
ومالك فيه وعن وقوفك عشية عرفة ومالك فيه وعن رميك الجمار ومالك
فيه وعن نحرك ومالك فيه مع الافاضة فقال والذي بعثك بالحق لعن هذا
جئت اسئلك ومن ذلك ما روي عن واثلة ابن الاسقع قال اتيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو في نفر من اصحابه يحدثهم فجلست وسط الحلقة فقال
بعضهم يا واثلة قم عن هذا المجلس فقد نهينا عنه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم دعوه واياه فاني اعلم ما الذي اخرجه من منزله قلت يا رسول الله
ما الذي اخرجني من منزلي قال اخرجك من منزلك لتسال عن البر وعن الشك
قال قلت والذي بعثك بالحق ما اخرجني غيره فقال صلى الله عليه وسلم البر ما
استقر في الصدر واطمان اليه القلب والشك ما لم يستقر في الصدر فدع
ما يريبك الى ما لا يريبك وان افتاك المفتون ومن ذلك قوله لفاطمة رضي الله
عنها في مرضه انك اول اهلي لحوقا بي فعاشت بعده ثمانية اشهر وقيل ستة
اشهر وقوله صلى الله عليه وسلم لنسائه اسرعكن لحوقا بي اطولكن يدا فكانت
زينب بنت جحش لانها كانت تعمل بيدها وتتصدق ومن ذلك قوله عليه
الصلوة والسلام لعلي ان الذي من اشقى الاخرين قلت الله ورسوله اعلم
قال قاتلك اخرجه احمد في المناقب وعند ابن حاتم الذي يضربك على هذه
واشار الى يافوخه وعند المحاملي قال علي عهد الي رسول الله صلى الله عليه وسلم

لتخضبن

لتخضبن هذه من هذه واشار الى لحيته وراسه وعند الضحاك الذي يضرب
على هذه فتبل منها هذه واخذ بلحيته فضربه عبد الرحمن بن ملجم وعند
الطبراني وابي نعيم من حديث جابر مرفوعا انك مؤمر مستخلف وانك مقتول
وان هذه مخضوبة من هذه وقال صلى الله عليه وسلم لمعاوية اما انك
ستلي امر امتي بعدي فاذا كان ذلك فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم
قال معاوية فما زلت ارجوها حتى قمت مقامي هذا رواه ابن عساكر واخرج
ابن عساكر ايضا من حديث عروة ابن رويم مرفوعا لن يغلب معاوية ابدا
وان عليا قال يوم صفين لو ذكرت هذا الحديث ما قاتلت معاوية ابدا ومن
ذلك قوله عليه الصلوة والسلام يقتل هذا مظلوما واشار الى عثمان
رضي الله عنه خرجه البغوي في المصابيح من الحسان والترمذي وقال حسن
غريب وخرجه احمد فكان كما قال عليه الصلاة والسلام فاستشهد
في الدار وبين يديه المصحف فنضح الدم على هذه الاية فسيكفيكهم الله
وهو السميع العليم وفي الشفاء انه عليه الصلوة والسلام قال يقتل عثمان
وهو يقرا في المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه
وانه سيقطر دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله انتهى وقد اخرجه الحاكم
عن عباس بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا عثمان تقتل
وانت تقرا سورة البقرة فتقع قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله
لكن قال الذهبي انه حديث موضوع وقد روى مسلم عن اسامة بن زيد ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرف على اطم من اطام المدينة ثم قال
هل ترون ما ارى اني لارى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر فوقعت
فتنة قتل عثمان وتتابعت الفتن الى فتنة الحرة وكانت لثلاث بقين من ذي الحجة
سنة ثلاث وسبعين من الهجرة وجرت فيها وقايع كثيرة موجودة في كتب التواريخ واخرج
البيهقي عن الحسن قال لما كان يوم الحرة قتل اهلي حتى لا يكاد ينفلت منهم احد
واخرج ايضا عن مالك بن انس قال قتل يوم الحرة سبعمائة رجل من حملة القران
منهم ثلث مائة من الصحابة وذلك في خلافة يزيد واخرج ايضا عن مغيرة قال
انتهب ابو مسلم بن عقبة المدينة ثلاثة ايام وافتض بها الف وقال
عليه الصلوة والسلام لابي موسى وهو قاعد على قف بئر اريس لما طرق عثمان
الباب ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه اشارة الى ما يقع من استشهاده
يوم الدار بل اصرح من ذلك كله ما رواه احمد عن ابن عمر قال ذكر رسول الله

صلى الله عليه وسلم فتنة فمر رجل فقال يقتل فيها هذا يومئذ ظلما قال فنظرت
فاذا هو عثمان واسناده صحيح **واخبر** عليه الصلوة والسلام بوقعة الجمل
وصفين وقتال عائشة والزبير عليا كما اخرجه الحاكم وصححه والبيهقي عن ام سلمة
قالت ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم خروج بعض امهات المؤمنين فضحكت عائشة
فقال انظري يا حميراء ان لا تكوني انت ثم التفت الى علي فقال ان وليت من امرها
شيئا فارفق بها **وعن** ابن عباس مرفوعا ايتكن صاحبة الجمل الاحمر تخرج حتى تنبحها
كلاب الحوأب ويقتل حولها قتلى كثيرة تنجو بعد ما كادت رواه البزار وابو نعيم
واخرج الحاكم وصححه والبيهقي عن ابي الاسود قال شهدت الزبير خرج يريد عليا
فقال له علي انشدك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
تقاتله وانت له ظالم فمضى الزبير منصرفا وفي رواية ابي يعلى عند البيهقي
فقال الزبير بلى ولكن نسيت **ومن ذلك** قوله عليه الصلاة والسلام
في الحسن بن علي ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من
المسلمين رواه البخاري فكان كما قال عليه الصلوة والسلام لما قتل علي ابن
ابي طالب بايع الحسن اكثر من اربعين الفا فبقي سبعة اشهر خليفة بالعراق وما
وراء النهر عن خراسان ثم سار الى معاوية وسار معاوية اليه فلما تراءى الجمعان
بموضع يقال له مسكن بناحية الانبار من ارض السواد فعلم ان يغلب احد الفئتين
حتى يذهب اكثر الاخرى فكتب الى معاوية يخبره انه يصير الامر اليه على ان يشترط
عليه ان لا يطلب احد من اهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان في ايام
معاوية فاجاب معاوية الا عشرة فلم يزل يراجعه حتى بعث اليه برق ابيض
وقال اكتب ما شئت فيه فانا التزمه واصطلحا على ذلك فكان الامر كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين **واخرج**
الدولابي ان الحسن قال كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمت ويحاربون
من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله تعالى وحقن دماء المسلمين **ومن ذلك** اعلامه
عليه الصلوة والسلام بقتل الحسين بالطف واخذ بيده تربة وقال فيها مضجعه
رواه البغوي في معجمه من حديث انس بن مالك بلفظ استاذن ملك القطر ان يزور
النبي صلى الله عليه وسلم فاذن له وكان في يوم ام سلمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
يا ام سلمة احفظي علينا الباب لا يدخل احد فبينا هي على الباب اذ دخل الحسين
فاقتحم فوثب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلتثمه ويقبله فقال له الملك اتحبه قال نعم قال ان امتك ستقتله وان شئت

اريتك المكان الذي يقتل به فاراه فجاء بسهلة او تراب احمر فاخذته ام سلمة فجعلته
في ثوبها قال ثابت كنا نقول انها كربلاء وخرجه ابو حاتم في صحيحه ورواه احمد بنحوه
والسهلة بالكسر رمل حسن ليس بالدقاق الناعم وفي رواية الملاء قال ثم ناولني
كفا من تراب احمر وقال ان هذه من تربة الارض التي يقتل بها فمتى صار دما فاعلمي
انه قد قتل قالت ام سلمة فوضعته في قارورة عندي وكنت اقول ان يوما يتحول فيه
دما ليوم عظيم الحديث **فاستشهد** الحسين كما قال عليه الصلوة والسلام
بكربلاء من ارض العراق بناحية الكوفة ويعرف الموضع ايضا بالطف و
قتله سنان بن انس النخعي وقيل غيره ولما قتلوه بعثوا برأسه الى يزيد فنزلوا اول
مرحلة فجعلوا يشربون بالراس فبينما هم كذلك اذ خرجت عليهم من الحائط يد معها
قلم من حديد فكتبت سطرا بدم | اترجوا امة قتلت حسينا
شفاعة جده يوم الحساب | فهربوا وتركوا الراس ثم خرجوا منصرفين
ابن عمار **وذكر** ابو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة عن نضرة الازدية انها قالت
لما قتل الحسين بن علي امطرت السماء دما فاصبحنا وجبابنا وجرارنا مملوءة
دما وكذا روي في احاديث غير هذا وقال عليه الصلاة والسلام لعمار
تقتلك الفئة الباغية رواه البخاري ومسلم فكان كما قاله عليه الصلاة والسلام
ومن ذلك ما رواه عمر بن عبد البر ان عبد الله ابن عمر رأى رجلا مع النبي صلى
الله عليه وسلم ارايته قال نعم قال ذاك جبريل اما انك ستفقد بصرك
فعمي في آخر عمره **ومن ذلك** قوله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس
تعيش حميدا وتقتل شهيدا رواه الحاكم وصححه والبيهقي وابو نعيم فقتل يوم مسيلمة
الكذاب باليمامة **ومن ذلك** قوله لعبد الله بن الزبير ويل لك من الناس وويل
للناس منك فكان من امره مع الحجاج ما كان **ومن ذلك** حديث ابي هريرة انه
صلى الله عليه وسلم قال ان هذا الدين بدا نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة
ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون سلطانا وجبرية **وقوله** ملكا عضوضا اي يصيب
الرعية فيه عسف وظلم كانهم يعضون فيه عضا **وفي** حديث سفينة
عند ابي داود والترمذي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة في
امتي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا بعد ذلك قال سعيد بن جمهان امسك خلافة
ابي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان وخلافة علي فوجدناها ثلاثين سنة
فقيل له بني امية يزعمون ان الخلافة فيهم فقال كذب بنو الزرقاء بل هم ملوك من
شر الملوك **واخرج** ابو نعيم عن ابن عباس ان ام الفضل مرت به صلى الله عليه وسلم

فقال انك حامل بغلام فاذا ولدتيه فأتيني به قالت فلما ولدته اتيته به
فأذن في اذنه اليمنى واقام في اذنه الاخرى والباه من ريقه وسماه عبد الله
وقال اذهبي بابي الخلفاء فاخبرت العباس فاتاه فذكر له فقال هو ما اخبرتك
هذا ابو الخلفاء حتى يكون منهم السفاح حتى يكون منهم المهدي حتى يكون منهم من
يصلي بعيسى ابن مريم واخرج ابو يعلى عن معاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لتظهرن الترك على العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم
ومن ذلك اخباره عليه الصلوة والسلام بعالم المدينة اخرج الحاكم وصححه
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك ان الناس ان
يضربوا اكباد الابل فلا يجدوا عالما اعلم من عالم المدينة قال سفيان ابن عيينة
نرى هذا العالم مالك ابن انس وقال ابو عبد الرزاق ولم يعرف لهذا الاسم
غيره ولا ضربت اكباد الابل الى احد مثل ما ضربت اليه وقال ابو مصعب كان
الناس يزدحمون على باب مالك ويقتتلون عليه من الزحام يعني لطلب العلم
وممن روى عنه من الائمة المشهورين محمد ابن شهاب الزهري والسفيانان والشافعي
والاوزاعي امام اهل الشام والليث ابن سعد امام اهل مصر وابو حنيفة النعمان
ابن ثابت الامام وصاحباه ابو يوسف ومحمد بن الحسين وعبد الرحمن ابن مهدي
شيخ الامام احمد ويحيى ابن يحيى شيخ البخاري ومسلم وذو النون المصري والفضيل
ابن عياض وعبد الله ابن المبارك وابراهيم ابن ادهم كما نقله العلامة عيسى الزواوي
في كتابه المنهج السالك الى معرفة قدر الامام مالك واخباره بعالم قريش عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ طباق
الارض علما رواه ابو داود الطيالسي في مسنده وفيه الجارود مجهول لكن له
شواهد عن ابي هريرة من تاريخ بغداد للخطيب وعن علي وابن عباس في المدخل
للبيهقي قال الامام احمد وغيره هذا العالم هو الشافعي لانه لم ينتشر في طباق الارض
من علم عالم قريشي من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم الشافعي وما كان الامام احمد لينكر
حديثا موضوعا يحتج به او يستانس به في امر شيخه الشافعي واما قوله ورد عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال عالم قريشي الخ اتى بصيغة التمريض احتياطا للشك في
ضعفه فان اسناده لا يخلو من الضعف قاله العراقي ردا على الصغاني في زعمه
انه موضوع وقد جمع الحافظ ابن حجر طرقه في كتاب سماه لذة العيش في طرق حديث
الائمة من قريش كما افاده شيخنا واخبر عليه الصلوة والسلام بان طائفة من امته
لا يزالون ظاهرين على الحق حتى يأتي امر الله رواه الشيخان من حديث المغيرة بن شعبة

وبان الله تعالى يبعث الى هذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها
رواه الحاكم من حديث ابي هريرة وبذهاب الامثل بالامثل رواه الحاكم وصححه
بلفظ تذهبون الخير فالخير وبالخوارج رواه الشيخان من حديث ابي سعيد الخدري بلفظ
بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما اذ اتاه ذو الخويصرة فقال
يا رسول الله اعدل قال ويلك ومن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل
فقال عمر يا رسول الله دعني اضرب عنقه فقال عليه الصلوة والسلام دعه فان له
اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ويقرؤون القرآن
ولا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية آيتهم رجل اسود
احدى عضديه مثل ثدي المرأة او مثل البضعة تدردر يخرجون على خير فرقة من
الناس قال ابو سعيد فاشهد اني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
واشهد ان علي ابن ابي طالب قاتلهم وانا معه وامر بذلك الرجل فالتمس فوجد
فاتي به حتى نظرت اليه على نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نعته
واخبر عليه الصلوة والسلام ايضا بالرافضة اخرج البيهقي عن علي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكون في امتي قوم يسمون الرافضة يرفضون الاسلام واخبر
ايضا بالقدرية والمرجئة وقال هم مجوس هذه الامة رواه الطبراني في الاوسط عن
انس وقد اخبر عليه الصلاة والسلام اصحابه باشياء بين موته وبين الساعة و
حذر من مفاجاتها كما يحذر من حاد عن الطاعة وان الساعة لا تقوم حتى تظهر
جملة من الامارات في العالم فاذا جاءت الطامة الكبرى يطيش منها الجاهل والعالم
كما روي من رفع الامانة والقرآن وكثرة الخيانة وحسد الاقران وقلة الرجال وكثرة
النسوان الى غير ذلك مما شهدت بصحته الاخبار وقضى بحقيقته وقوعه الاعتبار
وقد تعين ان نلم بذكر طرف من الآثار الصحاح والحسان فروى البخاري من حديث
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تقتتل
فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة وحتى يبعث
دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله وحتى يقبض العلم
وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان ويظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل
وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم الرجل من يقبل صدقته وحتى يعرضه
فيقول الذي يعرضه عليه لا ارب لي فيه وحتى يتطاول الناس في البنيان وحتى يمر
الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه وحتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت
ورآها الناس اجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل

او كسبت في ايمانها خيرا ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه
ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن
الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد دفع اكلته الى
فيه فلا يطعمها **فهذه** ثلاث عشرة علامة جمعها ابو هريرة في حديث واحد
ولم يبق بعد هذا ما ينظر من صحيح العلامات والاشراط وقد ظهر اكثر هذه العلامات
واما قوله حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحد فيريد فتنة معاوية وعلي بصفين
قال القاضي ابو بكر ابن العربي وهذا اول خطب طرق الاسلام **وتعقبه** القرطبي بان
اول امر دهم الاسلام موت النبي صلى الله عليه وسلم ثم بعده موت عمر لان بموته صلى
الله عليه وسلم انقطع الوحي وكان اول ظهور الشر ارتداد العرب وغير ذلك وبموت
عمر سل سيف الفتنة فقتل عثمان وكان من قضاء الله وقدره ما كان ويكون **واما**
قوله دجالون كذابون قريب من ثلاثين فقد جاء عددهم معينا من حديث حذيفة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في امتي دجالون كذابون سبعة وعشرون
منهم اربع نسوة وانا خاتم النبيين لا نبي بعدي اخرجه الحافظ ابو نعيم وقال هذا حديث
غريب قال القاضي عياض هذا الحديث قد ظهر فلو عد من تنبأ من زمن النبي صلى الله
عليه وسلم الى الآن ممن اشتهر بذلك لوجد هذا العدد ومن طالع كتب التواريخ عرف صحة
هذا **وقوله** وحتى يقبض العلم فقد قبض العلم ولم يبق الا رسمه واما الزلازل فوقع
منها شيء كثير وقد شاهدنا بعضها **واما قوله** حتى يكثر فيكم المال فيفيض وحتى يهم
رب المال من يقبل صدقته فهذا مما لم يقع **وقوله** حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول
يا ليتني مكانه لما يرى من عظيم البلاء ورياسة الجهلاء وخمول العلماء وغير ذلك
مما ظهر كثير منه **وفي** حديث ابي هريرة عند الشيخين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز تضيء لها اعناق الابل ببصرى وقد خرجت
نار عظيمة على قرب مرحلة من المدينة وكان بدؤها زلزلة عظيمة في ليلة الاربعاء بعد
العشاء ثالث جمادى الآخرة سنة اربع وخمسين وستمائة وفي يوم الثلاثاء اشتدت
حركتها وعظمت رجفتها وتتابعت حطمتها وارتجت الارض بمن عليها وعجت الاصوات
لباريها ودامت الحركة اثر الحركة حتى ايقن اهل المدينة بوقوع الهلكة وزلزلوا زلزالا
شديدا من جملته ثمانية عشر حركة في يوم واحد دون ليلته قال القرطبي وكان يطلي المدينة
بركته صلى الله عليه وسلم نسيم بارد وشوهد من هذه النار غليان كغليان البحر
وانتهت الى قرية من قرى اليمن فاحرقتها قال وقال لي بعض اصحابنا ولقد رأيتها صاعدة في
الهواء من مسيرة خمسة ايام وسمعت انها رئيت من مكة ومن جبال بصرى وقال الشيخ

قطب

تاريخ سنة وفاة الخفاجي
... والعونق للصحو

قطب الدين القسطلاني اقامت اثنين وخمسين يوما قال وكان انطفاؤها في السابع
والعشرين من شهر رجب ليلة الاسرى والمعراج به صلى الله عليه وسلم وبالجملة فالتيفاء
الكلام على هذه النار يخرج عن المقصود وقد نبه عليها القرطبي في التذكرة وافردها بالتأليف
الشيخ قطب الدين القسطلاني في كتاب سماه جمل الايجاز في الاعجاز بنار الحجاز **المقصد**
التاسع في لطيفة من لطائف عباداته صلى الله عليه وسلم **قال الله تعالى** مخاطبا
له صلى الله عليه وسلم ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد
ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين **فامره** تعالى بعبادته حتى
يأتيه الموت وهو المراد باليقين وانما سمي الموت باليقين لانه امر متيقن **فان قيل**
ما الفائدة في قوله حتى يأتيك اليقين وكان قوله واعبد ربك كافيا في الامر بالعبادة
واجاب القرطبي تبعا للعزيزي بانه لو قال واعبد ربك مطلقا ثم عبده مرة واحدة كان
مطيعا ولما قال حتى يأتيك اليقين اي اعبد ربك في جميع زمان حياتك ولا تخل
لحظة من لحظات الحياة من هذه العبادات كما قال العبد الصالح واوصاني بالصلاة
والزكاة ما دمت حيا هذا مصيرا منه الى ان الامر المطلق لا يفيد التكرار وهي
مسئلة معروفة في كتب الاصول اختلف فيها وهي هل الامر المطلق يفيد التكرار
او المرة الواحدة او لا يفيد شيئا منهما على مذاهب **الاول** انه لا يفيد التكرار ولا ينافيه
بل انما يفيد طلب فعل المأمور به من غير اشعار بالمرة او المرات لكن المرة ضرورية لاجل
تحقيق الامتثال اذ لا توجد الماهية باقل منها وهذا مختار الامام مع نقله له عن الاقلين
ورجحه الآمدي وابن الحاجب وغيرهما **الثاني** انه يفيد التكرار مطلقا كما ذهب اليه الاستاذ
ابو اسحاق الاسفرايني وابو حاتم القزويني فان عين للتكرار امد استوعبه والا استوعب
زمان العمر لكن بحسب الامكان فلا يستوعب زمان قضاء الحاجة والنوم وغيرهما
من الضرورات **الثالث** انه يدل على المرة حكاه الشيخ ابو اسحاق في شرح اللمع عن اكثر
اصحابنا وابي حنيفة وغيرهم وان علق بشرط او صفة اقتضى التكرار بحسب تكرار
المعلق به نحو وان كنتم جنبا فاطهروا ونحو الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة
جلدة انتهى ملخصا من شرح العلامة الاشموني لنظمه جمع الجوامع للعلامة ابن السبكي
وقد روى جبير ابن نفير مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اوحي الي ان اجمع
المال واكون من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد
ربك حتى يأتيك اليقين رواه البغوي في شرح السنة وابو نعيم في الحلية عن ابي مسلم
الخولاني **وقد امر** الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية باربعة اشياء
بالتسبيح والتحميد والسجود والعبادة **واختلف العلماء** في انه كيف صار الاقبال

على مثل هذه الطاعات سببا لزوال ضيق القلب والحزن حكى الامام فخر الدين الرازي
عن بعض المحققين انه قال اذا اشتغل الانسان بمثل هذه الانواع من العبادات انكشفت
له اضواء عالم الربوبية ومتى حصل له ذلك الانكشاف صارت الدنيا بالكلية حقيرة واذا
صارت حقيرة خف على القلب فقدانها ووجدانها فلا يستوحش من فقدانها ولا
يستريح بوجدانها وعند ذلك يزول الحزن والغم وقال اهل السنة اذا نزل بالعبد
بعض المكاره فزع الى الطاعات كانه يقول يجب علي عبادتك سواء اعطيتني الخيرات
او القيتني في المكروهات وقال تعالى فاعبده واصطبر لعبادته فامره تعالى عليه الصلوة
والسلام بالعبادة والمصابرة على مشاق التكاليف في الانذار والابلاغ فان
قلت لم لم يقل واصطبر على عبادته بل قال واصطبر لعبادته فالجواب لان العبادة
حصلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد
عليك من مشاقه والمعنى ان العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها
قاله الفخر الرازي وكذا البيضاوي وقال تعالى ولله غيب السموات والارض واليه
يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه فاول درجات السير الى الله تعالى عبوديته
وآخرها التوكل عليه واذا كان العبد لا يزال مسافرا الى ربه لا ينقطع سيره اليه
ما دام في قيد الحياة محتاج الى زاد العبادة لا يستغني عنه البتة ولو اتى باعمال
الثقلين جميعا وكلما كان العبد الى الله تعالى اقرب كان جهاده في الله اعظم قال
تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اعظم
الخلق اجتهادا وقياما بوظائف العبادة ومحافظة عليها الى ان توفاه الله تعالى
وتأمل اصحابه رضي الله تعالى عنهم فانهم كانوا كلما ترقوا في القرب مقاما عظم جهادهم
ولا يلتفت الى ما يظنه بعض المنتسبين الى التصوف حيث قال القرب الحقيقي
ينقل العبد من الاعمال الظاهرة الى الاعمال الباطنة ويريح الجسد والجوارح من
كد العمل زاعما بذلك سقوط التكاليف وهؤلاء اعظم كفرا والحادا حيث عطلوا
العبودية وظنوا انهم استغنوا عنها بما حصل من الخيالات الباطنة التي هي من
اماني النفس وخدع الشيطان فلو وصل العبد من القرب الى اعلى مقام ينال
العبد لما سقط عنه من التكليف مثقال ذرة ما دام قادرا عليه وقد اختلف العلماء
هل كان عليه الصلوة والسلام قبل بعثته متعبدا بشرع من قبله فقال جماعة لم يكن
متبعا لشيء وهو قول الجمهور واحتجوا بانه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره
في العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة
ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة وذهبت طائفة الى امتناع ذلك

عقلاه قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا والتعليل الاول المستند
الى النقل اولى وذهب آخرون الى الوقف في امره صلى الله عليه وسلم وترك
قطع الحكم عليه بشيء في ذلك اذ يحتمل الوجهين منها العقل وهذا مذهب الامام
ابي المعالي وكذا الغزالي والآمدي وقال آخرون كان عاملا بشرع من قبله ثم
اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم على التعيين واحجم
وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع
فقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى فهذه جملة المذاهب في هذه
المسئلة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين
اذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمنا ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى
عليه السلام آخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعده اذ لم يثبت عموم دعوة
عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا صلى الله عليه وسلم انتهى
ملخصا من كلام القاضي عياض وهو كلام حسن بديع لكن قوله فهذه جملة المذاهب
فيه نظر لانه بقي عليه منها شيء فقد قيل شريعة آدم ايضا وهو محكي عن برهان
وقيل جميع الشرائع حكاه صاحب المحصول عن المالكية واما من قال انه عليه الصلوة
والسلام كان على شريعة ابراهيم وليس له شرع هو منفرد به وان المقصود
من بعثته صلى الله عليه وسلم احياء شرع ابراهيم وعول في اثبات مذهبه
على قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا فهذا قول ساقط
مردود لا يصدر مثله الا عن سخيف العقل كثيف الطبع وانما المراد بهذه الآية
الاتباع في التوحيد لانه لما وصف ابراهيم عليه السلام في هذه الآية بانه ما كان
من المشركين فلما قال ان اتبع كان المراد ذلك ومثله قوله تعالى اولئك الذين هدى
الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم يكن له شريعة تخصه
كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في
هذه الآية وشرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينهما فدل على ان المراد ما اجتمعوا عليه
من التوحيد وعبادة الله تعالى فان قيل النبي صلى الله عليه وسلم انما نفى الشرك
واثبت التوحيد بناء على الدلائل القطعية واذا كان كذلك لم يكن متابعا لاحد
فيمتنع حمل قوله ان اتبع على هذا المعنى فوجب حمله على الشرائع التي يصح حصول
المتابعة فيها اجاب الفخر الرازي بانه يحتمل ان يكون المراد الامر بمتابعته في كيفية
الدعوة الى التوحيد وهو ان يدعو اليه بطريق الرفق والسهولة وايراد الدلائل مرة بعد اخرى
بانواع كثيرة على ما هو الطريقة المألوفة في القرآن وقد قال صاحب الكشاف لفظة

ثم في قوله ثم أوحينا إليك تدل على تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وإجلال محله فإن أشرف ما أوتي خليل الله من الكرامة وأجل ما أوتي من
النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل أن هذه اللفظة دلت
على تباعد النعت في المرتبة على سائر المدائح التي مدحه الله تعالى بها انتهى ومراده
بالمدائح المذكورة في قوله إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين
شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة و
إنه في الآخرة لمن الصالحين وقال ابن العربي في شرح تقريب الأسبانية وليت شعري
كيف تلك العبادة وأي أنواعها هي وعلى أي وجه فعلها يحتاج ذلك لنقل ولا
استحضره الآن انتهى وقال شيخ الإسلام البلقيني في شرح البخاري ولم يجئ في الأحاديث
التي وقفنا عليها كيفية تعبده عليه الصلوة والسلام ولكن روى ابن إسحق وغيره
أنه عليه الصلوة والسلام كان يخرج إلى حراء في كل عام شهرا من السنة يتنسك
فيه وكان من نسك قريش في الجاهلية أن يطعم الرجل من جاءه من المساكين حتى
إذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالبيت وحمل بعضهم التعبد
على التفكر قال وعندي أن هذا التعبد يشتمل على أنواع وهي الانعزال عن الناس
كما صنع إبراهيم عليه السلام باعتزال قومه والانقطاع إلى الله تعالى فإن انتظار
الفرج عبادة كما رواه علي بن أبي طالب مرفوعا وينضم إلى ذلك الأفكار وعن بعضهم
كانت عبادته عليه الصلاة والسلام في حراء التفكر انتهى وقد آن أن أشرع
فيما قصدته على النحو الذي أردته وقد اقتصرت من عباداته صلى الله عليه وسلم على سبعة
أنواع النوع الأول في الطهارة وفيه فصول الأول في ذكر وضوئه صلى الله عليه
وسلم وسواكه ومقدار ما كان يتوضأ به اعلم أن الوضوء بالضم الفعل وبالفتح الماء
الذي يتوضأ به على المشهور فيهما وهو مشتق من الوضاءة وسمي به لأن المصلي يتنظف
به فيصير وضيئا وقد استنبط بعض العلماء كما حكاه في فتح الباري إيجاب النية في
الوضوء من قوله تعالى إذا قمتم إلى الصلوة فاغسلوا لأن التقدير إذا أردتم القيام إلى
الصلوة فتوضؤوا لأجلها ومثله قولهم إذا رأيت الأمير فقم أي لأجله قال ابن القيم
لم يرو أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول في أول وضوئه نويت رفع الحدث ولا غيرها
لا هو ولا أصحابه البتة ولم يرو عنه لا بسند صحيح ولا ضعيف انتهى قلت أما التلفظ
بالنية فلا يعلم أنه روي عنه صلى الله عليه وسلم وأما كونه أتى بها فقد قال
الإمام فخر الدين الرازي في المعالم اعلم أنا إذا أردنا في أمر من الأمور أنه هل فعله الرسول
صلى الله عليه وسلم قلنا إلى إثباته طرق الأول أنا إذا أردنا أن نعرف أنه عليه الصلاة والسلام

والسلام توضأ مع النية والترتيب قلنا لا شك أن الوضوء مع النية والترتيب
أفضل والعلم الضروري حاصل بأن أفضل الخلق لم يواظب على ترك الأفضل
طول عمره فثبت أنه أتى بالوضوء المرتب المنوي فوجب أن يجب علينا مثله
والطريق الثاني أن نقول لو أنه عليه الصلوة والسلام ترك النية والترتيب وجب
علينا تركه للدلائل الدالة على وجوب الاقتداء به ولما لم يجب علينا تركه ثبت أنه ما تركه
بل فعله وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عمر مرفوعا إنما الأعمال بالنية وإنما لكل
امرئ ما نوى قال البخاري فدخل فيه الإيمان والوضوء والصلوة والزكوة والحج والصوم والأحكام
وأشار بذلك الوضوء إلى خلاف من لم يشترط فيه النية كما نقل عن الأوزاعي وأبي حنيفة
وغيرهما وحجتهم أنه ليس عبادة مستقلة بل وسيلة إلى عبادة كالصلوة ونوقضوا
بالتيمم فإنه وسيلة وقد اشترط الحنفية فيه النية واستدل الجمهور على اشتراط النية في الوضوء
بالأدلة الصحيحة المصرحة بوعد الثواب عليه فلا بد من قصد يميزه عن غيره ليحصل الثواب
الموعود به وقوله إنما الأعمال بالنيات ليس المراد منه نفي ذات العمل لأنه قد يوجد بغير نية بل المراد
نفي أحكامها كالصحة والكمال لكن الحمل على نفي الصحة أولى لأنه أشبه بنفي الشيء نفسه ولأن
اللفظ دل على نفي الذات بالتصريح وعلى نفي الصفات بالتبع فلما منع الدليل نفي الذات
بقيت دلالته على نفي الصفات مستمرة قال ابن دقيق العيد الذين اشترطوا النية قدروا
صحة الأعمال والذين لم يشترطوها قدروا كمال الأعمال ورجح الأول لأن الصحة أكثر لزوما
للحقيقة من الكمال فالحمل عليها أولى وفي هذا الكلام إيهام أن بعض العلماء لا يرى باشتراط
النية وليس الخلاف بينهم في ذلك إلا في الوسائل وأما المقاصد فلا اختلاف بينهم
في اشتراط النية لها ومن ثم خالف الحنفية في اشتراطها للوضوء كما تقدم وخالف الأوزاعي
في اشتراطها في التيمم أيضا نعم بين العلماء اختلاف في اقتران النية بأول العمل كما هو معروف
في مبسوطات الفقه وأما قوله أي البخاري فدخل فيه الإيمان فتوجيه دخول النية في الإيمان
على طريقة البخاري أن الإيمان عمل وأما الإيمان بمعنى التصديق فلا يحتاج إلى نية كسائر أعمال
القلوب من خشية الله وتعظيمه ومحبته والتقرب إليه لأنها متميزة لله فلا تحتاج إلى
نية تميزها لأن النية إنما تميز العمل لله تعالى عن العمل لغيره رياء وتميز مراتب الأعمال
كالفرض عن الندب وتميز العبادة عن العادة كالصوم عن الحمية وقوله أيضا والأحكام
أي المعاملات التي يدخل فيها الاحتياج إلى المحاكمات فيشمل البيوع والأنكحة والأقارير
وغيرها وكل صورة لم يشترط فيها النية فذلك لدليل خاص وقد ذكر ابن المنير ضابطا
لما تشترط فيه النية مما لا تشترط فقال كل عمل لا يظهر له فائدة عاجلة بل المقصود به
طلب الثواب فالنية مشترطة فيه وكل عمل ظهرت فائدته ناجزة وتعاطته

الطبيعة قبل الشريعة لملائمة بينهما فلا تشترط النية فيه الا لمن قصد بفعله معنى
آخر يترتب عليه الثواب قالوا انما اختلف العلماء في بعض الصور من جهة تحقيق
مناط التفرقة قالوا واما ما كان من المعاني المحضة كالخوف والرجاء فهذا لا يقال
باشتراط النية فيه لانه لا يقع الا منويا ومتى فرضت النية مفقودة استحالت حقيقة
فالنية فيه شرط عقلي واما الاقوال فتحتاج الى النية في ثلاثة مواطن احدها التقرب
الى الله تعالى فرارا من الرياء والثاني التمييز عن الالفاظ المحتملة لغير المقصود الثالث
قصد الانشاء ليخرج سبق اللسان انتهى كلام الحافظ ابن حجر في فتح الباري وقد اختلف العلماء
في الوقت الذي وجب فيه الوضوء فقال بعضهم اول ما فرض بالمدينة وتمسك بقوله تعالى
اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم الاية ونقل ابن عبد البر اتفاق اهل السير ان غسل
الجنابة فرض عليه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة كما افترضت الصلاة وانه لم يصل
قط الا بوضوء وقال هذا مما يجهله عالم وقال الحاكم في المستدرك اهل السنة بهم حاجة
الى دليل الرد على من زعم ان الوضوء لم يكن قبل نزول آية المائدة ثم ساق حديث ابن عباس
دخلت فاطمة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقالت هؤلاء الملاء من قريش
قد تعاقدوا ليقتلوك قال ائتوني بوضوء فتوضأ قال الحافظ ابن حجر وهذا يصلح
ان يكون ردا على من انكر وجوبه وقد جزم ابن الجهم المالكي بانه كان قبل الهجرة مندوبا
وجزم ابن حزم بانه لم يشرع الا بالمدينة ورد عليه بما اخرجه ابن لهيعة في المغازي
التي يرويها عن ابي الاسود عن عروة ان جبريل عليه السلام علم النبي صلى الله عليه وسلم
الوضوء عند نزوله عليه بالوحي هو مرسل ووصله احمد من طريق ابن لهيعة ايضا
لكن قال عن الزهري عن عروة عن اسامة ابن زيد عن ابيه واخرجه ابن ماجه من رواية
رشدين بن سعد عن عقيل عن الزهري نحوه لكن لم يذكر زيد بن حارثة في السند
واخرجه الطبراني في الاوسط عن طريق الليث عن عقيل موصولا ولو ثبت لكان على شرط
الصحيح لكن المعروف رواية ابن لهيعة وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتوضأ لكل صلوة قيل له كيف كنتم تصنعون قال يجزئ احدنا الوضوء ما لم يحدث
رواه البخاري وابو داود والترمذي وعن عثمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يتوضأ لكل صلوة فلما كان يوم الفتح صلى الصلوات بوضوء واحد فقال
له عمر فعلت شيئا لم تكن تفعله فقال عمدا فعلته يا عمر يعني لبيان الجواز وفي رواية احمد
وابي داود من حديث عبد الله ابن ابي عامر الغسيل انه صلى الله عليه وسلم امر بالوضوء
لكل صلوة طاهرا كان او غير طاهر فلما شق ذلك عليه امر بالسواك عند كل صلوة ووضع
عنه الوضوء الا من حدث واختلف العلماء في موجب الوضوء فقيل يجب بالحدث

وجوبا

وجوبا موسعا وقيل به وبالقيام الى الصلوة معا ورجحه جماعة من الشافعية
وقيل بالقيام الى الصلوة حسب ويدل له ما رواه اصحاب السنن عن ابن عباس مرفوعا
انما امرت بالوضوء اذا قمت الى الصلوة وقد تمسك بحديث عبد الله ابن ابي عامر
هنا من قال بوجوب السواك عليه صلى الله عليه وسلم لكن في اسناده محمد
ابن اسحاق وقد رواه بالعنعنة وهو مدلس والخصائص لا تثبت الا بدليل صحيح
واخرج الطبراني في الاوسط والبيهقي في السنن عن عائشة مرفوعا ثلاث هن علي
فرائض وهن لكم سنة الوتر والسواك وقيام الليل وروى احمد في مسنده باسناد
حسن من حديث واثلة ابن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت
بالسواك حتى حسبت ان يكتب علي وقد حكى بعضهم الاجماع على انه ليس بواجب
علينا لكن حكى عن بعض الشافعية انه اوجبه للصلوة ونوزع فيه واتفقوا على انه
مستحب مطلقا ويتاكد في احوال منها عند الوضوء وارادة الصلاة ومنها عند
القيام من النوم لما ثبت في الصحيحين من حديث حذيفة انه صلى الله عليه وسلم
كان اذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك لكن قد يقال المراد قام من الليل
للصلوة فيكون المراد السواك للصلوة او عند الوضوء ومنها قراءة القرآن كما جزم
به الرافعي ومنها تغير الفم سواء فيه تغير الرائحة او تغير اللون كصفرة الاسنان كما ذكره
الرافعي ومنها دخول المنزل كما جزم به النووي في زوائد الروضة لما روى مسلم وابو داود
والنسائي وابن ماجه من حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل
بيته يبدأ بالسواك ومنها ارادة النوم كما ذكره الشيخ ابو حامد في الرونق وروي فيه
ما رواه ابن عدي في الكامل من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يستاك اذا اخذ مضجعه وفيه حرام ابن عثمان متروك ومنها الانصراف من صلاة
لما روى ابن ماجه من حديث ابن عباس باسناد صحيح قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلي بالليل ركعتين ركعتين ثم ينصرف فيستاك ويجزئ بكل خشن ولو
باصبع غيره الخشنة وقد جزم النووي في شرح المهذب ودقائق المنهاج انه يجزئ بها
قطعا قال في شرح تقريب الاسانيد وما ادري ما وجه التفرقة بين اصبعه واصبع
غيره وكونه جزءا منه لا يظهر منه ما يقتضي منعه بل كونها اصبعه ابلغ في الازالة لانه يتمكن
بها اكثر من تمكن غيره ان يسوكه باصبعه لا جرم قال النووي في شرح المهذب المختار اجزاؤه
مطلقا قال وبه قطع القاضي حسين والمحاملي في اللباب والبغوي واختاره في البحر انتهى وقد
اطبق اصحاب الشافعي على استحباب الاراك وروى الطبراني من حديث ابي خيرة الصباحي
وله صحبة حديثا قال فيه ثم امر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم باراك فقال استاكوا

بهذا وفي مستدرك الحاكم من حديث عائشة في خروج اخيها عبد الرحمن بن
ابي بكر في مرضه صلى الله عليه وسلم ومعه سواك من اراك فاخذته عائشة
فطيبته ثم اعطته رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستن به والحديث في الصحيح
وليس فيه ذكر الاراك وفي بعض طرقه عند البخاري ومعه سواك من جريد النخل وقد روى
ابو نعيم في كتاب السواك من حديث عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم
يستاك عرضا وروى البيهقي ايضا من حديث ربيعة ابن اكثم قالت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يستاك عرضا الحديث قال اصحابنا والمراد بقوله عرضا عرض الاسنان
في طول الفم وهل الاولى ان يباشر المستاك بيمينه او شماله قال بعضهم بيمينه لحديث
كان يعجبه التيامن في ترجله وتنعله وطهوره وسواكه وبناه بعضهم على انه هل هو
من باب التطهير والتطييب او من باب ازالة القاذورات فان قلنا بالاول استحب
ان يكون باليمين وان قلنا بالثاني فبشماله لحديث عائشة كانت يد رسول الله صلى الله
عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه واليسرى لخلائه وما كان من اذى رواه ابو داود
باسناد صحيح قال في شرح التقريب الاسانيد وما استدل به على انه يستحب باليمنى
ليس فيه دلالة فان المراد منه بالشق الايمن في الترجل والبداءة بلبس النعل و
البداءة بالاعضاء اليمنى في التطهير والبداءة بالجانب الايمن في الاستياك واما
كونه صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك بيمينه فيحتاج الى نقل والظاهر انه من باب
ازالة الاذى كالامتخاط ونحوه فيكون باليسرى وقد صرح بذلك ابو العباس القرطبي
فقال في المفهم حكاية عن مالك انه لا يسوك في المساجد لانه من باب ازالة القذر
والله اعلم **واما مقدار ما كان** عليه الصلاة والسلام يتوضأ به ويغتسل من الماء
فعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع الى خمسة
امداد ويتوضأ بالمد **وفي رواية** كان يغتسل بخمسة مكاكيك ويتوضأ بمكوك
رواه البخاري ومسلم وابو داود **وعنده** يتوضأ باناء يسع رطلين ويغتسل
بالصاع رواه الترمذي **وعنده** انه صلى الله عليه وسلم قال يجزي في الوضوء رطلان
من ماء **وعن** عائشة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع و
يتوضأ بالمد رواه ابو داود **وعن** ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم و
ميمونة كانا يغتسلان من اناء واحد **والصاع** خمسة ارطال وثلث برطل
بغداد وهو على ما قاله النووي مائة وثمانية وعشرون درهما واربعة اسباع درهم
وحذر صلى الله عليه وسلم امته من الاسراف فيه ومر بسعد وهو يتوضأ
فقال ما هذا السرف يا سعد قال افي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار

رواه

رواه احمد باسناد لين من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص قال صلى الله
عليه وسلم ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء رواه الترمذي
من حديث ابي ابن كعب **الفصل الثاني** في وضوئه صلى الله عليه وسلم مرة مرة ومرتين
مرتين وثلاثا ثلاثا عن ابن عباس قال توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
مرة مرة رواه البخاري وابو داود وغيرهما وهو بيان لمجمل قوله تعالى اذا قمتم
الى الصلوة فاغسلوا الآية اذ الامر يفيد طلب ايجاد الحقيقة ولا يتعين العدد
فبين الشارع ان المرة الواحدة للايجاب وما زاد عليها للاستحباب **واما** حديث
ابي ابن كعب انه صلى الله عليه وسلم فتوضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لا
يقبل الله الصلاة الا به ففيه بيان للقول والفعل معا لكنه حديث ضعيف
اخرجه ابن ماجه وله طرق اخرى كلها ضعيفة كما قاله في فتح الباري وعن عبد الله
ابن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ مرتين مرتين وقال هو
نور على نور ذكره رزين **وعن** عثمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا رواه احمد ومسلم **وعنه** ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي
ووضوء ابراهيم ذكره رزين وضعفه النووي في شرح مسلم كما حكاه في مشكاة
المصابيح ولم يأت في شيء من الاحاديث المرفوعة في صفة وضوئه صلى الله عليه
وسلم انه زاد على ثلاث بل روي عنه انه نهى عن الزيادة على الثلاث فعن عمرو بن
شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا ثم
قال من زاد على هذا او نقص فقد اساء وظلم رواه ابو داود واسناده جيد لكن
عده مسلم في جملة ما انكروه على عمرو بن شعيب لان ظاهره ذم النقص عن
الثلاث **واجيب** بانه امر نسبي والاساءة تتعلق بالنقص والظلم بالزيادة
وقيل فيه حذف تقديره من نقص من واحدة ويؤيده ما رواه نعيم ابن حماد من
طريق المطلب ابن حنطب مرفوعا الوضوء مرة ومرتين وثلاثا فان نقص
من واحدة او زاد على ثلاثة فقد اخطأ وهو مرسل رجاله ثقات **واجيب**
عن الحديث ايضا بان الرواة لم يتفقوا على ذكر النقص فيه بل اكثرهم يقتصر
على قوله فمن زاد فقط كذا رواه ابن خزيمة في صحيحه قال الشافعي لا احب ان
يزيد المتوضي على ثلاث فان زاد لم اكرهه اي لم احرمه لان قوله لا احب
يقتضي الكراهة وهذا هو الاصح عند الشافعية انه يكره كراهة تنزيه وحكى
الدارمي من الشافعية عن قوم ان الزيادة على الثلاث تبطل الوضوء كالزيادة

في الصلوة وهو قياس فاسد وقال احمد واسحاق وغيرهما لا تجوز الزيادة على الثلاث
وقال ابن المبارك لا آمن ان يأثم ويلزم من القول بتحريم الزيادة على الثلاث او
كراهتها انه لا يندب تجديد الوضوء على الاطلاق الفصل الثالث في صفة
وضوئه صلى الله عليه وسلم عن عثمان بن عفان رض انه دعا باناء فافرغ على
يديه ثلاث مرات فغسلهما ثم ادخل يمينه في الاناء فمضمض واستنشق
ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه ثلاثا الى المرفقين ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه
ثلاث مرات الى الكعبين ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ
نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه
رواه البخاري وقد استدل بعضهم بقوله ثم ادخل يمينه على عدم اشتراط
نية الاغتراف فليس في هذا الحديث ما يثبتها ولا ما ينفيها قال الغزالي مجرد الاغتراف
لا يصير الماء مستعملا لان الاستعمال انما يقع في المغترف منه وبهذا قطع
البغوي وقد ذكروا في حكمة تاخير غسل الوجه انه لاعتبار اوصاف الماء لان اللون
يدرك بالبصر والطعم يدرك بالفم والريح بالانف فقدمت المضمضة والاستنشاق
قبل الوجه وهو مفروض احتياطا للعبادة وقال النووي في قوله نحو وضوئي انما لم
يقل عليه الصلوة والسلام مثل لان حقيقة مماثلته لا يقدر عليها غيره لكن تعقبه
في فتح الباري بانه ثبت التعبير بها في رواية البخاري من طريق معاذ ابن عبد الرحمن
عن حمران عن عثمان ولفظه من توضأ مثل وضوئي هذا وفي الصيام من رواية معمر
من توضأ وضوئي هذا ولمسلم من طريق زيد بن اسلم عن حمران توضأ مثل وضوئي
هذا قال وعلى هذا فالتعبير بنحو من تصرف الرواة لانها تطلق على المثلية مجازا ولان مثل
وان كانت تقتضي المساواة ظاهرا لكنها تطلق على الغالب فبهذا تلتئم الروايتان
ويكون المتروك بحيث لا يخل بالمقصود انتهى وعن عبد الله ابن زيد بن عاصم
الانصاري انه قيل له توضأ لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا
باناء فاكفأ منه على يديه فغسلهما ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل وجهه
ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل يديه الى المرفقين مرتين مرتين ثم ادخل يده
فاستخرجها فمسح برأسه فاقبل بيديه وادبر ثم غسل رجليه الى الكعبين ثم قال
هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية فاقبل بهما وادبر
بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذي
بدأ منه رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود والترمذي والنسائي وفي رواية لابي
داود ثم مسح برأسه واذنيه ظاهرهما وباطنهما وفي اخرى له ومسح باذنيه ظاهرهما

وباطنهما

وباطنهما وادخل اصابعه في صماخي اذنيه وفي رواية ابي داود والترمذي والنسائي عن عبد
خير ابي عمارة ابن يزيد ابن خولي بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وتشديد الياء الهمداني من
كبار اصحاب علي بن ابي طالب قال اتانا علي وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور
وقد صلى ما يريد الا ليعلمنا فاتانا باناء فيه ماء وطست فافرغ من الاناء على يمينه
فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنثر ثلاثا فمضمض ونثر من الكف الذي يأخذ فيه
ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا وغسل يده اليسرى ثم جعل يده في الاناء فمسح
برأسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ورجله اليسرى ثلاثا ثم قال من سره
ان يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو هذا قال ابن القيم والصحيح انه
صلى الله عليه وسلم لم يكرر مسح رأسه انتهى وقال النووي والاحاديث الصحيحة فيها
المسح مرة واحدة وفي بعضها الاقتصار على قوله مسح واحتج الشافعي بحديث عثمان
رضي الله عنه في صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا وبالقياس
على باقي الاعضاء انتهى واجيب بانه مجمل مبين في الروايات الصحيحة ان المسح لم
يتكرر فيحمل على الغالب ويخص بالمغسول وبان المسح مبني على التخفيف فلا يقاس
على الغسل الذي المراد منه المبالغة في الاسباغ وبان العدد لو اعتبر في المسح لصار
في صورة الغسل اذ حقيقة الغسل جريان الماء واحتج الشافعية ايضا بما رواه ابو داود
في سننه من حديث عثمان من وجهين وصحح احدهما ابن خزيمة انه صلى الله عليه وسلم
مسح رأسه ثلاثا وفي رواية ابي داود ايضا والترمذي من حديث الربيع بنت معوذ
فغسل كفيه ثلاثا ثلاثا ووضأ وجهه ثلاثا وتمضمض واستنشق مرة ووضأ يديه
ثلاثا ومسح برأسه مرتين بدأ بمؤخر رأسه ثم بمقدمه وباذنيه كلتيهما ظهورهما وبطونهما
ووضأ رجليه ثلاثا ثلاثا وقد اجاب العلماء عن احاديث مرة واحدة بان ذلك لبيان
الجواز ويؤيده رواية مرتين هذه وقال السمعاني كما حكاه في فتح الباري اختلاف الرواية
يحمل على التعدد فيكون مسح تارة مرة وتارة ثلاثا وليس في رواية مسح مرة حجة على
منع التعدد ويحتج للتعدد بالقياس على المغسول لان الوضوء طهارة حكمية ولا فرق
في الطهارة الحكمية بين الغسل والمسح قال ومن اقوى الادلة على عدم العدد الحديث
المشهور الذي صححه ابن خزيمة وغيره من طريق عبد الله بن عمرو بن العاص في صفة الوضوء
بعد ان فرغ من زاد على هذا فقد اساء وظلم فان في رواية سعيد ابن منصور
التصريح بانه مسح رأسه مرة واحدة فدل على ان الزيادة في مسح الرأس على
المرة غير مستحبة ويحمل ما ورد من الاحاديث في تثليث المسح ان صحت على ارادة
الاستيعاب بالمسح لا انها مسحات مستقلة لجميع الرأس جمعا بين الادلة انتهى

وفي حديث عبد الله بن زيد المتقدم عند البخاري الذي ذكرته قبل ثم مسح رأسه
بيده فاقبل بهما وادبر وفي رواية بدأ بمقدم رأسه حتى ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما
الى المكان الذي بدأ منه وزاد ابن الطباع بعد قوله ثم مسح رأسه كله كما هو في رواية ابن
خزيمة وفي رواية غيره كما قدمته برأسه بزيادة الباء موافقة لقوله وامسحوا برؤسكم
وارجلكم قال البيضاوي الباء اي في الآية مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين
قولك مسحت المنديل وبالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى
الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف
ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله واغسلوا وجوهكم انتهى وقال الشافعي احتمل
قوله تعالى وامسحوا برؤسكم جميع الرأس او بعضه فدلت السنة على ان بعضه لا يجزئ
والفرق بينه وبين قوله تعالى وامسحوا بوجوهكم في التيمم ان المسح فيه بدل عن
الغسل ومسح الرأس اصل فافترقا ولا يرد كون مسح الخف بدلا عن غسل الرجل لان
الرخصة فيه تثبت بالاجماع وقد روي من حديث عطاء انه صلى الله عليه وسلم توضأ
فحسر العمامة عن رأسه ومسح مقدم رأسه وهو مرسل لكنه اعتضد بمجيئه من وجه
موصولا اخرجه ابو داود من حديث انس وفي اسناده ابو معقل لا يعرف حاله لكنه
اعتضد كل من المرسل والموصول بالآخر وحصلت القوة من الصورة وهذا مثال
لما ذكره الشافعي من ان المرسل يعتضد بمرسل آخر او مسند وفي الباب ايضا عن
عثمان في صفة الوضوء قال ومسح مقدم رأسه اخرجه سعيد بن منصور وفيه
خالد بن يزيد بن ابي مالك مختلف فيه وصح عن ابن عمر الاكتفاء بمسح بعض الرأس
قاله ابن المنذر وغيره فلم يصح عن احد من الصحابة انكار ذلك قاله ابن حزم قال
الحافظ ابن حجر وهذا كله مما يقوى به المرسل المتقدم ذكره انتهى واختلف في
القدر الواجب في مسح الرأس فذهب الشافعي في جماعة الى ان الواجب ما ينطلق
عليه الاسم ولو شعرة واحدة اخذا باليقين وذهب مالك وجماعة الى وجوب
استيعابه اخذا بالاحتياط وقال ابو حنيفة في رواية الواجب ربعه لانه صلى الله
عليه وسلم مسح على ناصيته وهو قريب من الربع والله اعلم وعن طلحة بن مصرف
عن ابيه عن جده قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ والماء
يسيل من وجهه ولحيته على صدره فرأيته يفصل بين المضمضة والاستنشاق رواه
ابو داود وعنه ايضا قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ فمضمض ثلاثا
واستنشق ثلاثا من كف واحد رواه ابن ماجه وفي حديث مسلم ان عثمان دعا باناء
فافرغ على كفيه ثلاث مرات وفي حديث عبد الله بن زيد عند البخاري ثم غسل او مضمض

واستنشق من كف واحد ثم قال هكذا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال النووي فيه السنة في المضمضة والاستنشاق ان ياخذ الماء لهما بيمينه قال وفي الافضل
في كيفية المضمضة والاستنشاق خمسة اوجه الاصح يتمضمض ويستنشق بثلاث
غرفات يتمضمض من كل واحدة ثم يستنشق والثاني يجمع بينهما بغرفة واحدة يتمضمض
منها ثلاثا ثم يستنشق منها ثلاثا والثالث يجمع ايضا بغرفة واحدة ولكن يتمضمض
منها ثم يستنشق ثم يتمضمض منها ثم يستنشق ثم يتمضمض منها ثم يستنشق والرابع
يفصل بينهما بغرفتين فيتمضمض من احديهما ثلاثا ثم يستنشق من الاخرى ثلاثا والخامس
يفصل بستة غرفات يتمضمض بثلاث غرفات ثم يستنشق بثلاث غرفات قال والصحيح
الاول وبه جاءت الاحاديث الصحيحة وقد ذهب الامام احمد وابو ثور الى وجوب
الاستنشاق وهو ان يبلغ الماء الى خياشيمه مستدلين بقوله عليه الصلاة والسلام
في حديث ابي هريرة اذا توضأ احدكم فليجعل في انفه ماء ثم لينتثر لظاهر الامر وحمله
الجمهور ومالك والشافعي واهل الكوفة على الندب لقوله عليه الصلاة والسلام
للاعرابي توضأ كما امرك الله وليس في الآية ذكر الاستنشاق والله اعلم وعند ابي داود
كان عليه الصلاة والسلام يمسح الماقين وعن عثمان انه صلى الله عليه وسلم كان
يخلل لحيته رواه الترمذي وابن ماجه وعنده من حديث ابن عمر كان عليه الصلاة
والسلام اذا توضأ عرك عارضيه بعض العرك ثم شبك لحيته باصابعه من تحتها
وعن انس كان صلى الله عليه وسلم اذا توضأ اخذ كفا من ماء فيدخله تحت
حنكه ويخلل به لحيته ويقول بهذا امرني ربي عز وجل رواه ابو داود وعن ابي رافع
كان صلى الله عليه وسلم اذا توضأ حرك خاتمه رواه ابن ماجه والدارقطني و
ضعف وعن المستورد بن شداد كان صلى الله عليه وسلم اذا توضأ يدلك اصابع
رجليه بخنصره رواه الترمذي وابو داود وابن ماجه وعن عائشة كانت يد رسول
الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه وكانت اليسرى لخلائه وما كان من
اذى وعن المغيرة بن شعبة انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وانه ذهب
لحاجة له وان مغيرة جعل يصب الماء عليه وهو يتوضأ رواه البخاري ومسلم
وعن صفوان بن عسال صببت على النبي صلى الله عليه وسلم الماء في السفر والحضر
في الوضوء رواه ابن ماجه وفي ذلك جواز استعانة الرجل بغيره في صب الماء في الوضوء
من غير كراهة وكذا احضار الماء من باب اولى ولا دليل في هذين الحديثين بجواز الاستعانة
بالمباشرة وقد روى الحاكم في المستدرك من حديث الربيع بنت معوذ انها قالت
اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بوضوء فقال اسكبي فسكبت عليه وهذا اصرح

في عدم الكراهة من الحديثين المذكورين لكونه في الحضر ولكونه بصيغة الطلب والله اعلم وفي الترمذي من حديث معاذ ابن جبل كان صلى الله عليه وسلم اذا توضأ مسح وجهه بطرف ثوبه وعن عائشة كانت له عليه الصلاة والسلام خرقة ينشف بها بعد الوضوء قال الترمذي هذا حديث ليس بالقائم وابو معاذ الراوي ضعيف عند اهل الحديث وقد احتجم صلى الله عليه وسلم فصلى ولم يتوضأ ولم يزد على غسل محاجمه رواه الدارقطني واكل كتف شاة وصلى ولم يتوضأ رواه البخاري ومسلم وللنسائي قال اخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما غيرت النار وشرب صلى الله عليه وسلم لبنا ولم يمضمض ولم يتوضأ وصلى رواه ابو داود واتي بالسويق فامر فثري فاكل ثم قام الى المغرب فتمضمض رواه البخاري ومالك والنسائي وكان صلى الله عليه وسلم اذا قام من النوم ربما توضأ وربما لم يتوضأ لان عينه تنام ولا ينام قلبه كما في البخاري وغيره وفيه دليل على ان النوم ليس حدثا بل مظنة الحدث فلو احدث لعلم بذلك فتكون الخصوصية شعوره بالوقوع بخلاف غيره قال الخطابي وانما منع قلبه النوم ليعي الوحي الذي ياتيه في منامه

الفصل الرابع في مسحه صلى الله عليه وسلم على الخفين اعلم انه قد صرح جمع من الحفاظ بان المسح على الخفين متواتر وجمع بعضهم رواته فجاوزوا الثمانين منهم العشرة وقال ابن عبد البر لا اعلم انه قد روي عن احد من فقهاء السلف انكاره الا عن مالك مع ان الروايات الصحيحة عنه مصرحة باثباته وقد اشار الشافعي في الام الى انكار ذلك على المالكية والمعروف المستقر عندهم الان قولان الجواز مطلقا وثانيهما للمسافر دون المقيم وهذا الثاني مقتضى ما في المدونة وبه جزم ابن الحاجب وقال ابن المنذر اختلف العلماء ايهما افضل المسح على الخفين او نزعهما وغسل الرجلين والذي اختاره ان المسح افضل لاجل من طعن فيه من اهل البدع من الخوارج والروافض وقال النووي مذهب اصحابنا ان الغسل افضل لكونه الاصل لكن بشرط ان لا يترك المسح وقد تمسك من اكتفى بالمسح بقوله تعالى وارجلكم عطفا على وامسحوا برؤسكم فذهب الى ظاهرها جماعة من الصحابة والتابعين وحكي عن ابن عباس في رواية ضعيفة والثابت عنه خلافه وعن عكرمة والشعبي وقتادة الواجب الغسل او المسح وعن بعض اهل الظاهر يجب الجمع بينهما وحجة الجمهور الاحاديث الصحيحة من فعله صلى الله عليه وسلم كما سياتي ان شاء الله تعالى فانه بيان للمراد واجابوا عن الاية باجوبة منها انه قد قرئ وارجلكم بالنصب عطفا على ايديكم وقيل معطوف على محل

برؤسكم

برؤسكم كقوله تعالى يا جبال اوبي معه والطير بالنصب وقيل المسح في الاية محمول على مشروعية المسح على الخفين فحملوا قراءة الجر على مسح الخفين وقراءة النصب على غسل الرجلين وحمل البيضاوي الجر على الجوار قال ونظيره كثير في القران كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليهما ويغسل غسلا يقرب من المسح انتهى وعن المغيرة ابن شعبة انه غزى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك قال فتبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الغائط فحملت معه اداوة قبل الفجر فلما رجع اخذت اهريق على يديه من الاداوة فغسل يديه ووجهه وعليه جبة من صوف ذهب يحسر عن ذراعيه فضاق كم الجبة فاخرج يديه من تحت الجبة والقى الجبة على منكبيه وغسل ذراعيه ثم مسح بناصيته وعلى العمامة ثم اهويت لانزع خفيه فقال دعهما فاني ادخلتهما طاهرتين فمسح عليهما ثم ركب وركبت الحديث رواه مسلم وعند الترمذي من حديث المغيرة ايضا انه صلى الله عليه وسلم مسح على الخفين على ظاهرهما وعند ابي داود من حديثه ايضا ومسح عليه الصلاة والسلام على الجوربين والنعلين وعنه قال مسح صلى الله عليه وسلم على الخفين فقلت يا رسول الله نسيت فقال بل انت نسيت بهذا امرني ربي عز وجل رواه ابو داود واحمد وعن عمرو ابن امية الضمري قال رايته عليه الصلاة والسلام يمسح على عمامته وخفيه رواه البخاري واحمد وقال علي بن ابي طالب جعل صلى الله عليه وسلم المسح على الخفين ثلاثة ايام ولياليهن للمسافر ويوما وليلة للمقيم رواه مسلم

الفصل الخامس في تيممه صلى الله عليه وسلم اعلم ان التيمم ثابت بالكتاب والسنة والاجماع وهو من خصائص هذه الامة واجمعوا على ان التيمم لا يكون الا في الوجه واليدين سواء كان عن حدث اكبر او عن حدث اصغر وسواء تيمم عن الاعضاء كلها ام بعضها واختلف في كيفيته فمذهبنا ومذهب الاكثرين انه لا بد من ضربتين ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين وعن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وتربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء رواه مسلم وفي رواية ابي امامة عند البخاري وجعلت الارض كلها لي ولامتي مسجدا وطهورا وهذا عام وحديث حذيفة خاص

فينبغي ان يحمل العام عليه فيختص الطهورية بالتراب ومنع بعضهم الاستدلال
بلفظ التربة على خصوصية التيمم بالتراب بان قال تربة كل مكان ما فيه من
تراب وغيره **واجيب** بانه ورد في الحديث بلفظ التراب اخرجه ابن خزيمة وغيره
وفي حديث علي وجعل لي التراب طهورا اخرجه احمد والبيهقي باسناد حسن
وعن عمار قال جاء رجل الى عمر ابن الخطاب فقال اني اجنبت فلم اصب الماء
فقال عمار لعمر اما تذكر انا كنا في سفر انا وانت فاما انت فلم تصل واما انا فتمعكت
وصليت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انما كان يكفيك
هكذا وضرب النبي صلى الله عليه وسلم بكفيه ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه
وكفيه رواه البخاري ومسلم واستدل بالنفخ على استحباب تخفيف التراب وسقوط
استحباب التكرار في التيمم لان التكرار يستلزم عدم التخفيف وعن ابي الجهيم
ابن الحرث بن الصمة قال مررت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلمت عليه
فلم يرد علي حتى قام الى جدار فحته بعصى كانت معه ثم وضع يديه على الجدار
فمسح وجهه وذراعيه ثم رد علي رواه البغوي في شرح السنة قال حديث حسن وهذا
محمول على ان الجدار كان مباحا او مملوكا لانسان كان يعرف رضاه **الفصل**
السادس في غسله صلى الله عليه وسلم بضم الغين اسم للاغتسال وقيل
ان اريد به الماء فهو مضموم واما المصدر فيجوز فيه الضم والفتح حكاه ابن سيده
وغيره وقيل المصدر بالفتح والاغتسال بالضم وقيل الغسل بالفتح فعل المغتسل
وبالضم الماء الذي يغتسل به وبالكسر ما يجعل مع الماء كالاشنان وحقيقة
الغسل جريان الماء على الاعضاء وحقيقة الاغتسال غسل جميع الاعضاء مع
تمييز ما للعبادة عما للعادة بالنية ووجوب الغسل على الجنب مستفاد من قوله
تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا وقوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى
تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا ففي الآية الاولى اجمال وهو
قوله فاطهروا وبين بقوله في الآية الثانية حتى تغتسلوا ويؤيده قوله تعالى في
الحائض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن المفسر باغتسلن اتفاقا
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف على نسائه بغسل واحد
رواه مسلم من حديث انس وعن ابي رافع طاف صلى الله عليه وسلم ذات يوم
على نسائه يغتسل عند هذه وعند هذه قال فقلت له يا رسول الله الا تجعله غسلا
واحدا اخرا قال هذا ازكى واطيب واطهر رواه احمد وابو داود والنسائي
وقد اجمع العلماء على انه لا يجب الغسل بين الجماعين واما الوضوء فاستحبه الجمهور

وقال

وقال ابو يوسف انه لا يستحب واوجبه ابن حبيب من المالكية واهل الظاهر
لحديث اذا اتى احدكم اهله ثم اراد ان يعود فليتوضا بينهما وضوءا رواه مسلم
وحمله بعضهم على الوضوء اللغوي فقال المراد به غسل الفرج انتهى **وقالت**
عائشة كان صلى الله عليه وسلم اذا اغتسل من الجنابة بداء فغسل يديه ثم يتوضا
كما يتوضا للصلوة ثم يدخل اصابعه في الماء فيخلل بها اصول الشعر ثم يصب
على راسه ثلاث غرفات بيديه ثم يفيض الماء على جلده كله رواه البخاري
ويحتمل ان يكون غسلهما للتنظيف مما بهما ويحتمل ان يكون هو الغسل المشروع
عن القيام من النوم ويدل عليه زيادة ابن عيينة في هذا الحديث عن هشام
قبل ان يدخلهما في الاناء رواه الشافعي والترمذي وزاد ايضا ثم يغسل فرجه
وكذا المسلم وابو داود وهي زيادة جليلة لان تقديم غسله يحصل به الامن
من مسه في اثناء الغسل ويحتمل ان يكون الابتداء بالوضوء قبل الغسل سنة
مستقلة بحيث يجب غسل اعضاء الوضوء مع بقية الجسد ويحتمل ان يكتفي
بغسلهما في الوضوء عن اعادته وعلى هذا فيحتاج الى نية غسل الجنابة في اول
عضو وانما قدم اعضاء الوضوء تشريفا لها وليحصل له صورة الطهارتين
الصغرى والكبرى ونقل ابن بطال الاجماع على ان الوضوء لا يجب لغسل وهو
مردود فقد ذهب جماعة منهم ابو ثور وداود وغيرهما الى ان الغسل لا ينوب
عن الوضوء للمحدث **وقوله** فيخلل بها اصول الشعر اي شعر راسه ويدل عليه
رواية حماد بن مسلمة عن هشام عند البيهقي يخلل بها شق راسه الايمن فيتبع
بها اصول الشعر ثم يفعل بشق راسه الايسر كذلك وقال القاضي عياض احتج
به بعضهم على تخليل شعر اللحية في الغسل اما لعموم قوله اصول الشعر واما بالقياس
على شعر الراس وفائدة التخليل ايصال الماء الى الشعر والبشرة ومباشرة الشعر
باليد ليحصل تعميمه بالماء وهذا التخليل غير واجب اتفاقا الا ان كان الشعر
متلبدا بشيء يحول بين الماء وبين الوصول الى اصوله **واختلف** في وجوب الدلك فلم
يوجبه الاكثر ونقل عن مالك والمزني وجوبه واحتج ابن بطال بالاجماع على
وجوب امرار اليد على اعضاء الوضوء عند غسلهما فيجب ذلك في الغسل قياسا
لعدم الفرق بينهما **وتعقب** بان جميع من لم يوجب الدلك اجازوا غمس اليد في الماء
للمتوضي من غير امرار فبطل الاجماع وانتفت الملازمة وفي قوله في هذا الحديث
ثلاث غرفات استحباب التثليث في الغسل قال النووي ولا نعلم فيه خلافا الا ما
انفرد به الماوردي فانه قال لا يستحب التكرار في الغسل قال الحافظ ابن حجر في فتح

البارى ومنه لخصت ما ذكرته قلت وكذا قال الشيخ ابو على السنجى وكذا قال القرطبى وقالت
ميمونة وضعت له صلى الله عليه وسلم ماء للغسل فغسل يديه مرتين او ثلاثا
ثم افرغ على شماله فغسل مذاكيره ثم مسح يده بالارض ثم مضمض واستنشق
وغسل وجهه ويديه ثم افاض على جسده ثم تحول من مكانه فغسل قدميه
رواه البخارى ولم يقيد فى هذه الرواية بعدد فيحمل على اقل مسمى وهو المرة الواحدة
لان الاصل عدم الزيادة عليها وفيه مشروعية المضمضة والاستنشاق فى
غسل الجنابة لقوله ثم مضمض واستنشق وتمسك به الحنفية للقول بفرضيتهما
وتعقب بان فعل المجرد لا يدل على الوجوب الا اذا كان بيانا لمجمل تعلق به الوجوب
وليس الامر هنا كذلك وعنها توضأ صلى الله عليه وسلم وضوءه للصلاة غير
رجليه وغسل فرجه وما اصابه من الاذى ثم افاض عليه الماء ثم نحى رجليه فغسلهما
رواه البخارى وفيه التصريح بتاخير الرجلين فى وضوء الغسل الى آخره وهو مخالف لظاهر
رواية عائشة ويمكن الجمع بينهما اما بحمل رواية عائشة على المجاز واما بحمله على حالة اخرى
وبحسب اختلاف هاتين الحالتين اختلف نظر العلماء فذهب الجمهور الى استحباب
تاخير الرجلين وعن مالك ان كان المكان غير نظيف فالمستحب تاخيرهما والا فالتقديم
وعند الشافعية فى الافضل قولان قال النووى اصحهما واشهرهما ومختارهما انه يكمل
وضوءه قال ولم يقع فى شىء من طرق هذا الحديث التنصيص على مسح الراس فى هذا
الوضوء وتمسك به المالكية لقولهم ان وضوء الغسل لا يمسح فيه الراس بل يكتفى
عنه بغسلها وعن جبير بن مطعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انا فافيض
على راسى ثلاثا واشار بيديه كلتيهما رواه البخارى وفيه عن ابى هريرة قال اقيمت
الصلوة وعدلت الصفوف قياما فخرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما قام فى مصلاه ذكر انه جنب فقال لنا مكانكم ثم رجع فاغتسل ثم خرج
الينا وراسه يقطر فكبر فصلينا معه وقوله ذكر اى تذكر لا انه قال ذلك لفظا
وعلم الراوى بذلك او باعلامه له بعد ذلك وظاهر قوله فكبر الاكتفاء بالاقامة
السابقة فيؤخذ منه جواز التخلل الكثير بين الاقامة والدخول فى الصلوة وعنده
ايضا من حديث ميمونة وضعت للنبى صلى الله عليه وسلم غسلا فسترته
بثوب وصب على يديه فغسلهما ثم صب بيمينه على شماله فغسل فرجه فضرب
بيده الارض فمسحها ثم غسلها فتمضمض واستنشق وغسل وجهه وذراعيه
ثم صب على راسه وافاض على جسده ثم تنحى فغسل قدميه فناولته ثوبا فلم
ياخذه فانطلق وهو ينفض يديه وقد استدل بعضهم بقولها فناولته ثوبا

فلم

فلم ياخذه على كراهة التنشيف بعد الغسل ولا حجة فيه لانها واقعة حال
يتطرق اليها الاحتمال فيجوز ان يكون عدم الاخذ لامر آخر لا يتعلق بكراهة التنشيف
بل لامر يتعلق بالخرقة او غير ذلك قال المهلب يحتمل تركه الثوب لابقاء بركة بلل الماء
او للتواضع او لشىء رآه فى الثوب من حرير او وسخ وقد وقع عند احمد فى هذا الحديث
عن الاعمش قال فذكرت ذلك لابراهيم النخعى فقال لا باس بالمنديل وانما رده مخافة
ان يصير عادة وقال التيمى فى شرحه فى هذا الحديث دليل على انه كان يتنشف ولولا
ذلك لما اتته بالمنديل وقال ابن دقيق العيد نفضه الماء بيده يدل على ان لا
كراهة فى التنشيف لان كلا منهما ازالة وقال النووى اختلف اصحابنا فيه على خمسة
اوجه اشهرها ان المستحب تركه وقيل مكروه وقيل مكروه فى الصيف مباح فى الشتاء وفى هذا
الحديث جواز نفض اليدين من ماء الغسل وكذا ماء الوضوء لكن فيه حديث
ضعيف اورده الرافعى وغيره ولفظه لا تنفضوا ايديكم فى الوضوء فانها مراوح
الشيطان قال ابن الصلاح لم اجده وتبعه النووى وقالت عائشة كان صلى الله
عليه وسلم اذا اراد ان ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضأ للصلاة رواه
البخارى وفيه رد على من حمل الوضوء هنا على التنظيف وقوله وتوضأ وضوءه للصلاة
اى وضوءا كما للصلوة اى وضوءا شرعيا لا لغويا وليس المراد انه توضأ لاداء الصلاة
والحكمة فيه انه يخفف الحدث ولا سيما على القول بجواز تفريق الغسل فينويه فيرتفع الحدث
عن تلك الاعضاء المخصوصة على الصحيح ويؤيده ما رواه ابن ابى شيبة بسند رجاله
ثقات عن شداد بن اوس الصحابى قال اذا اجنب احدكم من الليل ثم اراد ان ينام
فليتوضأ فانه نصف غسل الجنابة وقيل الحكمة فيه انه احدى الطهارتين فعلى هذا يقوم التيمم
مقامه وقد روى البيهقى باسناد حسن عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان
اذا اجنب توضأ او تيمم ويحتمل ان يكون التيمم هنا عند عسر وجود الماء و
قيل غير ذلك انتهى ملخصا من فتح البارى **النوع الثانى** فى ذكر صلوته صلى الله عليه وسلم
اعلم ان الصلاة تحصل تحقيق العبودية واداء حق الربوبية وسائر العبادات وسائل
الى تحقيق سر الصلوة وقد جمع الله تعالى للمصلين فى كل ركعة ما فرق على اهل السموات
فلله ملائكة فى الركوع منذ خلقهم الله تعالى لا يرفعون من الركوع الى يوم القيمة
وهكذا السجود والقيام والقعود واجتمع فيها ايضا من العبوديات ما لم يجتمع فى غيرها
منها الطهارة والصمت واستقبال القبلة والاستفتاح بالتكبير والقراءة والقيام
والركوع والسجود والتسبيح فى الركوع والدعاء فى السجود الى غير ذلك فهى مجموع عبادات
عديدة لان الذكر بمجرده عبادة والقراءة بمجردها عبادة وكذا كل فرد فرد وقدمو

الله تعالى نبيه بالصلوة في قوله تعالى اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة
وقال تعالى وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها وفي ذلك كما نبه عليه صاحب
كتاب التنوير امده الله بمدده اشارة الى ان في الصلوة تكليفا للنفوس
شاقا عليها لانها تاتي في اوقات ملاذ العباد واشتغالهم فتطالبهم بالخروج
عن ذلك كله الى القيام بين يديه والفراغ مما سوى الله تعالى فلذلك قال تعالى
واصطبر عليها ومما يدلك على ان القيام للصلاة تكاليف العبودية وان القيام
بها على خلاف ما تقتضيه البشرية قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة
وانها لكبيرة الا على الخاشعين فجعل الصبر والصلاة مقترنين اشارة الى انه
يحتاج في الصلوة الى الصبر صبر الى ملازمة اوقاتها وصبر على القيام بمسنوناتها
وواجباتها وصبر بمنع القلوب فيها عن غفلاتها ولذلك قال الله تعالى بعد ذلك
وانها لكبيرة الا على الخاشعين فافرد الصلوة بالذكر ولم يفرد الصبر اذ لو كان
كذلك لقال وانهما لكبيران فذلك يدل على ما قلناه او لان الصبر والصلوة مقترنان
متلازمان احدهما هو عين الآخر كما قال تعالى في الآية الاخرى والله ورسوله
احق ان يرضوه انتهى ملخصا **ثم ان الكلام** فيها ينقسم الى خمسة اقسام

القسم الاول في الفرائض وما يتعلق بها **وفيه** ابواب **الاول** في الصلوات
الخمس **وفيه** فصول **الاول** في فرضها عن انس قال فرضت على النبي صلى الله
عليه وسلم ليلة اسري به خمسون صلوة ثم نقصت حتى جعلت خمسا
ثم نادى يا محمد انه لا يبدل القول لدي وان لك بهذه الخمس خمسين رواه الترمذي
هكذا مختصرا ورواه البخاري ومسلم في حديث طويل تقدم في مقصد الاسراء
مع ما فيه من المباحث وعن ابن عباس قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم
في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة رواه مسلم وابو داود والنسائي
وقوله في الخوف ركعة محمول على ان المراد ركعة مع الامام وينفرد بالاخرى **وعن**
عائشة فرض الله الصلوة حين فرضها ركعتين ثم اتمها في الحضر واقرت صلاة
السفر على الفريضة الاولى رواه البخاري **وعنده** في كتاب الهجرة من طريق معمر
عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت فرضت الصلوة ركعتين ثم هاجر صلى الله
عليه وسلم ففرضت اربعا فعين في هذه الرواية ان الزيادة في قوله في الحديث
الذي قبله وزيد في صلاة الحضر وقعت بالمدينة وقد اخذ بظاهر هذا الحديث
الحنفية وبنوا عليه ان القصر في السفر عزيمة لا رخصة **واحتج** مخالفهم بقوله
تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة لان نفي الجناح لا يدل على العزيمة

والقصر انما يكون من شيء اطول منه ويدل على انه رخصة ايضا قوله عليه
الصلوة والسلام صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته رواه مسلم
واما خبر فرضت الصلوة ركعتين اي في السفر فمعناه اي لمن اراد الاقتصار
عليهما جمعا بين الاخبار قاله في المجموع **الفصل الثاني** في ذكر تعيين الاوقات التي
صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس **وعن** جابر ان جبريل
اتى النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه مواقيت الصلاة فتقدم جبريل
ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم فصلى الظهر حين زالت الشمس واتاه جبريل حين كان الظل مثل
ظل شخصه فصنع كما صنع فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم
خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى العصر ثم اتاه
حين وجبت الشمس فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه
والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى المغرب ثم اتاه حين غاب
الشفق فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول
الله صلى الله عليه وسلم فصلى العشاء ثم اتاه حين انشق الفجر فتقدم جبريل
ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم فصلى الغداة ثم اتاه في اليوم الثاني حين كان ظل الرجل مثل
شخصه فصنع كما صنع بالامس فصلى الظهر ثم اتاه حين كان ظل الرجل
مثلي شخصه فصنع كما صنع بالامس فصلى العصر ثم اتاه حين وجبت
الشمس فصنع كما صنع بالامس فصلى المغرب ثم اتاه حين غاب الشفق فصنع
كما صنع بالامس فصلى العشاء ثم اتاه حين امتد الفجر واصبح والنجوم بادية
مشتبكة وصنع كما صنع بالامس فصلى الغداة ثم قال ما بين هاتين الصلاتين
وقت رواه النسائي وفي رواية قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى
الظهر حين زالت الشمس وكان الفيء قدر الشراك ثم صلى العصر حين كان
الفيء قدر الشراك وظل الرجل ثم صلى المغرب ثم صلى المغرب حين غابت الشمس
ثم صلى العشاء حين غاب الشفق ثم صلى الفجر حين طلع الفجر ثم صلى الغداة اي الظهر
حين كان الظل طول الرجل ثم صلى العصر حين كان ظل الرجل مثليه ثم صلى المغرب
حين غابت الشمس ثم صلى العشاء الى ثلث الليل او نصف الليل شك احد رواته
ثم صلى الفجر فاسفر **وعن** ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم امني جبريل عند
البيت مرتين فصلى الظهر في الاولى حين كان الفيء مثل الشراك ثم صلى العصر

حين كان ظل كل شيء مثله ثم صلى المغرب حين وجبت الشمس وافطر الصائم ثم صلى العشاء حين غاب الشفق ثم صلى الفجر حين برق الفجر وحرم الطعام على الصائم ثم وصلى المرة الثانية الظهر حين كان ظل كل شيء مثله كوقت العصر بالامس ثم صلى العصر حين كان ظل كل شيء مثليه ثم صلى المغرب لوقت الاول ثم صلى العشاء الاخرة حين ذهب ثلث الليل ثم صلى الصبح حين اسفر ثم التفت الى جبريل فقال يا محمد هذا وقت الانبياء من قبلك والوقت ما بين هذين الوقتين رواه الترمذي وغيره **وقوله** صلى به الظهر حين كان ظله مثله اي فرغ منها حينئذ كما شرع في العصر في اليوم الاول وحينئذ فلا اشتراك بينهما في وقت ويدل له حديث مسلم وقت الظهر اذا زالت الشمس ما لم يحضر العصر **وقوله** في حديث جابر فصلى الظهر حين زالت الشمس ولا ينتظرها وجوبا ولا ندبا مصير الفيء مثل الشراك كما اتفق عليه ائمتنا ودلت عليه الاخبار الصحيحة **واما** حديث ابن عباس فالمراد به انه حين زالت الشمس كان الفيء حينئذ مثل الشراك لا انه اخر الى ان صار مثل الشراك ذكره في المجموع **وقد** بين ابن اسحاق في المغازي ان صلاة جبريل به صلى الله عليه وسلم كانت صبيحة الليلة التي فرضت فيها الصلاة وهي ليلة الاسراء ولفظه قال نافع بن جبير وغيره لما اصبح صلى الله عليه وسلم من الليلة التي اسري به لم يرعه الا جبريل نزل حين زاغت الشمس ولذلك سميت الاولى اي صلاة الظهر فامر فصيح باصحابه الصلاة جامعة فاجتمعوا فصلى به جبريل وصلى النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه فذكر الحديث وفيه رد على من زعم ان بيان الاوقات انما وقع بعد الهجرة والحق ان ذلك وقع قبلها ببيان جبريل وبعدها ببيان النبي صلى الله عليه وسلم وانما دعاهم بقوله الصلاة جامعة لان الاذان لم يكن شرع حينئذ واستدل بهذا الحديث على جواز الائتمام بمن يأتم بغيره **ويجاب** عنه بما يجاب عن قصة ابي بكر في صلاته خلف النبي صلى الله عليه وسلم وصلاة الناس خلفه فانه محمول على انه كان مبلغا فقط كما سياتي تقريره ان شاء الله تعالى وقد صلى صلى الله عليه وسلم العصر والشمس في حجرة عائشة لم يظهر الفيء من حجرتها رواه البخاري ومسلم **وقال** انس كان صلى الله عليه وسلم يصلي العصر والشمس مرتفعة حية فيذهب الذاهب الى العوالي فياتيهم والشمس مرتفعة وبعض العوالي من المدينة على اربعة اميال رواه البخاري وفي ذلك دليل على تعجيله صلى الله عليه وسلم بصلوة العصر لوصف الشمس

بالارتفاع بعد ان يمضي مسافة اربعة اميال والمراد بالشمس ضوءها **وعن** سلمة بن الاكوع انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي المغرب اذا غربت الشمس وتوارت بالحجاب رواه البخاري ومسلم والترمذي **وعن** رافع بن خديج كنا نصلي المغرب معه صلى الله عليه وسلم فينصرف احدنا وانه ليبصر مواقع نبله رواه البخاري ومسلم والنبل بفتح النون السهام العربية اي يبصر مواقع سهامه اذا رمى بها ومقتضاه المبادرة بالمغرب في اول وقتها بحيث ان الفراغ منها يقع والضوء باق **وكان** صلى الله عليه وسلم اذا كان الحر برد بالصلوة واذا كان البرد عجل رواه النسائي من حديث انس ويؤخر العصر ما دامت الشمس بيضاء نقية رواه ابو داود من رواية علي بن شيبان **وقال** عليه الصلوة والسلام اذا قدم العشاء فابدؤا به قبل صلوة المغرب ولا تعجلوا عن عشائكم رواه البخاري ومسلم **وعند** ابي داود ولا تؤخروا الصلوة لطعام ولا غيره واعتم صلى الله عليه وسلم بالعشاء ليلة حتى ناداه عمر الصلاة نام النساء والصبيان فخرج صلى الله عليه وسلم فقال ما ينتظرها من اهل الارض غيركم قال ولا يصلى يومئذ الا بالمدينة وكانوا يصلون فيما بين ان يغيب الشفق الى ثلث الليل الاول زاد في رواية وذلك قبل ان يفشو الاسلام وفي رواية فخرج وراسه يقطر يقول لولا ان اشق على امتي او على الناس لامرتهم بالصلاة هذه الساعة رواه البخاري ومسلم وفي رواية من حديث ابي سعيد فلم يخرج حتى مضى نحو من شطر الليل وفي حديث ابي هريرة فقال خذوا مقاعدكم فاخذنا مقاعدنا فقال ان الناس قد صلوا واخذوا مضاجعهم وانكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة ولولا ضعف الضعيف وسقم السقيم لاخرت الصلاة الى شطر الليل وفي حديث ابي هريرة لولا ان اشق على امتي لامرتهم ان يؤخروا العشاء الى ثلث الليل او نصفه صححه الترمذي **فعلى** هذا من وجد به قوة على تاخيرها ولم يغلبه النوم ولم يشق على احد من المامومين فالتاخير في حقه افضل وقد قرر النووي ذلك في شرح مسلم وهو اختيار كثير من اهل الحديث من الشافعية وغيرهم وقال الطحاوي يستحب الى ثلث الليل وبه قال مالك واحمد واكثر الصحابة والتابعين وهو قول الشافعي في الجديد وقال في القديم التعجيل افضل وكذا قال في الاملاء وصححه النووي وجماعة قالوا انه مما يفتى على القديم **وتعقب** بانه ذكره في الاملاء وهو من كتبه الجديدة والمختار من حيث الدليل افضلية التاخير قاله في فتح الباري

الفصل الثالث

في ذكر كيفية صلاته صلى الله عليه وسلم وفيه فروع الاول في صفة افتتاح
صلاته صلى الله عليه وسلم روى ابو داود انه صلى الله عليه وسلم سمع بلالا يقيم
الصلاة فلما قال قد قامت الصلاة قال اقامها الله وادامها وكان صلى الله
عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير رواه عبد الرزاق من حديث عائشة وروى
البخاري عن ابن عمر قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم افتتح التكبير في الصلاة
واستدل بها على تعيينه دون غيره من الفاظ التعظيم وقد روى البزار باسناد
صحيح على شرط مسلم عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام الى الصلاة
قال الله اكبر ولاحمد والنسائي من طريق واسع بن حبان انه سأل ابن عمر عن
صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله اكبر كلما وضع ورفع وليعلم
ان تكبيرة الاحرام ركن عند الجمهور وقيل شرط وهو مذهب الحنفية ووجه عند
الشافعية وقيل سنة قال ابن المنذر لم يقل به احد غير الزهري ولم يختلف احد
في ايجاب النية في الصلاة قال البخاري في اواخر الايمان باب ما جاء في قوله عليه الصلاة
والسلام الاعمال بالنية فدخل فيه الايمان والوضوء والصلاة والزكاة قال
ابن القيم في الهدي النبوي كان صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة قال
الله اكبر ولم يقل شيئا قبلها ولا تلفظ بالنية ولا قال اصلي صلاة كذا مستقبل
القبلة اربع ركعات اماما او مأموما ولا اداء ولا قضاء ولا فرض الوقت قال
وهذه عشر بدع لم ينقل عنه احد باسناد صحيح ولا ضعيف ولا مسند
ولا مرسل لفظة واحدة البتة بل ولا عن واحد من الصحابة ولا استحبه احد
من التابعين ولا الائمة الاربعة وقول الشافعي في الصلاة انها ليست كالصوم
ولا يدخل احد فيها الا بذكر اي تكبيرة الاحرام ليس الا وكيف يستحب الشافعي امرا
لم يفعله صلى الله عليه وسلم في صلاة واحدة ولا احد من الصحابة انتهى
وعبارة الشافعي في المناسك ولو نوى الاحرام بقلبه ولم يلبه اجزأه وليس
كالصلاة لان في اولها نطقا واجبا هذا نصه وقال الشيخ ابو علي السنجي في شرح
التلخيص وابن الرفعة في المطلب والزركشي في الديباج وغيره انما اراد الشافعي بذلك
تكبيرة الاحرام قطعا انتهى وبالجملة فلم ينقل احد انه عليه الصلاة و
السلام تلفظ بالنية ولا علم احدا من الصحابة التلفظ بها ولا اقر على ذلك
بل المنقول عنه في السنن انه قال مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير و
تحليلها التسليم وفي الصحيحين انه عليه الصلاة والسلام لما علم المسيء صلاته
فقال اذا قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن فلم يأمره

بالتلفظ

بالتلفظ بشيء قبل التكبير نعم اختلف العلماء في التلفظ بها فقال قائلون
هو بدعة لانه لم ينقل فعله وقال آخرون هو مستحب لانه عون على استحضار
النية القلبية وعبودية اللسان كما ان عبودية القلب والافعال المنوية عبودية
الجوارح ونحو ذلك اجاب الشيخ تقي الدين السبكي والحافظ عماد الدين ابن كثير
واطنب ابن القيم في الهدى في رد الاستحباب واكثر من الاستدلال بما في ذكره
طول يخرجنا عن المقصود لا سيما والذي استقر عليه اصحابنا استحباب النطق
بها وقاسه بعضهم على ما في الصحيحين من حديث انس انه سمع النبي صلى الله
عليه وسلم يقول وهو بوادي العقيق اتاني الليلة آت من ربي فقال صل في
هذا الوادي المبارك وقل عمرة في حجة وهذا تصريح باللفظ والحكم كما يثبت
بالنص يثبت بالقياس لكن تعقب هذا بانه عليه الصلاة والسلام قال ذلك
في ابتداء احرامه تعليما للصحابة ما يهلون به ويقصدونه من النسك وامتثالا
للامر الذي جاءه من ربه عز وجل في ذلك الوادي ولقد صلى عليه الصلاة والسلام
اكثر من ثلاثين الف صلاة فلم ينقل انه قال نويت اصلي صلاة كذا وكذا وتركه
سنة كما ان فعله سنة فليس لنا ان نسوي بين ما فعله وتركه فنأتي من
القول في الموضع الذي تركه بنظير ما اتى به في الموضع الذي فعله والفرق بين
الحج والصلاة اظهر من ان يقاس احدهما على الآخر انتهى ما قاله هذا المتعقب
فليتأمل وكان صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة رفع يديه حتى يكونا
حذو منكبيه ثم يكبر فاذا اراد ان يركع فعل مثل ذلك فاذا رفع رأسه من
الركوع فعل مثل ذلك وفي رواية واذا رفع رأسه من الركوع رفعهما كذلك ايضا
وقال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد وفي اخرى نحوه وقال ولا يفعل ذلك حين
يسجد ولا حين يرفع من السجود رواه البخاري ومسلم وعند ابي داود من حديث
علقمة كان صلى الله عليه وسلم اذا قام من السجدتين كبر ورفع يديه حتى يحاذي
بهما منكبيه كما صنع حين افتتح وهو قطعة من حديث رواه ايضا الترمذي
وكان يكبر في كل خفض ورفع رواه مالك قال النووي اجمعت الامة على استحباب
رفع اليدين عند تكبيرة الاحرام واختلفوا فيما سواها فقال الشافعي واحمد و
جمهور العلماء من الصحابة يستحب ايضا رفعهما عند الركوع وعند الرفع منه
وهو رواية عن مالك وللشافعي قول انه يستحب رفعهما في موضع رابع وهو اذا
قام من التشهد الاول وهذا القول هو الصواب فقد صح فيه حديث ابن عمر عنه
صلى الله عليه وسلم انه كان يفعله رواه البخاري وكان صلى الله عليه وسلم

يضع يده اليمنى على اليسرى رواه ابو داود ومذهب الشافعي والاكثرين ان
المصلي اذا وضع يديه حطهما تحت صدره فوق سرته وقال ابو حنيفة وبعض
اصحاب الشافعي تحت سرته وكان عليه الصلاة والسلام يسكت بين التكبير
والقراءة اسكاتة فقال له ابو هريرة بابي انت وامي اسكاتك بين التكبير وبين القراءة
ما تقول قال اقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب
اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الابيض من الدنس اللهم اغسل خطاياي
بالماء والثلج والبرد رواه البخاري ومسلم وعن علي كان صلى الله عليه وسلم اذا
قام الى الصلوة وفي رواية اذا افتتح الصلوة كبر ثم قال وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي
لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا من المسلمين اللهم انت الملك لا اله
الا انت انت ربي وانا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا
انه لا يغفر الذنوب الا انت واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت
واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت لبيك وسعديك والخير كله في
يديك والشر ليس اليك انا بك واليك تباركت وتعاليت استغفرك واتوب
اليك الحديث رواه مسلم وعن عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افتتح
الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك
رواه الترمذي وابو داود وعن جبير بن مطعم انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي صلاة قال الله اكبر كبيرا والحمد لله بكرة واصيلا اعوذ بالله من الشيطان
ومن نفخه ونفثه وهمزه قال ابن عمر نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة رواه ابو داود
عن محمد بن مسلمة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام يصلي تطوعا
قال الله اكبر وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين
وذكر الحديث مثل حديث جابر الا انه قال وانا من المسلمين ثم قال اللهم انت الملك
لا اله الا انت سبحانك ثم يقرأ رواه النسائي **الفرع الثاني** في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم
البسملة في اول الفاتحة **روى** عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم رواه ابو داود وقال الترمذي ليس اسناده
بذاك ورواه الحاكم عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر
ببسم الله الرحمن الرحيم ثم قال صحيح وفي صحيح ابن خزيمة عن ام سلمة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قرا البسملة في اول الفاتحة في الصلاة وعدها اية لكنه
من رواية عمر بن هارون البلخي وفيه ضعف عن ابن جريج عن ابن ابي مليكة عنها **وروى**

الحافظ

الحافظ ابو بكر بن احمد بن موسى بن مردويه في تفسيره عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين سبع ايات بسم الله
الرحمن الرحيم احداهن وهي السبع المثاني وهي ام الكتاب ورواه الدارقطني ايضا
عن ابي هريرة مرفوعا نحوه او مثله وقال كلهم ثقات وروى البيهقي عن علي وابن
عباس وابي هريرة انهم فسروا قوله تعالى سبعا من المثاني بالفاتحة وان البسملة
هي الاية السابعة منها وعن شعبة عن قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
وابا بكر وعمر كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين رواه البخاري
اي كانوا يفتتحون بالفاتحة وفي رواية مسلم فلم اسمع احدا منهم يقرأ بسم
الله الرحمن الرحيم كذا اخرجه مسلم وغيره لكنه حديث معلول اعله الحفاظ
كما هو في كتب علوم الحديث وفي شرح الفية العراقي لشيخنا الحافظ ابي الخير السخاوي
امتع الله بوجوده في باب المعلل ما نصه وعلة المتن القادحة فيه كحديث نفي
قراءة البسملة في الصلوة المروي عن انس اذ ظن راو من رواته حين سمع قول انس
صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم
فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين نفي البسملة فنقله مصرحا بما ظنه وقال
لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في اول القراءة ولا في اخرها وفي لفظ فلم يكونوا
يفتتحون القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم وصار بمقتضى ذلك حديثا مرفوعا والراوي
لذلك مخطئ في ظنه ولذا قال الشافعي رحمه الله في الام ونقله عنه الترمذي في
جامعه المعنى انهم يبدؤون بقراءة ام القران قبل ما يقرأ بعدها لا انهم يتركون
البسملة اصلا ويتأيد بثبوت تسمية ام القران بجملة الحمد لله رب العالمين
في صحيح البخاري وكذا بحديث قتادة قال سئل انس كيف كانت قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد ببسم الله
ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم اخرجه البخاري في صحيحه وكذا الدارقطني والحازمي وقال
انه لا علة له لان الظاهر كما اشار اليه ابو شامة ان قتادة لما سأل انسا عن الاستفتاح
في الصلاة باي سورة فاجابه بالحمد لله سأله عن كيفية قراءته فيها وكانه لم يرا بهام
السائل مانعا من تعيينه بقتادة خصوصا وهو السائل اولا وقد اخرج ابن خزيمة
في صحيحه وصححه الدارقطني ان ابا سلمة سعيد بن يزيد سأل انسا اكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يستفتح بالحمد لله او ببسم الله فقال لا احفظ فيه شيئا
ولكن قد ورد هذا الحديث عن انس جماعة منهم حميد وقتادة والتحقيق ان
المعلل رواية حميد خاصة اذ رفعها وهم من الوليد بن مسلم عن مالك عنه بل

ومن بعض اصحاب حميد ايضا عنه فانها في سائر الموطئات عن مالك صليت
وراء ابي بكر وعمر وعثمان فكلهم كان لا يقرأ بسم الله لا ذكر للنبي صلى الله
عليه وسلم فيه وكذا الذي عند سائر حفاظ حميد عنه انما هو في الوقف
خاصة وبه صرح ابن معين عن ابن ابي عدي حيث قال ان حميد كان اذا رواه
عن انس لم يرفعه واذا قال فيه عن قتادة عن انس رفعه واما رواية قتادة وهي
من رواية الوليد بن مسلم وغيره عن الاوزاعي ان قتادة كتب اليه يخبره ان انسا
حدثه قال صليت فذكره بلفظ لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في اول قراءة
ولا آخرها فلم تتفق اصحابه عنه على هذا اللفظ بل اكثرهم لا ذكر عندهم للنفي فيه
وجماعة منهم بلفظ فلم يكونوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم وممن اختلف
عليه فيه من اصحابه شعبة فجماعة منهم غندر ولا ذكر عندهم فيه للنفي وابو داود
الطيالسي فقط حسبما وقع من طريق غير واحد عنه بلفظ فلم يكونوا يفتتحون
القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم وهي موافقة للاوزاعي وابي عمرو بن الدوري وكذا
الطيالسي وغندر ايضا بلفظ فلم اسمع احدا منهم يقرأ بسم الله بل كذا اختلف
غير قتادة من اصحاب انس فاسحاق ابن ابي طلحة وثابت البناني باختلاف عليهما
ومالك بن دينار ثلاثتهم عن انس بدون نفي واسحاق وثابت ايضا ومنصور
ابن زاذان وابو قلابة وابو نعامة كلهم عنه بلفظ النافي للجهر وخاصة ولفظ
اسحاق منهم يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين فيما يجهر فيه وحينئذ فطريق
الجمع بين هذه الروايات كما قال شيخنا يعني شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله ممكن
بحمل نفي القراءة على نفي السماع ونفي السماع على نفي الجهر ويؤيده ان لفظ رواية
منصور بن زاذان فلم يسمعنا قراءة بسم الله الرحمن الرحيم واصرح منها رواية
الحسن عن انس كما عند ابن خزيمة كانوا يسرون ببسم الله وبهذا الجمع زالت دعوى
الاضطراب كما انه ظهر ان الاوزاعي الذي رواه عن قتادة مكاتبة مع كون قتادة
ولد اكمه وكاتبه مجهول لعدم تسميته لم ينفرد وحينئذ فيجاب عن قول انس لا
احفظه بان المثبت مقدم على النافي خصوصا وقد تضمن النفي عدم استحضار
انس رضي الله عنه لاهم شيء يستحضره وبامكان نسيانه حين سؤال ابي مسلمة
له وتذكره بعد فانه ثبت ان قتادة ايضا سأله ايقرأ الرجل في الصلاة بسم
الله فقال صليت وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان
فلم اسمع احدا منهم يقرأ بسم الله ويحتاج اذا استقر محصل حديث انس
على نفي الجهر الى دليل له وان لم يكن من مباحثنا وقد ذكر له الشارح دليلا واشد

شيخنا

شيخنا يعني الحافظ ابن حجر لما يؤخذ منه ذلك بل قال ان قول نعيم المجمر
صليت وراء ابي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بام القرآن حتى بلغ
ولا الضالين وقال الناس آمين وكان كلما سجد واذا قام من الجلوس في الاثنتين
يقول الله اكبر ويقول اذا سلم والذي نفسي بيده اني لاشبهكم صلاة برسول الله
صلى الله عليه وسلم اصح حديث ورد فيه ولا علة له وممن صححه ابن خزيمة
وابن حبان ورواه النسائي والحاكم وقد بوب عليه النسائي الجهر ببسم الله الرحمن
الرحيم ولكن تعقب الاستدلال به باحتمال ان يكون ابو هريرة اراد بقوله اشبهكم
في معظم الصلاة لا في جميع اجزائها لا سيما وقد رواه عنه جماعة غير نعيم بدون
ذكر البسملة واجيب بان نعيما ثقة فزيادته مقبولة والخبر ظاهر في جميع الاجزاء
فيحمل على عمومه حتى يثبت دليل يخصصه ومع ذلك فيتطرق احتمال ان يكون سماع
نعيم لها من ابي هريرة حال مخافتته لقربه منه وقد قال الامام فخر الدين الرازي
في تضعيف له في الفاتحة روى الشافعي باسناده ان معاوية قدم المدينة فصلى
بهم ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر عند الخفض الى الركوع والسجود
فلما سلم ناداه المهاجرون والانصار يا معاوية اسرقت الصلاة اين بسم الله
الرحمن الرحيم واين التكبير عند الركوع والسجود فاعاد الصلاة مع التسمية
والتكبير ثم قال الشافعي وكان معاوية سلطانا عظيم القوة شديد الشوكة فلو
لا ان الجهر بالتسمية كان الامر المقرر عند كل الصحابة من المهاجرين والانصار
لما قدروا على اظهار الانكار عليه بسبب تركه انتهى وهو حديث حسن اخرجه
الحاكم في صحيحه والدارقطني وقال ان رجاله ثقات ثم قال الامام فخر الدين الرازي
بعد وقد بينا ان هذا يعني الانكار المتقدم يدل على ان الجهر بهذه الكلمة كالامر
المتواتر فيما بينهم وكذا قال الترمذي عقب ايراده بعد ان ترجم بالجهر بالبسملة حديث
معتمر بن سليمان عن اسماعيل ابن حماد بن ابي سليمان عن ابي خالد الوالبي الكوفي عن
ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته ببسم الله الرحمن
الرحيم ووافقه على تخريجه الدارقطني وابو داود وضعفه بل وقال الترمذي ليس
اسناده بذاك والبيهقي في المعرفة واستشهد له بحديث سالم الافطس عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم
الله الرحمن الرحيم يمد بها صوته الحديث وهو عند الحاكم في مستدركه ايضا
ما نصه وقد قال بهذا عدة من اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
منهم ابو هريرة وابن عمر وابن الزبير ومن بعدهم من التابعين رأوا الجهر ببسم

الله الرحمن الرحيم وبه يقول الآن فمن انتهى وقال الشيخ ابو امامة ابن النقاش والذي
يروم تحقيق هذه المسئلة ينبغي ان يعرف ان هذه المسئلة بعلم القراءة امس
وذلك ان من القراء الذي صحت قراءتهم وتواترت عن النبي صلى الله عليه
وسلم من كان يقرأها آية من الفاتحة وهم عاصم وحمزة والكسائي وابن كثير
وغيرهم من الصحابة والتابعين ومنهم من لا يعدها اية كابن عامر وابي عمرو ونافع
في رواية عنه وحكم قراءتها في الصلوة حكم قراءتها خارجها فمن قرأ على قراءة
من جعلها من ام القرآن لزم فرضا ان يقرأها ومن قرأ على قراءة من لم يرها من
ام القرآن فهو مخير بين القراءة والترك فحينئذ الخلاف فيها كالخلاف في
حرف من حروف القرآن وكلا القولين صحيح ثابت لا مطعن على مثبته ولا
على نفيه ولا ريب ان النبي صلى الله عليه وسلم تارة قرأها وتارة لم يقرأها
هذا هو الانصاف ثم قال والمستيقن الذي يجب المصير اليه ان كلا من الطرفين
ثابت لانه لا يختلف اثنان من اهل الاسلام ان هذه القراءة السبع كلها حق
مقطوع بها من عند الله وليست هذه اول كلمة ولا اول حرف اختلف في اثباته
وحذفه وكل سورة من القرآن ليس فيها ذلك كلفظ هو في سورة الحديد وهو
الغني الحميد ولفظ من في سورة التوبة في قوله تعالى جنات تجري من تحتها الانهار
والفات عديدة وواوات وهاءات كذلك وكل هذا في نتيجة كون القرآن نزل
على سبعة احرف وهذا هو الذي يدلك على بطلان قول من لم يجعلها من الفاتحة
لموضع اختلاف الناس فيها وقوله ان الاختلاف فلا يثبت معه قرآن فما ادري
ماهذا الظن وهو الذي ذكرناه هو الذي يحك من تلك التقريرات من الجانبين
ثم قال ولا ريب ان الواقع من النبي صلى الله عليه وسلم كلا الامرين الجهر والاسرار
فجهر واسر غير ان اسراره كان اكثر من جهره وقد صح في الجهر احاديث لا مطعن فيها
لمنصف نحو ثلاثة احاديث كما انه قد صح في الاسرار بها احاديث لا مطعن فيها
لعار من العصبية ولا يلتفت لمن يقول ان الواقع من النبي صلى الله عليه وسلم
كان الجهر فقط انتهى وقيل لبعض العارفين بماذا ترى ظهر اسم الامام الشافعي
وغلب ذكره فقال ادى ذلك باظهار اسم الله في البسملة لكل صلاة انتهى
الفرع الثالث في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم الفاتحة وقوله آمين بعدها
كان صلى الله عليه وسلم اذا قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال آمين ومد
بها صوته وفي رواية وخفض بها صوته رواه الترمذي وفي رواية ابي داود ورفع
بها صوته وفي رواية لم جهر بآمين وقال ابن شهاب وكان صلى الله عليه وسلم اذا قال

ولا الضالين جهر بآمين اخرجه السراج ولابن حبان من رواية الزبيدي عن ابن
شهاب كان اذا فرغ من قراءة ام القرآن رفع صوته وقال آمين وللحميدي من طريق
سعيد المقبري عن ابي هريرة بنحوه بلفظ اذا قال ولا الضالين ولابي داود وصححه
ابن حبان من حديث وائل بن حجر نحو رواية الزبيدي وفيه رد على من اومأ
الى النسخ فقال انما كان صلى الله عليه وسلم يجهر بآمين في ابتداء الاسلام ليعلمهم
فان وائل بن حجر انما اسلم في اواخر الامر الفرع الرابع في ذكر قراءته صلى الله عليه
وسلم بعد الفاتحة في صلاة الغداة عن ابي برزة كان صلى الله عليه وسلم
يقرأ في صلاة الغداة ما بين الستين الى المائة رواه النسائي وعن عمرو بن الحريث
انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر والليل اذا عسعس رواه مسلم
وفي رواية النسائي يقرأ في الفجر اذا الشمس كورت وعن جابر بن سمرة قال كان صلى
الله عليه وسلم يقرأ في الفجر بقاف والقرآن المجيد ونحوها وكانت قراءته بعد
تخفيفا رواه مسلم وعن عبد الله بن السائب قال صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الصبح بمكة فاستفتح بسورة المؤمنين حتى جاء ذكر موسى وهارون
او ذكر عيسى شك الراوي او اختلف احذت النبي صلى الله عليه وسلم
سلعة فركع الحديث رواه مسلم قال النووي فيه جواز قطع القراءة وجواز
القراءة ببعض السورة وكرهه مالك انتهى وتعقب بان الذي كرهه مالك ان
يقتصر على بعض السورة مختارا والمستدل به ظاهر في انه كان للضرورة فلا
يرد عليه وكذا يرد على من استدل به على انه لا يكره قراءة بعض الآية اخذا
من قوله حتى جاء ذكر موسى وهارون او ذكر عيسى لان كلا من الموضعين يقع
في وسط آية نعم الكراهة لا تثبت الا بدليل وادلة الجواز كثيرة وفي حديث زيد
ابن ثابت انه صلى الله عليه وسلم قرأ الاعراف في الركعتين وام ابو بكر بالصحابة
في صلاة الصبح بسورة البقرة قرأها في الركعتين وهذا اجماع منهم وقرأ
في الصبح اذا زلزلت في الركعتين كلتيهما قال الراوي فلا ادري انسي ام قرأ ذلك
عمدا رواه ابو داود وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ في صبح الجمعة الم تنزيل السجدة
وهل اتى على الانسان حين من الدهر رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي
والنسائي من حديث ابي هريرة وانما كان يقرأهما كاملتين وقراءة بعضهما خلاف
السنة وانما يقرأهما لما اشتملتا عليه من ذكر المبدأ والمعاد وخلق ادم ودخول
الجنة والنار واحوال يوم القيمة لان ذلك يقع يوم الجمعة ذكره ابن رجب في العلم
المشهود وقرروه تقريرا حسنا كما افاده الحافظ ابن حجر قال وقد ورد في حديث

ابن مسعود التصريح بمداومته صلى الله عليه وسلم على قراءتهما في صبح الجمعة اخرجه
الطبراني ولفظه يديم ذلك واصله في ابن ماجه لكن بدون هذه الزيادة ورجاله
ثقات لكن صوب ابو حاتم ارساله قال وكان ابن دقيق العيد لم يقف فقال في
الكلام على حديث الباب ليس في الحديث ما يقتضي فعل ذلك دائما اقتضاء قويا
وهو كما قال بالنسبة لحديث الباب فان الصيغة ليست نصا في المداومة لكن
الزيادة المذكورة نصا في ذلك ولهذه الزيادة شاهد من حديث ابن عباس
بلفظ كل جمعة اخرجه الطبراني في الكبير واما تعيين السورة للركعة فورد من حديث
علي عند الطبراني بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعة الاولى
من صلاة الصبح يوم الجمعة الم تنزيل وفي الركعة الثانية هل اتى على الانسان وقد
اختلف تعليل المالكية لكراهة قراءة السجدة في الصلاة فقيل لكونها تشتمل على
زيادة سجود في الفرض قال القرطبي وهو تعليل فاسد بشهادة هذا الحديث وقيل
لخشية التخليط على المصلين ومن ثم فرق بعضهم بين الجهرية والسرية لان الجهرية
يؤمن معها التخليط لكن صح من حديث ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة
فيها سجدة في صلاة الظهر فسجد بهم فيها رواه ابو داود والحاكم فبطل التفرقة
ومنهم من علل الكراهية بخشية اعتقاد العوام انها فرض قال ابن دقيق العيد اما
القول بالكراهة مطلقا فيأباه الحديث لكن اذا انتهى الحال الى وقوع هذه المفسدة
فينبغي ان تترك احيانا لتندفع فان المستحب قد يترك لدفع المفسدة المتوقعة
وهو يحصل في بعض الاوقات انتهى وقال صاحب المحيط من الحنفية يستحب
قراءتها في صبح يوم الجمعة بشرط ان يقرأ غير ذلك احيانا لئلا يظن الجاهل انه لا
يجزئ غيره قال ولم ار في شيء من الطرق التصريح بانه صلى الله عليه وسلم لما قرأ
الم تنزيل في هذا المحل الا في كتاب الشريعة لابي داود من طريق اخرى عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس قال غدوت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة في صلاة الفجر
فقرأ سورة فيها سجدة فسجد الحديث وفي اسناده من ينظر في حاله انتهى وعن
علي عند الطبراني في المعجم الاوسط ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد
في الصبح يوم الجمعة في الم تنزيل وهذه الزيادة حسنة تدفع احتمال ان يكون قرأ
السورة ولم يسجد **الفرع الخامس** في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم في صلاة
الظهر والعصر عن ابي قتادة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر
في الاوليين بام القرآن وسورتين وفي الركعتين الاخريين بام الكتاب ويسمعنا الآية
احيانا ويطول في الركعة الاولى ما لا يطيل في الركعة الثانية وهكذا في العصر وهكذا

في الصبح

في الصبح رواه البخاري ومسلم وقال الشيخ تقي الدين السبكي كان السبب في تطويل
الاولى على الثانية ان النشاط في الاولى يكون اكثر فناسب التخفيف في الثانية
حذرا من الملل انتهى وروى ابن عبد الرزاق عن معمر عن يحيى آخر هذا
الحديث فظننا انه يريد بذلك ان يدرك الناس الركعة الاولى وعن ابي
سعيد الخدري قال كنا نحزر اي نقدر قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الظهر والعصر فحزرنا قيامه في الاخريين قدر النصف من ذلك وحزرناه في
في الركعتين الاوليين من العصر على قدر قيامه في الاخريين من الظهر وفي
الاخريين من العصر على النصف رواه مسلم وعن جابر بن سمرة كان صلى الله
عليه وسلم يقرأ في الظهر بالليل اذا يغشى وفي رواية بسبح اسم ربك الاعلى
وفي العصر نحو ذلك الحديث رواه مسلم وعنه كان يقرأ في الظهر والعصر
بالسماء ذات البروج والسماء والطارق رواه ابو داود والترمذي وعن
البراء كنا نصلي خلفه صلى الله عليه وسلم فنسمع منه الآية بعد الآيات
من لقمان والذاريات رواه النسائي قال ابن دقيق العيد فيه دليل
على جواز الاكتفاء بظاهر الحال في الاخبار دون التوقف على اليقين لان الطريق
الى العلم بقراءة السورة في السرية لا يكون الا بسماع كلها وانما يفيد
تعيين ذلك لو كان في الجهرية وكانه مأخوذ من سماع بعضها مع قيام
القرينة على قراءة باقيها ويحتمل ان يكون الرسول صلى الله عليه وسلم
كان يخبرهم عقب الصلاة دائما او غالبا بقراءة السورتين وهو بعيد جدا
انتهى وعن انس قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهر بسبح اسم
ربك الاعلى وهل اتيك حديث الغاشية رواه النسائي وعن ابي سعيد كانت
صلاة الظهر تقام فيذهب الذاهب الى البقيع فيقضي حاجته ثم يأتي
اهله فيتوضأ ويدرك النبي صلى الله عليه وسلم في الركعة الاولى رواه
مسلم **الفرع السادس** في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم في صلاة المغرب
عن ام الفضل بنت الحارث قالت سمعته صلى الله عليه يقرأ في المغرب
بالمرسلات عرفا رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود والترمذي والنسائي
وفي رواية انها لآخر ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرح
عقيل في روايته عن ابن شهاب بانها آخر صلاته صلى الله عليه وسلم ولفظه
ثم ما صلى لنا بعدها حتى قبضه الله اورده البخاري في باب الوفاة وعنده
في باب انما جعل الامام ليؤتم به من حديث عائشة ان الصلاة التي صلاها

النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه في مرض موته كانت الظهر فجمع بينهما
بان الصلوة التي حكتها عائشة كانت في المسجد والتي حكتها ام الفضل كانت
في بيته كما رواه النسائي لكن يعكر عليه رواية ابن اسحق عن ابن شهاب في هذا
الحديث بلفظ خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عاصب راسه
في مرضه فصلى المغرب الحديث رواه الترمذي ويمكن حمل قولها خرج الينا
اي من مكانه الذي كان راقدا فيه الى من في البيت فصلى فتلتئم الروايات وعن
جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب
بالطور رواه البخاري ومسلم زاد البخاري في الجهاد وكان اي جبير بن مطعم جاء
في اسارى بدر وزاد الاسماعيلي وهو يومئذ مشرك وللبخاري في المغازي
وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي وللطبراني واخذني من قراءته الكرب
ولسعيد ابن منصور كانما صدع قلبي وفي قوله سمعته صلى الله عليه وسلم
دليل على الجهر بها والله اعلم وعن مروان ابن الحكم قال لي زيد بن ثابت ما لك
تقرأ في المغرب بقصار المفصل وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ
بطولى الطوليين رواه البخاري زاد ابو داود قلت وما طولى الطوليين قال
الاعراف وفي رواية النسائي من حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم صلى
المغرب بسورة الاعراف فرقها في الركعتين وعن عبد الله بن عتبة قرأ صلى الله
عليه وسلم في صلاة المغرب بحم الدخان رواه النسائي وهذه الاحاديث
في القراءة مختلفة المقادير لان الاعراف من السبع الطوال والطور من طوال
المفصل والمرسلات من اوساطه قال الحافظ ابن حجر ولم ار حديثا مرفوعا
فيه التنصيص على القراءة فيها بشيء من قصار المفصل الا حديثا في ابن ماجة
عن ابن عمر نص فيه على الكافرون والاخلاص ومثله لابن حبان عن جابر بن
سمرة فاما ابن عمر فظاهر اسناده الصحة الا انه معلول قال الدارقطني اخطأ
بعض رواته فيه واما حديث جابر بن سمرة ففيه سعيد بن سماك وهو متروك
والمحفوظ انه قرأ بهما في الركعتين بعد المغرب واعتمد بعض اصحابنا وغيرهم
حديث سليمان ابن يسار عن ابي هريرة قال ما رأيت احدا اشبه صلاة
بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من فلان قال سليمان فكان يقرأ
في الصبح بطوال المفصل وفي المغرب بقصار المفصل رواه النسائي وصححه ابن
خزيمة وغيره وهذا يشعر بالمواظبة على ذلك لكن في استدلال به نظر نعم
حديث رافع انهم كانوا ينتضلون بعد صلوة المغرب يدل على تخفيف القراءة فيها

وطريق

وطريق الجمع بين هذه الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم كان احيانا يطيل
القراءة في المغرب اما لبيان الجواز واما لعلمه بعدم المشقة على المأمومين
وليس في حديث جبير دليل على ان ذلك تكرر منه واما حديث زيد ابن
ثابت ففيه اشعار بذلك لكونه انكر على مروان المواظبة على القراءة بقصار
المفصل ولو كان مروان يعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم واظب على ذلك
لاحتج به على زيد لكن لم يرد زيد فيما يظهر المواظبة على القراءة بالطول وانما اراد
منه ان يتعاهد ذلك كما رآه من النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديث ام الفضل
اشعار بانه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الصبح باطول من المرسلات لكونه
كان في شدة مرضه وهو مظنة التخفيف وهو يرد على ابي داود ادعاء نسخ
التطويل لانه روى عقيب حديث زيد ابن ثابت من طريق عروة انه كان يقرأ
في المغرب بالقصار قال وهذا يدل على نسخ حديث زيد ولم يبين وجه الدلالة
وكيف يصح دعوى النسخ وام الفضل تقول ان آخر صلاة صلاها بهم قرأ
بالمرسلات قال ابن خزيمة في صحيحه هذا من الاختلاف المباح فجائز للمصلي
ان يقرأ في المغرب وفي الصلوات كلها بما احب الا انه اذا كان اماما استحب
له ان يخفف القراءة انتهى والراجح عند النووي ان قصار المفصل من الحجرات
الى آخر القرآن الفرع التاسع في ذكر ما كان صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة
العشاء عن البراء كان صلى الله عليه وسلم يقرأ في العشاء والتين والزيتون
فما سمعت احدا احسن صوتا او قراءة منه صلى الله عليه وسلم رواه البخاري
ومسلم وكان صلى الله عليه وسلم اذا اتى على آية عذاب وقف وتعوذ رواه
الترمذي من حديث حذيفة وكان اذا قرأ بسبح اسم ربك الاعلى قال سبحان ربي
الاعلى رواه احمد وابو داود من رواية ابن عباس وقال صلى الله عليه وسلم
من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى الى اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى
وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا اقسم بيوم القيمة فانتهى الى قوله اليس
ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ فباي حديث
بعده يؤمنون فليقل امنا بالله رواه ابو داود والترمذي الى قوله وانا على ذلك
من الشاهدين وكان صلى الله عليه وسلم يسكت بين التكبير والقراءة اسكاتة
وعنها سأله ابو هريرة ويسكت بعد الفاتحة ويسكت ثالثة بعد قراءة السورة
وهي سكتة لطيفة جدا حتى يتراد اليه النفس ولم يكن يصل القراءة بالركوع
واما السكتة الاولى فانه كان يجعلها بقدر الاستفتاح واما الثانية فلاجل قراءة

للماموم الفاتحة فينبغي تطويلها بقدر ما ذكره صاحب زاد المعاد وعن سمرة
ابن جندب سكتتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل
في صلاته واذا فرغ من القراءة ثم قال بعد ذلك واذا قرأ ولا الضالين قال
وكان يعجبه اذا فرغ من القراءة ان يسكت حتى يتراد اليه نفسه رواه الترمذي
الفرع الثامن في ذكر صفة ركوعه صلى الله عليه وسلم عن ابي حميد الساعدي
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة رفع يديه حتى
يحاذي بهما منكبيه فذكر الحديث الى ان قال ثم يكبر ويرفع يديه حتى
يحاذي بهما منكبيه ثم رفع ويضع راحتيه على ركبتيه ثم يعتدل فلا
يصوب رأسه ولا يقنع رواه ابو داود والدارمي الفرع التاسع في ذكر مقدار
ركوعه صلى الله عليه وسلم عن ابن جبير قال سمعت انس بن مالك يقول ما صليت
وراء احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اشبه صلاة بصلاة رسول
الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى يعني عمر بن عبد العزيز قال فحزرنا ركوعه
عشر تسبيحات وسجوده عشر تسبيحات رواه ابو داود وعن البراء كان ركوع
النبي صلى الله عليه وسلم وسجوده وبين السجدتين واذا رفع من الركوع ما
خلا القيام والقعود قريبا من السواء رواه البخاري ومسلم وقال النووي هذا
الحديث محمول على بعض الاحوال والا فقد ثبت في الحديث تطويل القيام فانه
كان يقرأ في الصبح بالستين الى المائة وفي الظهر بالم السجدة وانه كان تقام
الصلوة فيذهب الذاهب الى البقيع فيقضي حاجته ثم يرجع الى اهله و
يتوضأ ثم يأتي المسجد فيدرك الركعة الاولى وانه قرأ سورة المؤمنين
حتى بلغ ذكر موسى وهارون وانه قرأ في المغرب بالطور والمرسلات وفي البخاري
بالاعراف فكل هذا يدل على انه كانت له في اطالة القيام احوال بحسب الاوقات
وهذا الحديث الذي نحن فيه جرى في بعض الاوقات انتهى وقال ابن القيم مراد
البراء ان صلاته صلى الله عليه وسلم كانت معتدلة فكان اذا اطال اطال
القيام والركوع والسجود واذا خفف خفف الركوع والسجود وتارة يجعل الركوع
والسجود بقدر القيام وهديه صلى الله عليه وسلم الغالب تعديل
الصلوة وتناسبها انتهى الفرع العاشر في ذكر ما كان يقوله صلى الله
عليه وسلم عن عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يكثر ان
يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول
القرآن رواه البخاري ومسلم ومعنى يتاول يعمل بما امر به في قوله تعالى فسبح

بحمد

بحمد ربك واستغفره انه كان توابا يقول هذا الكلام البديع في الجزالة
المستوفي فيما امر به في الآية وعنها كان صلى الله عليه وسلم يقول
في ركوعه سبوح قدوس رب الملائكة والروح رواه مسلم وعن حذيفة
انه عليه الصلوة والسلام كان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي
سجوده سبحان ربي الاعلى وكان صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه
من الركوع قال سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء
الارض وملء ما شئت من شيء بعد رواه مسلم قال النووي يبدأ يعني
المصلي بقوله سمع الله لمن حمده حين الشروع في الرفع من الركوع ويمده حتى
ينتصب قائما ثم يشرع في ذكر الاعتدال وهو ربنا لك الحمد الى آخره قال
وفي هذا الحديث دلالة للشافعي وطائفة انه يستحب لكل مصل من امام
ومأموم ومنفرد ان يجمع بين سمع الله لمن حمده وربنا لك الحمد في حالة
استوائه وانتصابه في الاعتدال لانه ثبت انه صلى الله عليه وسلم فعلهما
جميعا وقال عليه الصلوة والسلام صلوا كما رأيتموني اصلي رواه البخاري
انتهى وقال ابن القيم كان عليه الصلوة والسلام اذا استوى قائما قال ربنا
ولك الحمد وربما قال ربنا لك الحمد وربما قال اللهم ربنا لك الحمد صح عنه
ذلك كله واما الجمع بين الواو واللهم فلم يصح انتهى قلت وقع في صحيح
البخاري من حديث ابي هريرة في رواية الاصيلي مرفوعا اذا قال الامام سمع الله
لمن حمده فقولوا اللهم ربنا ولك الحمد فجمع بين اللهم والواو وهو يرد على
ابن القيم كما ترى وقال الشيخ تقي الدين في شرح العمدة كان اثبات الواو دال على
معنى زائد لانه يكون التقدير ربنا استجب وما قارب ذلك ولك الحمد فيكون
الكلام مشتملا على معنى الدعاء ومعنى الخبر واذا قيل باسقاط الواو دل على
احدهما انتهى وقال ابن العراقي في اسقاط الواو وحكاه عن الشافعي ابن قدامة
وقال لان الواو للعطف وليس هنا شيء يعطف عليه وعن مالك واحمد في
ذلك خلاف وقال النووي كلاهما جاءت به روايات كثيرة والمختار انه على
على وجه الجواز وان الامرين جائزان ولا ترجيح لاحدهما على الآخر انتهى وعن
ابي سعيد الخدري كان صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع قال
اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد
اهل الثناء والمجد احق ما قال العبد وكلنا لك عبد اللهم لا مانع لما اعطيت
ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد رواه مسلم قوله ملء السموات

وملء الارض اى حمدا لو كان اجساما لملأت السموات والارض ومعنى
سمع الله لمن حمده اجاب يعنى ان من حمد الله تعالى متعرضا للثواب استجاب
الله له واعطاه ما تعرض له فانا اقول ربنا لك الحمد ليحصل ذلك وقوله اهل
منصوب على النداء وقوله وكلنا لك عبد بالواو يعنى احق قول العبد كلام مع
لما اعطيت الى آخره واعترض بينهما قوله وكلنا لك عبد ومثل هذا الاعتراض
قوله تعالى قالت رب انى وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر
كالانثى على قراءة من قرأ وضعت بفتح العين واسكان التاء والجد بفتح الجيم
الغنا اى لا ينفع ذا الغنا منك غناؤه وانما ينفعه الايمان والطاعة والله
اعلم وفى رواية ابن ابى اوفى عند مسلم كان صلى الله عليه وسلم يقول بعد
قوله من شىء بعد اللهم طهرنى بالثلج والبرد والماء البارد **الفرع الحادى عشر**
فى ذكر صفة سجوده صلى الله عليه وسلم وما يقول فيه كان صلى الله عليه وسلم
اذا انتهى من ذكر قيامه عن الركوع يكبر ويخر ساجدا ولا يرفع يديه وقد روى
انه عليه الصلوة والسلام كان يرفع يديه ايضا وصححه بعض الحفاظ كابن
حزم والذى غره ان الراوى غلط من قوله كان يكبر فى كل خفض ورفع الى
قوله كان يرفع يديه فى كل خفض ورفع وهو ثقة ولم يفطن ليست غلطة ووهم
فصححه ونبه عليه فى زاد المعاد وكان عليه الصلوة والسلام يضع ركبتيه
قبل يديه رواه ابو داود ثم جبهته وانفه وقال امرت ان اسجد على سبعة اعظم
الجبهة واليدين والركبتين واطراف القدمين رواه البخارى ومسلم من حديث
ابن عباس قال النووى فينبغى للساجد ان يسجد على هذه الاعضاء كلها وان يسجد
على الجبهة والانف جميعا فاما الجبهة فيجب وضعها مكشوفة على الارض ويكفى
بعضها والانف مستحب فلو تركه جاز ولو اقتصر عليه وترك الجبهة لم يجز
هذا مذهب الشافعى ومالك والاكثرين وقال ابو حنيفة عليهما معا لظاهر الحديث
وقال الاكثرون بل ظاهر الحديث انهما فى حكم عضو واحد لانه قال فيه سبعة
فلو جعلا عضوين صارت ثمانية وكان عليه الصلوة والسلام اذا سجد
فرج بين يديه حتى يبدو بياض ابطيه رواه الشيخان وقالت ميمونة جافى بين
يديه حتى لو شاءت بهيمة ان تمر بين يديه لمرت رواه مسلم ولم يذكر عنه صلى
الله عليه وسلم انه سجد على كور عمامته ولم يثبت عنه ذلك فى حديث صحيح
ولا حسن ولكن روى عبد الرزاق فى المصنف عن ابى هريرة قال كان صلى الله
عليه وسلم يسجد على كور عمامته وهو من رواية عبد الله بن محرز وهو متروك

وذكر

وذكر ابو داود فى المراسيل انه صلى الله عليه وسلم راى رجلا يصلى فسجد
بجنبه وقد اعتم على جبهته فحسر صلى الله عليه وسلم عن جبهته وكان صلى
الله عليه وسلم يقول فى سجوده اللهم اغفر لى ذنبى كله دقه وجله اوله وآخره
علانيته وسره رواه مسلم من حديث ابى هريرة وقوله دقه وجله بكسر
اولهما اى قليله وكثيره وعن عائشة قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه
ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدى على بطن قدميه وهو فى السجود وهما
منصوبتان وهو يقول اللهم انى اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك
من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
رواه مسلم قال الخطابى فى هذا الحديث معنى لطيف وذلك انه عليه
الصلوة والسلام استعاذ بالله وسأله ان يجيره برضاه من سخطه و
بمعافاته من عقوبته والرضى والسخط ضدان متقابلان وكذلك المعافاة
والمعاقبة فلما صار الى ذكر ما لا ضد له وهو الله تعالى استعاذ به منه لا غير
ومعناه الاستغفار من التقصير فى بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء
عليه وقوله لا احصى ثناء عليك اى لا اطيقه ولا آتى عليه وقيل لا احيط
به وقال مالك لا احصى نعمتك واحسانك والثناء بها عليك وان اجتهدت
فى الثناء عليك وقوله انت كما اثنيت على نفسك اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء
فانه لا يقدر على بلوغ حقيقته ورد الثناء الى الجملة دون التفصيل والاحصاء
والتعيين فوكل ذلك كله الى الله سبحانه وتعالى المحيط بكل شىء جملة وتفصيلا
وكما انه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه لان الثناء تابع للمثنى عليه فكل
ثناء اثنى به عليه وان كثر وطال وبالغ فيه فقدر الله اعظم وسلطانه اعز
وصفاته اكثر واكبر واحسانه وفضله اوسع واسبغ انتهى **وههنا** فائدة
لطيفة ذكرها بعض المحققين فى نهيه صلى الله عليه وسلم عن قراءة القرآن
فى الركوع والسجود وهى ان القرآن اشرف الكلام وحالتا الركوع والسجود حالتا
ذل وانخفاض من العبد فمن الادب مع كلام الله تعالى ان لا يقرأ فى هاتين
الحالتين وتكون حالة القيام والانتصاب اولى به والله اعلم وروى ابو داود
انه صلى الله عليه وسلم سجد على الماء والطين وكان صلى الله عليه وسلم
يرفع رأسه من السجود مكبرا غير رافع يديه ويرفع منه رأسه قبل يديه ثم يجلس
على رجله اليسرى وينصب اليمنى وكان صلى الله عليه وسلم يجلس للاستراحة
جلسة لطيفة بحيث تسكن جوارحه سكونا بينا ثم يقوم الى الركعة الثانية كما

في صحيح البخاري وغيره قال النووي ومذهبنا استحبابها عقب السجدة الثانية من
كل ركعة يقوم عنها ولا يستحب في سجود التلاوة في الصلاة وكان عليه الصلاة
والسلام يقول بين السجدتين اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني
رواه ابو داود والدارمي من حديث ابن عباس **الفرع التاسع عشر** في ذكر صفة جلوسه
صلى الله عليه وسلم للتشهد كان صلى الله عليه وسلم اذا جلس للتشهد يفرش
رجله اليسرى وينصب اليمنى رواه مسلم قال النووي ومعناه يجلس مفترشا وفيه
حجة لابي حنيفة ومن وافقه ان الجلوس في الصلوة يكون مفترشا سواء فيه
جميع الجلسات وعند مالك يسن متوركا بان يخرج رجله اليسرى من تحته ويفضي بوركه
الى الارض وقال الشافعي رحمه الله السنة ان يجلس كل الجلسات مفترشا الا الجلسة
التي يعقبها السلام والجلسات عند الشافعي اربع الجلوس بين السجدتين وجلسة الاستراحة
عقب كل ركعة يعقبها قيام والجلسة للتشهد الاول والجلسة للتشهد الاخير والجميع يسن
مفترشا الا الاخيرة ولو كان على المصلي سجود سهو فالاصح انه يجلس مفترشا في تشهده
فاذا سجد سجدتي السهو تورك ثم سلم هذا تفصيل مذهب الشافعي **واحتج** ابو حنيفة
باطلاق حديث عائشة هذا واحتج الشافعي بحديث ابي حميد الساعدي في صحيح البخاري
وفيه التصريح بالافتراش في الجلوس الاول والتورك في آخر الصلوة وحمل حديث
عائشة على هذا الجلوس في غير التشهد الاخير ليجمع بين الاحاديث انتهى فليتامل مع قول
ابن القيم في الهدي النبوي انه لم ينقل احد عنه صلى الله عليه وسلم ان هذا كان صفة
جلوسه في التشهد الاول ولا اعلم احدا قال به انتهى وقال ابو حميد الساعدي في عشرة من
اصحابه صلى الله عليه وسلم انا اعلمكم بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا فاعرض فذكر الحديث الى ان قال حتى اذا كانت السجدة التي فيها التسليم اخرج
رجله اليسرى وقعد متوركا على شقه الايسر ثم سلم قالوا صدقت هكذا كان
يصلي رواه ابو داود والدارمي وفي رواية لابي داود فاذا قعد في الركعتين قعد على
بطن قدمه اليسرى ونصب اليمنى واذا كان في الرابعة افضى بوركه اليسرى الى الارض
واخرج قدميه من ناحية واحدة الحديث وكان صلى الله عليه وسلم اذا قعد في
التشهد وضع يده اليسرى على ركبته اليسرى ووضع يده اليمنى على ركبته اليمنى وعقد
ثلاثا وخمسين واشار بالسبابة **وفي** رواية مسلم وضع يديه على ركبتيه ورفع اصبعه
اليمنى التي تلي الابهام ويدعو بها ويده اليسرى على ركبته باسطها عليها **وعند** ابي داود من
حديث وائل ابن حجر حد مرفقه اليمنى على فخذه اليمنى وقبض ثنتين وحلق حلقة ثم رفع
اصبعه فرايته يحركها ويدعو **وفي** حديث ابن الزبير عنده ايضا كان يشير بها ولا

يحركها

يحركها الحديث وكان صلى الله عليه وسلم يستقبل باصابعه القبلة في رفع يديه
وركوعه وفي سجوده وفي التشهد ويستقبل باصابع رجليه القبلة في سجوده **الفرع
الثالث عشر** في ذكر تشهده صلى الله عليه وسلم كان صلى الله عليه وسلم يتشهد
دائما في هذه الجلسة ويعلم اصحابه ان يقولوا التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله
الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله رواه مسلم من رواية ابن عباس وهو الذي اختاره
الشافعي لزيادة المباركات لا تشهد ابن مسعود قاله القاضي عياض رحمه الله عليه **وعبارة**
الشافعي فيما اخرجه البيهقي بسنده الى الربيع ابن سليمان انباه الشافعي جوابا لمن ساله بعد ذكر حديث
ابن عباس وانا نرى الرواية اختلفت فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم **فروى** ابن مسعود خلاف
هذا فساق الكلام الى ان قال فلما رايته واسعا وسمعته يعني حديث ابن عباس
صحيحا وروايته اكثر لفظا من غيره يعني من المرفوعات اخذت به غير معنف لمن اخذ بغيره هذا
آخر كلامه وليس فيه تصريح بالافضلية والعلم عند الله **وقال** ابو حنيفة واحمد
وجمهور الفقهاء واهل الحديث تشهد ابن مسعود افضل لانه عند المحدثين اشد
صحة **وقال** مالك رحمه الله تشهد عمر بن الخطاب الموقوف عليه افضل لانه
علمه للناس على المنبر ولم ينازعه احد فدل على تفضيله ومذهب الشافعي ان التشهد
الاول سنة والثاني واجب وجمهور المحدثين انهما واجبان وقال احمد الاول واجب يجبر تركه
بالسجود والثاني ركن تبطل الصلوة بتركه وقال ابو حنيفة ومالك وجمهور الفقهاء هما سنتان
وعن مالك رواية بوجوب الاخير وقد كان عليه الصلوة والسلام ياتي بالتشهدين وفي الموطا
عن القاسم ابن محمد قال علمتني عائشة قالت هذا تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم التحيات لله
والصلوات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
اشهد ان لا اله الا الله وحده واشهد ان محمدا عبده ورسوله وهو مثل حديث ابن مسعود
رواه البيهقي باسنادا جيدا قال النووي وفي هذا فائدة حسنة وهي ان تشهده عليه الصلوة
والسلام بلفظ تشهدنا انتهى قال الحافظ ابن حجر وكانه يشير الى رد ما وقع في كلام الرافعي
انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في التشهد واشهد اني رسول الله **وتعقبوه** بانه لم يرد
ذلك صريحا نعم وقع في البخاري من حديث سلمة بن اكوع قال خفت ازواد القوم فذكر
الحديث وفيه فقال صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله ومن
لطائف التشهد ما قاله البيضاوي وعلمهم ما يفردوه صلى الله عليه وسلم بالذكر لشرفه
ومزيد حقه عليهم **فان** قيل كيف شرع هذا اللفظ وهو خطاب بشر مع كونه منهيا عنه
في الصلاة **فالجواب** ان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم **فان** قلت ما الحكمة

في العدول عن الغيبة الى الخطاب في قوله عليك ايها النبي مع ان لفظ الغيبة هو الذي
يقتضيه السياق كان يقول السلام على النبي فينتقل من تحية الله الى تحية النبي ثم الى تحية
النفس ثم الى الصالحين اجاب الطيبي بما محصله نحن نتبع لفظ الرسول بعينه
الذي علمه للصحابة ويحتمل ان يقال على طريق اهل المعرفة بان المصلين لما استفتحوا
باب الملكوت بالتحيات اذن لهم بالدخول في حريم الحي الذي لا يموت فقرت اعينهم بالمناجات
فنبهوا على ان ذلك بواسطة نبي الرحمة وبركة متابعته فالتفتوا فاذا الحبيب في حرم
الحبيب حاضر فاقبلوا عليه قائلين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
انتهى وقال الترمذي الحكيم في قوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين من اراد ان
يحظى بهذا السلام الذي يسلمه الخلق في صلاتهم فليكن عبدا صالحا والا حرم هذا
الفضل العظيم وقال القفال في فتاويه ترك الصلاة يضر جميع المسلمين لان المصلي
يقول اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات ولا بد ان يقول في التشهد السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين فيكون مقصرا في خدمة الله وفي حق رسوله وفي حق نفسه وفي حق
كافة المسلمين ولذلك عظمت المعصية بتركها واستنبط منه السبكي ان في
الصلاة حقا للعباد مع حق الله تعالى وان من تركها اخل بجميع حق المؤمنين من مضى
ومن يجيء الى يوم القيمة لوجوب قوله فيها السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
انتهى وتقدم الكلام على وجوب الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم بعد التشهد الاخير
وما في ذلك من المباحث في فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وعند الطبراني
مرفوعا عن سهل ابن سعد لا صلاة لمن لم يصل على نبيه وكذا عند ابن ماجه والدار قطني
وعن ابي مسعود الانصاري عند الدارقطني من صلى صلاة لم يصل فيها علي ولا على اهل
بيتي لم تقبل منه وعن ابي مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تشهد
احدكم في الصلاة فليقل اللهم صل على سيدنا محمد وعلى ال محمد وارحم محمدا
وال محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد
رواه الحاكم واغتر قوم بتصحيحه فوهموا فانه من رواية يحيى ابن ابي السباق وهو مجهول
عن رجل منهم وبالغ ابن العربي في انكار ذلك فقال حذار لما ذكره ابن ابي زيد من زيادة
وترحم فانه قريب من البدعة لانه صلى الله عليه وسلم علمهم كيفية الصلاة عليه
بالوحي ففي الزيادة على ذلك استدراك عليه انتهى وقال الحافظ ابن حجر وابن
ابي زيد ذكر ذلك في الرسالة في صفة التشهد ومنه اللهم صل على محمد وال محمد
فزاد وترحم على محمد وال محمد وبارك على محمد وال محمد الى اخره فان كان انكاره لكونه
لم يصح فمسلم والا فدعوى من ادعى انه لا يقال وارحم محمدا مردود لثبوت ذلك في عدة

احاديث

احاديث اصحها في التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال ثم
وجدت لابن ابي زيد مستندا واخرج الطبراني في تهذيبه من طريق حنظلة
ابن علي عن ابي هريرة رفعه من قال اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم
وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم وترحم على محمد وعلى ال
محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم شهدت له يوم القيمة وشفعت له ورجاله
سنده رجال الصحيح الا سعيد بن سليمان مولى سعيد بن العاص الراوي له عن حنظلة
ابن علي فانه مجهول وهذا كله فيما يقال مضموما الى السلام او الصلوة وقد اتفق
ابن العربي والصيدلاني من الشافعية على المنع ونقل القاضي عياض عن الجمهور
الجواز مطلقا وقال القرطبي في المفهم انه الصحيح لورود الاحاديث به وخالفه غيره
ففي الذخيرة من كتب الحنفية عن محمد يكره ذلك لايهامه النقص لان الرحمة غالبا
انما تكون لفعل ما يلام عليه وجزم ابن عبد البر بمنعه فقال لا يجوز لاحد اذا
ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول رحمه الله لانه عليه الصلاة والسلام
قال من صلى علي ولم يقل من ترحم علي ولا من دعا لي وان كان معنى الصلاة الرحمة
ولكنه خص بهذا اللفظ تعظيما له فلا يعدل عنه الى غيره انتهى واخرج ابو العباس
السراج عن ابي هريرة انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد وبارك على محمد وعلى ال كما صليت وباركت على ابراهيم
وال ابراهيم انك حميد مجيد وفي حديث بريدة رفعه اللهم اجعل صلواتك و
رحمتك وبركاتك على محمد وعلى ال محمد كما جعلتها على ابراهيم وعلى ال ابراهيم
ووقع في حديث ابن مسعود عند ابي داود والنسائي على محمد النبي الامي وفي حديث
ابي سعيد على محمد عبدك ورسولك كما صليت على ابراهيم ولم يذكر ال محمد ولا ال
ابراهيم وعند ابي داود من حديث ابي هريرة اللهم صل على محمد النبي الامي وازواجه
امهات المؤمنين وذريته واهل بيته ووقع في اخر حديث ابن مسعود في العالمين
انك حميد مجيد وقال النووي في شرح المهذب ينبغي ان يجمع ما في الاحاديث
الصحيحة فيقول اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى ال محمد وازواجه وذريته
كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم وبارك مثله وزاد في اخره في العالمين وقال
في الاذكار مثله وزاد عبدك ورسولك بعد قوله محمد في صل ولم يزدها
في باركت وقال في التحقيق والفتاوي مثله الا انه اسقط النبي الامي وقد تعقبه
الاسنوي فقال لم يستوعب ما ثبت في الاحاديث مع اختلاف كلامه وقال
الاذرعي لم يسبق الى ما قاله والذي يظهر ان الافضل لمن تشهد ان ياتي باكمل

الروايات ويقول كلما ثبت هذا مرة وهذا مرة واما التلفيق فانه يستلزم
احداث صفة في التشهد لم ترد مجموعة في حديث واحد وسبقه الى معنى ذلك
ابن القيم وقد كان صلى الله عليه وسلم يدعوا في الصلوة اللهم انى اعوذ بك
من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من فتنة المحيا
وفتنة الممات اللهم واعوذ بك من المأثم والمغرم فقال له قائل ما اكثر ما تستعيذ
من المغرم فقال ان الرجل اذا غرم حدث فكذب ووعد فاخلف رواه البخاري
ومسلم من رواية عائشة قال ابن دقيق العيد فتنة المحيا ما يعرض للانسان مدة
حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات واعظمها والعياذ بالله تعالى
امر الخاتمة عند الموت وفتنة الممات يجوز ان يراد بها الفتنة عند الموت اضيفت
اليه لقربها منه ويجوز ان يكون المراد بها فتنة القبر ولا يكون مع هذا الوجه
متكررا مع قوله عذاب القبر لان العذاب مرتب على الفتنة والسبب غير المسبب
وروى الحكيم الترمذي في نوادر الاصول عن سفيان الثوري ان الميت اذا سئل عن
ربك تراءى له الشيطان فيشير الى نفسه اي انا ربك فلهذا ورد سؤال
التثبيت له حين يسئل وقد استشكل دعاؤه صلى الله عليه وسلم بما ذكر مع
انه مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر واجيب باجوبة منها انه قصد
التعليم لامته ومنها ان المراد السؤال منه لامته فيكون المعنى اعوذ بك لامتي
ومنها سلوك الطريق التواضع واظهار العبودية والتزام خوف الله واعظامه
والافتقار اليه وامتثال امره في الرغبة اليه ولا يمتنع تكرير الطلب مع تحقيق
الاجابة لان في ذلك تحصيل الحسنات ورفع الدرجات وفيه تحريض
لامته على ملازمة ذلك لانه اذا كان مع تحقق المغفرة لا يترك التضرع فمن
لم يتحقق ذلك احرى بالملازمة واما الاستعاذة من فتنة الدجال مع تحققه
انه لا يدركه فلا اشكال فيه على الوجهين الاولين وقيل على الثالث يحتمل
ان يكون ذلك قبل ان يتحقق عدم ادراكه ويدل عليه قوله في الحديث الآخر
عند مسلم ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه الحديث والله اعلم وعن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد التشهد اللهم اني اعوذ
بك من عذاب جهنم واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة
الدجال الاعور واعوذ بك من فتنة المحيا والممات رواه ابو داود وعن
علي ابن ابي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ما بين التشهد
والتسليم اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت

وما اسرفت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت رواه
مسلم وغيره وفي رواية له واذا سلم قال اللهم اغفر لي ما قدمت الى آخره
ويجمع بينهما بحمل الرواية الثانية على ارادة السلام لان مخرج الطريقين واحد
واورده ابن حبان بلفظ كان اذا فرغ من الصلوة وسلم وهذا ظاهر في
انه بعد السلام ويحتمل انه كان يقول ذلك قبل السلام وبعده وسيأتي
الجواب عما استشكل في دعائه عليه السلام بهذا الدعاء في ادعيته
صلى الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى وحاصل ما ثبت عنه صلى الله
عليه وسلم من المواضع التي كان يدعو بها في داخل صلوته ستة مواطن
الاول عقب تكبيرة الاحرام كما في حديث ابي هريرة في الصحيحين اللهم باعد
بيني وبين خطاياي الحديث ونحوه الثاني في الركوع كما في حديث عائشة عند
الشيخين كان اكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم
اغفر لي الثالث في الاعتدال من الركوع كما في حديث ابن ابي اوفى عند مسلم
انه كان يقول بعد قوله من شيء بعد اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد
الرابع في السجود وهو اكثر ما كان يدعو فيه وامر به الخامس بين السجدتين
اللهم اغفر لي الخ السادس في التشهد وكان ايضا يدعو في القنوت وفي
حال القراءة اذا مر باية رحمة سال واذا مر باية عذاب استعاذ وتقدم
كل ذلك والله الموفق الفرع الرابع عشر في ذكر تسليمه عليه الصلوة
والسلام من الصلوة كان صلى الله عليه وسلم يسلم عن يمينه وعن شماله
حتى يرى بياض خده رواه مسلم والنسائي من حديث عامر بن ربيعة عن
ابيه وفي حديث ابن مسعود كان يسلم عن يمينه وعن يساره السلام عليكم
ورحمة الله رواه الترمذي وزاد ابو داود حتى يرى بياض خده وفي رواية النسائي
حتى يرى بياض خده من ههنا الحديث وهكذا كان فعله الثابت رواه عنه خمسة
عشر صحابيا وهم عبد الله ابن مسعود وسعد ابن ابي وقاص وسهل
ابن سعد ووائل بن حجر وابو موسى الاشعري وحذيفة بن اليمان وعمار بن
ياسر وعبد الله بن عمر وجابر بن سمرة والبراء بن عازب وابو مالك الاشعري
وطلق بن علي واوس بن اوس وابو ثور وعدي بن عميرة وهذا مذهب
الشافعي وابو حنيفة واحمد والجمهور ومذهب مالك في طائفة المشروع تسليمة
ودليل مذهبنا ما تقدم واما ما روي انه صلى الله عليه وسلم كان يسلم
تسليمة واحدة تلقاء وجهه فلم يثبت من وجه صحيح واجود ما في ذلك

حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان يسلم تسليمة واحدة السلام
عليكم يرفع بها صوته حتى يوقظنا فهو حديث معلول وهو من السنن لكنه
في قيام الليل والذي رووا عنه التسليمتين رووا ما شهدوا في الفرض والنفل وحديث
عائشة يسلم تسليمة واحدة يوقظهم بها ولم تنف الاخرى بل سكتت عنها وليس
سكوتها عنها مقدما على رواية من حفظها وضبطها وهم اكثر عددا واحاديثهم
اصح والله اعلم واختلف في التسليم فقال مالك والشافعي واحمد وجمهور العلماء
انه فرض لا تصح الصلوة الا به وقال ابو حنيفة والثوري والاوزاعي سنة لو تركت
صحت صلوته وقال ابو حنيفة لو فعل منافيا للصلوة من حدث او غيره في آخرها
صحت صلوته واحتج بانه عليه الصلوة والسلام لم يعلمه الاعرابي حين علمه
واجبات الصلوة واحتج الجمهور بحديث ابي داود مفتاح الصلوة الطهور وتحليلها
التسليم **وكان** صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلوة طأطأ رأسه رواه
احمد وكان لا يجاوز بصره اشارته وكان قد جعل الله قرة عينه في الصلوة كما
قال وجعلت قرة عيني في الصلوة رواه النسائي ولم يكن يشغله عليه الصلوة
والسلام ما هو فيه من مراعات احوال المؤمنين مع كمال اقباله وقربه من ربه
عز وجل وحضور قلبه بين يديه وكان يدخل في الصلوة فيريد اطالتها فيسمع
بكاء الصبي فيتجوز في صلاته مخافة ان يشق على امه رواه البخاري وابو داود و
النسائي وكان يؤم الناس وهو حامل امامة بنت ابي العاص ابن الربيع
على عاتقه رواه مسلم وغيره قال النووي وهذا يدل لمذهب الشافعي رحمه الله
ومن وافقه انه يجوز حمل الصبي والصبية وغيرهما من الحيوان في صلاة الفرض
والنفل والامام والمأموم والمنفرد وحمله اصحاب مالك رحمه الله على النافلة
ومنعوا جواز ذلك في الفريضة وهذا التاويل فاسد لان قوله يؤم الناس
صريح او كالصريح في انه كان في الفرض وادعى بعض المالكية انه منسوخ وبعضهم
انه خاص به صلى الله عليه وسلم وبعضهم انه كان لضرورة وكلها مردودة ولا
دليل عليها ولا ضرورة اليها بل الحديث صحيح صريح في جواز ذلك **وليس** فيه ما
يخالف الشرع لان الادمي طاهر وما في جوفه من النجاسة معفو عنها لكونه في معدته
وثياب الاطفال واجسادهم على الطهارة ودلائل الشرع متظاهرة على هذا
والافعال في الصلوة لا تبطلها اذا قلت او تفارقت وفعله عليه الصلوة والسلام
للجواز تنبيها على هذه القواعد التي ذكرتها وهذا يرد ما ادعاه ابو سليمان الخطابي
ان هذا الفعل يشبه ان يكون بغير تعمد لحملها في الصلوة لكنها كانت تتعلق به

عليه

عليه الصلوة والسلام فلم يدفعها فاذا قام بقيت معه قال يتوهم
ان حملها ووضعها مرة بعد اخرى لانه عمل كثير ويشغل القلب واذا
كان علم الخميصة شغله فكيف لا يشغله هنا هذا كلام الخطابي وهو
باطل ودعوى مجردة ومما يرده قوله في صحيح مسلم فاذا قام حملها واذا
رفع من السجود اعادها وقوله في رواية غير مسلم خرج حاملا امامة وصلى
وذكر الحديث واما قضية الخميصة فانها تشغل القلب بلا فائدة وحمل
امامة لا يسلم انه يشغل القلب وان شغله فيترتب عليه فوائد وبيان
قواعد مما ذكرنا وغيره فاحتمل ذلك الشغل لهذه الفوائد بخلاف الخميصة
والصواب الذي لا يعدل عنه ان الحديث كان للبيان او للتنبيه على هذه
القواعد فهو جائز لنا وشرع مستمر الى يوم الدين والله اعلم انتهى و
كان صلى الله عليه وسلم يصلي فيجيء الحسن او الحسين فيركبه على
ظهره فيطيل السجدة كراهية ان يلقيه عن ظهره وكان يرد السلام بالاشارة
على من يسلم عليه وهو في الصلوة قال جابر بعثني رسول الله صلى
الله عليه وسلم لحاجة فادركته وهو يصلي فسلمت عليه فاشار
الي رواه مسلم وقال عبد الله بن مسعود لما قدمت من الحبشة اتيت
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فسلمت عليه فاوما برأسه
رواه البيهقي وكان يصلي وعائشة معترضة بينه وبين القبلة فاذا سجد
غمزها بيده فقبضت رجليها واذا قام بسطتهما رواه البخاري وكان
عليه الصلوة والسلام لا يلتفت في صلاته وفي البخاري عن عائشة قالت
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال
هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد وروى ابو داود من حديث
سهل ابن الحنظلية انه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين من يحرسنا
الليلة قال انس ابن ابي مرثد الغنوي انا يا رسول الله قال اركب فركب فرسا
له فقال استقبل هذا الشعب حتى تكون في اعلاه فلما اصبحنا ثوب
بالصلاة فجعل صلى الله عليه وسلم يصلي وهو يلتفت الى الشعب حتى
اذا قضى الصلوة قال ابشروا فقد جاء فارسكم فهذا الالتفات من الاشتغال
بالجهاد في الصلوة وهو يدخل في مداخل العبادات كصلاة الخوف
وقريب منه قول عمر رضي الله عنه اني لاجهز الجيش وانا في الصلاة فهذا
جمع بين الصلاة والجهاد ونظيره التفكر في معاني القران واستخراج

كنوز العلم منه وكان صلى الله عليه وسلم يصلي فعرض له الشيطان
ليقطع عليه صلوته فاخذه وخنقه حتى سال لعابه على يديه وروى مطرف
ابن عبد الله ابن الشخير عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ولجوفه
ازيز كازيز المرجل يعني يبكي وفي رواية ولصدره ازيز كازيز الرحا من البكاء روا
احمد ولم يكن صلى الله عليه وسلم يغمض عينيه في صلوته وعن انس قال
كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها فقال صلى الله عليه وسلم
اميطي عنا قرامك هذا فانه لا تزال تصاوير تعرض لي في صلاتي رواه البخاري
ولو كان يغمض عينيه لما عرضت له في صلاته وقد اختلف الفقهاء في كراهيته
والحق ان يقال ان كان تفتيح العين لا يخل بالخشوع فهو افضل وان كان يحول
بينه وبين الخشوع حائل كان يكون في قبلته زخرفة او غيرها مما يشغل قلبه
فلا يكره التغميض قطعا بل ينبغي ان يكون مستحبا في هذه الحالة وقد كانت
صلوته صلى الله عليه وسلم متوسطة عارية عن الغلو كالوسوسة في عقد
النية ودفع الصوت بها والجهر بالاذكار والدعوات التي شرعت سرا وتطويل
ما السنة تخفيفه كالتشهد الاول الى غير ذلك مما يفعله كثير ممن ابتلي بداء
الوسوسة عافانا الله منها وهي نوع من الجنون وصاحبها بلا ريب مبتدع
مستنبط في افعاله واقواله شيئا لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا
احد من الصحابة وقد قال عليه الصلوة والسلام ان خير الهدي هدي محمد
صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وعنه ايضا واياكم ومحدثات
الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ومما ينسب
لامام الحرمين الوسوسة نقص في العقل وجهل باحكام الشرع ومن غرائب
ما يقع لهؤلاء الموسوسين ان بعضهم يشتغل بتكرير الطهارة حتى تفوته الجماعة
وربما فاته الوقت ومنهم من يشتغل في النية حتى تفوته التكبيرة الاولى وربما
تفوته الركعة او اكثر ومنهم من يحلف انه لا يزيد على هذه التكبيرة ثم يكذب
ومن العجب ان بعضهم يتوسوس في حالة قيام حتى يركع الامام فاذا خشي
فوات الركوع كبر سريعا وادركه فمن لم يحصل له النية في القيام الطويل حال
فراغ باله فكيف حصلت له في الوقت الضيق مع شغل باله بفوات
الركعة ومنهم من يكثر التلفظ بالتكبير حتى يشوش على غيره من
المامومين ولا ريب ان ذلك مكروه ومنهم من يزعج اعضاءه ويحني
جبهته ويقيم عروق عينيه ويصرخ بالتكبير كانه يكبر على العدو ومنهم

من

من يغسل عضوه غسلا يشاهده ببصره ويكبر ويقرا بلسانه ويسمع
باذنه ويعلمه قلبه ومع ذلك يصدق الشيطان في انكاره يقين نفسه
ويجحد لما راه ببصره وسمعه باذنه وقد سال رجل ابا الوفا ابن عقيل
فقال اني اكبر واقول ما كبرت واغسل العضو في الوضوء واقول ما
غسلته فقال ابن عقيل دع الصلاة فانها لا تجب عليك فقال له كيف
ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم قال رفع القلم عن المجنون حتى يفيق
ومن يكبر ثم يقول ما كبرت فليس بعاقل والمجنون لا تجب عليه الصلوة
فمن اراد التخلص من هذه البلية فليتبع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم
السوية بملته الحنيفية فان غلب عليه الامر وضاقت عليه المسالك
فليتضرع الى الله ويبتهل اليه في كشف ذلك **الفرع الخامس عشر** في ذكر
قنوته صلى الله عليه وسلم ليعلم ان القنوت يطلق على القيام والسكوت
ودوام العبادة والدعاء والتسبيح والخضوع كما قال تعالى وله من في
السموات والارض كل له قانتون وقال تعالى امن هو قانت اناء
الليل ساجدا وقائما الاية وقال تعالى وصدقت بكلمات
ربها وكتبه وكانت من القانتين والمراد بها هنا الدعاء
في الصلوة في محل مخصوص من القيام وعن انس قال بعث النبي
صلى الله عليه وسلم سبعين رجلا يقال لهم القراء فعرض لهم حيان من
سليم رعل وذكوان عند بئر يقال لها بئر معونة فقتلوهم فدعا عليهم النبي
صلى الله عليه وسلم شهرا في صلوة الغداة وذلك بدء القنوت وما كنا
نقنت قال عبد العزيز بن صهيب فسال رجل انسا عن القنوت بعد الركوع
او عند فراغ القراءة قال بل عند فراغ القراءة وفي اخرى قنت شهرا بعد
الركوع في صلوة الصبح يدعو على رعل وذكوان ويقول عصية عصت الله
ورسوله وفي اخرى قنت شهرا بعد الركوع يدعو على احياء من العرب وفي
اخرى بعث صلى الله عليه وسلم سرية يقال لهم القراء فاصيبوا فما رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على شيء ما وجد عليهم فقنت
شهرا في صلوة الفجر هذه رواية البخاري ومسلم وللبخاري كان القنوت في المغرب
والفجر وفي رواية ابي داود والنسائي وقنت في صلاة الصبح بعد
الركوع وفي اخرى قنت شهرا ثم تركه وفي اخرى للنسائي قنت
شهرا يلعن رعلا وذكوان ولحيان وعن ابن عباس قنت صلى الله عليه

شهرا متتابعا فى الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصلاة الصبح فى دبر
كل صلاة اذا قال سمع الله لمن حمده من الركعة الاخرى يدعو على احياء من سليم
على رعل وذكوان وعصية ويؤمن من خلفه رواه ابوداود وعن ابن عمر انه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع فى الركعة الاخيرة
من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده
ربنا ولك الحمد فانزل عليه ليس لك من الامر شىء الى قوله فانهم ظالمون رواه البخارى
وعن ابى هريرة لما رفع صلى الله عليه وسلم من الركعة الثانية قال اللهم
انج الوليد ابن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابى ربيعة والمستضعفين
بمكة اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها سنين كسنى يوسف وفى
رواية فى صلاة الفجر وفى رواية بلغنا انه ترك ذلك لما انزل الله تعالى ليس لك
من الامر شىء رواه البخارى ومسلم عن البراء وكان صلى الله عليه وسلم يقنت فى
الصبح والمغرب رواه الترمذى ومسلم ولابى داود فى صلاة الصبح ولم يذكر المغرب
وعن ابى مالك الاشجعى قال قلت لابى يا ابت انك قد صليت خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر وعثمان وعلى ابن ابى طالب ههنا بالكوفة
خمس سنين اكانوا يقنتون قال اى بنى محدث رواه الترمذى وعن سعيد
ابن جبير قال اشهد انى سمعت ابن عباس يقول ان القنوت فى صلوة الفجر
بدعة رواه الدارقطنى قال بعض العلماء والصواب انه صلى الله عليه وسلم قنت
وترك وكان تركه للقنوت اكثر من فعله فانه انما قنت عند النوازل للدعاء لقوم
والدعاء على اخرين ثم تركه لما قدم من دعا لهم وخلصوا من الاسر واسلم
من دعا عليهم فجاؤا تائبين وكان قنوته لعارض لما زال العارض ترك القنوت ولم
يكن مختصا بالفجر بل كان يقنت فى صلاة الفجر والمغرب ذكره
البخارى فى صحيحه عن انس وذكره مسلم عن البراء وصح عن ابى هريرة
انه قال والله لانا اقربكم صلاة برسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم انه كان يقنت فى الركعة الاخيرة من الصبح بعد ما يقول
سمع الله لمن حمده وقال ابن ابى فديك ولا ريب ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فعل ذلك ثم تركه فهذا رد على
القائل بكراهة القنوت فى الفجر مطلقا عند النوازل وغيرها ويقولون
هو منسوخ وفعله بدعة واهل الحديث متوسطون بين هؤلاء وبين من
استحبه ويقولون فعله سنة وتركه سنة ولا ينكرون على من داوم

عليه

عليه ولا يكرهون فعله ولا يرونه بدعة ولا فاعله مخالفا للسنة من قنت
ومن ترك فقد احسن انتهى ومذهب الشافعى رحمه الله تعالى ان
القنوت مشروع فى صلاة الصبح دائما فى الاعتدال ثانية الصبح
لما رواه انس ما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقنت فى الفجر
حتى فارق الدنيا رواه احمد وغيره قال ابن الصلاح قد حكم بصحته
غير واحد من الحفاظ منهم الحاكم والبيهقى وابو عبد الله محمد بن على
البلخى وفى البيهقى العمل بمقتضاه عن الخلفاء الاربعة وقال بعضهم اجمعوا
على انه صلى الله عليه وسلم قنت فى الصبح ثم اختلفوا هل ترك فيتمسك
بما اجمعوا عليه حتى يثبت ما اختلفوا فيه انتهى واما حديث ابن ابى فديك
عن عبد الله بن سعيد بن ابى سعيد المقبرى عن ابيه عن ابى هريرة قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع فى الركعة الثانية
من صلوة الصبح يرفع يديه ويدعو بهذا الدعاء اللهم اهدنى فيمن هديت
الخ فقال ابن القيم فى زاد المعاد ما ابين الاحتجاج به لو كان صحيحا او حسنا
ولكن لا يحتج بعبد الله هذا وان كان الحاكم صحح حديثه فى القنوت انتهى
وهذا الحديث رواه الحاكم وصححه ورد عليه كما قاله ابن القيم وقد اتفقوا
على ضعف عبد الله بن سعيد وعن ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم
يقنت فى صلوة الصبح وفى وتر الليل بهؤلاء الكلمات اللهم اهدنى
فيمن هديت اخرجه محمد بن نصر فى كتاب قيام الليل والصحيح انه لا يتعين
فيه دعاء مخصوص بل يحصل بكل دعاء وفيه وجه انه لا يحصل الا بالدعاء
المشهور وهو اللهم اهدنى فيمن هديت وعافنى فيمن عافيت وتولنى
فيمن توليت وبارك لى فيما اعطيت وقنى شر ما قضيت فانك تقضى
ولا يقضى عليك وانه لا يذل من واليت تباركت وتعاليت رواه ابوداود
والترمذى والنسائى من حديث الحسن ابن على قال علمنى رسول الله صلى
الله عليه وسلم كلمات اقولهن فى الوتر فذكره واسناده صحيح قال
البيهقى قد صح تعليم هذا الدعاء وقع لقنوت صلاة الصبح ولقنوت
الوتر انتهى وقوله فانك بالفاء وبالواو وفى قوله وانه لا يذل من واليت
ولا يعز من عاديت وزاد ابن ابى عاصم فى كتاب التوبة نستغفرك اللهم
ونتوب اليك ونسن الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اخره
لان النسائى قد رواه من حديث الحسن بسند صحيح او حسن كما قاله فى شرح

المهذب ولفظه اي النسائي وصلى الله على النبي وجزم في الاذكار باستحباب
الصلوة على الآل والسلام وخالفه صاحب الاقليد فقال اما ما وقع في
كتب اصحابنا من زيادة وسلم وما بعدها دالا ثمة الآن من ذكر الآل او الازواج
والاصحاب فكل ذلك لا اصل له **قلت** وعبارة النووي في الاذكار يستحب ان يقول
عقب هذا الدعاء اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم فقد جاء في رواية
النسائي باسناد حسن وصلى الله على النبي انتهى **وتعقب** بان لفظ
الدعاء خلاف الدليل ويزيد عليه ذكر الآل والتسليم نعم وقعت الزيادة
في الرافعي والروياني معزوة لحديث الحسن بن علي عند النسائي لكنها ليست
عنده في رواية احد من الرواة عنه على ان لفظ وصلى الله على النبي
زيادة على رواية الترمذي وهي زيادة غريبة غير ثابتة لاجل عبد الله بن علي
احد رواته لانه غير معروف وعلى تقدير ان يكون هو عبد الله بن علي بن الحسن
بن علي فهو منقطع لانه لم يسمع من جده الحسن بن علي فقد تبين انه ليس
من شرط الحسن لانقطاعه او جهالة رواته ولم تنجبر الزيادة بمجيئها
من وجه آخر وحينئذ فقد تبين شذوذها على ما لا يخفى نعم اصل الحديث
الى آخره ثابت حسن لاعتضاده برواية الترمذي وغيره بخلاف الزيادة
اذ لم تجئ في غيره وحيث سنت الصلاة على الآل كما جزم به النووي فينبغي
عدها من القنوت بعضا قال في المجموع عن البغوي ويكره اطالة القنوت كالتشهد
الاول وهو ظاهر على ما صححه فيه وفي تحقيقه في باب سجود السهو
من ان الاعتدال ركن طويل اما على ما صححه فيهما من الصلاة الجماعة من
انه قصير وهو ما في المنهاج والروضة قد يقال القياس البطلان لان
تطويل الركن القصير عمدا مبطل **ويجاب** بحمل ذلك على غير محل القنوت
اذ البغوي نفسه القائل بكراهة الاطالة قائل بان تطويل الركن القصير مبطل
عمده ويسن للمنفرد والامام برضى المحصورين الجمع في قنوت الوتر بين القنوت
السابق وبين قنوت عمر وهو اللهم انا نستعينك الى آخره والاولى تاخيره
عن القنوت السابق ويسن رفع يديه رواه البيهقي باسناد جيد قال
في المجموع وفي سن مسح وجهه بهما وجهان اشهرهما نعم واصحهما لا قال
البيهقي ولا احفظ في مسحه هنا عن احد من السلف شيئا وان روي
عن بعضهم في الدعاء خارج الصلوة ومسح غير الصدر كالصدر مكروه
وقال النووي في الاذكار اختلف اصحابنا في رفع اليدين في القنوت ومسح الوجه

بهما على ثلثة اوجه اصحها يستحب رفعهما ولا يمسح الوجه والثاني يرفع
ويمسح والثالث لا يرفع ولا يمسح واتفقوا على انه لا يمسح غير الوجه من الصدر
ونحوه بل قالوا ذلك مكروه انتهى ويجهر الامام دون المنفرد بالقنوت و
ان كانت الصلوة سرية للاتباع رواه البخاري قال الماوردي وليكن جهره
به دون جهره بالقراءة فان سمعه المأموم امن كما كانت الصحابة يؤمنون خلفه
صلى الله عليه وسلم في ذلك رواه ابو داود باسناد حسن ويوافقه في
الثناء سرا او يسكت لانه ثناء او ذكر لا يليق به التامين والدعاء يشمل الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم فيؤمن فيها صرح به الطبري وان لم يسمع
المأموم قنوت الامام قنت معه سرا كبقية الاذكار والدعوات ولا قنوت
لغير وتر وصبح الا النازلة من خوف وقحط او وباء او جراد ونحوها فيستحب
ان يقنت في مكتوبة غير الصبح لا منذورة وصلاة جنازة ونافلة وفي
البخاري من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم جهر بالقنوت في النازلة
انتهى ملخصا من شرح البهجة لشيخ الاسلام ابي يحيى زكريا الانصاري مع زيادة
من غيره والله اعلم **الفصل الرابع** في ذكر سجوده صلى الله عليه وسلم
للسهو في الصلاة **اعلم** ان السهو هو الغفلة عن الشيء وذهاب القلب الى
غيره قاله الازهري وفرق بعضهم فيما حكاه القاضي عياض بين السهو والنسيان
من حيث المعنى وزعم ان السهو جائز في الصلاة على الانبياء عليهم الصلاة
والسلام بخلاف النسيان قال لان النسيان غفلة وآفة والسهو
انما هو شغل فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في الصلوة ولا يغفل
عنها وكان يشغله عن حركات الصلوة ما في الصلوة شغلا بها لا غفلة
عنها انتهى قال ابن كيكلدي وهو ضعيف من جهة الحديث ومن جهة
اللغة اما من جهة الحديث فلما ثبت في الصحيحين من قوله صلى الله عليه
وسلم انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون واما من حيث اللغة فقول الازهري
الماضي ونحوه قول الجوهري وغيره وقال في النهاية السهو في الشيء تركه
عن غير علم والسهو عنه تركه مع العلم وهو فرق حسن دقيق وبه يظهر الفرق
بين السهو الذي وقع من النبي صلى الله عليه وسلم غير مرة والسهو عن الصلوة
الذي ذم الله فاعله وقد كان سهوه صلى الله عليه وسلم من تمام نعمة
الله تعالى على امته واكمال دينهم ليقتدوا به فيما يشرعه لهم عند السهو و
هذا معنى الحديث المنقطع الذي في الموطأ الآتي التنبيه عليه ان شاء

تعالى انما انسى او انسى لاسن فكان صلى الله عليه وسلم ينسى فيترتب
على سهوه احكام شرعية تجرى على سهو امته الى يوم القيمة واختلف
فى حكمه فقال الشافعية والمالكية مسنون كله وعن المالكية قول آخر
السجود للنقص واجب دون الزيادة وعن الحنابلة التفصيل بين الواجبات
فيجب لتركها سهوا وبين السنن القولية فلا يجب وكذا يجب اذا سهى بزيادة
فعل او قول يبطل عمده وعن الحنفية واجب كله وحجتهم عليه قوله عليه
الصلاة والسلام فى حديث ابن مسعود عند البخارى يسجد سجدتين و
الامر للوجوب وقد ثبت من فعله صلى الله عليه وسلم وافعاله فى الصلاة
محمولة على البيان وبيان الواجب ولا سيما مع قوله عليه الصلاة و
السلام صلوا كما رأيتمونى اصلى انتهى وقد ورد عنه صلى الله عليه و
سلم السجود على قسمين الاول السجود قبل التسليم فعن الاعرج عن عبد
الله ابن بحينة انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين
من بعض الصلوات ثم قام فلم يجلس فقام الناس معه فلما قضى صلاته ونظرنا
تسليمه كبر قبل التسليم فسجد سجدتين وهو جالس ثم سلم رواه البخارى
وفى رواية له عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن بحينة ايضا انه قال ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قام من اثنتين من الظهر لم يجلس بينهما فلما قضى
صلاته سجد سجدتين ثم سلم بعد ذلك وفى رواية ايضا عن الاعرج
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فى صلاة الظهر وعليه جلوس
فلما اتم صلاته سجد سجدتين يكبر فى كل سجدة وهو جالس قبل ان يسلم و
سجدهما الناس معه مكان ما نسى من الجلوس ورواه مسلم ايضا وزاد
الضحاك عن الاعرج عند ابى خزيمة بعد قوله ثم قام فلم يجلس فسبحوا فمضى
حتى فرغ من صلاته وفى رواية الترمذى قام فى الظهر وعليه جلوس فلما
اتم صلوته سجد سجدتين يكبر فى كل سجدة وهو جالس قبل ان يسلم وفى
هذا مشروعية سجود السهو وانه سجدتان فلو اقتصر على سجدة واحدة
ساهيا لم يلزمه شىء او عامدا ابطلت صلوته لانه تعمد الاتيان بسجدة زائدة
ليست مشروعة وانه يكبر لهما كما يكبر لغيرهما من السجود واستدل به
على ان سجود السهو قبل السلام ولا حجة فيه فى كون جميعه كذلك نعم
يرد على من زعم ان جميعه بعد السلام كالحنفية واستدل به ايضا على
ان المأموم يسجد مع الامام اذا سهى الامام وان لم يسه المأموم وان سجود

السهو لا تشهد بعده وان محله آخر الصلوة فلو سجد للسهو قبل ان
يتشهد ساهيا اعاد عند من يوجب التشهد الاخير وهم الجمهور وفيه
ان من سهى عن التشهد الاول حتى قام الى الركعة ثم ذكر لا يرجع فقد سبحوا
له صلى الله عليه وسلم كما فى رواية ابن خزيمة فلم يرجع فلو تعمد المصلى الرجوع
بعد تلبسه بالركن بطلت صلاته عند الشافعى **القسم** الثانى السجود
بعد التسليم عن ابى سلمة عن ابى هريرة قال صلى بنا رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم الظهر والعصر فسلم من ركعتين
فقال له ذو اليدين الصلاة يا رسول الله انقصت فقال النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم لاصحابه احق ما يقول ذو اليدين هذا
قالوا نعم فصلى ركعتين ثم سجد سجدتين قال سعد ورأيت عروة
ابن الزبير صلى المغرب ركعتين فسلم وتكلم ثم صلى ما بقى وسجد سجدتين
وقال هكذا فعل النبى صلى الله عليه وسلم رواه البخارى **وقوله**
صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر فى ان ابا هريرة حضر
القصة وحمله الطحاوى على المجاز فقال المراد به صلى بالمسلمين و
سبب ذلك قول الزهرى ان صاحب القصة استشهد ببدر فان
مقتضاه ان تكون القصة وقعت قبل بدر وقيل قبل اسلام ابى هريرة
باكثر من خمس سنين لكن اتفق ائمة الحديث كما نقله ابن عبد البر و
غيره على ان الزهرى وهم فى ذلك وسببه انه جعل القصة لذى الشمالين
وذو الشمالين هو الذى قتل ببدر وهو خزاعى واسمه عمير واما ذو اليدين
فتأخر بعد النبى صلى الله عليه وسلم بمدة لانه حدث بهذا الحديث
بعد النبى صلى الله عليه وسلم كما اخرجه الطبرانى وغيره وهو سلمى
واسمه الخرباق كما سيأتى فلما وقع عند الزهرى بلفظ فقام ذو الشمالين
وهو يعرف انه قتل ببدر قال لاجل ذلك ان القصة وقعت قبل بدر وقد
جوز بعض الائمة ان تكون القصة وقعت لكل من ذى الشمالين و ذى
اليدين وان ابا هريرة روى الحديثين فارسل احدهما وهو قصة ذى الشمالين
وشاهد الآخر وهى قصة ذى اليدين وهذا محتمل من طريق الجمع
وروى البخارى ايضا عن ابن سيرين عن ابى هريرة قال صلى
الله عليه وسلم احدى صلاتى العشى قال محمد ابن
سيرين واكثر ظنى العصر ركعتين ثم سلم ثم قام الى خشبة فى مقدم

المسجد فوضع يده عليها وفيهم ابو بكر وعمر فهابا ان يكلماه وخرج سرعان الناس
فقالوا قصرت الصلوة ورجل يدعوه النبي صلى الله عليه وسلم ذا اليدين
فقال انسيت ام قصرت الصلاة فقال لم انس ولم تقصر فقال بلى قد نسيت
فصلى ركعتين ثم سلم ثم كبر فسجد مثل سجوده او اطول ثم رفع رأسه وكبر
ثم وضع رأسه فكبر وسجد فسجد مثل سجوده او اطول ثم رفع رأسه
فكبر وعن عمران ابن الحصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى
العصر فسلم من ثلاث ركعات ثم دخل منزله فقام اليه رجل يقال
له الخرباق وكان في يديه طول فقال يا رسول الله فذكر صنيعه
وخرج غضبان يجر رداءه حتى انتهى الى الناس فقال اصدق هذا قالوا نعم
فصلى ركعة ثم سلم ثم سجد سجدتين ثم سلم رواه مسلم وهو من افراده
ولم يروه البخاري ورواه احمد وابو داود والخرباق بكسر الخاء المعجمة و
سكون الراء بعدها موحدة واخره قاف هو اسم ذي اليدين كما ذهب
اليه الاكثر وطول يديه يمكن ان يحمل على الحقيقة او كناية عن طولهما
بالعمل والبذل قال الحافظ ابن حجر الظاهر في نظري توحيد حديث
ابي هريرة وان كان قد جنح ابن خزيمة ومن تبعه الى تعدد هذه
القصة والحامل لهم على ذلك اختلاف الواقع في السياقين ففي حديث
ابي هريرة ان السلام وقع من اثنين وانه صلى الله عليه وسلم قام الى
خشبة في المسجد وفي حديث عمران هذا انه سلم من ثلاث وانه
دخل منزله لما فرغ من الصلاة فاما الاول فقد حكى ابن كيكلدي
العلائي ان بعض شيوخه حمله على ان المراد به انه سلم في ابتداء
الركعة الثانية واستبعده ولكن طريق الجمع يكتفي فيها بادنى مناسبة
وليس بابعد من دعوى تعدد القصة فانه يلزم منه كون ذي اليدين
في كل مرة استفهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك واستفهم
النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة عن صحة قوله واما الثاني فلعل
الراوي لما رآه تقدم من مكانه الى جهة الخشبة ظن انه دخل منزله
لكون الخشبة كانت في جهة منزله فان كان كذلك والا فرواية ابي
هريرة ارجح لموافقة ابن عمر له على سياقه كما اخرجه الشافعي وابو داود
وابن ماجه وابن خزيمة انتهى وعن معاوية ابن حديج بضم الحاء المهملة
اخره جيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى يوما فانصرف

وقد

وقد بقي من الصلوة ركعة فادركه رجل فقال نسيت من الصلوة ركعة
فرجع فدخل المسجد فامر بلالا فاقام الصلوة فصلى بالناس
ركعة فاخبرت بذلك الناس فقالوا او تعرف الرجل قلت لا الا ان
اراه فمر بي فقلت هو هذا فقالوا هذا طلحة ابن عبيد الله رواه
ابو داود والبيهقي في سننهما وابن خزيمة في صحيحه وعين الصلاة
المغرب وقال ابن خزيمة وهذه القصة غير قصة ذي اليدين لان
المعلم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في هذه القصة طلحة بن
عبيد الله ومخبره في تلك القصة ذو اليدين والسهو منه عليه
الصلوة والسلام في قصة ذي اليدين انما كان في الظهر و
العصر وفي هذه القصة انما كان السهو في المغرب لا في الظهر و
لا في العصر وعن محمد بن سيرين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم انصرف من اثنتين فقال له ذو اليدين اقصرت
الصلوة ام نسيت يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم اصدق ذو اليدين فقال الناس نعم فقام صلى
الله عليه وسلم فصلى اثنتين اخريين ثم سلم ثم كبر فسجد مثل سجوده
او اطول ثم رفع وفي رواية سلمة بن علقمة قلت لمحمد يعني ابن سيرين
في سجدتي السهو تشهد فقال ليس في حديث ابي هريرة
رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود والترمذي والنسائي
قال الحافظ ابن حجر لم يقع في غير هذه الرواية لفظ القيام
وقد استشكل لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان
قائما واجيب بان المراد بقوله فقام اي اعتدل لانه
مستند الى الخشبة كما مر وقد يفهم من قول محمد بن سيرين عن
التشهد ليس في حديث ابي هريرة انه ورد في حديث غيره
وهو كذلك فقد رواه ابو داود والترمذي وابن حبان والحاكم
من طريق اشعث بن عبد الملك عن محمد بن سيرين عن خالد الحذاء
عن ابي قلابة عن ابي المهلب عن عمران ابن حصين
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بهم فسهى
فسجد سجدتين ثم تشهد ثم سلم قال الترمذي حديث
غريب وقال الحاكم صحيح على شرطهما وقال ابن حبان

ما روى ابن سيرين عن خالد غير هذا الحديث وضعفه البيهقي
وابن عبد البر وغيرهما ووهموا رواية اشعث لمخالفته غيره من
الحفاظ عن ابن سيرين فزيادة اشعث شاذة لكن قد ورد في
التشهد في سجود السهو عن ابن مسعود عند ابي داود والنسائي
وعن المغيرة عند البيهقي وفي اسنادهما ضعف فقد يقال ان
الاحاديث الثلاثة في التشهد باجتماعها ترتقي الى درجة الحسن
قال العلائي وليس ذلك ببعيد وقد صح ذلك عن
ابن مسعود من قوله اخرجه ابن ابي شيبة انتهى ملخصا من فتح الباري
وفي رواية ابي سفيان عن ابي هريرة عند مسلم صلى لنا
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسلم من ركعتين
فقام ذو اليدين فقال اقصرت الصلاة يا رسول
الله ام نسيت فقال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم كل ذلك لم يكن فقال قد كان بعض ذلك
يا رسول الله وفي رواية ابي داود من طريق حماد بن زيد عن
هشام بن حسان عن ابن سيرين في هذا الحديث قال فكبر ثم
كبر وسجد للسهو وهذا يريد من قال لا بد من تكبيرة الاحرام
في سجود السهو بعد السلام والجمهور على الاكتفاء بتكبيرة السجود وهو ظاهر
وغالب الاحاديث وقال ابو داود لم يقل احد كبر ثم كبر الا حماد بن زيد فاشار
الى شذوذ هذه الرواية ويحتمل ان يكون الخشبة المذكورة في هذا الحديث الجذع
الذي كان عليه الصلوة والسلام يستند اليه قبل اتخاذ المنبر وانما رفع
الاستفهام هل قصرت لان الزمان كان زمان النسخ وقوله فقال لم انس ولم تقصر
تصريح في نفي النسيان ونفي النقص وفيه تفسير للمراد بقوله في رواية ابي سفيان
المتقدمة كل ذلك لم يكن وتاييد لما قاله اصحاب المعاني ان لفظ كل اذا تقدم
وعقبها النفي كان نفيا لكل فرد لا للمجموع بخلاف ما اذا تاخرت كان يقول
لم يكن كل ذلك ولهذا اجاب ذو اليدين عن رواية
ابي سفيان بقوله قد كان بعض ذلك واجابه
في هذه الرواية بقوله بل قد نسيت لانه لما نفي
الامرين وكان مقررا عند الصحابة ان السهو غير
جائز عليه في الامور البلاغية وجزم بوقوع النسيان لا القصد وهو حجة

لمن قال ان السهو جائز على الانبياء فيما طريقه التشريع قال ابن دقيق العيد وهو قول
عامة العلماء والنظار وشذت طايفة فقالوا لا يجوز على النبي السهو وهذا الحديث
يرد عليهم بعني حديث ابن مسعود فان فيه انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وان
كان القاضي عياض نقل الاجماع على عدم جواز دخول السهو في الاقوال التبليغية و
خص الخلاف بالافعال لكنهم تعقبوه نعم اتفق من جوز ذلك على انه لا يقر عليه بل
يقع له بيان ذلك اما متصلا بالفعل او بعده كما وقع في هذا الحديث من قوله لم
انس ولم تقصر ثم تبين انه نسي ومعنى قوله لم انس اي في اعتقادي لا في نفس الامر و
يستفاد منه ان الاعتقاد عند فقد اليقين يقوم مقام اليقين وفائدة السهو
في مثل ذلك بيان الحكم الشرعي اذا وقع مثله ولغيره واما من منع السهو مطلقا فا
جابوا عن هذا الحديث باجوبة فقيل قوله لم انس نفي للنسيان ولا يلزم منه نفي
السهو وهذا قول من فرق بينهما وقد تقدم تضعيفه ويكفي فيه قوله في هذه
الرواية بلى قد نسيت واقره على ذلك وقيل قوله لم انس على ظاهره وحقيقته
وكان يتعمد ما يقع منه من ذلك ليقع التشريع منه بالفعل لكونه ابلغ من فيه نظر
القول وتعقب بحديث ابن مسعود عند البخاري ومسلم بلفظ صلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فزاد او نقص شك بعض الرواة والصحيح انه زاد
فلما سلم قيل له يا رسول الله احدث في الصلاة شيء قال وما ذاك قالوا صليت كذا وكذا
قال فثنى رجليه واستقبل القبلة وسجد سجدتين ثم سلم فلما اقبل علينا بوجهه
قال انه لو حدث في الصلاة شيء لنباتكم به ولكن انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون فاذا
نسيت فذكروني واذا شك احدكم في صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه ثم يسلم ثم
يسجد سجدتين ففيه اثبات العلة قبل الحكم بقوله انما انا بشر مثلكم ولم يكتف
باثبات وصف النسيان حتى دفع قول من عساه يقول ليس نسيانه كنسياننا
فقال كما تنسون وبهذا الحديث ايضا يرد قول من قال معنى قوله لم انس انكار
للفظ الذي نفاه عن نفسه حيث قال اني لا انسى ولكن انسى لاسن وانكار للفظ
الذي انكره على غيره حيث قال بيسما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا وكذا وقد
تعقبوا هذا ايضا بان حديث اني لا انسى لا اصل له فانه من بلاغات مالك
التي لم توجد موصولة بعد البحث الشديد وهي اربعة قاله ابن عبد البر واما
الاخير فلا يلزم من ذم اضافة نسيان الاية ذم اضافة نسيان كل شيء فان
الفرق بينهما واضح جدا وقيل ان قوله لم انس راجع الى السلام اي سلمت قصدا
بانيا على ما في اعتقادي اني صليت اربعا وهذا جيد وكان ذا اليدين فهم العموم

قوله لم انس اي في اعتقادي فهذا ستشكله
الحضيد في حاشية المختصر لانه يفيد ان
اعتقاده مخالف لما في الواقع فلا تسمع

فقال بلى قد نسيت وكان هذا القول اوقع شكا احتاج معه الى استثبات الحاضرين
وبهذا التقدير يندفع ايراد من استشكل كون ذى اليدين عدلا ولم يقبل خبره بمفرده
فسبب التوقف فيه كونه اخبر عن امر يتعلق بفعل المسؤل مغايرا لما فى اعتقاده
وبهذا يجاب من قال ان من اخبر بامر حسى بحضرة جمع لا يخفى ولا يجوز عليهم التواطى
ولا حامل لهم على السكوت عنه ثم لم يكذبوه انه لا يقطع بصدقه فان سبب عدم
القطع كون خبره معارضا باعتقاد المسؤل خلاف ما اخبر به وفيه ان الثقة اذا
انفرد بزيادة خبر وكان المجلس متحدا وامتنع فى العادة غفلتهم عن ذلك انه
لا يقبل خبره وفيه جواز البنا على الصلاة لمن اتى بالمنافى سهوا وقال سحنون
انما يبنى من سلم من ركعتين كما فى قصة ذى اليدين لان ذلك وقع على غير القياس
فيقتصر به على مورد النص والزم بقصر ذلك على احدى صلاتى العشى فيمنعه مثلا
فى الصبح والذين قالوا يجواز البنا مطلقا قيدوه بما اذا لم يطل الفصل وفيه
ان الكلام سهوا لا يقطع الصلاة خلافا للحنفية واستدل به على ان تعمد
الكلام لمصلحة الصلاة لا يبطلها وتعقب بانه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم
الا ناسيا واما قول ذى اليدين له بلى قد نسيت وقول الصحابة له صدق ذو اليدين
فانهم تكلموا معتقدين للنسخ فى وقت يمكن وقوعه فيه فتكلموا ظنا انهم ليسوا
فى صلاة كذا قيل وهو فاسد لانهم تكلموا بعد قوله عليه السلام لم تقصر
واجيب بانهم لم ينطقوا وانما اومؤا كما عند ابى داود فى رواية ساق مسلم
اسنادها وهذا اعتمده الخطابى وقال حمل القول على الاشارة مجاز سائغ
بخلاف عكسه فينبغى رد الروايات التى فيها التصريح بالقول الى هذه وهو قوى
قوى من قبول غيره يحمل على ان بعضهم قال بالنطق وبعضهم بالاشارة لكن يبقى
قول ذى اليدين بلى قد نسيت ويجاب عنه وعن البقية على تقدير ترجيح انهم
نطقوا بان كلامهم كان جوابا للنبى صلى الله عليه وسلم وجوابه لا يقطع الصلاة
وتعقب بانه لا يلزم من وجوب الاجابة عدم قطع الصلاة واجيب بانه
ثبت مخاطبته بالتشهد وهو حى بقولهم السلام عليك ايها النبى ولم تفسد الصلاة
والظاهر ان ذلك من خصائصه وعن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلى الظهر خمسا فقيل له أزيد فى الصلاة فقال وما ذاك قالوا صليت خمسا
فسجد سجدتين بعد ما تكلم رواه البخارى ومسلم وابو داود والترمذى والنسائى
بهذا اللفظ الا ان مسلما لم يقل فيه بعد ما سلم وعبد الله هذا هو ابن مسعود
فى هذه الاحاديث السجود بعد السلام وقد اختلف فى ذلك فقال مالك

والمزنى

والمزنى وابو ثور من الشافعية بالتفرقة اذا كان السهو بالنقصان او بالزيادة
ففى الاول يسجد قبل السلام وفى الزيادة يسجد بعده وزعم ابن عبد البر انه
اولى من قول غيره للجمع بين الخبرين قال وهو موافق للنظر لانه فى النقص جبر
فينبغى ان يكون من اصل الصلاة وفى الزيادة ترغيم للشيطان فيكون خارجها
وقال ابن دقيق العيد لا شك ان الجمع اولى من الترجيح وادعاء النسخ ويترجح
الجمع المذكور بالمناسبة المذكورة واذا كانت المناسبة ظاهرة وكان الحكم على
وفقها فيعم الحكم جميع محالها فلا يتخصص الا بنص وتعقب بان كون السجود
فى الزيادة ترغيما للشيطان فقط ممنوع بل هو جبر ايضا لما وقع من الخلل فانه وان كان
زيادة فهو نقص فى المعنى وقال الخطابى لم يرجع من فرق بين الزيادة والنقصان
الى فرق صحيح وايضا فقصة ذى اليدين وقع فيها السجود بعد السلام وهى عن
نقصان واما قول النووى اقوى المذاهب قول مالك ثم احمد فقد قال غيره
بل طريق احمد اقوى لانه قال يستعمل كل حديث فيما يرد فيه وما لم يرد فيه شى
يسجد قبل السلام قال ولولا ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك
لرأيت كله قبل السلام لانه من شان الصلاة فيفعل قبل التسليم وعند امامنا
الشافعى سجود السهو كله قبل السلام وعند الحنفية كله بعد السلام اعتمد
الحنفية على حديث ابن مسعود هذا وتعقب بانه لم يعلم بزيادة الركعة
الا بعد السلام حين سألوه هل زيد فى الصلاة وقد اتفق العلما فى هذه الصورة
على ان سجود السهو بعد السلام لتعذره قبله لعدم علمه بالسهو وانما تابعه
الصحابة لتجويزهم الزيادة فى الصلاة لانه كان زمان توقع النسخ واجاب بعضهم
بما وقع فى حديث ابن مسعود من الزيادة وهى اذا شك احدكم فى صلاته فليتحر
الصواب فليتم عليه ثم ليسلم ثم يسجد سجدتين واجيب بانه معارض بحديث
ابى سعيد عند مسلم ولفظه اذا شك احدكم فى صلاته فلم يدر كم صلى فليطرح
الشك وليبن على ما استيقن ثم يسجد سجدتين قبل ان يسلم وبه تمسك الشافعية
وجمع بعضهم بينهما بحمل الصورتين على حالتين ورجح البيهقى طريقة التخيير فى
سجود السهو قبل السلام او بعده ونقل الماوردى الاجماع على الجواز وانما
الكلام فى الافضل وكذا اطلق النووى وتعقب بان امام الحرمين نقل
فى النهاية الخلاف فى الاجزا عن المذهب واستبعد القول بالجواز ويمكن
ان يقال الاجماع الذى نقله الماوردى والنووى قبل هذه الآرا فى المذاهب
المذكورة والله اعلم قاله الحافظ بن حجر رحمه الله ولو سهى سهوين فاكثر كفاه

عند الشافعي ومالك وابي حنيفة واحمد سجدتان للجميع والجمهور انه يسجد للسهو
في التطوع كالفرض **الفصل الخامس** فيما كان صلى الله عليه وسلم يقوله بعد
انصرافه من الصلاة وجلوسه بعدها وسرعة انفتاله بعدها عن ثوبان
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم
انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام رواه مسلم ولم
يمكث مستقبل القبلة الا مقدار ما يقول ذلك وقد ثبت انه كان اذا صلى اقبل
على اصحابه فيحمل ما ورد من الدعا بعد الصلاة على انه كان يقوله بعد ان يقبل
على اصحابه بوجهه الشريف فقد كان عليه السلام يسرع الالتفات الى الما
مومين وكان ينفتل عن يمينه وعن شماله وقال ابن مسعود رايته صلى الله
عليه وسلم كثيرا ينصرف عن يساره رواه الشيخان وقال انس اكثر ما رايته صلى
الله عليه وسلم ينصرف عن يمينه رواه مسلم وقالت ام سلمة كان اذا سلم
مكث في مكانه يسيرا قالت فنرى والله اعلم لكي ينصرف النساء قبل ان يدركهن
الرجال رواه البخاري وقالت عايشة كان لم يقعد الا مقدار ما يقول اللهم
انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام رواه مسلم وهذا
الحديث يتمسك به من قال ان الدعا بعد الصلاة لا يشرع والجواب بان المراد
بالنفي المذكور نفي استمراره عليه السلام جالسا على هيئته قبل السلام الا
بقدر ان يقول ما ذكر ولان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك
وله الحمد وهو على كل شي قدير اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت
ولا ينفع ذا الجد منك الجد رواه الشيخان من حديث المغيرة بن شعبة وكان
يقول باعلا صوته لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو
على كل شي قدير لا حول ولا قوة الا بالله لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه له
النعمة وله الفضل وله الثنا الحسن الجميل لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره
الكافرون رواه مسلم من حديث عبد الله بن الزبير وعن سعد انه كان يعلم
بنيه هولا الكلمات ويقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ
بهن دبر الصلاة اللهم اني اعوذ بك من الجبن واعوذ بك من البخل واعوذ بك
من ارذل العمر واعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر رواه البخاري وعن
زيد بن ارقم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دبر كل صلاة اللهم
ربنا ورب كل شي انا شهيد انك الرب وحدك لا شريك لك اللهم ربنا ورب
كل شي انا شهيد ان محمدا عبدك ورسولك اللهم ربنا ورب كل شي انا شهيد ان

العباد كلهم اخوة اللهم ربنا ورب كل شي اجعلني مخلصا لك واهلي في كل ساعة
من الدنيا والاخرة يا ذا الجلال والاكرام اسمع واستجب الله الاكبر الله الاكبر
الله نور السموات والارض الله الاكبر حسبي الله ونعم الوكيل الله الاكبر الله الاكبر
رواه ابو داود واحمد ورايت في كتاب الهدى لابن القيم واما الدعا بعد
السلام من الصلاة مستقبل القبلة سوا المنفرد والامام والماموم
فلم يكن ذلك من هدى النبي صلى الله عليه وسلم اصلا ولا روي عنه
باسناد صحيح ولا حسن وخصص بعضهم ذلك بصلاتي الفجر والعصر
ولم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا الخلفا بعده ولا ارشد اليه
امته وانما هو استحسان راه من راه عوضا من السنة بعدهما قال وغاية
الادعية المتعلقة بالصلاة انما فعلها فيها وامر بها فيها قال وهذا هو
الاليق بحال المصلي فانه مقبل على ربه مناجيه فاذا سلم منها انقطعت المناجاة
وانتهى موقفه وقربه فكيف يترك سواله في حال مناجاته والقرب منه
وهو مقبل عليه ثم يسال اذا انصرف عنه ثم قال لكن الاذكار الواردة
بعد المكتوبة يستحب لمن اتى بها ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد
ان يفرغ منها ويدعو بما شاء ويكون دعاوه عقب هذه العبادة الثانية
وهي الذكر لا لكونه دبر المكتوبة انتهى وقد كان في خاطري من دعواه
النفي مطلقا شي لما سياتي ثم رايت شيخ مشايخنا امام الحفاظ ابا الفضل
بن حجر تعقبه فقال وما ادعاه من النفي مطلقا مردود فقد ثبت عن معاذ
بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا معاذ والله اني لاحبك فلا تدع
دبر كل صلاة ان تقول اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك
اخرجه ابو داود والنساي وحديث زيد بن ارقم سمعته صلى الله عليه وسلم
يدعو في دبر الصلاة اللهم ربنا ورب كل شي اخرجه ابو داود والنساي وحديث
صهيب رفعه كان يقول اذا انصرف من الصلاة اللهم اصلح لي ديني اخرجه
النساي وصححه ابن حبان وغير ذلك قال فان قيل المراد بدبر الصلاة قرب
اخرها وهو التشهد قلنا قد ورد الامر بالذكر دبر الصلاة والمراد به
بعد السلام اجماعا فكذا هذا حتى يثبت ما يخالفه وقد اخرج الترمذي
من حديث ابي امامة قال قيل يا رسول الله اي الدعا اسمع قال جوف
الليل الاخير ودبر الصلوات المكتوبات وقال حسن واخرج الطبراني
من رواية جعفر بن محمد الصادق قال الدعا بعد المكتوبة افضل من الدعا

نبه على ما يعمل الا المسجد الحرام من الدعا عقب الصلاة قبل الذكر

بعد النافلة كفضل المكتوبة على النافلة قال وفهم كثير من الحنابلة ان مراد ابن القيم
نفى الدعا بعد الصلاة مطلقا وليس كذلك فان حاصل كلامه انه نفاه بقيد ا
استمرار استقبال المصلى القبلة وايراده عقب السلام واما اذا انفتل بوجهه
او قدم الاذكار المشروعة فلا يمتنع عنده الاتيان بالدعا حينئذ انتهى وكان
عليه السلام حين تقام الصلاة فى المسجد اذا راهم قليلا جلس واذا راهم جماعة
صلى رواه ابو داود وقال ابو مسعود البدرى كان صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا
فى الصلاة ويقول استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ليلينى منكم اولو الحلام والنهى
ثم الذين يلونهم رواه مسلم وقال ابن عباس قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى
فقمت عن يساره فاخذ بيدى من وراء ظهره فعدلنى كذلك من وراء ظهره الى
الشق الايمن رواه البخارى ومسلم وقال انس سقط رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن فرس فجحش شقه الايمن فدخلنا عليه نعوده فحضرت الصلاة فصلى
بنا قاعدا فصلينا وراءه قعودا فلما قضى الصلاة فقال انما جعل الامام ليؤتم
به فاذا ركع فاركعوا حتى قال واذا صلى قاعدا فصلوا قعودا اجمعين زاد بعض
الرواة واذا صلى قايما فصلوا قياما رواه البخارى ومسلم قال الحميدى ومعانى
ساير الروايات متقاربة وزاد البخارى قوله اذا صلى جالسا فصلوا جلوسا
هو فى مرضه القديم وقد صلى فى مرضه الذى مات فيه جالسا والناس خلفه
قياما لم يامرهم بالقعود وانما يوخذ بالاخر فالاخر من امره صلى الله عليه انتهى
وقال الشافعى وابو حنيفة وجمهور السلف لا يجوز للقادر على القيام ان يصلى
خلف القاعد الا قايما واحتجوا بانه صلى الله عليه وسلم صلى فى مرض موته
بعد هذا قاعدا وابو بكر والناس خلفه قياما وان كان بعض العلما زعم
ان ابا بكر رضى الله عنه كان هو الامام والنبى صلى الله عليه وسلم مقتد به لكن
الصواب انه صلى الله عليه وسلم كان هو الامام **الباب الثانى** فى ذكر صلاة
صلى الله عليه وسلم الجمعة عن انس بن مالك قال اتى جبريل النبى صلى الله عليه
وسلم بمراة بيضا فيها نكتة سودا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما هذه فقال
هذه الجمعة فضلت بها انت وامتك والناس فيها لكم تبع اليهود والنصارى
ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها عبد مومن يدعوا الله بخير الا استجاب
له وهو عندنا يوم المزيد فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا جبريل وما يوم
المزيد فقال ان ربك اتخذ فى الفردوس واديا افيح فيه كثيب من مسك فاذا
كان يوم القيامة انزل الله ما شاء من ملايكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد

اى حين يراد اقامتها

وخالف مالك فى ذلك ومنع من صلاة القائم خلف القاعد مطلق

البنين وحفت تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزمرد عليها
الشهدا والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله انا ربكم قد
صدقتكم وعدى فسلونى اعطيكم فيقولون ربنا نسيلك رضوانك فيقول قد
رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ولدى مزيد فهم يحبون يوم القيامة لما يعطيهم ربهم
فيه من الخير وفيه استوى ربك على العرش رواه الشافعى فى مسنده ومسلم
روى من حديث ابى هريرة قال قال صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه
الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم
الساعة الا فى يوم الجمعة وروى البيهقى فى الدعوات من حديث انس كان
صلى الله عليه وسلم اذا دخل رجب قال اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان
وبلغنا رمضان وكان يقول ليلة الجمعة ليل اغر ويوم الجمعة يوم ازهر وليوم
الجمعة من الخواص ما يبلغ العشرين ذكرها ابن القيم فى الهدى النبوى لا اطيل بذكرها
سيما وليست من غرضى وهو افضل ايام الاسبوع كما ان يوم عرفة افضل ايام
العام وكذلك ليلة القدر وليلة الجمعة ولهذا كان لوقفة الجمعة يوم عرفة
على ساير الايام وقال ابو امامة بن النقاش يوم الجمعة افضل ايام الاسبوع
ويوم النحر افضل ايام العام قال وغير هذا لا يسلم قايله من اعتراض يعجز
عن دفعه انتهى وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال نحن
الاخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم
الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا تبع اليهود غدا
والنصارى بعد غد رواه البخارى وفى رواية ابن عيينة عن ابى الزناد عند مسلم
نحن الاخرون ونحن السابقون اى الاخرون زمانا والاولون منزلة والمراد
باليوم يوم الجمعة وقوله بيد بفتح الموحدة واسكان المثناة من تحت وفتح
الدال المهملة اى غير واذا عرف هذا فقوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا
فيه اى على نبيهم موسى حيث امرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم فى السبت
كان اختلافا على نبيهم فى ذلك اليوم لاجله فان قيل هل فى العقل وجه يدل على ان
يوم الجمعة افضل من السبت والاحد وذلك لان اهل الملل اتفقوا على انه
تعالى خلق العالم فى ستة ايام وبدا الخلق والتكوين فى يوم الاحد وفى يوم الجمعة
فكان الفراغ يوم السبت فقالت اليهود نحن نوافق ربنا فى ترك الاعمال فعينوا
السبت لهذا المعنى وقالت النصارى مبدا الخلق والتكوين يوم الاحد فنجعل
هذا عيدا لنا فهذان اليومان معقولان فما الوجه فى جعل يوم الجمعة

اى البنين

اى كمل خلق العرش تم

عيدا فالجواب ان يوم الجمعه هو يوم الكمال والتمام وحصول التمام والكمال
يوجب الفرح الكامل والسرور العظيم فجعل يوم الجمعة يوم العيد اولى من
هذا الوجه والله اعلم قال ابن بطال وليس المراد فى الحديث انه فرض عليهم
يوم الجمعة بعينه فتركوه لانه لايجوز لاحد ان يترك ما فرض الله تعالى عليه
وهو مومن وانما يدل والله اعلم انه فرض عليهم يوم من الجمعة وكل الى
اختيارهم ليقوموا فيه بشريعتهم فاختلفوا فيه ولم يهتدوا ليوم الجمعة
كذا قال لكن قد روى ابن ابى حاتم عن السدى التصريح بانه فرض عليهم يوم الجمعة
بعينه فابوا ولفظه ان الله فرض على اليهود الجمعة فابوا وقالوا يا موسى اجعل
لنا يوم السبت فجعل عليهم وليس ذلك بعجيب من مخالفتهم كما وقع لهم فى قوله تعالى
ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وهم القايلون سمعنا وعصينا ويحتمل قوله فهدا
نا الله له بان نص لنا عليه وان يراد الهداية بالاجتهاد ويشهد للثانى ما رواه
عبد الرزاق باسناد صحيح عن محمد بن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدمها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل ان تنزل الجمعة فقالت الانصار ان
لليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل
لنا يوما نجتمع فيه نذكر الله تعالى ونصلى ونشكره فجعلوه يوم العروبة واجتمعوا
الى اسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ وانزل الله تعالى بعد ذلك اذا نودى
للصلاة من يوم الجمعة وهذا وان كان مرسلا فله شاهد باسناد حسن
اخرجه احمد وابو داود وابن ماجة وصححه ابن خزيمة من حديث كعب بن مالك قال
كان اول من صلى بنا الجمعة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اسعد بن
زرارة فمرسل ابن سيرين يدل على ان اوليك الصحابة اختاروا يوم الجمعة بالاجتهاد
ولا يمنع ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم علمه بالوحى وهو بمكة فلم يتمكن من اقامتها
ثم وكذلك جمع بهم اول ما قدم المدينة انتهى وقال ابن اسحاق لما قدم عليه السلام
المدينة اقام بقبا فى بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثا ويوم الاربعا ويوم
الخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة فادركته الجمعة فى بنى سالم فصلاها فى
المسجد الذى فى بطن الوادى فكانت اول جمعة صلاها بالمدينة وذلك قبل
تاسيس مسجده وكان صلى الله عليه وسلم يصلى الجمعة حين تميل الشمس رواه البخارى
من حديث انس وفى رواية اذا اشتد البرد بكر بالصلاة واذا اشتد الحر ابرد بالصلاة
يعنى الجمعة وفى رواية سهل بن سعد عند البخارى ومسلم كنا نصلى معه صلى الله
عليه وسلم الجمعة ونقيل بعد الجمعة ثم اعلم ان الخطبة شرط فى انعقاد الجمعة

لاتصح الابها وقال سعيد بن جبير هى بمنزلة الركعتين من صلاة الظهر فاذا تركها وصلى
الجمعة فقد نزل ركعتين من صلاة الظهر ولم يكن يوذن فى زمانه صلى الله عليه
وسلم على المنار وبين يديه وانما كان بلال يوذن وحده بين يديه صلى الله عليه وسلم
اذا جلس على المنبر كما صرح به ايمة الحنفية والمالكية والشافعية وغيرهم
وعبارة البرهان المرغينانى من الحنفية فى مكاتبه واذا صعد الامام المنبر جلس
واذن المؤذن بين يدى المنبر بذلك جرى التوارث ولم يكن على عهد النبى صلى الله
عليه وسلم الا هذا الاذان وعبارة ابن الحاجب من المالكية ويحرم السعى عند
اذان جلوس الخطبة وهو المعهود فلما كان الاذن عثمان وكثروا امر باذان قبله
على الزوراء ثم نقله هشام الى المسجد وجعل الاخر بين يديه انتهى ونحوه قال
عبد الحق فى تهذيب المطالب واما قول ابن ابى زيد فى رسالته وهذا الاذان
الثانى احدثه بنى امية فقال شارحوه الفاكهانى وغيره يعنى الثانى فى الاحداث
وهو الاول فى الفعل قال وكان بعض شيوخنا يقول الاول هو الثانى والثانى
هو الاول ومنشاوه ما تقدم انتهى وعبارة الزركشى كغيره من الشافعية ويجلس
الامام على المستراح ليستريح من تعب الصعود ثم يؤذن المؤذن بعد جلوسه فان
التاذين كان حين يجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن قبله اذان
فلما كان زمن عثمان وكثر الناس امرهم بالتاذين ثانيا ثم يديم الجلوس الى فراغ
المؤذن انتهى وعن السايب بن يزيد قال كان الندا يوم الجمعة اوله اذا جلس
الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر فلما كان
عثمان وكثر الناس زاد الندا الثالث على الزوراء رواه البخارى وقال الزوراء موضع
بالسوق بالمدينة وفى رواية له ايضا ان التاذين الثانى يوم الجمعة امر به
عثمان حين كثر اهل المسجد وهو يفسر بما فسر به قول ابن ابى زيد السابق وعند
ابن خزيمة كان الاذان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر
اذانين يوم الجمعة قال ابن خزيمة قوله اذانين يريد الاذان والاقامة تغليبا
او لاشتراكهما فى الاعلام وللنسائى كان بلال يوذن اذا جلس النبى صلى الله عليه
وسلم على المنبر فاذا نزل اقام وفى رواية وكيع عن ابن ابى ذيب فامر عثمان بالاذان
الاول ونحوه للامام الشافعى من هذا الوجه قال فى فتح البارى ولا منافاة
بينهما لانه باعتبار كونه مزيدا يسمى ثالثا وباعتبار كونه مقدما على الاذان
والاقامة يسمى اولا واما قوله فى رواية البخارى التاذين الثانى فمتوجه بالنظر
الى الاذان الحقيقى لا الاقامة وقال الشيخ خليل فى التوضيح واختلف النقل

بل كان تؤذن بين يديه عليه السلام او على المنار الذى نقله اصحابنا انه كان
على المنار نقله ابن القاسم عن مالك فى المجموعه ونقل ابن عبد البر فى كافيه عن مالك
ان الاذان بين يدى الامام ليس من الامر القديم وقال غيره سواصل الاذان
فى الجمعة وكذلك نقل صاحب تقريب الطالب والمازرى وفى الاستذكار
ان هذا اثبته على بعض اصحابنا وانكروا ان يكون الاذان يوم الجمعة بين يدى
الامام كان فى زمنه عليه السلام وابى بكر وعمر وان ذلك حدث فى زمان
هشام قال وهذا قول من قل علمه ثم استشهد بحديث السايب بن يزيد المروى
فى البخارى السابق ثم قال وقد رفع الاشكال فيه ابن اسحاق عن الزهرى عن السايب
بن يزيد قال كان يؤذن بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر يوم
الجمعة وابو بكر وعمر انتهى والحكمة فى جعل الاذان فى هذا المحل ليعرف الناس بجلوس
الامام على المنبر فينصتون له اذا خطب قاله المهلب قال فى فتح البارى وفيه
نظر فان من سياق محمد بن اسحاق عند الطبرانى وغيره فى هذا الحديث ان بلالا
كان يؤذن على باب المسجد فالظاهر انه كان لمطلق الاعلام لا لخصوص الانصات
والذى يظهر ان الناس اخذوا بفعل عثمان فى جميع البلاد اذ ذاك كان لكونه
حينئذ خليفة يطاع الامر لكن ذكر الفاكهى ان اول من احدث الاذان الاول
بمكة الحجاج وبالبصرة زياد وفى تفسير جويبر عن الضحاك عن معاذ ان عمر امر
موذنين ان يؤذنا للناس الجمعه خارجا من المسجد حتى يسمع الناس وامر ان
يوذن بين يديه كما كان فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وابى بكر ثم
قال عمر نحن ابتدعناه لكثرة المسلمين وهذا منقطع بين مكحول ومعاذ ولا يثبت
وقد تواترت الاخبار ان عثمان هو الذى زاد فهو المعتمد وقد روى عبد الرزاق
ما يقوى هذا الاثر عن ابن جريج قال قال سليمان ابن موسى اول من زاد الاذان
بالمدينة عثمان فقال عطا كلا انما كان يدعو الناس ولا يؤذن غير اذان واحد
انتهى لكن عطا لم يدرك عثمان بن عفان فرواية من اثبت ذلك عنه مقدمة على
انكاره ويمكن الجمع بان الذى كان فى زمن عمر بن الخطاب استمر على عهد عثمان
ثم راى ان يجعله اذانا وان يكون على مكان عال ففعل ذلك فنسب اليه لكونه
بالفاظ الاذان وترك ما كان يفعله عمر لكونه مجرد اعلام وروى
ابن ابى شيبة عن ابن عمر قال الاذان الاول يوم الجمعة بدعة فيحتمل ان يكون
قال ذلك على سبيل الانكار وان يكون اراد به ما لم يكن فى زمنه عليه السلام
يسمى بدعة لكن منها ما تكون حسنا ومنها ما يكون غير ذلك ثم ان فعل عثمان

رضى الله

رضى الله عنه كان اجماعا سكوتيا لانهم لم ينكروه عليه انتهى واول جمعة
جمعها النبى صلى الله عليه وسلم باصحابه كما قدمناه فى حديث الهجرة فى بنى سالم فى بطن
وادٍ لهم فخطبهم وهى اول خطبة خطبها بالمدينه وقال فيها الحمد لله احمده و
استعينه واستغفره واستهديه واومن ولا اكفره واعادى من يكفر به
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله
ارسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل
وقلةٍ من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة
وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله
فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فانه خير ما اوصى
به المسلمُ المسلمَ ان يحضه على الاخرة وان يامره بتقوى الله واحذروا ما
حذركم الله من نفسه فان تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة
من ربه عونٌ وصدق على ما يبتغون من الاخرة ومن يصل الذى بينه
وبين الله من امره فى السر والعلانية لا ينوى به الا وجه الله يكن له ذكرا
فى عاجل امره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان مما سوى
ذلك يود لو ان بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد
هو الذى صدق قوله وانجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول ما يبدل القول لدى
وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله فى عاجل امركم واجله فى السر والعلانية فانه
من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا
عظيما وان تقوى الله توقى مقته وسخطه وان تقوى الله تبيض الوجه وترضى
الرب وترفع الدرجة فخذوا بحظكم ولا تفرطوا فى جنب الله فقد علمكم كتابه
ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فاحسنوا كما احسن
الله اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم
المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة ولا حول ولا قوة
الا بالله فاكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فانه من يصلح ما بينه وبين الله
يكفيه الله ما بينه وبين الناس ذلك بان الله يقضى على الناس ولا يقضون
عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله
العلى العظيم ذكر هذه الخطبه القرطبى فى تفسيره وغيره وقد كان صلى الله عليه
وسلم يخطب متوكئا على قوس او عصا وفى سنن ابن ماجة انه صلى الله عليه
وسلم كان اذا خطب فى الحرب خطب على قوس واذا خطب فى الجمعة خطب

على عصا وعن ابي داود باسناد حسن انه صلى الله عليه وسلم قام متوكيا
على قوس او عصا قالوا والحكمة في التوكاء على نحو السيف الاشارة الى ان هذا
اقام بالسلاح ولهذا اقبضه باليسرى كعادة من يريد الجهاد به وتنازع فيه
العلامة ابن القيم في الهدي النبوي وقال ان الدين لم يقم الا بالقران والوحي
كذا قال والله اعلم وكان صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر سلم رواه ابن ماجة
وكان صلى الله عليه وسلم يخطب قائما ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قايما رواه
مسلم من رواية جابر بن سمرة وفي رواية له كانت له صلى الله عليه وسلم خطبتان
يجلس بينهما يقرا القران ويذكر الناس وفي حديث ابن عمر عند ابي داود كان عليه
السلام يخطب خطبتين كان يجلس اذا صعد المنبر حتى يفرغ الموذن ثم يقوم فيخطب
قايما رواه مسلم ثم يجلس فلا يتكلم حتى يقوم فيخطب قال ابن المنذر الذي عليه
اهل العلم من علماء الامصار الخطبة قايما ونقل غيره عن ابي حنيفة ان القيام في
الخطبة سنة وليس بواجب وعن مالك رواية انه واجب فان تركه اسا وصحت
الخطبة وعند الباقين ان القيام شرط يشترط للقادر كالصلاة واستدلوا
بحديث جابر بن سمرة وبمواظبته صلى الله عليه وسلم على القيام وبمشروعية
الجلوس بين الخطبتين فلو كان القعود مشروعا في الخطبتين ما احتيج الى الفصل
بالجلوس ولان الذي نقل عنه الجلوس وهو معاوية كان معذورا فعند ابن
ابي شيبة من طريق الشعبي ان معاوية انما خطب قاعدا لما كثر شحم بطنه
واستدل الشافعي لوجوب الجلوس بين الخطبتين بما تقدم ولمواظبة النبي
صلى الله عليه وسلم على ذلك وكان صلى الله عليه وسلم يقول بعد الثنا اما
بعد كما قاله البخاري وكان صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت عيناه وعلا
صوته واشتد غضبه حتى لانه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت انا
والساعة كهاتين ويقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى ويقول اما بعد
فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم
وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول انا اولى بكل مومن من
نفسه من ترك مالا فلاهله ومن ترك دينا او ضياعا فالي وعلي رواه مسلم
والنسائي من حديث جابر وفي رواية كانت خطبته صلى الله عليه وسلم يوم
الجمعة يحمد الله ويثني عليه ثم يقول على اثر ذلك وقد علا صوته وذكر نحوه
وفي اخرى كان يخطب الناس يحمد الله ويثني عليه بما هو اهله ثم يقول
من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وخير الحديث كتاب الله

ثم ذكر نحو ما تقدم وعن ام هشام بنت حارثة ابن النعمان قالت ما اخذت
ق والقران المجيد الا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يقرا ها جمعة
على المنبر اذا خطب الناس رواه مسلم وعن الحكم بن حزن الكلبي قال قدمت
الى النبي صلى الله عليه وسلم سابع سبعة او تاسع تسعة فلبثنا عنده اياما شهدنا
فيها الجمعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكيا على قوس او قال على عصى
فحمد الله واثنى عليه كلمات خفيفات طيبات مباركات ثم قال يا ايها الناس
انكم لن تفعلوا ولن تطيقوا كلما امرتكم به ولكن سددوا وابشروا رواه احمد وا
ابو داود وعن يعلى ابن امية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرا على المنبر ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك رواه البخاري ومسلم وعن
ابي الدردا قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه يوم جمعة فقال توبوا الى الله
قبل ان تموتوا وبادروا بالاعمال الصالحة قبل ان تشتغلوا وصلوا الذي بينكم
وبين ربكم تسعدوا واكثروا الصدقة ترزقوا وامروا بالمعروف تحصنوا و
وانهوا عن المنكر تنصروا ايها الناس ان اكيسكم اكثركم ذكرا للموت واكرمكم
احسنكم استعدادا له الا وان من علامات العقل التجافي عن دار الغرور والانابة
الى دار الخلود والتزود لسكنى القبور والتاهب ليوم النشور ورواه ابن
ماجه من حديث جابر بن عبد الله مختصرا بنحوه وفي مراسيل ابي داود عن الزهري
قال كان صدر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره
ونعوذ بالله من شرور انفسنا من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي
له واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالحق بشيرا
ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما
فقد غوى نسئل الله ربنا ان يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه
ويجتنب سخطه وعنه ايضا عنه قال بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه كان يقول اذا خطب كل ما هو ات قريب لا بعد لما هو ات يريد الله
امرا ويريد الناس امرا ما شا الله كان ولو كره الناس ولا مبعد لما قرب
الله ولا مقرب لما بعد الله لا يكون شي الا باذن الله عز وجل وقال جابر كان
صلى الله عليه وسلم اذا خطب يوم الجمعة يقول بعد ان يحمد الله ويصلي
على انبيايه ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية
فانتهوا الى نهايتكم ان العبد المومن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما
الله قاض فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله صانع فيه فليأخذ العبد

من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات والذى نفسى بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار الا الجنه والنار اقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم وعن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم خطب يوما فقال الا ان الدنيا عرض حاضر يا كل منها البر والفاجر الا وان الاخرة اجل صادق يقضى فيها ملك قادر الا وان الخير كله بحذافيره فى الجنة الا وان الشر كله بحذافيره فى النار الا فاعملوا وانتم من الله على حذر واعلموا انكم معروضون على اعمالكم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره رواه الشافعى وعند ابو نعيم فى الحلية نحوه واختلف هل يجب الانصات ويمنع من جميع انواع الكلام حال الخطبة ام لا وعن الشافعى فى المسئلة قولان مشهوران وبناهما بعض الاصحاب على الخلاف فى ان الخطبتين بدلا عن ركعتين ام لا فعلى الاول يحرم لا على الثانى والثانى هو الارجح عندهم فمن ثم اطلق من اطلق منهم اباحة الكلام حتى شنع من شنع عليهم من المخالفين وعن احمد ايضا روايتان وعنهما ايضا التفرقة بين من يسمع الخطبة وبين من لا يسمعها واغرب ابن عبد البر فنقل الاجماع على وجوب الانصات على من سمعها الا عن قليل من التابعين ودخل سليك الغطفانى وهو صلى الله عليه وسلم يخطب فقال له صلى الله عليه وسلم صليت قال لا قال قم فاركع ركعتين رواه البخارى ومسلم وابو داود واستدل به على ان الخطبة لا تمنع الداخل من صلاة تحية المسجد وتعقب بانها واقعة عين لا عموم لها فيحتمل اختصاصها بسليك ويدل عليه قوله فى حديث ابى سعيد عند اهل السنن جاء رجل والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب فى هيئة بذة فقال له اصليت قال لا قال صل ركعتين وحض الناس على الصدقة الحديث فامره بان يصلى ليراه بعض الناس وهو قائم فيتصدق عليه وورد ايضا ما يؤيد الخصوصية وهو ما اخرجه ابن حبان وهو قوله صلى الله عليه وسلم لسليك فى اخر الحديث لا تعودن لمثلها ومما يضعف الاستدلال به على جواز التحية فى تلك الحالة انهم اطلقوا ان التحية تفوت بالجلوس فهذا ما اعتل به من طعن فى الاستدلال بهذه القصة على جواز التحية وكله مردود لان الاصل عدم الخصوصية والتعليل بكونه عليه السلام قصد التصدق عليه لا يمنع القول بجواز التحية فان المانعين منها لا يجيزون التطوع عند طلوع الشمس وسائر الاوقات المكروهة

هكذا

ولا قائل به

ولا قائل به ومما يدل على ان امره بالصلاة لم ينحصر فى قصد التصدق معاودته عليه الصلاة والسلام بامره بالصلاة فى الجمعة الثانية بعد ان حصل له فى الجمعة الاولى ثوبين فدخل بهما فى الثانية فتصدق باحدهما فنهاه صلى الله عليه وسلم عن ذلك اخرجه النسائى وابن خزيمة من حديث ابى سعيد ايضا ولاحمد وابن حبان انه كرر امره بالصلاة ثلاث مرات فى ثلاث جمع فدل على ان قصد التصدق عليه جزء علة لا علة كاملة واما اطلاق من اطلق ان التحية تفوت بالجلوس فقد حكى النووى فى شرح مسلم عن المحققين ان ذلك فى حق العامد العالم اما الجاهل والناسى فلا وحال هذا الداخل محمولة فى الاولى على احدهما وفى المرتين الاخيرتين على النسيان والحامل للمانعين على التاويل المذكور انهم زعموا ان ظاهره معارض للامر بالانصات والاستماع للخطبة وقد اجاب الحافظ ابن حجر عن ذلك وغيره من ادلة المانعين بما يطول ذكره ثم قال وهذه الاجوبة التى قدمناها تندفع من اصلها بعموم قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث ابى قتادة اذا دخل احدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين متفق عليه قال ثم ورد اخص منه فى حال الخطبة ففى رواية شعبة عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب اذا جاء احدكم والامام يخطب او قد خرج فليصل ركعتين متفق عليه ولمسلم من طريق ابى سفيان عن جابر انه قال ذلك فى قصة سليك ولفظه بعد قوله فاركعهما وتجوز ثم قال اذا جاء احدكم يوم الجمعة والامام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما قال النووى هذا نص لا يتطرق اليه التاويل ولا اظن عالما يبلغه هذا اللفظ ويعتقده صحيحا فيخالفه وقال العارف ابو محمد بن ابى جمرة هذا الذى اخرجه مسلم نص فى الباب لا يحتمل التاويل وقد قال قوم انما امره صلى الله عليه وسلم بسنة الجمعة التى قبلها ومستندهم قوله عليه السلام فى قصة سليك عند ابن ماجة اصليت ركعتين قبل ان تجئ لان ظاهره قبل ان تجئ من البيت ولهذا قال الاوزاعى ان كان صلى فى البيت قبل ان يجئ فلا يصلى اذا دخل المسجد وتعقب بان المانع من صلاة التحية لا يجوز التنفل حال الخطبة مطلقا ويحتمل ان يكون معنى قوله قبل ان تجئ اى الى الموضع الذى انت به الان وفائدة الاستفهام احتمال ان يكون صلاهما فى مؤخر

المسجد ثم تقدم ليقرب من سماع الخطبة ويوبده ان في رواية مسلم اصليت
الركعتين بالالف واللام وهي للعهد ولا عهد هناك اقرب من تحية المسجد
واما سنة الجمعة التي قبلها فياتي الكلام فيها ان شا الله تعالى وكانت
صلاته صلى الله عليه وسلم قصدا وخطبته قصدا رواه مسلم و
الترمذي من رواية جابر ابن سمرة زاد في رواية ابي داود يقرا بايات
من القران ويذكر الناس وله في اخرى كان لا يطيل الموعظة يوم الجمعة
انما هو كلمات يسيرات وعن عمرو بن حريث انه صلى الله عليه وسلم
خطب وعليه عمامة سودا قد ارخى طرفها بين كتفيه رواه مسلم قال
ابن القيم في الهدى وكان عليه الصلاة والسلام اذا اجتمع الناس خرج اليهم
وحده من غير شاويش يصيح بين يديه ولا لبس طيلسانا ولا طرحة ولا سواد
فاذا دخل المسجد سلم عليهم فاذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه
وسلم عليهم ثم يجلس وياخذ بلال في الاذان فاذا فرغ منه قام صلى الله
عليه وسلم فخطب من غير فصل بين الاذان والخطبة لا بايراد خبر ولا غيره
ولم يكن ياخذ بيده سيفا ولا غيره وانما كان يعتمد على قوس او عصا قبل
ان يتخذ المنبر وكان يامر الناس بالدنو منه ويامرهم بالانصات انتهى
وينظر في قوله ولم يكن ياخذ بيده سيفا ولا غيره وانما كان يعتمد على قوس
او عصا قبل ان يتخذ المنبر وكان صلى الله عليه وسلم يقرا بسورة الجمعة
في الركعة الاولى واذا جاءك المنافقون في الثانية رواه مسلم والترمذي
وابو داود والحكمة في قرائته صلى الله عليه وسلم بسورة الجمعة اشتمالها
على وجوب الجمعة وغير ذلك مما فيها من القواعد والحث على التوكل
والذكر وغير ذلك وقراة سورة المنافقين لتوبيخ حاضريها منهم وتنبيههم
على التوبة وغير ذلك مما فيها من القواعد لانهم كانوا يجتمعون في مجلس
اكثر من اجتماعهم فيها وفي حديث النعمان بن بشير عند مسلم وكان يقرا في
العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية
وقد اختلف في العدد الذي تنعقد بهم الجمعة وللعلما فيه خمسة
عشر قولا احدها تصح من الواحد نقله ابن حزم الثاني اثنان كالجماعة
وهو قول النخعي واهل الظاهر الثالث اثنان مع الامام عند ابي يوسف
ومحمد والليث الرابع ثلاثة معه عند ابي حنيفة وسفيان الثوري
الخامس سبعة عند عكرمة السادس تسعة عند ربيعة السابع اثنا عشر

عن ربيعة ايضا في رواية الثامن مثله غير الامام عند اسحاق
التاسع عشرون في رواية ابن حبيب عن مالك العاشر ثلاثون كذلك
الحادي عشر اربعون بالامام عند امامنا الشافعي واشترط كونهم
احرارا بالغين عقلا مقيمين لا يظعنون صيفا ولا شتاء الا لحاجة وان يكونوا
حاضرين من اول الخطبة الى ان تقام الجمعة وحجة الشافعي ما رواه الدار
قطني وابن ماجة والبيهقي في الدلايل عن عبد الرحمن ابن كعب بن مالك قال
كنت قايد ابي حين ذهب بصره فاذا خرجت به الى الجمعة فسمع الاذان
صلى على ابي امامة واستغفر له قال فمكث كذلك حينا لا يسمع الاذان
في الجمعة الا فعل فقلت له يا ابة استغفارك لابي امامة كلما سمعت اذان
الجمعة ما هو قال يا بني هو اول من جمع بالمدينة قال قلت له كم كنتم يوميذ قال
اربعون رجلا وقال جابر بن عبد الله مضت السنة ان في كل ثلاثة اماما
وفي كل اربعين فما فوق ذلك جمعة خرجه الدارقطني وروى البيهقي عن ابن
مسعود انه صلى الله عليه وسلم جمع بالمدينة وكانوا اربعين رجلا
قال شيخ الاسلام زكريا الانصاري نفع الله بوجوده قال في المجموع قال
اصحابنا وجه الدلالة ان الامة اجمعوا على اشتراط العدد والاصل
الظهر فلا تصح الجمعة الا بعدد ثبت فيه توقيف وقد ثبت جوازها
باربعين وثبت صلوا كما رايتموني اصلي ولم يثبت صلاته لها باقل
من ذلك فلا يجوز باقل منه قال واما خبر انفضاضهم فلم يبق الا اثنى
عشر فليس فيه ان ابتداءها باثني عشر بل يحتمل عودهم او عود غيرهم
مع سماعهم اركان الخطبة وفي مسلم انفضوا في الخطبة وفي رواية البخاري
انفضوا في الصلاة وهي محمولة على الخطبة جمعا بين الاخبار انتهى الثاني
عشر اربعون غير الامام عند الشافعي ايضا وبه قال عمر بن عبد العزيز
وطايفة الثالث عشر خمسون عند احمد في رواية وحكيت عن عمر بن عبد
العزيز الرابع عشر ثمانون حكاه المازري الخامس عشر جمع كثير بغير حصر
ولعل هذا الاخير ارجحها من حيث الدليل قاله في فتح الباري **الباب الثالث**
في ذكر تهجده صلوات الله وسلامه عليه قال الله تعالى له عليه السلام
ومن الليل فتهجد به نافلة لك اي بالقران والمراد منه الصلاة المشتملة
على القران والتهجد في اللغة النوم وعن ابي عبيدة المتهجد النايم و
الهاجد المصلي بالليل وعن الازهري الهاجد النايم وقال المازري

التهجد الصلاة بعد الرقاد ثم صلاة اخرى بعد رقدة ثم صلاة اخرى
بعد رقدة قال وهكذا كانت صلاة رسول الله صلى الله وسلم وقوله
نافلة لك اى عبادة زايدة فى فرايضك ويمكن منصرة هذا القول بان قوله
فتهجد امر وصيغة الامر للوجوب فوجب كون هذا التهجد واجبا وروى
الطبرى عن ابن عباس ان النافلة للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة لانه
امر بقيام الليل وكتب عليه دون امته واسناده ضعيف وقيل
معناه زيادة لك خالصة لان تطوع غيره يكفر ما على صاحبه من ذنب
وتطوعه هو صلى الله عليه وسلم يقع خالصا لكونه لا ذنب عليه
فكل طاعة ياتى بها صلى الله عليه وسلم سوى المكتوبة انما تكون لزيادة
الدرجات وكثرة الحسنات ولهذا سمى نافلة بخلاف الامة فان لهم ذنوبا
محتاجة الى الكفارات فهذه الطاعات يحتاجون اليها لتكفير الذنوب
والسيات وروى مسلم من طريق سعد بن هشام عن عايشة قال ان الله
افترض قيام الليل فى اول هذه السورة يعنى يا ايها المزمل فقام نبى الله صلى
الله عليه وسلم واصحابه حولا حتى انزل الله فى اخر هذه السورة التخفيف
فصار الليل قيام تطوعا بعد فرضيته وروى محمد بن نصر فى قيام الليل من
طريق سماك عن ابن عباس شاهد الحديث عايشة فى ان بين الايجاب
والنسخ سنة وحكى الشافعى عن بعض اهل العلم ان اخر السورة نسخ افتراض
قيام الليل الا ما تيسر منه ثم نسخ فرض ذلك بالصلوات الخمس وروى
محمد بن نصر من حديث جابر ان نسخ قيام الليل وقع لما توجهوا مع ابى عبيدة
فى جيش الخبط وكان ذلك بعد الهجرة لكن فى اسناده على بن زيد بن جدعان
وهو ضعيف فوجوب قيام الليل قد نسخ فى حقنا وهل نسخ فى حقه صلى الله
عليه وسلم اكثر الاصحاب لا والصحيح نعم ونقله الشيخ ابو حامد عن النص
وقالت عايشة قام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه وفى رواية
حتى تفطرت قدماه فقلت له لم تصنع هذا يا رسول وقد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا قالت فلما بدن وكثر لحمه
صلى جالسا فاذا اراد ان يركع قام فقرا ثم ركع رواه البخارى ومسلم والفا
فى قوله افلا اكون للسببية وهى عن محذوف تقديره اترك تهجدى فلا اكون
عبدا والمعنى ان المغفرة سبب لكون التهجد شكرا فكيف اتركه قال ابن بطال
فى هذا الحديث اخذ الانسان على نفسه بالشدة فى العبادة وان اضر ذلك ببدنه

لانه صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لم
يعلم بذلك فضلا عمن لم يامن انه استحق النار انتهى ومحل ذلك كما قال الحافظ
ابن حجر فى فتح البارى ما لم يفض ذلك الى الملال لان حال النبى صلى الله عليه وسلم
كانت اكمل الاحوال فكان لا يمل من عبادة ربه وان اضر ذلك ببدنه بل صح
انه عليه الصلاة والسلام قال وجعلت قرة عينى فى الصلاة كما اخرجه النسائى
من حديث انس فاما غيره صلى الله عليه وسلم فاذا خشى الملل ينبغى له ان لا
يكد نفسه وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم خذوا من الاعمال ما تطيقون
فان الله لا يمل حتى تملوا انتهى لكن ربما دست النفس او الشيطان على المجتهد
فى العبادة بمثل ما ذكر خصوصا ان اكثر فيقول قد ضعفت وكبرت فابق على
نفسك لئلا ينقطع عملك بالكلية وهذا وان كان ظاهره جميلا لكن فيه
دسائس فانه ان اطاعه يكون استدراجا يؤول به الى ترك العمل شيئا فشيئا
الى ان ينقطع بالكلية وما ترك سيد المرسلين المغفور له شيئا من عمله
بعد كبره نعم كان يصلى بعض ورده جالسا بعد ان كان يقوم حتى تفطرت
قدماه فكيف بمن اثقلت ظهره الاوزار ولا يامن عذاب النار ان يغفل
حال شيبته وشبابه عند ظهور شيبه فينبغى للانسان ان يستعد
قبل حلول مشيبه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك فان من
شاب فقد لاح صبح سواد ليل شعره وقد قال تعالى منذرا لمن يدخل
فى الصبا ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب فكيف بقرب من دخل
فى الصبا وظهر كوكب نهاره فى افق راسه ولاح قال القرطبى ظن من ساله
صلى الله عليه وسلم عن سبب تحمله المشقة فى العبادة انه انما يعبد الله خوفا
من الذنوب وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق انه غفر له لا يحتاج الى ذلك
فافادهم ان هناك طريقا اخر للعبادة وهو الشكر على المغفرة وايصال النعمة
لمن لا يستحق عليه فيها سببا فيتعين كثير الشكر على ذلك والشكر الاعتراف
بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر ذلك منه سمى شكورا ومن ثم قال الله تعالى
وقليل من عبادى الشكور وفيه ما كان النبى صلى الله عليه وسلم من الاجتهاد
فى العبادة والخشية من ربه قال العلما انما الزم الانبيا انفسهم بشدة الخوف
لعلمهم بعظيم نعمة الله عليهم وانه ابتداهم بها قبل استحقاقها فبذلوا
مجهودهم فى عبادته ليودوا بعض شكره مع ان حقوق الله اعظم من ان
يقوم بها العباد والله اعلم انتهى **ذكر سياق صلاته** صلى الله عليه

وسلم بالليل عن شريح بن هاني قال قالت عايشة رضي الله عنها ما صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم العشا قط فدخل بيتي الا صلى اربع ركعات
او ست ركعات رواه ابو داود وكان يقوم اذا سمع الصارخ رواه البخاري
ومسلم من حديث عايشة وهو يصرح في النصف الثاني وقالت كان عليه ای المؤذن
السلام ينام اول الليل ويقوم اخره فيصلي ثم يرجع الى فراشه فاذا اذن المؤذن
وثب فان كانت به حاجة اغتسل والا توضا وخرج رواه الشيخان وقالت
ايضا كان عليه السلام ربما اغتسل في اول الليل وربما اغتسل في اخره وربما
اوتر في اول الليل وربما اوتر في آخره وربما جهر بالقراة وربما خفت وقالت
امسلمة كان يصلي بنا ثم ينام قدر ما صلى ثم يصلي قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى
يصبح رواه ابو داود والترمذي والنسائي وفي رواية للنسائي كان يصلي
العتمة ثم يسبح ثم يصلي بعدها ما شا الله من الليل ثم ينصرف فيرقد مثل ما صلى
ثم يستيقظ من نومه ذلك فيصلي مثل ما نام وصلاته تلك الاخرة يكون
الى الصبح وعن انس قال ما كنا نشا ان نرى رسول الله صلى الله وسلم في الليل
مصليا الا رايناه ولا نشا ان نراه نايما الا رايناه رواه النسائي وكان اذا
استيقظ من الليل قال لا اله الا انت سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك
لذنبي واسئلك رحمتك اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني
وهب لي من لدنك رحمة انك انت الوهاب رواه ابو داود من حديث
عايشة وعنها كان عليه السلام اذا هب من الليل كبر عشرا وحمد الله عشرا ای استنبط
وقال سبحان الملك القدوس عشرا واستغفر عشرا وهلل عشرا ثم قال اللهم
اني اعوذ بك من ضيق الدنيا ومن ضيق يوم القيامة عشرا ثم يفتتح الصلاة
رواه ابو داود وقد روى حديث قيامه بالليل ووتره عايشة وابن
عباس قال ابن القيم واذا اختلف ابن عباس وعايشة في شي من امر قيامه
عليه السلام بالليل فالقول قول عايشة لانها اعلم الخلق بقيامه بالليل
انتهى فاما حديث ابن عباس فرواه البخاري ومسلم بلفظ بت عند
خالتي ميمونة ليلة والنبي صلى الله عليه وسلم عندها فتحدث صلى الله عليه
وسلم مع اهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الاخر او بعضه قعد فنظر
الى السما فقرا ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار حتى
ختم السورة ثم قام الى القربة فاطلق شناقها ثم صب في الجفنة ثم
توضا وضوا حسنا بين الوضوئين لم يكثر وقد ابلغ فقام فصلى

فقمت

فقمت فتوضات فقمت عن يساره فاخذ باذني فادارني عن يمينه فتتامت
صلاته ثلاث عشرة ركعة ثم اضطجع فنام حتى نفخ وكان اذا نام نفخ فاذن
بلال بالصلاة فصلى ولم يتوضا وكان في دعائه اللهم اجعل في قلبي نورا و
في بصري نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن يساري نورا وفوقي نورا وتحتي
نورا وامامي نورا وخلفي نورا واجعل لي نورا وزاد بعضهم وفي لساني وذكر عصبي
ولحمي ودمي وشعري وبشري وفي رواية فصل ركعتين خفيفتين قلت قرا فيهما
بام الكتاب في كل ركعة ثم سلم ثم صلى احدى عشرة ركعة بالوتر ثم نام فاتاه بلال
فقال الصلاة يا رسول الله فقام فركع ركعتين ثم صلى للناس وفي رواية
فقام فصلى ثلاث عشرة ركعة منها ركعتا الفجر حزرت قيامه في كل ركعة بقدر
يا ايها المزمل وفي رواية فصلى ركعتين ركعتين حتى صلى ثماني ركعات ثم اوتر بخمس
لم يجلس فيهن وفي رواية النسائي انه صلى احدى عشرة ركعة بالوتر ثم نام حتى
استثقل فرايته ينفخ فاتاه بلال الحديث وفي اخرى فتوضا واستاك وهو يقرا
هذه الاية حتى فرغ منها ان في خلق السموات والارض ثم صلى ركعتين ثم عاد
فنام حتى سمعت نفخه ثم قام فتوضا واستاك ثم صلى ركعتين ثم عاد فنام حتى
سمعت نفخه ثم قام فتوضا واستاك ثم صلى ركعتين ثم نام ثم قام فتوضا واستاك
وصلى ركعتين واوتر بثلاث ولمسلم فاستيقظ فتسوك وتوضا وهو يقول
ان في خلق السموات والارض حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين اطال
فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات
بست ركعات كل ذلك يستاك ويتوضا ويقرا هولا الايات ثم اوتر بثلاث واما
حديث عايشة فعن سعد بن هشام قال انطلقت الى عايشة فقلت يا ام المومنين
انبيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الست تقرا القران قلت
بلى قالت كان خلقه القران قلت يا ام المومنين انبيني عن وتر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت كنا نعد له صلى الله عليه وسلم سواكه وطهوره فيبعثه
الله متى شاء ان يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضا ويصلي تسع ركعات ولا يجلس
فيها الا في الثامنة فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم ينهض ولا يسلم فيصلي التاسعة
ثم يقعد فيذكر الله ويحمده ويدعوا ثم يسلم تسليما يسمعنا ثم يصلي ركعتين
بعد ما يسلم وهو قاعد فتلك احدى عشرة ركعة يا بني فلما اسن واخذ اللحم
اوتر بسبع وصنع في الركعتين مثل صنيعه في الاول فتلك تسع يا بني رواه مسلم
وللنسائي كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله لما شاء ان يبعثه من الليل

فسناك ويتوضا ويصلي تسع ركعات لا يجلس فيهن الا عند الثامنة بعد ما يسلم
ويحمد الله ويصلي على نبيه ويدعوا بينهن ولا يسلم ثم يصلي التاسعة ويقعد
ويحمد الله ويصلي على نبيه ثم يسلم تسليما يسمعنا ثم يصلي ركعتين بعد ما يسلم
وهو قاعد زاد في اخرى فتلك احدى عشرة ركعة يا بني فلما اسن صلى الله
عليه وسلم واخذه اللحم اوتر بسبع وصنع في الركعتين مثل صنيعه في الاول
ثم صلى ركعتين وهو جالس بعد ما سلم فتلك تسع اي بني وفي رواية له فصلى
ست ركعات يخيل الي انه سوى بينهن في القراة والركوع والسجود ثم يوتر بركعة
ثم يصلي ركعتين وهو جالس ثم يضع جنبه وعن عايشة كان صلى الله عليه
وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين رواه مسلم واحمد وعنها
كان عليه السلام يصلي فيما بين ان يفرغ من صلاة العشا الى الفجر احدى
عشرة ركعة ويسلم من كل ركعتين ويوتر بواحدة فيسجد السجدة من ذلك قدر ما
ما يقرا احدكم خمسين اية قبل ان يرفع راسه فاذا سكت الموذن من صلاة
الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الايمن
حتى ياتيه الموذن للاقامة رواه ابو داود وعنها قالت كان يصلي ثلاث
عشرة ركعة يوتر من ذلك بخمس ولا يجلس في شي الا في اخرها رواه البخاري
ومسلم وفي البخاري عن مسروق سالت عايشة عن صلاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت سبعا وتسعا واحدى عشرة سوى ركعتي الفجر
وعنده ايضا عن القاسم بن محمد عنها كان صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل
ثلاث عشرة ركعة منها الوتر وركعتا الفجر قال القرطبي اشكلت روايات
عايشة على كثير من اهل العلم حتى نسب بعضهم حديثها الى الاضطراب
وهذا انما يتم لو كان الراوي عنها واحدا او اخبرت عن وقت واحد والصواب
ان كل شي ذكرته من ذلك محمول على اوقات متعددة واحوال مختلفة
بحسب النشاط وبيان الجواز انتهى فاما ما اجابت به مسروقا فمرادها
ان ذلك وقع منه في اوقات مختلفة فتارة كان يصلي سبعا وتارة تسعا
وتارة احدى عشرة واما حديث القاسم فمحمول على ان ذلك كان غالب
احواله قيل والحكمة في عدم الزيادة على احدى عشرة ان التهجد والوتر
مختص بصلاة الليل وفرايض النهار الظهر وهي اربع والمغرب وهي ثلاث
وتر النهار فناسب ان تكون صلاة الليل كصلاة النهار في العدد جملة
وتفصيلا واما مناسبة ثلاث عشرة فبضم صلاة الصبح لكونها نهارية

الى ما بعدها انتهى وعن زيد بن خالد الجهني انه قال لارمقن صلاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم الليلة قال فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين
طويلتين طويلتين ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون
اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون
اللتين قبلهما ثم اوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة رواه مسلم وقوله ثم صلى
ركعتين وهما دون اللتين قبلهما اربع مرات هكذا في صحيح مسلم وموطا
مالك وسنن ابي داود وجامع الاصول لابن الاثير فقد كان قيامه عليه
السلام بالليل انواعا احدها ست ركعات يسلم من كل ركعتين ثم ثلاث
كما في حديث ابن عباس عند مسلم ثانيها انه كان يفتتح صلاته بركعتين
خفيفتين ثم يتم ورده احدى عشرة ركعة يسلم من كل ركعتين ويوتر بركعة
رواه البخاري ومسلم من حديث عايشة ثالثها ثلاث عشر كذلك رواه مسلم
من حديث زيد بن خالد الجهني رابعها ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين ثم
يوتر بخمس سردا متوالية لا يجلس الا في اخرهن رواه البخاري ومسلم من حديث
ابن عباس خامسها تسع ركعات لا يجلس فيها الا في الثامنة فيذكر الله ويحمده
ويدعوا ثم ينهض ولا يسلم فيصلي التاسعة ثم يقعد فيحمده ويدعو ثم
يسلم ثم يصلي ركعتين بعد ما يسلم قاعدا رواه مسلم من حديث عايشة سادسها
يصلي سبعا كالتسع ثم يصلي بعدها ركعتين جالسا رواه مسلم ايضا من حديثها
سابعها كان يصلي مثنى مثنى ثم يوتر بثلاث لا يفصل بينهن رواه احمد عنها ثامنها
ما رواه النساي عن حذيفة انه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان
فركع فقال في ركوعه سبحان ربي العظيم مثل ما كان قايما ثم جلس يقول رب اغفر لي
رب اغفر لي فما صلى الا اربع ركعات حتى جاء بلال يدعوه الى الغداة رواه ابو داود
ولفظه انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل فكان يقول الله اكبر ثلاثا
ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة ثم استفتح فقرا البقرة ثم ركع فكان
ركوعه نحوا من قيامه وكان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم ثم رفع راسه
من الركوع فكان قيامه نحوا من ركوعه يقول لربي الحمد ثم سجد فكان سجوده
نحوا من قيامه فكان يقول في سجوده سبحان ربي الاعلى ثم رفع راسه من
السجود وكان يقعد فيما بين السجدتين نحوا من سجوده وكان يقول رب اغفر لي
رب اغفر لي فصلى اربع ركعات قرا فيهن البقرة وال عمران والنساء والمايدة
او الانعام شك شعبة ورواه البخاري ومسلم بلفظ صليت مع رسول

والعدد على هذه الرواية مجهول

طويلتين طويلتين

الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة
ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة فمضى فقلت يركع بها ثم افتتح النسا فقراها ثم افتتح
ال عمران فقراها يقرا مترسلا اذا مر باية فيها تسبيح سبح واذا مر بسوال سال
واذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول سبحان ربي العظيم فكان ركوعه نحوا من قيامه
ثم قال سمع الله لمن حمده زاد في رواية ربنا لك الحمد ثم قام قياما طويلا
قريبا مما ركع ثم سجد فقال سبحان ربي الاعلى فكان سجوده قريبا من قيامه
وزاد النساى لا يمر باية تخويف او تعظيم لله عز وجل الا ذكره وقد كانت
هيئة صلاته عليه السلام ثلاثة احدها انه كان اكثر صلاته قائما فعن
حفصة قالت ما رايته صلى الله عليه وسلم صلى في سبحته قاعدا حتى كان
قبل وفاته بعام فكان يصلي في سبحته قاعدا الحديث رواه احمد ومسلم
والنساى وصححه الترمذى الثاني كان يصلي قاعدا ويركع قاعدا رواه
البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عايشة بلفظ واذا قرا وهو قاعد ركع
وسجد وهو قاعد الثالث كان يقرا قاعدا فاذا بقي يسير من قراته قام فركع
قايما رواه مسلم من حديث عايشة ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يصلي جالسا ويقرا وهو جالس فاذا بقي من قراته قدر ما يكون ثلاثين
اية او اربعين اية قام وقرا وهو قايم ثم ركع ثم سجد ثم يفعل في الركعة الثانية
مثل ذلك وعن عايشة كان صلى الله عليه وسلم يصلي متربعا رواه الدار
قطني وكان صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين بعد الوتر جالسا تارة
وتارة يقرا فيهما وهو جالس فاذا اراد ان يركع قام فركع قالت عايشة
كان يوتر بواحدة ثم يركع ركعتين يقرا فيهما وهو جالس فاذا اراد ان يركع
قام فركع رواه ابن ماجة وعن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يصلي ركعتين بعد الوتر وهو جالس يقرا فيهما اذا زلزلت والكافرون
رواه احمد واختلف في هتين الركعتين فانكرهما مالك وكذا النووي في المجموع
وقال احمد لا افعله ولا امنعه انتهى والصواب انه انما فعلهما بيانا لجواز
الصلاة بعد الوتر ولفظة كان لا تفيد دواما ولا اكثرية منا وغلط
من ظنهما سنة راتبة فانه صلى الله عليه وسلم ما داوم عليهما ولا تشتبه السنة
بالفرض حتى يكون للوتر صلاة بعده واما قيامه عليه السلام ليلة النصف
من شعبان فعن عايشة رضي الله عنها قالت قام رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الليل فصلى فاطال السجود حتى ظننت انه قد قبض فلما رايت

ذلك قمت حتى حركت ابهامه فتحرك فرجعت فلما رفع راسه من السجود وفرغ
من صلاته قال يا عايشة او يا حميرا اظننت ان النبي صلى الله عليه وسلم
قد خاس بك قلت لا والله يا رسول الله ولكني ظننت انك قبضت لطول
سجودك فقال اتدرين اي ليلة هذه قلت الله ورسوله اعلم قال هذه ليلة
النصف من شعبان ان الله عز وجل يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان
فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويوخر اهل الحقد كما هم رواه البيهقي من
طريق العلا بن الحارث عنها وقال هذا مرسل جيد يعني ان العلا لم يسمع
من عايشة وقد ورد في فضل ليلة النصف من شعبان احاديث كثيرة
لكن ضعفها الاكثرون وصحح ابن ماجة بعضها وخرجه في صحيحه ومن امثلها
كما نبه عليه الحافظ بن رجب حديث عايشة قالت فقدت النبي
صلى الله عليه وسلم فخرجت فاذا هو بالبقيع رافع راسه الى السما فقال
اكنت تخافين ان يحيف الله عليك ورسوله فقالت يا رسول الله ظننت انك
اتيت بعض نسائك فقال ان الله ينزل ليلة النصف من شعبان الى سما الدنيا
فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب رواه احمد وقال الترمذي ان البخاري
ضعفه وفي سنن ابن ماجة بسند ضعيف عن علي مرفوعا اذا كان ليلة نصف
شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فان الله تعالى ينزل فيها لغروب
الشمس الى السما الدنيا فيقول الا مستغفر فاغفر له الا مسترزق فارزقه الا مبتلى
فاعافيه الا كذا الا كذا حتى يطلع الفجر وقد كان التابعون من اهل الشام كخالد
بن معدان ومكحول يجتهدون ليلة النصف في العبادة وعنهم اخذ الناس
تعظيمها ويقال انه بلغهم في ذلك اثار اسرائيلية فلما اشتهر ذلك عنهم اختلف
الناس فيه فمنهم من قبله منهم وقد انكر ذلك اكثر العلما من اهل الحجاز
منهم عطا وابن ابي مليكة ونقله عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن فقها
اهل المدينة وهو قول اصحاب مالك وغيرهم وقالوا ذلك كله بدعة
واختلف علما اهل الشام في صفة احيائها على قولين احدهما انه يستحب
احياوها جماعة في المساجد وكان خالد بن معدان ولقمان بن عامر يلبسون
فيها احسن ثيابهم ويتبخرون ويكتحلون ويقومون في المسجد ليلتهم تلك
ووافقهم اسحاق بن راهوية على ذلك وقال في قيامها في المسجد جماعة ليس ذلك
ببدعة نقله عنه حرب الكرماني في مسايله والثاني انه يكره الاجتماع لها في المساجد
للصلاة والقصص والدعا ولا يكره ان يصلي الرجل فيها لخاصة نفسه وهذا

قول الاوزاعى امام اهل الشام وفقيههم وعالمهم ولا يعرف للامام احمد كلام فى
ليلة النصف من شعبان ويتخرج فى استحباب قيامها عنه روايتان من الروايتين
عنه فى قيام ليلتى العيد فانه فى رواية لم يستحب قيامها جماعة لانه لم ينقل
عن النبى صلى الله ولا عن اصحابه فعلها واستحبها فى رواية لفعل عبد الرحمن بن يزيد
ابن الاسود لذلك وهو من التابعين وكذلك قيام ليلة النصف لم يثبت فيها
شئ عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن اصحابه انما ثبت عن طايفة من التابعين
من اعيان فقهاء اهل الشام انتهى ملخصا من اللطايف واما قوله تعالى فى سورة
الدخان انا انزلناه فى ليلة مباركة فالمراد بها انزاله تعالى القران فى ليلة القدر
كما قال تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر وكان فى شهر رمضان كما قال تعالى شهر رمضان
الذى انزل فيه القران قال الحافظ بن كثير ومن قال انها ليلة النصف من شعبان
كما روى عن عكرمة فقد ابعد النجعة فان نص القران انها فى رمضان واما
الحديث الذى رواه عبد الله بن صالح عن الليث عن الزهرى اخبرنى عثمان
بن محمد بن المغيرة ان الاخنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقطع
الاجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه
فى الموتى فهو حديث مرسل ومثله لا تعارض به النصوص انتهى واما قيامه
عليه السلام فى شهر رمضان وهو الذى سمى بالتراويح جمع ترويحة وهى المرة
الواحدة من الراحة وسميت بذلك لانهم اول ما اجتمعوا عليها كانوا يستريحون
بين كل تسليمتين فعن عايشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر
الاواخر من رمضان احيا الليل وايقظ اهله وجد وشد المئزر رواه البخارى
ومسلم وابو داود والنسائى ولمسلم قالت كان صلى الله عليه وسلم يجتهد فى
رمضان ما لا يجتهد فى غيره وفى العشر الاخير منه ما لا يجتهد فى غيره وعنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى المسجد فصلى بصلاته ناس ثم
صلى من القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة فلم يخرج اليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما اصبح قال قد رايت الذى صنعتم ولم يمنعنى من الخروج
اليكم الا انى خشيت ان تفرض عليكم وذلك فى رمضان رواه البخارى ومسلم و
ابو داود وفى رواية للبخارى ومسلم انه صلى الله عليه خرج من جوف الليل
فصلى فى المسجد فصلى رجال بصلاته فاصبح الناس يتحدثون بذلك فاجتمع اكثر
منهم فخرج عليه السلام فى الليلة الثانية فصلوا بصلاته فلما اصبح الناس
يذكرون ذلك فكثر اهل المسجد من الليلة الثالثة فخرج فصلوا بصلاته فلما

اى المسافه

كان

كان فى الليلة الرابعة عجز المسجد عن اهله فلم يخرج اليهم صلى الله عليه وسلم فطفق
رجال منهم يقولون الصلاة فلم يخرج اليهم حتى خرج لصلاة الفجر فلما قضى الفجر اقبل على
الناس ثم تشهد فقال اما بعد فانه لم يخف على شانكم الليلة ولكنى خشيت ان
تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها وفى رواية بنحوه ومعناه مختصرا
قال وذلك فى رمضان قال فى فتح البارى ظاهر هذا الحديث انه صلى الله عليه
وسلم توقع ترتب افتراض الصلاة بالليل جماعة على وجود المواظبة عليها
وفى ذلك اشكال وقد بناه بعض المالكية على قاعدتهم فى ان الشروع ملزم
وفيه نظر واجاب المحب الطبرى انه يحتمل ان يكون الله عز وجل اوحى اليه
انك ان واظبت على هذه الصلاة معهم افترضتها عليهم فاحب التخفيف
عنهم وقيل خشى ان يظن احد من الامة من مداومته عليها الوجوب قال
القرطبى اى يظنونه فرضا فيجب على من ظن ذلك كما اذا ظن المجتهد حل شئ او
تحريمه فانه يجب عليه العمل به وقد استشكل الخطابى اصل هذه الخشية
مع ما ثبت فى حديث الاسرا من ان الله تعالى قال هن خمس وهن خمسون
ما يبدل القول لدى فاذا امن التبديل كيف يقع الخوف من الزيادة وهذا
يدفع فى صدر الاجوبة المتقدمة واجاب عنه الخطابى بان صلاة الليل
كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم وافعاله الشرعية يجب على
الامة الاقتدا به فيها يعنى عند المواظبة فترك الخروج اليهم لئلا يدخل
ذلك فى الواجب من طريق الامر بالاقتدا به لا من طريق انشا فرض
جديد زائد على الخمس وهذا كما يوجب المرء على نفسه صلاة نذر فتجب
عليه ولا يلزم من ذلك زيادة فرض فى اصل الشرع قال وفيه احتمال
اخر وهو ان الله تعالى فرض الصلاة خمسين ثم حط معظمها بشفاعة نبيه
صلى الله عليه وسلم فاذا عادت الامة فيما استوهب لها والتزمت
ما استعفا لهم نبيهم عليه الصلاة والسلام منه لم يستنكروا ان يثبت ذلك
فرضا عليهم قال الحافظ ابن حجر وقد تلقى هذين الجوابين عن الخطابى جماعة
كابن الجوزى وهو مبنى على ان قيام الليل كان واجبا على النبى صلى الله عليه
وسلم وعلى وجوب الاقتدا بافعاله وفى كل من الامرين نزاع ثم اجاب
بثلاثة اجوبة احدها انه يحتمل ان يكون المخوف افتراض قيام الليل بمعنى
جعل التهجد فى المسجد جماعة شرطا فى صحة التنفل بالليل قال ويومى اليه قوله
فى حديث زيد بن ثابت حتى خشيت ان يكتب عليكم ولو كتب عليكم ما قمتم

فصلوا ايها الناس فى بيوتكم فمنعهم من التجميع فى المسجد اشفاقا عليهم
من اشتراطه وامن مع اذنه فى المواظبة على ذلك فى بيوتهم من افتراضه
عليهم وثانيها ان يكون المخوف افتراض قيام الليل على الكفاية لا على الاعيان
فلا يكون ذلك زايدا على الخمس بل هو نظير ما ذهب اليه قوم فى العيد و
نحوها ثالثها ان يكون المخوف افتراض قيام رمضان خاصة فقد وقع فى حديث
الباب ان ذلك كان فى رمضان وفى حديث سفيان بن حسين خشيت
ان يفرض عليكم قيام هذا الشهر قال فعلى هذا ارتفع الاشكال لان قيام رمضان ٥
لا يتكرر كل يوم فى السنة فلا يكون ذلك قدرا زائدا على الخمس واقوى
هذه الاوجه الثلاثة فى نظرى الاول وعن النعمان بن بشير قال قمنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان ليلة ثلاث وعشرين
الى ثلث الليل الاول ثم قمنا معه ليلة خمس وعشرين الى نصف الليل
ثم قمنا معه ليلة سبع وعشرين حتى ظننا ان لا ندرك الفلاح وكانوا
يسمونه السحور رواه النساى واختلف العلما هل الافضل فى صلاة ٦
التراويح ان تصلى جماعة فى المسجد او فى البيوت فرادى فقال الشافعى و
جمهور اصحابه وابو حنيفة وبعض المالكية وغيرهم الافضل صلاتها
جماعة كما فعله عمر بن الخطاب والصحابة واستمر عمل المسلمين عليه
لانه من الشعاير الظاهرة فاشبه صلاة العيد فان قلت قد ذكرت
ان الحافظ ابن حجر حمل قوله عليه السلام انى خشيت ان تفرض عليكم على
التجميع فى المسجد وقال انه اقوى الاجوبة فالجواب انه صلى الله عليه وسلم
لما مات حصل الامن من ذلك ورجح عمر التجميع لما فى الاختلاف من افتراض
الكلمة ولان الاجتماع على واحد انشط لكثير من المصلين وقال مالك
وابو يوسف وبعض الشافعية وغيرهم الافضل صلاتها فرادى فى البيوت
لقوله عليه السلام افضل صلاة المرء فى بيته الا المكتوبة قالوا وانما
فعلها صلى الله عليه وسلم فى المسجد لبيان الجواز او لانه كان معتكفا
واما عدد الركعات التى كان صلى الله عليه يصليها فى رمضان قالت
ما كان يزيد فى رمضان ولا فى غيره على احدى عشرة ركعة يصلى اربعا
فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى اربعا فلا تسال عن حسنهن
وطولهن ثم يصلى ثلاثا قالت عايشة فقلت يا رسول الله اتنام قبل ان توتر قال
يا عايشة ان عينى تنامان ولا ينام قلبى رواه البخارى ومسلم واما ما رواه ابن ابى شيبة

من حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يصلى فى رمضان عشرين ركعة والوتر فا
سناده ضعيف وقد عارضه حديث عايشة هذا وهى اعلم بحديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلا من غيرها وقد كان الامر من زمنه صلى الله
عليه وسلم استمر على ان كل واحد يقوم فى رمضان فى بيت منفردا حتى انقضى صدر
من خلافة عمر وفى البخارى ان عمر خرج ليلة الى المسجد فاذا الناس اوزاع متفر
قون يصلى الرجل بنفسه ويصلى الرجل فيصلى بصلاته الرهط قال عمر انى لو جمعت
هولاء على قارى واحد لكان اجمع ثم عزم فجمعهم على ابى بن كعب ثم خرج ليلة
اخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر نعمت البدعة هذه والتى تنامون
عنها افضل من الذى تقومون يريد اخر الليل وكان الناس يقومون اوله
وانما اختار ابيا لانه كان اقراهم كما قال عمر وروى سعيد بن منصور
من طريق عروة ان عمر جمع الناس على ابى ابن كعب فكان تميم الدارى يصلى
بالنسا وفى الموطا امر عمر ابى ابن كعب وتميم الدارى ان يقوما للناس
فى رمضان وروى البيهقى باسناد صحيح ان الناس كانوا يقومون
على عهد عمر بن الخطاب فى شهر رمضان عشرين ركعة قال الحليمى
والسر فى كونها عشرين ركعة ان الرواتب فى غير رمضان عشر ركعات
فضوعفت لانه وقت جد وتشمير وفى الموطا بثلاث وعشرين وجمع
البيهقى بينهما بانهم كانوا يوترون بثلاث وفى الموطا عن محمد بن يوسف
عن السايب ابن يزيد انها احدى عشرة وعند عبد العزيز احدى وعشرين
والجمع بين هذه الروايات ممكن باختلاف الاحوال ويحتمل ان ذلك الاختلاف
بحسب تطويل القراة وتخفيفها فحيث يطيل القراه يقل الركعات وبالعكس
وقد روى محمد بن نصر من طريق داود بن قيس قال ادركت الناس فى امارة
ابان بن عثمان وعمر بن عبد العزيز يعنى بالمدينة يقومون بست وثلاثين
ركعة ويوترون بثلاث وقال مالك هو الامر القديم عندنا وعن الزعفرانى
عن الشافعى رايت الناس يقومون بالمدينة بتسع وثلاثين وبمكة بثلاث
وعشرين وليس فى شى من ذلك ضيق وعنه قال ان اطالوا القيام واقلوا
السجود فحسن وان اكثروا السجود واخفوا القراة فحسن والاول احب
الى انتهى وهل يجوز لغير اهل المدينة صلاتها ستا وثلاثين قال النووى
قال الشافعى لا يجوز ذلك لغيرهم لان لاهلها شرفا بهجرته صلى الله عليه
وسلم ومدفنه ويخالفه قول الحليمى ومن اقتدى باهل المدينة فقام

بست وثلاثين فحسن ايضا وينبغي ان يسلم من كل ركعتين فلو صلى اربعا
بتسليمة لم يصح وقال القاضي حسين في فتاويه ولو صلى سنة الظهر او
العصر اربعا بتسليمة واحدة جاز والفرق ان التراويح بمشروعية الجماعة اشبهت
الفرايض قاله النووي في فتاويه وصرح به في الروضة وقد كان صلى الله
عليه وسلم يطيل القراءة في قيام رمضان بالليل اكثر من غيره وقد
صلى معه حذيفة ليلة في رمضان قال فقرا بالبقرة ثم بالنساء ثم آل عمران
لا يمر باية تخويف الا وقف وسال قال فما صلى الركعتين حتى جاءه
بلال فاذنه بالصلاة اخرجه احمد واخرجه النساي وعنه ايضا
انه ما صلى الا اربع ركعات وكان للشافعي في رمضان ستون ختمة يقراوها
في غير الصلاة **الباب الرابع في صلاته** صلى الله عليه وسلم الوتر قد صح
عنه صلى الله عليه وسلم انه اوتر بخمس لم يجلس الا في اخرهن لكن احاديث
الفصل اثبت واكثر طرقا واحتج بعض الحنفية لما ذهبوا اليه من تعيين ووجوب
الوصل والاقتصار على ثلاث بان الصحابة اجمعوا على ان الوتر بثلاث
موصولة حسن جايز واختلفوا فيما زاد او نقص قال فاخذنا بما اجمعوا عليه
وتركنا ما اختلفوا فيه وتعقبه محمد بن نصر المروزي بما رواه من طريق
عراك بن مالك عن ابي هريرة مرفوعا وموقوفا لا توتروا بثلاث تشبهوا
بصلاة المغرب وقد صححه الحاكم وعن سليمان بن يسار انه كره الثلاث
في الوتر وقال لا يشبه التطوع الفريضة انتهى لكن قد روى الحاكم من حديث
عايشة انه كان صلى الله عليه وسلم يوتر بثلاث لا يقعد الا في اخرهن
وروى النساي من حديث ابي بن كعب نحوه ولفظه يوتر بسبح اسم ربك
الاعلى وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ولا يسلم الا في اخرهن
وبين في عدة طرق ان السور الثلاث بثلاث ركعات والجمع بين هذا وبين
ما تقدم من النهي عن التشبه بصلاة المغرب ان يحمل النهي على صلاة الثلاث
بتشهدين وقد فعله السلف ايضا وروى محمد بن نصر من طريق الحسن
ان عمر كان ينهض في الثالثة من الوتر بالتكبير ومن طريق المسور بن مخرمة
ان عمر اوتر بثلاث لم يسلم الا في اخرهن ومن طريق ابن طاووس عن ابيه
انه كان يوتر بثلاث لا يقعد بينهن وكان ابن عمر يسلم من الركعة والركعتين
في الوتر حتى يامر ببعض حاجته وهذا ظاهر انه كان يصلي الوتر موصولا فان
عرضت له حاجة فصل ثم بنى على ما مضى وفي هذا رد على من قال لا يصح

الوترالا

الوتر الا مفصولا واصرح من ذلك ما رواه الطحاوي من طريق سالم بن عبد الله
بن عمر عن ابيه انه كان يفصل بين شفعه ووتره بتسليمة واخبر ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يفعله واسناده قوي وقد استدل بعضهم على فضل الفصل
بانه صلى الله عليه وسلم امر به وفعله واما الوصل فورد من فعله فقط
وقد حمل المخالف من الحنفية كل ما ورد من الثلاث على الوصل مع ان كثيرا
من الاحاديث ظاهر في الفصل كحديث عايشة يسلم من ركعتين فانه
يدخل فيه الركعتان اللتان قبل الاخير فهو كالنص في موضع النزاع وحمل
الطحاوي هذا ومثله على ان الركعة مضمومة الى الركعتين قبلها ولم
يتمسك في دعوى ذلك الا بالنهي عن البتيرا مع احتمال ان يكون المراد
بالبتيرا ان يوتر بواحدة فردة ليس قبلها شي وهو اعم من ان يكون مع
الوصل والفصل وقد اختلف السلف في امرين احدهما في مشروعية
ركعتين بعد الوتر عن جلوس والثاني فيمن اوتر ثم اراد ان يتنفل في الليل
هل يكتفي بوتره الاول ويتنفل بما شاء او يشفع وتره بركعة ثم يتنفل ثم
اذا فعل هل يحتاج الى وتر اخر ام لا فاما الاول فوقع عند مسلم من طريق
ابي سلمة عن عايشة انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي ركعتين بعد الوتر و
هو جالس وقد ذهب اليه بعض اهل العلم وجعلوا الامر في قوله اجعلوا
اخر صلاتكم بالليل وترا مختصا بمن اوتر اخر الليل واجاب من لم يقل بذلك
بان الركعتين المذكورتين هما ركعتا الفجر وحمله النووي على انه صلى الله عليه
وسلم فعله لبيان جواز التنفل بعد الوتر وجواز التنفل جالسا واما الثاني
فذهب الاكثر الى انه يصلي شفعا ما اراد ولا ينقض وتره عملا بقوله
السلام لا وتران في ليلة وهو حديث حسن اخرجه النساي وابن خزيمة
من حديث طلق بن علي وانما يصح نقض الوتر عند من يقول بمشروعية التنفل
بركعة واحدة غير الوتر واختلف السلف ايضا في مشروعية قضا الوتر
فنفاه الاكثر وفي مسلم وغيره عن عايشة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا
نام من الليل من وجع او غيره فلم يقم من الليل صلى من النهار ثنتي عشرة
ركعة وقال محمد بن نصر لم نجد عن النبي صلى الله عليه وسلم في شي من الاخبار
انه قضى الوتر ولا امر بقضايه وعن عطا والاوزاعي يقضي ولو طلعت
الشمس الى الغروب وهو وجه عند الشافعية حكاه النووي في شرح
مسلم وعن سعيد بن جبير يقضي من القابلة وعن الشافعية يقضي مطلقا

وقالت عايشة اوتر صلى الله عليه وسلم من كل الليل من اوله واوسطه
واخره وانتهى وتره الى السحر رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي و
النساى والمراد باوله بعد صلاة العشا ويحتمل ان يكون اختلاف وقت
الوتر باختلاف الاحوال فحيث اوتر اوله لعله كان وجعا وحيث اوتر في وسطه
لعله كان مسافرا واما وتره في فكان غالب احواله لما عرف من مواظبته
على الصلاة اخر الليل والسحر قبيل الصبح وحكى الماوردي انه السدس الاخير
وقيل اوله الفجر الاول وفي رواية طلحه بن نافع عن ابن عباس عند ابن خزيمة
فلما انفجر الفجر قام صلى الله عليه وسلم فاوتر بركعة قال ابن خزيمة والمراد به
الفجر الاول وروى احمد من حديث معاذ مرفوعا زادني ربي صلاة وهي الوتر
وقتها من العشا الى طلوع الفجر وفي اسناده ضعف وكذا في حديث خارجة
بن حذافة في السنن وهو الذي احتج به من قال بوجوب الوتر وليس صريحا
في الوجوب واما حديث ابن بريدة رفعه الوتر حق فمن لم يوتر فليس
منا واعاد ذلك ثلاثا ففي سنده ابو المنيب وفيه ضعف وعلى تقدير قبوله
فيحتاج من احتج به الى ان يثبت ان لفظة حق بمعنى واجب في عرف الشارع
وان لفظ واجب بمعنى ما ثبت من طريق الاحاد والله اعلم وقد كان صلى
الله عليه وسلم يصلي وعايشة راقدة معترضة على فراشه فاذا اراد ان يوتر
ايقظها فتوتر كما في البخاري وهذا يدل على استحباب جعل الوتر اخر الليل
سواء المتهجد وغيره ومحله اذا وثق ان يستيقظ بنفسه او بايقاظ غيره
واستدل به على وجوب الوتر لكونه عليه السلام سلك به مسلك الواجب
حيث لم يدعها نايمة للوتر وابقاها للتهجد وتعقب بانه لا يلزم من ذلك
الوجوب نعم يدل على تاكيد امر الوتر وانه فوق غيره من النوافل الليلية وفيه
استحباب ايقاظ النايم لادراك الصلاة ولا يختص ذلك بالمفروضة ولا بخشية
خروج الوقت بل يشرع ذلك لادراك الجماعة وادراك اول الوقت وغيره ذلك
من المندوبات قال القرطبي ولا يبعد ان يقال انه واجب في الواجب مندوب
في المندوب لان النايم وان لم يكن مكلفا لكن مانعه سريع الزوال فهو كالغافل
وتنبيه الغافل واجب والله اعلم وعن علي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوتر بثلاث يقرا فيهن بتسع سور من المفصل يقرا في كل ركعة بثلاث سور اخرهن قل هو الله احد رواه الترمذي وعن ابن عباس كان يقرا في الوتر بسبح
اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد في ركعة ركعة وعن

عايشة

عايشة كان يقرا في الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية بقل يا ايها الكافرون
وفي الثالثة بقل هو الله احد والمعوذتين رواه ابو داود والترمذي ولابي داود
وكان اذا سلم قال سبحان الملك القدوس وعند النساى ثلاثا يطيل في اخرهن
وفي رواية ويرفع صوته بالثالثة وعن علي كان عليه السلام يقول في اخر وتره
اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك
لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك رواه ابو داود والترمذي و
النساى وابن ماجة قال ابن قيمية سنة الفجر تجري مجرى بداية العمل والوتر خاتمته وقد
كان عليه السلام يقرا في سنة الفجر وفي الوتر بسورتي الاخلاص وهما الجامعتان
لتوحيد العلم والعمل وتوحيد المعرفة والارادة وتوحيد الاعتقاد فسورة قل
هو الله احد متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة وما يجب اثباته للرب تعالى
من الاحدية والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص ونفي
الولد والوالد والكفو المتضمن لنفي الشبيه والمثيل والنظير فتضمنت اثبات كل
كمال ونفي كل نقص عنه ونفي كل شبيه وهذه هي مجامع التوحيد العلم والا
عتقاد فلذلك كانت تعدل ثلث القران فان القران مداره على الخبر والانشا ثلاثة
امر ونهي واباحة والخبر نوعان خبر عن الخالق تعالى واسمائه وصفاته واحكامه
وخبر عن خلقه فاخلصت سورة الاخلاص للخبر عنه وعن اسمايه وصفاته فعدلت
ثلث القران وخلصت قاريها المومن بها من الشرك العلمي كما خلصته سورة
قل يا ايها الكافرون من الشرك العملي قاله ابن القيم واما القنوت في الركعة الاخيرة
من الوتر في النصف الاخير من رمضان فقال النووي في الاذكار باستحباب ولم يذكر
لذلك دليلا وقد اخرج ابو داود باسنادين رجالهما ثقات لكن احدهما منقطع و
في الاخر راو لم يسم ان عمر لما جمع الناس على ابي بن كعب كان لا يقنت الا في النصف
الاخير وعن الحسن ابن علي قال علمني جدي كلمات اقولهن في الوتر اللهم اهدني
فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما اعطيت
وقني شر ما قضيت انك تقضي ولا يقضى عليك وانه لا يذل من واليت ولا يعز
من عاديت تباركت ربنا وتعاليت وهذا لفظ رواية شريك رواه الطبراني
وغيره الباب الخامس في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم الضحى وهي معدودة
معدوده واختلف الرواة هل صلاها النبي صلى الله عليه وسلم ام لا فمنهم المثبت
ومنهم النافي فمن العلما من رجح رواية المثبت على النافي جريا على القاعدة المعروفة
لانها تتضمن زيادة علم خفيت على الباقين قالوا وقد يجوز ان يذهب علم مثل

هذا على كثير من الناس ويوجد عند الاقل ومنهم من رجح رواية النافي بقرينة
ولم لعتذر رواية المثبت اما لضعفها او صرفها كما سياتي عن صلاة الضحى قال
الحاكم وفي الباب عن ابي سعيد وابي ذر الغفاري وزيد بن ارقم وابي هريرة وبريدة
الاسلمي وابي الدردا وعبد الله ابي ابن اوفا وعتبان بن مالك وعتبة ابن عبد السلمي
ونعيم بن همام الغطفاني وابي امامة الباهلي وعايشة بنت ابي بكر وام هاني وام
سلمة كلهم شهد وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى انتهى فاما حديث
ابي سعيد فاخرجه الحاكم والترمذي عن عطية العوفي عنه قال كان رسول الله
عليه وسلم يصلي الضحى حتى نقول لا يدعها ويدعها حتى نقول لا يصليها وقال الترمذي
حسن غريب قال النووي عطية ضعيف فلعله اعتضد واما حديث ابي ذر
الغفاري فرواه البزار في مسنده واما حديث زيد بن ارقم فرواه مسلم بلفظ
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي من الضحى الحديث واما حديث ابي
هريرة فرواه البزار في مسنده بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يترك
صلاة الضحى في سفر ولا غيره واسناده ضعيف فيه يوسف ابن خالد السمتي ضعيف
جدا واما حديث بريدة الاسلمي فرواه واما حديث ابي الدردا فرواه واما
حديث ابن ابي اوفى فرواه ابن عدي والحاكم بلفظ قال رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم صلى الضحى ركعتين يوم بشر بن امي ابي جهل قال بعض العلما النافين
لرواية المثبتين هذا الحديث ان كان صحيحا فهو صلاة شكر وقعت في وقت
الضحى كشكره يوم فتح مكة واما حديث عتبان بن مالك فرواه احمد من رواية
محمود بن الربيع عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى في بيته سبحة الضحى واما
حديث عتبة بن عبد فرواه كذا واما حديث نعيم بن همام فرواه واما حديث
ابي امامة فرواه . واما حديث عايشة فرواه مسلم واحمد وابن ماجة قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى اربعا ويزيد ما شا الله وعن
عبد الله بن شقيق قال سالت عايشة هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي الضحى قالت لا الا ان يجي من مغيبه واما حديث ام هاني فرواه البخاري
ومسلم قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل
وصلى ثماني ركعات فلم ار صلاة قط اخف منها غير انه يتم الركوع والسجود
قالت في رواية اخرى وذلك ضحى ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلى في بيتها عام الفتح ثماني ركعات في ثوب واحد قد خالف بين طرفيه وللنسائي
انها ذهبت الى النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة

بالواو والقاف

تستره

تستره بثوب فسلمت فقال من هذه قالت انا ام هاني فلما فرغ من غسله قام
فصلى ثماني ركعات ملتحفا في ثوب واحد ولابي داود ان رسول الله صلى الله
وسلم يوم الفتح صلى سبحة الضحى ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين وقد استدل
بحديث البخاري ومسلم على استحباب تخفيف صلاة الضحى وفيه نظر لاحتمال
ان يكون السبب فيه التفرغ لمهمات الفتح لكثرة شغله به وقد ثبت من فعله
صلى الله عليه وسلم انه صلى الضحى فطول فيها اخرجه ابن ابي شيبة من
حديث حذيفة واما حديث ام سلمة فرواه الحاكم من طريق اسحاق بن
بشر المحاربي قالت كان صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الضحى ثنتي عشرة
ركعة قلت وروى عن ابن جبير بن مطعم عن ابيه انه راى النبي صلى الله عليه
وسلم يصلي الضحى ست ركعات رواه الحاكم ايضا وعن انس بن مالك
قال رايت رسول الله عليه وسلم في السفر سبحة الضحى ثمان ركعات رواه
احمد وصححه ابن خزيمة الحاكم وعن علي ان رسول صلى الله عليه وسلم كان
يصلي من الضحى رواه النساى في سننه الكبرى واحمد وابو يعلى واسناده جيد وعن
ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يصلي من الضحى الا
يومين يوم يقدم مكة وعن ابي بكرة عند ابن عدي في الكامل
من رواية عمرو بن عبيد عن الحسن عن ابي بكرة قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى فجاء الحسن وهو غلام فلما سجد ركب
ظهره الحديث وعمرو بن عبيد متروك وعن جابر بن عبيد الله ان النبي
صلى الله وسلم صلى الضحى ست ركعات رواه الحاكم قال الشيخ ولي الدين
العراقي وقد ورد فيها احاديث كثيرة صحيحة مشهورة حتى قال محمد بن
جرير الطبري انها بلغت حد التواتر وقال ابن العربي وهي كانت صلاة
الانبيا قبل محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم قال الله تعالى مخبرا
عن داود انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق واحتج القايلون
بالنفي بحديث عايشة ان كان رسول الله صلى الله ليدع العمل وهو يحب
ان يعمل به خشية ان يعمل به الناس فيفرض عليهم وما سبح رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبحة الضحى قط واني لاسبحها رواه البخاري ومسلم
ومالك وابو داود وبحديث مورق العجلي قال قلت لابن عمر اتصلي الضحى
قال لا قلت فعمر قال لا قلت فابو بكر قال لا قلت فالنبي صلى الله عليه وسلم
قال لا اخاله رواه البخاري وقوله لا اخاله اي لا اظنه وهو بكسر

الهمزة وتفتح ايضا والخا معجمة وقول الشعبي سمعت ابن عمر يقول ما
ابتدع المسلمون افضل من صلاة الضحى وروى عن مجاهد قال دخلت
انا وعروة بن الزبير المسجد فاذا ابن عمر جالس عند حجرة عايشة فاذا الناس
في المجلس يصلون صلاة الضحى فسالناه عن صلاتهم فقال بدعة وروى
بن ابي شيبة باسناد صحيح عن الحكم بن الاعرج قال سالت ابن عمر عن صلاة
الضحى فقال بدعة ونعمت البدعة وروى عبد الرزاق باسناد صحيح عن
سالم عن ابيه قال لقد قُتِل عثمان وما احد يسبحها وما احدث الناس شيا احب
الى منها وقد جمع العلما بين هذه الاحاديث بانه صلى الله عليه وسلم كان لا يداوم
على صلاة الضحى مخافة ان تفرض على امته فيعجزوا عنها وكان يفعلها كما صرحت
عايشة كما تقدم وكما ذكرته ام هانى وغيرها وقول عايشة ما رايته صلاها
لا يخالف قولها كان يصليها لانه صلى الله عليه كان لا يكون عندها فى وقت
الضحى الا فى النادر من الاوقات لانه قد يكون مسافرا وقد يكون حاضرا وفى
الحضر قد يكون فى المسجد وقد يكون فى بيت من بيوت زوجاته او غيره وما رآه
صلاها فى تلك الاوقات النادرة فقالت ما رايته وعلمت بغير روية انه
كان يصليها باخباره صلى الله عليه وسلم او باخبار غيره فروت ذلك وقول
ابن عمر لا اخاله فتوقف وكان سبب توقفه انه بلغه عن غيره انه صلاها
ولم يثق بذلك عمن ذكره واما قوله انها بدعة فمؤول على انه لم تبلغه الاحاديث
المذكورة او اراد انه صلى الله عليه وسلم لم يداوم عليها او ان اظهارها فى
المساجد ونحوها بدعة وانما هى سنة النافلة فى البيوت والله اعلم وبا
لجملة فليس فى احاديث ابن عمر هذه ما يدفع مشروعية صلاة الضحى
لان نفيه محمول على عدم رويته لا على عدم الوقوع فى نفس الامر والذى
نفاه صفة مخصوصة كما قدمنا وقد روى ابن ابى شيبة عن ابن مسعود انه
راى قوما يصلونها فانكر عليهم فقال ان كان ولا بد ففى بيوتكم وذهب اخرون
الى استحباب فعلها غبا فتصلى فى بعض الايام دون بعض وكان ابن عباس يصليها
يوما ويدعها عشرة ايام وذهب اخرون الى انها انما تفعل لسبب من
الاسباب فانه عليه السلام انما صلاها يوم الفتح من اجل الفتح وكان الا
مرا يسمونها صلاة الفتح متمسكين بما قاله عياض وغيره ان حديث
ام هانى ليس بظاهر فى انه عليه السلام قصد سنة الضحى وانما فيه انها اخبرت
عن وقت صلاته فقط قال وقد قيل انها كانت قضاء عما شغل عنه تلك

الليلة

الليلة من حزبه فيها وتعقبه النووى بان الصواب صحة الاستدلال به
لما رواه ابو داود من طريق كريب عن ام هانى انه صلى الله عليه وسلم صلى
سبحة الضحى ولمسلم فى كتاب الطهارة من طريق ابى مرة عن ام هانى فى قصة اغتساله
صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ثم صلى ثمانى ركعات سبحة الضحى وروى ابن عبد
البر فى التمهيد من طريق عكرمة بن خالد عن ام هانى قالت قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكة فصلى ثمانى ركعات فقلت ما هذه الصلاة قال
هذه صلاة الضحى واستدل به على ان اكثر الضحى ثمان ركعات واستبعده
السبكى ووجه بان الاصل فى العبادة التوقف وهذا اكثر ما ورد من
فعله عليه السلام وقد ورد من فعله دون ذلك لحديث ابن ابى اوفى
فى انه عليه السلام صلى الضحى ركعتين اخرجه ابن عدى واما ما ورد من
قوله عليه السلام مما فيه زيادة على ذلك كحديث انس مرفوعا من صلى الضحى
ثنتى عشرة ركعة بنى الله له قصرا فى الجنة اخرجه الترمذى واستغربه وليس
فى اسناده من اطلق عليه الضعف ومن ثم قال الرويانى اكثرها ثنتى عشرة
وقال النووى فى شرح المهذب فيه حديث ضعيف كانه يشير الى حديث
انس لكن اذا ضم اليه حديث ابى الدردا رفعه وفيه من صلى ثنتى عشرة
ركعة بنى الله له بيتا فى الجنة رواه الطبرانى وحديث ابى ذر عند البزار
جا رو فى اسناده ضعف ايضا قوى وصلح للاحتجاج ونقل الترمذى
عن احمد ان اصح شئ ورد فى الباب حديث ام هانى وهو كما قال ولهذا
قال النووى فى الروضة افضلها ثمان واكثرها ثنتى عشرة ففرق بين
الاكثر والافضل واجاب القايلون بانها لا تفعل الا لسبب عن قول
ابى هريرة المروى فى البخارى اوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بثلاث
لا ادعهن حتى اموت بصوم ثلاثة ايام من كل شهر وصلاة الضحى الحديث
بانه قد روى ان ابا هريرة كان يختار درس الحديث بالليل على الصلاة فامره
بالضحى بدلا من قيام الليل ولهذا امره ان لا ينام الا على وتر ولم يامر بذلك
ابا بكر ولا عمر ولا ساير الصحابة انتهى قال الحافظ بن حجر وهذه الوصية
لابى هريرة قد ورد مثلها لابى الدردا فيما رواه مسلم ولابى ذر فيما
رواه النسائي قال والحكمة فى الوصية على المحافظة على ذلك تمرين النفس على جنس
الصلاة والصيام ليدخل فى الواجب منها بانشراح ولينجبر ما لعله يقع من
نقص ومن فوايد صلاة الضحى انها تجزى عن الصدقة التى تصبح على مفاصل

الانسان الثلاثمائة وستون مفصلا كما اخرجه مسلم من حديث
ابى ذر قال فيه ويجزى من ذلك ركعتا الضحى وقد ذكر اصحابنا الشافعية
انها افضل التطوع بعد الرواتب لكن النووى فى شرح المهذب قدم
عليها صلاة التراويح فجعلها فى الفضل بين الرواتب والضحى وحكى
الحافظ ابو الفضل العراقى فى شرح الترمذى انه اشتهر بين العوام ان من
صلى الضحى ثم قطعها يعمى فصار كثير من الناس يتركها اصلا لذلك وليس
لما قالوا اصل بل الظاهر انه مما القاه الشيطان على السنة العوام ليحرمهم
الخير الكثير لا سيما ما وقع فى حديث ابى ذر واقتصر فى الوصية للثلاثة
المذكورين على الثلاثة المذكورة فى الحديث لان الصلاة والصيام اشرف
العبادات البدنية ولم يكن المذكورون من اصحاب الاموال فكان
يجزيهم من الصدقة عن السلامى كما فى الحديث والله اعلم وروى
الحاكم من طريق ابى الخير عن عقبة ابن عامر قال امرنا رسول الله صلى الله وسلم
ان نصلى الضحى بسور منها والشمس وضحاها والضحى ومناسبة ذلك
ظاهرة جدا والله اعلم تنبيه قال شيخ الاسلام والحفاظ ابو الفضل بن
حجر قول عائشة فى الصحيح ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبح سبحة
الضحى يدل على ضعف ما روى عنه صلى الله عليه وسلم ان صلاة الضحى
كانت واجبة عليه وقد عدها جماعة من العلما من خصايصه صلى الله
عليه وسلم ولم يثبت ذلك فى خبر صحيح وقول الماوردى فى الحاوى انه
صلى الله عليه وسلم واظب عليها بعد يوم الفتح الى ان مات يعكر عليه
ما روا مسلم فى حديث ام هانى انه لم يصلها قبل ولا بعد ولا يقال ان نفى
ام هانى لذلك يلزم منه العدم لانا نقول يحتاج من اثبته الى دليل و
لو وجد لم يكن حجة لان عائشة ذكرت انه كان اذا عمل عملا اثبته
فلا يستلزم المواظبة على هذا الوجوب عليه انتهى وقال ابن العربى فى
عارضه الاوحدى انا ابو الحسن الاردى انا طاهر انا على نا ابو العباس
عبد الله بن عبد الرحمن العسكرى نا الحسينى نا ابو غسان نا قيس عن جابر
عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب على
النحر ولم يكتب عليكم وامرت بصلاة الضحى ولم تومروا بها رواه الدارقطنى
القسم الثانى فى صلاته صلى الله عليه وسلم النوافل واحكامها وفيه
بابان الاول فى النوافل المقرونة بالاوقات وفيه فصلان الاول فى رواتب

الصلوات الخمس والجمعة وفيه فروع الاول فى احاديث جامعة لرواتب
مشتركة عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى قبل
الظهر ركعتين وبعدها ركعتين وبعد المغرب ركعتين فى بيته وبعد صلاة
العشا ركعتين وكان لا يصلى بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلى فى بيته ركعتين
قال واخبرتنى حفصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سكت
المؤذن من الاذان لصلاة الصبح وبدا الصبح صلى ركعتين خفيفتين
قبل ان تقام الصلاة رواه البخارى فهذه عشر ركعات لان الركعتين بعد
الجمعة لا يجتمعان مع الركعتين بعد الظهر الا لفارض بان يصلى الجمعة وسنتها
التى بعدها ثم يتبين له فسادها فيصلى الظهر ويصلى بعدها سنتها كما نبه
عليه الشيخ ولى الدين العراقى واختلف فى دلالة كان على التكرار وصحح ابن الحاجب انها
تقتضيه قال وهذا استفدناه من قولهم كان حاتم يقرى الضيف وصحح الامام
فخر الدين فى المحصول انها لا تقتضيه لا لغة ولا عرفا وقال النووى فى شرح مسلم
انه المختار الذى عليه الاكثرون والمحققون من الاصوليين وذكر ابن دقيق
العيد انها تقتضيه عرفا فعلى هذا ففى الحديث دلالة على تكرر فعل هذه
النوافل من النبى صلى الله عليه وسلم وانه كان هذا دابه وعادته وعن
عايشة كان صلى الله عليه وسلم يصلى فى بيته قبل الظهر اربعا ثم يخرج فيصلى
بالناس ثم يدخل فيصلى ركعتين وكان يصلى بالناس المغرب ثم يدخل
فيصلى ركعتين ثم يصلى بالناس العشا ويدخل بيتى يصلى ركعتين وفى اخره
كان اذا طلع الفجر صلى ركعتين الحديث رواه مسلم فهذه ثنتى عشرة ركعة
وعنها كان صلى الله عليه وسلم لا يدع اربعا قبل الظهر وركعتين قبل الغداة
وفى رواية لم يكن يتركهما سرا وعلانية فى سفر ولا حضر ركعتان قبل الصبح
وركعتان بعد العصر رواه البخارى ومسلم الثانى فى ركعتى الفجر قالت عائشة
لم يكن صلى الله عليه وسلم على شى اشد من النوافل تعاهدا منه على ركعتى الفجر
رواه البخارى ومسلم وابو داود والترمذى ولمسلم لهما احب الى من الدنيا جميعا
وكان يصليها اذا سكت المؤذن بعد ان يستنير الفجر ويخففهما رواه الشيخان
وهذا لفظ النساى واختلف فى حكمة تخفيفهما فقيل ليبادر الى صلاة
الصبح فى اول الوقت وبه جزم القرطبى وقيل ليستفتح صلاة النهار بركعتين
خفيفتين كما كان يصنع فى صلاة الليل كما تقدم ليدخل فى الفرض او ما
شابهه فى الفضل بنشاط واستعداد تام وقد ذهب بعضهم الى اطالة القر

فيهما وهو قول اكثر الحنفية ونقل عن الشعبى واورد البيهقى فيه حديثا
مرفوعا من مرسل سعيد بن جبير وفى سنده راو لم يسم وخص بعضهم ذلك
بمن فاته شئ من قرائته فى صلاة الليل فيستدركها فى ركعتى الفجر واخرجه
ابن ابى شيبة بسند صحيح عن الحسن البصرى وكان كثيرا ما يقرا فى الاولى
منهما قولوا امنا بالله وما انزل الينا الاية التى فى البقرة وفى الاخرة قل يا اهل
الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الى قوله اشهدوا بانا مسلمون رواه مسلم
وابو داود والنسائى من روايه ابن عباس وفى رواية ابى داود من حديث
ابى هريرة قولوا امنا بالله وما انزل الينا فى الركعة الاولى وبهذه الاية ربنا
امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين او انا ارسلناك بالحق
بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم قال ابو داود شك الراوى وقال ابو هريرة
قرا فى ركعتى الفجر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد رواه مسلم وابو داود
والترمذى وقد روى ابن ماجة باسناد قوى عن عبد الله بن شقيق عن عايشة
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلى ركعتين قبل الفجر وكان يقول نعم السورتان يقرا بهما فى ركعتى الفجر قل يا ايها
الكافرون وقل هو الله احد ولابن ابى شيبة من طريق ابن سيرين عن عايشة
كان يقرا فيهما بهما وللترمذى والنسائى من حديث ابن عمر رمقت النبى صلى الله
عليه وسلم شهرا فكان يقرا بهما وقد استدل بعضهم بهذا على الجهر بالقراة
فى ركعتى الفجر ولا حجة فيه لاحتمال ان يكون ذلك عرف بقرائته بعض السورة
ويدل على ذلك ان فى رواية ابن سيرين المذكورة يسر فيهما القراة وصححه ابن
عبد البر واستدل بعضهم ايضا بهذه الاحاديث المذكورة على انه لا يتعين الفاتحة
لانه لم يذكرها مع سورتى الاخلاص واجيب بانه ترك ذكر الفاتحة لوضوح الامر
فيها انتهى وكان عليه السلام اذا صلى ركعتى الفجر اضطجع على شقه الايمن
رواه البخارى ومسلم من حديث عايشة لانه عليه السلام كان يحب التيمن
وقد قيل الحكمة فيه ان القلب من جهة اليسار فلو اضطجع عليه لاستغرق
نوما لكونه ابلغ فى الراحة بخلاف اليمين فيكون القلب معلقا فلا يستغرق و
هذا انما يصح بالنسبة الى غيره عليه السلام كما لا يخفى واما ما روى ان ابن
عمر راى رجلا يصلى ركعتى الفجر ثم اضطجع فقال ما حملك على ما فعلت قال
اردت ان افصل بين صلاتى فقال له واى فصل افضل من السلام قال فانها سنة
قال بل بدعة رواه ابن الاثير فى جامعه عن رزين وكذا ما روى من انكار ابن

مسعود ومن قول ابراهيم النخعى انها ضجعة الشيطان كما اخرجهما ابن ابى شيبة
فهو محمول انه لم يبلغهم الامر بفعله وارجح الاقوال مشروعيته للفصل
لكن لم يداوم عليه السلام عليه وكذا احتج الايمة على عدم الوجوب وحملوا
الامر الوارد بذلك عند ابى داود وغيره على الاستحباب وفايدة ذلك الراحة
والنشاط لصلاة الصبح وعلى هذا فلا يستحب ذلك الا للمتهجد وبه جزم ابن
العربى ويشهد لهذا ما اخرجه عبد الرزاق ان عايشة كانت تقول ان النبى
صلى الله عليه وسلم لم يضطجع لسنة ولكنه كان يداب ليلته فيستريح وفى
اسناده راو لم يسم وقيل ان فايدتها الفصل بين ركعتى الفجر وصلاة
الصبح وعلى هذا فلا اختصاص ومن ثم قال الشافعى ان السنة تتادى بكل
ما يحصل به الفصل من مشى وكلام وغيره حكاه البيهقى وقال النووى المختار
انها سنة لظاهر حديث ابى هريرة وقد قال ابو هريرة راوى الحديث ان الفصل
بالمشى الى المسجد لا يكفى وافرط ابن حزم فقال يجب على كل احد وجعله شرطا لصحة
صلاة الصبح فرد عليه العلما بعده حتى طعن ابن تيمية فى صحة الحديث
لتفرد عبد الواحد بن زياد به وفى حفظه مقال والحق انه تقوم به الحجة
وذهب بعض السلف الى استحبابها فى البيت دون المسجد وهو محكى عن
ابن عمر وقواه بعض شيوخنا بانه لم ينقل عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه فعله فى المسجد اخرجه ابن ابى شيبة وقال عليه السلام من لم يصل
ركعتى الفجر فليصلهما بعد ما طلع الشمس رواه الترمذى عن رواية
ابى هريرة **الثالث** فى راتبة الظهر عن ابن عمر قال صليت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها رواه
البخارى ومسلم والترمذى وعن عايشة كان عليه السلام لا يدع
اربعا قبل الظهر وركعتين قبل صلاة الغداة رواه البخارى ايضا
واما ان يقال انه صلى الله عليه كان اذا صلى فى بيته صلى اربعا واذا
صلى فى المسجد صلى ركعتين وهذا اظهر واما ان يقال كان يفعل هذا
وهذا فحكى كل من عايشة وابن عمر ما شاهده والحديثان صحيحان لا مطعن
فى واحد منهما وقال ابو جعفر الطبرى الاربع كانت فى كثير من احواله
والركعتان فى قليلها انتهى وقد يقال ان الاربع التى قبل الظهر لم تكن
سنة الظهر بل هى صلاة مستقلة يصليها بعد الزوال وروى البزار
من حديث ثوبان انه صلى الله عليه وسلم كان يستحب ان يصلى بعد نصف

النهار فقالت عايشة يارسول الله اراك تستحب الصلاة هذه الساعة
قال تفتح فيها ابواب السما وينظر الله تعالى الى خلقه بالرحمة وهى صلاة كان
يحافظ عليها ادم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى وعن عبد الله بن
السايب كان صلى الله عليه وسلم يصلى اربعا بعد ان تزول الشمس قبل
الظهر وقال انها ساعة تفتح لها ابواب السما واحب ان يصعد لى فيها
عمل صالح رواه الترمذى وروى الترمذى ايضا حديث اربع قبل
الظهر وبعد الزوال تحسب بمثلهن فى السحر وما من شى الا وهو يسبح الله
تعالى تلك الساعة ثم قرا تتفيأ ظلاله عن اليمين والشمايل سجدا لله وهم
داخرون فهذه والله اعلم هى الاربعة التى ارادت عايشة انه كان لا يدعهن
واما سنة الظهر فالركعتان التى قال ابن عمر ويوضح هذا ان ساير
الصلوات سنتها ركعتان وعلى هذا فيكون هذه الاربعة وردا مستقلا
سببه انتصاف النهار وزوال الشمس وسر هذا والله اعلم ان انتصاف
النهار مقابل لانتصاف الليل وابواب السماء تفتح بعد زوال الشمس ويحصل
النزول الالهى بعد انتصاف الليل فهما وقتا قرب ورحمة هذا فيه تفتح ابواب
السما وهذا ينزل فيه الرب تبارك وتعالى عن حركة الاجسام الرابع
فى سنة العصر عن على كان صلى الله عليه وسلم يصلى قبل العصر ركعتين
رواه ابو داود وعن على ايضا كان صلى الله عليه وسلم يصلى قبل
العصر اربع ركعات يفصل بينهن بالتسليم على الملائكة المقربين ومن تبعهم
من المسلمين والمؤمنين رواه الترمذى وروى مرفوعا ايضا حديث
رحم الله امرا صلى قبل العصر اربعا وقالت عايشة ما كان صلى الله عليه
وسلم ياتينى فى يومى بعد العصر الا صلى ركعتين وفى رواية ما ترك ركعتين
بعد العصر عندى قط رواه البخارى ومسلم ولمسلم ان ابا سلمة سالها
عن السجدتين التين كان يصليهما بعد العصر فقالت كان يصليهما قبل العصر
ثم انه شغل عنهما ونسيهما فصلاهما بعد العصر ثم اثبتهما وكان اذا صلى صلاة
اثبتها يعنى داوم عليها ولابى داود قالت كان يصلى بعد العصر ركعتين
وينهى عنها ويواصل وينهى عن الوصال وقال ابن عباس انما صلى عليه
السلام ركعتين بعد العصر لانه اشتغل بقسمة مال اتاه عن الركعتين
اللتين بعد الظهر قضاهما بعد العصر ثم لم يعد لهما رواه الترمذى وقالت
ام سلمة سمعته صلى الله عليه وسلم ينهى عنهما ثم رايته يصليهما حين صلى العصر

ثم سالته عنهما فقال انه اتانى اناس من عبد القيس بالاسلام فشغلونى عن
الركعتين بعد الظهر فهما هاتان الحديث وفيه ان ابن عباس قال كنت
اضرب مع عمر ابن الخطاب الناس عنهما قال ابن القيم قضا السنن الروايت
فى اوقات النهى عام له ولامته واما المداومة على تلك الركعتين فى وقت
النهى فخاص به قال وقد عد هذا من خصايصه نهى والدليل عليه رواية
عايشة كان يصلى ركعتين بعد العصر وينهى عنهما ويواصل وينهى عن الوصال
لكن قال البيهقى الذى اختص به صلى الله عليه وسلم المداومة على ذلك
لا اصل القضا واما رواية ابن عباس عند الترمذى انه انما صلاهما بعد
العصر لانه اشتغل بقسمة مال اتاه فهو من رواية جرير عن عطا وقد سمع
منه اختلاطه وان صح فهو شاهد لحديث ام سلمة لكن ظاهر قوله ثم
لم يعد معارض لحديث عايشة المذكور فى هذا الباب فيحمل النفى على علم الراوى
فانه لم يطلع على ذلك والمثبت مقدم على النافى وكذا ما رواه النساى
من طريق ابى سلمة عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى بيتها
بعد العصر ركعتين مرة واحدة الحديث وفى رواية عنها لم اره يصليهما
قبل ولا بعد فيجمع بين الحديثين انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يصليهما
الا فى بيته فلذلك لم يره ابن عباس ولا ام سلمة ويشير الى ذلك قول
عايشة فى رواية وكان لا يصليهما فى المسجد مخافة ان يثقل على امته
ومراد عايشة بقولها ما كان فى يومى بعد العصر الا صلى ركعتين من الوقت
الذى شغل عن الركعتين بعد الظهر فصلاهما ولم ترد انه كان يصلى بعد
العصر من اول ما فرضت الصلوات مثلا الى اخر عمره والله اعلم الخامس
فى راتبة المغرب عن ابن مسعود قال ما احصى ما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرا فى الركعتين بعد المغرب وفى الركعتين قبل صلاة
الفجر بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد رواه الترمذى وعن ابن عباس
قال كان صلى الله عليه وسلم يطيل القراة فى الركعتين بعد المغرب حتى
يتفرق اهل المسجد رواه ابو داود وكان اصحابه عليه السلام يصلون
ركعتين قبل المغرب قبل ان يخرج اليهم عليه السلام رواه البخارى ومسلم
وابو داود من حديث انس وفى رواية ابى داود قال انس رانا صلى الله
عليه وسلم فلم يامرنا ولم ينهنا وقال عقبة كنا نفعله على عهده صلى الله
عليه وسلم رواه البخارى ومسلم وظاهره ان الركعتين بعد الغروب

وقبل صلاة المغرب كان امرا قرا اصحابه عليه وعملوا به وهذا يدل على الاستحباب
واما كونه عليه السلام لم يصلهما فلا ينفي الاستحباب بل يدل على انهما ليسا من
الرواتب والى استحبابهما ذهب احمد واسحاق واصحاب الحديث وعن ابن عمر
ما رايت احدا يصليهما على عهده صلى الله عليه وسلم وعن الخلفا الاربعة
وجماعة من الصحابة انهم كانوا لا يصلونهما فادعى بعض المالكية نسخهما و
تعقب بان دعوى النسخ لا دليل عليها ورواية المثبت وهو انس مقدم
على رواية النافي وهو ابن عمر وعن سعيد بن المسيب انه كان يقول حق على كل
مؤمن اذا اذن المؤذن ان يركع ركعتين وعن مالك قول اخر باستحبابهما وهو
عند الشافعية وجه رجحه النووي ومن تبعه وقال في شرح مسلم قول من
قال ان فعلهما يودي الى تاخير المغرب عن اول وقتها خيال فاسد منابذ للسنة
ومع ذلك فزمنهما يسير لا تتاخر به الصلاة عن اول وقتها ومجموع الادلة
يرشد الى استحباب تخفيفهما وقال صلى الله عليه وسلم صلوا قبل المغرب ركعتين
لمن شاء خشية ان يتخذها الناس سنة رواه ابو داود قال المحب الطبري لم يرد
نفي استحبابهما ومعنى قوله سنة اي شريعة وطريقة لازمة وكان المراد
انحطاط مرتبتهما عن رواتب الفرايض ولهذا لم يعدهما اكثر الشافعية
في الرواتب واستدركهما بعضهم وتعقب بانه صلى الله عليه وسلم
واظب عليهما وقال عليه السلام في الصلاة بعد المغرب هذه صلاة البيوت
رواه ابو داود والنسائي من حديث كعب بن عجرة وعنه عليه السلام من
صلى بعد المغرب ركعتين قبل ان يتكلم رفعت صلاته في عليين رواه رزين
السادس في راتبة العشا قالت عايشة ما صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم العشا قط فدخل بيتي الا صلى اربع ركعات او ست ركعات رواه ابو
داود وفي مسلم قالت عايشة ثم يصلي بالناس العشا فيدخل بيتي فيصلي ركعتين
وكذا في حديث ابن عمر عند الشيخين وتقدما اول هذا القسم والله اعلم
الفرع السابع في راتبة الجمعة عن نافع عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين وبعد المغرب
ركعتين في بيته وبعد العشا ركعتين وكان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف
فيصلي ركعتين رواه البخاري ولم يذكر شيا في الصلاة قبل صلاة الجمعة
قال ابن المنير كما حكاه في فتح الباري كانه يقول الاصل استوا الظهر والجمعة
حتى يدل دليل على خلافه لان الجمعة بدل الظهر وقال ابن بطال انما اعاد ابن

عمر ذكر الجمعة بعد ذكر الظهر من اجل انه كان صلى الله عليه وسلم يصلي
سنة الجمعة في بيته بخلاف الظهر قال والحكمة فيه ان الجمعة لما كانت
بدل الظهر واقتصر فيها على ركعتين ترك التنفل بعدها في المسجد خشية ان
يظن انها التي حذفت انتهى وعلى هذا فينبغي ان لا يتنفل قبلها ركعتين متصلتين
بها في المسجد لهذا المعنى وقد روى ابو داود وابن حبان من طريق ايوب
عن نافع قال كان ابن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي ركعتين بعدها
في بيته ويحدث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك وقد احتج به
النووي في الخلاصة على اثبات سنة الجمعة التي قبلها وتعقب بان قوله
وكان يفعل ذلك عايد على قوله ويصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته ويدل
عليه رواية الليث عن نافع عن عبد الله انه كان اذا صلى الجمعة انصرف
فسجد سجدتين في بيته ثم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل
ذلك رواه مسلم واما قوله كان يطيل الصلاة قبل الجمعة فان كان المراد
بعد دخول الوقت فلا يصح ان يكون مرفوعا لانه عليه السلام كان يخرج
اذا زالت الشمس ويشتغل بالخطبة ثم بصلاة الجمعة وان كان المراد قبل
دخول الوقت فذلك مطلق نافلة لا صلاة راتبة فلا حجة فيه لسنة
الجمعة التي قبلها بل هو تنفل مطلق وقد انكر جماعة كون الجمعة لها سنة
قبلها وبالغوا في الانكار ومنهم الامام شهاب الدين ابو شامة لانه
لم يكن يوذن للجمعة الا بين يديه عليه السلام وهو على المنبر فلم يكن يصليها
وكذلك الصحابة لانه اذا خرج الامام انقطعت الصلاة قال ابن العراقي
ولم ار في كلام الفقها من الحنفية والمالكية استحباب سنة الجمعة قبلها انتهى
وقد ورد في سنة الجمعة التي قبلها احاديث اخرى ضعيفة منها عن ابو هريرة
رواه البزار ولفظه كان يصلي قبل الجمعة اربعا وبعدها اربعا واقوى ما
يتمسك به في مشروعية الركعتين قبل الجمعة عموم ما صححه ابن حبان من حديث
عبد الله بن الزبير مرفوعا ما من صلاة مفروضة الا وبين يديها ركعتان
قاله في فتح الباري وعن عطا قال كان ابن عمر اذا صلى الجمعة بمكة تقدم
فصلى ركعتين ثم تقدم فيصلي اربعا واذا كان بالمدينة صلى الجمعة ثم رجع
الى بيته فيصلي ركعتين ولم يصل في المسجد فقيل له فقال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفعله رواه ابو داود وفي رواية الترمذي قال
رايت ابن عمر صلى بعد الجمعة ركعتين ثم صلى بعد ذلك اربعا وعن ابن عمر

ايضا قال كان صلى الله عليه وسلم يصلي بعد الجمعة ركعتين رواه النسائي
وفي رواية كان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته وفي اخرى ان ابن عمر كان
يصلي بعد الجمعة ركعتين يطيل فيهما ويقول كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يفعله وتقدم حديث دخول سليك الغطفاني يوم الجمعة
وهو صلى الله عليه وسلم يخطب وقوله صلى الله عليه وسلم له صليت
قال لا قال قم فاركع ركعتين مع ما فيه من المباحث في صلاة الجمعة الفصل
الثاني في صلاته صلى الله عليه وسلم العيدين وفيه فروع الاول في عدد
الركعات عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوم عيد
فصلى ركعتين لم يصل قبلهما ولا بعدهما ثم اتى النسا وبلال معه فامرهن
بالصدقة فجعلت المراة تتصدق بخرصها وسخابها وفي رواية خرج في
يوم اضحى او فطر وفي اخرى ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفطر
ركعتين الحديث رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي
الفرع الثاني في عدد التكبير عن عايشه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يكبر في الفطر والاضحى في الاولى سبع تكبيرات وفي الثانية خمس تكبيرات
زاد في رواية سوى تكبيرتي الاحرام والركوع رواه ابو داود وعن
كثير بن عبد الله عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم كبر في
العيدين في الاولى سبعا قبل القراة وفي اخرى خمسا قبل القراة رواه الترمذي
وابن ماجة والدارمي الفرع الثالث في الوقت والمكان عن ابي سعيد الخدري
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والاضحى الى المصلى فاول
شي يبدا به الصلاة الحديث رواه البخاري ومسلم وفي هذا دليل لمن
قال باستحباب الخروج لصلاة العيد الى المصلى وانه افضل من صلاتها
في المسجد لمواظبته صلى الله عليه وسلم مع فضل مسجده وعلى هذا عمل
الناس في الامصار واما اهل مكة فلا يصلونها الا في المسجد من الزمن
الاول ولاصحابنا الشافعية وجهان احدهما الصحرا افضل لهذا الحديث
والثاني وهو الاصح عند اكثرهم المسجد افضل الا ان يضيق قالوا وانما
صلى اهل مكة في المسجد لسعته وانما خرج النبي صلى الله عليه وسلم لضيق
المسجد فدل على ان المسجد افضل اذا اتسع والمراد بالمصلى المذكور الذي
على باب المدينة الشرقي قال ابن القيم ولم يصل العيد بمسجده الا مرة واحدة
الامرة واحدة اصابهم مطر فصلى بهم العيد في المسجد ان ثبت الحديث

وهو في سنن ابي داود وابن ماجة انتهى ولفظ ابي داود عن ابي هريرة قال
اصابنا مطر في يوم فطر فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد زاد
رزين ولم يخرج بنا الى المصلى الفرع الرابع في الاذان والاقامة عن جابر بن
سمرة قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيدين غير مرة و
لا مرتين بغير اذان ولا اقامة رواه مسلم وابو داود والترمذي وعن
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العيد بلا اذان ولا
اقامة رواه ابو داود الفرع الخامس في قراته صلى الله عليه وسلم في صلاة
العيدين عن ابي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرا في الاضحى والفطر بقاف والقران المجيد واقتربت الساعة وانشق
القمر رواه مسلم ومالك وابو داود والترمذي وعن النعمان بن بشير
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في العيدين والجمعة بسبح اسم
ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية وربما اجتمعا في يوم واحد فقرا
بهما رواه مسلم ومالك وابو داود والترمذي والنسائي الفرع السادس
في خطبته صلى الله عليه وسلم وتقديمه صلاة العيدين عليها عن ابن
عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر يصلون العيدين
قبل الخطبة رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وعن جابر انه
صلى الله عليه وسلم خرج يوم الفطر فبدا بالصلاة قبل الخطبة وفي رواية
قام فبدا بالصلاة ثم خطب الناس فلما فرغ نزل فاتى فذكرهن وهو
يتوكا على يد بلال باسط ثوبه يلقي فيه النسا صدقة وفي اخرى قال
شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد فبدا بالصلاة قبل
الخطبة بلا اذان ولا اقامة ثم قام متوكيا على بلال فامر بتقوى الله وحث على طاعته
ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى حتى اتى النسا فوعظهن وذكرهن فقال تصدقن
فان اكثركن حطب جهنم فقامت امراة من وسط النسا سفعا الخدين فقالت
لم يا رسول الله قال لانكن تكثرن الشكاية وتكفرن العشير قال فجعلن يتصدقن
من حليهن ويلقين في ثوب بلال من اقراطهن وخواتمهن رواه البخاري ومسلم
وفي رواية ابي سعيد الخدري عند البخاري فاول شي يبدا به الصلاة ثم
ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم
ويامرهم فان كان يريد ان يقطع بعثا قطعه او يامر بشي امر به ثم ينصرف
فقال ابو سعيد فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو امير المدينة

فى اضحا او فطر فلما اتينا المصلى اذا منبر بناه كثير بن الصلت فاذا مروان يريد ان
يرتقيه فقلت غيرتم والله الحديث ولابن خزيمة خطب عليه السلام يوم
عيد على راحلته وهذا يشعر بانه لم يكن فى المصلى فى زمانه عليه السلام والصلاة
منبر ويدل على ذلك قول ابى سعيد فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان
ومقتضاه ان اول من اتخذه مروان ووقع فى المدونة للامام مالك ان اول من
خطب الناس فى المصلى على منبر عثمان بن عفان كلمهم على منبر من طين بناه كثير بن الصلت
لكنه معضل وما فى الصحيحين اصح فقد رواه مسلم من طريق داود بن قيس نحوه و
البخارى ويحتمل ان يكون عثمان فعل ذلك مرة ثم تركه حتى اعاده مروان ولم
يطلع على ذلك ابو سعيد قاله شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله تعالى الفرع السابع
فى اكله صلى الله عليه وسلم يوم الفطر قبل خروجه الى صلاة العيد عن انس كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يغدوا يوم الفطر حتى ياكل تمرات رواه البخارى وقال
قال رجا بن رجا حدثنى عبيد الله حدثنى انس عن النبى صلى الله عليه وسلم وياكلهن
وترا رواه الحاكم من رواية عتبة بن حميد عنه بلفظ ما خرج يوم فطر حتى
ياكل تمرات ثلاثا او خمسا او سبعا او اقل من ذلك او اكثر وترا قال المهلب الحكمة
فى الاكل قبل الصلاة ان لا يظن ظان لزوم الصوم حتى يصلى العيد فكانه اراد سد
هذه الذريعة وقال غيره لما وقع وجوب الفطر عقب وجوب الصوم استحب
تعجيل الفطر مبادرة الى امتثال امر الله تعالى ويشعر بذلك اقتصاره على القليل
من ذلك ولو كان لغير الامتثال لاكل قدر الشبع اشار الى ذلك ابن ابى جمرة وقيل
لان الشيطان الذى يحبس فى رمضان لا يطلق الا بعد صلاة العيد فاستحب
تعجيل الفطر بدارا الى السلامة من وسوسته والحكمة فى استحباب التمر لما
فى الحلو من تقوية البصر الذى يضعفه الصوم ولان الحلو مما يوافق الايمان
ويعبر به فى المنام ويرق القلب ومن ثم استحب بعض التابعين ان يفطر على الحلو مطلقا
كالعسل رواه ابن ابى شيبة عن معاوية بن قرة وابن سيرين وغيرهما وفى الترمذى
والحاكم من حديث بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج يوم
الفطر حتى يطعم ولا يطعم يوم الاضحى حتى يصلى ونحوه عند البزار عن جابر
بن سمرة وروى الطبرانى والدارقطنى من حديث ابن عباس قال من السنة
ان لا يخرج يوم الفطر حتى يخرج الصدقة ويطعم شيا قبل ان يخرج وفى
كل من اسانيد الثلاثة مقال وقد اخذ اكثر الفقها بما دلت عليه قال ابن
المنير وقع اكله صلى الله عليه وسلم فى كل من العيدين فى الوقت المشروع

لاخراج

لاخراج صدقتهما الخاصة بهما فاخراج صدقة الفطر قبل الغدو الى المصلى
واخراج صدقة الاضحية بعد ذبحها فاجتمعا من جهة وافترقا من اخرى
وقال الشافعى فى الام بلغنا عن الزهرى قال ما ركب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى عيد ولا جنازة قط وفى الترمذى عن على قال من السنة
ان يخرج الى العيد ماشيا وفى ابن ماجه عن سعد القرظى انه صلى الله عليه
وسلم كان يخرج الى العيد ماشيا وفيه عن ابى رافع نحوه واسانيد الثلاثة
ضعاف وعن ابى هريرة قال كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج يوم العيد
فى طريق رجع فى غيره رواه الترمذى وقد اختلف فى ذلك على اقوال كثيرة
قال الحافظ ابن حجر اجتمع لى منها اكثر من عشرين وقد لخصتها وبينت الواهى
منها فمن ذلك انه فعل ذلك ليشهد له الطريقان وقيل سكانهما من الجن
والانس وقيل ليسوى بينهما فى مزية الفضل بمروره او فى التبرك به او ليشم
رائحة المسك من الطريق التى يمر بها لانه كان معروفا بذلك وقيل لان طريقه
الى المصلى كانت على اليمين فلو رجع منها لرجع على جهة الشمال فرجع من غيرها
وهذا يحتاج الى دليل وقيل لاظهار شرايع الاسلام وقيل لاظهار ذكر
الله وقيل ليغيظ المنافقين او اليهود وقيل حذرا من كيد الطايفتين
او احداهما وقيل ليعمهم بالسرور به او التبرك بمروره والانتفاع به فى
قضاء حوايجهم فى الاستفتا والتعلم والاقتدا والاسترشاد والسلام عليهم
او غير ذلك وقيل ليزور اقاربه الاحيا والاموات وقيل ليصل رحمه وقيل
ليتفاءل بتغير الحال الى المغفرة والرضى وقيل كان يتصدق فى ذهابه فاذا
رجع لم يبق معه شى فيرجع فى طريق اخرى لئلا يرد من يسيله وهذا
ضعيف جدا مع احتياجه الى الدليل وقيل فعل ذلك لتخفيف الزحام
وهذا رجحه الشيخ ابو حامد وقيل طريقه كان التى يتوجه منها ابعد من
التى يرجع فيها فاراد تكثير الاجر بتكثير الخطا فى الذهاب واما فى الرجوع
فيسرع الى منزله وهذا اختيار الرافعى وتعقب بانه يحتاج الى دليل
وبان اجر الخطا فى الرجوع ايضا كما ثبت فى حديث ابى ابن كعب عند الترمذى
وغيره وقيل لان الملائكة تقف فى الطرقات فاراد ان يشهد له فريقان
منهم وقال ابن ابى جمرة هو فى معنى قول يعقوب لبنيه لا تدخلوا من باب
واحد فاشار الى انه فعل ذلك حذرا اصابة العين انتهى وكان صلى
الله عليه وسلم يخرج الابكار والعواتق وذوات الخدور والحيض فى

العيدين فاما الحيض فيعتزلن المصلى ويشهدن دعوة المسلمين قالت احدا
هن يارسول الله احدانا ان لم يكن لها جلباب قال فلتعرها اختها من جلا
بيبها رواه البخارى ومسلم والترمذى واللفظ له ولا دلالة فيه على وجوب
صلاة العيد لان من جملة من امر بذلك من ليس بمكلف فظهر ان القصد منه
اظهار شعار الاسلام بالمبالغة فى الاجتماع ولتعم الجميع البركة وفيه
استحباب خروج النساء الى شهود العيد سواء كن شواب ام لا او ذوات هيآت
ام لا لكن نص الشافعى فى الام يقتضى استثناء ذوى الهيآت قال واحب شهود
العجائز وغير ذوات الهيآت الصلاة وانا لشهود هن الاعياد اشد استحبابا
وادعى بعضهم النسخ فيه قال الطحاوى وامره عليه السلام بخروج الحيض
وذوات الخدور الى العيد يحتمل ان تكون فى اول الاسلام والمسلمون قليل فاريد
التكثير بحضورهن ارهابا للعدو واما اليوم فلا يحتاج الى ذلك وتعقب
بان النسخ لا يثبت بالاحتمال وقد صرح فى حديث ام عطية بعلة الحكم وهى شهود
هن الخير ودعوة المسلمين ورجاء بركة ذلك اليوم وطهرته وقد افتت به
ام عطية بعد النبى صلى الله عليه وسلم بمدة ولم يثبت عن احد من الصحابة
مخالفتها فى ذلك واما قول عائشة لو راى النبى صلى الله عليه وسلم ما احدث
النساء لمنعهن المساجد فلا يعارض ذلك لندوره ان سلمنا ان فيه دلالة
على انها افتت بخلافه مع ان الدلالة منه بان عائشة افتت بالمنع ليست
صريحة وفى قوله الطحاوى ارهابا للعدو نظر لان الاستنصار بالنساء والتكثر
بهن فى الحرب دال على الضعف والاولى ان يخص ذلك بمن يومن عليها وبها
الفتنة فلا يترتب على حضورها محذور ولا تزاحم الرجال فى الطرق ولا فى المجامع
قاله فى فتح البارى وكان عليه السلام يخرج العنزة يوم الفطر يركزها
فيصلى اليها رواه النساى واذا علمت هذا فاعلم ان للمومنين فى هذا الدنيا
ثلاثة اعياد عيد يتكرر فى كل اسبوع وعيدان ياتيان فى كل عام مرة مرة من غير
تكرار فى السنة فاما العيد المتكرر فهو يوم الجمعة وهو عيد الاسبوع وهو مترتب
على اكمال الصلوات المكتوبات فيه فشرع لهم عيدا واما العيدان اللذان
لا يتكرران فى كل عام وانما ياتى كل واحد منهما فى العام مرة وانما ياتى كل واحد
منهما فى العام مرة واحدة فاحدهما عيد الفطر من صوم رمضان وهو مترتب
على اكمال صيام رمضان وهو الركن الثالث من اركان الاسلام ومبانيه
فاذا اكمل المسلمون صيام شهر رمضان المفروض عليهم واستوجبوا

من الله المغفرة والعتق من النار فان صيامه يوجب مغفرة ما تقدم من الذنب
واخره عتق من النار يعتق فيه من النار من استحقها بذنوبه فشرع الله تعالى
لهم عقب صيامهم عيدا يجتمعون فيه على شكر الله تعالى وذكره وتكبيره
على ما هداهم وشرع له فى ذلك العيد الصلاة والصدقة وهو يوم الجوائز
يستوفى فيه الصائمون اجر صيامهم ويرجعون بالمغفرة والعيد الثانى عيد
النحر وهو اكبر العيدين وافضلهما وهو مرتب على اكمال الحج وهو الركن الرابع
من اركان الاسلام ومبانيه فاذا اكمل المسلمون حجهم غفر لهم وانما يكمل الحج
بيوم عرفة فان الوقوف بعرفة ركن الحج الاعظم ويوم عرفة هو يوم العتق
من النار فيعتق فيه من النار من وقف بعرفة ومن لم يقف بها من اهل
الامصار من المسلمين فلذلك صار اليوم الذى يليه عيدا لجميع المسلمين فى
جميع امصارهم من شهد الموسم منهم ومن لم يشهد لاشتراكهم فى العتق والمغفرة
يوم عرفة وشرع للجميع التقرب اليه تعالى بالنسك باراقة دماء ضحاياهم
فيكون ذلك اليوم شكرا منهم لهذه النعم والصلاة والنحر الذى يجتمع فى عيد
النحر افضل من الصلاة والصدقة فى عيد الفطر ولهذا امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يجعل شكره لربه على اعطائه الكوثر ان يصلى لربه وينحر وقد
ضحى صلى الله عليه وسلم بكبشين املحين اقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر رواه
البخارى من حديث انس قال ورايته واضعا قدمه على صفاحها يقول بسم الله
والله اكبر وعن عائشة انه صلى الله عليه وسلم امر بكبش يطاء فى سواد ويبرك
فى سواد فاتى به ليضحى به قال يا عائشة هلمى المدية ثم قال اشحذيها بحجر ففعلت
ثم اخذها واخذ الكبش فاضجعه ثم ذبحه قال بسم الله اللهم تقبل
من محمد وال محمد ومن امة محمد ثم ضحى به رواه مسلم وعن جابر ذبح النبى صلى
الله عليه وسلم يوم النحر كبشين اقرنين املحين موجوين فلما وجههما قال
انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض على ملة ابراهيم
حنيفا وما انا من المشركين ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله
رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين اللهم
منك ولك عن محمد وامته بسم الله والله اكبر ثم ذبح رواه البخارى
وابو داود وابن ماجة والدارمى وفى رواية لاحمد والترمذى
ذبح بيده وقال بسم الله والله اكبر اللهم ان هذا عنى وعمن لم يضح
من امتى فهذه اعياد المسلمين فى الدنيا وكلها عند اكمال طاعات مولاهم

اى محضين

الملك الوهاب وحيا زتهم لما وعدهم من جزيل الاجر والثواب فليس العيد
لمن لبس الجديد انما العيد لمن طاعته تزيد وليس العيد لمن تجمل باللباس
والمركوب انما العيد لمن غفرت له الذنوب في ليلة العيد تفرق خلع العتق
والمغفرة على العبيد فمن ناله شي منها فهو له عيد والا فهو مطرود بعيد
واما اعياد المؤمنين في الجنة فهي ايام زيادتهم ربهم عز وجل فيزوروته
ويكرمهم غاية الاكرام ويجلي لهم فينظرون اليه فما اعطاهم شيا هو
احب اليهم من ذلك وهو الزيادة فليس للمحب عيد سوى قرب محبوبه
ان يوما جامعا شملي بهم ذاك عندي ليس لي عيد سواه الباب الثاني
في النوافل المقرونة بالاسباب وفيه اربعة فصول الفصل الاول في صلاته
صلى الله عليه وسلم الكسوف وهو لغة التغير الى السواد يقال
كسفت الشمس اذا اسودت وذهب شعاعها عن قبيصة بن المخارق قال
كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فزعا يجر ثوبه
وانا معه يوميذ بالمدينة فصلى ركعتين فاطال فيهما القيام ثم انصرف وانجلت
ثم قال انما هذه الايات يخوف الله بها عباده فاذا رايتموها فصلوا رواه
ابوداود والنساى وفي قوله عليه السلام يخوف الله بها عباده رد
على من زعم اهل الهيئة ان الكسوف امر عادى لا يتاخر ولا يتقدم اذ لو كان
كما يقولون لم يكن في ذلك تخويف وقد رد عليهم ابن العربي وغيره بما في حديث
ابي موسى عند البخاري حيث قال فيه فقام فزعا يخشى ان تكون الساعة قالوا
فلو كان الكسوف بالحساب لم يقع الفزع ولو كان بالحساب لم يكن للامر
بالعتق والصدقه والصلاة معنا يعني كما في حديث اسما عند البخاري لقد
امر النبي صلى الله عليه وسلم بالعتاقة في كسوف الشمس وكما عنده ايضا
من حديث عايشة مرفوعا فاذا رايتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا
فان ظاهر الاحاديث ان ذلك يفيد التخويف وكلما ذكر من انواع الطاعة
يرجى ان يدفع به ما يخشى من اثر ذلك الكسوف ومما نقض به ابن العربي وغيره
ايضا انهم لا يزعمون ان الشمس لا تنكسف على الحقيقة وانما يحول القمر بينها
وبين اهل الارض عند اجتماعهما في العقدتين فقال هم يزعمون ان الشمس
اضعاف القمر في الجرم فكيف يحجب الصغير الكبير اذا قابله ام كيف يظلم الكثير
بالقليل لا سيما وهو من جنسه وكيف تحجب الارض نور الشمس وقد وقع
في حديث النعمان بن بشير وغيره للكسوف سبب اخر غير ما يزعم اهل

الهيئة

الهيئة وهو ما اخرجه احمد والنساى وابن ماجة وصححه ابن خزيمة والحاكم
بلفظ ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته ولكنهما ايتان من
ايات الله وان الله اذا تجلى لشي من خلقه خشع له وقد استشكل الغزالي هذه
الزيادة وقال انها لم تثبت فيجب تكذيب ناقلها قال ولو صحت لكان تاويلها
اهون من مكابرة امور قطعية لا تصادم اصلا من اصول الشريعة قال
ابن بزيزة وهذا عجب منه كيف يسلم دعوى الفلاسفة ويزعم انها لا تصادم
الشريعة مع انها مبنية على ان العالم كرى الشكل وظاهر الشرع يعطي خلاف
ذلك والثابت من قواعد الشرع ان الكسوف اثر الارادة القديمة وفعل
الفاعل المختار فيخلق في هذين الجرمين النور متى شا والظلمة متى شاء من غير
توقيف على سبب او ربط باقتران والحديث الذي رده الغزالي قد اثبته
غير واحد من اهل العلم وهو ثابت من حيث المعنى ايضا لان النورية والاضاءة
من عالم الجمال الحسي فاذا تجلت صفة الجلال انطمست الانوار لهيبته ويؤيده
قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا انتهى ويؤيد هذا الحديث ما رويناه
عن طاوس انه نظر الى الشمس وقد انكسفت فبكى حتى كاد ان يموت وقال
هي اخوف لله منا وقال ابن دقيق العيد ربما يعتقد بعضهم ان الذي يذكره
اهل الحساب ينافي قوله يخوف الله بهما عباده وليس بشيء لان لله افعالا على
حسب العادة وافعالا خارجة عن ذلك وقدرته حاكمة على كل سبب
يقتطع ما يشا من الاسباب والمسببات بعضها عن بعض فاذا ثبت ذلك
فالعلما بالله لقوة اعتقادهم في عموم قدرته على خرق العادة وانه يفعل
ما يشا اذا وقع شي غريب حدث عندهم الخوف لقوة ذلك الاعتقاد وذلك
لا يمنع ان يكون هناك اسباب تجري عليها العادة الا ان يشاء الله خرقها
وحاصله ان الذي يذكره اهل الحساب ان كان حقا في نفس الامر لا ينافي
في كون ذلك مخوفا لعباده الله تعالى قاله في فتح الباري وعن ابن عباس قال
انخسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام قياما طويلا
نحوا من قراة سورة البقرة ثم ركع ركوعا طويلا ثم رفع فقام قياما طويلا وهو
دون القيام الاول ثم ركع ركوعا طويلا وهو دون الركوع الاول ثم رفع
ثم سجد ثم قام قياما طويلا دون القيام الاول ثم ركع ركوعا طويلا وهو
دون الركوع الاول ثم سجد ثم انصرف وقد انجلت الشمس فقال ان الشمس والقمر
ايتان من ايات الله تعالى لا ينخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رايتم

ذلك فاذكروا الله فقالوا يا رسول الله رايناك تناولت شياء في مقامك
هذا ثم رايناك تكعكعت[٢] قال اني رايت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو
اصبته لاكلتم منه ما بقيت الدنيا ورايت النار فلم ار منظرا كاليوم قط — ٢ اي تاخرت
افظع ورايت اكثر اهلها النسا قالوا بم يا رسول الله قال يكفرهن قيل
ايكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو احسنت الى احدا
هن الدهر كله ثم رات منك شيا قالت ما رايت منك خيرا قط رواه البخاري
ومسلم قوله ورايت الجنة والنار قال القاضي عياض يحتمل انه راهما روية
عين كشف الله عنهما وازال الحجب بينه وبينهما كما فرج له عن المسجد الاقصى
حين وصفه ويكون قوله عليه الصلاة والسلام في عرض هذا الحايط
كما في رواية في جهته وناحيته ويحتمل ان يكون روية علم وعرض
وحي باطلاعه وتعريفه من امورها مفصلا ما لم يعرفه قبل ذلك اليوم
قال القاضي والاول اولى واشبه بالفاظ الحديث لما فيه من الامور الدالة
على روية العين لتناوله العنقود وتاخره مخافة ان يصيبه لفح النار
انتهى واستشكل قوله لو اصبته مع قوله تناولت واجيب بحمل التناول
على تكلف الاخذ لا حقيقة الاخذ وقيل المراد تناولت لنفسي ولو
اخذته لكم حكاه الكرماني قال الحافظ ابن حجر وليس بجيد وقيل
المراد بقوله اخذت وضعت يدي عليه بحيث كنت قادرا على تحويله
لكن لم يقدر لي قطفه ولو اصبته اي تمكنت من قطفه ويدل عليه
قوله في حديث عقبة بن عامر عند ابن خزيمة اهوى بيده ليتناول
شيا وفي حديث اسما عند البخاري حتى لو اجترات عليه وكانه لم
يوذن له في ذلك فلم يجترى عليه قال ابن بطال لم ياخذ العنقود لانه
من طعام الجنة وهو لا يفنى والدنيا فانية لا يجوز ان يوكل فيها
ما لا يفنى انتهى وفي حديث اسما بنت ابي بكر عند البخاري ومسلم ومالك
والنسائي قال ما من شي كنت لم اره الا رايته في مقامي هذا حتى الجنة
والنار ولقد اوحي الي انكم تفتنون في قبوركم مثل او قريبا لا ادري
اي ذلك قالت اسما من فتنة المسيح الدجال يقال ما علمك بهذا الرجل
فاما المومن او الموقن لا ادري اي ذلك قالت اسما فيقول هو محمد رسول
الله جانا بالبينات والهدى فاجبنا واتبعنا هو محمد ثلاثا فيقال نم
صالحا قد علمنا ان كنت لموقنا واما المنافق او المرتاب لا ادري اي ذلك

٤

قالت اسما فيقول لا ادري سمعت الناس يقولون شيا فقلته وفي رواية
فرأى امرأة تخدشها هرة ربطتها حتى ماتت جوعا وعطشا وفي رواية
فرأى عمرو بن مالك يجر قصبه في النار وكان اول من غير دين ابراهيم ورأى
فيها سارق الحاج يعذب قوله قصبه بضم القاف وسكون الصاد اي
امعاه وفي رواية عايشة ثم قال يا امة محمد والله ما من احد اغير من الله
من ان يزني عبده او تزني امته والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا الا هل[٢] بلغت لو تعلمون من عظمة الله انتقاما من اهل الجرايم وشدة عقابه — ٢ مل منا بمعنى قد
واهوال القيامة ما اعلم وما بعدها كما علمت وترون النار كما رايت في مقامي
هذا وفي غيره لبكيتم كثيرا ولقل ضحككم لتفكركم فيما علمتموه وفي حديث عايشة
عند البخاري فخرج الى المسجد فصف الناس وراه فكبر فاقترا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قراة طويلة ثم كبر فركع ركوعا طويلا ثم قال سمع الله
لمن حمده فقام ولم يسجد وقرا قراة طويلة وهي ادنى من القراة الاولى وزاد
في رواية ربنا ولك الحمد واستدل به على استحباب الذكر المشروع في الاعتدال
في اول القيام الثاني من الركعة الاولى واستشكله بعض متاخري الشافعية
من جهة كونه قيام قراة لا قيام اعتدال بدليل اتفاق العلما ممن قال بزيادة
الركوع في كل ركعة على قراة الفاتحة فيه وان كان محمد بن مسلمة المالكي خالف
فيه والجواب ان صلاة الكسوف جات على صفة مخصوصة فلا مدخل
للقياس فيها بل كل ما ثبت انه صلى الله عليه وسلم فعله فيها كان مشروعا لانها
اصل براسها وبهذا المعنى رد الجمهور على من قاسها على صلاة النافلة حتى
من زيادة الركوع فيها فصلاة الكسوف اشبه شي بصلاة العيد ونحوها
مما يجمع فيه من مطلق النوافل فامتازت صلاة الجنازة بترك الركوع والسجود
وصلاة العيد بزيادة التكبيرات وصلاة الخسوف بزيادة الافعال الكثيرة
واستدبار القبلة ولذلك اختصت صلاة الكسوف بزيادة الركوع فالاخذ
جامع بين العملين بالنص والقياس بخلاف من لم يعمل به وقد تبين ان لصلاة
الكسوف هيئة تخصها من التطويل الزايد على العادة في القيام وغيره ومن
زيادة ركوع في كل ركعة وقد وردت زيادة في ذلك من طرق اخرى فعند
مسلم من وجه اخر عن عايشة واخر عن جابر ان في كل ركعة ثلاث ركوعات
وعنده من وجه اخر عن ابن عباس ان في كل ركعة اربع ركوعات ولابي
داود من حديث ابي بن كعب والبزار من حديث علي ان في كل ركعة خمس

ركوعات ولا يخلوا اسناد منها عن علة ونقل ابن القيم في الهدى عن الشافعي
واحمد والبخاري انهم كانوا يعدون الزيادة على الركوعين في كل ركعة غلطا
من بعض الرواة فان اكثر طرق الحديث يمكن رد بعضها الى بعض ويجمعها ان ذلك
كان يوم مات ابراهيم عليه السلام واذا اتحدت القصة تعين الاخذ بالراجح
وجمع بعضهم بين هذه الاحاديث بتعدد الواقعة وان الكسوف وقع
مرارا فتكون كل من هذه الوجوه جائزا وقال ابن خزيمة وابن المنذر
الخطابي وغيرهم من الشافعية يجوز العمل بجميع ما ثبت من ذلك وهو من
الاختلاف المباح وقواه النووي في شرح مسلم وابدى بعضهم ان حكمة
الزيادة في الركوع والنقص كان بحسب سرعة الانجلا وبطئه فحين وقع الانجلا
في اول ركوع اقتصر على مثل النافلة وان ابطا زاد ركوعا وحين لم تزد
في الابطا زاد ثالثا وهكذا الى غاية ما ورد في ذلك وتعقبه النووي بان
ابطا الانجلا وعدمه لا يعلم في اول الحال ولا في الركعة الاولى وقد
اتفقت الروايات على ان عدد الركوع في الركعتين سوا وهذا يدل على انه مقصود
في نفسه منوي من اول الحال انتهى ملخصا من فتح الباري وعند الامام احمد
انه لما سلم حمد الله واثنى عليه وشهد ان لا اله الا الله وشهد انه عبد الله
ورسوله ثم قال ايها الناس انشدكم بالله ان كنتم تعلمون اني قصرت عن
شي من تبليغ رسالات ربي لما اخبرتموني ذلك فقام رجل فقال اشهد انك
قد بلغت رسالات ربك ونصحت لامتك وقضيت الذي عليك ثم قال
وايم الله لقد رايت منذ قمت اصلي ما انتم لاقون من امر دنياكم واخرتكم
وانه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا اخرهم الاعور الدجال
من تبعه لم ينفعه صالح من عمله وفي البخاري وقالت عايشة واسما خطب
النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في الخطبة فيه فاستحبها الشافعي
واسحاق واكثر اهل الحديث وقال ابن قدامة لم يبلغنا عن احمد ذلك وقال
صاحب الهداية من الحنفية ليس في الكسوف خطبة لانه لم ينقل وتعقب
بان الاحاديث ثبت فيه وهي ذات كثرة والمشهور عند المالكية ان لا خطبة
لها مع ان مالكا روى الحديث وفيه ذكر الخطبة واجاب بعضهم بانه
صلى الله عليه وسلم لم يقصد لها الخطبة بخصوصها وانما اراد ان يبين
لهم الرد على من يعتقد ان الكسوف لموت بعض الناس وتعقب بما في
الاحاديث الصحيحة من التصريح بالخطبة وحكاية شرايطها من الحمد و

والثنا والموعظة وغير ذلك مما تضمنته الاحاديث فلم يقتصر على الا
علام بسبب الكسوف والاصل مشروعية الاتباع والخصايص لا تثبت
الا بدليل انتهى وعن المغيرة ابن شعبة عند البخاري كسفت الشمس
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ابراهيم فقال الناس
كسفت الشمس لموت ابراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الشمس والقمر ايتان من ايات الله لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته
فاذا رايتموهما فصلوا وادعوا الله وابراهيم هو ابن النبي صلى الله عليه وسلم
وقد ذكر جمهور اهل السير انه مات في السنة العاشرة من الهجرة فقال في
ربيع الاول وقيل في رمضان وقيل في ذي الحجة والاكثر على انها وقعت
في عاشر الشهر وقيل في رابعه وقيل في رابع عشر ولا يصح شي منها
على قول ذي الحجة لان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذ ذاك بمكة في
الحج وقد ثبت انه شهد وفاته وكانت بالمدينة بلا خلاف انه مات
في سنة تسع فان ثبت فيصح وجزم النووي بانها كانت سنة الحديبية
فلعل ذلك كان في اواخر ذي القعدة حين رجع منها وفي هذا الحديث ابطال
ما كان اهل الجاهلية يعتقدونه من تاثير الكواكب في الارض قال الخطابي
كانوا في الجاهلية يعتقدون ان الكسوف يوجب حدوث تغير في الارض
من موت او ضرر فاعلم النبي صلى الله عليه وسلم انه اعتقاد باطل وان
الشمس والقمر خلقان مسخران لله ليس لهما سلطان في غيرهما ولا قدرة
للدفع عن انفسهما وعن عبد الله بن عمر قال لما كسفت الشمس على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم نودي ان الصلاة جامعة رواه البخاري
وقوله ان بفتح الهمزة وتخفيف النون وهي المفسرة وفي رواية له ولمسلم
في حديث عايشة بعث النبي صلى الله عليه وسلم مناديا فنادى الصلاة
جامعة قال ابن دقيق العيد هذا الحديث حجة لمن استحب ذلك وقد
اجمعوا على انه لا يوذن له ولا يقام وروى ابن حبان انه صلى الله عليه
وسلم صلى في كسوف الشمس والقمر ركعتين مثل صلاتكم واخرجه الدار
قطني ايضا وفيه رد على من اطلق كابن رشد انه صلى الله عليه وسلم
لم يصل في كسوف القمر ومنهم من اول قوله اي امر بالصلاة جمعا بين
الروايتين وقال ابن القيم في الهدى لم ينقل انه صلى الله عليه وسلم
صلى في كسوف القمر في جماعة لكن حكى ابن حبان في السيرة له ان القمر خسف

في السنة النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه صلاة الكسوف فكانت اول صلاة
كسوف في الاسلام وهذا ان ثبت انتفى التاويل المذكور وقد جزم به مغلطاي
في سيرته المختصرة وتبعه الحافظ زين الدين العراقي في نظمها وفي البخاري
من حديث عايشة جهر النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الخسوف بقراته
فاذا فرغ من قراته كبر فركع فاذا رفع من الركعة قال سمع الله لمن حمده ربنا
ولك الحمد ثم يعاود القراة في صلاة الكسوف اربع ركعات في ركعتين واربع
سجدات واستدل به على الجهر فيها بالنهار وحمله جماعة ممن لم يرد ذلك على
كسوف القمر قال الحافظ ابن حجر وليس بجيد لان الاسماعيلي روى هذا
الحديث من وجه اخر عن الوليد بلفظ كسفت الشمس في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي مسند ابي داود الطيالسي انه صلى الله عليه
وسلم جهر بالقراة في صلاة الكسوف وقد ورد الجهر فيها عن علي مرفوعا وموقوفا
اخرجه ابن خزيمة وغيره وقال به صاحبا ابي حنيفة واحمد واسحاق وابن خزيمة
وابن المنذر وغيرهما من محدثي الشافعية وابن العربي من المالكية وقال الطبري
يخير بين الجهر والاسرار وقال الايمة الثلاثة يسر في الشمس ويجهر في القمر واحتج
الشافعي بقول ابن عباس قرا نحوا من سورة البقرة لانه لو جهر لم
يحتج الى التقدير وقد روى الشافعي تعليقا عن ابن عباس انه صلى بجنب
النبي صلى الله عليه وسلم في الكسوف فلم يسمع منه حرفا ووصله
البيهقي من ثلاثة طرق اسانيدها واهية وعلى تقدير صحتها فمثبت الجهر
معه قدر زايد فالاخذ به اولى قال ابن العربي الجهر عندي اولى
لانها صلاة جماعة ينادى لها ويخطب فاشبهت العيد والاستسقا
انتهى ملخصا والله اعلم الفصل الثاني في صلاته صلى الله عليه وسلم
صلاة الاستسقا اعلم ان الاستسقا طلب السقيا من الله تعالى
عند الحاجة اليها كما تقول استعطى اي طلب العطا ولم يخالف
احد من العلما في سنة الصلاة في الاستسقا الا ابو حنيفة محتجا
باحاديث الاستسقا التي ليس فيها صلاة واحتج الجمهور بالاحاديث
الثابتة في الصحيحين وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم صلى للاستسقا
ركعتين واما الاحاديث التي فيها الصلاة فبعضها محمول على نسيان
الراوي وبعضها كان في الخطبة للجمعة ويعقبها صلاة الجمعة فاكتفى
بها ولو لم يصل اصلا كان بيانا لجواز الاستسقا بالدعا بلا صلاة

ای رکوعات

ولا خلاف في جوازه وتكون الاحاديث المثبتة للصلاة مقدمة لان
فيها زيادة علم ولا معارضة بينهما والاستسقا انواع الاول
الاستسقا بصلاة ركعتين وخطبتين ويتاهب قبله بصدقة وصيام وتوبة
واقبال على الخير ومجانبة الشر ونحو ذلك من طاعة الله تعالى قال ابن عباس
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم متبذلا متواضعا متخشعا
متضرعا حتى اتى المصلى فرقي المنبر فلم يخطب خطبتكم هذه ولكن لم يزل
في الدعا والتضرع والتكبير ثم صلى ركعتين كما يصلي في العيد رواه
الترمذي وغيره وفي حديث عبد الله ابن زيد المازني قال خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى هذا المصلى يستسقي ثم استقبل القبلة
وقلب رداه ثم صلى رواه البخاري ومسلم وفي رواية خرج بالناس
الى المصلى يستسقي فصلى بهم ركعتين جهر فيهما بالقراة واستقبل يدعوا
ورفع يديه وحول رداه حين استقبل القبلة وفي رواية قال
وحول رداه وجعل عطافه الايمن على عاتقه الايسر وجعل عطافه الايسر
على عاتقه الايمن ثم دعا الله قال الحافظ ابن حجر ولم اقف في شي من طرق
حديث عبد الله ابن زيد على سبب ذلك ولا على صفته صلى الله عليه
وسلم حال الذهاب الى المصلى ولا على وقت ذهابه وقد وقع ذلك في حديث
عايشة عند ابي داود وابن حبان قالت شكى الناس الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قحوط المطر فامر بمنبر فوضع له في المصلى ووعد الناس يوما
يخرجون فيه فخرج حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر وحمد الله
ثم قال انكم شكوتم جدب دياركم واستيخار المطر عن ابان زمانه عنكم
وقد امركم الله ان تدعوه ووعدكم ان يستجيب لكم ثم قال الحمد لله رب
العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين الذي
لا اله هو يفعل ما يريد اللهم انت الله لا اله الا انت الغني ونحن الفقرا
انزل علينا الغيث واجعل ما انزلت لنا قوة وبلاغا الى حين ثم رفع يديه
حتى بدا بياض ابطيه ثم حول الى الناس ظهره وقلب او حول رداه وهو رافع
يديه ثم اقبل على الناس ونزل فصلى ركعتين فانشا الله سحابا فرعد وبرقت
ثم امطرت باذن الله تعالى فلم يات مسجده حتى سالت السيول فلما راى
سرعتهم الى الكن ضحك حتى بدت نواجذه فقال اشهد ان الله على كل شي قدير و
اني عبد الله ورسوله وقد حكى ابن المنذر الاختلاف في وقتها والراجح انه

ومذا ضحك
تعجب از

لا وقت لها المعين وان كان اكثر احكامها كالعيد لكنها تخالفها بانها لا
تختص بيوم معين وهل تصنع بالليل استنبط بعضهم في كونه صلى الله
عليه وسلم جهر بالقراة فيها بالنهار انها نهارية كالعيد والا فلو كانت
تصلى بالليل لاسر فيها بالنهار وجهر بالليل كمطلق النوافل ونقل ابن قدامة
الاجماع على انها لا تصلى في وقت الكراهة وافاد ابن حبان ان خروجه صلى
الله عليه وسلم الى المصلى للاستسقا كان في شهر رمضان سنه ست
من الهجرة وذكر الواقدي ان طول ردايه صلى الله عليه وسلم كان ستة
اذرع في ثلاثة اذرع وطول ازاره اربعة اذرع وشبرين في ذراعين
وشبر كان يلبسها في الجمعة والعيدين وقد روى ابو داود عن عباد
استسقى صلى الله عليه وسلم وعليه خميصة سودا فاراد ان ياخذ باسفلها
سفلها فجعله اعلاها فلما ثقلت عليه قلبها على عاتقه وقد
استحب الشافعي في الجديد فعل ما هم به صلى الله عليه وسلم
من تنكيس الردا مع التحويل الموصوف وزعم القرطبي تبعا لغيره
ان الشافعي اختار في الجديد تنكيس الردا لا تحويله والذي في الام ما
ذكرته والجمهور على استحباب التحويل فقط ولا ريب ان الذي استحبه
الشافعي احوط وعن ابي حنيفة وبعض المالكية لا يستحب شي من ذلك
واستحب الجمهور ان يحول الناس بتحويل الامام ويشهد له ما رواه
احمد من طريق اخرى عن عباد في هذا الحديث بلفظ وحول الناس
معه وقال الليث وابو يوسف يحول الامام وحده واستثنى ابن
الماجشون النسا فقال لا يستحب في حقهن واختلف في حكمة هذا
التحويل فجزم المهلب بانه للتفاول بتحويل الحال عما هي عليه وتعقبه
ابن العربي بان من شرط الفال ان لا يقصد اليه قال وانما التحويل امارة
بينه وبين ربه قيل له حول رداك ليتحول حالك وتعقب بان الذي جزم
به يحتاج الى نقل والذي رده ورد فيه حديث رجاله ثقات اخرجه
الدارقطني والحاكم من طريق جعفر بن محمد بن علي عن ابيه عن جابر ورجح
الدارقطني ارساله وعلى كل حال فهو اولى من القول بالظن واستدل
بقوله في حديث عايشة ثم صلى ركعتين بعد قوله فقعد على المنبر على ان
الخطبة في الاستسقا قبل الصلاة وهو مقتضى حديث ابن عباس لكن
وقع عند احمد في حديث عبد الله ابن زيد التصريح بانه بدا بالصلاة

قبل

قبل الخطبة وكذا في حديث ابي هريرة عند ابن ماجة حيث قال فصلى
بنا ركعتين بغير اذان ولا اقامة والمرجح عند الشافعية والمالكية
الثاني ولم يقع في شي من طرق حديث عبد الله ابن زيد صفة الصلاة
المذكورة ولا ما يقرا فيها وقد اخرج الدارقطني من حديث ابن عباس
انه يكبر فيهما سبعا وخمسا كالعيد وانه يقرا فيهما بسبح وهل اتاك
وفي اسناده مقال لكن اصله في السنن بلفظ ثم صلى ركعتين كما يصلي
في العيدين فاخذ بظاهره الشافعي فقال يكبر فيهما الثاني استسقاؤه
عليه الصلاة والسلام في خطبة الجمعة عن انس ان رجلا دخل
المسجد يوم جمعة من باب كان نحو دار القضا ورسول الله صلى الله
عليه وسلم قايم يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
قايما ثم قال يا رسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله
يغيثنا قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم
اغثنا اللهم اغثنا قال انس ولا والله ما نرى في السما من سحاب ولا قزعة
وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار قال فطلعت من ورايه سحابة
مثل الترس فلما توسطت السما انتشرت ثم امطرت قال فلا والله
ما راينا الشمس ستا قال ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة
المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قايم يخطب فاستقبله
قايما فقال يا رسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع
الله يمسكها عنا قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه
ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الاكام والظراب وبطون
الاودية ومنابت الشجر قال فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس قال شريك
فسالت انس ابن مالك اهو الرجل الاول قال لا ادري رواه مسلم
وفي رواية له قال فما يشير بيده الى ناحية الا انفرجت حتى رايت المدينة
في مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهرا ولم يجي احد من ناحية الا
اخبر بجود وقوله يغيثنا بفتح اوله يقال غاث الله البلاد يغيثها اذا
ارسل عليها المطر وقوله من باب كان نحو دار القضا هي دار عمر
بن الخطاب وسميت بذلك لانها بيعت في قضا دينه وقوله هلكت
الاموال وفي رواية كريمة وابي ذر عن الكشميهني المواشي وهو المراد
بالاموال هنا وفي رواية البخاري هلك الكراع بضم الكاف وهو يطلق

قناة بدل عن الراد

على الخيل وغيرها وفى البخارى ايضا هلكت الماشية هلكت العيال هلك
الناس وهو من ذكر العام بعد الخاص والمراد بهلاكهم عدم وجود ما
يعيشون به من الاقوات المفقودة بحبس المطر وانقطعت السبل لان
الابل ضعفت لقلة القوت عن السفر ولكونها لا تجد فى طريقها من
الكلا ما يقيم أوَدَها والاكام بكسر الهمزة وقد تفتح وتمد جمع اكمة وهى
بفتحات التراب المجتمع وقيل الجبل الصغير وقيل ما ارتفع من الارض
والظراب بكسر المعجمة جمع ظرب بكسر الرا الجبل المنبسط ليس بالعالى وقوله
مثل الجوبة بفتح الجيم وسكون الواو وفتح الموحدة هى الحفرة المستديرة
الواسعة والمراد بها هنا الفرجة فى السحاب والجود المطر الغزير وقوله
قناة شهرا اى جرى فيه المطر من الماء شهرا وفى هذا دليل على عظم معجزة
عليه السلام وهو ان سخرت السحاب له كلما اشار اليها امتثلت بالاشارة
دون كلام لان كلامه عليه السلام مناجات للحق تعالى واما السحاب
فبالاشارة فلولا الامر لها بالطاعة له عليه السلام لما كان ذلك
لانها ايضا كما جاء مامورة حيث تسير وقد ما تقيم وابن يقيم ويرحم

الله الشقراطسي

فلقد احسن حيث قال

دعوت للخلق عام المحل مبتهلا	افديك من داع ومبتهل
صعدت كفيك او كيف الغمام فما	صوبت الا بصوب الواكف الهطل
اراق بالارض سحا صوب ديمته	فحل بالروض نسج رايق الحلل
اجال زهرا من النور حلت روض ارضهم	زهرا من النور صافى النبت مكتمل
من كل غصن نضير مورق خضر	وكل نور نضيد مونق خضل
تحيه احيت الاحيا من مضر	بعد المضرة تروى السبل بالسبل
دامت على الارض سبعا غير مقلعة	لولا دعاوك بالاقلاع لم تزل

وقوله فى الحديث سبتا اى من السبت الى السبت وقوله ثم دخل رجل الظاهر انه
غير الاول لان النكرة اذا تكررت دلت على التعدد وفى رواية ابن اسحاق
فقام ذلك الرجل اوغيره وفى رواية فتقشعت عن المدينة فجعلت تمطر حو
اليها وما تمطر بالمدينة قطرة فنظرت الى المدينة وانها لفى مثل الاكليل
وهو بكسر الهمزة وسكون الكاف كل شى دار من جوانبه واشتهر لما يوضع
على الراس فيحيط بها وهو من ملابس الملوك كالتاج وفى رواية له ايضا

جمع انور

اى المالسايل

اى الخلق

اى تكرر

قال

قال الف الله بين السحاب ومكثنا حتى رايت الرجل الشديد تهمه نفسه ان ياتى
اهله وفى رواية له ايضا فرايت السحاب يتمزق كانه الملاحين تطوى والملاحف
اليم والفضر وقد تمد جمع ملاة وهو ثوب معروف واستدل بهذا
الحديث على جواز الاستسقا بغير صلاة مخصوصة وعلى ان الاستسقا
ليس فيه صلاة فاما الاول فقال به الشافعى واما الثانى فقال به ابو حنيفة
وتعقب بان الذى وقع فى هذه القصة مجرد دعا لا ينافى مشروعية الصلاة
لها وقد ثبتت فى واقعة اخرى والله اعلم الثالث استسقاؤه صلى الله عليه
وسلم على منبر المدينة روى البيهقى فى الدلايل من طريق يزيد بن عبيد
السلمى قال لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك اتاه وفد
بنى فزاره بضعة عشر رجلا وفيهم خارجة بن حصن والحر بن قيس وهو
اصغرهم فنزلوا فى دار رملة بنت الحارث من الانصار وقدموا على ابل
عجاف وهم مسنتون فاتوا مقرين بالاسلام فسالهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن بلادهم فقالوا يا رسول الله اسنتت بلادنا واجدب جنابنا
وعريت عيالنا وهلكت مواشينا فادع ربك ان يغيثنا وتشفع لنا الى ربك
ويشفع ربك اليك فقال صلى الله عليه وسلم سبحان الله ويلك انا شفعت
الى ربى فمن ذا الذى يشفع ربنا اليه لا اله الا هو العظيم وسع كرسيه
السموات والارض وهو يئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليضحك من شغفكم وقرب
غيائكم فقال الاعرابى او يضحك ربنا يا رسول الله قال نعم فقال الاعرابى
لن نعدم يا رسول الله من رب يضحك خيرا فضحك رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قوله فقام صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر وتكلم
بكلمات ورفع يديه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرفع يديه
فى شى من الدعا الا فى الاستسقا فرفع يديه حتى رؤى بياض ابطه وكان
مما حفظ من دعايه اللهم اسق بلدك وبهيمتك وانشر رحمتك واحيى
بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريا مريعا طبقا واسعا عاجلا غير
اجل نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق
ولا محق اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الاعداء فقام ابو لبابة
ابن عبد المنذر فقال يا رسول الله التمر فى المرابد فقال صلى الله عليه
وسلم اللهم اسقنا فقال ابو لبابة ان التمر فى المرابد ثلاث مرات

اى نفعت انسكم

تعد الحصر ابس على طاهر بلغ البا

وهذا امراس

وهذا انصارى

فقال عليه السلام اللهم اسقنا حتى يقوم ابو لبابة عريانا يسد ثعلب
مربده بازاره قال فلا والله ما فى السما من قزعة ولا سحاب وما بين سلع
والمسجد من بناء ولا دار فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس
فلما توسطت السما انتشرت وهم ينظرون ثم امطرت فوالله ما راوا الشمس
سبتا وقام ابو لبابة عريانا ليسد ثعلب مربده بازاره لئلا يخرج التمر منه
فقال الرجل يا رسول الله يعنى الذى ساله ان يستسقى لهم هلكت الاموال
وانقطعت السبل فصعد صلى الله عليه وسلم المنبر فدعا ورفع يديه
مدا حتى بياض ابطيه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا على الاكام والظراب
وبطون الاودية ومنابت الشجر فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب
الثوب والاطيط صوت الاقتاب يعنى ان الكرسى ليعجز عن حمله وعظمته
اذ كان معلوما ان اطيط الرحل بالراكب انما يكون لقوة ما فوقه
وعجزه عن احتماله وهذا مثل لعظمته تعالى وجلاله وان لم يكن اطيط
وانما هو كلام تقريب اريد به تقرير عظمة الله تعالى وقوله طبقا بفتح
الطاء والموحدة اى مالئا للارض مغطيا لها يقال غيث طبق اى عام واسع
والمربد موضع يجفف فيه التمر وثعلبه ثقبه الذى يسيل منه ما
المطر وعن انس ابن مالك جاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اتيناك وما صبى يغط ولا بعير يئط اى ما لنا بعير
اصلا لان البعير لا بد ان يئط وانشد

اتيناك والعذرا يدمى لبانها	وقد شغلت ام الصبى عن الطفل
والقى بكفيه الفتى لاستكانة	من الجوع ضعفا ما يمر ولا يحلى
ولا شئ مما ياكل الناس عندنا	سوى الحنظل العامى والعلهز الفسل
وليس لنا الا اليك فرارنا	واين فرار الناس الا الى الرسل

اى لايعرف بين المر والحلو او لكبير واليه

فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى
السما ثم قال اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريعا غدقا طبقا نافعا غير ضار
عاجلا غير رايث تملا به الضرع وتنبت به الزرع وتحيى الارض بعد
موتها قال فما رد صلى الله عليه وسلم يديه الى نحره حتى التقت السماء
بابراقها وجا اهل البطانة يضجون الغرق فقال عليه السلام حوالينا
ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة حتى احدق بها كالاكليل
وضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در ابى طالب

لوكان

لوكان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال على يا رسول كانك تريد

المثال قوله

وابيض يستسقى الغمام بوجهه	ثمال اليتامى عصمة للارامل
يطوف به الهلاك من ال هاشم	فهم عنده فى نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله نبذى محمدا	ولما نطاعن حوله ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله	ونذهل عن ابنائنا والحلائل

فقال اجل رواه البيهقى وقوله تدمى لبانها اى يدمى صدرها لامتهانها
نفسها فى الخدمة حيث لا تجد ما تعطيه من يخدمها من الجدب وشدة
الزمان واصل اللبان من الفرس موضع اللبب ثم استعير وقوله ما يمر وما
يحلى اى ما ينطق بخير ولا شر من الجوع والضعف وقوله سوى الحنظل
العامى نسبة الى العام لانه يتخذ من عام الجدب كما قالوا للجدب
السنة والعلهز بالكسر طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير
فى سنى المجاعة قاله الجوهرى والفسل الرذل قال السهيلى فان قلت
كيف قال ابو طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه ولم يره قط استسقى
وانما كان ذلك منه بعد الهجرة واجاب بما حاصله ان ابا طالب اشار
الى ما وقع فى زمن عبد المطلب حيث استسقى لقريش والنبى صلى الله عليه وسلم
معه وهو غلام انتهى وقال الحافظ ابن حجر ويحتمل ان يكون ابو طالب
مدحه بذلك لما راى من مخايل ذلك فيه وان لم يشاهد ذلك انتهى
قلت وقد اخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال قدمت مكة وهم
فى قحط فقالت قريش يا ابا طالب اقحط الوادى واجدب العيال فهلم
فاستسق فخرج ابو طالب ومعه غلام كانه شمس دجن تجلت عنه سحابة
قتما وحوله اغيلمة فاخذه ابو طالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام
وما فى السما قزعة فاقبل السحاب من ههنا وههنا واغدق واغدودق
وانفجر له الوادى واخصب النادى والبادى وفى ذلك يقول ابو طالب
وابيض يستسقى الغمام بوجهه انتهى العرابع استسقاؤه صلى الله عليه
وسلم بالدعا من غير صلاة عن ابن مسعود ان قريشا ابطوا عن
الاسلام فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذتهم سنة
حتى هلكوا فيها واكلوا الميتة والعظام فجاءه ابو سفيان فقال يا محمد جئت
تامر بصلة الرحم فان قومك هلكوا فادع الله فعرا[2] فارتقب يوم تاتى

[2] اى ابن مسعود

السما بدخان مبين ثم عادوا الى كفرهم فذلك قوله يوم نبطش البطشة
الكبرى يوم بدر وذا داسباط عن منصور وقد عا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسقوا الغيث فاطبقت عليهم سبعا وشكا الناس كثرة المطر
فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة عن راسه فسقوا
الناس حولهم رواه البخارى وافاد الدمياطى ان ابتدا الدعا على قريش كان
عقب طرحهم على ظهره سلا الجزور وكان ذلك بمكة قبل الهجرة وقد ثبت
دعا النبى صلى الله عليه وسلم بذلك بالمدينة فى القنوت كما فى حديث
ابى هريرة عند البخارى ولا يلزم من ذلك اتحاد هذه القصص اذ لا
مانع ان يدعو بذلك عليهم مرارا والظاهر ان مجى ابى سفيان كان قبل
الهجرة لقول ابن مسعود ثم عادوا فذلك قوله يوم نبطش البطشة الكبرى
يوم بدر ولم ينقل ان ابا سفيان قدم المدينة قبل بدر وعلى هذا
فيحتمل ان يكون ابو طالب كان حاضرا ذلك فلذلك قال وابيض يستسقى
الغمام بوجهه لكن ورد ما يدل على ان القصة وقعت بالمدينة فان
لم يحمل على التعدد والا فهو مشكل وفى الدلايل للبيهقى عن كعب بن
مرة او مرة بن كعب قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر فا
تاه ابو سفيان فقال ادع الله لقومك قد هلكوا وقد رواه احمد وابن
ماجه عن كعب بن مرة ولم يشك فابهم ابا سفيان قال جاء رجل
فقال استسق الله لمضر قال يا رسول الله استنصرت الله فنصرك
ودعوت الله فاجابك فرفع يديه فقال اللهم اسقنا غيثا مغيثا
الحديث فظهر ان هذا الرجل المبهم المقول له انك لجرى هو ابو سفيان
لكن يظهر ان فاعل قال يا رسول الله استنصرت الله انى اخره هو كعب
ابن مرة راوى هذا الحديث لما اخرجه احمد والحاكم عن ابى ابن كعب قال
دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر فاتيته فقلت يا رسول
ان الله قد نصرك واعطاك واستجاب لك وان قومك قد هلكوا وعلى
هذا فكان ابا سفيان وكعبا حضرا جميعا فكلمه ابو سفيان بشى وكعب
بشى فدل ذلك على اتحاد قصتهما وقد ثبت فى هذه ما ثبت فى تلك من قوله
انك لجرى ومن قوله اللهم حوالينا ولا علينا وسياق كعب ابن مرة يشعر بان
ذلك وقع بالمدينة لقوله استنصرت الله فنصرك ولا يلزم من هذا اتحاد
هذه القصة مع قصة انس السابقة فهى واقعة اخرى لان فى رواية

انس

انس فلم ينزل عن المنبر حتى مطروا وفى هذه فما كان الا جمعة او نحوها حتى مطروا و
السايل فى هذه القصة غير السايل فى تلك فهما قصتان وقع فى كل منهما طلب الدعا
بالاستسقا ثم طلب الدعا بالاستصحا وان ثبت ان كعب بن مرة اسلم قبل الهجرة
حمل قوله استنصرت الله فنصرك على النصر باجابة دعايه عليهم وزال الاشكال
المتقدم والله اعلم انتهى ملخصا من فتح البارى الخامس استسقاوه صلى الله عليه وسلم
عند احجار الزيت قريبا من الزوراء وهى خارج باب المسجد الذى يدعى باب السلام
نحو قذفة بحجر ينعطف على يمين الخارج عن عمير مولى ابى اللحم انه راى النبى صلى الله
عليه وسلم يستسقى رافعا يديه قبل وجهه لا يجاوز بهما راسه رواه ابو دا
ود والترمذى السادس استسقاوه صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته لما سبقه
المشركون الى الماء فاصاب المسلمين العطش فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال بعض المنافقين لو كان نبيا لاستسقى لقومه كما استسقى موسى لقومه
فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال او قد قالوها عسى ربكم ان يسقيكم
ثم بسط يديه ودعا فما رد يديه من دعايه حتى اظلم السحاب وامطر والى
ان سال الوادى فشرب الناس وارتووا فصل عن سالم بن عبد الله عن ابيه
مرفوعا انه كان اذا استسقى قال اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين
اللهم ان بالعباد والبلاد والبهايم والخلق من اللاوا والجهد والضنك
ما لا نشكو الا اليك اللهم انبت لنا الزرع وادر لنا الضرع واسقنا من
بركات السما وانبت لنا من بركات الارض اللهم ارفع عنا الجهد والجوع والعرى
واكشف عنا من البلا ما لا يكشفه غيرك اللهم انا نستغفرك انك كنت غفارا
فارسل السما علينا مدرارا رواه الشافعى فصل روى ابو الجوزا قال قحط
اهل المدينة قحطا شديدا فشكوا الى عايشة رضى فقالت انظروا قبر النبى
صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوى الى السما حتى لا يكون بينه وبين السما
سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم
فسمى عام الفتق وروى ابن ابى شيبة باسناد صحيح من رواية ابى صالح السمان
عن مالك الدارى قال اصاب الناس قحط فى زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل
الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله استسق لامتك فانهم قد
هلكوا فاتى الرجل فى المنام فقيل له ائت عمر وفى رواية عبد الرزاق ان عمر
استسقى بالمصلى فقال للعباس قم فاستسق وذكر الزبير بن بكار ان عمر
بن الخطاب استسقى بالعباس عام الرمادة بفتح الراء وتخفيف الميم وسمى به

وهو المحل الذى فيه
باع اللحم الان

لما حصل من شدة الجدب فاغبرت الارض جدا من عدم المطر وذكر ابن عساكر في كتاب الاستسقا ان العباس لما استسقى ذلك اليوم قال اللهم عنده سحابا فانتشر السحاب ثم انزل منه الما ثم انزله علينا واشدد به الاصل واطل به الفرع وادر به الضرع اللهم ثم شفعنا اليك عمن لا منطق له من بهايمنا وانعامنا اللهم اسقنا سقيا وادعة بالغة طبقا اللهم لا نرغب الا اليك وحدك لا شريك لك اللهم نشكوا اليك سغب كل ساغب وعدم كل عادم وجوع كل جايع وعدى كل عار وخوف كل خايف وفي رواية الزبير بن بكار ان العباس لما استسقى به عمر قال اللهم انه لا ينزل بلا الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه بي القوم اليك لمكاني من نبيك وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبة فاسقنا الغيث فارخت السما مثل الجبال حتى اخصبت الارض وعاش الناس وعنه ايضا قحط الناس فقال عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا ايها الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس قد تخذوه وسيلة الى الله وفيه فما برحوا حتى سقوا وفي ذلك يقول العباس بن عتبة بن ابي لهب

بعمي سقى الله الحجاز واهله	عشية يستسقي بشيبته عمر
توجه بالعباس في الجدب راغبا	اليه فما ان رام حتى اتى المطر
ومنا رسول الله فينا تراثه	فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر

القسم الثالث في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم في السفر وفيه فصول الاول في قصره صلى الله عليه وسلم الصلاة فيه واحكامه وفيه فرعان الاول في كم كان عليه الصلاة والسلام يقصر الصلاة تقدم هل القصر رخصة او عزيمة وما استدل به لكل من القولين في اوايل هذا المقصد وعن انس بن مالك قال صليت الظهر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اربعا خرج يريد مكة فصلى بذي الحليفة العصر ركعتين رواه البخاري ومسلم وهذا الحديث مما احتج به اهل الظاهر في جواز القصر في طويل السفر وقصيره فان بين المدينة وذا الحليفة ستة اميال ويقال سبعة وقال الجمهور لا يجوز القصر الا في سفر يبلغ مرحلتين وقال ابو حنيفة وطايفة شرطه ثلاث مراحل واعتمدوا في ذلك اثارا عن الصحابة واما هذا الحديث فلا دلالة فيه لاهل الظاهر لان المراد انه صلى الله عليه وسلم حين سافر الى مكة في حجة الوداع صلى الظهر بالمدينة اربعا ثم سافر فادركته العصر

وهو مسافر بذي الحليفة فصلاها ركعتين وليس المراد ان ذي الحليفة غاية سفره فلا دلالة فيه قطعا والاحاديث المطلقة مع ظاهر القران متعاضدان على جواز القصر من حين يخرج من البلد فانه حينيذ يسمى مسافرا وطويل السفر ثمانية واربعون ميلا هاشمية وهي ستة عشر فرسخا وهي اربعة برد والميل من الارض منتهى مد البصر لان البصر يميل عنه على وجه الارض حتى يفنى ادراكه وبذلك جزم الجوهري وقيل حده ان ينظر الى الشخص في ارض مسطحة فلا يدري اهو رجل ام امراة وهو ذاهب او اتى قال النووي الميل ستة الاف ذراع والذراع اربعة وعشرون اصبعا معترضة وقد حرره غيره بذراع الحديد المستعمل الان بمصر والحجاز في هذه الاعصار فوجد ينقص عن ذراع الحديد بقدر الثمن فعلى هذا فالميل بذراع الحديد خمسة الاف ذراع ومايتان وخمسون ذراعا وهذه فايدة جليلة قل من تنبه لها وروى البيهقي عن عطا ابن ان عمر وابن عباس كانا يصليان ركعتين اي يقصران في اربعة برد فما فوقها وذكره البخاري في صحيحه تعليقا بصيغة الجزم ورواه بعضهم عن صحيح ابن خزيمة مرفوعا من رواية ابن عباس وقد كان فرض الصلاة ركعتين ركعتين فلما هاجر عليه الصلاة والسلام فرضت اربعا رواه البخاري من حديث عايشة لكن يعارضه حديث ابن عباس فرضت الصلاة في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين رواه مسلم وجمع بينهما بما يطول ذكره ثم بعد ان استقر فرض الرباعية خفف منها في السفر عند نزول قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ويويده ما ذكره ابن الاثير في شرح المسند ان قصر الصلاة كان في السنة الرابعة من الهجرة وقيل كان قصر الصلاة في ربيع الاخر من السنة الثانية ذكره الدولابي وقيل بعد الهجرة باربعين يوما الفرع الثاني في القصر مع الاقامة عن انس قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة وكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا الى المدينة قيل له اقمتم بمكة شيا قال اقمنا بها عشرا رواه البخاري ومسلم مختصرا قال اقمنا مع النبي صلى الله عليه وسلم عشرا نقصر الصلاة وعن ابن عباس اقام النبي صلى الله عليه وسلم تسعة عشر يقصر الصلاة فنحن اذا سافرنا تسعة عشر قصرنا واذا زدنا اتممنا رواه البخاري وفي رواية ابي داود انه صلى الله عليه وسلم اقام سبعة عشر بمكة يقصر الصلاة قال ابن عباس فلو اقام اكثر اتم والرواية

الاولى بتقديم التاء على السين والثانية بتقديم السين على الموحدة ولابى
داود من حديث عمران بن حصين غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح
فاقام بمكة ثمانى عشرة ليلة لا يصلى الا ركعتين وله من طريق ابن اسحاق
عن الزهرى عن عبيد الله عن ابن عباس اقام صلى الله عليه وسلم بمكة عام
الفتح خمسة عشر يوما يقصر الصلاة وجمع البيهقى بين هذا الاختلاف
من قال تسع عشرة عد يومى الدخول والخروج ومن قال سبعة عشر حذ
فهما واما رواية خمس عشرة فضعفها النووى فى الخلاصة وليس بجيد لان
رواتها ثقاة ولم ينفرد بها ابن اسحاق فقد اخرجها النساى من رواية عراك
بن مالك عن عبيد الله كذلك فاذا ثبت انها صحيحة فليحمل على ان الراوى
ظن ان رواية الاصل سبع عشرة فحذف منها يومى الدخول والخروج
فذكر انها خمس عشرة واقتضى ذلك ان رواية تسع عشرة ارجح الروايات
واخذ الشافعى بحديثه عمران بن الحصين لكن محله عنده فيمن لم يزمع الاقامة
فانه اذا مضت عليه المدة المذكورة وجب عليه الاتمام فان ان مع الاقامة
فى اول الحال على اربعة ايام على خلاف بين الصحابة فى دخول يومى الدخول
والخروج فيها ولا معارضة بين حديث ابن عباس وحديث انس لان
حديث ابن عباس كان فى فتح مكة وحديث انس كان فى حجة الوداع وفى
حديث ابن عباس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه يعنى
مكة لصبح رابعة ولا شك انه خرج من مكة صبح الرابع عشر فتكون مدة اى ليلة رابعة
الاقامة وضواحيها عشرة ايام بلياليها كما قال انس ويكون مدة
اقامته اربعة ايام سواء لانه قدم فى اليوم الرابع وخرج منها فى اليوم
الثامن فصلى الظهر فى منى ومن ثم قال الشافعى ان المسافر اذا اقام ببلدة
قصر اربعة ايام فالمدة التى فى حديث ابن عباس موضع الاستدلال بها
على من لم ينو الاقامة بل كان مترددا متى تهيا له فراغ حاجته يرحل والتى
التى فى حديث انس يستدل بها على من نوى الاقامة لانه صلى الله عليه
وسلم فى ايام الحج كان جازما بالاقامة تلك المدة ووجه الدلالة من حديث
ابن عباس لما كان الاصل فى المقيم الاتمام فلما لم يجئ عنه صلى الله وسلم انه
اقام فى حال السفر اكثر من تلك المدة جعلها غاية للقصر والله اعلم الفصل
الثانى وفيه فرعان ايضا الاول فى جمعه صلى الله عليه وسلم عن انس
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ارتحل قبل ان تزيغ الشمس

واخر الظهر الى وقت العصر ثم نزل فجمع بينهما فلو زاغت الشمس قبل ان يرتحل
صلى الظهر ثم ركب وفى رواية انه كان اذا اراد ان يجمع بين صلاتين فى السفر
اخر الظهر حتى يدخل اول وقت العصر وفى اخرى كان اذا عجل عليه السير
يؤخر الظهر الى اول وقت العصر فيجمع بينهما ويؤخر المغرب حتى يجمع بينها
وبين العشا رواه البخارى ومسلم وابو داود وفى رواية للبخارى
كان يجمع بين هاتين الصلاتين فى السفر يعنى المغرب والعشا وفى حديث ابن
عباس كان صلى الله عليه وسلم يجمع بين صلاتى الظهر والعصر اذا كان
على ظهر سير ويجمع بين المغرب والعشاء رواه البخارى ولمسلم جمع بين
الصلاة فى سفرة سافرها فى غزوة تبوك فجمع بين الظهر والعصر والمغرب
والعشا وله ولمالك وابى داود والنساى انهم خرجوا معه صلى الله عليه
وسلم فى غزوة تبوك فكان عليه السلام يجمع بين الظهر والعصر
والمغرب والعشا فاخر الظهر يوما ثم خرج فصلى الظهر والعصر
جمعا ودخل ثم خرج فصلى المغرب والعشا جميعا وفى رواية ابى
داود والترمذى من حديث معاذ بن جبل كان فى غزوة تبوك اذا
زاغت الشمس قبل ان يرتحل جمع بين الظهر والعصر فان رحل قبل ان
تزيغ الشمس اخر الظهر حتى ينزل للعصر وفى المغرب مثل ذلك ان غابت
الشمس قبل ان يرتحل جمع بين المغرب والعشا وان لم يرتحل قبل ان تغيب
الشمس اخر المغرب حتى ينزل للعشا ثم يجمع بينهما الفرع الثانى فى جمعه
صلى الله عليه وسلم بجمع ومزدلفة عن ابن عمر انه صلى الله عليه
وسلم صلى المغرب والعشا بمزدلفة جمعا رواه البخارى ومسلم و
مالك وابو داود وزاد البخارى فى رواية كل واحدة منهما باقامة
ولم يسبح بينهما ولمسلم جمع بين المغرب والعشا بالمزدلفة بجمع وصلى
المغرب ثلاث ركعات وصلى ركعتين وفى حديث ابى ايوب الانصارى
عند البخارى ومسلم جمع فى حجة الوداع بين المغرب والعشا
فى المزدلفة وفى رواية ابن عباس عند النساى صلى فى المغرب
والعشا باقامة واحدة وفى رواية جعفر بن محمد عن ابيه عند
ابى داود صلى الظهر والعصر باذان واحد بعرفة ولم يسبح بينهما
واقامتين وصلى المغرب والعشا بجمع باذان واحد واقامتين ولم
يسبح بينهما الفصل الثالث فى ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم

ولم يسبح بينهما واقامتين وصلى المغرب
والعشا بجمع باذان واحد واقامتين ولم
يسبح بينهما

النوافل في السفر عن ابن عمر قال سافرت مع النبي صلى الله عليه وسلم
وابي بكر وعمر وعثمان فكانوا يصلون الظهر والعصر ركعتين ركعتين
ولا يصلي قبلهما ولا بعدهما وقال ابن عمر لو كنت مصليا قبلهما او بعد
هما لاتممتهما رواه الترمذي وفي رواية صحبت النبي صلى الله عليه وسلم
فلم اره يسبح في السفر اي يتنفل للرواتب التي قبل الفرايض وبعدها وهو
مستفاد من قوله في الرواية الاخرى فكان لا يزيد في السفر على ركعتين
قال ابن دقيق العيد وهذا اللفظ يحتمل ان يريد لا يزيد على ركعات عدد
الفرض فيكون كناية عن نفي الاتمام والمراد به الاخبار عن المداومة على
القصر ويحتمل ان يريد لا يزيد نفلا ويمكن ان يريد ما هو اعم من ذلك وفي
رواية مسلم صحبت ابن عمر في طريق مكة فصلى لنا الظهر ركعتين ثم
اقبل واقبلنا معه حتى جاء رحله فجلس وجلسنا معه فحانت منه
التفاتة فرأى ناسا قياما فقال ما يصنع هولاء قلت يسبحون قال لو كنت
مسبحا لاتممت قال النووي اجابوا عن قول ابن عمر هذا بان الفريضة
متحتمة فلو شرعت تامة لتحتم اتمامها واما النافلة فهو الى خيرة المصلي
فطريق الرفق به ان يكون مشروعة وتخير فيها انتهى وتعقب بان
مراد ابن عمر بقوله لو كنت مسبحا لاتممت يعني انه لو كان مخيرا بين الاتمام
وصلاة الراتبة لكان الاتمام احب اليه لكنه فهم من القصر التخفيف
فلذلك كان لا يصلي الراتبة ولا يتم وفي البخاري من حديث ابن عمر
كان صلى الله عليه وسلم يوتر على راحلته وبوب عليه باب الوتر في
السفر واشار به الى الرد على من قال انه لا يسن الوتر في السفر وهو
منقول عن الضحاك واما قول ابن عمر لو كنت مسبحا في السفر لاتممت
كما اخرجه مسلم فانما اراد به راتبة المكتوبة لا النافلة المقصودة
كالوتر وذلك بين من سياق الحديث المذكور عند الترمذي من وجه
اخر بلفظ لو كنت مصليا قبلهما او بعدهما لاتممت واما حديث عايشة
عند البخاري انه صلى الله عليه وسلم كان لا يدع اربعا قبل الظهر
وركعتان بعدها فليس بصريح في فعله ذلك في السفر ولعلها اخبرت
عن اكثر احواله وهو الاقامة والرجال اعلم لسفره من النسا واجاب
النووي تبعا لغيره بما لفظه لعل النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي
الرواتب في رحله ولا يراه ابن عمر ولعله تركها في بعض الاوقات

لبيان

لبيان الجواز انتهى وفي رواية الترمذي من حديث ابن عمر قال صليت مع النبي صلى الله عليه
وسلم الظهر في السفر ركعتين وبعدها ركعتين وفي رواية صليت معه في الحضر والسفر فصليت معه
في الحضر الظهر اربعا وبعدها ركعتين وصليت معه في السفر الظهر ركعتين وبعدها ركعتين
والعصر ركعتين ولم يصل بعدها شيئا والمغرب في الحضر والسفر سوا ثلاث ركعات لا تنقص في
سفر ولا حضر وهي وتر النهار وبعدها ركعتين وفي حديث ابي قتادة عند مسلم في قصة النوم
عن صلاة الصبح انه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين قبل الصبح ثم صلى الصبح كما كان يصلي وقول
صاحب الهدي انه لم يحفظ عنه صلى الله عليه وسلم انه صلى سنة صلاة قبلها ولا بعدها في السفر
الا ما كان من سنة الفجر يرد على الطلاقه ما قدمناه في رواية الترمذي من حديث ابن عمر وما
رواه ابو داود والترمذي من حديث البرا بن عازب قال سافرت مع النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية
عشر سفرا فلم اره ترك ركعتين اذا زاغت الشمس قبل الظهر وكانه لم يثبت عنده ذلك لكن الترمذي
استغربه ونقل عن البخاري انه راه حسنا وقد حمله بعض العلما على سنة الزوال لا على الراتبة قبل الظهر
الفصل الرابع في صلاته صلى الله عليه وسلم التطوع في السفر على الدابة عن ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي سبحته حيثما توجهت به ناقته وفي رواية يصلي وهو مقبل من مكة الى المدينة حيث كان وجهه
وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله وفي رواية رايته صلى الله عليه وسلم يصلي على حمار وهو موجه
الى خيبر وفي رواية انه كان يوتر على البعير رواه مسلم وقد اخذ بهذه الاحاديث فقهاء
الامصار في جواز التنفل على الراحلة في السفر حيث توجهت الا ان احمد وابا ثور كانا
يستحبان ان يستقبلا القبلة بالتكبير حال ابتدا الصلاة والحجة لذلك ما في حديث انس
عند ابي داود انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ان يتطوع في السفر استقبل بناقته
القبلة ثم صلى حيث توجهت ركابه وذهب الجمهور الى جواز التنفل على الدابة سوا كان السفر
طويلا او قصيرا الا مالكا فخصه بالسفر الطويل وحجته ان هذه الاحاديث انما وردت
في سفره صلى الله عليه وسلم ولم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه سافر سفرا قصيرا فصنع
ذلك وحجة الجمهور مطلق الاخبار في ذلك وقوله يصلي على حمار قال النووي قال الدارقطني
وغيره هذا غلط من عمرو بن يحيى المازني وانما المعروف في صلاته عليه الصلاة السلام على
راحلة او بعير والصواب ان الصلاة على الحمار من فعل انس كما ذكره مسلم ثم قال وفي تغليط
رواية نظر لانه ثقة نقل شيا محتملا فلعله كان الحمار مرة والبعير مرة او مرات لكن قد يقال
انه شاذ مخالف لرواية الجمهور والشاذ مردود انتهى وعن يعلى بن مرة عن ابيه عن جده انهم
كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير فانتهوا الى مضيق فحضرت الصلاة فمطرت السما من فوقهم
والبلة من اسفل منهم فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته فصلى بهم يومي ايماء
فجعل السجود اخفض من الركوع رواه الترمذي القسم الرابع في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم

صلاة الخوف عن جابر قال اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بذات الرقاع فاذا اتينا على شجرة ظليلة
تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة
فاخترطه فقال تخافني فقال لا فقال من يمنعك مني قال الله فهدده اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فغمد السيف
وعلقه فاقيمت الصلاة فصلى بطائفة ركعتين ثم تاخروا وصلى بالطائفة الاخرى ركعتين فكان للنبي صلى
الله عليه وسلم اربع ركعات وللقوم ركعتان رواه البخاري ومسلم ولمسلم فصففنا صفين خلف رسول الله صلى
الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم
رفع راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان موخرا في
الركعة الاولى فقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف
الذي يليه انحدر الصف الموخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا ولمسلم
والبخاري ايضا من حديث يزيد ابن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى معه صلى الله عليه وسلم يوم ذات
الرقاع صلاة الخوف ان طائفة صفت معه وجاءه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائما واتموا
لانفسهم ثم انصرفوا فصفوا وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت
جالسا واتموا لانفسهم ثم سلم بهم قال مالك وذلك احسن ما سمعت في صلاة الخوف وما ذهب اليه
مالك من ترجيح هذه الكيفية وافقه الشافعي واحمد على ترجيحها لسلامتها من كثرة المخالفة ولكونها
احوط لامر الحرب وعن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فو
ازينا العدو فصاففنا لهم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي لنا فقامت طائفة معه واقبلت
طائفة على العدو وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وسجد سجدتين ثم انصرفوا مكان الطائفة التي لم
تصل فجاؤا فركع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ركعة وسجد سجدتين ثم سلم فقام كل واحد منهم يركع لنفسه ركعة وسجد
سجدتين وفي حديث جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالناس صلاة الظهر في الخوف ببطن نخل فصلى بطائفة ركعتين ثم
سلم ثم جاءت طائفة اخرى فصلى بهم ركعتين ثم سلم رواه البغوي في شرح السنة وعنه انه صلى الله عليه وسلم نزل بين ضجنان وعسفان
فقال المشركون لهولاء صلاة هي احب اليهم من ابائهم وابنائهم وامهاتهم وهي العصر فاجمعوا امركم فتميلوا عليهم ميلة واحدة وان
جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فامره ان يقسم اصحابه شطرين فيصلي بهم وتقوم طائفة اخرى وراءهم وليأخذوا حذرهم واسلحتهم
فتكون لهم ركعة ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان رواه الترمذي والنسائي قال ابن حزم وقد صح فيها اعني صلاة الخوف اربعة
عشر وجها وبينها في جزء مفرد وقال ابن العربي في القبس جاء فيها روايات كثيرة اصحها ستة عشر رواية مختلفة ولم يبينها
ايضا وقد بينها الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي وزاد وجها اخر فصارت سبعة عشر وجها لكن يمكن ان تتداخل وقال
الهدي اصولها ست صفات وبلغها بعضهم اكثر وهولاء كلما راوا اختلاف الرواة في قصة جعلوا ذلك وجوها من فعله صلى الله عليه وسلم وانما
هو من اختلاف الرواة انتهى وهذا هو المعتمد واليه اشار الحافظ العراقي بقوله يمكن تداخلها وقد حكى ابن القصار المالكي ان النبي
صلى الله عليه وسلم صلاها عشر مرات وقال ابن العربي صلاها اربعا وعشرين وقال الخطابي صلاها صلى الله عليه وسلم في ايام مختلفة باشكال متباينة يتحرى
فيها ما هو الاحوط للصلاة والابلغ للحراسة على اختلاف صورها متفقة المعنى انتهى وفي كتب الفقه تفاصيلها كثيرة وفروع

ذكرها حكاه في فتح الباري **القسم الخامس** في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم
على الجنازة وفيه فروع اربعة الاول في عدد التكبيرات عن ابي هريرة انه صلى الله
عليه وسلم نعى النجاشي اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الى المصلى فصف بهم
وكبر عليه اربع تكبيرات رواه البخاري ومسلم وعند الترمذي من حديث ابي
هريرة انه صلى الله عليه وسلم كبر على جنازة فرفع يديه مع اول تكبيرة ووضع
اليمنى على اليسرى • الفرع الثاني في القراءة والدعاء نقل ابن المنذر عن ابي مسعود
والحسن بن علي وابن الزبير والمسور بن مخرمة مشروعية قراءة الفاتحة في صلاة
الجنازة وبه قال الشافعي واحمد واسحق ونقل عن ابي هريرة وابن عمر ليس فيها
قراءة وهو قول مالك والكوفيين • وروى عبد الرزاق والنسائي باسناد صحيح
عن ابي امامة بن سهل بن حنيف قال السنة في الصلاة على الجنازة ان يكبر ثم يقرأ بام
القرآن ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخلص الدعاء للميت ولا يقرأ الا في الاولى
وفي البخاري عن سعد عن طلحة قال صليت خلف ابن عباس على جنازة فقرأ فاتحة
الكتاب وقال لتعلموا انها سنة وليس فيها بيان محل قراءة الفاتحة وقد وقع التصريح
بذلك في حديث جابر عند الشافعي بلفظ وقرأ بام القرآن بعد التكبير الاولى كما ذكره
الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي • وعن ابن عباس قال صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم على جنازة فقرأ بفاتحة الكتاب رواه الترمذي وقال لا يصح هذا
والصحيح عن ابن عباس قوله من السنة وهذا مصير منه الى الفرق بين الصيغتين ولعله
اراد الفرق بالنسبة الى الصراحة والاحتمال • وعن عوف بن مالك قال صلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظنا من دعائه اللهم اغفر له وارحمه وعافه
واعف عنه واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من
الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله
وزوجا خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار
قال عوف حتى تمنيت ان اكون ذلك الميت لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
رواه مسلم **وعن واثلة** بن الاسقع قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على
رجل من المسلمين فسمعته يقول اللهم ان فلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك
فقه من فتنة القبر وعذاب النار وانت اهل الوفاء والحق اللهم اغفر له وارحمه
انك انت الغفور الرحيم رواه ابو داود • وعن ابي هريرة قال كان صلى الله عليه
وسلم اذا صلى على الجنازة قال اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا
وكبيرنا وذكرنا وانثانا اللهم من احييته منا فاحيه على الاسلام ومن توفيته منا

فتوفه على الايمان اللهم لاتحرمنا اجره ولاتفتنا بعده رواه احمد وابوداود والترمذى
وعنه سمعته صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انت ربها وانت خلقتها هديتها الى
الاسلام قبضت روحها وانت اعلم بسرها وعلانيتها جئنا شفعاء فاغفرلها رواه
ابوداود **الفرع الثالث** فى صلاته صلى الله عليه وسلم على القبر وعن ابى هريرة رضى
ان امرأة سودا كانت تقم المسجد ففقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عنها
فقالوا ماتت قال افلا اذنتمونى قال فكانهم صغروا امرها فقال دلونى على قبرها فدلوه
فصلى عليها رواه البخارى ومسلم زاد ابن حبان فقال فى رواية حماد بن سلمة عن
ثابت ان هذه القبور مملوة ظلمة على اهلها وان الله ينورها بصلاتى عليهم واشار
الى ان بعض المخالفين احتج بهذه الزيادة على ان ذلك من خصائصه صلى الله عليه
وسلم ثم ساق من طريق خارجة ابن زيد بن ثابت عن عمه يزيد بن ثابت نحو هذه
القصة وفيها ثم اتى القبر فصففنا خلفه وكبر عليه اربعا قال ابن حبان فى ترك انكاره
عليه السلام الصلاة على من صلى معه على القبر بيان جواز ذلك لغيره وانه ليس
من خصائصه **وتعقب** بان الذى يقع بالتبعية لاينهض دليلا للاصالة **وعن**
عقبة بن عامر انه صلى الله عليه وسلم خرج يوما فصلى على اهل احد صلاته على الميت
ثم انصرف وفى رواية صلى على قتلى احد بعد ثمانى سنين كالمودع للاحيا والاموات
رواه ابوداود والنسائى ورواه الشيخان ايضا بلفظ خرج يوما فصلى على اهل
احد كصلاته على الميت ثم انصرف الى المنبر فقال انى فرط لكم الحديث وفى الصلاة على
الشهداء فى حرب الكفار **وقد** اختلف العلماء فى هذه المسئلة فذهب مالك والشافعى
واحمد واسحق الى انه لايصلى عليهم وذهب ابوحنيفة الى الصلاة عليهم كغيرهم
وبه قال المزنى وهو رواية عن احمد اختارها الخلال وحجة الجمهور انه عليه
الصلاة والسلام لم يصل على قتلى احد كما رواه البخارى فى صحيحه عن جابر واما هذه
الصلاة فالمراد بها الدعاء وليس المراد بها صلاة الجنازة المعهودة **قال** النووى اى دعا
لهم بدعاء صلاة الميت وان هذه الصلاة مخصوصة بشهداء احد فانهم لم يصل
عليهم قبل دفنهم كما هو المعهود من صلاة الجنازة وانما صلى عليهم فى القبور بعد
ثمانين سنين والحنفية يمنعون الصلوة على القبر مطلقا ولو كانت الصلاة عليهم
واجبة لما تركها فى الاول ثم ان الشافعية اختلفوا فى معنى قولهم لايصلى على الشهيد
فقال اكثرهم معناه تحرم الصلاة عليه وهو المصحح عندهم وقال اخرون معناه لا
تجب الصلاة عليهم لكن تجوز وذكر ابن قدامة ان كلام احمد فى الرواية التى قال فيها
يصلى عليهم يشير الى انها مستحبة غير واجبة قال ابن القاسم صاحب مالك ان مالا يصلى

وانه من الخلاف ومذهب مالك

على الشهيد فيما اذا كان المسلمون هم الذين غزوا الكفار فان كان الكفار هم الذين غزوا
المسلمين فيصلى عليهم **الفرع الرابع** فى صلاته صلى الله عليه وسلم على الغائب عن جابر
انه صلى الله عليه وسلم قال توفى اليوم رجل صالح من الحبش فهلم فصلوا عليه قال
فصففنا فصلى النبى صلى الله عليه وسلم ونحن وراه رواه البخارى ومسلم **وعن**
ابى هريرة انه صلى الله عليه وسلم نعى النجاشى اليوم الذى مات فيه وخرج بهم الى المصلى
فصف بهم وكبر اربع تكبيرات رواه الشيخان ايضا وعند البخارى من طريق ابن عيينة
عن ابن جريج فقوموا فصلوا على اخيكم اصحمة وبهذا الحديث استدل من منع الصلاة
على الميت فى المسجد وهو قول الحنفية والمالكية لكن قال ابو يوسف ان اعد مسجد للصلاة
على الموتى لم يكن فى الصلاة فيه عليهم باس قال النووى ولا حجة فيه لان الممتنع عند
الحنفية ادخال الميت المسجد لامجرد الصلاة عليه حتى لو كان الميت خارج المسجد جازت
الصلاة عليه لمن هو داخله **وقال** ابن بزيزة وغيره استدل به بعض المالكية وهو
باطل لانه ليس فيه صيغة نهى ولاحتمال ان يكون خرج بهم الى المصلى لامر غير المعنى
المذكور **وقد** ثبت انه عليه السلام صلى على سهيل بن بيضا فى المسجد فكيف يترك هذا
الصريح لامر محتمل بل الظاهر انه انما خرج بالمسلمين الى المصلى لقصد تكثير الجمع الذين
يصلوا عليه ولاشاعة كونه مات على الاسلام فقد كان بعض الناس لم يدر كونه اسلم
فقد **روى** ابن ابى حاتم فى التفسير والدارقطنى فى الافراد والبزار كلهم عن انس ان النبى
صلى الله عليه وسلم لما صلى على النجاشى **قال** بعض اصحابه صلى على علج من الحبشة فنزلت
وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله وما انزل اليكم الآية **وله** شاهد من حديث ابى سعيد
عند الطبرانى فى معجمه الكبير **وزاد** فيه ان الذى طعن بذلك كان منافقا وقد قال
البخارى باب الصلاة على الجنازة بالمصلى والمسجد **وروى** حديثا عن ابن عمر ان اليهود جاؤا
الى النبى صلى الله عليه وسلم برجل منهم وامرأة زنيا فامر بهما فرجما قريبا من موضع
الجنائز عند المسجد **وحكى** ابن بطال عن ابن حبيب ان مصلى الجنائز بالمدينة كان لاصقا
بالمسجد النبوى من ناحية المشرق انتهى فان **ثبت** ما قال والا فيحتمل ان يكون المراد بالمسجد
هنا المصلى المتخذ للعيدين والاستسقاء لانه لم يكن عند المسجد النبوى مكان مهيأ
للرجم ودل حديث ابن عمر المذكور على انه كان للجنائز مكان معد للصلاة عليها فقد يستفاد
منه ان ما وقع من الصلاة على بعض الجنائز فى المسجد كان لامر عارض او لبيان الجواز
واستدل به على مشروعية الصلاة على الجنائز فى المسجد ويقويه حديث عائشة ما صلى
صلى الله عليه وسلم على سهيل بن بيضا الا فى المسجد اخرجه مسلم **وبه** قال الجمهور وحمل
المانعون الصلاة على سهيل بانه كان خارج المسجد والمصلون داخله وذلك جائز

اتفاقا وفيه نظر لان عائشة استدلت بذلك لما انكروا عليها امرها بالمرور بجنازة سعد على حجرتها لتصلى عليه وقد سلم لها الصحابة ذلك فدل على انها حفظت ما نسوه وقد روى ابن ابى شيبة وغيره ان عمر صلى على ابى بكر فى المسجد وان صهيبا صلى على عمر فى المسجد زاد فى رواية ووضعت الجنازة فى المسجد تجاه المنبر وهذا يقتضى الاجماع على جواز ذلك وقد استدل ايضا بحديث قصة النجاشى على مشروعية الصلاة على الميت الغائب عن البلد وبذلك قال الشافعى واحمد وجمهور السلف حتى قال ابن حزم لم يات عن احد من الصحابة منعه ، وعن الحنفية والمالكية لا يشرع ذلك وعن بعض اهل العلم انما يجوز ذلك فى اليوم الذى يموت فيه الميت او ما قرب لا اذا طالت المدة حكاه ابن عبد البر وقال ابن حبان انما يجوز ذلك لمن فى جهة القبلة فلو كان بلد الميت مستدبر القبلة مثلا لم يجز قال المحب الطبرى لم ار ذلك لغيره وقد استعذر من لم يقل بالصلاة على الغائب عن قصة النجاشى بامور منها انه كان بارض لم يصل عليه بها احد فتعينت الصلاة عليه لذلك ومن ثمة قال الخطابى لا يصلى على الغائب الا اذا وقع موته بارض ليس بها من يصلى عليه واستحسنه الرويانى من الشافعية ومنها قول بعضهم كشف له صلى الله عليه وسلم عنه حتى رآه وعبر عنه القاضى عياض فى الشفا بقوله ورفع له النجاشى حتى صلى عليه فتكون صلاته عليه كصلاة الامام على ميت رآه ولم يره المامومون ولا خلاف فى جوازها ، قال ابن دقيق العيد وهذا يحتاج الى نقل ولا يثبت بالاحتمال وتعقبه بعض الحنفية بان الاحتمال كان فى مثل هذا وكان مستند هذا التأويل ما ذكره الواحدى فى اسبابه بغير اسناد عن ابن عباس قال كشف للنبى صلى الله عليه وسلم عن سرير النجاشى حتى رآه وصلى عليه ولابن حبان من حديث عمران بن حصين فقام وصفوا حوله وهم لا يظنون الا ان جنازته بين يديه ومن الاعتذارات ايضا ان ذلك خاص بالنجاشى لانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم صلى على ميت غائب غيره قاله المهلب وكانه لم يثبت عنده قصة معاوية بن معاوية الليثى واستدل من قال بتخصيص النجاشى بذلك الى ما تقدم من اشاعة انه مات مسلما واستيلاف قلوب الملوك الذين اسلموا فى حياته قال النووى لو فتح هذا الباب لانسد كثير من ظواهر الشرع مع انه لو كان شئ مما ذكروه لتوفرت الدعوى على نقله وقال ابن العربى قال المالكية ليس ذلك الا لمحمد صلى الله عليه وسلم قلنا وما عمل به محمد صلى الله عليه وسلم تعمل به امته يعنى لان الاصل عدم الخصوصية قالوا اطويت له الارض واحضرت الجنازة بين يديه قلنا ان ربنا عليه لقادر وان نبينا لاهل لذلك لكن لا تقولوا الا ما رويتم ولا تخترعوا حديثا من عند انفسكم ولا تحدثوا الا بالثابتات ودعوا الضعاف فانها سبيل الى اتلاف ما ليس له

تلاف وقال الكرمانى قولهم رفع الحجاب عنه ممنوع ولئن سلمنا فكان غائبا عن الصحابة الذين صلوا عليه مع النبى صلى الله عليه وسلم انتهى ملخصا من فتح البارى

النوع الثالث فى ذكر سيرته صلى الله عليه وسلم فى الزكوة وهى لغة النما والتطهير والمال ينمى بها من حيث لا يرى وهى مطهرة لمؤديها من الذنوب وقيل ينمى اجرها عند الله تعالى وسميت فى الشرع زكاة لوجود المعنى اللغوى فيها وقيل لانها تزكى صاحبها وتشهد بصحة ايمانه وهى قيد النعمة وسميت بالصدقة صدقة لانها دليل لتصديق صاحبها وصحة ايمانه بظاهره وباطنه وقد فهم من شرعه صلى الله عليه وسلم ان الزكاة وجبت للمواساة وان المواساة لا تكون الا فى مال له بال وهو النصاب ثم جعلها صلى الله عليه وسلم فى الاموال النامية وهى اربعة اصناف الذهب والفضة اللذان بهما قوام العالم والثانى الزروع والثمار والثالث بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم والرابع اموال التجارة على اختلاف انواعها وحد صلى الله عليه وسلم نصاب كل صنف بما يحتمل المواساة فنصاب الفضة خمس اواق وهى مائتا درهم بنص الحديث والاجماع واما الذهب فعشرون مثقالا واما الزروع والثمار فخمسة اوسق واما الغنم فاربعون شاة والبقر ثلاثون بقرة والابل خمس ورتب صلى الله عليه وسلم مقدار الواجب بحسب المؤنة والتعب فى المال فاعلاها واقلها تعبا الركاز وفيه الخمس لعدم التعب فيه ولم يعتبر له حولا بل وجب فيه الخمس متى ظفر به ويليه الزرع والثمار فان سقى بماء السماء ونحوه ففيه العشر والا فنصفه ويليها الذهب والفضة والتجارة وفيها ربع العشر لانه لا يحتاج الى العمل فيه جميع السنة ويليه الماشية فانه يدخلها الاوقاص بخلاف الانواع السابقة ولما كان نصاب الابل لا يحتمل المواساة من جنسه اوجب فيها شاة فاذا صارت الخمس خمسا وعشرين احتمل نصابها واحدا فكان هو الواجب ثم انه قدر سن هذا الواجب ثم انه قدر سن هذا الواجب فى الزيادة والنقصان بحسب كثرة الابل وقلتها وفى كتابه صلى الله عليه وسلم الذى كتبه فى الصدقة ولم يخرجه الى عماله حتى قبض فى خمس من الابل شاة وفى عشر شاتان وفى خمسة عشر ثلاث شياه وفى عشرين اربع شياه وفى خمس وعشرين بنت مخاض الى خمس وثلثين فاذا زادت واحدة ففيها بنت لبون الى خمس واربعين فان زادت واحدة ففيها حقة الى ستين فان زادت واحدة ففيها جذعة الى خمس وسبعين فاذا زادت واحدة ففيها ابنتا لبون الى تسعين فان زادت واحدة ففيها حقتان الى عشرين ومائة فاذا كانت الابل اكثر من ذلك ففى كل خمسين حقة وفى كل اربعين ابنة لبون وفى الغنم فى كل اربعين شاة شاة الى عشرين ومائة فاذا زادت واحدة فشاتان

الى المائتين فاذا زادت على المائتين ففيها ثلاث شياه الى ثلاثمائة فان كانت الغنم
اكثر من ذلك فكل مائة شاة شاة ثم ليس فيها شئ حتى تبلغ المأة رواه ابو داود
والترمذى من حديث سالم ابن عبد الله بن عمر وفرض صلى الله عليه وسلم زكاة
الفطر صاعا من تمر او صاعا من شعير على العبد والحر والذكر والانثى والصغير
والكبير من المسلمين وامر بها ان تؤدى قبل خروج الناس الى الصلاة رواه البخارى
ومسلم من حديث ابن عمر وفى رواية ابى داود من حديث ابن عباس فرض صلى الله عليه
وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين وقال صلى الله عليه
وسلم ان الله لم يرض بحكم نبى ولا غيره فى الصدقات حتى حكم فيها فجزاها ثمانية اجزا رواه
ابو داود من حديث زياد بن الحارث الصدائى وهذه الثمانية الاجزا يجمعها صنفان
من الناس احدهما من ياخذ لحاجته فياخذه بسبب شدة الحاجة وضعفها وكثرتها
وقلتها وهم الفقرآء والمساكين وفى الرقاب وابن السبيل والثانى من ياخذ لمنفعته وهم
العاملون عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمون لاصلاح ذات البين والغزاة فى
سبيل الله فان لم يكن الاخذ محتاجا ولا فيه منفعة للمسلمين فلا سهم له فى الزكاة
واعلم ان الانبيا لا تجب الزكاة عليهم لانهم لا ملك لهم مع الله حتى تجب عليهم الزكاة
وانما يجب عليك زكاة ما انت له مالك انما كانوا يشهدون ما فى ايديهم من ودايع
الله لهم يبذلونه فى اوان بذله ويمنعونه فى غير محله ولان الزكاة انما هى طهرة لما
عساه ان يكون ممن وجبت عليه لقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم و
تزكيهم بها والانبيآء عليهم السلام مبرؤن من الدنس لوجود العصمة ولهذا لم يوجب
ابو حنيفة على الصبيان زكاة لعدم دنس المخالفة والمخالفة لا تكون الا بعد جريان
التكليف وذلك بعد البلوغ واذا كان اهل المعرفة بالله والمشاهدون لاحديته
لا يشهدون لهم مع الله ملكا كما هو مشهور من حكاياتهم فما ظنك بالانبيآء والرسل
واهل التوحيد والمعرفة انما غرفوا من بحارهم واقتبسوا من انوارهم انتهى ملخصا من
كتاب التنوير للعارف الكبير ابى الفضل بن عطا الشاذلى اذاقنا الله حلاوة مشربه تنبيه
ما حكى ان الشافعى واحمد بن حنبل كانا جالسين اذ اقبل شيبان الراعى فقال احمد بن حنبل
للشافعى اريد ان اسال هذا المشار اليه فى هذا الزمن فقال الشافعى لا تفعل فقال لا بد
من ذلك فقال يا شيبان ما تقول فيمن نسى اربع سجدات من اربع ركعات فقال يا احمد
هذا قلب غافل عن الله تعالى يجب ان يؤدب حتى لا يعود الى مثل ذلك قال فخر احمد مغشيا
عليه ثم افاق فقال ما تقول فيمن له اربعون شاة ما زكاتها فقال على مذهبنا او على
مذهبكم فقال وهما مذهبان قال نعم اما على مذهبكم ففى الاربعين شاة شاة واما

وابو الفضل ... [illegible] ... وتاج الدين ... علما اولياء ... [illegible]

على مذهبنا فالعبد لا يملك مع سيده شيئا فقد نقل شيخنا فى المقاصد الحسنة عن ابن تيمية
ان ذلك باطل باتفاق اهل المعرفة لان الشافعى واحمد لم يدركا شيبان الراعى والله اعلم
انتهى وقد كان صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقة قال اللهم صل على آل فلان واتاه
ابو اوفى بصدقة فقال اللهم صل على ابى اوفى رواه البخارى ومسلم واختلف فى اول
وقت فرض الزكاة فذهب الاكثرون الى انه وقع بعد الهجرة وقيل كان فى السنة الثانية قبل
فرض رمضان اشار اليه النووى فى باب السير من الروضة وجزم ابن الاثير فى
التاريخ بان ذلك كان فى التاسعة وفيه نظر لما فى حديث ضمام بن ثعلبة وحديث وفد
عبد القيس ومخاطبة ابى سفيان مع هرقل وكان فى اول السابعة وقال فيها يامرنا بالزكاة
وقوى بعضهم ما ذهب اليه ابن الاثير بما وقع فى قصة ثعلبة بن حاطب المطولة ففيها
لما انزلت آية الصدقة بعث النبى صلى الله عليه وسلم عاملا فقال ما هذه الا جزية
او اخت الجزية والجزية انما وجبت فى التاسعة فتكون الزكوة فى التاسعة لكنه حديث
ضعيف لا يحتج بمثله وادعى ابن خزيمة فى صحيحه ان فرضها كان قبل الهجرة واحتج بما
اخرجه من حديث ام سلمة فى قصة هجرتهم الى الحبشة وفيها ان جعفر بن ابى طالب قال
للنجاشى فى جملة ما اخبره به عن الرجل الذى يامرنا بالصلاة والزكاة والصيام انتهى
وفى الاستدلال بذلك نظر لان الصلوات الخمس لم تكن فرضت بعد ولا صيام رمضان
فيحتمل ان تكون مراجعة جعفر لم تكن فى اول ما قدم على النجاشى وانما اخبره بذلك بعد
مدة قد وقع فيها ما ذكر من فريضة الصلاة والصيام وبلغ ذلك جعفرا فقال يامرنا يعنى
بامر امته وهو بعيد جدا واولى ما حمل عليه حديث ام سلمة هذا ان سلم من قدح فى اسناده
ان المراد بقول جعفر يامرنا بالصلاة والزكاة والصيام اى فى الجملة ولا يلزم من ذلك ان يكون
المراد بالصلاة الصلوات الخمس ولا بالصيام صيام شهر رمضان ولا بالزكاة هذه الزكاة
المخصوصة ذات النصاب والحول والله اعلم ومما يدل على ان فرض الزكاة كان قبل التاسعة
حديث انس فى قصة ضمام بن ثعلبة وقوله انشدك الله آلله امرك ان تاخذ هذه الصدقة
من اغنيائنا فتقسمها على فقرائنا وكان قدوم ضمام سنة خمس وانما الذى وقع فى
التاسعة بعث العمال لاخذ الصدقات وذلك يستدعى تقدم فريضة الزكاة قبل ذلك
ومما يدل على ان فرض الزكاة وقع بعد الهجرة اتفاقهم على ان صيام رمضان انما فرض
بعد الهجرة لان الآية الدالة على فرضيته مدنية بلا خلاف وثبت عند احمد وابن خزيمة
والنسائى وابن ماجة والحاكم من حديث قيس بن سعد بن عبادة قال امرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر قبل ان تنزل الزكاة ثم نزلت فريضة الزكاة فلم
يامرنا ولم ينهنا ونحن نفعله اسناده صحيح ورجاله رجال الصحيح الا ابا عمار الراوى عن

والصحيح ان ثعلبة انه كان منافقا ... [illegible] ... فلقومهم ونزلت فيه

قيس بن سعد وقد وثقه احمد وابن معين وهو دال على ان فرض صدقة الفطر كان
قبل فرض الزكاة فيقتضى وقوعها بعد فرض رمضان قاله الحافظ ابو الفضل بن حجر رحمه
الله وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها رواه البخارى من حديث
عائشة واذا اتى بطعام سال عنه اهدية ام صدقة فان قيل صدقة قيل لاصحابه
كلوا ولم ياكل وان قيل هدية ضرب بيده واكل معهم رواه البخارى ومسلم من حديث ابى
هريرة • وقال عليه السلام لعائشة اعندكم شئ فقالت لا الا شئ بعثت به الينا نسيبة
من الشاة التى بعثت اليها من الصدقة قال انها بلغت محلها رواه البخارى ومسلم وقوله
محلها بكسر الحاء اى زال عنها حكم الصدقة وصارت حلالا لنا وانى بلحم قد تصدق به على
بريرة فقال هو عليها صدقة ولنا هدية رواه البخارى ومسلم وابو داود والنسائى
وفى حديث عائشة عند البخارى ومسلم دخل صلى الله عليه وسلم وعلى النار برمة تفور
فدعا بالغداء فاتى بخبز وادم من ادم البيت فقال الم ار برمة على النار تفور قالوا بلى
يا رسول الله لكنه لحم تصدق به على بريرة واهدت الينا منه وانت لا تاكل الصدقة
فقال هو صدقة عليها وهدية لنا **النوع الرابع فى ذكر صيامه صلى الله عليه وسلم** ذكر صيامه صلى الله عليه وسلم

اعلم ان المقصود من الصيام امساك النفس عن خسيس عاداتها وحبسها عن شهواتها
وفطامها عن مالوفاتها فهو لجام المتقين وجنة المحاربين ورياضة الابرار والمقربين
وهو لرب العالمين من بين سائر اعمال العاملين كما قال الله تعالى فى الحديث الالهى الذى
رواه مسلم كل عمل ابن ادم له الا الصيام فهو لى وانا اجزى به فاضافه تعالى اليه
اضافة تشريف وتكريم كما قال تعالى ناقة الله مع ان العالم كله له سبحانه **وقيل** لانه لم يعبد
غيره به فلم يعظم الكفار فى عصر من الاعصار معبودا لهم بالصيام وان كانوا يعظمونه
بصورة الصلاة والسجود وغيرها • **قال** فى شرح تقريب الاسانيد واعترض بما يقع
من عبادة النجوم واصحاب الهياكل والاستخدامات فانهم يتعبدون لها بالصيام
واجيب بانهم لا يعتقدون انها فعالة بنفسها **وقيل** لان الصوم بعيد من الرياء
لخفائه بخلاف الصلاة والحج والغزو وغير ذلك من العبادات الظاهرات قال فى فتح البارى معنى
النفى فى قولهم لا رياء فى الصوم انه لا يدخله الرياء بفعله وان كان قد يدخله الرياء بالقول كمن
يصوم ثم يخبر بانه صائم فقد يدخل الرياء من هذه الحيثية فدخول الرياء فى الصوم انما يقع
من جهة الاخبار بخلاف بقية الاعمال فان الرياء يدخلها بمجرد فعلها انتهى **وعن** شداد
بن اوس مرفوعا من صام يرائى فقد اشرك رواه البيهقى **وقيل** لانه ليس للصائم ونفسه
فيه حظ **وقيل** لان الاستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الرب تعالى
فلما تقرب الصائم اليه بما يوافق صفاته اضافه اليه **قال** القرطبى معناه ان اعمال العباد

مناسبة لاحوالهم الا الصيام فانه مناسب لصفة من صفات الحق كانه تعالى يقول ان الصائم
يتقرب الى بامر هو متعلق بصفة من صفاتى ولكون ذلك صفة من صفات الملئكة اولانه
تعالى هو المنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته بخلاف غيره من العبادات فقد اظهر
سبحانه بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها • **وكذا قال** فى بقية الحديث وانا اجزى به قد
علم بان الكريم اذا اخبر انه متولى بنفسه الجزاء اقتضى ذلك سعة العطاء وانما جوزى الصائم
هذا الجزاء لانه ترك شهوته وطعامه وشرابه من اجل معبوده والمراد بالشهوة فى الحديث
شهوة الجماع لعطفها على الطعام والشراب ويحتمل ان يكون من العام بعد الخاص لكن وقع
فى رواية عند ابن خزيمة يدع لذته من اجلى ويدع زوجته من اجلى واصرح منه ما روى
من الطعام والشراب والجماع من اجلى وللصيام تاثير عجيب فى حفظ الاعضاء الظاهرة وقوى
الجوارح الباطنة وحميتها عن التخليط الجالب للمواد الفاسدة واستفراغ المواد الردية
المانعة له من صحتها فهى من اكبر العون على التقوى كما اشار اليه تعالى بقوله كتب عليكم
الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون **وقال** عليه السلام كما فى البخارى الصوم
جنة وهى بضم الجيم الوقاية والستر اى الستر من النار وبه جزم ابن عبد البر **وفى النهاية**
اى يقى صاحبه مما يوذيه من الشهوات • **وقال** القاضى عياض من الاثام وقد اتفقوا على ان
المراد بالصيام هنا صيام من سلم صيامه من المعاصى قولا وفعلا **وقد** اختلف هل الصوم
افضل من الصلاة فقيل الصوم افضل الاعمال البدنية لحديث النسائى عن ابى امامة قال
اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرنى بامر آخذه عنك قال عليك بالصوم
فانه لا عدل له والمشهور تفضيل الصلاة وهو مذهب الشافعى وغيره لقوله عليه
الصلاة والسلام **واعلموا** ان خير اعمالكم الصلاة رواه ابو داود وغيره **ثم**
ان الكلام فى صيامه صلى الله عليه وسلم على قسمين **القسم الاول** فى صيامه صلى الله
عليه وسلم شهر رمضان **وفيه فصول الاول** فيما كان صلى الله عليه وسلم يخص رمضان
من العبادات وتضاعف جوده عليه السلام فيه **اعلم** ان رمضان مشتق من الرمض وهو
شدة الحر لان العرب لما ارادوا ان يضعوا اسماء الشهور وافق ان الشهر المذكور شديد
الحر فسموه بذلك كما سمى الربيعين لموافقتهما زمن الربيع اولانه يرمض الذنوب اى يحرقها
وهو ضعيف لان التسمية به ثابتة قبل الشرع ورمضان افضل الشهور كما حكاه الاسنوى
عن قواعد الشيخ عز الدين بن عبد السلام قال النووى وقولهم انه من اسماء الله تعالى
ليس بصحيح فان كان قد جاء فيه اثر ضعيف واسماء الله تعالى توقيفية لا تثبت الا بدليل
صحيح انتهى **وقد اختلف** السلف هل فرض صيام قبل رمضان اولا فالجمهور وهو المشهور
عند الشافعية انه لم يجب قط صوم قبل صوم رمضان وفى وجه وهو قول الحنفية

اول ما فرض عاشورا فلما نزل رمضان نسخ وسيأتى ادلة الفريقين فى الكلام على صوم
عاشورا ان شاء الله تعالى وقد كان فرض رمضان فى السنة الثانية من الهجرة كما تقدم
فتوفى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صام تسع رمضانات ولما كان
شهر رمضان موسم الخيرات ومنبع الجود والبركات لان نعم الله تعالى فيه تزيد على
غيره من الشهور كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر فيه من العبادات
وانواع القربات الجامعة لوجوه السعادات من الصدقة والاحسان والصلاة
والذكر والاعتكاف ويختص به من العبادات ما لا يختص به غيره من الشهور وكان
جوده صلى الله عليه وسلم يضاعف فى شهر رمضان على غيره من الشهور كما ان
جود ربه تعالى تضاعف فيه ايضا فان الله تعالى جبله على ما يحبه من الاخلاق
الكريمة وفى حديث ابن عباس عند الشيخين قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اجود
الناس واجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن فلرسول
الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل اجود بالخير من الريح المرسلة فبمجموع
ما ذكر من هذا من الوقت وهو شهر رمضان والمنزل وهو القران والنازل به وهو
جبريل والمذاكرة وهى مدارسة القران حصل له عليه الصلاة والسلام المزيد فى الجود
والمرسلة المطلقة يعنى انه فى الاسراع بالجود اسرع من الريح وعبر بالمرسلة اشارة
الى دوام هبوبها بالرحمة والى عموم النفع بجوده صلى الله عليه وسلم كما يعم الريح المرسلة
جميع ما تهب عليه ووقع عند الامام احمد فى اخر هذا الحديث لا يسأل شيئا الا
اعطاه وتقدم فى ذكر سخائه صلى الله عليه وسلم مزيد لذلك وقد كان ابتداء
نزول القران فى شهر رمضان وكذا نزوله الى سماء الدنيا جملة واحدة كان
فى رمضان كما ثبت فى حديث ابن عباس فكان جبريل عليه السلام يتعاهده
صلى الله عليه وسلم فى كل سنة فيعارضه بما نزل عليه من رمضان الى رمضان
فلما كان العام الذى توفى صلى الله عليه وسلم عارضه به مرتين كما فى الصحيح
عن فاطمة رضى الله عنها قال فى فتح البارى وفى معارضة جبريل النبى صلى الله
عليه وسلم بالقران فى شهر رمضان حكمتان احدهما تعاهده والاخرى تبقية ما
لم ينسخ منه ورفع ما نسخ فكان رمضان ظرفا لانزاله جملة وتفصيلا وعرضا
واحكاما، وفى المسند عن واثلة بن الاسقع عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال نزلت صحف فى اول ليلة من شهر رمضان وانزل الانجيل لثلاث عشرة
من شهر رمضان وانزل التورية لست من رمضان وانزل الفرقان لاربع وعشرين
خلت من رمضان وقد دل الحديث على استحباب مدارسة القران فى رمضان

والاجتماع

والاجتماع عليه وعرض القران على من هو احفظ منه وفى حديث ابن عباس ان
المدارسة بينه صلى الله عليه وسلم وبين جبريل كانت ليلا وهو يدل على استحباب
الاكثار من تلاوة القران فى رمضان ليلا لان الليل تنقطع فيه الشواغل وتجتمع
فيه الهمم ويتواطؤ فيه القلب واللسان على التدبر وكان صلى الله عليه وسلم
يبشر اصحابه بقدوم رمضان كما اخرجه الامام احمد والنسائى عن ابى هريرة
قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يبشر اصحابه بقدوم رمضان يقول قد
جاءكم شهر رمضان شهر مبارك كتب الله عليكم صيامه تفتح فيه ابواب السماء
وتغلق فيه ابواب الجحيم وتغل فيه الشياطين فيه ليلة خير من الف شهر
من حرم خيرها فقد حرم قال بعض العلماء هذا الحديث اصل فى تهنية الناس
بعضهم بعضا بشهر رمضان وروى انه صلى الله عليه وسلم كان يدعو ببلوغ
رمضان فكان اذا دخل شهر رجب وشعبان قال اللهم بارك لنا فى رجب
وشعبان وبلغنا رمضان رواه الطبرانى وغيره من حديث انس وكان صلى
الله عليه وسلم اذا راى هلال رمضان قال هلال رشد وخير امنت بالذى
خلقك رواه النسائى من حديث انس وروى انه عليه السلام كان يقول اذا
دخل شهر رمضان اللهم سلمنى من رمضان وسلم رمضان لى وسلمه منى
اى سلمنى منه حتى لا يصيبنى منه ما يحول بينى وبين صومه من مرض وغيره
وسلمه لى حتى لا يغم هلاله على فى اوله وآخره فيلتبس على الصوم والفطر
وسلمه منى بان تعصمنى من المعاصى فيه وهذا منه عليه السلام تشريع
لامته الفصل الثانى فى صيامه عليه السلام برؤية الهلال صلى الله عليه
وسلم يتحفظ من شعبان ما لا يتحفظ من غيره ثم يصوم لرؤية رمضان فان غم
عليه عد ثلاثين يوما ثم صام رواه ابو داود وقال صلى الله عليه وسلم
اذا رايتموه فصوموا واذا رايتموه فافطروا فان غم عليكم فاقدروا له رواه
مسلم قوله فان غم عليكم اى حال بينكم وبينه غيم فاقدروا له من التقدير
اى قدروا له تمام العدد ثلاثين يوما ويؤيده ما فى الرواية السابقة فان
غم عليه صلى الله عليه وسلم عد ثلاثين وهو مفسر لاقدروا له ولهذا
لم يجتمعا فى رواية ويؤكده رواية فاقدروا له ثلاثين قال المازرى حمل
جمهور الفقهاء قوله عليه السلام اقدروا له على ان المراد اكمال العدة
ثلاثين كما فسره فى حديث آخر قالوا ولا يجوز ان يكون المراد حساب المنجمين
لان الناس لو كلفوا به لضاق عليهم لانه لا يعرفه الا افراد والشرع انما يعرف

الناس بما يعرفه جماهيرهم انتهى وهذا مذهبنا ومذهب مالك وابى حنيفة
وجمهور السلف والخلف وفيه دليل على انه لا يجوز صوم يوم الشك ولا يوم
الثلاثين من شعبان عن رمضان اذا كانت ليلة الثلاثين ليلة غيم وقال
الامام احمد بن حنبل فى طائفة اى قدروا له تحت السحاب فيجوزون صوم
ليلة الغيم عن رمضان بل قال احمد بوجوبه وقال ابن شريح وجماعة منهم
مطرف بن عبد الله وابن قتيبة وآخرون معناه قدروا له بحسب المنازل
الفصل الثالث فى صومه صلى الله عليه وسلم بشهادة العدل الواحد
عن ابن عمر قال تراى الناس الهلال فاخبرت النبى صلى الله عليه وسلم انى
رايته فصام وامر الناس بصيامه رواه ابو داود وصححه ابن حبان وعن
ابن عباس قال جاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى رايت هلال
رمضان فقال اتشهد ان لا اله الا الله قال نعم قال اتشهد ان محمدا رسول الله
قال نعم قال يا بلال اذن فى الناس فليصوموا رواه ابو داود والترمذى والنسائى
والمراد فى قوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث السابق اذا رايتموه رؤية
بعض المسلمين ولا يشترط رؤية كل انسان بل يكفى جميع رؤية عدل
على الاصح فى مذهبنا وهذا فى الصوم واما الفطر فلا يجوز بشهادة عدل
واحد على هلال شوال عند جميع العلماء الا ابا ثور فجوزه بعدل واحد قال
الاسنوى اذا قلنا بالواحد فى الصوم فلا خلاف انه لا يتعدى الى غيره فلا يقع
به الطلاق والعتق المعلقين بدخول رمضان ولا يحل به الدين المؤجل ولا يتم
حول الزكاة كذا اطلقه الرافعى هنا نقلا عن البغوى واقره وتبعه عليه فى
الروضة وصورته فيما اذا سبق التعليق على الشهادة فان وقعت الشهادة
اولا وحكم الحاكم بدخول رمضان ثم جرى التعليق فان الطلاق والعتق يقعان
كذا نقله القاضى حسين فى تعليقه عن ابن شريح وقال الرافعى فى الباب الثانى
من كتاب الشهادات انه القياس انتهى الفصل الرابع فيما كان يفعله
صلى الله عليه وسلم وهو صائم عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
احتجم وهو صائم رواه البخارى ومسلم وابو داود والترمذى واعلم ان الجمهور
على عدم الفطر بالحجامة مطلقا وعن على وعطا والاوزاعى واحمد واسحق وابى
ثور يفطر الحاجم والمحجوم واوجبوا عليهما القضاء وشذ عطاء فاوجب الكفارة
ايضا وقال بقول احمد من الشافعية ابن خزيمة وابن المنذر وابن حبان ونقل
الترمذى عن الزعفرانى الشافعى علق القول به على صحة الحديث قال الترمذى

كان الشافعى يقول ذلك ببغداد واما بمصر فمال الى الرخصة انتهى وقال الشافعى
فى اختلاف الحديث بعد ان اخرج حديث شداد كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى زمان الفتح فراى رجلا يحتجم لثمان عشرة خلت من رمضان
فقال وهو اخذ بيدى افطر الحاجم والمحجوم ثم ساق حديث ابن عباس انه
صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم قال وحديث ابن عباس امثلهما اسنادا
فان توقى احد الحجامة كانت احب الى احتياطا والقياس مع حديث ابن عباس
والذى احفظ عن الصحابة والتابعين وعامة اهل العلم انه لا يفطر احد
بالحجامة واول بعضهم حديث افطر الحاجم والمحجوم على انه المراد به انهما
سيفطران كقوله تعالى انى ارانى اعصر خمرا اى ما يؤول اليه ولا يخفى بعد
هذا التاويل وقال البغوى فى شرح السنة معناه اى تعرضا للافطار
اما الحاجم فلانه لا يامن من وصول شئ من الدم الى جوفه عند مصه واما
المحجوم فلانه لا يامن من ضعف قوته بخروج الدم فيؤول امره الى ان يفطر وقيل
معنى افطرا فعلا مكروها وهو الحجامة فصارا كانهما غير متلبسين بالعبادة
وقال ابن حزم صح حديث افطر الحاجم والمحجوم بلا ريب لكن وجدنا من حديث
ابى سعيد ارخص النبى صلى الله عليه وسلم فى الحجامة للصائم واسناده
صحيح فوجب الاخذ به لان الرخصة انما تكون بعد العزيمة يدل على نسخ
الفطر بالحجامة سواء كان حاجما او محجوما انتهى والحديث المذكور اخرجه
النسائى وابن خزيمة والدارقطنى ورجاله ثقاة ولكن اختلف فى رفعه و
وقفه وله شاهد من حديث انس عند الدارقطنى ولفظه اول ما كرهت
الحجامة للصائم ان جعفر بن ابى طالب احتجم وهو صائم فمر به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال افطر هذان ثم ارخص رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى الحجامة للصائم بعد وكان انس يحتجم وهو صائم وكلهم من رجال
البخارى الا ان فى المتن ما ينكر لان فيه ان ذلك كان فى الفتح وجعفر كان قبل
ذلك ومن احسن ما ورد فى ذلك ما رواه عبد الرزاق وابو داود عن عبد
الرحمن بن ابى ليلى عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نهى
النبى صلى الله عليه وسلم عن الحجامة للصائم وعن المواصلة ولم يحرمهما ابقاء على
اصحابه واسناده صحيح والجهالة بالصحابى ورواه ابن ابى شيبة عن وكيع عن
الثورى بلفظ عن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا انما نهى النبى صلى الله
عليه وسلم عن الحجامة للصائم وكرهها للضعيف اى لئلا يضعف انتهى ملخصا

من فتح البارى والله اعلم قالت عائشة رضى الله عنها كان صلى الله عليه وسلم
يقبل بعض نسائه وهو صائم ثم ضحكت رواه البخارى ومسلم ومالك وابو
داود من حديث عائشة قالت وكان املككم لإربه اى لحاجته يعنى انه كان
غالبا لهواه قال ابن اثير اكثر المحدثين يروونه بفتح الهمزة والرآ يعنون به
الحاجة وبعضهم يروونه بكسر الهمزة وسكون الرآ وله تاويلان احدهما
الحاجة يقال فيها الارب والارب والاربة والماربة والثانى ارادت به العضو
وعنت به من الاعضا الذكر خاصة انتهى فمذهب الشافعى والاصحاب ان
القبلة ليست محرمة على من لم تحرك شهوته لكن الاولى تركها واما من حركت
شهوته فهى حرام فى حقه على الاصح عند اصحابنا وقوله فضحكت يحتمل ضحكها
التعجب ممن خالف فى هذا وقيل تعجب من نفسها اذ احدثت بمثل هذا بما يستحيى
من ذكر النسآء مثله للرجال ولكنها الجاتها الضرورة فى تبليغ العلم الى
ذكر ذلك وقد يكون خجلا لاخبارها عن نفسها بذلك او تنبيها على انها
صاحبة القصة ليكون ذلك ابلغ فى الثقة بها او سرورا بمكانها من النبى
صلى الله عليه وسلم ومحبته لها وروى ابن ابى شيبة عن شريك عن هشام
فى هذا الحديث فضحكت فظننا انها هى وروى النسائى عنها قالت اهوى الى
النبى صلى الله عليه وسلم ليقبلنى فقلت انى صائمة فقال وانا صائم فقبلنى
وقد روى ابو داود عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقبلها
ويمص لسانها يعنى وهو صائم واسناده ضعيف ولو صح فهو محمول على
انه لم يبتلع ريقه الذى خالط ريقها وكان صلى الله عليه وسلم يكتحل بالاثمد
وهو صائم رواه البيهقى من رواية محمد بن عبد الله بن ابى رافع عن ابيه
عن جده ثم قال ان محمدا هذا ليس بالقوى ووثقه الحاكم واخرج له فى مستدركه
وقالت ام سلمة كان صلى الله عليه وسلم يصبح جنبا من جماع لا حلم ثم لا يفطر
ولا يقضى رواه البخارى ومسلم قال القرطبى فى هذا فائدتان احديهما انه
كان يجامع فى رمضان ويؤخر الغسل الى بعد طلوع الفجر بيانا للجواز الثانية
ان ذلك كان من جماع لا من احتلام لانه كان لا يحتلم اذ الاحتلام من الشيطان
وهو معصوم منه وقال غيره فى قولها من غير احتلام اشارة الى جواز
الاحتلام عليه والا لما كان للاستثناء به معنى ورد بان الاحتلام
من الشيطان وهو معصوم منه واجيب بان الاحتلام يطلق على
الانزال وقد يقع الانزال بغير رؤية شئ فى المنام وارادت بالتقييد

بالجماع المبالغة فى الرد على من زعم ان فاعل ذلك عمدا مفطر انتهى وقال عامر
بن ربيعة رايته صلى الله عليه وسلم يستاك وهو صائم ما لا اعد ولا
احصى رواه ابو داود والترمذى الفصل الخامس فى وقت افطاره
عليه الصلاة والسلام عن عبد الله ابن ابى اوفى قال كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى سفر فى شهر رمضان فلما غابت الشمس قال يا بلال
انزل فاجدح لنا قال يا رسول الله ان عليك نهارا قال انزل فاجدح لنا قال
فنزل فجدح فاتى به فشرب النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال بيده اذا غابت
الشمس من ههنا وجاء الليل من ههنا فقد افطر الصائم رواه البخارى و
مسلم والجدح بجيم ثم حاء مهملة خلط الشئ بغيره والمراد خلط السويق
بالمآء وتحريكه حتى يستوى ومعنى الحديث انه صلى الله عليه وسلم واصحابه
كانوا صياما فلما غربت الشمس امره عليه السلام بالجدح ليفطر فراى المخاطب
آثار الضياء والحمرة التى تبقى بعد غروب الشمس وظن ان الفطر لا يحصل الا
بعد ذهاب ذلك واحتمل انه صلى الله عليه وسلم لم يرها فاراد تذكيره
واعلامه بذلك ويؤيد هذا قوله ان عليك نهارا لتوهمه ان ذلك الضوء
من النهار الذى يجب صومه وهو معنى قوله فى الرواية الاخرى لو امسيت
وتكريره المراجعة لغلبة اعتقاده على ان ذلك نهارا يحرم الاكل فيه مع
تجويزه انه عليه الصلاة والسلام لم ينظر الى ذلك الضوء نظرا تاما فقصد
زيادة الاعلام ببقاء الضوء والله اعلم قاله النووى الفصل السادس
فيما كان صلى الله عليه وسلم يفطر عليه عن انس كان صلى الله عليه وسلم
يفطر قبل ان يصلى على رطبات فان لم يجد رطبات فتمرات فان لم يجد تمرات
حسا حسوات من ماء رواه ابو داود وانما خص عليه السلام الفطر بما
ذكر لان اعطاء الطبيعة الشئ الحلو مع خلو المعدة ادعى الى قبوله وانتفاع
القوى به لا سيما قوة البصر واما الماء فان الكبد يحصل لها بالصوم نوع
يبس فاذا رطبت بالماء كمل انتفاعها بالغذا بعده ولهذا كان الاولى بالظمآن
الجايع ان يبدا بشرب قليل من الماء ثم ياكل بعده قاله ابن القيم الفصل السابع
فيما كان يقوله صلى الله عليه وسلم عند الافطار عن معاذ بن زهرة انه
بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا افطر قال اللهم لك صمت
وعلى رزقك افطرت وهو حديث مرسل ومعاذ هذا ذكره البخارى فى التابعين
لكن قال معاذ ابو زهرة وتبعه ابن ابى حاتم وابن حبان فى الثقات وذكره

يحيى بن يونس الشيرازى فى الصحابة وخلطه جعفر المستغفرى قال الحافظ
بن حجر ويحتمل ان يكون الحديث موصولا ولوكان معاذ تابعيا لاحتمال ان
يكون الذى بلغه له صحابيا قال وبهذا الاعتبار اورده ابوداود فى السنن
وبالاعتبار الآخر اورده فى المراسيل وخرج ابن السنى والطبرانى فى المعجم
الكبير بسند واه جدا • عن ابن عباس قال كان صلى الله عليه وسلم اذا افطر
قال اللهم لك صمت وعلى رزقك افطرت فتقبل منى انك انت السميع العليم
وعن ابن عمر كان صلى الله عليه وسلم اذا افطر قال ذهب الظما وابتلت
العروق وثبت الاجر ان شاء الله رواه ابوداود وزاد رزين الحمد لله
فى اول الحديث • وفى كتاب ابن السنى عن معاذ بن زهرة قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا افطر قال الحمد لله الذى اعاننى فصمت ورزقنى
فافطرت الفصل الثامن فى وصاله صلى الله عليه وسلم • عن ابن عمر
رضه ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الوصال قالوا انك تواصل قال
انى لست كهيئتكم انى اطعم واسقى رواه البخارى ومسلم • وللبخارى انه صلى
الله عليه وسلم واصل فواصل الناس فشق عليهم فنهاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يواصلوا قالوا انك تواصل قال لست كهيئتكم انى اظل اطعم
واسقى وفى رواية انس واصل صلى الله عليه وسلم فى آخر شهر رمضان فواصل
ناس من المسلمين فبلغه ذلك فقال لومد لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع المتعمقون
تعمقهم انكم لستم مثلى او قال لست مثلكم انى اظل يطعمنى ربى ويسقينى
وفى رواية لا تواصلوا قالوا انك تواصل قال لست كاحد منكم انى اطعم
واسقى رواه البخارى ومسلم والمتعمقون هم المتشددون فى الامر المجاوزون
الحدود فى قول او فعل • وفى رواية سعيد بن منصور وابن ابى شيبة
من مرسل الحسن انى ابيت يطعمنى ربى ويسقينى وعن عائشة قالت
نهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم فقالوا انك
فقال انى لست كهيئتكم انى يطعمنى ربى ويسقينى رواه البخارى ومسلم
الا ان البخارى قال نهانا ولم يقل نهاهم • وعن ابى هريرة قال نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال فى الصوم فلما ابوا ان ينتهوا عن
الوصال واصل بهم يوما ثم يوما ثم راوا الهلال فقال لو تأخر لزدتكم كالتنكيل
لهم حين ابوا ان ينتهوا رواه البخارى والوصال هو عبارة عن صوم يومين
فصاعدا من غير اكل وشرب بينهما قال شيخ الاسلام الحافظ بن حجر

وقد اختلف فى معنى قوله يطعمنى ربى ويسقينى فقيل هو على حقيقته وانه
صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بطعام وشراب من عند الله كرامة له فى
ليالى صيامه وتعقب بانه لوكان كذلك لم يكن مواصلا وبان قوله اظل
يدل على وقوع ذلك بالنهار فلوكان الاكل والشرب حقيقة لم يكن صائما
واجيب بان الراجح من الروايات لفظ ابيت دون اظل وعلى تقدير ثبوتها
فهى محمولة على مطلق الكون لا على حقيقة لان المحدث هو الامساك ليلا
لا نهارا واكثر الروايات انما هو ابيت فكان بعض الرواة عبر عنها باظل نظرا
الى اشتراكهما فى مطلق الكون يقولون كثيرا اضحى فلان كذا ولا يريدون
تخصيص ذلك بوقت الصبح ومنه قوله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل
وجهه مسودا فان المراد به مطلق الوقت والاختصاص لذلك بنهار
دون ليل وليس حمل الطعام والشراب على المجاز باولى من حمل لفظ اظل على
المجاز وعلى التنزل فلا يضر شئ من ذلك لان ما يؤتى به الرسول على سبيل
الكرامة من طعام الجنة وشرابها لا تجرى عليه احكام المكلفين فيه كما
غسل صدره الشريف من طشت الذهب مع ان استعمال اوانى الذهب
الدنيوية محرمة وقال ابن المنير الذى يفطر شرعا انما هو الطعام المعتاد
واما الخارق للعادة كالمحضر من الجنة فعلى غير هذا المعنى وليس تعاطيه
من جنس الاعمال وانما هو من جنس الثواب كاكل الجنة فى الجنة والكرامة
لا تبطل العادة وقال غيره لا مانع من حمل الطعام والشراب على حقيقتهما و
اكله وشربه فى الليل لا يقطع وصاله خصوصية له بذلك فكانه قال لما
قيل له انك تواصل قال انى لست فى ذلك كهيئتكم اى على صفتكم فى ان من
اكل منكم او شرب انقطع وصاله بل انما يطعمنى ربى ويسقينى ولا ينقطع
بذلك مواصلتى فطعامى وشرابى على غير طعامكم وشرابكم عز وجل صح • وقال الجمهور
هو مجاز عن لازم الطعام والشراب وهو القوة فكانه قال يعطينى قوة
الآكل والشارب ويفيض على ما يسد مسد الطعام والشراب ويقوى على
انواع الطاعة من غير ضعف فى القوة والمعنى ان الله يخلق فيه من الشبع
والرى ما يغنيه عن الطعام والشراب ولا يحس بجوع ولا عطش والفرق
بينه وبين الاول انه على الاول يعطى القوة من غير شبع بل مع الجوع والظما
وعلى الثانى يعطى القوة مع الشبع والرى ورجح الاول بان الثانى ينافى
حال الصائم ويفوت المقصود من الصوم والوصال لان الجوع هو روح

قف على قوله لان ما يؤتى به الرسول صلى الله عليه وسلم لا يجرى عليه احكام المكلفين

هذه العبادة بخصوصها قال القرطبي ويبعده النظر الى حاله عليه السلام فانه كان يجوع اكثر مما يشبع ويربط على بطنه الحجر انتهى ويحتمل كما قاله ابن القيم في الهدى وابن رجب في اللطائف ان يكون المراد به ما يغذيه الله به من معارفه وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته وقرة عينه بقربه ونعيمه بحبه والشوق اليه وتوابع ذلك من الاحوال التي هي غذا القلوب ونعيم الارواح وقرة العين وبهجة النفوس فللروح والقلب بها اعظم غذا واجله وانفعه وقد يغني هذا الغذا عن غذا الاجسام مدة من الزمان كما قيل

لها احاديث من ذكراك تشغلها … عن الشراب وتلهيها عن الزاد
اذا اشتكت من كلال السير اوعدها … روح القدوم فتحيا عند ميعاد

ومن له ادنى كرمه وشوق يعلم استغناء الجسم بغذا القلب والروح عن كثير من الغذا الحيواني ولاسيما الفرحان الظافر بمطلوبه الذي قرت عينه بمحبوبه وتنعم بقربه والرضا عنه والطاف محبوبه مكرم له غاية الاكرام مع الحب التام أفليس هذا من اعظم غذا لهذا المحب فكيف بالحبيب الذي لا شئ اعظم منه ولا اجل ولا اجمل ولا اكمل ولا اعظم احسانا أفليس هذا المحب عند حبيبه يطعمه ويسقيه ليلا ونهارا ولهذا قال اني اظل عند ربي يطعمني ويسقيني انتهى وحكى النووي في شرح المهذب كما قاله في شرح تقريب الاسانيد ان معناه ان محبة الله تشغلني عن الطعام والشراب قال والحب البالغ يشغل عنهما انتهى قلت لم آثر اسم الرب دون اسم الذات المقدسة في قوله يطعمني ربي دون ان يقول يطعمني الله اجيب لان التجلي باسم الربوبية اقرب الى العباد من الالهية لانه تجلي عظمة لا طاقة للبشر بها وتجلي الربوبية تجلي رحمة وشفقة وقد اختلف الناس في الوصال لنا هل هو جائز ام محرم ام مكروه فقالت طائفة انه جائز ان قدر عليه وهذا يروى عن عبد الله بن الزبير وغيره من السلف وكان ابن الزبير يواصل الايام وروى ابن ابي شيبة باسناد صحيح انه كان يواصل خمسة عشر يوما وذكر معه من الصحابة ايضا اخت ابي سعيد ومن التابعين عبد الرحمن بن ابي نعم وعامر بن عبد الله بن الزبير وابراهيم بن زيد التيمي وابو الجوزا كما نقله ابو نعيم في الحلية ومن حجتهم انه عليه السلام واصل باصحابه بعد النهي فلو كان النهي للتحريم لما اقرهم على فعله فعلم انه اراد بالنهي الرحمة لهم والتخفيف عنهم كما صرحت به عائشة في حديثها فمن لم يشق عليه ولم يقصد موافقة اهل الكتاب ولا رغب عن السنة في تعجيل الفطر لم يمنع من الوصال ومن ادلة الجواز ايضا اقدام الصحابة

على

عليه بعد النهي فدل على انهم فهموا ان النهي للتنزيه لا للتحريم والا لما قدموا عليه وقال الاكثرون لا يجوز الوصال وبه قال مالك وابو حنيفة ونص الشافعي واصحابه على كراهته ولهم في هذه الكراهة وجهان اصحهما انها كراهة تحريم والثاني انها للتنزيه واختار ابن وهب واحمد بن حنبل واسحق جواز الوصال الى السحر لحديث ابي سعيد عند البخاري عنه صلى الله عليه وسلم لا تواصلوا فايكم اراد ان يواصل فليواصل الى السحر وهذا الوصال لا يترتب عليه شئ مما يترتب على غيره لانه في الحقيقة بمنزلة عشائه الا انه يؤخره لان الصائم له في اليوم والليلة اكلة فاذا اكلها في السحر كان قد نقلها من اول الليل الى آخره وكان اخف لجسمه في قيام الليل ولا يخفى ان محل ذلك ما لم يشق على الصائم والا فلا يكون قربة وقد صرح في الحديث بان الوصال من خصائصه صلى الله عليه وسلم فقال اني لست كهيئتكم وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب قال قال صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من ههنا وغربت الشمس فقد افطر الصائم قالوا اي جعله مفطرا حكما بدخول وقت الفطر وان لم يفطر وذلك يحيل الوصال شرعا واحتج الجمهور للتحريم بعموم النهي في قوله صلى الله عليه وسلم لا تواصلوا واجاب عن قوله رحمة بانه لا يمنع ذلك كونه منهيا عنه للتحريم وسبب تحريمه الشفقة عليهم لئلا يتكلفوا ما يشق عليهم واما الوصال بهم يوما ثم يوما فاحتمل للمصلحة في تاكيد زجرهم وبيان الحكمة في نهيهم والمفسدة المترتبة على الوصال وهي الملل من العبادة والتعرض للتقصير في بعض وظائف الدين من اتمام الصلوة بخشوعها واذكارها وسائر الوظائف المشروعة في نهاره وليله واجابوا ايضا بقوله عليه الصلوة والسلام اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا فقد افطر الصائم اذ لم يجعل الليل محلا لسوى الفطر فالصوم فيه مخالف لموضعه وروى الطبراني في الاوسط من حديث ابي ذر ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد قبل وصالك ولا يحل لاحد بعدك ولكن اسناده ليس بصحيح ولا حجة فيه

الفصل التاسع في سحوره صلى الله عليه وسلم عن ابي هريرة عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتسحر فقال انها بركة اعطاكم الله اياها فلا تدعوها رواه النسائي وعن العرباض بن سارية قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السحور في رمضان قال هلم الى الغذا المبارك رواه ابو داود والنسائي وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند السحور يا انس اني اريد الصيام فاطعمني شيئا فاتيته بتمر وانا فيه ما وذلك بعد ما اذن بلال قال يا انس انظر رجلا ياكل معي فدعوت زيد بن ثابت فجاء فقال اني اريد شربة سويق وانا اريد الصيام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اريد الصيام فتسحر معه ثم قام فصلى ركعتين ثم خرج للصلاة رواه النسائي وعن زر بن حبيش قلنا لحذيفة اي ساعة تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو النهار الا ان الشمس لم تطلع رواه النسائي ايضا وعن زيد بن ثابت قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا الى الصلاة قال انس بن مالك كم كان قدر ما بينهما قال قدر خمسين آية رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي

الفصل التاسع في سحوره

والمراد انه متوسطة لاطويلة ولاقصيرة ولابطيئة قال ابن ابي جمرة كان صلى الله عليه وسلم ينظر ما
هو الارفق بامته فيفعله لانه لولم يتسحر لاتبعوه فشق على بعضهم ولو تسحر في جوف الليل لشق على بعض
من يغلب عليه النوم فيفضي الى ترك الصبح او يحتاج الى المجاهدة بالسهر وقال القرطبي فيه دلالة على ان
الفراغ من السحور كان قبل طلوع الفجر فهو معارض لقول حذيفة هو النهار الا ان الشمس لم تطلع انتهى
واجاب في فتح الباري بان لا معارضة بل يحمل على اختلاف الحال انتهى فليس في رواية واحد منهما ما يشعر
بالمواظبة الفصل العاشر في افطاره صلى الله عليه وسلم في رمضان في السفر وصومه عن جابر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عام الفتح الى مكة في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم وصام
الناس ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس ثم شرب فقيل له بعد ذلك ان بعض الناس قد صام فقال
اولئك العصاة اولئك العصاة زاد في رواية فقيل له ان الناس قد شق عليهم الصيام وانما ينظرون
فيما فعلت فدعا بقدح من ماء بعد العصر رواه مسلم وعن ابن عباس قال سافرنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في رمضان فصام حتى بلغ عسفان ثم دعا باناء من ماء فشرب نهارا ليراه الناس وافطر حتى
قدم مكة وكان ابن عباس يقول صام رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر وافطر فمن شاء صام ومن
شاء افطر رواه البخاري ومسلم ولمسلم ان ابن عباس كان لا يعيب على من افطر ولا على من صام قد صام
رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر وافطر قال النووي رحمه الله اختلف العلماء في صوم رمضان
في السفر فقال بعض اهل الظاهر لا يصح صوم رمضان في السفر وان صامه لم ينعقد ويجب قضاؤه لظاهر
الاية والحديث ليس من البر الصوم في السفر وفي الحديث الآخر اولئك العصاة وقال جماهير اهل الفتوى
يجوز صومه في السفر وينعقد ويجزيه واختلفوا في ان الصوم افضل ام الفطر ام هما سواء
فقال مالك وابو حنيفة والشافعي والاكثرون الصوم افضل لمن اطاقه بلا مشقة ظاهرة ولا
ضرر فان تضرر به فالفطر افضل واحتجوا بصومه صلى الله عليه وسلم ولانه يحصل به براءة الذمة
في الحال وقال سعيد بن المسيب والاوزاعي واحمد واسحق وغيرهم الفطر افضل مطلقا وحكاه
بعض اصحابنا قولا للشافعي وهو غريب واحتجوا بما سبق لاهل الظاهر وبقوله صلى الله عليه
وسلم رخصة من الله فمن اخذ بها فحسن ومن احب ان يصوم فلا جناح عليه وظاهره ترجيح الفطر
واجاب الاكثرون بان هذا كله فيمن يخاف ضررا او يجد مشقة كما هو صريح في الاحاديث واعتمدوا
حديث ابي سعيد الخدري قال كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فمنا الصائم
ومنا المفطر ولا يجد الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم يرون ان من وجد قوة فصام فان
ذلك حسن ويرون ان من وجد ضعفا فافطر فان ذلك حسن وهذا صريح في ترجيح مذهب
الاكثرين وهو تفضيل الصوم لمن اطاقه بلا ضرر ولا مشقة ظاهرة وقال بعض العلماء الفطر
والصوم سواء لتعادل الاحاديث والصحيح قول الاكثرين القسم الثاني في صومه صلى الله عليه
وسلم غير شهر رمضان وفيه فصول الفصل الاول في سرده عليه السلام صوم ايام من الشهر

وفطره

وفطره اياما عن ابي امامة انه صلى الله عليه وسلم كان يسرد الصوم فيقال لا يفطر ويفطر فيقال
لا يصوم رواه النسائي وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر من الشهر حتى
نظن ان لا يصوم منه ثم يصوم حتى نظن ان لا يفطر منه شيئا وكان لا تشاء ان تراه من الليل
مصليا الا رايته ولا نائما الا رايته وفي رواية ما كنت احب ان اراه من الشهر صائما الا
رايته ولا مفطرا الا رايته ولا من الليل قائما الا رايته ولا نائما الا رايته رواه البخاري ولمسلم
كان يصوم حتى يقال قد صام صام ويفطر حتى يقال افطر افطر وعن ابن عباس قال ما صام رسول
الله صلى الله عليه وسلم شهرا كاملا غير رمضان وكان يصوم حتى يقول القائل لا والله لا يفطر
ويفطر حتى يقول القائل لا والله لا يصوم رواه البخاري ومسلم والنسائي وزاد ما صام
شهرا متتابعا غير رمضان منذ قدم المدينة ففي هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يصم الدهر
ولا قام الليل كله وكانه ترك ذلك لئلا يقتدى به فيشق على الامة وان كان اعطي من القوة ما
لو التزم ذلك لاقتدر عليه لكنه سلك من العبادة الطريقة الوسطى فصام وافطر وقام ونام
الفصل الثاني في صومه صلى الله عليه وسلم عاشورا وهو بالمد على المشهور واختلف في
تعيينه فعن الحكم بن الاعرج قال انتهيت الى ابن عباس وهو متوسد رداءه في زمزم فقلت له
اخبرني عن صوم عاشورا فقال اذا رايت هلال المحرم فاعدد واصبح يوم التاسع صائما
قلت هكذا كان محمد صلى الله عليه وسلم يصومه قال نعم رواه مسلم قال النووي هذا تصريح
من ابن عباس بان مذهبه ان عاشورا هو اليوم التاسع من المحرم ويتأوله على انه ماخوذ من
اظماء الابل فان العرب تسمي اليوم الخامس من ايام الورد ربعا وكذا باقي الايام على هذه النسبة
فيكون التاسع عشرا انتهى لكن قال ابن المنير قوله اذا اصبحت من تاسعه فاصبح صائما يشعر
بانه اراد العاشر لانه لا يصبح صائما بعد ان اصبح صائما من تاسعه الا اذا نوى الصوم من الليلة
المقبلة وهي الليلة العاشرة انتهى وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف الى ان عاشورا
هو اليوم العاشر من المحرم وممن قال بذلك سعيد بن المسيب والحسن البصري ومالك واحمد
واسحق وخلائق وهذا ظاهر الاحاديث ومقتضى اللفظ واما تقدير اخذه من الاظماء فبعيد
ثم ان حديث ابن عباس يرد عليه معنى قوله ان النبي صلى الله عليه وسلم صام يوم عاشورا
فقال له يا رسول الله يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال صلى الله عليه وسلم فاذا كان العام المقبل
ان شاء الله تعالى صمت اليوم التاسع قال فلم يات العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهذا تصريح بان الذي كان يصومه ليس هو التاسع فتعين كونه العاشر قاله النووي
وقال القرطبي عاشورا معدول عن عاشرة للمبالغة والتعظيم وهو في الاصل صفة لليلة العاشرة
لانه ماخوذ من العشر الذي هو اسم للعقد واليوم يضاف اليها فاذا قيل يوم عاشورا فكانه قيل
يوم الليلة العاشرة الا انهم لما عدلوا به عن الصفة غلبت عليه الاسمية فاستغنوا عن الموصوف

لحذفوا الليلة وعلى هذا فيوم عاشورا هو العاشر وهذا قول الخليل وغيره وقال ابن المنير الاكثر
على ان عاشورا هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم وهو مقتضى الاشتقاق والتسمية وقال
ابن القيم من تأمل مجموع روايات ابن عباس تبين له زوال الاشكال وسعة علم ابن عباس فانه
لم يجعل يوم عاشورا اليوم التاسع بل قال للسائل صم اليوم التاسع واكتفى بمعرفة السائل ان يوم
عاشورا هو اليوم العاشر الذى يعده الناس يوم عاشورا فارشد السائل الى صيام التاسع
معه واخبرات رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصومه كذلك فاما ان يكون فعل ذلك
وهو الاولى واما ان يكون حمل فعله على الامر به وعزمه عليه فى المستقبل وهو الذى روى امرنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيوم عاشورا يوم العاشر وكل هذا الاثار عنه يصدق بعضها بعضا
انتهى فليتامل وعن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة كان يوم عاشورا يصومه قريش فى
الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فى الجاهلية فلما قدم المدينة صام وامر
بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشورا فمن شاء صامه ومن شاء تركه رواه البخارى ومسلم
ومالك وابو داود والترمذى واستفيد من هذه الرواية تعيين الوقت الذى وقع الامر فيه
بصوم عاشورا وهو اول قدومه المدينة ولا شك ان قدومه عليه السلام كان فى ربيع
الاول فحينئذ كان الامر بذلك فى اول السنة الثانية وفى السنة الثانية فرض شهر رمضان
فعلى هذا لم يقع الامر بصوم عاشورا الا فى سنة واحدة ثم فوض الامر فى صومه الى راى
المتطوع فعلى تقدير صحة قول من يدعى انه كان قد فرض صومه فقد نسخ فرضه بهذه الاحاديث
الصحيحة واما صيام قريش لعاشورا فلعلهم تلقوه من الشرع السالف ولذا كانوا يعظمونه
بكسوة الكعبة فيه وقد روى عن عكرمة انه سئل عن ذلك فقال اذنبت قريش ذنبا فى
الجاهلية فعظم فى صدورهم فقيل لهم صوموا عاشورا يكفر ذلك قاله فى فتح البارى وعن ابن
عمر ان الجاهلية كانوا يصومون يوم عاشورا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
عاشورا يوم من ايام الله فمن شاء صامه رواه البخارى ومسلم وابو داود وفى رواية وكان عبد
الله لا يصومه الا ان يوافق صومه وعن سلمة بن الاكوع قال بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم رجلا من اسلم يوم عاشورا فامره ان يؤذن فى الناس من كان لم يصم فليصم ومن كان اكل
فليتم صيامه الى الليل رواه مسلم قال النووى اختلفوا فى حكم صوم عاشورا فى اول الاسلام
حين شرع صومه قبل صوم رمضان فقال ابو حنيفة كان واجبا واختلف اصحاب الشافعى
فيه على وجهين اشهرهما عندهم انه لم يزل سنة من حين شرع ولم يكن واجبا قط فى هذه الامة ولكنه
كان متاكد الاستحباب فلما نزل صوم رمضان صار مستحبا دون ذلك الاستحباب والثانى كان واجبا
كقول ابى حنيفة وتظهر فائدة الخلاف فى اشتراط نية الصوم الواجب من الليل فابو حنيفة لا
يشترطها ويقول كان الناس مفطرين اول يوم عاشورا ثم امروا بصيامه بنية من النهار ولم يؤمروا

بقضائه بعد صومه واصحاب الشافعى يقولون كان مستحبا فصح بنية من النهار ويتمسك ابو حنيفة
بقوله امر بصيامه والامر للوجوب وبقوله فلما فرض شهر رمضان قال من شاء صامه ومن شاء
تركه ويحتج الشافعية بقوله هذا يوم عاشورا ولم يكتب الله عليكم صيامه والشافعية يقولون
ايضا معنى قوله فى حديث ام سلمة فامره ان يؤذن فى الناس من كان لم يصم فليصم الخ ان من كان
نوى الصوم فليتم صومه ومن كان لم ينو الصوم ولم ياكل او اكل فليمسك بقية يومه لحرمة
اليوم واحتج ابو حنيفة بهذا الحديث لمذهبه ان صوم الفرض يجب بنية فى النهار ولا يشترط
تبييتها قال لانهم نووا فى النهار واجزاهم واجاب الجمهور عن هذا الحديث بان المراد امساك بقية
النهار لا حقيقة الصوم والدليل على هذا انهم اكلوا ثم امروا بالاتمام وقد وافق ابو حنيفة
وغيره على ان شرط اجزاء النية فى النهار فى الفرض والنفل ان لا يتقدمها مفسد للصوم من
اكل وغيره انتهى وقال الحافظ شيخ الاسلام ابو الفضل بن حجر يؤخذ من مجموع الاحاديث انه
كان واجبا لثبوت الامر بصومه ثم تاكد الامر بذلك ثم زيادة التاكيد بالنداء العام ثم
زيادته بامر من اكل بالامساك ثم زيادته بامر الامهات ان لا ترضعن فيه الاطفال وبقول
ابن مسعود الثابت فى مسلم لما فرض رمضان ترك عاشورا مع العلم بانه ما ترك استحبابه
بل هو باق فدل على ان المتروك وجوبه واما قول بعضهم المتروك تاكد استحبابه والباقى
مطلق استحبابه فلا يخفى ضعفه بل تاكد استحبابه باق ولا سيما مع استمرار الاهتمام به
فى عام وفاته صلى الله عليه وسلم حيث قال لئن عشت لاصومن التاسع والعاشر ولترغيبه
فى صومه وانه يكفر السنة فاى تاكيد ابلغ من هذا انتهى وعن ابن عباس قال لما قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة فراى اليهود تصوم عاشورا فقال ما هذا قالوا يوم
صالح نجا الله فيه موسى وبنى اسرائيل من عدوهم فصامه فقال انا احق بموسى منكم
فصامه وامر بصيامه وفى رواية فقال لهم ما هذا اليوم الذى تصومونه قالوا
هذا يوم عظيم نجا الله فيه موسى واغرق فيه فرعون وقومه موسى شكرا
فنحن نصومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن احق واولى بموسى
منكم فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر بصيامه وفى اخرى فنحن
نصومه تعظيما له رواه البخارى ومسلم وابو داود وقد اجاب صاحب زاد
المعاد وغيره عما استشكله بعضهم فى هذا الحديث وقال ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم انما قدم المدينة فى شهر ربيع الاول فكيف يقول ابن عباس
انه قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشورا وبانه ليس فى الحديث
ان يوم قدومه وجدهم يصومونه فانه انما قدم يوم الاثنين فى ربيع الاول
ثانى عشرة ولكن اول علمه بذلك ووقوع القصة كان بعد قدومه المدينة

ولم يكن وهو بمكة وقال في الفتح غايته ان في الكلام حذفا تقديره قدم عليه السلام المدينة فاقام الى يوم عاشورا فوجد اليهود فيه صياما ويحتمل ان يكون اولئك اليهود كانوا يحسبون يوم عاشورا بحساب السنين الشمسية فصادف يوم عاشورا بحسابهم اليوم الذي قدم فيه صلى الله عليه وسلم المدينة وهذا التأويل مما يترجح به اولوية المسلمين واحقيتهم بموسى لاضلالهم اليوم المذكور وهداية المسلمين له ولكن سياق الاحاديث يدفع هذا التأويل والاعتماد على التأويل الاول انتهى وقد استشكل ايضا رجوا عليه الصلاة والسلام الى خبر اليهود وهو غير مقبول واجاب المازري بانه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم اوحي اليه بصدقهم فيما قالوه او تواتر عنده النقل بذلك حتى حصل له العلم بذلك قال القاضي عياض رادا على المازري قد روى مسلم ان قريشا كانت تصومه فلما قدم المدينة صامه فلم يحدث له بقول اليهود حكم يحتاج الى الكلام عليه وانما هي صفة حال وجواب سؤال فقوله صامه ليس فيه ابتداء صومه حينئذ ولو كان هذا لحملناه على انه اخبره به من اسلم من علمائهم كابن سلام وغيره قال وقد قال بعضهم يحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يصومه بمكة ثم ترك صيامه حتى علم ما عند اهل الكتاب منه فصامه قال وما ذكرناه اولى بلفظ الحديث قال النووي والمختار قول المازري ومختصر ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يصومه كما تصومه قريش في مكة ثم قدم المدينة فوجد اليهود يصومونه فصامه ايضا بوحي وتواترا واجتهاد لا مجرد اخبار آحادهم انتهى وقال القرطبي لعل قريشا كانوا يستندون في صومه الى شرع من مضى كابرهيم وصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون بحكم الموافقة لهم كما في الحج اذن الله له في صيامه على انه فعل خير فلما هاجر ووجد اليهود يصومونه وسألهم وصامه وامر بصيامه احتمل ان يكون ذلك استيلافا لليهود كما استألفهم باستعمال قبلتهم ويحتمل غير ذلك وعلى كل حال فلم يصمه اقتداء بهم فانه كان يصومه قبل ذلك وكان ذلك في الوقت الذي يحب فيه موافقة اهل الكتاب فيما لم ينه عنه ولاسيما اذا كان فيه ما يخالف اهل الاوثان فلما فتحت مكة واشتهر امر الاسلام احب مخالفة اهل الكتاب ايضا كما في حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صام يوم عاشورا وامر بصيامه قالوا يا رسول الله انه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال

صلى الله عليه وسلم فاذا كان العام المقبل ان شاء الله صمنا اليوم التاسع قال فلم يات المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لئن بقيت الى قابل لاصومن التاسع رواه مسلم وهذا دليل الشافعي واصحابه واحمد واسحق القائلين باستحباب صوم التاسع والعاشر جميعا لانه صلى الله عليه وسلم صام العاشر ونوى صوم التاسع قال النووي قال بعض العلماء ولعل السبب في صوم التاسع مع العاشر ان لا يتشبه باليهود في افراد العاشر وفي الحديث اشارة الى هذا وقيل للاحتياط في تحصيل عاشورا والاول اولى انتهى وفي رواية البزار من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم عاشورا صوموه وخالفوا فيه اليهود وصوموا قبله يوما و بعده يوما ولاحمد نحوه فمراتب صومه ثلاثة ادناها ان يصام وحده واكملها ان يصام يوما قبله ويوما بعده ويلي ذلك ان يصام التاسع والعاشر وعليه اكثر الاحاديث وقال بعضهم فقد ظهر ان القصد مخالفة اهل الكتاب في هذه العبادة وذلك يحصل باحد امرين اما بنقل العاشر الى التاسع واما بصيامهما معا والله اعلم وفي البخاري من حديث ابي موسى قال كان يوم عاشورا يعده اليهود عيدا قال صلى الله عليه وسلم فصوموه انتم وهذا ظاهره ان الباعث على الامر بصومه محبة مخالفة اليهود حتى يصام ما يفطرون فيه لان يوم العيد لا يصام وحديث ابن عباس يدل على ان الباعث على صيامه موافقتهم على السبب وهو شكر الله تعالى على نجاة موسى لكن لا يلزم من تعظيمهم له واعتقادهم بانه عيد انهم كانوا لا يصومونه فلعله كان من جملة تعظيمهم في شرعهم ان يصوموه وقد ورد ذلك صريحا في حديث مسلم كان اهل خيبر يصومون يوم عاشورا يتخذونه عيدا ويلبسون نساؤهم فيه حليهم وشارتهم وهو بالشين المعجمة اي هيئتهم الحسنة ومحصل ما ورد في صيامه صلى الله عليه وسلم عاشورا اربعة احوال احدها انه كان يصومه بمكة ولا يامر الناس بصيامه كما تقدم في حديث عائشة عند الشيخين و غيرهما كان عاشورا يوما تصومه قريش في الجاهلية وكان صلى الله عليه وسلم يصومه فلما قدم المدينة صامه الحديث الثانية انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وراى صيام اهل الكتاب له وتعظيمهم له وكان يحب موافقتهم فيما لم يؤمر به صامه وامر الناس بصيامه واكد الامر بصيامه والحث عليه حتى كانوا يصومونه اطفالهم كما تقدم في حديث ابن عباس

عند الشيخين وغيرهما **الثالثة** انه لما فرض صيام شهر رمضان ترك
صلى الله عليه وسلم صيامه وقال ان عاشورا يوم من ايام الله فمن شاء
صامه ومن شاء تركه ويشهد له حديث عائشة السابق **الحالة**
الرابعة انه صلى الله عليه وسلم عزم فى آخر عمره ان لا يصومه مفردا
بل يضم اليه يوما آخر مخالفة لاهل الكتاب فى صيامه كما قدمناه وقد
روى مسلم من حديث ابى قتادة مرفوعا ان صوم عاشورا يكفر سنة
وان صيام يوم عرفة يكفر سنتين وظاهره ان صيام يوم عرفة افضل
من صيام يوم عاشورا وقد قيل الحكمة فى ذلك ان يوم عاشورا
منسوب الى موسى ويوم عرفة منسوب الى النبى صلى الله عليه
وسلم فلذلك كان افضل والله اعلم **واما** ما روى من وسع على
عياله فى يوم عاشورا وسع الله عليه السنة كلها ورواه الطبرانى
والبيهقى فى الشعب وفى فضائل الاوقات وابو الشيخ عن ابن مسعود
والاولان فقط فى الشعب عن جابر وابى هريرة وقال ان اسانيدها
كلها ضعيفة ولكن اذا ضم بعضها الى بعض افاد قوة بل قال العراقى فى
اماليه لحديث ابى هريرة طرق صحح بعضها ابن ناصر الحافظ واورده ابن
الجوزى فى الموضوعات من طريق سليمان بن ابى عبد الله عنه وقال
سليمان مجهول وسليمان ذكره ابن حبان فى الثقات فالحديث حسن
على رايه قال وله طريق عن جابر على شرط مسلم اخرجها ابن عبد
البر فى الاستذكار من رواية ابى الزبير عنه وهى اصح طرقه ورواه
هو والدارقطنى فى الافراد بسند جيد عن عمر موقوفا عليه والبيهقى
فى الشعب من جهة محمد بن المنتشر قال كان يقال وذكره

الفصل الثالث فى صيامه صلى الله عليه وسلم شعبان

عن عائشة رضى الله عنها ما رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا شهر
رمضان وما رايته فى شهر اكثر منه صياما فى شعبان رواه البخارى
ومسلم وفى اخرى لهما لم يكن يصوم شهرا اكثر من شعبان فانه كان
يصومه كله وفى رواية الترمذى كان يصومه الا قليلا منه بل كان
يصومه كله **وفى رواية** ابى داود كان احب الشهور الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يصومه شعبان ثم يصله برمضان

اى معظمه وعامة الشئ معظمه

وللنسائ كان يصوم شعبان او عامة شعبان وفى اخرى له كان يصوم
شعبان الا قليلا وفى اخرى له ايضا كان يصوم شعبان كله قال الحافظ
ابن حجر اى يصوم معظمه ونقل الترمذى عن ابن المبارك انه قال
جائز فى كلام العرب اذا صام اكثر الشهر ان يقول صام الشهر كله
ويقال قام فلان ليلة اجمع ولعله قد يتعشى واشتغل ببعض امره
قال الترمذى كان ابن المبارك جمع بين الحديثين بذلك وحاصله
ان الرواية الاولى مفسرة للثانية ومخصصة لها وان المراد بالكل
الاكثر وهو مجاز قليل الاستعمال واستبعده الطيبى وقال يحمل
على انه كان يصوم شعبان كله تارة ويصوم معظمه اخرى لئلا
يتوهم انه واجب كله كرمضان وقال ابن المنير اما ان يحمل
قول عائشة على المبالغة قال والمراد الاكثر **واما ان يجمع** بان قولها
الثانى متأخر عن قولها الاول فاخبرت عن اوائل امره انه كان يصوم
اكثر شعبان واخبرت ثانيا عن آخر امره انه كان يصومه كله انتهى
ولا يخفى تكلفه والاول هو الصواب **واختلف** فى الحكمة فى اكثاره
صلى الله عليه وسلم من صوم شعبان فقيل كان يشتغل عن صيام
الثلاثة ايام من كل شهر لسفر او غيره فتجتمع فيقضيها فى شعبان اشار
الى ذلك ابن بطال وفيه حديث ضعيف اخرجه الطبرانى فى الاوسط
من طريق ابن ابى ليلى عن اخيه عيسى عن ابيه عن عائشة كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة ايام من كل شهر فربما اخر ذلك
حتى يجتمع عليه صوم السنة فيصوم شعبان وابن ابى ليلى ضعيف
وقيل كان يضع الحديث **وقيل** كان يصنع ذلك لتعظيم رمضان
وورد حديث اخرجه الترمذى من طريق صدقة ابن موسى عن ثابت
عن انس قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم اى الصوم افضل
بعد رمضان قال شعبان لتعظيم رمضان قال الترمذى
حديث غريب وصدقة عندهم ليس بذلك القوى لكن يعارضه
ما روى مسلم من حديث ابى هريرة مرفوعا افضل الصوم بعد رمضان
صوم المحرم والا ولى فى ذلك ما جاء فى حديث اصح مما روى اخرجه
النسائ وابو داود واخرجه ابن خزيمة عن اسامة بن زيد قال
قلت يا رسول الله لم ارك تصوم شهرا من الشهور ما تصوم من شعبان

قوله وابن ابى ليلى ضعيف هكذا وجد فى غالب النسخ وصوابه وابن ابى ليلى ضعيف

قال ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر
ترفع فيه الاعمال الى رب العالمين فاحب ان يرفع عملى وانا صائم
فبين صلى الله عليه وسلم وجه صيامه لشعبان دون غيره من
الشهور بقوله انه شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان يشير
الى انه لما اكتنفه شهران عظيمان الشهر الحرام وشهر الصيام اشتغل
الناس بهما فصار مغفولا عنه وكثير من الناس يظن ان صيام رجب
افضل من صيامه لانه شهر حرام وليس كذلك وفى احياء الوقت
المغفول عنه بالطاعة فوائد منها ان يكون اخفاء واخفاء النوافل
واسرارها افضل لا سيما الصيام فانه سر بين العبد وربه
ومنها انه اشق على النفوس لان النفوس تتأسى بما تشاهد من بنى
الجنس فاذا كثرت يقظة الناس وطاعاتهم سهلت الطاعات واذا
كثرت الغفلات واهلها تاسى بهم عموم الناس فيشق على النفوس
المستيقظين طاعاتهم لقلة من يقتدى بهم وقد روى فى صيامه
صلى الله عليه وسلم شعبان معنى آخر وهو انه تنسخ فيه الآجال
فروى باسناد فيه ضعف عن عائشة قالت كان اكثر صيام النبى
صلى الله عليه وسلم فى شعبان فقلت يا رسول الله ارى اكثر
صيامك فى شعبان قال ان هذا الشهر يكتب فيه لملك الموت من
يقبض فانا احب ان لا ينسخ اسمى وانا صائم وقد روى مرسلا وقيل
انه اصح وقد قيل فى صوم شعبان معنى آخر وهو ان صيامه
كالتمرين على صيام رمضان لئلا يدخل فى صيامه على مشقة
وكلفة بل يكون قد تمرن على الصيام واعتاده ووجد بصيام
شعبان قبل رمضان حلاوة الصوم ولذته فيدخل فى صيام
رمضان بقوة ونشاط واعلم انه لا تعارض بين هذا وبين
النهى عن تقدم رمضان بصوم يوم او يومين وكذا ما جاء فى
النهى عن صوم نصف شعبان الثانى فان الجمع بينهما ظاهر
بان يحمل النهى على من لم يدخل تلك الايام فى صيام اعتاده واجاب
النووى عن كونه عليه السلام لم يكثر الصوم فى المحرم مع قوله ان
افضل الصيام ما يقع فيه بانه يحتمل ان يكون ما علم ذلك الا فى آخر عمره
ولم يتمكن من كثرة الصوم فى المحرم او اتفق له فيه من الاعذار

قوله ويحتمل ان يكون ما علم الخ فيه تأمل لانه يحتاج الى تاريخ يثبت انه تأخر علمه بافضلية المحرم الى آخر عمره وهو بعيد

كالتنفر ما منعه من كثرة الصوم فى المحرم واما شهر رجب بخصوصه
فقد قال بعض الشافعية انه افضل من سائر الشهور وضعفه النووى
وغيره فلم يعلم انه صح انه صلى الله عليه وسلم صامه بل روى عنه من
حديث ابن عباس مما صحح وقفه انه نهى عن صيامه ذكره ابن ماجة
لكن فى سنن ابى داود انه صلى الله عليه وسلم ندب الى الصوم من الاشهر
الحرم ورجب احدها وفى حديث مجيبة الباهلية عن ابيها وعمها
انه صلى الله عليه وسلم قال له صم من الحرم واترك قالها ثلاثا
وفى رواية مسلم عن عثمان بن حكيم الانصارى قال سألت سعيد
بن جبير عن صوم رجب ونحن يومئذ فى رجب فقال سمعت ابن عباس
يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر
ويفطر حتى نقول لا يصوم والظاهر ان مراد سعيد بهذا الاستدلال
على انه لا نهى عنه ولا ندب فيه بعينه بل له حكم باقى الشهور وفى
اللطائف روى عن الكتانى ثنا تمام الرازى ثنا القاضى يوسف ثنا
محمد بن اسحق السراج ثنا يوسف بن موسى ثنا حجاج بن منهال ثنا
حماد بن سلمة ثنا حبيب المعلم عن عطاء ان عروة قال لعبد الله بن
عمر هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم فى رجب قال نعم
ويشرفه قالها ثلاثا اخرجه ابو داود وغيره وعن ابى قلابة قال ان
فى الجنة قصرا لصوام رجب قال البيهقى ابو قلابة من كبار التابعين
لا يقوله الا عن بلاغ والله اعلم الفصل الرابع فى صومه صلى
الله عليه وسلم عشر ذى الحجة والمراد بها الايام التسعة من
اول ذى الحجة عن هنيدة بن خالد عن امرأته عن بعض ازواج النبى
صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم
تسع ذى الحجة رواه ابو داود وعن عائشة قالت ما رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم صائما فى العشر قط رواه مسلم والترمذى وهذا
يوهم كراهة صوم العشر وليس فيها كراهة بل هى مستحبة استحبابا
شديدا لا سيما يوم التاسع منها وهو يوم عرفة وقد ثبت فى صحيح
البخارى انه صلى الله عليه وسلم قال ما من ايام العمل الصالح فيها
افضل منه وهذه يعنى العشر الاول من ذى الحجة واستدل به على فضل
صيام عشر ذى الحجة لاندراج الصوم فى العمل واستشكل بتحريم الصوم

يوم العيد واجيب بانه محمول على الغائب والله اعلم ويتأول قولها يعنى
عائشة لم يصم العشر انه لم يصمه لعارض من مرض او سفر او غيرهما او انه
لم تره صائما فيه ولا يلزم من ذلك عدم صيامه فى نفس الامر ويدل عليه
حديث هنيدة بن خالد الذى ذكرته قال الحافظ بن حجر قد وقع فى رواية
القسم بن ابى ايوب ما من عمل ازكى عند الله ولا اعظم اجرا من خير يعمله
فى عشر الاضحى وفى حديث جابر فى صحيحى ابى عوانة وابن حبان ما من ايام
افضل عند الله من ايام عشر ذى الحجة فقد ثبتت الفضيلة لايام عشر ذى
الحجة على غيرها من ايام السنة ويظهر فائدة ذلك فيمن نذر الصيام او علق
عملا من الاعمال بافضل الايام فلو افرد يوما منها تعين يوم عرفة لانه على
الصحيح افضل ايام العشر المذكور فان اراد افضل ايام الاسبوع تعين
يوم الجمعة جمعا بين الحديث السابق وبين حديث ابى هريرة مرفوعا خير
يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة رواه مسلم اشار الى ذلك كله
النووى فى شرحه وقال الداودى لم يرد عليه السلام ان هذه الايام
خير من يوم الجمعة لانه قد يكون فيها يوم الجمعة يعنى فيلزم تفضيل الشئ
على نفسه وتعقب بان المراد كل يوم من ايام العشر افضل من غيره من
ايام السنة سواء كان يوم الجمعة ام لا ويوم الجمعة فيه افضل من يوم الجمعة
فى غيره لاجتماع الفضيلتين فيه والذى يظهر ان السبب فى امتياز عشر
ذى الحجة امكان اجتماع العبادة فيه وهى الصيام والصلاة والصدقة
والحج ولا يتاتى ذلك فى غيرها وعلى هذا هل يختص الفضل بالحاج او يعم
المقيم فيه احتمال انتهى وقال ابو امامة ابن النقاش فان قلت
ايما افضل عشر ذى الحجة او العشر الاواخر من رمضان فالجواب
ان ايام عشر ذى الحجة افضل لاشتمالها على اليوم الذى ما روى
الشيطان فى يوم غير يوم بدر ادحر ولا اغيظ ولا احقر
منه وهو يوم عرفة ولكونه يكفر سنتين ولاشتماله على
اعظم الايام عند الله حرمة وهو يوم النحر الذى سماه الله
تعالى يوم الحج الاكبر وليالى عشر رمضان الاخير افضل لاشتمالها
على ليلة هى خير من الف شهر ومن تامل هذا الجواب وجده كافيا
شافيا اشار اليها الفاضل المفضل فى قوله ما من ايام العمل فيهن احب
الى الله من عشر ذى الحجة الحديث فتامل قوله ما من ايام دون ان يقول

قف على ان ايام عشر ذى الحجة افضل من العشر الاواخر من رمضان

ما من عشر ونحوه ومن اجاب بغير هذا التفصيل لم يدل بحجة صحيحة صريحة قط
الفصل الخامس فى صومه صلى الله عليه وسلم ايام الاسبوع عن عائشة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحرى صوم يوم الخميس والاثنين رواه
الترمذى والنسائى وعن ابى قتادة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن صوم الاثنين فقال فيه ولدت وفيه انزل على رواه مسلم وعن ابى هريرة
انه صلى الله عليه وسلم قال تعرض الاعمال على الله تعالى يوم الاثنين والخميس
فاحب ان يعرض عملى وانا صائم رواه الترمذى وعن اسامة ابن زيد قلت يا رسول
الله انك تصوم حتى لا تكاد تفطر وتفطر حتى لا تكاد تصوم الا يومين ان دخلا
فى صيامك والا صمتهما قال اى يومان قلت الاثنين والخميس قال ذانك يومان
تعرض فيهما الاعمال على رب العالمين فاحب ان يعرض عملى وانا صائم رواه النسائى
وروى على ابن ابى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد قال يكتب كل ما تكلم به من خير وشر حتى انه ليكتب قوله اكلت وشربت
وذهبت وجئت ورايت حتى اذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فاقر منه
ما كان فيه من خير وشر والقى سائره وهذا والله اعلم عرض خاص فى هذين
اليومين غير العرض العام كل يوم فان ذلك عرض خاص دائم بكرة وعشيا ويدل على
ذلك ما فى صحيح مسلم عن ابى موسى الاشعرى قال قام فينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله تعالى لا ينام ولا ينبغى له ان ينام يخفض
القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل الحديث وعن ام سلمة
كان صلى الله عليه وسلم يصوم فى كل شهر ثلاثة ايام الاثنين والخميس من هذه
الجمعة والاثنين من المقبلة وفى اول اثنين من الشهر ثم الخميس ثم الخميس الذى
يليه رواه النسائى وعن عائشة كان يصوم من الشهر السبت والاحد ومن الشهر
الآخر الثلاثاء والاربعاء والخميس رواه الترمذى وعن كريب مولى ابن عباس قال
ارسلنى ابن عباس وناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ام سلمة
اسالها اى الايام كان النبى صلى الله عليه وسلم اكثرها صياما قالت السبت
والاحد ويقول انهما عيد المشركين وانا احب ان اخالفهم رواه احمد والنسائى وفيه
محمد بن عمر ولا يعرف حاله ويرويه عنه ابنه عبد الله بن محمد بن عمر ولا يعرف حاله
ايضا وعن عبد الله بن بسر عن اخته الصماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تصوموا يوم السبت الا فيما افترض عليكم فان لم يجد احدكم الا لحاء عنبة
او عود شجرة فليمضغه رواه احمد وابو داود والترمذى وابن ماجه والدارمى

قال بعضهم لا تعارض بينه وبين حديث ام سلمة فان النهي عن صومه انما هو
عن افراده وعلى ذلك ترجم ابو داود فقال باب النهي ان يخص يوم السبت
بالصوم وحديث صيامه انما هو مع يوم الاحد قالوا ونظير هذا انه نهى
عن افراد يوم الجمعة بالصوم الا ان يصوم يوما قبله او يوما بعده قال النووي
قول مالك في الموطا لم اسمع احدا من اهل العلم والفقه ومن يقتدى به ينهى
عن صيام يوم الجمعة وصيامه حسن فقد رايت بعض اهل العلم يصومه
واراه كان يتحراه فهذا الذي قاله هو الذي راه وقد راى غيره خلاف
ما راى هو والسنة مقدمة على ما راه هو وغيره وقد ثبت النهي عن صوم
يوم الجمعة فتعين القول به ومالك معذور فانه لم يبلغه قال الداودي
من اصحاب مالك ولم يبلغ مالك هذا الحديث ولو بلغه لم يخالفه قالوا واستحب
الفطر يوم الجمعة ليكون اعون له على وظائف العبادات المشروعة يوم الجمعة
وادائها بنشاط وانشراح لها والتذاذ بها من غير ملل ولا سامة كالحاج
بعرفة **فان قلت** لو كان كذلك لم يزل النهي والكراهة بصوم يوم قبله او بعده
لبقاء المعنى **والجواب** انه يحصل له بفضيلة الصوم الذي قبله او بعده ما
يجبر ما قد يحصل من فتور او تقصير في وظائف يوم الجمعة بسبب صومه
والله اعلم **الفصل السادس** في صومه صلى الله عليه وسلم الايام البيض
وهي التي يكون فيها القمر من اول الليل الى اخره وهي ثلاثة عشر واربعة عشر
وخمسة عشر وليس في الشهر يوم ابيض كله الا هذه الايام لان ليلها ابيض
ونهارها ابيض فصح قول من قال الايام البيض على الوصف واليوم الكامل
هو النهار بليلته وفيه رد لقول الجواليقي من قال الايام البيض على الوصف
واليوم الكامل هو النهار بليلته فجعل الوصف صفة الايام فقد اخطا
والله اعلم **عن ابن عباس** قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفطر
ايام البيض في حضر ولا سفر رواه النسائي وعن حفصة اربع لم يكن
النبي صلى الله عليه وسلم يدعهن صيام عاشورا والعشر وايام البيض
من كل شهر وركعتي الفجر رواه احمد **وعن** معاذة العدوية انها سالت
عائشة اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة
ايام قالت نعم فقلت لها من اي ايام الشهر كان يصوم قالت لم يكن يبالي
من اي ايام الشهر يصوم رواه مسلم قال بعضهم لعله صلى الله عليه
وسلم لم يواظب على ثلاثة معينة لئلا يظن تعيينها قال وقد جعل

الله

الله تعالى صيام هذه الثلاثة ايام من الشهر بمنزلة صيام الدهر لان الحسنة
بعشر امثالها وقد روى اصحاب السنن وصححه ابن خزيمة من حديث ابن مسعود
كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة ايام من غرة كل شهر **وقد**
تحصل ان صيامه صلى الله عليه وسلم في الشهر على اوجه **الاول** انه كان
يصوم اول اثنين من الشهر ثم الخميس ثم الخميس الذي يليه رواه النسائي
الثاني كان يصوم من الشهر السبت والاحد والاثنين ومن الشهر الاخر
الثلاثا والاربعا والخميس رواه الترمذي **الثالث** ايام البيض ثالث عشر
ورابع عشر وخامس عشر **الرابع** انه كان يصوم ثلاثة غير معينة كما روته
معاذة عن عائشة عند مسلم **الخامس** انه كان يصوم ثلاثة من اول الشهر
واختاره جماعة منهم الحسن وهو ما رواه اصحاب السنن من حديث ابن مسعود
قال القاضي عياض واختار النخعي ثلاثة ايام من اخر كل شهر ليكون كفارة لما مضى
واختار اخرون اول يوم من الشهر والعاشر والعشرين وقيل انه صيام مالك
بن انس وقال ابن شعبان من المالكية اول يوم من الشهر والحادي عشر والحادي و
العشرين ونقل ذلك عن ابي الدرداء وهو موافق لما رواه النسائي من حديث عبد الله
بن عمرو وضم من كل عشرة ايام يوما وحكى الاسنوي عن الماوردي انه يستحب ايضا
صوم الايام السود وهو الثامن والعشرون واليومان بعده ويترجح البيض بكونها
وسط الشهر ووسط الشي اعدله ولان الكسوف غالبا يقع فيه وقد ورد الامر
بمزيد العبادة اذا وقع فاذا اتفق الكسوف صادف الذي يعتاد صيام البيض
صائما فيتهيا له ان يجمع بين انواع العبادات من الصيام والصلوة والصدقة
بخلاف من لم يصمها فانه لا يتهيا له استدراك صيامها ورجح بعضهم صيام الثلاثة
في اول الشهر لان المرء لا يدري ما يعرض له من الموانع والله اعلم **النوع الخامس**
في ذكر اعتكافه صلى الله عليه وسلم واجتهاده في العشر الاخير من رمضان
وتحريه ليلة القدر اعلم ان الاعتكاف في اللغة الحبس والمكث واللزوم
وفي الشرع المكث في المسجد من شخص مخصوص بصفة مخصوصة ومقصوده
وروحه عكوف القلب على الله وجمعيته عليه والفكر في تحصيل مراضيه
وما يقربه منه فيصير انسه بالله بدلا عن انسه بالخلق ليكون ذلك انسه يوم
الوحشة في القبر حين لا انيس له وليس بواجب اجماعا الا على من نذره وكذا
من شرع فيه فقطعه عامدا عند قوم واختلف في اشتراط الصوم له ومذهب
الشافعي انه ليس بشرط لصحة الاعتكاف بل يصح اعتكاف المفطر وقال مالك وابو حنيفة

والاكثرون يشترط الصوم فلا يصح اعتكاف المفطر واحتج الشافعي باعتكافه
صلى الله عليه وسلم فى العشر الاول من شوال رواه البخارى ومسلم وبحديث عمر
انه قال يا رسول الله انى نذرت ان اعتكف ليلة فى الجاهلية وقال اوف بنذرك
رواه البخارى ومسلم والليل ليس محلا للصوم فدل على انه ليس بشرط لصحة الاعتكاف
واتفق العلماء على مشروعية المسجد للاعتكاف الا محمد بن عمر بن لبابة المالكى فاجازه
فى كل مكان واجاز الحنفية للمرأة ان تعتكف فى مسجد بيتها وهو المكان المعد للصلاة
فيه وفيه قول قديم للشافعى وذهب ابو حنيفة واحمد الى اختصاصه بالمسجد
التى يقام فيه الصلوات وخصه ابو يوسف بالواجب منه واما النفل ففى كل مسجد
وقال الجمهور بعمومه فى كل مسجد الا لمن تلزمه الجمعة فاستحبه له الشافعى فى الجامع
واشترطه مالك لان الاعتكاف عنده ينقطع بالجمعة ويجب بالشروع عند مالك
وخصه طائفة من السلف كالزهرى بالجامع مطلقا واوما اليه الشافعى فى القديم
وخصه حذيفة بن اليمانى بالمساجد الثلاثة وعطا بمسجدى مكة والمدينة وابن المسيب
بمسجد المدينة واتفقوا على انه لا حد لاكثره واختلفوا فى اقله فمن شرط فيه الصيام
قال اقله يوم ومنهم من قال يصح مع شرط الصيام فى دون اليوم حكاه ابن قدامة
وعن مالك شرط عشرة ايام وعنه يوم او يومان ومن لم يشترط الصوم قالوا اقله
ما ينطلق عليه اسم لبث ولا يشترط القعود واتفقوا على فساده بالجماع وقد كان
سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الاخير من رمضان رواه البخارى
ومسلم عن حديث عائشة وعن ابى هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف كل
عام عشرا فاعتكف عشرين فى العام الذى قبض فيه رواه البخارى وعن ابى سعيد
الخدرى انه صلى الله عليه وسلم اعتكف العشر الاول من رمضان ثم اعتكف العشر
الاوسط فى قبة تركية ثم اطلع رأسه فقال انى اعتكفت العشر الاول التمس هذه الليلة
يعنى ليلة القدر ثم اعتكفت العشر الاوسط ثم اتيت فقيل لى انها فى العشر الاواخر فمن
اعتكف معى فليعتكف العشر الاواخر فقد رأيت هذه الليلة ثم انسيتها وقد رأيتنى
اسجد فى ماء وطين من صبيحتها فالتمسوها فى العشر الاواخر والتمسوها فى كل وتر قال
فمطرت السماء تلك الليلة وكان المسجد على عريش فوكف المسجد فبصرت عيناى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلى وجهه اثر الماء والطين من صبيحة احد وعشرين رواه الشيخان
وفى حديث عبادة بن الصامت انه صلى الله عليه وسلم خرج يخبر بليلة القدر
فتلاحا فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم فالتمسوها فى التاسعة والسابعة
والخامسة رواه البخارى ولمسلم من حديث عبد الله بن انيس انه صلى الله عليه وسلم

فرع في [illegible] المالكي [illegible] المسجد

قال

قال اريت ليلة القدر ثم انسيتها واراني فى صبيحتها اسجد فى ماء وطين قال فمطرت ليلة
ثلاث وعشرين فصلى بنا وان اثر الماء والطين فى جبهته وانفه وفى سنن ابى داود عن ابن
مسعود مرفوعا اطلبوها ليلة سبع عشرة وخرج الطبرانى مرفوعا من حديث ابى هريرة
التمسوا ليلة القدر فى ليلة سبع عشرة او تسع عشرة او احدى وعشرين او ثلاث وعشرين او
خمس وعشرين او سبع وعشرين او تسع وعشرين وقد اختلف العلماء فى ليلة القدر اختلافا
كثيرا وافردها بعضهم بالتاليف وقد جمع الحافظ ابو الفضل بن حجر من كلام العلماء فى ذلك
اكثر من اربعين قولا كساعة الجمعة ومذهب الشافعى انحصارها فى العشر الاخير كما نص عليه
الشافعى فيما حكاه عنه الاسنوى وعن المحاملى انها تلتمس فى جميع الشهر وتبعه عليه
الشيخ ابو اسحاق فى التنبيه فقال وتطلب ليلة القدر فى جميع شهر رمضان ثم الغزالى فى
كتبه وتردد صاحب التقريب فى جواز كونها فى النصف الاخير كذا نقله عنه الامام وضعفه
وحكاه ابن الملقن فى شرح العمدة وفى المفهم للقرطبى حكاية قول انها ليلة النصف من شعبان
ودليل الاول حديث ابى سعيد الذى قدمناه قال النووى وميل الشافعى انها ليلة الحادى والعشرين
او الثالث والعشرين اما الحادى والعشرون فلقوله عليه السلام فى حديث ابى سعيد فقد رأيت
هذه الليلة وقد رأيتنى اسجد فى ماء وطين من صبيحتها فبصرت عيناى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعلى جبهته اثر الماء والطين من صبيحة احد وعشرين واما الثالث والعشرون
فلحديث عبد الله بن انيس المتقدم ايضا وجزم جماعة من الشافعية بانها ليلة الحادى والعشرين
لكن قال السبكى انه ليس مجزوما به عندهم لاتفاقهم على عدم حنث من علق يوم العشرين
عتق عبده ليلة القدر انه لا يعتق تلك الليلة بل بانقضاء الشهر على الصحيح بناء على انها فى
العشر الاخير وعن ابن خزيمة من اصحابنا انها تنتقل فى كل سنة الى ليلة من ليالى العشر وحكاه
قولان ووجه واختار النووى فى الفتاوى وشرح المهذب راى ابن خزيمة وجزم ابن حبيب
من المالكية ونقله الجمهور وحكاه صاحب العمدة من الشافعية ورجحه ان ليلة القدر خاصة
بهذه الامة ولم تكن فى الامم قبلهم وهو معترض بحديث ابى ذر عند النسائى حيث قال فيه قلت
يا رسول الله اتكون مع الانبياء فاذا ماتوا رفعت قال بل هى باقية وعمدتهم قول مالك فى
الموطأ بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاصر اعمار امته عن اعمار الامم الماضية
فاعطاه الله ليلة القدر وهذا محتمل للتاويل فلا يدفع الصريح فى حديث ابى ذر كما قاله
الحافظان ابن كثير فى تفسيره وابن حجر فى فتح البارى قال وقد ظهر لليلة القدر علامات
منها فى صحيح مسلم عن ابى بن كعب ان الشمس تطلع فى صبيحتها لا شعاع لها ولابن خزيمة من حديث
ابن عباس مرفوعا ليلة القدر لا حارة ولا باردة تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة ولاحمد
من حديث عبادة بن الصامت مرفوعا انها لا صافية كان فيها قمرا ساطعا ساكنة صاحية

فرع في ليلة القدر

لا حرّ فيها ولا برد ولا يحل لكوكب يرمى به فيها وانّ من اماراتها انّ الشّمس فى صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر لا يحل للشّيطان ان يخرج معها حينئذ وروى البيهقى فى فضائل الاوقات انّ المياه المالحة تعذب فى تلك اللّيلة وقد كان صلّى الله عليه وسلّم يجتهد فى العشر الاخير من رمضان ما لا يجتهد فى غيره رواه مسلم من حديث عائشة وفى البخارى عنها كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اذا دخل العشر الاخير شدّ ميزره واحيا ليله وايقظ اهله وجزم عبد الرّزاق بانّ شدّ ميزره هو اعتزاله النّسآء وحكاه الثورى وقال الخطابى يحتمل ان يراد به الجدّ فى العبادة كما يقال شددت لهذا الامر ميزرى اى تشمّرت له ويحتمل ان يراد به التّشمير والاعتزال معا ويحتمل ان يراد به الحقيقة والمجاز فيكون المراد شدّ ميزره حقيقة فلم يحلّه واعتزل النّسآء وتشمّر للعبادة وقوله واحيا ليله اى سهره فاحياه بالطّاعة واحيا نفسه بسهره فيه لانّ النّوم اخ الموت واضافه الى اللّيل اتّساعا لانّ النّائم اذا احيى باليقظة حيى ليله بحياته وهو نحو قوله لا تجعلوا بيوتكم قبورا اى لا تناموا فتكونوا كالاموات فتكون بيوتكم كالقبور فقد كان عليه السّلام يخصّ العشر الاخير باعمال لا يعملها فى بقية الشّهر فمنها احياء اللّيل فيحتمل انّ المراد احياء اللّيل كلّه ويشهد له حديث عائشة من وجه ضعيف واحياء اللّيل كلّه وفى المسند عنها ايضا قالت كان صلّى الله عليه وسلّم يخلط العشرين بصلاة ونوم فاذا كان العشر شمّر وشدّ الميزر وفى حديث ضعيف عن انس عند ابى نعيم كان صلّى الله عليه وسلّم اذا دخل شهر رمضان قام ونام فاذا كان اربعا وعشرين لم يذق غمضا ويحتمل ان يريد باحياء اللّيل احياء غالبه وقد قال الشّافعى فى القديم من شهد العشاء والصّبح فى جماعة ليلة القدر فقد اخذ بحظّه منها وروى فى حديث مرفوع عن ابى هريرة من صلّى العشاء الاخيرة فى جماعة فى رمضان فقد ادرك ليلة القدر رواه ابو الشّيخ ومنها كان انّه يوقظ اهله للصّلاة فى ليالى العشر دون غيره من اللّيالى ومنها تاخير الفطر الى السّحور ففى حديث انس وعائشة انّه صلّى الله عليه وسلّم كان فى ليالى العشر يجعل عشاءه سحورا ولفظ حديث عائشة كان صلّى الله عليه وسلّم اذا كان رمضان قام ونام فاذا دخل العشر شدّ الميزر واجتنب النّسآء واغتسل بين الاذانين وجعل العشاء سحورا اخرجه ابن ابى عاصم ولفظ حديث انس كان اذا دخل العشر الآخر من رمضان طوى فراشه واعتزل النّسآء وجعل عشاءه سحورا واسناد الاول مقارب والثّانى فيه حفص بن غياث وقال فيه ابن عدى انّه من انكر ما لقيت له لكن يشهد له حديث الوصال المخرج فى الصّحيح كما قدّمته ومنها اغتساله

عليه السّلام

عليه السّلام بين العشائين المغرب والعشاء روى من حديث على وفى اسناده ضعف

النّوع السّادس فى ذكر حجّه وعمرته صلّى الله عليه وسلّم

اعلم انّ الحجّ حلول بحضرة المعبود ووقوف بساحة الجود ومشاهدة لذلك المشهد العلى الرّحمانى والمام بمعهد العهد الرّبانى ولا يخفى انّ نفس الكون بتلك الاماكن شرف وعلو وانّ التّردد فى تلك المواطن فخار وسمو فانّ المحالّ المحترمة لم تزل تفرغ على الحالّ فيها من سجال وصفها بفيض غامر وحسبك فى هذا ما يحكى فى ابيات عن مجنون بنى عامر

رأى المجنون فى البيدآء كلبا ... فجرّ عليه للاحسان ذيلا
فلاموه على ما كان منه ... وقالوا لم منحت الكلب نيلا
فقال دعوا الملام فانّ عينى ... رأته مرّة فى حىّ ليلى

فينبغى للعبد ان يهتمّ بامر الحجّ ويبادر اليه وينهض فاتر عزمه انهاضا يحثّه عليه ولا يتوانا فى غسل ادران سيئات العمر بصابون المغفرة ولا يتكاسل عن البدار فيعرضه للفوات بركوب عميا المخاطرة روى ابن عبّاس انّه صلّى الله عليه وسلّم قال من اراد الحجّ فليتعجّل رواه ابو داود وفى حديث علىّ بن طالب عنه صلّى الله عليه وسلّم قال من ملك راحلة وزادا يبلغه الى بيت الله الحرام فلم يحجّ فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا الحديث رواه التّرمذى وخطب عليه السّلام فقال ايها النّاس قد فرض عليكم الحجّ فحجّوا رواه مسلم والنّسائى من حديث ابى هريرة وفى رواية النّسائى من حديث ابن عبّاس مرفوعا انّ الله كتب عليكم الحجّ فقال الاقرع بن حابس التّميمى اكلّ عام يا رسول الله فقال لو قلت نعم لوجب الحديث فوجوب الحجّ معلوم من الدّين بالضّرورة وقد اجمعوا على انّه لا يتكرّر الّا لعارض كالنّذر واختلفوا هل هو على الفور او التّراخى فقال الشّافعى وابو يوسف وطائفة هو على التّراخى الى ان ينتهى الى حال يظنّ فواته لو اخّره عنها وقال مالك وابو حنيفة وآخرون هو على الفور واختلفوا ايضا فى وقت ابتداء فرضه فقيل قبل الهجرة وهو شاذّ وقيل بعدها ثمّ اختلف فى سنته فالجمهور على انّه سنة ستّ لانّه نزل فيها قوله تعالى واتمّوا الحجّ والعمرة لله وهذا مبنىّ على انّ المراد بالاتمام ابتداء الفرض ويؤيّده قراءة علقمة وابراهيم النّخعى بلفظ واقيموا رواه الطّبرانى باسانيد صحيحة عنهم وقيل المراد بالاتمام الاكمال بعد الشّروع وهذا يقتضى تقدّم فرضه قبل ذلك وقد وقع فى قصّة ضمام ذكر الامر بالحجّ وكان قدومه على ما ذكر الواقدى سنة خمس وهذا يدلّ ان ثبت على تقدّمه على سنة خمس او وقوعه فيها وقالت طائفة انّه تاخّر نزول فرضه الى التّاسعة والعاشرة واحتجّوا بانّ صدر سورة آل عمران نزل عام الوفود وفيه قدوم وفد

نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصالحهم على اداء الجزية والجزية
نزلت عام تبوك سنة تسع وفيها نزل صدر سورة آل عمران وناظر اهل الكتاب
ودعاهم الى التوحيد ويدل عليه ان اهل مكة وجدوا في انفسهم بما فاتهم
من التجارة من المشركين الى ان نزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس
الآية فاعاضهم الله من ذلك بالجزية ونزول هذه الايات والمبادات بها انما
كان في سنة تسع وبعث الصديق يوذن بذلك في مكة في موسم الحج واردفه
بعلي وفي الترمذي من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم حج ثلاث حجج
حجتين قبل ان يهاجر وحجة بعد ما هاجر معها عمرة فساق ثلاثا وستين بدنة
ثم جاء علي من اليمن ببقيتها فيها جمل في انفه برة من فضة فنحرها الحديث وعن
ابن عباس حج صلى الله عليه وسلم قبل ان يهاجر ثلاث حجج اخرجه ابن ماجه و
الحاكم وهو مبني على عدد وفود الانصار الى العقبة بمنى بعد الحج وهذا لا يقتضي
نفي الحج قبل ذلك وقد اخرج الحاكم بسند صحيح الى الثوري ان النبي صلى الله عليه
وسلم حج قبل ان يهاجر حججا وقال ابن الجوزي حج حججا لا يعلم عددها وقال ابن
الاثير كان عليه السلام يحج كل سنة قبل ان يهاجر وقال جابر في حديثه الطويل
كما في رواية مسلم مكث صلى الله عليه وسلم تسع سنين لم يحج ثم اذن في العاشرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج فقدم بشر المدينة كثير كلهم يلتمس ان يأتم
برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثل عمله فخرجنا معه حتى اتينا ذا الحليفة
فولدت اسماء بنت عميس محمد بن ابي بكر فارسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف اصنع قال استثفري واغتسلي بثوب واحرمي فصلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في المسجد ثم ركب القصوى حتى استوت به ناقته على البيداء نظرت مد بصري بين
يديه من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه
مثل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو
يعرف تأويله وما عمل من شيء عملنا به وفي رواية عند النسائي قال جابر خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم لخمس بقين من ذي القعدة وخرجنا معه حتى اذا اتى ذا
الحليفة الحديث وكان خروجه عليه السلام من المدينة بين الظهر والعصر فنزل
بذي الحليفة فصلى بها العصر ركعتين ثم بات بها وصلى بها المغرب والعشاء و
الصبح والظهر وكان نساؤه كلهن معه فطاف عليهن كلهن تلك الليلة ثم اغتسل
غسلا ثانيا للاحرام غير غسل الجماع الاول وفي الترمذي عن خارجة بن زيد عن ابيه
تجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهلاله واغتسل وفي الصحيحين ان عائشة

طيبته

طيبته بذريرة وفي رواية قالت كأني انظر الى وبيص الطيب في مفارقه عليه السلام
وهو محرم وفي رواية قالت طيبته عند احرامه ثم طاف في نسائه ثم اصبح محرما
زاد في رواية ينضح طيبا وفي رواية طيبته طيبا لا يشبه طيبكم يعني ليس له بقاء
وهذا يدل على استحباب التطيب عند ارادة الاحرام وانه لا بأس باستدامته بعد
الاحرام ولا يضر بقاء لونه ورائحته وانما يحرم في الاحرام ابتداؤه وهذا مذهب
الشافعي وابي حنيفة وابي يوسف واحمد بن حنبل وحكاه الخطابي عن اكثر الصحابة
وحكاه النووي عن جمهور العلماء من السلف والخلف وذهب مالك الى منع التطيب
قبل الاحرام بما تبقى رائحته بعده لكنه قال ان فعل فقد اساء ولا فدية عليه وعن
عائشة قالت كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يحرم غسل رأسه بخطمي واشنان
رواه الدارقطني وفي حديث انس عند ابي داود والترمذي انه صلى الله عليه وسلم
صلى الظهر ثم ركب راحلته فلما علا على جبل البيداء اهل وفي رواية ابن عمر عند البخاري
ومسلم وغيرهما ما اهل الا من عند المسجد يعني مسجد ذي الحليفة وفي رواية ما اهل
الا من عند الشجرة حتى قام به بعيره وفي رواية حين وضع رجله في الغرز واستوت
به راحلته فانما اهل من عند مسجد ذي الحليفة وفي رواية جابر عند ابي داود والترمذي
انه صلى الله عليه وسلم لما اراد الحج اذن في الناس فاجتمعوا له فلما اتى البيداء احرم
وفي حديث ابن جبير عند ابي داود قال قلت لابن عباس عجبت لاختلاف اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اهلال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اوجب فقال اني
لأعلم الناس بذلك انها انما كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة واحدة فمن هناك
اختلفوا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجا فلما صلى في مسجده بذي الحليفة
ركعتيه اوجبه في مجلسه فاهل بالحج حين فرغ من ركعتيه فسمع منه ذلك اقوام فحفظته
عنه ثم ركب فلما استقلت به ناقته اهل وادرك ذلك منه اقوام وذلك ان الناس انما
كانوا يأتون اليه ارسالا فسمعوه حين استقلت به ناقته يهل فقالوا انما اهل رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين استقلت به ناقته ثم مضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما علا على شرف البيداء اهل وادرك ذلك منه اقوام فقالوا انما اهل حين
علا على شرف البيداء وايم الله لقد اوجب في مصلاه واهل حين استقلت به
ناقته واهل حين علا على شرف البيداء قال سعيد بن جبير فمن اخذ بقول عبد الله
بن عباس اهل في مصلاه اذا فرغ من ركعتيه وهو مذهب ابي حنيفة والصحيح من
مذهب الشافعي ان الافضل ان يحرم اذا انبعثت به راحلته قال ابن القيم ولم ينقل
عنه انه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين للاحرام غير فرض الظهر انتهى قلت ثبت

في الصحيحين عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يركع بذي الحليفة ركعتين ثم اذا استوت
به الناقة قائمة عند مسجد ذي الحليفة اهل قال النووي فيه استحباب صلوة
ركعتين عند ارادة الاحرام ويصليهما قبل الاحرام ويكونان نافلة هذا مذهبنا
ومذهب العلماء كافة الا ما حكاه القاضي وغيره عن الحسن انه يستحب كونهما
بعد صلوة فرض قال لانه روي ان هاتين الركعتين كانتا صلوة الصبح والصواب
ما قاله الجمهور وهو ظاهر الحديث وقد اختلفت روايات الصحابة في حجة صلى
الله عليه وسلم حجة الوداع هل كانت مفردا او قارنا او متمتعا وروى كل منها
في البخاري ومسلم وغيرهما واختلف الناس في ذلك على ستة اقوال احدها انه حج مفردا
لم يعتمر معه الثاني حج متمتعا حل منه ثم احرم بعده بالحج كما قاله القاضي ابو يعلى
وغيره الثالث انه حج متمتعا لم يحل فيه لاجل سوق الهدي ولم يكن قارنا الرابع انه
حج قارنا طاف له طوافين وسعى له سعيين الخامس انه حج حجا مفردا اعتمر بعده
من التنعيم السادس انه صلى الله عليه وسلم حج قارنا بالحج والعمرة ولم يحل حتى
حل منهما جميعا وطاف لهما طوافا واحدا وسعيا واحدا وساق الهدي واختلفوا ايضا
في احرامه على ستة اقوال احدها انه لبى بالعمرة وحدها واستمر عليها الثاني انه
لبى بالحج وحده واستمر عليه الثالث انه لبى بالحج مفردا ثم ادخل عليه العمرة الرابع
انه لبى بالعمرة وحدها ثم ادخل عليها الحج الخامس انه احرم احراما مطلقا لم يعين فيه
نسكا ثم عينه بعد احرامه السادس لبى بالحج والعمرة معا وقد اطنب ابو جعفر
الطحاوي الحنفي في الكلام على ذلك فانه تكلم عليه من زيادة على الف ورقة كما ذكره عنه
جماعة من العلماء وبينه ابن حزم في حجة الوداع بيانا شافيا ومهده المحب
الطبري تمهيدا بالغا واشار اليه القاضي عياض والنووي في شرحيهما لمسلم و
نقحه الحافظ ابن حجر مستوفيا لكثير من مباحثه استيفاء كافيا والذي ذهب اليه
الشافعي في جماعة انه صلى الله عليه وسلم حج حجا مفردا لم يعتمر معه واحتج بما في
الصحيحين ان عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع
فمنا من اهل بعمرة ومنا من اهل بحج وعمرة ومنا من اهل بالحج وحده واهل رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالحج فهذا التقسيم والتنويع صريح في اهلاله بالحج وحده
ولمسلم عنها انه صلى الله عليه وسلم اهل بالحج وحده ولمسلم ايضا عن ابن عباس
اهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج ولابن ماجه عن جابر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم افرد الحج وعن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم افرد الحج
رواه البخاري قالوا وهؤلاء لهم قرب في حجة الوداع على غيرهم فاما جابر فهو

في حجة نبينا صلى الله عليه وسلم

احسن

احسن الصحابة سياقا لرواية حديث حجة الوداع فانه ذكرها من حين خروجه صلى
الله عليه وسلم من المدينة الى اخرها فهو اضبط لها من غيره واما ابن عمر فصح عنه
انه كان اخذا بخطام ناقته صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وانكر على من رجح
قول انس على قوله وقال كان انس يدخل على النساء وهن مكشفات الرؤس واني
كنت تحت ناقته صلى الله عليه وسلم يمسني لعابها اسمعه يلبي بالحج واما عائشة فقربها
من رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف وكذا اطلاعها على باطن امره وظاهره
وفعله في خلواته وعلانيته مع كثرة فهمها وعظم فطنتها واما ابن عباس فمحله
من العلم والفقه في الدين والفهم الثاقب معروف مع كثرة بحثه وتحفظه احوال رسول
الله صلى الله عليه وسلم التي لم يحفظها غيره واخذه اياها من كبار الصحابة واحتجوا
ايضا بان الخلفاء الراشدين واظبوا على الافراد مع انهم الائمة الاعلام وقادة
الاسلام والمقتدى بهم فكيف يظن بهم المواظبة على ترك الافضل وبانه لم ينقل
عن احد منهم كراهة الافراد وقد نقل عنهم كراهية التمتع والجمع بينهما حتى فعله
علي لبيان الجواز وبان الافراد لا يجب فيه دم بالاجماع بخلاف التمتع والقران و
ذهب النووي الى ان الصواب انه عليه الصلوة والسلام كان قارنا قال ويؤيده انه
صلى الله عليه وسلم لم يعتمر في تلك السنة بعد الحج قال ولا شك ان القران افضل من
الافراد الذي لا يعتمر في سنته عندنا ولم يقل احد ان الحج وحده افضل من القران
انتهى وقد صرح القاضي حسين والمتولي بترجيح الافراد ولو لم يعتمر في تلك السنة
قال الحافظ ابو الفضل ابن حجر ويترجح من روي القران روايةً بامور منها ان معه زيادة
علم على من روى الافراد والتمتع وبان من روى الافراد والتمتع اختلف عليهم في ذلك
واشهر من روى عنه الافراد عائشة وقد ثبت عنها انه اعتمر مع حجته وابن عمر و
قد ثبت عنه انه صلى الله عليه وسلم بدأ بالعمرة ثم اهل بالحج وقد روي عنه انه
اعتمر مع حجته ايضا وبان القران رواه عنه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة
لم يختلف عليهم فيه وبانه لم يقع في شيء من الروايات النقل عنه من لفظه انه قال
افردت ولا تمتعت بل صح عنه انه قال لولا ان معي الهدي لاحللت وايضا فان من روى
القران لا يحتمل حديثه التاويل الا بتعسف بخلاف من روى الافراد فانه محمول على
اول الحال وينتفي التعارض ويؤيده ان من جاء عنه الافراد جاء عنه صورة القران
ومن روى عنه التمتع فانه محمول على سفر واحد للنسكين ويؤيده ان من جاء عنه
التمتع لما وصفه وصفه بصورة القران لانهم اتفقوا على انه لم يحل من عمرته حتى اتم
عمل جميع الحج وهذه احدى صور القران وايضا فان رواية القران جاءت عن بضعة عشر

صحابيا انتهى وعدهم ابن القيم سبعة عشر صحابيا عائشة ام المؤمنين وعبد الله
ابن عباس وعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وعثمان بن عفان باقراره لعلي وعمران
ابن الحصين والبراء بن عازب وحفصة ام المؤمنين وابو قتادة وابن ابي اوفى
وابو طلحة والهرماس بن زياد وام سلمة وانس بن مالك وسعد بن ابي وقاص و
جابر وابن عمر فهؤلاء سبعة عشر صحابيا منهم من روى فعله ومنهم من روى
لفظ احرامه ومنهم من روى خبره عن نفسه ومنهم من روى امره به فان قيل كيف
يجعلون منهم ابن عمر وجابر وعائشة وابن عباس وعائشة تقول اهل رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالحج وفي لفظ افرد الحج والاول في الصحيحين والثاني في مسلم
وهذا ابن عمر يقول لبى بالحج وحده ذكره البخاري وهذا ابن عباس يقول اهل بالحج رواه
مسلم وهذا جابر يقول افرد الحج رواه ابن ماجه قيل ان كانت الاحاديث عن هؤلاء
تعارضت وتساقطت فان احاديث الباقين لم تتعارض فهب ان احاديث من ذكرتم
لا حجة فيها على القران ولا على الافراد فما الموجب للعدول عن احاديث الباقين مع
صراحتها وصحتها فكيف واحاديثهم يصدق بعضها بعضا ولا تعارض بينها انتهى
وقد يقتضي رفع الشك عن ذلك والمصير الى انه صلى الله عليه وسلم كان قارنا ومقتضى
ذلك ان يكون القران افضل من الافراد والتمتع وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين
وبه قال ابو حنيفة واسحق بن راهويه واختاره من الشافعية المزني وابن المنذر و
ابو اسحق والمروزي ومن المتاخرين الشيخ تقي الدين السبكي وبحث مع النووي
في اختياره انه صلى الله عليه وسلم كان قارنا وان الافراد مع ذلك افضل مستندا
الى انه صلى الله عليه وسلم اختار الافراد اولا ثم ادخل عليه العمرة لبيان جواز
الاعتمار في اشهر الحج لكونهم كانوا يعتقدونه من افجر الفجور وتعقب بان البيان
قد سبق منه صلى الله عليه وسلم في عمره الثلاث فانه احرم بكل منها في ذي
القعدة عمرة الحديبية التي صد عن البيت فيها وعمرة القضية وعمرة الجعرانه
ولو كان اراد باعتماره مع حجته بيان الجواز فقط مع ان الافضل خلافه لاكتفى
في ذلك بامره اصحابه ان يفسخوا حجهم الى العمرة انتهى ومذهب الشافعي ومالك و
كثيرين ان افضلها الافراد ثم التمتع ثم القران فان قلت اذا كان الراجح انه عليه
الصلوة والسلام كان قارنا فلم رجح المالكية والشافعية الافراد على القران فقد
اجاب عن ذلك النووي في شرح المهذب بان ترجيح الافراد لانه عليه السلام اختاره
اولا وانما ادخل عليه العمرة لمصلحة بيان جواز الاعتمار في اشهر الحج وكانت العرب تعتقده
من افجر الفجور كما ذكرته وقد ذهب جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم الى ان

التمتع افضل وهو مذهب احمد لكونه صلى الله عليه وسلم تمناه فقال لولا اني سقت
الهدي لاحللت ولا يتمنى الا الافضل واجيب بانه انما تمناه تطييبا لقلوب اصحابه
لحزنهم على فوات موافقته والا فالافضل ما اختاره الله تعالى له واستمر عليه
صلى الله عليه وسلم واما القائلون بانه صلى الله عليه وسلم لبى بالعمرة واستمر
عليها فحجتهم حديث ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج وقال ابن شهاب عن عروة ان عائشة
اخبرته عن النبي صلى الله عليه وسلم في تمتعه بالعمرة الى الحج فتمتع الناس
معه بمثل الذي اخبرني سالم عن ابن عمر وقال ابن عباس قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذه عمرة استمتعنا بها وقال سعد بن ابي وقاص في المتعة منعها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنعنا ها معه واجيب بان التمتع عندهم
يتناول القران ويدل له ما في الصحيحين عن سعيد بن المسيب اجتمع علي وعثمان
بعسفان فكان عثمان ينهى عن المتعة فقال علي ما تريد في امر فعله النبي صلى الله
عليه وسلم تنهى عنه فقال عثمان دعنا منك فقال اني لا استطيع ان ادعك
فلما راى ذلك اهل بهما جميعا فهذا يبين ان من جمع بينهما كان متمتعا عندهم وان
هذا هو الذي فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافقه عثمان على انه صلى
الله عليه وسلم فعله لكن كان النزاع بينهما هل ذلك الافضل في حقنا ام لا فقد
اتفق علي وعثمان على انه عليه السلام تمتع وان المراد بالتمتع عندهم القران و
ايضا فانه عليه السلام تمتع فقد تمتع قران باعتبار ترفهه بترك احد السفرين
انتهى وفي فتح الباري عن احمد ان من ساق الهدي فالقران له افضل ليوافق فعل النبي
صلى الله عليه وسلم ومن لم يسق الهدي فالتمتع له افضل ليوافق ما تمناه وامر به
اصحابه واما من قال انه صلى الله عليه وسلم حج مفردا ثم اعتمر عقبه من التنعيم
او غيره فهو غلط لم يقله احد من الصحابة ولا من التابعين ولا الائمة الاربعة ولا احد
من اهل الحديث قاله ابن تيمية واما من قال انه حج متمتعا حل فيه من احرامه ثم
احرم يوم التروية بالحج مع سوق الهدي فحجته حديث معاوية انه صلى الله عليه
وسلم قصر عن راسه بمشقص على المروة وحديثه في الصحيحين ولا يمكن ان يكون
هذا في غير حجة الوداع لان معاوية اسلم بعد الفتح والنبي صلى الله عليه وسلم
لم يكن زمن الفتح محرما ولا يمكن ان يكون في عمرة الجعرانة لوجهين احدهما انه
لم يكن في بعض الفاظ الصحيح وذلك في حجته الثاني ان في رواية النسائي باسناد
صحيح وذلك في ايام العشر وهذا انما كان في حجته وهذا مما انكره الناس على معاوية

وغلطوه فيه واصابه فيه ما اصاب ابن عمر في قوله انه اعتمر في رجب كما سيأتى
وسائر الاحاديث الصحيحة كلها تدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يحل من احرامه
الى يوم النحر وبذلك اخبر عن نفسه بقوله لولا ان معي الهدى لاحللت وقوله انى
سقت الهدي وقرنت فلا احل حتى انحر وهذا خبر عن نفسه لا يدخله الوهم ولا
الغلط بخلاف خبر غيره عنه قاله في زاد المعاد واما اختلاف الروايات عنه
صلى الله عليه وسلم في اهلاله هل هو بالحج او بالعمرة او القران والجمع بينهما
فكل تاول بما يناسب مذهبه الذى قدمته قال البغوى والذى ذكره الشافعى
في كتاب اختلاف الاحاديث كلاما موجزه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع فكل كان يأخذ منه امر نسكه ويصدر
عن تعليمه فاضيف الكل اليه على معنى انه امر بها واذن فيها ويجوز في لغة العرب
اضافة الفعل الى الامر به كما يجوز اضافته الى الفاعل له كما يقال بنا فلان دارا
ويريد انه امر ببنائها كما روى انه عليه الصلوة والسلام رجم ماعزا وانما
امر برجمه ثم احتج انه عليه السلام كان افرد الحج انتهى وقال الخطابى نحوه وقال
النووى كان صلى الله عليه وسلم اولا مفردا ثم احرم بالعمرة بعد ذلك وادخلها
على الحج فصار قارنا فمن روى الافراد فهو الاصل يعنى حمله على ما اهل به اول
الحال ومن روى القران اراد ما استقر عليه امره ومن روى التمتع اراد به التمتع
اللغوى والارتفاق فقد ارتفق بالقران كارتفاق التمتع وزيادة وهو الاقتصار
على فعل واحد وقال غيره اراد بالتمتع ما امر به غيره قالوا وبهذا الجمع ينتظم
الاحاديث كلها ويزول عنها الاضطراب والتناقض وقالت طائفة انما احرم
صلى الله عليه وسلم قارنا واحتجوا باحاديث صحيحة صريحة تزيد على العشرين
منها حديث انس في صحيح مسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل بهما
لبيك عمرة وحجا ورواه عن انس ستة عشر نفسا من الثقات كلهم متفقون
على انس ان لفظ النبي صلى الله عليه وسلم كان اهلالا بحج وعمرة معا واما
من قال انه صلى الله عليه وسلم اهل بالعمرة وادخل عليها الحج فحجته ما في البخارى
من حديث ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع
بالعمرة الى الحج واهدى فساق معه الهدي من ذى الحليفة وبدأ صلى الله
عليه وسلم فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج فقد تقدم في الاحاديث الكثيرة
الصريحة انه صلى الله عليه وسلم بدأ بالاهلال بالحج ثم ادخل عليه العمرة
وهذا عكسه والمشكل في هذا الحديث قوله بدأ فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج

واجب

واجيب عنه بان المراد به صورة الاهلال اى لما ادخل العمرة على الحج لبى بهما فقال
لبيك بعمرة وحج معا ومذهب الشافعى انه لو ادخل الحج على العمرة قبل الطواف
صح وصار قارنا فلو احرم بالحج ثم ادخل عليه العمرة ففيه قولان للشافعى
اصحهما لا يصح احرامه بالعمرة لان الحج اقوى منها لاختصاصه بالوقوف والرمي
والضعيف لا يدخل على القوي انتهى وعن ابن عباس قال صلى صلى الله عليه وسلم
الظهر بذى الحليفة ثم دعا بناقته فاشعرها في صفحة سنامها الايمن وسلت
الدم عنها وقلدها نعلين رواه مسلم وابو داود وفي رواية الترمذى قلد
نعلين واشعر الهدى في الشق الايمن بذى الحليفة واماط عنه الدم وفي رواية
لابى داود بمعناه وقال سلت الدم بيده وفي اخرى باصبعه وعند النسائى
اشعر بدنه من الجانب الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين وكان حجه
صلى الله عليه وسلم على رحل رث يساوى اربعة دراهم رواه الترمذى
في الشمائل وابن ماجه من حديث انس والطبرانى في الاوسط من حديث ابن عباس
وعن اسماء بنت ابى بكر قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجاجا
حتى اذا كنا بالعرج نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلنا فجلست عائشة
الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلست الى جنب ابى بكر وكانت
زمالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمالة ابى بكر واحدة مع غلام
لابى بكر فجلس ابو بكر ينتظر ان يطلع عليه فطلع عليه وليس معه بعيره فقال
له ابو بكر اين بعيرك قال اضللته البارحة قال ابو بكر بعير واحد تضله وطفق
يضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم ويقول انظروا الى هذا المحرم
ما يصنع وما يزيد على ذلك ويتبسم رواه ابو داود وخرج معه صلى الله
عليه وسلم اصحابه لا يعرفون الا الحج كما قالت عائشة فبين لهم عليه السلام وجوه
الاحرام وجوز لهم الاعتمار في اشهر الحج فقال من احب ان يهل بعمرة فليهل
ومن احب ان يهل بحج فليهل رواه البخارى ولاحمد من شاء فليهل بعمرة ولما
بلغ صلى الله عليه وسلم الابواء او ودان اهدى له الصعب بن جثامة حمارا
وحشيا فرده عليه فلما راى ما في وجهه قال انا لم نرده عليك الا انا حرم رواه
البخارى ومسلم وله في رواية حمار وحش وفي اخرى من لحم حمار وحش وفي رواية
عجز حمار وحش يقطر دما وفي رواية شق حمار وحش وفي رواية عضو من
لحم صيد ورواه ابو داود وابن حبان من طريق عطاء عن ابن عباس انه قال
يا زيد بن ارقم هل علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره واتفقت الروايات

كلها انه رده عليه الا رواه ابن وهب والبيهقي من طريقه باسناد حسن
من طريق عمرو بن اميه ان الصعب اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم عجز حمار وحش
وهو بالجحفة فاكل منه واكل القوم قال البيهقي ان كان هذا محفوظا فلعله
رد الحي وقبل اللحم قال في فتح الباري وفي هذا الجمع نظر فان كان الطرق محفوظة
فلعله رده حيا لكونه صيد لاجله ورد اللحم تارة لذلك وقبله تارة اخرى
حيث علم انه لم يصده لاجله وقد قال الشافعي في الام ان كان الصعب
ان كان الصعب اهدى حمارا حيا فليس للمحرم ان يذبح حمار وحش حي وان
كان اهدى له لحما فقد يحتمل ان يكون علم انه صيد له فرده عليه ونقل الترمذي
عن الشافعي انه رده لظنه انه صيد لاجله فتركه على وجه التنزه ويحتمل ان
يحمل القبول المذكور في حديث عمرو بن اميه على وقت آخر وهو حال رجوعه صلى
الله عليه وسلم من مكة ويؤيده انه جازم فيه بوقوع ذلك في الجحفة وفي
غيرها من الروايات بالابواء او بودان وقال القرطبي يحتمل ان يكون الصعب
احضر الحمار مذبوحا لا حيا ثم قطع منه عضوا بحضرته صلى الله عليه وسلم
فقدمه له فمن قال اهدى حمارا اراد بتمامه مذبوحا لا حيا ومن قال لحم حمار اراد
ما قدمه للنبي صلى الله عليه وسلم قال ويحتمل ان يكون من حمارا اطلق واراد
بعضه مجازا قال ويحتمل انه اهداه له حيا فلما رده عليه ذكاه واتاه بعضو منه
ظانا انه انما رده عليه لمعنى يختص بجملته فاعلمه بامتناعه ان حكم الجزء حكم
الكل قال والجمع مهما امكن اولى من توهم بعض الرواة قال النووي قال الشافعي
وآخرون ويحرم تملك الصيد بالبيع والهبة ونحوهما وفي ملكه اياه بالارث
خلاف واما لحم الصيد فان صاده او صيد له فهو حرام سواء صيد له باذنه
او بغير اذنه وان صاده حلال لنفسه وان لم يقصد المحرم ثم اهدى من لحمه
للمحرم او باعه لم يحرم عليه هذا مذهبنا وبه قال مالك واحمد وابو داود وقال
ابو حنيفة لا يحرم عليه ما صيد له بغير اعانة منه وقالت طائفة لا يحل له لحم
الصيد اصلا سواء صاده او صاده غيره له قصده او لم يقصده فيحرم مطلقا
حكاه القاضي عياض عن علي وابن عمر وابن عباس لقوله تعالى وحرم عليكم صيد
البر ما دمتم حرما قالوا والمراد بالصيد المصيد ولظاهر حديث الصعب بن
جثامة فانه صلى الله عليه وسلم رده وعلل رده بانه محرم ولم يقل بانك
صدته لنا واحتج الشافعي وموافقوه بحديث ابي قتادة المذكور في صحيح مسلم
فانه صلى الله عليه وسلم قال في الصيد الذي صاده ابو قتادة وهو حلال قال

للمحرمين

للمحرمين هو حلال فكلوه وفي الرواية الاخرى قال فهل معكم منه شيء قالوا معنا
رجله فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكلها ولما مر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بوادي عسفان قال يا ابا بكر اي واد هذا قال وادي عسفان قال
لقد مر به هود وصالح على بكرين احمرين خطمها الليف وازرهما العبا و
ارديتهما النمار يلبون بالحج يحجون البيت العتيق رواه احمد وفي رواية مسلم
من حديث ابن عباس لما مر بواد الازرق قال كاني انظر الى موسى من الثنية واضعا
اصبعيه في اذنيه مارا بهذا الوادي وله جؤار الى الله بالتلبية ووادي الازرق
خلف امج بفتح الهمزة والميم والجيم قرية ذات مزارع بينه وبين مكة ميل واحد
ولم يعين في رواية البخاري الوادي ولفظه اما موسى كاني انظر اليه اذا انحدر من
الوادي يلبي قال المهلب هذا وهم من بعض رواته لانه لم يأت في اثر ولا خبر ان موسى
حي وانه سيحج وانما اتي ذلك عن عيسى فاشتبه على الراوي ويدل عليه قوله
في الحديث الآخر ليهلن ابن مريم بفج الروحا انتهى وهو تغليط للثقاة بمجرد
التوهم وقد ذكر البخاري الحديث في اللباس من صحيحه بزيادة ذكر ابراهيم فيه
فيقال ان الراوي قد غلط فزاده وفي رواية مسلم المتقدمة ذكر يونس
فيقال ان الراوي الآخر قد غلط فزاد يونس وتعقب ايضا بان توهيم المهلب
للراوي وهم منه والا فاي فرق بين عيسى وموسى لانه لم يثبت ان عيسى منذ رفع نزل
الى الارض وانما ثبت انه سينزل واجيب بان المهلب اراد ان عيسى لما ثبت انه
سينزل كان كالمحقق فقال كاني انظر اليه وبهذا استدل المهلب بحديث
ابي هريرة الذي فيه ليهلن ابن مريم بالحج وقد اختلف في معنى قوله كاني انظر اليه
فقيل ان ذلك رؤيا منام تقدمت له فاخبر عنها لما حج عندما تذكر ذلك ورؤيا
الانبياء وحي وقيل هو على الحقيقة لان الانبياء احياء عند ربهم يرزقون
فلا مانع ان يحجوا في هذه الحالة كما في صحيح مسلم عن انس انه راى موسى
قائما في قبره يصلي قال القرطبي حببت اليهم العبادة فهم يتعبدون بما يجدونه
من دواعي انفسهم لا بما يلزمون به كما يلهم اهل الجنة الذكر ويؤيده ان
عمل الآخرة ذكر ودعا لقوله تعالى دعويهم فيها سبحانك اللهم الآية لكن تمام
هذا التوجيه ان يقال المنظور اليه هي ارواحهم فلعلها مثلت له صلى الله عليه
وسلم في الدنيا كما مثلت ليلة الاسراء واما اجسادهم فهي في القبور قال ابن المنير
وغيره يجعل الله لروحه مثالا ويرى في اليقظة كما يرى في النوم وقيل كانه
مثلت احوالهم التي كانت في الحياة الدنيا كيف تعبدوا وكيف حجوا وكيف لبوا ولهذا

قال كانى وقيل انه اخبر بالوحي عن ذلك فلشدة قطعه به قال كانى انظر
اليه انتهى وقد ذكرت فى مقاصد الاسرآء من ذلك ما يكفى ويشفى والله الموفق
ولما نزل صلى الله عليه وسلم بسرف خرج الى اصحابه فقال من لم يكن معه هدي
فاحب ان يجعلها عمرة فليفعل ومن كان معه الهدى فلا وحاضت عائشة فدخل
عليها صلى الله عليه وسلم وهي تبكى فقال ما يبكيك يا هنتاه قالت سمعت قولك
لاصحابك فمنعت العمرة قال وما شانك قالت لا اصلى قال فلا يضرك انما انت
امرأة من بنات آدم كتب الله عليك ما كتب عليهن فكونى فى حجك فعسى الله ان
يرزقكها رواه البخارى ومسلم وابو داود والنسائى وفى رواية قالت
خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذكر الا الحج حتى جئنا سرف
فطمثت فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابكى فقال ما يبكيك
فقلت والله لوددت انى لم اكن خرجت العام فقال مالك لعلك نفست قلت نعم
قال هذا شئ كتبه الله على بنات آدم افعلى ما يفعل الحاج غير ان لا تطوفى بالبيت
حتى تطهرى الحديث وقد اختلف فيما احرمت به عائشة كما اختلف هل كانت
متمتعة او مفردة واذا كانت متمتعة فقيل انها كانت اولا احرمت بالحج
وهو ظاهر هذا الحديث وفى حجة الوداع من المغازى عند البخارى من طريق
هشام بن عروة عن ابيه قالت وكنت فيمن اهل بعمرة وزاد احمد من وجه
آخر عن الزهري ولم اسق هديا وفى رواية الاسود عنها قالت خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي لا نذكر حجا ولا عمرة ويحتمل فى الجمع
ان يقال اهلت عائشة بالحج مفردة كما صنع غيرها من الصحابة ثم امر النبي صلى
الله عليه وسلم ان يفسخوا الحج الى العمرة ففعلت عائشة ما صنعوا فصارت متمتعة
ثم لما دخلت مكة وهي حائض لم تقدر على الطواف لاجل الحيض امرها ان تحرم
بالحج وقال القاضى عياض واختلف فى الكلام على حديث عائشة فقال مالك
ليس العمل على حديث عروة عن عائشة عندنا قديما ولا حديثا قال ابن عبد البر
يريد ليس العمل عليه فى رفض العمرة وجعلها حجا بخلاف جعل الحج عمرة فانه
وقع للصحابة واختلف فى جوازه من بعدهم لكن اجاب جماعة من العلماء عن
ذلك باحتمال ان يكون معنى قوله ارفضى عمرتك اى اتركى التحلل منها وادخلى
عليها الحج فتصير قارنة ويؤيده قوله فى رواية لمسلم وامسكى عن العمرة اى عن
اعمالها وانما قالت عائشة وارجع بحج لاعتقادها ان افراد العمرة بالعمل افضل
كما وقع لغيرها من امهات المؤمنين واستبعد هذا التأويل لقولها فى رواية

عطاء

عطاء عنها وارجع انا بحجة ليس معها عمرة اخرجه احمد وهو يقوى قول الكوفيين
ان عائشة تركت العمرة وحجت مفردة تمسكوا فى ذلك بقوله لها دعى عمرتك وفى رواية
ارفضى عمرتك ونحو ذلك واستدلوا به على ان للمرأة اذا اهلت بالعمرة متمتعة فحاضت
قبل ان تطوف ان تترك العمرة وتهل بالحج مفردة كما فعلت عائشة لكن فى رواية
عطاء عنها ضعف والرافع للاشكال فى ذلك ما رواه مسلم من حديث جابر ان
عائشة اهلت بعمرة حتى اذا كانت بسرف حاضت فقال لها النبي
صلى الله عليه وسلم اهلى بالحج حتى اذا طهرت طافت بالكعبة وسعت فقال
قد حللت من حجك وعمرتك قالت يا رسول الله انى اجد فى نفسى انى لم اطف بالبيت
حين حججت قال فاعمرها من التنعيم ولمسلم من طريق طاوس عنها فقال لها
النبي صلى الله عليه وسلم طوافك يسعك لحجك وعمرتك فهذا صريح فى انها
كانت قارنة لقوله قد حللت من حجك وعمرتك وانما اعمرها من التنعيم تطييبا
لقلبها لكونها لم تطف بالبيت لما دخلت معتمرة وقد وقع فى رواية مسلم وكان
صلى الله عليه وسلم رجلا سهلا اذا هويت الشئ تابعها عليه **ثم قال** صلى
الله عليه وسلم لاصحابه من كان معه هدي فليهل بالحج مع العمرة ثم لا يحل
حتى يحل منهما جميعا وانما قال لهم هذا القول بعد احرامهم بالحج وفى منتهى سفرهم
ودنوهم من مكة بسرف كما جاء فى رواية عائشة او بعد طوافه بالبيت كما جاء
فى رواية جابر ويحتمل تكرار الامر بذلك فى الموضعين وان العزيمة كانت اخرا
حين امرهم بفسخ الحج الى العمرة وفى رواية قالت عائشة فمنا من اهل بعمرة
ومنا من اهل بحج حتى قدمنا مكة فقال صلى الله عليه وسلم من احرم
بعمرة ولم يهد فليحلل ومن احرم بعمرة واهدى فلا يحل حتى ينحر هديه ومن
احرم بحج فليتم حجه وهذا الحديث ظاهر فى الدلالة لابى حنيفة واحمد
وموافقهما فى ان المعتمر المتمتع اذا كان معه الهدي لا يتحلل من عمرته حتى ينحر
هديه يوم النحر ومذهب مالك والشافعى انه اذا طاف وسعى وحلق حل من
عمرته وحل له كل شئ فى الحال سواء كان ساق هديا ام لا واحتجوا بالقياس
على من لم يسق الهدي وبانه تحلل من نسكه فوجب ان يحل له كل شئ كما لو تحلل
المحرم بالحج واجابوا عن هذه الرواية بانها مختصرة من الرواية التى ذكرها
مسلم عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة
الوداع فاهللنا بعمرة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه
هدي فليهل بالحج مع العمرة ثم لا يحل حتى يحل بهما جميعا فهذه الرواية مفسرة

للمحذوف من الرواية التي احتج بها ابو حنيفه و تقديرها و من احرم بعمرة
فليحلل بالحج ولا يحل حتى ينحر هديه ولا بد من هذا التاويل لان القصة واحدة
والراوي واحد فتعين الجمع بين الروايتين على ما ذكروا والله اعلم ولما بلغ سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا طوى بضم الطاء وفتحها وقيدها الاصلي
بالكسر عند باب الزاهريات بها بين الثنيتين فلما اصبح صلى الغداة ثم اغتسل
رواه البخاري وللنسائي كان صلى الله عليه وسلم ينزل بذي طوى يبيت به يصلي
صلوة الصبح حين يقدم الى مكة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
على اكمة خشنة غليظة ليس في المسجد الذي بني ثم ولكن من اسفل ذلك على اكمة
خشنة غليظة و في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم دخلها من اعلاها وفي حديث
ابن عمر في الصحيح كان صلى الله عليه وسلم يدخل من الثنية العليا يعني اعلا مكة
من كداء بفتح الكاف والمد قال ابو عبيدة لا يصرف وهذه الثنية التي ينزل منها
الى المعلى مقبرة مكة وهي التي يقال لها الحجون بفتح الحاء المهملة وضم الجيم ولم يقع انه
صلى الله عليه وسلم دخل مكة ليلا الا في عمرة الجعرانة فانه صلى الله عليه وسلم احرم من
الجعرانة ودخل مكة ليلا فقضى امر العمرة ثم رجع ليلا فاصبح بالجعرانة كما رواه
اصحاب السنن الثلاثة من حديث محرش الكعبي وعن عطاء قال ان شئتم فادخلوا
ليلا انكم لستم كرسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اماما فاحب ان يدخلها
نهارا ليراه الناس رواه النسائي ثم دخل عليه الصلوة والسلام مكة لاربع خلون
من ذي الحجة ودخل المسجد الحرام ضحى من باب بني عبد مناف وهو باب بني شيبة
والمعنى فيه ان باب الكعبة في جهة ذلك الباب والبيوت تؤتى من ابوابها وايضا
فلان جهة باب الكعبة اشرف الجهات الاربع كما قاله ابن عبد السلام في القواعد
وكان عليه السلام اذا راى البيت قال اللهم زد هذا البيت تشريفا و
تعظيما ومهابة وبرا رواه الثوري عن ابي سعيد الشامي عن مكحول وروى
الطبراني عن حذيفة بن اسيد كان عليه السلام اذا نظر البيت قال اللهم
زد بيتك هذا تشريفا وتعظيما وتكريما وبرا ومهابة وزده من شرفه وعظمه
ممن حجه او اعتمره تعظيما وتشريفا وبرا ومهابة ولم يركع عليه السلام تحية المسجد
انما بدا بالطواف لانه تحية البيت كما صرح به كثير من اصحابنا وليس تحية المسجد
ثم استلم صلى الله عليه وسلم الحجر اي الاسود وفي رواية جابر عند البخاري
استلم الركن والاستلام افتعال من السلام اي التحية قاله الازهري وقيل من
السلام بالكسر اي الحجارة والمعنى انه يومي بعصاه الى الركن حتى يصيبه وكانت

محنية الراس وهي المراد بقوله في الحديث المحجن واعلم ان للبيت اربعة اركان الاول
له فضيلتان كون الحجر الاسود فيه وكونه على قواعد ابراهيم وللثاني الثانية
فقط وليس للاخرين شيء منهما فلذلك يقبل الاول ويستلم الثاني فقط و
لا يقبل الاخران ولا يستلمان وروى الشافعي عن ابن عمر قال استقبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحجر فاستلمه ثم وضع شفتيه عليه طويلا وكان
اذا استلم الركن قال بسم الله والله اكبر وكلما اتى الحجر قال الله اكبر رواه
الطبراني وهل كان صلى الله عليه وسلم طائفا على بعيره ام على قدميه ففي مسلم
عن عائشة طاف عليه السلام في حجة الوداع على بعيره وفيه عن ابي الطفيل
رايته عليه السلام يطوف البيت على بعيره وقد اختلف في علة ذلك فروى
ابو داود من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قدم مكة وهو يشتكي
فطاف على راحلته و في حديث جابر عند مسلم انه صلى الله عليه وسلم طاف
راكبا ليراه الناس ويسئلوه فيحتمل ان يكون فعل ذلك للامرين قال ابن بطال
فيه جواز دخول الدواب التي يؤكل لحمها المسجد اذا احتيج الى ذلك لان بولها
لا ينجسه بخلاف غيرها من الدواب وتعقب بانه ليس في الحديث دلالة على
عدم الجواز والجواز مع الحاجة بل ذلك دائر مع التلويث وعدمه فحيث يخشى
التلويث يمتنع الدخول وقد قيل ان ناقته صلى الله عليه وسلم كانت منوقة
اي مدربة معلمة فيؤمن معها ما يحذر من التلويث قال بعضهم وهذا كان
والله اعلم في طواف الافاضة لا في طواف القدوم فان جابرا حكى عنه الرمل
في الثلاثة الاول وذلك لا يكون الا مع المشي ولم يقل احد رملت به راحلته
وانما قالوا رمل اي بنفسه وقال الشافعي اما سعيه الذي طاف لمقدمه
فعلى قدميه انتهى ولما استلم صلى الله عليه وسلم الحجر مضى على يمينه فرمل
ثلاثا ومشى اربعا وكان ابتداء الرمل في عمرة القضية لما قدم صلى الله عليه
وسلم واصحابه مكة وقد وهنتهم حمى يثرب فقال المشركون انه يقدم عليكم
غدا قوم قد وهنتهم الحمى ولقوا منها شدة فجلسوا مما يلي الحجر وامرهم النبي
صلى الله عليه وسلم ان يرملوا ثلاثة اشواط ويمشوا بين الركنين ليرى
المشركين جلدهم فقال المشركون هؤلاء الذين زعمتم ان الحمى قد وهنتهم
هؤلاء اجلد من كذا وكذا رواه الشيخان وغيرهما من حديث ابن عباس ولما
كان في حجة الوداع رمل صلى الله عليه وسلم واصحابه فكان سنة مستقلة
قال الطبري قد ثبت انه عليه السلام رمل ولا مشرك يومئذ بمكة يعني في حجة

الوداع فعلم انه من مناسك الحج الا ان تاركه ليس تاركا لعمل بل لهيئة مخصوصة
فكان كرفع الصوت بالتلبية فمن لبى خافضا صوته لم يكن تاركا للتلبية بل لصفتها
فلا شيء عليه انتهى فلو ترك الرمل في الثلاث لم يقضه في الاربع لان هيئتها
السكينة فلا يتغير والله اعلم ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من طوافه اتى المقام
فقرا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى فصلى ركعتين والمقام بينه وبين البيت
فقرا فيهما بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ثم رجع الى الركن فاستلمه ثم
خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرا ان الصفا والمروة من شعائر
الله ابدؤا بما بدا الله به فبدا بالصفا فرقى عليه حتى راى البيت واستقبل
القبلة فوحد الله وكبره وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك و
له الحمد وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله وحده انجز وعده ونصر عبده
وهزم الاحزاب وحده ثم دعا بين ذلك قال هذا ثلاث مرات ثم نزل
الى المروة حتى انصبت قدماه في بطن الوادي رمل حتى اذا صعدتا مشى حتى
اتى المروة وفي حديث ابي الطفيل عند مسلم وابي داود قال قلت لابن عباس
اخبرني عن الطواف بين الصفا والمروة راكبا اسنة هو فان قومك يزعمون
انه سنة قال صدقوا وكذبوا قلت وما قولك صدقوا وكذبوا قال ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كثر عليه الناس يقولون هذا محمد حتى خرج
العواتق من البيوت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرب الناس
بين يديه فلما كثر عليه ركب والمشي والسعي افضل هذا لفظ رواية مسلم و
في اول ذكر الرمل في طواف البيت وعند ابي داود ان قريشا قالت زمن
الحديبية دعوا محمدا واصحابه حتى يموتوا موت النغف فلما صالحوه على ان
يجيئوا العام المقبل فيقيموا ثلاثة ايام فقدم عليه السلام فقال لاصحابه
ارملوا بالبيت وفيه طاف عليه السلام بين الصفا والمروة على بعير لان
الناس كانوا لا يدفعون عنه صلى الله عليه وسلم ولا يضربون عنه فطاف
على بعير ليسمعوا كلامه وليروا مكانه ولا تناله ايديهم الحديث وكان
صلى الله عليه وسلم اذا وصل الى المروة رقى عليها واستقبل البيت و
كبر الله ووحده وفعل كما فعل على الصفا حتى اذا كان آخر طوافه على المروة
قال لو اني استقبلت من امري ما استدبرت لم اسق الهدي وجعلتها عمرة
فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عمرة فقام سراقة ابن جعشم
فقال يا رسول الله العامنا هذا ام لابد فشبك رسول الله صلى الله عليه

وسلم اصابعه واحدة في اخرى وقال دخلت العمرة في الحج هكذا مرتين لا بل لابد
ابد وهذا معنى فسخ الحج الى العمرة قال النووي وقد اختلف في هذا الفسخ هل هو
خاص بالصحابة تلك السنة خاصة ام باق لهم ولغيرهم الى يوم القيمة فقال احمد و
طائفة من اهل الظاهر ليس خاصا بل هو باق الى يوم القيمة فيجوز لكل من احرم
بالحج ليس معه هدي ان يقلب احرامه عمرة ويتحلل باعمالها وقال مالك والشافعي
وابو حنيفة وجماهير العلماء من السلف والخلف هو مختص في تلك السنة لا يجوز
بعدها وانما امروا به في تلك السنة ليخالفوا ما كانت عليه الجاهلية من تحريم
العمرة في اشهر الحج ومما يستدل به للجماهير حديث ابي ذر في مسلم كانت المتعة
في الحج لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خاصة يعني فسخ الحج الى العمرة وفي
النسائي عن الحارث بن بلال عن ابيه قال قلت يا رسول الله ارايت فسخ الحج الى
العمرة لنا خاصة ام للناس عامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لنا
خاصة قال واما الذي في حديث سراقة العامنا هذا ام لابد فقال لابد
ابد فمعناه جواز الاعتمار في اشهر الحج والقران كما سبق تفسيره فالحاصل من
مجموع طرق الاحاديث ان العمرة في اشهر الحج جائزة الى يوم القيمة وكذلك
القران وان فسخ الحج الى العمرة مختص بتلك السنة والله اعلم انتهى وفي رواية
للنسائي ايضا لا تصلح المتعتان الا لنا خاصة يعني متعة النساء ومتعة الحج
ومتعة النساء هي نكاح المرأة الى اجل كان ذلك مباحا ثم نسخ يوم خيبر
ثم ابيح يوم فتح مكة ثم نسخ في ايام الفتح واستمر تحريمه الى يوم القيمة
وقد كان فيه خلاف في العصر الاول ثم ارتفع واجمعوا على تحريمه وكان صلى
الله عليه وسلم مدة مقامه بمنزله الذي نزل فيه بالمسلمين بظاهر مكة يقصر
الصلوة فيه وكانت مدة اقامته بمكة قبل الخروج الى منى اربعة ايام ملفقة
لانه قدم في الرابع وخرج في الثامن فصلى بها احدى وعشرين صلوة من اول
ظهر الرابع الى آخر عصر الثامن ومن يوم دخوله عليه السلام مكة و
خروجه يوم النفر الثاني من منى الى الابطح عشرة ايام سواء وقدم
علي من اليمن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بما اهللت فقال
بما اهل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لولا ان معي الهدي لاحللت
رواه الشيخان عن انس وفي حديث البراء عند الترمذي والنسائي دخل
علي على فاطمة فوجدها قد نضحت البيت بنضوح فغضب فقالت ما لك
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر اصحابه فاحلوا قال قلت لها

انّى اهللت باهلال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال فاتيته فقال لى رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم كيف صنعت قام وقال لى انحر من البُدْن سبعا وستّين
او ستّا وستّين وامسِكْ لنفسك ثلاثا وثلاثين او اربعا وثلاثين وامْسِكْ
من كلّ بدنة منها بضعة وفى رواية جابر عند مسلم فوجد فاطمة ممّن حلّ و
لبست ثيابا صبيغا واكتحلت فانكر ذلك عليها فقالت ابى امرنى بهذا فقال
صدقتِ صدقتِ ماقلت حين فرضت الحجّ قال قلت اللّهمّ انّى اهلّ بما اهلّ
به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال فانّ معى الهدى فلا تحلّ قال فكان جماعة
الهدى الّذى قدم به علىٌّ من اليمن والّذى اتى به النبيّ صلّى الله عليه وسلّم
مائة فحلّ الناس كلّهم وقصّروا الّا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومن كان معه
هدى فلمّا كان يوم التّروية وكان يوم الخميس ضُحًى ركب صلّى الله عليه وسلّم
وتوجّه بالمسلمين الى مِنًى وقد احرم بالحجّ مَنْ كان احلّ منهم وصلّى صلّى
الله عليه وسلّم بمنى الظّهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثمّ مكث
قليلا حتّى طلعت الشّمس وامر بقبّة من شعر فضربت له بنمرة فسار على طريق
ضبٍّ ولا تشكّ قريش الّا انّه واقف عند المشعر الحرام بالمزدلفة
كما كانت قريش تصنع فى الجاهليّة وكانت الحُمْس وهم من قريش ومن
دان دينها يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن قطين الله اى جيران بيته
فلا نخرج من حرمه وكان النّاس كلّهم يبلغون عرفات وذلك قوله تعالى
ثمّ افيضوا من حيث افاض النّاس وعن جبير بن مطعم قال اضللت حمارا
لى فى الجاهليّة فوجدته بعرفة فرأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
واقفا بعرفات مع النّاس فلمّا اسلمت عرفت انّ الله تعالى وفّقه لذلك
وفى رواية كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى الجاهليّة يقف مع النّاس
بعرفة على جمل له ثمّ يصبح مع قومه بالمزدلفة فيقف معهم ويدفع اذا
دفعوا الحديث ولمّا بلغ صلّى الله عليه وسلّم عرفة وجد القبّة قد ضربت
له بنمرة فنزل بها حتّى اذا زاغت الشّمس امر بالقصوى فرحلت له فركب
فاتى بطن الوادى فخطب النّاس وقال انّ دماءكم واموالكم حرام عليكم
كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا الا كلّ شئ من امر الجاهليّة
تحت قدمىّ موضوع ودماء الجاهليّة موضوعة وانّ اوّل دم اضع
من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا فى بنى سعد فقتلته
هذيل وربا الجاهليّة موضوع واوّل ربًا اَضَعُ من ربانا ربا العبّاس بن

عبد المطلب

عبد المطّلب فانّه موضوع كلّه فاتّقوا الله فى النّساء فانّكم اخذتموهنّ بامانة
الله واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله ولكم عليهنّ ان لا يوطئنّ فرشكم احدا
تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهنّ ضربا غير مبرّح ولهنّ عليكم رزقهنّ
وكسوتهنّ بالمعروف وقد تركت فيكم ما ان لا تضلّوا بعده ان اعتصمتم به
كتاب الله وانتم تسئلون عنّى فما انتم قائلون قالوا نشهد انّك قد بلّغت
وادّيت ونصحت فقال باصبعه السّبّابة يرفعها الى السّماء وينكسها الى النّاس
اللّهمّ اشهد ثلاث مرّات ثمّ اذّن بلال ثمّ اقام فصلّى الظّهر ثمّ اقام
فصلّى العصر ولم يصلّ بينهما شيئا وهذا الجمع المذكور مختصّ بالمسافرين عند
الجمهور وعند مالك والاوزاعى وهو وجه للشّافعيّة انّ الجمع بعرفة جمع
للنّسك فيجوز لكلّ احد قال الاسنوى فلا يجوز الّا للمسافر بلا خلاف قال
الشّافعى والاصحاب اذا خرج الحاجّ يوم التّروية ونووا الذّهاب الى اوطانهم
عند فراغ مناسكهم كان لهم القصر من حين خروجهم ولمّا فرغ صلّى الله عليه
وسلّم من صلاته ركب حتّى اتى الموقف فجعل بطن ناقته القصوى الى الصّخرات وجعل
جبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة وكان اكثر دعائه صلّى الله عليه وسلّم يوم
عرفة فى الموقف اللّهمّ لك الحمد كالّذى نقول وخيرا ممّا نقول اللّهمّ لك
صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى واليك مآبى ولك ربّ تراثى اللّهمّ انّى اعوذ بك
من عذاب القبر ووسوسة الصّدر وشتات الامر اللّهمّ انّى اعوذ بك من شرّ
ما تجئ به الرّيح رواه التّرمذى من حديث علىّ وفى رواية ذكرها رزين كان
اكثر دعائه عليه السّلام يوم عرفة بعد قوله لا اله الّا الله وحده لا شريك
له اللّهمّ لك الحمد كالّذى نقول اللّهمّ لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى
واليك مآبى وعليك يا ربّ ثوابى اللّهمّ انّى اعوذ بك من عذاب القبر
ومن وسوسة الصّدر ومن شتات الامر ومن شرّ كلّ ذى شرّ وفى التّرمذى
افضل الدّعاء يوم عرفة وافضل ما قلت انا والنّبيّون من قبلى لا اله الّا
الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كلّ شئ قدير وكان من
دعائه فى عرفة ايضا كما فى الطّبرانى الصّغير من حديث ابن عبّاس اللّهمّ انّك
تسمع كلامى وترى مكانى وتعلم سرّى وعلانيتى لا يخفى عليك شئ من امرى و
انا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقرّ المعترف بذنوبه
اسئلك مسئلة المسكين وابتهل اليك ابتهال المذنب الذّليل وادعوك
دعاء الخائف الضّرير ودعاء مَنْ خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته

وذلّ لك جسده ورغم لك انفه اللهمّ لا تجعلني بدعائك ربّ شقيّا وكن
بى رؤفا رحيما يا خير المسئولين ويا خير المعطين واتاه صلّى الله عليه وسلّم
ناس من اهل نجد وهو بعرفة فسألوه كيف الحجّ فامر مناديا ينادى الحجّ عرفة من
جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد ادرك الحجّ ايام منىً ثلاثة فمن تعجّل في يومين
فلا اثم عليه ومن تأخّر فلا اثم عليه رواه الترّمذى وفى رواية جابر عن ابى
داود قال صلّى الله عليه وسلّم بعرفة وقفت ههنا وعرفة كلّها موقف وههنا
انزلت عليه اليوم اكملت لكم دينكم الآية كما فى الصّحيحين من حديث عمر بن الخطّاب
رضي الله عنه وهناك سقط رجل من المسلمين عن راحلته وهو محرم فمات فامر
صلّى الله عليه وسلّم ان يكفّن فى ثوبيه ولا يمسّ بطيب وان يغسل بماء وسدر
ولا يغطّى وجهه ورأسه واخبر انّ الله يبعثه يوم القيمة يلبّي رواه البخارى
ومسلم اى يبعث على هيئة الّتى مات عليها واستدلّ بذلك على بقاء احرامه
خلافا للمالكيّة والحنفيّة قال النّووى يتأوّل هذا الحديث على انّ النّهى عن تغطية
وجهه ليس لكون المحرم لا يجوز له تغطية وجهه بل هو صيانة للرّأس فانّهم لو غطّوا
وجهه لم يؤمن ان يغطوا رأسه انتهى قال الحافظ ابن حجر وكان وقوع المحرم المذكور
عند الصّخرات من عرفة والله اعلم ولمّا غربت الشّمس بحيث ذهبت الصّفرة
قليلا حين غاب القرص افاض صلّى الله عليه وسلّم من عرفة واردف اسامة
خلفه وقد شنق للقصوى الزّمام حتّى انّ رأسها ليصيب مورك رحلها و
يقول بيده ايها النّاس السّكينة السّكينة كلّما اتى جبلا من الجبال ارخى
لها قليلا حتّى تصعد وافاض من طريق المأزمين وفى رواية ابن عبّاس انّه
صلّى الله عليه وسلّم سمع وراءه زجرا شديدا وضربا للابل فاشار بسوطه
وقال ايها النّاس عليكم بالسّكينة فانّ البرّ ليس بالايضاع يعنى بالاسراع
وفى رواية ابى داود افاض من عرفة وعليه السّكينة ورديفه اسامة
فقال ايها النّاس عليكم بالسّكينة فانّ البرّ ليس بايجاف الخيل والابل فما رأيتها
رافعة يديها غادية حتّى اتى جمعا وفى رواية اسامة بن زيد عند الشّيخين
كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نصّ قال هشام والنّصّ فوق العنق و
اخرج الطّبرانى فى المعجم عن سالم بن عبد الله عن ابيه انّ رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم افاض من عرفات وهو يقول اليك يعدو قلقا
وضينها مخالفا دين النّصارى دينها قال فى النّهاية والحديث مشهور بابن
عمر من قوله والقلق الانزعاج والوضين بالضّاد المعجمة حزام الرّحل

ولمّا كان فى اثناء الطّريق نزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فبال و
توضّأ وضوءًا خفيفا فقال له اسامة الصّلاة يا رسول الله فقال الصّلاة
امامك فركب حتّى اتى مزدلفة وهي المسمّى بجمع بفتح الجيم وسكون الميم وسمّيت
لانّ آدم اجتمع فيها مع حوّى فازدلف اليها اى دنى منها وعن قتادة انّما
سمّيت جمعا لانّه يجمع فيها بين صلاتين وقيل لانّ النّاس يجتمعون فيها ويزدلفون
الى الله اى يتقرّبون اليه بالوقوف فيها انتهى فصلّى رسول الله صلّى الله عليه
وسلّم بها المغرب والعشاء كلّ واحدة منهما باقامة ولا صلّى اثر كلّ واحدة
منهما وفى رواية فاقام المغرب ثمّ اناخ النّاس فى منازلهم ولم يحلّوا حتّى اقام
العشاء الاخيرة ثمّ فصلّى حلّوا وترك عليه السّلام قيام اللّيل تلك اللّيلة
ونام حتّى اصبح لما تقدّم له من الاعمال بعرفة من الوقوف من الزّوال الى
بعد الغروب واجتهاده عليه السّلام فى الدّعاء وسيره بعد الغروب الى
المزدلفة واقتصر فيها على صلاة المغرب والعشاء قصرا ورقد بقيّة ليلته
مع كونه عليه السّلام كان يقوم اللّيل حتّى تورّمت قدماه ولكنّه اراح
نفسه الشّريفة لما تقدّم فى عرفة ولما هو بصدده يوم النّحر من كونه نحر
بيده المباركة ثلاثا وستّين بدنة وذهب الى مكّة لطواف الافاضة ورجع
الى منى كما نبّه عليه فى شرح تقريب الاسانيد وعن عبّاس بن مرداس
انّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم دعا لامّته عشيّة عرفة بالمغفرة فاجيب
انّى قد غفرت لهم ما خلا المظالم فانّى اخذ للمظلوم قال اي ربّ ان شئت اعطيت
المظلوم من الجنّة وغفرت للظّالم فلم يجب عشيّته فلمّا اصبح بالمزدلفة اعاد
الدّعاء فاجيب الى ما سأل فضحك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم او قال
تبسّم فقال ابو بكر وعمر رضي الله عنهما بابى انت وامّى انّ هذه ساعة ما
كنت تضحك فيها فما الّذى اضحكك اضحك الله سنّك قال انّ عدوّ الله ابليس
لمّا علم انّ الله قد استجاب دعائى وغفر لامّتى اخذ التّراب فجعل يحثو على
رأسه ويدعو بالويل والثّبور فاضحكنى ما رأيت من جزعه رواه ابن ماجه
ورواه ابو داود من الوجه الّذى رواه به ابن ماجه ولم يضعفه وقد جاء
وقد جاء فى بعض الرّوايات عن غير العبّاس ما يبيّن انّ المراد من الامّة من وقف
بعرفة وقال الطّبرى انّه محمول بالنّسبة الى المظالم على من تاب وعجز عن وفائها
وقد رواه البيهقى بنحو رواية ابن ماجه ثمّ قال وله شواهد كثيرة فان صحّ
بشواهده ففيه الحجّة وان لم يصحّ فقد قال الله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء

وظلم بعضهم بعضا دون الشرك انتهى وقال الترمذى فى الحديث الصحيح من حج
فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وهو مخصوص بالمعاصى المتعلقة
بحقوق الله تعالى خاصة دون العباد ولا يسقط الحقوق انفسها فمن كان عليه صلاة او
كفارة ونحوها من حقوق الله تعالى لا تسقط عنه لانها حقوق لا ذنوب انما الذنب
تاخيرها فنفس التاخير يسقط بالحج لا هي انفسها فلو اخرها بعده تجدد اثم آخر فالحج
المبرور يسقط اثم المخالفة لا الحقوق وقال ابن تيميه من اعتقد ان الحج يسقط ما وجب
عليه من الحقوق كالصلاة يستتاب والا قتل ولا يسقط حق الآدمي بالحج اجماعا
والله اعلم انتهى واستاذنت سودة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة جمع
وكانت ثقيلة فاذن لها ان تدفع قبل حطمة الناس فقالت عائشة فليتنى كنت استاذنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استاذنت سودة وفى رواية فاستاذنته
قبل ان تدفع قبل حطمة الناس وكانت امراة بطية فاذن لها ان تدفع قبل حطمة الناس
قالت عائشة فلان اكون استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استاذنت سودة
احب الى من مفروح به رواه البخارى وفى رواية ابى داود والنسائى ارسل صلى الله عليه
وسلم بام سلمة ليلة النحر فرمت الجمرة قبل الفجر ثم مضت فافاضت فكان ذلك اليوم
الذى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى عندها وعند مسلم بعث ام حبيبة من
جمع بليل وفى رواية البخارى ومسلم والنسائى عن ابن عباس قال ارسلنى صلى الله
عليه وسلم مع ضعفه اهله فصلينا الصبح بمنى ورمينا الجمرة وفى الموطا
والصحيحين والنسائى عن اسماء انها نزلت ليلة جمع عند المزدلفة فقامت
تصلى ساعة ثم قالت يا بنى هل غاب القمر قلت لا ثم صلت ساعة ثم قالت
هل غاب القمر فقلت نعم قالت فارتحلوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد اذن للظعن بالضم النساء فى الهوادج وقد اختلف السلف فى ترك
المبيت بالمزدلفة فقال علقمة والنخعى والشعبى من تركه فاته الحج وقال عطاء و
الزهرى وقتاده والشافعى والكوفيون واسحاق عليه دم ومن بات بها
لم يجز له الدفع قبل النصف وقال مالك ان مر بها فلم ينزل فعليه دم وان نزل
فلا دم عليه متى دفع انتهى ولما طلع الفجر صلى النبى صلى الله عليه وسلم
الفجر حين تبين الصبح باذان واقامة وفى سنن البيهقى والنسائى باسناد
صحيح على شرط مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال للفضل ابن العباس غداة
يوم النحر التقط لى حصا فالتقط له حصيات مثل حصى الخذف فوضعهن بيده
ولم يكسرها كما يفعل من لا علم عنده وفى رواية للنسائى قال عليه السلام

انظر ان الحج يمحو الذنوب لا الحقوق
انظر الى ما قاله ابن تيمية

انظر ما قاله مالك فانه حسن

لابن عباس

لابن عباس غداة النحر وهو عليه السلام على راحلته هات القط لى فلقط
حصيات من حصى الخذف فلما وضعهن فى يده قال بامثال هؤلاء واياكم والغلو
فى الدين وانما اهلك من قبلكم بالغلو فى الدين قال العلماء وفى هذا الحديث دليل
على استحباب اخذ الحصيات بالنهار وهو راي البغوى قال ويكون ذلك بعد صلاة
الصبح ونص عليه الشافعى فى الام والاملاء لكن الجمهور كما قال الرافعى على استحباب
الاخذ بالليل لفراغهم فيه وهل يستحب ان يلتقط جميع ما يرمى به فى الحج وبه
جزم فى البينة واقره عليه النووى فى تصحيحه لكن الاكثرون كما قال الرافعى
على استحباب الاخذ ليوم النحر خاصة ونص عليه الشافعى ايضا قال فى شرح المهذب
والاحتياط ان يزيد فربما سقط منه شئ انتهى ثم ركب النبى صلى الله عليه
وسلم القصوى حتى اتى المشعر الحرام فرقى عليه فاستقبل القبلة فحمد الله وكبره
وهلله ووحده فلم يزل واقفا حتى اسفر جدا فدفع قبل ان تطلع الشمس وفى رواية
غير جابر وكان المشركون لا ينفرون حتى تطلع الشمس وان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كره ذلك فنفر قبل طلوع الشمس وفى حديث علي عند الطبرى لما اصبح صلى
الله عليه وسلم بالمزدلفة غدا فوقف على قزح واردف الفضل ثم قال هذا الموقف
وكل المزدلفة موقف حتى اذا اسفر دفع وفى رواية جابر واردف صلى الله
عليه وسلم الفضل بن عباس وكان حسن الشعر ابيض وسيما فلما دفع صلى الله
عليه وسلم مرت ظعن يجرين فطفق الفضل ينظر اليهن فوضع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه الى الشق الآخر
ينظر فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الآخر ينظر وفى رواية
كان الفضل رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امراة من خثعم
تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل صلى الله عليه وسلم يصرف وجه
الفضل الى الشق الآخر قالت يا رسول الله ان فريضة الله على عباده فى الحج ادركت
ابى شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة افاحج عنه قال نعم وذلك فى حجة
الوداع رواه الشيخان وغيرهما وقد روي ايضا من حديث عبد الله بن عباس
لكن رجح البخارى رواية الفضل لانه كان رديف النبى صلى الله عليه وسلم حينئذ
وكان عبد الله بن العباس تقدم الى منى مع الضعفه فكان الفضل حدث اخاه
بما شاهده فى تلك الحالة ويحتمل ان يكون سؤال الخثعمية وقع بعد رمى جمرة العقبة
فحضره عبد الله بن عباس فنقله تارة عن اخيه لكونه صاحب القصة وتارة عما
شاهده ويؤيده ما فى الترمذى ان السؤال المذكور وقع عند المنحر بعد الفراغ

من الرمي وان العباس كان شاهدا وفيه انه عليه السلام لوى عنق الفضل
فقال العباس يا رسول الله لويت عنق ابن عمك قال رايت شابا وشابة فلم امن
عليهما الشيطان وظاهر ان العباس كان حاضرا لذلك فلا مانع ان يكون ابنه
عبد الله ايضا كان معه وفي هذا الحديث دلالة على جواز النيابة في الحج عمن
لا يستطيع من الاحياء خلافا لمالك في ذلك ولمن قال لا يحج عن احد مطلقا
كابن عمر ونقل ابن المنذر وغيره الاجماع على انه لا يجوز ان يستنيب من يقدر
على الحج بنفسه في الحج الواجب واما النفل فيجوز عند ابي حنيفة خلافا للشافعي
وعن احمد روايتان انتهى وفي رواية عن ابن عباس ان اسامة قال كنت رديف
رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة ثم اردف الفضل
من المزدلفة الى منى فكلاهما قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يلبي
حتى رمى جمرة العقبة رواه الشيخان وغيرهما وفي رواية جابر فلما اتى عليه السلام
بطن محسر حرك ناقته واسرع السير قليلا قال الاسنوي سببه ان النصارى
كانت تقف فيه كما قاله الرافعي او العرب كما قاله في الوسيط فامرنا بمخالفتهم
قال وظهر لي فيه معنى آخر وهو انه مكان نزل فيه العذاب على اصحاب الفيل
القاصدين هدم البيت فاستحب فيه الاسراع لما ثبت في الصحيح امره المار
على ديار ثمود ونحوهم بذلك قال غيره وهذه كانت عادته صلى الله عليه وسلم
في المواضع التي نزل فيها باس الله تعالى باعدائه وسمي وادي محسر لان الفيل
حسر اي اعيي وانقطع عن الذهاب انتهى ثم سلك صلى الله عليه وسلم
الطريق الوسطى التي تخرج الى الجمرة الكبرى حتى اتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها
بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة رمى من بطن الوادي وجعل البيت عن يساره
ومنى عن يمينه واستقبل الجمرة وكان رميه صلى الله عليه وسلم يوم النحر كما
قاله جابر في رواية مسلم والترمذي وابو داود والنسائي وفي رواية ام
الحصين عند ابي داود رايت اسامة وبلالا احدهما آخذ بخطام ناقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى
جمرة العقبة وفي رواية النسائي ثم خطب فحمد الله واثنى عليه وذكر قولا كثيرا
وعن ام جندب رايته عليه السلام يرمي الجمرة من بطن الوادي وهو راكب
يكبر مع كل حصاة ورجل من خلفه يستره فسالت عن الرجل فقالوا الفضل
بن العباس وازدحم الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس
لا يقتل بعضكم بعضا واذا رميتم الجمرة فارموا بمثل حصى الخذف وفي هذا دليل

على جواز

على جواز استظلال المحرم بالمحمل ونحوه وقد مر انه عليه السلام ضربت له
قبة من شعر بنمرة وفي رواية جابر عند مسلم وابي داود قال رايته صلى الله
عليه وسلم يرمي على راحلته يوم النحر وهو يقول خذوا عني مناسككم لا ادري
لعلي لا احج بعد حجتي هذه وفي رواية قدامة عند الترمذي رايته يرمي
الجمار على ناقة له صهباء ليس ضرب ولا طرد ولا اليك اليك انتهى ثم انصرف
صلى الله عليه وسلم الى المنحر فنحر ثلاثا وستين بدنة ثم اعطى عليا فنحر ما غبر
واشركه في هديه ثم امر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت فاكلا من لحمها
وشربا من مرقها وفي رواية جابر عند مسلم نحر عليه السلام عن نسائه بقرة
وقالت عائشة نحر صلى الله عليه وسلم عن آل محمد في حجة الوداع بقرة واحدة
رواه ابو داود ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله بمنى ثم قال
للحلاق خذ واشار بيده الى الجانب الايمن ثم الايسر ثم جعل يعطيه الناس
وفي رواية انه قال للحلاق ها واشار بيده الى الجانب الايمن فقسم شعره بين
من يليه ثم اشار الى الحلاق الى الجانب الايسر فحلق فاعطاه ام سليم وفي
اخرى فبدا بالشق الايمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس ثم قال بالايسر
فصنع مثل ذلك ثم قال ههنا ابو طلحة فدفعه اليه وفي اخرى رمى جمرة العقبة
ثم انصرف الى البدن فنحرها والحجام جالس وقال بيده عن راسه فحلق الشق الايمن
فقسمه بين من يليه ثم قال احلق الشق الاخر فقال ابن ابي طلحة فاعطاه اياه
رواه الشيخان وعند الامام احمد انه استدعى الحلاق فقال له وهو قائم
على راسه بالموسى ونظر في وجهه وقال يا معمر امكنك رسول الله من شحمة
اذنه وفي يدك الموسى قال فقلت له اما والله يا رسول الله ان ذلك لمن نعم الله
علي ومنه قال اجل وقال البخاري وزعموا ان الذي حلق للنبي معمر بن عبد الله
بن نضلة بن عوف انتهى وهو عند ابن خزيمة في صحيحه وعند الامام احمد
وقلم صلى الله عليه وسلم اظفاره وقسمها بين الناس وعنده ايضا من حديث
محمد بن زيد ان اباه حدثه انه شهد النبي صلى الله عليه وسلم عند المنحر ورجل
من قريش يقسم اضاحي فلم يصبه شيء ولا صاحبه فحلق رسول الله صلى
الله عليه وسلم راسه في ثوبه فاعطاه فقسم منه على رجال وقلم اظفاره
فاعطاه صاحبه وكان يخضب بالحناء والكتم وعن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله وللمقصرين
قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين

قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال اللهم وللمقصرين رواه الشيخان وليس فيه
تعيين هل قاله صلى الله عليه وسلم في الحديبية او في حجة الوداع قالوا ولم يقع في
شيء من طرقه التصريح بسماعه لذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ولو وقع لقطعنا
بانه كان في حجة الوداع لانه شهدها ولم يشهد الحديبية وقد وقع تعيين الحديبية
من حديث جابر عند ابي قرة في السنن ومن طريقه الطبراني في الاوسط ومن حديث
المسور بن مخرمة عند ابن اسحق في المغازي وورد تعيين حجة الوداع من حديث ابي
مريم السلولي عند احمد وابن ابي شيبة ومن حديث ام الحصين عند مسلم ومن
حديث قارب بن الاسود الثقفي عند احمد وابن ابي شيبة ومن حديث ام عمارة
عند الحارث فالاحاديث التي فيها تعيين حجة الوداع اكثر عددا واصح اسنادا و
لهذا قال النووي عقب احاديث ابن عمر وابي هريرة وام الحصين هذه الاحاديث تدل
على ان هذه الواقعة كانت في حجة الوداع قال وهو الصحيح المشهود وقيل كان في الحديبية
وجزم امام الحرمين في النهاية ان ذلك في الحديبية ثم قال النووي ولا يبعد ان
يكون وقع ذلك في الموضعين انتهى وكذا قال ابن دقيق العيد انه الاقرب قال في فتح
البارئ بل هو المتعين لتظافر الروايات بذلك في الموضعين الا ان السبب في الموضعين
مختلف فالذي في الحديبية كان بسبب توقف من توقف من الصحابة عن الاحلال لما
دخل عليهم من الحزن لكونهم منعوا من الوصول الى البيت مع اقتدارهم في انفسهم على
ذلك فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم وصالح قريشا على ان يرجع من العام
المقبل فلما امرهم بالاحلال توقفوا واشارت ام سلمة ان يحل هو صلى الله عليه
وسلم قبلهم ففعل فتبعوه فحلق بعض وقصر بعض فكان من بادر الى الحلق
اسرع الى امتثال الامر ممن اقتصر على التقصير وقد وقع التصريح بهذا السبب في حديث
ابن عباس فان في آخره عند ابن ماجه وغيره انهم قالوا يا رسول الله ما بال المحلقين
ظاهرت لهم بالترحم قال لانهم لم يشكوا واما السبب في تكرير الدعاء للمحلقين في حجة
الوداع فقال ابن الاثير في النهاية كان اكثر من حج معه صلى الله عليه وسلم لم يسق
الهدي فلما امرهم ان يفسخوا الحج الى العمرة ثم يتحللوا منها ويحلقوا رؤسهم شق عليهم
ثم لما لم يكن لهم بد من الطاعة كان التقصير في انفسهم اخف من الحلق ففعله اكثرهم
فرجح النبي صلى الله عليه وسلم فعل من حلق بكونه ابين في امتثال الامر انتهى قال الحافظ
ابن حجر وفيما قاله نظر وان تابعه عليه غير واحد لان المتمتع يستحب في حقه ان
يقصر في العمرة ويحلق في الحج اذا كان ما بين النسكين متقاربا وقد كان ذلك في حقهم
كذلك والاولى ما قاله الخطابي وغيره ان عادة العرب انما كانت تحب توفير الشعور

والتزين

والتزين بها وكان الحلق فيهم قليلا وربما كانوا يرونه من الشهرة ومن زي الاعاجم
فلذلك كرهوا الحلق واقتصروا على التقصير انتهى وفي رواية عبد الله بن عمرو بن العاص
وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى للناس يسئلونه فجاءه
رجل فقال يا رسول الله لم اشعر فحلقت قبل ان انحر قال اذبح ولا حرج ثم جاء
رجل آخر فقال يا رسول الله لم اشعر فنحرت قبل ان ارمي فقال ارم ولا حرج
قال فما سئل عن شيء قدم ولا اخر الا قال افعل ولا حرج رواه مسلم وفي رواية
حلقت قبل ان ارمي وفي رواية وقف صلى الله عليه وسلم على راحلته فطفق
ناس يسئلونه فيقول القائل منهم يا رسول الله اني لم اكن اشعر ان الرمي قبل النحر
فنحرت قبل الرمي فقال صلى الله عليه وسلم فارم ولا حرج قال فما سمعته يسئل
يومئذ عن امر مما ينسى المرء ويجهل من تقديم بعض الامور قبل بعض واشباهها
الا قال صلى الله عليه وسلم افعلوا ذلك ولا حرج وفي رواية انه صلى الله عليه
وسلم بينا هو قائم يخطب يوم النحر فقام اليه رجل فقال ما كنت احسب ان
كذا وكذا قبل كذا وكذا وفي رواية حلقت قبل ان انحر نحرت قبل ان ارمي واشباه ذلك
وفي رواية حلقت قبل ان اذبح ذبحت قبل ان ارمي ومن المعروف ان الترتيب
اولى وذلك ان وظائف يوم النحر بالاتفاق اربعة اشياء رمي جمرة العقبة ثم
نحر الهدي او ذبحه ثم الحلق او التقصير ثم طواف الافاضة ثم السعي بعده و
قد تقدم انه صلى الله عليه وسلم رمى جمرة العقبة ثم نحر ثم حلق وقد اجمع
العلماء على مطلوبية هذا الترتيب واجمعوا ايضا على تقديم بعضها على بعض الا انهم
اختلفوا في وجوب الدم في بعض المواضع ومذهب الشافعي وجمهور السلف
والعلماء وفقهاء الحديث الجواز وعدم وجوب الدم لقوله عليه السلام للسائل
لا حرج فهو ظاهر في دفع الاثم والفدية معا لان اسم الضيق يشملهما وقال الطحاوي
ظاهر الحديث يدل على التوسعة في تقديم بعض هذه الاشياء على بعض الا انه
يحتمل ان يكون قوله لا حرج اي لا اثم في ذلك الفعل وهو كذلك لمن كان ناسيا او
جاهلا واما من تعمد المخالفة فتجب عليه الفدية وتعقب بان وجوب الفدية يحتاج
الى دليل ولو كان واجبا لبينه صلى الله عليه وسلم حينئذ لانه وقت الحاجة فلا يجوز
تأخيره وتمسك الامام احمد بقوله في الحديث لم اشعر وبما في رواية يونس عند مسلم
وصالح عند احمد فما سمعته يومئذ يسئل عن امر مما ينسى المرء او يجهل من تقديم
بعض الامور قبل بعضها الا قال افعل ولا حرج فانه ان كان ناسيا او جاهلا فلا شيء
عليه وان كان عالما فلا وقال ابن دقيق العيد ما قاله احمد قوي من جهة ان الدليل

دل على وجوب اتباع الرسول في الحج لقوله خذوا عني مناسككم وهذه الاحاديث
المرخصة في تقديم ما وقع عنه تاخيره قد قرنت بقول السائل لم اشعر فيختص الحكم
بهذه الحالة وتبقى حالة العمد على اصل وجوب الاتباع في الحج انتهى وعن ابي بكرة
قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر قال ان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث
ثلاث متواليات ذوا القعدة وذوا الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى
وشعبان وقال اي شهر هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير
اسمه قال اليس ذا الحجة قلنا بلى قال اي بلد هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت
حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس البلدة قلنا بلى قال فاي يوم هذا قلنا
الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس يوم النحر قلنا
بلى قال فان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم
هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن اعمالكم الا ترجعوا فلا بعدي
كفارا ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض الا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد
فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ اوعى من سامع رواه الشيخان وفي رواية
للبخاري فودع الناس ووقع في طريق ضعيفة عند البيهقي من حديث ابن عمر سبب ذلك
ولفظه انزلت سورة اذا جاء نصر الله والفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في وسط ايام التشريق وعرف انه الوداع فامر براحلته القصوى فرحلت له فركب
ووقف بالعقبة واجتمع اليه الناس فقال يا ايها الناس فذكر الحديث وفيه دلالة
مشروعية الخطبة يوم النحر بمنى وبه اخذ الشافعي ومن تبعه وخالف في ذلك المالكية
والحنفية قالوا خطب الحج ثلاثة سابع ذي الحجة ويوم عرفة بها وثاني يوم النحر
بمنى ووافقهم الشافعي الا انه قال بدل ثاني النحر ثالثه لانه اول النفر وزاد
خطبة رابعة وهي يوم النحر قال وبالناس حاجة اليها ليعلموا اعمال ذلك اليوم من
الرمي والذبح والحلق والطواف وتعقبه الطحاوي بان الخطبة المذكورة ليست من
متعلقات الحج لانه لم يذكر فيها شيئا من امور الحج وانما ذكر فيها وصايا عامة ولم ينقل
احد انه علمهم فيها شيئا من امور الحج الذي يتعلق بيوم النحر فعلمنا انها لم تقصد لاجل
الحج وقال ابن بطال انما فعل ذلك من اجل تبليغ ما ذكره لكثرة الجمع الذي اجتمع
من اقاصي الدنيا فظن الذي راه انه خطب قال واما ما ذكره الشافعي ان بالناس
حاجة الى تعليمهم اسباب التحلل المذكور فليس بمتعين لان الامام يمكنه ان يعلمهم اياها
يوم عرفة انتهى واجيب بانه صلى الله عليه وسلم نبه في الخطبة المذكورة على تعظيم

يوم عرفة

يوم عرفة وعلى تعظيم ذي الحجة وعلى تعظيم البلد الحرام وقد جزم الصحابة
المذكورون بتسميتها خطبة فلا يلتفت لتاويل غيرهم وما ذكره من امكان تعليم
ما ذكر يوم عرفة يرى عليه في كونه مشروعية الخطبة ثاني يوم النحر وكان يمكن ان
يعلموا ذلك يوم عرفة بل يمكن ان يعلموا يوم التروية جميع ما يؤتى به من اعمال الحج
لكن لما كان في كل يوم اعمال ليست في غيره شرع تجديد التعليم بحسب تجديد الاسباب
واما قول الطحاوي انه لم ينقل انه علمهم شيئا من اسباب التحلل فلا ينفي وقوع ذلك
او شيء منه في نفس الامر بل قد ثبت في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص انه شهد النبي
صلى الله عليه وسلم يخطب يوم النحر وذكر فيه السؤال عن تقديم بعض المناسك
على بعض فكيف ساغ للطحاوي هذا النفي المطلق انتهى وقد روى ابو داود و
النسائي عن عبد الرحمن بن معاذ التيمي قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن بمنى ففتحت اسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا فطفق يعلمهم
مناسكهم حتى بلغ الجمار فوضع اصبعيه السبابتين ثم قال بحصى الخذف ثم امر المهاجرين
فنزلوا في مقدم المسجد وامر الانصار ان ينزلوا وراء المسجد قال ثم نزل الناس بعد
وفي رواية عبد الرحمن بن معاذ عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بمنى ونزلهم منازلهم فقال لينزل
المهاجرون ههنا واشار الى ميمنة القبلة والانصار ههنا واشار الى ميسرة القبلة
ثم قال لينزل الناس حولهم وعن ابن ابي نجيح عن ابيه عن رجلين من بني بكر قالا
راينا رسول الله صلى الله يخطب بين اوسط ايام التشريق ونحن عند راحلته
وهي خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي خطب بمنى رواه ابو داود وعن
رافع بن عمرو المزني قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بمنى
حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء وعلي يعبر عنه والناس بين قائم وقاعد رواه
ابو داود ايضا وعن ربيعة بن عبد الرحمن بن حصين قال حدثتني جدتي سرى
بنت نبهان وكانت ربة بيت في الجاهلية قالت خطبنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم الرؤس فقال اي يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال اليس
اوسط ايام التشريق وفي رواية انه خطب اوسط ايام التشريق رواه ابو داود
ايضا ثم ركب صلى الله عليه وسلم قبل الظهر فافاض الى البيت فطاف طواف
الافاضة وهو طواف الزيارة والركن والصدر وفي البخاري ويذكر عن ابي
حسان عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت ايام
منى ووصله الطبراني من طريق قتادة عنه وقال ابن المديني في العلل روى قتادة

حديثا غريبا لا تحفظ عن احد من اصحاب قتادة الا من حديث هشام فنسخته من
كتاب ابنه معاذ بن هشام ولم اسمعه منه عن ابيه عن قتادة حدثني ابو حسان عن
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت كل ليلة ما اقام بمنى [الحديث]
واتى صلى الله عليه وسلم زمزم وبني المطلب يسقون عليها فقال انزعوا بني عبد [المطلب]
فلولا ان يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم فناولوه دلوا فشرب منه وفي رواية
ابن عباس فشرب وهو قائم وفي رواية فحلف عكرمة ما كان يومئذ الا على بعير لكن
لم يعين فيها حجة الوداع ولا غيرها انما التعيين في رواية جابر عند مسلم واختلف اين
صلى صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ ففي رواية جابر عند مسلم انه عليه السلام صلى بمكة
وكذلك قالت عائشة وفي حديث بن عمر في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم افاض يوم
النحر ثم رجع فصلى الظهر بمنى فرجح ابن حزم في كتاب حجة الوداع له قول عائشة وجابر و[تبعه]
على ذلك جماعة لانهما اثنان وهما اولى من الواحد لان عائشة اخص الناس به ولهما من
القرب والاختصاص ما ليس لغيرها ولان سياق جابر لحجته صلى الله عليه وسلم من اولها
الى آخرها اتم سياق واحفظ للقصة وضبطها حتى ضبط جزئياتها حتى امرا منها
لا يتعلق بالمناسك وهو نزوله صلى الله عليه وسلم في الطريق فبال عند الشعب و
توضأ وضوءا خفيفا فمن ضبط هذا القدر فهو لضبط مكان صلاته الظهر يوم [النحر]
اولى وايضا فان حجة الوداع كانت في آذار وهو تساوي الليل والنهار وقد دفع
من مزدلفة قبل طلوع الشمس الى منى وخطب بها الناس ونحر بدنه وقسمها
وطبخ لها من لحمها واكل منه ورمى الجمرة وحلق رأسه وتطيب ثم افاض فطاف و
شرب من ماء زمزم ووقف عليهم وهم يسقون وهذه اعمال يظهر منها انها لا تنقضي
في مقدار يمكن معها الرجوع الى منى بحيث يدرك الظهر في فصل آذار ورجحت
طائفة اخرى قول ابن عمر لا يحفظ عنه في حجته صلى الله عليه وسلم انه صلى الفرض
بجوف مكة بل انما كان يصلي بمنزله بالمسلمين مدة مقامه فان حديث ابن عمر متفق
عليه وحديث جابر من افراد مسلم فحديث ابن عمر اصح منه فان رواته احفظ
واشهر وبان حديث عائشة قد اضطرب في وقت طوافه فروي عنها انه طاف
نهارا وفي رواية عنها انه اخر الطواف الى الليل وفي رواية عنها انه افاض من
آخر يومه فلم تضبط فيه وقتا لا افاضة ولا مكانا للصلوة وايضا فان حديث ابن
عمر اصح منه بلا نزاع لان حديث عائشة من رواية محمد بن اسحاق عن عبد الرحمن
بن القاسم وابن اسحق مختلف في الاحتجاج به ولم يصرح بالسماع بل عنعنه فلو [بتقدم]
على حديث عبد الله بن عمر انتهى ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى منى فمكث بها

ليالي

ليالي ايام التشريق يرمي الجمرة اذا زالت الشمس كل جمرة بسبع حصيات يكبر مع كل
حصاة ويقف عند الاولى والثانية فيطيل القيام ويتضرع ويرمي الثالثة فلا [يقف]
عندها رواه ابو داود من حديث عائشة وعن ابن عمر عند الترمذي كان صلى
الله عليه وسلم اذا رمى الجمار مشى اليها ذاهبا وراجعا وفي رواية ابي داود و[كان]
يستقبل القبلة في الجمرتين الدنيا والوسطى ويرمي جمرة العقبة من بطن الوادي
الحديث واستأذنه صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب ان يبيت بمكة
ليالي منى من اجل السقاية فاذن له رواه البخاري من حديث ابن عمر وفي رواية
الاسمعيلي رخص للعباس ان يبيت بمكة ليالي منى من اجل سقايته وفيه دليل
على وجوب المبيت بمنى وانه من مناسك الحج لان التعبير بالرخصة يقتضي ان
تقابلها العزيمة وان الاذن وقع للعلة المذكورة واذا لم توجد او ما في معناها
لم يحصل الاذن وبالوجوب قال الجمهور وفي قول الشافعي وهو رواية عن احمد
وهو مذهب الحنفية انه سنة ووجوب الدم بتركه مبني على هذا الخلاف و
لا يحصل المبيت الا بمعظم الليل وهل يختص الاذن بالسقاية وبالعباس [الصحيح العموم]
والعلة في ذلك اعداد الماء للشاربين وجزم الشافعي بالحاق من له مال يخاف
ضياعه او امر يخاف فوته او مريض يتعهده باهل السقاية كما جزم الجمهور بالحاق
الرعاء خاصة وهو قول احمد قالوا ومن ترك المبيت بغير عذر وجب عليه
دم من كل ليلة ثم افاض صلى الله عليه وسلم بعد ظهر يوم الثلثاء بعد ان
اكمل رمي ايام التشريق ولم يتعجل في يومين الى المحصب وهو الابطح وحده ما
بين الجبلين الى المقبرة وهو خيف بني كنانة فوجد ابا رافع قد ضرب قبته هنا[لك]
وكان على ثقله قال ابو رافع لم يأمرني صلى الله عليه وسلم ان انزل الابطح
حين خرج من منى ولكني [جئت] فضربت فيه قبته فجاء فنزل رواه مسلم وفيه
وفي البخاري عن انس انه عليه السلام صلى الظهر والعصر يوم النفر بالابطح
وفيهما من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال من الغد يوم النحر
وهو بمنى نحن نازلون غدا بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعني
بذلك المحصب وذلك ان قريشا وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني عبد [المطلب]
ان لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم النبي صلى الله عليه وسلم
وعن ابن عباس ليس التحصيب بشيء انما هو منزل نزله رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي ليس التحصيب من امر المناسك الذي يلزم فعله لكن لما نزل
صلى الله عليه وسلم به كان النزول به مستحبا اتباعا له لتقريره على ذ[لك]

فصل مبيته عليه السلام ليالي ايام التشريق

وقد فعله الخلفاء بعده كما في حديث مسلم وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم رقد رقدة بالمحصب ثم ركب الى البيت فطاف
به رواه البخاري وهذا هو طواف الوداع ومذهب الشافعي انه واجب يلزم بتركه دم
على الصحيح وهو قول اكثر العلماء وقال مالك وداود هو سنة لا شيء بتركه واختلف في
المرأة اذا حاضت بعد ما طافت طواف الافاضة هل عليها طواف الوداع ام لا وكان
ابن عباس يرخص لها ان تنفر اذا حاضت وكان ابن عمر يقول في اول امره انها لا تنفر ثم
قال في آخر امره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص لهن رواه الشيخان وعن عائشة
ان صفية بنت حيي حاضت فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احابستنا
هي قالوا انها قد افاضت قال فلا اذن ومعنى قوله احابستنا هي اي مانعتنا
من التوجه من مكة في الوقت الذي اردنا التوجه فيه ظنا منه صلى الله عليه وسلم
انها ما طافت طواف الافاضة وانما قال ذلك لانه كان لا يتركها ويتوجه ولا يامرها
بالتوجه معه وهي باقية على احرامها فيحتاج الى ان يقيم حتى تطهر وتطوف وتحل
الحل الثاني وفي رواية فحاضت صفية فاراد النبي صلى الله عليه وسلم منها
ما يريد الرجل من اهله فقلت يا رسول الله انها حائض فقال احابستنا هي
الحديث وهذا مشكل لانه صلى الله عليه وسلم ان كان علم انها طافت طواف
الافاضة فكيف يقول احابستنا هي وان كان ما علم فكيف يريد وقاعها
قبل التحلل الثاني ويجاب عنه بانه صلى الله عليه وسلم ما اراد ذلك منها
الا بعد ان استاذنه نساؤه في طواف الافاضة فاذن لهن فكان بانيا على انها
قد حلت فلما قيل له انها حائض جوز ان يكون وقع لها قبل ذلك حتى منعها من طواف
الافاضة فاستفهم عن ذلك فاعلمته عائشة انها طافت معهن فزال عنه ما خشيه
من ذلك انتهى وقالت عائشة يا رسول الله ينطلقون بحج وعمرة وانطلق بحج
فامر عبد الرحمن بن ابي بكر ان يخرج معها الى التنعيم فاعتمرت بعد الحج رواه
الشيخان وفي رواية لمسلم انها وقفت المواقف كلها حتى اذا طهرت طافت
بالكعبة والصفا والمروة ثم قال لها يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حللت
من حجك وعمرتك جميعا فقالت يا رسول الله اني اجد في نفسي اني لم اطف بالبيت
حتى حججت قال فاذهب بها يا عبد الله فاعمرها من التنعيم وذلك ليلة الحصبة
زاد في رواية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا سهلا اذا هويت
شيئا تابعها عليه وقد كانت عائشة قارنة لانها كانت قد اهلت بالعمرة فحاضت
فامرها فادخلت عليها الحج وصارت قارنة واخبرها ان طوافها بالبيت وبين

الصفا والمروة قد وقع عن حجها وعمرتها فوجدت في نفسها ان يرجع صواحباتها
بحج وعمرة مستقلتين فانهن كن متمتعات ولم يحضن ولم يقرن وترجع هي بعمرة في ضمن
حجتها فامر اخاها ان يعمرها من التنعيم تطييبا لقلبها ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم
راجعا الى المدينة فخرج من كدا بضم الكاف مقصورا وهي عند باب شبيكة بقرب
شعب الشاميين من ناحية قعيقعان واختلف في المعنى الذي لاجله خالف صلى الله
عليه وسلم بين طريقيه فقيل ليتبرك به كل من في طريقه وقيل الحكمة في ذلك المناسبة
لجهة العلو عند الدخول لما فيه من تعظيم المكان وعكسه الاشارة الى فراقه وقيل
لان ابراهيم عليه السلام لما دخل مكة دخل منها وقيل غير ذلك وفي صحيح مسلم وغيره
من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم لقي ركبا بالروحا فقال من القوم فقالوا
المسلمون يا رسول الله فرفعت امرأة صبيا لها من محفة فقالت يا رسول الله الهذا
حج قال نعم ولك اجر ولما وصل صلى الله عليه وسلم لذي الحليفة بات بها قال بعضهم
ان نزوله لم يكن قصدا وانما كان اتفاقا حكاه القاضي اسمعيل في احكامه عن محمد بن
الحسن وتعقبه والصحيح انه كان قصدا لئلا يدخل المدينة ليلا فلما رأى المدينة
كبر ثلاثا وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء
قدير آئبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده و
نصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم دخل المدينة نهارا من طريق المعرس بفتح
الراء المشددة وبالمهملتين وهو مكان معروف وكل من المعرس والشجرة التي
بات بها صلى الله عليه وسلم في ذهابه الى مكة على ستة اميال من المدينة انتهى ملخصا
من فتح الباري وغيره والله اعلم واما عمره صلى الله عليه وسلم العمرة في اللغة الزيارة
ومذهب الشافعي واحمد وغيرهما انها واجبة كالحج والمشهور عن المالكية انها تطوع
وهو قول الحنفية قد اعتمر صلى الله عليه وسلم اربع عمر وفي الصحيحين وسنن
الترمذي وابي داود عن قتادة قال سألت انسا كم حج رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال حج حجة واحدة واعتمر اربع عمر عمرة في ذي القعدة وعمرة الحديبية وعمرة
مع حجته وعمرة الجعرانة اذ قسم غنيمة حنين وهذا لفظ رواية الترمذي وقال حسن
صحيح وفي رواية الصحيحين اعتمر اربع عمر كلها في ذي القعدة الا التي مع حجته عمرة
الحديبية او زمن الحديبية في ذي القعدة وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة
وعمرة من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة وعمرة في حجته وعن محرش
الكعبي انه صلى الله عليه وسلم خرج من الجعرانة ليلا معتمرا فدخل مكة ليلا فقضى
عمرته ثم خرج من ليلته فاصبح بالجعرانة كبائت فلما زالت الشمس من الغد خرج من

بطن سرف حتى جاء مع الطريق طريق جمع بطن سرف فمن اجل ذلك خفيت عمرته على الناس
رواه الترمذى وقال الحديث غريب وعن ابن عمر قال اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم
قبل ان يحج رواه ابو داود وعن عروة ابن الزبير قال كنت انا وابن عمر مستندين
الى حجرة عائشة وانا لنسمع صوتها بالسواك تستن قال فقلت يا ابا عبد الرحمن
اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم فى رجب قال نعم فقلت لعائشة اى امتاه الا
تسمعين ما يقول ابو عبد الرحمن قالت وما يقول قلت يقول اعتمر النبي صلى الله عليه
وسلم فى رجب فقالت يغفر الله لابى عبد الرحمن لعمرى ما اعتمر فى رجب وما اعتمر
من عمرة الا وانه لمعه قال عروة وابن عمر يسمع ما قال لا ولا نعم سكت وفى رواية
ابى داود عن عروة عن عائشة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر
عمرتين فى ذى القعدة وعمرة فى شوال وفى رواية له عن مجاهد قال سئل ابن عمر
كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمرتين فبلغ عائشة فقالت لقد علم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر ثلاثا سوى التى قرنها بحجة الوداع
وقد ذكرت الاختلاف فيما كان عليه السلام محرما به فى حجة الوداع والجمع فيما اختلف فيه
من ذلك والمشهور عن عائشة انه عليه السلام كان مفردا وحديثها هذا يشعر بانه كان قارنا
وكذا ابن عمر قد انكر على انس لكونه قال انه عليه السلام كان قارنا مع ان حديثهم
هذا المتقدم يدل على انه كان قارنا لانه لم ينقل انه عليه السلام اعتمر مع حجته
ولم يكن متمتعا لانه عليه السلام اعتذر عن ذلك بكونه ساق الهدى واحتاج بعضهم
الى تاويل ما وقع عن عائشة وابن عمر هنا فقال انما يجوز نسبة العمرة الرابعة
اليه صلى الله عليه وسلم باعتبار انه امر الناس بها وعملت بحضرته لا انه صلى
الله عليه وسلم اعتمرها بنفسه وانت اذا تاملت ما تقدم من اقوال الائمة
فى حجته صلى الله عليه وسلم من الجمع استغنيت عن هذا التاويل المتعسف
قال بعض العلماء المحققين وفى عدهم عمرة الحديبية التى صد عنها صلى الله
عليه وسلم ما يدل على انها عمرة تامة وفيه اشارة الى حجة قول الجمهور انه
لا يجب القضاء على من صد عن البيت خلافا للحنفية ولو كانت عمرة القضية بدلا
عن عمرة الحديبية لكانتا واحدة وانما سميت عمرة القضية والقضاء لان النبي
صلى الله عليه وسلم قاضا قريشا فيها لا انها وقعت قضاء عن العمرة التى صد
عنها اذ لو كان كذلك لكانت عمرة واحدة واما حديث ابى داود عن عائشة
انه اعتمر فى شوال فان كان محفوظا فلعله يريد عمرة الجعرانة حين خرج فى
شوال ولكن انما احرم بها فى القعدة وانكر ابن القيم ان يكون صلى الله عليه وسلم

اعتمر

اعتمر فى رمضان نعم قد اخرج الدارقطنى من طريق العلاء بن زهير عن عبد الرحمن
بن الاسود بن يزيد عن ابيه عن عائشة قالت خرجت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى عمرة فى رمضان فافطر وصمت وقصر واتممت وقال ان اسناده
حسن لكن يمكن حمله على ان قولها فى رمضان متعلق بقولها خرجت ويكون
المراد سفر فتح مكة فانه كان فى رمضان واعتمر عليه السلام فى تلك السنة
من الجعرانة لكن فى ذى القعدة كما تقدم واما قول ابن القيم فى الهدى ايضا ولم يكن فى
عمره صلى الله عليه وسلم عمرة واحدة خارجا من مكة كما يفعله كثير من الناس اليوم
وانما كانت عمرة كلها داخلا الى مكة وقد اقام بمكة بعد الوحى ثلاثة عشر سنة لم ينقل
عنه احد انه اعتمر خارجا من مكة فى تلك المدة اصلا فالعمرة التى فعلها وشرعها هى
عمرة الداخل الى مكة لا عمرة من كان بها فيخرج الى الحل ليعتمر ولم يفعل هذا على عهده
احد قط الا عائشة وحدها انتهى يقال عليه بعد ان فعلته عائشة بامره فقد دل
على مشروعيته وروى الفاكهى وغيره من طريق محمد بن سيرين قال بلغنا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقت لاهل مكة التنعيم ومن طريق عطاء قال من اراد
العمرة ممن هو من اهل مكة او غيرها فليخرج الى التنعيم او الى الجعرانة فليحرم منها فثبت بذلك
ان ميقات العمرة الحل وان التنعيم وغيره فى ذلك سواء **النوع السابع من عباداته
صلى الله عليه وسلم** فى نبذ من ادعيته وذكره وقراءته اختلف هل الدعاء
افضل ام تركه والاستسلام للقضاء افضل فقال الجمهور الدعاء افضل وهو من
اعظم العبادة ويؤيده ما اخرجه الترمذى من حديث انس رفعه الدعاء مخ
العبادة وقد تواترت الاخبار عنه صلى الله عليه وسلم بالترغيب فى الدعاء
والحث عليه واخرج الترمذى وصححه ابن حبان والحاكم عنه صلى الله عليه وسلم
من لم يسئل الله يغضب عليه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه انى لا احمل هم الاجابة
ولكن هم الدعاء فاذا الهمت الدعاء علمت ان الاجابة معه وفى هذا يقول القائل

لو لم ترد نيل ما ارجوا واطلبه	من جود كفك ما عودتنى الطلبا

فالله سبحانه وتعالى يحب تذلل عبيده بين يديه وسؤالهم اياه وطلبهم حوائجهم منه
وشكواهم منه اليه وعياذهم به منه وفرارهم منه اليه كما قيل

قالوا اتشكوا اليه	ما ليس يخفى عليه	فقلت ربى يرضى	ذل العبيد لديه

وقالت طائفة الافضل ترك الدعاء والاستسلام للقضاء واجابوا عن قوله تعالى وقال
ربكم ادعونى استجب لكم بان اخرها دل على ان المراد بالدعاء هو العبادة قال الشيخ
تقى الدين السبكى الاولى حمل الدعاء فى الاية على ظاهره واما قوله بعد ذلك عن عبادتى

فوجه الربط ان الدعاء اخص من العبادة فمن استكبر عن العبادة استكبر عن الدعاء
وعلى هذا فالوعيد انما هو في حق من ترك الدعاء استكبارا ومن فعل ذلك كفر واما من تركه
لمقصد من المقاصد فلا يتوجه اليه الوعيد المذكور وان كنا نرى ان ملازمة الدعاء
والاستكثار منه ارجح من الترك لكثرة الادلة الواردة فيه وقال القشيري في الرسالة
اختلف اي الامرين اولى الدعاء او السكوت والرضا فقيل الدعاء وهو الذي ينبغي
ترجيحه لكثرة الادلة ولما فيه من اظهار الخضوع والافتقار وقيل السكوت والرضى
اولى لما في التسليم من الفضل انتهى وشبهتهم ان الداعي لا يعرف ما قدر له فدعاؤه ان
كان على وفق المقدر فهو تحصيل الحاصل وان كان على خلافه فهو معاند واجيب بانه
اذا اعتقد انه لا يقع الا ما قدر الله تعالى كان اذعانا لا معاندة وفائدة الدعاء تحصيل
الثواب بامتثال الامر ولاحتمال ان يكون المدعو به موقوفا على الدعاء لان الله تعالى
خلق الاسباب ومسبباتها انتهى وقد ارشد صلى الله عليه وسلم امته لكيفية الدعاء
فقال اذا صلى احدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه وليصل على النبي صلى الله
عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء رواه الترمذي من حديث فضالة بن عبيد
وقال عليه السلام في رجل يدعوا وجب ان ختم بآمين رواه ابو داود وقال
لا يقل احدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ولكن ليعزم على
المسئلة فان الله لا مكره له رواه البخاري وغيره ومعنى الامر بالعزم الجد فيه
وان يجزم بوقوع مطلوبه ولا يعلق ذلك بمشية الله تعالى وان كان مأمورا
في جميع ما يريد فعله ان يعلقه بمشية الله تعالى وقيل معنى العزم ان يحسن بالله تعالى
في الاجابة فانه يدعوا كريما وقد قال ابن عيينة لا يمنعن احدا الدعاء ما يعلم من
نفسه يعني من التقصير فان الله تعالى قد اجاب دعاء شر خلقه وهو ابليس حين قال انظرني
الى يوم يبعثون وقال عليه السلام يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب
لي رواه الشيخان وغيرهما وكان عليه السلام يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما
سوى ذلك رواه ابو داود من حديث عائشة والجوامع التي تجمع الاغراض
الصالحة والمقاصد الصحيحة او تجمع الثناء على الله تعالى وآداب المسئلة وكان
صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة امري واصلح
لي دنياي التي فيها معاشي واصلح لي آخرتي التي فيها معادي واجعل الحيوة زيادة
لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر رواه مسلم من حديث ابي هريرة
وكان يقول اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما الحمد لله
على كل حال واعوذ بالله من حال اهل النار رواه الترمذي من حديث ابي هريرة

وكان

وكان يقول اللهم متعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني وانصرني على
من ظلمني وخذ منه بثاري رواه الترمذي من حديث ابي هريرة ايضا وكان اكثر
دعائه ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار رواه الشيخان
من حديث انس وكان يقول رب اعني ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر علي وامكر لي
ولا تمكر علي واهدني وانصرني على من بغى علي رب اجعلني بك شاكرا لك ذاكرا لك راهبا
مطواعا لك مخبتا لك اواها منيبا رب تقبل توبتي واغسل حوبتي واجب دعوتي
وثبت حجتي وسدد لساني واهد قلبي واسلل سخيمة صدري رواه الترمذي
وكان يقول اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت واليك انبت وبك
خاصمت اللهم اعوذ بعزتك لا اله الا انت ان تضلني انت الحي الذي لا يموت
والجن والانس يموتون رواه الشيخان عن ابن عباس وكان يقول اللهم اني
اسئلك الهدى والتقى والعفاف والغنى رواه مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود
وكان يقول اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم به
مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطاي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي
ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به مني انت المقدم و
انت المؤخر وانت على كل شيء قدير رواه الشيخان من حديث ابي موسى وكان اكثر
دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك رواه الترمذي من حديث ام سلمة
وكان يقول اللهم عافني في جسدي وعافني في سمعي وبصري واجعلهما الوارث
مني لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش الكريم والحمد لله رب
العالمين رواه الترمذي وكان يقول اللهم اغسل خطاياي بماء الثلج والبرد ونق
قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الابيض من الدنس رواه النسائي وكان يقول
اللهم اني اسئلك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا اردت بقوم
فتنة فاقبضني اليك غير مفتون رواه في الموطأ وكان يدعو اللهم فالق الاصباح
وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عني الدين واغنني من الفقر ومتعني
بسمعي وبصري وقوتي وتوفني في سبيلك رواه في الموطأ وكان صلى الله عليه وسلم
يتعوذ فيقول اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل واعوذ
بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المحيا والممات رواه الشيخان من حديث
انس وفي رواية ابي داود اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن وضلع الدين و
غلبة الرجال وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من الجذام والبرص والجنون
ومن سيء الاسقام رواه ابو داود والنسائي من حديث انس وكان يقول اللهم

اللهم انى اعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم اعلم رواه مسلم من حديث عائشة
وكان يقول اللهم انى اعوذ بك من قلب لا يخشع ومن دعاء لا يسمع ومن نفس لا تشبع و
من علم لا ينفع واعوذ بك من هؤلاء الاربع رواه الترمذى والنسائى من حديث عمرو
بن العاص وكان يقول اللهم انى اعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاة
نعمتك وجميع سخطك رواه مسلم وابوداود من حديث عمرو بن العاص ايضا وكان
يقول اللهم انى اعوذ بك من الفقر والقلة والذلة واعوذ بك من ان اظلم او اظلم
رواه ابوداود من حديث ابى هريرة وكان يقول اللهم انى اعوذ بك من الشقاق
والنفاق وسوء الاخلاق رواه ابوداود من حديث ابى هريرة ايضا وكان يقول
اللهم انى اعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع واعوذ بك من الخيانة فانها
بئست البطانة رواه ابوداود والنسائى من حديث ابى هريرة ايضا وكان يقول
اللهم انى اعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الاعداء رواه النسائى
وكان يقول اللهم انى اعوذ بك من الهدم واعوذ بك من التردى ومن الغرق
والحرق والهرم واعوذ بك ان يتخبطنى الشيطان عند الموت واعوذ بك ان
اموت فى سبيلك مدبرا واعوذ بك ان اموت لديغا رواه ابوداود والنسائى
من حديث ابى اليسر وكان يتعوذ من عين الجن والانس فلما نزلت المعوذتان
اخذهما وترك ما سوى ذلك رواه النسائى وكان اذا خاف قوما قال اللهم
انا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم رواه ابوداود وكان يعوذ الحسن
والحسين ويقول ان اباكما كان يعوذ بهما اسمعيل واسحق اعوذ بكلمات الله التامات
من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة رواه البخارى والترمذى وقد استشكل
صدور هذه الادعية ونحوها منه صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ووجوب عصمته واجيب بانه امتثل ما امر
الله به من تسبيحه وسؤاله المغفرة فى قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ويحتمل
ان يكون قاله على سبيل التواضع والاستكانة والخضوع والشكر لربه تعالى
لما علم انه قد غفر له ويحتمل ان يكون سؤاله ذلك لامته وللتشريع والله اعلم
وكان عليه السلام يقول عند الكرب وهو ما يهجم الانسان مما ياخذ بنفسه ويحزنه
وفى نعمة يدعو لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب السموات والارضين
رب العرش العظيم رواه البخارى وفى رواية لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله
الا الله رب العرش الكريم لا اله الا الله رب السموات والارضين
ورب العرش العظيم قال الطيبى صدر هذا الثناء بذكر الرب ليناسب كشف

الكرب لانه مقتضى التربية ومنه التهليل المشتمل على التوحيد وهذا اصل
التنزيهات الجلالية والعظمة التى تدل على تمام القدرة والحلم الذى يدل على العلم
اذ الجاهل لا يتصور منه حلم ولا كرم وهما اصل الاوصاف الاكرامية انتهى
وكان عليه السلام اذا اهمه امر رفع راسه الى السماء وقال سبحان الله العظيم
رواه الترمذى من حديث ابى هريرة فان قلت هذا ذكر ليس فيه دعاء فالجواب
ان التعرض للطلب تارة يكون بذكر اوصاف العبد من فقره وحاجته وتارة
بذكر اوصاف السيد من وحدانيته والثناء عليه وقد قال امية بن الصلت فى مدح عبد الله بن جدعان

اذكر حاجتى ام قد كفانى ... حباؤك ان شيمتك الحباء
اذا اثنى عليك المرء يوما ... كفاه من تعرضك الثناء

قال سفيان الثورى فهذا مخلوق حين نسب الى الكرم اكتفى بالثناء فكيف بالخالق
وكان عليه السلام اذا كربه امر قال يا حى يا قيوم برحمتك استغيث رواه
ابوداود من حديث انس وقال عليه السلام ما كربنى امر الا تمثل لى جبريل
فقال يا محمد قل توكلت على الحى الذى لا يموت والحمد لله الذى لم يتخذ ولدا و
لم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا رواه الطبرانى
عن ابى هريرة وتقدم فى المقصد الثامن مزيد لذلك وكان صلى الله عليه وسلم
يقول فى الضالة اللهم راد الضالة وهادى الضلالة انت تهدى من الضلالة
اردد على ضالتى بعزتك وسلطانك فانها من عطائك وفضلك رواه الطبرانى
فى الصغير من حديث ابن عمر وكان صلى الله عليه وسلم يدعو هكذا بباطن
كفيه وظاهرهما رواه ابوداود عن انس وقال ابوموسى الاشعرى كما عند
البخارى دعا النبى صلى الله عليه وسلم ثم رفع يديه حتى رايت بياض ابطيه
وعنده ايضا من حديث ابن عمر رفع صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم انى
ابرا اليك مما صنع خالد لكن فى حديث انس لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم
يرفع يديه فى شىء من دعائه الا فى الاستسقاء وهو حديث صحيح ويجمع بينه
وبين ما تقدم بان الرفع فى الاستسقاء يخالف غيره اما بالمبالغة الى ان تصير اليدان
فى حذو الوجه مثلا وفى الدعاء الى حذو المنكبين ولا يعكر على ذلك انه ثبت
فى كل منهما حتى يرى بياض ابطيه بل يجمع بان تكون روية البياض فى الاستسقاء
ابلغ منها فى غيره واما ان الكفين فى الاستسقاء يليان الارض وفى الدعاء يليان
السماء قال الحافظ عبد العظيم المنذرى وبتقدير عدم الجمع فجانب الاثبات ارجح
انتهى وروى الامام احمد والحاكم وابوداود انه صلى الله عليه وسلم كان

يرفع يديه اذا دعا حذو منكبيه وفي رواية ابن ماجه وبسطهما وهذا يقتضي ان
يكونا متفرقتين مبسوطتين لا كهيئة الاعتراف قال الحافظ ابن حجر غالب الاحاديث
التي وردت في رفع اليدين في الدعاء انما المراد بها مد اليدين وبسطهما عند الدعاء
وروى ابن عباس كان اذا دعا صلى الله عليه وسلم ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي
وجهه رواه الطبراني في الكبير بسند ضعيف وهل يمسح بهما وجهه اما في
القنوت في الصلاة فالاصح لا لعدم وروده فيه قال البيهقي لا احفظ فيه
عن احد من السلف شيئا وان روي عن بعضهم في الدعاء خارج الصلاة وقد
روي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر ضعيف مستعمل عند بعضهم
خارجها فاما فيها فعمل لم يثبت فيه خبر ولا اثر ولا قياس والاولى ان لا يفعل
وقد دعا صلى الله عليه وسلم لانس فقال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له
فيما اعطيته رواه البخاري وفي الادب المفرد له عن انس قال قالت ام سليم وهي
ام انس خويدمك الا تدعو له اللهم اكثر ماله وولده واطل حياته واغفر
له وفي الصحيح ان انسا كان في الهجرة ابن تسع سنين وكانت وفاته سنة احدى
وتسعين فيما قيل وقيل سنة ثلاث وله مائة وثلاث سنين قال خليفة وهو
المعتمد واكثر ما قيل في سنه انه بلغ مائة سنة وسبع سنين واقل ما قيل فيه بلغ
تسعا وتسعين سنة واما كثرة ولده فروى مسلم قال انس فوالله ان مالي لكثير و
ان ولدي وولد ولدي ليعادون على نحو المائة اليوم وورد فيه رواه الشيخان
ان انسا قال اخبرتني ابنتي امينه اي بضم الهمزة وفتح الميم وسكون المثناة التحتية
بعدها نون انه دفن من صلبي الى مقدم الحجاج البصرة مائة وعشرون وقال ابن
قتيبة في المعارف كان بالبصرة ثلاث ما ماتوا حتى رأى كل واحد منهم من ولده مائة
ذكر لصلبه ابو بكرة وانس وخليفة بدر وزاد غيره رابعا وهو المهلب بن ابي صفرة
واخرج ابن سعد عن انس قال دعا لي النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اكثر
ماله وولده واطل عمره واغفر له فقد دفنت من صلبي مائة واثنين وان
ثمرتي لتحمل في السنة مرتين ولقد بقيت حتى سئمت الحياة وارجو الرابعة و
اخرج الترمذي عن ابي العالية في ذكر انس وكان له بستان يؤتي في كل سنة
الفاكهة مرتين وكان فيه ريحان يفوح منه ريح المسك ورجاله ثقات و
دعا عليه السلام لمالك بن ربيعة السلولي ان يبارك له في ولده فولد له ثمانون
ذكرا رواه ابن عساكر وارسل عليه السلام الى علي يوم خيبر وكان ارمد
فتفل في عينيه وقال اللهم اذهب عنه الحر والبرد فقال ما وجدت حرا و

والتصغير هنا للترحم

اي سنة التي قبل الهجرة

قوله خليفة بدرا اي ابن بدر

لابرد

لا بردا منذ ذلك اليوم ولا رمدت عيناي وبعث صلى الله عليه وسلم عليا الى
اليمن قاضيا فقال يا رسول الله لا علم لي بالقضاء فقال ادن مني فدنا منه فضرب
يده على صدره وقال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه قال علي والله ما شككت في
قضاء بين اثنين رواه ابو داود وغيره وعاد صلى الله عليه وسلم عليا من مرض
فقال اللهم اشفه اللهم عافه ثم قال قم قال علي فما عاد لي ذلك الوجع بعد رواه
رواه الحاكم وصححه البيهقي وابو نعيم ومرض ابو طالب فعاده النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا ابن اخي ادع ربك الذي تعبد ان يعافيني فقال اللهم اشف عمي فقام
ابو طالب كانما نشط من عقال قال يا ابن اخي ان ربك الذي تعبد ليعطيك قال وانت
يا عماه لئن اطعت الله ليعطيك رواه ابن عدي والبيهقي وابو نعيم من حديث انس وتفرد
به الهيثم وهو ضعيف ودعا صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم فقهه
في الدين اللهم اعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل رواه البغوي وابن سعد
وفي رواية البخاري اللهم علمه الكتاب وكان عالما بالكتاب خير الامة بحر العلم رئيس
المفسرين ترجمان القرآن وكونه في الدرجة العليا والمحل الاقصى لا يخفى وقال النابغة الجعدي

ولا خير في حلم اذا لم يكن له … بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له … حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

لا يفضض الله فاك اي لا يسقط الله اسنانك وتقديره لا يسقط الله اسنان فيك
فحذف المضاف قال فاتي عليه اكثر من مائة سنة وكان من احسن الناس ثغرا رواه
البيهقي وقال فيه ولقد رايته ولقد اتى عليه نيف ومائة سنة وما ذهب له سن
وفي رواية ابن ابي اسامة وكان من احسن الناس ثغرا واذا سقطت له سن نبتت
له اخرى وعند ابن السكن فرأيت اسنان النابغة ابيض من البرد لدعوته صلى الله
عليه وسلم وسقاه عليه السلام عمرو بن اخطب ماء في قدح قوارير فرأى فيه شعرة
بيضاء فاخذها فقال اللهم جمله فبلغ ثلاثا وتسعين سنة وما في لحيته ورأسه
شعرة بيضاء رواه الامام احمد من طريق نهيك فذكره قال ابو نهيك فرايته ابن
اربع وتسعين سنة ليس في لحيته شعرة بيضاء وصححه ابن حبان والحاكم واخرج
البيهقي عن انس ان يهوديا اخذ من لحية النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم
جمله فاسودت لحيته بعد ما كانت بيضاء وقال عبد الرزاق انبأنا معمر عن قتادة
قال حلب يهودي للنبي صلى الله عليه وسلم ناقة فقال اللهم جمله فاسود شعره
حتى صار اشد سوادا من كذا وكذا قال معمر وسمعت غير قتادة يذكر انه عاش تسعين
سنة فلم يشب اخرجه ابن ابي شيبة وابو داود في المراسيل وقال مرسل شاهد لما قبله

لما قال

وقال عليه السلام لابن الحمق الخزاعي وقد سقاه عليه السلام اللهم متعه
بشبابه فمرت عليه ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء رواه ابو نعيم وغيره وجاءته
فاطمة وقد علاها الصفرة من الجوع فنظر اليها صلى الله عليه وسلم ووضع يده
على صدرها ثم قال اللهم مشبع الجاعة لا تجع فاطمة بنت محمد قال عمران بن الحصين
فنظرت اليها وقد علاها الدم على الصفرة في وجهها ولقيتها بعد فقالت ما جعت
ذكره يعقوب بن سليمان الاسفرايني في دلائل الاعجاز ودعا عليه السلام لعروة
بن جعد البارقي اللهم بارك له في صفقة يمينه قال فما اشتريت قط شيئا الا ربحت
فيه وقال لجرير وكان لا يثبت على الخيل وضرب في صدره اللهم ثبته واجعله
هاديا مهديا قال فما وقعت عن فرس بعد وقال لسعد بن ابي وقاص اللهم اجب
دعوته فكان مجاب الدعوة رواه البيهقي والطبراني في الاوسط ودعا لعبد الرحمن
بن عوف بالبركة رواه الشيخان عن انس زاد البيهقي من وجه آخر قال عبد الرحمن
فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا او فضة الحديث قال القاضي عياض وقد
فتح الله عليه ومات فحفر الذهب في تركته بالفؤس حتى مجلت فيه الايدي واخذت
كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا وقيل مائة الف وقيل بل صولحت احديهن لانه
طلقها في مرض موته على ثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الناشئة
في حياته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة
بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها
وذكر الطبري مما عزاه للصفوة عن الزهري انه تصدق بشطر ماله اربعة الاف ثم
تصدق باربعين الف دينار ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ثم حمل على الف و
خمسمائة راحلة في سبيل الله وكان عامة ماله من التجارة ودعا على مضر فاقحطوا
حتى اكلوا العلهز وهو الدم بالوبر حتى استعطفته قريش ولما تلا عليه السلام
والنجم اذا هوى قال عتبة بن ابي لهب كفرت برب النجم فقال اللهم سلط عليه كلبا
من كلابك فخرج عتبة مع اصحابه في عير الى الشام حتى اذا كانوا بالشام زأر الاسد
فجعلت فرائصه ترعد فقيل له من اي شيء ترتعد فوالله ما نحن وانت في هذا
الا سواء فقال ان محمدا دعا علي ولا والله ما اظلت هذه السماء من ذي لهجة
اصدق من محمد ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه حتى جاء النوم فاحاطوا
به واحاطوا انفسهم بمتاعهم ووسطوه بينهم وناموا فجاء الاسد يستنشق
رؤسهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فضغمه ضغمة وهو يقول الم اقل لكم ان محمدا
اصدق الناس ومات ذكره يعقوب الاسفرايني وتقدم في ذكر اولاده عليه السلام

هذا وهم قال شيخنا وصوابه عتيبة بالتصغير

قصة

قصة بنحو هذه وعن مازن الطائي وكان بارض عمان قلت يا رسول الله اني امرء
مولع بالطرب وشرب الخمر والنساء والحت علينا السنون فاذهبن الاموال و
اهزلن الذراري والرجال وليس لي ولد فادع الله ان يذهب عني ما اجد
ويأتيني بالحياء ويهب لي ولدا فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ابدله بالطرب
قراءة القران وبالحرام الحلال وآته بالحياء وهب له ولدا قال مازن فاذهب
الله عني كلما كنت اجد فاخصبت عمان وتزوجت اربع حرائر ووهب الله لي حيان
بن مازن رواه البيهقي وقال لبشير بن راعي العير وهو يأكل بشماله كل بيمينك
فقال لا استطيع فقال لا استطعت فما وصلت يده الى فيه بعد ولما نزل عليه السلام
بتبوك صلى الى نخلة فمر رجل بينه وبينها فقال صلى الله عليه وسلم قطع صلاتنا
قطع الله اثره فاقعد لم يقم رواه ابو داود والبيهقي لكن سنده ضعيف واكل
عنده رجل بشماله فقال له كل بيمينك قال لا استطيع قال لا استطعت فما رفعها
الى فيه بعد والرجل بسر بضم الموحدة وسكون المهملة ابن عير بفتح المهملة وسكون
المثناة التحتية وطلب معاوية فقيل له انه يأكل فقال في الثانية لا اشبع الله
بطنه فما شبع بطنه ابدا رواه البيهقي من حديث ابن عباس وكان معاوية رديفه
يوما فقال يا معاوية ما يليني منك قال بطني قال اللهم املأه علما وحلما رواه
البخاري في تاريخه وقال لابن ثروان اللهم اطل شقاه وبقاه فادركه شيخا
كبيرا شقيا يتمنى الموت وكم له صلى الله عليه وسلم من دعوات مستجابات
وقد افرد القاضي عياض بابا في الشفاء ذكر فيه طرفا منها وكذا الامام يوسف
بن يعقوب الاسفرايني في كتابه دلائل الاعجاز فكم اجابه الله الى مسؤله
واجناه من شجرة دعائه ثمرة سؤله واما حديث ابي هريرة عند البخاري ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها واريد
ان اختبئ دعوتي شفاعة لامتي في الاخرة فقد استشكل ظاهره بما ذكرته
وبما وقع لنبينا ولكثير من الانبياء صلى الله عليهم وسلم من الدعوات المجابة فان ظاهره
ان لكل نبي دعوة مجابة فقط واجيب بان المراد بالاجابة في الدعوة المذكورة القطع
بها وما عدا ذلك من دعواتهم فهم على رجاء الاجابة وقيل معنى قوله لكل نبي دعوة
اي افضل دعواته ولهم دعوات اخرى وقيل لكل نبي منهم دعوة عامة مستجابة في
امته اما باهلاكهم واما بنجاتهم واما الدعوات الخاصة فمنها ما يستجاب ومنها
ما لا يستجاب وقيل لكل نبي منهم دعوة تخصه لدنياه او لنفسه كقول نوح رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقول زكريا فهب لي من لدنك وليا يرثني

وقول سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي واما قول الكرماني في شرحه على
البخاري فان قلت هل جاز ان لا يستجاب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم قلت لكل نبي
دعوة مستجابة واجابة الباقي في مشية الله تعالى فقال العيني هذا السؤال لا يعجبني
فان فيه بشاعة وانا لا اشك ان جميع دعوات النبي صلى الله عليه وسلم مستجابة
وقوله لكل نبي دعوة مستجابة لا ينفي ذلك لانه ليس بمحصور انتهى ولم ينقل انه
صلى الله عليه وسلم دعا لشيء فلم يستجب وفي هذا الحديث بيان فضيلة نبينا
صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء حيث آثر امته على نفسه واهل بيته بدعوة
ولم يجعلها دعاء عليهم بالهلاك كما وقع لغيره من الانبياء صلوات الله وسلامه
عليهم وظاهر الحديث يقتضي انه عليه الصلوة والسلام اخر الدعاء والشفاعة الى
يوم القيمة فذلك اليوم يدعو ويشفع ويحتمل ان يكون المؤخر ليوم القيمة ثمرة
تلك الدعوة ومنفعتها واما طلبها فحصل من النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا
حكاه صاحب مزيد الفتح وقد امر الله النبي صلى الله عليه وسلم بالترقي في مراتب
التوحيد بقوله فاعلم انه لا اله الا الله فانه ليس امر التحصيل ذلك العلم فانه علم
بذلك ولا بالثبات فانه معصوم فتعين ان يكون للترقي في مراتبه ومقاماته
اشارة الى ان العلم به تعالى والسير اليه لا نهاية له ابدا فجميع العلوم الحقيقية والمعارف
اليقينية في العالم منتظم في سلك تحقيقها ومستثمر من افنان طوايا ها ولذا
اكتفى بعلمها له صلى الله عليه وسلم في الاية فالشان كله في تصحيح التوحيد وتجريده
وتكميله وقد قال تعالى له عليه السلام واذكر اسم ربك واذكر ربك في نفسك
تضرعا وخيفة لانه لا بد في اول السلوك من الذكر باللسان مدة ثم يزول الاسم
ويبقى المسمى فالدرجة الاولى هي المرادة بقوله واذكر اسم ربك والمرتبة الثانية
هي المرادة بقوله واذكر ربك وفي استيفاء مباحث ذلك طول يخرج عن الغرض
وقد تقدم جملة من اذكاره عليه السلام مفرقة في الوضوء والصلاة والحج
وغير ذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله ويتوب اليه في اليوم
والليلة اكثر من سبعين مرة كما رواه عنه ابو هريرة عند البخاري وظاهره
انه يطلب المغفرة ويعزم على التوبة ويحتمل ان يكون المراد انه صلى الله عليه
وسلم يقول هذا اللفظ بعينه ويرجح الثاني ما اخرجه النسائي بسند جيد
من طريق مجاهد عن ابن عمر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول استغفر
الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه في المجلس قبل ان يقوم
مائة مرة وله من رواية محمد بن سوقة عن نافع عن ابن عمر بلفظ انا كنا لنعد

لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب
الغفور مائة مرة ويحتمل ان يريد بقوله في حديث ابي هريرة اكثر من سبعين مرة المبالغة
ويحتمل ان يريد العدد بعينه ولفظ اكثر مبهم فيمكن ان يفسر بحديث ابن عمر المذكور
وانه يبلغ المائة وقد وقع في طريق اخرى عن ابي هريرة من رواية معمر عن الزهري بلفظ
اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة لكن خالفه اصحاب الزهري في ذلك نعم اخرج النسائي
ايضا من رواية محمد بن عمرو عن ابي سلمة بلفظ اني لاستغفر الله واتوب اليه كل يوم مائة
مرة واخرج النسائي ايضا من طريق عطاء عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
جمع الناس فقال يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب في اليوم مائة مرة واستغفاره عليه السلام
تشريع لامته او من ذنوبهم وقيل غير ذلك وتقدم ما ينتظم في سلك ذلك فان قلت ما كيفية
استغفاره عليه السلام فالجواب انه ورد في حديث شداد بن اوس عند البخاري رفعه سيد
الاستغفار ان تقول اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك
ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت وابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي
فانه لا يغفر الذنوب الا انت من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل ان يمسي فهو
من اهل الجنة ومن قالها من الليل موقنا بها فمات قبل ان يصبح فهو من اهل الجنة فقيل
ان هذه الكيفية هي الافضل وهو صلى الله عليه وسلم لا يترك الافضل واما قراءته عليه السلام
وصفتها فكانت مدا يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم رواه البخاري عن انس
ونعتتها ام سلمة قراءة مفسرة حرفا حرفا رواه ابو داود والنسائي والترمذي
وقالت ايضا كان عليه السلام يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف ثم يقول
الرحمن الرحيم ثم يقف رواه الترمذي وقالت حفصة كان يرتل السورة حتى تكون اطول
من اطول منها رواه مسلم وقال البراء كان يقرأ في العشاء والتين والزيتون فما سمعت
احدا احسن صوتا او قراءة منه صلى الله عليه وسلم رواه الشيخان فقد كانت قراءته
عليه السلام ترتيلا لا هذا ولا عجلة بل قراءة مفسرة حرفا حرفا وكان يقطع قراءته
آية آية وكان يمد عند حروف المد وكان يتغنى بقراءته ويرجع صوته بها احيانا كما
رجع يوم الفتح في قراءة انا فتحنا لك فتحا مبينا وحكى عبد الله بن مغفل ترجيعه
آ آ آ ثلاث مرات ذكره البخاري واذا جمعت هذا الحديث الى قوله زينوا القرآن باصواتكم
وقوله ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقوله ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي حسن الصوت
يتغنى بالقرآن اي ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقرآن ان يتلوه يجهر
يقال منه اذن ياذن اذنا بالتحريك علمت ان هذا الترجيع منه عليه السلام كان
لا اضطرارا لهز الناقة له فان هذا لو كان لاجل هز الناقة لما كان داخلا تحت الاختيار

فلم يكن عبد الله بن مغفل يحكيه ويفعله اختيارا ليتأسّى به وهو يرى هذا من هزّ الراحلة
له حتّى ينقطع صوته ثمّ يقول كان يرجع في قراءته فنسب الترجيع الى فعله ولو كان من هزّ
الراحلة لم يكن فعله فعلا يسمّى ترجيعا وقد استمع عليه السّلام ليلة لقراءة ابي موسى
الاشعري فلمّا اخبره بذلك قال لو كنت اعلم انّك تسمعه لحبّرته لك تحبيرا اي حسّنته
وزيّنته بصوتي تزيينا وهذا الحديث يردّ على من قال انّ قوله زيّنوا القرآن باصواتكم
من باب المقلوب اي زيّنوا اصواتكم بالقرآن فانّ القلب لا وجه له قال ابن الاثير و
يؤيّد ذلك تأييدا لا شبهة فيه حديث ابن عبّاس انّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
قال لكلّ شيء حلية وحلية القرآن حُسْن الصّوت والله اعلم وقد اختلف العلماء
في هذه المسئلة اختلافا كثيرا يطول ذكره وفصْلُ النّزاع في ذلك ان يقال انّ
التّطريب والتّغنّي على وجهين احدهما ما اقتضته الطّبيعة وسمحت به من غير تكلّف
ولا تمرين وتعليم بل اذا خلّي في ذلك وطبعه واسترسلت طبيعته جاءت بذلك التّطريب والتّلحين
فهذا جائز وان اعانته طبيعته على فضل تزيين وتحسين كما قال ابو موسى للنّبيّ
صلّى الله عليه وسلّم لو علمت انّك تسمع لحبّرته لك تحبيرا والحزين ومن هاجه
الطّرب والحبّ والشّوق لا يملك من نفسه دفع التّحزين والتّطريب في القراءة
ولكنّ النّفوس تقبله وتستحليه وتستملحه لموافقة الطّبع وعدم التّكلّف
والتّصنّع فهو مطبوع لا متطبّع وكلف لا متكلّف فهذا هو الّذي كان السّلف يفعلونه
ويسمعونه وهو التّغنّي المحمود وهو الّذي يتأثّر به التّالي والسّامع والوجه الثّاني
ما كان من ذلك صناعة من الصّنايع ليس في الطّباع السّماحة به بل لا يحصل الّا
بتكلّف وتصنّع وتمرّن كما يتعلّم اصوات الغناء بانواع الالحان البسيطة والمركّبة
على ايقاعات مخصوصة واوزان مخترعة لا تحصل الّا بالتّعلّم والتّكلّف فهذه
هي الّتي كرهها السّلف وعابوها وانكروا القراءة بها وبهذا التّفصيل يزول
الاشتباه ويتبيّن الصّواب من غيره وكلّ من له علم باحوال السّلف يعلم
قطعا بانّهم برآءُ من القراءة بالحان الموسيقى المتكلّفة الّتي هي ايقاعات
وحركات موزونة معدودة محدودة وانّهم اتقى لله من ان يقرؤا بها
ويسوّغوها ويُعلم قطعا انّهم كانوا يقرؤن بالتّحزين والتّطريب ويحسّنون
اصواتهم بالقرآن ويقرؤنه تشجّيا تارة وتطريبا اخرى وهذا امر في الطّباع
ولم ينه عنه الشّارع مع شدّة تقاضي الطّباع له بل ارشد اليه وندب
اليه صلّى الله عليه وسلّم واخبر عن استماع الله لمن قرأ به وقال ليس منّا
من لم يتغنّ بالقرآن وليس المراد الاستغناء به عن غيره كما ظنّه بعضهم ولو كان

كذلك لم يكن لذكر حسن الصّوت والجهر به معنى والمعروف في كلام العرب انّ
التّغنّي انّما هو الغنى الّذي هو حسن الصّوت بالتّرجيع قال الشّاعر

تغنّ بالشّعر امّا كنت قائله	انّ الغنا لهذا الشّعر مضمار

وروى ابن ابي شيبة عن عقبة ابن عامر مرفوعا تعلّموا القرآن وغنّوا به
واكتبوه الحديث والله اعلم وقد صحّ انّه صلّى الله عليه وسلّم سمع ابا موسى
الاشعري يقرأ فقال لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود يعني من مزامير
داود نفسه كما ذكره اهل المعاني وفي طريق اخرى كما تقدّم انّ ابا موسى قال
يا رسول الله لو علمتُ انّك تسمع لحبّرتُه لك تحبيرا قال ابن المنير فهذا يدلّ
على انّه كان يستطيع ان يتلو شيئا من المزامير عند المبالغة في التّحبير لانّه قد تلى مثلها
وما بلغ الحدّ فكيف لو بلغ حدّ استطاعته وقد كان داود عليه السّلام اذا اراد
ان يتكلّم على بني اسرائيل يجوّع نفسه سبعة ايّام لا يأكل ولا يشرب ولا يأتي النّساء
ثمّ يأمر سليمان فينادي في الضّواحي والنّواحي والآكام والاودية والجبال انّ
داود يجلس يوم كذا ثمّ يخرج له منبر الى الصّحراء فيجلس عليه وسليمان قائم
على رأسه فيأتي الانس والجنّ والطّير والوحش والهوام والعذارى والمخدّرات
يسمعون الذّكر فيأخذ في الثّناء على الله بما هو اهله فتموت طائفة من المستمعين
ثمّ يأخذ في النّياحة على المذنبين فتموت طائفة اخرى فاذا استحرّ الموت بالخلق
قال له سليمان يا نبيّ الله قد استحرّ الموت بالنّاس وقد مزّقت المستمعين كلّ ممزّق
فيخرّ داود مغشيّا عليه فيحمل على سريره الى بيته وينادي منادي سليمان ايّها
النّاس من كان له مع داود قريب او حميم فليخرج لافتقاده فكانت المرأة
تأتي بالسّرير فتقف على زوجها او ابنها او اخيها فتدخل به المدينة فاذا افاق
داود في اليوم الثّاني قال يا سليمان ما فعل عُبّاد بني اسرائيل فيقول له سليمان
قد مات فلان وفلان وهلمّ جرّا فيضع داود على رأسه وينوح ويقول يا ربّ
داود غضبان انت على داود حتّى انّه لم يمت فيمن مات خوفا منك او شوقا اليك
فلا يزال ذلك دأبه الى المجلس الآخر واقام داود عليه السّلام على ذلك ما شاء
الله تعالى ولا تظنّ بما ذكرته من حال بني اسرائيل انّهم في ذلك اعلى من هذه الامّة
وامّا المزامير فحسبك ما ذكر من حال ابي موسى الاشعري رضي الله عنه وامّا
الموت من الموعظة شوقا او خوفا قلنا فيه طريقان احدهما ان يقال انّ القوّة
الّتي اوتيتها هذه الامّة تقاوم الاحوال الواردة عليها فتماسك الحياة ولا تفني
القوّة الجسمانيّة بل القوّة الرّوحانيّة والتّأييدات الالهيّة فلفرط قوّة هذه الامّة

ان شاء الله تعالى تقارب سلفنا الصالح بين حال سماع الموعظة وحال عدم سماعها
لتوالى الذكر واطوار اليقين وقد قال بعضهم لو كشف الغطا ما ازددت يقينا
فتماسك قوة السلف عند واردات الاحوال هو الذى فرق بينهم وبين من
قبلهم الا ترى ان داود وسليمان عليهما السلام وهما اصحاب المزامير لم يتفق
لهما الموت كما اتفق لمن مات وما ذلك من تقصيرهما فى الخوف والشوق ولكن
من القوة الربانية التى امدهما بها ولا خلاف بان داود عليه السلام و
ان لم يمت من الذكر افضل ممن مات من امته واما نواحه على كونه لم يمت فذلك
من التواضع الذى يزيده شوقا لا من التقصير عن احاد امته بل لارتفاعه
عنهم درجات وزلفى والى هذه القوة الالهية اشار ابو بكر الصديق رضى
الله عنه وقد رأى انسانا يبكى من الموعظة فقال هكذا كنا حتى قست القلوب
عبر عن القوة بالقسوة تواضعا ومرتبته عند الله تعالى محفوظة ومنزلته مرفوعة
والطريق الثانى ان نقول قد روى ما لا يحصى كثرة عن هذه الائمة مثل ما اتفق
فى مجلس داود عليه السلام من موت المستمعين للذكر فى مجلس السماع قديما وحديثا
ولابى اسحق الثعلبى جزء فى قتلى القرآن رويناه وعندى من ذلك جملة ارجو تدوينها
بل قد روى عن كثير من المريدين انهم ماتوا بمجرد النظر الى المشايخ كما حكى ان مريدا
لابى تراب النخشبى كان يتجلى له الحق تعالى فى كل يوم مرات فقال له ابو تراب
لو رايت ابا يزيد لرايت امرا عظيما فلما ارتحل المريد مع شيخه ابى تراب النخشبى
لابى يزيد ووقع بصر المريد عليه وقع ميتا فقال له ابو تراب يا ابا يزيد نظرة
منك قتلته وقد كان يدعى رؤية الحق فقال له ابو يزيد قد كان صاحبك
صادقا وكان الحق يتجلى له على قدر مقامه فلما رأنى تجلى له تعالى على قدرى
فلم يطق فمات واصطلاح اهل الطريق فى التجلى معروف وحاصله رتبة من
المعرفة جلية علية ولم يكونوا يعنون بالتجلى رؤية البصر التى قيل فيها لموسى
عليه السلام على خصوصيته لن ترانى والتى قيل فيها على العموم لا تدركه الابصار
واذا فهمت ان مرادهم الذى اثبتوه غير المعنى الذى حصل منه الناس على اليأس
فى الدنيا ووعد الخواص به فى الاخرى فلا ضير بعد ذلك عليك ولا طريق لسوء
الظن بالقوم اليك والله متولى السرائر انتهى ملخصا واذا علمت هذا فاعلم ان
السماع فى طريق القوم معروف وفى الجواذب الى المحبة معدود موصوف وقد
نقل اباحته ابو طالب فى القوت عن جماعة من الصحابة كعبد الله بن جعفر وابن
الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وكذا عن الجنيد والسرى وذى النون

واحتج له الغزالى فى الاحياء بما يطول ذكره خصوصا فى اوقات السرور المباح
تاكيدا له وتهييجا كعرس وقدوم غائب ووليمة وعقيقة وحفظ قرآن وختم درس
او كتاب وتاليف وفى الصحيحين من حديث عائشة ان ابا بكر دخل عليها وعندها
جاريتان فى ايام منى تدففان وتضربان ورسول الله صلى الله عليه وسلم
متغش بثوبه فانتهرهما ابو بكر فكشف عليه السلام عن وجهه وقال دعهما
يا ابا بكر فانها ايام عيد وفى رواية دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث بضم الموحدة والعين المهملة آخره مثلثة
اسم حصن للاوس وبالمعجمة تصحيف اى ينشدان الاشعار التى قيلت يوم بعاث
وهو حرب كان بين الانصار فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل ابو بكر
فانتهرنى وقال مزمارة الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل
عليه صلى الله عليه وسلم وقال دعهما وتعقب بان فى الحديث الآخر عند البخارى
عن عائشة وليستا بمغنيتين فنفت عنهما من طريق المعنى ما اثبته لهما باللفظ لان
الغنا يطلق على رفع الصوت وعلى الترنم وعلى الحدا ولا يسمى فاعله مغنيا وانما
سمى بذلك من ينشد بتمطيط وتكسير وتهييج وتشويق لما فيه من تعريض بالفواحش
او تصريح قال القرطبى قولها يعنى عائشة ليستا بمغنيتين اى ليستا ممن يعرف الغناء
كما يعرفه المغنيات المعروفات بذلك قال وهذا منها تحرز عن الغناء المعتاد عند المشتهرين
به وهو الذى يحرك الساكن ويبعث الكامن وهذا اذا كان فى شعر فيه وصف محاسن
النساء والخمر وغيرهما من الامور المحرمة لا يختلف فى تحريمه قال واما ما ابتدعه
الصوفية فى ذلك فمن قبيل ما لا يختلف فى تحريمه لكن النفوس الشهوانية غلبت على
كثير ممن ينسب الى الخير حتى ظهرت فى كثير منهم فعلات المجانين والصبيان حتى رقصوا
بحركات متطابقة وتقطيعات متلاحقة وانتهى التواقح بقوم منهم الى ان جعلوها
من باب القرب وصالح الاعمال وان ذلك يثمر سنى الاحوال وهذا على التحقيق
من آثار الزندقة انتهى والحق ان السماع اذا وقع بصوت حسن بشعر متضمن
للصفات العلية والنعوت النبوية المحمدية عاريا عن الالات المحرمة والخطوط
الخسيسة الغبية والشبه الدنية واثار كامن المحبة الشريفة العلية وضبط
السامع نفسه ما امكنه مع العلم بما يجب لله ورسوله بحيث لا يرفع صوته
بالبكاء ولا يظهر التواجد وهو يقدر على ضبط نفسه ما امكنه مع العلم بما يجب
لله ورسوله ويستحيل التلذذ بما يسمعه على ما لا يليق كان من الحسن فى غاية
ولتمام تزكية النفس نهاية نعم تركه والاشتغال بما هو اعلى منه اسلم لخوف

الشبهة وللخروج من الخلاف الا نادرا وقد نقل عن الامام الشافعي ومالك و ابى حنيفة وجماعة من العلماء الفاظ تدل على التحريم ولعل مرادهم ما كان فيه تهييج شيطاني واذا كان النظر في السماع باعتبار تاثيره في القلوب لم يجز ان يحكم فيه مطلقا باباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالاشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب وهو لمن يرتقي بربه ترقية تثير الكامن في النفوس من الازل حين خاطبنا الحق تعالى بقوله الست بربكم فما كان في القلب من رقة و وجد وحقيقة فهو من حلاوة ذلك الخطاب والاعضاء كلها ناطقة بذكره مستطيبة لاسمه فالسماع من اكبر مصائد النفوس واذا اقترن بالحانه المناسبة وكان الشعر متضمنا الذكر المحبوب بالحق برز الكامن وذاعت الاسرار سيما في ارباب البدايات وقد شوهد تاثير السماع حتى في الحيوانات الغير الناطقة من الطيور والبهائم فقد شوهد تدلى الطيور من الاغصان على اولى النغمات الفائقة والالحان الرائقة وهذا الجمل مع بلادة طبعه يتاثر بالحداء تاثيرا يستخف معه الاحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه المسافة الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه فتراه اذا طالت عليه البوادي واعياه الاعياء تحت الحمل اذا سمع منادي الحداء يمد عنقه ويصغي الى الحادي ويسرع في سيره وربما اتلف نفسه في شدة السير وثقل الحمل وهو لا يشعر بذلك لنشاطه وقد حكى مما ذكره في الاحياء عن ابي بكر الدينوري ان عبدا اسود قتل جمالا كثيرة بطيب نغمته اذ حداها وكانت تحمل احمالا ثقيلة فقطعت مسيرة ثلاثة ايام في ليلة واحدة وانه حدا على جمل غيرها بحضرته فهام الجمل وقطع حباله وحصل له ما غيبه عن حسه حتى خر لوجهه فتاثير السماع محسوس ومن لم يحركه فهو فاسد المزاج بعيد العلاج زائد في غلظ الطبع وكثافة على الجمال واذا كانت هذه البهائم ساير بالنغمات فتاثير النفوس النفسانية

نعم لولاك ما ذكر العقيق	ولا جابت له الفلوات نوق
نعم اسعى اليك على جفون	تدانى الحي او بعد الطريق
اذا كانت تحن لك المطايا	فماذا يفعل الصب المشوق

فربة السماع تلطيفا للسر ومن ثم وضع العارف الكبير سيدى علي الوفوري حزبه المشهور على الالحان والاوزان اللطيفة تنشيطا لقلوب المريدين وترويحا لاسرار السالكين فان النفوس كما قدمناه لها حظ من الالحان فاذا قبلت هذه الواردات السنية الفائضة من الموارد النبوية المحمدية بهذه النغمات الفائقة والاوزان الرائقة تشربتها العروق واخذ كل عضو نصيبه من ذلك المدد الوفوي

المحمدي

المحمدي فاثمرت شجرة خطاب الازل بما شقيته من موارد هذه اللطائف عوارف المعارف **تنبيه** زعم بعضهم ان السماع ادعى للوجد من التلاوة واظهر تاثيرا والحجة عن ذلك ان جلال القرآن لا تحتمله القوى البشرية المحدثة ولا يحتمله صفاتها المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه لدهشت وتصدعت وتحيرت والالحان مناسبة للطبايع بنسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق والشعر نسبته بنسبة للحظوظ لا نسبة للحقوق فاذا علقت الالحان والاصوات بما في الابيات من الاشارات واللطائف شاكل بعضها بعضا فكان اقرب الى الحظوظ واخذ على القلوب بمشاكلة المخلوق قاله ابو نصر السراج **المقصد العاشر في اتمام نعمته تعالى عليه** بوفاته ونقلته الى حضرة قدسه لديه صلى الله عليه وسلم وزيارة قبره الشريف ومسجده المنيف وتفضيله في الآخرة بفضائل الاوليات الجامعة لمزايا التكريم وعلى الدرجات وتشريفه بخصائص الزلفى في مشاهد الانبياء والمرسلين وتحميده بالشفاعة والمقام المحمود وانفراده بالسودد في مجمع مجامع الاولين والآخرين وترقيه في جنة عدن ارقى مدارج السعادة وتعاليه في يوم المزيد على معاني الحسنى وزيادة وفيه ثلاث فصول **الفصل الاول** في اتمامه تعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته الى حضرة قدسه لديه صلى الله عليه وسلم **اعلم** وصلني الله واياك بحبل تاييده واوصلنا الى مقام توفيقه وتسديده ان هذا الفصل مضمونه يسكب المدامع من الاجفان ويجلب الفجائع لاثارة الاحزان ويلهب نيران الموجدة على اكباد ذوي الايمان ولما كان الموت مكروها بالطبع لما فيه من الشدة والمشقة العظيمة لم يمت نبي من الانبياء حتى يخير واول ما اعلم النبي صلى الله عليه وسلم من انقضاء عمره باقتراب اجله بنزول سورة اذا جاء نصر الله والفتح فان المراد من هذه السورة انك يا محمد اذا فتح الله عليك البلاد ودخل الناس في دينك الذي دعوتهم اليه افواجا فقد اقترب اجلك فتهيأ للقائنا بالتحميد والاستغفار فانه قد حصل منك مقصود ما امرت به من اداء الرسالة والتبليغ وما عندنا لك خير من الدنيا فاستعد للنقلة الينا وقد قيل ان هذه السورة آخر سورة نزلت يوم النحر وهو صلى الله عليه وسلم بمنى في حجة الوداع وقيل عاش بعدها احدى وثمانين يوما وعند ابن ابي حاتم من حديث ابن عباس عاش بعدها تسع ليال **وعن** مقاتل سبعا وعن بعضهم ثلاثا ولابي يعلى من حديث ابن عمر نزلت هذه السورة في اوسط ايام التشريق في حجة الوداع فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انه الوداع وفي حديث ابن عباس عند الدارمي لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح دعا رسول الله صلى عليه وسلم فاطمة وقال نعيت الي نفسي فبكت قال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي فضحكت الحديث **وروى** الطبراني من طريق عكرمة عن ابن عباس قال

لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح نعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه فاخذ
باشد ما كان قط اجتهادا في امر الاخرة وللطبراني ايضا من حديث جابر لما نزلت هذه
قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل نعيت الى نفسي فقال له جبريل وللاخرة خير لك
من الاولى وروى في حديث ابن رجب في اللطائف انه تعبد حتى صار كالشن البالي وكان
عليه السلام يعرض القرآن كل عام على جبريل مرة فعرضه ذلك العام مرتين وكان
يعتكف العشر الاواخر من رمضان كل عام فاعتكف في ذلك العام عشرين واكثر من
الذكر والاستغفار وقالت ام سلمة كان صلى الله عليه وسلم في آخر امره لا يقوم
ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء الا قال سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه
فقلت له انك تدعو بدعاء لم تكن تدعو به قبل اليوم فقال ان ربي اخبرني اني
سارى علما في امتي واني اذا رايته ان اسبح بحمده واستغفره ثم تلا هذه السورة
واخرج ابن مردويه من طريق مسروق عن عائشة نحوه وروى الشيخان من حديث
عقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى احد بعد ثمان سنين
كالمودع للاحياء والاموات ثم طلع المنبر فقال اني بين ايديكم فرط وانا عليكم
شهيد وان موعدكم الحوض واني لانظر اليه وانا في مقامي هذا فاني قد اعطيت
مفاتيح خزائن الارض واني لست اخشى عليكم ان تشركوا بعدي ولكن اخشى عليكم
الدنيا ان تنافسوا فيها وزاد بعضهم فتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم
وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال
ان عبدا خيره الله بين ان يؤتيه زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده
فبكى ابو بكر وقال يا رسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا قال فعجبنا وقال
الناس انظروا الى هذا الشيخ يخبر رسول الله عن عبد خيره الله بين ان
يؤتيه الله زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عند الله وهو يقول فديناك بآبائنا
قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان ابو بكر اعلمنا به
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امن الناس علي في صحبته وماله
ابو بكر فلو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة
الاسلام لا تبقى في المسجد خوخة الا سدت الا خوخة ابي بكر رضي الله
تعالى عنه رواه البخاري ومسلم ولمسلم من حديث جندب سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول قبل ان يموت بخمس ليال وكان ابا بكر رضي الله عنه فهم الرمز
الذي اشار به النبي صلى الله عليه وسلم من قرينة ذكره ذلك في مرض موته
فاستشعر منه انه اراد نفسه فلذلك بكى وما زال صلى الله عليه وسلم عنه

يعرض

يعرض باقتراب اجله في آخر عمره فانه لما خطب في حجة الوداع قال للناس خذوا
عني مناسككم فلعلي لا القاكم بعد عامي هذا وطفق يودع الناس فقالوا هذه حجة
الوداع فلما رجع صلى الله عليه وسلم من حجة الى المدينة جمع الناس بماء يدعى خما
في طريقه بين مكة والمدينة فخطبهم وقال ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك ان
ياتيني رسول ربي فاجيب ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى باهل بيته قال
الحافظ ابن رجب وكان ابتداء مرضه عليه السلام في اواخر شهر صفر وكانت
مدة مرضه ثلاثة عشر يوما في المشهور وكانت خطبته التي خطب بها المذكورة في حديث
ابي سعيد الذي قدمته في ابتداء مرضه الذي مات فيه فانه خرج كما رواه الدارمي
وهو معصوب الراس بخرقة حتى اهوى الى المنبر فاستوى عليه فقال والذي نفسي
بيده اني لانظر الى الحوض من مقامي هذا ثم قال ان عبدا عرضت عليه الدنيا الى
آخره ثم هبط عنه فما رؤي عليه حتى الساعة فلما عرض صلى الله عليه وسلم على
المنبر باختياره للقاء على البقاء ولم يصرح خفي المعنى على كثير ممن سمع ولم يفهم
المقصود غير صاحبه الخصيص به ثاني اثنين اذ هما في الغار وكان اعلم الامة بمقاصد
الرسول صلى الله عليه وسلم فلما فهم المقصود من هذه الاشارة بكى وقال
بل نفديك باموالنا وانفسنا واولادنا فسكن الرسول صلى الله عليه وسلم
جزعه واخذ في مدحه والثناء عليه على المنبر ليعلم الناس كلهم فضله فلا يقع عليه
اختلاف في خلافته فقال ان امن الناس علي في صحبته وماله ابو بكر رضي الله عنه
ثم قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر
خليلا ولكن اخوة الاسلام لما كان صلى الله عليه وسلم لا يصلح ان يخالل مخلوقا
فان الخليل من جرت محبة خليله منه مجرى الروح ولا يصلح هذا البشر كما قيل

قد تخللت مسلك الروح مني	وبذا سمي الخليل خليلا

اثبت له اخوة الاسلام ثم قال صلى الله عليه وسلم لا يبقى في المسجد خوخة
الا سدت الا خوخة ابي بكر اشارة الى ان ابا بكر هو الامام بعده فان الامام
يحتاج الى سكنى المسجد والاستطراق فيه بخلاف غيره وذلك من مصالح المسلمين
المصلين ثم اكد هذا المعنى بامره صريحا ان يصلي بالناس ابو بكر فروجع في
ذلك وهو يقول مروا ابا بكر ان يصلي بالناس فولاه امامة الصلوة ولذا قال
الصحابة عند بيعة ابي بكر رضي الله عنه رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لديننا افلا نرضاه لدنيانا وكان ابتداء مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بيت ميمونة كما ثبت في رواية معمر عن الزهري وفي سيرة ابي معشر كان في بيت

زينب بنت جحش وفي سيرة سليمان التيمي كان في بيت ريحانة والاول هو
المعتمد وذكر الخطابي انه ابتدأ به يوم الاثنين وقيل يوم السبت وقال الحاكم
ابو احمد يوم الاربعاء واختلف في مدة مرضه فالاكثر انها ثلاثة عشر يوما وقيل اربعة
عشر وقيل اثنا عشر وذكرهما في الروضة وصدر بالثاني وقيل عشرة ايام وبه جزم
سليمان التيمي في مغازيه واخرجه البيهقي باسناد صحيح وفي البخاري قالت عائشة
لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد وجعه استأذن ازواجه
ان يمرض في بيتي فاذن له فخرج وهو بين رجلين تخط رجلاه في الارض بين
العباس عبد المطلب وبين رجل آخر قال عبيد الله فاخبرت عبد الله بالذي
قالت عائشة فقال لي عبد الله بن عباس هل تدري من الرجل الآخر الذي
لم تسم عائشة قال قلت لا قال ابن عباس هو علي بن ابي طالب الحديث وفي
رواية مسلم عن عائشة فخرج بين الفضل بن العباس وبين رجل آخر وفي
اخرى رجلين احدهما اسامة وعند الدارقطني اسامة والفضل وعند ابن
حبان في اخرى بريرة ونوبة بضم النون وسكون الواو ثم موحدة قيل
وهو اسم امة وقيل عبد وعند ابي سعد من وجه آخر الفضل وثوبان
وجمعوا بين هذه الروايات على تقدير ثبوتها بان خروجه تعدد فيتعدد
من اتكأ عليه وعن عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال للنساء
اني لا استطيع ان ادور في بيوتكن فان شئتن اذنتن لي رواه احمد وفي
رواية هشام بن عروة عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اين انا
غدا اين انا غدا يريد يوم عائشة وذكر ابن سعد باسناد صحيح عن الزهري
ان فاطمة هي التي خاطبت امهات المؤمنين بذلك فقالت لهن انه يشق عليه الاختلاف
وفي رواية ابن ابي مليكة عن عائشة ان دخوله عليه السلام بيتها كان يوم الاثنين
وموته يوم الاثنين الذي يليه وفي مرسل ابي جعفر عند ابي شيبة انه صلى الله عليه
وسلم قال اين اكون انا غدا كررها فعرفن ازواجه انما يريد عائشة فقلن يا رسول
الله قد وهبنا ايامنا لاختنا عائشة وفي رواية هشام بن عروة عن ابيه عند
الاسماعيلي كان يقول اين انا حرصا على بيت عائشة فلما كان يومي اذن له نساؤه
ان يمرض في بيتي وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من جنازة
بالبقيع لو انا اجد صداعا في راسي وانا اقول وا راساه قال بل انا وا راساه ثم قال
ما ضرك لو مت قبلي فغسلتك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك فقالت لكأني
بك والله لو فعلت ذلك لقد رجعت الى بيتي فاعرست فيه ببعض نسائك فتبسم

صلى الله عليه وسلم ثم بدأ في وجعه الذي مات فيه رواه احمد والنسائي وفي
البخاري قالت عائشة وا راساه فقال صلى الله عليه وسلم ذاك لو كان وانا
حي فاستغفر لك وادعو لك فقالت عائشة واثكلياه والله اني لاظنك
تحب موتي فلو كان ذلك لظللت آخر يومك معرسا ببعض ازواجك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل انا وا راساه لقد هممت واردت ان ارسل الى ابي بكر وابنه
فاعهد ان يقول القائلون او يتمنى المتمنون ثم قلت يأبى الله ويدفع المؤمنون
او يدفع الله ويأبى المؤمنون وقوله بل انا وا راساه اضراب يعني دعي ذكر ما تجدينه
من وجع راسك واشتغلي بي فان قلت قد اتفقوا على كراهة شكوى العبد ربه
وروى احمد في الزهد عن طاوس انه قال انين المريض شكوى وجزم ابو الطيب
وابن الصباغ وجماعة من الشافعية ان تأوه المريض مكروه قلت تعقبه النووي
فقال هذا ضعيف او باطل فان المكروه ما ثبت فيه نهي مقصود وهذا لم يثبت فيه
ذلك ثم احتج بحديث عائشة هذا ثم قال فلعلهم ارادوا بالكراهة خلاف الاولى
فانه لا شك ان اشتغاله بالذكر اولى انتهى قال في فتح الباري ولعلهم اخذوه بالمعنى
من كون كثرة الشكوى تدل على ضعف اليقين وتشعر بالتسخط للقضاء وتورث شماتة
الاعداء واما اخبار المريض صديقه او طبيبه عن حاله فلا بأس به اتفاقا فليس
ذكر الوجع شكاية فكم من ساكت وهو ساخط وكم من شاك وهو راض فالمعول
في ذلك على عمل القلب اتفاقا لا على نطق اللسان وقد تبين كما نبه عليه في اللطائف
ان اول مرضه عليه السلام كان صداع الراس والظاهر انه كان مع حمى فان الحمى اشتدت
به في مرضه فكان يجلس في مخضب ويصب عليه الماء من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن يتبرد
بذلك وفي البخاري قالت عائشة لما دخل بيتي واشتد وجعه قال اهريقوا علي من
سبع قرب لم تحلل اوكيتهن لعلي اعهد الى الناس فاجلسناه في مخضب لحفصة زوج
النبي صلى الله عليه وسلم ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير
الينا بيده ان قد فعلتن الحديث وقد قيل في الحكمة في هذا العدد ان له خاصية
في دفع ضرر السم وتمسك بعض من انكر نجاسة سؤر الكلب به وزعم ان الامر بالغسل
منه سبعا انما هو لدفع السمية التي في ريقه وكانت عليه صلوات الله وسلامه
عليه قطيفة فكانت الحمى تصيب من يضع يده عليه من فوقها فقيل له في ذلك
فقال انا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الاجر رواه ابن ماجه و
ابن ابي الدنيا والحاكم وقال صحيح الاسناد كلهم من رواية ابي سعيد الخدري وقالت
عائشة ما رأيت احدا كان اشد عليه الوجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويشهد لذلك انه عليه السلام
قال هذا اوان انقطاع ابهري
من ذلك السم

وعن عبد الله قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فقلت
يا رسول الله انك توعك وعكا شديدا قال اجل اني اوعك كما يوعك رجلان منكم
قلت ذلك ان لك لاجرين قال اجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه اذى شوكة فما
فوقها الا كفر الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها رواه البخاري والوعك بفتح الواو
وسكون العين المهملة وقد تفتح الحمى وقيل الم الحمى وقيل رعادها الموعوك وتحريكها
اياه وعن الاصمعي الوعك الحر فان كان محفوظا فلعل الحمى سميت وعكا لحرارتها قال
ابو هريرة ما من وجع يصيبني احب الي من الحمى انها تدخل من كل مفصل من ابن آدم
وان الله يعطي كل مفصل قسطا من الاجر واخرج النسائي وصححه الحاكم من حديث فاطمة
بنت اليمان اخت حذيفة قالت اتيت النبي صلى الله عليه وسلم في نساء نعوده فاذا
سقاء يقطر عليه من شدة الحمى فقال ان من اشد الناس بلاء الانبياء ثم الذين يلونهم ثم
الذين يلونهم وفي حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان بين يديه علبة او ركوة
فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات
الحديث رواه البخاري وروي ايضا عن عروة انه صلى الله عليه وسلم قال ما ازال اجد
الم الطعام الذي اكلت بخيبر فهذا اوان وجدت انقطاع ابهري من ذلك السم وفي رواية
ما زالت اكلة خيبر تعاودني والاكلة بالضم اللقمة التي اكل من الشاة وبعض الرواة
يفتح الالف وهو خطأ لانه عليه السلام لم ياكل منها الا لقمة واحدة قاله ابن الاثير
ومعنى الحديث انه نقض عليه سم الشاة التي اهدتها له اليهودية فكان ذلك يثور
عليه احيانا والابهر عرق مستبطن بالصلب يتصل بالقلب اذا انقطع مات
صاحبه وقد كان ابن مسعود وغيره يرون انه صلى الله عليه وسلم مات شهيدا
من السم وعند البخاري ايضا قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا
اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح بيده فلما اشتكى وجعه الذي مات فيه
طفقت انفث عليه بالمعوذات التي كان ينفث وامسح بيد النبي صلى الله
عليه وسلم وفي رواية مالك وامسح بيده رجاء بركتها ولمسلم فلما مرض
مرضه الذي مات فيه جعلت انفث عليه وامسح بيد نفسه لانها كانت اعظم
بركة من يدي واطلقت على السور الثلاث المعوذات تغليبا وفي البخاري
عن عائشة دخل عبد الرحمن بن ابي بكر على النبي صلى الله عليه وسلم وانا
مسندته الى صدري ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به فابده رسول
الله صلى الله عليه وسلم بصره فاخذت السواك فقضمته ونفضته
وطيبته ثم دفعته الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستن به فما رايته

استن استنانا قط احسن منه الحديث قوله فابده بتشديد الدال المهملة
اي مد نظره اليه وقولها فقضمته بكسر الضاد المعجمة اي لطوله ولازالة المكان
الذي تسوك به عبد الرحمن ثم طيبته اي لينته بالماء وفي رواية ايضا
قالت ان من نعم الله تعالى علي ان الله جمع بين ريقي وريقه عند موته دخل
علي عبد الرحمن وبيده سواك وانا مسندة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرايته ينظر اليه وعرفت انه يحب السواك فقلت آخذه لك فاشار براسه
ان نعم وفي رواية ان عبد الرحمن وفي يده جريدة رطبة فنظر اليه صلى الله عليه
وسلم فظننت ان له بها حاجة فاخذتها فنفضت راسها ونفضتها ودفعتها
اليه فاستن بها كاحسن ما كان مستنا ثم ناولنيها فسقطت يده او
سقطت من يده فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا واول يوم
من الآخرة وفي حديث خرجه العقيلي انه صلى الله عليه وسلم قال لها في مرضه
ائتني بسواك رطب فامضغيه ثم ائتني به امضغه لكي يختلط ريقي بريقك
لكي يهون علي عند الموت قال الحسن لما كرهت الانبياء الموت هون الله عليهم
ذلك بلقاء الله وبكلما احبوا من تحفة او كرامة حتى ان نفس احدهم لتنزع
من بين جنبيه وهو يحب لذلك لما قد مثل له وفي المسند عن عائشة ايضا
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انه ليهون علي لاني رايت بياض كف عائشة
في الجنة وخرجه ابن سعد وغيره مرسلا انه صلى الله عليه وسلم قال لقد
رايتها في الجنة حتى ليهون علي بذلك موتي كاني ارى كفيها يعني عائشة فقد
كان عليه السلام يحب عائشة حبا شديدا حتى لا يكاد يصبر عنها فمثلت له بين
يديه في الجنة ليهون عليه موته فان العيش انما يطيب باجتماع الاحبة وقد
سأله صلى الله عليه وسلم رجل فقال اي الناس احب اليك فقال عائشة فقال
من الرجال فقال ابوها ولهذا قال لها في ابتداء مرضه لما قالت وا راساه وددت
ان ذلك كان وانا حي فاصلي عليك وادفنك فعظم ذلك عليها وظننت انه
يحب فراقها وانما كان عليه السلام يريد تعجيلها بين يديه ليقرب اجتماعهما
ويروى انه كان عنده صلى الله عليه وسلم في مرضه سبعة دنانير فكان يامرهم
بالصدقة بها ثم يغمى عليه فيشتغلون بوجعه فدعا بها فوضعها في كفه فقال
ما ظن محمد بربه لو لقي الله وعنده هذه ثم تصدق بها كلها رواه البيهقي انظر
اذا كان هذا سيد المرسلين وحبيب رب العالمين المغفور له ما تقدم من
ذنبه وما تاخر فكيف حال من لقي الله وعنده دماء المسلمين واموالهم المحرمة

وماظنّه بربّه تعالى وفي البخاري من طريق عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت
دعا النبيّ صلى الله عليه وسلّم فاطمة في شكواه الذي قبض فيها فسارّها بشيء فبكت
ثمّ دعاها فسارّها فضحكت فسألناها عن ذلك فقالت سارّني النبيّ صلى الله عليه
انّه يقبض في وجعه الذي توفّي فيه فبكيت ثمّ سارّني فاخبرني انّي اوّل اهله يتبعه
فضحكتُ وفي رواية مسروق عن عائشة اقبلتْ فاطمة تمشي كانّ مشيتها مشية
النبيّ صلى الله عليه وسلّم فقال مرحبا يا بنتي ثمّ اجلسها عن يمينه او عن شماله ثمّ
سارّها ولابي داود والترمذي والنسائي وابن حبّان والحاكم من طريق عائشة بنت
طلحة عن عائشة قالت ما رأيت احدا اشبه سمتا وهديا ودلّا برسول الله صلى الله
عليه وسلّم في قيامها وقعودها من فاطمة وكانت اذا دخلت على النبيّ صلى الله
عليه وسلّم قام اليها وقبّلها واجلسها في مجلسه وكان اذا دخل عليها فعلت ذلك
فلمّا مرض دخلت عليه فاكبّت عليه فقبّلته واتّفقت الروايتان على انّ الذي سارّها
به اوّلا فبكت هو اعلامه ايّاها بانّه ميّت من مرضه ذلك واختلفا فيما سارّها
فضحكت ففي رواية عروة انّه اخبارها ايّاها بانّها اوّل اهله لحوقا به وفي رواية مسروق
انّه اخباره ايّاها انّها سيّدة نساء اهل الجنّة وجعل كونها اوّل اهله لحوقا
به مضموما الى الاوّل وهو الراجح لانّ حديث مسروق مشتمل على زيادات
ليست في حديث عروة وهو من الثقات الضابطين فممّا زاده مسروق قول
عائشة فقلت ما رايت كاليوم فرحا اقرب من حزن فسألتها عن ذلك فقالت
اسرّ اليّ انّ جبريل كان يعارضني القرآن كلّ سنة مرّة وانّه عارضني العام
مرّتين ولا اراه الّا حضر اجلي وانّك اوّل اهل بيتي لحاقا بي وفي رواية عائشة
بنت طلحة من الزيادة انّ عائشة لمّا رأت بكاها وضحكها قالت انّي كنت
لاظنّ انّ هذه المرأة من اعقل النسآء فاذا هي من النسآء ويحتمل تعدّد القصّة
وفي رواية عن عروة الجزم انّه ميّت من وجعه ذلك بخلاف رواية مسروق
ففيها انّه ظنّ ذلك بطريق الاستنباط ممّا ذكره من معارضة القرآن وقد يقال
لا منافاة بين الخبرين الّا بالزيادة ولا يمتنع ان يكون اخباره بكونها اوّل
اهله لحوقا به سببا لبكائها ولضحكها معا باعتبارين لذكر كلّ من الروايتين
ما لم يذكره الآخر وقد روى النسائي من طريق ابي سلمة عن عائشة في سبب
البكآء انّه ميّت وفي سبب الضحك الامرين الآخرين ولابن سعد من رواية
ابي سلمة عنها انّ سبب البكآء موته وسبب الضحك لحاقها به وعند الطبراني
من وجه آخر عن عائشة انّه قال لفاطمة انّ جبريل اخبرني انّه ليس امرأة

من نسآء

من نسآء المؤمنين اعظم رزيّة منك فلا تكوني ادنى امرأة منهنّ صبرا وفي
الحديث اخباره صلى الله عليه وسلّم بما سيقع فوقع كما قال صلى الله عليه وسلّم
فانّهم اتّفقوا على انّ فاطمة رضي الله عنها اوّل من مات من اهل بيت النبيّ صلى
الله عليه وسلّم بعده حتّى من ازواجه عليه السلام وقد كان صلى الله عليه
وسلّم من شدّة وجعه يغمى عليه في مرضه ثمّ يفيق واغمي عليه مرّة فظنّوا انّ
وجعه ذات الجنب فلدّوه فجعل يشير اليهم ان لا يلدّوه فقالوا كراهية المريض
للدوآء فلمّا افاق قال الم انهكم ان تلدّوني قالوا كراهية المريض للدوآء فقال
لا يبقى احد في البيت الّا لدّ وانا انظر الّا العبّاس فانّه لم يشهدكم رواه البخاري
واللدود هو ما يجعل في جانب الفم من الدوآء فامّا ما يصبّ في الحلق فيقال
له الوجور وفي الطبراني من حديث العبّاس انّهم اذابوا قسطا بزيت ولدّوه به
وفي قوله لا يبقى احد في البيت الّا لدّ الى آخره مشروعيّة القصاص فيما يصاب
الانسان وفيه نظر لانّ الجميع لم يتعاطوا ذلك وانّما فعل بهم ذلك عقوبة
لهم لتركهم امتثال نهيه عمّا نهاهم عنه قال ابن العربي اراد ان لا يأتوا يوم القيمة
وعليهم حقّه فيقعوا في خطيئة عظيمة وتعقّب بانّه كان يمكن ان يقع العفو
ولانّه كان لا ينتقم لنفسه والذي يظهر انّه اراد بذلك تأديبهم لئلّا يعودوا
فكان ذلك تأديبا لا قصاصا ولا انتقاما قيل وانّما كره اللدود مع انّه كان
يتداوى لانّه تحقّق انّه يموت في مرضه ومن تحقّق ذلك كره له التداوي قال
الحافظ ابن حجر رحمه الله وفيه نظر والذي يظهر انّ ذلك قبل التخيير والتحقّق
وانّما انكر التداوي لانّه كان غير ملايم لدائه لانّهم ظنّوا انّ به ذات الجنب
فداووه بما يلايمها ولم يكن فيه ذلك كما هو ظاهر في سياق الخبر وعند ابن سعد
قال كانت تأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلّم الخاصرة فاشتدّت به فاغمي عليه فلددناه
فلمّا افاق قال كنتم ترون انّ الله يسلّط على ذات الجنب ما كان الله ليجعل لها عليّ سلطانا
والله لا يبقى احد في البيت الّا لدّ فما بقي احد في البيت الّا لدّ ولددنا ميمونة وهي صائمة
وروى ابو يعلى بسند ضعيف فيه ابن لهيعة من وجه آخر عن عائشة انّه صلى الله
عليه وسلّم مات من ذات الجنب وجمع بينهما بانّ ذات الجنب تطلق بازآء مرضين احدهما
ورم حارّ يعرض في الغشآء المستبطن والآخر ريح محتقن بين الاضلاع فالاوّل
هو المنفيّ هنا وقد وقع في رواية الحاكم في المستدرك ذات الجنب من الشيطان والثاني
هو الذي اثبت هنا وليس فيه محذور كالاوّل وفي حديث ابن عبّاس عند البخاري لمّا
حضر رسول الله صلى الله عليه وسلّم وفي البيت رجال فقال النبيّ صلى الله عليه وسلّم هلمّوا

اكتب اليكم كتابا لا تضلوا بعده فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه
الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول
قربوا يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك فلما اكثروا اللغو و
الاختلاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا قال عبيد الله فكان ابن
عباس يقول ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين
ان يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولفظهم قال المازري انما جاز للصحابة
الاختلاف فى هذا الكتاب مع صريح امره لهم بذلك لان الاوامر قد يقارنها
ما ينقلها من الوجوب فكانه ظهر منه قرينة دلت على ان الامر ليس على التحتم بل
على الاختيار فاختلف اجتهادهم وصمم عمر على الامتناع لما قام عنده من القرائن
فانه صلى الله عليه وسلم قال ذلك عن غير قصد جازم وقال النووى اتفق
العلماء على ان قول عمر حسبنا كتاب الله من قوة فقهه ودقيق نظره لانه خشى ان
يكتب امورا ربما عجزوا عنها فيستحقوا العقوبة لكونها منصوصة واراد ان
لا يسند باب الاجتهاد على العلماء وفى تركه صلى الله عليه وسلم الانكار على
عمر اشارة الى تصويبه واشار بقوله حسبنا كتاب الله الى قوله تعالى ما فرطنا فى
الكتاب من شئ ولا يعارض ذلك قول ابن عباس ان الرزية الى آخره لان عمر كان
افقه منه قطعا ولا يقال ان ابن عباس لم يكتف بالقرآن مع انه حبر القرآن
واعلم الناس بتفسيره وتأويله ولكنه اسف على ما فاته من البيان بالتنصيص
عليه بكونه اولى من الاستنباط والله اعلم ولما اشتد صلى الله عليه وسلم وجعه قال
مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت له عائشة ان ابا بكر رجل رقيق اذا قام
مقامك لا يسمع الناس من البكاء قال مروا ابا بكر فليصل بالناس فعاودته
مثل مقالتها فقال انكن صواحبات يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس رواه
الشيخان وابو حاتم واللفظ له وفى رواية ان ابا بكر رجل اسيف وفى حديث
عروة عن عائشة عن رواية البخارى فمر عمر فليصل بالناس قالت قلت لحفصة
قولى له ان ابا بكر اذا قام فى مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل بالناس
ففعلت حفصة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكن لانتن صواحب يوسف
مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت حفصة لعائشة ما كنت لاصيب منك خيرا
والاسيف بوزن فعيل وهو بمعنى فاعل من الاسف وهو شدة الحزن والمراد به
رقيق القلب ولابن حبان من رواية عاصم عن شقيق عن مسروق عن عائشة
فى هذا الحديث قال عاصم والاسيف الرقيق الرحيم وصواحب جمع صاحبة

والمراد

والمراد انهن مثل صواحب يوسف فى اظهار خلاف ما فى الباطن ثم ان هذا
الخطاب وان كان بلفظ الجمع فالمراد به واحدة وهى عائشة ووجه المشابهة
بينهما فى ذلك ان زليخا استدعت النسوة واظهرت لهن الاكرام بالضيافة و
مرادها زيادة على ذلك وهو ان ينظرن الى حسن يوسف ويعذرنها فى محبته و
ان عائشة اظهرت ان سبب ارادتها صرف الامامة عن ابيها لكونه لا يسمع المأمومين
لبكائه ومرادها زيادة على ذلك وهو ان لا يتشأم الناس به وقد صرحت هى بذلك
كما عند البخارى فى باب وفاته عليه السلام فقالت لقد راجعته وما حملنى على
كثرة مراجعته الا انه لم يقع فى قلبى ان يحب الناس بعده رجلا قام مقامه ابدا والا
كنت ارى انه لن يقوم احد مقامه الا تشأم الناس به ونقل الدمياطى ان الصديق
صلى بالناس سبع عشرة صلاة وقد ذكر الفاكهانى فى الفجر المنير مما عزاه لسيف
الدين بن عمر فى كتاب الفتوح ان الانصار لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزداد وجعا اطافوا بالمسجد فدخل العباس فاعلمه عليه السلام بمكانهم و
اشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فاعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه على بن ابى طالب
كذلك فخرج صلى الله عليه وسلم متوكئا على على والفضل والعباس امامه والنبى
عليه السلام معصوب الرأس يخط برجليه الارض حتى جلس على اسفل مرقاة
من المنبر وثار الناس اليه فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس بلغنى انكم
تخافون من موت نبيكم هل خلد نبى قبلى فيمن بعث اليه فاخلد فيكم الا انى
لاحق بربى وانكم لاحقون به فاوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا واوصى المهاجرين
فيما بينهم فان الله تعالى يقول والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين الى آخرها
وان الامور تجرى باذن الله ولا يحملنكم استبطاء امر على استعجاله فان الله
عز وجل لا يعجل بعجلة احد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل
عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم واوصيكم
بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم
الم يشاطروكم فى الثمار الم يوسعوا لكم فى الديار الم يؤثروكم على انفسهم
وبهم الخصاصة الا فمن ولى ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز
عن مسيئهم الا ولا تستأثروا عليهم الا وانى فرط لكم وانتم لاحقون بى الا
وان موعدكم الحوض الا فمن احب ان يرده على غدا فليكفف يده ولسانه الا فيما
ينبغى يا ايها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس برهم
ائمتهم واذا فجر الناس عقوهم وفى حديث انس عند البخارى قال ان ابا بكر

والعباس بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون فقال ما يبكيكم فقالوا ذكرنا
مجلس النبي صلى الله عليه وسلم منا فدخل احدهما على النبي صلى الله عليه
وسلم فاخبره بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصب راسه
حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله واثنى عليه ثم
قال اوصيكم بالانصار فانهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي
لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وقوله كرشي وعيبتي اي موضع
سري ارادانهم بطانته وموضع سره وامانته والذين يعتمد عليهم في اموره
واستعار الكرش والعيبة لذلك لان المجتر يجمع علفه في كرشه والرجل يجمع
ثيابه في عيبته وقيل اراد بالكرش الجماعة اي جماعتي وصحابتي يقال عليه كرش
من الناس اي جماعة قاله في النهاية وذكر الواحدي بسنده وصله بعبد الله
بن مسعود قال نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا نفسه قبل موته بشهر فلما
دنى الفراق جمعنا في بيت عائشة فقال حياكم الله بالسلام رحمكم الله جبركم
الله رزقكم الله نصركم الله رفعكم الله اواكم الله اوصيكم بتقوى الله و
استخلف الله عليكم واحذركم الله اني لكم منه نذير مبين ان لا تعلوا على الله
في بلاده وعباده فانه قال لي ولكم تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا
في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال اليس في جهنم مثوى للمتكبرين قلنا
يا رسول الله متى اجلك قال دنى الفراق والمنقلب الى الله والى جنة المأوى قلنا
يا رسول الله من يغسلك قال رجال اهل بيتي الادنى فالادنى قلنا يا رسول الله
فبم نكفنك قال في ثيابي هذه وان شئتم في ثياب مصر او حلة يمنية قلنا
يا رسول الله من يصلي عليك قال اذا انتم غسلتموني وكفنتموني فضعوني على
سريري هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان اول من يصلي علي جبريل
ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت ومعه جنود من الملائكة ثم ادخلوا
علي افواجا فصلوا علي فوجا وسلموا تسليما وليبدأ بالصلوة علي رجال اهل
بيتي ثم نساؤهم ثم انتم واقرؤا السلام على من غاب من اصحابي ومن تبعني
على ديني من يومي هذا الى يوم القيامة قلنا يا رسول الله من يدخلك قبرك
قال اهلي مع ملائكة ربي وكذا رواه الطبراني في الدعاء وهو واه جدا و
قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول انه لم يقبض
نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيى او يخير فلما اشتكى وحضره القبض
وراسه على فخذي غشي عليه فلما افاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال

اللهم

اللهم في الرفيق الاعلى فقلت اذا لا يختارنا فعرفت انه حديثه الذي كان يحدثنا
وهو صحيح وفي رواية انها اصغت اليه قبل ان يموت وهو مستند الى ظهرها يقول
اللهم اغفر لي وارحمني والحقني بالرفيق الاعلى على رواية البخاري من طريق الزهري
عن عروة وما فهمته عائشة من قوله عليه السلام اللهم الرفيق الاعلى انه
خير نظير فهم ابيها رضي الله عنه من قوله عليه السلام ان عبدا خيره الله ما بين
الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده ان العبد المراد هو النبي صلى الله عليه
وسلم حتى بكى كما قدمته ذكره الحافظ ابن حجر وعند احمد من طريق المطلب بن
عبد المطلب بن عبد الله عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول
ما من نبي يقبض الا يرى الثواب ثم يخير ولاحمد ايضا من حديث موهبة
قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتيت مفاتيح خزائن الارض
والخلد ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة فاخترت لقاء ربي و
الجنة وعند عبد الرزاق من مرسل طاوس رفعه خيرت بين ان ابقى
حتى ارى ما يفتح على امتي وبين التعجيل فاخترت التعجيل وفي رواية
ابي بردة بن ابي موسى عن ابيه عند النسائي وصححه ابن حبان فقال اسأل
الله الرفيق الاعلى الاسعد مع جبريل وميكائيل واسرافيل وظاهره ان
الرفيق الاعلى المكان الذي تحصل المرافقة فيه مع المذكورين وقال ابن
الاثير في النهاية جماعة الانبياء الذين يسكنون اعلى عليين وقيل المراد به
الله تعالى يقال الله رفيق بعباده من الرفق والرأفة انتهى وقيل المراد به
حضرة القدس وقال السهيلي الحكمة في اختتام كلامه صلى الله عليه وسلم
بهذه الكلمة كونها تتضمن التوحيد والذكر بالقلب حتى يستفاد منها الرخصة
لغيره انه لا يشترط ان يكون الذكر باللسان لان بعض الناس قد يمنعه من النطق
مانع فلا يضره اذا كان قلبه عامرا بالذكر انتهى ملخصا قال الحافظ ابن رجب
وقد روي ما يدل على انه قبض ثم راى مقعده من الجنة ثم ردت اليه نفسه
ثم خير في المسند قالت يعني عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول
ما من نبي الا تقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم ترد اليه فيخير بين ان ترد اليه
الى ان يلحق فكنت قد حفظت ذلك فاني لمسندته الى صدري فنظرت اليه حتى
مالت عنقه فقلت قضى قالت فعرفت الذي قال فنظرت اليه حين ارتفع
ونظر فقلت اذا والله لا يختارنا فقال مع الرفيق الاعلى في الجنة مع الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن

اولئك رفيقا وفى البخارى من حديث عروة عن عائشة قالت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو صحيح يقول انه لم يقبض نبى قط حتى يرى مقعده من الجنة
ثم يحيى ويخير فلما اشتكى وحضره القبض وراسه على فخذ عائشة غشى عليه
فلما افاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال فى الرفيق الاعلى ونبه السهيلى
على ان النكتة فى الاتيان بهذه الكلمة بالافراد الاشارة الى اهل الجنة يدخلونها
على قلب رجل واحد وفى صحيح ابن حبان عنها قالت اغمى على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وراسه فى حجرى فجعلت امسحه وادعو له بالشفاء فلما افاق قال
اسال الله الرفيق الاعلى مع جبريل وميكائيل واسرافيل ولما احتضر صلى الله
عليه وسلم واشتد به الامر قالت عائشة ما رأيت الوجع على احد اشد منه
على النبى صلى الله عليه وسلم قالت وكانت عنده قدح من ماء فيدخل يده فى
القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول اللهم اعنى على سكرات الموت وفى
رواية فجعل يقول لا اله الا الله ان للموت سكرات قال بعض العلماء فيه ان
ذلك من شدة الالام والاوجاع لرفعة منزلته وقال الشيخ ابو محمد المرجانى
تلك السكرات سكرات الطرب الا ترى الى قول بلال حين قال له اهله وهو فى
السياق واكرباه ففتح عينيه وقال واطرباه غدا القى الاحبه محمدا وصحبه
فاذا كان هذا طربه فى هذا الحال بلقاء محبوبه وهو النبى صلى الله عليه وسلم
وحزبه فما بالك بلقاء النبى صلى الله عليه وسلم لربه تعالى فلا تعلم نفس ما
اخفى لهم من قرة اعين وهذا الموضع تقصر العبارة عن بعض وصفه
وفى حديث مرسل ذكره الحافظ ابن رجب انه عليه السلام قال اللهم انك تاخذ
الروح من بين العصب والقصب والانامل فاعنى عليه وهونه على وعند
الامام احمد والترمذى من طريق القسم عنها قالت ورأيته وعنده قدح
فيه ماء وهو يموت فيدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول اللهم
اعنى على سكرات الموت ولما تغشاه الكرب قالت فاطمة رضى الله عنها واكرب
ابتاه فقال لها لا كرب على ابيك بعد اليوم رواه البخارى قال الخطابى زعم من
لا يعد من اهل العلم ان المراد بقوله عليه الصلوة والسلام لا كرب على ابيك
بعد اليوم ان كربه كان شفقة على امته لما علم من وقوع الاختلاف والفتن
بعده وهذا ليس بشىء لانه كان يلزم ان تنقطع شفقته على امته بموته والواقع
انها باقية الى يوم القيامة لانه مبعوث الى من جاء بعده واعمالهم تعرض عليه
وانما الكلام على ظاهره وان المراد بالكرب ما كان يجده عليه السلام من شدة

الموت

الموت وكان عليه السلام فيما يصيب جسده من الالام ليتضاعف له
الاجر انتهى وروى ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة انه حضر
من ابيك ما الله تعالى تارك منه احدا الموافات ليوم القيامة وفى البخارى من حديث
انس بن مالك ان المسلمين بينما هم فى صلوة الفجر من يوم الاثنين وابو بكر يصلى
لهم لم يفجاهم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف ستر حجرة عائشة فنظر
اليهم وهم فى صفوف الصلوة ثم تبسم يضحك فنكص ابو بكر على عقبه ليصل
الصف وظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يخرج الى الصلوة
قال انس وهم المسلمون ان يفتتنوا فى صلاتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه
وسلم فاشار اليهم بيده صلى الله عليه وسلم ان اتموا صلاتكم ثم دخل
الحجرة وارخى الستر وفى رواية ابى اليمان عن شعيب عند البخارى فى الصلوة
فتوفى من يومه وفى رواية ابى معمر عنده ايضا وكلها فى حديث انس لم يخرج الينا
صلى الله عليه وسلم ثلاثا فاقيمت الصلوة فذهب ابو بكر يتقدم فقال نبى الله
صلى الله عليه وسلم بالحجاب فرفعه فلما وضح لنا وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فما نظرنا منظرا قط كان اعجب الينا من وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين وضح لنا قال فاومى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى ابى بكر ان يتقدم وارخى الحجاب الحديث رواه الشيخان وعنه
ان ابا بكر كان يصلى بهم فى وجع النبى صلى الله عليه وسلم الذى توفى
فيه حتى اذا كان يوم الاثنين وهم صفوف فى الصلوة كشف رسول
الله صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة فنظر الينا وهو قائم كان وجهه
ورقة مصحف ثم تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا الحديث
رواه مسلم وقد جزم موسى بن عقبة عن ابن شهاب بانه صلى الله عليه
وسلم مات حين زاغت الشمس وكذا لابى الاسود عن عروة وعن جعفر
بن محمد عن ابيه قال لما بقى من اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث
نزل عليه جبريل فقال يا محمد ان الله قد ارسلنى اليك اكراما لك وتفضيلا
لك وخاصة لك يسالك عما هو اعلم به منك يقول كيف تجدك قال اجدنى يا جبريل
مغموما واجدنى يا جبريل مكروبا ثم اتاه فى اليوم الثانى فقال له مثل
ذلك ثم استاذن فيه ملك الموت فقال جبريل يا محمد هذا ملك الموت
يستاذن عليك ولم يستاذن على آدمى قبلك ولا يستاذن على آدمى بعدك
قال ائذن له فدخل ملك الموت فوقف بين يديه فقال يا رسول الله ان الله

عز وجل ارسلني اليك وامرني ان اطيعك في كل ما تامرني ان امرتني ان اقبض
فقبضتها وان امرتني ان اتركها تركتها فقال جبريل يا محمد ان الله قد اشتاق
الى لقائك قال صلى الله عليه وسلم فامض يا ملك الموت لما امرت به فقال
جبريل يا رسول الله هذا اخر موطئ من الارض انما كنت حاجتي من الدنيا
فقبض روحه فلما توفي صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية سمعوا صوتا
من ناحية البيت السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس
ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة ان في الله عزاء من كل
مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا
فانما المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال
علي اتدرون من هذا هو الخضر عليه السلام رواه البيهقي في دلائل النبوة
وفي تخريج احاديث الاحياء للحافظ العراقي وذكر التعزية المذكورة عن ابن
عمر مما ذكر في الاحياء وان النووي انكر وجود الحديث المذكور في كتب الحديث
وقال انما ذكره الاصحاب ثم قال العراقي قد رواه الحاكم في المستدرك من
حديث انس ولم يصححه ولا يصح رواه ابن ابي الدنيا عن انس ايضا قال لما قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع اصحابه حوله يبكون فدخل عليهم
رجل طويل شعر المنكبين في ازار ورداء يتخطى اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى اخذ بعضادتي باب البيت فبكى على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم اقبل على اصحابه فقال ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا
من كل فائت الحديث وفيه ثم ذهب الرجل فقال ابو بكر علي بالرجل فنظروا يمينا
وشمالا فلم يروا احدا فقال ابو بكر لعل هذا الخضر جاء يعزينا رواه ابن ابي
الدنيا ايضا من حديث علي بن ابي طالب وفيه محمد بن جعفر الصادق تكلم فيه
وفيه انقطاع بين علي بن الحسين وبين جده علي والمعروف عن علي بن الحسين
مرسلا من غير ذكر علي كما رواه الشافعي في الام وليس فيه ذكر الخضر عليه السلام
قال البيهقي قوله ان الله اشتاق الى لقائك معناه قد اراد لقاءك بان يردك
من دنياك الى معادك زيادة في قربك وكرامتك انتهى واخرج الطبراني
من حديث ابن عباس قال جاء ملك الموت الى النبي صلى الله عليه وسلم في
مرضه وراسه في حجر علي فاستاذن فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
فقال له علي ارجع فانا مشاغيل عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا ملك الموت ادخل راشدا فلما دخل قال ان ربك يقرؤك السلام فلم

تعزية الخضر عليه السلام

ان ملك

ان ملك الموت لم يسلم على اهل بيت قبله ولا يسلم على احد بعده وقالت عائشة
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي في يومي وبين سحري ونحري و
في رواية بين حاقنتي وذاقنتي رواه البخاري والحاقنة بالحاء المهملة والقاف
والنون ما سفل من الذقن والذاقنة طرف الحلقوم والسحر بفتح السين
وسكون الحاء المهملتين هو الصدر والنحر بفتح النون وسكون الحاء المهملة
والمراد انه صلى الله عليه وسلم توفي وراسه بين حنكها وصدرها وهذا
لا يعارضه ما اخرجه الحاكم وابن سعد من طرق انه صلى الله عليه وسلم
مات وراسه في حجر علي لان كل طريق منها كما قاله الحافظ ابن حجر لا تخلو من
شيء فلا يلتفت لذلك والله اعلم قال السهيلي وجدت في بعض كتب الواقدي ان
اول كلمة تكلم بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسترضع عند حليمة الله
اكبر واخر كلمة تكلم بها الرفيق الاعلى وروى الحاكم من حديث انس اخر ما تكلم
به صلى الله عليه وسلم جلال ربي الرفيع **ولما توفي** صلى الله عليه وسلم كان
ابو بكر غائبا بالسنح يعني العالية عند زوجته بنت خارجة وكان عليه السلام
قد اذن له في الذهاب اليها فسل عمر بن الخطاب سيفه وتوعد من يقول مات محمد
صلى الله عليه وسلم وكان يقول انما ارسل اليه كما ارسل الى موسى عليه السلام
فلبث عن قومه اربعين ليلة والله اني لارجو ان يقطع ايدي رجال وارجلهم
فاقبل ابو بكر من السنح حين بلغه الخبر الى بيت عائشة فدخل فكشف عن وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثا يقبله ويبكي ويقول توفي والذي نفسي
بيده صلوات الله عليك يا رسول الله ما اطيبك حيا وميتا ذكره الطبري في
الرياض وقالت عائشة اقبل ابو بكر على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل
المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو مسجى ببرده فكشف عن وجهه واكب عليه فقبله ثم بكى بابي انت و
امي لا يجمع الله عليك موتتين اما الموتة التي كتبت عليك فقد متها رواه
البخاري واختلف في قول ابي بكر رضي الله عنه لا يجمع الله عليك موتتين
فقيل هو على حقيقته واشار بذلك الى الرد على من زعم انه سيحيى فيقطع ايدي
رجال لانه لو صح ذلك للزم ان يموت موتة اخرى فاخبر انه اكرم على الله
من ان يجمع عليه موتتين كما جمعهما على غيره كالذين خرجوا من ديارهم
وهم الوف وكالذي مر على قرية وهذا اوضح الاجوبة واسلمها وقيل
اراد لا يموت موتة اخرى في القبر كغيره اذ يحيى ليسئل ثم يموت وهذا جواب

الداودی وقیل لا یجمع الله موت نفسك وموت شریعتك وقیل کنی بالموت
الثانی عن الکرب ای لا یلقی بعد کرب هذا الموت کربا آخر قاله فی فتح الباری ...
وعنها ان عمر قام یقول والله ما مات رسول الله صلی الله علیه وسلم فجاء
ابو بکر فکشف عن رسول الله صلی الله علیه وسلم فقبله وقال بابی انت وامی
طبت حیا ومیتا والذی نفسی بیده لا یذیقك الله الموتتین ابدا ثم خرج فقال ایها
الحالف علی رسلك فلما تکلم ابو بکر جلس عمر فحمد الله ابو بکر واثنی علیه وقال الا
من کان یعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن کان یعبد الله فان الله حی لا یموت
وقال انك میت وانهم میتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
الآیة قال فنشج الناس یبکون رواه البخاری قال نشج الباکی اذا غص بالبکاء
فی حلقه من غیر انتحاب وعن سالم بن عبید الاشجعی لما مات رسول الله صلی
الله علیه وسلم کان اجزع الناس کلهم عمر بن الخطاب رضی الله عنه فاخذ
بقائم سیفه وقال لا اسمع احدا یقول مات رسول الله صلی الله علیه وسلم
الا ضربته بسیفی هذا قال فقال الناس یا سالم اطلب صاحب رسول الله صلی
الله علیه وسلم قال فخرجت الی المسجد فاذا بابی بکر فلما رأیته اجهشت
فی وجهه بالبکاء فقال یا سالم أمات رسول الله صلی الله علیه وسلم
فقلت ان هذا عمر بن الخطاب یقول لا اسمع احدا یقول مات رسول الله
صلی الله علیه وسلم الا ضربته بسیفی هذا قال فاقبل ابو بکر حتی دخل
علی النبی صلی الله علیه وسلم وهو مسجی فوضع البرد عن وجهه ووضع
فاه علی فیه واستنشا الریح ثم سجاه والتفت الینا فقال وما محمد الا
رسول قد خلت من قبله الرسل الآیة وقال انك میت وانهم میتون یا ایها
الناس من کان یعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن کان یعبد الله فان الله حی
لا یموت قال عمر فوالله لکانی لم اتل هذه الآیات قط خرجه الحافظ ابو عمر
بن الحرث کما ذکره الطبری فی الریاض له وقال خرج الترمذی معناه بتمامه و
استنشا الریح شمها ای شم ریح الموت وعند احمد عن عائشة قالت سجیت
النبی صلی الله علیه وسلم ثوبا فجاء عمر والمغیرة بن شعبة فاستاذنا فاذنت
لهما وجذبت الحجاب فنظر عمر الیه فقال واغشیاه ثم قاما فقال المغیرة یا عمر
مات قال کذبت ان محمدا رسول الله صلی الله علیه وسلم لا یموت حتی
حتی یفنی الله المنافقین ثم جاء ابو بکر فرفعت الحجاب فنظر الیه فقال انا
لله وانا الیه راجعون مات رسول الله صلی الله علیه وسلم وفی حدیث

ابن عباس عند البخاری ان ابا بکر خرج وعمر بن الخطاب یکلم الناس فقال
اجلس یا عمر فابی عمر ان یجلس فاقبل الناس الیه وترکوا عمر فقال ابو بکر
اما بعد من کان یعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن کان یعبد الله فان
الله حی لا یموت قال الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
قال والله لکان الناس لم یعلموا ان الله انزل الآیة حتی تلاها ابو بکر فتلقاها
الناس منه کلهم فما اسمع بشرا من الناس الا یتلوها وفی حدیث ابن عمر
عند ابن ابی شیبة ان ابا بکر مر بعمر وهو یقول ما مات رسول الله صلی الله علیه
وسلم ولا یموت حتی یقتل الله المنافقین قال وکانوا اظهروا الاستبشار و
رفعوا رؤسهم فقال ایها الرجل ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قد مات
الم تسمع الله تعالی یقول انك میت وانهم میتون وقال وما جعلنا لبشر من قبلك
الخلد ثم اتی المنبر الحدیث قال القرطبی ابو عبد الله المفسر وفی هذا ادل دلیل
علی شجاعة الصدیق فان الشجاعة حدها ثبوت القلب عند حلول المصائب و
لا مصیبة اعظم من موت النبی صلی الله علیه وسلم فظهرت عنده شجاعته وعلمه
قال الناس لم یمت رسول الله صلی الله علیه وسلم واضطرب الامر فکشفه
الصدیق بهذه الآیة فرجع عمر عن مقالته التی قالها کما ذکره الوائلی ابو نصر عبد الله
فی کتاب الابانة عن انس بن مالك انه سمع عمر بن الخطاب رضی الله عنه یقول
حین بویع ابو بکر رضی الله عنه فی مسجد رسول الله صلی الله علیه وسلم واستوی
علی منبره علیه السلام تشهد ثم قال اما بعد فانی قلت لکم امس مقالة وانها
لم تکن کما قلت وانی والله ما وجدت المقالة التی قلت لکم فی کتاب الله ولا
فی عهد عهده الی رسول الله صلی الله علیه وسلم ولکنی کنت ارجو ان یعیش
رسول الله صلی الله علیه وسلم حتی یدبرنا ای یکون آخرنا موتا او کما قال
فاختار الله عز وجل لرسوله الذی عنده علی الذی عندکم وهذا الکتاب الذی
هدی الله به رسوله فخذوا به تهتدوا لما هدی له رسول الله صلی الله علیه
وسلم قال ابو نصر المقالة التی قالها ثم رجع عنها هی ان النبی صلی الله علیه وسلم
لم یمت ولن یموت حتی یقطع ایدی وارجل وکان ذلك لعظم ما ورد علیه وخشی
الفتنة وظهور المنافقین فلما شاهد قوة یقین الصدیق الاکبر وتفوهه
بقول الله عز وجل کل نفس ذائقة الموت وقوله انك میت وانهم میتون وخرج
الناس یتلونها فی سکك المدینة کانها لم تنزل قط الا ذلك الیوم انتهی وقال ابن
المنیر لما مات صلی الله علیه وسلم طاشت العقول فمنهم من خبل ومنهم من

اقعد فلم يطق القيام ومنهم من اخرس فلم يطق الكلام ومنهم من اضني وكان عمر ممن خبل وكان عثمان ممن اخرس يذهب به ويجاء ولا يستطيع كلاما وكان علي ممن اقعد فلا يستطيع حراكا واضني عبد الله بن انيس فمات كمدا وكان اثبتهم ابو بكر رضي الله عنه جاء وعيناه تهملان وزفراته تردد وغصصه تتصاعد وترتفع فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فاكب عليه وكشف الثوب عن وجهه وقال طبت حيا وميتا وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت احد من الانبياء فعظمت على الغصة وجللت عن البكاء ولو ان موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك ووقع في حديث ابن عباس وعائشة عند البخاري ان ابا بكر قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما مات كما قدمناه وكذا في رواية غيره وفي رواية يزيد بن بابنوس عنها عند احمد انه اتاه من قبل رأسه فحدر فاه فقبل جبهته ثم قال وانبياه ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته ثم قال واصفياه ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته وقال يا خليلاه وعند ابن ابي شيبة عن ابن عمر فوضع فاه على جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقبله ويبكي ويقول بابي انت وامي طبت حيا وميتا وعن عائشة ان ابا بكر دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فوضع فاه بين عينيه ووضع يديه على صدغيه وقال وانبياه واخليلاه واصفياه اخرجه ابن عرفة العبدي كما ذكره الطبري قال ولا تضاد بين هذا على تقدير صحته وبين ما تقدم مما تضمن بيانه بان يكون قد قال ذلك من غير انزعاج ولا قلق خافتا به صوته ثم التفت اليهم وقال لهم ما قال واخرج البيهقي وابو نعيم من طريق الواقدي عن شيوخه انهم شكوا في موته صلى الله عليه وسلم قال بعضهم قد مات وقال بعضهم لم يمت فوضعت اسماء بنت عميس يدها بين كتفيه عليه السلام فقالت قد توفي قد رفع الخاتم من بين كتفيه فكان هذا الذي قد عرف به موته واخرجه ابن سعد عن الواقدي ايضا ولما توفي عليه السلام قالت فاطمة يا ابتاه اجاب ربا دعاه يا ابتاه من جنة الفردوس ماواه يا ابتاه من الى جبريل ينعاه رواه البخاري قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وقد قيل الصواب الى جبريل نعاه جزم بذلك سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان قال والاول متوجه فلا معنى لتغليط الرواة بالظن وزاد الطبراني يا ابتاه من ربه ما ادناه وقد عاشت فاطمة رضي الله عنها بعده صلى الله عليه وسلم ستة اشهر فما ضحكت تلك المدة وحق لها ذلك .

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه ... وان كان من ليلى على الهجر طاويا

واخرج ابو نعيم عن علي قال لما قبض صلى الله عليه وسلم صعد ملك الموت باكيا

الى السماء والذي بعثه بالحق لقد سمعت صوتا من السماء ينادي وامحمداه الحديث كل المصائب تهون عند هذه المصيبة وفي سنن ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال في مرضه ايها الناس ان احدا من الناس او من المؤمنين اصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري فان احدا من امتي لن يصاب بمصيبة بعدي اشد عليه من مصيبتي وقال ابو الجوزاء كان الرجل من اهل المدينة اذا اصابته مصيبة جاء اخوه فصافحه ويقول يا عبد الله اتق الله فان في رسول الله اسوة حسنة

ويعجبني قول القائل

اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم بان المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فانها ... نوب تنوب اليوم تكشف في غد
واذا اتتك مصيبة تشجى بها ... فاذكر مصابك بالنبي محمد
تذكرت لما فرق الدهر بيننا ... فعزيت نفسي بالنبي محمد
وقلت لها ان المنايا سبيلنا ... فمن لم يمت في يومه مات في غد

كادت الجمادات تتصدع من الم مفارقته صلى الله عليه وسلم فكيف بقلوب المؤمنين ولما فقده الجذع الذي كان يخطب اليه قبل اتخاذ المنبر حن اليه وصاح وكان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى وقال هذه خشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتم احق ان تشتاقوا اليه وروي ان بلالا لما كان يؤذن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وقبل دفنه فاذا قال اشهد ان محمدا رسول الله ارتج المسجد بالبكاء والنحيب فلما دفن ترك بلال الاذان ما امر عيش من فارق الاحباب خصوصا من كانت رؤيته حياة الالباب

لو ذاق طعم الفراق رضوى ... لكان من وجده يميد
قد حملوني عذاب شوق ... يعجز عن حمله الحديد

وقد كانت وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الاثنين بلا خلاف في وقت دخوله المدينة في هجرته حين اشتد الضحى ودفن يوم الثلاثا وقيل ليلة الاربعا فعند ابن سعد في الطبقات عن علي توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثا وعنده ايضا عن عكرمة توفي يوم الاثنين فحبس بقية يومه وليلته ومن الغد حتى دفن من الليل وعنده ايضا عن عثمان بن محمد الاخنسي توفي يوم الاثنين حين زاغت الشمس ودفن يوم الاربعا وروي ايضا عن ابن عباس بن سهل عن ابيه عن جده توفي يوم الاثنين فمكث يوم الاثنين والثلاثا حتى دفن يوم الاربعا ورثته

عمته صفية بمراثي كثيرة منها قولها

الا يا رسول الله قد كنت رجانا … وكنت بنا برًّا ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما … ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما ابكى النبي لفقده … ولكنني اخشى من الهجر آتيا
كان على قلبي لذكر محمد … على جدث امسى بيثرب ثاويا
فدًا لرسول الله امي وخالتي … وعمي وخالي ثم نفسي وماليا
فلو ان رب الناس ابقى نبينا … سعدنا ولكن امره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية … وادخلت جنات من العدن راضيا
ارى حسنا ايتمته وتركته … يبكي ويدعو جده اليوم نائيا

ورثاه ابو سفيان بن الحارث وقال

ارقت فبت ليلي لا يزول … وليل اخي المصيبة فيه طول
واسعدني البكاء وذاد فيما … اصيب المسلمون فيه قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت … عشية قيل قد قبض الرسول
واضحت ارضنا مما عراها … تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا … يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك احق ما سالت عليه … نفوس الناس او كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا … بما يوحى اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا … علينا والرسول لنا دليل
افاطم ان جزعت فذاك عذر … وان لم تجزعي فذاك السبيل
فقبر ابيك سيد كل قبر … وفيه سيد الناس الرسول

ورثاه الصديق بقوله

لما رايت نبينا متجدلا … ضاقت علي بعرضهن الدور
فارتاع عند قلبي دال الهلكة … والعظم مني ما حييت كسير
اعتيق ويحك ان حبك قد توى … فالصبر عنك لما بقيت يسير
يا ليتني من قبل مهلك صاحبي … غيبت في جدث علي صخور
فلتحدثن بدايع من بعده … تعيى بهن جوانح وصدور

ورثاه الصديق ايضا بقوله

ودعن الوحي اذ وليت عنا … فودعنا من الله الكلام
سوى ما قد تركت لنا رهينا … تضمنه القراطيس الكرام

ولقد احسن حسان بقوله يرثيه عليه السلام

كنت السواد لناظري … فعمي عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت … فعليك كنت احاذر

ولما تحقق عمر بن الخطاب رضي الله عنه موته صلى الله عليه وسلم بقول ابي بكر الصديق ورجع الى قوله قال وهو يبكي بابي انت وامي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس اليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك اولى بالحنين عليك حين فارقتهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر الانبياء وذكرك في اولهم فقال تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بابي وامي انت يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول الخبر ذكره ابو العباس القصار في شرحه لبردة الابوصيري ونقله عن الرشاطي في كتابه اقتباس الانوار والتماس الازهار وذكر ابن الحاج في المدخل وساقه بتمامه والقاضي عياض في الشفاء لكنه ذكر بعضه ووقع في كثير من نسخ الشفاء وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم بتشديد الكاف من بكا والصواب فيها التخفيف لان هذا الكلام انما سمع من عمر رضي بعد موته صلى الله عليه وسلم كما تقدم ونبهت عليه في حاشية الشفاء والله اعلم ويؤيد هذا قوله في الخبر نفسه بابي انت وامي يا رسول الله لقد اتبعك في قصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا قليل واخرج ابن عساكر عن ابي ذؤيب الهذلي قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم عليل فاوجس اهل الحي خيفة وبت بليلة طويلة حتى اذا كان قرب السحر نمت فهتف هاتف وهو يقول

خطب اجل اناخ بالاسلام … بين النخيل ومعقد الاطام
قبض النبي محمد فعيوننا … تبدي الدموع عليه بالتسجام

فوثبت من نومي فزعا فنظرت الى السماء فلم ار الا سعد الذابح فعلمت ان النبي صلى الله عليه وسلم قبض او هو ميت فقدمت المدينة ولاهلها ضجيج

بالبكاء كضجيج الحجيج اذا اهلوا بالاحرام فقلت مه قد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عجيب ما اتفق ما روي عن عائشة انهم لما ارادوا غسل النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لا ندري انجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا ام نغسله وعليه ثيابه فلما اختلفوا القى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل الا وذقنه في صدره ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو غسلوا النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فقاموا فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص رواه البيهقي في دلائل النبوة وروى ابن ماجه بسند جيد عن علي يرفعه اذا انا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئري بئر غرس قال في النهاية بفتح الغين المعجمة وسكون الراء والسين المهملة وقد روى ابن النجار انه عليه السلام قال رأيت الليلة اني اصبحت على بئر من الجنة فاصبح على بئر غرس فتوضأ منها وبزق فيها وغسل صلى الله عليه وسلم ثلاث غسلات الاولى بالماء القراح والثانية بالماء والسدر والثالثة بالماء والكافور وغسله علي والعباس وابنه الفضل يعينانه وقثم واسامة وشقران مولاه صلى الله عليه وسلم يصبون الماء واعينهم معصوبة من وراء الستر لحديث علي لا يغسلني الا انت فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه رواه البزار والبيهقي واخرج البيهقي عن الشعبي قال غسل علي النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقول وهو يغسله صلى الله عليه بابي انت وامي طبت حيا وميتا واخرج ابو داود وصححه الحاكم عن علي قال غسلته صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم ار شيئا وكان طيبا حيا وميتا وفي رواية ابن سعد وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط قيل جعل علي على يده خرقة وادخلها تحت القميص ثم اعتصر قميصه وحنطوا مساجده ومفاصله ووضؤا منه ذراعيه ووجهه وكفيه وقدميه وجمروه عودا وندا وذكر ابن الجوزي انه روي عن جعفر بن محمد قال كان الماء يستنقع في جفون النبي صلى الله عليه وسلم فكان علي يحسوه واما ما روي ان عليا لما غسله عليه السلام امتص ماء محاجر عينيه فشربه وانه قد ورث بذلك علم الاولين والاخرين فقال النووي ليس بصحيح وفي حديث عروة عن عائشة قالت كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة اثواب بيض سحولية اخرجه النسائي من رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة واتفق عليه الائمة الستة من طريق هشام

بن عروة عن ابيه عن عائشة بزيادة من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة وليس قوله من كرسف عند الترمذي ولا ابن ماجه زاد مسلم اما الحلة فانما شبه على الناس فيها انها اشتريت له ليكفن فيها فتركت الحلة وكفن في ثلاثة اثواب بيض سحولية فاخذها عبد الله بن ابي بكر فقال لاحبسنها حتى اكفن فيها نفسي ثم قال لو رضيها الله عز وجل لنبيه لكفنه فيها فباعها وتصدق بثمنها وفي رواية له ادرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلة يمانية كانت لعبد الله بن ابي بكر ثم نزعت عنه وذكر الحديث وفي رواية اصحاب السنن الاربعة فذكر لعائشة قولهم في ثوبين وبردة حبرة فقالت قد اوتي بالبرد ولكنهم ردوه ولم يكفنوه فيه وقال الترمذي حسن صحيح وفي رواية البيهقي في ثلاثة اثواب سحولية جدد والسحولية بفتح السين وضمها قال النووي والفتح اشهر وهو رواية الاكثرين وفي النهاية تبعا للهروي فالفتح منسوب الى السحول وهو القصار لانه يسحلها اي يغسلها او الى سحول وهي قرية باليمن واما الضم فهو جمع سحل وهو الثوب الابيض النقي ولا يكون الا من قطن وفيه شذوذ لانه نسب الى الجمع وقيل ان اسم القرية بالضم ايضا والكرسف بضم الكاف واسكان الراء وضم السين المهملتين والفاء القطن وقال الترمذي روي في كفن النبي روايات مختلفة وحديث عائشة اصح الاحاديث في ذلك والعمل عليه عند اكثر اهل العلم من الصحابة وغيرهم وقال البيهقي في الخلافيات قال ابو عبد الله يعني الحاكم تواترت الاخبار عن علي بن ابي طالب وابن عباس وعائشة وابن عمر وجابر وعبد الله بن المغفل في تكفين النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة اثواب ليس فيها قميص ولا عمامة وعن عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن الحنفية عن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في سبعة اثواب وقد روى هذا الحديث احمد في مسنده وذكر ابن حزم ان الوهم فيه من ابن عقيل او ممن بعده وقد اختلف في معنى قوله ليس فيها قميص ولا عمامة فالصحيح ان معناه انه ليس في الكفن قميص ولا عمامة اصلا والثاني ان معناه انه كفن في ثلاثة اثواب خارج عن القميص والعمامة قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد الاول اظهر في المراد وذكر النووي في شرح مسلم ان الاول تفسير الشافعي وجمهور العلماء قال وهو الصواب الذي يقتضيه ظاهر الحديث وقال ان الثاني ضعيف فلم يثبت انه صلى الله عليه وسلم كفن في قميص وعمامة انتهى وترتب على هذا اختلافهم في انه هل يستحب ان يكون في الكفن قميص وعمامة ام لا فقال مالك والشافعي

واحد يستحب ان يكون فى الثلاثة كلها لفائف ليس فيها قميص ولا عمامة واختلفوا
فى زيادة القميص والعمامة او غيرهما على اللفائف الثلاثة لتصير خمسة فذكر الحنابلة
انه مكروه وقال الشافعية انه جائز غير مستحب وقال المالكية انه يستحب للرجال
والنساء وهو فى حق النساء آكد قالوا والزيادة الى السبعة غير مكروهة
وما زاد عليها سرف وقال الحنفية ان الاثواب الثلثة ازار وقميص ولفافة
وقد اجمع المسلمون على وجوبه وهو فرض كفاية فيجب فى ماله فان لم يكن له مال
فعلى من تلزمه نفقته واختلف اصحابنا فى المتزوجة اذا كان لها مال هل يجب
تكفينها من مالها او هو على زوجها فذهب الى الاول الرافعى فى الشرح الصغير
والمحرر والنووى فى المنهاج وذهبا الى الثانى الرافعى فى الشرح الكبير والنووى
فى الروضة وشرح المهذب وقال فيه قيد الغزالى وجوب الكفن على الزوج بشرط
اعسار المرأة وانكروه عليه انتهى ومتى كانت معسرة فتكفينها على زوجها قطعا
ثم ان الواجب ثوب واحد وهو حق لله تعالى لا تنفذ وصية الميت باسقاطه
بخلاف الثانى والثالث فانه حق للميت تنفذ وصيته باسقاطهما وفى هذا الحديث
ايضا دلالة على ان القميص الذى غُسل فيه النبى صلى الله عليه وسلم نزع عنه
عند تكفينه قال النووى فى شرح مسلم وهذا هو الصواب الذى لا يتجه غيره
لانه لو ابقى مع رطوبته لافسد الاكفان قال واما الحديث الذى فى سنن ابى داود
عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم كُفن فى ثلاثة اثواب الحلة ثوبان
وقميصه الذى توفى فيه فحديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به لان يزيد بن زياد
احد رواته مُجمع على ضعفه لاسيما وقد خالف برواته الثقات فى حديث ابن
عباس عند ابن ماجه لما فرغوا من جهازه صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثا
وضع على سريره فى بيته ثم دخل الناس عليه صلى الله عليه وسلم ارسالا
يصلون عليه حتى اذا فرغوا دخل النساء حتى اذا فرغن دخل الصبيان ولم يؤم
الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم احد وفى رواية ان اول من
صلى عليه الملائكة افواجا ثم اهل بيته ثم الناس فوجا فوجا ثم نساؤه
آخرا وروى انه لما صلى اهل بيته لم يدر الناس ما يقولون فسألوا ابن مسعود
فامرهم ان يسألوا عليا فقال لهم قولوا ان الله وملائكته يصلون على
النبى الآية لبيك اللهم ربنا وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة
المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك من شىء
يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام

المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعى اليك باذنك
السراج المنير وعليه السلام ذكره الشيخ زين الدين بن الحسين المراغى
فى كتابه تحقيق النصرة ثم قالوا اين تدفنونه فقال ابو بكر رضى الله عنه سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما هلك نبى قط الا يدفن حيث تقبض
روحه وقال على وانا ايضا سمعته وحفر ابو طلحة لحد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى موضع فراشه حيث قُبض وقد اختلف فيمن ادخله قبره واصح
ما روى انه دخل فى قبره عمه العباس وعلى وقثم بن العباس والفضل بن
العباس وكان آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن
العباس وروى انه بُنى فى قبره تسع لبنات وفرش تحته قطيفة نجرانية كان
يتغطى بها فرشها شقران فى القبر وقال والله لا يلبسها احد بعدك قال النووى
وقد نص الشافعى وجميع اصحابه وغيرهم من العلماء على كراهة وضع قطيفة او
مضربة او مخدة ونحو ذلك تحت الميت فى القبر وشذ البغوى من اصحابنا فقال
فى كتابه التهذيب لا بأس بذلك لهذا الحديث والصواب كراهة ذلك كما قاله الجمهور
واجابوا عن هذا الحديث بان شقران انفرد بفعل ذلك ولم يوافقه احد من الصحابة
ولا علموا بذلك وانما فعله شقران لما ذكرناه عنه من كراهيته ان يلبسها احد
بعد النبى صلى الله عليه وسلم انتهى وفى كتاب تحقيق النصرة قال ابن عبد البر
ثم اخرجت يعنى القطيفة من القبر لما فرغوا من وضع اللبنات التسع حكاه
ابن زبالة ولما دُفن صلى الله عليه وسلم جاءت فاطمة رضى الله عنها فقالت
كيف طابت انفسكم ان تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب
واخذت من تراب القبر الشريف فوضعته على عينيها وانشأت تقول

ماذا على من شمّ تربة احمد — ان لا يشمّ مدى الزمان غواليا
صبّت عليّ مصائب لو انّها — صبّت على الايام صرن لياليا

قال رزين ورُش قبره صلى الله عليه وسلم ورشه بلال بن رباح بقربة
بدأ من قِبَل رأسه حكاه ابن عساكر وجُعل عليه من حصباء العرصة
حمراً وبيضاً ورُفع قبره من الارض قدر شبر وفى حديث عائشة عند البخارى
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى لم يقم منه لعن
الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد لولا ذلك ابرز
قبره غير انه خَشى او خُشى ان يتخذ مسجدا كذا فى رواية ابى عوانة عن هلال
خَشى او خُشى على الشك فرواية الضم مبهمة يمكن ان تفسر بانها هى

التي منعت من ابرازه والهاء ضمير الشان وكانها ارادت نفسها ومن وافقها
على ذلك وهذا يقتضى انهم فعلوه باجتهاد بخلاف رواية الفتح فانها تقتضى
ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي امرهم بذلك وقولها ابرز قبره اى
لكشف قبره صلى الله عليه وسلم ولم يتخذ عليه الحائل والمراد الدفن خارج
بيته وهذا قالته عائشة رضي الله عنها قبل ان يوسع المسجد ولهذا لما وسع المسجد
جعلت حجرتها مثلثة الشكل محدودة حتى لا يتاتى لاحد ان يصلى الى جهة القبر
الكريم مع استقباله القبلة وفى البخاري ايضا من حديث ابى بكر بن عياش
عن سفيان التمار انه حدثه انه رأى قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسنما اى مرتفعا
زاد ابو نعيم فى المستخرج وقبر ابى بكر وعمر كذلك واستدل على ان المستحب تسنيم
القبور وهو قول ابى حنيفة ومالك واحمد والمزنى وكثير من الشافعية وادعى
القاضى حسين اتفاق الاصحاب عليه ويعقب بان جماعة من قدماء الشافعية
استحبوا التسطيح كما نص عليه الشافعي وبه جزم الماوردى وآخرون وقول
سفيان التمار لا حجة فيه كما قال البيهقى لاحتمال ان قبره صلى الله عليه وسلم فى الاول
لم يكن مسنما فقد روى ابو داود والحاكم من طريق القسم بن محمد بن ابى بكر قال
دخلت على عائشة فقلت يا امه اكشفى لى عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكشفت لى عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء
زاد الحاكم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدما وابا بكر راسه بين
كتفى النبي صلى الله عليه وسلم وعمر راسه عند رجلى النبي صلى الله عليه وسلم
وهذا كان فى خلافة معاوية فكانها كانت فى الاول مسطحة ثم لما بنى جدار
القبر فى امارة عمر بن عبد العزيز على المدينة من قبل الوليد بن عبد الملك صيروها
مرتفعة وقد روى ابو بكر الآجرى فى كتاب صفة قبر النبي صلى الله عليه وسلم من
طريق اسحق بن عيسى بن بنت داود بن ابى هند عن غنيم بن بسطام المدينى قال
رايت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فى امارة عمر بن عبد العزيز فرايته مرتفعا
نحوا من اربع اصابع ورايت قبر ابى بكر وراء قبره ورايت قبر عمر وراء قبر
ابى بكر اسفل منه ثم الاختلاف فى ذلك فى ايهما افضل لا فى اصل الجواز ورجح
التسنيم من حيث المعنى بان المسطح يشبه ما يصنع للجلوس عليه بخلاف المسنم
ويرجح التسطيح ما رواه مسلم من حديث فضالة بن عبيدة انه امر بقبر فسوى
ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بتسويتها وعن هشام
بن عروة عن ابيه لما سقط عليهم الحائط يعنى حائط حجرة النبي صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم فى زمن الوليد بن عبد الملك اخذوا فى بنائه فبدت لهم قدم ففزعوا
وظنوا انها قدم النبي صلى الله عليه وسلم فما وجدوا احدا يعلم ذلك حتى قال
لهم عروة والله ما هى قدم النبي صلى الله عليه وسلم ما هى الا قدم عمر رواه البخاري
ايضا والسبب فى ذلك ما رواه الآجرى من طريق شعيب بن اسحاق عن هشام بن
عروة قال اخبرنى ابى قال كان الناس يصلون الى القبر الشريف فامر عمر بن عبد العزيز
فرفع حتى لا يصلى اليه احد فلما هدم بدت قدم بساق وركبة ففزع عمر بن عبد العزيز
فاتاه عروة فقال هذا ساق عمر وركبته فسرى عن عمر بن عبد العزيز وروى الآجرى
قال رجاء بن حيوة قبر ابى بكر عند وسط النبي صلى الله عليه وسلم وعمر خلف ابى
بكر راسه عند وسطه وهذا ظاهره يخالف حديث القاسم فان امكن الجمع والا
فحديث القاسم اصح واما ما اخرجه ابو يعلى من وجه آخر عن عائشة ابو بكر عن
يمينه وعمر عن يساره فسنده ضعيف انتهى ملخصا من فتح البارى وقد اختلف
اهل السير وغيرهم فى صفة القبور المقدسة على سبع روايات اوردها ابن
عساكر فى تحفة الزائر ونقل اهل السير عن سعيد بن المسيب قال بقى فى البيت
موضع قبر فى السهوة الشرقية يدفن فيها عيسى ابن مريم عليهما ويكون قبره الرابع
وفى المنتظم لابن الجوزى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل عيسى
بن مريم الى الارض فيتزوج ويولد له ويمكث خمسا واربعين سنة ثم يموت
فيدفن معى فى قبرى فاقوم انا وعيسى ابن مريم من قبر واحد بين ابى بكر وعمر كذا ذكره
فى تحقيق النصرة والله اعلم **فان قلت** تقدم انه عليه السلام توفى يوم الاثنين
ودفن يوم الاربعاء فلم اخر دفنه عليه السلام وقد قال عليه السلام لاهل بيت
اخروا دفن ميتهم عجلوا دفن ميتكم ولا تؤخروه **فالجواب** لما ذكر من عدم
اتفاقهم على موته اولا ولانهم كانوا لا يعلمون حيث يدفن قال قوم فى البقيع وقال
آخرون فى المسجد وقال قوم يحمل الى ابيه ابراهيم حتى يدفن عنده حتى قال
العالم الاكبر صديق الامة سمعته يقول ما دفن نبي الا حيث يموت ذكره
ابن ماجه والموطأ كما تقدم وفى رواية الترمذى ما قبض الله نبيا الا فى
الموضع الذى يحب ان يدفن فيه ادفنوه فى موضع فراشه اولا نهم اشتغلوا
فى الخلاف الذى وقع بين المهاجرين والانصار فى البيعة فنظروا فيها حتى
استقر الامر فى الخلافة ونظمها فبايعوا ابا بكر ثم بايعوه بالغد بيعة اخرى
عن ملأ منهم وكشف الله بها الكربة من اهل الردة ثم رجعوا بعد ذلك الى
النبي صلى الله عليه وسلم فنظروا فى دفنه فغسلوه وكفنوه **ولما** قبض صلى الله

عليه وسلم تزينت الجنان ليوم قدوم روحه الكريمة لا كزينة المدينة يوم قدوم
الملك اذا كان عرش الرحمن قد اهتز لموت بعض اتباعه فرحا واستبشارا لقدوم روحه
فكيف بقدوم روح الارواح ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة لعبت
الحبشة بحرابهم فرحا بقدومه كما رواه ابو داود من حديث انس وفي رواية
الدارمي قال انس ما رايت يوما كان احسن ولا اضوء من يوم دخل علينا فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا رايت يوما كان اقبح ولا اظلم من يوم مات فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية الترمذي لما كان اليوم الذي دخل
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اضاء منها كل شيء فلما كان اليوم
الذي مات فيه اظلم منها كل شيء وما نفضنا ايدينا عن التراب وانا لفي دفنه
حتى انكرنا قلوبنا ومن آياته عليه السلام بعد موته ما ذكر من حزن حماره
عليه حتى تردى في بئر وكذا ناقته لم تاكل ولم تشرب حتى ماتت ومن ذلك
ظهور ما اخبر بانه كائن بعد موته مما لا نهاية له ولا عد يحصيه مما ذكرت
بعضه في المقصد الثامن وفي حديث ابي موسى عند مسلم انه صلى الله عليه و
سلم قال ان الله اذا اراد بامة خيرا قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا
بين يديها واذا اراد هلكة امة عذبها ونبيها حي فاهلكها وهو ينظر فاقر
عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا امره وانما كان قبض النبي صلى الله عليه
وسلم قبل امته خيرا لانهم اذا قبضوا قبله انقطعت اعمالهم واذا اراد الله
بهم خيرا جعل خيرهم مستمرا ببقائهم محافظين على ما امروا به من العبادات
وحسن المعاملات نسلا بعد نسل وعقبا بعد عقب

الفصل الثاني في زيارة قبره الشريف ومسجده المنيف

اعلم ان زيارة قبره الشريف من اعظم القربات وارجاء الطاعات
والسبيل الى على الدرجات ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من ربقة
الاسلام وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الاعلام وقد اطلق
بعض المالكية وهو ابو عمران الفاسي كما ذكره في المدخل من تهذيب الطالب
لعبد الحق انها واجبة قال ولعله اراد وجوب السنن الموكدة وقال
القاضي عياض انها سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب
فيها وروى الدارقطني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من زار قبري وجبت له شفاعتي ورواه عبد الحق
في احكامه الوسطى وفي الصغرى وسكت عنه وسكوته عن الحديث فيهما

دليل

دليل على صحته وفي المعجم الكبير للطبراني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من
جاءني زائرا لا يعمله حاجة الا زيارتي كان حقا علي ان اكون شفيعا له يوم القيمة
وصححه ابن السكن وروي عنه صلى الله عليه وسلم من وجد سعة ولم يغد الي فقد
جفاني ذكره ابن فرحون في مناسكه والغزالي في الاحياء ولم يخرجه العراقي
بل اشار الى ما اخرجه ابن النجار في تاريخ المدينة مما هو في معناه عن انس بلفظ ما من
احد من امتي له سعة ثم لم يزرني الا وليس له عذر ولابن عدي في الكامل وابن حبان
في الضعفاء والدارقطني في العلل وغرائب مالك وآخرين كلهم عن ابن عمر مرفوعا
من حج ولم يزرني فقد جفاني ولا يصح وعلى تقدير ثبوته فليتامل قوله فقد جفاني
فانه ظاهر في حرمة ترك الزيارة لان الجفاء اذى والاذى حرام بالاجماع فتجب
الزيارة اذ ازالة الجفاء واجبة وهي بالزيارة فالزيارة واجبة حينئذ و
بالجملة فمن تمكن من زيارته ولم يزره فقد جفاه وليس من حقه علينا ذلك
وعن حاطب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من زارني بعد موتي فكانما
زارني في حياتي ومن مات باحد الحرمين بعث من الآمنين رواه البيهقي عن
رجل من آل حاطب لم يسمه عن حاطب وعن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من زار قبري او قال من زارني كنت له شفيعا او شهيدا
رواه البيهقي وغيره عن رجل من آل عمر لم يسمه عن عمر وعن انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني محتسبا الى المدينة كان في جواري
يوم القيامة رواه البيهقي ايضا قال العلامة زين الدين بن الحسين المراغي وينبغي
لكل مسلم اعتقاد كون زيارة قبره صلى الله عليه وسلم قربة للاحاديث الواردة
في ذلك ولقوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر
لهم الرسول الآية لان تعظيمه صلى الله عليه وسلم لا ينقطع بموته ولا يقال ان
ان استغفار الرسول لهم انما هو في حال حياته وليست الزيارة كذلك لما اجاب
به بعض ائمة المحققين ان الآية دلت على تعليق وجدان الله تعالى توابا رحيما بثلثة
امور المجيء واستغفارهم واستغفار الرسول لهم وقد حصل استغفار الرسول
لجميع المؤمنين لانه صلى الله عليه وسلم قد استغفر للجميع قال الله تعالى واستغفر
لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فاذا وجد مجيئهم واستغفارهم تكملت
الامور الثلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى ورحمته وقد اجمع المسلمون على استحباب
زيارة القبور كما حكاه النووي واوجبها الظاهرية فزيارته صلى الله عليه وسلم
مطلوبة بالعموم والخصوص لما سبق ولان زيارة القبور تعظيم وتعظيمه صلى الله

عليه وسلم واجب ولهذا قال بعض العلماء لا فرق في زيارته صلى الله عليه وسلم بين الرجال والنساء وان كان محل الاجماع على استحباب زيارة القبور للرجال و في النساء خلاف والاشهر في مذهب الشافعي الكراهة قال ابن حبيب من المالكية ولا تدع زيارة قبره صلى الله عليه وسلم والصلوة في مسجده فان فيه من الرغبة ما لا غنا بك ولا باحد عنه وينبغي لمن نوى الزيارة ان ينوي مع ذلك زيارة مسجده الشريف والصلاة فيه لانه احد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال الا اليها وهو افضلها عند مالك وليس لشد الرحال الى غير المساجد الثلاثة فضل لان الشرع لم يجئ به وهذا الامر لا يدخله قياس لان شرف البقعة انما يعرف بالنص الصريح عليه وقد ورد النص في هذه دون غيرها وقد صح ان عمر بن عبد العزيز كان يبرد البريد للسلام على النبي صلى الله عليه وسلم فالسفر اليه قربة لعموم الادلة ومن نذر الزيارة وجبت عليه كما جزم به ابن كج من اصحابنا وعبارته اذا نذر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم لزمه الوفاء وجها واحدا انتهى ولو نذر اتيان المسجد الاقصى للصلوة لزمه ذلك على الاصح عندنا وبه قال المالكية والحنابلة لكنه يخرج عنه بالصلاة في المسجد الحرام وصحح النووي ايضا انه يخرج عنه بالصلاة في مسجد المدينة قال ونص عليه الشافعي في البويطي وبه قال الحنفية والحنابلة وللشيخ تقي الدين ابن تيمية هنا كلام شنيع عجيب يتضمن منع شد الرحال للزيارة النبوية المحمدية وانه ليس من القرب بل بضد ذلك ورد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في شفاء السقام فشفى صدور المؤمنين وحكى الشيخ ولي الدين العراقي ان والده كان معادلا للشيخ زين الدين عبد الرحمن بن رجب الدمشقي في التوجه الى بلد الخليل عليه السلام فلما دنا من البلد قال نويت الصلاة في مسجد الخليل ليحترز عن شد الرحل لزيارته على طريقة شيخ الحنابلة ابن تيميه قال فقلت نويت زيارة قبر الخليل عليه السلام ثم قلت له اما انت فقد خالفت النبي صلى الله عليه وسلم لانه قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد وقد شددت الرحل الى مسجد رابع واما انا فاتبعت النبي صلى الله عليه وسلم لانه قال زوروا القبور افقال الا قبور الانبياء قال فبهت وينبغي لمن اراد الزيارة ان يكثر من الصلاة والتسليم عليه في طريقه فاذا وقع بصره على معالم المدينة الشريفة وما تعرف به فليزدد الصلوة عليه والتسليم وليسئل الله ان ينفعه بزيارته ويسعده بها في الدارين وليغتسل وليلبس النظيف من ثيابه وليترجل ماشيا باكيا لما راى وفد عبد القيس رسول الله صلى الله عليه وسلم القوا انفسهم عن رواحلهم ولم ينيخوها

وسارعوا

وسارعوا اليه فلم ينكر ذلك عليهم صلوات الله وسلامه عليه وروينا مما ذكره القاضي عياض في الشفاء ان ابا الفضل الجوهري لما ورد الى المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ... فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه ان نلم به ركبا

واحسن ان العلامة ابا عبد الله بن رشيد قال لما قدمنا المدينة سنة اربع وثمانين وستمائة كان معي رفيقي الوزير ابو عبد الله بن ابي القاسم بن الحكيم وكان ارمد فلما دخلنا ذا الحليفة او نحوها نزلنا عن الاكوار وقوي الشوق لقرب المزار بالشفاء فنزل وبادر الى المشي على قدميه احتسابا لتلك الآثار واعظاما لمن حل بتلك الديار فانشد لنفسه في وصف الحال

ولما رأينا من ربوع حبيبنا ... بيثرب اعلاما اثرن لنا الحبا
وبالترب منها اذ كحلنا جفوننا ... شفينا فلا باسا نخاف ولا كربا
وحين تبدى للعيون جمالها ... ومن بعدها عنا اديلت لنا قربا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ... لمن حل فيها ان نلم به ركبا
نسح سجال الدمع في عرصاته ... ونلثم من حب لواطئها التربا
وان بقائي دونه لخسارة ... ولو ان كفي تملأ الشرق والغربا
فيا عجبا ممن يحب بزعمه ... يقيم مع الدعوى ويستعمل الكتبا
وزلات مثلي لا تعد كثيرة ... وبعدي عن المختار اعظمها ذنبا

ولما كنت سائرا لقصد الزيارة في ربيع الاخر سنة اثنين وتسعين وثمانمائة ولاح لنا عند الصباح جبل مفرح الارواح المبشر بقرب المزار من اشرف الديار تسابق الزوار اليه وتعالوا بالصعود عليه استعجالا لمشاهدة تلك الآثار فبرقت لوامع الانوار النبوية • وهبت عرف نسيمات المعارف المحمدية • فطبنا وغبنا اذ شهدنا اعلام ديار اشرف البرية •

الامع برق يغتدي ويروح ... ام النور من ارض الحجاز يلوح
ونفح الصبا هبت بطيب عرفهم ... ام الروض في وجه الصباح يلوح
اذاريج ذاك الحي هبت فانها ... حياة لمن يغدو لها ويروح
ترفق بنا يا حادي العيس والتفت ... فللنور بين الواديين وضوح
فما هذه الا ديار محمد ... وذاك سنا ما يغتدي ويروح
والا فما للركب هاج اشتياقهم ... فكل من الشوق الشديد يصيح

وانّت مطايا الركب حتى كانّها ... حمام على قصب الاراك تنوح
وقد مدّت الاعناق شوق وطرفها ... الى النّور من تلك الديار تلوح
رأت دار من تهوى فزاد اشتياقها ... ومدمعها فى الوجنتين سفوح
اذا العيس باحت بالغرام ولم تطق ... حياً فما للصبّ ليس ينوح

ولما قربنا من المدينة واعلامها وتدانينا من معاينه ربا ها الكريمة واكامها وانتشقنا عراف لطائف ازهارها وبدت لنواظرنا بوارق انوارها وترادفت واردات المنح والعطايا ونزل القوم عن المطايا فانشدت متمثلا

اتيتك زائرا وودت انى ... جعلت سواد عينى امتطيه
ومالى لا اسير على الماقى ... الى قبر رسول الله فيه

ولما وقع بصري على القبر الشّريف والمسجد المنيف فاضت من الفرح سوابق العبرات حتى اصابت بعض الثّرى والجدرات

ايّها المغرم المشوّق هنيئا ... ما انالوك من لذيذ التلاق
قل لعينيك تهملان سرورا ... طال ما اسعدا ك يوم الفراق
واجمع الوجد والسّرور ابتهاجا ... وجميع الاشجان والاشواق
وامر العين ان تفيض انهمالاً ... وتوالى بدمعها المهراق
هذه دارهم وانت محبّ ... ما بقا الدموع فى الاماق
وكان ماكان مما لست اذكره ... فظنّ خيرا ولا تسال عن الخبر

ويستحبّ صلاة ركعتين قبل الزيارة قيل وهذا اذا لم يكن مروره من جهة وجهه الشّريف عليه الصّلوة والسّلام فان كان استحبا الزيارة قبل التحية قال فى تحقيق النصرة وهو استدراك حسن قاله بعض شيوخنا وفى منسك ابن فرحون فان قلت المسجد انما شرف باضافته اليه صلّى الله عليه وسلّم فينبغى البداءة بالوقوف عنده صلّى الله عليه وسلّم قلت قال ابن حبيب فى اول كتاب الصّلوة حدثنى مطرف عن مالك عن يحيى بن سعيد عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قدمت من سفر فجئت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اسلّم عليه وهو بفناء المسجد فقال ادخلت المسجد فصليت فيه قلت لا قال فاذهب فادخل المسجد وصل فيه ثمّ ائت فسلّم علىّ ورخص بعضهم فى تقديم الزيارة على الصّلاة وقال ابن الحاج وكل ذلك واسع ولعل هذا الحديث لم يبلغهم والله اعلم انتهى وينبغى للزائر ان يستحضر من الخشوع ما امكنه وليكن مقتصدا فى سلامه بين الجهر والاسرار وفى البخارى ان عمر رضي الله عنه قال لرجلين

من اهل الطائف لو كنتما من اهل البلد لاوجعتكما ضربا ترفعان اصواتكما فى مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقد روى عن ابى بكر الصّديق رضي الله عنه انه قال لا ينبغى رفع الصّوت على نبيّ حيا ولا ميّتا وروي عن عائشة رضي الله عنها انها كانت تسمع صوت الوتد يوتد والمسمار يضرب فى بعض الدّور المطيفة بمسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فترسل اليهم لا تؤذوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قالوا وما عمل علي بن ابى طالب مصراعى داره الا بالمناصع توقيا لذلك نقله ابن زباله فيجب الادب معه كما فى حياته وينبغى للزّائر ان يتقدّم الى القبر الشّريف من جهة القبلة وان جاء من جهة رجلي الصّاحبين فهو ابلغ فى الادب من الاتيان من جهة رأسه المكرّم ويستدبر القبلة ويقف قبالة وجهه صلّى الله عليه وسلّم بان يقابل المسمار الفضة المضروب فى الرّخام الّذى فى الجدار ولا عبرة بالقنديل الكبير اليوم لانّ هناك عدة قناديل وقد روي انّ مالكا لما سأله ابو جعفر المنصور العباسى يا اباعبد الله استقبل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وادعو ام استقبل القبلة وادعو فقال له مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السّلام الى الله عزّ وجلّ يوم القيمة وينبغى ان يقف عند محاذاة اربعة اذرع ويلازم الادب والخشوع والتّواضع غاض البصر فى مقام الهيبة كما كان يفعل بين يديه فى حياته ويستحضر علمه بوقوفه بين يديه وسماعه لسلامه كما هو فى حال حياته اذ لا فرق بين موته وحياته فى مشاهدته لامّته ومعرفته باحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم وذلك عنده جليّ لا خفاء به فان قلت هذه الصّفات مختصّة بالله تعالى فالجواب انّ من انتقل الى عالم البرزخ من المؤمنين يعلم احوال الاحياء غالبا وقد وقع كثير من ذلك كما هو مسطور فى مظنّة ذلك من الكتب وقد روى ابن المبارك عن سعيد بن المسيّب ليس من يوم الا ويعرض على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم اعمال امّته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم واعمالهم فلذلك يشهد عليهم ويمثّل الزّائر وجهه الكريم عليه السّلام فى ذهنه ويحضر قلبه جلال رتبته وعلوّ منزلته وعظم حرمته وانّ اكابر الصّحابة رضي الله عنهم ما كانوا يخاطبونه الا كاخى السّرار تعظيما لما عظم الله من شانه وقد روى ابن النجار انّ امرأة سألت عائشة رضي الله عنها ان اكشفى لى عن قبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فكشفته فبكت حتى ماتت وحكي عن ابن الفضائل الحموى احد خدّام الحجرة المقدسة انه شاهد شخصا

من الزوار الشيوخ اتا باب مقصورة الحجرة الشريفة فطأطأ رأسه نحو العتبة
المركوم فاذا هو ميت وكان ممن شهد جنازته ثم يقول الزائر بحضور قلب وغض طرف
وصوت وسكون جوارح واطراق السلام عليك يا رسول الله السلام عليك
يا نبي الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا خيرة الله السلام
عليك يا صفوة الله السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين السلام
عليك يا قائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى اهل بيتك الطيبين الطاهرين
السلام عليك وعلى ازواجك الطاهرات امهات المؤمنين السلام عليك
وعلى اصحابك اجمعين السلام عليك وعلى سائر الانبياء وسائر عباد الله
الصالحين جزاك الله يا رسول الله افضل ما جزى نبيا ورسولا عن امته
وصلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون اشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد انك عبده ورسوله وامينه
وخيرته من خلقه واشهد انك قد بلغت الرسالة واديت الامانة ونصحت
الامة وجاهدت في الله حق جهاده ومن ضاق وقته على ذلك او عن حفظه
فليقل ما تيسر منه او مما يحصل به الغرض وفي التحفة ان ابن عمر وغيره من السلف
كانوا يقتصرون ويوجزون في هذا جدا فعن مالك بن انس امام دار الهجرة و
ناهيك به خبرة بهذا الشان من رواية وهب عنه يقول السلام عليك ايها
النبي ورحمة الله وبركاته وعن نافع عن ابن عمر انه كان اذا قدم من سفر دخل
المسجد ثم اتى القبر المقدس فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك
يا ابا بكر السلام عليك يا ابتاه وينبغي ان يدعو ولا يتكلف السجع فانه
قد يؤدي الى الاخلال بالخشوع وقد حكى جماعة منهم الامام ابو نصر بن
الصباغ في الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي واسمه محمد بن عبد الله بن عمرو بن
معاوية بن عمرو بن عتبة بن ابي سفيان صخر بن حرب وتوفي في سنة ثمان
وعشرين ومائتين وذكرها ابن النجار وابن عساكر وابن الجوزي في مثير الغرام
الساكن عن محمد بن حرب الهلالي قال اتيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فزرته
وجلست بحذائه فجاء اعرابي فزاره ثم قال يا خيرة الرسل ان الله قد انزل
عليك كتابا صادقا فيه ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا
الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئتك
مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك الى ربي وانشأ يقول

يا خير من دفنت بالقاع اعظمه	فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسي الفداء لقبر انت ساكنه	فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ووقف اعرابي على قبره الشريف وقال اللهم انك امرت بعتق العبيد وهذا
حبيبك وانا عبدك فاعتقني من النار على قبر حبيبك فهتف به هاتف يا هذا
تسأل العتق لك وحدك هلا سألت لجميع خلقك اذهب فقد اعتقناك من النار

ان الملوك اذا شابت عبيدهم	في رقهم عتقوهم عتق ابرار
وانت يا سيدي اولى بذا كرما	قد شبت في الرق فاعتقني من النار

وعن الحسن البصري رضي الله تعالى عنه قال وقف حاتم الاصم على قبره صلى الله عليه
وسلم فقال يا رب انا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين فنودي يا هذا
ما اذنا لك في زيارة قبر نبينا الا وقد قبلناك فارجع انت ومن معك من
الزوار مغفورا لكم وقال ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول
بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية
ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما وقال صلى الله عليك وسلم يا محمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك
صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة قال الشيخ زين الدين المراغي
والاولى ان ينادي يا رسول الله وان كان الرواية يا محمد انتهى وقد
نبهت على ذلك مع مزيد بيان في كتاب لوامع الانوار في الادعية والاذكار
فان اوصاه احد بابلاغ السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فليقل السلام
عليك يا رسول الله من فلان ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على ابي
بكر رضي الله عنه لان رأسه بحذاء منكب رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ما جزم به رزين وغيره وعليه الاكثر فيقول السلام عليك
يا خليفة سيد المرسلين السلام عليك يا من ايد الله بك يوم الردة الدين
جزاك الله عن الاسلام والمسلمين خيرا اللهم ارض عنه وارض عنا به
ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فيقول السلام عليك يا امير المؤمنين السلام عليك يا من ايد الله به الدين
جزاك الله عن الاسلام والمسلمين خيرا اللهم ارض عنه وارض عنا
به ثم يرجع الى موقفه الاول قبالة وجه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد السلام على سيدنا ابي بكر وعمر فيحمد الله تعالى ويمجده ويصلي على النبي
صلى الله عليه وسلم ويكثر الدعاء والتضرع ويجدد التوبة في حضرته الكريمة
ويسأل الله تعالى بجاهه ان يجعلها توبة نصوحا ويكثر من الصلوة والسلام

على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرته الشريفة حين يسمعه ويرد عليه
وقد روى ابو داود من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ما
من مسلم يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وعند ابن
ابي شيبة من حديث ابي هريرة مرفوعا من صلى علي عند قبري سمعته ومن
صلى علي غائبا بلغته وعن سليمان بن سحيم مما ذكره القاضي عياض في الشفاء
قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله ان هؤلاء
الذين يأتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم ولا شك
ان حياة الانبياء عليهم السلام ثابتة معلومة مستمرة ونبينا صلى الله عليه
وسلم افضلهم واذا كان كذلك فينبغي ان تكون حياته صلى الله عليه وسلم اكمل
واتم من حياة سائرهم فان قال سقيم الطبع ورديء الفهم لو كانت حياته صلى
الله عليه وسلم مستمرة ثابتة لما كان لرد روحه معنى كما قال الا رد الله علي
روحي يجاب عن ذلك من وجوه احدها ان هذا اعلام بثبوت وصف
الحياة دائما فوصف الحياة لازم لرد السلام اللازم واللازم يجب وجوده
عند ملزومه او ملزوم ملزومه فوصف الحياة ثابت دائما لان ملزوم
ملزومه ثابت دائما وهذا من نفاسات سحر البيان في اثبات المقصود باكمل
انواع البلاغة واكمل فنون البراعة التي هي قطرة من بحار بلاغته العظمى ومنها
ان ذلك عبارة عن اقبال خاص والتفات روحاني يحصل من الحضرة النبوية
الى عالم الدنيا وقوالب الاجساد الترابية وتنزل الى دائرة البشرية حتى يحصل
عند ذلك رد السلام وهذا الاقبال يكون عاما شاملا حتى لو كان المسلمون
في كل لمحة اكثر من الف الف لوسعهم ذلك الاقبال النبوي والالتفات
الروحاني ولقد رأيت من ذلك ما لا استطيع ان اعبر عنه ولقد احسن
من سئل كيف يرد النبي عليه السلام على من يسلم عليه في مشارق الارض و
مغاربها في آن واحد فانشد قول ابي الطيب

كالشمس في وسط السماء ونورها	يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

ولا ريب ان حاله صلى الله عليه وسلم في البرزخ افضل واكمل من حال
الملائكة هذا سيدنا عزرائيل عليه السلام يقبض مائة الف روح في وقت
واحد ولا يشغله قبض عن قبض وهو مع ذلك مشغول بعبادة الله تعالى مقبل
على التسبيح والتقديس فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حي يصلي ويعبد ربه
ويشاهده لا يزال في حضرة اقترابه متلذذ بسماع خطابه وقد تقدم الجواب

عن قوله

عن قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون في اواخر الخصائص من المقصد الرابع وقد
روى الدارمي عن سعيد بن عبد العزيز قال لما كان ايام الحرة لم يؤذن في
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد
وكان لا يعرف وقت الصلوة الا بهمهمة يسمعها من قبر النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر ابن النجار وابن زبالة بلفظ قال سعيد يعني بن المسيب فلما حضرت
الظهر سمعت الاذان في القبر فصليت ركعتين ثم سمعت الاقامة فصليت
الظهر ثم مضى ذلك الاذان والاقامة في القبر المقدس لكل صلاة حتى مضت
الثلاث ليال يعني ليالي ايام الحرة وقد روى البيهقي وغيره من حديث انس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الانبياء احياء في قبورهم يصلون
وفي رواية ان الانبياء لا يتركون في قبورهم بعد اربعين ليلة ولكنهم
يصلون بين يدي الله حتى ينفخ في الصور وله شواهد في الصحيح منها قوله
صلى الله عليه وسلم مررت بموسى وهو قائم يصلي في قبره وفي حديث ابي ذر
في قصة المعراج انه لقي الانبياء في السموات وكلموه وكلمهم وقد ذكرت مزيد بيان
لذلك في حجة الوداع من مقصد عباداته وفي ذكر الخصائص الكريمة في مقصد
معجزاته وفي مقصد الاسراء والمعراج وهذه الصلوات والحج الصادر من
الانبياء ليس على سبيل التكليف انما هو على سبيل التلذذ ويحتمل ان يكون في
البرزخ ينسحب عليهم حكم الدنيا في استكثارهم من الاعمال وزيادة الاجور
من غير خطاب بتكليف وبالله التوفيق واذا ثبت بشهادة قوله تعالى
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون
حياة الشهيد ثبت للنبي صلى الله عليه وسلم بطريق الاولى والذي عليه
جمهور العلماء ان الشهداء احياء حقيقة وهل ذلك للروح فقط او والجسد
معها بمعنى عدم البلى له فيه قولان وقد صح عن جابر ان اباه وعمرو بن
الجموح وكانا ممن استشهد باحد دفنا في قبر واحد حتى حفر السيل قبرهما
فوجدا لم يتغيرا وكان احدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو
كذلك فاميطت يده عن جرحه ثم ارسلت فرجعت كما كانت وكان بين
ذلك وبين احد ست واربعون وروى عنه عليه السلام انه قال في شهداء
احد والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيامة الا ردوا عليه رواه
البيهقي عن ابي هريرة وقد قال ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اكثروا من الصلوة علي في الليلة الغراء واليوم الازهر

فانهما يؤديان عنكم وانّ الارض لا تأكل اجساد الانبياء رواه ابو داود وابن ماجه ونقل ابن زبالة عن الحسن انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كلّمه روح القدس لم يؤذن للارض ان تأكل من لحمه وقد ثبت انّ نبينا مات شهيداً لاكله يوم خيبر من شاة مسمومة سمّا قاتلا من ساعته حتى مات منه بشر بن البراء وصار بقاؤه صلى الله عليه وسلم معجزة فكان به ألم السمّ يتعاهده الى ان مات به ولذا قال في مرض موته كما مرّ ما زالت اكلة خيبر تعاودني حتى كان الآن قطعت ابهري والابهران عرقان يخرجان من القلب ينشعب منهما الشرايين كما ذكر في الصحاح قال العلماء فجمع الله له بذلك بين النبوة والشهادة انتهى وقد اختلف في محل الوقوف للدعاء فعند الشافعية انه قبالة وجهه صلى الله عليه وسلم كما ذكرته وقال ابن فرحون من المالكية اختلف اصحابنا في محل الوقوف للدعاء ففي الشفاء قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلّم على النبي صلى الله عليه وسلم يقف للدعاء ووجهه الى القبر الشريف لا الى القبلة وقد سأل الخليفة المنصور مالكا فقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السلام الى يوم القيامة وقال مالك في المبسوط لا ارى ان يقف عند القبر يدعو ولكن يسلّم ويمضي قال ابن فرحون ولعل ذلك اختلاف قول وانما امر المنصور بذلك لانه يعلم ما يدعو ويعلم آداب الدعاء بين يديه صلى الله عليه وسلم فأمن عليه من سوء الادب فافتاه بذلك وافتى العامة ان يسلّموا وينصرفوا لئلا يدعو تلقاء وجهه الكريم ويتوسّلوا به في حضرته الى الله العظيم فيما لا ينبغي الدعاء به او فيما يكره او يحرم فمقاصد الناس وسرائرهم مختلفة واكثرهم لا يقوم بآداب الدعاء ولا يعرفها فلذا امرهم مالك بالسلام والانصراف انتهى ورأيت مما نسب للشيخ تقي الدين ابن تيمية في منسكه ولا يدعو هناك مستقبل الحجرة ولا يصلي اليها ولا يقبّلها فانّ هذا كلّه منهيّ عنه باتفاق الائمة ومالك من اعظم الائمة كراهية لذلك والحكاية المروية عنه انه امر المنصور ان يستقبل القبر وقت الدعاء كذب على مالك كذا قال فالله اعلم انتهى واما قول الابوصيري في بردة المديح • لا طيب يعدل تربا ضمّ اعظمه • طوبى لمنتشق منه وملتثم • فقال شارحها العلامة ابن مرزوق وغيره كانه اشارة الى

النوعين المستعملين في الطيب لانه اما ان يستعمل بالشمّ واليه اشار بقوله لمنتشق واما بالتضمّخ واليه اشار بقوله ملتثم قالوا واقلّ ذلك تعفير جبهته وانفه بتربته حال السجود في مسجده عليه السلام فليس المراد به تقبيل القبر الشريف فانه مكروه ونقل الزركشي عن السيرافي ان طوبى الطيب وكذا قال ابن مرزوق طوبى فعلى من الطيب وهذا مبني على انّ المراد انّ تربته افضل انواع الطيب باعتبار الحقيقة الحسّية وذلك اما لانه كذلك في نفس الامر ادركه من ادركه ام لا واما باعتقاد المؤمن في ذلك فانّ المؤمن لا يعدل شمّ رائحة تربته عليه الصلوة والسلام شيئا من الطيب **فان قلت** لو كان المراد الحقيقة الحسّية لادرك ذلك كل احد **فالجواب** لا يلزم من قيام المعنى بمحلّ ادراكه لكل احد بل حتى توجد الشرائط وتنتفي الموانع وعدم الادراك لا يدل على عدم المدرك وانتفاء الدليل لا يدل على انتفاء المدلول فالمزكوم لا يدرك رائحة المسك مع انّ الرائحة قائمة بالمسك لم تنتف ولما كانت احوال القبر من الامور الاخروية لاجرم لا يدركها من الاحياء الا من كشف الله له الغطاء من الاولياء المقرّبين لانّ متاع الآخرة باق ومن في الدنيا فان والفاني لا يتمتّع بالباقي للتضاد ولا ريب عند من له ادنى تعلق بشريعة الاسلام انّ قبره روضة من رياض الجنة بل افضلها واذا كان القبر كما ذكرناه وقد حوى جسمه الشريف عليه السلام الذي هو اطيب الطيب فلا مرية انه لا طيب يعدل تراب قبره المقدس ويرحم الله ابا العباس احمد بن محمد العريف حيث يقول في قصيدته التي اولها

اذا ما حدى الحادي بأجمال يثرب	بكتب المطايا فوق حدى يعبق
فما عبق الريحان الا وتربها	اجلّ من الريحان طيبا واعبق
واحت ركائبهم تبدي روائحها	طيبا فيا طيب ذاك الوفد اشباحا
نسيم قبر النبي المصطفى لهم	روض اذا نشروا من ذكره فاحا

ولله درّ القائل

فاح الصعيد بجسمه فكانه	روض نيم بعرفه المتأرج
ما جسمه مما يغيره الثرى	والروح منه كالصباح الابلج

وقال ابن بطال في قوله عليه السلام المدينة ينصع طيبها هو مثل ضربه للمؤمن المخلص الساكن فيها الصابر على لأوائها مع فراق الاهل والتزام المخافة من العدو فلما باع من الله والتزم هذا الامر بان صدقه ونصع ايمانه

وقوي لاغتباطه بسكنى المدينة وقربه من رسول الله مما ينضع ريح الطيب
فيها ويزيد عبقا على سائر البلاد خصوصية خص الله بها بلدة رسوله
عليه السلام الذي اختار تربتها لمباشرة جسده الطيب المطهر وقد جاء
في الحديث ان المرء من يقبر في التربة التي خلق منها فكانت بهذا تربة
المدينة افضل الترب كما انه هو عليه السلام افضل البشر فلهذا والله اعلم يتضاعف
ريح الطيب فيها على سائر البلدان انتهى وينبغي للزائر ان يكثر من الدعاء والتضرع
والاستغاثة والتشفع والتوسل به صلى الله عليه وسلم فجدير بمن استشفع به
ان يشفعه الله تعالى واعلم ان الاستغاثة هي طلب الغوث فالمستغيث يطلب
من المستغاث به ان يحصل له الغوث منه فلا فرق بين ان يعبر بلفظ الاستغاثة
او التوسل او التشفع او التجوه او التوجه لانهما من الجاه والوجاهة و
معناه علو القدر والمنزلة وقد يتوسل بصاحب الجاه الى من هو اعلى منه
ثم ان كلا من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه بالنبي صلى الله عليه
وسلم كما ذكره في تحقيق النصرة ومصباح الظلام واقع في كل حال قبل خلقه
وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث
في عرصات القيامة فاما الحالة الاولى فحسبك ما قدمته في المقصد الاول
من استشفاع آدم عليه السلام به لما اخرج من الجنة وقول الله تعالى له يا آدم
لو تشفعت الينا بمحمد في اهل السموات والارض لشفعناك وفي حديث عمر بن
الخطاب عند الحاكم والبيهقي وغيرهما واذ سألتني بحقه غفرت لك ويرحم الله

ابن جابر حيث قال

به قد اجاب الله آدم اذ دعى	ونجي في بطن السفينة نوح
وما ضرت النار الخليل لنوره	ومن اجله نال الفداء ذبيح

واما التوسل به بعد خلقه في مدة حياته فمن ذلك الاستغاثة به عليه السلام
عند القحط وعدم الامطار وكذلك الاستغاثة من الجوع ونحو ذلك مما ذكرته
في مقصد المعجزات ومقصد العبادات في الاستسقاء ومن ذلك استغاثة ذوي
العاهات به وحسبك ما رواه النسائي والترمذي عن عثمان بن حنيف ان
رجلا ضريرا اتاه صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله ان يعافيني قال
فامره ان يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم اني اسألك
واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك في حاجتي
لتقضى اللهم شفعه في وصححه البيهقي وزاد فقام وقد ابصر واما التوسل

به صلى

به صلى الله عليه وسلم بعد موته في البرزخ فهو اكثر من ان يحصى او يدرك
باستقصاء وفي كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام للشيخ
ابي عبد الله بن النعمان طرف من ذلك ولقد كان حصل لي داء اعيى دواءه الاطباء
واقمت به سنين فاستغثت به صلى الله عليه وسلم ليلة الثامن والعشرين
من جمادى الاولى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بمكة زادها شرفا ومن
علي بالعود اليها في عافية بلا محنة فبينا انا نائم اذا رجل معه قرطاس يكتب
فيه هذا دواء لداء احمد بن القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الاذن
الشريف النبوي ثم استيقظت فلم اجد بي والله شيئا مما كنت اجده وحصل
الشفاء ببركة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم ووقع لي ايضا في سنة
خمس وثمانين وثمانمائة في طريق مكة بعد رجوعي من الزيارة الشريفة
لقصد مصر اذ صرعت خادمتنا غزال الحبشية واستمر بها اياما فاستشفعت
به صلى الله عليه وسلم في ذلك فاتاني آت في منامي ومعه الجني الصادع لها فقال
لقد ارسله لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاتبته وحلفته ان لا يعود
اليها ثم استيقظت وليس بها قلبة كانما نشطت من عقال ولا زالت في عافية
من ذلك حتى فارقتها بمكة في سنة اربع وتسعين وثمانمائة والحمد لله رب
العالمين واما التوسل به صلى الله عليه وسلم في عرصات القيمة فمما قام عليه
الاجماع وتواترت به الاخبار في حديث الشفاعة فعليك ايها الطالب ادراك
السعادة المؤمل لحسن الحال في حضرة الغيب والشهادة بالتعلق باذيال عطفه
وكرمه والتطفل على موائد نعمه والتوسل بجاهه الشريف والتشفع بقدره
المنيف فهو الوسيلة الى نيل المعالي واقتناص المرام والمفزع يوم الجزع والهلع
لكافة الرسل الكرام واجعله امامك فيما نزل بك من النوازل وامامك
فيما تحاول من القرب والمنازل فانك تظفر من المراد باقصاه وتدرك رضى
من احاط بكل شيء علما واحصاه واجتهد ما دمت بطيبة الطيبة حسب
طاقتك في تحصيل انواع القربات ولازم قرع ابواب السعادات باظافير
الطلبات وارق في معارج العبادات ولج في سرادق المرادات

تمتع ان ظفرت بنيل قرب	وحصل ما استطعت من ادخار
فها انا قد ابحت لكم عطائي	وها قد صرت عندي في جواري
فخذ ما شئت من كرم وجود	ونل ما شئت من نعم غزار
فقد وسعت ابواب التداني	وقد قربت للزوار داري

ثم حصل الشفاء ببركة النبي صلى الله عليه وسلم

تجلو للقلوب بلا استتار	فتثنو ناظريك فيها جمالي

ولازم الصلوات مكتوبة ونافلة في مسجده المكرم خصوصا في الروضة
التي ثبت انها روضة من رياض الجنة كما رواه البخاري قال ابن ابي جمرة معناه
تنقل تلك البقعة بعينها في الجنة فتكون روضة من رياض الجنة ويحتمل
ان يكون المراد ان العمل فيها يوجب لصاحبه روضة في الجنة قال والاظهر
الجمع بين الوجهين معا يعني احتمال كونها تنقل الى الجنة وكون العمل فيها
يوجب لصاحبه روضة في الجنة قال ولكل وجه منهما دليل يعضده ويقويه
من جهة الدليل والقياس اما الدليل على ان العمل فيها يوجب روضة في الجنة
فلانه اذا كانت الصلاة في مسجده عليه السلام بالف فيما سواه من المساجد
فلهذه البقعة زيادة على باقي البقع كما كان للمسجد زيادة على غيره واما الدليل على كونها بعينها
في الجنة وكون المنبر ايضا على الحوض كما اخبر عليه السلام فان الجذع في الجنة
والجذع في البقعة نفسها فالعلة التي اوجبت للجذع الجنة هي في البقعة سواء
على ما اذكره بعد ان شاء الله تعالى والذي خبر بهذا اخبر بهذا فينبغي الحمل
على اكمل الوجوه وهو الجمع بينهما لانه قد تقرر من قواعد الشرع ان البقع المباركة
ما فائدة بركتها لنا والاخبار بها لنا الا لتعمرها بالطاعات فان الثواب فيها اكثر
وكذلك الايام المباركة ايضا فعلى هذا يكون الموضع روضة من رياض الجنة
الآن ويعود روضة كما كان في موضعه ويكون للعامل بالعمل فيه روضة في
الجنة وهو الاظهر لوجهين احدهما لعلو منزلته عليه السلام وكما خص
للخليل عليه السلام بالحجر من الجنة خص الحبيب عليه الصلوة والسلام
بالروضة من الجنة **وهنا بحث** لم جعلت هذه البقعة من بين سائر البقع
روضة من رياض الجنة فان قلنا تعبد فلا بحث وان قلنا لحكمة فحينئذ يحتاج
الى البحث والاظهر انها لحكمة وهي انه قد سبق في العلم الرباني بما ظهر ان
الله عز وجل فضله على جميع خلقه وان كل ما كان منه بنسبة ما من جميع المخلوقات
يكون له تفضيل على جنسه كما استقرئ في كل اموره من بدئ ظهوره عليه السلام
الى حين وفاته في الجاهلية والاسلام فمنها ما كان من شأن امه وما نالها
من بركته مع الجاهلية الجهلاء حسب ما هو مذكور معلوم ومثل ذلك حليمة
السعدية وحتى الاتان وحتى البقعة التي تجعل الاتان يدها عليها تخضر
من حينها وما هو من ذلك كله معلوم وكان مشيه عليه السلام حيث ما مشى
ظهرت البركات مع ذلك كله وحيث وضع يده عليه السلام المباركة ظهر في ذلك

كله من الخيرات والبركات حسا ومعنى كما هو منقول معروف **ولما** شاءت
القدرة انه عليه السلام لابد له من بيت ولابد له من منبر وانه بالضرورة
يكثر تردده عليه السلام بين المنبر والبيت فالطرقة التي اعطي اذا كان
من مشية واحدة بمباشرة او بواسطة حيوان او غيره تظهر البركة والخير
فكيف مع كثرة ترداده عليه السلام في البقعة الواحدة مرارا في اليوم
الواحد طول عمره من وقت هجرته الى حين وفاته فلم يبق لها من الترفيع بالنسبة
الى عاملها اعلى مما وصفنا وهو انها كانت من الجنة وتعود اليها وهي الآن منها
وللعامل فيها مثلها فلو كانت مرتبة يمكن ان تكون ارفع من هذه في هذه الدار لكانت
لهذه اعلى مرتبة مما ذكرنا في جنسها فان احتج محتج لا فهم له بان يقول ينبغي ان
يكون ذلك للمدينة بكمالها لانه عليه السلام كان يطؤها بقدمه مرارا
فالجواب انه قد حصل للمدينة تفضيل لم يحصل لغيرها من ذلك ان ترابها شفاء
كما اخبر عليه السلام مع ما شاركت فيه البقعة المكرمة من منعها من الدجال و
تلك الفتن العظام وانه صلى الله عليه وسلم اول ما يشفع لاهلها يوم القيمة وان ما
كان فيها من الوباء والحمى رفع عنها وانه بورك في طعامها وشرابها واشياء كثيرة
فكان التفضيل لها بنسبة ما اشرنا اليه اولا بان تردده عليه السلام في المسجد نفسه
اكثر مما في المدينة نفسها وتردده عليه السلام فيما بين المنبر والبيت اكثر مما سواه
من سائر المسجد فالبحث تأكد بالاعتراض لانه جاءت البركة متناسبة لتكرار تلك
الخطوات المباركة والقرب من تلك القسمة المرتفعة لا خفاء فيه الا على ملحد
اعمى البصيرة فالمدينة ارفع المدن والمسجد ارفع المساجد والبقعة ارفع البقع
قضية معلومة وحجة ظاهرة موجودة انتهى **وقال** الخطابي المراد من هذا
الحديث الترغيب في سكنى المدينة وان من لازم ذكر الله في مسجدها آل به الى
روضة الجنة وسقي يوم القيامة من الحوض انتهى وتقدم في الخصائص من
مقصد المعجزات مزيد لذلك وعند مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلوة
فيما سواه الا المسجد الحرام **وقد** اختلف العلماء في المراد بهذا الاستثناء
على حسب اختلافهم في مكة والمدينة ايهما افضل فذهب سفيان بن عيينة
والشافعي واحمد في اصح الروايتين عنه وابن وهب ومطرف وابن حبيب
الثلاثة من المالكية وحكاه الباجي عن عطاء بن ابي رباح والمكيين و
الكوفيين وحكاه ابن عبد البر عن عمر وعلي وابن مسعود وابي الدرداء وجابر

وابن الزبير وقتاده وجماهير العلماء ان مكة افضل من المدينة وان مسجد مكة
افضل من مسجد المدينة لان الامكنة تتشرف بفضل العبادة فيها على غيرها مما
تكون العبادة فيها مرجوحة وقد حكى ابن عبد البر انه روى عن مالك ما يدل
ان مكة افضل الارض كلها قال ولكن المشهور عن اصحابه في مذهبه تفضيل المدينة
انتهى وقال مالك المدينة ومسجدها افضل ومما احتج به اصحابنا تفضيل مكة
حديث عبد الله بن الحمراء انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف
على راحلته يقول والله انك لخير ارض الله واحبها الى الله ولولا اني اخرجت
منك ما خرجت قال الترمذي حسن صحيح وقال ابن عبد البر هذا اصح الآثار
عنه صلى الله عليه وسلم قال وهذا قاطع في محل الخلاف انتهى فعند الشافعي
والجمهور معناه اي الحديث الا المسجد الحرام فان الصلوة فيه افضل من الصلوة في
مسجدي وعند مالك ومن وافقه الا المسجد الحرام فان الصلوة في مسجدي تفضله
بدون الالف وعن عبد الله بن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام
وصلاة في المسجد الحرام افضل من مائة صلاة في هذا رواه احمد وابن خزيمه
وابن حبان في صحيحه وزاد يعني في مسجد المدينة والبزار ولفظه صلاة في
مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام فانه يزيد عليه مائة
قال المنذري واسناده صحيح ومما يستدل به المالكية ما ذكر ابن حبيب في الواضحة
انه صلى الله عليه وسلم قال الصلاة في مسجدي كالف صلاة فيما سواه وجمعة في
مسجدي كالف جمعة في ما سواه ورمضان في مسجدي كالف رمضان فيما سواه و
مذهب عمر بن الخطاب وبعض الصحابة واكثر المدنيين كما قاله القاضي عياض
ان المدينة افضل وهو احد الروايتين عن احمد واجمعوا على ان الموضع الذي ضم
اعضاءه الشريفة صلى الله عليه وسلم افضل بقاع الارض حتى موضع الكعبة كما
قاله ابن عساكر والباجي والقاضي عياض بل نقل التاج السبكي كما ذكره السيد السمهودي
في فضائل المدينة عن ابن عقيل الحنبلي انها افضل من العرش وصرح الفاكهاني
في تفضيلها على السموات ولفظه وانا اقول انا وافضل من بقاع السموات ايضا
قال ولم ار من تعرض لذلك والذي اعتقده لو ان ذلك عرض على علماء الامة
لم يختلفوا فيه وقد جاء ان السموات شرفت بمواطئ قدميه بل لو قال قائل لو ان
جميع بقاع الارض افضل من جميع بقاع السماء لشرفها بكونه صلى الله عليه وسلم
حالا فيها لم يبعد بل هو عندي الظاهر المتعين انتهى وحكاه بعضهم عن الاكثرين

وقد يقال انه ليس قاطعا لانه يحتمل الاستثناء

لخلق الانبياء منها ودفنهم فيها لكن قال النووي الجمهور على تفضيل السماء على
الارض اي ما عدا ما ضم الاعضاء الشريفة وقد استشكل ما ذكر من الاجماع
على افضلية ما ضم اعضاءه الشريفة على جميع بقاع الارض ويؤيده ما قاله
الشيخ عز الدين بن عبد السلام في تفضيل بعض الاماكن على بعض من ان الاماكن
والازمان كلها متساوية ويفضلان بما يقع فيهما لا بصفات قائمة بهما قال
ويرجع تفضيلهما الى ما ينيل العباد منهما من فضله وكرمه والتفضيل الذي فيهما
ان الله يجود على عباده بتفضيل اجر العاملين انتهى ملخصا لكن تعقبه الشيخ
تقي الدين السبكي بما حاصله ان الذي قاله لا ينفي ان يكون التفضيل لامر آخر
فيهما وان لم يكن عمل لان قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يتنزل عليه من الرحمة
والرضوان والملائكة وله عند الله من المحبة ولساكنه ما تقصر العقول عن ادراكه
وليس ذلك لمكان غيره فكيف لا يكون افضل وليس محل عمل لنا لانه ليس مسجدا
ولا له حكم المسجد بل هو مستحق للنبي صلى الله عليه وسلم وايضا فقد تكون
الاعمال مضاعفة فيه باعتبار ان النبي صلى الله عليه وسلم حي كما تقرر وان
اعماله مضاعفة اكثر من كل احد فلا يختص التضعيف باعمالنا نحن قال ومن
فهم هذا انشرح صدره لما قاله القاضي من تفضيل ما ضم اعضاءه الشريفة
صلى الله عليه وسلم باعتبارين احدهما ما قيل ان كل احد يدفن في الموضع الذي
خلق منه والثاني تنزل الرحمة والبركات عليه واقبال الله تعالى ولا نسلم
ان الفضل للمكان لذاته ولكن لاجل من حل فيه صلى الله عليه وسلم انتهى وقد
روى ابو يعلى عن ابي بكر انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبض
نبي الا في احب الامكنة اليه ولا شك ان احبها اليه احبها الى ربه تعالى لان
حبه تابع لحب ربه جل وعلا وما كان احب الى الله ورسوله فكيف لا يكون افضل
وقد قال عليه السلام اللهم ان ابراهيم قد دعاك لمكة واني ادعوك للمدينة بمثل
ما دعاك ابراهيم لمكة ومثله معه ولا ريب ان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم
افضل من دعاء ابراهيم لان فضل الدعاء على قدر فضل الداعي وصح انه صلى الله
عليه وسلم قال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد وفي رواية بل اشد
وقد اجيبت دعوته حتى كان يحرك دابته اذا رآها من حبها وروى الحاكم انه
صلى الله عليه وسلم قال اللهم انك اخرجتني من احب البقاع الي فاسكني في
احب البقاع اليك اي في موضع تصيره كذلك فيجتمع فيه الحبان قيل ضعفه ابن
عبد البر ولو سلمت صحته فالمراد احب اليك بعد مكة لحديث ان مكة خير بلاد

الله وفى رواية احب ارض الله الى الله ولزيادة التضعيف بمسجد مكة
وتعقبه العلامة السيد السمهودى بان ما ذكر لا يقتضى صرفه عن ظاهره اذ
القصد به الدعاء لدار هجرته بان يصيرها الله كذلك وحديث ان مكة خير بلاد
الله محمول على بدء الامر قبل ثبوت الفضل للمدينة واظهار الدين وافتتاح
البلاد منها حتى مكة فقد انالها وانال بها ما لم يكن لغيرها من البلاد فظهر
اجابة دعوته وصيرورتها احب مطلقا بعد ولهذا افترض الله تعالى على
نبيه صلى الله عليه وسلم الاقامة بها وحث هو صلى الله عليه وسلم على
الاقتداء به فى سكناها والموت بها فكيف لا تكون افضل قال والمرتب
المضاعفة فاسباب التفضيل لا تنحصر فى ذلك فالصلوات الخمس بمنى للمتوجه
لعرفة افضل منها بمسجد مكة وان انتفت عنها المضاعفة اذ فى الاتباع ما يربو
عليها ومذهبنا شمول المضاعفة للنفل مع تفضيله بالمنزل ولهذا قال عمر رضي
الله عنه بمزيد المضاعفة بمسجد مكة مع قوله بتفضيل المدينة ولم يصب من اخذ
من قوله بمزيد المضاعفة بتفضيل مكة اذ غايته ان للمفضول مزية ليست للفاضل
مع ان دعاءه صلى الله عليه وسلم بمزيد تضعيف البركة بالمدينة على مكة شامل
للامور الدينية ايضا وقد يبارك فى العدد القليل فيربو نفعه على الكثير ولهذا
استدل به على تفضيل المدينة وان اريد من حيث المضاعفة الكعبية فقط فالجواب
ان الكلام فيما عداها فلو يرد شيء مما جاء فى فضلها ولا اما بمكة من مواضع النسك
لتعلقه بها ولذا قال عمر رضي الله عنه لعبد الله المخزومي انت القائل لمكة
خير من المدينة فقال عبد الله هي حرم الله وامنه وفيها بيته فقال عمر
لا اقول فى حرم الله وبيته شيئا ثم كرر عمر قوله الاول فاعاد جوابه
فاعاد له لا اقول فى حرم الله وبيته شيئا فاشير الى عبد الله فانصرف
وقد عوضت المدينة عن العمرة ما صح فى اتيان مسجد قبا وعن الحج ما جاء
فى فضل الزيارة والمسجد والاقامة بعد النبوة بالمدينة وان كانت اقل
من مكة على القول به فقد كانت سببا لاعزاز الدين واظهاره ونزول اكثر
الفرائض واكمال الدين حتى كثر تردد جبريل عليه السلام بها ثم استقر
بها صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة ولهذا قيل لمالك ايما احب اليك
المقام هنا يعنى المدينة ام مكة فقال ههنا وكيف لا اختار المدينة وما بها طريق
الا سلك عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل ينزل عليه من عند
رب العالمين فى اقل من ساعة وروى الطبرانى حديث المدينة خير من مكة

وفى رواية للجندى افضل من مكة وفيه محمد بن عبد الرحمن الرداد ذكره
ابن حبان فى الثقات وقال كان يخطئ وقال ابو زرعة لين وقال ابن عدى رواياته
ليست محفوظة وقال ابو حاتم ليس بقوي وفى الصحيحين عن ابى هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت بقرية تاكل القرى يقولون يثرب
وهى المدينة تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد اى امرني الله بالهجرة اليها ان
كان قاله عليه السلام بمكة او بسكناها ان كان قاله بالمدينة وقال القاضى
عبد الوهاب لا معنى لقوله تاكل القرى الا رجوح فضلها عليها اى على القرى
وزيادتها على غيرها وقال ابن المنير يحتمل ان يكون المراد بذلك غلبة فضلها على
فضل غيرها اى ان الفضائل تضمحل فى جنب عظيم فضلها حتى تكون عدما و
هذا ابلغ من تسمية مكة ام القرى لان الامومة لا تمحى معها ما هي له ام
لكن يكون لها حق الامومة انتهى ويحتمل ان يكون المراد غلبة اهلها على القرى
والاقرب حمله عليهما اذ هو ابلغ فى الغرض المسوق له انتهى ما قاله السيد
السمهودى وقد اطلت فى الاحتجاج لتفضيل المدينة على مكة وان كان مذهب
امامنا الشافعى رحمه الله تفضيل مكة لان هوى كل نفس اين حل حبيبها

على بربع العامرية وقفة	يملى على الشوق والدمع كاتب
ومن مذهبى حب الديار لاهلها	وللناس فيما يعشقون مذاهب

على ان للقلم فى ارجاء تفضيل المدينة مجالا واسعا ومقالا جامعا لكن الرغبة فى
الاختصار تطوى اطراف بساطه والرهبة فى الاكثار تصدف عن تطويله وافراطه
وقد استنبط العارف ابن ابى جمرة من قوله عليه السلام المروي فى البخارى ليس من
بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة والمدينة التساوي بين فضل مكة والمدينة قال
وظاهر هذا الحديث يعطى التسوية بينهما فى الفضل لان جميع الارض يطؤها الدجال
الا هذين البلدين فدل على تسويتهما فى الفضل قال ويؤكد ذلك ايضا من وجوه
النظر لانه ان كان خصت المدينة بمدفنه عليه السلام واقامته بها ومسجده
فقد خصت مكة بمسقطه عليه السلام بها ومبعثه منها وهي قبلته فمطلع الشمس ذاته
الكريمة المباركة مكة ومغربها المدينة واقامته بعد النبوة على المشهور لم تزل
بمكة مثل اقامته عليه السلام بالمدينة عشر سنين فى كل واحدة منهما كذا قاله
وانت اذا تاملت قوله عليه السلام فيما رواه مسلم من حديث سعد ياتى على الناس
زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم الى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون
والذى نفسى بيده لا يخرج احد رغبة عنها الا اخلف الله فيها خيرا منه ظهر

لك ان فيه استعارا بذم الخروج من المدينة بل نقل الشيخ محب الدين الطبري عن
قوم انه عام ابدا مطلقا وقال انه ظاهر اللفظ وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يصبر على لاوا المدينة وشدتها احد
من امتي الا كنت له شفيعا يوم القيمة او شهيدا وفيه عن سعيد مولى المهري
انه جاء الى سعيد الخدري ليالي الحرة فاستشاره في الجلاء من المدينة وشكا اليه
اسعارها وكثرة عياله واخبره انه لا صبر له على جهد المدينة ولاوائها فقال ويحك
لا آمرك بذلك اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يصبر احد على
لاوائها الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيمة واللاواء بالمد الشدة والجوع و
او في قوله الا كنت له شفيعا او شهيدا الاظهر انها ليست للشك لان هذا
الحديث رواه جابر بن عبد الله وسعد بن ابي وقاص وابن عمر وابو سعيد وابو
هريرة واسماء بنت عميس وصفية بنت ابي عبيد عنه صلى الله عليه وسلم
بهذا اللفظ ويبعد اتفاق جميعهم او رواتهم على الشك وتطابقهم فيه على
صيغة واحدة بل الاظهر انه قاله عليه السلام وتكون او للتقسيم ويكون
شفيعا لبعض اهل المدينة وشهيدا لباقيهم اما شفيعا للعاصين وشهيدا للمطيعين
واما شهيدا لمن مات في حياته وشفيعا لمن مات بعده او غير ذلك وهذه خصوصية
زائدة على الشفاعة للمذنبين او للعالمين في القيامة على شهادته على جميع الامم
فيكون لتخصيصهم بهذا كله علو مرتبة وزيادة منزلة وحظوة واذا قلنا
او للشك فان كانت اللفظة الصحيحة شهيدا اندفع الاعتراض لانها زائدة على
الشفاعة المدخرة لغيرهم وان كانت اللفظة الصحيحة شفيعا فاختصاص اهل
المدينة بهذا مع ما جاء من عمومها وادخارها لجميع الامة ان هذه شفاعة
اخرى غير العامة ويكون هذه الشفاعة لاهل المدينة بزيادة الدرجات او
تخفيف الحساب او بما شاء الله من ذلك او باكرامهم يوم القيامة بانواع الكرامات
لكونهم على منابر او في ظل العرش والاسراع بهم الى الجنة او غير ذلك من خصوص
الكرامات كيف لا تحتمل المشقات من تحبا وتمتع بسيد اهل الارض والسموات و
ينال ما وعد به من جزيل المثوبات وجسيم الهبات وانجاز وعد الصادق بشفاعته
وشهادته وبلوغ قصده في المحيا والممات وكم عسى تكون شدة المدينة ولاوائها
والى متى تستمر مشقتها وبلواها لو تاملت يا هذا لوجدت في البلاد ما هو في
الشدة وشغف العيش مثلها او اشق منها واهلها مقيمون فيها وربما يوجد
فيهم من هو قادر على الانتقال فلا ينتقل وقوي على الرحلة فلا يرتحل ويوثر

وطن

وطنه مع امكان الارتحال والقدرة على الانتقال على ان المدينة مع شغف العيش
بها في غالب الاحيان قد وسع الله فيها على بعض السكان حتى من اصحابنا من غير
اهلها ممن استوطنها وحسن فيها حاله وتنعم بها بالٓه دون سائر البلاد
فان من الله على المرء بمثل ذلك هنالك والا فالصبر للمؤمن اولى فمن وفقه
الله تعالى صبره في اقامته بها ولو على احر من الجمر فيتجرع مرارة غصتها ويجلى
عروس منصتها ويلقى نزرا من لاوائها يوقى بذلك من مصائب الدنيا وبلاياها
وقد روى البخاري من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الايمان ليارز الى المدينة كما تارز الحية الى جحرها اي تنقبض وتنضم و
تلتجي مع انها اصل في انتشاره فكل مؤمن له من نفسه سائق اليها في جميع الازمان
فحبه في ساكنها صلى الله عليه وسلم فاكرم بسكانها ولو قيل في بعضهم ما قيل
فقد حظوا بشرف المجاورة بهذا الحبيب الجليل فقد ثبت لهم حق الجوار وان
عظمت اساءتهم فلا يسلب عنهم اسم الجار وقد عمم عليه الصلوة والسلام
في قوله ما زال جبريل يوصيني بالجار ولم يخص جارا دون جار وكل ما احتج
به يحتج ومن رمى بعض عوامهم السنية بالابتداع وترك الاتباع فانه اذا
ثبت ذلك في شخص منهم فلا يترك اكرامه ولا ينقص احترامه فانه لا يخرج
عن حكم الجار ولو لا يزول شرف مساكنته في الدار كيف دار بل يرجى ان
يختم له بالحسنى ويمنح بهذا القرب الصوري قرب المعنى

فيا ساكني اكناف طيبة كلكم ... الى القلب من اجل الحبيب حبيب

ولله در ابن جابر حيث قال

هنيئا لكم يا اهل طيبة قد حقا ... فبالقرب من خير البرية حذتم السبقا
فلا يتحرك ساكن منكم الى ... سواها وان جار الزمان ولو شقا
فكم ملك رام الوصول لمثل ما ... وصلتم فلم يقدر ولو ملك الخلقا
فبشراكم نلتم عناية ربكم ... فها انتم في بحر نعمته غرقا
ترون رسول الله في كل ساعة ... ومن يره فهو السعيد به حقا
متى جئتم لا يغلق الباب دونكم ... وباب ذوي الاحسان لا يقبل الغلقا
فيسمع دعواكم ويكشف ضركم ... ولا يمنع الاحسان حرا ولا رقا
بطيبة مثواكم واكرم مرسل ... يلاحظكم فالدهر يجري لكم وفقا
فكم نعمة لله فيها عليكم ... فشكرا ونعم الله بالشكر تستبقا
امنتم من الرجال فيها لحولها ... ملائكة يحمون من دونها الطرقا

كذاك من الطاعون انتم بمأمن … فوجه الليالى لا يزال لكم طلقا
فلا تنظروا الا لوجه حبيبكم … وان جاءت الدنيا ومرت فلا فرقا
حياة وموتا تحت رحماه انتم … وحشرا فستر الجاه فوقكم ملقا
فيا راحلا عنها لدنيا يريدها … اتطلب ما يفنى وتترك ما يبقى
اتخرج عن حوز النبي وحرزه … الى غيره تسفيه مثلك قد حقا
لئن سرت تبغى من كريم اعانة … فاكرم من خير البرية ما تلقا
هو الرزق مقسوم فليس بزائد … ولو سرت حتى كدت تخترق الافقا
فكم قاعد قد وسع الله رزقه … ومرتحل قد ضاق بين الورى رزقا
نعش فى حما خير الانام وموتة … اذا كنت فى الدارين تطلبان ترقا
اذا قمت فيما بين قبر ومنبر … بطيبة فاعرف اين منزلك الارقا
لقد اسعد الرحمن جار محمد … ومن جار فى ترحاله فهو لا اشقا

وقد روى الترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استطاع منكم ان يموت فى المدينة فليمت بها فانى اشفع لمن يموت بها ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث شبيعة الاسلمية وفى البخارى من حديث ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة المسيح الدجال ولا الطاعون وفيه عن ابى بكر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة ابواب على كل باب ملكا قال فى فتح البارى وقد استشكل عدم دخول الطاعون المدينة مع كونه شهادة فكيف قرن بالدجال ومدحت المدينة بعدم دخولهما واجيب بان كون الطاعون شهادة ليس المراد بوصفه بذلك ذاته وانما المراد ان ذلك يترتب عليه وينشأ عنه لكونه سببه فاذا استحضر ما تقدم فى المقصد الثامن من انه طعن الجن حسن مدح المدينة بعدم دخوله اياها فان فيه اشارة الى ان كفار الجن وشياطينهم ممنوعون من دخول المدينة ومن اتفق دخوله فيها لا يتمكن من طعن احد منهم وقد اجاب القرطبى فى المفهم عن ذلك فقال المعنى لا يدخلها من الطاعون مثل الذى وقع فى غيرها كطاعون عمواس والجارف وهذا الذى قاله يقتضى انه دخلها فى الجملة وليس كذلك فقد جزم ابن قتيبة فى المعارف وتبعه جمع منهم الشيخ محيى الدين النووى فى الاذكار بان الطاعون لم يدخل المدينة

اصلا ولا مكة ايضا لكن نقل جماعة انه دخل مكة فى الطاعون العام الذى كان فى سنة تسع واربعين وسبعمائة بخلاف المدينة فلم يذكر احد انه وقع بها الطاعون اصلا واجاب بعضهم بانه عليه السلام عوضهم عن الطاعون بالحمى لان الطاعون يأتى مرة بعد مرة والحمى تتكرر فى كل حين فيتعادلان فى الاجر ويتم المراد من عدم دخول الطاعون قال الحافظ ابن حجر ويظهر لى جواب آخر بعد استحضار الذى اخرجه احمد من رواية ابى عسيب بمهملتين آخره موحدة بوزن عظيم رفعه اتانى جبريل بالحمى والطاعون فامسكت الحمى بالمدينة وارسلت الطاعون الى الشام وهو ان الحكمة فى ذلك انه صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة كان فى قلة من اصحابه عددا ومددا وكانت المدينة وبئة كما فى حديث عائشة ثم خير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرين يحصل بكل منهما الاجر الجزيل فاختار الحمى حينئذ لقلة الموت بها غالبا بخلاف الطاعون ثم لما احتاج الى جهاد الكفار واذن له فى القتال كانت قضية استمرار الحمى بالمدينة تضعف اجساد الذين يحتاجون الى التقوية لاجل الجهاد فدعا بنقل الحمى من المدينة الى الجحفة فعادت المدينة اصح بلاد الله بعد ان كانت بخلاف ذلك ثم كانوا من حينئذ من فاتته الشهادة بالطاعون ربما حصلت له بالقتل فى سبيل الله ومن فاته ذلك حصلت له بالحمى التى هى حظ المؤمن من النار ثم استمر ذلك بالمدينة تمييزا لها عن غيرها لتحقق اجابة دعوته فظهور هذه المعجزة العظيمة بتصديق خبره فى هذه المدة المتطاولة فكان منع دخول الطاعون من خصائصها ولوازم دعائه صلى الله عليه وسلم بالصحة وقال بعضهم هذا من المعجزات المحمدية لان الاطباء من اولهم الى آخرهم عجزوا ان يدفعوا الطاعون عن بلد بل عن قرية وقد امتنع الطاعون عن المدينة هذه الدهور الطويلة انتهى ملخصا والله اعلم ومن خصائص المدينة ان غبارها شفاء من الجذام والبرص بل من كل داء كما رواه رزين العبدرى فى جامعه من حديث سعد وزاد فى حديث ابن عمر وعجوتها شفاء من السم ونقل البغوى عن ابن عباس فى قوله تعالى لنبوئنهم فى الدنيا حسنة انها المدينة وذكر ابن النجار تعليقا عن عائشة رضى الله عنها انها قالت كل البلاد افتتحت بالسيف وافتتحت المدينة بالقرآن وروى الطبرانى فى الاوسط باسناد لا بأس به عن ابى هريرة يرفعه المدينة قبة الاسلام ودار الايمان وارض الهجرة ومثوى الحلال والحرام وبها

فكل المدينة وترابها وطرقها وفجاجها ودورها وما حولها قد شملته بركته
صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يتبركون بدخوله منازلهم ويدعونه
اليها والى الصلوة فى بيوتهم ولذلك امتنع مالك رحمه الله من ركوب دابة
فى المدينة وقال لا اطأ بحافر دابة فى عراص كان صلى الله عليه وسلم يمشى
فيها بقدميه صلى الله عليه وسلم وينبغى ان يأتى مسجد قبا للصلوة فيه
والزيارة فقد كان صلى الله عليه وسلم يزوره راكبا وماشيا رواه مسلم و
فى رواية له يأتى بدل يزوره فيصلى فيه ركعتين وعنده ايضا ان ابن عمر كان
يأتيه كل سبت ويقول رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يأتيه كل سبت
وعند الترمذى وابن ماجه والبيهقى من حديث اسيد بن ظهير الانصارى
يرفعه صلوة فى مسجد قبا كعمرة وقال الترمذى حسن غريب وقال المنذرى
لا يعرف لاسيد حديثا صحيحا غير هذا ورواه احمد وابن ماجه من حديث
سهل بن حنيف بلفظ من تطهر فى بيته ثم اتى مسجد قبا فصلى فيه صلوة
كان له كاجر عمرة وصححه الحاكم وينبغى ايضا بعد زيارته صلى الله عليه وسلم
ان يقصد المزارات التى بالمدينة الشريفة والاثار المباركة والمساجد
التى صلى فيها عليه السلام التماسا لبركته ويخرج الى البقيع لزيارة
من فيه فان اكثر الصحابة ممن توفى بالمدينة فى حياته صلى الله عليه وسلم
وبعد وفاته فانه مدفون بالبقيع وكذلك سادات اهل البيت والتابعين
وروى عن مالك انه قال مات بالمدينة من الصحابة عشرة الاف وكذلك
امهات المؤمنين سوى خديجة فانها بمكة وميمونة فانها بسرف وقد كان
صلى الله عليه وسلم يخرج آخر الليل الى البقيع فيقول السلام عليكم دار قوم
مؤمنين رواه مسلم قال ابن الحاج فى المدخل وقد فرق علماؤنا بين الافاقى
والمقيم فى التنفل بالطواف والصلوة فقالوا الطواف فى حق الافاقى افضل
والتنفل فى حق المقيم افضل قالوا وما نحن بسبيله من باب اولى فمن كان
مقيما خرج الى زيارة اهل البقيع ومن كان مسافرا فليغتنم مشاهدته
عليه السلام وحكى عن العارف ابن ابى جمرة انه لما دخل المسجد النبوى
لم يجلس الا الجلوس فى الصلوة وانه لم يزل واقفا بين يديه صلوات الله و
سلامه عليه وكان قد خطر له ان يذهب الى البقيع فقال الى اين اذهب هنا
باب الله المفتوح للسائلين والطالبين والمنكسرين انتهى وروى ابن النجار
مرفوعا مقبرتان مضيئتان لاهل السماء كما تضئ الشمس والقمر لاهل الدنيا

مطلب عدد من مات بالمدينة من الصحابة

مطلب ما قاله صاحب المدخل

بقيع

بقيع الغرقد ومقبرة بعسقلان وعن كعب الاحبار قال نجدها فى التورية يعنى مقبرة
المدينة كقبة محفوفة بالنخيل موكل بها ملائكة كلما امتلأت تأخذوها فكفؤها
فى الجنة واخرج ابو حاتم من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال انا اول من تنشق عنه الارض ثم ابو بكر ثم عمر ثم اتى البقيع فيحشرون معى ثم انتظر
اهل مكة حتى احشر بين الحرمين

الفصل الثالث فى تفضيله صلى الله عليه وسلم
فى الآخرة بفضائل الاوليات الجامعة لمزايا التكريم وعلو الدرجات وتحميده بالمقام
والمقام المحمود المغبوط عليه من الاولين والاخرين وانفراده بالسودد فى مجمع جامع
الانبياء والمرسلين وترقيه فى جنة عدن ارقا مدارج السعادة وتعاليه يوم المزيد
فى اعلا معالى الحسنى وزيادة اعلم ان الله تعالى كما فضل نبينا محمدا صلى الله عليه
وسلم فى البدء بان جعله اول الانبياء فى الخلق واولهم فى الاجابة فى عالم الذر يوم
الست بربكم فضله ختم كمال الفضائل فى العود فجعله اول من تنشق عنه الارض
واول شافع واول مشفع واول من يؤذن له بالسجود واول من ينظر الى رب العالمين
والخلق محجوبون عن رؤيته اذ ذاك واول الانبياء يقضى بين امته واولهم
اجازة على الصراط بامته واول داخل الجنة وامته اول الامم دخولا اليها
وزاده من لطائف التحف ونفائس الظرف ما لا يحد ولا يعد فمن ذلك انه
يبعث راكبا وتخصيصه بالمقام المحمود ولواء الحمد تحته آدم فمن دونه واختصاصه
ايضا بالسجود لله تعالى امام العرش وما يفتحه الله عليه فى سجوده من التحميد و
الثناء عليه ما لم يفتحه على احد قبله ولا يفتحه على احد بعده زيادة فى كرامته
وقربه وكلام الله له يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع
ولا كرامة فوق هذا الا النظر اليه تعالى ومن ذلك تكراره فى الشفاعة وسجوده
ثانية وثالثة وتجديد الثناء عليه والتحميد بما يفتح الله عليه من ذلك وكلام
الله تعالى له فى كل سجدة يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع فعل
المدل على ربه الكريم عليه الرفيع عنده المحب ذلك منه تشريفا له وتكريما
و[illegible] وتعظيما ومن ذلك قيامه عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم
ذلك المقام غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون وشهادته بين الانبياء و
اممهم واتيانهم اليه يسألونه الشفاعة ليريحهم من غمهم وعرقهم وطول
وقوفهم وشفاعته فى اقوام قد امر بهم الى النار ومنها الحوض الذى ليس فى
الموقف اكثر واردا منه وان المؤمنين كلهم لا يدخلون الجنة الا بشفاعته
ومنها انه يشفع فى رفع درجات اقوام لا يبلغها اعمالهم وهو صاحب الوسيلة

التى هى اعلى منزلة فى الجنّة الى غير ذلك ممّا يزيده به تعالى جلالة وتعظيما وتبجيلا
وتكريما على رؤس الاشهاد من الاوّلين والاخرين والملائكة اجمعين ذلك
فضل الله من يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فامّا تفضيله صلّى
الله عليه وسلّم باولية انشقاق القبر المقدّس عنه فروى مسلم من حديث ابى
هريرة قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انا سيّد ولد آدم يوم القيمة
وانا اوّل من ينشقّ عنه القبر واوّل شافع واوّل مشفّع وفى حديث ابى سعيد
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انا سيّد ولد آدم يوم
القيمة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبىّ آدم فمن سواه الّا تحت
لوائى وانا اوّل من تنشقّ عنه الارض ولا فخر رواه الترمذى وعن ابن عمر
قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انا اوّل من تنشقّ عنه الارض ثمّ
ابو بكر ثمّ عمر ثمّ اتى اهل البقيع فيحشرون ثمّ انتظر اهل مكّة حتّى احشر بين
الحرمين قال الترمذى حسن صحيح ورواه ابو حاتم وقال حتّى يحشر وتقدم
وعن ابى هريرة قال قال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم يصعق الناس حين
يصعقون فاكون اوّل من قام فاذا موسى اخذ بالعرش فما ادرى اكان فيمن صعق
وفى رواية فاكون اوّل من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادرى
اكان موسى فيمن صعق فافاق قبلى او كان ممّن استثنى الله رواه البخارى و
المراد بالصعق غشى يلحق من سمع صوتا او رأى شيئا ففزع منه ولم يبيّن
فى هذه الرواية من الطريقين محلّ الافاقة من اى الصعقتين ووقع فى رواية
الشعبى عن ابى هريرة فى تفسير سورة الزمر اوّل من يرفع رأسه بعد النفخة
الاخيرة والمراد بقوله ممّن استثنى الله قوله تعالى ففزع من فى السموات ومن
فى الارض الّا من شاء الله وقد استشكل كون جميع الخلق يصعقون مع انّ
الموتى لا احساس لهم فقيل المراد الذين يصعقون هم الاحياء وامّا الموتى
فهم فى الاستثناء فى قوله تعالى الّا من شاء الله اى الّا من سبق له الموت
قبل ذلك فانّه لا يصعق والى هذا احتجّ القرطبى ولا يعارضه ما ورد فى
الحديث انّ موسى ممّن استثنى الله لانّ الانبياء احياء عند الله وقال
القاضى عياض يحتمل ان يكون المراد صعقة فزع بعد البعث حين تنشقّ
السماء والارض وتعقّبه القرطبى بانّه صرّح صلّى الله عليه وسلّم بانّه يخرج
من قبره فيلقى موسى وهو متعلّق بالعرش وهذا انّما هو عند نفخة البعث
انتهى ووقع فى رواية ابى سلمة عند ابن مردوية انا اوّل من تنشقّ عنه

اى اهل الحرمين

الارض

مطلب فى المستثنى من نفخة الصعق

الارض يوم القيامة فانفض التراب عن رأسى فآتى قائمة العرش فاجد موسى
قائما عندها فلا ادرى انفض التراب عن رأسه قبلى او كان ممّن استثنى و
اختلف فى المستثنى مَنْ هو على عشرة اقوال فقيل الملائكة وقيل الانبياء وبه
قال البيهقى فى تأويل الحديث فى تجويزه بان يكون موسى ممّن استثنى الله قال و
وجهه عندى انّهم احياء كالشهداء فاذا نفخ فى الصور الاولى صعقوا ثمّ لا يكون
ذلك موتا فى جميع معانيه الّا فى ذهاب الاستشعار وقيل الشهداء واختار الحليمى
قال وهو مروىّ عن ابن عبّاس فانّ الله تعالى يقول احياء عند ربّهم يرزقون
وضعّف غيره من الاقوال وقال ابو العبّاس القرطبى صاحب المفهم الصحيح انّه
لم يأت فى تعيينهم خبر صحيح والكلّ محتمل وتعقّبه تلميذه فى التذكرة فقال قد ورد
حديث ابى هريرة بانّهم الشهداء وهو الصحيح وعن ابى هريرة انّ رسول الله صلّى
الله عليه وسلّم سأل جبريل عليه السلام عن هذه الاية من الذين لم يشأ الله
ان يصعقوا قال هم شهداء الله وصحّحه الحاكم وقيل هم حملة العرش وجبريل و
ميكائيل وملك الموت ثمّ يموتون وآخرهم ملك الموت وقيل هم الحور العين
والولدان فى الجنّة وتعقّب بانّ حملة العرش ليسوا سكّان السموات والارض
لانّ العرش فوق السموات كلّها وبانّ جبريل وميكائيل وملك الموت من
الصافّين المسبّحين ولانّ الحور العين والولدان فى الجنّة وهى فوق السموات
ودون العرش وهى بانفرادها عالم مخلوق للبقاء فلا شكّ انّها بمعزل
عمّا خلقه الله للفناء ثمّ انّه وردت الاخبار بانّ الله تعالى يميت حملة
العرش وملك الموت وميكائيل ثمّ يحييهم وامّا اهل الجنّة فلم يأت عنهم
خبر والاظهر انّها دار خلود فالذى يدخلها لا يموت فيها ابدا مع كونه
قابلا للموت فالذى خلق فيها اولى ان لا يموت ابدا فان قلت انّ قوله كلّ شىء هالك
الّا وجهه يدلّ على انّ الجنّة نفسها تفنى ثمّ تعاد ليوم الجزاء او يموت الحور
ثمّ يحيون اجيب بانّه يحتمل ان يكون معنى قوله كلّ شىء هالك اى انّه قابل للهلاك
فيهلك ان اراد الله به ذلك الّا هو سبحانه فانّه قديم والقديم لا يمكن ان
يفنى انتهى ملخّصا من تذكرة القرطبى ويؤيّد القول بعدم موت الحور قولهنّ
نحن الخالدات فلا نموت كما فى الحديث ولا يقال المراد من قولهنّ الخلود لكن
بعد القيامة لانّه لا خصوصيّة فيه والاوصاف المشتركة لا يباهى بها والله
اعلم وفى كتاب العظمة لابى الشيخ ابن حيّان من طريق وهب بن منبّه من قوله
قال خلق الله الصور من لؤلؤة بيضاء فى صفاء الزجاجة ثمّ قال للعرش خذ

الصور فتعلق به ثم قال كن فكان اسرافيل فامره ان يأخذ الصور فاخذه
و به ثقب بعدد كل روح مخلوقة ونفس منفوسة فذكر الحديث وفيه ثم
يجمع الارواح كلها فى الصور ثم يأمر الله اسرافيل فينفخ فيه فتدخل كل
روح فى جسدها فعلى هذا فالنفخ يقع فى الصور ولا يصل النفخ بالروح الى
الصور وهي الاجساد فاضافة النفخ الى الصور الذى هو القرن حقيقة والى
الصور التى هى فى الاجساد مجازا وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو
رفعه ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه احد الا اصغى ليتا ورفع ليتا ثم يرسل
الله مطرا كانه الطل فينبت منه اجساد الناس ثم ينفخ فيه اخرى فاذا هم
قيام ينظرون والليت بكسر اللام وبالمثناة التحتية ثم الفوقية صفحة العنق
وهما ليتان واصغى امال واخرج البيهقى بسند قوي عن ابن مسعود موقوفا
ثم يقوم ملك الصور بين السماء والارض فينفخ فيه والصور قرن فلا تبقى لله
خلق فى السموات والارض الا مات الا ما شاء ربك ثم يكون بين النفختين
ما شاء الله ان يكون واخرج ابن المبارك فى الرقاق من مرسل الحسن بين
النفختين اربعون سنة الاولى يميت الله بها كل حي والاخرى يحيي الله بها كل
ميت ونحوه عند ابن مردويه من حديث ابن عباس وهو ضعيف وعن انس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا
وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا مستشفعهم اذا
حبسوا وانا مبشرهم اذا ايسوا الكرامة والمفاتيح بيدى يومئذ ولواء
الحمد يومئذ بيدى وانا اكرم ولد آدم على ربى يطوف علي الف خادم كانهم
بيض مكنون او لؤلؤ منثور رواه الدارمى وقال الترمذى حديث غريب و
لم يقل وانا امامهم لان دار الآخرة ليست دار تكليف وفى حديث صاحب
كتاب حادى الارواح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث يوم القيمة
وبلال بين يديه ينادى بالاذان وفى كتاب ذخائر العقبى للطبرى مما عزاه
لتخريج الحافظ السلفى من حديث ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال تبعث الانبياء على الدواب ويحشر صالح على ناقته ويحشر ابنتا
فاطمة على ناقتى العضباء والقصوى واحشر انا على البراق خطوها عند اقصى
طرفها ويحشر بلال على ناقة من نوق الجنة واخرجه الحاكم والطبرانى بلفظ
يحشر الانبياء على الدواب وابعث على البراق ويبعث بلال على ناقة من
نوق الجنة ينادى بالاذان محضا وبالشهادة حقا حتى اذا قال اشهد

انمحرا

ان محمدا رسول الله شهد له المؤمنون من الاولين والآخرين وعند ابن زنجويه
فى فضائل الاعمال عن كثير بن مرة الحضرمى قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم تبعث ناقة ثمود لصالح فيركبها من عند قبره حتى توافى به المحشر وانا على
البراق اختصصت به من دون الانبياء يومئذ ويبعث بلال على ناقة من
نوق الجنة ينادى على ظهرها بالاذان حقا فاذا سمعت الانبياء واممها اشهد
ان محمدا رسول الله قالوا ونحن نشهد على ذلك وذكر الشيخ زين الدين المراغى
مما عزاه لابن النجار فى تاريخ المدينة عن كعب الاحبار والقرطبى فى التذكرة
وابن ابى الدنيا عن كعب انه دخل على عائشة رضي الله عنها فذكروا رسول
الله فقال كعب ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من الملائكة حتى يحفون بالقبر
ويضربون باجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا امسوا
عرجوا وهبط سبعون الف ملك يحفون بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون
على النبي صلى الله عليه وسلم سبعون الفا بالليل وسبعون الفا بالنهار
حتى اذا انشقت عنه الارض خرج فى سبعين الفا من الملائكة يقودونه
صلى الله عليه وسلم وفى نوادر الاصول للحكيم الترمذى من حديث ابن
عمر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمينه على ابى بكر وشماله
على عمر فقال هكذا انبعث يوم القيمة وعن ابى هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد
من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى رواه الترمذى وفى رواية جامع
الاصول عنه انا اول من تنشق عنه الارض فاكسى وفى رواية كعب حلة خضراء
وفى البخارى من حديث ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم يحشرون
حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وان اول الخلائق يكسى ابراهيم
يوم القيمة واخرجه البيهقى وزاد واول من يكسى من الجنة ابراهيم يكسى
حلة من الجنة ويؤتى بكرسي فيطرح عن يمين العرش ثم يؤتى بى فاكسى
حلة من الجنة لا يقوم لها البشر وفيه انه يجلس على الكرسي عن يمين العرش
ولا يلزم من تخصيص ابراهيم عليه السلام بانه اول من يكسى ان يكون افضل
من نبينا صلى الله عليه وسلم على انه يحتمل ان يكون نبينا عليه السلام
خرج من قبره فى ثيابه التى مات فيها والحلة التى يكساها يومئذ حلة الكرامة
بقرينة اجلاسه عند ساق العرش فيكون اولية ابراهيم فى الكسوة بالنسبة
لبقية الخلق واجاب الحليمى بانه يكسى ابراهيم اولا ثم يكسى نبينا صلى الله عليه

[illegible] سبعون الف [illegible] وكذلك بالليل [illegible] يصلون الى يوم القيامة

وسلّم على ظاهر الخبر لكن حلّة نبينا اعلى واكمل فيجبر بنفاستها ما فات من
الاولويّة وفي حديث ابي سعيد عند ابي داود وصحّحه ابن حبان انّه لمّا حضره
الموت دعا بثياب جدد فلبسها وقال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
يقول انّ الميت يبعث في ثيابه الّتي مات فيها وعند الحارث بن ابي اسامة
واحمد بن منيع فانّهم يبعثون في اكفانهم ويتزاورون في اكفانهم وقد جمع بينه
وبين ما في البخاري بانّ بعضهم يحشر عاريا وبعضهم كاسيا او يحشرون
كلّهم عراة ثمّ تكسى الانبياء واوّل من يكسى ابراهيم عليه السّلام او يخرجون
من القبور بالثّياب الّتي ماتوا فيها ثمّ تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر فيحشرون
عراة ثمّ يكسون اوّل من يكسى ابراهيم وحمل بعضهم حديث ابي سعيد على الشهداء
فيكون ابو سعيد سمعه في الشهداء فحمله على العموم واما ما رواه الطبري
في الرياض النضرة وعزاه للامام احمد في المناقب عن مخدوج بن زيد الذهلي
انّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال لعلي اما علمت يا علي انّه اوّل من يدعى به
يوم القيمة بي فاقوم عن يمين العرش في ظلّه فاكسى حلّة خضراء من حلل الجنّة
ثمّ يدعى بالنبيّين بعضهم على اثر بعض فيقومون سماطين عن يمين العرش
ويكسون حللا خضراء من حلل الجنّة الا وانّ امّتي اوّل الامم يحاسبون
يوم القيمة ثمّ ابشر اوّل من يدعى بك فيدفع لك لوائي وهو لواء الحمد فتسير
به بين السماطين آدم وجميع خلق الله تعالى يستظلّون بظلّ لوائي يوم القيمة
وطوله مسيرة الف سنة وستمائة سنة وسنانه ياقوتة حمراء قبضته
فضّة بيضاء زجه درّة خضراء له ثلاث ذوائب من نور ذؤابة في المشرق
وذؤابة في المغرب والثالثة في وسط الدنيا مكتوب عليه ثلاثة اسطر
الاوّل بسم الله الرحمن الرحيم الثاني الحمد لله ربّ العالمين الثالث
لا اله الّا الله محمّد رسول الله طول كلّ سطر الف سنة وعرضه مسيرة
الف سنة فتسير باللواء والحسن عن يمينك والحسين عن شمالك حتّى تقف
بيني وبين ابراهيم عليه السّلام في ظلّ العرش ثمّ تكسى حلّة من الجنّة و
السماطان من الناس والنخل الجانبان ورواه ابن سبع في الخصائص
بلفظ قال سأل عبد الله بن سلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن
لواء الحمد ما صفته قال طوله مسيرة كذا الحديث فقال الحافظ قطب
الدين الحلبي كما نقله عنه المحبّ بن الهائم انّه موضوع بيّن الوضع قال
والله اعلم بحقيقة لواء الحمد وفي حديث ابي سعيد عند الترمذي

بسند

بسند حسن قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انا سيّد ولد آدم
يوم القيمة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي آدم فمن سواه الّا
تحت لوائي الحديث واللواء الراية وفي عرفهم لا يمسكها الّا صاحب الجيش و
رئيسه ويحتمل ان يكون في يد غيره باذنه وتكون تابعة له ومتحرّكة بحركته تميل
معه حيث ما مال لانّه يمسكها بيده اذ هذه الحالة اشرف وفي استعمال
العرب عند الحروب انّما يمسكها صاحبها ولا يمنعه ذلك من القتال بها بل
يقاتل بها ممسكا لها اشدّ القتال ولذا لا يليق بامساكها كلّ احد بل مثل علي رضي
الله عنه لاعطين الراية غدا رجلا يحبّ الله ورسوله والله يحبّه ورسوله
وانّما اضاف اللواء الى الحمد الّذي هو الثناء على الله بما هو اهله لانّ ذلك
هو منصبه في ذلك الموقف دون غيره من الانبياء وقد اختلف في هيئة
حشر الناس ففي البخاري من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلّى الله عليه
وسلّم يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير و
ثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيّتهم النار تقيل حيث
تقيل معهم قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسي معهم
حيث امسوا رواه الشيخان وقد مال الحليمي الى انّ هذا الحشر يكون عند الخروج
من القبور وجزم به الغزالي وقيل انّهم يخرجون من القبور بالوصف المذكور
في حديث ابن عبّاس عند الشيخين انّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال انكم
تحشرون حفاة عراة غرلا ثمّ قرأ كما بدأنا اوّل خلق نعيده وعدا علينا انا
كنّا فاعلين ثمّ يفترق حالهم من ثمّة الى الموقف كما في حديث ابي هريرة ويحشر
الكافر على وجهه قال رجل يا رسول الله كيف يحشر على وجهه قال اليس الذي
امشاه على الرجلين في الدنيا قادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيمة اخرجه
الشيخان وفي حديث ابي ذرّ عند النسائي مرفوعا انّ الناس يحشرون ثلاثة
افواج فوجا راكبين طاعمين كاسين وفوجا تسحبهم الملائكة على وجوههم
وفوجا يمشون ويسعون وفي حديث سهل بن سعد مرفوعا يحشر الناس
يوم القيامة على ارض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لاحد رواه الشيخان
وفي حديث عقبة بن عامر عند الحاكم رفعه تدنو الشمس من الارض يوم
القيمة فيعرق الناس فمنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبتيه
ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ منكبه
ومنهم من يبلغ فاه واشار بيده الجمها فاه ومنهم من يغطيه عرقه وضرب

فصل في صفة حشر الناس

بيده على رأسه وله شاهد عند مسلم من حديث المقداد بن الاسود وليس
بتمامه وفيه تدنوا الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل
فيكون الناس على قدر اعمالهم فى العرق وهذا ظاهر فى انهم يستوون فى
وصول العرق اليهم ويتفاوتون فى حصوله فيهم فان قلت الشمس محلها السماء
وقد قال الله تعالى يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب والالف واللام فى
السماء للجنس بدليل والسموات مطويات بيمينه فما طريق الجمع فالجواب يجوز ان
تقام بنفسها دانية من الناس فى المحشر ليقوي هوله وكربه عافانا الله تعالى
من كل مكروه وقال ابن ابى جمرة ظاهر الحديث يقتضى تعميم الناس بذلك ولكن
دلت الاحاديث الاخرى على انه مخصوص بالبعض وهم الاكثر ويستثنى الانبياء
والشهداء ومن شاء الله فاشدهم الكفار ثم اصحاب الكبائر ثم من بعدهم
واخرج ابو يعلى وصححه ابن حبان عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يوم يقوم الناس لرب العالمين قال مقدار نصف يوم من خمسين الف سنة
فيهون على المؤمنين كتدلى الشمس الى ان تغرب واخرج احمد وابن حبان نحوه
من حديث ابى سعيد والبيهقى فى البعث عن ابى هريرة يحشر الناس قياما اربعين
سنة شاخصة ابصارهم الى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب وفى البخارى
من حديث ابى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيمة حتى
يذهب عرقهم فى الارض سبعين ذراعا ويلجمهم العرق حتى يبلغ آذانهم و
عند البيهقى من حديث ابن مسعود اذا حشر الناس قاموا اربعين عاما شاخصة
ابصارهم الى السماء لا يكلمهم والشمس على رؤسهم حتى يلجم العرق كل بر منهم
وفاجر وفى حديث ابى سعيد عند احمد انه يخفف او قوف عن المؤمن كصلاة
فريضة مكتوبة وسنده حسن وللطبرانى من حديث ابن عمرو يكون ذلك اليوم
اقصر على المؤمن من ساعة من نهار وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان
الذى يلجمه العرق الكافر اخرجه البيهقى فى البعث بسند حسن عنه قال
يشتد كرب الناس ذلك اليوم حين يلجم الكافر العرق قيل له فاين المؤمنون
قال على كراسي من ذهب ويظلل عليهم الغمام وبسند قوي عن ابى موسى
قال الشمس فوق رؤس الناس يوم القيمة واعمالهم تظلهم واخرج ابن المبارك
فى الزهد وابن ابى شيبه فى المصنف واللفظ له بسند جيد عن سلمان
قال تعطى الشمس يوم القيمة حر عشر سنين ثم تدنو من جماجم الناس حتى
تكون قاب قوسين فيعرقون حتى يرشح العرق فى الارض قامة ثم يرتفع

حتى يغرغر الرجل زاد ابن المبارك فى روايته ولا يضر حرها يومئذ مؤمنا
ولا مؤمنة قال القرطبى المراد من يكون كامل الايمان لما يدل عليه حديث المقداد
وغيره انهم يتفاوتون فى ذلك بحسب اعمالهم وفى رواية عند ابى يعلى وصححها
ابن حبان ان الرجل ليلجمه العرق يوم القيمة حتى يقول يا رب ارحنى ولو الى النار
وهو كالصريح فى ان ذلك كله فى الموقف ومن تامل الحالة المذكورة عرف
عظم الهول فيها وذلك ان النار تحف بارض الموقف وتدنوا الشمس من الرؤس
قدر ميل فكيف تكون حرارة تلك الارض وماذا يروينه من العرق مع ان كل
احد لا يجد الا قدر موضع قدميه فكيف يكون حال هؤلاء فى عرقهم مع تنوعهم
فيه ان هذا مما يبهر العقول ويدل على عظم القدرة ويقتضى الايمان بامور
الآخرة وان ليس للعقل فيه مجال ولا يعترض على ذلك بعقل ولا قياس ولا
عادة وانما يؤخذ بالقبول فتامل رحمك الله شدة هذا الازدحام و
الانضمام والاتساق والالتصاق واجتماع الانس والجان ومن يجمع معهم
من سائر اصناف الحيوان وانضغاطهم وتدافعهم واختلاطهم وقرب الشمس منهم
وما يزاد فى حرها ويضاعف فى وهجها ولا ظل الا ظل عرش ربك بما قدمته
مع ما انضاف الى ذلك من حر انفاس لتزاحم الناس واحتراق القلوب لما غشيها
من الكروب ولا ريب ان هذا موجب لحصول العطش فى ذلك اليوم وكثرة
الالتهاب والماء ثم اعز موجود واعظم مفقود فلا منهل مورود الا
حوض صاحب المقام المحمود صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه
ولا مشرب لامته سواه ولا تبرد اكبادهم الا به فالشربة منه كما ورد تروي
الظما ويشفى من الصدا ويذهب بكل داء فلا يظما شاربها ولا يسقم بعدها
ابدا وفى حديث انس عند البزار من شرب منه اى من الحوض شربة لم يظما ابدا
ومن لم يشرب منه لم يرو ابدا وزاد فى حديث ابى امامة عند احمد وابن حبان
ولم يسود وجهه ابدا وفى حديث ثوبان عند الترمذى وصححه الحاكم اكثر
الناس عليه ورودا فقراء المهاجرين وفى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص
عند الشيخين حوضى مسيرة شهر ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك
وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظما ابدا قال القرطبى فى التذكرة ذهب
صاحب القوت وغيره الى ان الحوض يكون بعد الصراط وذهب آخرون الى
العكس والصحيح ان للنبي صلى الله عليه وسلم حوضين احدهما فى الموقف
قبل الصراط والآخر داخل الجنة وكل منهما يسمى كوثرا وتعقبه شيخ الحفاظ

ابن حجر بان الكوثر نهر داخل الجنة وماؤه يصب في الحوض ويطلق على الحوض
كوثر لكونه يمد منه فغاية ما يؤخذ من كلام القرطبي ان الحوض يكون قبل الصراط لان
الناس يردون من الموقف عطاشا فيرد المؤمنون الحوض وتتساقط الكفار في
النار بعد ان يقولوا ربنا عطشنا فترفع لهم جهنم كانها سراب فيقال الا تردون
فيظنونها ماء فيتساقطون فيها وفي حديث ابي ذر مما رواه مسلم ان الحوض
يشخب فيه ميزابان من الجنة وهو حجة على القرطبي لا له لان الصراط جسر
جهنم وهو بين الموقف والجنة يمرون والمؤمنون عليه لدخول الجنة فلو كان
الحوض دونه لحالت النار بين الماء الذي يصب من الكوثر في الحوض وظاهر
الحديث ان الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها وقال
القاضي عياض ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم من شرب منه لم يظما بعدها
ابدا يدل على ان الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار لان ظاهر
حال من لا يظما ان لا يعذب بالنار ولكن يحتمل ان من قدر عليه التعذيب
منهم ان لا يعذب فيها بالظما بل بغيره وعن انس قال سالت رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يشفع لي يوم القيمة فقال انا فاعل ان شاء الله قلت
فاين اطلبك قال اول ما تطلبني على الصراط فان لم الفك على الصراط قال
فاطلبني عند الميزان قلت فان لم الفك عند الميزان قال فاطلبني عند الحوض
فاني لا اخطئ هذه الثلاثة مواطن رواه الترمذي وقال حسن غريب وفي
حديث ابن مسعود عند احمد ويؤتى بكسوتي فالبسها فاقوم عن يمين العرش
مقاما لا يقومه احد فيغبطني به الاولون والاخرون قال ويفتح لهم من
الكوثر الى الحوض الحديث وقد بين في حديث عمرو بن العاص عند البخاري
ان الحوض مسيرة شهر وزاد في رواية مسلم من هذا الوجه وزواياه
سواء وهذه الزيادة كما قاله في فتح الباري تدفع تاويل من جمع بين مختلف
الاحاديث في تقدير مسافة الحوض على اختلاف العرض والطول وفي حديث
ابي سعيد عند ابن ماجه رفعه ان لي حوضا ما بين الكعبة وبيت المقدس
وفي حديث ابي برده عند الطبراني وابن حبان في صحيحه ما بين ناحيتي حوضي
كما بين ايلة وصنعاء مسيرة شهر عرضه كطوله وفي حديث انس عند الشيخين
كما بين صنعاء والمدينة وفي حديث عتبة بن عبد السلمي عند ابن حبان في
صحيحه ما بين صنعاء الى بصرى وفي حديث ابي امامة عند الطبراني ما بين عدن
وعمان بضم المهملة وتخفيف الميم وقال ابن الاثير في النهاية في حديث الحوض

عرضه من مقامي الى عمان هي بفتح العين وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام
من ارض البلقاء فاما بالضم والتخفيف فهو صقع عند البحرين انتهى وهذه المسافات
متقاربة وظن بعضهم انه وقع اضطراب في ذلك وليس كذلك واجاب النووي
عن ذلك بانه ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة فالاكثر
ثابت بالحديث الصحيح فلا معارضة وحاصله يشير الى انه صلى الله عليه وسلم
اخبر اولا بالمسافة اليسيرة ثم اعلم بالمسافة الطويلة فاخبر بما كان الله تفضل
عليه باتساعه شيئا بعد شيء فيكون الاعتماد على ما يدل على طولها مسافة فان
قلت هل لكل نبي من الانبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم حوض هناك يقوم
عليه كنبينا فالجواب انه اشتهر اختصاص نبينا عليه السلام بالحوض قال القرطبي في
المفهم مما يجب على كل مكلف ان يعلمه ويصدق به ان الله تعالى قد خص نبيه محمدا
صلى الله عليه وسلم بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الاحاديث
الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي اذ روي ذلك عنه صلى الله
عليه وسلم من الصحابة نيف عن الثلاثين منهم في الصحيحين ما ينيف على
العشرين وفي غيرهما بقية ذلك كما صح نقله واشتهرت رواته ثم رواه عن
الصحابة المذكورين من التابعين امثالهم ومن بعدهم اضعاف اضعافهم وهلم
جرا واجتمع على اثباته السلف واهل السنة من الخلف انتهى لكن اخرج الترمذي
من حديث سمرة رفعه ان لكل نبي حوضا واشار الى انه اختلف في وصله و
ارساله وان المرسل اصح والمرسل اخرجه ابن ابي الدنيا بسند صحيح عن
الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا وهو قائم
على حوضه بيده عصى يدعو من عرف من امته الا وانهم يتباهون بايهم
اكثر تبعا واني لارجو ان اكون اكثرهم تبعا واخرجه الطبراني من وجه اخر
عن سمرة موصولا مرفوعا مثله وفي سنده لين واخرج ابن ابي الدنيا
ايضا من حديث ابي سعيد رفعه وكل نبي يدعو امته ولكل نبي حوض
فمنهم من ياتيه الفئام ومنهم من ياتيه العصبة ومنهم من ياتيه الواحد
ومنهم من ياتيه الاثنان ومنهم من لا ياتيه احد واني لاكثر الانبياء
تبعا يوم القيمة وفي اسناده لين فان قلت فان ثبت فالمختص بنبينا صلى
الله عليه وسلم الكوثر الذي يصب من مائه في حوضه فانه لم ينقل نظيره
لغيره ووقع الامتنان عليه به في سورة انا اعطيناك الكوثر انتهى ملخصا
من فتح الباري والفئام كما في الصحاح الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه

والعامة تقول قيام بلا همز وفي رواية مسلم من حديث ابي هريرة رفعه
قال ترد امتي علي الحوض وانا اذود الناس عنه كما يذود الرجل عن ابله قالوا
يا رسول الله تعرفنا قال لكم سيماء ليست لاحد غيركم تردون علي غراء محجلين
من آثار الوضوء قالوا والحكمة في الذود المذكور انه صلى الله عليه وسلم يريد
ان يرشد كل احد الى حوض نبيه كما تقدم ان لكل نبي حوضا فيكون هذا من جملة
انصافه عليه السلام ورعاية اخوانه من النبيين لا انه يطردهم بخلا عليهم
بالماء ويحتمل ان يكون يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض والله اعلم
وفي حديث انس انه صلى الله عليه وسلم قال لحوضي اربعة اركان الاول
بيد ابي بكر الصديق والثاني بيد عمر الفاروق والثالث بيد عثمان ذي
النورين والرابع بيد علي بن ابي طالب فمن كان محبا لابي بكر مبغضا
لعمر لا يسقيه ابو بكر ومن كان محبا لعلي مبغضا لعثمان لا يسقيه علي رواه
ابو سعيد في شرف النبوة والغيلاني واما تفضيله صلى الله عليه وسلم
بالشفاعة والمقام المحمود فقد قال تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
اتفق المفسرون على ان كلمة عسى من الله واجب قال اهل المعاني لان
لفظة عسى تفيد الاطماع ومن اطمع انسانا في شيء ثم احرمه كان عارا و
الله تعالى اكرم من ان يطمع احدا في شيء ثم لا يعطيه ذلك وقد اختلف
في تفسير المقام المحمود على اقوال احدها انه الشفاعة قال الواحدي اجمع
المفسرون على انه مقام الشفاعة كما قال صلى الله عليه وسلم في هذه الآية
هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وقال الامام ابن الخطيب اللفظ مشعر بذلك
لان الانسان انما يصير محمودا اذا احمده حامد والحمد انما يكون على الانعام
فهذا المقام المحمود يجب ان يكون مقاما انعم فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم على قوم فحمدوه على ذلك الانعام وذلك الانعام لا يجوز ان يكون
هو تبليغ الدين وتعليمهم الشرع لان ذلك كان حاصلا في الحال وقوله عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا يدل على انه يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك المقام حمد بالغ عظيم كامل ومن المعلوم ان حمد الانسان على سعيه
في التخلص عن العقاب اعظم من سعيه في زيادة من الثواب لا حاجة به اليها
لان احتياج الانسان في دفع الآلام العظيمة عن النفس فوق احتياجه الى تحصيل
المنافع الزائدة التي لا حاجة الى تحصيلها واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد
من قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا هو الشفاعة في اسقاط العذاب

على ما هو

على ما هو مذهب اهل السنة ولما ثبت ان لفظ الآية مشعر بهذا المعنى اشعارا قويا ثم
وردت الاخبار الصحيحة في تقرير هذا المعنى كما في البخاري من حديث ابن عمر قال سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود فقال هو الشفاعة وفيه ايضا
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس يصيرون يوم القيمة جثا
كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الي فذلك المقام المحمود
فاذا ثبت هذا فيجب حمل اللفظ عليه قال ومما يؤكد هذا الدعاء المشهور وابعثه
مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والآخرون ونصب قوله مقاما على الظرفية
اي وابعثه يوم القيمة فاقمه مقاما محمودا او على انه مفعول به وضمن معنى
ابعثه معنى اقمه ويجوز ان يكون حالا بعد حال اي ابعثه ذا مقام قال الطيبي
وانما نكره لانه افخم واجزل اي مقاما محمودا بكل لسان وقول النووي ان الرواية
ثبتت بالتنكير وانه كان حكاية للفظ القرآن متعقب بانه جاء في هذه الرواية
بعينها بالتعريف عند النسائي وقال ابن الجوزي الاكثر على ان المراد بالمقام
المحمود الشفاعة وادعى الامام فخر الدين الاتفاق عليه القول الثاني قال حذيفة
يجمع الله الناس في صعيد واحد فلا تكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم
فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهتدي من هديت
وعبدك بين يديك وبك واليك ولا ملجأ منك الا اليك تباركت وتعاليت
سبحانك رب البيت قال فهذا هو المراد من قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا رواه الطبراني وقال ابن منده حديث مجمع على صحة اسناده وثقة رجاله
قال الرازي والقول الاول اولى لان سعيه في الشفاعة يفيد اقدام الناس على
حمده فيصير محمودا واما ما ذكر من الدعاء فلا يفيد الا الثواب اما الحمد فلا
فان قيل لم لا يجوز ان يقال ان الله تعالى يحمده على هذا القول فالجواب لان
الحمد في اللغة مختص بالثناء المذكور في مقابلة الانعام فقط فان ورد لفظ الحمد
في غيره هذا المعنى فعلى سبيل المجاز القول الثالث مقام تحمد عاقبته قال الامام
فخر الدين وهذا ايضا ضعيف للوجه الذي ذكرناه القول الرابع قيل هو
اجلاسه عليه السلام على العرش وقيل على الكرسي روي عن ابن مسعود انه قال
يقعد الله محمدا صلى الله عليه وسلم على العرش وعن مجاهد انه قال يجلسه معه
على العرش قال الواحدي وهذا قول رذل موحش فظيع ونص الكتاب ينادي بفساد
هذا التفسير ويدل على وجوه الاول ان البعث ضد الاجلاس يقال بعثت
البارك والقاعد فانبعث ويقال بعث الله الميت اي اقامه من قبره فتفسير

البعث بالاجلاس تفسير الضد بالضد وهو فاسد والثانى يوجب ان الله
تعالى لو كان جالسا على العرش بحيث يجلس عنده محمد صلى الله عليه وسلم لكان
محدودا متناهيا ومن كان كذلك فهو محدث تعالى الله علوا كبيرا والثالث انه
تعالى قال مقاما محمودا ولم يقل مقعدا والمقام موضع القيام لا موضع القعود
والرابع اذا قيل ان السلطان بعث فلانا فهم منه انه ارسله الى قوم لاصلاح
مهماتهم ولا يفهم منه انه اجلسه مع نفسه فثبت ان هذا القول ساقط لا يميل
اليه الا قليل العقل عديم الدين انتهى وتعقب القول الثانى بانه تعالى يجلس على
العرش كما اخبر جل وعلا عن نفسه المقدسة بلا كيف وليس اقعاد محمد صلى
الله عليه وسلم على العرش موجبا له صفة الربوبية او مخرجا له صفة العبودية
بل هو رفع لمحله وتشريفا له على خلقه واما قوله معه فهو بمنزلة قوله تعالى ان
الذين عند ربك ورب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فكل هذا ونحوه عائد على الرتبة
والمنزلة والحظوة والدرجة الرفيعة لا الى المكان وقال شيخ الاسلام ابو الفضل
العسقلانى فى قول مجاهد يجلسه معه على العرش ليس بمدفوع لا من جهة النقل
ولا من جهة النظر وقال ابن عطية هو كذلك اذا حمل على ما يليق به قال وبالغ الواحدى
فى رد هذا القول ونقل النقاش عن ابى داود صاحب السنن انه قال من انكر
هذا فهو متهم وقد جاء عن ابن مسعود عند الثعلبى **وعن** ابن عباس عند ابى
الشيخ قال ان محمدا يوم القيمة يجلس على كرسى الرب بين يدى الرب فيحتمل ان
يكون الاضافة اضافة تشريف وعلى ذلك يحمل ما جاء عن مجاهد وغيره ويحتمل
ان يكون المراد بالمقام المحمود الشفاعة كما هو المشهور وان يكون الاجلاس هى
المنزلة المعبر عنها بالوسيلة كذا قاله بعضهم ويحتمل ان يكون الاجلاس علامة
الاذن فى الشفاعة واختلف فى فاعل الحمد من قوله تعالى محمودا فالاكثر على
ان المراد به اهل الموقف وقيل النبى صلى الله عليه وسلم اى انه يحمد عاقبة
ذلك المقام بتهجده فى الليل والاول ارجح لما ثبت من حديث ابن عمر بلفظ مقاما
محمودا يحمده اهل الجمع كلهم ويجوز ان يحمل على اعم من ذلك اى مقاما يحمد القائم
فيه وكل من عرفه وهو مطلق فى كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات واستحسن
هذا ابو حيان وايده بانه نكرة فدل على انه ليس المراد مقاما مخصوصا انتهى
فان قلت اذا قلنا بالمشهور ان المراد بالمقام المحمود الشفاعة فاى شفاعة هى
فالجواب ان الشفاعة التى وردت فى الاحاديث فى المقام المحمود نوعان النوع
الاول العامة فى فصل القضاء والثانى فى الشفاعة فى اخراج المذنبين من النار

لكن

لكن الذى يتجه رد هذه الاقوال كلها الى الشفاعة العظمى العامة فان اعطاء
لواء الحمد وثناءه على ربه وكلامه بين يديه وجلوسه على كرسيه كل ذلك
صفات للمقام المحمود الذى يشفع فيه ليقضى بين الخلق واما شفاعته فى اخراج
المذنبين من النار فمن توابع ذلك وقد انكر بعض المعتزلة والخوارج الشفاعة
فى اخراج من ادخل من المذنبين وتمسكوا بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين
وقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع واجاب اهل السنة بان هذه
الآيات فى الكفار قال القاضى عياض مذهب اهل السنة جواز الشفاعة عقلا
ووجوبها سمعا لصريح قوله تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن
ورضى له قولا وقوله تعالى لا يشفعون الا لمن ارتضى ولقوله عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا المفسر بها عند الاكثرين كما قدمته وقد جاءت الآثار التى
بلغ بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة فى الآخرة لمذنبى المؤمنين **وعن** ام حبيبة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى امتى من بعدى و
سفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسألت
الله ان يؤتينى شفاعة يوم القيمة ففعل وفى حديث ابى هريرة لكل نبى دعوة
مستجابة يدعو بها واريد ان اختبئ دعوتى شفاعة لامتى فى الآخرة وفى
رواية انس فجعلت دعوتى لامتى وهذا من مزيد شفقته علينا وحسن تصرفه
حيث جعل دعوته المجابة فى اهم اوقات حاجاتنا فجزاه الله عنا افضل الجزاء
وعن ابى هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك فى الشفاعة قال شفاعتى
لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق بها لسانه قلبه وعن ابى زرعة عن ابى
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيمة هل
تدرون مم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين فى صعيد واحد فيبصرهم الناظر
ويسمعهم الداعى وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون
ولا يحتملون فيقول الناس الا ترون ما انتم فيه الى ما بلغكم الا تنظرون
من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض ابوكم آدم فيقولون يا آدم انت
ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وامر الملائكة فسجدوا لك واسكنك
الجنة الا تشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه وما بلغنا فيقول ان ربى غضب
اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وانه نهانى عن الشجرة فعصيته
نفسى نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون
يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا الا ترى

الى ما نحن فيه الا ترى الى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربى غضب
اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وانه قد كانت لى دعوة دعوت
بها على قومى نفسى نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى ابراهيم فياتون ابراهيم
عليه السلام فيقولون انت نبى الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى
ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربى اليوم غضبا لم تغضب قبله مثله
ولن يغضب بعده مثله وانى كنت كذبت ثلاث كذبات كرها نفسى نفسى نفسى
اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى موسى عليه السلام فياتون موسى فيقولون
يا موسى انت رسول الله فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس الا ترى
ما نحن فيه اشفع لنا الى ربك فيقول ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانى قد قتلت نفسا لم يؤمر بقتلها
نفسى نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى عيسى عليه السلام فياتون
عيسى فيقولون يا عيسى انت رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه
وكلمت الناس فى المهد الا ترى ما نحن فيه اشفع لنا الى ربك فيقول عيسى ان ربى
قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا
نفسى نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى محمد فياتون محمدا صلى الله عليه
وسلم فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم الانبياء قد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر الا ترى ما نحن فيه اشفع لنا الى ربك فانطلق فاتى تحت
العرش فاقع ساجدا لربى ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه
شيئا لم يفتحه على احد قبلى ثم يقال يا محمد ارفع راسك وسل تعط واشفع
تشفع فارفع راسى فاقول امتى يا رب امتى يا رب فيقال يا محمد ادخل من
من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة هم شركاء الناس
فيما سوى ذلك من الابواب الحديث رواه البخارى ومسلم قال فى فتح البارى وقد
استشكل قولهم لنوح انت اول الرسل من اهل الارض فان آدم نبى مرسل
وكذا شيث وادريس وهم قبل نوح فمحصل الاجوبة عن ذلك ان الاولية مقيدة
بقوله اهل الارض لان آدم ومن ذكر معه لم يرسلوا الى اهل الارض او ان
الثلاثة كانوا انبياء ولم يكونوا رسلا والى هذا احتج ابن بطال فى حق آدم
وتعقبه القاضى عياض بما صححه ابن حبان من حديث ابى ذر فانه كالصريح فى انه
كان مرسلا وفيه التصريح بانزال الصحف على شيث وهو من علامات الارسال
ومن الاجوبة ان ارسال آدم كان الى بنيه وهم موحدون ليعلمهم شريعته

ونوح

ونوح رسالته كانت الى قوم كفار يدعوهم الى التوحيد وذكر الغزالى فى كتاب كشف
علوم الاخرة ان بين اتيان اهل الموقف آدم واتيانهم نوحا الف سنة وكذا بين
كل نبى ونبى الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن حجر ولم اقف
لذلك على اصل قال ولقد اكثر فى هذا الكتاب من ايراد احاديث لا اصول لها
فلا يغتر بشىء منها ووقع فى رواية حذيفة ان الخليل عليه السلام قال لست
بصاحب ذاك انما كنت خليلا من وراء وراء بفتح الهمزة بلا تنوين ويجوز
البناء على الضم للقطع على الاضافة نحو من قبل ومن بعد واختاره ابو البقاء
قال الاخفش يقال لقيته من وراء بالضم وقال

اذا انا لم او من عليك ولم يكن	لقاؤك الا من وراء وراء

ويجوز فيها النصب والتنوين جوازا جيدا قاله ابو عبد الله الابى ومعناه
لم اكن فى التقريب والادلال بمنزلة الحبيب وقيل مراده ان الفضل الذى
اعطيته كان بسفارة جبريل ولكن ائتوا موسى الذى كلمه الله بلا واسطة
وكرر وراء اشارة الى نبينا صلى الله عليه وسلم لانه حصلت له الرؤيا والسماع
بلا واسطة فكانه قال انا من وراء موسى الذى هو من وراء محمد وسبق مزيد لذلك
فى الخصائص واما ما ذكره من الكلمات الثلاث فقال البيضاوى الحق انها انما
كانت فى معاريض الكلام لكن لما كانت صورتها صورة الكذب اشفق منها استقصارا
لنفسه عن الشفاعة لان من كان اعرف بالله واقرب اليه منزلة كان اعظم
منه خوفا واما قوله عن عيسى انه لم يذكر ذنبا فوقع فى حديث ابن عباس عند
احمد والنسائى لانى اتخذت الها من دون الله وفى حديث النضر بن انس
عن ابيه حدثنى نبى الله صلى الله عليه وسلم قال انى لقائم انتظر امتى
عند الصراط اذ جاء عيسى فقال يا محمد هذه الانبياء قد جاءتك يسئلونك
لتدع الله ان يفرق جمع الامم الى حيث شاء لعظم ما هم فيه فافادت هذه
الرواية تعيين موقف النبى صلى الله عليه وسلم حينئذ وان هذا الذى
وصف من كلام اهل الموقف كله يقع عند نصب الصراط بعد تساقط الكفار
فى النار وان عيسى هو الذى يخاطب نبينا صلى الله عليه وسلم وان جميع الانبياء
يسئلونه فى ذلك وفى حديث سلمان عند ابن ابى شيبة يأتون محمدا فيقولون
يا نبى الله انت فتح الله بك وختم وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر و
جئت فى هذا اليوم وترى ما نحن فيه فقم فاشفع لنا الى ربنا فيقول انا صاحبكم
فيجوس الناس حتى ينتهى الى باب الجنة فان قلت ما الحكمة فى انتقاله صلى الله

عليه وسلم من مكانه الى الجنّة اجيب بانّ ارض الموقف لمّا كانت مقام عرض
وحساب كانت مقام مخافة واشفاق ومقام الشافع يناسب ان يكون في
مقام اكرام وفي حديث ابيّ بن كعب عند ابي يعلى فاسجد له سجدة يرضى بها
عنّي ثمّ امتدحه بمدحة يرضى بها عنّي وفي حديث ابي بكر الصّدّيق فينطلق
اليه جبريل فيخرّ ساجدا قدر جمعة فيقال يا محمّد ارفع رأسك وفي رواية النضر
بن انس فاوحى الله الى جبريل ان اذهب الى محمّد فقل له ارفع رأسك وعلى هذا
فالمعنى يقول لي على لسان جبريل والظّاهر انّه صلّى الله عليه وسلّم يلهم التحميد
قبل سجوده وبعده وفيه ويكون في كلّ مكان ما يليق به فانّه ورد في رواية
فاقوم بين يديه فيلهمني بمحامد لا اقدر عليها ثمّ اخرّ ساجدا وفي رواية
البخاري فارفع رأسي فاحمد ربّي بتحميد يعلّمنيه وفي رواية ابي هريرة عند
الشّيخين فآتي تحت العرش فاقع ساجدا لربّي ثمّ يفتح الله عليّ من محامده
وحسن الثّناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي ثمّ قال يا محمّد ارفع رأسك
الحديث وفي رواية البخاري من حديث قتادة عن انس ثمّ اشفع فيحدّ لي حدّا
ثمّ اخرجهم من النّار وادخلهم الجنّة قال الطّيبي اي تبيّن لي كلّ طور
من اطوار الشّفاعة حدّا اقف عنده فلا اتعدّاه مثل ان يقول شفّعتك
فيمن اخلّ بالجماعة ثمّ فيمن اخلّ بالصّلاة ثمّ فيمن شرب الخمر ثمّ فيمن زنا وهكذا
على هذا الاسلوب والّذي يدلّ عليه سياق الاخبار انّ المراد به تفضيل مراتب
المخرجين في الاعمال الصّالحة كما وقع عند احمد عن يحيى القطّان عن سعيد بن
ابي عروبة وفي رواية ثابت عند احمد فاقول اي ربّ امّتي امّتي فيقول اخرج
من كان في قلبه مثقال شعيرة وفي حديث سلمان فيشفع في كلّ من كان في
قلبه مثقال حبّة من حنطة ثمّ شعيرة ثمّ حبّة خردل فذلك المقام المحمود وفي رواية
ابي سعيد عند مسلم ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير قال
القاضي عياض قيل معنى الخير اليقين وامّا قوله في رواية انس عند البخاري فاخرجهم
من النّار وقال في الدّاودي كانّ راوي هذا الحديث ركب شيئا على غير اصله
وذلك انّ في اوّل الحديث ذكر الشّفاعة في الاراحة من كرب الموقف وفي
آخره ذكر الشّفاعة في الاخراج من النّار يعني وذلك انّما يكون بعد التّحوّل
من الموقف والمرور على الصّراط وسقوط من يسقط في تلك الحالة في النّار
ثمّ يقع بعد ذلك الشّفاعة في الاخراج وهو اشكال قويّ وقد اجاب عنه
النّووي ومن قبله القاضي عياض بانّه قد وقع في حديث حذيفة وابي هريرة

فيأتون

فيأتون محمّدا فيقوم ويؤذن له في الشّفاعة وترسل معه الأمانة والرّحم فيقومان
بجنبتي الصّراط يمينا وشمالا اي يقفان في ناحيتي الصّراط قال القاضي عياض فبهذا
يتّصل الكلام لانّ الشّفاعة الّتي لجأ النّاس اليه فيها هي لاراحة النّاس من
كرب الموقف ثمّ تجيء الشّفاعة في الاخراج انتهى والمعنى في قيام الامانة والرّحم
انّهما لعظم شأنهما وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقّهما يوقفان للامين و
الخائن وللواصل والقاطع فيحاجّان عن المحقّ ويشهدان على المبطل وقد وقع
في حديث ابي هريرة بعد ذكر الجمع في الموقف الامر باتّباع كلّ امّة ما كانت تعبد
ثمّ تمييز بين المنافقين من المؤمنين ثمّ حلول الشّفاعة بعد وضع الصّراط والمرور
عليه فكان الامر باتّباع كلّ امّة ما كانت تعبد من اوّل فصل القضاء والاراحة
من كرب الموقف وبهذا تجتمع متون الاحاديث وتترتّب معانيها انتهى وظهر انّه
صلّى الله عليه وسلّم اوّل ما يشفع ليقضي بين الخلق وانّ الشّفاعة فيمن يخرج
من النّار ومن سقط يقع بعد ذلك وانّ العرض والميزان وتطاير الصّحف
يقع في هذا الموطن ثمّ ينادي لتتبع كلّ امّة ما كانت تعبد فيسقط الكفّار في
النّار ثمّ تمييز بين المؤمنين والمنافقين بالامتحان بالسّجود عند كشف السّاق
ثمّ يؤذن في نصب الصّراط والمرور عليه فيطفأ نور المنافقين فيسقطون
في النّار ايضا ويمرّ المؤمنون عليه الى الجنّة فمن العصاة من يسقط و
يوقف بعض من نجا عند القنطرة للمقاصصة بينهم ثمّ يدخلون الجنّة
وقد قال النّووي ومن قبله القاضي عياض الشّفاعات خمس الاولى في الاراحة
من هول الموقف الثّانية في ادخال قوم الجنّة بغير حساب الثّالثة في ادخال
قوم حوسبوا واستحقّوا العذاب ان لا يعذّبوا الرّابعة في اخراج من ادخل
النّار من العصاة الخامسة في رفع الدّرجات انتهى فامّا الاولى وهي
الّتي لاراحة النّاس من هول الموقف فيدلّ عليها حديث ابي هريرة وغيره
المتقدّم وحديث انس عند البخاري ولفظه يجمع الله النّاس يوم القيمة
فيقولون لو استشفعنا الى ربّنا حتّى يريحنا من مكاننا فيأتون آدم
فيقولون انت الّذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وامر
الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربّك فيقول لست هناكم ويذكر
خطيئته ائتوا نوحا وذكر اتيانهم الانبياء واحدا واحدا الى ان قال فيأتوني
فاستأذن على ربّي واذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله ثمّ
يقال لي ارفع رأسك سل تعطه وقل يسمع واشفع تشفّع فارفع رأسي

فاحمد ربي بتحميد يعلمني الحديث واما الثانية وهي ادخال قوم الجنة
بغير حساب فيدل عليها ما في آخر حديث ابي هريرة عند البخاري ومسلم الذي
قدمته فارفع راسي فاقول يارب امتي يارب امتي فيقال يا محمد ادخل
من امتك من لاحساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة قال ابو حامد
والسبعون الالف الذين يدخلون الجنة بلا حساب لا ترفع لهم ميزان و
لا ياخذون صحفا وانما هي براءة مكتوبة لا اله الا الله محمد رسول الله هذه
براءة فلان بن فلان قد غفر له وسعد سعادة لا شقاء بعدها ابدا فما مر
عليه شيء اسر من ذلك المقام واما الثالثة وهي ادخال قوم حوسبوا
ان لا يعذبوا فيدل على ذلك قوله في حديث حذيفة عند مسلم ونبيكم على الصراط
يقول رب سلم واما الرابعة وهي في اخراج من ادخل النار من العصاة فدلائلها
كثيرة وقد روى البخاري عن عمران بن حصين مرفوعا يخرج قوم من النار
بشفاعة محمد فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميين واما الخامسة وهي رفع الدرجات
فقال النووي في الروضة انها من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولم يذكر لذلك
مستندا والله اعلم وقد ذكر القاضي عياض شفاعة سادسة وهي شفاعته
صلى الله عليه وسلم لعمه ابي طالب تخفيف العذاب لما ثبت في الصحيح ان العباس
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابا طالب كان يحوطك وينصرك
ويغضب لك فهل نفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى
ضحضاح وفي الصحيح ايضا من طريق ابي سعيد انه صلى الله عليه وسلم قال لعله
تنفعه شفاعتي يوم القيمة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه
دماغه وزاد بعضهم سابعة وهي الشفاعة لاهل المدينة لحديث سعد رفعه
لا يثبت احد على لاوائها الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيمة وتعقبه الحافظ
ابن حجر بان متعلقها لا يخرج عن واحد من الخمس الاول وبانه لو عد مثل ذلك
لعد حديث عبد الملك بن عباد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اول من
اشفع له اهل المدينة ثم اهل مكة ثم اهل الطائف رواه البزار واخرى
لمن زار قبره الشريف واخرى لمن اجاب المؤذن ثم صلى عليه وسلم واخرى
في التجاوز عن تقصير الصلحاء لكن قال الحافظ ابن حجر انها مندرجة في الخامسة
وزاد القرطبي انه اول شافع في دخول امته الجنة قبل الناس ويدل عليه
ما رواه   وزاد في فتح الباري اخرى فيمن استوت حسناته
وسيئاته ان يدخل الجنة لما اخرجه الطبراني عن ابن عباس قال السابق

الشفاعة الثانية

وقف على ان السبعين الف يدخلون الجنة بلا حساب لا ترفع لهم ميزان الى آخره

الشفاعة الثالثة

الشفاعة الرابعة

الشفاعة الخامسة

الشفاعة السادسة

الشفاعة السابعة

وقف على بقية الشفاعات

يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد برحمة الله والظالم لنفسه واصحاب الاعراف
بشفاعته صلى الله عليه وسلم وارجح الاقوال في اصحاب الاعراف انهم قوم
استوت حسناتهم وسيئاتهم وشفاعة اخرى فيمن قال لا اله الا الله ولم يعمل
خيرا قط لرواية الحسن عن انس فاقول يارب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله
قال ليس ذلك لك لكني وعزتي وكبريائي وعظمتي لاخرجن من النار من قال
لا اله الا الله قال وارد على الخمسة اربعة وما عداها لا يرد كما لا ترد الشفاعة
في التخفيف عن صاحبي القبرين وغير ذلك لكونه من جملة احوال الدنيا انتهى
فان قلت فاي شفاعة ادخرها صلى الله عليه وسلم لامته اما الاولى فلا تختص
بهم بل هي لاراحة الجمع كلهم وهي المقام المحمود كما تقدم وكذلك باقي الشفاعات
الظاهر انه يشاركهم فيها بقية الامم والجواب انه يحتمل ان المراد الشفاعة العظمى
التي للاراحة من هول الموقف وهي وان كانت غير مختصة بهذه الامة لكن هم
الاصل فيها وغيرهم تبع لهم ولهذا كان اللفظ المنقول عنه صلى الله عليه وسلم
فيها انه قال يارب امتي امتي فدعا فيهم فاجيب وكان غيرهم تبعا لهم في ذلك
ويحتمل ان تكون الشفاعة الثانية وهي التي في ادخال قوم الجنة بغير حساب
وهي المختصة بهذه الامة فان الحديث الوارد فيها يدخل من امتي الجنة سبعون
الفا الحديث ولم ينقل ذلك في بقية الامم ويحتمل ان يكون المراد مطلق
الشفاعة المشتركة بين الشفاعات الخمس وكون غير هذه الامة يشاركونهم
فيها او في بعضها لا ينافي ان يكون عليه السلام آخر دعوته شفاعة لامته
فلعله لا يشفع لغيرهم من الامم بل يشفع لهم انبياؤهم ويحتمل ان يكون
الشفاعة لغيرهم تبعا كما تقدم مثله في الشفاعة العظمى والله اعلم وعن
بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لارجو ان اشفع
يوم القيامة عدد ما على الارض من شجرة ومدرة رواه احمد وعن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن آخر الامم واول من يحاسب
يقال اين الامة الامية ونبيها فنحن الاخرون الاولون رواه ابن
ماجه وفي حديث ابن عباس عند ابي داود الطيالسي مرفوعا فاذا
اراد الله ان يقضي بين خلقه نادى مناد اين محمد وامته فاقوم و
تتبعني امتي غرا محجلين من اثر الطهور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنحن الاخرون الاولون واول من يحاسب وتفرج لنا الامم عن طريقنا
وتقول الامم كادت هذه الامة ان يكون انبياء كلها وقد صح ان اول

مايقضى بين الناس في الدماء رواه البخارى وللنسائى مرفوعا اول ما يحاسب
عليه العبد الصلوة واول مايقضى بين الناس في الدماء وفى البخارى عن على
بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال انا اول من يجثوا يوم القيامة بين
يدى الرحمن للخصومة يريد قصته في مبارزته هو وصاحباه الثلاثة من كفار
قريش قال ابو ذر وفيهم نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم الآية وعن
ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد يوم القيمة
حتى يسئل عن اربع عن عمره فيما افناه وعن عمله فيما عمل فيه وعن ماله من اين
اكتسبه وفيما انفقه وعن جسمه فيما ابلاه رواه الترمذى وقال حديث حسن
صحيح وفى البخارى من حديث عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من
نوقش الحساب عذب وروى البزار عن انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين ديوان فيه العمل الصالح وديوان
فيه ذنوبه وديوان فيه النعم من الله عليه فيقول الله لاصغر نعمة احسبه قال
في ديوان النعم خذى ثمنك من عمله الصالح فتستوعب عمله الصالح وتقول
وعزتك ما استوفيت وتبقى الذنوب والنعم وقد ذهب العمل الصالح فاذا اراد
الله ان يرحم عبدا قال يا عبدى قد ضاعفت حسناتك وتجاوزت عن سيئاتك احسبه
قال ووهبت له نعمى وروى الامام احمد بسند حسن عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليختصمن كل شيء يوم القيمة حتى
الشاتان فيما انتطحتا وعن انس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس
اذ رايناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال له عمر ما اضحكك يا رسول الله بابى
انت وامى قال رجلان من امتى جثيا بين يدى رب العزة فقال احدهما يا رب
خذ لى مظلمتى من اخى فقال الله كيف تصنع باخيك ولم تبق من حسناته شيء
قال يا رب فليحمل من اوزارى وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس ان يحمل عنهم من اوزارهم
فقال الله للطالب ارفع بصرك فانظر فقال يا رب ارى مدائن من ذهب وفضة
مكللة باللؤلؤ لاى نبى هذا اولاى صديق هذا اولاى شهيد هذا قال
لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ذلك قال انت تملك قال بماذا قال بعفوك
عن اخيك قال يا رب فانى قد عفوت عنه قال الله تعالى فخذ بيد اخيك
وادخله الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا
الله واصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المسلمين رواه الحاكم والبيهقى

في البعث كلاهما عن عباد بن شيبة الحنظلى عن سعد بن انس عنه فقال الحاكم
صحيح الاسناد كذا قال وقد نقل لو ان رجلا له ثواب سبعين نبيا وله خصم بنصف
دانق لم يدخل الجنة حتى يرضى خصمه وقيل يؤخذ بدانق سبعمائة صلوة مقبولة
فتعطى للخصم ذكره القشيرى في التحبير ثم بعد انقضاء الحساب يكون وزن
الاعمال لان الوزن للجزاء فينبغى ان يكون بعد المحاسبة فان المحاسبة لتقدير
الاعمال والوزن لاظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها وقد ذكر الله تعالى
الميزان في كتابه بلفظ الجمع وجاءت السنة بلفظ الافراد والجمع فقيل ان
صورة الافراد محمولة على ان المراد الجنس جمعا بين الكلامين وقال بعضهم
يحتمل ان يكون تعددها بتعدد الاعمال فيكون هنا موازين للعامل الواحد
يوزن بكل ميزان منها صنف من اعماله وذهبت طائفة الى انها ميزان واحد
يوزن بها للجميع وانما ورد في الآية بصيغة الجمع للتفخيم وليس المراد حقيقة
العدد وهو نظير قوله كذبت قوم نوح المرسلين والمراد رسول واحد وهذا
هو المعتمد وعليه الاكثرون واختلف في كيفية وضع الميزان والذى جاء
في اكثر الاخبار ان الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش ثم يؤتى
بالميزان فينصب بين يدى الله تعالى فتوضع كفة الحسنات مقابل الجنة و
كفة السيئات مقابل النار ذكره الترمذى الحكيم في نوادر الاصول واختلف
ايضا في الموزون نفسه فقال بعضهم توزن الاعمال نفسها وهى وان كانت
اعراضا الا انها تجسم يوم القيامة فتوزن وقيل الموزون صحائف الاعمال
ويدل له حديث البطاقة المشهور وقد رواه الترمذى من حديث عبد الله
بن عمرو بن العاص يرفعه بلفظ ان الله يستخلص رجلا من امتى على رؤس
الخلائق يوم القيمة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مثل مد البصر
ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتى الحافظون فيقول لا يا رب فيقول
افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك
اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده و
رسوله فيقول احضر وزنك فيقول ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال
انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات
وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء فان قلت ان شان الميزان
ان توضع في كفته شيء وفى الاخرى ضده فتوضع الحسنات في كفة والسيئات
في كفة والذى تقابل شهادة التوحيد الكفر ويستحيل ان ياتى عبد واحد بالكفر والايمان

معاصيه توضع الايمان فى كفة والكفر فى اخرى اجاب الترمذى الحكيم بانه
ليس المراد وضع شهادة التوحيد فى كفة الميزان وانما المراد وضع الحسنة المترتبة
على النطق بهذه الكلمة مع سائر الحسنات ويدل لما قاله قوله عليه السلام بلى ان
لك عندنا حسنة ولم يقل لك عندنا ايمانا وقد سئل عليه السلام عن لا اله الا
الله امن الحسنات هى فقال من اعظم الحسنات اخرجه البيهقى وغيره ويجوز
كما قاله القرطبى فى التذكرة ان تكون هذه الكلمة هى آخر كلامه فى الدنيا كما فى حديث
معاذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا اله الا الله
دخل الجنة وفى التحبير للقشيرى قيل لبعضهم فى المنام ما فعل الله بك قال
وزنت حسناتى فرجحت السيئات على الحسنات فسقطت صرة فى كفة الحسنات
فرجحت فحلت الصرة فاذا فيها كف تراب القيته فى قبر مسلم وفى الخبر اذا خفت
حسنات المؤمن اخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاقة كالانملة فيلقيها فى
كفة الميزان التى فيها حسناته فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبى صلى
الله عليه وسلم بابى وامى ما احسن وجهك وما احسن خلقك فمن انت فيقول
انا نبيك محمد وهذه صلاتك علىّ وقد وفيتك اياها احوج ما تكون اليها ذكره
القشيرى فى تفسيره وذكر الغزالى انه يؤتى برجل يوم القيمة فما يجد حسنة
ترجح بها ميزانه وقد اعتدلت بالسوية فيقول الله تعالى له رحمة منه اذهب
فى الناس فالتمس من يعطيك حسنة ادخلك بها الجنة فما يجد احدا يكلمه فى
ذلك الامر الا قال له انا احوج لذلك منك فييأس فيقول له رجل لقد لقيت
الله فما وجدت فى صحيفتى الا حسنة واحدة وما اظنها تغنى عنى شيئا خذها
هبة فينطلق بها فرحا مسرورا فيقول الله له ما بالك وهو اعلم فيقول يا رب
اتفق امرى كيت وكيت قال فينادى الله تعالى بصاحبه الذى وهبه الحسنة
فيقول له تعالى كرمى اوسع من كرمك خذ بيد اخيك وانطلقا الى الجنة
وكذا يستوى كفتا الميزان لرجل فيقول الله تعالى له لست من اهل الجنة
ولا من اهل النار فيأتى الملك بصحيفة فيضعها فى كفة الميزان فيها مكتوب
اف فترجح على الحسنات لانها كلمة عقوق فيؤمر به الى النار قال فيطلب
الرجل ان يرد الى الله تعالى فيقول الله تعالى ردوه فيقول له ايها العبد العاق
لاى شىء تطلب الرد الىّ فيقول الهى انى سائر الى النار وكنت عاقا لابى
وهو سائر الى النار مثلى فضعّف علىّ عذابى وانقذه منها قال فيضحك الله
تعالى ويقول عققته فى الدنيا وبررته فى الآخرة خذ بيد ابيك وانطلقا

الى الجنة

فصل فى التصلية على النبى صلى الله عليه وسلم

٥٤٦

فصل فى ان صاحب الميزان جبريل عليه السلام

فصل فى كيفية الرجحان والنقص

فصل فى الاعمال هل يوزن كلها ام خواتيمها

الى الجنة وقد روى حذيفة ان صاحب الميزان يوم القيمة جبريل عليه السلام
وهو الذى يزن الاعمال يوم القيمة واختلفوا ايضا فى كيفية الرجحان والنقص
فقال بعضهم ان الراجح ان الموزون فى الآخرة يصعد عكس ما فى الدنيا واستشهد
فى ذلك بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب الآية قال الزركشى وهو غريب مصادم
لقوله تعالى فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وهل توزن الاعمال كلها
ام خواتيمها حكى عن وهب بن منبه انه قال انما يوزن من الاعمال خواتيمها واستدل
بقوله عليه السلام انما الاعمال بخواتيمها وذكر الحافظ ابو نعيم عن نافع عن
ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قضى لاخيه المؤمن حاجة
كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له وقال بعض اهل العلم فيما حكاه
القرطبى فى التذكرة ولن يجوز احد الصراط حتى يسأل فى سبع قناطر فاما القنطرة
الاولى عن الايمان بالله وهى شهادة ان لا اله الا الله فان جاء بها مخلصا جاز
ثم يسأل على القنطرة الثانية عن الصلوة فان جاء بها تامة جاز ثم يسأل فى القنطرة
الثالثة عن صوم شهر رمضان فان جاء به تاما جاز ثم يسأل فى القنطرة الرابعة
عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز ثم يسأل فى الخامسة عن الحج والعمرة فان جاء
بهما تامتين جاز ثم يسأل فى القنطرة السادسة عن الوضوء والغسل فان جاء بهما
تامين جاز ثم يسأل فى السابعة وليس فى القناطر اصعب منها فيسأل عن
ظلامات الناس وفى حديث ابى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ويضرب
الصراط بين ظهرانى جهنم فاكون انا وامتى اول من يجوز ولا يتكلم يومئذ
الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفى جهنم كلاليب
مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى فتخطف الناس
باعمالهم فمنهم من يوبق ومنهم من يخردل ثم ينجو الحديث رواه البخارى
وفى حديث حذيفة وابى هريرة عند مسلم ونبيكم قائم على الصراط يقول
رب سلم سلم حتى يعجز اعمال العباد حتى يأتى الرجل لا يستطيع السير الا زحفا
قال وفى حافتى الصراط كلاليب معلقة مأمورة تأخذ من امرت به فمخدوش ناج
ومكردس فى النار وهذه الكلاليب هى الشهوات المشار اليها فى الحديث حفت
النار بالشهوات قال فالشهوات موضوعة على جوانبها فمن اقتحم الشهوة سقط
فى النار قاله ابن العربى ويؤخذ من قوله فمخدوش الى آخره ان المارين على
الصراط ثلاثة اصناف ناج بلا خدش وهالك من اول وهلة ومتوسط
بينهما مصاب ثم ينجو وفى حديث المغيرة عند الترمذى شعار المؤمنين على

الصراط رب سلم رب سلم ولا يلزم من كون هذا الكلام شعار المؤمنين ان
ينطقوا به بل تنطق به الرسل يدعون للمؤمنين بالسلامة ويسمى ذلك شعار
لهم وفى حديث ابن مسعود فيعطيهم نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يعطى نوره
مثل الجبل العظيم يسعى بين ايديهم الحديث وفيه فيمرون على قدر نورهم
منهم من يمر كطرفة العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب
ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم يمر كالريح ومنهم من يمر كشد
الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذى يعطى نوره على ظهر قدمه يحبو
على وجهه ويديه ورجليه تجر يد وتعلق يد وتجر رجل وتعلق رجل و
تصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها وقال
الحمد لله الذى اعطانى ما لم يعط احدا اذ نجانى منها بعد اذ رأيتها الحديث
رواه ابن ابى الدنيا والطبرانى وروى مسلم قال ابو سعيد بلغنى ان الصراط
احد من السيف وادق من الشعر ولابن المبارك من مرسل عبيد بن عمير ان
الصراط مثل متن السيف وبجنبيه كلاليب انه ليؤخذ بالكلوب الواحد اكثر
من ربيعة ومضر واخرجه ابن ابى الدنيا من هذا الوجه وفيه والملائكة على
جنبيه يقولون رب سلم سلم وعن الفضيل بن عياض بلغنا ان الصراط مسيرة
خمس عشرة الف سنة خمسة آلاف صعود وخمسة آلاف هبوط وخمسة آلاف
مستوى ادق من الشعر واحد من السيف على متن جهنم لا يجوز عليه الا
ضامر مهزول من خشية الله ذكره ابن عساكر فى ترجمته قال فى فتح البارى
وهذا معضل لا يثبت قال وعن سعيد بن ابى هلال بلغنا ان الصراط ادق
من الشعرة على بعض الناس ولبعض الناس مثل الوادى الواسع اخرجه ابن
المبارك وهو مرسل ومعضل وقد ذهب بعضهم الى ان المراد من قوله تعالى
وان منكم الا واردها الجواز على الصراط لانه ممدود على النار وروى عن
ابن عباس وابن مسعود وكعب الاحبار انهم قالوا الورود المرور على الصراط
وقيل الورود الدخول وعن ابى سمية قال اختلفنا فى الورود فقال
بعضنا لا يدخلها مؤمن وقال بعضنا يدخلونها جميعا ثم ينجى الله الذين
اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فقلنا انا اختلفنا فى الورود فقال يردونها
جميعا فقلت له انا اختلفنا فى ذلك فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن وقال
بعضنا يدخلونها جميعا فاهوى باصبعه الى اذنيه فقال صمتا ان لم اكن
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر و

لا فاجر

في مسافة الصراط

لا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم
حتى ان للنار او قال لجهنم ضجيجا من بردهم ثم ينجى الله الذين اتقوا ونذر الظالمين
فيها جثيا رواه احمد والبيهقى باسناد حسن واخرج ابن الجوزى كما ذكره
القرطبى فى التذكرة رفعه الزالون على الصراط كثير واكثر من يزل عنه النساء
قال واذا صار الناس على طرفى الصراط نادى ملك من تحت العرش يا فطرة الملك الجبار
جوزوا على الصراط وليقف كل عاص منكم وظالم فيا لها من ساعة ما اعظم
خوفها واشد حرها يتقدم فيها من كان فى الدنيا ضعيفا مهينا ويتاخر عنها
من كان فيها عظيما مكينا ثم يؤذن لجميعهم بعد ذلك فى الجواز على الصراط على
قدر اعمالهم فاذا عصف الصراط بامة محمد صلى الله عليه وسلم نادوا وامحمداه
فيبادر عليه السلام من شدة اشفاقه عليهم وجبريل اخذ بحجزته فينادى
صلى الله عليه وسلم رافعا صوته رب امتى امتى لا اسألك اليوم نفسى ولا فاطمة
ابنتى والملائكة قيام عن يمين الصراط ويساره ينادون رب سلم سلم وقد عظمت
الاهوال واشتدت الاوجال والعصاة يتساقطون عن اليمين والشمال والزبانية
يتلقونهم بالسلاسل والاغلال وينادونهم اما نهيتم عن كسب الاوزار اما
انذرتم كل الانذار اما جاءكم النبى المختار ذكره ابن الجوزى فى كتابه روضة
المشتاق وقد جاء فى حديث ابى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم قال من احسن
الصدقة فى الدنيا جاز على الصراط رواه ابو نعيم وفى الحديث من يكن
المسجد بيته ضمن الله له بالروح والرحمة والجواز على الصراط الى الجنة
وقد روى القرطبى عن ابن المبارك عن عبد الله بن سلام اذا كان يوم
القيمة جمع الله الانبياء نبيا نبيا وامة امة ويضرب الجسر على جهنم
وينادى اين احمد وامته فيقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتبعه
امته برها وفاجرها حتى اذا كان على الصراط طمس الله ابصار اعدائه فيتهافتون
فى النار يمينا وشمالا ويمضى النبى صلى الله عليه وسلم والصالحون معه
فتتلقاهم الملائكة فيدلونهم على الطريق على يمينك على شمالك حتى ينتهى الى
ربه فيوضع له كرسى عن يمين العرش ثم يتبعه عيسى عليه السلام على مثل سبيله
ويتبعه امته برها وفاجرها حتى اذا كانوا على الصراط طمس الله ابصار اعدائهم
فيتهافتون فى النار يمينا وشمالا الحديث واعلم ان فى الآخرة صراطين
احدهما مجاز لاهل المحشر كلهم الا من دخل الجنة بغير حساب او يلتقطه عنق
النار فاذا خلص من خلص من الصراط الاكبر حبسوا على صراط آخر لهم

واحمداه

ولا يرجع النار احد من هؤلاء ان شاء الله لانهم قد عبروا الصراط الاول
المضروب على متن جهنم وقد روى البخاري من حديث ابي سعيد الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون
على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم
في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس
محمد بيده لاحدهم اهدى في الجنة بمنزله منه بمنزله كان في الدنيا واما
تفضيله صلى الله عليه وسلم بانه اول من يقرع باب الجنة واول من
يدخلها ففي صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اكثر الناس تبعا يوم القيمة وانا اول
من يقرع باب الجنة وفيه ايضا من حديث انس قال صلى الله عليه وسلم آتي
باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول
بك امرت لا افتح لاحد قبلك رواه الطبراني وزاد فيه قال فيقوم الخازن
ويقول لا افتح لاحد قبلك ولا اقوم لاحد بعدك فقيامه له صلى الله عليه
وسلم خاصة فيه اظهار لمزيته ومرتبته وانه لا يقوم في خدمة احد بعده
بل خزنة الجنة يقومون في خدمته وهو كالملك عليهم وقد اقامه الله
تعالى في خدمة عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وروى سهل
بن ابي صالح عن زياد المهدي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا اول من يأخذ بحلقة الجنة ولا فخر وهو في مسند الفردوس
وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم
يوم القيمة ولا فخر وبيدي لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وما من نبي آدم
فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر قال
فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فذكر الحديث الى ان قال فيأتون
فانطلق معهم قال ابن جدعان قال انس فكاني انظر الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فآخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون
لي ويرحبون فيقولون مرحبا فاخر ساجدا فيلهمني الله من الثناء والحمد فيقال
ارفع راسك الحديث رواه الترمذي وقال حسن وفي حديث سلمان فيأخذ
بحلقة الباب وهي من ذهب فيقرع الباب فيقال من هذا فيقول محمد فيفتح و
في حديث الصور ان المؤمنين اذا انتهوا الى باب الجنة تشاوروا فيمن
يستاذن لهم في الدخول فيقصدون آدم ثم نوحا ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى

ثم محمدا

ثم محمدا صلى الله عليه وسلم كما فعلوا عند العرصات عند استشفاعهم الى
الله عز وجل في فصل القضاء ليظهر شرف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على
سائر البشر كلهم في المواطن كلها وروى ابو هريرة مرفوعا انا اول باب من
يفتح له باب الجنة الا ان امرأة تبادرني فاقول لها ما لك وما انت فتقول انا
امرأة قعدت على يتامى رواه ابو يعلى ورواته لا بأس بهم وقال المنذري اسناده
حسن ان شاء الله وقوله تبادرني اي لتدخل معي او تدخل في اثري ويشهد
له حديث انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال باصبعيه السبابة والوسطى
رواه البخاري من حديث سهل بن سعد قال ابن بطال حق على من سمع هذا الحديث
ان يعمل به ليكون رفيق النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ولا منزلة في
الجنة افضل من ذلك انتهى ويحتمل ان يكون المراد قرب المنزلة حالة دخول
الجنة كما في الحديث قبله ووجه التشبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم من
شانه ان يبعث الى قوم لا يعقلون امر دينهم فيكون كافلهم ومرشدا و
كذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل امر دينه بل ولا دنياه و
يعلمه ويحسن ادبه وعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم وهم
يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا
اتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر
فعيسى روح الله وقال وآدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت
كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك وموسى كليم الله و
هو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا
وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول
شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها
ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين ولا فخر رواه الترمذي و
عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس
خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وقائدهم اذا وفدوا وشافعهم
اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا يئسوا لواء الحمد بيدي ومفاتيح الجنة بيدي
يومئذ وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف علي الف خادم كانهم
اللؤلؤ المكنون رواه الترمذي والبيهقي واللفظ له وعن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون الاولون يوم القيامة

ونحن اول من يدخل الجنة رواه مسلم وعنه ايضا عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ونحن اول الناس دخولا الجنة
فهذه الامة اسبق الامم خروجا من الارض واسبقهم الى اعلا مكان في الموقف
واسبقهم الى ظل العرش واسبقهم الى فصل القضاء واسبقهم الى الجواز على
الصراط واسبقهم الى دخول الجنة وهي اكثر اهل الجنة روى عبد الله بن الامام
احمد من حديث ابي هريرة لما نزلت هذه الآية ثلة من الاولين وثلة من الآخرين
قال صلى الله عليه وسلم انتم ثلث اهل الجنة انتم نصف اهل الجنة انتم ثلثا
اهل الجنة قال الطبراني تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري وفي حديث بهز
بن حكيم رفعه اهل الجنة عشرون ومائة صف انتم منها ثمانون وعن
عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة حرمت على
الانبياء كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي قال الدارقطني
غريب عن الزهري فان قلت فما تقول في الحديث الذي صححه الترمذي من
حديث بريدة بن الحصيب قال اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا
بلالا فقال يا بلال بم سبقتني الى الجنة فما دخلت الجنة قط الا
سمعت خشخشتك امامي الحديث اجاب عنه ابن القيم بان تقدم بلال
بين يديه صلى الله عليه وسلم انما هو لانه كان يدعو الى الله اولا بالاذان
ويتقدم اذانه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فيتقدم دخوله
بين يديه كالحاجب والخادم قال وقد روي في حديث ان النبي صلى الله
عليه وسلم يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه ينادي بالاذان فتقدمه
بين يديه كرامة له صلى الله عليه وسلم واظهارا لشرفه وفضيلته لا سبقا
من بلال له وروى ابن ابي شيبة من حديث ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل فاخذ بيدي فاراني باب الجنة الذي
يدخل منه امتي فقال ابو بكر يا رسول الله وددت اني كنت معك حتى
انظر اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انك يا ابا بكر اول
من يدخل الجنة من امتي وقد دل هذا الحديث على ان لهذه الامة بابا مختصا
يدخلون منه الجنة دون سائر الامم فان قلت من اي ابواب الجنة يدخل
النبي صلى الله عليه وسلم فالجواب انه قد ذكر الترمذي الحكيم ابواب الجنة
كما نقله عنه القرطبي في التذكرة فذكر باب محمد صلى الله عليه وسلم قال
وهو باب الرحمة وهو باب التوبة فان قلت كم عدة ابواب الجنة فاعلم ان

في حديث ابي هريرة عند الشيخين مرفوعا من انفق زوجين في سبيل الله
دعي من ابواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من اهل الصلاة دعي من
باب الصلوة ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من اهل
الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الريان
وروى الترمذي من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعا ما منكم
من احد توضأ فيسبغ الوضوء ثم قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
عبده ورسوله الا فتحت له من ابواب الجنة الثمانية بزيادة من قال
القرطبي وهو يدل على ان ابواب الجنة اكثر من ثمانية وقال انتهى عددها الى ثلاثة
عشر بابا كذا قال فان قلت اي الجنان يسكنها النبي صلى الله عليه وسلم
فاعلم منحني الله واياك التمتع بذاته القدسية في الحضرة الفردوسية ان
الله تعالى قد اتخذ من الجنان دارا اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه
وغرسها بيده فهي سيدة الجنان والله يختار من كل نوع اعلاه وافضله
كما اختار من الملائكة جبريل ومن البشر محمدا صلى الله عليه وسلم وربك
يخلق ما يشاء ويختار وفي الطبراني من حديث ابي الدرداء ينزل الله تعالى
في آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر في الساعة الاولى منهن في الكتاب
الذي لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة
عدن وهي مسكنه الذي يسكن لا يكون معه فيها احد الا الانبياء والشهداء
والصديقون وفيها ما لم يره احد ولا خطر على قلب بشر ثم يهبط آخر ساعة
من الليل فيقول الا من مستغفر يستغفرني فاغفر له الا من سائل يسألني فاعطيه
الا من داع يدعوني فاستجيب له حتى يطلع الفجر وفي حديث انه رأى جنة
عدن ومنازل المرسلين منها وارى منازله فوق منازلهم وروى
ابو الشيخ عن شمر بن عطية قال خلق الله جنة الفردوس بيده فهو يفتحها
كل يوم خمس مرات فيقول ازدادي طيبا لاوليائي ازدادي حسنا
لاوليائي فتأمل هذه العناية كيف جعل الجنة التي غرسها بيده لمن
خلقه بيده ولافضل ذريته اعتناء وتشريفا واظهارا لفضل ما خلقه
بيده وشرفه وتمييزه بذلك عن غيره فجنة عدن اعلى الجنان وسيدها
وروى الدارمي عن عبد الله بن الحارث قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خلق الله ثلاثة اشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة
بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن

خمر ولا الديوث وفيه ابو معشر نجيح بن عبد الرحمن تكلم فيه وروى الدارمي
ايضا عن عبد الله بن عمر خلق الله اربعة اشياء بيده العرش والقلم وعدنا
وآدم عليه السلام ثم قال لسائر الخلق كن فكان وعنده ايضا عن ميسرة
قال ان الله لم يمس شيئا من خلقه غير ثلاث خلق آدم بيده وكتب التورية
بيده وغرس جنة عدن بيده فجنة عدن اعلى الجنان وسيدتها وهي
قصبة الجنة وفيها الكثيب الذي يقع فيه الروية وعليها يدور ثمانية
اسوار بين كل سورين جنة فالتي تلي جنة عدن من الجنات جنة
الفردوس واصله البستان وهي اوسط الجنان التي دون جنة عدن
وافضلها ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم ثم جنة المأوى وهي التي يأوي
اليها جبريل والملائكة وعن مقاتل تأوي اليها ارواح الشهداء ثم
دار السلام لانها دار السلامة من كل مكروه ثم دار المقامة واعلم ان للجنة
اسماء عديدة باعتبار صفاتها ومسماها واحد باعتبار ذاتها فهي مترادفة
من هذا الوجه ومختلفة باعتبار صفاتها ومسماها فاسم الجنة هو الاسم
العام المتناول لتلك الذوات وما اشتملت عليه من انواع النعم والسرور
وقرة العين وهذه اللفظة مشتقة من الستر ومنه سمي البستان جنة لانه
يستر داخله بالاشجار والجنان كثيرة جدا كما قال صلى الله عليه وسلم
لام حارثة لما قتل ببدر وقد قالت يا رسول الله الا تحدثني عن حارثة
فان كان في الجنة صبرت وان كان غير ذلك اجتهدت في البكاء عليه قال يا ام
حارثة انها جنان في الجنة وان ابنك قد اصاب الفردوس الاعلى وقال
تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فذكرهما ثم قال ومن دونهما جنتان
فهذه اربع وقال عليه السلام جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وجنتان
من فضة آنيتهما وما فيهما رواه الشيخان من حديث ابي موسى الاشعري
وقد قسم بعضهم الجنان بالنسبة الى الداخلين فيها ثلاثة جنة اختصاص
الهي وهي التي يدخلها الاطفال الذين لم يبلغوا الحلم ومن اهلها اهل
الفترات ومن لم يصل اليه دعوة رسول الجنة الثانية جنة ميراث ينالها
كل من دخل الجنة من المؤمنين وهي الاماكن التي كانت معينة لاهل النار
لو دخلوها والجنة الثالثة جنة الاعمال وهي التي ينزل الناس فيها باعمالهم
فمن كان افضل من غيره في وجوه التفاضل كان له من الجنة اكثر وسواء كان
الفاضل دون المفضول ولم يكن غير انه فضل في هذا المقام لهذه الحالة

فامن

فما من عمل من الاعمال الا وله جنة ويقع التفاضل فيها بين اصحابها بحسب ما يقتضي
احوالهم قال صلى الله عليه وسلم يا بلال بم سبقتني الى الجنة الحديث فعلم انها
كانت جنة مخصوصة فما من فريضة ولا نافلة ولا فعل خير ولا ترك محرم الا
وله جنة مخصوصة ونعيم خاص ينال له من دخلها وقد يجمع الواحد من الناس
في الزمان الواحد اعمالا من العبادات فيوجد في الزمان الواحد من وجوه
كثيرة فيفضل غيره ممن ليس له ذلك فقد تبين ان نيل المنازل والدرجات في
الجنان بالاعمال واما الدخول فلا يكون الا برحمة الله تعالى كما في البخاري
ومسلم من حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لن يدخل
احدا الجنة عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني
الله برحمته اي تلبسنيها ويسترني بها ماخوذ من غمد السيف وهو غلافه
وعند الامام احمد باسناد حسن من حديث ابي سعيد الخدري لن يدخل
الجنة احد الا برحمة الله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان
يتغمدني الله برحمته وقال بيده فوق رأسه يعني ان الجنة انما تدخل برحمة
الله وليس عمل العبد مستقلا بدخولها وان كان سببا ولهذا اثبت الله دخولها
بالاعمال في قوله تعالى وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون ونفى صلى
الله عليه وسلم دخولها بالاعمال في قوله لن يدخل احد منكم الجنة بعمله و
لا تنافي بين الامرين لما ذكره سفيان وغيره قال كانوا يقولون النجاة من النار
بعفو الله ودخول الجنة برحمة الله واقتسام المنازل والدرجات بالاعمال
ويدل له حديث ابي هريرة ان اهل الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل اعمالهم رواه
الترمذي قال ابن بطال محمل الآية على ان الجنة تنال المنازل فيها بالاعمال
فان درجات الجنة متفاوتة بحسب تفاوت الاعمال ومحمل الحديث على دخول
الجنة والخلود فيها ثم اورد على هذا الجواب قوله تعالى سلام عليكم ادخلوا
الجنة بما كنتم تعملون فصرح بان دخول الجنة ايضا بالاعمال واجاب ابن بطال بانه
لفظ مجمل بينه الحديث والتقدير ادخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم
تعملون وليس المراد بذلك اصل الدخول ثم قال ويجوز ان يكون الحديث مفسرا
للآية والتقدير ادخلوها بما كنتم تعملون مع رحمة الله لكم وتفضله عليكم لان
اقتسام منازل الجنة برحمة الله وكذا اصل دخول الجنة برحمته حيث الهم العاملين
ما نالوا به ذلك ولا يخلو شيء من مجازاته لعباده من رحمته وفضله وقد تفضل
الله عليهم ابتداء بايجادهم ثم برزقهم ثم بتعليمهم واشار الى نحوه القاضي عياض

فقائل وان من رحمة الله توفيقه للعمل وهدايته للطاعة وكل ذلك لم يستحقه
العامل بعمله وانما هو بفضل الله ورحمته وقال غيره لا تنافي بين ما في الآية والحديث
لان البآء التي اثبتت الدخول هي بالسببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه
لغيره وان لم يكن مستقلا بحصوله والبآء التي نفت الدخول هي بالمعاوضة
التي يكون فيها احد العوضين مقابلا للآخر نحو اشتريت منه بكذا فاخبر ان دخول
الجنة ليس في مقابلة عمل احد وانه لولا رحمة الله بعبده لما ادخله الجنة لان العمل
بمجرده ولو تناها لا يوجب بمجرده دخول الجنة ولا يكون عوضا لها لانه
لو وقع على الوجه الذي يحبه الله لا يقاوم نعمة الله بل جميع العمل لا يوازي نعمة
واحدة فلو طالبه بحقه لبقيت عليه من الشكر لتلك النعمة بقية لم يقم بها
فلذلك لو عذب اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم ولو رحمهم
لكانت رحمته خيرا من اعمالهم كما في حديث ابي بن كعب عند ابي داود وابن
ماجه وهذا فصل الخطاب مع الجبرية النفاة للحكمة والتعليل القائلين بان
القيام بالعبادة ليس الا لمجرد الامر من غير ان يكون سببا للسعادة في معاش و
لا معاد ولا لنجاة المعتقدين ان النار ليست سببا للاحراق ولا المآء سببا للارواء
والتبريد والقدرية الذين ينفون نوعا من الحكمة والتعليل القائلين بان
العبادات شرعت اثمانا لما يناله العباد من الثواب والنعيم وانها بمنزلة استيفاء
الاجير اجرته محتجين بان الله تعالى يجعلها عوضا كما في قوله تعالى ادخلوا الجنة
بما كنتم تعملون وبقوله عليه السلام حاكيا عن ربه تعالى يا عبادي انما هي اعمالكم
احصيها لكم ثم اوفيكم اياها وهؤلاء الطائفتان متقابلتان اشد التقابل و
بينهما اعظم التباين فالجبرية لم تجعل للاعمال ارتباطا بالجزآء البتة والقدرية
جعلت ذلك كله بمحض الاعمال وثمنا لها والطائفتان جائرتان منحرفتان عن
الصراط المستقيم الذي فطر الله عليه عباده وجاءت به رسله ونزلت به كتبه
وهو ان الاعمال اسباب موصلة الى الثواب والعقاب مقتضيات لهما كاقتضاء
سائر الاسباب لمسبباتها وان الاعمال الصالحة من توفيق الله تعالى ومنته وصدقته
على عبده ان اعانه عليها ووفقه لها وخلق فيه ارادتها والقدرة عليها وحببها اليه
وزينها في قلبه وكره اليه اضدادها ومع هذا فليست ثمنا لجزائه وثوابه بل غايتها
ان تكون شكرا له تعالى ان قبلها سبحانه ولهذا نفى عليه السلام دخول الجنة بالعمل
ردا على القدرية القائلين بان الجنة بمحض الاعمال وثمنا لها واثبت سبحانه وتعالى
دخول الجنة بالعمل ردا على الجبرية الذين لم يجعلوا للاعمال ارتباطا بالجزاء فتبين

انه

انه لا تنافي بينهما اذ توارد النفي والاثبات ليس على معنى واحد فالمنفي استحقاقها
بمجرد الاعمال وكون الاعمال ثمنا وعوضا لها ردا على القدرية والمثبت الدخول
بسبب العمل ردا على الجبرية والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وقال الحافظ
شيخ الاسلام ابن حجر يحمل الحديث على ان العمل من حيث هو عمل لا يستفيد به
العامل دخول الجنة ما لم يكن مقبولا واذا كان كذلك فامر القبول الى الله تعالى
وانما يحصل برحمة الله تعالى لمن يقبل منه وعلى هذا في قوله تعالى ادخلوا الجنة
بما كنتم تعملون اي تعملونه من العمل المقبول ولا يضر هذا ان تكون البآء للمصاحبة
او للالصاق او المقابلة ولا يلزم من ذلك ان تكون سببية قال ثم رايت النووي
جزم بان ظاهر الايات ان دخول الجنة سبب الاعمال والجمع بينها وبين الاحاديث
ان التوفيق للاعمال والهداية للاخلاص فيها وقبولها انما هو برحمة الله وفضله
فيصح انه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح انه دخل بسبب العمل وهو
من رحمة الله تعالى انتهى وروى الدارقطني عن ابي امامة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال نعم الرجل انا لشرار امتي فقالوا فكيف انت لخيارها قال
فاما خيارها فيدخلون الجنة باعمالهم واما شرار امتي فيدخلون الجنة بشفاعتي
ذكره عبد الحق في العاقبة **واما تفضيله** صلى الله عليه وسلم في الجنة بالكوثر
وهو على وزن فوعل من الكثرة سمي به هذا النهر العظيم لكثرة مائه وآنيته
وعظم قدره وخيره فقد نقل المفسرون في تفسير الكوثر اقوالا تزيد على العشرة
ذكرت كثيرا منها في المقصد السادس من هذا الكتاب واولاها قول ابن عباس
انه الخير الكثير لعمومه لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم
فلا معدل عنه فقد روى مسلم وابو داود والنسائي من طريق محمد بن فضيل
وعلي بن مسهر كلاهما عن المختار بن فلفل عن انس واللفظ لمسلم قال بينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا في المسجد اذ اغفى اغفآءة
ثم رفع راسه متبسما قلنا ما اضحكك يا رسول الله قال نزلت علي آنفا
سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك
وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله
اعلم قال انه نهر وعدنيه ربي عز وجل الحديث لكن فيه اطلاق الكوثر على
الحوض وقد جاء مصرحا في حديث عند البخاري ان الكوثر هو النهر الذي
يصب في الحوض وعند احمد ويفتح نهر الكوثر الى الحوض وعند مسلم يغت
فيه يعني الحوض ميزابان يمدانه من الجنة احدهما من ذهب والآخر

من ورق وقوله يغث بالغين المعجمة اى يصب وفى البخارى من حديث قتادة عن انس
قال لما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم الى السماء قال اتيت على نهر حافتاه قباب
اللؤلؤ مجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر ورواه ابن جرير عن شريك
بن ابى نمر قال سمعت انس بن مالك يحدثنا قال لما اسرى بالنبى صلى الله عليه
وسلم مضى به جبريل فاذا هو بنهر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فذهب يشم
ترابه فاذا هو مسك قال يا جبريل ما هذا النهر قال هو الكوثر الذى خبا لك
ربك ورواه احمد عن انس ان رجلا قال يا رسول الله ما الكوثر قال نهر
فى الجنة اعطانيه ربى لهو اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل وعن ابى
عبيدة عن عائشة قال سالتها عن قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قالت نهر اعطيه
نبيكم شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم رواه البخارى وقوله
شاطئاه اى حافتاه وقوله در مجوف اى القباب التى على جوانبه ورواه
النسائى بلفظ قالت نهر فى بطنان الجنة قلت وما بطنان الجنة قالت وسطها
حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت ترابه المسك وحصباه اللؤلؤ والياقوت
وبطنان بضم الموحدة وسكون المهملة بعدها نون ووسط بفتح المهملة و
المراد به اعلاها اى ارفعها قدرا والمراد اعدلها وعن ابن عمر رضى الله عنهما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب
والماء يجرى على اللؤلؤ وماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل رواه
احمد وابن ماجه وقال الترمذى حسن صحيح وروى عن ابن عباس فى قوله تعالى
انا اعطيناك الكوثر قال هو نهر فى الجنة عمقه سبعون الف فرسخ ماؤه اشد
بياضا من اللبن واحلى من العسل شاطئاه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت خص
الله به نبيه قبل الانبياء رواه ابن ابى الدنيا موقوفا وعن انس قال سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال نهر اعطانيه الله يعنى فى الجنة
اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طير اعناقها كاعناق البخت او
اعناق الجزر قال عمر انها لناعمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آكلها انعم
منها رواه الترمذى وقال حسن والجزر بضم الجيم والزاى جمع جزور وهو
البعير قال الحافظ ابن كثير قد تواترت يعنى حديث الكوثر من طرق تفيد القطع
عند كثير من ائمة الحديث وكذلك احاديث الحوض قال وهكذا روى عن انس
وابى العالية ومجاهد وغير واحد من السلف ان الكوثر نهر فى الجنة واما
تفضيله صلى الله عليه وسلم فى الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والفضيلة

فروى

فروى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله
عليه عشرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد
الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة قال الحافظ
عماد الدين ابن كثير الوسيلة علم على اعلى منزلة فى الجنة وهى منزلة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وداره فى الجنة وهى اقرب امكنة الجنة الى العرش وقال غيره الوسيلة فعيلة
من وسل اليه اذا تقرب يقال توسلت اى تقربت وتطلق على المنزلة العلية كما قال
فى هذا الحديث فانها منزلة فى الجنة على انه يمكن ردها الى الاول فان الواصل الى
تلك المنزلة قريب من الله فيكون كالقربة التى يتوسل بها ولما كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اعظم الخلق عبودية لربه واعلمهم به واشدهم له خشية و
اعظمهم له محبة كانت منزلته اقرب المنازل الى الله تعالى وهى اعلى درجة فى الجنة
وامر صلى الله عليه وسلم امته ان يسالوها له لينالوا بهذا الدعاء الزلفى وزيادة
الايمان وايضا فان الله تعالى قدرها له باسباب منها دعاء امته له بها بما نالوه
على يده من الهدى والايمان واما الفضيلة فهى المرتبة الزائدة على سائر الخلائق
ويحتمل ان تكون منزلة اخرى وتفسيرا للوسيلة وعن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الوسيلة درجة عند الله عز وجل ليس فوقها درجة فسلوا الله
لى الوسيلة رواه فى المسند وذكر ابن ابى الدنيا وقال درجة فى الجنة ليس فى الجنة اعلى
منها فسلوا الله ان يؤتينيها على رؤس الخلائق وروى ابن مردويه عن على عن
النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا سالتم الله فسلوا الله لى الوسيلة قالوا يا رسول
الله من يسكن معك قال على وفاطمة والحسن والحسين لكن قال الحافظ عماد
الدين ابن كثير انه حديث غريب منكر من هذا الوجه وعند ابن ابى حاتم من حديث
على ايضا انه قال على منبر الكوفة ايها الناس ان فى الجنة لؤلؤتين احديهما بيضاء و
الاخرى صفراء فاما الصفراء فانها الى بطنان العرش والمقام المحمود من اللؤلؤة البيضاء
سبعون الف غرفة كل بيت منها ثلاثة اميال وغرفها وابوابها واسرتها وسكانها و
من عرق واحد واسمها الوسيلة لمحمد صلى الله عليه وسلم واهل بيته والصفراء فيها
مثل ذلك هى لابراهيم عليه السلام واهل بيته وهو اثر غريب كما نبه عليه الحافظ ابن
كثير ايضا وعن ابن عباس فى قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال اعطاه
الله تعالى فى الجنة الف قصر فى كل قصر ما ينبغى له من الازواج والخدم رواه ابن
جرير وابن ابى حاتم من طريقه ومثل هذا لا يقال الا عن توقيف فهو فى حكم المرفوع

خاتمة عن عائشة قالت جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
انك لاحب الي من نفسي وانك لاحب الي من اهلي واحب الي من ولدي واني لاكون في
البيت فاذكرك فما اصبر حتى آتيك فانظر اليك واذا ذكرت موتي وموتك عرفت انك اذا
دخلت الجنة رفعت مع النبيين واني اذا دخلت الجنة خشيت ان لا اراك فلم يرد عليه
النبي صلى الله عليه وسلم شيئا حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الاية ومن يطع الله والرسول
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
اولئك رفيقا رواه ابو نعيم وقال الحافظ ابو عبد الله المقدسي لا اعلم باسناد هذا
الحديث باسا كذا نقله في حادي الارواح وذكره البغوي في معالم التنزيل بلفظ
نزلت يعني الاية في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن
في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله
ما بي وجع ولا مرض غير اني اذا لم اراك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك
ثم ذكرت الاخرة فاخاف ان لا اراك لانك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة
في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة فلا اراك ابدا فنزلت هذه الاية وكذا
ذكره ابن ظفر في ينبوع الحياة لكن قال ان الرجل هو عبد الله بن زيد الانصاري الذي
راى الاذان وليس المراد ان يكون من اطاع الله واطاع الرسول مع النبيين والصديقين
كون الكل في درجة واحدة لان هذا يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول
وذلك لا يجوز فالمراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الاخر وان بعد
المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا ارادوا الرؤية والتلاقي
قدروا على ذلك فهذا هو المراد من هذه المعية وقد ثبت في الصحيحين من حديث انس
ان رجلا قال يا رسول الله متى الساعة قال وما اعددت لها قال لا شيء الا اني
احب الله ورسوله قال انت مع من احببت قال انس فما فرحنا بشيء فرحنا بقول
النبي صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت قال انس فانا احب النبي صلى الله عليه
وسلم وابا بكر وعمر وارجو ان اكون معهم بحبي اياهم وفي الحديث الالهي الذي رواه
حذيفة كما عند الطبراني بسند غريب ان الله تعالى قال ما تقرب الى عبدي بمثل اذا ما
افترضت عليه ولا يزال يتقرب الي بالنوافل حتى احبه الحديث وفيه من الزيادة
على حديث البخاري ويكون من اوليائي واصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين
والشهداء في الجنة فلله درها من كرامة بالغة ونعمة على المحبين سابغة فالمحب
يرقى في درجات الجنان على اهل المقامات بحيث ينظر اليه كما ينظر الى الكوكب الغابر في

افق

افق السموات لعلو درجته وقرب منزلته من حبيبه ومعيته معه وان المرء مع من
احب ولكل عمل جزاء وجزاء المحبة المحبة والوصول والقرب من المحبوب رؤيت امراة
مسرفة على نفسها بعد موتها فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي قيل لها بماذا قالت
بمحبتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشهوتي النظر اليه نوديت من اشتهى النظر
الى حبيبنا نستحيي ان نذله بعتابنا بل نجمع بينه وبين من يحبه وانظر قوله تعالى
طوبى لهم وحسن مآب وان طوبى اسم شجرة في الجنة غرسها الله بيده تنبت الحلي
والحلل وان اغصانها لترى من اغصان سور الجنة وان اصلها في دار النبي صلى
الله عليه وسلم وفي دار كل مؤمن منها غصن فما من جنة من الجنان الا وفيها من شجرة طوبى
ليكون سر كل نعيم ونصيب كل ولي من سره عليه السلام وانه صلى الله عليه وسلم مدد
الجنة فلا ولي يتنعم في جنته الا والرسول متنعم بنعمته لان الولي ما وصل الى ما
وصل اليه من النعيم الا باتباعه لنبيه صلى الله عليه وسلم فلهذا كان سر النبوة
قائما به في نعمه وكذلك ابليس ملازم النار فلا عذاب لاحد من اهلها الا وابليس سر
تعذيبه ومشارك له فيه وفي البحر لابي حيان عند تفسير قوله تعالى عينا يشرب بها
عباد الله يفجرونها تفجيرا قيل هي عين في دار رسول الله صلى الله عليه وسلم تفجر
الى دور الانبياء والمؤمنين واذا علمت هذا فاعلم ان اعظم نعيم الجنة واكمله
التمتع بالنظر الى وجه الرب تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وقرة العين
بالقرب من الله ورسوله مع الفوز بكرامة الرضوان التي هي اكبر من الجنان وما
فيها كما قال تعالى ورضوان من الله اكبر ولا ريب ان الامر اجل مما يخطر ببال او
يدور في خيال ولا سيما عند فوز المحبين في روضة الانس وحظيرة القدس بمعية
محبوبهم الذي هو غاية مطلوبهم فاي نعيم واي لذة واي قرة واي فوز يداني
تلك المعية ولذتها وقرة العين بها وهل فوق قرة العين بمعية الله ورسوله نعيم
فلا شيء والله اجل ولا اكمل ولا اجمل ولا احلى ولا اعلى ولا اغلى من
حضرة يجتمع فيها المحب باحبابه في مشهد مشاهد الاكرام حيث يتجلى لهم حبيبهم
ومعبودهم الاله الحق جل جلاله خلف حجاب واحد في اسمه الجميل اللطيف
فينفهق عليهم نور يسري في ذواتهم بنور ذلك الجمال الاقدس بحضرة الرسول
الانفس فيقول لهم الحق جل جلاله سلام عليكم عبادي ومرحبا بكم اهل ودي
انتم المؤمنون الآمنون لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون انتم اوليائي
وجيراني واحبابي اني انا الله الجواد الغني وهذه داري قد اسكنتكموها وجنتي
قد ابحتكموها وهذه يدي مبسوطة ممتدة عليكم وانا ربكم انظر اليكم لا اصرف

نظري عنكم انا لكم جليس وانيس فارفعوا الي حوايجكم فيقولون ربنا حاجتنا اليك
النظر الى وجهك الكريم والرضى عنا فيقول لهم جل جلاله هذا وجهي فانظروا
اليه وابشروا فاني عنكم راض ثم يرفع الحجاب ويتجلى لهم فيخرون سجدا فيقول لهم
ارفعوا رؤسكم فليس هذا موضع سجود يا عبادي ما دعوتكم الا لتمتعوا بمشاهدتي يا عبادي
قد رضيت عنكم فلا اسخط عليكم ابدا فما احلاها من كلمة وما الذها من بشرى فعندها
يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن واحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا
فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ان ربنا لغفور شكور وهذا يدل على ان جميع
العبادات تزول في الجنة الا عبادة الشكر والحمد والتسبيح والتهليل والذي يدل عليه
الحديث الصحيح انهم يلهمون ذلك كالهام النفس كما في صحيح مسلم من حديث جابر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأكل اهل الجنة فيها ويشربون ولا يتمخطون
ولا يبولون ويكون طعامهم ذلك جشاء ورشحا كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد
كما يلهمون النفس يعني تسبيحهم وتحميدهم يجري مع الانفاس فليس عن تكليف
والزام وانما هو عن تيسير والهام ووجه التشبيه ان تنفس الانسان لا بد له منه
ولا كلفة ولا مشقة في فعله فكذلك يكون ذكر الله تعالى على السنة اهل الجنة
وسر ذلك ان قلوبهم قد تنورت بمعرفته وابصارهم قد تمتعت برؤيته وقد غمرتهم
سوابغ نعمه وامتلأت افئدتهم بمحبته ومخاللته فالسنتهم ملازمة لذكره وقد اخبر
الله تعالى عن ثنائهم في ذلك بقوله تعالى في كتابه العزيز وقالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين وقوله
تعالى دعويهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعويهم ان الحمد لله
رب العالمين قال جامعه ومؤلفه احمد بن الخطيب القسطلاني عاملها الله بما يليق
بمنه وكرمه فهذا آخر ما جرى به قلم المدد من هذه المواهب اللدنية وسطرته يد الفيض
من المنح المحمدية وذلك وان كثر لقليل في جنب شرفه الشامخ ويسير مما اكرمه الله
من فضله الراسخ ولو تتبعنا ما منحه الله به من مواهبه وشرفه به من مناقبه
لما وسعت بعضه الدفاتر وكلت دون موماة الاقلام وجفت المحابر و
ضاقت عن جمعه الكتب وعجزت عن حمله النجب وعلى تفنن واصفيه بحسنه
يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف والى الله تعالى اضرع ان يجعله خالصا لوجهه
الكريم مخلصا من شوائب الريا ودواعي التعظيم وان ينفعني به والمسلمين
والمسلمات في المحيا وبعد الممات سائلا من وقف عليه من فاضل انار الله بصيرته
وجبل على الانصاف سريرته ان يصلح بحلمه عثاري وزللي ويسد بسداد فضله

خطائي وخللي فالكريم يقيل العثار ويقبل الاعتذار خصوصا عذر مثلي مع قصر
باعه في هذه الصناعة وكساد سوقه بما لديه من مزجاة البضاعة وما ابتلي به من شواغل
الدنيا الدنية والعوارض البدنية وتحمله من الاثقال التي لو حملها رضوى لتضعضع
او نزلت على ثبير لخشع وتصدع لكنني اختلست غفلة الظلام الغاسق والليل
الواسق فسرقته من ايدي العوائق والليل يعين السارق واستفتحت مغالق
المعاني بمفاتيح فتح الباري واستخرجت من مطالب كنوز العلوم نفائس الدراري
حامدا لله تعالى على ما انعم والهم وعلم ما لم اكن اعلم مصليا مسلما على رسوله
محمد اشرف انبيائه وافضل مبلغ لانبائه وعلى آله واصحابه واحبابه وخلفائه صلاة
لا ينقطع مددها ولا يفنى امدها قال مؤلفه حفظه الله وختم بالصالحات اعماله
وقد انهيت كتابة هذه النسخة المنقولة منها هذه النسخة المباركة النافعة ان شاء الله تعالى
في خامس عشر شعبان المكرم سنة تسع وتسعين وثمانمائة ومن المسودة في الثاني
من شوال سنة ثمان وتسعين وثمانمائة والله اسأل ان ينفع به جيلا بعد جيل وحسبنا
الله ونعم الوكيل واستودع الله تعالى نفسي وديني وخواتيم عملي وما انعم به علي ذلي
وهذا الكتاب وان ينفعني به والمسلمين وان يردني واحبابي الى الحرمين الشريفين
على احسن وجه واتمه ويرزقني الاقامة بهما في عافية بلا محنة وان يطيل عمري في
طاعته ويلبسني ثواب عافيته ويجمع لي وللمسلمين بين خيري الدنيا والآخرة ويصرف
عنا سوءهما ويجعل وفاتي ببلد رسوله ويمنحنا من المدد المحمدي بما منحه عباده
الصالحين مع رضوانه ويمتعنا بلذة النظر الى وجهه الكريم من غير عذاب يسبق فانه
سبحانه اذا استودع شيئا حفظه والحمد لله وحده ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين والحمد لله
وحده حمدا كثيرا

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين اما بعد فقد سمع مني اخونا في الله تعالى شيخ الاسلام الشيخ جمال الدين
الـ[illegible] كتاب المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني من اوله الى آخره بقراءة ولدي الشيخ عبد السلام مرتين الاولى في المرة الثانية
حين سافر الى مكة المشرفة وقد اجزته بجميعه وبكل ما مع حملي بما في ذلك وانه ممن فيه اهلية الاجازة وانه [illegible]
التدريس نرجو بذلك دعاءه لي ولذريتي وذكره بتاريخ مستهل شهر ذي الحجة الحرام من شهور سنة سبع
والف كتبه الفقير الحقير ابراهيم اللقاني المالكي الاشعري البرهاني بعد العصر يوم الاحد سادس الشهر المذكور بالجامع الازهر عمره الله تعالى
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب